الكِتاب الثّاني مِن أُغنِيَةِ الجَليد والنّار

صِدامُ المُلوك

جورج ر.ر. مارتن

ترجَمَة هِشام فهْمي



چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

صِدام الملوك

الكتاب الثاني الجزء الأول



الكتاب: صِدام الملوك I (الكتاب الثاني من أغنيَّة الجَليد والنَّار) / رواية

المؤلف: چورچ ر. ر. مارتن

ترجمة: هشام فهمي

عدد الصفحات: 528 صفحة

الترقيم الدولي: 978-977-6483-92-7

رقم الناشر: 2015/22115

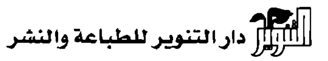
الطبعة الأولى: 2017

هذه ترجمة مرخّصة لكتاب:

A Clash of Kings by George R.R. Martin

Published by agreement with the author and the author's agents, The Lotts Agency Ltd

الناشر



لبنان: بيروت – بئر حسن – سنتر كريستال، الهزيم – الطابق الأول

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة – 2 شارع فؤاد سراج الدين (السرايا الكبرى سابقا) - جاردن سيتي

هاتف: 00227963545

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر – 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com



چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

صِدام الملوك

الكتاب الثاني الجزء الأول

ترجمة: هشام فهمي






رواياتي
Rwaiaty.com


مكتبة
الفكر الجديد

إلى چون وجايل
من أجل كلِّ ما جمعَ بيننا من طعامٍ وشراب



خريطة الشَّمال

قلعة ◆ — مدينة ● —
أطلال ◇ — بلدة • —

ش

الغابة المسكونة
الجدار
سكاين
برج الظلال
القلعة السَّوداء
قلعة البحر
أراضي الهديَّة
خليج الفقمات
سكاجوس
الساحل المتجمِّد
خليج الجليد
جزيرة الدببة
المستوقد الأخير
البحيرة الطويلة
كارهولد
رأس التنين البحري
ربوة الغابة
الساحل الحجري
غابة الذئاب
التلال الوحيدة
قلعة الخوف
وينترفل
النهر الباكي
مربَّع تورين
الفرع المكسور
روابي القبور
الأخاديد
بوابة الكِباش
الميناء الأبيض
قلعة الأرملة
بلدة الرَّوابي
الرُّمح الملحي
خندق كايلن
القلعة العتيقة
خليج المياه الأجاجة
إصبع فلينت
العُنُق
الخليج الناهش
جزيرة الحصى
جزيرة التلَّين
سسترتون
الثلاث أخوات
رأس الكراكن
جروف فلينت
القلعة الرماديَّة
التوأمتان
جُزُر الحديد
رأس النسور
سيجارد
خليج الرجال الحديديين
بايك
العُش
البوَّابة الدامية
وادي أرِن
الفرع الأخضر
الفرع الأزرق
الجلمود
الفرع الأحمر

Map by
James Sinclair



خريطة الجنوب

مدينة — ●   قلعة — ◆
بلدة — •   أطلال — ◇

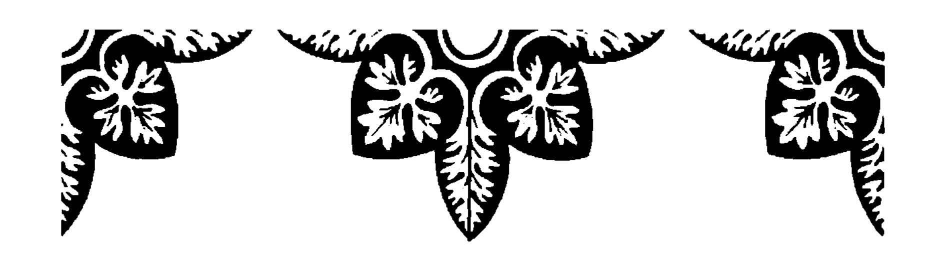
ش

جُزُر الحديد
ويك القديمة
ويك الكبرى
بايك
سيجارد
خليج الرجال الحديديين
طريق الملوك
الفرع الأخضر
الفرع الأزرق
الفرع الأحمر
نهر الثالوث
الثلاث أخوات
وادي أرن
العُش
البوابة الدامية
مدينة النوارس
الرأس المتصدع
الجلمود
ريفرَرن
هارنهال
جزيرة الوجوه
عين الآلهة
ميدنبوول
داسكندال
دراجونستون
الحلقوم
النّاب الذّهبي
كاسترلي روك
لانسبورت
طريق الذّهب
النهر الأسود
كينجز لاندنج
روزبي
الخليج الأسود
المرعى
طريق البحر
غابة الملوك
الطريق الوردي
بتربريدج
نهر الماندر
آشفورد
هايجاردن
تارث
ستورمز إند
خليج السُّفن الغارقة
الغابة المطيرة
رأس الغضب
تخوم دورن
بحر دورن
البلدة القديمة
ستارفول
دورن
الكَرمة

Map by James Sinclair




مكتبة
الفكر الجديد



تمهيد

شَقَّ ذيل المذنَّب الفَجر كجرحٍ أحمر ينزف من كبد السَّماء التي اصطبغَت بمزيجٍ من الوردي والأرجواني فوق جروف دراجونستون.

كان المِايستر يقف في الشُّرفة المكشوفة للرِّيح خارج مسكنه. إلى هنا تأتي الغِدفان بَعد التَّحليق الطَّويل، وقد لوَّثت فضلاتها التِّمثالين اللذين يرتفع كلٌّ منهما اثني عشر قدمًا، أحدهما يُمَثِّل وايڤرن[1] والآخَر كلبًا من كلاب الجحيم[2]، بينما يطلُّ من على أسوار القلعة العتيقة ألفٌ من الكراجل[3] الأخرى. كان جيش المسوخ الحجريَّة يبثُّ فيه شعورًا بعدم الرَّاحة في بداية مجيئه إلى دراجونستون، لكنه اعتادَ وجودها مع مرور الزَّمن حتى باتَت بمثابة أصدقاءٍ له؛ والآن وقفَ بين صديقيه هذين ليتطلَّع ثلاثتهم إلى السَّماء بتوجُّس.

لم يكن المِايستر كرسن يُؤمن بالنُّذر، وعلى الرغم من سنوات عُمره المديد لم يسبق له أن رأى مذنَّبًا يتوهَّج بهذه الصُّورة على الإطلاق، أو بهذا

---

(1) الوايڤرن مخلوق أسطوري شبيه بالتِّنين، لديه جسد كالسحلية وساقان وذيل سمكة، ولا ينفث النَّار.

(2) كلاب الجحيم مخلوقاتٌ خياليَّة يرد ذِكرها في أساطير شعوبٍ عدَّة، وتوصَف بأنها سوداء اللَّون وحمراء العينين، وشديدة القوَّة ولها حضور شبحي ورائحة كريهة.

(3) الكراجل مخلوقات أسطوريَّة ذات مظهر مشوَّه مخيف، تم تصويرها في منحوتات عدَّة، وبالأخص على الجدران الخارجيَّة لعددٍ من كنائس العصور الوُسطى، حيث تتَّخذ شكل ميزاب ناتئ.



اللَّون الرَّهيب، لون الدَّم واللَّهب والغروب. تساءلَ إن كانت كراجله رأت مثيلًا له من قبل، إذ سبقَ وجودها هنا وجوده بزمنٍ طويلٍ للغاية، وستظلُّ هنا بَعد أن يرحَل بكثير. ليت الألسنة الحجريَّة قادرة على الكلام...

استندَ إلى سور الشُّرفة شاعرًا بملمس الأحجار السَّوداء الخشن تحت أصابعه والأمواج تتلاطَم في الأسفلِ، وقال لنفسه: كراجل متكلِّمة ونبوءات في السَّماء، يا للحماقة! أيصحُّ أن أفكِّر كطفلٍ طائش وأنا رجلٌ هَرِمٌ يقف على عتبة القبر؟ هل تخلَّت عنه الحكمة التي لم يدَّخر جهدًا طول حياته لاكتسابها كما تخلَّت عنه صحَّته وقوَّته؟ إنه مِايستر تعلَّم وتدرَّب في قلعة البلدة القديمة العظيمة، وهناك طوَّق عُنقه بسلسلة جماعته، فإلى أيِّ شيءٍ استحالَ الآن وقد ملأَت الخُرافة رأسه كأنه مجرَّد فلَّاح أجير جاهل؟

ومع ذلك... ومع ذلك... كان المذنَّب يتَّقد طول الوقت الآن، حتى في النَّهار، بينما يتصاعَد البُخار الرَّمادي الباهت من فتحات بُركان دراجونمونت السَّاخنة وراء القلعة، وصبيحة الأمس أتى غُداف أبيض حاملًا خبرًا من «القلعة» نفسها، خبرًا طالَ توقُّعه وطالَ الخوف من مجيئه، خبرًا يُعلِمهم بنهاية الصَّيف. نُذُرٌ كلها، وأكثر عددًا من أن يُنكِرها أو يتجاهَلها، حتى إنه يُريد أن يَصرُخ بأعلى صوته: ما الذي يعنيه كلُّ هذا؟!

- «مِايستر كرسن، لديك ضيوف»، قال پايلوس بصوتٍ خافت كأنه يكره أن يقطع على كرسن تأمُّلاته الوقور، بينما لو أدركَ الهراء الذي ملأَ رأس العجوز لحظتها لصاحَ دهشةً. «الأميرة ترغب في رؤية الغُداف الأبيض».

پايلوس على صوابٍ دائمًا، والآن كان يدعوها «الأميرة» بما أن السيِّد والدها ملك، ملك صخرةٍ في عرض البحر المالح العظيم تتصاعَد منها الأدخنة والأبخرة، لكنه ملك على الرغم من ذلك. «المهرِّج معها كذلك».

أدارَ العجوز ظَهره للفَجر وقد أبقى يده على تمثال الوايڤرن كي يقف بثباتٍ، وقال: «خُذني إلى مقعدي ودَعهما يَدخُلان».

أمسكَ پايلوس ذراعه وقادَه إلى الدَّاخل. في شبابه كان كرسن يمشي بخطواتٍ سريعةٍ رشيقة، لكنه الآن يدنو من يوم ميلاده الثَّمانين، وساقاه



أصبحتا هشَّتين مرتعشتين. قبل عامين سقطَ المِايستر وكسرَ وَركه، ومنذ ذلك الحين والكسر لم ينجَبر كما ينبغي، وفي العام الماضي عندما كان طريح فِراش المرض، أرسلَت «القلعة» پايلوس من البلدة القديمة قبل أيام قلائل من إغلاق اللورد ستانيس الجزيرة. قالوا إنه جاءَ ليُساعِده في مهامِّه، لكن كرسن كان يُدرِك الحقيقة، أن پايلوس هنا ليحلَّ محلَّه عندما يموت. لم يكن يُمانِع، فعلى أحدهم أن يأخذ مكانه في النِّهاية، وبأسرع مما كان ليرغب في الحقيقة.

تركَ الرَّجل الشَّاب يُساعِده على الجلوس وراء كُتبه وأوراقه، ثم قال: «اذهب وتعالَ بها. من السيِّئ أن نَترُك الليدي تنتظر»، ولوَّح بيده بحركةٍ تدلُّ على العجالة من رجلٍ لم تَعُد العجالة شيئًا يقوى عليه. كانت بشرته مجعَّدةً مليئةً بالبُقع، والجلد رقيقًا كورقة حتى إنه يستطيع أن يرى شبَكة العروق وأشكال العظام من تحته، ولكم صارت يداه دائمتي الارتجاف، هاتان اليدان اللتان كانتا دومًا ثابتتين قويَّتين في الماضي.

عادَ پايلوس والفتاة معه وقد بدَت خجولًا كالمعتاد، ومن ورائها جاءَ مهرِّجها بمشيته الجانبيَّة الغريبة التي تجمع بين جَرِّ القدمين والتَّواثُب، وقد وضعَ على رأسه خوذةً مصنوعةً من صفيح دلوٍ قديم، رُبطَ حول قمَّتها حزام ثُبِّتَت فيه قرون وعلٍ يتدلَّى منها عدد من الأجراس الصَّغيرة التي تُعَلَّق في أعناق الأبقار، ومع كلِّ خطوةٍ متمايلةٍ يخطوها كانت الأجراس تُجَلجِل فيُصدِر كلٌّ منها رنينًا مختلفًا عن الآخَر، كلانجا-دانج بونج-دونج رينجا-لينج كلونج كلونج كلونج!

قال كرسن: «مَن جاءَ لزيارتنا في هذه السَّاعة المبكِّرة يا پايلوس؟».

أجابَته الطِّفلة وعيناها الزَّرقاوان تَرمُقانه بنظراتهما البريئة: «إنها أنا أيها المِايستر، ومعي ذو الوجه المرقَّع». وجهها هي لم يكن بالوجه الجميل للأسف، فمن السيِّد والدها ورثَت فكَّه المربَّع البارز، ومن أمِّها الأُذنين الكبيرتين، وأضيفَ إلى هذا التشوُّه الذي أصابَها، والذي تبقَّى معها كتذكارٍ دائم لصراعها مع الدَّاء الأرمد الذي كادَ يودي بها وهي لا تزال في المهد. عبر نِصف وجنتها وبطول عُنقها كانت بشرتها جافَّةً ميتةً، وقد تشقَّق جِلدها



وتقشَّر وشاعَت فيه البُقع السَّوداء والرَّماديَّة، فإذا لمسته فكأنك تلمس حجرًا.
تابعَت الصَّغيرة: «پايلوس قال إننا نستطيع أن نرى الغُداف الأبيض».

رَدَّ كرسن: «بكلِّ تأكيد». كأنه يقدر على أن يحرمها هذا وقد حُرِمَت الكثير جدًّا في سنينها القليلة بالفعل. كان اسمها شيرين، وفي يوم ميلادها المقبل ستصير في العاشرة من عُمرها، وهي أتعس طفلةٍ عرفها المِايستر كرسن في حياته على الإطلاق. قال العجوز لنفسه: تعاستها هي عاري، علامة أخرى على فشلي، ثم قال مخاطِبًا الشَّاب: «مِايستر پايلوس، هلَّا تفضَّلت بإحضار الطَّائر من المِغدفة[1] لتراه الليدي شيرين؟».

- «بكلِّ سرور». كان پايلوس شابًّا مهذَّبًا، لم يتجاوَز الخامسة والعشرين من العُمر، لكن شديد الوقار كرجلٍ في السِّتِّين. ليته فقط يتحلَّى بالمزيد من حِسِّ الدُّعابة، بالمزيد من الحياة، فذلك بالضَّبط ما يحتاجه هذا المكان. الأماكن الجهيمة في حاجةٍ إلى الخفَّة وليس الوقار، ودراجونستون بلا أدنى شَكٍّ مكان جهيم، قلعة وحيدة تقف في منتصَف هذا القَفر البليل، لا يُحيط بها غير الملح والعواصف، بينما يُلقي عليها الجبل الدَّاخن ظِلَّه من الوراء. على كلِّ مِايستر أن يذهب حيث أرسَلوه، وقد جاءَ كرسن إلى هنا مع سيِّده اللورد قبل اثني عشر عامًا، وقضى تلك الأعوام في الخدمة، وأبلى بلاءً حسنًا في خدمته، وإن كان لم يستطِع قَطُّ أن يُحِبَّ دراجونستون أو يَشعُر أنها بيته حقًّا. في الآونة الأخيرة كان كثيرًا ما يستيقظ من أحلامه المزعجة التي تُسيطِر عليها المرأة الحمراء، ليجد أنه لا يُدرِك أين هو.

أدارَ المهرِّج وجهه المرقَّع بالألوان ليُراقِب پايلوس وهو يصعد الدَّرجات الحديديَّة المنحدِرة إلى المِغدفة، فرنَّت الأجراس مع حركة رأسه، وقال: «تحت البحر الطُّيور تكسوها الحراشف بدلًا من الرِّيش. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه».

حتى بالنِّسبة لمهرِّجٍ، كان ذو الوجه المرقَّع شيئًا مثيرًا للشَّفقة حقًّا، فلربما

(1) المِغدفة عبارة عن قفصٍ كبير بمثابة عُش لطيور الغُداف.



كان في الماضي يستطيع أن يُفَجِّر الضَّحكات بدُعابةٍ صغيرة، لكن البحر استلبَ منه هذه الموهبة، ومعها نِصف عقله وذاكرته كلها. كان بدينًا ضعيفًا وكثيرًا ما يُصيبه التشنُّج والرَّعشة، وفي أغلب الأحيان لا يُمكنك أن تستوعب شيئًا مما يقوله. الفتاة كانت الوحيدة التي يُضحِكها الآن، الوحيدة التي تعبأ بحياته أو موته.

فتاة صغيرة قبيحة ومهرِّج حزين، والمِايستر ثالثهم... حكاية كفيلة بإراقة دموع الرِّجال. أشارَ كرسن إليها بالاقتراب قائلًا: «اجلسي معي يا طفلتي. الوقت مبكِّرٌ للغاية على الزِّيارات. الفَجر طلعَ منذ قليلٍ فقط، ومن المفترَض أن تكوني متدثِّرةً في فِراشك».

قالت شيرين: «رأيتُ أحلامًا مخيفةً. كانت التَّنانين قادمةً لتأكلني».

كانت الصَّغيرة مبتلاةً بالكوابيس منذ فترةٍ أطول من أن يتذكَّرها كرسن، فقال لها بلهجةٍ لطيفة: «لقد تكلَّمنا عن هذا من قبل، الحياة لا يُمكن أن تَدُبَّ في التَّنانين لأنها منحوتة من الحجارة يا صغيرتي. في الماضي البعيد كانت جزيرتنا أقصى نُقطة مراقَبة غَربيَّة تابعة لمعقل ڤاليريا الحُر العظيم، والڤاليريُّون هُم من شيَّدوا القلعة، وكانت لديهم طُرق لتشكيل الحجارة لم نَعُد نُدرِكها. ينبغي في كلِّ قلعةٍ أن يُقام بُرج حيثما يلتقي سوران من أجل الدِّفاع عنها، وقد أقامَ الڤاليريُّون هذه الأبراج على شكل تنانين بغية أن يجعلوا قلعتهم تبدو مهيبةً أكثر، تمامًا كما توَّجوا الأسوار بألفٍ من الكراجل بدلًا من الميازيب التَّقليديَّة»، وأخذَ يدها الورديَّة الصَّغيرة في يده المبقَّعة الهشَّة واعتصرَها برقَّةٍ مضيفًا: «ليس هناك ما يستحقُّ الخوف إذن كما ترين».

قالت شيرين وقد بدا عليها عدم الاقتناع: «وماذا عن هذا الشَّيء في السَّماء؟ دالا وماتريس كانتا تتكلَّمان عند البئر، وقالت دالا إنها سمعَت المرأة الحمراء تقول لأمِّي إنها أنفاس التَّنانين. إذا كانت التَّنانين تتنفَّس، ألا يعني هذا أن الحياة تَدُبُّ فيها بالفعل؟».

قال المِايستر كرسن لنفسه بامتعاض: المرأة الحمراء. سيِّئٌ بما فيه الكفاية أنها ملأَت رأس الأمِّ بالجنون، أفيجب أن تُسَمِّم أحلام البنت كذلك؟ عليه أن



يُوَجِّه تحذيرًا صارمًا لدالالا ويقول لها ألَّا تَنشُر تلك الحكايات. «الشَّيء الذي في السَّماء مذنَّب يا حُلوتي، نجم مذيَّل ضائع في الأعالي، وسيختفي عمَّا قريب ولن نراه في حياتنا هذه ثانيةً. سترين».

أجابَته شيرين بهزَّةٍ شُجاعة من رأسها، ثم قالت: «أمِّي تقول إن الغُداف الأبيض يعني أن الصَّيف انتهى».

- «هذا صحيح يا سيِّدتي، فالغِدفان البيضاء تأتي من قلعة البلدة القديمة فقط»، وتحسَّس كرسن السِّلسلة المحيطة بعُنقه، التي صُنِعَت كلُّ حلقةٍ فيها من معدنٍ مختلف يَرمُز إلى إتقانه لفرعٍ من فروع المعرفة. سلسلة المِايستر هي العلامة المميِّزة لجماعته، وكان كرسن يرتدي سلسلته في ريعان شبابه بمنتهى البساطة، أمَّا الآن فقد صارَت تُثقِل عُنقه وتُشعِره بملمسها البارد على جلده. «إنها أكبر حجمًا وأذكى من الغِدفان الأخرى، وتُرَبَّى على حمل أهمِّ الرَّسائل على الإطلاق. هذا الغُداف جاءَنا ليُعلِمنا بأن مجمع المِايسترات انعقدَ ودرسَ التَّقارير والقياسات التي قامَ بها كلُّ مِايستر في جميع أنحاء البلاد، وأعلنَ أن هذا الصَّيف العظيم قد انتهى أخيرًا بَعد أن دامَ عشرة أعوام ودورتين قمريَّتين وستَّة عشر يومًا؛ أطول صيفٍ في ذاكرة البَشر».

- «هل سيسود البَرد الآن؟». كانت شيرين من أطفال الصَّيف ولم تعرف معنى البَرد الحقيقي قَطُّ.

أجابَ كرسن: «مع الوقت، لكن قد تشاء الآلهة أن تُنعِم علينا بخَريفٍ دافئ ومحاصيل وفيرة كي نكون مستعدِّين للشِّتاء القادم». يقول العامَّة إن الصَّيف الطَّويل يعني مجيء شتاءٍ أطول، لكن المِايستر لم يرَ سببًا لإثارة خوف الطِّفلة بتلك الحكايات.

جلجلَ ذو الوجه المرقَّع أجراسه ودندنَ: «تحت البحر الصَّيف بلا نهاية، وتُزَيِّن عرائس البحر شَعرها بشقائق النُّعمان، وتغزل ثيابًا من الطُّحلب الفضِّي. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه».

ضحكَت شيرين قائلةً: «أحبُّ أن أرتدي ثوبًا من الطُّحلب الفضِّي».

قال المهرِّج: «تحت البحر يَسقُط الثَّلج، والمطر جافٌّ كالعظام. أعرفُ أعرفُ، أوه، أوه، أوه».



سألته الصَّغيرة: «هل سيَسقُط الثَّلج حقًّا؟».

– «نعم»، قال كرسن. لكن ليس قبل سنوات كما أتمنَّى، وليس لوقتٍ طويل. «آه، ها هو پايلوس ومعه الطَّائر».

أطلقَت شيرين صيحةً فَرِحَةً، وحتى كرسن قال لنفسه إنه لا يستطيع إنكار جاذبيَّة الطَّائر الأبيض كالثَّلج والأكبر حجمًا من أيِّ صقر، بعينيه السَّوداوين اللَّامعتين اللتين تعنيان أنه ليس مجرَّد غُداف أمهق، بل غُداف أبيض أصيل من «القلعة». قال المِايستر: «إليَّ»، ففردَ الغُداف جناحيه ووثبَ ليُحلِّق ويخفق بصوتٍ صاخب في هواء الغُرفة، قبل أن يَحُطَّ إلى جواره على المنضدة.

قال پايلوس: «سأذهبُ لإحضار إفطارك»، فأومأ كرسن برأسه ثم قال محدِّثًا الغُداف: «هذه هي الليدي شيرين». حرَّك الطائر رأسه ذا اللَّون الشَّاحب إلى أعلى وأسفل كأنه ينحني، ونعبَ: «ليدي! ليدي!».

فغرَت الصَّغيرة فاها وقالت مذهولةً: «إنه يتكلَّم!».

– «كلمات قليلة فقط. هذه الطُّيور ذكيَّة كما قلتُ».

عادَت أجراس ذي الوجه المرقَّع تُصدِر رنينها وهو يقول: «طائرٌ ذكي، رجلٌ ذكي، مهرِّجٌ ذكيٌّ ذكي. أوه، مهرِّجٌ ذكيٌّ ذكيٌّ ذكي»، ثم بدأ يترنَّم: «الظِّلال تأتي لتَرقُص يا سيِّدي، لتَرقُص يا سيِّدي، لتَرقُص يا سيِّدي»، وأخذَ يحجل من قدمٍ إلى أخرى مواصلًا: «الظِّلال تأتي لتبقى يا سيِّدي، لتبقى يا سيِّدي، لتبقى يا سيِّدي». كان يهزُّ رأسه بحركةٍ حادَّة مع كلِّ كلمة، لترتفع جلجلة الأجراس المدلَّاة من قرون الوعل وتتردَّد في المكان.

أطلقَ الغُداف صرخةً ووثبَ في الهواء خافقًا بجناحيه، ثم استقرَّ على السُّور الحديدي لسُلَّم المِغدفة، وبدا كأن حجم شيرين يتقلَّص وهي تقول بوجلٍ: «إنه يُرَدِّد هذه الأغنيَّة طول الوقت. قلتُ له أن يَكُفَّ عن غنائها لكنه يَرفُض. اجعله يتوقَّف. إنها تُخيفني».

تساءلَ العجوز في قرارة نفسه: وأنَّى لي أن أفعل ذلك؟ في الماضي كان يُمكنني أن أُسكِته إلى الأبد، لكن الآن...

لقد جاءهم ذو الوجه المرقَّع وهو صبيٌّ صغير. كان طيِّب الذِّكر اللورد



ستفون قد عثرَ عليه في ڤولانتيس على الجانب الآخَر من البحر الضيِّق، بَعد أن أرسَله الملك -الملك القديم، إيرس تارجاريَن الثَّاني، الذي لم يكن مجنونًا إلى هذا الحَدِّ حينئذٍ- للبحث عن عروسٍ للأمير ريجار الذي كان بلا أختٍ يتزوَّجها، وقبل أسبوعين من عودته من مهمَّته صُفر اليدين، كتبَ حضرة اللورد إلى كرسن قائلًا: «عثرنا على مهرِّج رائع. إنه مجرَّد صبي، لكنه رشيق كالقرود وخفيف الظِّل كدستةٍ كاملة من رجال الحاشية، ويُجيد ألعاب الحواة والأحاجي والحيل السِّحريَّة، كما يُغَنِّي بصوتٍ عذبٍ بأربع لُغات. لقد اشترينا حُريتَّه ونأمل أن نعود به معنا. سيسعد روبرت به كثيرًا، ولربما يُعَلِّم ستانيس كيف يضحك مع مرور الوقت كذلك».

شعرَ كرسن بالحُزن لمَّا تذكَّر تلك الرِّسالة، فستانيس لم يتعلَّم الضَّحك من أحدٍ قَطُّ، وبالذَّات من هذا الصَّبي ذي الوجه المرقَّع. العاصفة هبَّت على حين غرَّةٍ وارتفعَ عُواؤها المدوِّي، وأثبتَ خليج السُّفن الغارقة أنه اسم على مسمًّى، عندما تحطَّمت سفينة اللورد ذات السَّاريتين المسمَّاة «الرِّيح الفخور» على مرأى من قلعته التي وقفَ ولداه الكبيران على أسوارها، ليشهدا سفينة أبيهما وهي تتهشَّم على الصُّخور قبل أن تبتلعها المياه. مئة من البحَّارة والمجذِّفين غرقوا مع اللورد ستفون باراثيون والسيِّدة زوجته يومها، وبَعدها ظَلَّ المَدُّ أيامًا يُلقي مجموعاتٍ جديدة من الجُثث المنتفخة على الشَّريط السَّاحلي تحت قلعة ستورمز إند.

جرفَت المياه الصَّبي إلى الشَّاطئ في اليوم الثَّالث. كان المِايستر كرسن قد نزلَ مع بقيَّة الرِّجال ليُساعِد في التعرُّف على الجُثث، وعندما عثروا على المهرِّج كان عاريًا وقد التصقَت الرِّمال المبتلَّة بجلده الأبيض المجعَّد. في البدء حسبَه كرسن جثَّةً أخرى، لكن عندما أمسكَه چومي من كاحليه ليَجُرَّه إلى عربة الموتى، سعلَ الصَّبي الماء الذي امتلأ به صدره واعتدلَ جالسًا؛ وحتى فارقَ چومي الحياة كان يُقسِم أن جسد ذي الوجه المرقَّع كان باردًا رطبًا تمامًا.

لم يستطِع أحد قَطُّ تفسير ما حدثَ خلال هذين اليومين اللذين قضاهما



المهرِّج ضائعًا في البحر، وإن راقَ الصيَّادين أن يقولوا إن حوريَّة بحرٍ علَّمته كيف يتنفَّس تحت الماء مقابل أن يضع فيها نُطفته، أمَّا ذو الوجه المرقَّع نفسه فلم يقل شيئًا على الإطلاق، فالصَّبي اللَّمَّاح خفيف الظِّل الذي كتبَ عنه اللورد ستفون لم يَبلُغ ستورمز إند حقًّا، ومن عثروا عليه كان شخصًا آخَر عليل الجسد والعقل في آنٍ واحد، بالكاد يقدر على الكلام ناهيك عن إبداء خفَّة الظِّل. غير أن وجهه لم يدع مجالًا للشَّكِّ في هويَّته، فمن دأب أهل مدينة ڤولانتيس الحُرَّة أن يَدُقُّوا الأوشام على وجوه العبيد والخدم، ومن عُنقه إلى فروة رأسه كان الصَّبي موشومًا بمربَّعاتٍ من الأخضر والأحمر.

- «الصَّبي البائس فقدَ عقله، ويتألَّم، وعديم الجدوى لأيِّ أحد، خصوصًا نفسه»، قال السير هاربرت العجوز، الذي كان أمين قلعة ستورمز إند في تلك السَّنوات. «أرحم ما يُمكن فِعله معه، أن تملأ كأسه بحليب الخشخاش[1] وتسقيه إياه. سيغيب في نوم بلا ألم حتى تأتي النِّهاية. كان ليدعو لك بالبركة من أجل هذا لو كان لا يزال محتفظًا بعقله». لكن كرسن رفضَ، وفازَ في النِّهاية، مع أنه حتى اليوم وبَعد مرور كلِّ تلك السِّنين ما زال يجهل إن كانت بهجة ذلك الانتصار قد طالَت ذا الوجه المرقَّع بشكلٍ أو بآخَر.

- «الظِّلال تأتي لترَقُص يا سيِّدي، لترَقُص يا سيِّدي، لترَقُص يا سيِّدي»، ترنَّم المهرِّج مؤرجحًا رأسه لترنَّ أجراسه وتُصَلصِل، بونج دونج، رينجا-لينج، بونج دونج، بينما صرخَ الغُداف الأبيض: «سيِّدي! سيِّدي! سيِّدي! سيِّدي!».

قال المِايستر للأميرة الخائفة: «المهرِّج يُغَنِّي ما يُغَنِّيه، لكن لا ينبغي أن تأخذي كلماته على محمل الجد. قد يتذكَّر أغنيَّةً أخرى غدًا فلا تسمعي هذه ثانيةً أبدًا». يُغَنِّي بصوتٍ عذبٍ بأربع لُغات، قال اللورد ستفون في رسالته...

دلفَ پايلوس إلى الغُرفة قائلًا: «أستميحك عذرًا أيها المِايستر».

قال كرسن مبتسمًا: «أرى أنك نسيت الثَّريد». لم يكن هذا من عادة پايلوس على الإطلاق.

---

(1) حليب الخشخاش مشروب حقيقي مخدِّر ومسكِّن للألم.



- «لقد عادَ السير داڤوس ليلة أمس أيها المِايستر. كانوا يتكلَّمون عنه في المطبخ، وخطرَ لي أنك ستُريد أن تعرف على الفور».

- «داڤوس... تقول ليلة أمس؟ أينِ هو؟».

- «مع الملك. لقد أمضى معظم اللَّيل في صُحبته».

في زمنٍ سابق كان اللورد ستانيس ليُوقِظه من نومه مهما تأخَّرت السَّاعة، كي يكون حاضرًا معه ويُعطيه المشورة. قال كرسن مستاءً: «كان ينبغي أن تُوقِظوني»، وحَلَّ أصابعه من أصابع شيرين قائلًا: «معذرةً يا سيِّدتي، لكن يجب أن أتكلَّم مع السيِّد والدكِ. ناوِلني ذراعك يا پايلوس. هذه القلعة مليئة بالسَّلالم، ويبدو لي أنهم يُضيفون المزيد منها كلَّ ليلة على سبيل إغاظتي لا أكثر».

تبعَتهما شيرين وذو الوجه المرقَّع إلى الخارج، لكن سرعان ما أصيبَت الصَّغيرة بالضَّجر من خطوات العجوز الأقرب إلى الزَّحف، واندفعَت تتجاوَزهما والمهرِّج يتمايَل وراءها وقد أخذَت أجراس الأبقار المعلَّقة على رأسه ترنُّ بدويٍّ مجنون.

ذكَّره نزول سلالم بُرج «تنِّين البحر» المستديرة بأن القلاع ليست بالأماكن التي تُعامِل الواهنين بلُطفٍ بالمرَّة. لا بُدَّ أنه سيجد اللورد ستانيس في قاعة «المائدة المرسومة» الواقعة في أعلى «الطَّبلة الحجريَّة»، الحصن المشيَّد في مركز دراجونستون الذي اكتسبَ اسمه من الطريقة التي تُرَدِّد بها جدرانه العتيقة أصوات الهدير والهزيم عندما تحتدم العواصف. كي يصلا إليه، عليهما أن يَعبُرا الرُّواق ويَمُرَّا عبر الأسوار الوُسطى والدَّاخليَّة التي تَحرُسها الكراجل وتستقرُّ فيها البوَّابات الحديديَّة السَّوداء، ثم يصعدا عددًا آخَر من السَّلالم لا يرغب كرسن في أن يُفكِّر فيه. الشَّباب يصعدون السَّلالم درجتين درجتين، أمَّا بالنِّسبة للمسنِّين ذوي الأوراك الهشَّة فكلُّ درجةٍ عذاب. على الأقل پايلوس معه ليُساعِده على الحركة، وهو ممتنٌّ لهذا.

مَرَّا في مشيتهما البطيئة في الرُّواق بصَفٍّ من النَّوافذ المُقَنْطَرَة الطَّويلة التي تُطِلُّ على الفِناء الدَّاخلي والحائط السَّاتر ومن ورائه قريَّة الصيَّادين.



في السَّاحة كان الرُّماة يُطلِقون سهامهم على أهداف التَّدريب مع نداء «ثبِّت، اسحَب، أطلِق»، لتُصدِر السِّهام صوتًا كسرب من الطُّيور يثبُ محلِّقًا في الهواء، بينما تحرَّك الحرَّاس فوق الأسوار جيئةً وذهابًا ناظرين من بين الكراجل إلى الجيش المعسكِر في الخارج. كان هواء الصُّبح ملبَّدًا بالدُّخان المتصاعد من نيران الطَّهي المنتشرة في كلِّ مكان، إذ جلسَ ثلاثة آلاف رجل ليتناوَلوا طعام الإفطار تحت رايات لورداتهم، ووراء المعسكر الممتد ازدحمَ المرفأ بالسُّفن، حيث لم يُسمَح ولو لقارب واحدٍ ظهرَ على مرأى من دراجونستون خلال نِصف العام المنصرم بالمغادَرة ثانيةً، حتى كادَ قادس[1] اللورد ستانيس ذو الثَّلاثة مستويات والثَّلاثمئة مجذاف المسمَّى «الثَّورة» يبدو أصغر حجمًا بالمقارَنة ببعض القراقير[2] والأكواج[3] الأخرى ذات البطون الكبيرة التي أحاطَت به.

تعرَّف الحرَّاس الواقفون خارج «الطَّبلة الحجريَّة» المِايسترين في الحال وسمحوا لهما بالدُّخول، وفي الدَّاخل قال كرسن لپايلوس: «انتظِر هنا، من الأفضل أن أراه بمفردي».

- «لكن هناك الكثير من الدَّرجات أيها المِايستر».

ابتسمَ كرسن وقال: «هل تحسبني نسيت؟ لقد صعدتُ هذه الدَّرجات كثيرًا جدًّا لدرجة أني أعرفُ اسم كلٍّ منها».

على أنه شعرَ بالنَّدم على قراره هذا في منتصَف الطَّريق إلى أعلى، فتوقَّف ليلتقط أنفاسه ويريح وَركه من الألم بعض الشَّيء، قبل أن يسمع صوت احتكاك الحذاء الجِلدي بالحجر قادمًا من أعلى ويرى السير داڤوس سيوورث أمامه مباشرةً.

---

(1) القادس نوع من السُّفن المزوَّدة بمجاذيف، يتميَّز ببدنه الطَّويل الرَّفيع، والقدرة على الملاحة في الظُّروف غير المواتية، واستُخدِم في الحرب والتِّجارة والقرصنة.

(2) القرقور سفينة ضخمة تحمل آلات الحرب والمؤن والعتاد، وتتَّسع لعددٍ كبير من المجذفين والبحَّارة.

(3) الكوج سفينة صغيرة الحجم لها شراع واحد مربَّع، وتُبنى عادةً من خشب البلُّوط.



كان داڤوس رجلًا نحيلًا، طُبِعَ نَسبه الوضيع على ملامحه التَّقليديَّة بمنتهى الوضوح ووخطَ الشَّيب لحيته القصيرة، يضع على كتفيه الهزيلتين معطفًا أخضر رَثًّا وسَّخه الملح ورذاذ البحر ولوَّحت الشَّمس لونه، ويرتدي من تحته سُترةً وسراويل بُنيَّيْن كشَعره وعينيه، وقد تدلَّى على صدره جراب من الجِلد البالي معلَّق في شريط يُحيط بعُنقه، وغطَّى قُفَّاز جِلدي يده اليُسرى المجدوعة.

توقَّف الرَّجل عندما رأى كرسن، وقال المِايستر: «سير داڤوس، متى عُدت؟».

- «قبل أن يُنير النَّهار، ساعتي المفضَّلة». يُقال إن لا أحد يملك نِصف مهارة داڤوس ذي اليد القصيرة في التحكُّم في المراكب ليلًا، وقبل أن يُنَصِّبه اللورد ستانيس فارسًا كان أشهر المهرِّبين في الممالك السَّبع كلها وأكثرهم مراوَغةً وتضليلًا.

- «إذن؟».

هَزَّ الرَّجل رأسه وقال: «كما حذَّرته، إنهم لن يقوموا أيها المِايستر، ليس من أجله. إنهم لا يُحِبُّونه».

قال كرسن لنفسه: نعم، لا يُحِبُّونه، ولن يفعلوا أبدًا. إنه قويٌّ وقدير وعادل... نعم، عادلٌ أكثر مما تقتضي الحكمة... لكن هذا لا يكفي، ولم يكن كافيًا قَطُّ. «هل تكلَّمت معهم كلهم؟».

- «كلهم؟ لا، مع من وافَقوا على مُقابَلتي فقط. علية القوم هؤلاء لا يُكِنُّون لي أيَّ حُبٍّ أنا الآخَر، وبالنِّسبة لهم سأظلُّ فارس البصل دائمًا»، قالها وكوَّر قبضته اليُسرى ذات الأصابع القصيرة، التي كان اللورد ستانيس قد بترَ أطرافها كلها عند المَفصِل الأخير باستثناء الإبهام. «تناولتُ الطَّعام مع چوليان سوان وپنروز العجوز، بينما وافقَ آل تارث على مقابَلةٍ في منتصَف اللَّيل في بُستان، أمَّا بقيَّتهم... بريك دونداريون مفقود ويقول البعض إنه قُتِلَ، واللورد كارون مع رنلي، برايس كارون البرتقالي رجل حَرس قوس قزح».

- «حَرس قوس قزح؟».



أجابَ المهرِّب السَّابق: «رنلي كوَّن حَرسه الملكي الخاص، لكن هؤلاء السَّبعة لا يرتدون الأبيض، وكلٌّ منهم يرتدي لونًا يختلف عن الآخَر. لوراس تايرل يقودهم».

فكرةٌ كتلك من شأنها أن تستهوي رنلي باراثيون حقًّا؛ نظام جديد مبهر للفروسيَّة مزوَّد بكُسوةٍ جديدة فاخرة تُجاهِر به. حتى في صباه كان رنلي يُحِبُّ الألوان الزَّاهية والأقمشة الفاخرة، ويُحِبُّ الألعاب كذلك، فكان يجري في أروقة ستورمز إند يضحك ويصيح: «انظُروا إليَّ، انظُروا إليَّ، أنا تنِّين»، أو «انظُروا إليَّ، أنا ساحر»، أو «انظُروا إليَّ، انظُروا إليَّ، أنا إله المطر». الصَّبي الصَّغير الجريء ذو الشَّعر الأسود الثَّائر والعينين الضَّاحكتين أصبحَ رجلًا ناضجًا الآن، في الحادية والعشرين من العُمر ولا يزال يلعب. انظُروا إليَّ، أنا ملك، فكَّر كرسن مغتمًّا، آهٍ يا رنلي، رنلي يا صغيري الغالي الجميل، هل تُدرِك ما تفعله؟ وهل ستُبالي إذا أدرَكت؟ وهل هناك من يهتمُّ بك سواي؟ ثم إنه سألَ السير داڤوس: «وما الأسباب التي أعطاك اللوردات إياها لرفضهم؟».

- «آه، بالنِّسبة لهذا، بعضهم رَدَّ عليَّ بكلماتٍ ناعمة أو فظَّة، والبعض الآخَر اختلقَ أعذارًا أو أعطى وعودًا أو اكتفى بالكذب لا أكثر»، وهَزَّ كتفيه مضيفًا: «الكلام مجرَّد قبضُ ريح في النِّهاية».

- «ألم تستطِع أن تأتي إليه بأيِّ أمل؟».

أجابَ داڤوس: «الأمل الكاذب فقط، وأنا لا أفعلُ هذا. لقد أخبَرته بالحقيقة كاملةً».

تذكَّر المِايستر كرسن اليوم الذي نُصِّبَ فيه داڤوس فارسًا بَعد حصار ستورمز إند. كان اللورد ستانيس قد دافعَ عن القلعة مع رجال حاميته الصَّغيرة لما يَقرُب من عام كاملٍ ضدَّ جيش اللوردين ردواين وتايرل العرمرم، وحتى البحر كان مغلَقًا أمامهم وقوادس ردواين الحربيَّة تُراقِبه ليل نهار وقد ارتفعَت عليها رايات «الكرمة» ذات اللَّون الخمري. داخل ستورمز إند نفسها كانت الخيول قد أُكِلَت منذ فترةٍ طويلةٍ بالفعل، وكذلك القِطط والكلاب، ولم يتبقَّ من طعامٍ لرجال الحامية غير الجذور والجرذان. ثم جاءَت ليلة كان القمر



فيها محاقًا وتوارَت النُّجوم وراء السُّحب السَّوداء، ليلة تحدَّى فيها داڤوس المهرِّب حصار ردواين البحري وصخور خليج السُّفن الغارقة على حَدٍّ سواء. كانت سفينته الصَّغيرة سوداء البدن والأشرعة والمجاذيف، وعلى متنها حمولة مكدَّسة من البصل والسَّمك المملَّح، كمِّيَّة صغيرة لكنها كانت كافيةً لإبقاء رجال الحامية على قيد الحياة حتى بلغَ إدارد ستارك ستورمز إند أخيرًا ليكسر الحصار.

كافأَ اللورد ستانيس داڤوس بأراضٍ ممتازة وحصنٍ صغير في «رأس الغضب» وكرَّمه كفارس... لكنه قضى كذلك أن يفقد مَفصِلًا من كلِّ إصبعٍ في يده اليُسرى عوضًا عن السِّنين التي أمضاها في التَّهريب. أذعنَ داڤوس، بشرط أن يُنَفِّذ ستانيس الحُكم بنفسه، فلم يقبل أن يتلقَّى العقاب على يد شخصٍ أقلّ منزلةً، وهكذا استخدمَ اللورد ساطور جزَّار لتكون ضربته نظيفةً مُحكَمَةً. اختارَ داڤوس بَعدها اسم سيوورث لعائلته الجديدة، واتَّخذ لرايته سفينةً سوداء على خلفيَّةٍ رماديَّةٍ باهتة، ورسمَ على الأشرعة بصلة. كان المهرِّب السَّابق مغرمًا بترديد أن اللورد ستانيس أسدى له خدمةً عندما قلَّل عدد الأظفار التي ينبغي عليه تنظيفها وتشذيبها.

لا، رجلٌ كهذا لن يُعطيك أملًا كاذبًا أبدًا، أو يُهَوِّن قسوة الحقيقة. «سير داڤوس، من شأن الحقيقة أن تكون مُرَّة الابتلاع أحيانًا، حتى بالنِّسبة لرجلٍ مِثل اللورد ستانيس. إنه لا يُفَكِّر إلَّا في العودة إلى كينجز لاندنج بكامل قوَّته، لينتزع السُّلطة من أعدائه ويستحوذ على ما هو له شرعًا، إنما الآن...».

- «إذا قادَ هذا الحشد الصَّغير إلى كينجز لاندنج، فهو ذاهبٌ إلى حتفه. إنه لا يملك أعدادًا كافية، ولقد قلتُ له هذا، لكنك تعرف كبرياءه»، ورفعَ داڤوس يده المغطَّاة بالقُفَّاز مُردِفًا: «ستَنبُت أصابعي مرَّةً أخرى قبل أن يُصغي هذا الرَّجل لصوت العقل».

تنهَّد العجوز وقال: «لقد فعلت كلَّ ما في وسعك، والآن عليَّ أن أضمَّ صوتي إلى صوتك»، وعادَ يصعد السَّلالم بخطواتٍ متعَبة.

كان مقرُّ اللورد ستانيس باراثيون عبارةً عن قاعةٍ مستديرةٍ فسيحة ذات



جدران من الحجر الأسود غير المطلي، وأربع نوافذ مرتفعة ضيِّقة يُطِلُّ كلٌّ منها على إحدى جهات البوصلة الأربعة، وفي منتصَف القاعة كانت المائدة الضَّخمة التي استمدَّت اسمها منها، اللَّوح هائل الحجم المنحوت من الخشب، الذي صُمِّمَ وصُنِعَ بأمرٍ من إجون تارجاريَن قبل غزوته. بلغَت المائدة المرسومة أكثر من خمسين قدمًا طولًا، وربما نِصف هذا الرَّقم عرضًا في أعرض أجزائها، لكن أقلَّ من أربعة أقدام في أضيق جزء، وكان نجَّارو إجون قد جعلوها على شكل أراضي وستروس، مُشَكِّلين كلَّ خليجٍ وشِبه جزيرةٍ بمناشيرهم حتى لم تَعُد هناك أيُّ خطوطٍ مستقيمة في المائدة على الإطلاق، وعلى السَّطح رُسِمَت خريطة الممالك السَّبع كما كانت في أيام إجون، الأنهار والجبال، المُدن والقلاع، البُحيرات والغابات؛ كلها اكتسبَ لونًا قاتمًا بَعد ما يَقرُب من ثلاثمئة عام من المعالَجة بالورنيش.

مقعد واحد لا أكثر كان في القاعة، موضوعًا بعنايةٍ عند المكان الذي تحتلُّه دراجونستون على ساحل وستروس على الخريطة، ومرفوعًا بما يكفي لإعطاء الجالس نظرةً شاملةً على سطح المائدة، وعلى المقعد جلس رجل يرتدي سُترةً طويلةً ضيِّقةً من الجِلد وسراويل من الصُّوف البُنِّي الخشن. رفعَ الرَّجل ناظريه عندما دلفَ المِايستر كرسن إلى القاعة، وقال: «كنتُ أعرفُ أنك ستأتي أيها العجوز، سواء استدعَيتك أم لا». كانت هناك لمحة من الدِّفء في صوته، وهذا شيء نادر الحدوث.

كان ستانيس باراثيون -سيِّد دراجونستون، وببَركة الآلهة الوريث الشَّرعي لعرش ممالك وستروس السَّبع الحديدي- رجلًا عريض الكتفين ناحل الأطراف، لوجهه وبَشرته شَدَّةٌ كالجِلد الذي قدَّدته الشَّمس حتى أصبحَ بقسوة الفولاذ. «صُلب» هي الكلمة التي يستخدمها النَّاس عند الكلام عن ستانيس، وصُلبًا كان حقًّا، وعلى الرغم من أنه لم يَبلُغ من العُمر الخامسة والثَّلاثين بعدُ، فلم يتبقَّ على رأسه غير النَّزر اليسير من الشَّعر الأسود الخفيف الذي يدور وراء أُذنيه كظِلٍّ لتاج. كان أخوه، الملك الرَّاحل روبرت، قد أطلقَ لحيته في سنواته الأخيرة، تلك اللِّحية التي لم يرَها المِايستر كرسن قَطُّ، لكنهم



قالوا إنها كانت كثَّةً ثائرةً تُثير الرَّهبة في النَّاظرين. وكأنه رَدٌّ من ناحيته، حافظَ ستانيس على شَعر لحيته قصيرًا مشذَّبًا، لينتظم كظِلٍّ أزرق ضارب إلى السَّواد عبر فَكِّه المربَّع ووجنتيه الغائرتين. عيناه جُرحان مفتوحان أسفل حاجبيه الكثيفين، زُرقتهما داكنة كالبحر تحت سماء اللَّيل، وفمه قمين بإلقاء أكثر المهرِّجين طرافةً في هوَّة اليأس، فَمٌ مخلوقٌ للعبوس والزَّمِّ وتوجيه الأوامر الصَّارمة، ذو شفتين رفيعتين شاحبتين وعضلات فَكٍّ مشدودة كالأوتار، فَمٌ نسيَ كيف يبتسم ولم يعرف معنى الضَّحك قَطُّ. أحيانًا عندما يُهَيمِن الصَّمت والسُّكون على العالم في جوف اللَّيل، كان المِايستر كرسن يتخيَّل أنه يسمع اللورد ستانيس يَصِرُّ بأسنانه في الجانب الآخَر من القلعة.

قال العجوز: «في وقتٍ سابق كنت لتُوقِظني».

- «في وقتٍ سابق كنت شابًّا، أمَّا الآن فأنت عجوز مريض وتحتاج إلى النَّوم». لم يتعلَّم ستانيس قَطُّ أن يُزَوِّق كلماته أو يُرائي ويتملَّق. إنه يقول ما يُفَكِّر فيه دائمًا، وليذهب إلى الجحيم من لا يروقه هذا. «كنتُ أعرفُ أنك ستعلم بما قاله داڤوس سريعًا. هذا دأبك دائمًا، أليس كذلك؟».

قال كرسن: «لن أقدر على تقديم المساعَدة لك إذا لم أفعل. لقد قابلتُ داڤوس على السَّلالم».

- «وأعتقدُ أنه أخبرَك بكلِّ شيء. كان يَجدُر بي أن أُقَصِّر لسانه مع أصابعه».

- «لم يكن ليَصلُح مندوبًا عنك إذن».

- «كان مندوبًا فقير النَّفع في كلِّ الأحوال. لوردات أراضي العواصف لن يقوموا من أجلي، فيبدو أنهم لا يُحِبُّونني، وعدالة دعواي لا تعني شيئًا لهم. سيجلس الجُبناء منهم وراء أسوارهم لينتظروا ويروا في أيِّ اتِّجاهٍ تَهُبُّ الرِّيح ولمن يلوح النَّصر، والشُّجعان أعلَنوا بالفعل تأييدهم رنلي... رنلي!». لفظَ الاسم كأنه يَبصُق سُمًّا من على لسانه.

- «أخوك كان سيِّد ستورمز إند طول الثَّلاث عشرة سنة الماضية، وهؤلاء اللوردات هُم حمَلة رايته الذين أقسَموا له على الولاء، و...».

قاطعَه ستانيس: «حمَلة رايته والعدل أن يحملوا رايتي أنا. إنني لم أطلب



دراجونستون ولم أرغب فيها قَطُّ، لكني أخذتها لأن أعداء روبرت كانوا هنا وقد أمرَني باقتلاعهم. لقد بنيتُ أسطوله وقمتُ بعمله بطاعة الأخ الصَّغير لأخيه الكبير، الطَّاعة التي ينبغي أن يدين لي بها رنلي. وكيف يَشكُرني روبرت بَعد كلِّ هذا؟ يُسَمِّيني سيِّد دراجونستون ويُعطي ستورمز إند ودخولها لرنلي. ستورمز إند تنتمي لعائلة باراثيون منذ ثلاثمئة عام، وشرعًا كان يجب أن تكون من نصيبي عندما أخذَ روبرت العرش الحديدي».

كانت مَظْلِمَةً قديمةً يُعاني منها ستانيس في أعماقه، الآن أكثر من أيِّ وقتٍ سابق. هذا هو صميم نُقطة ضَعف سيِّده، فدراجونستون على الرغم من قِدمها وقوَّتها لا تحظى إلَّا بولاء حفنةٍ من اللوردات الأقلِّ شأنًا، وأراضي جُزرهم الحجريَّة غير مأهولةٍ بما يكفي من السُّكَّان لمَدِّ ستانيس بالرِّجال الذين يحتاجهم. حتى في وجود المرتزِقة الذين جاءَ بهم عبر البحر الضيِّق من مدينتي مير ولِيس الحُرَّتين، كان الجيش المخيِّم خارج الأسوار أصغر بكثير من أن يستطيع إسقاط آل لانستر بكلِّ قوَّتهم.

رَدَّ المِايستر كرسن بحذر: «روبرت ظلمَك حقًّا، وإن كانت لديه أسبابه، فدراجونستون ظلَّت زمنًا طويلًا معقلًا لعائلة تارجاريَن، وأخوك احتاجَ رجلًا قويًّا ليَحكُم هنا، بينما كان رَنلي مجرَّد طفل».

قال ستانيس بصوتٍ تردَّدت نبرته الغاضبة في أرجاء القاعة الخاوية: «ولا يزال طفلًا، طفلًا سارقًا يصبو إلى اختطاف التَّاج من فوق رأسي. ماذا فعلَ رنلي بالضَّبط كي يستحقَّ العرش غير حضور جلسات المجلس لتبادُل الدُّعابات مع الإصبع الصَّغير، وعندما تُقام المباريات يرتدي دِرعه الفاخرة ويسمح لنفسه بأن يُسقِطه رجال أفضل منه عن حصانه. هذا هو مبلغ أخي رنلي وقَدره، ويحسب أنه يجب أن يكون ملكًا. قُل لي، لماذا ابتلَتني الآلهة بهذين الأخوين؟».

- «لا أستطيعُ الإجابة نيابةً عن الآلهة».

- «يبدو لي أنك نادرًا ما تُجيب عن أيِّ شيءٍ هذه الأيام. مَن المِايستر الذي يستعين به رنلي؟ لعلَّ من الأفضل أن أُرسِل لأستدعيه، فقد تروقني مشورته



أكثر. ما الذي قاله هذا المِايستر في رأيك عندما قرَّر أخي أن يسرق تاجي؟ ما المشورة التي قدَّمها زميلك للحمي ودمي الخائن؟».

- «سأندهشُ لو أن اللورد رنلي طلبَ المشورة أصلًا يا جلالة الملك».

أصغر أبناء اللورد ستفون باراثيون كبرَ وصارَ رجلًا جريئًا لكن طائش، يُحَرِّك الاندفاع تصرُّفاته بدلًا من التَّدبير، وفي هذا -كما في أشياءَ أخرى كثيرة- كان رنلي يُشبِه أخاه روبرت، وفي الآن نفسه على النَّقيض تمامًا من ستانيس.

- «جلالة الملك»، ردَّد ستانيس بمرارة. «تُلَقِّبني بالملك سخريةً، لكن ملك على أيِّ شيءٍ أنا؟ دراجونستون وبضع صخورٍ أخرى في البحر الضيِّق، تلك هي مملكتي»، ونزلَ سلالم مقعده ليقف أمام المائدة فيَسقُط ظِلُّه على مَصَبِّ النَّهر الأسود والغابة المرسومة التي تحتلُّ كينجز لاندنج مكانها الآن. هناك وقفَ مُسَدِّدًا النَّظرات العابسة إلى المملكة التي يسعى إلى الظَّفر بها، قريبة في متناوَل اليد، وبعيدة إلى أقصى حَد. «اللَّيلة سأتناولُ العَشاء مع اللوردات حمَلة رايتي، إن جازَ أن أعتبرهم هكذا. سلتيجار، ڤيلاريون، بار إمون، كلُّ هؤلاء التَّافهين. ذلك القُرصان اللايسيني سالادور سان سيكون حاضرًا كذلك ومعه آخِر كشف حسابٍ بما أدين به له، أمَّا موروش عريس البحر فسيُحَذِّرني من حالات المَدِّ والجَزر وعواصف الخَريف، بينما سيُهَمهِم اللورد صنجلاس ببضع كلماتٍ وَرِعَة عن مشيئة «السَّبعة»، ويُبدي سلتيجار رغبته في أن يعرف مَن سينضمُّ إلينا مِن لوردات أراضي العواصف، ويُهَدِّدني ڤيلاريون بأن يأخذ جنوده ويعود إلى دياره ما لم نضرب في الحال. ماذا أقولُ لهم؟ ماذا أفعلُ الآن؟».

أجابَ المِايستر كرسن: «آل لانستر هُم أعداؤك الحقيقيُّون يا سيِّدي، فإذا تحالَفت مع أخيك ضدهم...».

قاطعَه ستانيس بلهجةٍ لا تحتمل النِّقاش: «لن أتفاوَض مع رنلي أبدًا ما دامَ يُسَمِّي نفسه ملكًا».

قال المِايستر باستسلام: «ليس رنلي إذن». كان سيِّده بالغ العناد والترفُّع، وعندما يعزم على أمرٍ ما فلا سبيل لتغيير رأيه. «ثمَّة آخَرون يُمكنهم أن



يدعموك في مسعاك. لقد أُعلِن ابن اللورد إدارد ستارك ملكًا في الشَّمال، ووراءه قوَّة وينترفل وريفرزَن كلها».

قال ستانيس: «صبيٌّ أخضر، وملك زائف آخَر. هل من المفترَض أن أقبل مملكةً ناقصةً؟».

- «مؤكَّد أن نِصف مملكةٍ خيرٌ من لا مملكة على الإطلاق، وإذا ساعدت الصَّبي على الانتقام لمقتل أبيه، فـ...».

- «ولماذا أنتقمُ لإدارد ستارك؟ إنه لم يعنِ لي شيئًا. أوه، لن أنكرَ أن روبرت أحبَّه حقًّا، أحبَّه كأخ له، فكم مرَّةً سمعتُ أنا هذه الكلمة؟ ند ستارك لم يكن أخا روبرت، وإنما أنا، لكنك لم تكن لتعرف الفارق من الطَّريقة التي عامَلني بها. لقد دافعتُ عن ستورمز إند وحافظتُ عليها من أجله، وشاهدتُ رجالًا صالحين يتضوَّرون جوعًا بينما أقامَ مايس تايرل وپاكستر ردواين الولائم خارج أسواري، فهل شكرَني روبرت؟ لا، بل شكرَ ستارك لأنه رفعَ الحصار عندما لم يَعُد لدينا من طعامٍ غير الجرذان والفجل. لقد بنيتُ أسطولًا بأمرٍ من روبرت وأخذتُ دراجونستون باسمه، فهل ربَّت على يدي وقال: أحسنت يا أخي، ماذا كنتُ لأفعلُ من دونك؟ لا، بل لامَني على السَّماح لويلم داري بتهريب ڤسيرس وشقيقته الرَّضيعة، كأن مَنْعه كان في إمكاني. لقد جلستُ في مجلسه طيلة خمسة عشر عامًا، وساعدتُ چون آرن على حُكم المملكة بينما يسكر روبرت ويُعاشِر البغايا، فهل نصَّبني أخي يدًا للملك عندما ماتَ چون؟ لا، بل هرعَ إلى صديقه الغالي ند ستارك وعرضَ عليه هذا الشَّرف، وانظُر إلى ما آلَ إليه كلاهما».

قال المِايستر كرسن برِفق: «ليكن يا سيِّدي، لقد تعرَّضت لإجحافٍ عظيم بالفعل، لكن الماضي واراه التُّراب، بينما ما زال في مقدورك أن تكسب المستقبَل إذا تحالفت مع آل ستارك. هناك آخَرون يُمكنك أن تجسَّ نبضهم كذلك. ماذا عن الليدي آرن؟ لو أن الملكة قتلَت زوجها حقًّا، فلا بُدَّ أنها ترغب في العدالة. إن لديها ابنًا صغيرًا، وريث چون آرن، فإذا خطبت شيرين له...».



بترَ ستانيس كلامه قائلًا باعتراض: «الصَّبي ضعيف وسقيم، وأبوه نفسه كان يرى هذا عندما طلبَ مني أن أربِّيه في دراجونستون. كان ليتنفع من الخدمة كمُرافِق لفارس، لكن ابنة لانستر الملعونة سمَّمت اللورد آرن قبل أن نفعل هذا، والآن تُخَبِّئه لايسا في «العُش». أؤكِّدُ لك أنها لن تسمح بأن يفترق الصَّبي عنها أبدًا».

قال المِايستر بإلحاح: «فلترسِل شيرين إلى «العُش» إذن. دراجونستون بيت شديد الكآبة بالنِّسبة لطفلة. دَع مهرِّجها يذهب معها، كي يكون بمثابة وجهٍ مألوف».

قطَّب ستانيس جبينه مفكِّرًا وقال: «مألوف ودميم... ومع ذلك قد يستحقُّ الأمر المحاوَلة».

تدخَّل صوت امرأةٍ في حوارهما قائلًا بحدَّة: «أينبغي أن يتسوَّل سيِّد الممالك السَّبع الشَّرعي المساعَدة من الأرامل والغاصِبين؟».

التفتَ المِايستر كرسن وحنى رأسه شاعرًا بالضِّيق من أنه لم يسمعها تَدخُل، وقال: «سيِّدتي».

حدَجها اللورد ستانيس بنظرةٍ عابسة، ورَدَّ: «أنا لا أتسوَّلُ شيئًا من أيٍّ أحد. احرصي على أن تتذكَّري هذا يا امرأة».

- «يَسُرُّني أن أسمع هذا يا سيِّدي». كانت الليدي سيليس طويلة القامة كزوجها، ناحلة الوجه والجسد، وبارزة الأُذنين وحادَّة الأنف، ويستقرُّ فوق شفتها العُليا شاربٌ خفيفٌ للغاية تنتف شُعيراته يوميًّا وتلعنه بانتظام، لكنه لا ينفكُّ يعود للنُّمُوِّ من جديد. كانت باهتة العينين وقاسية الفم وصوتها لاسعٌ كالسِّياط، والآن شقَّت به الهواء قائلةً: «الليدي آرن تدين لك بالولاء، وكذا آل ستارك وأخوك رنلي والآخَرون كلهم. إنك ملكهم الشَّرعي الوحيد، ولا يليق بك أن تُناشِدهم وتتفاوَض معهم على ما هو حقٌّ لك ببَركة الإله».

قالت «الإله» وليس «الآلهة». لقد ظفرَت بها المرأة الحمراء قلبًا وقالبًا، جعلَتها تُنكِر آلهة الممالك السَّبع قديمها وجديدها، لتَعبُد مَن يُسَمُّونه إله الضِّياء.



قال اللورد ستانيس الذي لا يُشارِك زوجته حرارة إيمانها الجديد: «فليحتفظ إلهكِ ببَركته. ما أحتاجُ إليه هو السُّيوف وليس البَركة. ألديكِ جيش مخبَّأ في مكانٍ ما ولم تُخبِريني بأمره؟». لم تحمل نبرته أيَّ عاطفة، فطيلة عُمره وستانيس يَشعُر بعدم الرَّاحة في حضرة النِّساء، حتى زوجته نفسها، التي تركَها في دراجونستون مع ابنتهما عندما ذهبَ إلى كينجز لاندنج لينضمَّ إلى مجلس روبرت، ومنذ ذلك الحين ورسائله إليها قليلة وزياراته أقلُّ، وعلى الرغم من أنه كان يقوم بواجبه في فِراش الزَّوجيَّة مرَّةً أو مرَّتين في العام، فإنه لم يكن يفعل هذا على سبيل المُتعة، والأبناء الذين كان يأمل في مجيئهم من صُلبه لم يأتوا قَطُّ.

قالت له: «أخواي وأعمامي وأبناؤهم لديهم جيوش. ستحتشد عائلة فلورنت تحت رايتك».

- «عائلة فلورنت لا تستطيع أن تحشد أكثر من ألفيِّ رجلٍ في أفضل الأحوال»، رَدَّ ستانيس الذي يُقال إنه يعرف قوَّة كلِّ عائلةٍ في الممالك السَّبع بلا استثناء. «كما أنكِ تضعين ثقةً أكبر بكثير مني في أخويكِ وأعمامكِ يا سيِّدتي. أراضي عائلة فلورنت تقع على مقربةٍ شديدة من هايجاردن، وعمُّك اللورد لن يُخاطِر بإثارة غضبة مايس تايرل».

دنَت منه الليدي سيليس قائلةً: «ثمَّة سبيل آخَر. ألقِ نظرةً خارج النَّوافذ يا سيِّدي وسترى العلامة التي تنتظرها تُزَيِّن السَّماء، أحمر لونها، أحمر كاللَّهب، أحمر كقلب الإله الحَق النَّاري. إنها رايته ورايتك أيضًا، فانظُر كيف تتجلَّى في السَّماوات كأنفاس التنِّين الحارَّة، وأنت سيِّد دراجونستون. معنى هذا أن أوانك آنَ يا جلالة الملك. إنه يقينٌ فوق كلِّ يقين، وقدَرك أن تُبحِر من هذه الصَّخرة البائسة المهجورة مِثل إجون الفاتح من قبلك، لتكتسح كلَّ ما في طريقك كما فعلَ. ما عليك إلَّا أن تقول الكلمة وتُسَلِّم بقُدرة إله الضِّياء».

سألها ستانيس: «وكم سيفًا سيضع إله الضِّياء في يدي؟».

أجابَت زوجته واعدةً: «كلَّ ما تحتاجه، سيوف ستورمز إند وهايجاردن كبداية، وجميع اللوردات حمَلة رايتيهما».



- «ستجدين أن داڤوس يُخالِفكِ الرَّأي. لقد أقسَموا بهذه السُّيوف لرنلي بالفعل. إنهم يُحِبُّون أخي الصَّغير ذا الطِّباع السَّاحرة كما أحبُّوا روبرت من قبل، وكما لم يُحِبُّوني قَطُّ».

ردَّت: «نعم، لكن إذا حدثَ أن ماتَ رنلي...».

ضيَّق ستانيس عينيه وظَلَّ يَرمُق زوجته، حتى عجزَ كرسن عن التزام الصَّمت أكثر من هذا، واندفعَ يقول: «لا يُمكنك أن تأخذ هذا بعين الاعتبار. جلالة الملك، أيًّا كانت الحماقات التي اقترفَها رنلي...».

- «حماقات؟ إنني أعدُّها خيانات»، قال ستانيس، ثم التفتَ إلى زوجته وأجابها: «أخي شابٌّ وقوي، ومُحاط بجيشٍ ضخم، بالإضافة إلى حَرس قوس قزح هؤلاء».

- «لقد نظرَت مليساندرا في اللَّهب ورأته ميتًا».

مصعوقًا قال كرسن: «أن تَقتُل أخاك... سيِّدي، هذا شَرٌّ مستطير لا يوصَف بكلمات... اصغِ إليَّ أرجوك».

تمعَّنت فيه الليدي سيليس قائلةً: «وبم ستُخبِره أيها المِايستر؟ كيف أنه سيربح نِصف مملكةٍ إذا زحفَ إلى آل ستارك وباعَ ابنتنا للايسا آرن؟».

قال اللورد ستانيس: «لقد سمعتُ نصيحتك يا كرسن، والآن سأسمعُ نصيحتها. يُمكنك الانصراف».

حنى المِايستر كرسن ظَهره المتيبِّس، وغادرَ الغُرفة ببُطءٍ شاعرًا بنظرات الليدي سيليس المسلَّطة عليه، ولدى بلوغه نهاية السَّلالم كان يَبذُل كلَّ ما تبقَّى من طاقته بالفعل ليستطيع الوقوف مشدود القامة. قال لپايلوس: «ساعِدني».

صرفَ كرسن الشَّاب عندما عادَ إلى مسكنه سالمًا، ثم خرجَ بخُطى عرجاء إلى شُرفته من جديد، ليقف بين الكرجلين ويُحَدِّق في البحر. كانت واحدة من سُفن سالادور سان تمرُّ بالقلعة في هذه اللَّحظة، بدنها المخطَّط بالألوان الزَّاهية يَمخُر المياه الخضراء الرَّماديَّة بينما ترتفع مجاذيفها وتنخفض، وراقبَها كرسن حتى غابَت وراء لسانٍ من الأرض، ثم قال لنفسه: ليت مخاوفي تغيب بهذه السُّهولة. أهذا ما عاشَ كلَّ تلك السِّنين من أجله؟



عندما يرتدي المِايستر سلسلة جماعته، فإنه يتخلَّى عن الأمل في أن تكون له ذُرِّيَّة، لكن كثيرًا ما أحسَّ كرسن بالأبوَّة على الرغم من ذلك. روبرت وستانيس ورنلي، ثلاثة أبناء ربَّاهم بَعد أن ابتلعَ البحر الغاضب أباهم اللورد ستفون، فهل أبلى في تربيتهم بلاءً بهذا السُّوء حتى أصبحَ عليه ألَّا يُحَرِّك ساكنًا بينما يَقتُل واحد منهم الآخَر؟ لا، لا يُمكنه أن يسمح بهذا، ولن يسمح به أبدًا.

المرأة هي قلب المسألة. ليس الليدي سيليس، بل الأخرى، المرأة الحمراء كما أطلقَ عليها الخدم وقد أصابَهم الخوف من نُطق اسمها. قال كرسن لكلب الجحيم الحجري: «أمَّا أنا فسأنطقُ اسمها، مليساندرا، هي!».

مليساندرا الآشايِيَّة، المشعوذة، آسِرة الظِّلال، وراهبة راهلور إله الضِّياء، قلب النَّار، رَب اللَّهب والظِّل.

مليساندرا التي لا ينبغي السَّماح لجنونها بأن ينتشر أبعد من دراجونستون.

بدا مسكنه كئيبًا معتمًا حتى بَعد سطوع النَّهار، وبيدين ثقيلتين أشعلَ العجوز شمعةً وحملها إلى غُرفة العمل أسفل سلالم المِغدفة، حيث ترتصُّ قوارير دهاناته وعقاقيره وأدويته على الرُّفوف بترتيبٍ محكَم. على الرَّف السُّفليِّ، وراء صَفٍّ من الجرار الخزفيَّة الصَّغيرة، وجدَ قنينةً من الزُّجاج ذي اللَّون النِّيلي لا يتجاوَز حجمها حجم خنصره. خشخشَت القنينة عندما رجَّها ونفخَ طبقةً من الغُبار من عليها، ثم حملها إلى منضدته وألقى نفسه على المقعد، قبل أن يخلع السِّدادة ويَسكُب محتويات القنينة، لتتدحرج دستة من البلَّورات التي تُشبِه البذور في الحجم على الرَّق الذي كان يقرأه من قبل. تألَّقت البلَّورات كالجواهر في ضوء الشَّمعة، لونها أرجوانيٌّ شديد العُمق، لدرجة أن المِايستر وجدَ نفسه يُفَكِّر أنه لم يرَ هذا اللون على حقيقته من قبل على الإطلاق.

شعرَ بالسِّلسلة المحيطة بعُنقه شديدة الثِّقل وهو يمدُّ يده ليمسَّ واحدةً من البلَّورات بخفَّةٍ بطرف إصبعه الصَّغير. شيءٌ بالِغ الصِّغر يملك سُلطان الحياة والموت. كانت البلَّورات مصنوعةً من نبتةٍ معيَّنة لا تنمو إلَّا في جُزر بحر اليَشب



في النِّصف الآخَر من العالم، وينبغي أن تُعَتَّق أوراق تلك النَّبتة وتوضَع في نقيعٍ من الزَّيزفون والماء المسكَّر وعددٍ من التَّوابل النَّادرة من جُزر الصَّيف، وبَعدَها يتمُّ التخلُّص من الأوراق، لكن يُضاف الدَّردار إلى العقَّار كي يُصبِح ثخينًا ثم يُترَك حتى يتبلوَر. إنها عمليَّة بطيئة معقَّدة، وضروريَّاتها باهظة الثَّمن ويَصعُب الحصول عليها، وإن كان الخيميائيُّون في لِيس يُجيدونها، وكذلك طائفة الرِّجال عديمي الوجوه في براڤوس... بالإضافة إلى المِايسترات في جماعته بالطَّبع، وإن لم يكن هذا شيئًا يتكلَّمون عنه خارج أسوار «القلعة». العالم كله يعرف أن المِايستر يُضيف الحلقة الفضِّيَّة إلى سلسلته عندما يتعلَّم فَنَّ العلاج، لكن العالم يختار أن يتناسَى أن هؤلاء الرِّجال الذين يعرفون كيف يُعالِجون النَّاس قادرون على قتلهم كذلك.

لم يَعُد كرسن يتذكَّر الاسم الذي يُطلِقه الآشايئيُّون على النَّبتة، أو حتى الاسم الذي يُطلِقه قتَلة السُّموم اللايسينيُّون على البلَّورات، لكنهم في «القلعة» أعطوا هذا السُّم اسمًا بسيطًا هو «الخنَّاق»، فعندما يذوب في النَّبيذ من شأنه أن يجعل عضلات الحَلق تنقبض بقوَّةٍ لا تقدر عليها أيُّ قبضة لتسدَّ القصبة الهوائيَّة تمامًا، ويُقال إن لون وجه الضحيَّة يستحيل إلى أرجوانيٍّ شديد العُمق كالبلَّورة الشَّبيهة بالبذرة التي نبتَ منها هذا الموت، وإن كان هذا ما يَحدُث مع من يختنقون بلقيمةٍ من طعام أيضًا.

واللَّيلة سيُقيم اللورد ستانيس مأدبةً للوردات حمَلة رايته، ومعهم زوجته... والمرأة الحمراء، مليساندرا الآشاييَّة.

قال المِايستر لنفسه: يجب أن أستريح، يجب أن أكون بكامل قوَّتي مع حلول الظَّلام. لا ينبغي أن ترتجف يداي أو تخور شَجاعتي. ما سأفعله شنيع، لكن لا مناص منه. إذا كان للآلهة وجود، فلا بُدَّ أنها ستُسامِحني. كان نومه لا يُشعِره بأيِّ راحةٍ إطلاقًا في الفترة الأخيرة، لكن من شأن غفوةٍ أن تمنحه شيئًا من النَّشاط قبل المهمَّة المقيتة التي تنتظره. بخطواتٍ واهية متعَبة ذهبَ إلى فِراشه، لكن حتى بَعد أن أغلقَ عينيه ظَلَّ يرى ضوء المذنَّب أحمر ناريًّا زاهيًا



لأقصى درجةٍ في غمار ظُلمة أحلامه، وإذ اكتنفه النَّوم أخيرًا قال لنفسه بآخِر ما لديه من وعي: لعلَّه مذنِّبي أنا، نذير الدَّم ينُبئ بالقتل... نعم...

كان الظَّلام قد سادَ بالكامل بالفعل عندما استيقظَ المايستر ليرى الموجودات في غُرفة نومه سوداء تمامًا ويَشعُر بالوجع في كلِّ مفصلٍ في جسده. دفعَ نفسه إلى الجلوس معتدلًا ورأسه ينبض بالصُّداع، ثم قَبضَ على عُكَّازه واتَّكأ عليه لينزل بلا ثباتٍ من الفِراش. تأخَّر الوقت كثيرًا، ولم يستدعوني. دائمًا ما كان كرسن يُستَدعى إلى المآدب ويجلس بالقُرب من المملحة ومن اللورد ستانيس. سبحَ وجه سيِّده في الهواء أمامه، ليس الرَّجل الذي صاره بل الصَّبي الذي كانه، يقف في الظِّلِّ شاعرًا بالبَرد بينما تسطع الشَّمس على أخيه الأكبر. كلُّ شيءٍ فعله ستانيس سبقَه روبرت إليه، وفعله أفضل منه. الصَّبي المسكين... يجب أن يُسرِع إليه من أجل صالِحه.

وجدَ المِايستر البلَّورات حيث تركَها، فجمعَها من على الرَّق. لم يكن كرسن يملك أيًّا من تلك الخواتم ذات الفصوص المفرَّغة، التي يُقال إن قتَلة السُّموم في لِيس يُفَضِّلون استخدامها، لكن عددًا وافرًا من الجيوب مختلفة الأحجام كان مخيَّطًا في كُمَّيِّ معطفه الفضفاضين من الدَّاخل، فدَسَّ بذور الخنَّاق في أحدها، ثم فتحَ الباب مناديًا: «پايلوس، أين أنت؟». لم يتلقَّ جوابًا، فنادى ثانيةً بصوتٍ أعلى: «پايلوس، أريدُ مساعَدتك». لم يتلقَّ جوابًا هذه المرَّة أيضًا، ما كان غريبًا، فحُجيرة المِايستر الشَّاب تقع في منتصَف عطفة السُّلَّم، ويُمكنه أن يسمعه بسهولة. في النِّهاية اضطرَّ كرسن لأن يزعق مناديًا الخدم، وقال لهم: «أسرِعوا، لقد نمتُ أطول من اللَّازم. لا بُدَّ أنهم يأكلون الآن... ويشرَبون... كان يجب أن يُوقِظني أحد». ما الذي حدثَ للمِايستر پايلوس؟ إنه لا يفهم حقًّا.

مرَّةً أخرى قطعَ الرُّواق الطَّويل، وعبْر النَّوافذ الضَّخمة أتَت ريح اللَّيل هامسةً ومحمَّلةً برائحة البحر الغنيَّة، وتراقصَت أضواء المَشاعل على أسوار دراجونستون وفي المعسكر المنصوب وراءها، حيث رأى المئات من البُقع التي اشتعلَت فيها نار الطَّهي، كأن حقلًا من النُّجوم هوى على الأرض. في



السَّماء اتَّقد المذنَّب بالحُمرة والغِل، وقال المِايستر لنفسه: أنا أكبر سنًّا وأكثر حكمةً من أن أخاف تلك الأشياء.

كانت أبواب القاعة الكبيرة مثبَّتةً في فم تنِّين حجري، وعندها قال للخدم أن يَترُكوه في الخارج، مفكِّرًا أن من الأفضل أَن يَدخُل بمُفرده كي لا يتبدَّى ضَعفه. هكذا اتَّكأ على عُكَّازه بشدَّةٍ ليصعد الدَّرجات القليلة المتبقية، وتقدَّم أسفل الأسنان الهابطة من سقف المدخل، ففتحَ اثنان من الحرس البابين الأحمرين الثَّقيلين أمامه، لينصبَّ وابلٌ من الضَّوضاء والضَّوء عليه من الدَّاخل. ثم خطا كرسن في حُلقوم التنِّين.

فوق ضجَّة السَّكاكين والأطباق والهمهمات الخفيضة القادمة من الموائد، سمعَ ذا الوجه المرقَّع يُغَنِّي بصُحبة أجراس الأبقار: «... لترَقُص يا سيِّدي، لترَقُص يا سيِّدي». الأغنيَّة الكريهة ذاتها التي كان يُرَدِّدها هذا الصَّباح. «الظِّلال تأتي لتبقى يا سيِّدي، لتبقى يا سيِّدي، لتبقى يا سيِّدي». كانت الموائد السُّفلى مزدحمةً بالفُرسان والرُّماة والرَّبابنة، الذين أخذوا يُمَزِّقون أرغفة الخُبز الأسود ليغمسوها في أطباق يخنة السَّمك. لا تُسمَع هنا أصوات الضَّحك الصَّاخب أو الصِّياح الفَظ التي تحطُّ من وقار أصحابها كما في مآدب الآخَرين، فاللورد ستانيس لا يسمح بهذا.

عمدَ كرسن إلى المنصَّة المرتفعة حيث جلسَ اللوردات مع الملك، ماشيًا في دورةٍ واسعةٍ بعيدًا عن ذي الوجه المرقَّع الذي انشغلَ بالرَّقص على رنين أجراسه، فلم يرَ أو يسمعِ المِايستر يقترب. واثبًا من قدم إلى أخرى ارتطمَ المهرِّج بكرسن ليطير عُكَّازه من يده ويضرب الاثنان الأرض معًا في كتلةٍ متشابكةٍ من الأذرُع والسِّيقان افترشَت البساط، بينما تفجَّرت عاصفة مفاجِئة من الضَّحك من حولهما. لا شَكَّ أن المنظر هزليٌّ للغاية.

زحفَ ذو الوجه المرقَّع فوقه بنِصف جسده، ودنا منه بوجهه الملوَّن وقد سقطَت خوذته الصَّفيحيَّة ذات القرون والأجراس من على رأسه، وقال: «تحت البحر يَسقُط المرء إلى أعلى. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه»، ثم راحَ يُقَهقِه وتدحرجَ من فوق العجوز ووثبَ واقفًا ليُعاوِد الرَّقص.



رسمَ المِايستر ابتسامةً واهنةً على شفتيه وكافحَ لينهض وقد قرَّر أن يُحاوِل تحقيق أفضل استفادةٍ ممكنة من الموقف، لكن الألم البالغ الذي سرى في وَركه جعله يخشى أنه كسرَه مرَّةً أخرى. ثم إنه شعرَ بيدين قويَّتين تلتقطانه من تحت إبطيه وتوقفانه على قدميه، فغمغمَ: «أشكرك يا سيِّدي» وهو يلتفت ليرى وجه الفارس الذي جاءَ لمساعَدته...

- «مِايستر كرسن»، قالت الليدي مليساندرا بصوتها العميق المنكَّه بموسيقى بحر اليَشب. «يَجدُر بك أن تأخذ حذرك أكثر». كديدنها، كان الأحمر يكسوها من قمَّة رأسها حتى أخمص قدميها، فُستانها الطَّويل الفضفاض مشغول من الحرير الوضَّاء كالنَّار وذو كُمَّين واسعين طُرِّزَت عليهما أشكال زخرفيَّة مدوَّرة، تكشف الشُّقوق العميقة في صدره عن نسيجٍ آخَر من تحته له لون داكن قانٍ كالدَّم، وحول عُنقها ارتدَت قلادةً من الذَّهب الأحمر أضيق من أيِّ سلسلةٍ يرتَديها مِايستر، تُزَيِّنها ياقوتة كبيرة واحدة. لم يكن شَعرها بلون ثمار البرتقال أو الفراولة كذوي الشَّعر الأحمر التَّقليديِّين، بل كان ذا لونٍ نُحاسيٍّ مصقول يَبرُق في ضوء المشاعل، وحتى عيناها كانتا حمراوين... لكن بشرتها ملساء بيضاء من غير سوء، تمامًا كالقشدة. نحيلةً كانت، ورشيقةً، وأطول قامةً من معظم الفُرسان، ذات نهدين ممتلئين وخصرٍ نحيف ووجهٍ كالقلب في شكله، وبمجرَّد أن تَسقُط عليها أبصار الرِّجال فلا يقوى أحدهم على تنحيتها عنها بهذه البساطة أو السُّرعة، حتى إذا كان مِايسترًا. وصفَها كثيرون بالجَمال، لكنها لم تكن جميلةً، بل حمراء، رهيبة وحمراء.

- «أشكركِ يا سيِّدتي».

قالت مليساندرا بكياسة: «رجلٌ في سنِّك ينبغي أن يَنظُر أين يخطو، فاللَّيل حالكٌ ومفعمٌ بالأهوال».

كان يعرف هذه العبارة التي تُعَدُّ دعاءً ما لدى المؤمنين بعقيدتها. لا يهمُّ، فأنا أيضًا لديَّ إيماني. قال لها: «فقط الأطفال يخافون الظَّلام»، لكن بينما ينطق هذه الكلمات سمعَ ذا الوجه المرقَّع يستأنف أغنيَّته من جديد: «الظِّلال تأتي لتَرقُص يا سيِّدي، لتَرقُص يا سيِّدي، لتَرقُص يا سيِّدي».



قالت: «أمامنا الآن أُحجية، مهرِّج ذكي وعجوز حكيم أحمق»، ثم انحنَت والتقطَت خوذة ذي الوجه المرقَّع من حيث سقطَت، وثبَّتتها على رأس كرسن، فأصدرَت الأجراس رنينًا خفيفًا والدَّلو الصَّفيحي ينزل على أُذنيه، بينما تابعَت مليساندرا: «تاجٌ يتماشى مع سلسلتك يا سيِّدي المِايستر»، ومن كلِّ مكانٍ حولهما ارتفعَت ضحكات الرِّجال السَّاخرة.

زَمَّ كرسن شفتيه مكافحًا لتهدئة الغضب المتصاعد داخله. إنها تظنُّه هشًّا عاجزًا، لكنها ستُدرك العكس قبل أن تنقَضي اللَّيلة. قد يكون عجوزًا، لكنه لا يزال مِايسترًا تعلَّم في «القلعة». قال لها وهو يخلع خوذة المهرِّج من على رأسه: «لا أحتاجُ تاجًا غير الحقيقة».

- «في هذا العالم حقائق لا يُعَلِّمونها في البلدة القديمة»، قالتها مليساندرا ودارَت مبتعدةً عنه في دوَّامةٍ من الحرير الأحمر، لتشقَّ طريقها عائدةً إلى المائدة العالية حيث جلسَ الملك ستانيس وزوجته، فناولَ كرسن الدَّلو ذا القرون لذي الوجه المرقَّع وتحرَّك في أعقابها.

وكان المِايستر پايلوس جالسًا في مكانه.

لم يكن في وسع العجوز غير الوقوف والحملقة، حتى قال أخيرًا: «مِايستر پايلوس، إنك... إنك لم توقِظني».

قال پايلوس وقد تورَّد وجهه خجلًا: «جلالته أمرَني بأن أتركك تستريح، قال لي إن لا حاجة إليك هنا».

نقلَ كرسن ناظريه بين الفُرسان والرَّبابنة واللوردات الجالسين بصمتٍ في أماكنهم. كان اللورد سلتيجار المُسِنُّ الفَظُّ يرتدي معطفًا مزركَشًا بأشكال سرطان البحر المطرَّزة بالعقيق الأحمر، واختارَ اللورد ڤيلاريون الوسيم معطفًا من الحرير الأخضر البحري يتناسق دبُّوسه ذو شكل فَرس البحر المصنوع من الذَّهب الأبيض مع شَعره الأشقَر الطَّويل، بينما لَفَّ اللورد بار إمون -الصَّبي السَّمين ذو الأربعة عشر عامًا- نفسه بالمخمل البنفسجي المقلَّم بالفقمات البيضاء، وظَلَّ السير آكسل فلورنت بسيط المنظر حتى في معطفه الخَمري وفراء الثَّعلب حول كتفيه، أمَّا اللورد صنجلاس المعروف



بوَرعه فقد زيَّنت أحجار القمر الكريمة كلًّا من عُنقه وخصره وأصابعه، وخطفَ الرُّبَّان اللايسيني سالادور سان الأبصار بالحرير القرمزي والذَّهب والجواهر. وحده السير داڤوس ارتدى ثيابًا بسيطةً لم تتعدَّ سُترةً بُنِّيَّة ومعطفًا أخضر من الصُّوف، ووحده السير داڤوس التقَت عيناه بعينَي المِايستر وفي نظراتهما لاحَت الشَّفقة.

- «أنت أشدُّ مرضًا وأكثر تشوُّشًا من أن تكون ذا فائدةٍ لي أيها العجوز».

كان الصَّوت كصوت ستانيس تمامًا، لكن لا يُمكن أن يكون هو، لا يُمكن أن يكون هو. «پايلوس سيكون مستشاري من الآن فصاعدًا. إنه يتولَّى أمر الغِدفان بالفعل، بما أنك لم تَعُد تستطيع الصُّعود إلى المِغدفة. لن أسمح بأن تَقتُل نفسك في خدمتي».

أغمضَ المِايستر كرسن عينيه وفتحَهما كأنه لا يُصَدِّق. ستانيس، يا صغيري العابس الحزين، يا ولدي الذي لم أُنجِبه، لا تفعل هذا. ألا تدري كيف رعيتك وعشتُ من أجلك وأحببتك رغم كلِّ شيء؟ نعم، أحببتك، أكثر من روبرت وحتى رنلي، فالحُبُّ كان ينَقُصك أنت، وأنت أكثر من احتاجَني. على أن كلَّ ما قاله هو: «كما تأمر يا سيِّدي، لكني... لكني جائع، أفلا تسمح لي بمكانٍ على مائدتك؟». إلى جانبك، مكاني إلى جانبك...

نهضَ السير داڤوس من على الدِّكَّة قائلًا: «يُشَرِّفني أن يجلس المِايستر هنا إلى جواري».

- «كما تشاء»، قال اللورد ستانيس والتفتَ يُخاطِب مليساندرا التي جلسَت إلى يمينه في موقع التَّكريم العالي، بينما جلسَت الليدي سيليس إلى يساره وعلى وجهها ابتسامة ساطعة هشَّة كالجواهر التي تحلَّت بها.

رمقَ كرسن البُقعة التي جلسَ فيها داڤوس وقال لنفسه بفتور: بعيدة جدًّا. كان نِصف اللوردات حمَلة الرَّاية يجلسون بين المهرِّب والمائدة العالية. ينبغي أن أكون أقرب إليها إذا أردتُ أن أضع الخنَّاق في كأسها، لكن كيف؟

كان ذو الوجه المرقَّع يتواثَب مرحًا والمِايستر يدور ببُطءٍ حول المائدة نحو داڤوس سيوورث، وصاحَ المهرِّج بسعادةٍ وهو يُلَوِّح بسمكة قُد كأنها



صولجان: «هنا نأكل السَّمك، وتحت البحر تأكلنا الأسماك. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه».

انزاحَ السير داڤوس ليُفسِح مكانًا على الدِّكَّة، وقال بكآبةٍ بينما جلسَ كرسن إلى جواره: «يَجدُر بنا جميعًا أن نرتدي ثياب المهرِّجين اللَّيلة، فما يَحدُث الآن تهريج. لقد أبصرَت المرأة الحمراء النَّصر في اللَّهب، وعليه ينوي ستانيس أن يبدأ الزَّحف على الرغم من الأعداد القليلة. أخشى أننا سنرى كلنا ما رآه ذو الوجه المرقَّع قبل أن تَفرُغ تلك المرأة مما تفعله، قاع البحر».

دَسَّ كرسن يديه في كُمَّيه كأنه يَنشُد الدِّفء، وتحسَّست أصابعه الكُتل الصُّلبة التي صنعَتها البلُّورات في الصُّوف، ثم رفعَ صوته قائلًا: «أيها اللورد ستانيس».

التفتَ ستانيس عن المرأة الحمراء، لكن الليدي سيليس هي من ردَّت: «اسمه الملك ستانيس. يبدو أنك نسيت نفسك أيها المِايستر».

- «إنه عجوز شارد العقل»، قال لها الملك بخشونة. «ما الأمر يا كرسن؟ قُل ما لديك».

- «بما أنك عزمت على الإبحار، فمن الضَّروري أن تتحالَف مع اللورد ستارك والليدي آرن...».

قال ستانيس باراثيون: «أنا لا أتحالَفُ مع أحد».

وأضافَت الليدي سيليس وهي تلتقط يده: «تمامًا كما لا يتحالَف النُّور مع الظَّلام».

أومأ ستانيس برأسه مؤمِّنًا على كلامها، وأردفَ: «آل ستارك يسعون إلى سرقة نِصف مملكتي، كما سرقَ آل لانستر عرشي، وسرقَ أخي المحبوب ما هو لي شرعًا من رجالٍ وخدمٍ ومعاقل. كلهم غاصبون، وكلهم أعدائي».

فكَّر كرسن قانطًا: لقد فقدته. لو يستطيع فقط أن يقترب من مليساندرا دون أن يراه أحد... إنه لا يحتاج إلى أكثر من لحظةٍ واحدة تُتاح فيها كأسها له. قال



واليأس يَغمُر كلماته: «أنت الوريث الشَّرعي لأخيك روبرت، وسيِّد الممالك السَّبع الحقيقي، وملك الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، لكن حتى مع هذا لا يُمكنك أن تأمل في النَّصر بلا حُلفاء».

قالت الليدي سيليس: «إن لديه حليفًا، راهلور إله الضِّياء، قلب النَّار، رَبُّ اللَّهب والظِّل».

رَدَّ العجوز بإصرار: «الآلهة في أفضل الأحوال حُلفاء لا يُعتمَد عليهم، وذلك الإله ليس له سُلطان هنا».

- «أهذا ما تحسبه؟». سقطَ الضَّوء على الياقوتة المعلَّقة على حَلق مليساندرا وهي تُدير رأسها، وللحظةٍ بدَت كأنها تتوهَّج كالمذنَّب. «ما دُمت ستتفوَّه بتلك الحماقات أيها المِايستر، فحريٌّ بك أن ترتدي تاجك من جديد».

قالت الليدي سيليس: «نعم، خوذة ذي الوجه المرقَّع تُناسِبك أيها العجوز. آمرك أن تضعها على رأسك ثانيةً».

وردَّد المهرِّج: «تحت البحر لا يرتدي أحد القُبَّعات. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه».

كانت عينا اللورد ستانيس مظلَّلتين بحاجبيه الثَّقيلين وفمه مكبوسًا عن آخِره وقد أخذَ فَكُّه يتحرَّك بصمت، فدائمًا ما يُصِرُّ بأسنانه عندما يغضب. دمدمَ أخيرًا: «أيها المهرِّج، هذا أمرٌ من السيِّدة زوجتي، أعطِ كرسن خوذتك».

لا، هذا ليس أنت، ليس أسلوبك، لقد كنت عادلًا دومًا، صُلبًا دومًا لكنك لم تكن قاسيًا لمجرَّد القسوة إطلاقًا، إنك لا تفهم الاستهزاء، تمامًا كما لم تفهم الضَّحك قَطُّ.

دنا منه ذو الوجه المرقَّع راقصًا لترنَّ أجراسه، كلانجا-لانج، دينج-دينج، كلينك-كلانك-كلينك-كلانك، وجلسَ المِايستر صامتًا بينما ثبَّت المهرِّج الدَّلو ذا القرون على رأسه، وجعله وزنه الثَّقيل يحني رأسه.

قالت الليدي سيليس على خلفيَّةٍ من رنين الأجراس: «ربما عليه أن يُلقي نصائحه غناءً من الآن فصاعدًا».



رَدَّ اللورد ستانيس: «أنتِ تتمادين يا امرأة. إنه رجل عجوز، ولقد خدمَني بإخلاص».

فكَّر كرسن وقد رأى السَّبيل فجأةً: وسأظلُّ أخدمك حتى آخِر نفسٍ في صدري يا سيِّدي الحبيب، يا ولدي الوحيد المسكين. كانت كأس السير داڤوس أمامه، لا تزال نِصف ممتلئةٍ بالنَّبيذ الأحمر اللَّاذع، فأخرجَ رقاقةً صُلبةً من البلَّور من كُمِّه وأطبقَ عليها بإحكامٍ بين سبَّابته وإبهامه وهو يمدُّ يده إلى الكأس، وتضرَّع في قرارة نفسه: حركات رشيقة ناعمة، لا ينبغي أن أرتبك الآن، ويبدو أن الآلهة استجابَت له، ففي غمضة عينٍ لم يَعُد هناك شيء بين إصبعيه. لم تكن يداه بهذا الثَّبات لسنين طويلة، ولا مرنتين لهذه الدَّرجة. الوحيد الذي رآه هو داڤوس، لكنه واثق بأن لا أحد غيره فعلَ. هٰكذا نهضَ حاملًا الكأس وقال: «لعلِّي كنتُ أحمقَ حقًّا. ليدي مليساندرا، هلَّا تقاسَمتِ كأسًا من النَّبيذ معي على شرف إلهكِ إله الضِّياء؟ هلَّا شربنا معًا نخب قُدرته؟».

حدجَته المرأة الحمراء بإمعان، وقالت: «إذا أردتَ».

كان يَشعُر بنظرات الجميع المسلَّطة عليه. تشبَّث داڤوس به وهو ينهض من على الدِّكَّة، مُطبِقًا على كُمِّه بأصابعه التي قصَّرها اللورد ستانيس، وهمسَ: «ماذا تفعل؟».

أجابَ المِايستر كرسن: «ما ينبغي فِعله، من أجل البلاد ومن أجل روح سيِّدي»، ونفضَ يد داڤوس لتهتزَّ الكأس وتنسكب قطرة من النَّبيذ على البساط.

قابلَته عند منتصَف المائدة العالية وأعيُن كلِّ مَن في المكان عليهما، لكن كرسن لم يرَ سواها، الحرير الأحمر والعينين الحمراوين والياقوتة الحمراء عند حَلقها والشَّفتين الحمراوين اللتين ارتسمَت عليهما بسمة باهتة إذ وضعَت يدها فوق يده حول الكأس، ليَشعُر ببَشرتها ساخنةً كالمحمومين. ما زال يُمكنك أن تَسكُب النَّبيذ أيها المِايستر».

بصوتٍ مبحوحٍ همسَ: «لا، لا».



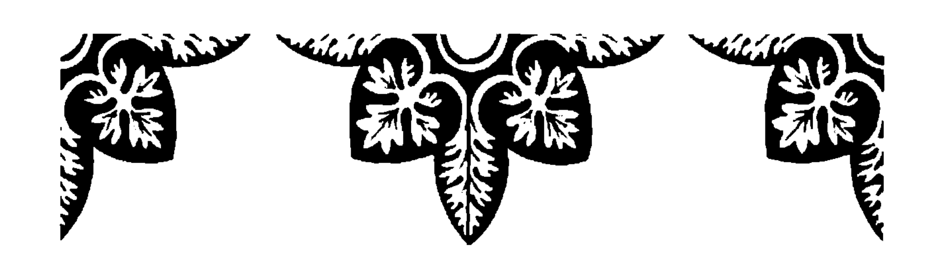
- «كما ترغب»، والتقطَت مليساندرا الآشايِيَّة الكأس من يده وأخذَت منها جرعةً طويلةً، حتى لم يتبقَّ فيها غير نِصف رشفةٍ في القاع عندما أعادَتها إليه قائلةً: «دورك».

كانت يداه ترتجفان، لكنه أجبرَ نفسه على أن يكون قويًّا، فلا ينبغي أن يَشعُر مِايستر من «القلعة» بالخوف. أحسَّ بمذاق النَّبيذ اللَّاذع على لسانه قبل أن يَترُك الكأس لتَسقُط وتتهشَّم على الأرض، وقالت المرأة والياقوتة على عُنقها تومض بالأحمر: «إن لديه سُلطانًا هنا يا سيِّدي، والنَّار تُطَهِّر».

حاولَ كرسن أن يَرُدَّ، لكن الكلمات احتبسَت في حَلقه، واستحالَ السُّعال إلى صفيرٍ رفيعٍ رهيبٍ وهو يُكافِح لامتصاص الهواء، وأطبقَت أصابع من حديد على عُنقه. وإذ تهاوى على رُكبتَيه ظَلَّ يهزُّ رأسه، ظَلَّ يُنكِرها، يُنكِر قوَّتها ويُنكر سِحرها ويُنكِر إلهها وجلجلَت الأجراس المعلَّقة في قرونه مغنيةً: أحمق، أحمق، أحمق، بينما رمقَته المرأة الحمراء من أعلى بأسفٍ ولهب الشُّموع يتراقَص في أحمر عينيها العميق.




مكتبة
الفكر الجديد



آريا

في وينترفل كانوا يُطلِقون عليها «آريا وجه الحصان»، وكانت تحسب أن هذا أسوأ شيءٍ ممكن، حتى سمَّاها الصَّبي اليتيم لومي أخضر اليد «رأس الجِزَل».

عندما تحسَّست رأسها وجدَته مليئًا بالجِزَل بالفعل. لقد حسبَت أن يورن يهمُّ بقَتلها عندما جرَّها إلى ذلك الزُّقاق، لكن العجوز الفَظَّ ثبَّتها في مكانها بإحكام ليَجزَّ جدائل وعُقد شَعرها بخنجره. تذكَّرت كيف أطارَ النَّسيم حَفنات الشَّعر البُنِّي المتَّسخ لتتناثَر على الأرض المعبَّدة بالحجارة نحو السِّپت الذي ماتَ فيه أبوها، وكيف قال لها يورن بغلظةٍ والفولاذ الحادُّ يحتكُّ برأسها: «سآخذُ معي رجالًا وصِبيةً من المدينة. اثبَت في مكانك يا ولد!»، ولمَّا انتهى كانت فروة رأسها عبارةً عن زغبٍ وجُذامةٍ لا أكثر.

بَعد ذلك أخبرَها أنها بدايةً من الآن وحتى يَبلُغوا وينترفل ستكون آري الصَّبي اليتيم. «لن يكون الخروج من البوَّابة صعبًا، لكن الطَّريق مسألة أخرى، فعليكِ أن تقطعي مسافةً طويلةً في صُحبةٍ سيِّئة. إن معي ثلاثين هذه المرَّة، رجالًا وصِبية في طريقهم إلى «الجِدار»، لكن إياكِ أن تحسبي أنهم يُشبِهون أخاكِ النَّغل في شيء»، وهزَّها مُتابعًا: «لقد ترَكَني اللورد إدارد أنتقي مَن أشاءُ من الزَّنازين، وبالطَّبع لم أجد أيَّ سادةٍ صغار هناك. نِصف هؤلاء الشِّرذمة على استعدادٍ لتسليمكِ إلى الملكة في غمضة عين من أجل الحصول على عفو، ولربما بعض القِطع الفضِّيَّة كذلك، ونِصفهم الثَّاني سيفعل المِثل،



لكن بَعدما يغتصبونكِ أولًا، فانفردي بنفسكِ وتبوَّلي في الغابة. أصعب جزء سيكون التبوُّل، فلا تشربي أكثر من حاجتكِ».

كان الخروج من كينجز لاندنج سهلًا بالفعل كما قال لها. حُرَّاس لانستر الواقفون على البوَّابة كانوا يُوقِفون الجميع، لكن يورن نادى واحدًا منهم بالاسم، فأشاروا لعرباتهم بالمرور دون أن يلتفت أحدهم إلى آريا، فهُم يبحثون عن فتاةٍ كريمة النَّسب، ابنة يد الملك، وليس عن صبيٍّ هزيل مقطَّع الشَّعر. لم تلتفِت آريا إلى الوراء ولو مرَّة، وتمنَّت لو يثور فيضان من النَّهر الأسود ليكتسِح المدينة كلها، «جُحر البراغيث» والقلعة الحمراء والسِّپت الكبير، يكتسِح كلَّ شيءٍ وكلَّ شخص، خاصَّةً الأمير چوفري وأمه. لكنها كانت تعرف أن ذلك لن يَحدُث، وعلى كلِّ حالٍ سانزا لا تزال في المدينة، ما يعني أن الفيضان سيجرفها بدورها. قرَّرت آريا مع هذا الخاطِر أن تتمنَّى العودة إلى وينترفل بدلًا من ذلك.

على أن يورن كان مخطئًا بشأن التبوُّل، الذي اتَّضح أنه ليس الجزء الأصعب على الإطلاق. لومي أخضر اليد وذلك المسمَّى هوت پاي كانا الجزء الأصعب. كانا من الأيتام الذين حصدَهم يورن من الشَّوارع واعدًا إياهم بطعام لبطونهم وأحذيةٍ لأرجُلهم، أمَّا الآخَرون فقد أتى بهم من الزَّنازين، وقال لهم جميعًا عندما بدأوا رحلتهم: «حَرس اللَّيل يحتاجون رجالًا صالحين، لكننا سنضطرُّ للاكتفاء بكم». أخذَ يورن من الزَّنازين عددًا من الرِّجال البالغين كذلك، منهم اللِّص والصيَّاد غير القانوني والمُغتصِب وأمثالهم، لكن أسوأهم الثَّلاثة الذين عثرَ عليهم في الزَّنازين السَّوداء، والذين يبدو أنهم أثاروا خوفه هو نفسه، لأنه أبقاهم مكبَّلي الأيدي والأقدام في مؤخِّرة إحدى العربات، وأقسمَ أنه لن يفكَّ الحديد عنهم قبل أن يصلوا إلى «الجِدار». أحدهم كانت في وجهه فجوة تحتلُّ مكان أنفه المقطوع، والثَّاني الأصلع البدين مُقرِف المنظر له أسنان مدبَّبة وعلى خدَّيه قروح ينزُّ منها القيح، وعيناه ليستا كعيني إنسان.

خرجوا من كينجز لاندنج بخمس عرباتٍ محمَّلة بالمؤن التي سيأخُذونها معهم إلى «الجِدار»: جلود حيوانات ولفَّات من القُماش، قضبان من الحديد



الخام وقفص غِدفان، كُتب وورق وحِبر، حزمة من التَّبغ المُر وبرطمانات من الزَّيت وعُلب من الأدوية والتَّوابل. سحبَت مجموعات من أحصنة الجَرِّ العربات، وكان يورن قد أحضرَ حصانين وستَّة حمير للصِّبية، وفكَّرت آريا أنها تُفَضِّل أن تركب حصانًا حقيقيًّا، لكن ركوب الحمار أفضل من ركوب العربة على كلِّ حال.

لم يُعِرها الرِّجال انتباهًا، وإن لم يُحالِفها الحَظُّ لهذا الحَدِّ مع الصِّبية. كانت تَصغُر أصغر الأيتام عُمرًا بعامين كاملين، فضلًا عن ضآلة حجمها ونحولها، وفسَّر لومي وهوت پاي صمتها بكونها خائفةً أو حمقاء أو صمَّاء. «انظُر إلى هذا السَّيف الذي يحمله رأس الجِزَل معه»، قال لومي ذات صباحٍ وهُم يقطعون طريقهم ببُطءٍ مرورًا بالبساتين وحقول القمح. كان صبيًّا في ورشة صبَّاغ قبل أن يُقبَض عليه متلبِّسًا بالسَّرقة، لذا اصطبغَت ذراعاه باللَّون الأخضر حتى المِرفقين، وعندما يضحك يُصدِر صوتًا كنهيق الحمير التي يركبونها. «من أين حصلَ جرذ مِثل رأس الجِزَل على سيفه؟».

مضغَت آريا شفتها عابسةً وهي تَرمُق ظَهر معطف يورن الذي بهتَ لونه الأسود في طليعة العربات، لكنها عزمَت على ألَّا تهرع إليه لتَطلُب مساعَدته.

قال هوت پاي: «لعلَّه مُرافِق صغير لأحد الفُرسان، أو مجرَّد تابع تافه لأحد اللوردات، هذا كلُّ شيء». كانت أمُّه خبَّازةً قبل أن تموت، تدفع عربتها في الشَّوارع طول اليوم مناديةً: «فطير ساخن! فطير ساخن!».

- «بالطَّبع ليس مُرافِقًا، انظُر إليه. أراهنُ أن هذا ليس سيفًا حقيقيًّا أصلًا، أراهنُ أنه سيف لُعبة مصنوع من الصَّفيح».

كرهَت آريا أن يتهكَّما على إبرتها، فاندفعَت تقول بحدَّةٍ وهي تلتفِت لتحدجهما بنظرةٍ قاسية: «إنه فولاذ مطروق في قلعة يا أحمق، وخيرٌ لك أن تخرس».

أطلقَ الصَّبيَّان اليتيمان صيحةً مستهزِئة، ثم سألَ هوت پاي: «ومن أين حصلت على سيفٍ كهذا يا وجه الجِزَل؟».

قال لومي مصحِّحًا: «رأس الجِزَل. سرقَه غالبًا».

صاحَت: «غير صحيح!». كان چون سنو هو من أعطاها «الإبرة». ربما



عليها أن تَترُكهما يُناديانها برأس الجِزَل، لكنها لن تسمح لهما باتِّهام چون بالسَّرقة.

قال هوت پاي: «إذا كان قد سرقَه، يُمكننا أن نأخذه منه إذن. إنه ليس ملكه على كلِّ حال، وسيف مِثل هذا سينفعني».

قال لومي محفِّزًا: «هَلُمَّ إذن، خُذه منه، أتحدَّاك».

ركلَ هوت پاي حماره واقتربَ به قائلًا: «أنت يا وجه الجِزَل، أعطِني هذا السَّيف». كان شَعره بلون القَش وقد سفعَت الشَّمس وجهه السَّمين فبدأ يتقشَّر. «أنت لا تعرف كيف تستخدمه».

كان من الممكن أن تقول آريا: بل أعرفُ. لقد قتلتُ ولدًا، ولدًا بدينًا مِثلك، طعنته في بطنه وماتَ، وسأقتلك أنت أيضًا ما لم تدعني وشأني... إلَّا أنها لم تجرؤ، فرغم أن يورن لم يكن يعرف بأمر صبيِّ الاسطبل، فقد خشيَت ردَّة فِعله إذا عرفَ. إنها واثقة تمامًا بأن بعض الرِّجال الآخَرين في مجموعتهم قتَلة بدورهم، خصوصًا الثَّلاثة المكبَّلين بالأغلال، لكن الملكة لا تبحث عنهم، لذا فالأمر مختلف.

نهقَ لومي أخضر اليد قائلًا: «انظُر إليه، أراهنُ أنه سيبكي الآن. هل تُريد أن تبكي يا رأس الجِزَل؟».

في منامها ليلة الأمس بكَت آريا وهي تَحلُم بأبيها، ولمَّا جاءَ الصَّباح استيقظَت بعينين جافَّتين محمرَّتين، وليس بإمكانها أن تذرف دمعةً واحدةً أخرى ولو كانت حياتها تعتمد عليها.

قال هوت پاي: «سيُبَلِّل سراويله».

- «دعاه وشأنه»، قالها الصَّبي ذو الشَّعر الأسود الأشعث الذي ركبَ وراءهم، الذي أطلقَ عليه لومي اسم «الثَّور»، بسبب خوذته ذات القرنين التي يُلَمِّعها طول الوقت لكن لا يرتديها أبدًا. لم يكن لومي يجرؤ على السُّخرية من الثَّور، فهو أكبر منهم سِنًّا وكبير الحجم بالنِّسبة لسِنِّه، وعريض الصَّدر وقويُّ الذِّراعين.

قال لومي: «أفضل لك أن تُعطي هوت پاي السَّيف يا آري، إنه يُريده بشدَّة. لقد ركلَ ولدًا حتى الموت، وأراهنُ أنه سيفعل بك المِثل».



وعلَّق هوت پاي مزهوًّا: «طرحته أرضًا وركلته في خصيتيه، وظللتُ أركله حتى تمزَّق لحمه وتهتَّكت خصيتاه وسالَ منهما الدَّم واسودَّ قضيبه، فخيرٌ لك أن تُعطيني السَّيف».

سحبَت آريا سيف التَّدريب الخشبي من حزامها، وقالت له غير راغبةٍ في الشِّجار: «يُمكنك أن تأخذ هذا».

رَدَّ معترضًا: «إنها مجرَّد عصا»، واقتربَ منها أكثر بحماره وحاول أن يمدَّ يده إلى مقبض إبرتها.

وجعلَت آريا العصا الخشبيَّة تصفِر وهي تشقُّ الهواء إذ هوَت بها على مؤخِّرة حماره، الذي نهقَ وأسقطَ راكِبه أرضًا، قبل أن تثب هي من فوق حمارها وتكز الصَّبي البدين في بطنه وهو يُحاوِل النُّهوض، فعادَ يستلقي على الأرض مُطلِقًا أنَّةً، ثم إنها نزلَت على وجهه بضربةٍ من عصاها، ليُصدِر أنفه طقطقةً كغُصن شجرةٍ ينكسر ويسيل الدَّم من منخريه، وعندما بدأ هوت پاي يُوَلوِل ألمًا، دارَت آريا ملتفتةً إلى لومي الذي جلسَ على حماره مفغور الفم، وصاحَت فيه: «هل تُريد السَّيف أنت أيضًا؟»، لكن كان من الواضح أنه لا يُريده، لأنه رفعَ يديه المصبوغتين بالأخضر أمام وجهه وصرخَ فيها أن تبتعد عنه.

صاحَ الثَّور: «وراءك!»، فدارَت آريا على عقبيها بسرعةٍ لتجد هوت پاي على رُكبتيه، وقد كوَّر قبضته حول صخرةٍ كبيرة مليئة بالبروزات، فتركَته يقذفها وخفضَت رأسها فلم تُصِب غير الهواء، ثم انقضَّت هي عليه. رفعَ يده لكنها ضربَتها ثم هوَت بضربتين خاطِفتين على وجنته ورُكبته، وحاولَ أن يُمسِكها لكنها وثبَت جانبًا بحركةٍ راقصةٍ ووجَّهت ضربةً أخرى بالسَّيف الخشبي على مؤخِّرة رأسه. سقطَ الصَّبي البدين ونهضَ واندفعَ وراءها متعثِّرًا ووجهه المحتقن ملطَّخ بالتُّراب والدَّم، فأخذَت آريا وضع راقصي المياه وانتظرَت حتى أصبحَ على مسافةٍ كافيةٍ منه لتُسَدِّد ضربةً شديدة العُنف بين ساقيه، فلو كان لسيفها الخشبي رأسٌ مدبَّب لخرجَ من بين فلقتي مؤخِّرته. عندما انتزعَها يورن من فوقه أخيرًا، كان هوت پاي يفترِش الأرض باكيًا بَعد أن ضربَته آريا مرَّةً وثانيةً وثالثةً، وقد توسَّخت سراويله باللَّون البُنِّي وفاحَت منها رائحة نتنة.



«كفى!»، هدرَ الأخ الأسود وهو يُخَلِّص السَّيف الخشبي من بين أصابعها. «هل تُريد أن تَقتُل هذا الأحمق؟»، والتفتَ إلي لومي وبعض الآخَرين الذين أخذوا في الولولة، وزعقَ فيهم: «اخرسوا وإلَّا أخرستكم بنفسي. استمرُّوا وسأقيِّدكم وراء العربات وأجرُّكم جرًّا حتى «الجِدار»»، ثم بصقَ وأضافَ: «اعتبِر الكلام موجَّهًا لك مرَّتين يا آري. تعالَ معي يا ولد، فورًا».

كانوا يَنظُرون إليها جميعًا، حتى الثَّلاثة ذوو الأغلال في مؤخِّرة العربة. طقطقَ البدين أسنانه المدبَّبة معًا وفَحَّ في وجهها، لكنها تجاهَلته.

جرَّها العجوز مسافةً بعيدةً عن الطَّريق إلى كُتلةٍ متشابكةٍ من الأشجار وهو يرغي ويزبد طول الوقت: «لو كانت لديَّ ذرَّة عقل، لتركتك في كينجز لاندنج. هل تسمعني يا ولد؟». دائمًا ما يُزَمجِر بتلك الكلمة مضيفًا إليها نبرةً لاذعةً كي يضمن أن تسمعها. «حِلَّ سراويلك وأنزلها، هَلُمَّ، لا أحد سيراك هنا، هيا». أطاعَته آريا بعبوس، فقال لها: «هناك، قُبالة شجرة البلُّوط هذه، نعم، هكذا». لفَّت ذراعيها حولَ جذع الشَّجرة، وضغطَت وجهها في الخشب الخشن، فقال: «والآن اصرُخ، اصرُخ بأعلى صوتك».

لنفسها قالت آريا بعناد: لن أفعل، لكن عندما نزلَ يورن بالسَّيف الخشبي على ظَهر فخذيها، تفجَّرت الصَّرخة من فمها رغمًا عنها. «أتحسب أن هذا مؤلم؟ جرِّب هذه إذن»، وهوَت العصا مصفِرةً لتَصرُخ آريا ثانيةً وتتشبَّث بالشَّجرة لتمنع نفسها من السُّقوط. «واحدة أخرى»، فتمسَّكت بالشَّجرة أكثر وهي تمضغ شفتها، وجفلَت عندما سمعت العصا تشقُّ الهواء، وهذه المرَّة جعلَتها الضَّربة تثب وتعوي. لن أبكي، لن أفعل ذلك، أنا من آل ستارك أبناء وينترفل، الذئب الرَّهيب رمزنا، والذئاب الرَّهيبة لا تبكي. كانت تحسُّ بخيط الدَّم الذي سالَ على ساقها اليُسرى وقد اشتعلَت فخذاها وأليتيها ألمًا، وقال يورن: «لعلِّي نلتُ انتباهك الآن. المرَّة القادمة عندما تضرب أحد إخوتك بهذه العصا، سينولك ضِعف ما نالَ، مفهوم؟ والآن غطِّ نفسك».

هؤلاء ليسوا إخوتي، فكَّرت آريا وهي تميل لترفع سراويلها ثم تُوثِقها بالأربطة والحزام، لكنها كانت أعقل من أن تُصارِحه بأفكارها.

كان يورن يتطلَّع إليها، وسألها: «هل جُرحت؟».



قالت لنفسها: بهدوء المياه الرَّاكدة، تمامًا كما علَّمها سيريو فورل، ثم أجابَته: «بعض الشَّيء».

رَدَّ بحدَّة: «وهذا الصَّبِي هوت پاي جروحه أسوأ منكِ. ليس هو من قتلَ أباكِ يا فتاة، وليس ذلك اللِّص لومي أيضًا، وضربهما لن يُعيده».

غمغمَت آريا بكآبة: «أعرفُ».

- «سأُخبِركِ بشيءٍ لا تعرفينه. ما حدثَ لم يكن من المفترَض أن يَحدُث. لقد كنتُ أستعدُّ لمغادَرة المدينة بالفعل وقد ابتعتُ وحمَّلت العربات وكل شيء، ثم يأتي لي رجل ومعه لي صبيٌّ وكيس من النُّقود ورسالة، لا عليكِ بمن أرسلها، يقول لي إن اللورد إدارد سيرتدي أسود حَرس اللَّيل، يقول لي أن أنتظِر لأنه سيأتي معي. لماذا تحسبينني كنتُ هناك؟ لكن شيئًا غامضًا حدثَ».

تنهَّدت آريا وقالت: «چوفري. يَجدُر بأحدهم أن يَقتُله».

قال يورن: «أحدهم سيفعل، لكنه لن يكون أنا، ولا أنتِ»، وألقى لها سيفها الخشبي، وأثناء عودتهما إلى الطَّريق قال لها: «معي القليل من التَّبغ المُر في العربة. امضغيه وسيُخَفِّف الألم».

وخفَّف التَّبغ المُر الألم بعض الشَّيء بالفعل، وإن كان مذاقه كريهًا وجعلَ بُصاقها بلون الدَّم، وعلى الرغم من هذا وجدَت نفسها مرغَمةً على المشي في اليوم التَّالي واليوم الذي تلاه والذي تلاه، بما أن الألم لم يخفَّ لدرجة أن تستطيع ركوب الحمار. أمَّا هوت پاي فكان أسوأ حالًا، واضطرَّ يورن لتحريك بعض البراميل كي يستطيع الصَّبي التمدُّد في مؤخِّرة واحدةٍ من العربات فوق أجولة الشَّعير، وكلما داسَت عجلة على صخرةٍ كان يُطلِق أنينًا متوجِّعًا، بينما ابتعدَ لومي أخضر اليد عن آريا لأقصى مسافةٍ ممكنة على الرغم من أن ضررًا لم يُصِبه، وقال لها الثَّور وهي تمشي إلى جوار حماره: «إنه يرتعش كلما نظرت إليه». لم تُجِبه، إذ بدا أن عدم الكلام مع أحدٍ على الإطلاق أكثر أمنًا.

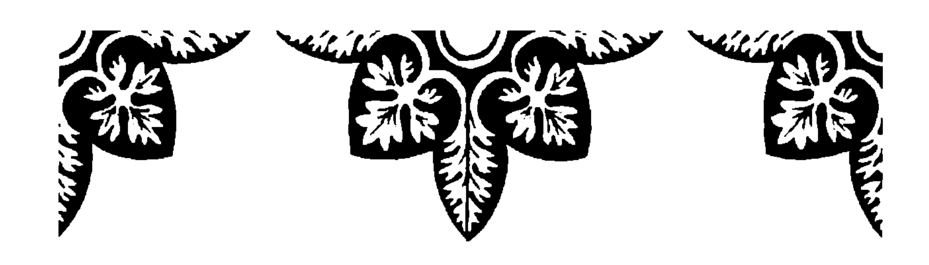
تمدَّدت تلك اللَّيلة على دثارها الخفيف فوق الأرض الصُّلبة ورمقَت المذنَّب الأحمر العظيم الذي بدا بهيًّا ومخيفًا في الآن نفسه. أطلقَ عليه الثَّور



اسم «السَّيف الأحمر»، مدعيًا أنه يبدو كسيفٍ لا يزال نصله متَّقدًا وقد خرجَ للتَّوِّ من كير الحدَّاد، وعندما ضيَّقت آريا عينيها ونظرَت من الزَّاوية الصَّحيحة استطاعَت بدورها أن ترى السَّيف، وإن لم يكن سيفًا جديدًا، بل «جليد»، سيف أبيها العظيم المصنوع من الفولاذ الڤاليري المموَّج، والأحمر هو دماء اللورد إدارد التي صبغَت النَّصل بَعد أن قطعَ عدالة الملك السير إلين رأسه. لقد جعلَها يورن تَنظُر بعيدًا عندما حدثَ هذا، لكن بدا لها أن المذنَّب يبدو كما فعلَ «جليد»... بَعدها.

عندما غابَت في النَّوم أخيرًا حلمَت بالوطن. طريق الملوك يمرُّ بوينترفل قبل أن ينتهي بـ«الجِدار»، ويورن وعدَها بأنه سيتَرُكها هناك دون أن يملك أحدٌ أيَّ فكرةٍ عن هويَّتها. إنها تشتاق لرؤية أمِّها من جديد، وروب وبران وريكون... لكن چون سنو كان أكثر من فكَّرت فيه، وتمنَّت لو أمكنَ بشكلٍ ما أن يَبلُغوا «الجِدار» قبل وينترفل، كي ينفش چون شَعرها ويُناديها بـ«أختيَ الصَّغيرة». كانت لتقول له إنه أوحشَها، وكان ليقول في اللَّحظة ذاتها إنها أوحشَته أيضًا، كعادتهما الدَّائمة في قول الأشياء في آنٍ معًا. لكم تمنَّت أن يَحدُث هذا، لكم تمنَّت أن يَحدُث أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر.





سانزا

بزغَ الصَّباح يوم ميلاد الملك چوفري مُشرقًا كثير الرِّيح، التي دفعَت السَّحاب في السَّماء، ليلوح من خلاله الذَّيل الطَّويل الممتدُّ من المذنَّب العظيم. كانت سانزا تتطلَّع إليه من نافذة غُرفتها في البُرج، عندما وصلَ السير آريس أوكهارت ليُرافِقها إلى مضمار المباريات، فسألَته: «ما الذي يعنيه في رأيك؟».

أجابَ السير آريس من فوره: «يعني المجد لخطيبك. انظُري كيف يتوهَّج عبر السَّماء في يوم ميلاد جلالته، كما لو أن الآلهة نفسها رفعَت رايةً على شَرفه. لقد سمَّاه العامَّة «مذنَّب الملك چوفري»».

لا ريب أن هذا ما قالوه لچوفري، لكن سانزا لم تكن واثقةً بصحَّته، فقالت: «سمعتُ بعض الخدم يُسَمُّونه «ذيل التنِّين»».

- «الملك چوفري يجلس حيث جلسَ إجون التنِّين من قبل، في القلعة ذاتها التي شيَّدها ابنه. إنه خليفة التنِّين، والأحمر لون عائلة لانستر، وهذه علامة أخرى. ليس لديَّ شَكٌّ في أن الآلهة أرسلَت هذا المذنَّب لتُبَشِّر بصعود چوفري إلى العرش. معناه أنه سينتَصر على أعدائه».

أهذا صحيح؟ هل يُمكن أن تكون الآلهة بهذه القسوة؟ إن أمَّها من أعداء چوفري الآن، وشقيقها روب عدوٌّ آخَر. لقد ماتَ أبوها بأمر الملك، فهل جاءَ الدَّور على روب والسيِّدة والدتها؟ المذنَّب أحمر اللَّون بالفعل، لكن چوفري ينتمي إلى عائلة باراثيون تمامًا كما ينتمي إلى عائلة لانستر، ورمز عائلة باراثيون وعلٌ أسود على خلفيَّةٍ ذهبيَّة. أفلم يكن من المفترَض أن تُرسِل الآلهة لچوف مذنَّبًا ذهبيًّا إذن؟



أغلقَت سانزا مصراعي النَّافذة والتفتَت بعيدًا عنها بحركةٍ حادَّة، فقال السير آريس: «تبدين رائعة الجَمال اليوم يا سيِّدتي».

- «أشكرك يا سيِّدي». كانت سانزا تعرف أن چوفري سيقضي بأن تحضر دورة المباريات المُقامة على شَرفه، ولهذا أولَت وجهها وثيابها عنايةً خاصَّةً، فارتدَت فُستانًا من الحرير الأرجواني الفاتح وشَبكة شَعر من أحجار القمر أهداها إياها من قبل. كان الفُستان طويل الكُمَّين ليُخفي ما على ذراعيها من كدمات، هي هديَّة من چوفري أيضًا، فعندما نما إليه نبأ تنصيب روب ملكًا في الشَّمال كانت غضبته عاتيةً، وأرسلَ السير بوروس ليضربها.

- «هيا بنا؟»، قال السير آريس ومَدَّ ذراعه لتتأبَّطها، فتركَته يقودها إلى خارج غُرفتها. إذا لم يكن هناك مفرٌّ من أن يُلازمها أحد فُرسان الحَرس الملكي كظِلِّها، فهي تُفَضِّل أن يكون هو وليس أحدًا من الآخَرين، فالسير بوروس سريع الغضب، والسير مرين بارد الأسلوب، والنَّظرة الميتة في عيني السير ماندون تُشعِرها بعدم الرَّاحة، بينما يُعامِلها السير پرستون كطفلةٍ بَلهاء. السير آريس أوكهارت -على عكس هؤلاء- لطيف المعشر ويُعامِلها بدماثة، حتى إنه اعترضَ ذات مرَّةٍ عندما أمرَه چوفري بأن يضربها. صحيحٌ أنه ضربَها في النِّهاية، لكن ليس بالقوَّة نفسها كالسير مرين أو السير بوروس، وعلى الأقل جادلَ قبل أن يُطيع الأمر. الآخَرون يُطيعون بلا مناقَشة... باستثناء كلب الصَّيد، وإن لم يَحدُث أن أمرَه چوف بأن يُعاقِبها من قبل، فهو يستعين دائمًا بالخمسة الآخَرين لهذا الغرض.

كان للسير آريس شَعر بُنِّيٌّ فاتح ووجه ليس بالقبيح، واليوم جعلَ من نفسه صورةً بالغة الأناقة وقد ثبَّت معطفه الحريري الأبيض عند الكتف بدبُّوسٍ على شكل ورقة شجرٍ ذهبيَّة، وارتدى سُترةً زيَّنت صدرها شجرة سنديانٍ غزيرة الفروع مشغولة بخيوطٍ ذهبيَّةٍ برَّاقة. سألَته سانزا وهما ينزلان السَّلالم وقد تأبَّطت ذراعه: «مَن تحسبه سيفوز بمراتب الشَّرف اليوم؟».

أجابَ السير آريس مبتسمًا: «أنا، لكني أخشى أنه سيكون فوزًا بلا طعم، فالمضمار صغير ومتواضع، ولن يشترك في المباريات غير أربعين على



الأكثر، بمن فيهم مُرافِقو الفُرسان والمُحارِبون غير النِّظاميِّين. ليس هناك الكثير من الشَّرف في إسقاط صبيٍّ غِرٍّ عن ظَهر حصانه».

تذكَّرت سانزا دورة المباريات السَّابقة وكم كانت مختلفةً. كان الملك روبرت قد أقامَها على شَرف أبيها، ومن جميع أنحاء البلاد أتى كبار اللوردات والأبطال الذين تُحكى عنهم الحكايات ليُشارِكوا فيها، وجاءَت المدينة كلها لتتفرَّج. تذكَّرت كم كانت بهيَّةً تُكَلِّلها الفخامة؛ الحقل المليء بالسُّرادقات المنصوبة بطول النَّهر وكيف علَّق كلُّ فارسٍ تُرسه أمام بابه، والصَّف الطَّويل من الرَّايات الحريريَّة التي تُرَفرِف في الهواء، وألق نور الشَّمس المنعكِس على الفولاذ اللَّامع ومهامز الخيل المذهَّبة. طول النَّهار دوَّت أصوات الأبواق والحوافر، وامتلأَت اللَّيالي بالولائم والأغاني. تلك كانت أكثر الأيام سِحرًا في حياتها على الإطلاق، لكنها تبدو الآن كذكرى من زمنٍ آخَر، فقد ماتَ روبرت باراثيون، وماتَ أبوها مقطوع الرَّأس باعتباره خائنًا على عتبة سِپت بيلور الكبير، والآن هناك ثلاثة ملوكٍ في البلاد، والحرب مشتعلة وراء نهر الثَّالوث، بينما تمتلئ المدينة بالبائسين اليائسين. لا عجب أنهم أقاموا دورة مباريات جوف وراء أسوار القلعة الحمراء الحجريَّة السَّميكة.

- «هل تعتقد أن الملكة ستحضر؟». كانت سانزا تَشعُر دومًا بأمانٍ أكثر في وجود سرسي التي تكبح جماح ابنها.

- «أخشى أنها لن تفعل يا سيِّدتي. المجلس مجتمع لمسألةٍ عاجلة»، أجابَ السير آريس، ثم خفضَ صوته مضيفًا: «اللورد تايوين استقرَّ في هارنهال بدلًا من أن يقود جيشه إلى المدينة كما أمرَت الملكة، وجلالتها مستشيطة غضبًا»، ولاذَ بالصَّمت مع مرور طابورٍ من حَرس لانستر بهما، وقد ارتدوا المعاطف القرمزيَّة والخوذات ذات ريشة الأسد. السير آريس مولعٌ بالنَّميمة، لكن فقط عندما يستوثِق من أن لا أحد غير مرغوب يسمعه.

نصبَ النجَّارون المنصَّة والمضمار في الفِناء الخارجي. كان المنظر بائسًا في الحقيقة، والحُضور القلائل الذين جاءوا ليُشاهِدوا المباريات لم يملأوا أكثر من نِصف المقاعد. معظم المتفرِّجين كانوا من حَرس المدينة ذوي المعاطف الذَّهبيَّة أو حَرس عائلة لانستر ذوي المعاطف القرمزيَّة، أمَّا



اللوردات والليديهات فلم يحضر منهم غير القِلَّة القليلة التي تبقَّت في البلاط. كان اللورد جايلز روزبي يَسعُل في منديلٍ مربَّع من الحرير الوردي، والليدي تاندا محاطةً بابنتيها، لوليس البليدة الهادئة وفاليس ذات اللِّسان اللَّاذع. الأمير چالابار شو ذو البشرة الأبنوسيَّة كان منفيًّا بلا ملاذٍ آخَر، والليدي إرميساند مجرَّد رضيعةٍ جالسة في حِجر مُرضِعتها. يقولون إنهم سيُزَوِّجونها قريبًا من أحد أبناء عمومة الملكة، كي يُسيطِر آل لانستر على أراضيها.

كان الملك مستترًا من الشَّمس تحت ظُلَّةٍ قرمزيَّة، وقد أراحَ ساقه باستهتارٍ على ذراع كرسيه الخشبي المنقوش، وجلسَت الأميرة مارسلا والأمير تومن وراءه، فيما وقفَ ساندور كليجاين في مؤخِّرة المقصورة الملكيَّة منتبهًا وقد أراحَ يديه على حزام سيفه، وانسدلَ معطف الحَرس الملكي الأبيض المثبَّت بدبُّوسٍ محلًّى بالجواهر من على كتفيه العريضتين، وقد بدا لون قُماش المعطَف الثَّلجي غير طبيعيٍّ بشكلٍ ما فوق الصُّدرة البُنِّيَّة الخشنة والسُّترة الجلديَّة المرصَّعة بالأزرار الحديديَّة اللتين ارتداهما. «الليدي سانزا»، أعلنَ كلب الصَّيد باقتضابٍ بصوته الخشن كالمنشار في الخشب عندما رآها، وقد ارتعشَ جانِب فمه كما يفعل كلما تكلَّم، بسبب النُّدوب التي خلَّفها الحريق في وجهه وعُنقه.

هزَّت الأميرة مارسلا رأسها بتحيَّةٍ خجول على ذِكر اسم سانزا، أمَّا الأمير تومن الصَّغير ذو الجسم الممتلئ فوثبَ من مكانه بحماسةٍ قائلًا: «هل سمعتِ يا سانزا؟ سأشترِكُ في المباريات اليوم. أمِّي سمحَت لي بالرُّكوب». كان تومن في الثَّامنة من العُمر لا أكثر، يُذَكِّرها بأخيها الصَّغير بران لكون الاثنين في السِّنِّ نفسها.

بران في وينترفل الآن، قعيد لكن آمِن، وكانت سانزا لتدفع أيَّ ثَمَنٍ لتكون معه في هذه اللَّحظة. قالت لتومن برصانة: «كم أخشى على حياة خصومك إذن».

قال چوف وهو ينهض: «خصومه سيكونون محشوِّين بالقَش». كان الملك يرتدي واقي صدرٍ مذهَّبًا نُقِشَ عليه أسدٌ فغرَ فاه بالزَّئير، كأنه يتوقَّع



أن تبتلعهم الحرب في أيِّ لحظة. إنه في الثَّالثة عشر من العُمر اليوم، وطويل القامة بالنِّسبة لسِنِّه، له ذَهب شَعر أبناء عائلة لانستر وخُضرة أعيُنهم.

قالت وهي تنحني تحيَّةً: «جلالة الملك».

وانحنى السير آريس بدوره قائلًا: «أستميحك عُذرًا يا جلالة الملك، يجب أن أجهِّز نفسي للمضمار».

صرفَه چوفري بإشارةٍ مقتضبةٍ من يده وقد أمعنَ النَّظر في سانزا من قمَّة رأسها حتى أخمص قدميها، ثم قال: «يَسُرُّني أنكِ ارتديتِ أحجاري الكريمة».

إذن فقد قرَّر الملك أن يلعب دور الشَّهم النَّبيل اليوم. بَثَّ هذا شعورًا بالارتياح في سانزا، فقالت: «أشكرك عليها... وعلى كلماتك الرَّقيقة. أتمنَّى لك يوم ميلادٍ مبارَكًا يا جلالة الملك».

- «اجلسي»، قال چوف بلهجةٍ آمرة وهو يُشير إلى الكرسي الفارغ المجاور له. «هل سمعتِ؟ لقد ماتَ الملك الشحَّاذ».

- «مَن؟». للحظةٍ خشيَت سانزا أنه يقصد أخاها روب.

- «ڤسيرس، آخِر أبناء الملك المجنون إيرس. كان يهيم في المُدن الحُرَّة مِن قبل أن أولَد ويدعو نفسه ملكًا. أمِّي تقول إن الدوثراكي توَّجوه أخيرًا... بالذَّهب المصهور»، وأطلقَ ضحكةً وتابعَ: «هذا طريف، أليس كذلك؟ التنِّين كان رمزهم، فلو أن ذئبًا قتلَ أخاكِ الخائن لكان الأمر بالطَّرافة نفسها تقريبًا. ربما أُطعِمه للذِّئاب فعلًا بَعد أن أوقِع به. هل قلتُ لك إنني أنوي أن أواجهه في قتالٍ فردي؟».

- «كم أحبُّ أن أرى هذا يا جلالة الملك». أكثر مما تتوقَّع. ألقَت سانزا ردَّها بنبرةٍ هادئةٍ مهذَّبة، وعلى الرغم من ذلك ضيَّق چوفري عينيه محاولًا أن يستشفَّ إن كانت تسخَر منه، فسارعَت تسأله: «هل ستشترك في المباريات اليوم؟».

عقدَ الملك حاجبيه مجيبًا: «السيِّدة والدتي قالت إن هذا لن يليق لأن المباريات مُقامة على شَرفي، ولولا هذا لكنت البطل اليوم، أليس كذلك أيها الكلب؟».

ارتعشَ فم كلب الصَّيد وهو يردُّ: «ضد هذه الشِّرذمة؟ طبعًا، ولِمَ لا؟».



تذكَّرت سانزا أنه كان بطل دورة المباريات التي أقيمَت على شَرف أبيها، فسألَته: «هل ستُشارِك في النِّزال اليوم يا سيِّدي؟».

أجابَها كليجاين بصوتٍ امتلأ بالازدراء: «الأمر لا يستحقُّ أن أسلِّح نفسي حتى. إنها دورة للبعوض».

قال الملك ضاحكًا: «لكلبي نباحٌ هادرٌ حقًّا. ربما عليَّ أن آمُره بأن يُقاتِل بطل اليوم حتى الموت». كان چوفري مغرمًا بجعل الرِّجال يتقاتَلون حتى الموت.

- «عندئذٍ سيَنقُص فُرسانك واحدًا». لم يُرَدِّد كلب الصَّيد قَسم الفُرسان قَطُّ، لكن أخاه فارس، وهو يبغض أخاه.

دوَّت الأبواق، فعادَ الملك يستقرُّ في كرسيه والتقطَ يد سانزا. في السَّابق كان هذا كفيلًا بأن يجعل ضربات قلبها تتسارَع، لكن ذلك كان قبل أن يستجيب لالتماسها الرَّحمة بأن قدَّم لها رأس أبيها. الآن تملؤها لمسته بالاشمئزاز، لكنها أعقل من أن تُبدي هذا، فجعلَت نفسها تجلس بمنتهى الثَّبات.

نادى مُنادٍ: «السير مرين ترانت فارس الحَرَس الملكي».

دخلَ السير مرين من الجهة الغَربيَّة للسَّاحة مدرَّعًا بالصَّفائح المعدنيَّة البيضاء البرَّاقة التي نُقِشَت بالذَّهب، وقد امتطى جوادًا أبيض كالحليب له لِبدة رماديَّة مسترسلة، وخفقَ معطفه من ورائه كحقلٍ اكتسى بالثُّلوج، وفي يده حملَ رُمحًا طوله اثنا عشر قدمًا.

صاحَ المُنادي: «السير هوبر سليل عائلة ردواين من «الكرمة»»، فدخلَ السير هوبر من الشَّرق راكبًا فَحلًا أسود عليه كسوة جمعَت بين اللَّونين الخمري والأزرق، وهما اللَّونان نفساهما اللذان رُسِمَت بهما الخطوط على رُمحه، بينما زيَّن عنقود العنب رمز عائلته التُّرس الذي يحمله. كان التَّوأمان ردواين ضيفيَّ الملكة بغير إرادتهما، تمامًا مِثل سانزا نفسها التي تساءلَت عن صاحِب فكرة أن يشترك الأخوان في دورة مباريات چوفري، وخمَّنت أنها ليست فكرتهما.

بإشارةٍ من قيِّم الاحتفالات، سدَّد المُقاتلان رُمحيهما وهمزَ كلٌّ منهما حصانه، لترتفع صيحات الحرَّاس المتفرِّجين واللوردات والليديهات



الجالسين على المنصَّة، وفي منتصَف السَّاحة التقى الفارسان بصدمةٍ هائلة من الفولاذ والخشب، وانفجرَ الرُّمح الأبيض قبل الرُّمح المخطَّط إلى آلاف الشَّظايا بفارِق ثانيةٍ واحدة، ليترنَّح هوبر ردواين من عُنف الارتطام، وإن تمكَّن بشكلٍ ما من أن يظلَّ فوق سَرجه. دارَ الفارسان بحصانيهما عند طرفي المضمار القَصبيَّين والتقطَ كلٌّ منهما رُمحًا جديدًا من مُرافِقه، بينما صاحَ السير هوراس ردواين توأم السير هوبر مشجِّعًا أخاه. لكن في المحاوَلة الثَّانية سدَّد السير مرين رأس رُمحه ليضرب السير هوبر في صدره ويُسقِطه من على ظَهر الحصان فيضرب الأرض بضجَّةٍ مسموعة. أطلقَ السير هوراس سبابًا وهرعَ ليُساعِد أخاه المضَعضَع على الخروج من المضمار.

أعلنَ الملك چوفري: «أداء سيِّئ».

جاءَت صيحة المُنادي: «السير بالون سوان من ستونهلم في منطقة «الدِّيدب الأحمر»»، فدخلَ السير بالون وقد زيَّن خوذته العظيمة جناحان أبيضان منبسطان، بينما تقاتلَت البجعات البيضاء والسَّوداء على تُرسه. ثم صاحَ المُنادي من جديد: «مرروس سليل عائلة سلينت ووريث اللورد چانوس سيِّد هارنهال».

- «انظُروا إلى هذا الأبله المختال»، صاحَ چوف مستهزئًا بصوتٍ سمعَه نِصف مَن في السَّاحة. كان مرروس مجرَّد مُرافِقٍ لفارس، وحديث العهد في هذا كذلك، وتجلَّت مُعاناته في التحكُّم في رُمحه وتُرسه للجميع. كانت سانزا تعرف أن الرُّمح هو سلاح الفارس، بينما عائلة سلينت كلها وضيعة النَّسب، واللورد چانوس لم يكن أكثر من قائدٍ لحَرس المدينة قبل أن يرفعه چوفري لسيادة هارنهال ويَضُمَّه إلى مجلسه.

فكَّرت سانزا بمرارة: ليته يَسقُط ويُكلِّل نفسه بالخزي، ليت السير بالون يقتُله. عندما أعلنَ چوفري موت أبيها، كان چانوس سلينت هو من قبضَ على رأس اللورد إدارد المقطوع من شَعره ورفعَه عاليًا ليراه الملك والجمهور، بينما انفجرَت سانزا في البكاء والصُّراخ.

ارتدى مرروس معطفًا ذا مربَّعاتٍ من الأسود والذَّهبي فوق درع سوداء عليها زخارف ذهبيَّة ملولَبة، وعلى تُرسه كان الرُّمح الدَّامي الذي اختارَه أبوه



رمزًا لعائلته الجديدة، لكن يبدو أنه لم يكن يدري ماذا يفعل بالتُّرس وهو يحثُّ حصانه على التقدُّم، فضربَ رأس رُمح السير بالون الرَّمز المربَّع على تُرسه مباشرةً، وأسقطَ موروس رُمحه وهو يُكافِح للحفاظ على توازُنه لكنه أخفقَ، وعلقَت قدمه في رِكاب الحصان وهو يَسقُط، فجَرَّ الحصان الهارب الشَّاب حتى نهايةِ المضمار ورأسه يرتطم بالأرض. أطلقَ چوف صيحةً ساخرةً، بينما تساءلَت سانزا مرتاعةً في قرارة نفسها إن كانت الآلهة قد سمعَت دُعاءها المحمَّل برغبة الانتقام، لكن عندما نجحوا في تحرير موروس سلينت من حصانه وجدوه ينزف لكن حيًّا. «لقد اخترنا الخصم الخطأ لك يا تومن»، قال الملك لأخيه. «الفارس المصنوع من القَشِّ يستطيع النِّزال أفضل من هذا».

بَعدها جاءَ دور السير هوراس ردواين الذي أبلى بلاءً أحسن من توأمه، وتغلَّب على فارس مُسِنٍّ زيَّنت كسوة حصانه الجريفينات[1] الفضِّيَّة على خلفيَّةٍ من خطوط الأزرق والأبيض، لكن على الرغم من بهاء مظهره كان أداء العجوز ضعيفًا، فقال چوفري متبرِّمًا: «هذا عرض رديء».

قال كلب الصَّيد: «لقد حذَّرتك، إنهم بعوض لا أكثر».

كان الملك قد بدأ يُصاب بالسَّأم، وهو ما أثارَ توتُّر سانزا، فخفضَت نظرها وقرَّرت أن تلتزم الصَّمت مهما حدثَ. عندما يعتلُّ مزاج چوفري باراثيون، فمن شأن أيِّ كلمةٍ طائشة أن تُشعِل واحدةً من نوبات ثورته.

صاحَ المُنادي: «لوثور برون، مُحارِب غير نظامي في خدمة اللورد بايلش. السير دونتوس الأحمر سليل عائلة هولارد». كان المُحارِب غير النِّظامي رجلًا صغير الحجم يرتدي درعًا مليئةً بالانبعاجات وخاليةً من الرُّموز، وقد دخلَ من فوره من جانِب السَّاحة الغَربي، بينما غابَ كلُّ أثرٍ لخصمه، إلى أن لاحَ للأعيُن أخيرًا فَحل كستنائي كُسوته كدوَّامة من الحرير القرمزي والأحمر الدَّموي، لكن السير دونتوس نفسه لم يكن على متنه. ظهرَ الفارس بَعد لحظاتٍ وهو يسبُّ ويترنَّح، وقد ارتدى واقي صدرٍ وخوذةً مزيَّنةً بالرِّيش، ولا شيء آخَر. كانت ساقاه مصفرَّتين نحيلتين، وتمايلَ ذَكره بشكلٍ

(1) الجريفين مخلوق أسطوري له جسم أسد ورأس وجناحا عُقاب.



مقزِّز وهو يهرع وراء حصانه. هدرَ المتفرِّجون وضجُّوا بالشَّتائم، بينما أمسكَ السير دونتوس الحصان من لِجامه محاولًا أن يمتطيه، لكنِ الحيوان رفضَ أن يثبت في مكانه، والفارس كان ثملًا لأقصى حَدٍّ وحاولَ أن يضع قدمه الحافية في الرِّكاب عدَّة مرَّاتٍ ولم ينجح. عندئذٍ كان ضحك المتفرِّجين يُدَوِّي في المكان كله... جميعهم باستثناء الملك. في عيني چوفري كانت نظرة تَذكُرها سانزا جيِّدًا، النَّظرة ذاتها التي أطلَّت منهما في ذلك اليوم في سِپت بيلور الكبير عندما حكمَ بالموت على اللورد إدارد ستارك. في النِّهاية استسلمَ السير دونتوس الأحمر وجلسَ في التُّراب وخلعَ خوذته ذات الرِّيش، وصاحَ: «أنا الخاسر، أحضِروا لي نبيذًا».

نهضَ الملك وصاحَ: «برميل نبيذ من الأقبية! سأجعله يغرق فيه!».

سمعَت سانزا نفسها تشهق وتندفع قائلةً: «لا، لا يُمكنك أن تفعل هذا».

أدارَ چوفري رأسه لها وقال: «ماذا قلتِ؟».

لم تُصَدِّق سانزا أنها تكلَّمت حقًّا. هل جُنَّت؟ تقول له لا أمام نِصف الحاشية؟ إنها لم تعنِ أن تقول شيئًا، لكن... السير دونتوس كان ثملًا وسخيفًا وعديم القيمة، لكنه لا يقصد إساءةً.

- «هل قلتِ إنني لا يُمكنني؟ أهذا ما قلتِه؟».

ردَّت سانزا: «أرجوك. قصدتُ فقط أنه... أنه طالِعٌ سيِّئ يا جلالة الملك إذا... إذا قتلت رجلًا في يوم ميلادك».

قال چوفري: «أنتِ تكذبين. حريٌّ بي أن أُغرِقكِ معه بما أنكِ تهتمِّين لأمره هكذا».

خرجَت الكلمات منها يائسةً راجفةً وهي تقول: «أنا لا أبالي به إطلاقًا يا جلالة الملك. فلتُغرقه أو تقطع رأسه، إنما... اقتله غدًا إذا أردت، لكن أرجوك... ليس اليوم، ليس في يوم ميلادك. لن أحتمل أن يُصيبك طالِع سيِّئ، طالع شنيع حتى بالنِّسبة للملوك... كلُّ المغنِّين يقولون هذا...».

رمقَها چوفري مقطِّبًا وجهه. كان يعرف أنها تكذب، وهي تعي هذا، وسوف يجعلها تنزف من أجل ما قالته.

- «الفتاة على حق»، قال كلب الصَّيد بصوته المبحوح. «ما يزرعه الرَّجل



يوم ميلاده يحصده طيلة أيام العام». كانت نبرته خاليةً من أيِّ تعبير، كأنه لا يكترث مقدار ذرَّةٍ إن صدَّقه الملك أم لا. أمن الممكن أن هذا حقيقيٌّ فعلًا؟ لم تكن سانزا تعرف، وما قالته كان مجرَّد كلام تُحاوِل أن تتحاشَى به العقاب.

اعتدلَ چوفري بغير رضا في جلسته، وطرَقَعَ أصابعه ناحية السير دونتوس قائلًا: «خُذوه. سآمرُ بقتل هذا المهرِّج غدًا».

قالت سانزا: «هو كذلك حقًّا، مهرِّج. كم أنت لمَّاح لترى هذا. إنه يَصلُح لأن يكون مهرِّجًا لا فارسًا، أليس كذلك؟ يَجدُر بك أن تُلبسه ثياب المهرِّجين وتجعله مهرِّجًا حقيقيًّا. إنه لا يستحقُّ رحمة الموت السَّريع».

تفحَّصها الملك لحظةً، ثم قال: «لعلَّكِ لستِ بالغباء الذي تظنُّه أمِّي»، ورفعَ صوته معلنًا: «هل سمعت سيِّدتي يا دونتوس؟ من اليوم أنت مهرِّجي الجديد. يُمكنك أن تنام مع فتى القمر وترتدي ثياب المهرِّجين».

اعتدلَ السير دونتوس ليجلس على رُكبتيه وقد أفاقَ مع احتكاكه الوشيك بالموت، وقال: «أشكرك يا جلالة الملك، وأنتِ يا سيِّدتي، أشكركِ».

قادَه اثنان من حَرس لانستر بعيدًا، بينما اقتربَ قيِّم الاحتفالات من المقصورة وسألَ: «هل أستدعي مُنازِلًا جديدًا لبرون يا جلالة الملك، أم نشرع في النِّزال التَّالي؟».

- «لا هذا ولا ذاك. هؤلاء بعوض وليسوا فُرسانًا. كنتُ لآمرَ بقتلهم جميعًا لولا أنه يوم ميلادي. المباريات انتهَت. فليَغرُبوا جميعًا عن وجهي».

انحنى قيِّم الاحتفالات، لكن الأمير تومن لم يتحلَّ بطاعته، وقال معترضًا: «لكن من المفترَض أن أُنازِل الرَّجل القَش».

- «ليس اليوم».

- «لكني أريدُ أن أركب!».

- «لا أبالي بما تُريده».

- «أمِّي قالت إنني سأركب!».

قالت الأميرة مارسلا مؤكِّدةً: «هذا ما قالته».

قال الملك ساخرًا: «أمِّي قالت. لا تكوني طفوليَّةً هكذا!».

ردَّت مارسلا بكبرياء: «نحن أطفال، من المفترَض أن نكون طفوليِّين!».



ضحكَ كلب الصَّيد قائلًا: «لديها حقٌّ تمامًا».

قال چوفري وقد غُلِبَ على أمره: «ليكن. حتى أخي لن يكون أسوأ من هؤلاء الآخَرين. أحضِر الطَّاووس[1] أيها القيِّم، فتومن يُريد أن يكون بعوضةً».

أطلقَ تومن صيحة فرح وهرعَ ليُجَهِّزوه ولحم ساقيه الصَّغيرتين الثَّخينتين يهتزُّ بقوَّة، ونادَته سانزا قائلَةً: «حظًّا سعيدًا».

نصَبوا الطَّاووس في أقصى المضمار بينما تم تزويد حصان الأمير القزم بسَرجه. كان خصم تومن عبارةً عن مُحاربٍ جلديٍّ في حجم طفل، محشو بالقَشِّ ومثبَّت على محور، في يده تُرس وفي الثَّانية رُمح مصنوع من البطانة. كان أحدهم قد ركَّب قرني وعل على رأس الفارس، وتذكَّرت سانزا أن الملك روبرت أبا چوفري كان يضع قرونًا على خوذته... وكذلك عمَّه اللورد رنلي شقيق روبرت، الذي استحالَ خائنًا وتوَّج نفسه ملكًا.

ساعدَ اثنان من مُرافِقي الفُرسان الأمير على ارتداء درعه المزخرفة ذات اللَّونين الفضِّي والقرمزي، ومن رأس خوذته امتدَّت ريشات حمراء طويلة، وعلى تُرسه أخذَ أسد لانستر ووعل باراثيون المتوَّج يمرحان معًا. عاونَه الصَّبيان على ركوب حصانه القزم، ثم تقدَّم السير أرون سانتاجار قيِّم السِّلاح في القلعة الحمراء وناولَ تومن سيفًا طويلًا ذا نصلٍ غير حاد له شكل ورقة الشَّجر، صُنِعَ ليُناسِب يد الأمير ذي الثَّمانية أعوام، فرفعَ تومن السَّيف عاليًا وصاحَ بصوتٍ صبيانيٍّ مرتفع: «كاسترلي روك!»، ووكزَ الحصان واندفعَ فوق الأرض الممهَّدة نحو الطَّاووس. أطلقَت الليدي تاندا واللورد جايلز صيحات تشجيعٍ ضعيفة، فضمَّت سانزا صوتها إليهما، بينما جلسَ الملك وتفرَّج صامتًا.

هرولَ الحصان القزم برشاقةٍ حاملًا تومن الذي لوَّح بسيفه بقوَّةٍ وسدَّد ضربةً مُحكمةً لتُرس الفارس أثناء اندفاعته، فدارَ الطَّاووس وطارَ معه الرُّمح المبطَّن ليضرب الأمير على مؤخِّرة رأسه بعُنف، ليَسقُط من فوق السَّرج

---

[1] الطاووس مجسَّم على شكل إنسان، يُستخدَم في التَّدريب على النِّزال، وعادةً ما يُثبَّت تُرس في إحدى يديه، وفي الثَّانية سيف أو رُمح غير حاد.



وتُخَشخِش درعه كجوالٍ من القدور القديمة وهو يصطدم بالأرض. طارَ سيفه من يده وخَبَّ الحصان بعيدًا عبر الفِناء، بينما تفجَّرت الضَّحكات السَّاخرة من الحضور، وكانت ضحكات چوفري هي الأعلى والأطول.

صاحَت الأميرة مارسلا: «أوه!»، واندفعَت خارجةً من المقصورة نحو أخيها الصَّغير.

وجدَت سانزا نفسها وقد تملَّكتها شَجاعة خرقاء غريبة، فقالت للملك: «يَجدُر بك أن تذهب معها، فلربما تأذَّى أخوك».

هَزَّ كتفيه قائلًا: «وماذا في ذلك؟».

- «يَجدُر بك أن تُساعِده وتُخبِره أنه أبلى بلاءً حسنًا في الرُّكوب». كان يبدو أن سانزا لا تستطيع أن تمنع نفسها من الكلام.

- «لقد سقطَ عن حصانه في التُّراب. هذا ليس بلاءً حسنًا».

تدخَّل كلب الصَّيد قائلًا: «انظُر، الصَّبي شُجاع وسيُحاوِل ثانيةً».

فكَّرت سانزا وهُم يُساعِدون الأمير تومن على ركوب الحصان القزم: ليت تومن كان الأخ الأكبر وليس چوفري. ليس لديَّ مانع في الزواج بتومن.

فاجأَتهم الأصوات التي أتَت من مبنى البوَّابة دون سابق إنذار، وصلصلَت السَّلاسل والشَّبكة الحديديَّة تُسحَب إلى أعلى، ثم انفتحَ المصراعان الضَّخمان لتُصدِر مفصلاتهما صريرًا. سألَ چوفري: «مَن قال لهم أن يفتحوا البوَّابات؟». كانت بوَّابات القلعة الحمراء مغلَقةً منذ أيام مع الاضطرابات السَّائدة في المدينة.

خرجَ صَفٌّ من راكبي الخيل من تحت الشَّبكة الحديديَّة يصحَبهم رنين الفولاذ وهدير الحوافر، فخطا كليجاين من فوره مقتربًا من الملك وقد وضعَ يده على مقبض سيفه الطَّويل. كان الزُّوَّار منهَكين مغبَّرين ويرتدون دروعًا كثيرة الانبعاجات، وإن حملوا راية لانستر ذات الأسد الذَّهبي على خلفيَّته القرمزيَّة. بعضهم كان يرتدي المعاطف الحمراء وقمصان الحلقات المعدنيَّة كجنود لانستر، لكن أكثرهم من المُحارِبين غير النِّظاميِّين والمرتزِقة الذين يرتدون دروعًا غير متناسقة ويحملون أسلحةً من الفولاذ الحاد... وكان هناك آخَرون، رجال همجيُّون مخيفو المنظر خرَجوا من واحدةٍ من حكايات



العجوز نان القديمة، الحكايات المرعبة التي أحبَّها بران، يرتدون الفرو الرَّثَّ والجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي ولهم شَعر طويل ولحى ثائرة. كان بعضهم يضع ضمَّاداتٍ ملوَّثة بالدِّماء على جبهته أو يلفُّها حول يده، والبعض الآخَر تَنقُصه أعين وآذان وأصابع.

وفي وسطهم، على صهوة حصانٍ أحمر طويل وفوق سرج عالٍ يحتضنه من الأمام والخلف، كان تيريون لانستر أخو الملكة القزم الذي يُسَمُّونه العِفريت. كان قد تركَ لحيته تنمو لتُغَطِّي وجهه المضغوط إلى الدَّاخل حتى أصبحَت كُتلةً متشابكةً كثَّةً من الشَّعر الأصفر والأسود الخشن كالسِّلك، وعلى ظَهره انسدلَ معطف مصنوع من فرو قِطط الظِّل الأسود المخطَّط بالأبيض. كان يُمسِك العِنان بيده اليُمنى، بينما وضعَ ذراعه اليُسرى في مِعلاقٍ من الحرير الأبيض، لكن فيما عدا ذلك بدا متنافر الملامح كما تذكَّرته سانزا من زيارته لوينترفل، وبجبهته المنتفخة وعينيه غير المتماثلتين كان لا يزال أقبح رجلٍ رأته على الإطلاق.

لكن تومن همزَ حصانه القزم واندفعَ به بلا تردُّدٍ عبر السَّاحة وهو يصيح بسرور، فتحرَّك واحد من الهمجيِّين -رجل ضخم الجثَّة ثقيل الحركة، كثيف الشَّعر جدًّا لدرجة أن ملامحه كادَت تغيب وراءه- والتقطَ الصَّبي بدرعه وسيفه من فوق السَّرج وأودعَه على الأرض إلى جوار خاله، وتردَّد صدى ضحكات تومن اللَّاهثة على الجُدران وتيريون يُرَبِّت على واقي ظَهره، وأدهشَ سانزا أن رأت أن الاثنين طولهما واحد. جاءَت مارسلا تجري بَعد أخيها، ورفعَها القزم من خصرها ودارَ بها في دائرةٍ وهو يصيح، ثم عادَ الرَّجل الصَّغير يضعها على الأرض وطبعَ قُبلةً خفيفةً على جبهتها، قبل أن يقطع السَّاحة بخطواتٍ متمايلة نحو چوفري وفي أعقابه اثنان من رجاله، مرتزِق أسود الشَّعر والعينين يتحرَّك بخفَّة القِطَّة، وشاب نحيف ذو محجر عينٍ خاوٍ، ومن ورائهما جاءَ تومن ومارسلا.

ركعَ القزم على رُكبته أمام الملك قائلًا: «جلالة الملك».

قال چوفري: «أنت».



- «أنا»، قال العِفريت. «وإن كنتُ أستحقُّ تحيَّةً ألطف من هذه بصفتي خالك وأكبُرك سِنًّا».

قال كلب الصَّيد: «قالوا إنك مُتَّ».

نظرَ الرَّجل الصَّغير إلى الرَّجل الكبير بعينين إحداهما خضراء والثَّانية سوداء، وكلتاهما باردة تمامًا، وقال: «كنتُ أُخاطِب الملك وليس كلبه».

قالتِ الأميرة مارسلا: «أنا سعيدة لأنك لم تَمُت».

- «أُشارِككِ الرَّأي يا حُلوتي»، ثم التفتَ إلى سانزا قائلًا: «سيِّدتي، أنا آسفٌ لخسارتك. الآلهة قاسية حقًّا».

لم تستطِع سانزا التفكير في كلمةٍ تقولها له. كيف يُمكن أن يكون آسفًا لخسارتها؟ أيسخر منها؟ ليست الآلهة هي القاسية، بل چوفري.

قال القزم: «آسفُ لخسارتك أيضًا يا چوفري».

- «أيُّ خسارة؟».

- «خسارة أبيك على ما أعتقد؟ كان رجلًا ضخمًا قويًّا أسود اللِّحية. ستتذكَّره إذا حاولت. كان الملك قبلك».

- «أوه، هو، نعم، كان هذا مُحزِنًا للغاية، أن يَقتُله خنزير برِّي».

- «أهذا ما يقولونه يا جلالة الملِك؟».

قطَّب چوفري وجهه، فشعرَت سانزا أن عليها أن تقول شيئًا. ما الذي كانت السِّپتة موردن تُرَدِّده لها؟ الليدي درعها اللَّباقة، نعم. هكذا ارتدَت درعها وقالت: «يُؤسِفني أن السيِّدة والدتي أخذَتك أسيرًا يا سيِّدي».

رَدَّ تيريون: «أناسٌ كثيرون للغاية آسفون لهذا، وقد يأسف البعض أكثر بمراحل قبل أن أنتهي، لكن أشكركِ على رقَّتكِ. چوفري، أين يُمكنني أن أجد أمَّك؟».

أجابَ الملك: «إنها مع أعضاء مجلسي. أخوك چايمي يخسر المعركة وراء المعركة»، وحدجَ سانزا بنظرةٍ غاضبة كأنه خطؤها. «لقد أسرَه آل ستارك وخسرنا ريڤرزن، والآن أخوها الأحمق يُسَمِّي نفسه ملكًا».

ابتسمَ القزم ابتسامته المعوجَّة وقال: «كلُّ أصناف النَّاس يُسَمُّون أنفسهم ملوكًا هذه الأيام».



لم يدرِ چوف ماذا يستنتج من هذا، وإن بدا مرتابًا مرتبكًا، ثم قال: «نعم. طيِّب، أنا مسرور لأنك لم تَمُت يا خالي. هل أحضرت لي هديَّةً ليوم ميلادي؟».

- «نعم، عقلي».

- «أفضلُ رأس روب ستارك»، قال چوف موجِّهًا نظرةً خبيثةً إلى سانزا. «تومن، مارسلا، هيا بنا».

تخلَّف ساندور كليجاين عنهم لحظةً وقال محذِّرًا: «لو كنتُ مكانك لحفظت لساني أيها الرَّجل الصَّغير»، ثم تحرَّك بخطوات واسعة وراء مليكه.

هكذا تُرِكَت سانزا وحدها مع القزم ووحوشه. حاولَت أن تُفَكِّر في شيءٍ آخَر تقوله، وفي النِّهاية خرجَت منها الكلمات: «لقد جرحت ذراعك».

- «واحد من رجالكم الشَّماليِّين أصابَني بكرةٍ شائكة في معركة الفرع الأخضر، ونجوتُ منه بالوقوع من فوق حصاني»، ثم استحالَت ابتسامته السَّاخرة إلى تعبيرٍ ألطف وهو يُمعِن النَّظر في وجهها ويقول: «أألم فقدان أبيكِ هو ما يجعلكِ بهذا الحُزن؟».

ردَّت سانزا في الحال: «أبي كان خائنًا، وأخي والسيِّدة والدتي خائنين كذلك». الاستجابة التي تعلَّمتها بسُرعة. «أنا مخلصة لمحبوبي چوفري».

- «بلا شَك، مخلصة كغزالٍ مُحاط بالذِّئاب».

- «بالأُسود»، همسَت بلا تفكير وتطلَّعت حولها بتوتُّر، لكن لم يكن هناك أحد قريب يسمع.

مَدَّ لانستر يده والتقطَ يدها وضغطَها قائلًا: «أنا مجرَّد أسدٍ صغير يا طفلتي وأقسمُ لك أنني لن أفترسكِ»، ثم انحنى مضيفًا: «لكن يجب أن تسمحي لي بالانصراف الآن، فلديَّ عمل عاجل مع الملكة والمجلس».

راقبَته سانزا إذ ابتعدَ وجسده يتمايَل من جانبٍ إلى جانبٍ مع كلِّ خطوة كشيءٍ من مسرحيَّةٍ غرائبيَّة. كلامه معي أرقُّ من چوفري، لكن الملكة كانت تُكَلِّمني برِقَّة هي الأخرى. إنه لانستر رغم كل شيء، أخوها وخال چوف، وليس صديقًا لي. ذات يوم كانت تُحِبُّ الأمير چوفري من صميم قلبها، وتحترم أمَّه الملكة وتثق بها، لكنهما رَدَّا الحُبَّ والثِّقة برأس أبيها، وسانزا لن ترتكب هذا الخطأ ثانيةً أبدًا.





تيريون

بدا السير ماندون مور في ثياب الحَرس الملكي ذات اللَّون الأبيض البارد كجثَّةٍ ملفوفة بالأكفان وهو يقول: «جلالتها أمرَت بعدم إزعاج المجلس المنعقِد».

قال تيريون: «لن أشكِّل إلَّا إزعاجًا صغيرًا يا سيِّدي»، وسحبَ الرَّق من كُمِّه وتابعَ: «إنني أحملُ رسالةً من أبي اللورد تايوين لانستر، يد الملك، وها هو خَتمه».

- «جلالتها لا ترغب في الإزعاج»، كرَّر السير ماندون ببُطءٍ كأن تيريون أبله ولم يسمَعه أول مرَّة.

كان چايمي قد قال له ذات مرَّةٍ إن مور أخطر رجال الحَرس الملكي (مستثنيًا نفسه كالمعتاد)، لأن ملامحه لا تشي بالمرَّة بما قد يفعله في اللَّحظة التَّالية، وكان تيريون ليُرَحِّب بأيِّ إشارةٍ من الرَّجل. على الأرجح سيَقتُل برون وتيميت الفارسِ إذا وصلَ الأمر لرفْع السِّلاح، رغم أنها لن تكون بشارة خيرٍ إطلاقًا إذا استهلَّ وجوده هنا بقَتل أحد حُماة چوفري. لكن أين سُلطته إذن لو تركَ الرَّجل يصرفه؟ جعلَ نفسه يبتسم، وقال: «سير ماندون، أنت لم تلتقِ برفيقيَّ. هذا تيميت بن تيميت، يد حمراء من قبيلة الرِّجال المحروقين، وهذا برون. لعلَّك تَذكُر السير ڤارديس إيجن الذي كان قائد حَرس أهل بيت اللورد آرن، أليس كذلك؟».

- «أعرفُ الرَّجل». كانت عينا السير ماندون ذاتي لونٍ رماديٍّ شاحب، مُطفَأتين على نحوٍ عجيب ولا حياة فيهما البتَّة.



قال برون مصحِّحًا بابتسامةٍ خفيفة: «كنت تعرفه».

لم يُحاوِل السير ماندون أن يبدو عليه أنه سمعَ ما قيلَ، بينما قال تيريون بكياسة: «علَى كلِّ حال، ينبغي حقًّا أن أرى أختي وأقدِّم لها الرِّسالة يا سيِّدي، فهلَّا تلطَّفت وفتحت لنا الباب؟».

لم يستجب الفارس الأبيض، وكان تيريون على وشك محاوَلة استخدام القوَّة للمرور، عندما تنحَّى السير ماندون جانبًا فجأةً وقال: «يُمكنك الدُّخول، أمَّا هما فلا».

انتصارٌ صغير، لكن حُلو المذاق. لقد نجحَ في اختباره الأول، وهكذا دخلَ تيريون لانستر من الباب وهو يكاد يَشعُر بقامته تستَطيل، ليَبتُر خمسة من أعضاء مجلس الملك الصَّغير حوارهم، وتقول أخته سرسي بنبرةٍ جمعَت بين الإنكار والنُّفور: «أنت».

- «أرى الآن ممَّن تعلَّم چوفري الدَّماثة»، قال تيريون وتوقَّف ليُسَدِّد نظرات الإعجاب إلى تمثالي أبي الهول الڤاليريَّيْن اللذين يَحرُسان الباب، وقد أحاطَ نفسه بهالةٍ من الثِّقة بالنَّفس واللا مبالاة، فسرسي تشتمُّ الضَّعف كما تشتمُّ الكلاب الخوف.

جاسَت فيه عينا أخته الخضراوان الجميلتان بلا أدنى أثرٍ للعاطفة، وسألَته: «ماذا تفعل هنا؟».

- «أوصِّلُ رسالةً من السيِّد والدنا»، وتقدَّم بتؤدةٍ إلى المائدة ووضعَ الرَّقَّ المطويَّ بإحكام بينهما.

التقطَ الخصِيُّ ڤارس الرِّسالة وأدارَها في يديه الرَّقيقتين المدهونتين بالمساحيق، وقال: «لُطف بالِغ من اللورد تايوين، وشمع الخَتم ذو درجةٍ جميلة من الذَّهبي»، وتفحَّص الخَتم بعنايةٍ مُردِفًا: «كلُّ شيءٍ فيه يوحي بأصالته».

قالت سرسي: «إنه أصيل بالطَّبع»، ونتشَت الرِّسالة من يديه لتكسر الشَّمع وتفرد الرَّق.

راقبَها تيريون وهي تقرأ. كانت أخته قد اتَّخذت مقعد الملك لنفسها، ما جعلَه يستنتج أن چوفري -تمامًا مِثل روبرت- لا يُزعِج نفسه كثيرًا بحضور



اجتماعات المجلس، فصعدَ تيريون إلى مقعد اليد وقد بدا له هذا مناسبًا تمامًا.

قالت الملكة أخيرًا: «هذا سُخف. السيِّد والدي أرسلَ أخي ليحلَّ محلَّه في المجلس، ويدعونا لأن نقبل تيريون يدًا للملك حتى يحين الوقت ويستطيع الانضمام إلينا بنفسه».

داعبَ المِايستر الأكبر پايسل لحيته البيضاء الكثيفة وهَزَّ رأسه بتثاقُلٍ قائلًا: «يبدو أن من الواجب أن نُرَحِّب بك إذن».

- «بالتَّأكيد»، قال چانوس سلينت الأصلع ذو اللُّغد الثَّقيل، الذي يبدو في واقع الأمر كضِفدعة، ضِفدعةٍ متأنِّقة معتدَّة بنفسها دون وجه حق. «إننا في أمسِّ الحاجة إليك يا سيِّدي، فالتمرُّد في كلِّ مكان، وهناك هذا النَّذير المروِّع في السَّماء، والشَّغب في طُرقات المدينة...».

قالت سرسي محتدَّةً: «وخطأ مَن هذا أيها اللورد چانوس؟ رجالك ذوو المعاطف الذَّهبيَّة مكلَّفون بالحفاظ على النِّظام. أمَّا أنت يا تيريون فيُمكنك أن تخدمنا بشكلٍ أفضل في ميدان المعركة».

رَدَّ ضاحكًا: «لا، شكرًا، لقد نلتُ كفايتي من ميادين المعارك. إنني أفضِّلُ أن أجلس على كرسيٍّ لا حِصان، وأن أحمل كأسًا من النَّبيذ لا بلطةً. هل تعرفين ما يقولونه عن هدير الطُّبول وبريق الشَّمس على الدُّروع وكيف تصهل الجياد العظيمة وترمح؟ حسن، الطُّبول أصابَتني بالصُّداع، وبريق الشَّمس على درعي طبخَني كإوزَّةٍ في عيد الحصاد، وتلك الجياد العظيمة تتغوَّط في كلِّ مكان! لكني لا أشتكي، فبَعد كرم الضِّيافة الرَّائع الذي استمتعتُ به في وادي آرن، أجدُ أن الطُّبول وبراز الخيل ولسعات الذُّباب من أشيائي المفضَّلة».

ضحكَ الإصبع الصَّغير وقال: «أحسنت القول يا لانستر، أوافِقك الرَّأي تمامًا».

ابتسمَ تيريون له وهو يتذكَّر خنجرًا معيَّنًا ذا مقبضٍ من عظام التِّنين ونصلٍ من الفولاذ الڤاليري. يجب أن نتكلَّم عن هذا، وقريبًا. تُرى هل سيجد اللوردَ پيتر ذلك الموضوع مُضحِكًا أيضًا؟ قال لهم: «رجاءً دعوني أقدِّم ما أستطيعُ من خدمات، حتى وإن صَغُرَت».

قرأت سرسي الرِّسالة مجدَّدًا، ثم سألته: «كم رجلًا أحضرت معك؟».



- «بضع مئات، أغلبهم رِجالي، فأبي لم يرغب في الاستغناء عن أيٍّ من رجاله. إنه في حرب رغم كلِّ شيء».

- «وما فائدة البضع مئات هؤلاء إذا زحفَ رنلي على المدينة أو أبحرَ ستانيس من دراجونستون؟ أطلبُ جيشًا فيُرسِل لي أبي قزمًا. الملك هو من يُنَصِّب اليد بتصديقِ من المجلس، وچوفري نصَّب السيِّد والدنا يدًا».

- «والسيِّد والدنا نصَّبني».

- «لا يُمكنه أن يفعل هذا دون موافَقة چوف».

- «اللورد تايوين في هارنهال مع جيشه إذا كنتِ ترغبين في مُناقَشة الأمر معه»، قال تيريون بكياسة، ثم التفتَ يُخاطِب الآخَرين قائلًا: «أيها السَّادة، هلَّا سمحتم لي بالانفراد بأختي؟».

نهضَ ڤارس بخفَّةٍ وقد رسمَ ابتسامته المداهِنة على وجهه، وقال: «لا بُدَّ أنك اشتقت لسماع صوت أختك العذب. أيها السَّادة، من فضلكم، لنمنحهما بعض الوقت معًا. مشكلات بلادنا واضطراباتها باقية».

نهضَ چانوس سلينت بتردُّد والمِايستر الأكبر پايسلِ بتثاقُل، لكنهما نهضا على كلِّ حال، وتبعهما الإصبع الصَّغير قائلًا: «هل أُخبِر الوكيل أن يُجَهِّز مسكنًا في حصن ميجور؟».

- «أشكرك أيها اللورد پيتر، لكني سأستقرُّ في مسكن اللورد إدارد السَّابق في بُرج اليد».

قال الإصبع الصَّغير ضاحكًا: «أنت أشجع مني يا لانستر. إنك تعرف مصير آخِر يدين، أليس كذلك؟».

- «آخر يدين؟ إذا كنت ترغب في إخافتي، فلِمَ لا تقول آخِر أربعة؟».

رفعَ الإصبع الصَّغير حاجبًا وقال: «أربعة؟ هل لاقى اليدان السَّابقان للورد آرن نهايةً مؤسفةً ما في البُرج؟ أخشى أني كنتُ صغيرًا ولم أهتم بهما كثيرًا».

- «يد إيرس تارجارين الأخير قُتِلَ أثناء نهْب كينجز لاندنج، وإن كنتُ أشكُّ أنه وجدَ الوقت ليستقرَّ في البُرج، فقد مارسَ مهام منصبة مدَّة أسبوعين فقط. اليد الذي سبقَه أُحرِقَ حتى الموت، وقبلهما جاءَ يدان آخَران ماتا طريدَيْن مُعدِمَيْن في المنفى واعتبرا نفسيهما محظوظَيْن. أعتقدُ أن السيِّد



والدي كان آخِر يد يَخرُج من كينجز لاندنج بألقابه وأملاكه وأعضائه كلها سليمة».

قال الإصبع الصَّغير: «مُدهش. هذا سبب أقوى يجعلني أفضِّل النَّوم في زنزانة».

قد تنال تلك الأمنية، فكَّر تيريون لكنه قال: «الشَّجاعة بنت عم التهوُّر، أو أن هذا ما سمعته. أيًّا كانت اللَّعنة التي تَسكُن بُرج اليد، فأتمنَّى أن أكون صغيرًا بما يكفي لألَّا ألفت انتباهها».

ضحكَ چانوس سلينت وابتسمَ الإصبع الصَّغير، وتبعهما المِايستر الأكبر پايسل إلى الخارج وقد انحنى بوقار.

قالت أخته حينما صارا وحدهما أخيرًا: «أتمنَّى أن أبي لم يجعلك تقطع كلَّ تلك المسافة لتُعَذِّبنا بدروس التَّاريخ».

تنهَّد تيريون وقال لها: «لكم اشتقتُ لوقْع صوتكِ الجميل!».

ردَّت سرسي: «لكم اشتقتُ لاقتلاع لسان ذلك الخصيِّ بكُلَّابةٍ ساخنة! هل فقدَ أبونا عقله أم أنك زوَّرت هذه الرِّسالة؟»، وقرأَت الرَّقَّ من جديد وضيقُها يتعاظَم، ثم أضافَت: «لماذا يبتليني بك؟ لقد أردته أن يأتي بنفسه»، وسحقَت أصابعها رسالة اللورد تايوين واستطردَت: «أنا الوصيَّة على چوفري، وأرسلتُ له أمرًا ملكيًّا!».

قال تيريون: «وهو تجاهَله. إن لديه جيشًا كبيرًا ويستطيع أن يفعل هذا، وهو ليس أول من يفعلها على كلِّ حال، أليس كذلك؟».

شدَّت سرسي فمها ورأى تيريون وجهها يحتقن وهي تقول: «لو أعلنتُ أن هذه الرِّسالة مزوَّرة وقلتُ لهم أن يُلقوك في زنزانة فلا أحد سيتجاهَل هذا، أؤكِّدُ لك».

كان يعرف أنه يطأ أرضًا غير صلبةٍ الآن، وأيُّ خطوةٍ خاطئة كفيلة بأن يَسقُط وتبتلعه. هكذا رَدَّ بلهجةٍ لطيفة: «لا أحد، وخصوصًا أبانا، هذا الذي يملك جيشًا. لكن لِمَ ترغبين في إلقائي في زنزانةٍ يا شقيقتي العزيزة وقد قطعتُ هذه المسافة الطَّويلة كلها لأُساعِدكِ؟».

- «وأنا لا أحتاجُ مساعَدتك. وجود أبي هنا هو ما أمرتُ به».



قال: «نعم، لكن مَن ترغبين في وجوده حقًّا هو چايمي».
كانت أخته تتوسَّم في نفسها المَكر، لكنه تربَّى معها، ويستطيع أن يقرأ ملامحها كما يقرأ واحدًا من كُتبه المفضَّلة، وما قرأه الآن هو الغضب، والخوف، واليأس. «چايمي...».
قاطَعها: «... أخي مِثلما هو أخوكِ. أعطيني دعمكِ وأعدكِ بأننا سنُحَرِّر چايمي ونُعيده إلينا سالمًا».
قالت سرسي: «كيف؟ صبيُّ ستارك وأمُّه لن ينسيا أننا قطعنا رأس اللورد إدارد».
وافقَها تيريون: «هذا صحيح، لكنكِ ما زلتِ تحوزين ابنتيه، أليس كذلك؟ لقد رأيتُ الفتاة الكبيرة في السَّاحة مع چوفري».
أجابَت الملكة: «سانزا فقط. القصَّة المُعلنَة أن المزعِجة الصَّغيرة لديَّ أيضًا، لكنها كذبة. لقد أرسلتُ مرين ترانت ليقبض عليها عندما ماتَ روبرت، لكن معلِّم الرَّقص الملعون تدخَّل وفرَّت الفتاة ولم يرها أحد منذ ذلك الحين. إنها ميتة في الغالب. كثيرون جدًّا ماتوا يومها».
كان تيريون يأمل في وجود ابنتي ستارك الاثنتين، لكن قد تكفي واحدة منهما. «كلِّميني عن أصدقائنا في المجلس».
رمقَت سرسي الباب وسألَته: «ماذا عنهم؟».
- «يبدو أن أحدًا منهم لا يروق أبي. كان يتساءَل عندما تركته عن شكل رؤوسهم على الأسوار إلى جوار رأس اللورد إدارد»، ومالَ إلى الأمام عبر المائدة وقال: «هل أنتِ متأكِّدة من إخلاصهم؟ هل تثقين بهم؟».
بحدَّةٍ ردَّت سرسي: «أنا لا أثقُ بأحد، لكني أحتاجهم. هل يعتقد أبي أنهم يتلاعَبون بنا؟».
- «يرتابُ بالأحرى».
- «لماذا؟ ما الذي يعرفه؟».
هَزَّ تيريون كتفيه قائلًا: «يعرف أن حُكم ابنكِ القصير لم يكن غير استعراضٍ طويل من الحماقات والكوارث حتى الآن، ما يعني أن أحدهم يُسدي چوفري نصائح في غاية السُّوء».



حدجَته سرسي بنظرةٍ متفحِّصة، وقالت: «جوف لا يفتقر إلى النَّصائح السَّديدة، لكن طيلة عُمره وهو عنيد، والآن يرى وقد باتَ ملكًا أن عليه أن يفعل ما يروقه، لا ما يُملَى عليه».

قال تيريون: «التِّيجان تفعل أعجب الأشياء طرًّا بالرؤوس التي تستقرُّ فوقها. ما حدثَ مع إدارد ستارك، أهو من صُنع جوفري؟».

تجهَّمت ملامح سرسي وهي تُجيب: «كانت تعليماته أن يعفو عن ستارك ويسمح له بالانضمام لحَرس اللَّيل، ما كان كفيلًا بإبعاده عن طريقنا إلى الأبد، ولربما استطعنا التَّصالُح مع ابنه كذلك، لكن جوف قرَّر من تلقاء نفسه أن يُعطي الغوغاء عرضًا أفضل، وماذا كان بمقدوري أن أفعل؟ لقد طلبَ رأس اللورد إدارد أمام نِصف المدينة، وأذعنَ چانوس سلينت والسير إلين بمنتهى التَّرحاب وقطعا عُنق الرَّجل دون كلمةٍ واحدةٍ مني!»، وضمَّت قبضتها مضيفةً: «السِّپتون الأعلى يَزعُم أننا دنَّسنا سِپت بيلور بالدَّم بَعد أن كذبنا عليه بخصوص نيَّتنا».

قال تيريون: «يبدو أن لديه حقًّا بالفعل. إذن چانوس سلينت هذا اشتركَ في الأمر، أليس كذلك؟ أخبِريني، من صاحِب الفكرة العبقريَّة وراء منحه هارنهال وضمِّه إلى المجلس؟».

- «الإصبع الصَّغير قامَ بالتَّرتيبات. كنا في حاجةٍ إلى رجال سلينت، لأن اللورد إدارد كان يتآمَر مع رنلي وكتبَ إلى اللورد ستانيس عارضًا عليه العرش. كان يُمكن أن نخسر كلَّ شيء، وكان ذلك وشيكًا بالفعل، فلو لم تأتِ لي سانزا وتُخبِرني بخُطط أبيها كلها...».

مندهشًا قال تيريون: «حقًّا؟ ابنته؟». لقد بدَت سانزا له دائمًا طفلةً لطيفةً، رقيقةً ومهذَّبةً.

- «الفتاة كانت غارقةً في الحُبِّ حتى النُّخاع، وكانت لتفعل أيَّ شيءٍ من أجل چوفري، إلى أن قطعَ رأس أبيها وقال إنها رحمة، ليقضي بالتَّالي على هذا الحُب».

- «لدى جلالته أسلوب فريد لكسب قلوب رعاياه»، قال تيريون بابتسامةٍ



ملتوية. «أكانت رغبة چوفري أيضًا أن يصرف السير باريستان سلمي من حَرسه؟».

تنهَّدت سرسي وأجابَت: «چوف أرادَ أحدًا يُلام على موت روبرت، وفارس اقترحَ السير باريستان. ولِمَ لا؟ لقد أعطى هذا چايمي قيادة الحَرس الملكي ومكانًا في المجلس الصَّغير، وأتاحَ لچوف أن يُلقي عظمةً لكلبه، فهو مولعٌ جدًّا بساندور كليجاين. كنا على استعدادٍ لأن نعرض على سلمي بعض الأراضي ومنزلًا ذا بُرج، وهذا أكثر مما استحقَّ ذلك العجوز الأحمق عديم القيمة».

- «سمعتُ أن العجوز الأحمق عديم القيمة فتكَ باثنين من رجال سلينت عندما حاوَلا القبض عليه عند بوَّابة الطَّمي».

بدَت أخته شديدة الاستياء وهي تقول: «كان ينبغي أن يُرسِل چانوس رجالًا أكثر. إنه ليس بالكفاءة التي تمنَّيناها».

قال تيريون ضاغطًا على كلماته ليُذَكِّرها: «السير باريستان كان قائد حَرس روبرت باراثيون الملكي. هو وچايمي آخِر اثنين من حَرس إيرس تارجاريَن السَّبعة، والعامَّة يتكلَّمون عنه كما يتكلَّمون عن سروين ذي التُّرس المرآة والأمير إيمون الفارس التنِّين. ماذا تحسبينهم سيعتقدونه عندما يرون باريستان الباسِل يركب إلى جوار روب ستارك أو ستانيس باراثيون؟».

أشاحَت سرسي بنظرها قائلةً: «لم أضع هذا في الاعتبار».

قال تيريون: «لكن أبي فعلَ، ولهذا أرسلَني إلى هنا، لأضع نهايةً لتلك الحماقات وأُجبِر ابنكِ على الطَّاعة».

- «چوف لن يكون أسهل انقيادًا مني».

- «قد يكون».

- «ولِمَ؟».

- «لأنه يعرف أن أذًى لن يُصيبه منكِ أبدًا».

ضيَّقت سرسي عينيها وقالت: «إذا كنت تحسب أني سأسمحُ لك بأن تُؤذي ابني، فأنت مريض بالحُمَّى».

زفرَ تيريون. لقد أغفلَت المقصد كعادتها المتكرِّرة، فقال لها مُطَمْئِنًا:



«چوفري في أمانٍ معي تمامًا كما هو معكِ، لكن الصَّبي سيكون أميلَ إلى الإصغاء ما دامَ يَشعُر بالتَّهديد»، وأمسكَ يدها مُردِفًا: «أنا أخوكِ، وأنتِ تحتاجينني سواء أقررتِ بهذا أم لا، وابنكِ يحتاجني إذا كان يأمل أن يحتفظ بذلك الكرسي الحديدي القبيح».

قالت أخته وقد بدَت مصدومةً من لمسته لها: «طيلة عُمرك وأنت داهية».

رسمَ على شفتيه ابتسامةً واسعةً وقال: «بطريقتي الصَّغيرة».

- «قد يستحقُّ الأمر المحاوَلة... لكن اصغِ إليَّ جيِّدًا يا تيريون. إذا قبلتك، ستكون يد الملك اسمًا لكن يدي أنا حقيقةً. ستُطلِعني على كلِّ خُططك ونيَّاتك قبل أن تتصرَّف، ولن تفعل شيئًا على الإطلاق دون مُوافَقتي، هل تفهمني؟».

- «أوه، أفهمكِ».

- «وهل تُوافِق؟».

قال كاذبًا: «بالتَّأكيد، أنا تحت أمركِ يا أختاه». حتى تنتفي حاجتي إلى هذا! «طيِّب، الآن وقد صارَت غايتنا واحدةً، فلا ينبغي أن تكون هناك أسرار بيننا. تقولين إن چوفري أمرَ بإعدام اللورد إدارد، وڤارس هو من صرفَ السير باريستان من الخدمة، والإصبع الصَّغير أهدانا اللورد سلينت، فمن اغتالَ چون آرن؟».

انتزعَت سرسي يدها منه قائلةً: «وما أدراني؟».

- «الأرملة الحزينة في «العُش» تعتقد أنه أنا، فما الذي أعطاها تلك الفكرة يا تُرى؟».

- «لا أدري حقًّا. ذلك الأحمق إدارد ستارك اتَّهمني بالشَّيء ذاته، ولمَّح إلى أن اللورد آرن شَكَّ في... أو اعتقدَ أن...».

- «أنكِ تُضاجِعين عزيزنا چايمي؟».

وصفعَته سرسي.

قال تيريون وهو يَفرُك وجنته: «أتحسبينني أعمى مِثل أبينا؟ لا يهمُّني مَن تنامين معه... وإن كان لا يبدو من العدل أن تفتحي ساقيكِ لأخٍ دون الثَّاني».

وصفعَته سرسي.



- «رِفقكِ يا سرسي، إنني أُمازِحكِ لا أكثر. الحقُّ يُقال إنني أفضِّلُ عاهرةً لطيفةً عليكِ، فلم أفهم قَطُّ ما يراه چايمي فيكِ بخلاف انعكاسه».

وصفعَته سرسي.

كانت وجنتاه محمرَّتين متَّقدتين الآن، لكنه ابتسمَ وقال: «قد أغضبُ إذا استمررتِ في هذا».

أوقفَ قوله يدها، وردَّت: «ولِمَ أبالي إذا غضبت؟».

قال تيريون: «إن معي بعض الأصدقاءِ الجُدد، ولن يُعجِبوكِ على الإطلاق. كيف قتلتِ روبرت؟».

- «هو قتلَ نفسه، ونحن ساعَدناه لا أكثر. عندما رأى لانسل أنه ينوي اصطياد خنزيرٍ بري، أعطاه نبيذًا قويًّا، نوعه اللَّاذع المفضَّل لكن مقوًّى ثلاث مرَّاتٍ عمَّا اعتادَ عليه، والمأفون السَّكران أحبَّه. كان يُمكنه أن يتوقَّف عن تجرُّعه في أيِّ وقتٍ شاءَ، لكن لا، لقد أفرغَ قِربةً كاملةً في جوفه وقال للانسل أن يُحضِر أخرى، والخنزير قامَ بالباقي. كان يَجدُر بكِ أن تحضر المأدبة يا تيريون، فلم أذُق لحم خنزيرٍ شهيًّا كهذا من قبل قَطُّ. لقد طهوه بالفِطر والتُّفَّاح، وكان له مذاق النَّصر».

- «لقد وُلِدتِ لتكوني أرملةً حقًّا يا أختاه». كان روبرت باراثيون يروق تيريون في الحقيقة، على الرغم من كونه أخرقَ وصَلِفًا كبيرًا... ولا شَكَّ أن مقت أخته لروبرت لعبَ دورًا في هذا. «والآن عليَّ أن أنصرِف إذا كنتِ قد فرغتِ من صفعي»، وثنى ساقيه ونزلَ من مقعده بصعوبة.

قالت سرسي عابسةً: «لم أعطيك الإذن بالانصراف. أريدُ أن أعرف كيف تنوي تحرير چايمي».

- «سأُخبركِ عندما أعرفُ. الخُطط كالفاكهة، تتطلَّب درجةً معيَّنةً من النُّضج، أمَّا الآن فأفكِّرُ في الخروج إلى الشَّوارع وأخذ قياسات هذه المدينة»، وأراحَ يده على رأس أبي الهول المجاور للباب، وقال: «طلبٌ واحد قبل أن أتركِكِ، من فضلكِ تأكَّدي من عدم وقوع مكروه لسانزا ستارك، فلن ينفعنا أن نفقد كلتا الفتاتين».

هَزَّ تيريون رأسه للسير ماندون خارج قاعة المجلس وقطعَ الرُّواق المقنطَر



الطَّويل، يتبعه برون، بينما لم يكن هناك أثر لتيميت بن تيميت، فسألَ: «أين يدنا الحمراء؟».

- «شعرَ برغبةٍ مُلِحَّةٍ في الاستكشاف. إن أمثاله لم يُخلَقوا للانتظار في الأروقة».

- «آملُ ألَّا يَقتُل أحدًا مهمًّا». رجال القبائل الذين نزلَ بهم تيريون من معاقلهم في جبال القمر مخلصون على طريقتهم الضَّارية الخاصَّة، إلَّا أنهم متغطرسون ومشاكسون كذلك، ويجنحون إلى رَدِّ الإهانة -حقيقيَّةً كانت أو متخيَّلةً- بالسِّلاح. «حاوِل أن تجده، واعمل أيضًا على أن يُسَكَّن البقيَّة ويُطعَموا. أريدهم في الثُّكنة الواقعة أسفل بُرج اليد، لكن لا تجعل الوكيل يضع الغِربان الحجريَّة بالقُرب من إخوة القمر، وقُل له أن يُخَصِّص قاعةً كاملةً للرِّجال المحروقين وحدهم».

- «وأين ستكون أنت؟».

- «سأعودُ إلى «السِّندان المكسور»».

ارتسمَت ابتسامة وقحة على وجه برون، وقال: «هل تحتاج حراسةً؟ يقولون إن الشَّوارع مليئة بالأخطار».

- «سأطلبُ قائد حَرس أهل بيت أختي وأُذَكِّره بأني لانستر مِثلها بالضَّبط. ينبغي أن ينتبه إلى أن قَسمه لكاسترلي روك، وليس سرسي أو چوفري».

وبَعد ساعةٍ خرجَ تيريون من القلعة الحمراء، مصحوبًا بدستةٍ من حَرس لانستر بمعاطفهم القرمزيَّة وخوذاتهم القصيرة ذات ريشة الأسد. كانوا يمرُّون من تحت الشَّبكة الحديديَّة عندما لاحظَ الرؤوس المعلَّقة على الأسوار، وقد اسودَّت تمامًا بفعل العفن والقطران القديم وصارَت مستحيلة التَّمييز منذ فترةٍ طويلة، فنادى قائلًا: «أيها القائد ڤايلار، أريدُ إنزال هذه الرُّؤوس غدًا. أعطوها للأخوات الصَّامتات ليُنَظِّفنها». خطرَ له أن توفيق كلَّ رأسٍ مع الجثَّة الذي ينتمي إليها سيكون عذابًا، لكنه شَرٌّ لا بُدَّ منه، فحتى في خضَمِّ الحرب ينبغي الحفاظ على بعض الأصول.

قال ڤايلار بتردُّد: «جلالته قال لنا إنه يُريد أن تبقى رؤوس الخونة على الأسوار حتى يملأ تلك الخوازيق الثَّلاثة المتبقية هناك».



- «دعني أُخاطِر بتخمينٍ جنوني، أحدها من أجل روب ستارك والآخَران من أجل اللوردين ستانيس ورنلي، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيِّدي».

- «ابن أختي في الثَّالثة عشر من العُمر اليومِ يا ڤايلار، فحاوِل أن تتذكَّر هذا. أريدُ إنزال هذه الرُّؤوس غدًا، أو قد يحتلُّ رأس شخصٍ مختلف أحد الخوازيقِ الثَّلاثة الباقية. هل تفهمني أيها القائد؟».

- «سأُشرِفُ على إنزالها بنفسي يا سيِّدي».

- «عظيم»، قال تيريون ووكزَ حصانه وانطلقَ به تاركًا ذوي المعاطف الحمراء يتبعونه بأقصى سرعةٍ لديهم.

لقد قال لسرسي إنه ينوي أخذ قياسات المدينة، ولم يكن كاذبًا تمامًا. لم يرضَ تيريون لانستر عن الكثير مما رآه، فعلى الرغم من أن شوارع كينجز لاندنج كانت دومًا مزدحمةً وصاخبةً ومزعجةً، فالآن تفوح رائحة الخطر من كلِّ شبرٍ منها على نحوٍ لا يتذكَّره من زياراته السَّابقة. رأى جثَّةً مُلقاةً في بالوعة الصَّرفِ بالقُرب من شارع النسَّاجين وقطيعًا من الكلاب الضَّارية ينهش لحمها، دون أن يبدو على أحدٍ أنه يُبالي، مع أن وجود حَرس المدينة كان واضحًا وهُم يقطعون الأزقَّة أزواجًا في معاطفهم الذَّهبيَّة وقمصان الحلقات المعدنيَّة السَّوداء وهرَّاواتهم الحديديَّة في متناوَل أيديهم طول الوقت، بينما ازدحمَت الأسواق بأناسٍ يرتدون ثيابًا رثَّةً يُحاوِلون أن يبيعوا ما في بيوتهم من ممتلكاتٍ بأيِّ سِعر... وفي الآن نفسه وبوضوحٍ تام خلَت الأسواق من أيِّ مُزارِعين يبيعون طعامًا. كان ثمَّة بائع متجوِّل يُنادي على جرذانٍ مشويَّة على سيخ صائحًا: «جرذان طازجة! جرذان طازجة!». لا شَكَّ أن النَّاس يُفضِّلون أكل الجرذان الطَّازجة على الجرذان البائتة المتعفِّنة، لكن ما أثارَ رُعبه حقًّا أن الجرذان بدت شهيَّة المنظر أكثر من معظم ما يبيعه الجزَّارون. في شارع الدَّقيق رأى تيريون حُرَّاسًا يقفون على أبواب كلِّ محلَّين من ثلاثة، وفكَّر أن الخبَّازين أنفسهم يُمكنهم أن يجدوا مرتزِقةً أرخص من الخُبز عندما تُصبِح الأيام عجافًا.

قال لڤايلار: «لا يوجد طعام يَدخُل المدينة، أليس كذلك؟».



أجابَ القائد: «القليل جدًّا. الطُّرق مغلَقة من الجَنوب والغَرب بسبب الحرب الدَّائرة في أراضي النَّهر وحشد اللورد رنلي للمتمرِّدين في هايجاردن».

- «وما الذي فعلَته أختي العزيزة في هذا الصَّدد؟».

قال ڤايلار مُطَمْئِنًا: «إنها تتَّخذ الخطوات الضروريَّة لإعادة سلام الملك. اللورد سلينت ضاعفَ عدد حَرس المدينة ثلاث مرَّات، والملكة كلَّفت ألفًا من الحِرفيِّين بالعمل على الدِّفاعات. البنَّاؤون يقومون بتدعيم الأسوار، والنجَّارون يبنون العرَّادات[1] والمجانيق بالمئات، وصانعو السِّهام منشغلون بصُنعها، والحدَّادون يُطَرِّقون السُّيوف، ورابطة الخيميائيِّين تعهَّدت بعشرة آلاف من جرار النَّار الشَّعواء[2] بخلاف كلِّ هذا».

تحرَّك تيريون بغير راحةٍ فوق سَرجه. كان مسرورًا لأن سرسي لم تتلكَّأ، لكن النَّار الشَّعواء شيء لا يؤمَن جانبه، وعشرة آلاف جرَّةٍ تكفي لأن تتفحَّم كينجز لاندنج بأكملها. «أين وجدَت أختي النَّقد الكافي لكلِّ هذا؟». ليس سرًّا أن الملك روبرت تركَ العرش غارقًا في الدُّيون، ثم إنه من غير المعروف عن الخيميائيِّين أنهم يفعلون شيئًا بلا مقابل.

- «اللورد الإصبع الصَّغير يجد وسيلةً دائمًا يا سيِّدي. لقد فرضَ ضريبةً على من يرغبون في دخول المدينة».

- «نعم، سيَصلُح هذا»، قال تيريون وهو يُفَكِّر: وسيلة ذكيَّة، ذكيَّة وقاسية. عشرات الآلاف فرُّوا من القتال إلى الأمان المفترَض في كينجز لاندنج، ولقد رآهم على طريق الملوك، جماعات من الأمَّهات والأطفال والآباء المتوتِّرين، كلهم يَرمُق خيوله وعرباته بنظراتٍ كلها اشتهاء. سوف يبيعون كلَّ ما يملكون لا محالة بمجرَّد وصولهم إلى المدينة، بغية أن يضعوا تلك الأسوار العالية المُطَمْئِنَة بينهم وبين الحرب... وإن كانوا ليُفَكِّرون مرَّتين إذا عرفوا بأمر النَّار الشَّعواء.

---

(1) العرَّادة ضرب من المجانيق تُقذَف به الأحجار و السِّهام الكبيرة.

(2) النَّار الشَّعواء تُعرَف في عالم الواقع باسم نار الإغريق، وهي سائل حارق سريع الاشتعال تكرَّر استخدامه في المعارك البحريَّة قديمًا، ولا أحد يعرف مكوِّناته على وجه الدقَّة.



كان الخان الذي تعلو بابه لافتة السِّندان المكسور يستقرُّ على مرأى من تلك الأسوار، بالقُرب من بوَّابة الآلهة التي دخلوا منها هذا الصَّباح، واندفعَ صبيٌّ ليُساعِد تيريون على الترجُّل عن حصانه فور أن رآه يَدخُل فِناء الخان مع حُرَّاسه. قال القزم لڤايلار: «خُذ رجالك وعُد بهم إلى القلعة. سأقضي اللَّيلة هنا».

بدا قائد الحَرس متردِّدًا وهو يقول: «هل ستكون في أمانٍ يا سيِّدي؟».

- «بالنِّسبة لهذا أيها القائد، الخان كان مليئًا بالآذان السَّوداء عندما غادَرته هذا الصَّباح، ما يعني أن لا أحد في أمانٍ كاملٍ في وجود تشلا بنت تشيك»، وتحرَّك تيريون متمايلًا نحو الباب تاركًا ڤايلار يحزر معنى كلامه.

استقبلَته عاصفة من المرح وهو يدلف إلى قاعة الخان العامَّة، وتعرَّف على قهقهة تشلا الجشَّاء وموسيقى ضحكة شِاي الأكثر رقَّةً. كانت الفتاة جالسةً إلى مائدةٍ خشبيَّةٍ مستديرة على مقربةٍ من المستوقَد، ترشف النَّبيذ في صُحبة ثلاثة منِ الآذان السَّوداء الذين تركهم لحراستها، بالإضافة إلى رجلٍ ممتلئ الجسد يُوليه ظَهره، فافترضَ أنه صاحِب الخان... إلى أن نادَت شِايَ تيريون بالاسم فنهضَ المتطفِّل. «سيِّدي العزيز، كم أنا مسرور لرؤيتك»، قال الرَّجل بلهفةٍ وعلى وجهه المغطَّى بالمَساحيق ابتسامة الخصيِّ النَّاعمة.

كان تيريون مشدوهًا وهو يقول: «لورد ڤارس، لم أتوقَّع أن أراك هنا». فليأخذه «الآخَرون». كيف عثر عليهم بهذه السُّرعة؟

رَدَّ ڤارس: «سامِحني على تطفُّلي، لكني شعرتُ بلهفةٍ مفاجئةٍ لرؤية الليدي الشَّابَّة».

- «الليدي الشَّابَّة»، قالت شِاي مستطعمةً الكلمات. «أنت نِصف مُحِق يا سيِّدي، فأنا شابَّة فعلًا».

في الثَّامنة عشر من العُمر، في الثَّامنة عشر وعاهرة، لكن سريعة البديهة ورشيقة كِقطَّة تحت الأغطية، عيناها داكنتان واسعتان وشَعرها أسود ناعم، ولديها فمٌ عذب وليِّن وجائع... وملكي أنا! عليك اللَّعنة أيها الخصي. قال بكياسةٍ أرغمَ نفسه عليها: «أخشى أني أنا المتطفِّل يا لورد ڤارس. كنتَ منغمسًا في المرح لمَّا دخلتُ».



قالت شِاي: «**سِيدي ڤارس** أثنى على آذان تشلا وقال إنها قتلَت رجالًا **كثيرين بالضَّرورة كي تصنع قلادةً** رائعةً كهذه». أثارَ استياءه أن يسمعها تدعو **ڤارس بـ«سِيدي» بتلك النَّبرة** التي تدعوه بها وهما يلعبان في الفِراش. «وتشلا **قالت له إن الجُبناء وحدهم يَقتُلون** المهزومين».

- «**من الأشجع أن يُترَك** الرَّجل حيًّا ولديه فُرصة أن يغسل عاره بأن يستردَّ **أُذنه إذا استطاعَ**»، قالت تشلا السَّمراء صغيرة الحجم التي عُلِّقَ في قلادتها **البشعة** ما لا يقلُّ عن ستٍّ وأربعين أُذنًا جافَّة مجعَّدة. كان تيريون قد عدَّها ذات مرَّة. «بهذه الطَّريقة فقط يُمكنك أن تُثبت أنك لا تخاف أعداءك».

صاحَت شِاي ضاحكةً: «ثم قال سِيدي إنه لم يكن لينام أبدًا لو كان من الآذان السَّوداء، خشية أن يَحلُم برجالٍ ذوي أُذنٍ واحدة».

قال تيريون: «هذه مشكلة لن أضطرَّ لمواجَهتها أبدًا، فأنا أشعرُ بالرُّعب من أعدائي، ولهذا أقتلهم جميعًا».

قهقهَ ڤارس وقال: «هل ستحتسي النَّبيذ معنا يا سيِّدي؟».

- «سأحتسي النَّبيذ»، قال تيريون وهو يجلس إلى جوار شِاي. كان يُدرِك ما يَحدُث هنا وإن لم تُدرِكه تشلا والفتاة. كان ڤارس يوصل رسالةً، وعندما قال: شعرتُ بلهفةٍ مفاجئةٍ لرؤية الليدي الشَّابَّة، فما قصده هو: لقد حاولت أن تُخَبِّئها، لكني عرفتُ مكانها ومَن تكون، وها أنا ذا. تساءلَ عمَّن خانَه، صاحِب الخان أم صبيُّ الاسطبل أم حارس على البوَّابة... أم أحد رجاله؟

قال ڤارس لشِاي وهو يصبُّ النَّبيذ في الكؤوس: «أحبُّ دائمًا أن أدخل المدينة من بوَّابة الآلهة، فالنُّقوش على مبنى البوَّابة رائعة الجمال بحق، وتجعلني أبكي كلما رأيتها. الأعيُن... إنها معبِّرة للغاية، أليس كذلك؟ تبدو كأنها تكاد تتبعكِ بنظراتها وأنتِ تَمُرِّين من تحت الشَّبكة الحديديَّة».

ردَّت شِاي: «لم أُلاحِظها يا سِيدي، لكني سألقي نظرةً عليها غدًا إذا أردت».

فكَّر تيريون وهو يُدَوِّر النَّبيذ في كأسه: لا تُتعِبي نفسكِ يا حُلوتي، إنه لا يُبالي مقدار خردلةٍ بالنُّقوش. تلك الأعيُن التي يَزهو بها أعيُنه هو، وما يقصده أنه كان يُراقِب وأنه عرف بوجودنا هنا لحظة دخولنا من البوَّابة.



قال ڤارس: «توخي الحذر يا صغيرتي، فكينجز لاندنج ليست آمنةً جدًّا هذه الأيام. إنني أعرفُ هذه الشَّوارع جيِّدًا، لكنني كدتُ أخشى أن آتي اليوم وأنا بمُفردي وأعزل. الخارجون على القانون في كلِّ مكانٍ في أوقاتنا العصيبة هذه، أوه، نعم، رجال سلاحهم بارد وقلوبهم أكثر برودةً». كانت ترجمة كلامه: حيثما يُمكنني الذَّهاب بمُفردي ودون سلاح، فمن الممكن أن يذهب آخَرون وفي أيديهم السُّيوف.

اكتفَت شِاي بضحكةٍ وقالت: «إذا حاوَلوا مضايَقتي ستعوز كلًّا منهم أُذن عندما تَفرُغ منه تشلا».

ضحك ڤارس كأن هذا أطرف شيءٍ سمعَه على الإطلاق، لكن عينيه كانتا خاليتين من الضَّحك تمامًا عندما أدارَهما إلى تيريون قائلًا: «سيِّدتك الشَّابَّة شديدة اللُّطف. لو كنتُ مكانك لاعتنيت بها لأقصى حَد».

- «هذا ما أنتويه. إذا حاولَ أحدٌ أن يُؤذيها... الحقيقة أني أصغر حجمًا من أن أكون أُذنًا سوداء، ولستُ أدَّعي الشَّجاعة». أرأيت؟ إنني أتكلَّمُ اللُّغة نفسها أيها الخصي. امسسها بأذى وسأقطعُ رأسك.

نهضَ ڤارس وقال: «سأترككما الآن. أعرفُ أنك مرهَق للغاية، لكني أردتُ أن أرحِّب بك يا سيِّدي وأُخبِرك كم أنا مسرور بوصولك. إننا في حاجةٍ ماسَّةٍ إليك في المجلس. هل رأيتَ المذنَّب؟».

قال تيريون: «أنا قصير القامة ولستُ أعمى». على طريق الملوك بدا المذنَّب كأنه يُغَطِّي نِصف السَّماء وقد فاقَ الهلال سطوعًا.

قال ڤارس: «يُسَمُّونه في الشَّوارع «الرَّسول الأحمر»، ويقولون إنه يأتي كنذيرٍ قبل مجيء ملك، ليُحَذِّر من النَّار والدِّماء التي تتبعه»، وفركَ الخصيُّ يديه المدهونتين بالمساحيق معًا وأردفَ: «هل تسمح لي بأن أغادرك بأحجيةٍ صغيرة أيها اللورد تيريون؟»، ولم ينتظر الإجابة وواصلَ: «في غُرفةٍ يجلس ثلاثة رجالٍ عُظماء، ملك وراهب وثريٌّ معه ذَهبه، وبينهم يقف مرتزق، رجل تقليدي بلا حسبٍ أو نسبٍ أو ذكاءٍ خاص، وكلٌّ من الثَّلاثة العُظماء يَطلُب منه أن يَقتُل الاثنين الآخَريْن. يقول الملك: افعلها، فأنا مليكك بالشَّرع والقانون، ويقول الرَّاهب: آمرك أن تفعلها باسم الآلهة، ويقول الثَّري: افعلها، ولك كلُّ



ما معي من ذَهب. قُل لي إذن، من يعيش ومن يموت؟»، وانحنى الخصيُّ بشدَّةٍ وأسرعَ يُغادِر المكان خاطيًا بخُفَّيه النَّاعمين.

أطلقَت تشلا نخيرًا عندما رحلَ، بينما قطَّبت شِاي وجهها قائلةً: «إنه الثَّري، أليس كذلك؟».

رشفَ تيريون من نبيذه مفكِّرًا وغمغمَ: «ربما، وربما لا. يبدو أن المسألة تعتمد على المرتزِق نفسه»، ثم وضعَ كأسه وقال: «هيا، لنصعد إلى أعلى».

اضطرَّت لأن تنتظره على قمَّة السَّلالم، فساقاها نحيلتان ليِّنتان بينما ساقاه قصيرتان غير مكتملتي النُّمو وتُؤلِمانه بشدَّة، لكنها كانت تبتسم عندما بلغَها أخيرًا، وقالت مداعِبةً وهي تُمسِك يده: «هل أوحشتك؟».

قال تيريون: «للغاية». كان طولها يزيد على الأقدام الخمسة بقليلٍ، ومع ذلك عليه أن يرفع عينيه إليها... لكنه وجد في حالتها أنه لا يُمانِع، فالتطلُّع إلى مُحيَّاها الجميل من أسفل لا بأس به على الإطلاق.

قالت وهي تقوده إلى غُرفتها: «ستفتقدني طيلة الوقت في قلعتك الحمراء وأنت وحدك تمامًا في فِراشك البارد في بُرج اليد هذا».

- «صحيحٌ تمامًا». كان تيريون ليُبقيها إلى جواره بكلِّ ترحاب، لكن السيِّد والده نهاه عن ذلك. لن تأخذ العاهرة معك إلى البلاط، قال اللورد تايوين آمرًا، ومجيء تيريون بها إلى المدينة كان أقصى تحدٍّ يقدر عليه. كلُّ سُلطته هنا مستمدَّة من أبيه، وعلى الفتاة أن تتفهَّم هذا. وعدَها قائلًا: «لن تكوني بعيدةً، وسيكون لديك منزل بخدم وحَرس، وسأزورك كلما استطعتُ».

ركلَت الباب لتُغلِقه، وعبر ألوَاح زُجاج النَّافذة القاتمة استطاعَ أن يُمَيِّز سِبت بيلور الكبير متوِّجًا تَلَّ ڤيزينيا، وإن جذبَ انتباهه منظر آخَر عندما انحنَت شِاي وشدَّت فُستانها من حافَّته وسحبَته فوق رأسها، ثم ألقَته بعيدًا ليلوح أنها لا تؤمن بارتداء الثِّياب الدَّاخليَّة. «لن تتمكَّن من الرَّاحة أبدًا»، قالت وهي تقف أمامه عاريةً متورِّدةً تسرُّ العين، وقد وضعَت يدها على وَركها. «ستُفَكِّر فيَّ كلما خلدت إلى فِراشك، وعندها ستنتصب ولن تجد أحدًا يُساعِدك ولن تستطيع النَّوم أبدًا حتى...»، وارتسمَت على شفتيها تلك الابتسامة الخبيثة التي يُحِبُّها تيريون مستكمِلةً: «ألهذا يُسَمُّونه بُرج اليد يا سِيدي؟».



قال آمرًا: «اصمُتي وقبِّليني».

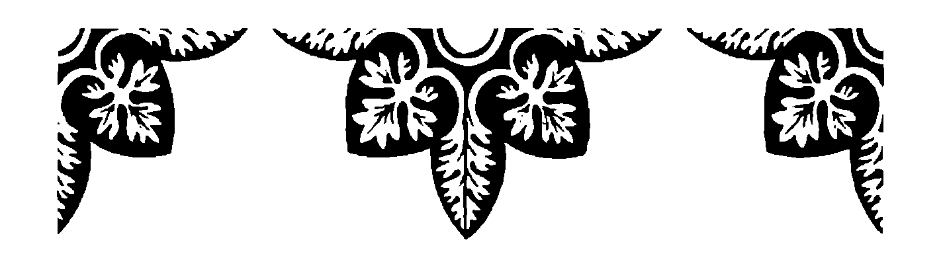
تذوَّق طعم النَّبيذ على شفتيها، وأحسَّ بنهديها المشدودَيْن الصَّغيرَيْن ينضغطان عليه وهي تحلُّ أربطة سراويله بأصابعها. «أسَدي»، همسَت عندما قطعَ القُبلة ليخلع ثيابه. «مولاي الجميل، عملاقي ابن لانستر». دفعَها تيريون إلى الفِراش، وعندما ولجَها صرخَت بصوتٍ كفيل بإيقاظ بيلور المبارَك في قبره، وتركَت أظفارها ثقوبًا في ظَهره. في حياته لم يَشعُر بألمٍ أحبَّه كهذا على الإطلاق.

أحمق، قال لنفسه بَعد أن فرغا وتمدَّدا في منتصَف حشيَّة الفِراش المرتخية بين الملاءات المتشابكة، ألن تتعلَّم أبدًا أيها القزم؟ إنها عاهرة عليك اللَّعنة، تحبُّ نقودك لا قضيبك. هل تَذكُر تايشا؟ لكن عندما مسَّت أصابعه حلمتها بخفَّةٍ شعرَ بها تنتصب، ورأى العلامة التي خلَّفتها عضَّته في نهدها في خضمِّ نشوته.

سألته وهو يُطَوِّق لحم النَّهد الدَّافئ اللَّدن بيده: «ماذا ستفعل الآن يا سِيدي وقد أصبحتَ يد الملك؟».

غمغم وقد دَسَّ وجهه في عُنقها الممشوق: «سأفعلُ شيئًا لن تتوقَّعه سرسي أبدًا، سأقيمُ العدل».





بران

يُفَضِّل بران الجلوس على المقعد الحجري الصُّلب المجاور للنَّافذة، على الرَّاحة تحت الأغطية على فِراشه المحشوِّ بالرِّيش. في الفِراش يَشعُر كأن الجُدران تنطبِق عليه والسَّقف ينضغِط بثِقَلٍ من فوقه، وفي الفِراش تكون غُرفته زنزانةً ووينترفل سجنه، لكن من خارج النَّافذة لا يزال العالم الواسع يُناديه. هو لا يستطيع أن يمشي أو يتسلَّق أو يصطاد أو يُقاتِل بسيفٍ خشبيٍّ كما اعتادَ أن يفعل من قبل، لكنه ما زال يستطيع أن يَنظُر. إنه يُحِبُّ أن يتفرَّج على النَّوافذ إذ يبدأ الوهج يلوح منها في كلِّ أرجاء وينترفل، مع اشتعال الشُّموع والمستوقَدات من وراء ألواح الزُّجاج ذات الشَّكل الماسي في الأبراج والقاعات، ويُحِبُّ أن يُصغي لغناء الذِّئبين الرَّهيبَيْن للنجوم.

في الفترة الأخيرة كان يَحلُم كثيرًا بالذِّئاب، ويقول لنفسه عندما يعلو عُواء الذِّئبين الرَّهيبَيْن: إنهما يُكَلِّمانني كما يُكَلِّم الأخ أخاه، بل ويكاد يفهمهما... ليس تمامًا، وليس حقًّا، لكن تقريبًا... كأنهما يُغَنِّيان بلُغةٍ كان يُجيدها ذات يومٍ وإن نسيَها بشكلٍ ما. قد يكون الصَّبيَّان والدر خائفَيْن منهما، إلَّا أن دماء الذِّئاب تجري في عروق أبناء ستارك كما أخبرَته العجوز نان من قبل، وإن أضافَت محذِّرةً: «لكنها أقوى في البعض من البعض الآخَر».

عُواء سَمر طويل وحزين، مليء باللَّوعة والاشتياق، بينما عُواء شاجيدوج أكثر ضراوةً ووحشيَّةً. تردَّد صدى صوتيهما عبر السَّاحات والقاعات حتى ارتفعَ رنينه في القلعة كلها، فبدا كأن قطيعًا عظيمًا من الذِّئاب الرَّهيبة يَسكُن وينترفل بدلًا من اثنين منها لا أكثر... الاثنين اللذين تبقَّيا ممَّن كانوا ستَّة.



تُرى هل يفتقدان أخويهما وأختيهما مثلي؟ هل يُناديان جراي ويند وجوست ونايميريا وطَيف ليدي؟ هل يُريدان أن يعودوا إلى بيتهم ليكونوا قطيعًا واحدًا معًا؟

- «مَن يدري ما يدور في عقول الذِّئاب؟»، قال السير رودريك كاسل عندما سأله بران عن سبب العُواء المستمر. كانت السيِّدة والدة بران قد عيَّنت الفارس العجوز أمينًا لوينترفل في غيابها، وواجباته لا تَترُك له الكثير من الوقت للأسئلة عديمة الجدوى.

- «يُريدان الحرِّية»، أعلنَ فارلن قيِّم وَجار الكلاب، الذي لا يُكِنُّ للذِّئاب الرَّهيبة حُبًّا أكثر مما تفعل كلابه. «إنهما يكرهان الحبس، ومَن يلومهما؟ الكائنات الضَّارية مكانها البراري لا القلاع».

- «يُريدان الصَّيد»، قال جايج الطَّاهي مؤمِّنًا على كلامه وهو يُلقي مكعَّباتٍ من شحم الماشية في قِدرٍ ضخمة من اليخنة. «الذِّئاب تستطيع الشَّمَّ أفضل من أيِّ إنسانٍ، وغالبًا اشتمَّا رائحة فريسةٍ ما».

لم يُوافِقهما المِايستر لوين الرَّأي، وقال: «غالبًا ما تعوي الذِّئاب للقمر، أمَّا هذان فيعويان للمذنَّب. أترى كم هو ساطِع؟ من الوارد أنهما يحسبانه القمر».

وحينٍ أفضى بران بهذا لأوشا، ضحكَت الهَمجيَّة بصوتٍ عالٍ قائلةً: «هذان الذِّئبان أذكى من مِايستركم بكثير، إنهما يعرفان حقائق نسيَها العجوز منذ زمن». الطَّريقة التي قالتها بها جعلَته يرتجف، وعندما سألها عن معنى المذنَّب أجابَت: «الدَّم والنَّار أيها الصَّبي، ولا خير على الإطلاق».

سألَ بران السِّپتون كايل عن المذنَّب وهما يتصفَّحان بعض المخطوطات التي استنقَذوها من حريق المكتبة، فقال له: «إنه السَّيف الذي يَقتُل الفصول»، وبَعدها بفترةٍ قصيرة جاءَ الغُداف الأبيض من البلدة القديمة حاملًا نبأ الخَريف، فلا شَكَّ أن الرَّجل كان مُحِقًّا إذن.

على أن العجوز نان خالفَته الرَّأي، وتلك المرأة عاشَت سنينًا أطول من أيٍّ منهم، وقالت وهي ترفع رأسها وتتنشَّق الهواء: «التَّنانين». كانت شِبه ضريرةٍ ولم ترَ المذنَّب حقًّا، وإن ادَّعت أنها تشمُّ رائحته، وقالت بإصرار: «إنها التَّنانين أيها الصَّبي». كعادتها، لا تُخاطِبه نان بـ«الأمير» أبدًا.



وقال هودور: «هودور»، الكلمة الوحيدة التي لا يقول غيرها.
ولا يزال عُواء الذِّئبين الرَّهيبَيْن يرتفع عاليًا، جاعلًا الحُرَّاس على الأسوار يُدَمدِمون باللَّعنات، وكلاب الصَّيد تنبح بهياجٍ في الوَجار، والخيول تَرفُس في الاسطبلات، والصَّبيَّيْن والدر يرتجفان إلَى جوار النَّار. حتى المِايستر لوين اشتكَى من الأرق، بينما بران هو الوحيد الذي لم يُمانِع. كان السير رودريك قد حبسَ الذِّئبين في أيكة الآلهة بَعد أن عَضَّ شاجيدوج والدر الصَّغير، لكن الصَّوت يُمارِس حيلًا غريبةً بين أحجار وينترفل، ليبدو كأن الذِّئبين يقفان تحت نافذة بران مباشرةً، وفي أحيانٍ أخرى كان ليُقسِم أنهما يتواثَبان هنا وهناك على الأسوار الواقية كأنهما يَحرُسانها.
كم يتمنَّى أن يراهما.
ما كان يراه هو المذنَّب المعلَّق في السَّماء فوق قاعة الحُرَّاس وبُرج الجرس ومن ورائهما القلعة الأولى بتكوينها المكتنز المستدير، وقد استحالَت كراجلها أشباحًا سوداء على خلفيَّة الغسق الأرجواني كلون الكدمات. في السَّابق كان بران يعرف كلَّ حجرٍ في تلك المباني من الدَّاخل والخارج، فقد تسلَّقها جميعًا وصعدَ على الجُدران بالبساطة ذاتها التي يجري بها بقيَّة الصِّبية نازلين السَّلالم، فأصبحَت الأسطُح مخبأه السِّرِّي والغِربان فوق البُرج المكسور أصدقاءه.
ثم سقطَ.
لا يَذكُر بران السَّقطة، لكنهم يقولون إنه سقطَ، فلا بُدَّ أن هذا صحيح وأنه كان على شفا الموت. عندما رأى الكراجل التي أبلَتها عوامل الطَّقس فوق القلعة الأولى حيث كانت السَّقطة، تمكَّن منه إحساس غريب بالشَّدِّ في معدته، والآن لا يستطيع التسلُّق أو المشي أو الجري أو النِّزال بالسَّيف، وكلُّ أحلام الفُروسيَّة في مخيِّلته راحَت هباءً.
عوى سَمر يوم سقطَ ولأيام طويلة بَعدها بينما كان بران مكسورًا طريح الفِراش، كما أخبرَه روب قبل أن يُغادِر إلى الحرب. لقد بكاه سَمر، وانضمَّ إليه شاجيدوج وجراي ويند في حُزنه، وليلة جاءَ الغُداف الدَّامي بخبر موت



أبيه أدركَ الذِّئبان هذا أيضًا. ليلتها كان بران في بُرج المِايستر مع ريكون، يتكلَّم عن أطفال الغابة، عندما أغرقَ سَمر وشاجيدوج صوت لوين بعُوائهما.

مَن يندبان هذه المرَّة؟ هل قتلَ أحدهم الملك في الشَّمال الذي كان أخاه روب حتى فترةٍ قريبة؟ هل سقطَ أخوه النَّغل چون سنو من فوق «الجِدار»؟ هل ماتَت أمُّه أو إحدى أختيه؟ أم أن هناك سببًا آخَر كما يتصوَّر المِايستر والسِّپتون والعجوز نان؟ قال لنفسه مغتمًّا: لو كنتُ ذئبًا رهيبًا حقًّا لفهمتُ الأغنيَة. في أحلام الذِّئاب التي يراها يعدو صاعدًا الجبال، جبالًا جليديَّةً حادَّة الضُّلوع وأعلى من أيِّ بُرج، وفوق القمَّة يقف تحت القمر المكتمل والعالم كله من تحته كما كان من قبل.

صاحَ بران بنبرةٍ متردِّدة: «آووو!»، ثم إنه ضَمَّ يديه حول فمه ورفعَ رأسه إلى المذنَّب وعوى: «آوووووووووووو-ووووو! آهووووووووووووو!».

بدا الصَّوت سخيفًا، مرتفعًا وأجوف ومرتجفًا كعُواء طفلٍ صغير وليس ذئبًا، غير أن سَمر جاوبَه بصوته العميق الذي طغى على صوت بران الرَّفيع، وانضمَّ إليهما شاجيدوج ليصنع جوقةً من ثلاثتهم، وعوى بران من جديدٍ وتجدَّد عُواء الثَّلاثة معًا، آخِر من تبقَّوا من قطيعهم.

جذبَت الضَّوضاء حارسًا إلى غُرفته، هايهِد ذا الكيس الدُّهني على أنفه، الذي دَسَّ رأسه من فُرجة الباب ليرى بران يعوي في النَّافذة، فقال: «ماذا تفعل أيها الأمير؟».

كان شعور غريب ينتاب بران كلما دعاه أحدهم بـ«الأمير»، على الرغم من أنه وريث روب، وروب هو الملك في الشَّمال الآن. أدارَ رأسه ليعوي في وجه الحارس: «آوووووووو! آوو--وو-وووووووووووو!».

قطَّب هايهِد وجهه وقال: «توقَّف عن هذا».

- «آوو-ووو-ووووو! آوو-ووو-وووووووووووووووو!».

انسحبَ الحارس، وعندما عادَ كان معه المِايستر لوين الذي ارتدى ثيابه الرماديَّةَ بالكامل وسلسلته المشدودة حول عُنقه، وقال: «بران، هذان الحيوانان يُصدِران ضجَّةً كافيةً دون مساعَدتك»، وقطعَ الغُرفة ووضعَ يده على جبهة الصَّبي مضيفًا: «لقد تأخَّر الوقت، وينبغي أن تكون نائمًا بعُمق».



أزاحَ بران يد العجوز وقال: «إنني أكلِّمهما».
- «هل أجعل هايهِد يحملك إلى سريرك؟».
- «يُمكنني الذَّهاب إلى السَّرير وحدي». كان ميكن قد دَقَّ صفًّا من القضبان الحديديَّة في الجدار، ليستطيع بران أن يسحب نفسه عبر الغُرفة بذراعيه، وهي العمليَّة البطيئة العسيرة التي أوجعَت كتفيه، وإن كان يكره أن يُحمَل كذلك. «وعلى كلِّ حالٍ لستُ مضطرًّا لأن أنام إذا كنتُ لا أرغبُ».
- «ينبغي أن ينام الجميع يا بران، حتى الأمراء».
قال بران: «إنني أتحوَّل إلى ذئب عندما أنام»، وأشاحَ بوجهه ليَرمُق اللَّيل من جديدٍ وتساءلَ: «هل تَحلُم الذِّئاب؟».
- «كلُّ المخلوقات تحلمُ على ما أعتقدُ، لكن ليس مِثل البَشر».
- «وهل يَحلُم الموتى؟»، سأله بران وهو يُفكِّر في أبيه. في السَّراديب المظلمة أسفل وينترفل كان ثمَّة نحَّات يَنقُش ملامح أبيه في الجرانيت.
أجابَ المِايستر: «البعض يقول نعم والبعض يقول لا، أمَّا الموتى أنفسهم فلا يُعَلِّقون على تلك المسألة».
- «وهل تَحلُم الأشجار؟».
- «الأشجار؟ كلا».
- «بل تَحلُم»، قال بران بيقينٍ مفاجئ. «إنها تَحلُم أحلام الأشجار، وأنا أحلمُ بشجرةٍ أحيانًا، شجرة ويروود كالتي في أيكة الآلهة. إنها تُناديني... لكن أحلام الذِّئاب أفضل، ففيها أشمُّ رائحة كلِّ شيء، وأحيانًا أحسُّ بمذاق الدَّم على لساني».
شَدَّ المِايستر لوين سلسلته حيث حكَّت عُنقه، وقال: «ليتك تقضي المزيد من الوقت مع بقيَّة الصِّبية».
- «إنني أكرهُ بقيَّة الصِّبية»، قاطَعه بران قاصدًا الصَّبيَّيْن والدر بالتحديد، ثم قال: «آمرك بأن تصرف الوالدريْن».
رَدَّ لوين بصرامة: «الصَّبيَّان فراي ربيبان لدى السيِّدة والدتك، وأُرسِلا لينشآ هنا بأمرٍ صريح منها، وليس لك أن تَطرُدهما، وليس من اللُّطف أن تفعل. أين سيذهبا إذا صرفناهما؟».



- «إلى ديارهما. إنها غلطتهما أنك تَرفُض أن يكون سَمر معي».
- «صبيُّ فراي لم يَطلُب أن يتعرَّض للهجوم، تمامًا كما لم أطلب التعرُّض إليه من قبله».
- «شاجيدوج هو مَن هاجمَه». كان ذئب ريكون الأسود الكبير شديد الضَّراوة لدرجة أن بران نفسه كان يخشاه أحيانًا. «سَمر لم يعضَّ أحدًا من قبل».
- «سَمر مزَّق حَلق رجلٍ في هذه الغُرفة بالتَّحديد، أم أنك نسيت؟ الحقيقة أن تلك الجراء الجميلة التِي عثرت عليها مع أخويك وسط الثُّلوج كبرَت وصارَت وحوشًا خطرة، والصَّبيَّان فراي حكيمان بما يكفي لأن يحذرا منها».
- «يَجدُر بنا أن نضع الوالدريْن في أيكة الآلهة. فليلعبا «سيِّد المعبر» هناك كما أحبَّا، ولينم سَمر معي هنا مجدَّدًا. لِمَ لا تُصغون إليَّ ما دمتُ الأمير؟ أردتُ أن أركب دانسر كذلك، لكن آلبلي لا يسمح لي بالخروج من البوَّابة».
- «وهو على حَق. غابة الذِّئاب تعجُّ بالأخطار، وكان ينبغي أن تُعلِّمك رحلتك الأخيرة إلى هناك هذا. هل تُريد أن يختطفك خارج ما على القانون ويبيعك إلى عائلة لانستر؟».
قال بران بعناد: «سَمر سيُنقِذني. منَ المفترَض أن يكون مسموحًا للأُمراء بركوب البحر وصيد الخنازير البريَّة في غابة الذِّئاب والنِّزال بالرِّماح».
- «بران يا صغيري، لماذا تُعَذِّب نفسك هكذا؟ قد تفعل بعض تلك الأشياء ذات يوم، لكنك مجرَّد ولدٍ في الثَّامنة الآن».
- «أفضِّلُ أن أكون ذئبًا. عندها سأعيشُ في الغابة وأنامُ حينما أريدُ، وأعثرُ على آريا وسانزا كذلك. سأعرفُ أين هما من رائحتيهما وأذهبُ لإنقاذهما، وأُحارِبُ إلى جوار روب مِثل جراي ويند عندما يذهب إلى المعركة، وأمزِّقُ حَلق قاتِل الملك بأنيابي تمزيقًا، ثم ستنتهي الحرب ويعود الجميع إلى وينترفل. لو كنتُ ذئبًا...»، وعادَ يعوي من جديد: «**آوو-ووو-ووووووووووو!**».
رفعَ لوين صوته قائلًا: «الأمير الحَقُّ يُرَحِّب بـ...».
وقاطَعه بران عاويًا بصوتٍ أعلى: «**آاهووووووو! أووو-أووو-أووو!**».



قال المِايستر باستسلام: «**كما تشاء أيها الصَّغير**»، وبنظرةٍ نِصفها حُزن ونِصفها امتعاض غادرَ الغُرفة.

فقدَ العُواء نكهته بمجرَّد أن أصبحَ بران بمُفرده، وبَعد فترةٍ لاذَ بالصَّمت وقال لنفسه مستاءً: لقد رحَّبتُ بهما، كنتُ سيِّد وينترفل، كنت سيِّدًا حقيقيًّا، ولا يُمكنه أن يقول العكس. عندما وصلَ الوالدران من «التَّوأمتين»، كان ريكون هو من أرادَهما أن يرحلا، وصرخَ الطِّفل ذو الأعوام الأربعة بأنه يُريد أمَّه وأباه وروب، وليس هذين الغريبين، فكان على بران أن يُهَدِّئه ويُرَحِّب بابني فراي، فقدَّم لهما الطَّعام والشَّراب وأجلسهما إلى جوار المستوقَد، وحتى المِايستر لوين نفسه قال بَعدها إنه أبلى بلاءً حسنًا.

غير أن ذلك كان قبل اللُّعبة.

تتطلَّب اللُّعبة جذع شجرة وعصًا ومسطَّحًا مائيًّا، والكثير جدًّا من الصِّياح. أكَّد والدر ووالدر لبران أن الماء هو الجزء الأهمُّ على الإطلاق، حيث يُمكنك أن تستعيض بلوحٍ خشبٍ قوي أو صَفٍّ من الأحجار عن الجذع، وتستخدم فرع شجرةٍ بدلًا من العصا، وليس من الضروري أن تصيح، لكن من غير الماء ليست هناك لُعبة. بطبيعة الحال لم يكن المِايستر لوين والسير رودريك ليسمحا للأطفال بالتِّجوال في غابة الذِّئاب بحثًا عن جدول ماء، فاكتفوا بواحدةٍ من البِرك التي يتصاعَد منها البُخار في أيكة الآلهة. لم يكن والدر ووالدر قد رأيا مياهًا ساخنةً تفور من الأرض من قبل، وإن أقرَّا بأن هذا سيجعل اللُّعبة أفضل كثيرًا.

كلاهما كان اسمه والدر فراي، وقال والدر الكبير إن هناك مجموعات كاملة ممَّن اسمهم والدر في «التَّوأمتين»، كلهم مسمَّى تيمُّنًا بجدِّهم اللورد والدر فراي. قال لهما بران بغطرسةٍ عندما سمعَ هذا: «لكلٍّ منا اسمه الخاص هنا في وينترفل».

تُمارَس اللُّعبة بأن تضع جذع الشَّجرة عبر الماء بالعرض، ويقف أحد اللَّاعبين في المنتصَف حاملًا العصا باعتباره سيِّد المعبر، وعندما يأتي إليه لاعب آخَر يقول له: «أنا سيِّد المعبر، مَن هناك؟»، فيكون على اللَّاعب الآخَر أن يُلقي خطابًا يصفُ فيه من هو ولِمَ ينبغي أن يُسمَح له بالعبور. يستطيع السيِّد



أن يجعل الآخَرين يُقسِمون على أشياء ويُجيبون على أسئلته، وإن لم يكن من الضروري أن يقولوا الحقيقة، بينما القَسم مُلزِم، ما لم يتضمَّن كلامك كلمة «ربما»، أي أن الحيلة هنا أن تقول «ربما» دون أن ينتبه سيِّد المعبر. بَعدها يُمكنك أن تُحاول أن تُسقِطه في الماء لتُصبِح أنت سيِّد المعبر، لكن فقط إذا قلت «ربما»، وإلَّا ستَخرُج من اللُّعبة. يستطيع سيِّد المعبر أن يُسقِط أيَّ لاعبٍ يُريد في الماء في أيِّ وقت، وهو الوحيد المسموح له باستخدام العصا.

من الناحية العمليَّة كانت اللُّعبة تتلخَّص غالبًا في الصِّياح والضَّرب والسُّقوط في الماء، مع الكثير من الشِّجار الصَّاخب الذي يدور حول قول أحدهم «ربما» من عدمه. غالبًا ما كان والدر الصَّغير هو سيِّد المعبر، وكان الصَّغير على الرغم من أنه طويلًا ممتلئ الجسم ولديه وجه أحمر وبطن كبير مستدير، أمَّا والدر الكبير فكان حادَّ الملامح نحيلًا وأقصر قامةً بِنِصف قدم.

قال والدر الصَّغير مفسِّرًا: «إنه يَكبُرني باثنين وخمسين يومًا، وكان أكبر مني حجمًا في البداية لكن نموِّي كان أسرع منه».

وأضافَ والدر الكبير (الأصغر حجمًا): «إننا ابنا عم ولسنا أخوين. أنا والدر بن چاموس، وأبي ابن اللورد والدر من زوجته الرَّابعة. هو والدر بن مريت، وجدَّته كانت زوجة اللورد والدر الثَّالثة، سليلة عائلة كراكهول. إنه يسبقني في تسلسُل الوراثة مع أني أكبُره سِنًّا».

قال الصَّغير محتجًّا: «باثنين وخمسين يومًا فقط، ولا أحد منا سيُصبِح سيِّد «التَّوأمتين» أيها الأحمق».

رَدَّ الكبير: «أنا سأصبحُ سيِّد «التَّوأمتين». على كلِّ حال هناك آخَرون اسمهم والدر. السير ستفرون لديه حفيد اسمه والدر الأسود، وهو الرَّابع في تسلسُل الوراثة، وهناك والدر الأحمر ابن السير إمون، ووالدر النَّغل الذي لا يتضمَّنه التَّسلسُل أصلًا، لأن اسمه والدر ريڤرز وليس والدر فراي، كما أن هناك بناتٍ اسمهن والدا كذلك».

- «وتير أيضًا، دائمًا ما تنسى تير».

قال والدر الكبير بلا مبالاة: «اسمه والتير وليس والدر، ثم إنه بَعدنا في تسلسُل الوراثة، فلا أهميَّة له. الواقع أني لم أحبه قَطُّ».



قضى السير رودريك أن يتقاسَما غُرفة چون سنو القديمة، بما أن چون في حَرس اللَّيل الآن ولن يعود أبدًا، ولقد كرهَ بران هذا لأنه شعرَ أن ولدي فراي يُحاوِلان سرقة مكان چون.

كان بران يتفرَّج مغتمًّا بينما يتبارى الوالدران مع تورنيپ صبيِّ الطَّاهي وباندي وشايرا ابنتي چوزث، وقد عيَّن الوالدران بران حكمًا ليُقَرِّر إن كان أحدهم قد قال «ربما» أم لا، لكنهم نسوا أمره تمامًا بمجرَّد أن بدأوا اللَّعب. سرعان ما جذبَ الصِّياح وبعثرة الماء آخَرين: پالا عاملة وَجار الكلاب، وكالون ولد كاين، وتومتو الذي ماتَ أبوه توم السَّمين مع أبي بران في كينجز لاندنج؛ ولم يمضِ وقت طويل حتى كانوا كلهم غارقين في الماء وملوَّثين بالأوحال، ورأى بران پالا وقد غطَّاها اللَّون البُنِّي من رأسها إلى قدميها وعلقَ الطُّحلُب في شَعرها بينما تقطَّعت أنفاسها من فرط الضَّحك. لم يسمع بران كلَّ هذا الضَّحك منذ اللَّيلة التي أتى فيها الغُداف الدَّامي، وفكَّر بمرارة: لو كانت ساقاي سليمتين لأسقطتهم جميعًا في الماء، ولما كان للمعبر سيِّد سواي.

أخيرًا جاءَ ريكون يجري إلى أيكة الآلهة وفي أعقابه شاجيدوج، وشاهدَ بينما تصارعَ تورنيپ ووالدر الصَّغير على العصا، إلى أن فقدَ تورنيپ توازُنه وسقطَ في الماء ليَرُشَّه في كلِّ مكانٍ وهو يُلَوِّح بذراعيه، ثم صاحَ ريكون: «أنا! إنه دوري! أريدُ أن ألعب!»، فأشارَ إليه والدر الصَّغير بالتقدُّم وبدأ شاجيدوج يتبعه، فقال له آمرًا: «لا يا شاجي، الذِّئاب لا تلعب. انتظِر مع بران». ولقد أطاعَه شاجي...

... إلى أن ضربَ والدر الصَّغير ريكون بعصاه على بطنه، وقبل أن يرتدَّ إلى بران طرفه كان الذِّئب الأسود يطير بسُرعة السَّهم فوق لوح الخشب، وكان هناك دم في الماء، والوالدران يَصرُخان كأن هناك من أشعلَ فيهما النَّار، وريكون يجلس في الوحل ويضحك، وهودور جاءَ يعدو بجسده العملاق صائحًا: «هودور! هودور! هودور!».

الغريب أن بران قرَّر بَعدها أنه يُحِبُّ الوالدرين. لم يلعبوا «سيِّد المعبر» ثانيةً منذ ذلك اليوم، وإن تنوَّعت ألعابهم الأخرى بين «الوحوش والعذارى»



و«قِطط وفئران» و«تعالَ إلى قلعتي»، وغيرها. هكذا بدأ الوالدران وريكون في صُحبتهما السَّطو على الفطائر وأقراص العسل في المطبخ، وتسابَقوا حول الأسوار، وألقوا العظام إلى الجراء في الوَجار، وتدرَّبوا بسيوفٍ خشبيَّة تحت نظر السير رودريك الثَّاقب، حتى إن ريكون أراهما السَّراديب العميقة تحت الأرض، حيث كان النحَّات يَنقُش مقبرة السيِّد والده. صرخَ بران في أخيه لمَّا علمَ بهذا: «لم يكن لديك حق! هذا مكاننا نحن، مكان أبناء ستارك!»، لكن ريكون لم يكترث إطلاقًا.

انفتحَ باب غُرفة نومه، ودخلَ المِايستر لوين حاملًا برطمانًا أخضر، وهذه المرَّة كانت معه أوشا وهايهد. «أعددتُ لك عقَّارًا للنَّوم يا بران».

رفعَته أوشا بذراعيها النَّاحلتين. كانت طويلةً بالنِّسبة لامرأة وقويَّةً للغاية، وحملَته إلى فِراشه بلا أيِّ مشقَّة.

قال المِايستر لوين وهو يخلع سِدادة البرطمان: «سيجعلك تنام نومًا عميقًا بلا أحلام».

قال بران وهو يُريد أن يُصَدِّقه: «حقًّا؟».

- «نعم، اشرب».

وشربَ بران. كان العقَّار ثخينًا وله مذاق كالطَّباشير، وإن كان محلًّى بالعسل، فاستطاعَ ابتلاعه بسهولة.

قال لوين: «ستُصبِح أفضل مع حلول الغد»، ومنحَ بران ابتسامةً وربَّت على كتفه قبل أن ينصرف.

لم تلحق به أوشا وسألَت بران: «أهي أحلام الذِّئاب ثانيةً؟».

أومأ برأسه إيجابًا.

- «لا ينبغي أن تُقاوِم بهذه القوَّة أيها الصَّبي. إنني أراك تُكَلِّم شجرة القلوب، ولعلَّ الآلهة تُحاوِل الرَّدَّ عليك».

- «الآلهة»، تمتمَ وقد بدأ يَشعُر بالنُّعاس بالفعل، وتشوَّش وجه أوشا أمامه وصارَ ضبابيًّا. نوم عميق بلا أحلام.

لكنه وجدَ نفسه في أيكة الآلهة عندما أطبقَ عليه الظَّلام، يتحرَّك بصمتٍ تحت أشجار الحارس بلونيها الأخضر والرِّمادي وأشجار البلُّوط القديمة



كالزَّمن ذاته، وفكَّر متهلِّلًا: إنني أمشي! جزءٌ منه كان يعرف أنه مجرَّد حُلم، لكن حتى الحُلم بالمشي أفضل من واقع غُرفته بجُدرانها وسقفها وبابها.

كان الظَّلام سائدًا بين الأشجار، لكن المذنَّب أضاءَ طريقه وجعل خُطاه واثقةً وهو يتحرَّك على أربع قوائم سليمة وقويَّة وسريعة. أحسَّ بالأرض من تحته، والطَّقطقة الخافتة التي تُصدِرها أوراق الشَّجر السَّاقطة، والجذور السَّميكة والحجارة الصُّلبة، والطَّبقات العميقة من دُبال التُّربة. كان إحساسًا رائعًا.

أفعمَت الرَّوائح المُسْكِرَة المفعمة بالحياة رأسه، رائحة العطن الخضراء الموحِلة القادمة من البِرك السَّاخنة، وعِطر التُّربة الغنيَّة التي تتعفَّن تحت حوافره، والسَّناجب في أشجار البلُّوط كثيرة العُقد. جعلَته رائحة السَّناجب يتذكَّر مذاق الدِّماء الحارَّة وكيف تتكسَّر العظام بين أسنانه، وامتلأَ فمه باللُّعاب. كان قد أكلَ منذ نِصف يوم على الأكثر، لكن ليس هناك ما يدعو للابتهاج في اللَّحم الميت، حتى لحم الأيل. كان يسمع صرير السَّناجب وحفيفها من فوقه وقد لاذَت بأوراق الأشجار، لكنها لن تنزل أبدًا إلى حيث يتسكَّع مع أخيه.

كان يشمُّ رائحة أخيه كذلك، الرَّائحة المألوفة القويَّة الغنيَّة بالتُّربة، الرَّائحة السَّوداء كفرائه، وقد أخذَ يتواثَب ثائرًا عند الأسوار. كان يدور ويدور، ليلةً بَعد ليلةٍ بَعد ليلة، بلا كمد، يبحث... يبحث عن فريسة، عن طريقٍ للخروج، عن أمِّه، عن إخوته، عن قطيعه... يبحث ويبحث ولا يَعثُر على شيءٍ أبدًا.

ارتفعَت الأسوار من وراء الأشجار أكوامًا فوق أكوام من صخور بني الإنسان الخالية من الحياة، التي تلوح من ثغرةٍ صغيرة مفتوحة في الخشب الحي. ارتفعَت الأسوار مرقَّطةً بالرَّمادي ومبقَّعةً بالطَّحالب، لكن سميكةً قويَّةً وأعلى من أن يستطيع أيُّ ذئب أن يقفز، وسَدَّ الحديد البارد والخشب الجارح كلَّ الفتحات في الأحجار المكوَّمة التي تُطوِّقهما. كان أخوه يتوقَّف عند كلِّ فتحةٍ ويُكشِّر عن أنيابه غضبًا، لكن كلَّ الطُّرق ظلَّت مغلَقةً.

لقد فعل الشَّيء نفسه أول ليلة وتعلَّم أنه بلا طائل. الزَّمجرة لن تَشُقَّ أيَّ طُرُقٍ هنا، والدَّوران حول الأسوار لن يدفعها لأن تنفتح، ورفْع السَّاق ووضع



علامتك على شجرةٍ لن يُبعِد أيَّ بَشريٍّ عنك. لقد ضاقَ العالم من حولهما، لكنْ وراء الأيكة المسوَّرة ما زالت تقع صخور كهوف بني الإنسان الرَّماديَّة الضَّخمة. جاءَه الصَّوت فجأةً قائلًا: وينترفل، ومن وراء جروف بني الإنسان العالية كالسَّماء يُناديه العالم الحقيقي، وهو يعرف أن عليه أن يُلَبِّي النِّداء أو يموت.





آريا

كانوا يمضون على الطَّريق مِن الفَجر إلى الغَسق، يمرُّون بالغابات والبساتين والحقول بالغة الجَمال، وعبر القُرى الصَّغيرة والبَلدات التِّجاريَّة المزدحمة والمعاقل القويَّة، وعندما يحلُّ الظَّلام يُخَيِّمون ويلتهمون طعامهم على ضوء «السَّيف الأحمر»، ويتولَّى الرِّجال الحراسة بالتَّناوُب. كانت آريا تلمح نيرانًا تومض من بين الأشجار في مخيَّمات المسافرين الآخَرين، وبدا لها أن عدد المخيَّمات يزداد كلَّ ليلة، كما تزداد الحركة على طريق الملوك بالنَّهار.

يأتي المسافرون في الصُّبح والظُّهر والمساء، مُسِنُّين وأطفالًا ورجالًا منهم كبير الحجم وضئيله، وفتياتٍ حافيات وأمَّهات تضمُّ كلٌّ منهن رضيعها إلى صدرها، بعضهم يقود عربات المَزارع والبعض يركب متخبِّطًا في مؤخِّرة عرباتٍ تَجُرُّها الثِّيران، لكن عددًا أكبر امتطى أحصنة الحقل والخيول القزمة والبغال والحمير، أيَّ شيءٍ يُمكنه أن يمشي أو يجري أو يتدحرَج. كانت امرأة ما تجرُّ بقرةً حلوبًا على ظَهرها فتاة صغيرة، ورأت آريا حدَّادًا يدفع عربة يدٍ وفيها أدواته، المَطارق والمِلقَط وحتى السِّندان، وبَعد قليلٍ رأت رجلًا آخَر يدفع عربة يدٍ أخرى، وإن كانت هذه تحوي رضيعين ملفوفَين بدثار. أغلبهم يقطع الطَّريق سيرًا على الأقدام، وقد حمَّلوا ممتلكاتهم على أكتافهم وفي أعيُنهم لاحَت نظرات متعَبة متشكِّكة، يتَّجهون جَنوبًا صوب المدينة، صوب كينجز لاندنج، بينما يتَّجه يورن ومن معه شَمالًا، ما جعلَ عددًا محدودًا للغاية من المسافرين يلتفت إليهم ويُوَجِّه لهم كلمةً مقتضبةً. تساءلَت آريا عن سبب كونهم الوحيدين الذين يَسلُكون هذا الاتِّجاه.



مسافرون كثيرون كانوا مسلَّحين، ورأت آريا سكاكين وخناجر ومناجل وفؤوسًا، وسيوفًا هنا وهناك، بينما صنعَ بعضهم هرَّاواتٍ من فروع الأشجار أو حفرَ عصيًّا كثيرة البروزات. كانوا يتحسَّسون أسلحتهم ويُسَلِّطون أنظارهم مع مرور العربات بهم، وفي النِّهاية يَترُكون الرَّكب يمضي، فثلاثون رجلًا عدد كبير، أيًّا كانت قيمة ما لديهم في تلك العربات.

كما قال لها سيريو فورل: انظُري بعينيكِ، واسمعي بأُذنيكِ.

في يوم أخذَت امرأة مجنونة في الصُّراخ فيهم من على جانب الطَّريق: «يا حمقى! سيَقتُلونكم يا حمقى!». كانت نحيفةً كالفزَّاعة، زائغة النَّظرات ودامية القدمين. في الصَّباح التَّالي توقَّف تاجر أنيق يمتطي فَرسًا رماديَّةً إلى جوار يورن، وعرضَ عليه شراء عرباته بكلِّ ما فيها برُبع ثَمنها، وقال: «إنها الحرب، وسوف يأخذون ما يُريدون، فأفضل لك أن تبيعني ما لديك يا صديقي»، فأشاحَ يورن بوجهه عنه ولوى كتفيه المحنيَّتين وبصقَ على الأرض.

لاحظَت آريا القبر الأول يومها، كومة الثَّرى الصَّغيرة المحفورة لطفل على جانب الطَّريق. كانت هناك بلَّورة تستقرُّ في التُّربة الطريَّة، وأرادَ لومي أنْ يأخذها، لكن الثَّور قال له أن يدع الأموات وشأنهم، وبَعد بضعة فراسخ لمحَ پارد المزيد من القبور، فإذا به صَفٌّ كامل محفور حديثًا. بَعدها لم يكُن يوم يمرُّ دون أن يروا قبرًا آخَر على الأقل.

في مرَّةٍ استيقظَت آريا في الظَّلام شاعرةً بالخوف بلا سببٍ واضح، لترى «السَّيف الأحمر» يتقاسَم السَّماء مع مئات النُّجوم من فوقها. بدَا لها الهدوء الذي سادَ ليلتها غريبًا، وإن بلغَ مسامعها غطيط يورن الخشن وطقطقة النَّار، وحتى تملمُل الحمير الخافت، لكن على الرغم من هذا شعرَت كأن العالم يحبس أنفاسه، وجعلَها الصَّمت ترتجف، فعادَت إلى النوم وهي تقبض على إبرتها. ثم، عندما طلعَ النَّهار ولم يستيقظ پارد، أدركَت آريا أن الصَّوت الذي افتقدَته ليلًا كان صوت سُعاله. هكذا كان القبر المحفور لواحدٍ منهم هذه المرَّة، ودفَنوا المرتزِق حيث نامَ. جرَّده يورن من ممتلكاته الثَّمينة قبل أن يُواروه التُّراب، فأخذَ رجل حذاءه وآخَر خنجره، بينما اقتسمَ رجلان قميصه المعدني وخوذته، وأعطى يورن سيفه الطَّويل إلى الثَّور قائلًا:



«بذراعيك هاتين تستطيع أن تتعلَّم كيف تستخدمه». في النِّهاية ألقى صبيٌّ اسمه تاربر حفنةً من جوزات البلُّوط فوق جثَّة پارد، كي تنمو منها شجرة تُعَلِّم مرقده الأخير.

ليلتها توقَّفوا في قريةٍ عند خان مغطًّى بفروع اللَّبلاب، حيث أحصى يورن ما معه من عُملةٍ في كيس النُّقود، وقرَّر أن معهم ما يكفي لوجبةٍ ساخنة. «سننام في الخارج كما هي العادة، لكن لديهم حمَّامًا هنا إذا كان أحدكم يرغب في القليل من الماء السَّاخن والصَّابون».

لم تجرؤ آريا على الاستحمام، على الرغم من أن رائحتها صارت كريهةً لأقصى حَدٍّ كرائحة يورن، فمخلوقات كثيرة من التي تعيش في ثيابها الآن قطعَت معها كلَّ هذه المسافة من «جُحر البراغيث»، ولم يبدُ لها أن من الصَّواب أن تُميتها غرقًا. انضمَّ تاربر وهوت پاي والثَّور إلى صَفِّ الرِّجال المتوجِّهين إلى أحواض الاستحمام، بينما ازدحمَ البقيَّة في قاعة الخان العامَّة، كما أرسلَ يورن لومي حاملًا دوارق بيرة إلى الثَّلاثة الذين تُرِكوا مكبَّلين بالأصفاد في مؤخِّرة إحدى العربات.

تناولَ من استحمُّوا ومن لم يستحمُّوا عَشاءً من فطائر الخنزير السَّاخنة والتُّفَّاح المخبوز، بل ودعاهم صاحب الخان إلى دورٍ من البيرة على حسابه. «لديَّ أخٍ ارتدى الأسود منذ سنوات. كان خادمًا ويتمتَّع بالذَّكاء، لكن هناك من ضبطه يسرق الفلفل من على مائدة سيِّدنا اللورد. إنه يُحِبُّ مذاق الفلفل لا أكثر. كانت مجرَّد حفنة من الفلفل، لكن السير مالكوم رجل قاسٍ. ألديكم فلفل على «الجِدار»؟»، ولمَّا هَزَّ يورن رأسه نفيًا تنهَّد الرَّجل وقال: «يا للخسارة، لينك يُحِبُّ الفلفل».

أخذَت آريا رشفاتٍ قصيرة من دورقها وهي تلتهم الفطير السَّاخن، متذكِّرةً أن أباها كان يسمح لهم أحيانًا بشُرب كوبٍ من البيرة، التي كانت سانزا تمتعض من مذاقها وتقول إن النَّبيذ أحلى بكثير، بينما راقَت آريا بما فيه الكفاية. أشعرَها التَّفكير في سانزا وأبيها بالأسى.

اكتظَّ الخان بالنَّازحين جَنوبًا، وضجَّت القاعة العامَّة بالسُّخرية عندما أخبرَهم يورن أنهم ذاهبون في الاتِّجاه الآخَر، وقال صاحِب الخان بثقة:



«سرعان ما ستعودون أدراجكم. لا أحد يذهب شَمالًا والحقول نِصفها محروق ومَن تبقَّوا من الأهالي متحصِّنون داخل معاقلهم. هنا ترحل مجموعة فَجرًا ومع مجيء الغَسق تحلُّ مكانها مجموعة أخرى».

قال يورن بإصرار: «كلُّ هذا لا يعنينا في شيء، ولا فارق لدينا بين تَلي ولانستر. حَرس اللَّيل لا دخل لهم في شؤون البلاد».

اللورد تَلي جدِّي. هذا يصنع فارقًا لديها هي، لكنها لم تتكلَّم وأخذَت تمضع شفتها وهي تُصيخ السَّمع.

قال صاحِب الخان: «المسألة أكبر من لانستر وتَلي. هناك الهمجيُّون الذين نزلوا من جبال القمر، فجرِّب أن تقول لهؤلاء إن لا دخل لك. وهناك عائلة ستارك أيضًا تحت قيادة اللورد الشَّاب، ابن يد الملك الرَّاحل».

اعتدلَت آريا في جلستها وأرهفَت السَّمع. هل يقصد روب؟

قال رجل أصفر الشَّعر يحمل دورقًا في يده: «سمعتُ أن الصَّبي يخوض المعركة على ظَهر ذئب».

قال يورن: «كلام فارغ».

- «الرَّجل الذي سمعتُ منه هذا رآه بنفسه، وأقسمَ أنه ذئب كبير كالحصان».

- «كونه أقسمَ لا يجعل ما قاله حقيقيًا يا هود. أنت مثلًا تُقسِم طول الوقت أنك سترِدُّ ما تدين به لي، وحتى الآن لم أرَ منك قِطعة عُملةٍ واحدة»، قال صاحِب الخان، فانفجرَ الحضور ضاحكين واحتقنَ وجه الرَّجل ذو الشَّعر الأصفر.

تدخَّل رجل شاحب الوجه يرتدي معطفًا أخضر وسَّخه السَّفر: «إنه عام سيِّئ فيما يخصُّ الذِّئاب. القُطعان حول بُحيرة «عين الآلهة» أصبحَت أكثر جرأةً من أيِّ وقتٍ مضى، وتَقتُل كما تشاء من خِرافٍ وأبقارٍ وكلابٍ دون تفرقة، ولا تخاف البَشر على الإطلاق. دخول المرء تلك الغابات ليلًا يُكلِّفه حياته لا محالة».

- «آه، تلك مجرَّد حكايات أخرى خالية من الحقيقة كغيرها».

قالت عجوز: «سمعتُ الكلام نفسه من ابنة عمَّتي، وهي ليست من النَّوع



الذي يكذب. تقول إن هناك قطيعًا عظيمًا فيه المئات من الذِّئاب قاتلة البَشر، تقودهم ذئبة أنثى من الجحيم السَّابعة».

ذئبة أنثى. تجرَّعت آريا البيرة والتَّساؤلات تُفعِم عقلها. هل تقع «عين الآلهة» على مقربةٍ من نهر الثَّالوث؟ تمنَّت لو أن معها خريطة. لقد تركَت نايميريا بالقُرب من الثَّالوث رغمًا عنها لمَّا قال چوري إن لا خيار هنالك، وإنهم سيَقتُلون الذِّئبة إذا عادَت معهما لأنها عضَّت چوفري، رغم أنه استحقَّ هذا. يومها أخذَا في الصِّياح والصُّراخ وإلقاء الأحجار، وأخيرًا بَعد أن أصابَتها بعض أحجار آريا، كفَّت الذِّئبة الرَّهيبة عن اللَّحاق بهما. ربما لا تتذكَّرني أصلًا، وإذا تذكَّرتني فلا بُدَّ أنها ستكرهني.

قال ذو المعطف الأخضر: «سمعتُ أن ذئبة الجحيم تلك دخلَت قريةً ذات يوم... كان يوم السُّوق والنَّاس في كلِّ مكان، وإذا بها تَدخُل وتنتزع رضيعًا من بين يدي أمِّه، وعندما بلغَت الحكاية أسماع اللورد موتون وأبنائه، أقسَموا أنهم سيقضون عليها، واقتفوا أثرها إلى وكرها ومعهم قطيع من كلاب صيد الذِّئاب، وبالكاد استطاعوا النَّجاة بحياتهم، أمَّا الكلاب فلم يرجع منها ولو واحد».

اندفعَت آريا تقول قبل أن تستطيع كبح نفسها: «هذه مجرَّد حكاية، الذِّئاب لا تأكل الرُّضَّع».

سألَ ذو المعطف الأخضر: «وما الذي تعرفه عن هذا يا فتى؟».

قبضَ يورن على ذراعها قبل أن تستطيع التَّفكير في إجابة، وقال: «البيرة أسكرَت الصَّبي، هذا كلُّ ما هنالك».

– «كلا، الذِّئاب لا تأكل الرُّضَّع...».

– «إلى الخارج يا ولد... وابقَ هناك حتى تتعلَّم أن تخرس تمامًا عندما يتكلَّم الرِّجال»، ودفعَها بقوَّةٍ نحو الباب الجانبي الذي يقود إلى الاسطبلات. «اذهب وانظُر إن كانوا قد سقوا الخيول».

خرجَت آريا تتميَّز غيظًا، ودمدمَت وهي تَركُل صخرةً صغيرةً: «إنها لا تأكل الرُّضَّع!».



تدحرجَت الصَّخرة حتى استقرَّت تحت العربات، وسمعَت آريا صوتًا ودودًا يُنادي: «أيها الصَّبي، أيها الصَّبي الجميل».

كان واحد من الثَّلاثة المكبَّلين بالحديد يُكَلِّمها، فدنَت آريا من عربتهم بخطواتٍ حذرة وقد وضعَت يدها على مقبض إبرتها.

رفعَ السَّجين دورقًا فارغًا، فأصدرَت سلاسله صليلًا وهو يقول: «الرَّجل يرغب في مقدارٍ آخَر من البيرة، الرَّجل يُشعُر بالظَّمأ من ارتداء هذه القيود الثَّقيلة». كان أصغر الثَّلاثة سِنًّا، نحيل الجسد وحسن القسمات ودائم الابتسام، شَعره أحمر اللَّون على جانب رأسه وأبيض على الجانب الثَّاني، وقد تلبَّد واتَّسخ تمامًا بفِعل الحبس والسَّفر. قال لمَّا رأى الطَّريقة التي تَرمُقه بها آريا: «الرَّجل يرغب في حمَّامٍ أيضًا، والصَّبي يُمكنه أن يكسب صديقًا».

قالت آريا: «لديَّ أصدقاء».

قال عديم الأنف: «لا أرى أحدًا منهم هنا». كان سمينًا ثخين الجِلد ضخم اليدين، وغطَّى الشَّعر الأسود ذراعيه وساقيه وصدره وحتى ظَهره، فذكَّر آريا برسم رأته ذات مرَّةٍ في كتابٍ لقردٍ من جُزر الصَّيف. كانت الفجوة في وجهه تجعلُ النَّظر إليه طويلًا صعبًا.

فتحَ الأصلع فمه وفَحَّ في وجهها كسحليَّةٍ بيضاء ضخمة، وعندما تراجعَت آريا مُجفِلةً فغرَ فاه عن آخِره وهَزَّ لسانه لها، أو بقايا لسانه بالأحرى، فقالت مغضبةً: «كُفَّ عن هذا».

قال الوسيم ذو الشَّعر الأحمر والأبيض: «الرَّجل لا يختار رفاقه في الزَّنازين السَّوداء». ذكَّرها شيء ما في طريقة كلامه بسيريو. ثمَّة تشابُه بشكلٍ ما بين الاثنين، لكن ثمَّة اختلاف أيضًا. «هذان الاثنان لا يتحلَّيان بأيِّ تهذيب، ولذا يَطلُب الرَّجل منك المعذرة. اسمك آري، أليس كذلك؟».

قال عديم الأنف: «رأس الجِزَل، رأس الجِزَل وجه الجِزَل فتى العصا. احترس يا لوراث وإلَّا ضربك بعصاه».

- «لا مفرَّ من أن يخجل الرَّجل من صُحبته يا آري»، قال الوسيم، ثم أشارَ إلى نفسه مضيفًا: «هذا الرَّجل له شرف أن يكون چاكَن هاجار، من مدينة لوراث الحُرَّة فيما مضى. ليته كان في وطنه الآن. رفيقا هذا الرَّجل المذمومان



هما رورج...»، وأشارَ بدورقه إلى عديم الأنف. «... والعضَّاض». فَحَّ العضَّاض في وجهها من جديد، ليكشف عن أسنانه المصفرَّة ذات الرُّؤوس المدبَّبة. «ينبغي أن يكون للرَّجل اسم، أليس كذلك؟ العضَّاض لا يستطيع الكلام، العضَّاض لا يستطيع الكتابة، لكن أسنانه شديدة الحدَّة، وعندما يُناديه الرَّجل بالعضَّاض يبتسم. أأنت مسحور أم ماذا؟».

تراجعَت آريا بعيدًا عن العربة قائلةً: «لا». لا يُمكنهم أن يمسُّوني بأذى، إنهم مكبَّلون.

قلبَ دورقه قائلًا: «على الرَّجل أن يبكي».

قذفَ رورج عديم الأنف دورقه في وجهها مُطلِقًا سُبَّةً، وإن جعلَته قيوده لا يُحكِم التَّسديد، ومع ذلك كان الدَّورق الثَّقيل المصنوع من القصدير ليصطدم برأسها مباشرةً، لولا أنها وثبَت جانبًا. صاحَ فيها: «أحضِر لنا البيرة الآن أيها الحشرة! الآن!».

- «اخرس!». حاولَت آريا أن تتصوَّر ما كان سيريو ليفعله في هذا الموقف، ثم إنها سحبَت سيف التَّدريب الخشبي.

قال رورج: «اقترب وسأدسُّ هذه العصا في شَرجك وأنيكك بها حتى تدمى».

ضربة الخوف أمضى من السَّيف. جعلَت آريا نفسها تدنو من العربة وكلُّ خطوةٍ تخطوها أصعب من سابقتها. بشراسة الوولفرين، بهدوء المياه الرَّاكدة. تردَّدت الكلمات في عقلها كالغِناء، وفكَّرت أن سيريو لم يكن ليخاف الآن. كانت على وشك أن تلمس العجلة عندما نهضَ العضَّاض فجأةً وحاولَ أن يقبض عليها، ليتعالى صليل الأغلال الحديديَّة، التي أوقفَت يديه على بُعد نِصف قدم لا أكثر من وجه آريا، ففَحَّ مرَّةً أخرى.

وضربَتْه هي بعُنفٍ بين عينيه الصَّغيرتين مباشرةً.

تراجعَ العضَّاض مترنِّحًا وهو يَصرُخ بألم، ثم ألقى بوزنه كله إلى الأمام، فانزلقَت حلقات السَّلاسل ودارَت وشُدَّت عن آخِرها، وسمعَت آريا صرير الخشب الجاف القديم والحلقات الحديديَّة الكبيرة تُكافِح للتحرُّر من ألواح أرضيَّة العربة، ورأت يدين شاحبتين ضخمتين تُلَوِّحان أمامها في محاولةٍ



للإمساك بها وقد انتفخَت العروق في ذراعي العضَّاض، لكن القيود ظلَّت متماسكةً، وأخيرًا تراجعَ الرَّجل وتهاوى أرضًا، وسرى الدَّم من قروح وجهه.

قال مَن سمَّى نفسه چاكن هاجار: «الصَّبي لديه شَجاعة أكثر من العقل».

تراجعَت آريا بتؤدةٍ بعيدًا عن العربة، وعندما شعرَت باليد توضَع على كتفها، دارَت على عقبيها رافعةً سيفها الخشبي من جديد، لكنه كان الثَّور لا أكثر، فسألته بحدَّة: «ماذا تفعل؟».

رفعَ يده بحركةٍ دفاعيَّة مجيبًا: «يورن أمرَنا بعدم الاقتراب من هؤلاء الثَّلاثة».

- «إنهم لا يُخيفونني».

قال الثَّور: «إذن فأنت أحمق، فهُم يُخيفونني أنا!»، ووضعَ يده على مقبض سيفه، فبدأ رورج يضحك. «لنبتعد عنهم».

جرَّت آريا قدميها على مضض، لكنها تركَت الثَّور يقودها إلى مقدِّمة الخان، بينما تبعَتهما ضحكات رورج وفحيح العضَّاض. «هل تُريد القتال؟»، سألته شاعرةً بالرَّغبة في أن تضرب شيئًا.

رمقَها مندهشًا وقد سقطَت خُصلٌ مبتلَّةٌ من شَعره الأسود الكثيف على عينيه ذواتي اللَّون الأزرق العميق، وقال: «سأؤذيك».

- «لن تفعل».

- «أنت لا تعرف كم أنا قوي».

- «وأنت لا تعرف كم أنا سريع».

سحبَ سيف پارد الطَّويل، وقال: «أنت من طلبت. هذا فولاذ رخيص، لكنه سيف حقيقي».

وسحبَت آريا إبرتها قائلةً: «وهذا فولاذ ممتاز، أي أنه حقيقي أكثر من سيفك».

هَزَّ الثَّور رأسه وقال: «أتعِد ألَّا تبكي إذا جرحتك؟».

قالت: «أعدك إذا وعدتني بالمِثل»، ودارَت جانبًا متَّخذةً وضع راقصي المياه، لكن الثَّور لم يتحرَّك، بل كان يتطلَّع إلى شيءٍ ما وراءها، فسألته: «ما الأمر؟».



عقدَ حاجبيه عن آخِرهما وأجاب: «ذوو المعاطف الذَّهبيَّة».

قالت آريا لنفسها: مستحيل، لكنها رأتهم قادمين على طريق الملوك عندما التفتَت، ستَّة منهم يرتدون قمصان الحلقات المعدنيَّة السَّوداء والمعاطف الذَّهبيَّة ككلِّ حَرس المدينة. كان أحدهم ضابطًا، يرتدي درع صدرٍ سوداء من المينا تُزَيِّنها أربعة أقراصٍ ذهبيَّة. توقَّفوا أمام الخان، فبدا لآريا كأنَّ صوت سيريو يهمس لها: انظُري بعينيك، وما رأته عيناها كان الرَّغوة البيضاء تحت سَرج كلِّ حصان، ما يعني أن راكبي الخيول انطلقوا بها بأقصى سُرعةٍ لمسافةٍ طويلة. بهدوء المياه الرَّاكدة أخذَت الثَّور من ذراعه وسحبَته إلى وراء سياجٍ من الشُّجيرات الطَّويلة المورقة.

قال لها: «ماذا هناك؟ ماذا تفعل؟ دَعني».

همسَت وهي تسحبه إلى أسفل: «بهدوء الظِّلال!».

كان بعض رجال يورن الآخَرين يجلسون أمام مدخل الحمَّام في انتظار دورهم، فصاحَ فيهم واحد من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة: «أيها الرجال، أأنتم المجموعة التي غادرَت للانضمام لحَرس اللَّيل؟».

أجابَه أحدهم بحذر: «ربما».

وقال رايزن العجوز: «نُفَضِّل أن ننضمَّ إليكم يا أولاد، فقد سمعنا أن البرد شديد على «الجِدار»».

ترجَّل الضَّابط وقال: «معي تفويض بالتَّحفُّظ على صبيٍّ معيَّن...».

خرجَ يورن من الخان مداعبًا لحيته السَّوداء المتشابكة، وقاطَعه: «ومَن يُريد هذا الصَّبي؟».

كان بقيَّة ذوي المعاطف الذَّهبيَّة يترجَّلون ليقفوا إلى جوار خيولهم، وسألَ الثَّور آريا هامسًا: «لماذا نختبئ؟».

همسَت آريا في أُذنه التي لا تزال تحمل رائحة الصَّابون: «إنهم يُريدونني أنا، فاصمت».

قال الضَّابط: «الملكة تُريده أيها العجوز، وإن لم يكن هذا من شأنك»، وسحبَ شريطًا من حزامه وأضافَ: «هاك، خَتم جلالتها وتفويضها».



هَزَّ الثَّور رأسه بشَكٍّ وراء سياج الشُّجيرات، وقال: «ولماذا تُريدك الملكة أنت بالذَّات يا آري؟».

لكمَته في كتفه قائلةً: «صمتًا!».

داعبَت أصابع يورن الشَّريط ذا كُتلة الشَّمع الذَّهبي، وقال بازدراء: «جميل، لكن المشكلة أن الصَّبي أصبحَ في حَرس اللَّيل، وأيًّا كان ما فعله في المدينة لا يعني مقدار قطرةٍ من بول الآن».

– «الملكة لا تُبالي بوجهة نظرك أيها العجوز، ولا أنا كذلك. سآخذُ الصَّبي معي».

فكَّرت آريا في الهرب، لكنها أدركَت أنها لن تبتعد كثيرًا وهي تركب حمارًا بينما يركبون الخيول. إنها متعبَة بحَقٍّ من الهرب. لقد هربَت حين جاءَ السير مرين ليأخذها، وهربَت ثانيةً عندما قتَلوا أباها. لو كانت راقصة مياهٍ حقيقيَّة، لخرجَت إليهم بإبرتها وقتلَتهم جميعًا لتكفَّ عن الهرب إلى الأبد.

قال يورن بعناد: «لن تأخذ أحدًا. ثمَّة قوانين تَحكُم هذه الأشياء».

استلَّ ذو المعطف الذَّهبي سيفًا قصيرًا، وقال: «ها هو قانونك».

رمقَ يورن السَّيف، وردَّ: «هذا ليس قانونًا، بل مجرَّد سيف، ويتصادَف أن معي واحدًا أيضًا».

ابتسمَ الضَّابط قائلًا: «أيها العجوز الأحمق، إن معي خمسة رجال».

بصقَ يورن وقال: «وأنا معي ثلاثون».

ضحكَ ذو المعطف الذَّهبي، وقال آخَر كبير الحجم وضيع الشَّكل ذو أنفٍ مكسور: «هذه الشِّرذمة؟»، ثم صاحَ وهو يسحب سيفه: «مَن الأول؟».

التقطَ تاربر مذراةً من كومة قَشٍّ، وقال: «أنا».

– «لا، أنا»، زعقَ البنَّاء الممتلئ كَتچاك وهو يُمَرِّر مطرقته على المئزر الجِلدي الذي يرتديه دائمًا.

وتقدَّم كورز حاملًا سكِّين السَّلخ وردَّد: «أنا».

وشَدَّ كوس قوسه الطَّويل قائلًا: «أنا وهو».

– «كلنا»، قال رايزن مختطفًا عُكَّازه الطَّويل المصنوع من الخشب القوي.



خرجَ دوبر من الحمَّام مكوِّمًا ثيابه بين يديه، ولمَّا رأى ما يَحدُث ألقى كلَّ ما فيه يده باستثناء خنجره، وسألهم: «أهذا قتال؟».

- «أظنُّ هذا»، أجابَ هوت پاي وهو يزحف على أربع بحثًا عن صخرةٍ كبيرةٍ يقذفها، بينما لم تُصَدِّق آريا ما تراه عيناها. إنها تكره هوت پاي بحرارة، فلماذا يُخاطِر بحياته من أجلها؟!

حافظَ ذو الأنف المكسور على نبرة الاستهانة في صوته وهو يقول: «من الأفضل أن تضعن تلك الحجارة والعصيَّ أيتها الفتيات قبل أن تُصفَعن على مؤخِّراتكنَّ. لا واحدة منكن تعرف من أيِّ طرفٍ يُمسَك السَّيف».

- «أنا أعرف!». لن تسمح آريا بأن يموتوا من أجلها مِثل سيريو، لن تسمح أبدًا! هكذا دفعَت جسدها عبر سياج الشُّجيرات وفي يدها إبرتها، وأخذَت وضع راقصي المياه.

قهقهَ ذو الأنف المكسور ساخرًا، وتطلَّع إليها الضَّابط من أعلى إلى أسفل، ثم قال: «أبعِدي هذا السَّيف أيتها البنت، فلا أحد يُريد أن يُؤذيكِ».

صرخَت غاضبةً: «لستُ بنتًا!». ماذا بهم؟ لقد قطَعوا كلَّ تلك المسافة من أجلها، وها هي ذي أمامهم، لكنهم يبتسمون لها لا أكثر. «أنا مَن تُريدون!».

- «هو من نُريد»، قال الضَّابط مشيرًا بطرف سيفه القصير إلى الثَّور الذي تقدَّم ليقف إلى جوارها، وفي يده سيف پارد الرَّخيص.

لكنه أخطأَ عندما أبعدَ عينيه عن يورن ولو لحظةً، فتلك اللَّحظة هي كلُّ ما استغرقَه الأخ الأسود ليضغَط نصل سيفه على تُفَّاحة حَلق الضَّابط، ويقول: «لن تأخذ أيهما، ما لم تكن تُريدني أن أرى إن كانت تُفَّاحتك قد نضجَت. إن معي عشرة إخوة أو خمسة عشر آخَرين داخل هذا الخان، إذا كنت ما زلت في حاجةٍ إلى الاقتناع. لو كنتُ مكانك لتخلَّيت عن ممزِّق الأحشاء هذا، ووضعتُ فلقتيَّ مؤخِّرتي على هذا الحصان البدين وانطلقتُ عائدًا إلى المدينة»، ثم بصقَ وضغطَ رأس سيفه بقوَّةٍ مضيفًا: «الآن». وعندما حَلَّ الضَّابط أصابعه ليُسقِط سيفه أرضًا، قال يورن: «سنحتفظ بهذا، فدائمًا ما نحتاج الفولاذ الجيِّد على «الجِدار»».

- «كما تقول... في الوقت الحالي. هيا بنا يا رجال»، ودَسَّ ذوو المعاطف



الذَّهبيَّة سيوفهم في أغمدتها وعادوا يمتطون خيولهم، بينما أردفَ الضَّابط: «خيرٌ لك أن تُسارِع بالعودة إلى جداركم هذا أيها العجوز، فعندما أمسكُ بك المرَّة القادمة، سآخذُ رأسك مع رأس الصَّبي النَّغل».

قال يورن: «رجال أفضل منك حاوَلوا من قبل»، وصفعَ كفل حصان الضَّابط بجانب سيفه المسطَّح، لينطلق جاريًا على طريق الملوك، وتبعَه بقيَّتهم.

بدأ هوت پاي يهتف عندما غابوا عن الأنظار، لكن يورن بدا غاضبًا للغاية وهو يزعق فيه: «أيها الأحمق! هل تحسب أنه انتهى منا؟ المرَّة القادمة لن يقف متبخترًا ويُناوِلني شريطًا مختومًا. قولوا للبقيَّة أن يَخرُجوا من الحمَّام، فعلينا أن نتحرَّك. قد نتمكَّن من أن نسبقهم بعض الشَّيء إذا ركبنا طول اللَّيل»، ثم التقطَ السَّيف القصير الذي أسقطَه الضَّابط وسألهم: «مَن يُريد هذا؟».

صاحَ هوت پاي: «أنا!».

- «لا تستعمله ضد آري»، وناولَ السَّيف للصَّبي من مقبضه، ثم اتَّجه نحو آريا، وإن قال موجِّهًا كلامه للثَّور: «الملكة تُريدك بشدَّة يا ولد».

قالت آريا حائرةً: «لماذا تُريده هو؟!».

رمقَها الثَّور عابسًا وقال: «ولماذا تُريدك أنت؟ أنت مجرَّد جرذ حقير!».

- «وأنت لست أكثر من نغل!». أم أنه يتظاهَر فحسب بأنه نغل؟ «ما اسمك؟».

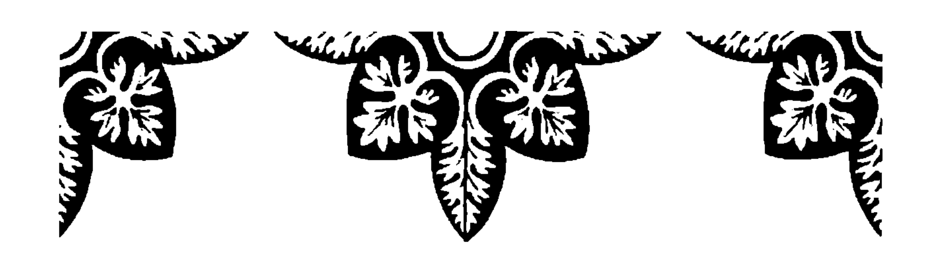
أجابَ كأنه ليس واثقًا تمامًا بالإجابة: «جندري».

قال يورن: «لا أرى سببًا يدعو أحدًا لأن يُريد أيكما، لكن لا أحد يُمكنه أن يأخذكما في جميع الأحوال. اركبا هذين الحصانين، ومع أول لمحةٍ لذوي المعاطف الذَّهبيَّة انطلقا نحو «الجِدار» كأن تنِّينًا يُطارِدكما. بقيَّتنا لا يُمثِّلون لهم شيئًا».

علَّقت آريا: «باستثنائك أنت. ذلك الرَّجل قال إنه سيأخذ رأسك أيضًا».

رَدَّ يورن: «آه، بالنِّسبة لهذا، إذا استطاعَ أن يقطعه من فوق كتفيَّ، فهنيئًا له به».





چون

نادى چون بصوتٍ خفيض: «سام؟».

كان الهواء يعبَق برائحة الورق والغُبار والسِّنين، ومن أمامه ارتفعَت الرُّفوف الخشبيَّة العالية حتى السَّقف المعتم، وقد تكدَّست عليها الكُتب ذات الأغلفة الجِلديَّة، وصناديق المخطوطات العتيقة، بينما تسرَّب من بين أكوام الورق وهجٌ أصفر خافت يأتي من مصباح غير مرئي. أطفأَ چون الفتيل المكسوَّ بالشَّمع الذي يحمله، مفضِّلًا ألَّا يُخاطِر بالتحرُّك باللَّهب المكشوف وسط كلِّ هذه الأوراق القديمة الجافَّة، وبدلًا من هذا اتَّبع الضَّوء وشَقَّ طريقه في الممرَّات الضيِّقة تحت السُّقوف المقنطَرة المرتفعة. كان يبدو كظِلٍّ يسري بين الظِّلال بثيابه السَّوداء تمامًا وشَعره الدَّاكن ووجهه الطَّويل وعينيه الرَّماديَّتين، وقد غطَّى قُفَّازان أسودان من جِلد الخُلد يديه؛ اليُمنى لأنها محروقة، واليُسرى لأن أيَّ رجلٍ سيَشعُر بالحماقة وهو يرتدي قُفَّازًا واحدًا.

كان ساموِيل تارلي يجلس منكفئًا على طاولةٍ موضوعة في كُوَّةٍ محفورة في الحائط الحجري، والوهج يأتي من المصباح المعلَّق فوق رأسه. رفعَ عينيه عندما سمعَ خطوات چون، الذي بادَره: «هل قضيت اللَّيل كله هنا؟».

بدا سام مأخوذًا وهو يقول: «لا أدري. هل قضيته كله هنا؟».

- «إنك لم تتناوَل إفطارك معنا، ولم تنَم في فِراشك». كان راست قد اقترحَ أن سام تهرَّب من الخدمة، لكن چون لم يُصَدِّق ذلك لحظةً، فالتهرُّب يتطلَّب نوعًا خاصًّا من الشَّجاعة، الشَّيء الذي يملك سام نزرًا يسيرًا جدًّا منه.

- «أهو الصَّباح؟ لا توجد وسيلة لمعرفة الوقت هنا».



قال چون: «سام، أنت أحمق طيِّب. سوف تفتقد فِراشك وأنت نائم على الأرض الباردة الصُّلبة، أعدُك بهذا».

تثاءبَ سام، ثم قال: «المِايستر إيمون أرسلَني للعثور على خرائط لحضرة القائد. لم أعتقد قَطُّ أن... چون، الكُتب! هل رأيت شيئًا كهذا من قبل؟ هناك آلاف منها!».

تطلَّع حوله قائلًا: «مكتبة وينترفل فيها أكثر من مئة كتاب. هل وجدت الخرائط؟».

أجابَ سام: «أوه، نعم»، ولوَّح بيده عبر المائدة مشيرًا بأصابعه السَّمينة كأنها أصابعِ سُجق إلى الكُتب واللفائف المكوَّمة أمامه. «دستة على الأقل»، وبسطَ لفافةً مربَّعةً من ورق الرَّقوق مضيفًا: «لقد بهتَت الألوان، لكن يُمكنك أن ترى أين عيَّن مَن رسمَ الخريطة مواقع قُرى الهَمج. ثمَّة كتاب آخَر... أين هو؟ كنتُ أقرأه منذ لحظات»، وأزاحَ بعض اللَّفائف جانبًا ليكشف عن مجلَّدٍ مُترِب مغلَّف بجلدٍ تعفَّن منذ زمن، وقال برهبة: «هذه وقائع رحلةٍ من بُرج الظِّلال وحتى نُقَطة لورن على السَّاحل المتجمِّد، دوَّنها جوَّال اسمه ردوين. إنها ليست مؤرَّخة، لكنه يَذكُر ملكًا في الشَّمال اسمه دورين ستارك، فلا بُدَّ إذن أن تلك الرِّحلة سبقَت «الغَزوة». لقد قاتَلوا عمالقةً يا چون! وثمَّة معامَلات تجاريَّة أيضًا تمَّت بين ردوين وأطفال الغابة. القصَّة كلها مذكورة هنا»، وقلبَ الصَّفحات بلمسةٍ في منتهى الخفَّة من إصبعه، واستطردَ: «ثم إنه رسمَ خرائط، كما ترى...».

- «ربما يُمكنك أن تُدَوِّن وقائع رحلتنا يا سام».

كان چون يقصد أن يُشَجِّعه، ولكنه تفوَّه بالقول الخطأ، فلا يحتاج سام الآن إلى من يُذَكِّره بما ينتظرهم يوم غد. أخذَ سام يُرَتِّب اللَّفائف بلا نظام معيَّن قائلًا: «هناك المزيد من الخرائط. لو كان لديَّ وقت لأبحث... كلُّ شيءٍ هنا مختلط، لكن يُمكنني أن أرتِّبه، أعرفُ أني أستطيعُ، لكن هذا سيستغرق وقتًا... بضع سنوات في الحقيقة».

قال چون: «مورمونت يُريد تلك الخرائط أسرع من هذا»، والتقطَ لفافةً من أحد الصَّناديق ونفخَ ما استطاعَ من غُبارٍ من عليها، وتفتَّت رُكنها بين أصابعه



وهو يَبسُطها، فغمغمَ وقد ضيَّق عينيه ليقرأ الكلمات الباهتة: «انظُر، هذه بدأت تتلف».

- «تعامَل بلُطف»، قال سام، ودارَ حول الطَّاولة ليلتقط اللُّفافة من يده، وحملها كما لو أنها حيوان جريح. «كانوا ينسخون الكُتب المهمَّة عندما يحتاجونها، وغالبًا نُسِخَ عدد من الكُتب الأقدم نِصفمئة مرَّةٍ على الأقل».

- «طيِّب، لا تُزعِج نفسك بنسخ هذه. 23 برميلًا من سَمك القُد المملَّح، 18 برطمانًا من زيت السَّمك، برميل من الملح...».

- «إنه جرد، أو فاتورة بيع ربما».

- «ومَن يُبالي بكَمِّ القُد المملَّح الذي كانوا يأكلونه منذ ستمئة عام؟».

قال سام: «أنا أبالي»، وأعادَ اللُّفافة إلى حيث أخذَها چون، وأردفَ: «يُمكنك أن تتعلَّم الكثير جدًّا من تلك الدَّفاتر، حقًّا وبلا مزاح، فمثلًا يُمكنك أن تعرف منها كم رجلًا كانوا في حَرس اللَّيل في حينها، وكيف عاشوا وماذا كانوا يأكلون...».

- «كانوا يأكلون طعامًا ويعيشون مِثلما نعيش».

- «ستجد الكثير مما يُدهِشك. هذا السِّرداب كنز حقيقي يا چون».

- «لو أن هذا رأيك». لم يكن چون مقتنعًا، فالكنوز تعني الذَّهب والفضَّة والجواهر، وليس الغُبار والعناكب والجلد المتعفِّن.

اندفعَ الصَّبي البدين يقول: «هذا رأيِي». كان يَكبُر چون سِنًّا، رجلًا بالغًا طِبقًا للقانون، لكن من الصَّعب أن تُفكِّر فيه باعتباره أكثر من صبي. «لقد وجدتُ رسومًا للوجوه المحفورة في الأشجار، وكتابًا عن لُغة أطفال الغابة... أعمالًا لا تملكها «القلعة» ذاتها، مخطوطات من ڤاليريا القديمة، إحصاءات للفصول دوَّنها مايسترات ماتوا قبل ألف عام...».

- «ستظلُّ الكُتب هنا عندما نعود».

- «إذا عُدنا...».

- «الدُّب العجوز سيقود مئتي رجل مخضرم، ثلاثة أرباعهم من الجوَّالة، وكورين ذو النِّصف يد سيأتي بمئة أخ آخَر من بُرج الظِّلال. ستكون آمنًا كما لو أنك في قلعة السيِّد والدك في هورن هيل».



ارتسمَت ابتسامة حزينة على شفتي ساموِيل تارلي وهو يقول: «لم أكن آمنًا قَطُّ في قلعة أبي كذلك».

قال چون لنفسه: الآلهة دُعاباتها قاسية بحق. سوف يبقى پيپ وتودر -المتلهِّفان على الاشتراك في جولة التقصِّي العظيمة- في القلعة السَّوداء، بينما على ساموِيل تارلي -الصَّبي الخانع شديد البدانة الذي أقرَّ علنًا بجُبنه ولا يُجيد ركوب الخيل أكثر مما يُجيد المبارَزة- أن يُواجِه الغابة المسكونة. من المفترَض أن يأخذ الدُّب العجوز معه قفصين من الغِدفان التي ستحمل أخبار تقدُّمهم إلى إخوتهم على «الجِدار»، والمِايستر إيمون كفيف وأوهن من أن يركب معهم، ولهذا ينبغي أن يذهب وكيله بدلًا منه. «إننا نحتاجك من أجل الغِدفان يا سام، ويجب أن يُساعِدني أحدهم على كبح جماح جرِن كذلك».

ارتجفَت ذقن سام المشقوقة وهو يقول بنبرةٍ يائسةٍ تمكَّنت من صوته: «يُمكنك أن تعتني بالغِدفان، أو يعتني بها جرِن، أو أيُّ أحد، يُمكنني أن أريك كيف. ثم إنك تُجيد القراءة والكتابة، وتستطيع أن تكتُب رسائل اللورد مورمونت مِثلي تمامًا».

- «أنا وكيل الدُّب العجوز، وعليَّ أن ألبِّي أوامره وأُعنى بحصانه وأنصب خيمته، ولن يكون لديَّ وقت للعناية بالطُّيور كذلك. سام، لقد ردَّدت الكلمات، والآن أنت أخ في حَرس اللَّيل».

- «لا ينبغي أن يكون أخ في حَرسِ اللَّيل خائفًا هكذا».

- «كلنا خائفون، فمن الحمق ألَّا نخاف». جوَّالة كثيرون فُقِدوا خلال العامين المنصرمَيْن، حتى بنچن ستارك عمُّ چون. ثم إنهم عثروا على اثنين من رجال عمِّه صريعَيْن في الغابة، لكن الجثَّتين نهضَتا في برد اللَّيل. ارتعشَت أصابع چون المحترقة بحركةٍ عصبيَّة وهو يتذكَّر. كان لا يزال يرى الجثَّة الحيَّة في أحلامه، أوثور الميت ذا العينين المتَّقدتين بالأزرق واليدين السَّوداوين الباردتين، لكن ذلك كان آخِر شيءٍ يُريد سام أن يتذكَّره الآن. «ليس هناك ما يُخجِل في الخوف كما قال لي أبي، وما يهمُّ حقًّا هو كيف نُواجِهه. هلمَّ، سأساعدك على جمع الخرائط».



هَزَّ سام رأسه ببؤس. كانت مسافات رأسيَّة ضيِّقة للغاية تفصل بين الرُّفوف، فجعلَتهما يتحرَّكان واحدًا وراء الآخَر في طريقهما إلى الخارج. ينفتح السِّرداب على واحدٍ من الأنفاق التي يُسَمِّيها الإخوة السُّود «المسالك الدُّوديَّة»، تلك الممرات الملتوية التي تربط بين حصون وأبراج القلعة السَّوداء تحت الأرض. نادرًا ما تُستَخدم تلك المسالك الدُّوديَّة في الصَّيف، لكن الشِّتاء شأن آخَر، فعندما تتراكَم الثُّلوج على ارتفاع أربعين أو خمسين قدمًا، وتهبُّ الرِّياح الجليديَّة عاويةً من الشَّمال، تُصبِح الأنفاق الشَّيء الوحيد الذي يُحافِظ على تماسُك القلعة السَّوداء.

قريبًا، فكَّر چون وهما يصعدان. لقد رأى النَّذير الذي جاءَ المِايستر إيمون حاملًا نبأ نهاية الصَّيف، غُداف «القلعة» العظيم الأبيض الصَّامت كجوست. كان قد شهدَ شِتاءً ذات مرَّة وأظفاره لا تزال ناعمةً، لكن الجميع اتَّفقوا على أنه كان شِتاءً قصيرًا ومعتدلًا، أمَّا هذا الشِّتاء القادم فسيكون مختلفًا. إنه يَشعُر بهذا في عظامه ذاتها.

كان سام يلهث بقوَّةٍ كمنفاخ الحدَّاد من ارتفاع السَّلالم الحجريَّة المنحدرة عندما بلغا السَّطح، حيث صارا مكشوفَيْن للرِّيح القارسة التي شدَّت معطف چون وطيَّرته بعُنف. كان جوست نائمًا ممدَّد الجسد إلى جوار حائط صومعة الغلال المبني بالطِّين وأعواد السَّنط، لكنه استيقظَ عندما ظهرَ چون وانتصبَ ذيله الأبيض ذو الشَّعر الكثيف وهو يُهَروِل إليهما.

ضيَّق سام عينيه ورفعَهما إلى «الجِدار» الذي حجبَ نِصف السَّماء من أمامهما، الجُرف الجليدي العملاق الذي يرتفع سبعمئة قدم كاملة. أحيانًا يبدو لچون أنه كائن حي له أمزِجته الخاصَّة التي تتبدَّل، إذ يتغيَّر لون الجليد مع كلِّ اختلافٍ في الضَّوء، ففي حينٍ يكون أزرق الأنهار المتجمِّدة العميق، وفي حينٍ هو الأبيض المتَّسخ كالثَّلج القديم، وعندما تمرُّ سحابة وتُخفي وجه الشَّمس يغمقُ ليصير رماديًّا باهتًا كنَواةٍ لُفِظَت من ثمرتها منذ زمنٍ بعيد. امتدَّ «الجِدار» شَرقًا وغَربًا على مدى البصر، ضخمًا لدرجةٍ جعلَت حصون القلعة الخشبيَّة وبروجها الحجريَّة تتقلَّص مقارنةً به إلى أشياءَ بالغة الضَّآلة... إنه حافة العالم.



ونحن ذاهبون وراءها.

انتشرَت سُحب رماديَّة خفيفة في سماء الصَّباح، لكن الخَطَّ الأحمر الباهت ظَلَّ واضحًا من خلفها. كان الإخوة السُّود قد أطلَقوا على الجِرم السَّماوي اسم «شُعلة مورمونت»، وقالوا (وكلامهم ليس بريئًا تمامًا من المزاح) إن الآلهة أرسلَته بلا شَكٍّ ليُنير طريق العجوز في الغابة المسكونة.

قال سام مظلِّلًا عينيه بالكُتب: «المذنَّب متَّقد للغاية الآن، حتى إنك تستطيع أن تراه نهارًا».

- «لا عليك بالمذنَّبات، فما يُريده الدُّب العجوز هو الخرائط».

سبقَهما جوست متواثبًا، وقد بدا المكان مهجورًا هذا الصَّباح مع ذهاب عددٍ كبير جدًّا من الجوَّالة إلى الماخور في بلدة المَناجذ، ليُنَقِّبوا عن الكنوز الدَّفينة -كما يُطلِقون على العاهرات هناك- ويشربوا حتى الثُّمالة. كان جرِن قد ذهب معهم بَعد أن عرضَ عليه پيپ وهالدر وتودر أن يبتاعوا له أول امرأةٍ احتفالًا بجولته الأولى، وأرادوا أن يذهب چون وسام معهم كذلك، لكن سام يخاف العاهرات كما يخاف الغابة المسكونة، وچون لا يرغب في أن يكون له دور في هذا، وقال لتودر: «لقد حلفتُ يمينًا».

سمعَ أصواتًا ترتفع بالإنشاد وهما يمرَّان بالسِّپت. بعض الرِّجال يُريد عاهراتِ عشيَّة المعركة، والبعض يُريد الآلهة. تساءلَ چون عمَّن مِن الفِرقتين يجد نفسه شاعرًا بالارتياح بَعد أن ينال ما يُريده، فالسِّپت لا يجتذبه أكثر من الماخور بحال، لأن معابد آلهته تقع في البراري، حيث تبسط أشجار الويروود أغصانها البيضاء كالعظام. «السَّبعة» لا سُلطان لهم وراء «الجِدار»، لكن آلهتي ستكون في الانتظار.

كان السير إندرو تارث يعمل خارج مستودَع السِّلاح مع عددٍ من المجنَّدين المستجِدِّين الذين وصلوا ليلة أمسِ مع كونوي، أحد الغِربان المتنقِّلين الذين يجوبون الممالك السَّبع ليجمعوا رجالًا جُددًا للخدمة على «الجدار». تكوَّن هذا المحصول الجديد من شيخ يتَّكئ على عُكَّاز، وصبيَّين أشقرين يبدو أنهما أخوان، وشاب متأنِّق يرتدي الحرير المتَّسخ، ورجل ذي قدم مشوَّهة يرتدي الأسمال، وأحمق دائم الابتسام يتخيَّل نفسه محاربًا. كان السِّير إندرو



يُري هذا الأخير كم هو مخطئ في ذلك التَّصوُّر، وعلى الرغم من أنه قيِّم سلاح أكثر اعتدالًا من السير أليسر ثورن، فإن دروسه لا تزال تترك كدماتٍ على أجساد متدرِّبيه. جفلَ سام مع كلِّ ضربة، أمَّا جون سنو فتابعَ تدريبات المبارَزة بتركيزٍ شديد.

- «ما رأيكَ فيهم يا سنو؟»، قال دونال نوي الذي وقفَ في مدخل مستودَع السِّلاح عاري الصَّدر تحت مئزرٍ جِلدي، وقد ظهرَ ما تبقَّى من ذراعه اليُسرى المقطوعة، الشَّيء الذي نادرًا ما يَحدُث. منظر نوي ليس سارًّا ببطنه الكبير وصدره الضَّخم وأنفه المسطَّح واللِّحية الكثَّة حول فمه، وإن رحَّب به جون في كلِّ الأحوال، فقد أثبتَ صانع السِّلاح أنه صديق جيِّد.

قال جون والسير إندرو يُهاجِم خصمه بعُنفٍ فيُطيح به: «رائحة الصَّيف تفوح منهم. أين عثرَ عليهم كونوي؟».

أجابَ الحدَّاد: «في زنزانة أحد اللوردات في بلدة النَّوارس. لِص وحلَّاق وشحَّاذ وصبيَّان يتيمان وفتى يعمل عاهرةً. بهؤلاء نحمي حمى البَشر».

- «سيَصلُحون»، قال جون مانحًا سام ابتسامةً جانبيَّةً. «كما صلحنا نحن».

جذبَه نوي مقرِّبًا إياه، وقال: «هل سمعت أخبار أخيك؟».

- «ليلة أمس». كان كونوي ورجاله قد جاءوا بالأخبار شَمالًا معهم، فكانت محور الحديث في القاعة العامَّة. لم يكن جون متأكِّدًا بعدُ من شعوره حيال هذا. روب ملكًا؟ الأخ الذي لعبَ معه وتشاجرَ معه وتقاسمَ أول كوب نبيذٍ شربه معه؟ لكن ليس لبن الأم، لا، والآن سيحتسي روب النَّبيذ الصَّيفي من كؤوسٍ محلَّاة بالجواهر، بينما أركعُ أنا عند جدولٍ ما وأمتصُّ الثَّلج الذَّائب بين يديَّ. أجابَ بإخلاص: «سيكون روب ملكًا صالحًا».

قال صانع السِّلاح رامقًا إياه بنظرةٍ صريحة: «حقًّا؟ أتمنَّى هذا يا فتى، وإن كنتُ قد قلتُ الشَّيء نفسه عن روبرت من قبل».

قال جون متذكِّرًا: «يقولون إنك صنعت مطرقته الحربيَّة».

- «أجل، كنتُ رجله، رجل باراثيون، حدَّادًا وصانع سلاح في ستورمز إند إلى أن فقدتُ ذراعي. أنا كبير بما يكفي لأن أتذكَّر اللورد ستفون قبل أن يبتلعه البحر، وأعرفُ أبناءه الثَّلاثة منذ مولدهم. دَعني أُخبِرك بهذا: روبرت لم يَعُد



كما كان على الإطلاق منذ ارتدى ذلك التَّاج. بعض الرِّجال كالسُّيوف، مخلوقون للقِتال، فإذا عُلِّقوا أصابَهم الصَّدأ».

- «وماذا عن أخويه؟».

فكَّر صانع السِّلاح لحظةً قبل أن يُجيب: «روبرت كان الفولاذ الحقيقي، وستانيس حديد خالص، أسود وصُلب وقوي، نعم، لكنه هَشٌّ كما الحديد، سينكسر قبل أن ينحني. أمَّا رنلي فهو النُّحاس، لامع ومزخرف ويحلو التطلُّع إليه، لكن لا يُساوي الكثير في النِّهاية».

ومن أيِّ معدنٍ قُدَّ روب؟ لم يسأل چون، فنوي من المخلصين لآل باراثيون، وغالبًا يعدُّ چوفري الملك الشَّرعي وروب خائنًا. في أخوَّة حَرس اللَّيل ثمَّة ميثاق غير مُعلَن يجعلهم لا يخوضون طويلًا في تلك المسائل، فالرِّجال يأتون إلى «الجِدار» من كلِّ أنحاء الممالك السَّبع، وليس من اليسير أن ينسوا من كانوا يُحِبُّونهم ويُخلِصون إليهم من قبل، مهما كان عدد الأيمان التي حلفوها... كما يعي چون نفسه بشدَّة الآن، وحتى سام الذي أقسمَ أبوه على الولاء لهايجاردن، التي يدعم سيِّدها اللورد تايرل الملك رنلي. من الأفضل عدم الدُّخول في تلك الأحاديث، فحَرس اللَّيل لا يتدخَّلون في شؤون البلاد.

قال چون: «اللورد مورمونت ينتظرنا».

ربَّت نوي على كتفه وابتسمَ قائلًا: «لن أعطِّلكما عن الدُّب العجوز إذن. فلتكن الآلهة معكم غدًا يا سنو. عودوا بعمِّك الغائب، هل تسمعني؟».

وعدَه قائلًا: «سنفعل».

كان حضرة القائد مورمونت قد نقلَ إقامته إلى بُرج الملك بَعد أن التهمَ الحريق بُرجه. تركَ چون جوست مع الحُرَّاس خارج الباب، وقال سام بتعاسةٍ وهما يبدآن الصُّعود: «المزيد من السَّلالم. كم أكرهُ السَّلالم!».

- «هذا شيء لن تُواجِهه في الغابة».

لمحَهما الغُداف بمجرَّد أن دخلا الغُرفة الشَّمسيَّة، وصرخَ: «سنو!»، فبترَ مورمونت محادَثته وقال لسام: «قضيت وقتًا طويلًا في العثور على تلك الخرائط»، وأزاحَ بقايا إفطاره ليُفسِح مكانًا على الطَّاولة، وأضافَ: «ضعها هنا. سألقي نظرةً عليها فيما بَعد».



رمقَ ثورين سمولوود -الجوَّال عصبي الملامح ذو الذَّقن الضَّعيفة والفم الأضعف المخفي تحت لحيته الخفيفة المشعثة- چون وسام بنظرةٍ باردة. إنه من رجال أليسر ثورن المخلصين، ولا يُكِنُّ لهما أيَّ مودَّة. قال لمورمونت متجاهلًا إياهما: «مكان حضرة القائد في القلعة السَّوداء، يُلقي الأوامر والتَّعليمات، هذا ما يبدو لي».

خفقَ الغُداف بجناحيه الأسودين الكبيرين مردِّدًا: «لي، لي، لي!».

قال مورمونت للجوَّال: «إذا جاءَ يوم وأصبحت القائد، فيُمكنك أن تفعل ما تُريد، لكن يبدو لي أنا أني لا مِتُّ ولا وضعَك الإخوة مكاني».

رَدَّ سمولوود بعناد: «أنا الجوَّال الأول الآن مع غياب بن ستارك ومقتل السير چارمي، ومن المفترَض أن تكون القيادة لي غدًا».

لم يكن مورمونت يرغب في أيِّ نقاش، وقال بحسم: «لقد أرسلتُ بن ستارك شَمالًا، وأرسلتُ السير وايمار من قبله، ولا أنوي أن أُرسِلك وراءهما وأجلسُ متسائلًا كم من الوقت ينبغي أن أنتظر قبل أن أعدَّك مفقودًا بدورك. ثم إن ستارك سيظلُّ الجوَّال الأول حتى نتيقَّن من موته، فإذا جاءَ ذلك اليوم، سأكونُ أنا من يختار من يخلفه، وليس أنت. والآن كُفَّ عن تضييع وقتي. سوف نتحرَّك مع أول خيوط الفَجر، أم أنك نسيت؟».

نهضَ سمولوود قائلًا: «كما تأمر يا سيِّدي»، وكشَّر في وجه چون في طريقه إلى الخارج، كأنها بشكلٍ ما غلطته.

- «الجوَّال الأول!»، قال الدُّب العجوز باستنكار، واستقرَّت عيناه على سام فأردفَ: «أهون عليَّ أن أعيِّنك أنت جوَّالًا أول! لديه من الوقاحة ما يجعله يقول في وجهي إنني عجوز جدًّا على الرُّكوب معه. هل أبدو عجوزًا لك يا ولد؟». كان الشَّعر الذي انسحبَ من على فروة رأس مورمونت المنقَّطة قد عادَ يجتمع تحت ذقنه في لحيةٍ شيباء خشنة غطَّت مساحةً كبيرةً من صدره، وقد ضربَها بقوَّةٍ قائلًا: «هل أبدو ضعيفًا؟».

فتحَ سام فمه وخرجَ منه صرير قصير، فهو يرهب الدُّب العجوز لأقصى حدٍّ، فتدخَّل چون بسرعةٍ قائلًا: «لا يا سيِّدي، إنك تبدو قويًّا كالـ... كالـ...».

قاطعَه مورمونت: «لا تتملَّقني يا سنو، فأنت تعلم أني لا أحبُّ هذا. دَعني



ألقي نظرةً على هذه الخرائط»، واطَّلع عليها بحركاتٍ خشنة، معطيًا كلًّا منها نظرةً سريعةً وصوتًا ينمُّ عن عدم الرِّضا، ثم قال: «أهذا كلُّ ما وجدته؟».

قال سام متلعثمًا: «أنا... سـسـسيِّدي... هناك... هناك المزيد، لـلـلـكن... الفوـفوضى...».

– «هذه خرائط قديمة»، قال مورمونت متذمِّرًا، وردَّد غُدافه صدى الكلمة الأخيرة صائحًا بحدَّة: «قديمة، قديمة!».

أشارَ چون قائلًا: «قد تنشأ القُرى وتضمحلُّ، لكن التِّلال والأنهار ستظلُّ في المواضع نفسها».

– «هذا صحيح. هل اخترت غِدفانك يا تارلي؟».

– «المِـمِـمِايستر إيمون يـينوي أن ينـينتقيها هذا المساء بَعد إـإـإطعامها».

– «أريدُ أفضل ما لديه، طيورًا ذكيَّة وقويَّة».

وقال طائره وهو يُسَوِّي ريشه: «قويَّة، قويَّة، قويَّة!».

– «إذا حدثَ أن ذُبِحنا في العراء، فأريدُ أن يعرف خليفتي أين وكيف مِتنا».

أصابَ الكلام عن الذَّبح ساමويل تارلي بالخرس، فمالَ مورمونت إلى الأمام قائلًا: «عندما كنتُ صبيًّا في نِصف عُمرك يا تارلي، قالت لي أمِّي إني إذا وقفتُ وفمي مفتوح هكذا، سيظنُّه ابن عُرس وكره ويحشر نفسه في حَلقي. إذا كان لديك ما تقوله فقُله، وإلَّا فاحذر من ابن عُرس»، ولوَّح بيده بفظاظةٍ مضيفًا: «اذهب، فأنا مشغول وغير راغبٍ في الحماقات. لا شَكَّ أن المِايستر لديه عمل ما لك».

ازدردَ سام لُعابه وتراجعَ وهرعَ منسحبًا بسُرعةٍ حتى إنه كاد يتعثَّر في البساط، وقال حضرة القائد بَعدما ذهبَ: «أهذا الصَّبي أبله كبير كما يبدو حقًّا؟»، وردَّد الغُداف: «أبله!»، بينما لم ينتظر مورمونت إجابةً من چونٍ، وواصلَ: «السيِّد والده صاحِب مرتبةٍ عالية بين مستشاري الملك رنلي، وأفكر أن أُرسِله لـ... لا، منِ الأفضل ألَّا أفعل. رنلي لن يُعطي ولدًا بدينًا يرتجف كالورقة أيَّ اهتمام. سأُرسِلُ السير آرنل. إنه أكثر ثباتًا بكثير وأمُّه كانت من آل فوسواي ذوي التُّفَّاحة الخضراء».

– «إذا سمحت يا سيِّدي، ما الذي تُريده من الملك رنلي؟».



- «الشَّيء ذاته الذي أريده منهم جميعًا يا فتى، الرِّجال والخيول والسِّلاح والدُّروع والغلال والجُبن والنَّبيذ والصُّوف والمسامير... حَرس اللَّيل ليسوا مترفِّعين، ونأخذ ما يُقَدَّم لنا»، ونقرَ على ألواح الطاولة الخشنة بأصابعه مكملًا: «من المفترَض أن يَبلُغ السير أليسر كينجز لاندنج مع دورة القمر الجديدة، لكني لا أدري إن كان ذلك الصَّبي چوفري سيُعيره انتباهًا. عائلة لانستر لم تكن صديقةً لحَرس اللَّيل قَطُّ».

- «ثورن معه يد الجثَّة الحيَّة ليُريهم إياها». كانت شيئًا بشعًا أسود الأصابع، ترتعش وتتحرَّك في البرطمان كما لو أنها لا تزال حيَّةً.

- «ليت كانت لدينا يد أخرى نُرسِلها إلى رنلي».

- «دايوين يقول إن من الوارد أن نجد أيَّ شيءٍ وراء «الجِدار»».

قال مورمونت ساخرًا: «نعم، دايوين يقول، وآخِر مرَّةٍ خرجَ في جولة قال إنه رأى دُبًّا طوله خمسة عشر قدمًا. يُقال إن أختي اتَّخذَت دُبًّا عشيقًا لها، وسأصدِّقُ هذا قبل أن أصدِّق وجود دُبٍّ طوله خمسة عشر قدمًا... مع أنه في عالم ينهض فيه الموتى... آه، ولو، على الرَّجل أن يُصَدِّق عينيه فقط. لقد رأيتُ الَموتى يمشون، لكني لم أرَ دِببةً عملاقة»، ثم رمقَ چون بنظرةٍ طويلة فاحصة، وقال: «لكننا كنا نتكلَّم عن الأيدي، فكيف حال يدك؟».

- «أفضل»، قال چون وخلعَ القُفَّاز ليُريه. كانت النُّدوب تُغَطِّي نِصف ذراعه حتى المِرفق، ولا يزال يَشعُر بالجِلد المرقَّش الملتهب مشدودًا رقيقًا، وإن كان في طريقه إلى الشِّفاء. «إنها تستحكُّني، لكن المِايستر إيمون يقول إن هذا جيِّد، وأعطاني دهانًا آخذه معي عندما نُغادِر».

- «هل تستطيع استخدام «المخلب الطَّويل» رغم الألم؟».

أجابَ چون وهو يثني يده فاتحًا ومغلِقًا الأصابع كما أراه المِايستر: «بما فيه الكفاية. سأمرِّنُ أصابعي كلَّ يوم كما قال المِايستر إيمون لتبقى نشطةً».

- «قد يكون أعمى، لكن إيمون لا يفعل الأشياء اعتباطًا. إنني أدعو الآلهة أن تُبقِيه معنا عشرين عامًا أخرى. هل تعرف أنه كان من الممكن أن يُصبِح ملكًا؟».



رَدَّ چون مأخوذًا بالمفاجأة: «لقد أخبرَني أن أباه كان ملكًا، لكن ليس... حسبتُ أنه أصغر الأبناء ربما».

- «إنه كذلك. أبو أبيه كان دايرون تارجاريَن الثَّاني، الذي ضَمَّ دورن إلى المملكة. كان جزء من المعاهَدة أن يتزوَّج أميرةً دورنيَّة، فأنجبَت منه أربعة أبناء، وكان مايكار أبو إيمون أصغرهم، وإيمون كان ثالث من أنجبَهم مايكار. اعلم أن كلَّ هذا حدثَ قبل أن أولَد، مهما حسبني سمولوود هَرِمًا».

- «المِايستر إيمون سُمِّيَ تيمُّنًا بالفارس التنِّين».

- «صحيح. يقول البعض إن الأمير إيمون كان أبا الملك دايرون الحقيقي، وليس إجون غير الجدير، لكن في كلِّ الحالات افتقرَ إيمون الخاص بنا إلى طبيعة الفارس التنِّين العسكريَّة، ويُحِبُّ أن يقول إنه كان بطيء القِتال وإنما سريع البديهة. لا غرو أن جدَّه صرفَه إلى «القلعة». كان في التَّاسعة أو العاشرة وقتئذٍ على ما أعتقدُ... والتَّاسع أو العاشر في تسلسُل الوراثة كذلك».

يعرف چونِ أن المِايستر إيمون شهدَ أكثر من مئة يوم ميلاد، ومن الصَّعب عليه أن يتخيَّل هذا الرَّجل الواهن المنكمش الذَّابل الضَّرير صبيًّا صغيرًا في عُمر آريا.

تابعَ مورمونت: «كان إيمون يدرس عندما قُتِلَ عمُّه الأكبر وليُّ العهد في حادثٍ في دورة مباريات. كان قد خلَّف ابنين، لكنهما تبعاه إلى القبر بَعد فترةٍ لم تَطُل، خلال الوباء الرَّبيعي العظيم، وماتَ الملك دايرون أيضًا، فانتقلَ التَّاج إلى ابنه الثَّاني إيرس».

قال چون حائرًا: «الملك المجنون؟». إيرس كان الملك قبل روبرت، ولم يكن هذا منذ زمن بذلك الطُّول.

- «كلا، أقصدُ إيرس الأول. مَن خلعَه روبرت كان الثَّاني».

- «متى كانت تلك الأحداث؟».

أجابَ الدُّب العجوز: «منذ ثمانين عامًا أو نحوها، وقبل أن تسأل، لا، لم أكن قد وُلِدت بعدُ وقتها، وإن كان إيمون قد صاغَ نِصف دستةٍ من الحلقات في سلسلته في ذلك الحين. تزوَّج إيرس أخته كما كانت عادة آل تارجاريَن، وحكمَ عشرة أعوام أو اثني عشر. خلال هذه الفترة حلفَ إيمون يمينه وغادرَ



«القلعة» ليخدم فِي بلاط لوردٍ صغيرٍ ما... إلى أن ماتَ عمُّه الملك دون أن يَترُك وريثًا، وانتقلَ العرش الحديديّ إلى آخِر أبناء الملك دايرون الأربعة، مايكار أبي إيمون. استدعى الملك الجديد أبناءه كلهم إلى البلاط، وكان ليجعل إيمون جزءًا من مجلسه، لكنه رفضَ قائلًا إن هذا اغتصاب للموقع الذي ينتمي شرعًا للمِايستر الأكبر، وبدلًا من هذا خدمَ في حصن أخيه الأكبر، الذي كان اسمه دايرون أيضًا. هذا الأخ ماتَ كذلك تاركًا فتاةً واهنة العقل كوريثة. أعتقدُ أنها عدوى أصيبَ بها من عاهرةٍ ما. الأخ التَّالي كان إريون».

كان چون يعرف هذا الاسم، فاندفعَ يسأل: «إريون الوحش؟». كانت «الأمير الذي حسبَ نفسه تنّينًا» واحدةً من أكثر الحكايات المخيفة التي روَتها لهم العجوز نان، وقد أحبَّها أخوه الصَّغير بران كثيرًا.

- «هو بالضَّبط، وإن كان قد سمَّى نفسه إريون اللَّهب السَّاطع. في ليلةٍ وهو ثمل شربَ جرَّةً من النَّار الشَّعواء بَعد أن قال لأصدقائه إنها ستُحيله إلى تنّين، لكن الآلهة كانت عطوفةً فحوَّلته النَّار إلى جثَّة بدلًا من هذا. بَعدها بأقلِّ من عام ماتَ الملك مايكار في معركةٍ ضد لوردٍ خرجَ على القانون».

لم يكن چون جاهلًا تمامًا بتاريخ البلاد، فقد تأكَّد المِايستر لوين من تعليمه، فقال: «كان ذلك عام المجلس العظيم، عندما تجاوزَ اللوردات ابن الأمير إريون الرَّضيع وابنة الأمير دايرون وأعطوا التَّاج لإجون».

- «نعم ولا. في البداية عرَضوه بهدوءٍ على إيمون، وبهدوءٍ رفضَ قائلًا إن الآلهة تُريد منه أن يخدم لا أن يَحكُم، ثم إنه أصرَّ على أنه لن يحنث بيمينه أبدًا، على الرغم من أن السِّپتون الأعلى نفسه عرضَ أن يُعفيه. على كلِّ حال، لم يكن أحد يرغب في أن يجلس واحد من دم إريون على العرش، وابنة دايرون كانت محدودة العقل علاوةً على كونها أنثى، فلم يكن لديهم خيار غير الاتِّجاه إلى أخي إيمون الأصغر، إجون الخامس الذي لُقِّبَ بإجون المستبعَد وقد وُلِدَ ابنًا رابعًا لابنٍ رابع. كان إيمون يعرف -ولديه الحق- أن من يعترضون على حُكم أخيه سيسعون إلى استغلاله، وهكذا جاءَ إلى «الجِدار»، وهنا ظَلَّ بينما حكمَ أخوه وابنه وابن ابنه وماتوا على التَّوالي، إلى أن وضعَ چايمي لانستر نهايةً لآخِر ملك تنين».



نعبَ الغُداف: «ملك!»، ثم رفرفَ عبر الغُرفة ليَحُطَّ على كتف مورمونت مكرِّرًا: «ملك!» وهو يُحَرِّك رأسه إلى الأمام والخلف.

قال چون مبتسمًا: «إنه يُحِبُّ هذه الكلمة».

- «كلمة يَسهُل قولها، كلمة يَسهُل حبُّها».

وردَّد الطَّائر: «ملك!».

- «أظنه يُريدك أن ترتدي تاجًا يا سيِّدي».

قال مورمونت: «البلاد فيها ثلاثة ملوكٍ بالفعل، أي أن العدد الذي يروقني زائدٌ ملكين دُفعةً واحدةً»، وأخذَ يُداعِب الغُداف تحت منقاره دون أن تُغادِر عيناه چون سنو لحظةً.

أصابَه هذا بالقلق، فسألَ: «سيِّدي، لماذا حكيت لي ما حكيته عن المِايستر إيمون؟».

- «أمن الضَّروري أن يكون لديَّ سبب؟»، واعتدلَ مورمونت في مقعده مقطِّبًا جبهته وقال: «لقد تُوِّجَ أخوك روب ملكًا في الشَّمال، أي أن هذا شيء مشترَك بينك وبين إيمون، كلاكما له أخ ملك».

قال چون: «ونشترك في القَسم الذي ردَّدناه كذلك».

أطلقَ الدُّب العجوز نخيرًا مرتفعًا، فوثبَ الغُداف ليُحَلِّق في دائرةٍ في سماء الغُرفة. «أعطني رجلًا مقابل كلِّ قَسَمٍ رأيته يُنكَث ولن يفتقر «الجِدار» إلى من يُدافِعون عنه أبدًا».

- «كنتُ أعرفُ دومًا أن روب سيُصبِح سيِّد وينترفل».

صفرَ مورمونت، فعادَ الطَّائر يستقرُّ على ذراعه وهو يقول: «سيِّد قلعة شيء وملك شيء آخر»، ورفعَ يده إلى الغُداف بحفنةٍ من الذُّرة من جيبه وتابعَ: «سوف يكسون أخاك روب بحريرٍ ومخملٍ من مئة لونٍ ولون، بينما تعيش أنت وتموت مرتديًا قميص الحلقات المعدنيَّة الأسود، وسيتزوَّج هو أميرةً جميلةً ما ويُنجِب منها أبناءً، وأنت ستظلُّ بلا زوجةٍ دائمًا ولن تحمل طفلًا من دمك بين يديك أبدًا. روب سيَحكُم وأنت ستخدم، وسيدعوك النَّاس بالغُراب ويدعونه بجلالة الملك. سيُمَجِّد المغنُّون كلَّ شيءٍ صغيرٍ



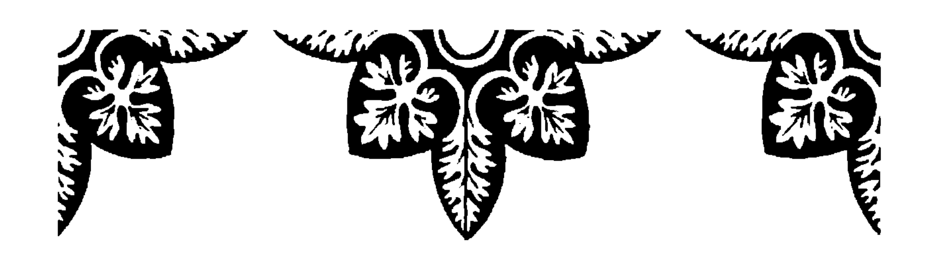
يفعله بينما لن يُغَنِّي أحد كلمةً عن أعظم إنجازاتك. قُل لي إن لا شيء من هذا يُزعِجك يا چون وسأعدُّك كذَّابًا، واعلم أني أعرفُ الحقيقة».

شَدَّ چون قامته عن آخِرها حتى صارَت كوتر القوس، وقال: «ولو كنتُ منزعجًا حقًّا، فماذا يُمكنني أن أفعل وأنا مجرَّد نغل؟».

سأله مورمونت: «ماذا يُمكنك أن تفعل وأنت مجرَّد نغل؟».

أجابَ چون: «سأنزعجُ... وأصونُ قَسمي».





كاتلين

كان تاج ابنها قد خرجَ لتوِّه من كير الحدَّاد، وخُيِّلَ لكاتلين ستارك أنه يضغط بوزنه الثَّقيل على رأس روب.

لقد فُقِدَ تاج ملوك الشِّتاء العتيق منذ ثلاثة قرونٍ كاملة، بَعد تسليمه إلى إجون الفاتح، عندما ركعَ تورين ستارك أمامه معلنًا خضوعه، ولا أحد يدري ما فعلَه به إجون. على أن حدَّاد اللورد هوستر أدَّى عمله على أكمل وجه، فبدا تاج روب مشابهًا جدًّا للآخَر الذي وردَ وصفه في الحكايات التي تُحكى عن ملوك ستارك القُدامى: دائرة صغيرة مفتوحة من البرونز المطرَّق نُقِشَت عليها أبجديَّة البَشر الأوائل، تعلوها تسعة قضبان حديديَّة سوداء على شكل سيوفٍ طويلة. غابَ كلُّ أثرٍ للذَّهب والفضَّة والجواهر من التَّاج، فمن قديمٍ والبرونز والحديد معدنا الشِّتاء، كلاهما داكنٌ قويٌّ أثناء القتال ضد البرد.

كانوا ينتظرون مثول السَّجين أمامهم في قاعة ريڤررَن الكُبرى، ورأت روب يدفع التَّاج إلى الوراء على شَعره الكستنائي الكثيف، ثم يُحَرِّكه إلى الأمام ثانيةً بَعد لحظات، ثم إنه أدارَه رُبع دورة، كأن هذا سيجعله يستقرُّ بسهولةٍ أكثر على حافة رأسه. فكَّرت كاتلين وهي تَرقُبه: ليس من السَّهل أن يرتدي أحدهم تاجًا، لا سيَّما صبيٌّ في الخامسة عشر.

طلبَ روب سيفه عندما جاءوا بالأسير، فقدَّمه له أوليڤار فراي من المقبض، وسحبَ ابنها السَّيف من غِمده وأراحَه على حِجره كتهديدٍ واضح للعيان، وأعلنَ السير روبن رايجر قائد حَرس تَلي: «الرَّجل الذي طلبته يا جلالة الملك».



زعقَ ثيون جرايچوي: «اركع أمام الملك يا لانستر!»، ودفعَ السير روبن السَّجين لينزل على رُكبتيه.

خطرَ لكاتلين أنه لا يبدو كأسد، فهذا السير كليوس فراي هو ابن الليدي چنا أخت اللورد تايوين لانستر، لكنه لا يتمتَّع بشيءٍ من جَمال عائلة لانستر المشهور، الشَّعر النَّاعم والأعيُن الخضراء، وبدلًا من هذا ورثَ الشَّعر البُنِّي اللِّيفي والذَّقن الضَّعيفة والوجه النَّحيل من أبيه السير إمون فراي، الابن الثاني للورد والدر العجوز. كانت عيناه باهتتين دامعتين، وتطرفان بسرعةٍ لا يستطيع السَّيطرة عليها، لكن لعلَّ الضَّوء هو السَّبب لا أكثر، فالزَّنازين الواقعة أسفل ريڤررَن مظلمة ورطبة... ومتخمة هذه الأيام كذلك.

- «انهض يا سير كليوس». لم يكن صوت ابنها جليديًّا كصوت أبيه، إلَّا أن نبرته لم تكن كصبيٍّ في الخامسة عشر كذلك، فالحرب جعلَت منه رجلًا قبل أوانه، رجلًا يلتمعَ نور الصَّباح بخفوتٍ على حافة السَّيف الفولاذي المستقر فوق رُكبتيه.

لكن السَّيف لم يكن ما أثارَ قلق السير كليوس فراي، بل الوحش. سمَّاه ابنها جراي ويند، الذِّئب الرَّهيب الذي يُناهِز كلاب الإلكة[1] حجمًا، وله جسد نحيل رشيق وفرو داكن كالدُّخان وعينان كالذَّهب المصهور، وقد تناهَت رائحة الخوف إلى أنوف الحاضرين كلهم عندما تقدَّم الحيوان وتشمَّم السير كليوس. كان الفارس قد أُسِرَ في معركة الغابة الهامسة، حيث مزَّق جراي ويند حناجر نِصف دستةٍ من الرِّجال.

نهضَ الفارس مسرعًا وهو يميل بعيدًا بشدَّةٍ جعلَت عددًا من الموجودين يضحكون بصوتٍ عالٍ، وقال: «أشكرك يا سيِّدي».

- «يا جلالة الملك»، هدرَ اللورد چون أومبر الكبير، الأصخب دومًا بين حمَلة راية روب الشَّماليِّين وأخلصهم وأقواهم... أو أن هذا ما يُصِرُّ عليه. كان أول من نادى بابنها ملكًا في الشَّمال، ولا يسمح بأيِّ إساءةٍ لشَرف عاهله الجديد.

(1) نوع من الكلاب يُستخدَم في الحراسة والصَّيد، لا سيَّما حيوانات الإلكة، ومن هنا جاءَت التَّسمية، وإن كان يُستخدَم في صيد الذِّئاب والدِّببة كذلك.



صحَّح السير كليوس بتردُّد: «يا جلالة الملك، معذرةً».

خطرَ لكاتلين أنه ليس بالرَّجل الشُّجاع، ففيه منِ آل فراي أكثر من آل لانستر في الحقيقة، بينما كان ابن خاله قاتِل الملك ليُشَكِّل مسألةً أخرى تمامًا، فلم تكن عبارة التَّشريف تلك لتَخرُج من بين أسنان السير چايمي لانستر النَّضيدة أبدًا.

– «لقد أخرجتك من زنزانتك لتحمل رسالةً مني إلى ابنة خالك الملكة سرسي في كينجز لاندنج. ستُسافِر تحت راية سلام في صُحبة ثلاثين من أفضل رجالي».

قال السير كليوس وقد بدا جليًّا أنه تخفَّف من مخاوفه: «يَسُرُّني للغاية أن أحمل رسالة جلالته إلى الملكة».

قال روب: «عليك أن تفهم أني لا أعطيك حرِّيتك. لقد تعهَّد لي جدُّك اللورد والدر بدعمه ودعم عائلة فراي، وكثير من أعمامك وأبنائهم ركبوا معنا في الغابة الهامسة، أمَّا أنت فاخترت أن تُقاتِل تحت راية الأسد، ما يجعلك لانستر لا فراي. أريدُ تعهُّدًا منك بشَرفك كفارس أنك ستعود برَدٍّ الملكة بَعد إيصال رسالتي، لتستأنف سجنك».

أجابَ السير كليوس من فوره: «أتعهَّدُ بهذا».

– «كلُّ رجلٍ في هذه القاعة سمعَك»، قال السير إدميور تَلي شقيق كاتلين منذرًا، بصفته المتحدِّث باسم ريڤررَن ولوردات الثَّالوث في غياب أبيهما المحتضر. «إذا لم تَعُد، ستعرف البلاد كلها أنك تعهَّدت كذبًا».

رَدَّ السير كليوس بجمود: «سأفعلُ كما تعهَّدتُ. ما الرِّسالة؟».

– «عرضٌ بالسَّلام»، قال روب ناهضًا وفي يده سيفه الطَّويل، ودنا جراي ويند ليقف إلى جانبه، بينما خيَّم الصَّمت على القاعة. «أخبِر الملكة الوصيَّة على العرش أني سأضعُ هذا السَّيف في غِمده إذا وافقَت على شروطي، وأضعُ معه نهايةً للحرب بيننا».

في مؤخِّرة القاعة لمحَت كاتلين شبح اللورد ريكارد كارستارك النَّاحل الطَّويل يدفع كتفيه عبر صَفٍّ من الحُرَّاس ليَخرُج من الباب. لم يتحرَّك أحد آخَر، ولم يُلقِ روب بالًا للحركة، بل قال آمرًا: «الرَّق يا أوليڤار»، فأسرعَ مُرافِقه



يتناوَل منه السَّيف ويُناوله رَقًّا مطويًّا، بسطَه روب قائلًا: «أولًا، على الملكة أن تُطلِق سراح أختيَّ وتُزَوِّدهما بوسيلة نقلٍ عبر البحر من كينجز لاندنج إلى الميناء الأبيض. من المفهوم ضمنًا أن خِطبة سانزا لچوفري باراثيون تُعَدُّ مفصومةً. عندما أتلقَّى خبرًا من أمين قلعتي بأن أختيَّ قد عادتا سالمتين إلى وينترفل، سأطلقُ سراح ابني عمِّ الملكة، ويلم لانستر مُرافِق الفارس وأخيك تيون فراي، وأرسلُ من يصحبهما بأمانٍ إلى كاسترلي روك أو أيِّ مكانٍ آخَر ترغب في تسليمهما فيه».

تمنَّت كاتلين ستارك لو أنها تستطيع قراءة الأفكار المتوارية وراء كلِّ وجهٍ وكلِّ حاجبٍ معقود وشفتين مضمومتين.

- «ثانيًا، يُرَدُّ إلينا رُفات السيِّد والدي، كي يستريح إلى جوار أخيه وأخته في السَّراديب أسفل وينترفل كما كان ليرغب، ولا بُدَّ أيضًا من رَدِّ رُفات رجاله الذين ماتوا في كينجز لاندنج».

من ذهَبوا جَنوبًا أحياء يُرزَقون لن يعود منهم غير العظام الباردة. كان ند على حق، قال إن مكانه في وينترفل، فهل رضيتُ أن أسمعه؟ لا، قلتُ له، اذهبُ، يجب أن تكون يد روبرت من أجل عائلتنا وأجل أطفالنا... ما حدثَ كان من صُنعي، من صُنعي أنا وليس غيري...

- «ثالثًا، يُسَلَّم سيف أبي العظيم «جَليد» إلى يدي هنا في ريڤرَن».

راقبَت أخاها السير إدميور تَلي وقد تعانقَ إبهاماه فوق حزام سيفه وملامحه جامدة كالحجر.

- «رابعًا، تأمُر الملكة أباها اللورد تايوين بإطلاق سراح فُرساني واللوردات حمَلة رايتي، الذين أسرَهم في معركة فرع الثَّالوث الأخضر، وبمجرَّد أن يفعل هذا سأطلقُ سراح الأسرى الذين أخذناهم من الغابة الهامسة ومعركة المعسكرات، باستثناء چايمي لانستر وحده، الذي سيبقى رهينتي لضمان أن يُحسِن أبوه الأدب».

تمعَّنت في ابتسامة ثيون جرايچوي الخبيثة متسائلةً عن معناها. ذلك الشَّاب يبدو دائمًا كما لو أنه يعرف دُعابةً سرِّيَّةً لا يطَّلع غيره عليها، الشَّيء الذي لم يَرُق لكاتلين قَطُّ.



- «أخيرًا، لا بُدَّ أن يُعلِن الملك چوفري والملكة الوصيَّة التَّخلِّي عن أيِّ دعاوٍ للسِّيادة على الشَّمال. من الآن فصاعدًا نحن لسنا جزءًا من مملكتهما، بل مملكة حرَّة مستقلَّة كما كنا قديمًا. سيضمُّ نطاق سيطرتنا كلَّ أراضي ستارك الواقعة شَمال «العُنق»، وإضافةً إلى هذا الأراضي التي يرويها نهر الثَّالوث وروافده، نهايةً بـ«النَّاب الذَّهبي» غَربًا وجبال القمر شَرقًا».

- «الملك في الشَّمال!»، دوَّى چون أومبر الكبير وقبضته الضَّخمة تدقُّ الهواءكالمطرقة مع هتافه. «ستارك! ستارك! الملك في الشَّمال!».

طوى روب الرَّق وتابعَ: «المِايستر ڤايمان رسمَ خريطةً تُوَضِّح الحدود التي نُطالِب بها، وستأخُذ معك نسخةً للملكة. يجب أن ينسحب اللورد تايوين إلى ما وراء تلك الحدود، وينقطع عن الغارات والحرق والنَّهب، ولن تُطالِب الملكة الوصيَّة وابنها بأيِّ ضرائب أو دخول أو خدمات من شعبي، وسيُحَرَّران جميع لورداتي وفُرساني من كلِّ أقسام الولاء والتعهُّدات والنُّذور والدُّيون والالتزامات التي يدينون بها للعرش الحديدي وعائلتي باراثيون ولانستر. بالإضافة إلى هذا سيُوَصِّل لنا آل لانستر عشرةً من الرَّهائن كريمي النَّسب سنشترك في الاتِّفاق عليهم، على سبيل التعهُّد بالسَّلام. سأعاملُ هؤلاء كضيوفٍ مكرَّمين طِبقًا لمراكزهم، وما دُمتم ملتزمين بشروط هذه المعاهَدة دون أيِّ إخلال، سأطلقُ سراح رهينتين منهم كلَّ عام وأعيدهما بأمانٍ إلى عائلتيهما»، ثم ألقى الرَّق المطويَّ عند قدمي الفارس وقال: «هذه هي الشُّروط، فإذا قبلَتها الملكة، سأمنحها السَّلام، وإذا لم تقبل...»، وأطلقَ صفيرًا فتقدَّم جراي ويند مزمجرًا، فأكملَ: «... سأمنحها غابةً هامسةً أخرى».

- «ستارك!»، هدرَ چون الكبير من جديد، وهذه المرَّة انضمَّت إليه أصوات أخرى لتهتف: «ستارك، ستارك، الملك في الشَّمال!»، وألقى الذِّئب الرَّهيب رأسه إلى الوراء وراحَ يعوي.

كان وجه السير كليوس ممتقعًا تمامًا وهو يقول: «ستسمع الملكة رسالتك يا ســ... جلالة الملك».

قال روب: «عظيم. سير روبن، اعمل على أن يتناوَل وجبةً طيِّبةً ويرتدي ثيابًا نظيفةً. سيتحرَّك مع أول خيوط الفجر».



أجابَ السير روبن رايجر: «كما تأمُر يا جلالة الملك».

- «انتهينا إذن». هكذا انحنى الفُرسان وحمَلة الرَّاية المجتمعون لروب وهو يدور ليُغادِر وجراي ويند في أعقابه، بينما أسرعَ أوليڤار فراي ليفتح الباب، وتبعتهم كاتلين إلى الخارج وأخوها إلى جوارها.

قالت لابنها في الشُّرفة التي تقود من مؤخِّرة القاعة: «أبليت بلاءً حسنًا، وإن كانت حركة الذِّئب تلك لهوًا يُناسِب صبيًّا لا ملكًا».

حَكَّ روب جراي ويند وراء أُذنه، وقال مبتسمًا: «هل رأيتِ النَّظرة على وجهه يا أمِّي؟».

- «ما رأيته هو اللورد كارستارك يُغادِر القاعة».

- «رأيته أيضًا»، قال روب وخلعَ التَّاج بكلتا يديه وأعطاه لأوليڤار قائلًا: «ضَع هذا الشَّيء في غُرفة نومي».

قال المُرافِق: «فورًا يا جلالة الملك»، وأسرعَ يُلَبِّي الأمر.

قال أخوها إدميور: «أراهنُ أن هناك آخَرين يُشارِكون اللورد كارستارك الشُّعور. كيف نتكلَّم عن السَّلام ورجال لانستر ينتشرون كالوباء في أراضي أبي، يسرقون محاصيله ويذبحون ناسه؟ أكرِّر أننا ينبغي أن نزحف على هارنهال».

- «لسنا نملك القوَّة»، قال روب وإنما بغير رضا.

قال إدميور بإصرار: «وهل نزداد قوَّةً بجلوسنا هنا؟ إن جيشنا يتضاءَل بصفةٍ يوميَّة».

محتدَّةً قالت كاتلين لأخيها: «وخطأ مَن هذا؟». بإلحاحٍ من إدميور أعطى روب لوردات النَّهر الإذن بالرَّحيل بَعد تتويجه، ليُدافِع كلٌّ منهم عن أراضيه الخاصَّة، فكان السير مارك پايپر واللورد كاريل ڤانس أول المغادرين، ثم تبعهما اللورد چونوس براكن الذي أقسمَ أن يستردَّ قلعته التي صارت هيكلًا محترقًا ويدفن موتاه، والآن أعلنَ اللورد چيسون ماليستر نيَّته العودة إلى مقرِّه في سيجارد، التي من الرَّحمة أن شيئًا من القتال لم يمسَّها بعدُ.

قال السير إدميور: «لا يُمكنكِ أن تَطلُبي من لوردات النَّهر أن يتكاسَلوا بينما تُنهَب حقولهم ويُقَتَّل ناسهم، لكن اللورد كارستارك من الشَّمال، وستكون خسارةً إذا تخلَّى عنا».



رَدَّ روب: «سأتكلَّمُ معه. لقد فقدَ ابنين في الغابة الهامسة، فمَن يُمكنه أن يلومه إذا كان لا يرغب في السَّلام مع قاتليهما... قاتلي أبي؟».

قالت كاتلين: «إراقة المزيد من الدِّماء لن تُعيد أباك إلينا، ولا ابني اللورد كارستارك. كان ينبغي أن يُقَدَّم عرض، وإن كان رجل أحكم ليعرض شروطًا أحلى بعض الشَّيء».

- «أحلى من هذا وكنتُ لأتقيَّأ». كانت لحية ابنها قد نمَت بلونٍ أعمق من شَعره الكستنائي، ويحسب روب أنها تجعله يبدو قويًّا، ملكيًّا... وأكبر سِنًّا. لكن بلحيةٍ أو من غيرها لا يزال روب صبيًّا في الخامسة عشر، ولا تقلُّ رغبته في الثَّأر عن ريكارد كارستارك. لم يكن سهلًا على الإطلاق إقناعه بتقديم هذا العرض على الرغم مما فيه من تعنُّت.

- «سرسي لانستر لن تُوافِق أبدًا على مبادَلة أختيك باثنين من أبناء عمِّها. سوف تُريد أخاها كما تعي جيِّدًا جدًّا». كانت قد أخبرَته بالشَّيء نفسه من قبل، وإن وجدَت أنَ الملوك لا يُصغون بنِصف انتباه الأبناء.

- «لا أستطيعُ إطلاق سراح قاتِل الملك، حتى لو أردتُ. لن يرضى لورداتي عن هذا أبدًا».

- «لورداتك جعلوك ملكهم».

- «ويُمكنهم خلعي بالبساطة نفسها».

- «إذا كان تاجك هو الثَّمن الذي يجب أن ندفعه لنستعيد آريا وسانزا آمنتين، فمن المفترَض أن ندفعه عن طيب خاطر. نِصف لورداتك يرغبون في قتل لانستر في زنزانته، فإذا ماتَ وهو سجينك، سيقول النَّاس...».

- «... إنه استحقَّ القتل».

سألته كاتلين بحدَّة: «وماذا عن أختيك؟ هل ستستحقَّان الموت كذلك؟ أؤكِّدُ لك أن سرسي ستردُّ لنا الدَّم بالدَّم إذا مَسَّ أخاها أذى».

قال روب: «لانستر لن يموت. لا أحد يتكلَّم معه حتى دون إذنٍ مني. إن لديه طعامًا وماءً وقشًّا نظيفًا، ووسائل راحة أكثر مما يستحقُّ، لكني لن أحرِّره، ولا حتى من أجل آريا وسانزا».



أدركَت كاتلين أن ابنها يتعالى عليها، وتساءلَت: أهي الحرب التي جعلَته يَكبُرُ بهذه السُّرعة، أم التَّاج الذي وضعوه على رأسه؟ «هل تخشى أن ينزل چايمي لانستر إلى الميدان ثانيةً؟ أهذه هي الحقيقة؟».

زمجرَ جراي ويند كأنه أحسَّ بغضب روب، ووضعَ إدميور تَلي يده بحنانٍ أخويٍّ على كتفها قائلًا: «كات، لا تقولي هذا. الصَّبي على حق».

- «لا تدعُني بالصَّبي»، قال روب مستديرًا إلى خاله، لتنصبَّ غضبته كلها على إدميور المسكين، الذي أرادَ أن يُسانِده فحسب. «إنني أكادُ أكونُ رجلًا بالغًا، كما أنني ملك، ملكك أيها الفارس، ولستُ أخشى چايمي لانستر. لقد هزَمته في ميدان المعركة مرَّةً، وسأهزمه ثانيةً إذا لزمَ الأمر، وإنما...»، وأزاحَ خصلةً من الشَّعر سقطَت على عينيه، وهَزَّ رأسه مكملًا: «كان من الممكن أن أبادل قاتِل الملك بأبي، ولكن...».

كان صوتها باردًا كنهرٍ من الجليد وهي تقول: «... ولكن ليس بالفتاتين. الفتيات لسن مهمَّات بما فيه الكفاية، أليس كذلك؟».

لم يُجِب روب وإن تبدَّى الألم في عينيه، هاتين العينين الزَّرقاوين، عيني أولاد عائلة تَلي، العينين اللتين ورثَهما منها. لقد جرحَته، لكنه ابن أبيه ولن يعترف بهذا أبدًا.

قالت لنفسها: لم يكن هذا يليق بي. ما الذي سيَحدُث لي بحَقِّ الآلهة؟ إنه يبَذُل أقصى ما لديه، يفعل أفضل ما يُمكنه، أرى هذا وأشعرُ به، لكن... لقد فقدتُ حبيبي ند، الصَّخرة التي شُيِّدَت عليها حياتي، ولا يُمكنني احتمال فقدان الفتاتين كذلك...

قال روب: «سأفعلُ كلَّ ما أقدرُ عليه من أجل أختيَّ. إذا كانت الملكة تملك عقلًا فستقبل شروطي، وإذا لم تفعل سأجعلها تندم على اليوم الذي تَرفُضني فيه». كان من الواضح أنه ضاقَ ذرعًا بالكلام في هذا الموضوع، عندما غيَّره قائلًا: «أمِّي، متأكِّدة من أنكِ لن تُوافقي على الذَّهاب إلى «التَّوأمتين»؟ ستكونين أبعد عن القتال هناك، ويُمكنك التعرُّف على بنات اللورد فراي، لتُساعِديني على اختيار عروسي عندما تنتهي الحرب».



فكَّرت كاتلين متعَبةً: يُريدني أن أرحل. يبدو أنه من غير المفترَض أن تكون للملوك أمَّهات، كما أني أقولُ له أشياءَ لا يرغب في سماعها. «أنت كبير كفايةً لتُقرِّر مَن تُفضِّل من بنات اللورد والدر دون مساعَدة أمِّك يا روب».

- «ثيون سيُغادِر غدًا، فاذهبي معه إذن. سيُساعِد رجال ماليستر على اصطحاب عددٍ من الأسرى إلى سيجارد، ثم يستقلُّ سفينةً إلى جُزر الحديد. يُمكنك أن تجدي سفينةً بدورك وتعودي إلى وينترفل خلال دورة قمرٍ إذا كانت الرِّيح مواتيةً. بران وريكون في حاجةٍ إليك».

أمَّا أنت فلا، أهذا ما تُريد أن تقوله؟ «السيِّد والدي ليس أمامه وقت طويل، وما دامَ جدُّك على قيد الحياة فمكاني في ريفررَن إلى جانبه».

- «أستطيعُ أن آمركِ بالذَّهاب، أستطيعُ باعتباري ملكًا».

تجاهلَت كاتلين هذا، وقالت: «أكرِّرُ أني أفضِّلُ إرسال أحدٍ آخَر إلى پايك وبقاء ثيون قريبًا منك».

- «مَن أفضل من ابن بالون جرايچوي ليتعامَل معه؟».

- «چيسون ماليستر، تايتوس بلاكوود، ستفرون فراي، أي أحد... لكن ليس ثيون».

جلسَ ابنها القرفصاء إلى جوار جراي ويند وراحَ ينفش فرو الذِّئب متفاديًا عينيها بشكلٍ عرَضي، وقال: «ثيون حاربَ معنا بشَجاعة، وقد قلتُ لكِ كيف أنقذَ بران من مجموعة الهَمج في غابة الذِّئاب. إذا رفضَ آل لانستر السَّلام، سأحتاجُ سُفن اللورد جرايچوي الطَّويلة».

- «ستضمن أن تأتيك السُّفن أسرع إذا احتفظت بابنه رهينةً».

- «لقد أمضى نِصف حياته رهينةً».

- «لسببٍ وجيه. بالون جرايچوي ليس رجلًا جديرًا بالثِّقة. تذكَّر أنه هو نفسه كان يرتدي تاجًا، ولو لفصلٍ واحد، ولعلَّه يتطلَّع إلى ارتدائه ثانيةً».

نهضَ روب قائلًا: «ولن ألومه على هذا. إذا كنتُ ملكًا في الشَّمال، فليُصبِح ملك جُزر الحديد بدوره إذا كانت هذه رغبته. سأعطيه تاجًا بكلِّ سرور، شريطة أن يُساعِدنا على إسقاط عائلة لانستر».



- «روب...».

- «سأرسلُ ثيون. طابَ يومك يا أمَّاه. جراي ويند، تعالَ»، قال روب وجَدَّ الخُطى مبتعدًا والذِّئب الرَّهيب إلى جواره.

لم تستطِع كاتلين غير أن تُشاهِده يذهب. ابنها والآن مليكها. كم هو شعورٌ غريب. في خندق كايلن قالت له: قُد، فقادَ. قالت بلهجةٍ حادَّة: «سأذهبُ لزيارة أبي. تعالَ معي يا إدميور».

- «يجب أن أتكلَّم مع الرُّماة الجُدد الذين يُدَرِّبهم السير دزموند. سأزوره فيما بَعد».

إذا ظَلَّ حيًّا، فكَّرت كاتلين وإن لم تتفوَّه بشيء. يُفَضِّل أخوها أن يُواجِه المعركة على مواجَهة غُرفة المرض تلك.

أقصر طريقٍ إلى الحصن المركزي حيث يحتضر أبوها يمرُّ بأيكة الآلهة، بما فيها من كلأ وزهور بريَّة وصفوف سميكة من أشجار الدَّردار والخشب الأحمر. كانت ثروة من الأوراق ذات الحفيف المسموع لا تزال متمسِّكةً بالغصون، متجاهلةً تمامًا النبأ الذي جاءَ به الغُداف الأبيض إلى ريڤرران قبل أسبوعين. أعلنَ مجمع المِايسترات مجيء الخَريف، لكن الآلهة لم ترَ أن من المناسب أن تُخبِر الرِّياح والغابات بعدُ، ما أشعرَ كاتلين بامتنانٍ شديد. دائمًا ما يكون الخريف وقتًا مفعمًا بالمخاوف وشبح الشِّتاء يلوح في الأُفق، وحتى أكثر النَّاس حكمةً لا يعرف إن كان حصاده التَّالي هو الأخير أم لا.

تمدَّد هوستر تَلي سيِّد ريڤرران على فِراشه في غُرفته الشَّمسيَّة، التي تُشرِف شَرقًا على ملتقى نهري الجُلمود والفرع الأحمر وراء أسوار القلعة. كان نائمًا عندما دلفَت كاتلين إلى المكان، شَعره ولحيته أبيضان تمامًا كالرِّيش الذي يُتخِم حشيَّة فِراشه، وقد أصيبَ جسده الذي كان ممتلئًا ذات يومٍ بالهزال والوهن، من جرَّاء الموت الذي ينتشر داخله.

إلى جوار الفِراش جلسَ أخو أبيها الملقَّب بالسَّمكة السَّوداء، لا يزال يرتدي قميص حلقاتٍ معدنيَّة أسود ومعطفًا وسَّخه السَّفر، وقد تغبَّر حذاؤه وتناثرَ عليه الوحل الجاف. سألَته: «هل يعلم روب أنك رجعت يا عمَّاه؟».

السير برايندن تَلي بمثابة عيني وأُذني روب، قائد كشَّافته وفِرَق استطلاعه.



- «لا، جئتُ من الاسطبلات إلى هنا مباشرةً لمَّا قالوا لي إن بلاط الملك معقود. أعتقدُ أن جلالته سيرغب في سماع الأنباء التي لديَّ على انفراد».
كان السَّمكة السَّوداء رجلًا نحيلًا فارع الطُّول، أشيب الشَّعر وواثق الحركة، وتبدو على وجهه الحليق آثار التعرُّض المستمر للرِّيح. «كيف حاله؟»، سألَها فأدركَت أنه لا يعني روب.
- «كما هو إلى حَدٍّ كبير. المِايستر سقاه نبيذ النَّوم وحليب الخشخاش لتخفيف الألم، فينام أغلبَ الوقت ويأكل قليلًا جدًّا. يبدو أضعف مع كلِّ يومٍ يمرُّ».
- «هل يتكلَّم؟».
- «نعم... لكن ما يقوله أصبحَ أقلَّ وأقلَّ معقوليَّةً. إنه يتكلَّم عن أشياءَ تُشعِره بالنَّدم، عن أعمال لم تكتمل، عن أناسٍ ماتوا منذ زمنٍ وأوقات فاتَت. أحيانًا لا يعرف في أيِّ فصلٍ نحن، أو مَن أكون، وفي مرَّةٍ ناداني باسم أمِّي».
قال السير برايندن: «ما زال يفتقدها. إن لديكِ وجهها. يُمكنني أن أراه في عظام وجنتيكِ وفكِّك».
ردَّت: «أنت تتذكَّرها أكثر مني. لقد مضى زمن طويل»، وجلسَت على الفِراش وأزاحَت خصلةً من الشَّعر الأبيض النَّاعم انسدلَت على وجه أبيها.
- «كلَّ مرَّةٍ أغادرُ فيها أتساءلُ إن كنتُ سأجده حيًّا أم ميتًا عندما أعودُ».
على الرغم من خلافاتهما، فثمَّة رابط عميق بين أبيها وأخيه الذي تبرَّأ منه ذات يوم.
- «على الأقل تصالحتما».
جلسا صامتَيْن بعض الوقت، قبل أن ترفع كاتلين رأسها وتقول: «كنت تتكلَّم عن أنباء ينبغي أن يسمعها روب؟».
تأوَّه اللورد هوستر وانقلبَ على جانبه كما لو أنه سمعَ، فنهضَ برايندن وقال: «لنتكلَّم في الخارج. من الأفضل ألَّا نُوقِظه». تبعَته إلى الشُّرفة الحجريَّة التي تَبرُز بجوانبها الثَّلاثة كمقدِّمة سفينة، ورفعَ عمُّها رأسه إلى أعلى مقطِّبًا جبهته وغمغمَ: «يُمكنك رؤيته بالنَّهار الآن. رجالي يُسَمُّونه «الرَّسول الأحمر»... لكن ما هي الرِّسالة؟».
رفعَت كاتلين عينيها إلى حيث شَقَّ خَطُّ المذنَّب الأحمر البعيد طريقه عبر



أزرق السَّماء العميق كخدش على وجه الإله. «چون الكبير قال لروب إن الآلهة القديمة رفعَت علمًا أحمر رمزًا للانتقام لند، ويعتقد إدميور أنه بشير بالنَّصر لريڤررَن، فهو يرى سمكةً طويلة الذَّيل بألوان عائلة تَلي، أحمر على أزرق»، وتنهَّدت وأضافَت: «ليتني أتحلَّى بثقتهما. القرمزي لون لانستر».

قال السير برايندن: «هذا الشَّيء ليس قرمزيًّا، ولا أحمر تَلي كطمي النَّهر كذلك. ما ترينه في الأعلى هو دم يا صغيرتي، دم يُلَطِّخ السَّماء».

- «دمنا أم دمهم؟».

قال عمُّها: «هل سمعتِ من قبلِ عن حربٍ سالَت فيها دماء طرفٍ واحد؟»، وهَزَّ رأسه وتابعَ: «أراضي النَّهر غارقة في الدَّم والنَّار حول «عين الآلهة» كلها، والقتال امتدَّ جَنوبًا حتى النَّهر الأسود وشَمالًا عبر الثَّالوث وحتى «التَّوأمتين» تقريبًا. مارك پايپر وكاريل ڤانس حقَّقا عددًا من الانتصارات الصَّغيرة، واللورد الجَنوبي الصَّغير بريك دونداريون يُغير على المُغيرين، يُهاجِم خطوط إمداد اللورد تايوين على حين غرَّةٍ ثم يختفي في الغابة من جديد. يُقال إن السير برتون كراكهول كان يزهو بأنه قتلَ دونداريون، إلى أن قادَ موكبه إلى أحد أفخاخ اللورد بريك وتسبَّب في مقتلهم جميعًا».

قالت كاتلين متذكِّرةً: «بعض رجال ند من كينجز لاندنج مع اللورد بريك. لتحفظهم الآلهة».

- «دونداريون وهذا الرَّاهب الأحمر الذي يركب معه ذكيَّان بما فيه الكفاية للحفاظ على نفسيهما إذا صحَّت الحكايات، لكن حكاية حمَلة راية أبيك محزنة أكثر. لم يكن يَجدُر بروب أن يسمح لهم بالرَّحيل أبدًا، فقد تفرَّقوا كطيور السمَّان ليُحاوِل كلٌّ منهم أن يحمي ما له، وهذه حماقة يا كات، حماقة. چونوس براكن جُرِحَ في القتال وسط خرائب قلعته، وقُتِل هندري ابن أخيه، وتايتوس بلاكوود كنسَ جنود لانستر من على أرضه، لكنهم أخذوا كلَّ بقرةٍ وخنزير وحبَّة قمح، ولم يَترُكوا له شيئًا يُدافِع عنه غير راڤنتري هول وصحراء خالية، أمَّا رجال داري فقد استردُّوا حصن سيِّدهم ولم يُحافِظوا عليه أكثر من أسبوعين، قبل أن ينقضَّ عليهم جريجور كليجاين ويَقتُل كلَّ مَن في الحامية، بما فيهم اللورد نفسه».



قالت كاتلين مرتاعةً: «داري كان مجرَّد طفل!».

- «نعم، وآخرِ أفراد عائلته كذلك. كان الصَّبي ليجلب فديةً لا بأس بها، لكن ماذا يعني الذَّهب لكلب مسعور مِثل جريجور كليجاين؟ سيكون رأس هذا الحيوان هديَّةً رائعةً لأهلِ البلاد، أقسمُ على هذا».

كانت كاتلين تعرف سُمعة السير جريجور البغيضة، ولكن... «لا تُكَلِّمني عن الرُّؤوس يا عمَّاه وقد علَّقت سرسي رأس ند على خازوق فوق أسوار القلعة الحمراء وتركَته للذُّباب والغِربان». حتى الآن لم يزل من الصَّعب عليها أن تُصَدِّق أنه رحلَ حقًّا، وفي ليالٍ تستيقظ في الظَّلام والنَّوم لا يزال يكتنفها، وللحظةٍ تتوقَّع أنها ستجده إلى جوارها. «كليجاين ليس أكثر من مخلبٍ للورد تايوين». تؤمن كاتلين تمامًا بأن تايوين لانستر -سيِّد كاسترلي روك، وحاكِم الغرب، ووالد الملكة سرسي والسير چايمي قاتِل الملك وتيريون العِفريت، وجَد چوفري باراثيون الملك الصَّبي الجديد- هو الخطر الحقيقي.

قال السير برايندن: «هذا صحيح، وتايوين لانستر ليس بالأحمق. إنه يجلس آمنًا وراء أسوار هارنهال، يُطعِم جيشه من محاصيلنا ويُحرِق ما لا يستطيع سلبه. جريجور ليس الكلب الوحيد الذي أطلقَه، فالسير آموري لورك في الميدان كذلك، بالإضافة إلى مُرتزق ما من كوهور يُفَضِّل تشويه النَّاس على قتلهم. لقد رأيتُ ما يُخَلِّفونه وراءهم، قُرى كاملة محترقة ونِساءً مغتصبَات ممثَّلًا بجثثهن وأطفالًا مذبوحين تُركوا بلا دفنٍ ليجتذبوا الذِّئاب والكلاب الضَّارية... شيء يُثير غثيان الموتى أنفسهم».

- «سيشتعل إدميور غضبًا عندما يسمع هذا».

- «وهذا ما يُريده اللورد تايوين بالضَّبط. حتى الإرهاب هناك غرض منه يا كات، لانستر يرغب في استفزازنا لخوض المعركة».

قالت كاتلين بتبرُّم: «غالبًا سيُحَقِّق روب له تلك الرَّغبة. جلوسه هنا يجعله متوتِّرًا كالقِطط، وسيحثُّه إدميور وچون الكبير وغيرهما على الخروج». لقد حقَّق ابنها نصرين عظيمين، محطِّمًا چايمي لانستر في الغابة الهامسة وهازمًا جيشه الذي بلا قائد خارج أسوار ريفررَن في معركة المعسكرات، لكن الطَّريقة التي يتكلَّم بها عدد من حمَلة رايته عنه تجعله يبدو كما لو أنه إجون الفاتح وقد وُلِدَ من جديد.



قوَّس برايندن السَّمكة السَّوداء حاجبه الأشيب الكثيف، وقال: «هُم أكثر حماقةً. أول قاعدة عندي للحرب يا كات: لا تُعطي العدوَّ شيئًا يرغب فيه أبدًا. اللورد تايوين يُريد القتال في ميدانٍ من اختياره هو، يُريدنا أن نزحف على هارنهال».

- «هارنهال». كلُّ طفلٍ في أراضي الثَّالوث يعرف حكاية هارنهال، القلعة العملاقة التي شيَّدها الملك هارن الأسود على ضفاف بحيرة «عين الآلهة» قبل ثلاثمئة عام، عندما كانت الممالك السَّبع لا تزال سبع ممالك، والرِّجال الحديديُّون أبناء الجُزر يَحكُمون أراضي النَّهر. بعجرفته البالغة، رغبَ هارن في أن تكون له أعلى قاعة وأطول بروجٍ في وستروس كلها، ومرَّت أربعون عامًا ارتفعَت فيها القلعة شيئًا فشيئًا كظِلٍّ عظيم على شاطئ البحيرة، بينما نهبَت جيوش هارن من جيرانه الحجارة والأخشاب والذَّهب والعُمَّال. ماتَ آلاف الأسرى إمَّا في المحاجر أو مقيَّدين بالسَّلاسل إلى المزلجات أو عملًا على الأبراج الهائلة الخمسة، وقُطِعَت أشجار ويروود عُمرها ثلاثة آلاف عام لتُصنَع العوارض والألواح من خشبها. أتى هارن على ثروات أراضي النَّهر وجُزر الحديد على حَدٍّ سواء لِيُزَيِّن حُلمه، وعندما وقفَت هارنهال مكتملةً أخيرًا، وفي اليوم ذاته الذي اتَّخذ فيه هارن منها مقرَّه، رسا إجون الفاتح في كينجز لاندنج.

تذكَّرت كاتلين العجوز نان وهي تحكي الحكاية لأطفالها في وينترفل، التي يكون ختامها دائمًا أن «الملك هارن تعلَّم أن الأسوار السَّميكة والأبراج العالية بخسة الفائدة أمام التَّنانين، ذلك أن التَّنانين تطير». هلكَ هارن ونسله في المحرقة التي ابتلعَت القلعة بضخامتها الشَّديدة، وعانَت كلُّ عائلةٍ سيطرَت على هارنهال من حَظٍّ عاثر منذ ذلك الحين. قد تكون قويَّةً، لكنها مكان كئيب وملعون.

قالت كاتلين: «لا أريدُ أن يُحارِب روب في ظِلِّ تلك القلعة يا عمَّاه، لكن ينبغي أن نفعل شيئًا».

وافقَها عمُّها قائلًا: «وقريبًا. إنني لم أُخبِركِ بأسوأ جزءٍ يا صغيرتي. الرِّجال الذين أرسلتهم غَربًا عادوا بأخبارٍ عن جيشٍ جديد يحتشد في كاسترلي روك».



جيش لانستر آخَر. أصابَتها الفكرة بالغثيان. «يجب إخبار روب في الحال. من سيقود هذا الجيش؟».

أجابَ: «يُقال إنه السير ستافورد لانستر»، والتفتَ ليتطلَّع إلى النَّهرين والنَّسيم يُحَرِّك معطفه ذا اللَّونين الأحمر والأزرق.

- «ابن أخ آخَر؟». عليهم اللَّعنة آل لانستر أبناء كاسترلي روك، إنهم عائلة كبيرة وشديدة الخصوبة حقًّا.

قال السير برايندن مصحِّحًا: «ابن عم، شقيق زوجة اللورد تايوين الرَّاحلة، أي قريب لهم من جهتين. إنه عجوز وعلى شيءٍ من الغباء، لكن لديه ابنًا هو السير دافن الذي يتمتَّع بهيبةٍ أكبر».

- «لنأمل إذن أن يقود الأب لا الابن الجيش إلى الميدان».

- «ما زال أمامنا بعض الوقت حتى تتوجَّب علينا مواجَهتهم. ستتكوَّن تلك الشِّرذمة من المُرتزِقة والمُحاربين غير النِّظاميِّين والصِّبية الخُضر القادمين من أزقَّة لانسپورت، وينبغي أن يتأكَّد السير ستافورد من تسليحهم وتدريبهم قبل أن يُخاطِر بخوض المعركة... وتأكَّدي أن اللورد تايوين ليس كقاتِل الملك، ولن يندفع بتهوُّرٍ إلى القتال، بل سينتظر بصبرٍ حتى يبدأ السير ستافورد الزَّحف قبل أن يَخرُج من وراء أسوار هارنهال».

قالت كاتلين: «ما لم...».

استحثَّها السير برايندن: «ماذا؟».

- «ما لم يُجبَر على مغادَرة هارنهال لمواجَهة تهديدٍ آخَر».

رمقَها عمُّها مفكِّرًا وقال: «اللورد رنلي».

- «الملك رنلي». إذا كانت ستَطلُب المساعَدة من الرَّجل، فعليها أن تُلحِق باسمه اللَّقب الذي أعطاه لنفسه.

ارتسمَت ابتسامة خطرة على وجه السَّمكة السَّوداء وهو يقول: «ربما، لكن سيرغب في مقابلٍ ما بالتَّأكيد».

قالت: «سيرغب في ما يرغب فيه الملوك دائمًا، البيعة».





تيريون

كان چانوس سلينت ابنًا لجزَّار، له ضحكة كصوت تقطيع اللَّحم. سأَلَه تيريون: «المزيد من النَّبيذ؟»، فرفعَ اللورد سلينت -الذي لبطنه شكل البرميل وسَعَته- كأسه مجيبًا: «لن أعترض، لن أعترض على الإطلاق. إنه نوع أحمر ممتاز. أهو من «الكرمة»؟».

- «من دورن». أشارَ تيريون، فصَبَّ خادمه النَّبيذ. باستثناء خدمه، كانت القاعة الصَّغيرة تضمُّه واللورد چانوس فقط، وقد جلسا إلى مائدةٍ صغيرة مُضاءة بالشُّموع والظَّلام يُحيط بهما. «لَقِيَّة رائعة في الحقيقة، لأن الخمور الدورنيَّة لا تكون غنيَّةً هكذا في المعتاد».

ردَّد الرَّجل الكبير ذو وجه الضِّفدعة وهو يأخذ جَرعةً كبيرةً: «غنيَّة». ليس چانوس سلينت بالرَّجل الذي يشرب النَّبيذ على رشفات، الشَّيء الذي لاحظَه تيريون من قبل وسجَّله في ذاكرته. «نعم، غنيَّة، هذه هي الكلمة التي كنتُ أبحثُ عنها بالضَّبط، هي بالضَّبط. إن لديك موهبة في التَّعامُل مع الكلام يا لورد تيريون، إذا سمحت لي بأن أقول هذا، وحكاياتك شديدة الطَّرافة، نعم، شديدة الطَّرافة».

- «يَسُرُّني أن هذا رأيك... لكني لستُ لوردًا مِثلك. يُمكنك مخاطَبتي بتيريون ببساطة أيها اللورد چانوس».

قال: «كما تشاء»، وصَبَّ المزيد من النَّبيذ في حَلقه، لتتساقَط قطرات منه على وجه سُترته الحريريَّة السَّوداء. كان يرتدي حرملةً قصيرةً من قُماش



الذَّهب مثبَّتة بمشبكٍ صغير على شكل رُمح رأسه مطليٌّ بالأحمر الدَّاكن، وكان ثملًا تمامًا.

تجشَّأ تيريون وقد غطَّى فمه على سبيل التَّهذيب. على عكس اللورد چانوس، لم يكن قد شربَ كثيرًا، وإن شعرَ بالامتلاء التَّام. أول شيءٍ فعله بَعد أن استقرَّ في بُرج اليد، أنه استخبرَ عن أفضل طاهيةٍ في المدينة وألحقَها بخدمته، والليلة تناوَلا على العَشاء من طهيها حساء ذيل الثَّور، والخضراوات الصَّيفيَّة المقلَّبة مع جوز البيقان والعنب والشَّمار الأحمر والجبن المفتَّت، وفطيرة سرطان بحري ساخنة، وطَبقًا من القرع المتبَّل، بالإضافة إلى طيور السمَّان الغارقة في الزُّبدة. جاءَ كلُّ صنفٍ مصحوبًا بنوعه الخاص من النَّبيذ، واعترفَ اللورد چانوس بأنه لم يأكل بهذه الشَّهيَّة من قبل إطلاقًا، فقال تيريون: «لا شَكَّ أن هذا سيتغيَّر عندما تتَّخذ مقرَّك في هارنهال».

- «بكلِّ تأكيد. ما رأيك إذا طلبتُ من طاهيتك هذه أن تلتحق بخدمتي؟».

- «هناك حروب اندلعَت لأسبابٍ أهون من هذا»، قال تيريون، واشتركَ الاثنان في ضحكةٍ مرحةٍ طويلة. «جرأة منك أن تستقرَّ في هارنهال حقًّا. إنها مكان شديد الكآبة، وضخم، وصيانته تُكَلِّف الكثير... وبعضهم يقول إنها ملعونة كذلك».

ضحكَ سلينت استهزاءً بالفكرة، وقال: «هل من المفترَض أن أخاف كومةً من الحجارة؟ لقد وصفتني بالجرأة، وينبغي أن تكون جريئًا كي تترقَّى في هذا العالم، كما فعلتُ أنا وترقَّيتُ إلى هارنهال، نعم! ولِمَ لا؟ أنت تعرف، فأنت أيضًا رجل جريء كما يُخبِرني حدسي. صغير الحجم ربما، لكن جريء!».

- «أنت شديد اللُّطف. المزيد من النَّبيذ؟».

- «لا، لا، إنني حقًّا... أوه، لتحلَّ اللَّعنة بالآلهة، نعم، ولِمَ لا؟ الرَّجل الجريء يشرب حتى يرتوي!».

صَبَّ تيريون النَّبيذ في كأس اللورد سلينت قائلًا: «هذا صحيح. بالمناسبة، لقد ألقيتُ نظرةً على الأسماء التي طرحتها لحَلِّ محلِّك في قيادة حَرس المدينة».

- «رجال صالحون، رجال أكْفاء. أيٌّ من الستَّة سيَصلُح، لكنْ رأيي أن



تختار آلار ديم. إنه ذراعي اليُمنى، رجل عظيم عظيم، ومخلص. اختره ولن تأسف، إذا وافقَ عليه الملك».

رشفَ تيريون من نبيذه، وقال: «بالتَّأكيد. كنتُ أفكِّرُ في السير چاسلين بايووتر. إنه قائد بوَّابة الطَّمي منذ ثلاث سنواتٍ كاملة، وخدمَ ببسالةٍ خلال تمرُّد بالون جرايچوي، ونصَّبه الملك روبرت فارسًا في پايك، ومع ذلك لا أرى اسمه في قائمتك».

جرعَ اللورد چانوس سلينت من النَّبيذ ومضمضَ به فمه لحظةً، قبل أن يبتلعه ويقول: «بايووتر، نعم، رجل شُجاع بالتَّأكيد، لكن... هذا الرَّجل قاسٍ، كلب غريب الأطوار، والرِّجال لا يُحِبُّونه، ثم إنه معاق أيضًا وقد فقدَ يده في پايك. هذا ما منحَه الفروسيَّة. صفقة خاسرة في رأيي أن تُبادِل يدك بلقب سير»، وضحكَ وأضافَ: «السير چاسلين يُفرِط في تقدير نفسه وشَرفه في رأيي، وأفضل لك أن تدعه في مكانه يا لو... تيريون. آلار ديم هو رجلك المناسب».

- «ديم غير محبوب في الشَّوارع على حَدِّ علمي».

- «لكنه مرهوب، وهذا أفضل».

- «ما الذي سمعته عنه؟ كانت مشكلةً ما في ماخور على ما أظنُّ».

- «تلك الحادثة؟ لم تكن غلطته يا لو... تيريون، لا، إنه لم يقصد إطلاقًا أن يَقتُل المرأة. كانت غلطتها هي. لقد حذَّرها وأمرَها بالتَّنحِّي جانبًا وتركه يؤدِّي واجبه».

قال تيريون: «ولو... الأمَّهات وأطفالهنَّ... كان من المفترَض أن يتوقَّع أنها ستُحاول إنقاذ الرَّضيعة»، ثم ابتسمَ وأشارَ قائلًا: «جرِّب هذا الجبن، إنه رائع مع النَّبيذ. أخبرني، لماذا اخترت ديم لتلك المهمَّة الكريهة؟».

- «القائد الحقُّ يعرف رجاله يا تيريون، بعضهم مناسب لنوعٍ معيَّن من المهام والبعض لنوعٍ آخَر. التخلُّص من طفلةٍ لا تزال ترضع من ثدي أمِّها يتطلَّب نوعًا خاصًّا من الرِّجال، فهذا عمل لا يقوى عليه أيُّ شخصٍ تقليدي، حتى إذا كان التَّكليف مجرَّد عاهرةٍ ما وصغيرتها».

- «أعتقدُ أن معك حقًّا»، قال تيريون وقد سمعَ مجرَّد عاهرةٍ ما ليتَّجه



تفكيره إلى شِاي، وتايشا التي سبقَتها بزمنٍ طويل، وكلِّ الأخريات اللاتي تلقَّين ماله ونُطفته على مَرِّ السِّنين.

واصلَ سلينت وهو غافل عمَّا يدور في خلد تيريون: «رجل قاسٍ للمهام القاسية، هذا هو ديم، يفعل كما يُؤمَر ولا يتفوَّه بكلمةٍ بَعدها»، وقطعَ شريحةً من الجبن مضيفًا: «جبن جيِّد، لاذع المذاق. أعطِني سكِّينًا حادًّا وجبنًا لاذعًا فأكونُ في غاية السَّعادة».

هَزَّ تيريون كتفيه قائلًا: «استمتع به بينما تستطيع، فمع اشتعال النَّار في أراضي النَّهر وإعلان رنلي ملكًا في هايجاردن، سيُصبِح الجبن الجيِّد سلعةً نادرةً قريبًا. قُل لي إذن، من أرسلك وراء النَّغلة بنت العاهرة؟».

رمقَ اللورد چانوس تيريون بنظرةٍ حذرة، ثم ضحكَ ولوَّح بشريحةٍ من الجبن في وجهه قائلًا: «خبيثٌ أنت يا تيريون. كنت تحسب أنك ستخدعني، أليس كذلك؟ ليس بمجرَّد النَّبيذ والجبن يُفصِح چانوس سلينت عن أكثر مما ينبغي. هذا من دواعي فخري، لا أسئلة ولا كلمة واحدة بَعدها، ليس معي أنا».

- «مِثل ديم».

- «مِثله تمامًا. اجعله القائد عندما أغادرُ إلى هارنهال ولن تندم».

قضمَ تيريون قطعةً صغيرةً من الجبن. لاذع المذاق بالفعل، ومجزَّع بالنَّبيذ، اختيار ممتاز. «أيًّا كان من سيختاره الملك سيجد صعوبةً في سَدِّ الفراغ الذي ستتركُه، هذا واضحٌ لي. اللورد مورمونت يُواجِه المشكلة ذاتها».

بدَت الحيرة على اللورد چانوس وهو يقول: «حسبتُ أنها الليدي مورمونت، تلك التي تُضاجِع الدِّببة، أليس كذلك؟».

- «أتكلَّمُ عن أخيها، چيور مورمونت، حضرة قائد حَرس اللَّيل. خلال زيارتي له على «الجِدار» ذكرَ أنه مشغول بمسألة العثور على رجلٍ يَصلُح لخلافته، فهُم يفتقرون بشدَّة إلى الرِّجال الأكْفاء هذه الأيام»، وارتسمَت على شفتي تيريون ابتسامة واسعة وهو يُضيف: «أتصوَّرُ أنه سينام باطمئنانٍ أكبر إذا كان لديه رجل مِثلك، أو مِثل آلار ديم الشُّجاع».

دوَّت ضحكة اللورد چانوس في القاعة مع صيحته: «احتمال بعيد!».

قال تيريون: «قد نظنُّ هذا، لكن الحياة تتَّخذ منعطفاتٍ عجيبة حقًّا. إدارد



ستارك على سبيل المثال يا سيِّدي، لا أعتقدُ أنه تخيَّل أبدًا أن حياته ستنتهي على عتبة سِپت بيلور».

رَدَّ اللورد چانوس مقهقهًا: «قليلون للغاية تخيَّلوا هذا».

قهقهَ تيريون أيضًا وقال: «من المؤسف أني لم أكن موجودًا لأشهد المنظر. يقولون إن ڤارس نفسه أخذَته المفاجأة».

كانت ضحكة اللورد چانوس صاخبةً قويَّةً للغاية هذه المرَّة، لدرجة أن بطنه الكبير ارتجَّ بشدَّة، وقال متهكِّمًا «العنكبوت الذي يعرف كلَّ شيء، يقولون، لكنه لم يعرف شيئًا عن ذلك!».

- «وأنَّى له أن يعرف؟»، قال تيريون وقد وضعَ اللَّمحة الأولى من البرودة في صوته. «لقد ساعدَ على إقناع أختي بأن يتمَّ العفو عن ستارك، بشرط أن يرتدي أسود حَرس اللَّيل».

حدجَ چانوس سلينت تيريون بنظرةٍ فارغة وهو يُغَمغِم: «إيه؟».

كرَّر تيريون بنبرةٍ أقوى بعض الشَّيء هذه المرَّة في حال لم يفهم الأحمق مَن يقصد: «أختي سرسي، الملكة الوصيَّة على العرش».

ابتلعَ سلينت القليل من النَّبيذ وقال: «نعم، بالنِّسبة لهذا... الملك هو من أمرَ به يا سيِّدي، الملك بنفسه».

- «الملك في الثَّالثة عشر من العُمر».

قال سلينت وقد ارتجفَ لُغده كعادته عندما يعبس: «لكنه الملك، سيِّد الممالك السَّبع».

قال تيريون بابتسامةٍ مستخِفَّة: «سيِّد واحدةٍ أو اثنتين منها على الأقل. هل تسمح أن أرى رُمحك؟».

مرتبكًا حدَّق فيه اللورد سلينت وردَّد: «رُمحي؟».

أشارَ تيريون مجيبًا: «المشبك الذي يُثبِّت حرملتك».

خلعَ اللورد چانوس الحلية متردِّدًا وناوَلها لتيريون، الذي قال: «لدينا صاغة في لانسپورت يقومون بعملٍ أفضل. الطِّلاء الأحمر الدَّموي مبالَغ فيه بعض الشَّيء، إذا سمحت لي بالقول. قُل لي يا سيِّدي، هل غرست الرُّمح في ظَهر الرَّجل بنفسك أم أعطيت الأمر فقط؟».



- «أعطيتُ الأمر، وسأعطيه ثانيةً لو عادَ بي الزَّمن. اللورد ستارك كان خائنًا». كانت البُقعة الصَّلعاء في منتصَف رأس سلينت محمرَّةً كثمرة البنجر الآن، وقد انزلقَت حرملته القصيرة المصنوعة من قُماش الذَّهب من على كتفيه إلى الأرض. «لقد حاولَ أن يشتريني».

- «دون أن يتصوَّر أن صفقة شرائك تمَّت بالفعل».

قرعَ سلينت المائدة بكأسه صائحًا: «هل أنت سكران؟ إذا كنت تحسب أني سأجلسُ هنا وأسمحُ بالتَّشكيك في شَرفي...».

- «عن أيِّ شَرفٍ تتكلَّم؟ أعترفُ أنك أجريت صفقةً أكثر ربحًا من السير چاسلين، اللورديَّة ومعها قلعة مقابل طعنةٍ في الظَّهر، ولم تضطرَّ إلى طعْن الرَّجل بنفسك حتى»، وألقى تيريون الحلية إلى چانوس سلينت، فارتدَّت عن صدره وسقطَت على الأرض وهو ينهض.

- «أسلوبك لا يروقني أيها اللو... العِفريت. أنا سيِّد هارنهال وعضو في مجلسِ الملك، فمن تكون لتُوَبِّخني هكذا؟».

مالَ تيريون برأسه جانبًا، وقال: «أظنُّك تعلم من أكونُ جيِّدًا جدًّا. كم ابنًا لديك؟».

- «وما أهميَّة أبنائي لديك أيها القزم؟».

توهَّج غضبه على ملامحه وهو يقول: «قزم؟ كان ينبغي أن تتوقَّف عند العِفريت. أنا تيريون سليل عائلة لانستر، وذات يوم، إذا كنت تملك من العقل ما أعطَته الآلهة ليرقةٍ في البحر، ستهوي على رُكبتيك شكرًا لأنك تعاملت معي أنا وليس السيِّد والدي. والآن، كم ابنًا لديك؟».

رأى تيريون الخوف المفاجئ في عيني چانوس سلينت إذ أجابَ: «ثلاثة يا سيِّدي، وبنت. أرجوك يا سيِّدي...».

انزلقَ من مقعده ووقفَ قائلًا: «لست في حاجةٍ إلى التوسُّل. لك كلمتي بأن أذًى لن يُصيبهم. سيتلقَّى الولدان الصَّغيران من التَّربية والإعداد ما يؤهِّل كلًّا منهما لأن يكون مُرافِقًا لفارس، وقد يُنَصَّبا فارسين في الوقت المناسب إذا أخلصا في خدمتهما، كي لا يقول أحد أبدًا إن عائلة لانستر لا تُكافئ من يخدمونها. وسيرث ولدك الكبير لقب اللورد سلينت ورمزكم القبيح هذا»،



وركلَ الرُّمح الذَّهبيَّ الصَّغير ليتدحرج على الأرض، وأضافَ: «سوف تُعَيِّن له بعض الأراضي، ويُمكنه أن يبني مقرًّا لنفسه. لن يكون هارنهال، لكنه سيكفيه، كما أن عليه ترتيب زيجةٍ للفتاة».

استحالَ وجه چانوس سلينت من الأحمر إلى الأبيض وهو يقول متلعثمًا: «مـماذا... ماذا تنـ...». كان لُغده يرتعش الآن ككُتلةٍ من شحم الماشية.

- «ماذا أنوي أن أفعل بك؟». تركَ تيريون المغفَّل يرتجف لحظةً، قبل أن يُجيب: «السَّفينة «حُلم الصَّيف» ستُبحِر مع تيَّار الصَّباح، ورُبَّانها أخبرَني أنها سترسو في بلدة النَّوارس و«الأخوات الثَّلاث» وجزيرة سكاجوس، ثم قلعة البحر الشَّرقيَّة. بلِّغ حضرة القائد مورمونت تحيَّاتي الحارَّة عندما تراه، وقُل له إنني لم أنسَ احتياجات حَرس اللَّيل. أتمنَّى لك حياةً طويلةً وخدمةً موفَّقةً يا سيِّدي».

ارتدَّت الدِّماء إلى وجه چانوس سلينت بمجرَّد أن أدركَ أنه لن يُعدَم في الحال، ومَطَّ شفتيه قائلًا: «سنرى أيها العِفريت، القزم، فربما تركب أنت تلك السَّفينة، ما رأيك؟ قد تكون أنت الذَّاهب إلى «الجِدار»»، وأطلقَ ضحكةً عصبيَّةً وقعُها كالنِّباح وواصلَ: «أنت وتهديداتك، حسن، سنرى. إنني صديق الملك كما تعلم، وسنرى ما يقوله چوفري عن هذا، والإصبع الصَّغير والملكة، أوه، نعم، چانوس سلينت لديه أصدقاء كثيرون. أعدُك أننا سنرى من سيُبحِر صباحًا، نعم، سنرى»، ودارَ على عقبيه كالحارس الذي كانه ذات يوم، وقطعَ طول القاعة الصَّغيرة نحو الباب وحذاؤه يدقُّ الأرض الحجريَّة دقًّا، ثم إنه صعدَ الدَّرجات ودفعَ مصراعيَّ الباب... ووجدَ نفسه وجهًا لوجهٍ مع رجلٍ طويل القامة مربَّع الفك يرتدي واقي صدرٍ أسود ومعطفًا ذهبيًّا، وقد استقرَّت يد حديديَّة على معصمه الأيمن بدلًا من يده المبتورة. «چانوس»، قال الرَّجل وعيناه العميقتان تلتمعان من تحت جبهته البارزة وشَعره الكثيف الذي امتزجَ فيه الأبيض بالأسود، وتقدَّم ستَّة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة إلى داخل القاعة بهدوء، ليتراجَع چانوس سلينت.

نادى تيريون من مكانه: «لورد سلينت، أعتقدُ أنك تعرف السير چاسلين بايووتر، قائد حَرس المدينة الجديد».



خاطبَ السير چاسلين سلينت قائلًا: «هناك حمَّالة في انتظارك يا سيِّدي، فأرصفة المرفأ مظلمة وبعيدة، والشَّوارع ليست آمنةً ليلًا. يا رجال».

قادَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة قائدهم السَّابق إلى الخارج، بينما نادى تيريون السير چاسلين إليه، ثم ناوَله رَقًّا مطويًّا وقال: «إنها رحلة طويلة، وسيرغب اللورد سلينت في صُحبة. اعمل على أن ينضمَّ إليه هؤلاء السِّتَّة على متن «حُلم الصَّيف»».

ألقى بايووتر نظرةً على الأسماء، وابتسم قائلًا: «كما ترغب».

قال تيريون بهدوء: «ثمَّة واحد منهم، ديم، قُل للرُّبَّان إننا لن نُسيء الفهم إذا تصادفَ أن سقطَ من فوق حاجز السَّفينة قبل أن يَبلُغوا القلعة الشَّرقيَّة».

رَدَّ السير چاسلين: «معلوماتي أن تلك المياه الشَّماليَّة عاصفة للغاية يا سيِّدي»، وانحنى ثم انصرفَ ومعطفه يتموَّج من ورائه، وفي طريقه داسَ حرملة سلينت المصنوعة من قُماش الذَّهب.

جلسَ تيريون وحده يرشف مما تبقَّى من النَّبيذ الدورني الممتاز، وجاءَ الخدم وذهبوا رافعين الأطباق عن المائدة. قال لهم أن يَترُكوا النَّبيذ، وعندما انتهوا دخلَ ڤارس القاعة بخطواتٍ ناعمة وقد ارتدى ثوبًا أرجوانيًّا فضفاضًا وفاحَت منه رائحة زهور الخُزامَى، وقال: «أوه، تنفيذ في منتهى الحلاوة يا سيِّدي العزيز».

قال تيريون: «ما سبب المذاق المُر في فمي إذن؟»، وضغطَ صُدغيه بأصابعه مضيفًا: «قلتُ لهم أن يُلقوا آلار ديم في البحر، وأشعرُ بإغراءٍ شديد بأن أفعل بك المِثل».

رَدَّ ڤارس: «قد تُخَيِّب النتيجة أملك. العواصف تهبُّ وتهدأ، والأمواج تعلو وتنكسر، والسَّمك الكبير يأكل السَّمك الصَّغير، وأظلُّ أنا أجذفُ. هل تسمح لي بقليلٍ من النَّبيذ الذي استمتعَ به اللورد سلينت؟». أشارَ تيريون إلى الإبريق عابسًا، فملأ ڤارس كأسًا وتذوَّق قائلًا: «آه، حُلو كالصَّيف ذاته»، وأخذَ رشفةً أخرى وتابعَ: «أسمعُ العنب يُغَنِّي على لساني».

- «كنتُ أتساءلُ عن مصدر تلك الضَّوضاء. قُل للعنب أن يَصمُت لأن رأسي على وشك أن ينفلق. إنها أختي، هذا ما رفضَ آية الإخلاص اللورد



چانوس أن يقوله، إن سرسي هي من أرسلَت ذوي المعاطف الذَّهبيَّة إلى الماخور».

أطلقَ ڤارس ضحكةً عصبيَّةً مكتومة، ما نبَّه تيريون إلى أنه كان يعرف طول الوقت بالفعل، فقال له باتِّهام: «لم تُخبِرني بهذا الجزء».

قال ڤارس بأسى شديد حتى بدا كأن دموعه على وشك الانهمار: «أختك العزيزة بنفسها، شيء من الصَّعب أن تُخبِر به أحدًا يا سيِّدي، وكنتُ أخشى ردَّة فعلك. هلَّا سامحتني؟».

أجابَ تيريون منفعلًا: «كلا، عليك وعليها اللَّعنة». إنه يعرف أنه لا يستطيع أن يمسَّ سرسي، ليس بَعد، حتى لو كان يرغب، وهو لا يزال بعيدًا كلَّ البُعد عن التأكُّد من أنه يرغب، إلَّا أن المرارة تعتمل في نفسه من جرَّاء جلوسه هنا ليلعب دوره في تمثيليَّة العدالة، بمعاقَبة التَّافهين على شاكلة چانوس سلينت وآلار ديم، بينما تمضي أخته قُدمًا في سبيلها الوحشي. «ستُخبِرني في المستقبَل بما تعرفه أيها اللورد ڤارس، بكلِّ ما تعرفه».

ابتسمَ الخصيُّ بخبثٍ وهو يُجيب: «سيستغرق هذا وقتًا طويلًا للغاية يا سيِّدي العزيز، فأنا أعرفُ الكثير جدًّا».

- «ليس ما يكفي لإنقاذ تلك الطِّفلة على ما يبدو».

- «للأسف لا. كان هناك نغل آخَر، صبيٌّ أكبر سِنًّا، وقد اتَّخذتُ خطواتٍ لإبعاده عن طريق الأذى... وإن كنتُ أعترفُ بأني لم أتخيَّل قَطُّ أن تكون الرَّضيعة في خطر. ابنة زنى عُمرها أقلُّ من عامٍ واحد وأمُّها عاهرة، فأيُّ تهديدٍ شكَّلت؟».

قال تيريون بمرارة: «التَّهديد أنها ابنة روبرت، ويبدو أن هذا كان كافيًا لسرسي».

- «نعم، هذا محزن حقًّا، ويجب أن ألوم نفسي على ما حدثَ للطِّفلة المسكينة وأمِّها، التي كانت صغيرةً للغاية وأحبَّت الملك».

- «حقًّا؟». لم يرَ تيريون وجه الفتاة القتيلة، لكنها كانت في مخيِّلته شِاي وتايشا في آنٍ واحد. «تُرى هل من الممكن أن تُحِبَّ عاهرة أحدًا بحق؟ لا، لا تُجب. ثمَّة أشياء لا أحبِّذُ أن أعرفها». كان قد أسكنَ شِاي إيوانًا فسيحًا



مبنيًّا من الخشب والحجارة، به بئر ماء واسطبل وتُحيط به حديقة، وخصَّص لها خدمًا يُلَبُّون احتياجاتها، وأهداها طائرًا أبيض من جُزر الصَّيف ليُسَلِّيها، وابتاعَ لها حريرًا وفضَّةً وجواهر تتحلَّى بها، وعيَّن حَرسًا لحمايتها، وعلى الرغم من كلِّ هذا بدَت ضَجِرَةً، وقالت إنها تُريد أن تكون معه أكثر وأن تخدمه وتُساعِده. «أنتِ تُساعِدينني هنا أكثر، بين الأغطية»، قال لها ذات ليلةٍ بَعد أن فرغا من الحُب، وقد استلقى إلى جوارها ووسَّد رأسه نهدها وراحَ ذَكره ينبض بالألم اللَّذيذ. لم يتلقَّ إجابةً إلَّا من عينيها، ورأى في نظراتهما أنها لم تكن الإجابة التي أرادَتها.

تنهَّد تيريون ومَدَّ يده نحو النَّبيذ، ثم إنه تذكَّر اللورد چانوس فدفعَ الإبريق بعيدًا، وقال: «يبدو أن أختي كانت تقول الحقيقة عن موت ستارك، وعلينا أن نَشكُر ابنها على هذا الجنون».

– «الملك چوفري أعطى الأمر، وچانوس سلينت والسير إلين پاين نفَّذاه من فورهما وبلا تردُّد...».

– «... كأنهما كانا يتوقَّعاه. نعم، لقد خُضنا في هذه المنطقة من قبل وبلا نتيجة. إنها حماقة».

– «وجود حَرس المدينة في يدك يضعك في موقع يُتيح لك أن تحول دون ارتكاب جلالته المزيد من... الحماقات. لكن بالتَّأكيد ما زال ينبغي وضع حَرس أهل بيت الملكة في الاعتبار».

هَزَّ تيريون كتفيه قائلًا: «ذوو المعاطف الحمراء؟ ڤايلار ولاؤه لكاسترلي روك، ويعرف أني هنا بتفويضٍ من أبي، ما يجعل من الصَّعب على سرسي أن تستخدم رجاله ضدي... كما أن عددهم مئة فقط، بينما لديَّ مئة وخمسون رجلًا، بالإضافة إلى ستَّة آلاف من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، إذا كان بايووتر كما تَزعُم حقًّا».

– «ستجد أن السير چاسلين شُجاع وشريف ومطيع، ومُقِرٌّ بالجميل كذلك».

– «لمَن يا تُرى؟». لا يثق تيريون بڤارس على الإطلاق، وإن كان لا يُمكنه إنكار قيمته، فلا شَكَّ أنه يعرف أشياء كثيرة جدًّا. «ما الذي يجعلك متعاونًا



لهذه الدَّرجة أيها اللورد ڤارس؟»، سأله وهو يُمعِن النَّظر في يديه النَّاعمتين، ثم إلى وجهه الحليق ورأسه الأصلع بما عليهما من مساحيق، وابتسامته الصَّغيرة اللَّزجة.

- «أنت يد الملك، وأنا أخدمُ البلاد والملك وأخدمك».

- «كما خدمت چون آرن وإدارد ستارك؟».

- «لقد خدمتُ اللورد آرن واللورد ستارك بأفضل ما لديَّ، وأحزَنني وأزعجَني موتهما المبكِّر لأقصى درجة».

- «تخيَّل كيف أشعرُ إذن، فمن المحتمَل أن الدَّور دوري».

قال ڤارس وهو يُدَوِّر النَّبيذ في كأسه: «أوه، لا أظنُّ هذا. السُّلطة شيء غريب يا سيِّدي. تُرى هل فكَّرت في الأُحجية التي طرحتها عليك في ذلك اليوم في الخان؟».

- «لقد دارَت في عقلي مرَّةً أو اثنتين بالفعل. الملك والرَّاهب والثَّري... من يعيش ومن يموت؟ من الذي سيُطيعه صاحِب السَّيف؟ إنها أُحجية بلا حَل، أو أن حلولها عديدة بالأحرى. كلُّ شيءٍ يعتمد على من يحمل السَّيف».

قال ڤارس: «ومع ذلك هو مجرَّد نكرة، لا يملك تاجًا أو ذهبًا أو حظوةً من الآلهة، بل مجرَّد قِطعةٍ مدبَّبة من الفولاذ».

- «قِطعة الفولاذ تلك لديها سُلطة الحياة والموت».

- «بالضَّبط... لكن إذا كان ذوو السُّيوف هُم من يَحكُمون في الحقيقة، فلِمَ نتظاهَر بأن السُّلطة في أيدي ملوكنا؟ لماذا ينبغي على رجلٍ قوي يحمل سيفًا أن يُطيع ملكًا طفلًا مِثل چوفري، أو جلفًا سكِّيرًا مِثل أبيه؟».

- «لأن هؤلاء الملوك الأطفال والأجلاف السِّكيرين يستطيعون استدعاء المزيد من الرِّجال الأقوياء بسيوفهم».

قال ڤارس مبتسمًا: «إذن فمن يتمتَّع بالسُّلطة الحقيقيَّة هُم أصحاب السُّيوف الآخَرون. لكن أهذا صحيح؟ من أين أتت سيوفهم إذن؟ ولماذا يُطيعون؟ البعض يقول إن المعرفة سُلطة، والبعض يقول إن كلَّ السُّلطات تأتي من الآلهة، وغيرهم يقول إنها تُستمَدُّ من القانون، وعلى الرغم من هذا، يومها على عتبة سِپت بيلور، كان كلٌّ من السِّپتون الأعلى خادم الآلهة، وملكتنا



الوصيَّة على العرش بالقانون، وخادمك المطَّلع على كلِّ شيءٍ عاجزين تمامًا كأيِّ إسكافيٍّ أو صانع براميل بين الحاضرين. من قتلَ إدارد ستارك حقًّا في رأيك؟ چوفري الذي ألقى الأمر، أم السير إلين پاين الذي ضربَ عُنقه بالسَّيف... أم غيرهما؟».

حنى تيريون رأسه جانبًا، وقال: «هل تنوي الإجابة عن أُحجيتك اللَّعينة أم ستجعل رأسي يُؤلمني أكثر؟».

ابتسمَ الخصيُّ وقال: «إليك الإجابة إذن. السُّلطة تكمُن حيثما آمنَ النَّاس بوجودها، لا أكثر ولا أقل».

- «السُّلطة لُعبة حُواةٍ إذن؟».

غمغمَ ڤارس: «ظِلٌّ على الحائط، لكن الظِّلال يُمكنها أن تَقتُل، وكثيرًا ما يستطيع رجل صغير للغاية أن يُلقي ظِلًّا كبيرًا جدًّا».

ابتسمَ تيريون بدوره، وقال: «لورد ڤارس، لقد بدأتُ أصابُ بالولع بك على نحوٍ غريب. قد أقتلك في النِّهاية، لكني أظنُّ أني سأحزنُ عليك».

- «سأعتبرُ هذا مديحًا وافرًا».

- «ماذا تكون يا ڤارس؟ يقولون إنك عنكبوت». كان تيريون يرغب في أن يعرف حقًّا.

- «نادرًا ما يعرف الجواسيس والمُخبِرون حُبًّا من النَّاس يا سيِّدي، وأنا مجرَّد خادم مخلص للبلاد».

- «وخصِي، دعنا لا ننسى هذا».

- «نادرًا ما أفعلُ».

- «النَّاس يدعونني بنِصف الرَّجل أيضًا، ولو أني أعتقدُ أن الآلهة كانت أرحم معي. إنني صغير الحجم وساقاي مقوَّستان، ولا تتطلَّع إليَّ النِّساء بأيِّ شوق، لكني ما زلتُ رجلًا. شِاي ليست أول من تُشَرِّف فِراشي، وقد يأتي يوم أتَّخذُ فيه زوجةً وأنجبُ ابنًا، وبمشيئة الآلهة سيبدو كعمِّه ويُفكِّر كأبيه، أمَّا أنت فبلا أملٍ يجعلك تُحافِظ على بقائك. الأقزام دُعابة قدريَّة من الآلهة... أمَّا الخِصيانُ فمِن صُنع البَشر. مَن قطعَ أعضاءك يا ڤارس؟ ومتى ولماذا؟ من أنت حقًّا؟».



لم تهتزَّ ابتسامة الخصي، لكن في عينيه التمَع شيء لا يمتُّ بصِلَةٍ للضَّحك وهو يُجيب: «لُطف منك أن تسأل يا سيِّدي، لكن حكايتي طويلة وحزينة، وثمَّة أعمال خيانة لا بُدَّ أن نُناقِشها»، وسحبَ رَقًّا من كُمِّه قائلًا: «رُبَّان قادس الملك «الأيل الأبيض» يُخَطِّط للتَّسلُّل من المرسى بَعد ثلاثة أيامٍ من الآن ليعرض خدماته على اللورد ستانيس ومعها السَّفينة».

زفرَ تيريون قائلًا: «أعتقدُ أن علينا أن نجعل منه عبرةً تردع غيره، أليس كذلك؟».

- «من الممكن أن يُرَتِّب السير چاسلين اختفاءه، لكن من شأن محاكمةٍ أمام الملك أن تُساعِد على اطمئناننا لولاء الرَّبابنة الآخَرين المستمر».

وأن تُلهي ابن أختي كذلك. «كما تقول. خصِّص له جرعةً من عدالة چوفري».

وضعَ ڤارس علامةً على الورقة، ثم قال: «السير هوراس والسير هوبر ردواين قاما برشوة أحد الحُرَّاس، ليسمح لهما بالخروج من بوَّابةٍ جانبيَّة ليلة بَعد غد، وتَمَّ إجراء التَّرتيبات لهما كي يُبحِرا على متن القادس الپنتوشي «عدَّاء القمر» متنكرين كبحَّارين».

قال تيريون مبتسمًا: «هل يُمكننا أن نَترُكهما يعملان على المجاذيف بضع سنوات ونرى كم يروقهما هذا؟ لا، ستغضب أختي كثيرًا إذا فقدَت ضيفين غاليين مِثلهما. بلِّغ السير چاسلين، واجعله يقبض على الرَّجل الذي رشياه ويشرح له فضل الخدمة كأخٍ في حَرس اللَّيل، وضَع رجالًا حول «عدَّاء القمر»، فلربما يجد الأخوان ردواين حارسًا آخَر يُعاني من ضائقةٍ ماليَّة».

قال ڤارس: «كما تأمر»، ووضعَ علامةً أخرى على الورقة. «رجلك تيميت قتلَ ابن بائع نبيذ هذا المساء في وكرٍ للقِمار في شارع الفضَّة. اتَّهمه بالغِشِّ في لُعبة البلاطات».

- «وهل كان على حَق؟».

- «أوه، بلا شَك».

- «إذن فأهل المدينة الشُّرفاء يدينون لتيميت بالامتنان. سأعملُ على أن ينال شُكر الملك».



أطلقَ الخصيُّ ضحكةً عصبيَّةً ووضعَ علامةً أخرى، ثم قال: «لدينا أيضًا غزو من رجال الدِّين، فالمذنَّب جلبَ إلى المدينة كلَّ أنواع الرُّهبان والمبشِّرين والأنبياء على ما يبدو. إنهم يتسوَّلون في الحانات الرَّخيصة ومحال الأكل، ويتنبَّئون بالهلاك والدَّمار لكلِّ من يتوقَّف ويُصغي إليهم».

هَزَّ تيريون كتفيه قائلًا: «إننا ندنو من الذِّكري الثَّلاثمئة لرسو إجون، فأظنُّ أن هذا متوقَّع. دَعهم يُثرثِرون».

- «إنهم يَنشُرون الخوف يا سيِّدي».

- «حسبتُ هذا عملك».

غطَّى ڤارس فمه بيده، وقال: «قسوة بالغة منك أن تقول هذا. ثمَّة مسألة أخيرة، الليدي تاندا أقامَت حفلة عَشاءٍ صغيرة ليلة أمس، ومعي قائمة الطَّعام والضُّيوف لتطَّلع عليها. بَعد صَبِّ النَّبيذ، نهضَ اللورد جايلز ليرفع كأسًا في صحَّة الملك، وسُمِعَ السير بالون سوان يقول: سنحتاج ثلاث كؤوس من أجل هذا! فضحكَ كثيرون».

رفعَ تيريون يده قائلًا: «كفى. السير بالون ألقى مزحةً لا أكثر. إنني لا أعبأُ بالكلام الموحي بالخيانة على موائد الطَّعام يا لورد ڤارس».

- «أنت حكيم بقدر ما أنت كريم يا سيِّدي»، واختفى الرَّق في كُمِّ الخصيِّ وهو يقول: «سأتركك الآن، فكلانا لديه عمل كثير».

جلسَ تيريون فترةً طويلةً بَعد ذهاب الخصيِّ يُراقِب الشَّمعة ويتساءل كيف ستتلقَّى أخته خبر صرْف چانوس سلينت. ليس بترحابٍ طبعًا إذا كان قادرًا على الحُكم، لكن فيما عدا إرسال كلمة احتجاج إلى اللورد تايوين في هارنهال، فهو لا يرى ما تستطيع سرسي أن تفعله بأيِّ شكل. إن لديه حَرس المدينة الآن، بالإضافة إلى مئةٍ وخمسين رجلًا قويًّا من مُحاربي القبائل، وقوَّةٍ متنامية من المرتزِقة الذين يُجَنِّدهم برون. يبدو إذن أنه محميٌّ تمامًا.

لا شَكَّ أن إدارد ستارك كان يتصوَّر الشَّيء نفسه.

كانت القلعة الحمراء مظلمةً ساكنةً عندما غادرَ تيريون القاعة الصَّغيرة، وفي انتظاره في غُرفته الشَّمسيَّة كان برون، الذي سأله عندما رآه: «سلينت؟».

- «سيُبحِر اللورد چانوس إلى «الجِدار» غدًا صباحًا. ڤارس يُريدني



أن أصدِّق أني استبدلتُ واحدًا من رجال چوفري بواحدٍ من رجالي، بينما الغالب أني استبدلتُ رجل الإصبع الصَّغير بآخَر يملكه ڤارس، لكن ليكن».

- «من الأفضل أن تعرف، تيميت قتلَ رجلًا...».

- «ڤارس أخبرَني».

لم يبدُ المرتزِق مندهشًا، وقال: «الأحمق ظَنَّ أن خداع رجلٍ بعينٍ واحدة سيكون أسهل. تيميت ثبَّت معصمه في المائدة بخنجرٍ ومزَّق حنجرتَه بيديه. لديه تلك الحيلة حيث يُجَمِّد أصابعه و...».

- «اعفني من التَّفاصيل الشَّنيعة، فالطَّعام يتقلَّب في معدتي بالفعل. ما أخبار التَّجنيد؟».

- «لا بأس على الإطلاق. ثلاثة رجالٍ جُدد اللَّيلة».

- «وكيف تعرف مَن تستأجر منهم؟».

أجابَ برون: «أفحصهم بنظري، وأستجوبهم لأعرف أين حارَبوا ومدى براعتهم في الكذب»، وابتسَمَ وأكملَ: «وأعطيهم فُرصةً لقتلي بينما أفعل الشَّيء نفسه معهم».

- «وهل قتلت أحدًا؟».

- «لا أحد كان باستطاعتنا الانتفاع منه».

- «وإذا قتلك أحدهم؟».

- «سيكون هذا من ترغب في استئجاره».

كان تيريون ثملًا بعض الشَّيء ومتعَبًا للغاية، لكنه قال: «قُل لي يا برون، إذا طلبتُ منك أن تَقتُل طفلةً... بنتًا رضيعة مثلًا... هل ستفعلها؟ وبلا أسئلة؟».

أجابَ المرتزِق: «بلا أسئلة؟ كلا»، وفركَ سبَّابته وإبهامه معًا وأردفَ: «سأسألُ كم ستدفع».

ولِمَ أجدُ أيَّ حاجةٍ إذن إلى رجلك آلار ديم أيها اللورد سلينت؟ إن لديَّ مئة منه بالفعل.

أرادَ تيريون أن يضحك، وأرادَ أن يبكي، لكن أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر أرادَ شِاي.





آريا

لم يزِد الطَّريق على أخدودين ضيِّقين عبر الحشائش.

الجزء الجيِّد، أن تدنِّي عدد المسافرين الشَّديد لن يجعل هناك من يشي بهم ويقول في أيِّ اتِّجاهٍ ذهبوا، فالطُّوفان البَشري الذي انهمرَ على طريق الملوك من قبل ليس إلَّا محض قطراتٍ هنا. الجزء السيِّئ، أن الطَّريق يلتفُّ على نفسه جيئةً وذهابًا كالثُّعبان، ليتشابَك مع دروب أصغر فأصغر، وفي أحيانٍ يختفي بالكامل، فقط ليُعاوِد الظُّهور بَعد مسافة نِصف فرسخ عندما يكونوا قد فقدوا الأمل في العثور عليه مجدَّدًا. كرهَت آريا الطَّريق حقًّا، فعلى الرغم من أن الأرض معتدلة كفايةً هنا، تتناثَر فيها التِّلال المائجة والحقول المدرَّجة وتُرَصِّعها المروج والغابات والوديان الصَّغيرة، التي تحتشد فيها أشجار الصَّفصاف عند جداول المياه البطيئة الضَّحلة—على الرغم من كلِّ هذا ظَلَّ سبيلهم بالغ الضِّيق والاعوجاج، حتى إن حركتهم غدَت أقرب إلى الزَّحف.

العربات بالتَّحديد هي ما أبطأَ تقدُّمهم، إذ تتحرَّك بمنتهى التَّثاقُل ومَحاور عجلاتها تُصِرُّ تحت وزن حمولتها الثَّقيلة. كانوا يُرغَمون على التوقُّف عشر مرَّاتٍ على الأقل كلَّ يوم لتخليص عجلةٍ انحشرَت في حُفرة، أو لمضاعَفة الجهد لصعود منحدَرٍ جعلَته الأوحال زَلِقًا، وذات مرَّة، في منتصَف دغلٍ كثيف من أشجار البلُّوط، وجدوا أنفسهم وجهًا لوجهٍ مع ثلاثة رجالٍ ينقلون حمولةً من الحطب على عربةٍ يَجُرُّها ثور، بلا وسيلةٍ لدوران أيٍّ من المجموعتين حول الأخرى. الحلُّ الوحيد كان الانتظار حتى فَكَّ الحطَّابون



ثورهم وقادوه عبر الأشجار، ثم دوَّروا العربة وربطوا الثَّور بها من جديد، قبل أن يتحرَّكوا في الجهة التي جاءوا منها. كان الثَّور أبطأ من العربات بمراحل، فلم يقطعوا مسافةً تُذكَر يومها.

لم تستطِع آريا الكَفَّ عن النَّظر وراءها، متسائلةً متى سيلحق بهم ذوو المعاطف الذَّهبيَّة، وفي اللَّيل تستيقظ مع أقلِّ صوتٍ وتمدُّ يدها إلى مقبض «الإبرة». إنهم لا يُخَيِّمون دون تعيين حراسةٍ منهم الآن، وإن كانت آريا لا تَشعُر بالثِّقة نحوهم، خصوصًا الصِّبية الأيتام، فربما استطاعَ هؤلاء البقاء على قيد الحياة في أزقَّة كينجز لاندنج، لكنهم ضائعون هنا في العراء لا محالة. عندما تتحرَّك بهدوء الظِّلال، تستطيع الانسلال منهم جميعًا وتمضي بخفَّةٍ مهتديةً بنور النُّجوم، لتُلَبِّي نداء الطَّبيعة في الغابة حيث لا يراها أحد، وفي ليلةٍ عندما كان لومي أخضر اليد يتولَّى الحراسة، تسلَّقت شجرة بلُّوط وتنقَّلت من غُصنٍ إلى آخَر حتى باتَت فوق رأسه تمامًا، ولم يرَها على الإطلاق. كان من الممكن أن تقفز فوقه مباشرةً، لكنها عرفَت أن صرخته ستُوقِظ المخيَّم كله، وقد يضربها يورن بالعصا ثانيةً.

يُعامِل لومي وبقيَّة الأيتام الثَّور على أنه شخصيَّة ذات أهميَّةٍ خاصَّة الآن، لأن الملكة تُريد رأسه، وإن كان هو نفسه رافضًا لكلِّ هذا، وقال لهم غاضبًا: «لم أفعل شيئًا للملكة أبدًا، كلُّ ما فعلته هو القيام بعملي، المنفاخ والملقط وهات وشِل. كان من المفترَض أن أصبح صانع سلاح، ثم يأتي السيِّد توبهو في يوم ويقول إنني سألتحقُ بحَرس اللَّيل، وهذا كلُّ ما أعرفه». يُكَرِّر عليهم كلامه ثم ينصرف إلى تلميع خوذته. كانت خوذةً جميلةً حقًّا، مدوَّرة وذات منحنيات ومقدِّمة مشقوقة طوليًّا، ويعلوها قرنا ثورٍ معدنيَّان ضخمان. تَرقُبه آريا وهو يُلَمِّع المعدن بخرقةٍ مبلَّلة بالزَّيت، إلى أن تلمع الخوذة تمامًا وتنعكس نار الطَّهي على فولاذها، لكنه لا يضعها على رأسه أبدًا.

- «أراهنُ أنه نغل ذلك الخائن»، قال لومي في ليلةٍ بصوتٍ خفيض كي لا يسمعه جندري. «اللورد الذِّئب، الذي قطعوا رأسه على عتبة بيلور».

قالت آريا بحسم: «لا، ليس هو». أبي كان لديه نغل واحد هو چون. شقَّت طريقها خلسةً بين الأشجار متمنيةً لو تستطيع أن تركب فَرسها وتهرع



إلى الدِّيار. إنها فَرس ممتازة، كستنائيَّة اللَّون وذات غُرَّة ناصعة البياض على جبهتها، ولطالما كانت آريا خيَّالةً ممتازةً كذلك، ويُمكنها أن تنطلق في أيِّ وقتٍ فلا ترى أحدًا منهم ثانيةً أبدًا ما لم ترغب في ذلك، لكنها عندئذٍ لن تجد من يتقصَّى الطَّريق أمامها، أو يُراقِبه من ورائها، أو يَحرُسها وهي غافية، وعندما يقبض عليها ذوو المعاطف الذَّهبيَّة ستكون وحيدةً تمامًا. أكثر أمنًا لها أن تبقى مع يورن والآخَرين.

قال لهم الأخ الأسود ذات صباح: «لسنا بعيدين عن «عين الآلهة». طريق الملوك لن يكون آمنًا حتى نَعبُر الثَّالوث، لذا سندور حول البحيرة مع شاطئها الغَربي، فمن المستبعَد أن يبحثوا عنا هناك»، وفي البُقعة التَّالية حيث يتقاطَع أخدودان معًا، أدارَ العربات غَربًا.

هنا تتراجَع المَزارع أمام الغابات، والقُرى والمعاقل أصغر ومتباعدة عن بعضها البعض، والتِّلال أعلى والوديان أعمق، والعثور على الطَّعام صارَ عسيرًا. كان يورن قد حمَّل العربات في المدينة بالسَّمك المملَّح والخُبز الجامد والدُّهن واللِّفت، وأجولة من الفاصوليا والشَّعير، وقوالب من الجبن الأصفر، لكن كلَّ لقيمةٍ أُكِلَت بالفعل، والآن وقد أصبحوا مُجبَرين على التعيُّش مما تُنبته الأرض، لجأَ يورن إلى كوس وكورز اللذين قُبِضَ عليهما لاحترافهما السَّرقة من أراضي الغير، فكان يُرسِلهما في طليعة الرَّكب إلى الغابة، ومع حلول الغَسق يعودان بظبيٍ معلَّق من عمودٍ بينهما، أو بزوجين من طيور السمَّان يتدلَّيان من حزاميهما، بينما يعمل الصِّبية الأصغر على قطف التُّوت الأسود النَّابت على الطَّريق، أو يتسلَّقون الأسوار ليملأوا جوالًا بالتُّفَّاح إذا تصادفَ أن مرُّوا ببُستان.

كانت آريا بارعةً في التسلُّق وسريعةً في جمع الثِّمار، وتُحِبُّ الاختلاء بنفسها. في يوم وقعَت على أرنب بالصُّدفة المحضة، ووجدَته بنِّيًّا سمينًا طويل الأُذنين وعَصبيَّ الأنف. تستطيع الأرانب العدو أسرع من القِطط، وإن كانت لا تقدر على تسلُّق الأشجار بنِصف براعتها، وهكذا ضربَت آريا الأرنب بعصاها وأطبقَت على أُذنيه، وطهاه يورن مع الفطر والبصل البرِّي. نالَت آريا ساقًا كاملةً بما أنه أرنبها، فتقاسمَتها مع جندري، وحصل كلٌّ من الآخَرين على نصيبٍ من اليخنة، حتى الثَّلاثة المقيَّدين. شكرَها چاكن هاجار بأدبٍ



على الوجبة اللَّذيذة، بينما لعقَ العضَّاض الدُّهن من على أصابعه المتَّسخة وفي عينيه نظرة راضية، أمَّا رورج عديم الأنف فضحكَ وقال: «الصيَّاد البارع، وجه الجِزَل رأس الجِزَل قاتِل الأرانب».

حاصرَهم عدد من عُمَّال الحقل في حقل ذُرةٍ خارج معقل يُدعى برياروتر، وطالَبوا بثمن الأكواز التي أخَذوها. تأمَّل يورن المناجل في أيديهم، ثم طوَّح لهم ببعض العُملات النُّحاسيَّة قائلًا بمرارة: «في زمنٍ ماضٍ كان مَن يرتدون الأسود يجدون الحفاوة في كلِّ مكانٍ من دورن إلى وينترفل، وحتى كبار اللوردات كانوا يعتبرون إيواءهم في بيوتهم شَرفًا، والآن يشترط الجُبناء من أمثالكم الثَّمن مقابل قضمةٍ من التُّفَّاح المَدُود». قالها وبصقَ.

رَدَّ واحد منهم بخشونة: «إنها ذُرة حُلوة، أفضل مما يستحقُّ طائر أسود عجوز كريه الرَّائحة مثلك. اخرُج من حقلنا حالًا، وخُذ هؤلاء اللُّصوص والقتَلة معك، وإلَّا علَّقناكم وسط الذُّرة لتُخيفوا الغِربان».

قاموا بشواء الذُّرة في قشرتها تلك اللَّيلة، ودوَّروا الأكواز بعصيٍّ طويلة مفرَّعة وأكلوها ساخنةً. راقَ مذاقها آريا كثيرًا، لكن يورن كان أكثر غضبًا من أن يأكل، وبدا كأن ثمَّة سحابة غائمة معلَّقة فوق رأسه، سوداء وخشنة كمعطفه، وقد راحَ يذرع المخيَّم بخطى متوتِّرة وهو يُدَمدِم لنفسه.

في اليوم التَّالي عادَ كوس عدوًا ليُحَذِّر يورن من مخيَّم أمامهم، وقال: «عشرون أو ثلاثون رجلًا يرتدون القمصان المعدنيَّة والخُوذات القصيرة، بعضهم جروحه بالغة، ويبدو أن أحدهم يحتضر كما تشي الأصوات التي يُصدِرها. كان صوته عاليًا للغاية، فاقتربتُ. لديهم حراب وتروس وحصان واحد أعرج. أعتقدُ أنهم هناك منذ فترة كما توحي رائحة المكان».

- «هل رأيت رايةً؟».

- «قِط أشجار مرقَّط بالأسود والأصفر على خلفيَّة بنِّيَّة بلون الطَّمي».

دَسَّ يورن ورقةً من التَّبغ المُر في فمه ولاكَها مفكِّرًا، ثم قال: «لا أدري، قد يكون طرفًا وقد يكون الآخَر، وإذا كانت إصاباتهم سيِّئة لهذه الدَّرجة، فغالبًا سيأخذون ما معنا من دواب أيًّا كانوا، وقد يأخذون ما هو أكثر. أعتقدُ أننا سندور دورةً واسعةً حولهم». أبعدَهم هذا أميالًا عديدة عن طريقهم وكلَّفهم يومين على الأقل، لكن العجوز قال إنه ثمن زهيد. «سيكون لديكم كلُّ الوقت



الذي تُريدونه على «الجِدار»، ما تبقَّى من أعماركم في الغالب، فلا يبدو لي إذن أن هناك داعيًا للاستعجال».

بدأت آريا ترى المزيد والمزيد من الرِّجال يَحرُسون الحقول لمَّا انعطَفوا شَمالًا ثانيةً. في أغلب الأحيان يقفون صامتين على جانب الطَّريق، يَرمُقون كلَّ من يمرُّ بنظراتٍ باردة، وفي أماكن أخرى يقومون بدوريَّاتٍ على متنِ الخيول، فيتحرَّكون بطول الأسلاك التي صُنِعَت منها أسوارهم وقد علَّق كلٌّ منهم بلطةً في سَرجه. في بُقعةٍ ما أبصرَت رجلًا كامنًا في شجرةٍ ميتة، في يده قوسه وعلى الفرع المجاور له كنانته، وبمجرَّد أن لمحَهم ثبَّت سهمًا في وترِ القوس، ولم تُفارِقهم نظراته لحظةً حتى غابَ آخِر العربات عن نظره. ظَلَّ يورن يسبُّ ويلعن طول الوقت، وقال مغضبًا: «ذلك القابع في الشَّجرة، لنرَ كم سيُحِبُّ البقاء هناك عندما يأتي «الآخَرون» ليأخذوه. سوف يَصرُخ مستنجدًا بحَرس اللَّيل، حتمًا سيفعل».

بَعدها بيوم لمحَ دوبر وهجًا أحمر في سماء المساء، فقال: «إمَّا أن الطَّريق يلتفُّ ثم ينبسط من جديد، أو أن الشَّمس تَغرُب في الشَّمال».

تسلَّق يورن مرتفَعًا ليُلقي نظرةً أفضل، ثم أعلنَ: «إنه حريق»، ولعقَ إبهامه ورفعَه مضيفًا: «من المفترَض أن تُبعِده الرِّيح بعيدًا عنا، لكن لا مانع من مراقَبته».

وهكذا راقَبوا الحريق، وإذ تسربلَ العالم بالظَّلام توهَّجت النِّيران أكثر فأكثر، حتى بدا كأن الشَّمال كله مشتعل، وبين الحين والآخَر كانت رائحة الدُّخان تَبلُغ أنوفهم، وإن ظَلَّ اتِّجاه الرِّيح ثابتًا ولم يدنُ اللَّهب منهم إطلاقًا. خمدَ الحريق مع طلوع الفَجر، لكن أحدًا منهم لم ينم بارتياح ليلتها.

كان النَّهار قد انتصفَ عندما وصلوا إلى المكان الذي كانَت القرية تحتلُّه، ليجدوا الحقول خرابًا متفحِّمًا لأميالٍ في كلِّ جهة، والبيوت مجرَّد هياكل مسودَّة، وقد تناثرَت جُثث الحيوانات المحروقة والمذبوحة على الأرض، تحت غطاءٍ حَيٍّ من الغِربان آكلة الجيفة، التي تنعب غاضبةً إذا قطعَ عليها أحد وجبتها. كان الدُّخان لا يزال يتصاعَد من داخل المعقل، الذي بدا سياجه الخشبي قويًّا من بعيد، وإن اتَّضح العكس مع دنوِّهم.

تقدَّمت آريا العربات بفَرسها، ورأت جثثًا محروقةً معلَّقةً على خوازيق



حادَّة فوق الأسوار، وقد رفعَ أصحابها أيديهم أمام وجوههم كأنما يُحاوِلون مقاوَمة النِّيران التي التهمَتهم التهامًا. أمرَ يورن بالتوقُّف على مسافةٍ مناسبةٍ من المكان، وقال لآريا والصِّبية الآخَرين أن يَحرُسوا العربات ريثما يَدخُل مع مورش وكتچاك سيرًا على الأقدام. حلَّق سَرب من الغِدفان من داخل الأسوار عندما دخلوا من البوَّابة المحطَّمة، فنادَتها الغِدفان التي معهم في الأقفاص بنعيبٍ صارخ يُصِمُّ الآذان.

- «ألا ينبَغي أن نذهب وراءهم؟»، سألَت آريا جندري بَعد أن غابَ يورن والآخَران فترةً طالَت.

- «يورن قال أن ننتظر». بدا صوت جندري أجوف، ولمَّا التفتَت لتَنظُر إليه وجدَته يرتدي خوذته الفولاذيَّة اللَّامعة ذات القرنين المنحنيين.

عندما عادوا أخيرًا، كان يورن يحمل طفلةً صغيرةً بين ذراعيه، بينما حملَ مورش وكتچاك امرأةً في معلاقٍ مصنوع من لحافٍ قديم ممزَّق. كانت الفتاة في الثَّانية من العُمر على الأكثر وتبكي طيلة الوقت، تُصدِر نشيجًا خشنًا كأن هناك شيئًا عالقًا في حَلقها. إمَّا أنها لم تتعلَّم الكلام بعدُ، أو أنها نسيَت كيف تتكلَّم. المرأة كانت ذراعها اليُمنى تنتهي بمِرفقٍ دام، ولا يبدو أنها ترى شيئًا، حتى وهي تَنظُر إليه مباشرةً. كانت تتكلَّم لتقولَ كلِمةً واحدةً فقط، «أرجوك، أرجوك، أرجوك»، تصيح بها مرَّةً بَعد مرَّة. وجدَ رورچ هذا طريفًا، وضحكَ من الفتحة التي كان أنفه يحتلُّها في وجهه، وبدأ العضَّاض يضحك بدوره، حتى انهالَ عليهما مورش بوابلٍ من الشَّتائم وأمرَهما بأن يخرسا.

جعلَهم يورن يُفسِحون مكانًا للمرأة في مؤخِّرة عربة قائلًا: «وأسرِعوا، فمع حلول الظَّلام سنجد ذئابًا هنا، وما هو أسوأ».

- «أنا خائف»، تمتمَ هوت پاي حين رأى المرأة ذات الذِّراع الواحدة تتلوَّى كالمحمومين في العربة.

قالت آريا معترفةً: «وأنا أيضًا».

اعتصرَ كتفها قائلًا: «لم أركل ولدًا حتى الموت حقًّا يا آري، كنتُ أبيع فطير أمِّي لا أكثر».

كانت آريا تسبق العربات بأطول مسافةٍ تجرؤ عليها، كي لا تسمع الفتاة الصَّغيرة تبكي أو المرأة تهمس: أرجوك. تذكَّرت قصَّةً حكتها العجوز نان



ذات مرَّة، عن رجلٍ سجنَه العمالقة الأشرار في قلعةٍ مظلمة، وإن كان شديد الشَّجاعة والذَّكاء، فاستطاعَ خداع العمالقة والهروب... لكنه لم يكد يخرج من القلعة حتى أخذَه «الآخَرون» وشربوا دماءه الحمراء السَّاخنة. الآن تُدرِك كيف كان يَشعُر.

ماتَت المرأة بَعد غروب الشَّمس، فحفرَ لها جندري وكتچاك قبرًا على جانب تَلٍّ تحت صفصافةٍ باكية، وعندما هبَّت الرِّيح خُيِّلَ لآريا أنها تسمع الأغصان الطَّويلة الممتدَّة تهمس: أرجوك، أرجوك، أرجوك، فانتصبَت الشُّعيرات القصيرة على مؤخِّرة عُنقها، وكادَت تعدو مبتعدةً عن القبر.

قال لهم يورن: «لا نار اللَّيلة». تكوَّن العَشاء من حفنةٍ من الفجل البرِّي عثرَ عليها كوس، وكوب من الفاصوليا الجافَّة، وماء من غدير قريب. كان للماء مذاق غريب، فقال لهم لومي إنه مذاق الجُثث التي لا بُدَّ أنَّها تتعفَّن في مكانٍ ما عكس التيَّار، وكان هوت پاي ليضربه لولا أن رايزن العجوز فصلَ بينهما.

شرِبَت آريا ماءً كثيرًا جدًّا، فقط كي تملأ معدتها بأيِّ شيء. لم تحسب أنها ستتمكَّن من النَّوم، لكنها نامَت بشكلٍ ما، وعندما استيقظَت كان الظَّلام دامسًا ومثانتها توشك على الانفجار، وقد تكوَّم النَّائمون حولها ملتفِّين بالأغطية والمعاطف. التقطَت إبرتها ونهضَت مِصغيةً، فسمعَت الوقع الخافت لقدمي أحد الحُرَّاس، والرِّجال يتقلَّبون في نومهم غير المريح، وغطيط رورج الخشن، والفحيح الغريب الذي يَخرُج من العضَّاض وهو نائم، ومن عربةٍ أخرى جاء الصَّوت الإيقاعي الثَّابت لاحتكاك الفولاذ بالحجر، حيث جلسَ يورن يَمضُغ التَّبغ المُر ويشحذ حافة خنجره.

كان هوت پاي واحدًا من الصِّبية السَّاهرين للحراسة، وسألَ آريا عندما رآها متَّجهةً نحو الأشجار: «إلى أين أنت ذاهب؟»، ولمَّا أشارَت بحركةٍ مبهمة نحو الغابة، قال: «لا، لن تذهب». إنه أكثر جرأةً الآن وقد أصبح معه سيف في حزامه، وإن كان مجرَّد سيفٍ قصير يتعامل معه كأنه ساطور. «العجوز قال أن يبقى الجميع قريبين اللَّيلة».

- «أريدُ أن أقضي حاجتي».

أشارَ قائلًا: «حسن، استخدم تلك الشَّجرة هناك. إنك لا تدري ما الموجود في الغابة يا آري، لقد سمعتُ عُواء ذئاب منذ قليل».



لن يروق يورن أن تتشاجَر معه، فحاولَت أن تبدو خائفةً وهي تُرَدِّد: «ذئاب؟ حقًّا؟».

- «سمعتها بنفسي».

- «لا أظنُّ أني أريدُ أن أبول إذن». عادَت إلى دثارها وتظاهرَت بالنَّوم حتى سمعَت خطوات هوت پاي تبتعد، ثم إنها تدحرجَت وتسلَّلت بهدوء الظِّلال إلى الغابة على الجانب الآخَر من المخيَّم. كان هناك حَرس واقفون في هذه الجهة أيضًا، إلَّا أن آريا لم تجد صعوبةً في تحاشيهم، وعلى سبيل الحيطة ابتعدَت ضِعف المسافة المعتادة، وعندما تأكَّدت من عدم وجود أحدٍ في الجوار، أنزلَت سراويلها وقرفصَت لتقضي حاجتها.

كانت تُفرِغ مثانتها وثيابها متشابكة حول كاحليها، عندما سمعَت الحفيف القادم من تحت الأشجار، فقالت لنفسها مذعورةً: هوت پاي، لقد تبعني. ثم إنها رأت العينين اللَّامعتين في ظلام الغابة وقد توهَّجتا بنور القمر المنعكس فيهما. انقبضَت معدتها تمامًا وهي تلتقط إبرتها غير عابئةٍ إن بالَت على نفسها، وبدأت تُحصي الأعيُن.

عينان، أربع، ثمان، اثنتا عشرة، قطيع كامل...

خرجَ أحدها من تحت الأشجار، وحدَّق فيها كاشفًا عن أسنانه، وكلُّ ما استطاعَت التَّفكير فيه أنها كانت غبيَّةً حقًّا، وكم سيتبجَّح هوت پاي عندما يجدون جثَّتها نِصف المأكولة في الصَّباح التَّالي. غير أن الذِّئب استدارَ وجرى غائبًا في الظَّلام، وسرعان ما غابَت بقيَّة الأعيُن بدورها. مرتجفةً، نظَّفت آريا نفسها وربطَت سراويلها، ثم اتَّبعت صوت الاحتكاك البعيد إلى المخيَّم وإلى يورن، وتسلَّقت العربة لتجلس إلى جواره وقد اهتزَّ كيانها، وغمغمَت بصوتٍ مبحوح: «ذئاب في الغابة».

قال دون أن يَنظر إليها: «نعم، لا بُدَّ من وجودها هناك».

- «لقد أخافَتني».

بصقَ وقال: «حقًّا؟ يبدو لي أن أمثالك مغرَمون بالذِّئاب».

احتضنَت آريا نفسها مجيبةً: «نايميريا كانت ذئبةً رهيبةً، نوع آخَر، ولقد ضاعَت على كلِّ حال. أخذتُ وچوري نقذفها بالحجارة حتى هربَت، وإلَّا



لكانت الملكة قتلَتها. أراهنُ أنها لو كانت في المدينة، لما تركَتهم يقطعون رأس أبي». أثارَ فيها الكلام شعورًا بالحُزن البالغ.

قال يورن: «الصِّبية الأيتام ليس لهم آباء، أم أنك نسيت؟». كان التَّبغ المُر قد صبغَ لُعابه بالأحمر، فبدا فمه كأنه ينزف. «النَّوع الوحيد من الذِّئاب الذي يَجدُر بنا أن نخافه هو الذي يرتدي جِلد البَشر، كمن نفَّذوا مذبحة تلك القرية».

قالت بأسى: «أتمنى لو أني في الدِّيار الآن». لقد حاولَت بكلِّ قوَّتها أن تكون شُجاعةً، أن تكون شرسةً كالوولفرين وما إلى ذلك، لكنها تَشعُر في أحيانٍ أنها مجرَّد فتاةٍ صغيرة رغم كلِّ شيء.

قطعَ الأخ الأسود ورقةً من حزمة التَّبغ المُر الموضوعة على العربة، وحشا بها فمه قائلًا: «لربما كان من الأفضل أن أتركك حيث وجدتك يا ولد، كلكم في الحقيقة، فالمدينة أكثر أمنًا على ما يبدو».

- «لا أبالي. أريدُ أن أعود إلى الدِّيار».

لمعَت الرَّغوة على فم يورن كفقاقيع من الدَّم وهو يقول: «ثلاثون سنةً قضيتها في المجيء بالرِّجال إلى «الجِدار»، وطول كلِّ تلك السِّنين فقدتُ ثلاثةً فقط، عجوزًا ماتَ بالحُمَّى، وفتى من المدينة لدغَه ثعبان وهو يتغوَّط، وأحمق حاولَ أن يَقتُلني في نومي، فنال ابتسامةً حمراء تقديرًا لمجهوده»، وسحبَ خنجره على عُنقه ليُريها ما يعنيه. «ربما كان من الحكمة أن نستقلَّ سفينةً. أي نعم لا توجد فُرصة للعثور على المزيد من الرِّجال خلال الطَّريق، لكن مع ذلك... سيُسافِر الرَّجل الذَّكي بالسَّفينة، لكن أنا... ثلاثون سنةً وأنا أسافرُ على طريق الملوك»، ودَسَّ خنجره في غمده وقال: «نَم يا ولد، هل تسمعني؟».

وحاولَت آريا أن تنام حقًّا، غير أنها ظلَّت تسمع الذِّئاب تعوي وقد تمدَّدت تحت غطائها الرَّقيق... وصوتًا آخَر خافتًا، ليس أكثر من همسةٍ في الرِّيح، لعلَّه كان صراخًا.





داڤوس

أفعمَ الدُّخان المتصاعد من حريق الآلهة هواء الصَّباح وخضَّبه بلونٍ قاتم.

كانت النَّار مضطرمةً فيهم جميعًا الآن، «العذراء» و«الأم»، و«المُحارب» و«الحدَّاد»، و«العجوز» بعينيها اللُّؤلؤيَّتين، و«الأب» بلحيته المذهَّبة، وحتى «الغريب» المنحوت ليبدو حيوانًا أكثر منه إنسان. التهبَ الخشب الجافُّ القديم المغطَّى بطبقاتٍ لا تُحصى من الطِّلاء والورنيش بضوءٍ قويٍّ نَهِم، لتلفح الحرارة الهواء البارد لفحًا، ومن ورائهم بدَت الكراجل والتَّنانين الحجريَّة على أسوار القلعة ضبابيَّةً مشوَّشةً، كأن داڤوس يتطلَّع إليها عبر حجابٍ من الدُّموع. أو كأن الحركة بدأت تدبُّ في تلك الوحوش...

- «شيء مذموم»، قال آلارد، وإن كان لديه من العقل ما حدا به لأن يخفض صوته، وتمتمَ دايل متَّفقًا معه.

قال داڤوس: «صمتًا، تذكَّرا أين أنتما». أبناؤه رجال صالحون حقًّا، لكن صغار، وآلارد بالذَّات معروف باندفاعه. لو بقيتُ مهرِّبًا، لانتهى الأمر بآلارد على «الجِدار»، لكن ستانيس عتقَه من ذلك المصير. شيء آخَر أدينُ له به...

مئات جاءوا إلى بوَّابات القلعة ليشهدوا احتراق «السَّبعة»، وفاحَت في الجوِّ رائحة قبيحة، وحتى الجنود وجدوا أن من الصَّعب أن يمنعوا أنفسهم من الشُّعور بالقلق والتطيُّر من تلك الإهانة الفادحة للآلهة التي عبدَها معظمهم طيلة حياته.

دارَت المرأة الحمراء حول النَّار ثلاثًا، مبتهلةً مرَّةً بلسان آشاي، ومرَّةً بالڤاليريَّة الفُصحى، وثالثةً باللُّغة العاميَّة (التي لا يعرف داڤوس غيرها)،



ورفعَت صوتها قائلةً: «أيا راهلور، تعالَ إلينا في ظُلمتنا. أيا إله الضِّياء، لك نُقَدِّم هذه الآلهة الزَّائفة، هؤلاء السَّبعة الذين هُم واحد، وهو العدوُّ، داعين أن تتقبَّلهم منا وتجعل نورك يسطع علينا، فاللَّيل حالكٌ ومفعمٌ بالأهوال».
ردَّدت الملكة سيليس الكلمات كالصَّدى، وإلى جوارها وقفَ ستانيس يتفرَّج بملامح جامدة، فَكُّه صُلب كالحجر تحت الظِّلِّ الأزرق الضَّارب إلى السَّواد، الذي تُلقيه لحيته المشذَّبة بعناية. كان متأنِّقًا على غير العادة، كأنه ذاهب إلى السِّپت.

سِپت دراجونستون هو المكان الذي ركعَ فيه إجون الفاتح ليُصَلِّي عشيَّة إبحاره إلى وستروس، وإن لم تُنقذ هذه الحقيقة المكان من رجال الملكة، الذين قلبوا كلَّ مذبحٍ وأسقَطوا كلَّ تمثالٍ وحطَّموا الزُّجاج الملوَّن بمَطارق الحرب. ساعتها وقفَ السِّپتون بار مكتوف اليدين ولم يستطِع إلَّا أن يلعنهم، لكن السير هوبارد رامبتون قادَ أبناءه الثَّلاثة إلى السِّپت ليُدافِعوا عن آلهتهم، ونجحوا في إسقاط أربعةٍ من رجال الملكة بالفعل قبل أن يتكاثَروا عليهم. بَعدها أخبرَ جانسر صنجلاس -أكثر اللوردات كياسةً وتقوى- ستانيس بأنه لم يَعُد يستطيع تأييده في دعواه، والآن يتقاسَم الرَّجل زنزانةً ضيِّقةً قائظةً مع السِّپتون وابني السير هوبارد اللذين ظلَّا على قيد الحياة؛ وهكذا استوعبَ بقيَّة اللوردات الدَّرس بلا إبطاء.

لم تعنِ الآلهة الكثير لداڤوس المهرِّب طيلة حياته، وإن كان معروفًا عنه أنه، كمعظم النَّاس، يُقَدِّم القرابين إلى «المُحارب» قبل المعركة، وإلى «الحدَّاد» عندما يُبحِر بسفينته، وإلى «الأم» عندما ينتفخ بطنُ زوجته بحملٍ جديد. شعرَ بالغثيان وهو يراهم يحترقون، وليس من جرَّاء الدُّخان فقط.

كان المِايستر كرسن يستطيع وضع حَدٍّ لهذا! لقد تحدَّى العجوز إله الضِّياء فأهلكَه نُكرانه، أو أن هذا ما يقوله النَّمَّامون لبعضهم بعضًا. غير أن داڤوس يعرف الحقيقة، فلقد رأى المِايستر يُسقِط شيئًا في كأس النَّبيذ التي أخذَها منه. سُم. ماذا عساه يكون سوى هذا؟ لقد شربَ كأسًا من الموت ليُحَرِّر ستانيس من مليساندرا، لكن إلهها حماها بشكلٍ ما. كان ليُسعِده أن يَقتُل المرأة الحمراء من أجل هذا، لكن ما فُرصته في النَّجاح حيثما أخفق



مِايستر من قلعة البلدة القديمة؟ إنه مجرَّد مهرِّب رُقِّيَ إلى مرتبةٍ عالية، داڤوس ابن «جُحر البراغيث»، فارس البصل.

ألقَت الآلهة المحترقة ضوءًا جميلًا وقد أحاطَت بها غلالات من اللَّهب الرَّاقص. كان السِّپتون بار قد قال لداڤوس ذات مرَّةٍ إنها منحوتة من صواري السُّفن التي حملَت باكورة من خرجوا من عائلة تارجاريَن من ڤاليريا، وعلى مَرِّ القرون طُلِيَت وأعيدَ طلاؤها ومُوِّهَت بالذَّهب والفضَّة وحُلِّيَت بالجواهر. «جمالها سيُضاعِف رضا راهلور»، قالت مليساندرا عندما أخبرَت ستانيس أن يُسقِط الآلهة ويَجُرَّها إلى خارج بوَّابات القلعة.

كانت «العذراء» منطرحةً بالعرض فوق «المحارب» بذراعين مفتوحتين عن آخِرهما كأنها تحتويه، وبدا كأن رعدةً تسري في جسد «الأم» وألسنة اللَّهب تلعق وجهها، وقد انغرسَ في قلبها سيف طويل دبَّت النَّار في مقبضه الجِلدي. كان «الأب» أول من سقطَ، وراقبَ داڤوس يد «الغريب» تتلوَّى وتتجعَّد إذ اسودَّت الأصابع وتساقطَت واحدًا تلو الآخَر، حتى لم يتبقَّ منها غير فحم متَّقد. على مسافةٍ قريبة كان اللورد سلتيجار يَسعُل بعُنفٍ ويُغَطِّي وجهه المُجعَّد بمنديلٍ كتَّاني مطرَّز بأشكال سراطين البحر الحمراء، بينما تبادلَ عرسان البحر الدُّعابات وهُم يستمتعون بدفء النِّيران، واكتسى وجه اللورد بار إمون الصَّغير بلونٍ رماديٍّ مبقَّع، أمَّا اللورد ڤيلاريون فكان يُسَدِّد نظراته نحو الملك وليس الحريق.

كان داڤوس ليدفع ثمنًا كبيرًا ليعرف ما يُفكِّر فيه، لكن رجلًا مِثل ڤيلاريون لن يُفضي إليه بما يُكِنُّه أبدًا، فأصلُ سيِّد المَد والجَزر ينحدر من ڤاليريا القديمة، وحدثَ ثلاث مرَّاتٍ أن تزوَّجت نسوة من عائلته أمراء من عائلة تارجاريَن، بينما تفوح رائحة السَّمك والبصل من داڤوس سيوورث. ولا تختلف الحال في شيءٍ مع بقيَّة اللوردات، فهو لا يثق بأحدٍ منهم، وكذا لن يَضُمُّوه هُم إلى مجالسهم السرِّيَّة أبدًا، كما أنهم يحتقرون أبناءه كذلك ويسخرون منهم. لكن أحفادي سيُنازِلون أحفادهم في دورات المباريات، وقد يمتزج نسلهم بنسلي ذات يوم، ومع الوقت ستخفق رايتي ذات السَّفينة السَّوداء الصَّغيرة عاليًا كحصان بحر ڤيلاريون أو سراطين سلتيجار الحمراء.



هذا إذا فازَ ستانيس بعرشه، أمَّا إذا خسرَ...

كلُّ ما أنا عليه أدينُ به له. ستانيس هو من رقّاه إلى الفروسيَّة، ومنحَه موضع شرفٍ على مائدته، وقادسًا حربيًّا يُبحِر به بدلًا من مركب التَّهريب الشِّراعي الصَّغير، كما أن كلًّا من دايل وآلارد يقود قادسًا بدوره، وماريك رئيس المجذفين على متن «الثَّورة»، وماثوس يُساعِده على متن «بِنا السَّوداء»، كما اتَّخذ الملك من دڤان مُرافِقًا ملكيًّا، وذات يوم سيُنَصَّب فارسًا، والولدان الصَّغيران كذلك. ماريا سيِّدة لحصنٍ صغير في «رأس الغضب»، ولديها خدم يُخاطِبونها بـ«سيِّدتي»، ويستطيع داڤوس أن يصطاد الظِّباء الحمراء في غابته الخاصَّة. كلُّ هذا ناله من ستانيس باراثيون مقابل بضعة مفاصل أصابع. كان عادلًا ما فعله معي، بعدما هزأتُ بقوانين الملك طيلة حياتي. إنه يستحقُّ ولائي. تحسَّس داڤوس الجراب الصَّغير المعلَّق في شريطٍ جِلدي يُحيط بعُنقه. إن أصابعه بمثابة حَظِّه، وهو في حاجةٍ إلى الحَظِّ الآن. كما نحتاجه كلنا، لا سيَّما اللورد ستانيس.

ارتفعَت ألسنة اللَّهب الباهتة إلى السَّماء الغائمة، ومعها الدُّخان الدَّاكن يتلوَّى ويتمعَّج، تدفعه الرِّياح نحوهم فتَطرُف أعيُن الرِّجال وتسيل منها الدُّموع فيَفرُكونها. أشاحَ آلارد بوجهه وهو يَسعُل ويشتم، وفكَّر داڤوس: عيِّنة مما هو آتٍ. كثيرون سوف يحترقون قبل أن تضع هذه الحرب أوزارها.

اكتسَت مليساندرا بالحرير القرمزي والمخمل الدَّموي، عيناها حمراوان كالياقوتة الضَّخمة التي تتلألأ على رقبتها كأنها تشتعل نارًا بدورها. «في مخطوطات آشاي القديمة كُتِبَ عن يوم سيأتي بَعد صيفٍ طويل، عندما تنزف النُّجوم وتبسط ريح الظَّلام الباردةُ أجنحتها على العالم، وفي ساعة الخوف تلك سيسحب مُحارِبٌ سيفًا وهَّاجًا من قلب النَّار، وسيكون ذلك السَّيف «جالِب الضِّياء»، سيف الأبطال الأحمر، ومَن يحمله سيكون آزور آهاي العائد من جديد، ومنه سيفرُّ الظَّلام»، ورفعَت صوتها كي يَبلُغ مسامع المحتشدين وأنشدَت: «آزور آهاي، حبيب راهلور! ابن النَّار ومُحارِب النُّور! تقدَّم، فسيفك ينتظرك! تقدَّم وخُذه بيدك!».

تقدَّم ستانيس باراثيون بخطواتٍ واسعة كجنديٍّ يسير إلى المعركة، فأسرعَ



مُرافِقاه لمعاوَنته، وشاهدَ داڤوس ابنه دڤان يُثَبِّت قُفَّازًا مبطَّنًا طويلًا على يد الملك اليُمنى، وقد ارتدى الصبيُّ سُترةً صفراء باهتة خُيِّطَ على صدرها قلب ناري، وارتدى بايرن فارنج سُترةً مشابهةً وهو يربط حرملةً جِلديَّةً سميكةً حول عُنق جلالته. تناهى إلى مسامع داڤوس من الوراء رنين الأجراس وجلجلتها، وصوت ذي الوجه المرقَّع يُغَنِّي في مكانٍ ما: «تحت البحر يتصاعَد الدُّخان في فقاقيع، ويحترق اللَّهب بالأخضر والأزرق والأسود. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه».

خطا الملك في النَّار ضاغطًا على أسنانه بقوَّة، وقد رفعَ الحرملة الجِلديَّة أمامه لتقيه من اللَّهب، واتَّجه صوب «الأم» مباشرةً، وأطبقَ على السَّيف بيده المغطَّاة بالقُفَّاز، وانتزعَه من الخشب المحترق بشَدَّةٍ قويَّةٍ واحدة، ثم إنه تراجعَ رافعًا السَّيف عاليًا واللَّهب الأخضر كاليَشب يدور كإعصارٍ حول الفولاذ الأحمر كالكرز. اندفعَ الحُرَّاس ليُخمِدوا الجمرات الصَّغيرة التي علقَت بثياب الملك، بينما هتفَت الملكة سيليس: «سيفٌ من نار!»، والتقط السير آكسل فلورنت وبقيَّة رجال الملكة منها الهتاف ليُرَدِّدوا: «سيفٌ من نار! يتوهَّج! يتوهَّج! سيفٌ من نار!».

رفعَت مليساندرا يديها فوق رأسها ونادَت: «أبصِروا! آيةً وُعِدنا وآيةً شهدنا! أبصِروا «جالِب الضِّياء»! قد عادَ آزور آهاي من جديد! فليهتف الجميع لمُحارِب النُّور! فليهتف الجميع لابن النَّار!».

ردَّدت موجة خشنة من الأصوات الهتاف، فيما بدأ قُفَّاز ستانيس يشتعل، فأطلق الملك سُبَّةً وغمسَ رأس السَّيف في التُّربة الرَّطبة وأخمدَ النَّار ضربًا على ساقه.

وصاحَت مليساندرا: «يا إلهنا، اجعل نورك يسطع علينا!».

- «فاللَّيل حالكٌ ومفعمٌ بالأهوال»، ردَّت سيليس ورجالها، وتساءلَ داڤوس في أعماقه وأصابعه المقصَّرة ترتعش: أينبغي أن أردِّد تلك الكلمات بدوري؟ هل أدينُ لستانيس بهذا القدر؟ أهذا الإله النَّاري إلهه بحق؟

خلعَ ستانيس قُفَّازه وتركه يَسقُط أرضًا. كان التعرُّف على الآلهة التي احتوَتها المحرقة شِبه مستحيل الآن، ، وسقطَ رأس «الحدَّاد» في سحابةٍ من



الجمر والرَّماد، بينما أنشدَت مليساندرا بلُغة آشاي، يرتفع صوتها وينخفض كأمواج البحر، وفَكَّ ستانيس حرملته الجِلديَّة التي احترقَ سطحها وأصغى صامتًا. مغروسًا في الأرض، كان «جالِب الضِّياء» لا يزال متَّقدًا بالأحمر، لكن اللَّهب الذي تعلَّق بالسَّيف بدأ يتضاءل وينطفئ.

مع انتهاء الأغنيَّة، لم يكن شيء قد تبقَّى من الآلهة غير قطع من الخشب المتفحِّم، ونفدَ صبر الملك أخيرًا، فأخذَ زوجته من مِرفقها واصطحبَها عائدًا إلى داخل دراجونستون، وتركَ «جالِب الضِّياء» في مكانه. تخلَّفت المرأة الحمراء وهلةً لتُراقِب داڤن وبايرن فارنج إذ ركعا ولفَّا السَّيف المحروق المسودَّ بحرملة الملك الجِلديَّة، وفكَّر داڤوس: سيف الأبطال الأحمر يبدو في حالةٍ يُرثى لها. تخلَّف عدد من اللوردات كذلك ليتكلَّموا بأصواتٍ هادئة وقد وقفوا عكس اتِّجاه الدُّخان، لكنهم لاذوا بالصَّمت عندما رأوا داڤوس يَنظُر صوبهم. إذا سقطَ ستانيس فسيُسقِطوني وراءه قبل أن يرتدَّ إليَّ طرفي. إنه لا يُعَدُّ من رجال الملكة، تلك المجموعة من الفُرسان الطَّموحين واللوردات صغار الشَّأن الذين وهَبوا أنفسهم لإله الضِّياء، ومن ثَمَّ نالوا تأييد ومحسوبيَّة الليدي -لا، الملكة، تذكَّر هذا- سيليس.

كان الحريق قد بدأ يخمد بالفعل مع رحيل مليساندرا والمُرافِقين بالسَّيف الثَّمين، وانضمَّ داڤوس وولداه إلى الحشد الذي يمضي نحو السَّاحل والسُّفن الرَّاسية، وقال وهو يمشي: «دڤان أبلى بلاءً حسنًا».

قال دايل: «نعم، حملَ القُفَّاز دون أن يُسقِطه».

هَزَّ آلارد رأسه وقال: «تلك الشَّارة على سُترته، القلب النَّاري، ماذا تكون؟ إن رمز عائلة باراثيون هو الوعل المتوَّج».

رَدَّ داڤوس: «اللورد يستطيع اختيار أكثر من شارة».

ابتسم دايل قائلًا: «مِثل سفينةٍ سوداء وبصلة يا أبي؟».

ركلَ آلارد حجرًا وقال: «فليأخذ «الآخَرون» بصلتنا... وذلك القلب النَّاري أيضًا. حرق «السَّبعة» شيء مذموم».

سألَه أبوه: «منذ متى هذا التديُّن؟ وما الذي يعرفه ابن مهرِّبٍ عن أفعال الآلهة؟».



- «أنا ابن فارس يا أبي. إذا كنت لا تتذكَّر، فلماذا ينبغي أن يفعلوا هُم؟».
- «ابن فارس لكن لست فارسًا، ولن تُصبح واحدًا أبدًا إذا تدخَّلت فيما لا يخصُّك. ستانِيس ملكنا الشَّرعي، وليس لنا أن نُشَكِّك فيما يفعله. إننا نُبحِر بسُفنه ونُطيع أوامره وهذا كلُّ شيء».

قال دايل: «بالنِّسبة لهذا يا أبي، فبراميل الماء التي أعطوني إياها من أجل «الطَّيف» لا تروقني. إنها مصنوعة من الصَّنوبر الأخضر، وسيتلف الماء خلال رحلةٍ من أيِّ طول».

قال آلارد: «حصلتُ على الشَّيء نفسه من أجل «الليدي ماريا». رجال الملكة وضعوا أيديهم على كلِّ الخشب المعالَج».

رَدَّ داڤوس: «سأكلِّمُ الملك في هذا الشَّأن». من الأفضل أن يأتي الكلام منه لا من آلارد، فأبناؤه مُحارِبون بارعون وبحَّارة أبرع، لكنهم لا يعرفون كيف يُخاطِبون اللوردات. كانوا وضيعي النَّسب مِثلما كنتُ، لكنهم لا يُحِبُّون تذكُّر ذلك. عندما ينظُرون إلى رايتنا، فكلُّ ما يرونه هو سفينة سوداء طويلة تُحَلِّق في الرِّيح، ويُغمِضون أعيُنهم عن البصلة.

وجدَ داڤوس المرفأ يعجُّ بالرِّجال كما اعتادَه دائمًا، وازدحمَ كلُّ مرسى بالبحَّارة الذين يُحَمِّلون المؤن، وكلُّ خانٍ بالجنود المنهمكين في لعب البلاطات أو الشُّرب أو البحث عن عاهرة... وهو بحث بلا طائلٍ على كلِّ حال، بما أن ستانيس حرَّم وجودهن على جزيرته تمامًا. كانت السُّفن مصطفَّةً بطول السَّاحل، قوادس حربيَّة ومراكب صيد، وقراقير ضخمة وأكواج كبيرة البطون، وقد خُصِّصَ أفضل المراسي لأكبر السُّفن، «الثَّورة» سفينة القيادة الخاصَّة بستانيس، التي تتأرجَح على سطح الماء بين «اللورد ستفون» و«وعل البحر»، وسفينة اللورد ڤيلاريون «فخر دريفتمارك» ذات البدن الفضِّي مع أخواتها الثَّلاث، و«المخلب الأحمر» سفينة اللورد سلتيجار بزخارفها وزينتها، و«سيَّاف البحار» الثَّقيلة ذات المقدِّمة الحديديَّة الطَّويلة، و«ڤاليريان» سفينة سالادور سان الضَّخمة التي ألقَت مِرساتها على مسافةٍ أبعد في البحر، وقد أحاطَت بها دستتان من القوادس اللايسينيَّة الأخرى الأصغر حجمًا بأبدانها المخطَّطة.



ثمَّة خان صغير متهالك يستقرُّ عند نهاية الرَّصيف الحجري، حيث تتقاسَم «بثا السَّوداء» و«الطَّيف» و«الليدي ماريا» مساحة الحوض مع نِصف دستةٍ أخرى من القوادس ذات المئة مجذاف أو أقل، وكان داڤوس يَشعُر بالظَّمأ، فألقى التحيَّة على ابنيه وانصرفَ في اتِّجاه الخان، الذي يجثم خارجه كرجلٌ بارتفاع الخصر ضربَته مياه المطر بلا هوادةٍ حتى تآكلَ وانطمسَت معالمه تمامًا. على أن داڤوس يعدُّه صديقًا قديمًا، وقد ربَّت على الرَّأس الحجري في طريقه إلى الدَّاخل متمتمًا: «للحَظ».

على الجانب الآخَر من القاعة العامَّة الصَّاخبة، جلسَ سالادور سان يأكل حبَّات العنب من وعاءٍ خشبي، وأشارَ لداڤوس بالاقتراب عندما لمحَه، وقال: «تعال واجلس معي أيها السير الفارس، كُل عنبةً، كُل اثنتين، إنه شديد الحلاوة حقًّا». كان اللايسيني رجلًا أنيق المظهر حاضر الابتسامة، بهرجته أشهر من نارٍ على علم على جانبي البحر الضيِّق، واليوم ارتدى ثوبًا برَّاقًا من قُماش الفضَّة، ذا كُمَّينِ واسعين مطرَّزين بالأشكال الزُّخرفيَّة، طويلين لدرجة أن طرفيهما انسدلا وتكوَّما على الأرض، أمَّا الأزرار فمنقوشة على شكل قرودٍ من حجر اليَشب، بينما استقرَّت على خصلات شَعره البيضاء النَّاعمة قبَّعة خضراء أنيقة مزيَّنة بمروحةٍ من ريش الطَّاووس.

شَقَّ داڤوس طريقه بين الطاولات إلى كرسي. في العهد السَّابق لفروسيَّته اعتادَ شراء البضائع من سالادور سان، فاللايسيني مهرِّب كذلك، بالإضافة إلى كونه تاجرًا ومصرفيًّا وقُرصانًا شهيرًا، علاوةً على لقب أمير البحر الضيِّق الذي أطلقَه على نفسه. يجعلون من القُرصان أميرًا عندما يغتني بما فيه الكفاية. كان داڤوس هو من قامَ بالرِّحلة إلى لِيس لضَمِّ الشَّقي القديم إلى دعوى اللورد ستانيس.

سألَه داڤوس: «ألم تتفرَّج على حرق الآلهة يا سيِّدي؟».

- «الرُّهبان الحُمر لديهم معبد عظيم في لِيس، وطيلة الوقت يحرقون هذا وذاك ويهتفون لإلههم راهلور. إنهم يُضجِرونني بحرائقهم تلك، وقريبًا سيَشعُر الملك ستانيس بضجرٍ مماثلٍ منهم كما أتمنَّى». بدا غير مكترثٍ إطلاقًا بأن يسمعه أحد، وأخذَ يأكل عنبه لافظًا البذور على شفتيه، قبل أن



يَنقُفها بعيدًا بإصبعه. «سفينتي «الطَّائر ذو الألف لون» عادَت بالأمس يا سيِّدي العزيز. إنها ليست سفينةً حربيَّة، لا، بل تجاريَّة، وقد توقَّفت في طريقها في كينجز لاندنج. متأكِّد من أنك لا تُريد عنبةً؟ يُقال إن المدينة ملأى بالأطفال الجياع»، ودلَّى عنقود العنب أمام وجه داڤوس وابتسَمَ.

- «ما أريده هو القليل من المِزر[1]، وما لديك من أنباء».

قال سالادور سان متذمِّرًا: «متعجِّلون أنتم دائمًا يا أهلِ وستروس، لكن قُل لي ما فائدة العجلة؟ من يستعجل في الحياة يستعجل الذَّهاب إلى القبر»، وتجشَّأ ثم أضافَ: «سيِّد كاسترلي روك أرسلَ ابنه القزم ليتولَّى شؤون كينجز لاندنج. لعلَّه يأمل أن يُخيف وجهه القبيح المهاجِمين، هه؟ ومَن يدري؟ ربما يقصد أن نموت ضحكًا عندما يَخرُج العِفريت إلى الشُّرفات. لقد طردَ القزم ذلك الجلف الذي كان يقود ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، وعيَّن فارسًا ذا يدٍ حديديَّة بدلًا منه»، والتقطَ حبَّةً من العنب واعتصرَها بين سبَّابته وإبهامه، إلى أن انفجرَت قشرتها وسالَ عصيرها بين أصابعه.

دفعَت واحدة من السَّاقيات نفسها وسط الزِّحام وهي تذبُّ الأيدي التي امتدَّت لتتحسَّس جسدها، وطلبَ منها داڤوس دورقًا من المِزر، ثم التفتَ إلى سان قائلًا: «حدِّثني عن دفاعات المدينة».

هَزَّ القُرصان كتفيه مجيبًا: «الأسوار عالية وقويَّة، لكن أين الجُند الذين سيحمونها؟ أوه، صحيحٌ أنهم يبنون العرَّادات ونافثات اللَّهب، لكن الرِّجال ذوي المعاطف الذَّهبيَّة قليلو العدد والخبرة للغاية، وليس هناك غيرهم. ضربة خاطفة كما ينقضُّ الصَّقر على الأرنب البرِّي من عَلٍ وتكون المدينة العظيمة لنا. أعطنا ريحًا تَنفُخ أشرعتنا وسيجلس ملكك على عرشه الحديدي مساء غد. يُمكننا أن نُلبِس القزم ثياب المهرِّجين ونَخِزَ فلقتي مؤخِّرته برؤوس رماحنا لنجعله يَرقُص لنا، ولربما يهديني ملكك الكريم الملكة سرسي لتُدَفِّئ فِراشي ليلةً، فقد قضيتُ وقتًا طويلًا جدًّا بعيدًا عن زوجاتي في خدمته بالفعل».

(1) المِزر نوع من البيرة يستغرِق فترةً أقصر حتى يختمر، ومذاقه غير مُر.



- «ليس لديك أيُّ زوجات أيها القُرصان، بل محظيّات فقط، ولقد تقاضَيت ثمنًا عادلًا مقابل كلِّ يوم وكلِّ سفينة».

قال سالادور سان بأسف: «تقاضَيته وعودًا فقط، لكن ما أشتهيه هو الذَّهب يا سيِّدي العزيز، وليس حبرًا على ورق»، وألقى عنبةً في فمه.

- «ستَحصُل على ذهبك حين نستولي على الخزانة في كينجز لاندنج. لا أحد في الممالك السَّبع كلها أشرف من ستانيس باراثيون، وسيَفي بوعده».

كان لسان داڤوس يتكلَّم بينما يقول عقله: يا له من عالمٍ مشوَّه لا أمل فيه عندما يكون المهرِّبون الصَّعاليك ضامنين للملوك.

- «هذا ما قاله مرارًا وتكرارًا، وأقولُ أنا أن نتحرَّك. المدينة ناضجة تمامًا الآن يا صديقي القديم، أكثر من هذا العنب نفسه».

عادَت السَّاقية بالمِزر، وأعطاها داڤوس عُملةً نُحاسيَّة، ثم قال لسالادور وهو يرفع الدَّورق إلى فمه: «قد نستطيع الاستيلاء على كينجز لاندنج كما تقول، لكن كم من الوقت سنتمكَّن من الحفاظ عليها؟ من المعروف أن تايوين لانستر في هارنهال ومعه جيش كبير، واللورد رنلي...».

- «آه، نعم، الأخ الأصغر. هذا هو الجزء السيِّئ يا صديقي، فالملك رنلي يتحرَّك. لا، إنه اللورد وليس الملك هنا، معذرةً. هناك ملوك أكثر من اللَّازم، حتى إن فمي تعبَ من الكلمة. الأخ رنلي غادرَ هايجاردن مع ملكته الشَّابَّة الجميلة ولورداته المزيَّنين بالزُّهور وفُرسانه بدروعهم اللَّامعة، بالإضافة إلى عددٍ ضخم من المُشاة، ويزحف الآن على طريقكم الوردي نحو المدينة العظيمة نفسها التي نتكلَّم عنها».

- «أخذَ عروسه معه؟».

هَزَّ سالادور كتفيه وقال: «لم يُخبرني بالسَّبب. لعلَّه كارهٌ للافتراق عن ذلك الخندق الدَّافئ بين فخذيها ولو لَيلةً، أو لعلَّه موقن من النَّصر».

- «يجب إبلاغ الملك».

- «تولَّيتُ هذا بالفعل يا سيِّدي العزيز، وإن كانت ملامح جلالته تكفهرُّ متى رآني، لدرجةٍ تجعلني أرتجفُ وأنا ماثل أمامه. هل تعتقد أنه سيُحِبُّني أكثر إذا ارتديتُ قميصًا من الشَّعر ولم أبتسم أبدًا؟ طيِّب، هذا شيء لن أفعله.



أنا رجل صادق، وعليه أن يتحمَّل ارتدائي الحرير والسَّميت[1]، وإلَّا فيُمكنني أن آخذ سُفني إلى مكانٍ آخَر يُحِبُّونني فيه أكثر. ذلك السَّيف ليس «جالِب الضِّياء» يا صديقي».

أصابَ تغيير الموضوع المفاجئ داڤوس بالانزعاج، فردَّد: «السَّيف؟».

- «السَّيف المنتزَع من النَّار، نعم. إنها ابتسامتي السَّارَّة هذه، تجعل الناس يحكون لي أشياء. كيف سينفع سيف محروق ستانيس؟».

رَدَّ داڤوس مصحِّحًا: «سيف متوهِّج».

قال سالادور سان: «بل محروق، ولتفرح لهذا يا صديقي. هل تعلم كيف صُنِعَ «جالِب الضِّياء»؟ سأحكي لك الحكاية. كان ذلك في زمنٍ حَلَّ فيه الظَّلام بكلِّ وطأته على العالم، وليُواجِهه البطل، كان عليه أن يحوز سيفًا يليق ببطل، أوه، سيفًا لم يشهد العالم له مثيلًا. وهكذا، طيلة ثلاثين يومًا وثلاثين ليلةً، ظَلَّ آزور آهاي يكدح في المعبد دون أن يذوق النَّوم، ليُطَرِّق السَّيف في النَّار المقدَّسة، يُسَخِّن ويدقُّ ويطوي، يُسَخِّن ويدقُّ ويطوي، أوه، نعم، إلى أن انتهى السَّيف، لكن عندما غمسَه في الماء ليُلَطِّف حرارة الفولاذ، انفلقَ السَّيف إلى ألف شظية. ولأنه بطل، فطبعًا لم يكن سينسى الأمر برمَّته، ويذهب ليبحث عن عنبٍ رائع مِثل هذا، وعليه بدأ من جديد. استغرقَت منه المحاوَلة الثَّانية خمسين يومًا وخمسين ليلةً، وبدا هذا السَّيف أفضل من سابقه بكثير. اصطادَ آزور آهاي أسدًا ليُلَطِّف حرارة السَّيف بغمسه في قلب الوحش الأحمر، لكن مرَّةً أخرى تهشَّم الفولاذ وتشظَّى. عظيمًا كان ألمه وعظيمًا كان حُزنه ساعتها، إذ أدركَ ما ينبغي عليه أن يفعله، وعلى السَّيف الثَّالث كَدَّ مئة يومٍ ومئة ليلة، ولمَّا تأجَّج والتهبَ في النَّار المقدَّسة، استدعى آزور آهاي زوجته. ناداها باسمها، نيسا نيسا، وقال لها: اكشفي صدرِك، واعلمي أني أحبُّكِ أكثر من كلِّ شيءٍ آخَر في هذه الدُّنيا، وفعلَت هي كما قال، ولا أدري لِمَ، فأغمدَ آزور آهاي السَّيف الدَّاخن في قلبها الحي. يُقال إن صرخة الألم والنَّشوة التي أطلقَتها خلَّفت صدعًا على وجه القمر، لكن دماءها وروحها

---

(1) السَّميت نسيج حريري شديد الفخامة مضلَّع الحبكة.



وقوَّتها وشَجاعتها كلها أصبحَت جزءًا من فولاذ السَّيف. هذه هي حكاية صوْغ «جالِب الضِّياء»، سيف الأبطال الأحمر. هل تفهم ما أعنيه الآن؟ يجب أن تفرح لأن جلالته سحبَ مجرَّد سيفٍ محروق من النَّار، فالضَّوء الأكثر من اللَّازم يُؤذي الأعيُن يا صديقي، والنَّار تُحرِق». التهمَ سالادور سان عنبته الأخيرة وتلمَّظ، ثم قال: «متى تحسب أن الملك سيدعونا للإبحار يا سيِّدي العزيز؟».

أجابَ داڤوس: «قريبًا على ما أعتقدُ، إذا شاءَ إلهه».

- «إلهه يا صديقي السير وليس إلهك؟ أين إله السير داڤوس سيوورث، فارس سفينة البصلة؟».

رشفَ داڤوس من المِزر ليُعطي نفسه مهلةً للتَّفكير، وذكَّر نفسه: الخان مزدحم، وأنت لست سالادور سان. توخَّى الحذر في إجابتك. «الملك ستانيس هو إلهي، هو من صنعَني وبارَكني بثقته».

نهضَ سالادور سان قائلًا: «سأتذكَّرُ هذا. أستأذنُ بالانصراف، فهذا العنب أصابَني بالجوع، وطعامي ينتظرني على متن سفينتي «ڤاليريان»، ضأن مفروم بالفلفل ونوارس مشويَّة محشوَّة بالفطر والبصل والشَّمار. قريبًا سنأكل في كينجز لاندنج معًا، أليس كذلك؟ سنقيم وليمةً في القلعة الحمراء بينما يُغَنِّي القزم لنا لحنًا مرحًا. عندما ترى الملك ستانيس، أرجو أن تَذكُر له أنه سيدين لي بثلاثين ألف تنِّين ذهبي أخرى مع غياب القمر. كان حريًّا به أن يُعطيني تلك الآلهة. كانت أجمل من أن تُحرَق، ولربما جلبَت ثمنًا ممتازًا في پنتوس أو مير. على كلِّ حال، سأسامحه إذا أعطاني الملكة سرسي ليلةً»، وربَّت اللايسيني على كتف داڤوس، وخرجَ من الخان بخطواتٍ مختالة كأنه يملكه.

ظَلَّ السير داڤوس سيوورث مع شرابه فترةً وقد انشغلَ باله. منذ عام واحد كان مع ستانيس في كينجز لاندنج، عندما أقامَ الملك روبرت دورة مبَّاريات احتفالًا بيوم ميلاد الأمير چوفري. تذكَّر الرَّاهب الأحمر ثوروس المايري والسَّيف النَّاري الذي حمله أثناء الالتحام الجماعي، وكيف قدَّم الرَّجل يومها عرضًا شائقًا مفعمًا بالألوان، بثوبه الأحمر الذي أخذَ يخفق في الهواء، واللَّهب الأخضر الباهت الذي تلوَّى حول سيفه، لكن الجميع كانوا يعلمون



أن لا سِحر في الأمر، وفي النِّهاية خمدَ اللَّهب وتلقَّى مُشعله ضربةً قاصمةً على الرَّأس من هرَّاوة يون رويس البرونزي التَّقليديَّة.

سيف ناري حقيقي سيكون أعجوبةً للنَّاظرين، لكن الثَّمن... عندما فكَّر في نيسا نيسا كانت صورة زوجته ماريا هي ما احتلَّ خياله، المرأة الطيِّبة السَّمينة ذات الثَّديين المتهدِّلين والابتسامة السَّمحة، أفضل امرأةٍ في العالم. حاولَ أن يتخيَّل نفسه وهو يُغمِد سيفًا في قلبها، فسرَت في جسده رعدة، وقال لنفسه بحسم: لستُ مصنوعًا من خام الأبطال. إذا كان ذلك ثمنًا لسيفٍ سحري، فهو ثمن أكبر مما يستطيع أن يدفع.

أنهى داڤوس المِزر وأزاحَ الدَّورق وغادرَ الخان، وفي الطَّريق إلى الخارج ربَّت على رأس الكرجل وتمتمَ: «للحَظ». جميعهم في حاجةٍ إليه الآن.

كان الظَّلام قد خيَّم بالكامل عندما جاءَ دڤان إلى «بِثا السَّوداء» ساحبًا حصانًا صغيرًا أبيض اللَّون كالثَّلج، وقال: «جلالته يأمرك بالانضمام إليه في قاعة المائدة المرسومة يا والدي. عليك أن تركب هذا الحصان وتأتي في الحال».

سرَّه أن يرى دڤان وقد بدا بهيًّا في ثياب المُرافِق الملكي، وإن أصابَه الاستدعاء بالقلق. هل سيدعونا للإبحار؟ سالادور سان ليس الرُّبَّان الوحيد الذي يرى أن كينجز لاندنج ناضجة للهجوم، لكن على المهرِّب أن يتعلَّم الصَّبر. ليس لدينا أمل في النَّصر. هذا ما قُلته للمِايستر كرسن يوم عدتُ إلى دراجونستون، ولم يتغيَّر شيء منذ ذلك الحين. عددنا قليل للغاية وأعداؤنا كُثر للغاية، فإذا غمَسنا مجاذيفنا في الماء سنموت. على أنه امتطى الحصان رغم هذه الخواطر، وعندما وصلَ إلى «الطَّبلة الحجريَّة» وجدَ دستةً من الفُرسان كريمي النَّسب واللوردات الكبار يُغادِرون، وحيَّاه كلٌّ من اللوردين سلتيجار وڤيلاريون بهزَّة رأس مقتضبة وواصَلا طريقهما، بينما تجاهَله الآخَرون بالكامل، لكن السير آكسل فلورنت توقَّف ليتبادَل معه كلمةً.

كان عمُّ الملكة رجلًا ضخم الجثَّة سميك الذِّراعين وذا ساقين مقوَّستين، لديه الأُذنان البارزتان المميِّزتان لعائلة فلورنت، وإن كانتا أكبر من أُذني بنت أخيه، ولا يمنعه الشَّعر الخشن الذي يَنبُت منهما من سماع أغلب ما يدور في



القلعة. خدمَ السير آكسل كأمينٍ لدراجونستون طيلة عشرة أعوام بينما شاركَ ستانيس في مجلس روبرت في كينجز لاندنج، لكن مؤخَّرًا سطعَ نجمه كأبرز رجال الملكة. «سير داڤوس، رؤيتك تُسعِدني كالمعتاد».

- «وأنت أيضًا يا سيِّدي».

- «لقد لاحظتك هذا الصَّباح بدوري. الآلهة الزَّائفة احترقَت بضوءٍ مبهج، أليس كذلك؟».

- «كان حريقها ساطعًا بالفعل». لا يثق داڤوس بهذا الرَّجل على الرغم من كياسته، فقد أعلنَت عائلة فلورنت تأييدها لرنلي.

- «تقول لنا الليدي مليساندرا إن راهلور يُتيح أحيانًا لعباده المخلصين أن يُبصِروا المستقبَل في اللَّهب. هذا الصَّباح بدا لي وأنا أشاهدُ الحريق أني أتطلَّعُ إلى دستةٍ من الرَّاقصات الجميلات، صبايا يلبسن الحرير الأصفر ويَدُرن ويتمايَلن أمام ملكٍ عظيم. أظنُّها رؤيا حقيقيَّة يا سيِّدي، لمحةً من المجد الذي ينتظر جلالته بَعدما نأخذ كينجز لاندنج وعرشه الشَّرعي».

لم يكن الرَّقص شيئًا يتذوَّقه ستانيس قَطُّ، فكَّر داڤوس، لكنه لم يجرؤ على أن يُضايِق عَمَّ الملكة، فقال: «لم أرَ سوى النَّار، لكن الدُّخان أدمعَ عينيَّ. أستأذنك بالانصراف يا سيِّدي، فالملك ينتظرني»، وواصلَ طريقه متسائلًا عمَّا جعلَ السير آكسل يحمل نفسه على هذه المحادَثة أصلًا. إنه رجل الملكة، وأنا رجل الملك.

كان ستانيس جالسًا إلى مائدته المرسومة، والمِايستر پايلوس يقف وراء كتفه، وأمامهما كومة غير مرتَّبة من الأوراق. قال الملك عندما دخلَ داڤوس: «أيها الفارس، تعالَ وألقِ نظرةً على هذه الرِّسالة».

بطاعةٍ اختارَ ورقةً عشوائيًّا، وقال: «تبدو جيِّدةً كفايةً يا جلالة الملك، لكن أخشى أني لا أستطيعُ قراءة الكلام». يستطيع داڤوس تمييز مفاتيح الخرائط والرُّسوم التَّخطيطيَّة ككلِّ مَن عداه، إنما الرَّسائل وغيرها من الكتابات فتقع خارج نطاق قُدراته. لكن ابني دڤان تعلَّم القراءة والكتابة، وستفون وستانيس الصَّغيران كذلك.

زوَّى الملك ما بين حاجبيه، وقال بضِيق: «نسيتُ. پايلوس، اقرأها له».



- «جلالة الملك»، قال المِايستر، ثم التقطَ واحدًا من الرَّقوق وتنحنحَ وشرعَ يقرأ: «يعرفني كلُّ النَّاس باعتباري الابن الشَّرعي لستفون باراثيون، سيِّد ستورمز إند، من السيِّدة زوجته كاسانا سليلة عائلة إسترمونت، وعليه أعلنُ مستشهدًا بشَرف عائلتي أن ملكنا الرَّاحل، أخي الحبيب روبرت، لم يَترُكْ ذُرِّيَّةً شَرعيَّةً من صُلبه، ما يجعل الصَّبي چوفري والصَّبي تومن والبنت مارسلا مسوخًا مولودةً من سفاح القُربى بين سرسي لانستر وأخيها چايمي قاتِل الملك. بحقِّ النَّسب والدَّم، أطرحُ اليوم دعوى استحقاقي عرش ممالك وستروس السَّبع الحديدي، وليُعلِن كلُّ المخلصين ولاءهم. تَمَّ في نور الإله، ممهورًا بتوقيع وخَتم ستانيس الأول سليل عائلة باراثيون، ملك الأنداليِّين والروينار والبَشَر الأوائل، وسيِّد الممالك السَّبع».

أصدرَ الرَّق حفيفًا خافتًا وپايلوس يضعه على المائدة، وقال ستانيس مقطِّبًا: «اجعلها السير چايمي قاتِل الملك من الآن فصاعدًا. أيًّا كان عدا ذلك، فالرَّجل يظلُّ فارسًا. ولا أدري إن كان علينا أن ندعو روبرت بأخي الحبيب. إنه لم يُحِبَّني أكثر مما أجبرَه الواجب، وأنا كذلك».

قال پايلوس: «مجرَّد مجامَلة غير مؤذية يا جلالة الملك».

قال ستانيس بلهجةٍ قاطعة: «كذبة. احذفها»، ثم التفتَ مخاطبًا داڤوس: «المِايستر يقول لي إن في حوزتنا مئة وسبعة عشر غُدافًا، وأنوي أن أرسلها كلها. مئة وسبعة عشر غُدافًا ستحمل مئة وسبع عشرة نُسخةً من رسالتي إلى كلِّ ركنٍ من البلاد، من «الكرمة» إلى «الجِدار». قد تنجو مئة منها من العواصف والجوارح والسِّهام، أي أن مئة مِايستر سيقرأون الرَّسائل على عددٍ مماثلٍ من النَّاس في عددٍ مماثلٍ من غُرف العمل والنَّوم... ثم ستُلقى في النَّار غالبًا، وتتعهَّد الشِّفاه بالصَّمت. أولئك اللوردات الكبار يُحِبُّون چوفري، ورنلي، وروب ستارك. أنا ملكهم الشَّرعي، لكنهم سيُنكِرونني إذا استطاعوا، ولهذا أحتاجك».

- «أنا رهن إشارتك دائمًا وأبدًا يا مليكي».

أومأ ستانيس برأسه، وقال: «أريدك أن تُبحِر بـ«بِثا السَّوداء» شَمالًا، إلى بلدة النَّوارس و«الأصابع» و«الأخوات الثَّلاث»، وحتى الميناء الأبيض.



سيذهب ابنك دايل جَنوبًا على متن «الطَّيف»، مرورًا بـ«رأس الغضب» و«الذِّراع المكسورة»، وبطول ساحِل دورن حتى «الكرمة». سيحمل كلٌّ منكما صندوقًا من الرَّسائل، وستُسَلِّمان واحدةً في كلِّ ميناء ومعقل وقرية صيد. علِّقوها على أبواب السِّپتات والخانات ليقرأها كلُّ من يستطيع».

قال داڤوس: «هؤلاء قِلَّة».

عقَّب المِايستر پايلوس: «السير داڤوس على حقٍّ يا جلالة الملك. من الأفضل أن تُقرأ الرَّسائل جهارًا».

قال ستانيس: «أفضل لكن أخطر. هذه الكلمات لن تُستَقبَل بأريحية».

قال داڤوس: «أعطِني فُرسانًا يقرأون الرَّسائل. سيُضفي هذا على كلامهم ثقلًا أكثر مني بكثير».

بدا الرِّضا على ستانيس، وقال: «يُمكنني أن أعطيك هؤلاء الرِّجال، نعم، فلديَّ مئة فارس يُؤثِرون القراءة على القتال. توخَّ العلانية أينما استطعت والسرِّيَّة أينما انبغى، واستخدم كلَّ حيل المهرِّبين التي تعرفها، الأشرعة السَّوداء والكهوف الخفيَّة، أيَّ شيءٍ يتطلَّبه الأمر. إذا نقصَ ما معك من رسائل، اقبض على بعض السِّپتونات واجعلهم ينسخون المزيد. سوف أستغلُّ ابنك الثَّاني كذلك، سيأخذ «الليدي ماريا» عبر البحر الضيِّق إلى براڤوس وبقيَّة المُدن الحُرَّة، لتوصيل رسائل أخرى لمن يَحكُمون هناك. سيعرف العالم كله بدعواي وعار سرسي».

يُمكنك أن تُخبرهم، لكن هل سيُصَدِّقون؟ رمقَ داڤوس المِايستر پايلوس بنظرةٍ موحية استوعبَها الملك، فقال: «ربما يَجدُر بك أن تشرع في الكتابة الآن أيها المِايستر. سنحتاج عددًا ضخمًا من الرَّسائل، وقريبًا».

قال پايلوس: «كما تأمر»، وانحنى وانصرفَ من المكان.

انتظرَ الملك حتى غادرَ، قبل أن يقول: «ماذا لديك ولا ترغب في قوله في حضور مِايستري يا داڤوس؟».

- «مولاي، پايلوس رجل طيِّب، لكني لا أستطيعُ النَّظر إلى سلسلته دون أن أندب المِايستر كرسن».

قال ستانيس: «أهي غلطته أن العجوز ماتَ؟»، ونظرَ في النَّار مضيفًا:



«لم أرغب في وجود كرسن في تلك المأدبة. صحيحٌ أنه أغضبَني وأسداني نصيحةً سيِّئةً، لكني لم أرده أن يموت. كنتُ آملُ أن يعيش بضع سنين أخرى من الرَّاحة والطُّمأنينة، فقد استحقَّ هذا على الأقل، لكن...»، وضغطَ أسنانه معًا وأكملَ: «... لكنه ماتَ، وپايلوس يخدمني باقتدار».

- «پايلوس أهون ما في الأمر. الرِّسالة... تُرى ماذا كان رأي لورداتك فيها؟».

قال ستانيس ساخرًا: «سلتيجار أعلنَ أنها مثيرة للإعجاب. لو أرَيته محتويات مرحاضي لأعلنَ أنها مثيرة للإعجاب أيضًا. الآخَرون هزُّوا رؤوسهم إلى أعلى وأسفل كسربٍ من الإوز، باستثناء ڤيلاريون الذي قال إن الفولاذ هو ما سيحسم الأمر وليس كلمات على رَق، كأني لم أكن أعي هذا. فليأخذ «الآخَرون» لورداتي. أريدُ أن أسمع وجهة نظرك أنت».

- «كلامك غليظ وقوي».

- «وسليم».

- «وسليم، لكنك لا تملك دليلًا عليه، على مسألة سفاح القُربى، تمامًا كما لم تملكه منذ عام كامل».

- «ثمَّة دليل من نَوعٍ ما في ستورمز إند، ابن روبرت غير الشَّرعي الذي جاءَ إلى الحياة بسبب ما فعله أبوه ليلة زفافي، على الفِراش الذي أعدُّوه لي ولعروسي. كانت ديلينا من عائلة فلورنت، وعذراء عندما أخذَها روبرت، فاعترفَ بالطِّفل. اسمه إدريك ستورم، ويُقال إنه صورة طِبق الأصل من أخي. إذا رآه النَّاس ثم تطلَّعوا إلى چوفري وتومن ثانيةً، فأعتقدُ أن التَّساؤلات لا بُدَّ ستُخالِجهم».

- «لكن كيف يراه النَّاس وهو في ستورمز إند؟».

نقرَ ستانيس على المائدة المرسومة بأصابعه قائلًا: «إنه عائق، واحد من عوائق كثيرة»، ثم رفعَ عينيه وقال: «لديك المزيد لتقوله عن الرِّسالة. تكلَّم إذن، فلم أجعلك فارسًا كي تتعلَّم إلقاء المجامَلات الفارغة، يكفيني لورداتي. قُل ما لديك يا داڤوس».



حنى داڤوس رأسه، وقال: «هناك عبارة في النِّهاية، ماذا كانت؟ تَمَّ في نور الإله...».

رَدَّ الملك وقد أطبقَ فكَّيه: «نعم».

- «سيَنفُر شعبك من هذه الكلمات».

سألَه ستانيس بحدَّة: «كما نفرتَ؟».

- «بدلًا من هذا يُمكنك أن تقول: تَمَّ على مرأى من الآلهة والبَشر، أو بنعمة الآلهة القديمة والجديدة...».

- «هل تديَّنت فجأةً أم ماذا أيها المهرِّب؟».

- «كنتُ سألقي عليك السُّؤال ذاته يا مولاي».

- «حقًّا؟ لأنه يبدو لي أنك لا تحبُّ إلهي الجديد أكثر من مِايستري الجديد».

- «أنا لا أعرفُ إله الضِّياء هذا، لكني كنتُ أعرفُ الآلهة التي أُحرِقَت هذا الصَّباح. «الحدَّاد» حافظَ على سلامة سُفني، بينما أعطَتني «الأم» سبعة أبناء أقوياء».

- «زوجتك أعطَتك سبعة أبناء أقوياء، فهل تُصَلِّي لها؟ ما أحرَقناه هذا الصَّباح كان خشبًا».

- «قد يكون هذا صحيحًا، لكني عندما كنتُ صبيًّا في «جُحر البراغيث»، أتسوَّلُ العُملات النُّحاسيَّة، كان السِّپتونات يُطعِمونني أحيانًا».

- «أنا من يُطعِمك الآن».

- «لقد خلعت عليَّ مكان شرفٍ على مائدتك، وفي المقابل أعطيك الحقيقة. شعبك لن يُحِبَّك إذا أخذت منه الآلهة التي عبدَها طيلة حياته، وأعطيتهم إلهًا اسمه نفسه غريب على ألسنتهم».

نهضَ ستانيس بحركةٍ حادَّةٍ قائلًا: «راهلور. ما الصَّعب في الاسم؟ تقول إنهم لن يُحِبُّونني؟ ومتى أحبُّوني؟ كيف أفقدُ شيئًا لم أمتلكه قَطُّ؟»، وتحرَّك نحو النَّافذة الجَنوبيَّة ليتطلَّع إلى البحر المُضاء بنور القمر، وواصلَ: «لقد كففتُ عن الإيمان بالآلهة يوم رأيتُ «الرِّيح الفخور» تتهشَّم عبر الخليج، وأقسمتُ أن أيَّ آلهةٍ تتوحَّش حتى تُغرِق أمِّي وأبي لن تعرف عبادةً مني أبدًا.



في كينجز لاندنج كان السِّبتون الأعلى يُصَدِّع دماغي بكلام عن أن العدل والخير كلهما ينبعان من «السَّبعة»، لكن كلَّ ما رأيته من عدلٍ وخيرٍ كان من صُنع البَشر فقط».

- «إذا كنت لا تُؤمن بالآلهة...».

- «... فلماذا أزعجُ نفسي بهذا الإله الجديد؟ لقد طرحتُ هذا السُّؤال على نفسي. إن معرفتي بالآلهة قليلة واكتراثي بها أقلُّ، لكن الرَّاهبة الحمراء تتمتَّع بالقوَّة».

نعم، لكن أيُّ نوعٍ من القوَّة؟ «كرسن كان يتمتَّع بالحكمة».

- «لقد وثقتُ بحكمته وحيلك، فبِمَ نفعَني هذا أيها المهرِّب؟ أعادَك لوردات أراضي العواصف تجرُّ أذيال الخيبة. ذهبتُ إليهم شحَّاذًا وضحكوا مني. طيِّب، لا مزيد من الشِّحاذة ولا مزيد من الضَّحك. العرش الحديدي حقِّي شرعًا، فكيف آخذه؟ هناك أربعة ملوكٍ في البلاد، وثلاثة منهم لديهم رجال وذهب أكثر مني، وأنا لديَّ السُّفن... ولديَّ هي، المرأة الحمراء. أتعرف أن نِصف فُرساني يخافون مجرَّد النُّطق باسمها؟ حتى إذا كانت لا تستطيع أن تفعل شيئًا آخَر، فلا ينبغي الاستخفاف بساحرةٍ تُلقي كلَّ هذا الخوف في قلوب رجالٍ ناضجين. الرَّجل الخائف رجل مهزوم. ثم إنني أنوي أن أتبيَّن إن كانت تستطيع أن تفعل ما هو أكثر. عندما كنتُ صبيًّا وجدتُ أنثى باز[1] جريحةً، واعتنيتُ بها حتى استردَّت عافيتها. سمَّيتها ذات الجناح الفخور، وكانت تقبع على كتفي وتطير ورائي من غُرفةٍ إلى أخرى وتأكل الطَّعام من يدي، لكن لا تُحلِّق إلى الأعالي أبدًا. أخذتها معي مرَّةً ومرَّةً إلى الصَّيد، لكنها لم ترتفع أعلى من قمم الأشجار قَطُّ. سمَّاها روبرت ذات الجناح الواهي، وكانت لديه أنثى سُنقر[2] اسمها قصفة الرَّعد لا تُخطئ ضربتها أبدًا. ذات يومٍ قال لي

---

(1) الباز طائر جارح طويل الذَّيل وحاد البصر، يعيش في الغابات، ويصطاد بالانقضاض على الفريسة بسرعةٍ كبيرة من مكانٍ خفي مرتفع.

(2) السُّنقر أضخم أنواع الصُّقور، وهو طائر صيد ثمين وذو قيمة عالية، ويختلف لون ريشه باختلاف مكان سكنه، حيث يتراوح بين الأبيض والبنِّي الدَّاكن.



عمُّنا الكبير السير هاربرت أن أجرِّب طائرًا آخَر، لأني أجعلُ من نفسي مثارًا للاستهزاء بذات الجناح الفخور، وكان محقًّا». أنهى ستانيس باراثيون كلامه وأدارَ ظَهره للنَّافذة والأشباح التي تَمخُر بحر الجَنوب، وقال: «"السَّبعة" لم يُعطوني شيئًا في حياتي ولو مجرَّد عصفور، وحانَ الوقت لأجرِّب صقرًا من نوعٍ آخَر يا داڤوس، صقرًا أحمر».





ثيون

ليس هناك مكان يَصلُح لرسوٍ آمنٍ في پايك، لكن ثيون جرايچوي أرادَ أن يُجيل النَّظر في قلعة أبيه من البحر، ويراها كما رآها آخِر مرَّةٍ قبل عشر سنوات، عندما حملَته سفينة روبرت باراثيون الحربيَّة بعيدًا عن دياره، ليكون ربيب إدارد ستارك وتابعه الشَّخصي. يومها وقفَ عند حاجز السَّفينة، وأصغى لضربات المجاذيف ودَقَّات طبلة الرُّبَّان، بينما شاهدَ پايك تتضاءَل في الأُفق، والآن يرغب في أن يراها تتعاظَم ثانيةً، أن ترتفع من البحر من أمامه. هكذا، انصياعًا لرغباته، شقَّت «الميراهام» طريقها متجاوزةً بُقعة اليابسة، وقد أخذَت أشرعتها تخفق بعُنف، فيما انهالَت اللَّعنات من فم الرُّبَّان على الرِّياح وعلى طاقمه وعلى حماقات صغار اللوردات أبناء علية القوم.

رفعَ ثيون قلنسوة معطفه على رأسه ليتَّقي الرَّذاذ، وتطلَّع إلى داره. كان السَّاحل كله صخورًا حادَّةً وجُروفًا جهيمةً، وبدَت القلعة جزءًا لا يتجزَّأ من هذا التَّكوين، إذ جاءَت حجارة أبراجها وأسوارها وجسورها كلها من المَقْلع الأسود الرَّمادي ذاته، وتبلَّلت بالموج المالح نفسه، وترصَّعت بالرُّقع الخضراء الدَّاكنة المنتشرة من الطَّحالب عينها، وتلطَّخت بفضلات الطُّيور البحريَّة سِيِّها. في الماضي، كانت بُقعة اليابسة التي شيَّد آل جرايچوي عليها قلعتهم تمتدُّ كسيفٍ يخترق قلب المحيط، وراحَت الأمواج تضربها ليل نهار بلا هوادة، حتى انفطرَت الأرض وتحطَّمت قبل آلاف السِّنين، ولم يتبقَّ غير ثلاث جُزرٍ جَدباء قاحلة، ودستةٍ من أكوام الصُّخور العملاقة، التي ترتفع من الماء كأعمدة معبد إلهٍ ما للبحر، بينما ترغي الأمواج الغاضبة وتتكسَّر بينها.



ارتفعَت پايك موحشةً قاتمةً كالحة الملامح فوق تلك الجُزر والأعمدة كأنها جزء منها، يسدُّ سورها الواقي الرَّأس البحري المحيط بقاعدة الجسر الحجري الضَّخم، الممتد من قمَّة الجُرف وحتى الجزيرة الكُبرى، التي يحتلُّها الحصن الكبير بحجمه الهائل، بينما يستقرُّ كلٌّ من حصن المطبخ والحصن الدَّامي على جزيرته الخاصَّة من بُعد، وتتشبَّث الأبراج وغيرها من المباني الملحقة بالصُّخور وراء الحصون، وقد ربطَت بينها الممرَّات المقنطَرة المغطَّاة حيث تدنو الأعمدة من بعضها بعضًا، والمماشي الطَّويلة المتأرجحة المصنوعة من الخشب والحبال حيث تتباعَد.

استقرَّ البُرج المستدير العالي المسمَّى بُرج البحر، أقدم جزء في القلعة، فوق أقصى الجُزر عند رأس السَّيف المكسور، وقد تآكلَ العمود ذو الجانب المستقيم تمامًا الذي وقفَ فوقه، بفعل ضربات الأمواج اللا نهائيَّة، واكتسَت قاعدة البُرج بالأبيض نتيجة قرونٍ من الرَّذاذ المالح، وطوابقه الأعلى بأخضر الطَّحالب التي زحفَت عليه مكوِّنةً طبقةً سميكةً، وقمَّته المحزَّزة بالأسود بفِعل نار الحراسة التي تُشعَل كلَّ ليلة.

رأى ثيون راية أبيه تخفق فوق بُرج البحر، وعلى الرغم من أن «الميراهام» كانت بعيدةً جدًّا، ما جعله لا يتبيَّن شيئًا غير قُماش الرَّاية، فإنه يعرف الشِّعار الذي تحمله جيِّدًا، كراكن[1] عائلة جرايچوي الذَّهبي، الذي تمتدُّ أذرُعه وتتلوَّى على خلفيَّةٍ سوداء. انسابَت الرَّاية على ساريةٍ حديديَّة، ترتجف وتلتفُّ مع هبوب الرِّيح كطائرٍ يُكافِح لأن يُحَلِّق. على الأقل لا يرتفع هنا ذئب ستارك الرَّهيب فوق كراكن جرايچوي ويُلقي عليه ظِلَّه.

لم يرَ ثيون مشهدًا مؤثِّرًا كهذا من قبل، إذ لاحَ ذيل المذنَّب الأحمر النَّاعم عبر السُّحب الخفيفة المتناثرة في السَّماء وراء القلعة. كان المذنَّب وما يعنيه محور حديث رجال ماليستر طول الطَّريق من ريڤررَن إلى سيجارد. إنه مذنَّبي، قال ثيون لنفسه وهو يدسُّ يده في معطفه المبطَّن بالفرو، ليتحسَّس الجراب

---

(1) الكراكن وحش بحري أسطوري عملاق، يظهر على سطح البَحر كجزيرة، وله أذرُع أخطبوطيَّة طويلة تلتفُّ حول السُّفن وتُغرِقها.



المصنوع من المشمَّع القابع في جيبه، والذي يحوي الرِّسالة التي أعطاه روب ستارك إياها، ورقة في حُكم تاج.

سألَته ابنة الرُّبَّان وهي تلصق جسدها بذراعه: «هل تبدو القلعة كما تتذكَّرها يا سيِّدي؟».

أجابَ ثيون معترفًا: «تبدو أصغر، لكن لعلَّ المسافة هي السَّبب لا أكثر».

«الميراهام» سفينة تجاريَّة كبيرة البطن من البلدة القديمة في الجَنوب، تحمل خمورًا وأقمشةً وحبوبًا للمقايَضة بالحديد الخام، ورُبَّانها تاجر جَنوبي كبير البطن كذلك، وقد جعلَ البحر الحجري الهائج حول دعائم القلعة شفتيه الممتلئتين ترتعشان رهبةً، فأبقى السَّفينة على مسافةٍ بعيدة، أبعد مما يروق ثيون. كان رُبَّان حديديي الميلاد يقود سفينةً طويلةً ليأخذهم بطول الجُروف ومن تحت الجسر العالي، الذي يرتفع فوق الهوَّة بين مبنى البوَّابة والحصن الكبير، لكن رُبَّان البلدة القديمة السَّمين هذا لا يملك من المهارة أو الطَّاقم أو الشَّجاعة ما يُؤَهِّله لأن يفعل شيئًا كهذا، وهكذا أبحَروا على مسافةٍ آمنة، وعلى ثيون أن يقنع برؤية پايك من بعيد، ومع ذلك لاقَت «الميراهام» مشقَّةً لا يُستهان بها لتظلَّ بعيدًا عن تلك الصُّخور.

قالت ابنة الرُّبَّان: «لا بُدَّ أنه مكان كثير الرِّيح».

ضحكَ قائلًا: «كثير الرِّيح وبارد ورطب، مكان قاسٍ بائس في الحقيقة... لكن السيِّد والدي قال لي ذات مرَّةٍ إن الأماكن القاسية تُنجِب رجالًا قساة، والرِّجال القساة يَحكُمون العالم».

كان وجه الرُّبَّان أخضر كماء البحر لمَّا جاءَ حانيًا رأسه لثيون، وقال: «ألنا الإذن بأن نتوجَّه إلى المرفأ الآن يا سيِّدي؟».

قال ثيون وابتسامة خفيفة تتلاعَب على شفتيه: «لكم الإذن». لقد حوَّل الوعد بالذَّهب رُبَّان البلدة القديمة إلى كتلةٍ من التزلُّف وانعدام النَّخوة، وكانت الرِّحلة لتختلف تمامًا لو كانت هناك سفينة طويلة من الجُزر تنتظر في سيجارد كما كان يأمل، فالرَّبابنة حديديُّو الميلاد يتَّسمون بالكبرياء وقوَّة الإرادة، ولا يُصيبهم منظر الدِّماء بالرَّهبة، فالجُزر أصغر من أن تستوعب رهبةً كتلك، والسُّفن الطَّويلة أصغر وأصغر. إذا كان كلُّ رُبَّانٍ ملكًا على



متن سفينته، كما يُقال كثيرًا، فلا غرو أنهم سمُّوا الجُزر أرض العشرة آلاف ملك، وعندما ترى ملوكك يتغوَّطون من فوق حاجز السَّفينة ويُصيبهم الدُّوار والغثيان أثناء عاصفة، فمن العسير عندئذٍ أن تركع أمامهم وتتظاهَر بأنهم آلهة. منذ آلاف السِّنين قال الملك أورون أحمر اليد: «الإله الغريق يصنع الرِّجال، لكن الرِّجال هُم من يصنعون التِّيجان».

كانت السَّفينة الطَّويلة لتقطع المسافة في نِصف الوقت كذلك، فما «الميراهام» إلَّا حوض متخبِّط في واقع الأمر، وهو لا رغبة لديه في أن يكون على متنها خلال عاصفة. على الرغم من ذلك لم يُخامِر ثيون شعور كبير بعدم الرِّضا، فها هو ذا لم يغرق، كما أن الرِّحلة احتوَت على أنواعٍ أخرى بعينها من التَّسلية. طوَّق ابنة الرُّبَّان بذراعه وقال لأبيها: «أبلِغني عندما نصل إلى لوردزپورت. سنكون في قمرتي في الأسفل»، ثم قادَ الفتاة إلى مؤخِّرة السَّفينة، بينما راقبَهما أبوها بوجوم صامتٍ وهما يبتعدان.

كانت قمرةِ الرُّبَّان في واقعِ الأمر، لكنه أخلاها لثيون عندما أبحَروا من سيجارد، أمَّا ابنة الرُّبَّان فلم تُكلَّف بتلبية حاجاته، وإن أتَت إلى فِراشه عن طِيب خاطر. كأس من النَّبيذ مع بضع همسات، وها هي ذي. للفتاة قوام أكثر امتلاءً بعض الشَّيء مما يروق ثيون، وبشرة منمَّشة ذكَّرته بلون الشُّوفان المطحون، لكن ثدييها ملآ يديه بشكلٍ مُرْضٍ، كما أنها كانت عذراء عندما أخذَها أول مرَّة، الشَّيء المدهش في سِنِّها هذه، لكن ثيون قرَّر أن هذا طريف حقًّا، ثم إنه لا يحسب إطلاقًا أن الرُّبَّان يُوافِق على ما يَحدُث، وهذا طريف أيضًا، خصوصًا عندما يتفرَّج على الرَّجل وهو يُكافِح لابتلاع غيظه وهو يُؤَدِّي فروض الطَّاعة للورد ابن الحسب والنَّسب، دون أن يُفارِق كيس العُملات الذَّهبيَّة الذي وُعِدَ به مخيِّلته.

قالت الفتاة وثيون يخلع معطفه المبتلَّ من على كتفيه: «لا بُدَّ أنك سعيد للغاية لرؤية ديارك من جديد يا سيِّدي. كم عامًا غِبت؟».

– «عشرة، أو ما يَقرُب من هذا، لا فارق. كنتُ صبيًّا في العاشرة عندما أخَذوني ربيبًا لإدارد ستارك في وينترفل». ربيب اسمًا، ورهينة واقعًا، رهينة نِصف عُمره... لكن هذا انتهى الآن. إن حياته ملكه من جديد، وليس هناك



ستارك واحد على مدى البصر. جذبَ ابنة الرُّبَّان إليه وقبَّلها على أُذنها قائلًا: «اخلعي معطفكِ».

خفضَت ناظريها وقد أصابَها الخجل فجأةً، لكنها فعلَت كما قال، وعندما سقطَ الثَّوب الثَّقيل المبقَّع بالرَّذاذ من على كتفيها إلى الأرض، انحنَت له انحناءةً صغيرةً وابتسمَت بترقُّب. إنها تبدو حمقاء حقًّا عندما تبتسم، لكنه لا يشترط الذَّكاء في نسائه أبدًا على كلِّ حال. قال لها: «تعالي هنا».

ذهبَت إليه قائلةً: «لم أرَ جُزر الحديد من قبل».

- «اعتبري نفسكِ محظوظةً إذن»، قال ثيون ويده تُمَشِّط شَعرها الأسود النَّاعم، الذي تشابكَت خصلاته بفعل الرِّيح. «الجُزر أماكن حجريَّة كئيبة، ما فيها من وسائل راحةٍ شحيح، ومن موارد ضئيل. الموت يحوم هنا طول الوقت، والحياة عسيرة وقاسية، والرِّجال يقضون لياليهم في شُرب المِزر والشَّكوى والجدل حول مَن منهم أعثر حظًّا، الصيَّادون الذين يُقاتِلون البحر، أم المزارعون الذين يكدحون للحصول على محصولٍ لا يُذكَر من التُّربة الفقيرة. إذا أردنا الحق، فالمعدِّنون حالهم أسوأ من الاثنين، يكسرون ظهورهم تحت الأرض في الظَّلام، ومن أجل ماذا؟ الحديد والرَّصاص والصَّفيح، تلك هي كنوزنا. لا عجب أن الرِّجال الحديديِّين القُدامى لجأوا للإغارة».

لم يبدُ على الحمقاء أنها تُصغي إليه، وقالت: «يُمكنني أن أذهب معك، سأفعلُ هذا إذا أردتَ...».

قال ثيون معتصرًا ثديها: «يُمكنكِ أن تذهبي، لكن ليس معي».

- «يُمكنني العمل في قلعتك يا سيِّدي. أستطيعُ تنظيف السَّمك والخَبز ومخض الزُّبد. أبي يقول إن يخنة سرطان البحر بالفلفل التي أطهوها هي أفضل ما تذوَّق على الإطلاق. يُمكنك أن تجد لي مكانًا في مطابخكم وسأطهوها لك».

- «وتُدَفِّئين فِراشي ليلًا؟»، قال ثيون ومَدَّ يده إلى أربطة صِدارها، وبدأ يحلُّها بأصابع متمرِّسة مرنة. «في زمنٍ سابقٍ كنتُ لأعود حاملًا إياكِ كغنيمة، وأجعلكِ زوجتي بمشيئتكِ أو رغمًا عنكِ. الرِّجال الحديديُّون القُدامى كانوا



يفعلون أشياءَ كهذه، فكانت للرَّجل زوجته الصَّخريَّة، عروسه الحقيقيَّة حديديَّة الميلاد مِثله، لكن هناك زوجاته الملحيَّات كذلك، النِّسوة اللاتي يُؤسَرن في الغارات».

عرَّى ثدييها، لكن ليس لهذا اتَّسعت عينا الفتاة وهي تقول: «سأكونُ زوجتك الملحيَّة يا سيِّدي».

قال ثيون: «أخشى أن تلك الأيام ولَّت»، وبدأ يُحَرِّك إصبعه في دوائر على واحدٍ من الثَّديين الثَّقيلين، قاصدًا الحلمة البنِّيَّة الممتلئة، وأضافَ: «لم نعد نستطيع ركوب الرِّيح بالنَّار والسَّيف آخذين ما نشاء. الآن نتعيَّش على حَكِّ الأرض وإلقاء الشِّباك في البحر كغيرنا، ونغبط أنفسنا على حُسن الطَّالع إذا كان لدينا ما يكفينا من القُد المملَّح والثَّريد خلال الشِّتاء»، وأخذَ حلمتها في فمه وضغطَ عليها بأسنانه حتى شهقَت.

همسَت في أذنه وهو يمصُّ: «يُمكنك أن تضعه داخلي ثانيةً إذا أردت».

عندما رفعَ رأسه عن ثديها، كان فمه قد تركَ علامة حمراء داكنةً على الجلد، وقال لها: «ما أريده هو أن أعلِّمكِ شيئًا جديدًا. حلِّي أربطة سراويلي ومتِّعيني بفمكِ».

- «بفمي؟».

مَسَّ شفتيها الممتلئتين بإبهامه مجيبًا: «هذا ما خُلِقَت له هاتان الشَّفتان يا حُلوتي. إذا كنتِ زوجتي الملحيَّة، فعليكِ طاعة أوامري».

كانت متهيِّبةً في البداية، لكنها تعلَّمت بسرعةٍ لا بأس بها بالنِّسبة لفتاةٍ حمقاء مِثلها، الشيء الذي سرَّه، وكان ثغرها مبتلًّا شهيًّا كفرجها، ثم إنه ليس مرغمًا بهذه الطَّريقة على الإصغاء لثرثرتها البلهاء. قال لنفسه وهو يدسُّ يده بين خصلات شَعرها المتشابكة: في زمنٍ ماضٍ كنتُ لأحتفظ بها زوجةً ملحيَّةً حقًّا، في زمنٍ ماضٍ عندما كنا نتبع «النَّهج القديم»، ونعيش بالفأس وليس العصا، نأخذ كلَّ ما نُريد أن نأخذه، ثروةً كان أو نساءً أو مجدًا. في تلك الأيام لم يكن الرِّجال الحديديُّون يكدُّون في المناجم، فذلك كان عمل الأسرى الذين يعودون بهم من الغارات، ولا يُمارِسون الزِّراعة ورعاية الماعز والخراف وما شابه من الأعمال البائسة، فالحرب كانت تجارة الرِّجال



الحديديِّين الحقَّة. لقد خلقَهم الإله الغريق للنَّهب والاغتصاب، لاقتطاع الممالك وكتابة أسمائهم بالدَّم والنَّار والأغاني.

إجون الفاتِح هو من دمَّر «النَّهج القديم»، عندما أحرقَ هارن الأسود وردَّ مملكته إلى أهلِ نهر الثَّالوث الضُّعفاء، وجعلَ من جُزر الحديد مجرَّد مكانٍ بلا قيمةٍ في مؤخِّرة مملكةٍ أعظم بكثير، لكن الحكايات القديمة المحمَّلة بالأحمر الدَّموي لا تزال تُحكى حول كلِّ مستوقَدٍ وحُفرة نار في كلِّ ركنٍ من الجُزر، وحتى وراء أسوار پايك الحجريَّة العالية، ومن بين ألقابه الأخرى يُسَمَّى أبو ثيون سيِّد الحصاد، وتقول كلمات عائلة جرايچوي بإباء: نحن لا نزرع.

في سبيل إعادة «النَّهج القديم»، وليس خيلاء التِّيجان الفارغة، قامَ اللورد بالون بثورته العظيمة، قبل أن يَكتُب روبرت باراثيون نهايةً داميةً لهذا الأمل بمساعَدة صديقه إدارد ستارك، لكن كلا الرَّجلين ميت الآن، وفي مكانيهما يَحكُم مجرَّد صِبية الآن، والملكوت الذي شيَّده إجون الفاتح انهارَ وتفسَّخ. قال ثيون لنفسه بينما أحاطَت شفتا ابنة الرُّبَّان بذَكره وانزلقَتا إلى أعلى وأسفل: إنه الموسم المنتظَر، الموسم، والعام، واليوم، وأنا الرَّجل، وارتسمَت على شفتيه ابتسامة ملتوية وهو يتساءل عمَّ سيقوله أبوه عندما يُخبِره أنه -هو، ثيون، أصغر أبنائه، الغِر والرَّهينة- أفلحَ حيثما أخفقَ اللورد بالون نفسه.

فاجأته ذُروته كعاصفة، وتفجَّرت نُطفته لتملأ فم الفتاة، التي جفلَت وحاولَت أن تُبعِد رأسها، لكن ثيون أطبقَ على شَعرها وثبَّتها في مكانها بإحكام. بَعدها زحفَت لتستلقي إلى جواره في الفِراش، وسألَته: «هل أمتعتُ سيِّدي؟».

- «لا بأس بكِ».

غمغمَت: «مذاقه مالح».

- «مثل البحر؟».

أومأَت برأسها إيجابًا، وقالت: «لطالما أحببتُ البحر يا سيِّدي».

- «وأنا أيضًا»، قال وهو يُداعِب حلمتها بأصابعه بفتور. كان محقًّا، فالبحر يعني الحرِّيَّة لأهل جُزر الحديد، وكان قد غفلَ عن تلك الحقيقة حتى



رفعَت «الميراهام» أشرعتها في سيجارد، فتولَّدت في نفسه مشاعر قديمة مع الأصوات التي أحاطَت به، صرير الخشب والحبال، وصياح الرُّبَّان بالأوامر، وخفقان الأشرعة والرِّيح تملأها، الأصوات التي يألفها كضربات قلبه ذاتها، والتي بَثَّت فيه طمأنينةً بالغة. قال ثيون متعهِّدًا لنفسه: يجب أن أتذكَّر هذا، ويجب ألَّا أبتعد عن البحر ثانيةً أبدًا.

قالت ابنة الرُّبَّان بتوسُّل: «خُذني معك يا سيِّدي. ليس من الضَّروري أن أذهب إلى قلعتك. يُمكنني أن أبقى في بلدةٍ ما وأكون زوجتك الملحيَّة»، ومدَّت يدها تتحسَّس وجنته.

دفعَ ثيون جرايچوي يدها بعيدًا، ونزلَ من فوق الفِراش قائلًا: «مكاني في پايك، ومكانكِ على هذه السَّفينة».

- «لا أستطيعُ البقاء هنا الآن».

سألَها وهو يعقد أربطة سراويله: «ولِمَ لا؟».

أجابَته: «بسبب أبي، سيُعاقِبني بمجرَّد أن ترحل يا سيِّدي، سيشتمني ويضربني».

سحبَ ثيون معطفه من على المشجب ووضعَه على كتفيه، وقال وهو يُثبِّت طيَّاته بمشبكٍ فضِّي: «هكذا الآباء. قولي له إنه يَجدُر به أن يسعد، فأنتِ تحملين طفلًا الآن على الأرجح بَعدما ضاجَعتكِ كلَّ هذه المرَّات، وشَرف حقيقي أن ينال أحدهم فُرصة تربية نغل ملك». رمقَته بنظراتها الغبيَّة، فتركَها هناك.

دارَت «الميراهام» حول بُقعةٍ مشجَّرة على السَّاحل، وتحت الجُروف المكسوَّة بأشجار الصَّنوبر كان الصيَّادون يسحبون شباكهم إلى دستةٍ من المراكب، فظَلَّ الكوج الكبير بمنأى عنها وقد سلكَ الرُّبَّان سبيلًا متعرِّجًا. اتَّجه ثيون إلى المقدِّمة ليُلقي نظرةً أفضل، ورأى القلعة أولًا، معقل عائلة بوتلي. في صِباه كانت القلعة مشيَّدةً من الخشب والأغصان المجدولة، لكن روبرت باراثيون دَكَّ ذلك البناء عن آخِره، وأعادَ اللورد ساوان بناءه من الحجارة، والآن يُكَلِّل حصن مربَّع صغير قمَّة التَّل، ومن الأبراج الرُّكنيَّة القصيرة تتدلَّى الأعلام ذات اللَّون الأخضر الباهت، وكلٌّ منها مزيَّن بسربٍ من الأسماك الفضِّيَّة.



تحت الحماية المشكوك فيها من القلعة الصَّغيرة المكتظَّة بالسَّمك، استقرَّت قرية لوردزپورت التي يعجُّ مرفأها بالسُّفن. عندما رأى لوردزپورت آخر مرَّة، كانت خرابًا يتصاعَد منه الدُّخان، وقد تناثرَت هياكل السُّفن الطَّويلة المحروقة والقوادس المحطَّمة على السَّاحل كعظام لَوياثانات[1] ميتة، واستحالَت البيوت إلى جدران متداعية ورمادٍ بارد. بَعد عشر سنوات لم يتبقَّ من آثار كلٍّ هذا إلَّا القليل، إذ بنى الأهالي بيوتًا جديدةً من أحجار بيوتهم القديمة، وقطَعوا أخشابًا طازجةً للسُّقوف، كما أقيمَ إلى جوار المرسى خان جديد يَكبُر القديم حجمًا مرَّتين، طابقه السُّفلي من الأحجار المقطَّعة، والطَّابقان العلويَّان من الأخشاب. على أن السِّبت الذي يقع وراء كلٍّ هذا لم يُبنَ من جديد، وظَلَّ مجرَّد قاعدة سباعيَّة الجوانب، فغضبة روبرت باراثيون عكَّرت استساغة الرِّجال الحديديِّين للآلهة الجديدة على ما يبدو.

كان ثيون مهتمًّا بالسُّفن أكثر من الآلهة، ووسط عددٍ لا يُحصى من مراكب الصَّيد لمحَ قادسًا تجاريًّا من تايروش يُفرغ حمولته إلى جوار كوج إيبنيزي ثقيل طُلِيَ بدنه بالقار، بينما انتشرَ عدد كبير من السُّفن الطَّويلة، خمسون أو ستُّون على الأقل، في اتِّجاه البحر أو استقرَّ على حصى السَّاحل إلى الشَّمال، وقد حملَت الأشرعة رموزًا لعائلاتٍ من الجُزر الأخرى، قمر عائلة ونش الدَّامي، وبوق اللورد جودبراذر الحربي الأسود المربوط بالشَّرائط، ومنجل آل هارلو الفضِّي. بحثَ ثيون عن سفينة عمِّه يورون «الصَّمت» ذات البدن النَّحيل، لكنه لم يرَ أثرًا لتلك السَّفينة الحمراء الرَّهيبة، لكن سفينة أبيه الطَّويلة «الكراكن العظيم» كانت موجودةً، مقدِّمتها مزيَّنة بكبشٍ[2] حديديٍّ رماديٍّ اتَّخذ شكل سميِّه.

هل سبقَه اللورد بالون واستدعى رايات جرايچوي؟ دَسَّ يده في معطفه من جديدٍ وتحسَّس مشمَّع الجراب. لا أحد يعرف بهذه الرِّسالة غير روب

(1) اللَّوياثان وحش بحري أسطوري هائل الحجم، له سبعة رؤوس.

(2) الكبش أو الكبَّاش آلة حربيَّة تُستخدَم في البرِّ لدَكِّ بوَّابات القلاع والحصون، وفي البحر لمهاجَمة السُّفن.



ستارك، فهما ليسا أحمقيْن ليأتمنا طائرًا على أسرارهما، لكن اللورد بالون ليس أحمق بدوره، ومن الوارد أنه خمَّن سبب عودة ابنه إلى الوطن أخيرًا، فتصرَّف بناءً على هذا. لم يَرُق له الخاطر، فقد انتهَت حرب أبيه بالهزيمة منذ سنين طويلة، وهذه ساعة ثيون، خطَّته، مجده، وفي الوقت المناسب تاجه. لكن إذا كانت السُّفن الطَّويلة تحتشد...

وجدَ أن الحيطة لا أكثر قد تكون الدَّاعي عندما فكَّر مليًّا، حركة دفاعيَّة خشية أن تفيض حمم الحرب وتتدفَّق نحو البحر. المسنُّون حذرون بطبيعتهم، وأبوه متقدِّم في السِّن الآن، وكذلك عمُّه ڤيكتاريون الذي يقود الأسطول الحديدي، أمَّا عمُّه يورون فمسألة مختلفة تمامًا، وإن لم يبدُ أن «الصَّمت» موجودة في المرفأ. قال ثيون لنفسه: هذا أفضل، فهكذا سأتمكَّنُ من توجيه ضربتي أسرع.

ذرعَ ثيون سطح «الميراهام» بتوتُّرٍ وهي تَمخُر الماء نحو البَر. لم يكن يتصوَّر أنه سيجد اللورد بالون بنفسه ينتظره على الرَّصيف، لكن من المؤكَّد أن أباه أرسلَ أحدًا آخَر يُقابله، الوكيل سايلاس كريه الأنفاس، أو اللورد بوتلي، أو حتى داجمر ذا الفك المفلوق. سيطيب له أن يتطلَّع إلى خلقة داجمر البشعة من جديد. ليس الأمر كأن أخبارًا عن وصوله لم تَبلُغهم مثلًا، فروب أرسلَ غِدفانًا من ريڤرزن، وعندما لم يجدوا سُفنًا طويلةً في سيجارد، أرسلَ چيسون ماليستر طيوره الخاصَّة إلى پايك، مفترضًا أن طيور روب لم تصل.

لكنه لم يرَ أيَّ وجوهٍ مألوفة، أو حَرس شَرَفٍ ينتظرون لاصطحابه من لوردزپورت إلى پايك، فقط الأهالي الذين انصرَفوا إلى أمورهم التَّافهة، عُمَّال الشَّاطئ يُدَحرِجون براميل النَّبيذ من القادس التِّجاري التايروشي، والصيَّادون يُنادون على حصيلة اليوم، والأطفال يجرون ويلعبون. كان واحد من رُهبان الإله الغريق يرتدي كسوة طائفته ذات ألوان مياه البحر، ويقود حصانين على الشَّاطئ المفروش بالحصى، بينما مالَت من فوقه مومس من إحدى نوافذ الخان، لتُنادي بعض البحَّارة الإيبنيزيِّين المارِّين.

احتشدَ عدد صغير من تجَّار لوردزپورت ليُقابِلوا السَّفينة، ورفعوا أصواتهم



بالأسئلة بينما يربط رجال «الميراهام» حبالها بالمرسى، فزعقَ الرُّبَّان مجيبًا إياهم من أعلى: «جئنا من البلدة القديمة، ونحمل تُفَّاحًا وبرتقالًا، ونبيذًا من «الكرمة»، وريشًا من جُزر الصَّيف، ومعي فلفل وجِلد مجدول ولفَّة من الحرير المايري، ومرآة لسيِّدتي، وقيثارتان خشبيَّتان مصنوعتان في البلدة القديمة، صوتهما في غاية العذوبة». نزلَ لوح العبور المتحرِّك مصدرًا صريرًا، وحطَّ على الأرض بصوتٍ مكتوم، فأردفَ الرُّبَّان: «كما أني أعدتُ وريثكم إليكم».

حدجَ أهل لوردزپورت ثيون بنظراتٍ بليدة خاوية، فأدركَ أن لا عِلم لهم بمَن يكون، واعتملَ الغضب في نفسه. هكذا دَسَّ تنِّينًا ذهبيًّا في يد الرُّبَّان قائلًا: «اجعل رجالك يأتون بأغراضي»، وقطعَ لوح العبور إلى الرَّصيف دون أن ينتظر ردًّا، وزعقَ: «يا صاحب الخان، أريدُ حصانًا».

- «كما تقول يا سيِّدي»، رَدَّ الرَّجل دون أن يُكَلِّف نفسه مجرَّد انحناءة، ما نبَّه ثيون إلى أنه نسيَ أن حديديِّي الميلاد قد يكونون وقحين أحيانًا. «لديَّ واحد قد يَصلُح لك. إلى أين أنت ذاهب يا سيِّدي؟».

- «پايك». ما زال الأحمق لم يتعرَّفه. كان حريًّا به أن يرتدي سُترته الأنيقة، ذات الكراكن المطرَّز على صدرها.

قال صاحب الخان: «ستُريد أن تتحرَّك قريبًا إذن لتَبلُغ پايك قبل حلول الظَّلام. سيذهب صبيِّي معك ويُريك الطَّريق».

جاءَ صوت عميق يقول: «لن تكون هناك حاجة إلى صبيِّك أو حصانك. سأصحبُ ابن أخي إلى بيت أبيه بنفسي».

كان المتكلِّم هو الرَّاهب الذي رآه يقود الحصانين على الشَّاطئ، وانحنى الأهالي مع اقترابه، وسمعَ ثيون صاحب الخان يُتَمتِم: «ذو الشَّعر الرَّطب».

كان الرَّاهب فارع القامة نحيل القوام، لديه عينان سوداوان قويَّتا النَّظرات وأنف معقوف، ويرتدي كسوةً مرقَّعةً من الأخضر والرَّمادي والأزرق، ألوان الإله الغريق الملتفَّة كالدَّوَّامة، وقد علَّق تحت إبطه قِربة ماءٍ بشريطٍ جلدي، بينما جُدِلَت حبال من عُشب البحر في لحيته غير المشذَّبة وشَعره الأسود الذي يصل إلى خصره.

وثبَت الذِّكرى إلى عقل ثيون فجأةً. كان اللورد بالون قد كتبَ في أحد



خطاباته المقتضبة النَّادرة أن البحر ابتلع أخاه الأصغر في عاصفة، وأنه تديَّن بَعد أن لفظَته المياه حيًّا على الشَّاطئ. سألَه بشَك: «العم آرون؟».

رَدَّ الرَّاهب: «ثيون ابن أخي، أبوك أمرَني بإحضارك. تعالَ».

- «لحظة يا عمَّاه»، والتفتَ إلى «الميراهام» قائلًا للرُّبَّان بلهجةٍ آمرة: «أغراضي».

نزلَ إليه أحد البحَّارة بقوسه المصنوع من خشب الطَّقسوس وكنانة السِّهام، لكن ابنة الرُّبَّان هيِ من أتَته بصُرَّة ثيابه الأنيقة، وقالت له بعينين محمرَّتين: «سيِّدي»، وحاولت أن تُعانِقه وهو يلتقط منها الصُّرَّة، هناك أمام أبيها وعمِّه رجل الدِّين ونِصف سُكَّان الجزيرة.

تراجعَ ثيون بحركةٍ سريعةٍ قائلًا: «لكِ شُكري».

- «أرجوك، إنني أحبُّك كثيرًا يا سيِّدي».

قال: «يجب أن أذهب»، وهرعَ وراء عمِّه الذي كان قد ابتعدَ على الرَّصيف بالفعل، فلحقَ به ثيون بخطواتٍ واسعة، وقال: «لم أتوقَّع أن أجدك هنا يا عمَّاه. حسبتُ أن مرور عشر سنواتٍ كاملة سيجعل السيِّد والدي والسيِّدة والدتي يأتيان بنفسيهما، أو يُرسِلان داجمر مع حَرس شَرف».

- «ليس لك أن تُناقِش أوامر سيِّد حصاد پايك»، قال الرَّاهب بلهجةٍ فاترة، على غير عادة الرَّجل الذي يتذكَّره ثيون تمامًا. كان آرون جرايچوي الألطف معشرًا بين أعمامه، لا مبالٍ في أسلوبه وسريع الضَّحك، ومغرمًا بالأغاني والمِزر والنِّساء. «أمَّا داجمر ذو الفَك المفلوق فقد ذهبَ إلى ويك القديمة بتعليماتٍ من أبيك، لحَضِّ عائلتي ستونهاوس ودروم على حشد رجالهما».

- «لأيِّ غاية؟ لماذا تحتشد السُّفن الطَّويلة؟».

- «لماذا تحتشد السُّفن الطَّويلة عادةً؟». كان عمُّه قد تركَ الحصانين مربوطيْن أمام الخان المطلِّ على الماء، وعندما وصلا إليهما التفتَ إلى ثيون قائلًا: «اصدُقني القول يا ابن أخي، هل تُصلِّي لآلهة الذِّئاب الآن؟».

لم تكن الصَّلاة شيئًا يُمارِسه ثيون إلَّا نادرًا، لكن هذا ليس بالشَّيء الذي يُمكنك أن تعترف به لراهب، حتى إذا كان شقيق أبيك نفسه. هكذا أجابَ: «ند ستارك كان يُصلِّي لشجرة. كلا، لستُ أبالي بآلهة ستارك مطلقًا».



- «عظيم. اركع».

كانت الأرض كلها حجارة ووحل، فقال ثيون معترضًا: «عمَّاه، إنني...».

- «قلتُ اركع، أم أنك صرت تترفَّع علينا باعتبارك اللورد الصَّغير القادم من الأراضي الخضراء وحَلَّ بيننا؟».

وركعَ ثيون. إن لديه هدفًا هنا، وقد يحتاج مساعَدة آرون لتحقيقه، والتَّاج يستحقُّ القليل من الوحل وبراز الخيول على سراويله، على ما يعتقد.

- «احنِ رأسك»، قال عمُّه رافعًا القِربة، ثم خلعَ السِّدادة وصَبَّ خيطًا رفيعًا من ماء البحر على رأس ثيون، ليتخلَّل شَعره ويسيل على جبهته إلى عينيه. انسابَ الماء على وجنتيه، وشعرَ بإصبعٍ باردٍ يزحف على ظَهره تحت معطفه وسُترته، كجدولٍ صغير يجري على عَموده الفقري، وأحرقَ الملح عينيه حتى إنه كتمَ صيحة الألم بصعوبة، وشعرَ بمذاق المحيط على شفتيه، بينما ترنَّم آرون جرايچوي: «دَع خادمك ثيون يولَد من البحر من جديد كما وُلِدتَ. بارِكه بالملح، بارِكه بالحجر، بارِكه بالصُّلب. أما زلت تعرف الكلمات يا ابن أخي؟».

قال ثيون متذكِّرًا: «عسى الميِّت ألَّا يموت أبدًا».

- «عسى الميِّت ألَّا يموت أبدًا»، ردَّد عمُّه. «بل يُبعَث من جديد، أقوى وأصلب. انهَض».

نهضَ ثيون وعيناه تطرفان بسرعةٍ ليحبس الدُّموع التي هيَّجها الملح، وبلا كلماتٍ إضافيَّة وضعَ عمُّه سدادة القِربة وحَلَّ وثاق حصانه وامتطاه، فحذى ثيون حذوه وتحرَّكا معًا تاركيْن الخان والمرفأ وراءهما، ليصعدا التِّلال الحجريَّة مرورًا بقلعة اللورد بوتلي، ومرَّت فترة دون أن ينبس الرَّاهب ببنت شفة.

أخيرًا قال ثيون: «لقد قضيتُ نِصف حياتي بعيدًا عن الدِّيار، فهل سأجدُ أن الجُزر تغيَّرت؟».

- «الرِّجال يصطادون في البحر ويَحفُرون في اليابسة ويموتون، والنِّساء يلدن أطفالهن بالدَّم والألم ويَمُتن، والنَّهار يتبع اللَّيل، والرِّيح ومواسم المَدِّ والجَزر كما هي. الجُزر كما خلقَها إلهنا».



لقد صارَ جهيمًا حقًّا بحقِّ الآلهة. «هل سأجدُ أختي والسيِّدة والدتي في بايك؟».

- «كلا، أمُّك مقيمة في هارلو مع أختها، فالجوُّ أكثر اعتدالًا هناك، وهي تُعاني من السُّعال. أختك أخذَت «الرِّيح السَّوداء» إلى ويك الكُبرى ومعها رسائل من السيِّد والدك، لكنها سرعان ما ستعود، اطمئن».

لم يكن ثيون يحتاج إلى أن يقول له أحد إن «الرِّيح السَّوداء» هي سفينة آشا الطَّويلة. إنه لم يرَ أخته منذ عشرة أعوام كاملة، لكنه يعرف هذا عنها على الأقل. من الغريب أن تُطلِق عليها هذا الأسم بينما يعني اسم ذِئب روب ستارك الرِّيح الرَّماديَّة. غمغمَ مبتسمًا: «الرَّمادي لون ستارك والأسود لون جرايچوي، لكن يبدو أن الرِّيح قاسم مشترَك بيننا». لم يُعَلِّق الرَّاهب بكلمةٍ واحدة، فبادَره ثيون: «وماذا عنك يا عمَّاه؟ لم تكن راهبًا عندما أخَذوني من بايك، وأذكرُ كيف كنت تغنِّي أغاني الغارات القديمة وأنت واقف على الطاولة وفي يدك قرن من المِزر».

قال آرون جرايچوي: «صغيرًا كنتُ، ومغرورًا، لكن البحر غسلَني من حماقاتي وغروري. ذلك الرَّجل غرقَ يا ابن أخي، وامتلأت رئتاه بماء البحر، وأكلَت الأسماك القشور من على عينيه. عندما نهضتُ من جديدٍ تفتَّحت بصيرتي».

إنه مجنون بقَدر ما هو عابس. لقد أحبَّ ثيون ما تذكَّره عن آرون جرايچوي القديم. «عمَّاه، لماذا يحشد أبي رجاله وسُفنه؟».

- «مؤكَّد أنه سيُخبِرك في بايك».

- «أريدُ أن أعرف مخطَّطه الآن».

- «لن تعرف شيئًا مني، فنحن مأمورون بألَّا نتكلم عن هذا مع أيٍّ أحد».

مغضبًا قال ثيون: «حتى معي؟». لقد قادَ رجالًا في الحرب، وخرجَ للصَّيد مع ملك، وفازَ بمرتبة شرفٍ في الالتحام الجماعي في دورة مباريات، وركبَ مع برايندن السَّمكة السَّوداء وچون أومبر الكبير، وقاتلَ في الغابة الهامسة، وضاجعَ فتياتٍ أكثر مما يتذكَّر، وعلى الرغم من ذلك يُعامِله عمُّه كأنه ما زال



طفلًا في العاشرة. «إذا كان لدى أبي مخطَّط للحرب، فيجب أن أعرف به. أنا لستُ أيَّ أحد، بل وريث پايك وجُزر الحديد».

قال عمُّه: «سوف نرى».

أصابَه القول كصفعةٍ على الوجه، وردَّد: «سوف نرى؟ كِلا أخويَّ ميت، وأنا ابن السيِّد والدي الحي الوحيد».

- «أختك حيَّة».

آشا، فكَّر والدَّهشة تَغمُره. إنها تَكبُره بثلاثة أعوام، لكن... قال بإصرار بصوتٍ عالٍ: «تستطيع المرأة أن ترث فقط إذا لم يكن هناك وريث ذَكر في التَّسلسُل المباشر. لن أسمح بأن يغشَّني أحد في حقوقي، فاحذر».

زجرَه عمُّه: «تُحَذِّر خادمًا للإله الغريق يا ولد؟ يبدو أنك نسيت أشياء أكثر مما تظنُّ، ولا بُدَّ أنك أحمق كبير إذا كنت تتصوَّر حقًّا أن السيِّد والدك سيُسَلِّم هذه الجُزر المقدَّسة لواحدٍ من آل ستارك. والآن الزم الصَّمت، فالمسافة طويلة كفايةً دون ثرثرتك».

أمسكَ ثيون لسانه على مضض، وفكَّر: هكذا إذن. كأن عشرة أعوام في وينترفل تكفي لأن تجعل منه ستارك. لقد ربَّاه اللورد إدارد بين أولاده، لكن ثيون لم يكن منهم قَطُّ، والقلعة كلها من الليدي كاتلين إلى أصغر عاملةٍ في المطبخ، كانت تعرف أنه رهينة لضمان أن يُحسِن أبوه الأدب، وعامَله الجميع على هذا الأساس، وحتى چون سنو ابن الزِّنى كان يُعامَل باحترام أكثر منه.

كان اللورد إدارد يُحاوِل أن يلعب دور الأب بين الحين والآخَر، لكنه ظَلَّ دائمًا عند ثيون الرَّجل الذي جاءَ بالدَّم والنَّار إلى پايك وأخذَه من وطنه. عاشَ ثيون صِباه في خوفٍ مستمرٍّ من ملامح اللورد إدارد الصَّارمة وسيفه العظيم الدَّاكن، أمَّا زوجته فكانت نائيةً وشكَّاكةً أكثر. بالنِّسبة لأولادهما، فالصِّغار كانوا مجرَّد أحداث طيلة سنواته في وينترفل، وفقط روب وأخوه غير الشَّقيق چون سنو كانا كبيرين بما يكفي لأن يستحقَّا اهتمامه. النَّغل كئيب عابس، وسريع الإحساس بالإهانة، ويغار من أصل ثيون النَّبيل واحترام روب له، أمَّا روب نفسه فثيون يُكِنُّ له وُدًّا لا شَكَّ فيه، كأنه أخوه الصَّغير... وإن كان من الأفضل ألَّا يَذكُر ذلك، إذ يبدو أن الحروب القديمة لا تزال مشتعلةً في پايك،



ولا غرو في هذا، فجُزر الحديد تعيش في الماضي، لأن الحاضر أقسى وأمرُّ من أن يُحتَمَل، كما أن أباه وأعمامه مسنُّون، والمسنُّون هكذا دائمًا، يأخذون خصوماتهم وضغائنهم القديمة المكسوَّة بالتُّراب وشباك العناكب معهم إلى القبر، لا ينسون شيئًا ولا يغفرون أبدًا.

الشَّيء نفسه كان حاصلًا مع آل ماليستر، رفاقه في الرِّحلة من ريفررَن إلى سيجارد، فبينما لم يكن پاتريك ماليستر شابًّا سيِّئ الصُّحبة على الإطلاق، خصوصًا أن الاثنين يشتركان في حُبِّ النِّساء والنَّبيذ والصَّيد، إلَّا أن اللورد چيسون عندما رأى وريثه وقد صارَ مغرمًا أكثر من اللَّازم برِفقة ثيون، انتحى بپاتريك جانبًا ليُذَكِّره بأن سيجارد قد شُيِّدَت للدِّفاع عن السَّاحل ضد مغيري جُزر الحديد، وعلى رأسهم آل جرايچوي أولاد پايك، وأن بُرج عائلة ماليستر المسمَّى «بُرج الدَّوي» استمدَّ اسمه من النَّاقوس البرونزي الهائل في قمَّته، الذي يُدَقُّ لاستدعاء أهل البلدة وعُمَّال الحقل إلى داخل القلعة، عندما تلوح السُّفن الطَّويلة للعيان في الأُفق الغَربي.

- «دعك من أن النَّاقوس لم يُدَق إلَّا مرَّةً واحدةً فقط طيلة ثلاثمئة عام»، قال پاتريك لثيون في اليوم التَّالي وهو يُطلِعه على تحذيرات أبيه ويتقاسَم معه إبريقًا من نبيذ التُّفَّاح الأخضر.

قال ثيون: «عندما هاجمَ أخي سيجارد». كان اللورد چيسون قد قتلَ رودريك جرايچوي تحت أسوار القلعة، وأجبرَ الرِّجال الحديديِّين على الانسحاب إلى الخليج. «إذا كان أبوك يعتقد أني أكنُّ له عداوةً ما، فالسَّبب فقط أنه لم يعرف رودريك». ضحكَ الاثنان معًا على التَّعليق وهما ينطلقان إلى زوجة طحَّانٍ شابَّة حسناء يعرفها پاتريك. ليت پاتريك كان معي الآن. ماليستر أو لا، تظلُّ صُحبته ألطف بكثير من هذا الرَّاهب العجوز العابس الذي أصبحه عمُّه آرون.

التفَّ الدَّرب الذي يَسلُكانه إلى أعلى وأعلى بين التِّلال الحجريَّة العارية، وسرعان ما غابَ البحر عن أنظارهما، وإن ظلَّت رائحة الملح اللَّاذعة عالقةً في الهواء الرَّطب، وحافَظا على حركتهما المتهادية وهما يَمُرَّان بمزرعة راعٍ صغيرة ومنجمٍ مهجور. آرون جرايچوي المتديِّن الجديد هذا لا يعبأ بالكلامَ



حقًّا، وهكذا تحرَّكا والصَّمت يُخَيِّم عليهما حتى نفدَت قُدرة ثيون على احتماله أخيرًا، وقال: «روب ستارك سيِّد وينترفل الآن».

قال آرون ماضيًا في طريقه: «لا فارق كبيرًا بين ذئب وآخَر».

- «روب نقضَ ولاءه للعرش الحديدي وتوَّج نفسه ملكًا في الشَّمال. هناك حرب محتدمة».

- «غِدفان المِايستر تطير فوق الملح كما تطير فوق الصَّخر، وهذه الأخبار قديمة».

- «كلُّ هذا يعني أن يومًا جديدًا أتى يا عمَّاه».

- «كلُّ صباح يأتي لنا بيوم جديد، تمامًا كسابقه».

- «سيُخالِفونَك الرَّأي في ريفرِرَن. يقولون إن المذنَّب الأحمر بشير عصرٍ جديد، إنه رسول من الآلهة».

قال الرَّاهب: «هو علامة حقًّا، ولكن من إلهنا نحن وليس آلهتهم. إنه وَسْمٌ متَّقد كالذي كان قومنا يحملونه قديمًا، لهب الإله الغريق المنبثق من مياه البحر، ليُعلِن أن المَدَّ يرتفع. لقد حان الوقت لأن نفرد أشرعتنا ونَخرُج إلى العالم بالنَّار والسَّيف كما فعلَ هو».

ابتسم ثيون قائلًا: «متَّفقٌ تمامًا».

- «اتِّفاق الإنسان مع الإله كاتِّفاق قطرة ماءٍ مع عاصفة».

قطرة الماء هذه ستكون ملكًا يومًا ما أيها العجوز. كان ثيون قد اكتفى تمامًا من اكفهرار عمِّه، فوكزَ حصانه وتقدَّم به وعلى شفتيه تتلاعَب ابتسامة.

كانت الشَّمس تميل إلى المغيب بالفعل عندما بلغا أسوار پايك الحجريَّة الدَّاكنة، التي تتَّخذ شكلًا هلاليًّا وتمتدُّ بين جُرفين، بينما يقبع مبنى البوَّابة في المنتصَف، وترتفعُ ثلاثة أبراج مربَّعة على كلِّ جانب. ما زال ثيون يستطيع تمييز الآثار التي تركَتها أحجارُ مجانيق روبرت باراثيون، وإن لاحظَ أن بُرجًا جَنوبيًّا جديدًا قد أقيمَ من أطلال البُرج القديم، لون حجارته الرَّمادي أفتح درجةً من غيره، وما زالت رُقع الطَّحالب الخضراء لم تنتشر عليه. هذا هو المكان الذي فتحَ فيه روبرت ثغرته، واقتحمَ المكان داهسًا الأنقاض والجُثث وفي يده مطرقته الحربيَّة وإلى جواره ند ستارك. شاهدَ ثيون كلَّ هذا من مكانٍ



آمنٍ في بُرج البحر، ولم يزل يرى المشاعل في أحلامه أحيانًا، ويسمع صوت الانهيار كالرَّعد المكتوم.

وجدَ البوَّابات مفتوحةً أمامه والشَّبكة الحديديَّة الصَّدئة مرفوعةً، وفي الشُّرفات راقبَ الحَرس بأعيُن الغُرباء وقد عادَ ثيون جرايچوي إلى بيته أخيرًا.

وراء السُّور الواقي يمتدُّ رأس بحري مساحته خمسون فدَّانًا، تتبايَن قسوته مع السَّماء والبحر. تقع الاسطبلات هنا، وأوجرة الكلاب كذلك، مع عددٍ من المباني الفرعيَّة المتناثرة هنا وهناك، بينما تربض الخراف والخنازير في حظائرها، وتتحرَّك كلاب القلعة بحرِّيَّة. إلى الجَنوب هناك الجُروف والجسر الحجري الواسع الذي يقود إلى الحصن الكبير. ترامى صوت انكسار الأمواج إلى مسامع ثيون وهو يثب عن ظَهر حصانه، الذي جاءَ عامل اسطبل ليأخذه، فيما رمقَه طفلان هزيلان وعدد من الخدم بنظراتٍ خاوية، لكن لم يكن هناكَ أثر للسيِّد والده أو أيٍّ أحدٍ آخَر يتذكَّره من صباه. عودٌ غير حميد على الإطلاق. لم يترجَّل الرَّاهب، فقال له: «ألن تبقى اللَّيلة وتُشارِكنا الطَّعام والشَّراب يا عمَّاه؟».

- «قيلَ لي أن أُحضِرك، وقد أحضَرتك، والآن أعودُ إلى شؤون إلهنا»، ودار آرون جرايچوي بحصانه وتحرَّك به ببطءٍ تحت أعواد الشَّبكة الحديديَّة المدبَّبة الملوَّثة بالوحل.

دنَت منه عجوز شمطاء محنيَّة الظَّهر ترتدي ثوبًا رماديًّا قبيحًا، وقالت له بحذر: «سيِّدي، أنا هنا لأريك مسكنك».

- «بأمر مَن؟».

- «السيِّد والدك يا سيِّدي».

خلعَ ثيون قُفَّازيه، وقال: «تعرفين من أكونُ إذن. لماذا لم يأتِ أبي لتحيَّتي؟».

- «إنه ينتظرك في بُرج البحر يا سيِّدي، بَعدما تستريح من رحلتك».

وحسبتُ ند ستارك باردًا. «ومن تكونين؟».

- «هيليا، التي ترعي هذه القلعة للسيِّد والدك».



- «سايلاس كان الوكيل هنا. كانوا يُلَقِّبونه بكريه الأنفاس». حتى الآن يستطيع ثيون أن يتذكَّر رائحة النَّبيذ العطنة التي كانت تُفعِم أنفاس العجوز.

- «ماتَ منذ خمسة أعوام يا سيِّدي».

- «وماذا عن المِايستر كالن؟ أين هو؟».

- «نائم في البحر. ويندامير يُعنى بالغِدفان الآن».

كأني غريب هنا. كلُّ شيءٍ كما هو، وكلُّ شيءٍ تغيَّر. قال آمرًا: «اصحبيني إلى مسكني يا امرأة»، فانحنَت العجوز بحركةٍ متصلِّبة وقادَته عبر الرَّأس البحري إلى الجسر. على الأقل يظلُّ الجسر كما يتذكَّره، بحجارته العتيقة الزَّلقة من جرَّاء الرَّذاذ، والطَّحالب المنتشرة عليها، والبحر يرغي ويزبد تحت أقدامهما كوحشٍ ضارٍ عملاق، والرِّيح المالحة تتشبَّث بثيابهما.

متى تخيَّل ثيون عودته إلى وطنه، كان يرى نفسه دائمًا يعود إلى غُرفة النَّوم الوثيرة في بُرج البحر، التي كان ينام فيها طفلًا، لكن بدلًا من هذا قادَته العجوز إلى الحصن الدَّامي. هنا القاعات والغُرف أوسع وأفضل تأثيثًا، وإن كانت لا تقلُّ برودةً ورطوبةً عن غيرها. أُعطيَ ثيون جناحًا من الغُرف الباردة ذات السُّقوف العالية جدًّا حتى إن الظَّلام يبتلعها، وكان ليَشعُر برضا أكثر لو لم يكن يعلم أن هذه الغُرف بالتَّحديد هي التي منحَت الحصن الدَّامي اسمه، فقبل ألف عام ذُبِحَ أبناء ملك النَّهر هنا، ومُثِّل بجُثثهم في أسرَّتهم كي تُرسَل قِطع منها إلى أبيهم على البَر.

لكن أولاد جرايچوي لا يُقتَلون على أيدي إخوتهم في پايك إلَّا كل ردح من الزَّمن، كما أن أخويه ميتان على كلِّ حال. لم يكن الخوف من الأشباح هو ما جعلَه يتطلَّع حوله بنفور، فمعلَّقات الجدران خضراء من فرط العفن المنتشر فيها، وحشيَّة الفِراش مرتخية وتفوح منها رائحة كريهة، والملاءات والأغطية قديمة ومتيبِّسة. سنوات كاملة جاءَت وراحَت منذ فُتِحَ هذا الجناح آخِر مرَّة، والرُّطوبة تَنخُر العظام. قال للشَّمطاء: «أريدُ طَستًا من الماء السَّاخن ونارًا في هذا المستوقَد، واعملي على أن يُوقِدوا المستوقَدات في الغُرف الأخرى لتَطرُد شيئًا من البرودة، واجعلي أحدًا يأتي لتبديل هذه الملاءات في الحال بحقِّ الآلهة».



- «نعم يا سيِّدي، كما تأمر»، قالت وولَّت الأدبار.

مَرَّ بعض الوقت قبل أن يُحضِروا الماء السَّاخن الذي طلبَه، فوجدَه فاترًا، وسرعان ما بردَ، ثم إنه كان ماء بحر، لكنه كفى لغسل تُراب الرِّحلة الطَّويلة من المرفأ عن وجهه ويديه. فيما أشعلَ اثنان من الخدم المستوقَدات، تجرَّد ثيون من ثيابه التي لوَّثها السَّفر، وارتدى ثيابًا نظيفةً ليلتقي أباه. اختارَ حذاءً طويل العُنق من الجلد الأسود اللَّين، وسراويل رماديَّةً تميل إلى الفضِّي من صوف الحِملان النَّاعم، وسُترةً مخمليَّةً سوداء طُرِّز كراكن عائلة جرايچوي الذَّهبي على صدرها. حول عُنقه وضعَ سلسلةً ذهبيَّةً رفيعةً، وحول خصره حزامًا من الجِلد المبيَّض، وعلَّق خنجرًا على وَركه وسيفًا طويلًا على الوَرك الآخَر، كلاهما في غمدٍ مخطَّط بالأسود والذَّهبي. سحبَ الخنجر واختبرَ نصله بإبهامه، ثم سحبَ مِشحذًا من جراب في حزامه ومرَّر حافة الخنجر عليه بضع مرَّات. «أنتظرُ أن أجد المكان دافئًا والملاءات نظيفةً عندما أعودُ»، قال للخدم منذرًا وهو يرتدي زوجًا من القُفَّازات السَّوداء، حريرهما مزيَّن بأشكالٍ شجريَّة خيوطها من ذهب.

عادَ ثيون إلى الحصن الكبير عبر ممشى حجري مغطًّى، يمتزج صدى خطواته بهدير مياه البحر اللا نهائي القادم من أسفل. للوصول إلى بُرج البحر القائم على عموده المتآكل، اضطرَّ لعبور ثلاثة جسورٍ أخرى، كلٌّ منها أضيق من سابِقه، وآخِرها مصنوع من الخشب والحبال، فجعلَته الرِّيح المالحة المبتلَّة يتأرجَح تحت قدميه ككائنٍ حي. كان قلب ثيون في فمه بالفعل وقد قطعَ نِصف الطَّريق، وبعيدًا في الأسفل نثرَت الأمواج خيوطًا طويلةً من الرَّذاذ وهي تنكسر على الصَّخرة. في صِباه كان يجري جريًا على هذا الجسر، حتى في سواد اللَّيل، والآن همسَت له شكوكه: الصِّبية يؤمنون بأن لا شيء يُمكنه أن يؤذيهم، لكن الرِّجال البالغين أعقل من هذا.

كان الباب من الخشب الرَّمادي المدعَّم بالحديد، الخشب رطب وبالٍ والدِّعامات الحديديَّة صدئة، وقد وجدَه ثيون موصَدًا من الدَّاخل فدقَّه بقبضته، وأطلقَ سُبَّةً عندما اشتبكَت شظية بنسيج قُفَّازه.



بَعد وهلةٍ انفتحَ الباب من الدَّاخل، ولاحَ حارس يرتدي واقي صدرٍ أسود حديديًّا وخوذةً عظيمةً، وقال: «أنت الابن؟».

قال ثيون: «ابتعد عن طريقي، وإلَّا ستتعلَّم من أكونُ»، فانزاحَ الرَّجل جانبًا، وصعدَ ثيون الدَّرجات الملتوية إلى الغُرفة الشَّمسيَّة، حيث وجدَ أباه جالسًا إلى جوار مستوقَدٍ تحت معطفٍ من جِلد الفقمات البالي، يُغَطِّيه من قدميه إلى ذقنه. مع وقع الخطوات على الحجر، رفعَ سيِّد جُزر الحديد عينيه ليتطلَّع إلى آخِر من تبقَّى على قيد الحياة من أبنائه. كان أصغر حجمًا مما يتذكَّره ثيون، وشديد النُّحول. دائمًا ما كان بالون جرايچوي نحيلًا، إلَّا أنه يبدو الآن كأن الآلهة وضعَته في مرجلٍ وسلقَت كلَّ ما في جسمه من لحم حتى انفصلَ عن عظامه، فلم يتبقَّ شيء غير الجِلد والشَّعر. نحيلٌ كالعظام هو، وصُلب مثلها، وجهه يبدو كما لو أنه قُدَّ من حجر الصوَّان، وعيناه تحملان الطَّابع نفسه، سوداوان حادَّتان، لكن السِّنين والرِّيح المالحة أحالَتا شَعره إلى لونٍ رماديٍّ كالبحر في الشِّتاء، وأشاعَت فيه الشَّيب هنا وهناك، وإن انسابَ بلا رباطٍ حتى تجاوزَ أسفل ظَهره.

أخيرًا قال اللورد بالون: «تسعة أعوام؟».

- «عشرة»، أجابَ ثيون وهو يخلع قُفَّازه الذي تمزَّق.

قال أبوه: «صبيًّا أخَذوا، فماذا تكون الآن؟».

- «أنا رجل، دمك ووريثك».

أطلقَ اللورد بالون نخيرًا، وقال: «سنرى».

ردَّد ثيون مؤكِّدًا: «نعم، سنرى».

- «عشرة أعوام تقول، أي أن ستارك حظيَ بك مدَّةً مماثلةً لي، والآن تأتي مندوبًا عنه».

- «ليس هو، اللورد إدارد ماتَ، قطعَت الملكة ابنة لانستر رأسه».

- «كلاهما ماتَ، ستارك وروبرت هذا الذي حطَّم أسواري بأحجاره. لقد أقسمتُ أن أحيا حتى أرى كليهما في قبره، وقد كانَ»، وأردفَ مكشِّرًا: «لكن مفاصلي لا تزال تتوجَّع من البرد والرُّطوبة، تمامًا كما كانت تفعل وهما حيَّان، فما الفائدة إذن؟».



قال ثيون: «هناك فائدة»، واقتربَ مضيفًا: «إن معي رسالة...».

- «هل علَّمك ند ستارك أن ترتدي هذه الثِّياب؟»، قاطَعه أبوه وقد ضيَّق عينيه من تحت معطفه. «أكانت رغبته أن يُلبِسك المخمل والحرير ويجعل منك ابنته الحُلوة؟».

شعرَ ثيون بالدِّماء تصعد إلى وجهه، وقال: «لستُ ابنة أحد. سأبدِّلُ ثيابي إذا كانت لا تُعجِبك».

- «ستفعل». أزاحَ اللورد بالون الأغطية وألقاها، ودفعَ نفسه لينهض، فرأى ثيون أنه ليس بالطُّول الذي يتذكَّره. «تلك الحِلية الرَّخيصة حول عُنقك، هل اشتريتها بالذَّهب أم الحديد؟».

مَسَّ ثيون السِّلسلة الذَّهبيَّة. لقد نسيَ... ومَرَّ وقت طويل جدًّا... في «النَّهج القديم»، تستطيع النِّساء التزيُّن بالحُلِيِّ المُشتراة بالنُّقود، لكن المُحارِب لا يرتدي إلَّا الجواهر التي أخذَها من جُثث أعدائه الذين قتلَهم بنفسه، ما يُسَمِّيه أهل الجُزر «دفْع الثَّمن الحديدي».

- «وجهك مضرَّج بحُمرة الخجل كبنتٍ عذراء يا ثيون. سألتك سؤالًا، هل دفعت الثَّمن ذهبًا أم حديدًا؟».

أجابَ ثيون: «ذهبًا».

دَسَّ أبوه أصابعه تحت السِّلسلة، وشدَّها بعُنفٍ كان كفيلًا بأن يخلع رأس ثيون من على كتفيه لو لم تنقصم السِّلسلة أولًا. «ابنتي اتَّخذت من فأسٍ عشيقةً لها»، قال اللورد بالون. «ولن أسمح أن يُزَيِّن ابني نفسه كالعاهرات»، وألقى السِّلسلة المقطوعة على المستوقَد، حيث انزلقَت بين الجمرات. «ما كنتُ أخشاه تحقَّق، الأراضي الخضراء جعلَتك ناعمًا وأولاد ستارك جعلوك واحدًا منهم».

- «أنت مخطئ، ند ستارك كان سجَّاني، لكن دمي لا يزال ملحًا وحديدًا».

استدارَ اللورد بالون ليُدفئ يديه المعروقتين على المستوقَد، وقال: «ومع ذلك يبعثك جرو ستارك إليَّ كغُدافٍ مدرَّب يقبض على رسالته الصَّغيرة».

- «ليس هناك شيء صغير في الرِّسالة التي أحملها، والعرض الذي يُقَدِّمه كان من اقتراحي أنا».



بدَت الفكرة طريفةً للورد بالون الذي قال: «الملك الذِّئب يُصغي لنصائحك إذن؟».

- «يُصغي لي، نعم. لقد خرجتُ للصَّيد معه، وتدرَّبت معه، وتقاسَمتُ معه الطَّعام والشَّراب، وقاتلتُ إلى جانبه، ولهذا استحققتُ ثقته. إنه يعتبرني أخًا أكبر، و...».

- «لا!»، قال أبوه ملوِّحًا بإصبعه في وجهه. «ليس هنا، ليس في پايك، ليس على مسامعي، لن تُسَمِّيه أخاك، ذلك الذي أنجبَه الرَّجل الذي قتلَ أخويك، أم أنك نسيت رودريك ومارون اللذين كانا من لحمك ودمك؟».

- «لم أنسَ شيئًا». لم يَقتُل ند ستارك أيًّا من أخويه في الحقيقة، فرودريك أسقطَه اللورد چيسون ماليستر في سيجارد، ومارون سُحِقَ تحت أنقاض البُرج الجَنوبي القديم... على أن ستارك كان ليَقتُلهما بلا تردُّدٍ لو ألقى تيَّار المعركة بهما في طريقه. قال ثيون بإصرار: «أتذكَّر أخويَّ جيدًا جدًّا». إنه يتذكَّر في الغالب دعابات رودريك وهو ثمل، ومزاح مارون القاسي وكذبه اللا نهائي. «وأتذكَّرُ عندما كان أبي ملكًا أيضًا»، وأخرجَ رسالة روب ومَدَّ يده بها قائلًا: «هاك. اقرأ... يا جلالة الملك».

كسرَ اللورد بالون الختم وبسطَ الرَّق، وجاسَت عيناه السَّوداوان في السُّطور جيئةً وذهابًا، ثم قال: «إذن سيُعطيني الصَّبي تاجًا من جديد، وكلُّ المطلوب مني أن أدمِّر أعداءه»، ولوى شفتيه الرَّفيعتين راسمًا عليهما ابتسامة.

- «روب عند قلعة «النَّاب الذَّهبي» الآن، وبمجرَّد أن تَسقُط، سيَعبُر التِّلال في غضون يوم واحد. جيش اللورد تايوين في هارنهال، مفصول عن الغَرب، وقاتِل الملك أسير في ريڤررَن، وبخلاف السير ستافورد لانستر والجُند الخُضر عديمي الخبرة الذين جمعَهم، لم يبقَ هناك من يُواجِه روب في الغَرب. سيضع السير ستافورد نفسه بين جيش روب ولانسپورت، ما يعني أن المدينة ستكون بلا دفاعات عندما ننزل عليها من البحر. إذا كانت الآلهة معنا، فحتى كاسترلي روك نفسها قد تَسقُط قبل أن يُدرِك آل لانستر أننا نُهاجِمهم أصلًا».

دمدمَ اللورد بالون: «كاسترلي روك لم تَسقُط من قبل قَطُّ».



مبتسمًا قال ثيون: «حتى الآن». وكم سيكون هذا رائعًا.

لم يُبادِله أبوه الابتسام، وقال: «ألهذا إذن يُعيدك روب ستارك إليَّ بَعد كلِّ هذه السِّنين؟ كي تَحصُل عليَّ موافَقتي على خطَّته هذه؟».

رَدَّ ثيون مزهوًّا: «إنها خطَّتي». من صُنعي أنا، كما سيكون النَّصر لي أنا، والتَّاج عندما يحين الوقت. «سأقودُ الهجوم بنفسي إذا أذنت لي، وكمكافأةٍ أطلبُ منك أن تمنحني كاسترلي روك لتكون مقرِّي الخاص، بَعد أن نأخذها من آل لانستر». سيطرته على «الصَّخرة» ستُمَكِّنه من الحفاظ على لانسپورت وأراضي الغَرب الذَّهبيَّة، ما يعني ثروةً ونفوذًا لم تعرفهما عائلة جرايچوي في تاريخها كله.

قال أبوه: «إنك تُغدِق نفسك بالمكافآت على مجرَّد فكرةٍ وبضع كلماتٍ مكتوبة»، ثم قرأ الرِّسالة من جديد قبل أن يستطرد: «الجرو لا يَذكُر شيئًا عن أيِّ مكافآت، يقول فقط إنك تتكلَّم نيابةً عنه وإن عليَّ الإصغاء، وأن أعطيه سُفني وسيوفي، وفي المقابل سيُعطيني تاجًا»، ورفعَ عينيه الصوَّانيَّتين ليَنظُر في عيني ابنه مباشرةً، وكرَّر وقد اكتسبَ صوته حدَّةً ملحوظةً: «سيُعطيني تاجًا!».

- «مجرَّد اختيار غير موفَّق للكلمات. المقصود أن...».

- «المقصود هو ما قيلَ. الصَّبي سيُعطيني تاجًا، وما يُعطَى من الممكن أن يؤخَذ ثانيةً». ألقى اللورد بالون الرِّسالة في المستوقَد فوق السِّلسلة، فتجعَّد الرَّق واسودَّ واشتعلَت فيه النَّار.

مشدوهًا صاحَ ثيون: «هل جُننت؟».

هوى أبوه على وجهه بصفعةٍ موجعةٍ بظاهر يده، وقال: «صُن لسانك. أنت لست في وينترفل الآن، وأنا لستُ روب الصَّبي كي تُخاطِبني هكذا. أنا الجرايچوي الكبير، سيِّد حصاد پايك، ملك الملح والصَّخر، ابن رياح البحر، ولم يُخلَق من يمنحني تاجًا. إنني أدفعُ الثَّمن الحديدي، وسوف آخذُ تاجي بنفسي كما فعلَ أورون أحمر اليد منذ خمسة آلاف عام».

تراجعَ ثيون مبتعدًا عن غضبة أبيه المباغتة، وقال حانقًا ووجنته لا تزال تخزه: «خُذه إذن، سَمِّ نفسك ملك جُزر الحديد، لا أحد سيُبالي... حتى



تنتهي الحروب ويتطلَّع المنتصر حوله فيرى العجوز الأحمق قابعًا على ساحله وعلى رأسه تاج من حديد».

ضحكَ بالون جرايچوي، وقال: «طيِّب، لستَ جبانًا على الأقل، ولستُ بالأحمق. هل تحسب أني أحشدُ سُفني كي أتفرَّج عليها وهي تتمايل في المرسى؟ إنني أنوي أن أقتطع لنفسي مملكةً بالسَّيف والنَّار... لكن ليس من الغَرب، وليس بدعوةٍ من الملك روب الصَّبي. كاسترلي روك قويَّة للغاية، واللورد تايوين داهية حقيقي. نعم، قد نستطيع أن نأخذ لانسپورت، لكننا لن نُحافِظ عليها أبدًا. كلا، إنني جائعٌ لثمرةٍ أخرى... أي نعم قد لا تكون بالنَّضارة والحلاوة نفسيهما، لكنها تتدلَّى من شجرتها ناضجةً وبلا أيِّ دفاعات».

كان ثيون ليسأل أين، لكن مع نهاية كلام أبيه كان قد أدركَ الإجابة.





دنيرس

أطلقَ الدوثراكي على المذنَّب اسم «شيراك كَييا»، أي «النَّجم النَّازف»، وهمهمَ المسنُّون منهم أنه نذير شُؤم، لكن دنيرس تارجاريَن رأته أول مرَّةٍ ليلة أحرقَت گال دروجو، اللَّيلة التي صحَا فيها تنانينها، وحدَّثت نفسها وقد شخصَت ببصرها إلى سماء اللَّيل والعجب يُفعِم قلبها: إنه بشير قدومي، أرسلَته الآلهة ليهديني الطَّريق.

لكن عندما ترجمَت هذا الخاطر إلى كلمات، قالت وصيفتها دوريا بتوجُّس: «الأرض الحمراء تقع في هذا الاتِّجاه يا گاليسي، يقول الخيَّالة إنها مكان مقفر رهيب».

- «يجب أن نَسلُك الطَّريق الذي يُشير إليه المذنَّب»، قالت داني بإصرار... وإن كانت الحقيقة أنه الطَّريق الوحيد المفتوح أمامها. إنها لا تجرؤ على الالتفاف شَمالًا إلى محيط الكلأ الشَّاسع المسمَّى بحر الدوثراكي، فأول گالاسار يُقابِلونه في طريقهم سيبتلعها ومن معها من ثُلَّةٍ بائسة بلا مشقَّةٍ تُذكَر، فيُقتَل المُحارِبون ويُستَعبَد البقيَّة، وأراضي قوم الحملان الواقعة جَنوب النَّهر ستكون مغلقةً أمامهم كذلك، خصوصًا أن عددهم أقلُّ من أن يستطيعوا الدِّفاع عن أنفسهم، حتى ضد هؤلاء القوم المسالمين، وليس هناك ما يدفع شعب اللازارين لأن يُكِنَّ لهم مودَّةً. كان من الممكن أن تتحرَّك مع مجرى النَّهر، نحو موانئ ميرين ويونكاي وأستاپور، لكن راگارو حذَّرها من أن گالاسار الگال پونو يَسلُك هذا الاتِّجاه، دافعًا آلاف الأسرى أمامه، ليبيعهم في أسواق لحم الإنسان الحي المفتوحة كالقروح المتقيِّحة على سواحل



خليج النخَّاسين. عندئذٍ ردَّت معترضةً: «ولماذا أخشى پونو؟ لقد كان الگو الخاص بدروجو، ودائمًا ما خاطَبني بدماثة».

قال السير چورا مورمونت: «پونو الگو كان يُخاطِبكِ بدماثة، ولكن پونو الگال سيَقتُلكِ. لقد كان أول من تخلَّى عن دروجو، وذهبَ عشرة آلاف مُحارِب معه، وأنتِ لديكِ مئة».

كلا، لديَّ أربعة، والبقيّة نساء ورجال مسنُّون مرضى وصِبية لم يُجدَل شَعرهم قَطُّ. قالت: «لديَّ التَّنانين».

- «ما زالوا مجرَّد أفراخ، ومن شأن ضربةٍ واحدةٍ بالأراخ أن تفتك بهم، وإن كان الأرجح أن يستولي پونو عليهم لنفسه. بيضات التَّنانين كانت أثمن من الياقوت، لكن التنِّين الحي لا يُقَدَّر بثمن، وليس هناك سوى ثلاثة في العالم أجمع. كلُّ من سيراهم سيطمع فيهم يا مولاتي».

قالت بشراسة: «إنهم مِلكي». لقد وُلِدوا من إيمانها وحاجتها، مُنِحوا الحياة بموت زوجها وابنها غير الوليد والمايجي ميري ماز دور، وخطَت داني إلى داخل النَّار والحياة تدبُّ فيهم، وشربوا اللَّبن من ثدييها الممتلئيْن. «لا أحد سيأخذهم مني وأنا حيَّة».

- «ولن تحيي طويلًا إذا قابلتِ گال پونو، أو گال چاكو، أو أيًّا من الآخَرين. يجب أن تذهبي حيث لا يذهبون».

كانت داني قد جعلَته أول فُرسان حَرسها الملكي، وعندما اتَّفقت نصيحة مورمونت المجرَّدة من المشاعر والأهواء مع النُّذر، أصبحَ مسارها جليًّا، فجمعَت قومها وامتطَت فَرسها الفضِّيَّة. كان شَعرها قد احترقَ عن آخِره في محرقة زوجها، فألبسَتها وصيفاتها فروة الهراكار الذي فتكَ به دروجو، أسد بحر الدوثراكي الأبيض. عملَ رأسه المخيف بمثابة قلنسوةٍ تُغَطِّي فروة رأسها العارية، والجِلد كمعطفٍ انسدلَ من على كتفيها وظَهرها. غرسَ التنِّين ذو اللَّون الشَّاحب مخالبه السَّوداء الحادَّة في لبدة الأسد ولَفَّ ذيله حول ذراعها، بينما اتَّخذ السير چورا مكانه المعتاد إلى جانبها.

- «سنتبع المذنَّب»، قالت داني لگالاسارها، وبمجرَّد أن أصدرَت الأمر



لم يرتفع صوت بالاعتراض. لقد كانوا قوم دروجو من قبل، لكنهم قومها الآن، ويُسَمُّونها «التي لم تحترق»، و«أُم التَّنانين»، وكلمتها عندهم قانون.

هكذا انقسمَ مضيُّهم إلى الرُّكوب ليلًا واللَّوذ بخيامهم من الشَّمس نهارًا، ولم يَفُت وقت طويل حتى ثبتَت لداني حقيقة كلمات دوريا، فهذه الأصقاع ليست رحيمةً على الإطلاق، ومن ورائهم امتدَّ الأثر الذي خلَّفوه من الخيول الميتة والمحتضرة، فقد استحوذَ پونو وچاكو والآخَرون على أفضلها من قُطعان دروجو، تاركين لداني العجوز والضَّاوي والسَّقيم والعاجز، وأيَّ حيوانٍ مكسور أو معتلِّ المزاج، دون أن يختلف الأمر مع البَشر. قالت لنفسها: إنهم ليسوا أقوياء، لذا ينبغي أن أكون قوَّتهم، ويجب ألا أُبدي خوفًا أو ضَعفًا أو شَكًّا. مهما سكنَت المخاوف قلبي، فيجب ألَّا يروا غير ملكة دروجو عندما يَنظُرون إلى وجهي. أحسَّت أنها أكبر من سني عُمرها الأربعة عشر، وإذا كانت فتاةً صغيرةً حقًّا من قبل، فتلك المرحلة من حياتها ولَّت.

ماتَ الرَّجل الأول بَعد ثلاثة أيام من الزَّحف. كان عجوزًا أهتم ذا عينين زرقاوين غائمتين، وسقطَ متهالكًا من فوق سَرجه ولم يستطِع النُّهوض ثانيةً، وبَعد ساعةٍ فارقَ الحياة، ليحوم الذُّباب الدَّموي حول جثَّته ويحمل نُذر الشُّؤم إلى الأحياء. قالت وصيفتها إيري: «لقد عاشَ أطول من اللَّازم بالفعل، فلا ينبغي أن يبقى الرَّجل حيًّا بَعد أن تموت أسنانه كلها»، واتَّفق الآخَرون معها، أمَّا داني فأمرَتهم بقتل أضعف خيولهم المحتضرة كي يَدخُل الرَّجل الميت أراضي اللَّيل راكبًا. وبَعد ليلتين ماتَت فتاة صغيرة، واستمرَّ عويل أمِّها المكلومة طول اليوم، ولكن لم يكن هناك ما يُمكن فعله. كانت الطِّفلة المسكينة أصغر من أن تركب، إذن فليس لها كلأ أراضي اللَّيل الأسود السَّرمدي، ولا بُدَّ أن تولَد من جديد.

الصَّالح للأكل في القَفر الأحمر قليل، والماء أقلُّ وأقلُّ. في هذه الأرض البور الموحشة تتناثَر التِّلال الواطئة والسُّهول القاحلة التي تذرو الرِّيح رمالها، والأنهار التي عبَروها كانت جافَّةً تمامًا كعظام الموتى. اقتاتَت خيولهم على العُشب الشَّيطاني، الذي ينمو في كُتَل بنِّيَّة قاسية حول قواعد الصُّخور والشَّجر الميت، وأرسلَت داني كشَّافةً يستطلعون ما يقع أمام الرَّكب، لكنهم لم يجدوا



آبارًا أو ينابيع، بل مجرَّد بِرَكٍ من المياه الرَّاكدة الضَّحلة ذات الطَّعم المُر، تتضاءَل بلا توقُّفٍ في حرارة الشَّمس. كلما توغَّلوا أكثر في الأرض الخراب صارَت البِرك أصغر، بينما تعاظمَت المسافات بينها، ولو كانت هناك آلهة في هذه البراري المهجورة التي قُدَّت من الرِّمال والحجارة والطَّمي الأحمر، فهي آلهة قاسية جافَّة، تصمُّ آذانها عن صلوات استجلاب المطر.

نفدَ النَّبيذ أولًا، وبَعد فترةٍ قصيرةٍ لحقَ به حليب الفَرس المختَّر، الذي يُحبُّه سادة الخيول أكثر من البِتع[1]، كما نفدَ مخزونهم من كلٍّ من أقراص الخُبز واللَّحم المجفَّف، بينما لم يَعثُر صيَّادوهم على أيِّ طرائد، فلم يملأ بطونهم غير لحم خيولهم الميتة. تبعَ الموتُ الموتَ، وسقطَ الأطفال الضُّعفاء والنِّساء الشَّمطاوات والمرضى والحمقى والغافلون ضحيَّةً للأرض الجَدباء، وأصابَ الهزال دوريا وغارَت عيناها، وباتَ شَعرها الذَّهبي النَّاعم هشًّا كالقَش.

تضوَّرت داني جوعًا واشتعلَت ظمأً كسائر قومها، وجَفَّ اللَّبن في ثدييها، وتشقَّقت حلمتاها وسالَ منهما الدَّم، ونحلَ جسدها أكثر فأكثر مع كل يوم يمرُّ حتى أصبحَت متيبِّسةً رفيعةً كالعصا، لكن خشيتها كلها كانت على تنانيِنها. لقد قُتِلَ أبوها قبل أن تولَد، وأخوها العظيم ريجار كذلك، وماتَت أمُّها وهي تأتي بها إلى الدُّنيا بينما هاجَت العاصفة في الخارج، والسير ويلم داري طيِّب القلب، الذي لا بُدَّ أنه أحبَّها بشكلٍ أو بآخَر، أخذَه مرض عضال وهي صغيرة جدًّا—كلُّ هؤلاء فارَقوا الحياة، وكذلك أخوها ڤسيرس، وشمسها ونجومها كال دروجو، وحتى ابنها الذي لم يولَد... كلهم أخذَتهم الآلهة. لكنها لن تأخذ تنانيني، لن تأخذهم أبدًا.

لم يزد حجم التَّنانين على القِطط المهزولة، التي رأتها تتسكَّع ذات مرَّةٍ عند أسوار ضيعة الماچستر إليريو في پنتوس... إلى أن بسَطوا أجنحتهم، التي يَبلُغ مداها ثلاثة أضعاف طول كلٍّ منهم، وكلُّ جناح كمروحةٍ رقيقةٍ من الجلد شِبه الشفَّاف، رائع الألوان، ومشدود عن آخِره بين العظام. عندما تتطلَّع إليهم

(1) البِتع هو نبيذ العسل.



جيِّدًا، ستجد أن معظم أجسادهم يتكوَّن من العُنق والذَّيل والجناحين. يا لهم من أشياء صغيرة، فكَّرت وهي تُطعِمهم بيدها، أو تُحاوِل إطعامهم بالأحرى، فالتَّنانين يَرفُضون الأكل، ويفحُّون ويتفلون مع كلِّ لقيمةٍ داميةٍ من لحم الحصان، ويتصاعَد البُخار من طاقات أنوفهم، ومع ذلك ما زالوا لا يمسُّون الطَّعام... إلى أن تذكَّرت داني شيئًا قاله لها ڤسيرس في طفولتهما: لا يأكل اللَّحم المطبوخ غير التَّنانين والبَشر. هكذا، عندما جعلَت وصيفاتها يشوين لحم الحصان حتى اسودَّ كالفحم، التهمَه التَّنانين بشراهةٍ وانقضُّوا عليه برؤوسهم كالثَّعابين، ومنذ ذلك الحين وهُم يأكلون أضعاف وزنهم من اللَّحم يوميًّا ما دام محترقًا، وأخيرًا بدأ حجمهم يَكبُر وبدَت عليهم القوَّة. تعجَّبت داني من نعومة حراشفهم والحرارة الشَّديدة التي تنبعث منهم محسوسةً للغاية، لدرجة أن في اللَّيالي الباردة كان البخار يبدو كأنه يَخرُج من أجسادهم كلها.

في كلِّ مساء، عندما يبدأ الكالاسار التحرُّك، تختار تنِّينًا يقبع على كتفها، بينما تحمل إيري وچيكوي الاثنين الآخَرين في قفصٍ من الخشب المجدول، معلَّق بين حصانيهما على مسافةٍ قريبةٍ منها، كي لا تغيب داني عن أنظارهما أبدًا، فهذا هو السَّبيل الوحيد لإبقائهما خاملَيْن.

قالت لخيَّالة دمها في صباح بَعد رحلةٍ ليليَّةٍ طويلة: «تنانين إجون كانت مسمَّاة على أسماء آلهة ڤاليريا القديمة. تنِّين ڤيزينيا كان ڤاجهار، ورينيس تنِّينها كان ميراكسس، بينما امتطى إجون الرُّعب الأسود بالريون. يُقال إن أنفاس ڤاجهار كانت ملتهبةً لدرجة أنها تُذيب دِرع الفارس وتطهوه داخلها، وإن ميراكسس كان يبتلع خيولًا كاملةً، أمَّا بالريون... فنيرانه كانت سوداء كحراشفه، وجناحاه كانا هائلين، يبتلع ظلُّهما بلدانًا كاملةً وهو يمرُّ فوقها».

كان الدوثراكي يتطلَّعون إلى أفراخها بنظراتٍ قلقة. أكبر الثَّلاثة أسود لامع، وحراشفه مجزَّعة بالقرمزي الزَّاهي كجناحيه وقرنه. غمغمَ آجو: «كاليسي، هذا بالريون وقد حَلَّ من جديد».

قالت برصانة: «قد يكون ما تقوله صحيحًا يا دم دمي، لكنه سيحمل اسمًا جديدًا في هذه الحياة الجديدة. سأسمِّي الثَّلاثة تيمُّنًا بهؤلاء الذين أخذَتهم



الآلهة. الأخضر سيكون ريجال، لأجل أخي الباسل الذي ماتَ على ضفاف الثَّالوث الخضراء. الأبيض والذَّهبي سيكون ڤسيريون، فمع أن ڤسيرس كان قاسيًا وضعيفًا وخوَّافًا، لكنه كان أخي رغم كلِّ شيء، وسيفعل تنِّينه ما لم يستطِع أن يفعله».

سألَها السير چورا مورمونت: «والأسود؟».

أجابَته: «الأسود اسمه دروجون».

لكن حتى مع نموِّ تنانينها ظَلَّ گالاسارها يذوي ويموت، فمن حولهم صارَت الأرض موحشةً أكثر، وحتى العُشب الشَّيطاني نفسه أصبحَ نادرًا، ونفقَت خيولهم في دروبها واحدًا تلو الآخَر، ليتناقَص عددها بشدَّةٍ جعلَت بعض قومها مرغَمين على السَّير على الأقدام. أصيبَت دوريا بالحُمَّى وساءَت حالتها مع كلِّ فرسخٍ قطَعوه، وتشقَّقت شفتاها وشاعَت في يديها القروح الدَّامية، وتساقطَ شَعرها في كُتَل، حتى جاء مساء ولم تقدر على امتطاء حصانها. قال چوجو إن عليهم أن يَترُكوها أو يُقَيِّدوها إلى سَرجها، لكن داني تذكَّرت ليلةً في بحر الدوثراكي، عندما علَّمتها الفتاة اللايسينيَّة أسرارها كي يُحِبَّها دروجو أكثر، فسقَت دوريا ماءً من قِربتها الخاصَّة، ورطَّبت جبهتها بقطعة قُماشٍ مبتلَّة، وأمسكَت يدها حتى ماتَت مرتجفةً. عندئذٍ فقط سمحَت داني للگالاسار بالتحرُّك.

لم يروا أثرًا لأيِّ مسافرين غيرهم، وبدأ الدوثراكي يُتَمتِمون بخوفٍ أن المذنَّب قادَهم إلى جحيمٍ ما، فذهبَت داني إلى السير چورا ذات صباحٍ وهُم يُخَيِّمون وسط مجموعةٍ من الأحجار السَّوداء التي صقلَتها الرِّيح، وسألَته: «أنحن ضائعون؟ أما من نهايةٍ لهذا القَفر؟».

أجابَها بإنهاك: «هناك نهاية. لقد رأيتُ الخرائط التي رسمَها التُّجَّار يا مولاتي، وصحيحٌ أن قوافل قليلة تمرُّ من هذا الطَّريق، لكن ثمَّة ممالك عظيمة تقع شَرقًا، ومُدن ملأى بالعجائب، يي تي، كارث، آشاي الواقعة عند الظِّل».

- «وهل سنحيا لنراها؟».

- «لن أكذبكِ القول، هذا الطَّريق أصعب مما جرؤتُ على الظَّن». كان وجه الفارس مربدًّا مرهقًا، إذ لم يندمل تمامًا الجرح الذي أصابَه ليلة قاتلَ



خيَّالة دم گال دروجو، وكانت ترى كيف تنقبض ملامحه ألمًا عندما يركب حصانه، وبدا أنه يتأرجح بلا إرادةٍ منه فوق سَرجه وهُم يتحرَّكون. «ربما نهلك إذا مضينا قُدمًا... لكنني أعلمُ علم اليقين أننا هالكون إذا عُدنا أدراجنا».

طبعَت داني قُبلةً خفيفةً على وجنته، وشجَّعها أن رأته يبتسم. يجب أن أكون قويةً من أجله أيضًا. قد يكون فارسًا، لكني دم التنيِّن.

بِركة الماء التَّالية التي عثروا عليها كانت شديدة السُّخونة، وتفوح منها رائحة الكِبريت الكريهة، لكن ما في قِربهم كان على وشك النَّفاد بالفعل، وهكذا برَّد الدوثراكي الماء في الجرار والقدور وشربوه فاترًا، فوجدوا أن مذاقه كريه كرائحته، لكن الماء هو الماء، وكلُّهم كان يُعاني العطش لأقصى درجة. رمقَت داني الأُفق بيأس. لقد فقدوا ثُلث عددهم، ولا يزال القَفر يمتدُّ أمامهم أجرد وأحمر وبلا حدود. المذنَّب يسخر من آمالي، قالت لنفسها وهي ترفع عينيها إلى حيث يشقُّ السَّماء، هل عبرتُ نِصف العالم وشهدتُ ميلاد التَّنانين، فقط كي أموت معهم في هذه الصَّحراء القاسية الملتهبة؟ لا يُمكنها أن تُصَدِّق هذا.

طلعَ الفَجر في اليوم التَّالي وهُم يقطعون سهلًا امتلأَت تُربته الحمراء بالشُّقوق والصُّدوع، وكانت داني على وشك أن تأمرهم بنصب المخيَّم، عندما عادَ كشَّافتها مهرولين بخيولهم، وصاحوا: «مدينة يا گاليسي، مدينة شاحبة كالقمر وجميلة كالصَّبايا، لا تَبعُد أكثر من ساعة».

قالت لهم: «أروني».

عندما لاحَت المدينة أمامها، كانت أسوارها وأبراجها تتلألأ بيضاء من وراء حجابٍ من الحرارة، فبدَت رائعة الجمال لدرجةٍ حدَت بداني لأن توقِن من أنها محض سراب. سألَت السير چورا: «أتعرف أيُّ مكانٍ هذا؟».

هَزَّ الفارس المنفي رأسه بتعب، وأجابَ: «لا يا مولاتي، فلم أتوغَّل شَرقًا إلى هذا الحد من قبل».

كانت الأسوار البيضاء البعيدة تعدُ بالرَّاحة والأمان، فرصة للتَّعافي واسترداد القوَّة، ولم ترغب داني في شيءٍ أكثر من أن تهرع صوبها، لكنها



التفتَت إلى خيَّالة دمها بدلًا من هذا، وقالت: «يا دم دمي، اسبقونا واعرفوا اسم هذه المدينة، وأيُّ نوع من التَّرحيب نتوقَّع».

قال آجو: «حاضر يا گاليسي».

لم يغب خيَّالتها طويلًا، ووثبَ راگارو من فوق حصانه وقد تدلَّى الأراخ المقوَّس العظيم من حزامه المرصَّع بالجواهر، الأراخ الذي أسبغَته عليه داني عندما سمَّته خَيَّال دمٍ لها. «المدينة ميتة يا گاليسي، وجدناها بلا اسم وبلا آلهة، والبوَّابات محطَّمة، ولا يتحرَّك في الشَّوارع غير الهواء والذُّباب».

قالت چيكوي مرتجفةً: «عندما تغيب الآلهة، تُعَربِد الأرواح الشرِّيرة ليلًا. الأفضل أن نعرض عن تلك الأماكن. هذا معلوم».

ردَّدت إيري: «هذا معلوم».

- «ليس معلومًا لي»، قالت داني، ووكزَت فَرسها وانطلقَت تُريهم الطَّريق، وأسرعَت تَعبُر أسفل قنطرة البوَّابة العتيقة المحطَّمة، لتَدخُل شارعًا يحفُّه الصَّمت التَّام، فتبعها السير چورا وخيَّالة الدَّم، ثم تبعهم بقيَّة الدوثراكي متباطئين. لم تستطِع داني تخمين الفترة التي مرَّت منذ هُجِرَت المدينة، لكن الأسوار البيضاء التي بدَت رائعة الجمال من بعيد، اتَّضح أنها متصدِّعة على وشك الانهيار حين تُرى من قُرب. في الدَّاخل كانت متاهة من الأزقَّة الضيِّقة كثيرة المنعطَفات، والمباني دانيةٍ من بعضها بعضًا للغاية، واجهاتها طباشيريَّة مصمتة، وخالية من النَّوافذ، وكلُّ شيءٍ أبيض، كأن الشَّعب الذي عاشَ هنا ذات يومٍ لم يكن يدري شيئًا عن الألوان. مرُّوا بأكوام من الدَّبش البارِق في نور الشَّمس حيث تهاوى بعض البيوت، وفي أماكن أُخرى رأوا آثار حرائق، وفي بُقعةٍ تلتقي فيها ستَّة أزقَّة لمحَت داني قاعدة تمثالٍ رخاميَّة خالية. يبدو إذن أن الدوثراكي زاروا هذا المكان، ولربما يقف التِّمثال المفقود الآن وسط غيره من الآلهة المسروقة في ڤايس دوثراك، ولعلَّها مرَّت به مئة مرَّةٍ دون أن تعي.

على كتفها أطلق ڤسيريون فحيحًا.

خيَّموا أمام أطلال قصرٍ جُرِّدَ من محتوياته كافَّة، في ساحةٍ مكشوفة للرِّيح ينمو فيها العُشب الشَّيطاني بين أحجار الرَّصف. أرسلَت داني رجالًا



للتَّفتيش في الخرائب، وذهبَ بعضهم على مضض، لكنهم ذهبوا على كلِّ حال... ثم عادَ عجوز ذو ندوب بَعد مدَّة قصيرة وهو يتواثَب ضاحكًا وقد ملأَت ثمار التِّين يديه. كانت صَغيرةً ذابلةً، لكن قومها أقبَلوا عليها بمنتهى النَّهم، يتزاحَمون ويتدافَعون فيما بينهم، ليحشوا أشداقهم بالفاكهة ويلوكوها بسعادة.

عادَ باحثون آخَرون بقصص عن أشجار فواكه أخرى مخبَّأة في حدائق سرِّيَّة وراء أبواب مغلقة، وأراهاَ آجو فِناءً مكتظًّا بأفرُع الكرم الملتوية وعناقيد العنب الأخضر الضَّئيل، واكتشفَ چوجو بئرًا ماؤها نقيٌّ بارد، لكنهم وجدوا عظامًا كذلك، وجماجم الذين لم يُدفَنوا البيضاء المكسورة، ما جعلَ إيري تُتمتِم: «أشباح، أشباح رهيبة. ينبغي ألَّا نبقى هنا يا گاليسي، هذا مكانها».

- «لستُ أخافُ الأشباح. التَّنانين أقوى من الأشباح». والثِّمار أهمُّ. «اذهبي مع چيكْوي واعثُرا لي على رمالٍ نظيفة للاستحمام، ولا أريدُ أن أسمع هذا الكلام السَّخيف ثانيةً».

في جَوِّ خيمتها المعتدل فحَّمت داني قِطعًا من لحم الحصان فوق مستوقَدٍ وتأمَّلت خياراتها. إن لديهم هنا طعامًا وماءً لغذائهم، وما يكفي من العُشب لأن تستردَّ الخيول قوَّتها، وسيكون من الجميل حقًّا أن تستيقظ كلَّ يوم في المكان نفسه، وتتسكَّع بين الحدائق الظَّليلة وتأكل التِّين وتشرب الماء البارد قدر ما شاءَت.

عندما عادَت إيري وچيكْوي بجرار الرَّمل الأبيض، خلعَت داني ثيابها كي تُنَظِّفا جسدها فركًا، وقالت چيكْوي وهي تكشط الرَّمل عن ظَهرها: «شَعركِ بدأ ينمو من جديد يا گاليسي»، فرفعَت داني يدها إلى قمَّة رأسها لتتحسَّس الشُّعيرات النَّابتة. يُطلِق رجال الدوثراكي شَعرهم في جدائل طويلة مدهونة بالزَّيت، ولا يَقُصُّونه إلَّا عندما يُهزَمون. ربما عليَّ أن أفعل المِثل، لأذكِّرهم بأن قوَّة دروجو تعيش فيَّ الآن. لقد ماتَ گال دروجو دون أن يُقَصَّ شَعره أبدًا، وهو فخر لا يستطيع كثيرون ادِّعاءه.

على الجانب الآخَر من الخيمة بسطَ ريجال جناحيه الأخضرين، ليخفق ويُحَلِّق على ارتفاع نِصف قدمٍ قبل أن يَسقُط على البساط، وعندما حَطَّ تلوَّى



ذيله إلى الأمام والخلف غضبًا، ورفعَ رأسه مطلقًا صرخةً. لو كان لديَّ جناحان لأردت أن أطير أيضًا. لقد امتطى قُدماء عائلة تارجاريَن التَّنانين وهُم ذاهبون إلى الحرب، وحاولَت داني أن تتخيَّل كيف سيكون شعورها وساقاها تتدلَّيان حول عُنق تنِّين يشقُّ عنان السَّماء. مِثل الوقوف على قمَّة جبل، لكن أفضل. سينبسط العالمُ كله من تحتي، وإذا ارتفعتُ بما فيه الكفاية، فربما أرى الممالك السَّبع نفسها، وأمدُّ يدي لألمس المذنَّب.

أيقظَتها إيري من أحلام الصَّحو، لتُخبِرها أن السير چورا مورمونت في الخارج، ينتظر أمرها بالدُّخول. قالت داني مستشعرةً الوخز في بَشرتها المفروكة بالرِّمال: «دعيه يَدخُل»، ولفَّت نفسها بفروة الأسد. كان الهراكار أكبر حجمًا منها بكثير، فغطَّت فروته كلَّ ما يحتاج تغطيةً.

قال السير چورا راكعًا: «أحضرتُ لكِ خوخةً». كانت الثَّمرة صغيرةً جدًّا، لدرجة أنها تستطيع إخفاءها في راحة يدها، وزائدة النُّضج أيضًا، لكن عندما قضمَت منها كان اللَّحم شديد الحلاوة حتى إنها كادَت تبكي، فأكلَتها بتؤدةٍ مستطعمةً كلَّ قضمة، بينما حكى لها السير چورا عن الشَّجرة التي قطفَها منها، في حديقةٍ بالقُرب من السُّور الغَربي.

قالت داني وعصير الخوخ اللَّزج يسيل على خدَّيها: «فاكهة وماء وظِل. رحمة من الآلهة أن تأتي بنا إلى هذا المكان».

قال الفارس بحزم: «يجب أن نستريح هنا حتى نتعافى، فالأرض الحمراء لا ترأف بالضُّعفاء».

- «وصيفتاي تقولان إن هناك أشباحًا هنا».

رَدَّ السير چورا بهدوء: «هناك أشباح في كلِّ مكان. إننا نحملها معنا أينما ذهبنا».

نعم، ڤسيرس، گال دروجو، ابني ريجو، إنهم معي دومًا. «قُل لي اسم شبحك يا چورا، فأنت تدري كلَّ شيءٍ عن أشباحي».

تجمَّدت ملامحه تمامًا وهو يُجيب: «كان اسمها لينيس».

- «زوجتك؟».

- «زوجتي الثَّانية».



رأت داني أن الكلام عنها يُؤلِمه، لكنها أرادَت أن تعرف الحقيقة، فسألَته: «أهذا كلُّ ما لديك لتقوله عنها؟». انزلقَت فروة الأسد من على كتفها، فأعادَت تثبيتها في مكانها مضيفةً: «هل كانت جميلةً؟».

قال السير چورا رافعًا عينيه من كتفها إلى وجهها: «جدًّا. أول مرَّةٍ رأيتها، حسبتُ أنها إلهة نزلَت إلى الأرض، «العذراء» نفسها وقد تجسَّدت. كان نسبها أعلى مني بكثير، إذ كانت صُغرى بنات اللورد لايتون هايتاور من البلدة القديمة، والثَّور الأبيض الذي كان يقود حَرس أبيكِ الملكي كان عمُّها الكبير. هايتاور عائلة عريقة، شديدة الثَّراء والترفُّع».

عقَّبت داني: «والإخلاص. أذكرُ أن ڤسيرس قال إن هايتاور من العائلات التي حافظَت على ولائها لأبي».

- «هذا صحيح».

- «هل رتَّب أبوك الزِّيجة؟».

- «كلا، زواجنا... إنها حكاية طويلة ومملَّة يا جلالة الملكة، ولا أرغبُ في إزعاجكِ بها».

قالت: «ليس لديَّ ما أفعله. من فضلك».

أجابَها مقطِّبًا وجهه: «كما تأمر مَولاتي. إن وطني... يجب أن تفهمي هذا كي تستوعبي الباقي. جزيرة الدِّببة جميلة لكن منعزلة، تخيَّلي أشجار سنديان قديمة متشابكةً وأشجار صنوبر طويلةً، وشُجيراتٍ شائكة مُزهرة، وأحجارًا رماديَّةً مكسوَّة بالطُّحلب، وجداول تجري مياهها الباردة كالجليد على جوانب التِّلال المنحدرة. بهو عائلة مورمونت مبني من جذوع الأشجار الضَّخمة ومحاط بسياج من الطِّين، وبخلاف عددٍ قليل من المُزارعين، يعيش ناسي على السَّواحل ويصطادون من البحر، فالجزيرة تقع بعيدًا في الشَّمال، والشِّتاء هناك أشنع مما تتخيَّلين يا كاليسي، لكن الجزيرة كانت تُناسِبني تمامًا على الرغم من هذا، ولم أفتقر إلى النِّساء قَطُّ، إذ أخذتُ نصيبي من زوجات الصيَّادين وبنات المُزارعين قبل زواجي وبَعده. تزوَّجتُ صغيرًا بعروسٍ من اختيار أبي، فتاة من عائلة جلوڤر في «ربوة الغابة»، وعشنا معًا عشرة أعوام أو ما يَقرُب من ذلك، لا فارق. كانت عاديَّة الملامح، لكن طيِّبةً القلب، وأعتقدُ



أني أحببتها بصورةٍ ما، وإن كانت علاقاتنا الحميمة على سبيل الواجب وليس بدافع العاطفة. ثلاث مرَّاتٍ أجهضَت وهي تُحاوِل أن تمنحني وريثًا، ولم تتعافَ قَطُّ بَعد آخِر مرَّة، وماتَت بَعدها بفترةٍ وجيزة».

وضعَت داني يدها على يده، واعتصرَت أصابعه قائلةً: «أنا آسفةٌ حقًّا».

أومأَ السير چورا برأسه، وتابعَ: «وقتها كان أبي قد التحقَ بحَرس اللَّيل، وأصبحتُ سيِّد جزيرة الدِّببة خلفًا له. لم أعانِ نقصًا من عروض الزَّواج، لكن قبل أن أستطيع اتِّخاذ قرار، بدأ بالون جرايچوي تمرُّده على الغاصب، واستدعى ند ستارك راياته ليُساعِد صديقه روبرت. دارَت المعركة الأخيرة في پايك، وعندما أحدثَت مجانيق روبرت ثغرةً في أسوار الملك بالون، كان راهب من مير أول من عبرَها، لكنني لم أكن وراءه بكثير، ولهذا ربحتُ فُروسيَّتي. بَعدها قضى روبرت أن تُقام دورة مباريات خارج لانسپورت احتفالًا بانتصاره، وهناك رأيتُ لينيس للمرَّة الأولى. كانت فتاةً في نِصف عُمري، أتَت من البلدة القديمة مع أبيها لترى أخاها في مضمار النِّزال. لم أقدر على رفْع عينيَّ عنها، وفي نوبة جنونٍ طلبتُ منها أن تمنحني عطيَّةً أرتديها أثناء النِّزال، دون أن أحلم حتى بأن تستجيب لي، لكنها فعلَت. إنني مُقاتِل جيِّد يا كاليسي، لكنني لم أكن من فُرسان المباريات قَطُّ، لكن حالما أحاطَت عطيَّة لينيس بيدي صرتُ رجلًا مختلفًا. فزتُ بنزالٍ تلو الآخَر، وسقطَ اللورد چيسون ماليستر أمامي، ويون رويس البرونزي، والسير رايمان فراي، وأخوه السير هوستين، واللورد وِنت، والسير لايل كراكهول الملقَّب بالعُفر القوي[1]، وحتى السير بوروس بلاونت فارس الحَرس الملكي—كلهم أسقَطتهم عن أحصنتهم. في المباراة الأخيرة كسرتُ تسع رماح ضد چايمي لانستر بلا نتيجة، وأعطاني الملك روبرت إكليل البطل، فتوَّجتُ لينيس ملكةً للحُبِّ والجمال، وفي اللَّيلة ذاتها ذهبتُ إلى أبيها وطلبتُ يدها. عادةً كنتُ لأتلقَّى ردًّا محمَّلًا بالاحتقار، لكن اللورد لايتون وافقَ على طلبي، وتزوَّجنا هناك في لانسپورت، وطيلة أسبوعين كنتُ أسعد رجلٍ في العالم أجمع».

---

(1) العُفر نوع من الخنازير البرِّيَّة الضَّارية.



سألَته داني: «طيلة أسبوعين فقط؟». حتى أنا مُنِحتُ سعادةً أكثر من هذه، مع دروجو الذي كان شمسي ونجومي.

- «الأسبوعان هما المدَّة التي استغرقناها في الإبحار من لانسپورت إلى جزيرة الدِّببة. كان وطني بمثابة خيبة أملٍ كبيرة للينيس، شديد البرودة والرُّطوبة والعُزلة، وقلعتي ليست سوى بهوٍ طويل من الخشب، ولم نكن نُقيم حفلاتٍ تنكُّريَّة أو نستضيف عروض الممثِّلين، وليست لدينا احتفالات أو مهرجانات، وقد تمرُّ فصول كاملة دون أن يمرَّ مغنٍّ واحد يُطربنا، وليس هناك صائغ على الجزيرة كذلك. حتى الوجبات أصبحَت مشكلةً، فطاهيَّ لم يكن يعرف أكثر من بضع وصفاتٍ للشِّواء واليخنة، وسرعان ما فقدَت لينيس شهيَّتها للأسماك ولحم الغزلان. كنتُ أعيشُ من أجل بسمتها، فأرسلتُ إلى البلدة القديمة طلبًا لطاهٍ جديد، وجئتُ بعازف قيثارةٍ من لانسپورت، ولبَّيتُ لها كلَّ رغبةٍ وعثرتُ لها على كلِّ مَن أرادَت من صاغة وجواهريِّين وخيَّاطات، لكن شيئًا من هذا لم يكفها، فجزيرتنا غنيَّة بالدِّببة والأشجار ولا شيء آخَر. بنيتُ لها سفينةً جميلةً وأبحَرنا إلى لانسپورت والبلدة القديمة لنتفرَّج على الاحتفالات والمهرجانات، وذهبنا مرَّةً إلى براڤوس، حيث اقترضتُ مالًا من الكثير من المُرابين. لقد فزتُ بيدها وقلبها باعتباري بطل دورة مباريات، فاشتركتُ في دوراتٍ أخرى في سبيلها، لكن السِّحر كان قد زالَ، فلم أنجح في التفوُّق على الجميع ثانيةً، وكلُّ هزيمةٍ كان معناها خسارة حصانٍ آخَر ودرعٍ أخرى، فكلاهما ينبغي أن يُدفَع ثَمنه أو يُستَبدَل. لم أستطِع تحمُّل التَّكلفة، وأخيرًا أصررتُ على العودة إلى الدِّيار، لكن هناك ساءَت الأمور أكثر من ذي قبل، فلم أقدر على دفع أجر الطَّاهي أو عازف القيثارة، وجُنَّ جنون لينيس عندما عرضتُ أن نرهن جواهرها. الباقي... ثمَّة أشياء فعلتها أخجلُ من الكلام عنها، من أجل الذَّهب، كي تستطيع لينيس الاحتفاظ بجواهرها وعازفها وطاهيها، وفي النِّهاية كلَّفني هذا كلَّ شيء. عندما سمعتُ أن إدارد ستارك قادم إلى جزيرة الدِّببة، كان شَرفي ضائعًا مني تمامًا، حتى إني فضَّلتُ أن آخذها معي إلى المنفى بدلًا من أن أبقى وأواجه حُكمه. قلتُ



لنفسي إن شيئًا لا يهمُّ غير الحُب الحقيقي، وفررنا إلى لِيس، حيث بعتُ سفينتي لنعيش بثَمنها».

كانت نبرته مفعمةً بالأسى، وتردَّدت داني في الضَّغط عليه أكثر، لكنها أرادَت بشدَّة أن تعرف نهاية القصَّة، فسألَته برِفق: «هل ماتَت هناك؟».

أجابَها: «بالنِّسبة لي فقط. في غضون نِصف عام كنتُ قد أنفَقتُ ذهبي كلَّه، واضطررتُ لأن أخدم كمرتزِق، وبينما قاتلتُ البراڤوسي على ضفاف نهر الروين، انتقلَت لينيس للإقامة في إيوان تاجرٍ لايسيني اسمه تريجار أورمولن. يقولون إنها كُبرى محظيَّاته الآن، وحتى زوجته نفسها تخشاها».

قالت داني مصدومةً: «هل تكرهها؟».

- «بقَدر ما أحبُّها. اسمحي لي بالانصراف يا مولاتي، فأنا متعَب للغاية».

أعطَته الإذن بالانصراف، لكن إذ رفعَ سديلة باب خيمتها لم تستطِع أن تمنع نفسها من أن تُناديه بسؤالٍ أخير: «كيف كانت الليدي لينيس تبدو؟».

ابتسامة حزينة ارتسمَت على وجه السير چورا وهو يُجيب: «الحقيقة أنها تُشبهكِ يا دنيرس»، وانحنى بشدَّةٍ مضيفًا: «طابَت ليلتك يا مولاتي».

ارتجفَت داني وضمَّت فروة الأسد على جسدها بإحكام. كانت تُشبهني. هذا يُفَسِّر الكثير مما لم تفهمه من قبل حقًّا. إنه يُريدني، يُحِبُّني كما أَحبَّها، ليست محبةَ الفارس لمليكته، بل الرَّجل لامرأة. حاولَت أن تتخيَّل نفسها في أحضان السير چورا، تُقَبِّله وتُمَتِّعه، تسمح له بأن يلجها، لكن بلا طائل، فكلما أغلقَت عينيها استحالَ وجهه إلى وجه دروجو.

كان كال دروجو شمسها ونجومها، أول عشقٍ لها، ولا مناص من أن يكون الأخير. المايجي ميري ماز دور أقسمَت إنها لن تَحمل طفلًا حيًّا في أحشائها أبدًا، فأيُّ رجلٍ هذا الذي يرغب في زوجةٍ عاقر؟ وأيُّ رجلٍ هذا الذي يملك أيَّ أملٍ في أنَّ يكون نِدًّا لدروجو، الذي ماتَ دون أن يُقَصَّ شَعره، ويمتطي جواده الآن في أراضي اللَّيل، والنُّجوم كالاساره.

لقد سمعَت نغمة الاشتياق في صوت السير چورا عندما تكلَّم عن جزيرة الدِّببة. هو لن يحظى بي أبدًا، لكن يُمكنني ذات يومٍ أن أعيد إليه دياره وشَرفه. أستطيعُ أن أفعل هذا القَدر من أجله.



لم تُقلِق الأشباح منامها تلك اللَّيلة، وحلمَت بدروجو وليلة زفافهما التي ركبا فيها معًا أول مرَّة، وفي الحُلم لم يركبا حصانين، بل تنِّينان. في الصَّباح التَّالي استدعَت خيَّالة دمها وخاطبَتهم قائلةً: «يا دم دمي، إنني أحتاجُ إليكم. على كلٍّ منكم أن ينتقي ثلاثة خيول، أقوى وأصحَّ ما تبقَّى لدينا، ويُحَمِّلها بأكبر كَمٍّ ممكنٍ من الماء والطَّعام. أريدكم أن تنطلقوا من أجلي. سيتَّجه آجو إلى الجَنوب الغَربي، وراگارو جَنوبًا، وأنت يا چوجو ستتبع شيراك كَيا في الجَنوب الشَّرقي».

سألها چوجو: «عمَّ سنبحث يا گاليسي؟».

أجابَته: «عن أيِّ شيءٍ موجود، ابحثوا عن المُدن الأخرى، الحيِّ منها والميت، ابحثوا عن القوافل والنَّاس، ابحثوا عن الأنهار والبحيرات والبحر المالح العظيم. اعرفوا كم تمتدُّ هذه الأرض اليباب أمامنا وما يقع على الجانب الآخَر، فعندما أغادرُ هذا المكان لا أنوي أن أتحرَّك كالعميان ثانيةً. أريدُ أن أعرف أين سأذهبُ، وأفضل وسيلةٍ للوصول».

وهكذا ذهبوا والأجراس في شَعرهم ترنُّ بخفوت، بينما استقرَّت داني مع جماعتها الصَّغيرة من النَّاجين في المدينة التي أطلقوا عليها اسم ڤايس تولورو، الذي يعني «مدينة العظام» بلسان الدوثراكي. تبعَ اللَّيلَ النَّهارُ وتبعَه اللَّيل، تقطف النِّسوة الفواكه من حدائق الموتى، ويسوس الرِّجال خيولهم ويُصلِحون سروجها ورُكْبها وحَذْواتها، ويجول الأطفال في الأزقَّة الملتوية ليَعثُروا على عُملاتٍ برونزيَّة قديمة وقطعٍ من الزُّجاج البنفسجي وأباريق حجريَّة مقابضها منحوتة على شكل ثعابين. امرأة لدغَها عقرب أحمر، لكنها الوحيدة التي ماتَت، وبدأت الخيول تستعيد وزنها من جديد، بينما طبَّبت داني جرح السير چورا بنفسها، فبدأ يندمل بالفعل.

كان راگارو أول الرَّاجعين، وأبلغَها أن القَفر الأحمر يمتدُّ جَنوبًا ويمتدُّ حتى ينتهي عند شاطئٍ أجرد على المياه السامَّة، وبين هنا وهناك لا يوجد غير دوَّامات الرِّمال، والصُّخور التي صقلَتها الرِّيح، والنَّباتات المليئة بالأشواك الحادَّة. أقسمَ أنه مَرَّ بعظام تنِّين، وكانت ضخمةً للغاية لدرجة أنه عبرَ بحصانه



من الفَكِّ الأسود العظيم، لكن عدا ذلك لم يرَ شيئًا. أعطَته داني اثني عشر من أقوى رجالها وكلَّفتهم بخلع أحجار السَّاحة ليصلوا إلى التُّربة من تحتها، فإذا كان العُشب الشَّيطاني ينمو بين حجارة الرَّصف، فستنمو أنواع أخرى من الأعشاب عندما تُزال الأحجار. إن لديهم ما يكفي من آبار، ولا يفتقرون إلى الماء، وإذا زُرِعَت البذور هنا فستُزهِر السَّاحة.

عادَ آجو بَعد ذلك، وأقسمَ أن الجَنوب الغَربي مقفر وقاحل تمامًا، وأخبرَها أنه عثرَ على مدينتين أخريين أصغر من ڤايس تولورو، لكن لا تختلفان عنها فيما عدا ذلك. إحداهما كانت محاطةً بحلقةٍ من الجماجم المعلَّقة على حراب حديديَّةٍ صدئة، فلم يَجسُر على الدُّخول، لكنه استكشفَ الثَّانية بقدر ما استطاعَ، وأرى داني سوارًا حديديًّا وجدَه، ثُبِّتَت فيه حلية من الأوپال بحجم إبهامها. وجدَ آجو مخطوطاتٍ كذلك، لكنها كانت جافَّةً على وشك التفتُّت، فتركَها حيث هي. شكرَته داني وقالت له أن يشرع في إصلاح البوَّابات. ما دام الأعداء قد عبروا القَفر الأحمر لتدمير تلك المُدن في سالف الدَّهر، فقد يأتون من جديد. «وإذا حدثَ هذا، ينبغي أن نكون مستعدِّين».

غابَ چوجو طويلًا حتى إنها خشيَت أنه ضاعَ إلى الأبد، لكن أخيرًا، عندما كفُّوا عن ترقُّب عودته، رجعَ خيَّال الدَّم من الجَنوب الشَّرقي. رآه واحد من الحُرَّاس الذين عيَّنهم آجو أولًا، فأطلقَ صيحةً، وحثَّت داني الخُطى إلى الأسوار لترى بنفسها. أجل، لقد عادَ چوجو، لكن ليس بمفرده، فمن ورائه كان ثلاثة غُرباء يرتدون ثيابًا غريبةً ويمتطون مخلوقاتٍ حَدباء قبيحة تجعل أيَّ حصانٍ قزمًا بالمقارَنة. توقَّفوا أمام بوَّابات المدينة، ورفعوا أبصارهم ليتطلَّعوا إلى داني على السُّور من فوقهم، بينما رفعَ چوجو عقيرته قائلًا: «يا دم دمي، لقد ذهبتُ إلى مدينة كارث العظيمة، وعدتُ مع ثلاثةٍ يرغبون في رؤياكِ بأعيُنهم».

نظرَت داني إلى الغُرباء من أعلى، وقالت: «ها أنا ذي. انظُروا كما شئتم... لكن أخبِروني بأسمائكم أولًا».

أجابَ الرَّجل الشَّاحب ذو الشَّفتين الزَّرقاوين بلُغة الدوثراكي الخشنة: «أنا پيات پري، الدجَّال العظيم».



وأجابَ الرَّجل الأصلع ذو الجواهر في أنفه بڤاليريَّة المُدن الحُرَّة: «أنا زارو زون داكسوس من رابطة الثَّلاثة عشر، أمير تاجر من كارث».

وقالت المرأة ذات القناع الخشبي المصقول بعاميَّة الممالك السَّبع: «أنا كويث ابنة الظِّل. جئنا سعيًا إلى التَّنانين».

ردَّت عليهم دنيرس تارجاريَن: «لم يَعُد عليكم أن تسعوا، فقد وجدتموهم».





چون

تُسَمَّى القرية وايتري على خرائط سامٍ القديمة، ولم يحسب چون أنها تستحقُّ أن يُطلَق عليها قرية أصلًا، فكلُّ ما فيها عبارة عن أربعة بيوتٍ متداعية تُحيط بزريبة غنم وبئر، والبيوت أحاديَّة الغُرف ومبنيَّة من الحجارة غير المملَّطة، وسقوفها مُغطَّاة بطبقةٍ من النَّجيل، بينما أُسدِلَت على النَّوافذ قطع مهترئة من جلود الحيوانات. فوق كلِّ شيءٍ ارتفعَت شجرة ويروود هائلة الحجم، بغصونها الشَّاحبة وأوراقها الحمراء الدَّاكنة، وكانت أكبر شجرةٍ رآها چون سنو في حياته كلها، الجذع يُقارِب الثَّمانية أقدام عرضًا، والفروع ممتدَّة طويلًا طويلًا، حتى إن القرية بأكملها تستظلُّ بظِلِّها. على أن الحجم لم يُزعِجه كالوجه... بالتَّحديد الفم الذي لم يكن مجرَّد شِقٍّ محفور، بل تجويف محزَّز كبير بما يكفي لأن يبتلع خروفًا كاملًا.

لكن هذه ليست عظام خروف، ولا تلك جمجمة خروفٍ وسط الرَّماد.

قال مورمونت من فوق حصانه وقد عقدَ حاجبيه: «شجرة قديمة»، وردَّد غُدافه من فوق كتفه: «قديمة، قديمة، قديمة!».

- «وقويَّة»، قال چون مستشعرًا قوَّة الشَّجرة الباسقة بالفعل.

ترجَّل ثورين سمولوود إلى جوار الجذع وقد ارتدى دِرعًا داكنةً، وقال: «انظُروا إلى هذا الوجه. لا عجب أن البَشر كانوا يخشون تلك الأشجار في بداية مجيئهم إلى وستروس. إنني أشعرُ برغبةٍ في قطْع هذا الشَّيء القبيح ببلطةٍ بالفعل».

قال چون: «السيِّد والدي كان يُؤمِن بأن لا أحد يستطيع أن يكذب أمام



شجر القلوب، فالآلهة القديمة تعرف عندما يكذب البَشر».

- «أبي كان يُؤمِن بهذا أيضًا»، قال الدُّب العجوز. «دَعني ألقي نظرةً على هذه الجمجمة».

ترجَّل چون وعلى ظَهره يستقرُّ «المخلب الطَّويل» في غمد الكتف الجِلديِّ الأسود، السَّيف النَّغل طراز اليد ونِصف، الذي أعطاه الدُّب العجوز إياه لإنقاذه حياته، وإن قال الرِّجال عنه مازحين: سيفٌ نغلٌ لنغل. كان المقبض قد شُكِّلَ من جديدٍ من أجله، وزُيِّنَ بقبيعةٍ كرأس ذئبٍ من الحجر الأبيض الباهت، لكن النَّصل نفسه مُطَرَّق من الفولاذ الڤاليري، قديم وخفيف وماضٍ إلى حَدٍّ مميت. ركعَ ودَسَّ يده المغطَّاة بالقُفَّاز في فجوة الفم، التي تلوَّنَ داخلها بأحمر النُّسغ الجاف وأسود النَّار، ورأى تحت الجمجمة جمجمةً أخرى أصغر حجمًا، فكُّها مكسور ونِصف مدفونةٍ في خليطٍ من الرَّماد وفُتات العظام.

ناولَ مورمونت الجمجمة، فرفعَها الدُّب العجوز بيديه معًا، وحدَّق في المحجرين الخاويين قائلًا: «الهَمج يُحرِقون أمواتهم، هذا معروف، لكني أتمنَّى الآن لو أني سألتهم عن السَّبب عندما كان بعضهم موجودًا».

تذكَّر چون سنو الجثَّة التي نهضَت حيَّةً، وعينيها المتوهِّجتين بالأزرق في الوجه الميت الشَّاحب، وملأه يقين بأنه يعرف السَّبب.

دمدمَ الدُّب العجوز: «ليت العظام قادرة على الكلام. كان صاحب هذا الرَّأس ليُخبرنا بالكثير، كيف ماتَ، ومَن أحرَقه ولماذا، وأين ذهبَ الهَمج»، وزفرَ مضيفًا: «يُقال إن أطفال الغابة كانوا يستطيعون الكلامَ مع الموتى، لكني لا أستطيعُ»، ثم ألقى الجمجمة في ثغر الشَّجرة، حيث حطَّت مصدرةً سحابةً من الرَّماد النَّاعم. «فتِّشوا البيوت كلها. أيها العملاق، اصعد إلى قمَّة هذه الشَّجرة وألقِ نظرةً. أحضِروا كلاب الصَّيد أيضًا، فربما يكون الأثر طازجًا هذه المرَّة». النَّبرة التي نطقَ بها الجُملة الأخيرة كانت تشي بأنه لا يملك أملًا كبيرًا حقًّا.

دخلَ كلَّ بيتٍ رجلان، للتأكُّد من عدم إغفال أيِّ شيء، فوجدَ چون نفسه مع إديسون توليت عابس الملامح، الذي كان مُرافقًا لفارسٍ في السَّابق، وله



شَعر أشيب وقوام رفيع كالعصا، ويُسَمِّيه الإخوة الآخَرون إد الكئيب. «سيِّئ بما يكفي عندما ينهض الموتى ويسيرون»، قال لچون وهما يقطعان القرية، «والآن يُريدهم الدُّب العجوز أن يتكلَّموا كذلك؟ لا خير يُمكن أن يأتي من ذلك، أؤكِّدُ لك. ثم من يضمن ألَّا تكذب العظام؟ لماذا يجعل الموت الإنسان صادقًا أو حتى ذكيًّا؟ لا بُدَّ أن الموتى كائنات مملَّة لا تكفُّ عن الشَّكوي... الأرض باردة جدًّا، من المفترَض أن يكون قبري أكبر، لماذا يَحصُل هو على ديدان أكثر مني؟!».

اضطرَّ چون للانحناء ليَدخُل من الباب الواطئ، وفي الدَّاخل وجدَ الأرضيَّة من التُّربة الممهَّدة، لكن لا أثاث، ولا علامة تدلُّ على أن أناسًا كانوا يعيشون هنا، باستثناء القليل من الرَّماد تحت فتحة التَّهوية في السَّقف. قال: «مكان موحش جدًّا».

رَدَّ إد الكئيب: «وُلِدتُ في بيتٍ يُشبِه هذا كثيرًا، وكانت تلك سنوات بختي السَّعيد، فبَعدها مررتُ بأوقات عصيبة حقًّا». احتلَّت رُكن الغُرفة كومة من القَشِّ الجاف بمثابة سرير، ورمقَها إد بحنينٍ وأردفَ: «يُمكنني أن أدفعَ كلَّ ما في كاسترلي روك من ذهبٍ مقابل أن أنام في فِراشٍ ثانيةً».

- «أتُسَمِّي هذا فِراشًا؟».

- «إذا كان ألين من الأرض وهناك سقف من فوقه، فهو فِراش عندي»، قال إد الكئيب، ثم تشمَّم الهواء وغمغمَ: «أشمُّ رائحة روث».

كانت الرَّائحة خفيفةً للغاية، فقال چون: «روث قديم». من البادي أن البيت مهجور منذ فترة. ركعَ وفتَّش وسط القَشِّ بيديه، علَّه يجد شيئًا مخفيًّا تحته، ثم بدأ يفحَص الجُدران، ولم يستغرق وقتًا طويلًا حتى أعلنَ: «لا يوجد شيء هنا».

لم يكن أيُّ شيءٍ كما توقَّعه. وايتري هي رابع قريةٍ يمرُّون بها، ولا تختلف إطلاقًا عن سابقاتها، فما مِن سُكَّان، اختفوا جميعًا بممتلكاتهم الشَّحيحة وأيٍّ حيواناتٍ كانت لديهم. ليسَ هناك في أيٍّ من القُرى ما يوحي بأنها هوجِمَت، لكنها ببساطة... خالية! سألَ چون: «ما الذي تحسبه حدثَ لهم؟».

أجابَ إد الكئيب: «شيء أسوأ مما نتخيَّل. إنني أستطيعُ تخيُّله في الحقيقة،



لكني لا أريدُ. سيِّئ بما يكفي أن تعرف أنك ذاهب إلى نهايةٍ شنيعة، دون أن تشغل عقلك بها قبل الأوان».

كان كلبا صيدٍ يتشمَّمان حول الباب عندما خرجا، بينما انتشرَت الكلاب الأخرى في أرجاء القرية، يسبُّها تشِت بصوتٍ عالٍ بغضبه الدَّائم الذي لا يبدو أنه يستطيع التخلِّي عنه، وقد جعلَ النُّور الذي تخلَّل أوراق الويروود الحمراء بثور وجهه تبدو ملتهبةً أكثر من المعتاد. ضيَّق تشِت عينيه عندما رأى چون، فليس هناك وُدٌّ مفقود بينهما.

لم يُثمِر البحث في البيوت الأخرى شيئًا، وصاحَ غُداف مورمونت وهو يُحَلِّق إلى شجرة الويروود ليستقرَّ فوقها: «اختفوا! اختفوا! اختفوا! اختفوا!».

- «كان هناك هَمج في وايتري منذ عام واحدٍ فقط». بدا ثورين سمولوود كلوردٍ حقيقي أكثر من مورمونت نفسه، وقد ارتدى قميص الحلقات المعدنيَّة الأسود اللَّامع، الذي كان ملكًا للسير چارمي ريكر، وواقي صدره المزخرَف بالنُّقوش البارزة. المعطف الثَّقيل المنسدل على كتفيه مبطَّن بفرو السَّمُّور، ومثبَّت بمشبكٍ على شكل مطرقتين متقاطعتين من الفضَّة، رمز عائلة ريكر، وكان ملكًا للسير چارمي أيضًا... لكن الجثَّة الحيَّة الأخرى فتكَت بالسير چارمي، وحَرس اللَّيل لا يُبَدِّدون شيئًا.

قال چارمان بكويل، الرَّجل الصَّارم متبلِّد الحِس الذي يقود الكشَّافة: «منذ عامٍ واحدٍ كان روبرت ملكًا، والبلاد في سلام. من الممكن أن يتغيَّر الكثير فيّ غضون عام».

رَدَّ السير مالادور لوك بإلحاح: «شيء واحد لم يتغيَّر، الهَمج الأقلُّ يعنون هومًا أقلَّ. لن أحزن عليهم لحظةً مهما حدثَ لهم. كلهم لصوص وقتَلة».

سمعَ چون حفيفًا من الأوراق الحمراء من فوق، ثم افترقَ فرعان وأبصرَ رجلًا صغير الحجم يتنقَّل من فرعٍ إلى فرعٍ ببساطةٍ كالسَّناجب. لا يتجاوَز بدويك الأقدام الخمسة طولًا، وإنَّ باحَت الخطوط الرَّماديَّة في شَعره بسِنِّه. يُلَقِّبه الجوَّالة الآخَرون بالعملاق، وقد جلسَ فوق ملتقى فرعين من الشَّجرة فوق رؤوسهم، وقال: «ثمَّة مياه إلى الشَّمال، بحيرة ربما، وعدد من تلال الصوَّان التي ترتفع غربًا، ليست عاليةً جدًّا، لكن لا شيء آخَر أيها السَّادة».



اقترحَ سمولوود: «يُمكننا أن نخيِّم هنا اللَّيلة».
رفعَ الدُّب العجوز عينيه إلى أعلى باحثًا عن لمحةٍ من السَّماء بين الأغصان البيضاء والأوراق الحمراء، ثم قال: «كلا. أيها العملاق، كم تبقَّى لدينا من نور النَّهار؟».
- «ثلاث ساعات يا سيِّدي».
قال مورمونت بحسم: «سنتقدَّم شَمالًا. إذا بلغنا تلك البحيرة، سنُخَيِّم على شاطئها، وربما نصطاد بعض السَّمك. چون، أحضِر لي ورقةً، فقد تأخَّرت في الكتابة للمِايستر إيمون بالفعل».
أخرجَ چون رَقًّا والحبر والرِّيشة من جراب سَرجه، وعادَ إلى حضرة القائد، الذي كتبَ بعجلة: «في وايتري. القرية الرَّابعة. كلها خالٍ. الهَمج اختفوا»، ثم قال مناولًا چون الرِّسالة: «اعثُر على تارلي وتأكَّد من أن يُرسِلها»، وأطلقَ صفيرًا ليأتي طائره من أعلى ويَحُطَّ على رأس حصانه. هَزَّ الغُداف رأسه صائحًا: «ذُرة!»، وأطلقَ الحصان صهيلًا.
امتطى چون حصانه الصَّغير ودارَ به وتحرَّك مسرعًا. بعيدًا عن ظِلِّ شجرة الويروود العظيمة، وقفَ رجال حَرس اللَّيل تحت أشجارٍ أدنى، يُعنون بخيولهم ويلوكون شرائح من اللَّحم المملَّح ويتبوَّلون ويَحُكُّون أجسادهم ويتكلَّمون، وعندما جاءَ الأمر بالحركة من جديد ماتَ الكلام وعادوا يركبون الخيول. سبقَهم كشَّافة چارمان بكويل، وتحرَّك ثورين سمولوود على رأس المقدِّمة كما يُفترَض، ثم جاءَ الدُّب العجوز مع القوَّة الأساسيَّة، وبَعده السير مالادور لوك مع طابور الأحصنة التي تحمل الأمتعة، وأخيرًا السير أوتين ويذرز مع حَرس المؤخِّرة. مئتا رجلٍ إجمالًا، وثلاثمئة من الدَّواب.
نهارًا اتَّبعوا آثار الطَّرائد وقيعانَ المجاري المائيَّة، طُرق الجوَّالة التي توغَّلوا عبرها أكثر في براري أوراق الشَّجر والجذور، وليلًا خيَّموا تحت السَّماء المزدانة بالنُّجوم وتطلَّعوا إلى المذنَّب. كان الإخوة السُّود قد غادَروا القلعة السَّوداء بروحٍ معنويَّةٍ عالية، يتبادَلون النِّكات ويتجاذَبون أطراف الحكي، لكن يبدو مؤخَّرًا أن سكون الغابة المستمرَّ قد ثبَّطهم جميعًا، فصارَ مزاحهم أقلَّ وفتيلهم أقصر، ولم يستطِع أحدهم أن يُقِرَّ بأنه خائف حقًّا



-فهُم من رجال حَرس اللَّيل رغم كلِّ شيء- لكن چون شعرَ بما يعتمل في أنفسهم. أربع قُرى خالية، ولا هَمج في أيٍّ مكان، ويبدو أن الطَّرائد ذاتها فرَّت، والجوَّالة المخضرمون أنفسهم اتَّفقوا على أن الغابة المسكونة لم تبدُ مسكونةً هكذا من قبل قَطُّ.

خلعَ چون قُفَّازه في الطَّريق ليُعَرِّض أصابعه المحروقة للهواء، وقال في نفسه: كم تبدو قبيحةً. تذكَّر فجأةً كيف اعتادَ أن ينفش شَعر آريا، أخته الصَّغيرة النَّحيفة. تساءلَ عن حالها الآن، وأحزَنه بعض الشَّيء أن يُفَكِّر أنه قد لا ينفش شَعرها ثانيةً أبدًا. بدأ يثني يده فاتحًا ومغلقًا أصابعه. إذا تركَ يده التي يحمل بها السَّيف تستسلم للتيبُّس والخَرق، فإنه يعلم أن في ذلك نهايته، فالرَّجل يحتاج سيفه وراء «الجِدار».

وجدَ ساميول تارلي يسقي الخيول مع الوُكلاء الآخَرين. كان مسؤولًا عن ثلاثة، حصانه الخاص واثنين يحملُ كلٌّ منهما قفص غِدفان كبيرًا مصنوعًا من السِّلك والأماليد المجدولة. خفقَت الطُّيور بأجنحتها مع اقتراب چون، وصرخَت فيه من وراء القضبان، فبدا شيء من الصُّراخ ككلماتٍ حقيقيَّةٍ بصورةٍ مريبة، ما حدا به لأن يسأل سام: «هل تُعَلِّمها الكلام؟».

- «كلمات قليلة. ثلاثة منها يقولون «ثلج»».

قال چون: «طائر واحد ينعب اسمي كان يكفي، والثَّلج ليس بالشَّيء الذي يُريد أن يسمع به أخٌ أسود». كثيرًا ما يعني الثَّلج الموت في الشَّمال.

- «هل وجدتم شيئًا في وايتري؟».

أجابَ چون: «العظام والرَّماد والبيوت الخاوية»، وناولَ سام الرَّقَّ المطويَّ قائلًا: «الدُّب العجوز يُريد إرسال الأخبار إلى إيمون».

أخرجَ سام طائرًا من أحد القفصين، وملَّس على ريشه ثم ربطَ الرِّسالة بقدمه وقال: «طِر إلى الدِّيار أيها الشُّجاع، إلى الدِّيار»، فنعبَ الغُداف شيئًا غير مفهوم في وجهه، قبل أن يُلقي سام به في الهواء، ليرتفع خافقًا بجناحيه من بين الأشجار صوب السَّماء. «أتمنَّى لو استطاعَ أن يحملني معه».

- «حتى الآن؟».

قال سام: «نعم، لكني... لستُ خائفًا كما كنتُ من قبل، حقًّا. في اللَّيلة



الأولى، كلما سمعتُ أحدًا ينهض ليقضي حاجته، حسبته همجيًّا يتسلَّل ليذبحني، وكنتُ أخشى أن أغمض عينيَّ فلا أفتحهما ثانيةً أبدًا، لكن... لكن الفَجر أتى في النِّهاية»، وارتسمَت على شفتيه ابتسامة باهتة، وأكملَ: «قد أكونُ جبانًا، لكني لستُ غبيًّا. إنني متعَب وظَهري يُؤلِمني من الرُّكوب والنَّوم على الأرض، لكنني أكادُ لا أشعرُ خوفًا على الإطلاق. انظُر»، ورفعَ يده كي يرى چون كم هي ثابتة، وأردفَ: «إنني أعملُ على خرائطي».

العالم غريب حقًّا. مئتا رجلٍ شُجاع تركوا «الجِدار»، والوحيد الذي لا يزداد خوفه هو سام، الصَّبي الذي اعترفَ بجُبنه علنًا. قال له مازحًا: «هناك فُرصة لأن نجعل منك جوَّالًا. المرَّة القادمة ستُريد أن تكون كشَّافًا مِثل جرِن. هل أكلِّم الدُّب العجوز؟».

صاحَ سام: «إياك!»، ورفعَ قلنسوة معطفه الأسود الضَّخم وامتطى حصانه بلا مرونة. كان حصان حرثٍ كبيرًا وبطيئًا وأخرق، لكن يستطيع احتمال وزنه أكثر من الأحصنة الأصغر حجمًا التي يركبها الجوَّالة. قال سام بأسى: «كنتُ آملُ أن نقضي اللَّيلة في القرية. سيكون من الجميل أن ننام تحت سقفٍ من جديد».

قال چون: «البيوت أقلُّ وأصغر من أن تسعنا جميعًا»، وعادَ يمتطي حصانه، ومنحَ سام ابتسامةً وانطلقَ. كان الرَّكب قد بدأ يتقدَّم بالفعل، فدارَ دورةً واسعةً حول القرية ليتفادى الزِّحام. لقد اكتفى من وايتري.

خروج جوست من بين الشُّجيرات كان مفاجئًا تمامًا، حتى إن الحصان نكصَ فزعًا وتراجعَ رافعًا قائمتيه الأماميَّتين. كان الذِّئب الأبيض يصطاد بعيدًا عن خَطِّ الزَّحف، وإن لم يُواتِه حَظٌّ أفضل من الرِّجال الذين أرسلَهم ثورين سمولوود بحثًا عن طرائد. قال لهم دايوين ذات ليلةٍ حول النَّار إن الغابة خالية أكثر من القُرى، فرَدَّ چون: «نحن مجموعة كبيرة، ولا بُدَّ أن الطَّرائد خافَت من الضجَّة التي نُصدِرها أثناء تحرُّكنا وفرَّت».

قال دايوين: «خافَت من شيءٍ ما بلا شك».

بمجرَّد أن هدأ الحصان، انطلقَ جوست متواثبًا إلى جواره ببساطة، ولحقَ



چون بمورمونت وهو يدور حول دغلٍ من الزُّعرور البرِّي، فسألَه الدُّب العجوز: «هل حلَّق الطَّائر؟».

- «نعم يا سيِّدي. سام يُعَلِّم الغِدفان الكلام».

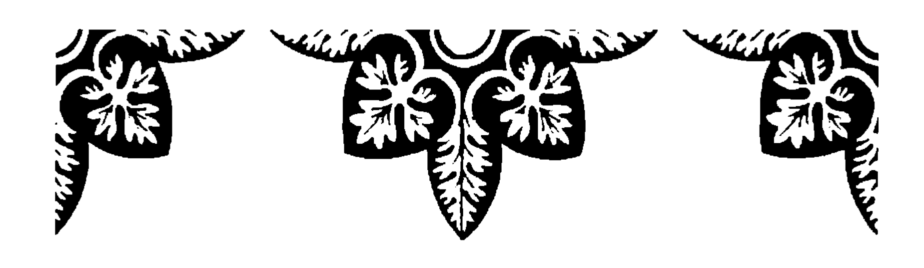
قال الدُّب العجوز ساخرًا: «سيندم على هذا. تلك المخلوقات الملعونة تُصدِر الكثير من الضَّوضاء، لكنها لا تقول شيئًا يستأهل السَّمع أبدًا».

مضيا بصمتٍ فترةً، ثم قال چون: «إذا وجدَ عمِّي كلَّ تلك القُرى خاليةً كذلك...».

- «... كان ليجعل هدفه أن يعرف السَّبب»، أتمَّ اللورد مورمونت عبارته. «ولعلَّ شخصًا أو شيئًا أرادَ أن يظلَّ السَّبب مجهولًا. طيِّب، سيكون عددنا ثلاثمئة عندما ينضمُّ كورين إلينا، وأيُّ أعداء يقبعون في انتظارنا هنا لن يجدونا لقمةً سائغةً. سوف نَعثُر عليهم يا چون، أعدُك».

أو سيَعثُرون هُم علينا.





آريا

كان النَّهر كشريطٍ من الأخضر المزرق في شمس الصَّباح، وبطول ضفَّتيه نما البوص بكثافةٍ في الجزء الضَّحل من المياه. رأت آريا ثعبانًا ينزلق بخفَّةٍ على السَّطح، تنتشر التموُّجات من ورائه وهو يتحرَّك، وفي الأعلى حلَّق صقر بكسلٍ في دوائر. بدا أن السَّكينة تحفُّ المكان حقًّا... إلى أن لمحَ كوس الجثَّة، وأشارَ قائلًا: «هناك، وسط البوص»، ورأت آريا الجثَّة المنتفخة مشوَّهة المعالم، التي علقَ معطفها المشبَّع بالماء بفرع شجرةٍ عفِنٍ، وقد أخذَ سرب من الأسماك الفضِّيَّة الدَّقيقة يقضم وجهها. قال لومي: «قلتُ لكم إن هناك جُثثًا، مذاقها في الماء».

بصقَ يورن عندما رأى جثَّة الجندي، وقال: «دوبر، انظُر إن كان معه ما يستحقُّ أن يؤخَذ، قميص واقٍ، سكِّين، نقود، أيُّ شيء»، وهمزَ حصانه وخاضَ به في النَّهر، لكن الحيوان وجدَ صعوبةً في الحركة في الطَّمي الرَّخو، كما أن المياه تزداد عُمقًا بَعد البوص، فتراجعَ يورن غاضبًا وحصانه مغطًّى بالوحل حتى الرُّكبتين، وقال: «لن نَعبُر من هنا. كوس، ستأتي معي في اتِّجاه منبع النَّهر بحثًا عن مخاضة، وليذهب ووث وجيرين في اتِّجاه المصب. سينتظر بقيَّتكم هنا، فعيِّنوا حراسةً».

وجدَ دوبر كيس نقودٍ جِلديًّا في حزام الرَّجل الميت، وداخله أربع عُملاتٍ نُحاسيَّة وخُصلة من الشَّعر الأشقر مربوطة بشريطٍ أحمر، فيما تجرَّد لومي وتاربر من ملابسهما وخاضا في الماء، ورفعَ لومي يدًا مليئةً بطمي لزج قذفَ به هوت پاي هاتفًا: «فطائر طمي! فطائر طمي!»، أمَّا في مؤخِّرة عربَة السُّجناء،



فقد أخذَ رورج يسبُّ ويُطلِق التَّهديدات، ويقول لهم أن يحلُّوا وثاقه ويورن غائب، لكن أحدًا منهم لم يُعِره اهتمامًا. أمسكَ كورز سمكةً بيديه، ورأت آريا كيف فعلَها وهو يقف فوق بِركةٍ ضحلةٍ بهدوء المياه الرَّاكدة، ثم تندفع يده كالثُّعبان عندما تقترب الأسماك. لم يبدُ الأمر لها صعبًا كالإمساك بالقِطط، فالسَّمك لا يملك مخالب.

عادَ الآخَرون مع انتصاف النَّهار. أبلغَهم ووث بوجود جسرٍ خشبي على بُعد نِصف ميل في اتِّجاه تيَّار النَّهر، لكن أحدهم أحرقَه، فقطفَ يورن ورقةً من حزمة التَّبغ المُر، وقال: «قد نتمكَّن من جعْل الخيول تَعبُر سباحةً، وربما الحمير كذلك، لكن مستحيل أن نَعبُر بتلك العربات. ثم إن هناك دخانًا إلى الشَّمال والغَرب، المزيد من الحرائق، فلعلَّ من الأفضل إذن أن نبقى على هذا الجانب من النَّهر»، والتقطَ عصا طويلةً رسمَ بها في الطِّين دائرةً يَخرُج منها خَط، وقال: «هذه «عين الآلهة»، والنَّهر يتدفَّق منها جَنوبًا. نحن هنا»، وصنعَ ثُقبًا إلى جوار خَطِّ النَّهر تحت الدَّائرة، وأضافَ: «لا يُمكننا الدَّوران غَربًا حول البحيرة كما حسبتُ، والاتِّجاه شَرقًا يُعيدنا إلى طريق الملوك»، ثم حرَّك العصا إلى حيث يلتقي الخَطُّ والدَّائرة، وتابعَ: «ثمَّة بلدة هنا حسبما أذكرُ، المعقل مبني من الحجر، وهناك مقرٌّ للوردٍ صغير أيضًا، مجرَّد منزلٍ مزوَّد ببُرجٍ، لكن سيكون لديه حُرَّاس، وربما فارس أو اثنان كذلك. إذا اتَّبعنا النَّهر شَمالًا، سنصل قبل حلول الظَّلام. ستكون لديهم قوارب، ولذا أنوي أن أبيع كلَّ ما لدينا وأستأجر واحدًا»، وسحبَ العصا عبر دائرة البحيرة من أسفل إلى أعلى قائلًا: «إذا شاءَت الآلهة، ستكون الرِّيح مواتيةً، ونُبحِر عبر «عين الآلهة» إلى هارنتاون»، وغرسَ رأس العصا في قمَّة الدَّائرة خاتمًا: «يُمكننا أن نشتري دوابَّ جديدةً هناك، وإن لم يكن فسنحتمي بهارنهال. لطالما كانت الليدي وِنت صديقةً لحَرس اللَّيل».

قال هوت پاي بعينين متَّسعتين: «هناك أشباح في هارنهال».

بصقَ يورن وقال: «هذه أشباحك»، ثم ألقى العصا في الطِّين وصاحَ فيهم: «اركبوا».

تذكَّرت آريا الحكايات التي كانت العجوز نان تحكيها عن هارنهال.



الملك الشرِّير هارن تحصَّن داخلها، فأطلقَ إجون تنانينه محوِّلًا القلعة إلى محرقة. قالت نان إن الأرواح النَّاريَّة لا تزال تَسكُن الأبراج المسودَّة، وأحيانًا يخلد الرِّجال إلى النَّوم في أسرَّتهم، ويُعثَر على جُثثهم المتفحِّمة في الصَّباح. لم تكن آريا تُصَدِّق شيئًا من هذا، وعلى كلِّ حالٍ وقعَت تلك الأحداث منذ زمنٍ طويل. إنه سُخف حقيقي من هوت باي، ففي هارنهال لن تكون هناك أشباح، بل فُرسان، وحينئذٍ تستطيع آريا أن تُفصِح عن هويَّتها لليدي ونت، ويصحبها الفُرسان إلى الوطن ويُحافِظوا على سلامتها. هذا ما يفعله الفُرسان، يُحافِظون على سلامة النَّاس، بالذَّات النِّساء... بل وربما تُساعِد الليدي ونت الفتاة الباكية أيضًا.

لم يكن الطَّريق المحاذي للنَّهر كطريق الملوك بالطَّبع، لكنه ليس سيِّئًا في حَدِّ ذاته، ولمرَّةٍ تحرَّكت العربات بسلاسة. رأوا أول البيوت قبل ساعةٍ من حلول المساء، وكان كوخًا أنيقًا صغيرًا مسقوفًا بالقَش، وتُحيط به حقول القمح. تقدَّم يورن مناديًا سُكَّان الكوخ، لكن أحدًا لم يُجبه، فقال: «إمَّا أنهم موتى أو مختبئون. دوبر، راي، معي». دخلَ الرِّجال الثَّلاثة، ثم دمدمَ يورن عندما خرجوا: «القدور أُخِذَت، ولا يوجد أثر لأيِّ نقود، ولا حيوانات كذلك. غالبًا فَرَّ قاطنو المكان، ولربما مرَرنا بهم على طريق الملوك بالفعل». على الأقل لم يُضرِم أحد النَّار في البيت والحقل، كما أنهم لم يجدوا جُثثًا في الجوار. عثرَ تاربر على حديقةٍ وراء الكوخ، فقطفوا بعض البصل والفجل، وملأوا جوالًا بالكرنب قبل أن يُغادِروا.

على مسافةٍ أبعد على الطَّريق رأوا كوخ حطَّاب تُحيط به الأشجار والأخشاب المرصوصة بعنايةٍ في انتظار القَطع، وبَعدها كان بيت متداعٍ مبني على ركائز ارتفاعها عشرة أقدام تميل به نحو الماء، وفي الحالتين كان المكان مهجورًا. مرُّوا بالمزيد من حقول القمح والذُّرة والشَّعير، كلها يَنضُج في الشَّمس، وكلها خالٍ من أيِّ رجالٍ يجلسون في الأشجار أو يتحرَّكون جيئةً وذهابًا بالمناجل. ثم لاحَت لهم البلدة أخيرًا، مجموعة من البيوت البيضاء المنتشرة حول أسوار المعقل، وسِبت كبير بسقفٍ مكسوٍّ بالألواح الخشبيَّة،



ومنزل اللورد المبني فوق مرتفَعٍ أرضيٍّ واطئ إلى الغَرب... ولا أثر للنَّاس في أيٍّ مكان.

جلسَ يورن فوق حصانه وقد زَمَّ شفتيه من تحت لحيته المتشابكة، وقال: «لا يروقني هذا، لكننا هنا. سنذهب ونُلقي نظرةً، نظرةً حذرةً، فقد يكون بعض الأهالي مختبئين، وقد يكونون قد تركوا قاربًا أو أسلحةً نستفيد بها».

تركَ الأخ الأسود عشرةً منهم لحراسة العربات والفتاة الصَّغيرة الباكية، وقسَّم بقيَّتهم إلى أربع مجموعاتٍ من خمسة أفراد لتفتيش البلدة، وقال لهم محذِّرًا: «أريدُ أعيُنكم وآذانكم مفتوحةً»، قبل أن يقود حصانه إلى داخل المنزل ذي البُرج، ليرى إن كان هناك أثر للورد الصَّغير أو حَرسه.

وجدَت آريا نفسها مع جندري وهوت پاي ولومي، وكان ووث المكتنز ذو البطن الكبير يعمل مجذفًا على سفينةٍ من قبل، ما جعلَه أقرب مَن لديهم إلى بحَّار، فقال له يورن أن يأخذهم إلى ضفَّة البحيرة ليروا إن كانت هناك قوارب. شعرَت آريا بالشُّعيرات تنتصب على ذراعيها وهُم يتحرَّكون على ظَهر الخيول بين البيوت البيضاء الصَّامتة، إذ أثارَت هذه البلدة الخاوية خوفها بقَدر ما أثارَه المعقل المحترق الذي وجدوا فيه الفتاة الباكية والمرأة ذات الذِّراع الواحدة. لماذا يهرب النَّاس ويَهجُرون بيوتهم ويَترُكون كلَّ شيءٍ وراءهم؟ ما الذي يُمكنه أن يُخيفهم إلى هذا الحد؟

كانت الشَّمس تميل إلى المغيب، جاعلةً البيوت تُلقي ظلالًا طويلةً داكنةً، وبعثَ صوت ارتطام مفاجئ آريا على مَدِّ يدها إلى إبرتها، لكنه كان مجرَّد مصراع نافذةٍ تدفعه الرِّيح. بَعد شاطئ النَّهر المفتوح كان ضِيق البلدة وتضامُّ مبانيها يُثير أعصابها.

حين لمحَت البحيرة أمامهم من بين البيوت والأشجار، وكزَت آريا حصانها برُكبتيها بقوَّةٍ وانطلقَت متجاوزةً ووث وجندري، وخرجَت إلى الأرض المعشوشبة المجاورة للشَّاطئ المفروش بالحصى. جعلَت الشَّمس الغاربة صفحة الماء السَّاكنة تتوهَّج كلوحٍ من النُّحاس المطرَّق، وكانت أكبر بحيرةٍ وقعَت عليها عيناها في حياتها على الإطلاق، لا يلوح أيُّ أثرٍ لشاطئها البعيد. رأت آريا إلى يسارها خانًا متواضعًا مقامًا فوق الماء على دعائم خشبيَّة



ثقيلة، وإلى اليمين رصيف طويل يخترق البحيرة، بالإضافة إلى أرصفةٍ أخرى شَرقًا، كأصابع خشبيَّة تمتدُّ من البلدة، لكن القارب الوحيد الموجود على مدى البصر كان زورق تجذيف مقلوبًا متروكًا على الصُّخور تحت الخان، وقد ذاعَ العفن بوضوح في قاعه. قالت آريا كاسفة البال: «لقد رحلوا».

ماذا يفعلون الآن؟

قال لومي عندما لحقَ بها الآخَرون: «هناك خان. أتعتقدون أنهم تركوا طعامًا أو مِزرًا؟».

رَدَّ هوت پاي: «لنذهب ونرَ».

قال ووث بحدَّة: «لا عليكم بالخان. يورن قال أن نَعثُر على قارب».

- «لقد أخذوا القوارب». بشكلٍ ما عرفَت آريا أنهم حتى لو فتَّشوا البلدة كلها، فلن يجدوا غير الزَّورق المقلوب. هكذا، شاعرةً بالقنوط، ترجَّلت عن حصانها وركعَت على شاطئ البحيرة، لتتموَّج المياه بنعومةٍ حول ساقيها، فيما بدأت بعض الحشرات المضيئة تَخرُج بأنوارها الوامضة. كانت المياه الخضراء دافئةً كالعَبرات، وإن خلَت من الملح، ومذاقها كالصَّيف والطَّمي والأشياء النَّامية، وقد غمسَت آريا وجهها فيها لتغسل ما طالَها خلال اليوم من غُبارٍ وعَرقٍ وأوساخ، وعندما اعتدلَت جرَت قطرات الماء على مؤخِّرة عُنقها وتحت ياقتها، ما بَثَّ فيها شعورًا طيِّبًا.

تمنَّت لو أنها تستطيع أن تخلع ثيابها وتسبح في المياه الدَّافئة كقُضاعةٍ نحيلة، ولربما تُواصِل السِّباحة حتى تَبلُغ وينترفل.

ناداها ووث لتأتي وتُساعِدهم على البحث، فأذعنَت وألقَت نظرةً داخل السَّقائف ومصفَّات القوارب، بينما راحَ حصانها يُجيل النَّظر في الشَّاطئ. عثروا على عددٍ من الأشرعة والمسامير ودلاء من القطران الجامد وهرَّةٍ أُم مع هريراتها الوليدة، لكن لا قوارب.

كانت البلدة مظلمةً كغابة عندما ظهرَ يورن مع الآخَرين، وقال: «البُرج خاوٍ. ربما ذهبَ اللورد إلى الحرب، أو ليقود الأهالي إلى مكانٍ آمن، لا أدري. ليس هناك حصان أو خنزير واحد في البلدة، لكننا سنأكل. رأيتُ إوزَّةً طليقةً وبضع دجاجات، كما أن هناك أسماكًا طيِّبةً في البحيرة».



قالت آريا: «لم تَعُد هناك قوارب».

قال كوس: «يُمكننا إصلاح قاع الزَّورق المقلوب».

رَدَّ يورن: «قد يكفي أربعةً منا لا أكثر».

غمغمَ لومي: «ثمَّة مسامير، والأشجار في كلِّ مكانٍ حولنا. يُمكننا أن نبني قوارب كافيةً».

بصقَ يورن وقال: «هل تعرف شيئًا عن بناء القوارب يا صبيَّ الصبَّاغ؟»، فرمقَه لومي بنظرةٍ خاوية دون أن يُحير جوابًا.

قال جندري مقترحًا: «طَوف إذن. أيُّ أحدٍ يستطيع أن يبني طوفًا ويصنع عِصِيًّا لدفعه».

بدَت أمارات التَّفكير على يورن، ثم قال: «البحيرة أعمق من دفع الأطواف عبرها بالعِصي، لكن إذا بقينا في المنطقة الضَّحلة بالقُرب من الشَّاطئ... سيعني هذا أن نَترُك العربات. قد يكون هذا الخيار الأفضل. سأفكِّر في الأمر بتروٍّ».

سألَه لومي: «هل يُمكننا أن نبقى في الخان؟».

أجابَ العجوز: «سنبقى في المعقل ونُوصِد البوَّابات. أحبُّ الإحساس بالجُدران الحجريَّة من حولي وأنا نائم».

لم تستطِع آريا اللوذ بالصَّمت، واندفعَت تقول: «لا يَجدُر بنا أن نبقى هنا، فأهل البلدة أنفسهم لم يبقوا. لقد فرُّوا جميعًا، حتى اللورد».

صدرَت من لومي ضحكات كالنِّباح وهو يصيح: «آري خائف!».

ردَّت عليه محتدَّةً: «لا، لكنهم كانوا خائفين».

قال يورن: «ولد ذكي، لكن من عاشوا هنا كانوا في حالة حرب، شاءوا أم أبوا، بينما لسنا كذلك. حَرس اللَّيل لا يتدخَّلون، لذا فلا أعداء لنا».

ولا أصدقاء كذلك، قالت لنفسها، لكنها أمسكَت لسانها هذه المرَّة، فلومي والآخَرون كانوا يَنظُرون لها، ولم ترغب في أن تبدو جبانةً أمامهم.

كانت بوَّابة المعقل مرصَّعةً بالمسامير الحديديَّة، وفي الدَّاخل وجدوا زوجًا من قضبان الحديد بحجم شَتْلتين كبيرتين، مع حُفر تثبيت في الأرض ودعائم معدنيَّة في البوَّابة، وعندما ثبَّتوا القضيبين على الدَّعائم صنعا معًا



عارضتين ضخمتين متقاطعتين. قال يورن إن المكان ليس كالقلعة الحمراء بالطَّبع، عندما استكشَفوا المعقل من عاليه إلى سافله، لكنه أفضل من غيره بكثير، ومن شأنه أن يكفي لقضاء اللَّيلة. كانت الجُدران من الحجارة الخشنة غير المملَّطة، ترتفع عشرة أقدام كاملة، وثمَّة ممرٌّ ضيِّق من الخشب داخل الشُّرفات، وبوَّابة جانبيَّة ناحية الشَّمال. اكتشفَ جيرين بابًا أفقيًّا تحت أكوام القَشِّ في الحظيرة الخشبيَّة القديمة، يُفضي إلى نفقٍ ضيِّقٍ ملتف، فمضى فيه طويلًا تحت الأرض وخرجَ منه عند البحيرة. جعلَهم يورن يدفعون عربةً لتستقرَّ فوق الباب، لضمان ألَّا يأتي أحد من هذا الاتِّجاه، ثم قسَّمهم إلى ثلاثة مجموعات حراسة، وأرسلَ تاربر وكورز وكتچاك إلى منزل اللورد المهجور ليُراقِبوا من أعلى، ففي حوزة كورز بوق صيدٍ يَنفُخ فيه إذا تهدَّدهم خطر ما.

أدخَلوا عرباتهم ودوابَّهم وأوصَدوا البوَّابة وراءهم. كانت الحظيرة متداعيةً، لكن واسعةً بما يكفي لاحتواء نِصف حيوانات البلدة، والمأوى الذي يلوذ به أهل البلدة في أوقات القلاقل كان أوسع، واطئًا وطويلًا ومبنيًّا من الحجر، وسقفه مغطًّى بالقَش. خرجَ كوس من البوَّابة الجانبيَّة وعادَ بالإوزَّة ودجاجتين، وسمحَ لهم يورن بإشعال نارٍ للطَّهي. يضمُّ المعقل مطبخًا كبيرًا، وإن خلا تمامًا من القدور والغلَّايات. كُلِّفَ كلٌّ من جندري ودوبر وآريا بواجب الطَّهي، وقال دوبر لآريا أن تقتلع ريش الطُّيور بينما يقطع جندري الحطب، فسألَت: «ولِمَ لا أقطع أنا الحطب؟»، لكن أحدًا لم يُجِبها، فجلسَت عابسةً تقتلع ريش دجاجة، بينما جلسَ يورن على طرف الدِّكَّة يشحذ نصل خنجره.

عندما جهزَ الطَّعام، أكلَت آريا ساق دجاجةٍ والقليل من البصل، ولم يتكلَّم أحد كثيرًا، حتى لومي نفسه. انصرفَ جندري إلى حاله بَعدها، يُلَمِّع خوذته وقد شردَت نظراته تمامًا، بينما نشجَت الفتاة الصَّغيرة وبكَت، لكن عندما عرضَ عليها هوت پاي قطعةً من الإوزَّة التهمَتها بنهم وأرادَت المزيد.

مناوَبة الحراسة الثَّانية كانت من نصيب آريا، فوجَدَت فراشًا من القَشِّ في المأوى، لكن النَّوم لم يأتها بسهولة، فاستعارَت مشحذ يورن وشرعَت تشحذ «الإبرة»، فالسِّلاح البليد كالحصان العاجز كما قال لها سيريو فورل. جلسَ



هوت پاي القرفصاء على القَشِّ إلى جوارها مراقبًا ما تفعله، وسألَها: «من أين حصلت على سيفٍ ممتاز كهذا؟»، ولمَّا رأى النَّظرة التي حدجَته بها رفعَ يديه بحركةٍ دفاعيَّة، وقال: «لا أقصدُ أبدًا أنك سرقته، أردتُ فقط أن أعرف من أين جئت به، هذا كلُّ شيء».

غمغمَت: «أعطاني أخي إياه».

- «لم أعرف أن لديك أخًا».

توقَّفت آريا عن العمل لتحكَّ جِلدها تحت القميص. هناك براغيث في القَش، لكنها لم ترَ سببًا يجعل المزيد منها يُزعِجها. «لديَّ إخوة كثيرون».

- «حقًّا؟ أهُم أكبر منك أم أصغر؟».

ليس من المفترَض أن أتكلَّم هكذا. يورن قال أن أصون لساني. قالت كاذبةً: «أكبر، ولديهم سيوف أيضًا، سيوف طويلة كبيرة، ولقد علَّموني كيف أقتلُ من يُضايِقونني».

قال هوت پاي: «كنتُ أتكلَّمُ فقط ولا أضايِقك»، ثم انصرفَ تاركًا إياها وحدها، وضمَّت هي نفسها على الفِراش القَش، سامعةً صوت الفتاة الباكية من جانب المعقل البعيد. ليتها تَصمُت. لماذا تبكي هكذا طيلة الوقت؟

لا بُدَّ أنها غابَت في النَّوم، وإن كانت لا تَذكُر أنها أغلقَت عينيها، وفي المنام حلمَت بذئبٍ يعوي، وكان الصَّوت رهيبًا لأقصى درجة، حتى إنه أيقظَها في الحال. اعتدلَت آريا جالسةً وقلبها يدقُّ في صدرها بعُنف، ثم قالت ناهضةً: «هوت پاي، استيقِظ. ووث، جندري، ألم تسمعا؟»، وانتعلَت فردةً من حذائها طويل العُنق.

بدأ الرِّجال والصِّبية يتحرَّكون من حولها وينهضون من على الأسرَّة القَش، وسألَ هوت پاي: «ما الخطب؟»، وقال جندري: «سمعنا ماذا؟»، بينما قال آخَر: «آري رأى كابوسًا».

قالت بإصرار: «كلا، لقد سمعته، إنه ذئب».

ساخرًا قال لومي: «آري لديه ذئاب في رأسه»، فعقَّب جيرين: «دعها تعوي. إنها في الخارج ونحن هنا في الدَّاخل»، واتَّفق ووث معه قائلًا: «لم أرَ



ذئبًا يستطيع اقتحام معقلٍ من قبل»، أمَّا هوت پاي فأكَّد: «لم أسمع شيئًا على الإطلاق».

- «إنه ذئب!»، زعقَت فيهم وهي تختطف فردة الحذاء الأخرى. «شيء ما على غير ما يرام، شيء ما قادم، انهضوا!».

قبل أن يُغرِقوها باستهزائهم ثانيةً، جاءَ الصَّوت يشقُّ سكون اللَّيل... لكنه لم يكن ذئبًا هذه المرَّة، بل كورز يُطلِق نفيره منذرًا بخطرٍ دانٍ، وفي غمضة عينٍ كانوا يرتدون ثيابهم جميعًا ويختطفون ما لديهم من سلاح. جرَت آريا إلى البوَّابة مع تردُّد النَّفير من جديد، ومع انطلاقها مرورًا بالحظيرة ألقى العضَّاض نفسه إلى الأمام بعُنفٍ محاولًا انتزاع السَّلاسل المثبَّتة بأرضيَّة العربة، بينما صاحَ چاكن هاجار: «أيها الصَّبي! أيها الصَّبي الجميل! أهي الحرب؟ الحرب الحمراء؟ حرِّرنا أيها الصَّبي. الرَّجل يستطيع القتال. أيها الصَّبي!»، لكنها تجاهلَت نداءه وواصلَت طريقها بلا إبطاء، ووقتها كانت تسمع صياحًا وصهيلًا من وراء الجُدران بالفعل. تسلَّقت إلى الممرِّ الخشبيِّ الضيِّق، وكانت حواجز الشُّرفة مرتفعةً بعض الشَّيء، وآريا قصيرة بعض الشَّيء، فاضطرَّت لأن تَحشُر أصابع قدميها في الفجوات بين الأحجار كي تتمكَّن من الرُّؤية. للحظةٍ خُيِّلَ لها أن البلدة كلها ملأى بالحشرات المضيئة، ثم أدركَت أنهم رجال يحملون المشاعل، ينطلقون على خيولهم بين البيوت، ورأت سقفًا من القَشِّ يشتعل وتتصاعَد منه ألسنة اللَّهب البرتقاليَّة لتلعق باطن اللَّيل، وتبعَه سقف آخَر، ثم آخَر، وسرعان ما انتشرَت الحرائق في كلِّ مكان.

صعدَ جندري ليقف إلى جوارها مرتديًا خوذته، وقال: «كم عددهم؟».

حاولَت أن تُحصيهم، لكنهم كانوا يتحرَّكون بسرعةٍ شديدة، والمشاعل تدور في الهواء وهُم يقذفونها، وقالت: «مئة، مئتان، لا أدري. سيسعون إلينا عمَّا قريب». كانت تسمع صياحًا ممتزجًا بهدير اللَّهب.

قال جندري مشيرًا: «هناك».

أبصرَت طابورًا من الخيَّالة يتحرَّك بين المباني المحترقة نحو المعقل، وقد انعكسَ نور النَّار لامعًا على الخوذات المعدنيَّة، ونثرَ بُقعًا من البرتقالي والأصفر على الدُّروع. كان أحدهم يحمل رايةً على ساريةٍ طويلة، وخطرَ لها



أنها حمراء اللَّون، لكن ظلام اللَّيل جعلَ التأكُّد من هذا عسيرًا، خصوصًا مع النَّار المندلعة في كلِّ مكان. كلُّ شيءٍ كان إمَّا أحمر أو أسود أو برتقاليًّا.

انتشرَت النَّار من بيتٍ إلى آخَر، ورأتها آريا تبتلع شجرةً، يزحف اللَّهب على أفرُعها إلى أن صارَت شعلةً وهَّاجةً من البرتقالي الحي في قلب اللَّيل. كان الجميع قد استيقظوا الآن، يتَّخذون مواقعهم على الشُّرفات، أو يُناضِلون للسَّيطرة على الحيوانات المذعورة في الأسفل. سمعَت يورن يصيح بالأوامر، ثم ارتطمَ شيء بساقها، ونظرَت إلى أسفل لتجد الصَّغيرة الباكية متمسِّكةً بها، فزعقَت فيها: «ابتعدي! ماذا تفعلين هنا؟ اجري واختبئي في مكانٍ ما أيتها الحمقاء!»، ودفعَت الفتاة بعيدًا.

توقَّف الخيَّالة أمام البوَّابات، وصاحَ فارس يرتدي خوذةً طويلةً ذات ريشةٍ شائكة: «أنتم يا من في المعقل! افتحوا باسم الملك!».

- «نعم، وأيُّ ملكٍ هذا؟»، صاحَ رايزن العجوز، قبل أن يُطبِق ووث على فمه بيده ليُخرِسه.

صعدَ يورن إلى الشُّرفة المجاورة للبوَّابة، وقد ربطَ معطفه الأسود الباهت بعصا خشبيَّة، وصاحَ: «توقَّفوا! لقد رحل أهل البلدة!».

خاطَبه الفارس ذو الخوذة الطَّويلة: «ومن أنت أيها العجوز؟ أحد جُبناء اللورد بريك؟ إذا كان ذلك الأحمق البدين ثوروس في الدَّاخل، فسَله إن كانت هذه النِّيران تروق له».

رَدَّ عليه يورن: «ليس معي رجل كهذا هنا، بل مجرَّد صِبية لحَرس اللَّيل. ليس لنا دور في حربكم هذه»، ورفعَ العصا كي يروا لون معطفه مضيفًا: «انظروا، هذا أسود حَرس اللَّيل».

- «أو أسود عائلة دونداريون»، قال الرَّجل الذي يحمل راية العدو، ورأت آريا ألوانها الآن بوضوح أكبر على ضوء البلدة المشتعلة، الأسد الذَّهبي على الخلفيَّة الحمراء. «رمز اللورد بريك لسان برقٍ أرجواني على خلفيَّةٍ سوداء».

تذكَّرت آريا فجأةً الصَّباح الذي ألقَت فيه البرتقالة في وجه سانزا، فسالَ العصير على فُستانها الحريري السَّخيف عاجي اللَّون. كان هناك لورد صغير ما في دورة المباريات بالفعل، ووقعَت صديقة أختها البلهاء چين في غرامه.



على تُرسه كان لسان البرق، وقد أرسلَه أبوها ليقطع عُنق أخي كلب الصَّيد. كأن ألف عام مرَّت منذ ذلك اليوم، كأنه شيء حدثَ لشخصٍ آخَر في حياةٍ أخرى... لآريَا ستارك ابنة يد الملك، وليس آري الصَّبي اليتيم، فأنَّى لآري أن يكون على درايةٍ باللوردات وما إلى ذلك؟

قال يورن محرِّكًا العصا ليتموَّج معطفه: «أأنت أعمى يا رجل؟ أترى لسان برقٍ لعينًا؟».

رَدَّ الفارس: «الرَّايات كلها تبدو سوداء ليلًا. افتحوا وإلَّا سنعدُّكم خارجين على القانون، متواطئين مع أعداء الملك».

بصقَ يورن وقال: «مَن قائدكم؟».

- «أنا». كانت انعكاسات البيوت المضطرمة تومض بخفوتٍ على دِرع جواده الحربي، بينما أفسحَ الآخَرون له الطَّريق، ثم تبدَّى أنه رجل بدين، على تُرسه رسم لمانتيكور[1]، وعلى واقي صدره الفولاذي زخارف ملولبة، وعبر مقدِّمة خوذته المفتوحة لاحَ وجهه الشَّاحب الذي يُذَكِّرك بالخنازير، وقال بصوتٍ عالٍ رفيع: «السير آموري لورك، حامل راية اللورد تايوين لانستر سيِّد كاسترلي روك، يد الملك، الملك الحقيقي چوفري. آمركم باسمه أن تفتحوا هذه البوَّابات».

تأجَّجت النِّيران في كلِّ ركنٍ من البلدة حولهم، وأفعمَ الدُّخان هواء اللَّيل، وفاقَت الجمرات الحمراء المتطايرة نجوم السَّماء عددًا. قال يرون مكشِّرًا: «لا أرى الدَّاعي. افعلوا ما شئتم بالبلدة، فهي لا تعني لي شيئًا، لكن دعونا وشأننا. نحن لسنا أعداءكم».

أرادَت آريا أن تصيح في الرِّجال في الأسفل: انظُروا بأعيُنكم، لكنها همسَت: «ألا يرون أننا لسنا لوردات أو فُرسانًا؟».

رَدَّ جندري هامسًا بدوره: «لا أحسبُ أنهم يُبالون يا آري».

تطلَّعت إلى وجه السير آموري، كما علَّمها سيريو أن تَنظُر، فرأت أن جندري على حق.

---

(1) المانتيكور حيوان خرافي، له رأس إنسان وجسم أسد، وجناحان كالوطواط، وثلاثة صفوف من الأسنان الحادَّة كسمكة القِرش.



صاحَ السير آموري: «لو أنكم لستم خونة، فافتحوا بوَّاباتكم. سنتأكَّد فقط من أنكم تقولون الحقيقة، ثم ننصرف إلى حال سبيلنا».

قال يورن وهو يَمضُغ التَّبغ المُر: «قلتُ لكم إن لا أحد هنا غيرنا. أعطيكم كلمتي».

ضحكَ الفارس ذو الخوذة الطَّويلة قائلًا: «الغُراب يُعطينا كلمته!».

وأضافَ أحد حاملي الرِّماح ساخرًا: «هل ضللت الطَّريق أيها العجوز؟ «الجِدار» بعيد في الشَّمال».

قال السير آموري: «آمركم مرَّةً أخرى باسم الملك چوفري أن تُثبِتوا الولاء الذي تدَّعونه وتفتحوا هذه البوَّابات».

تدبَّر يورن فترةً طويلةً دون أن يكفَّ عن المضغ، ثم إنه بصقَ وقال: «لا أظنُّ أننا سنفعل».

- «ليكن إذن. إنكم تتحدُّون أوامر الملك، ومن ثَمَّ تُعلِنون أنفسكم متمرِّدين، سواء ارتديتم المعاطف السَّوداء أم لا».

صاحَ يورن: «معي صِبية صغار هنا».

قال السير آموري: «الصِّبية الصِّغار والرِّجال المسنُّون يموتون على حَدٍّ سواء»، ورفعَ قبضته بحركةٍ فاترة، فجاءَ رُمح مندفعًا بعُنفٍ من بين الظِّلال التي أضاءَتها النِّيران من ورائه، ولا بُدَّ أن يورن كان المستهدَف، لكن ووث الذي وقفَ إلى جواره هو من أصيبَ، ليخترق رأس الرُّمح حَلقه ويتفجَّر خارجًا من مؤخِّرة عُنقه مخضَّبًا بالدِّماء القانية. أطبقَ ووث على العمود، ثم هوَت جثَّته الهامدة.

قال السير آموري بنبرةٍ ضَجِرة: «اقتحِموا الأسوار واقتلوهم جميعًا»، فحلَّق المزيد من الرِّماح في الهواء، وجذبَت آريا هوت پاي من ظَهر سُترته إلى أسفل، بينما تردَّدت في الخارج صلصلة الدُّروع واحتكاك السُّيوف بالأغماد ودَقُّ التُّروس بالرِّماح، وقد اختلطَ كلُّ هذا بالسِّباب ووقْع حوافر الخيول المندفعة.

طارَ مشعل دائرًا في الهواء فوق رؤوسهم مخلِّفًا أصابع من اللَّهب، قبل أن يَسقُط في تُراب السَّاحة، وصاحَ يورن: «استلُّوا أسلحتكم! انتشِروا ودافعوا



عن الأسوار أينما هاجَموها! كوس، أورج، احميا البوّابة الجانبيّة. لومي، اسحب هذا الرُّمح من ووث وقِف حيث كان».

أسقطَ هوت پاي سيفه القصير حينما حاولَ استلاله، فدسَّته آريا في يده، ليقول لها متّسع العينين: «لا أجيدُ المبارَزة».

قالت آريا: «إنها سهلة»، لكن الكذبة ماتَت في حنجرتها إذ أطبقَت يد على قمّة السُّور. رأتها على ضوء البلدة المشتعلة بوضوحٍ تام كأن الزَّمن توقَّف، وكانت الأصابع ثخينةً خشنةً، تنمو بين مفاصلها شُعيرات سوداء تُشبه الأسلاك، وتحت ظُفر الإبهام الكثير من القذارة. ضربة الخوف أمضى من السَّيف، تذكَّرت وقد برزَت قمّة الخوذة العظيمة من وراء اليد.

هوت آريا بإبرتها صارخةً: «وينترفل!»، ليخترق فولاذها المطرَّق في قلعة الأصابع بين المفاصل، فانبجسَت الدِّماء وطارَت الأصابع، واختفى الوجه ذو الخوذة فجأةً كما ظهرَ. صاحَ هوت پاي: «وراءك!»، فدارَت آريا مسرعةً. كان الرَّجل الثاني ملتحيًا وبلا خوذة، وقد وضعَ خنجره بين أسنانه كي يستطيع التسلُّق بيديه معًا، وعندما رفعَ ساقه فوق السُّور، سدَّدت هي رأس سيفها إلى عينه، لكن «الإبرة» لم تمسّه حقًّا، إذ تراجعَ إلى الوراء متفاديًا إياها، فقط ليَسقُط. آملُ أن يَسقُط على وجهه ويقطع لسانه. صرخَت في هوت پاي: «راقِبهم هُم وليس أنا!». الرَّجل التّالي الذي حاولَ أن يتسلَّق الجزء الذي يحميانه من الأسوار، كان من نصيبه الصَّبي اليتيم الذي راحَ يهوي بسيفه القصير على يده، حتى سقطَ الرَّجل.

لم تكن هناك سلالم مع مجموعة السير آموري، لكن حجارة أسوار المعقل غير منتظمة أو مملَّطة ومن السَّهل تسلُّقها، وبدا أن أعداد أعدائهم بلا نهاية، فمقابل كلِّ واحدٍ جرحَته آريا أو طعنَته أو دفعَته إلى الوراء كان واحد آخَر يتسلَّق السُّور. بلغَ الفارس ذو الخوذة الطَّويلة القمَّة، لكن يورن لَفَّ رايته السَّوداء حول الخوذة وغرسَ خنجره في دِرع الرَّجل وهو يُحاوِل التملُّص من المعطف. كلما رفعَت آريا عينيها إلى أعلى رأت مزيدًا من المشاعل تشقُّ الهواء صانعةً ذيولًا طويلةً من اللَّهب تجاوزَت مدى بصرها، ولمحَت أسدًا ذهبيًّا على رايةٍ حمراء فخطرَ چوفري ببالها، وتمنَّت لو أنه كان هنا لتغرس



إبرتها في وجهه عابث الملامح. هاجمَ أربعة رجال البوَّابة بالفؤوس، فأرداهم كوس بسهامه واحدًا تلو الآخَر، بينما صارعَ دوبر رجلًا في الشُّرفة وطرحَه أرضًا، فهشَّم لومي رأسه بصخرةٍ قبل أن يُعاوِد النُّهوض، وأطلقَ ضحكةً ظافرةً طويلةً، بترَها لمَّا رأى السكِّين في بطنِ دوبر، وأدركَ أنه لن ينهض هو الآخَر. وثبَت آريا فوق جثَّة صبيٍّ مقطوع الذِّراع لا يتجاوَز چون عُمرًا، ولم تحسب أن هذا من صُنعها، لكن لم يكن هناك سبيل للتأكُّد، وسمعَت كايل يتوسَّل طالبًا الرَّحمة، قبل أن يُهَشِّم فارس على تُرسه رمز زُنبور وجهه بهرَّاوةٍ شائكة. من كلِّ شيءٍ فاحَت روائح الدَّم والدُّخان والحديد والبول، وإن امتزجَت كلها بَعد فترةٍ صانعةً رائحةً واحدةً. لم ترَ كيف تجاوزَ ذلك الرَّجل النَّحيل السُّور، إلَّا أنها انقضَّت عليه مع جندري وهوت پاي، ليُحَطِّم سيف جندري خوذته ويُطَيِّرها، فيبدو من تحتها رأسه الأصلع وملامحه الخائفة وأسنانه النَّاقصة ولحيته الشَّيباء، لكن حتى مع الشُّعور بالشَّفقة عليه الذي راودَها كانت تَقتُله بالفعل صائحةً: «وينترفل! وينترفل!»، بينما صرخَ هوت پاي: «هوت پاي!» إلى جوارها وهو يضرب عُنق الرَّجل الرَّفيع بسيفه مرارًا.

عندما ماتَ الرَّجل النَّحيل، اختطفَ جندري سيفه ووثبَ إلى السَّاحة ليُواصِل القتال، وتجاوزَته آريا ببصَرها لترى أشباحًا من فولاذٍ تعدو عبر المعقل وضوء النَّار ينعكس على القمصان الواقية والأسلحة، فأدركَت أنهم اخترقوا الأسوار في بُقعةٍ ما، أو اقتحموا البوَّابة الجانبيَّة. هكذا وثبَت إلى جوار جندري، وحطَّت بالطَّريقة التي علَّمها سيريو إياها. امتلأَ اللَّيل بأصوات الفولاذ المتقارع وصراخ الجرحى والمحتضرين، ووقفَت آريا وهلةً لا تدري في أيِّ اتِّجاهٍ تتحرَّك، فالموت في كلِّ مكانٍ حولها.

ثم إنها وجدَت يورن هناك، يَرُجُّها بعُنفٍ ويزعق في وجهها: «يا ولد!» كما كان يزعق دائمًا. «اخرُج من هنا، انتهى الأمر، لقد خسرنا. اجمع من تستطيع، أنت وهو والآخَرون، الصِّبية، اخرُجوا بهم من هنا، الآن!».

- «كيف؟».

صرخَ: «الباب تحت الحظيرة».

ثم اختفى من أمامها في لمح البصر وسيفه في يده ليُواصِل القتال،



فجذبَت جندري من يده صائحةً: «قال أن نذهب، الحظيرة، طريق الخروج».
أومأَ الثَّور برأسه وانعكاس النَّار يلتمع في عينيه من وراء الشِّقَّين في خوذته، وناديا هوت پاي لينزل من أعلى السُّور، ثم عثرَ ثلاثتهم على لومي أخضر اليد الذي استلقى ينزف وقد اخترقَ رُمح رَبلة ساقه. عثروا على جيرين كذلك، لكن جرحه كان أبلغ من أن يستطيع الحركة، وبينما هرولوا إلى الحظيرة لمحَت آريا الفتاة الباكية جالسةً في قلب المعمعة، يُحاصِرها الدُّخان والذَّبح، فأطبقَت على يدها وسحبَتها لتقف بينما واصلَ الآخَرون طريقهم. رفضَت الفتاة أن تتحرَّك من مكانها قيد أُنملة، حتى عندما صفعَتها آريا، التي لم تجد حَلًّا غير أن تَجُرَّها بيُمناها فيما حملَت إبرتها بيُسراها. كان اللَّيل أحمر قانيًا من أمامها، فقالت لنفسها: الحظيرة تحترق، وبالفعل كان اللَّهب يلعق جوانبها بألسنته حيث سقطَ مشعل على القَش، وتناهى صراخ الحيوانات الحبيسة في الدَّاخل إلى مسامع آريا. خرجَ هوت پاي من الحظيرة صائحًا: «هلمَّ يا آري! لقد رحلَ لومي! اتركها ما دامَت لا تُريد أن تأتي!».

بعنادٍ جرَّت آريا الفتاة الباكية بعُنفٍ أكثر، فاندفعَ هوت پاي إلى الدَّاخل وقد قرَّر التخلِّي عنهما... لكن جندري عادَ والنَّار تلتمع بشدَّةٍ على خوذته المصقولة، حتى بدا القرنان كأنهما يتوهَّجان بالبرتقالي، وانطلقَ إليهما ورفعَ الصَّغيرة على كتفه صارخًا: «اجرِ!».

كانت اندفاعتها عبر باب الحظيرة كدخول أتونٍ مستعر، الهواء مشبَّع تمامًا بالدُّخان، والحائط الخلفي صفحة من نارٍ من الأرض إلى السَّقف، بينما تَركُل خيولهم وحميرهم وترفع قوائمها وتَصرُخ. يا للحيوانات المسكينة! ثم رأت آريا العربة وثلاثة الرِّجال المكبَّلين بالأغلال المثبَّتة في أرضيَّتها. كان العضَّاض يُلقي نفسه محاولًا خلع السَّلاسل وقد سالَت الدِّماء على ذراعيه من حيث تمسَّكت الأصفاد بمعصميه، والسِّباب ينهال من رورچ صراخًا وهو يَركُل الخشب، بينما هتفَ چاكن هاجار: «أيها الصَّبي! أيها الصَّبي الجميل!».

كان الباب الأفقي على بُعد أقدام معدودة، لكن الحريق ينتشر ملتهمًا الخشب القديم والقَشَّ الجافَّ أسرعَ مما تخيَّلت. تذكَّرت آريا وجه كلب الصَّيد المحروق البشع، وصاحَ جندري: «النَّفق ضيِّق. كيف نمرُّ بها؟».



- «اسحبها، ادفعها».

ونادى چاكن هاجار من وسط سُعاله: «أيها الصَّبيَّان الطيِّبان، أيها الصَّبيَّان اللَّطيفان!».

وصرخَ رورچ: «اخلعا هذه السَّلاسل اللَّعينة!».

تجاهلَهما جندري، وخاطَبها قائلًا: «أنت أولًا، ثم هي، ثم أنا. أسرِع، النَّفق طويل».

تذكَّرت آريا شيئًا، فقالت له: «عندما كنت تقطع الحطب، أين تركت البلطة؟».

أجابَ: «عند المأوى»، ثم رمقَ الرِّجال المقيَّدين بنظرةٍ سريعةٍ وأردفَ: «كنتُ لأنقذ الحمير أولًا، فليس هناك وقت».

صاحَت فيه: «خُذها! أخرِجها من هنا! أخرِجها!».

ضربَت النِّيران ظَهرها بأجنحةٍ حمراء محمومة وهي تهرع مغادرةً سعير الحظيرة، وفي الخارج كان الجَوُّ باردًا على نحوٍ جميلٍ حقًّا، لكن الرِّجال كانوا يموتون في كلِّ مكانٍ حولها. رأت كوس يُلقي سلاحه ليستسلم، ورأتهم يَقتُلونه في مكانه، والدُّخان يُفعِم الهواء، ولا أثر ليورن، لكنها وجدَت البلطة حيث تركَها جندري إلى جوار كومة الحطب عند المأوى، وإذ حرَّرتها من الخشب امتدَّت يد مغطَّاة بالحلقات المعدنية تقبض على ذراعها، فدارَت آريا غارسةً رأس البلطة بين ساقي الرَّجل، ولم ترَ وجهه حتى، فقط الدَّم الأحمر الدَّاكن الذي سالَ بين حلقات قميصه الواقي. أمَّا العودة إلى الحظيرة فكانت أصعب شيءٍ فعلَته في حياتها على الإطلاق. رأت الدُّخان ينصبُّ صبًّا من الباب المفتوح كأفعى تتلوَّى، وسمعَت صرخات الدَّواب المسكينة في الدَّاخل، الحمير والخيول والرِّجال. ثم إنها مضغَت شفتها ومرقَت من الباب وقد انحنَت إلى حيث لم يكن الدُّخان كثيفًا.

كان أحد الحمير محاصرًا بحلقةٍ من النَّار، يَصرُخ رُعبًا وألَمًا، وبلغَت أنف آريا رائحة شَعره المحروق، بينما اشتعلَ السَّقف بدوره وتساقطَت منه قِطع من الخشب المضطرم والقَشِّ والتِّبن. وضعَت آريا يدها على فمها وأنفها،



ومع أنها لم تستطِع أن ترى العربة من فرط الدُّخان، إلَّا أن صراخ العضَّاض المتواصل بلغَ أذنيها، لتزحف نحو الصَّوت.

ثم رأت عجلةً أمامها، قبل أن تثب العربة وتتحرَّك نِصف قدم وقد ألقى العضَّاض بنفسه ثانيةً، محاولًا اقتلاع الأغلال. رآها چاكن، لكن التنفُّس ذاته كان صعبًا، ناهيك بالكلام، فألقَت البلطة داخل العربة، ليلتقطها رورچ ويرفعها فوق رأسه، بينما سالَت أنهار من العَرق الأسود على وجهه عديم الأنف. كانت آريا تجري الآن وصدرها متهيِّج بالسُّعال، وسمعَت الفولاذ يضرب الخشب القديم ويضربه ويضربه، وبَعد لحظةٍ دوَّى صوت الانشقاق عاليًا كالرَّعد، وانفصلَ قاع العربة والشَّظايا تتفجَّر منه.

تدحرجَت آريا في النَّفق رأسًا لتَسقُط خمسة أقدام ويَدخُل الطِّين في فمها، لكنها لم تُبالِ، فلا بأس بالمذاق، مذاق التُّراب والماء والدُّود والحياة. تحت الأرض الجَوُّ برد وسلام وظلام، وفوقها لا شيء غير الدِّماء والأحمر الهادر والدُّخان الخانق وصراخ الخيول المحتضرة. حرَّكت حزامها كي لا تعترض «الإبرة» طريقها، وبدأت تزحف، وبَعد نحو عشرة أقدام في النَّفق ترامى إلى مسامعها الصَّوت كزئير وحشٍ عملاق، ومن ورائها ثارَت سحابة من الدُّخان السَّاخن والغُبار الأسود لها رائحة الجحيم ذاته.

كتمَت آريا أنفاسها وقبَّلت أرض النَّفق الموحلة وانفجرَت باكيةً، على مَن لا تدري.





تيريون

لم تكن الملكة مستعدَّةً لأن تنتظر حضور ڤارس، وقالت ساخطةً: «الخيانة في حَدِّ ذاتها شيء مُنحط، لكن هذه حقارة سافرة صارخة، ولستُ أحتاجُ أن يُخبِرني ذلك الخصيُّ المختال بما ينبغي فِعله مع الحُقراء».

التقطَ تيريون الرِّسالتين من يد أخته وقارَنهما جنبًا إلى جنب. كانت هناك نُسختان، لا يختلف النَّصُّ في إحداهما عن الأخرى إطلاقًا، وإن كتبَت كلًّا منهما يد مختلفة.

قال المِايستر الأكبر پايسل: «المِايستر فرنكن استلمَ الرِّسالة الأولى في قلعة ستوكوورث، والنُّسخة الثَّانية جاءت عن طريق اللورد جايلز».

داعبَ الإصبع الصَّغير لحيته قائلًا: «ما دامَ ستانيس جشَّم نفسه عناء الكتابة لهذين الاثنين، فلا ريب أن كلَّ لوردٍ آخَر في الممالك السَّبع رأى نُسخةً كذلك».

أعلنَت سرسي: «أريدُ أن تُحرَق هذه الرَّسائل، كلها بلا استثناء، فلا ينبغي أن تَبلُغ كلمة منها مسامع ابني أو أبي».

رَدَّ تيريون بلهجةٍ جافَّة: «أعتقدُ أن أبي سمعَ أكثر من مجرَّد كلمة، فمن المؤكَّد أن ستانيس أرسلَ طائرًا إلى كاسترلي روك وآخَر إلى هارنهال. أمَّا بالنِّسبة لحرق الرَّسائل، فما الفائدة؟ لقد فاتَ أوان هذا، الأغنيَّة ذاعَت والنَّبيذ انسكبَ والعاهرة حبلى. ثم إن المسألة ليست بذلك السُّوء في الواقع».

التفتَت إليه سرسي والغضب مشتعل في عينيها الخضراوين، وقالت: «هل



أصابَك الخبال أم ماذا؟ ألم تقرأ ما يقوله؟ إنه ينعت ابني بالصَّبي چوفري، ويجرؤ على اتِّهامي بسِفاح القُربى والزِّنى والخيانة، أنا!».

فقط لأنك مُذنبة فعلًا. من المدهش أن يرى كيف تُصَدِّر سرسي الانطباع بأنها تتميَّز غيظًا من اتِّهاماتٍ تعرف أنها صحيحة تمامًا. عليها أن تحترف التَّمثيل إذا خسرنا الحرب، إنها موهوبة حقًّا. انتظرَ تيريون حتى فرغَت، ثم قال: «من الضَّروري أن تكون لستانيس ذريعة يُبَرِّر بها تمرُّده. ماذا كنتِ تتوقَّعين أن يَكتُب؟ چوفري ابن أخي الشَّرعي، لكني أنوي أن آخُذ العرش على الرغم من ذلك؟».

- «لن أسمح بأن أوصَف بالعاهرة!».

عجبًا يا أختاه، إنه لم يدَّعِ أن چايمي نقدَك مالًا. تظاهرَ تيريون بتفحُّص المكتوب ثانيةً. ثمَّة عبارة مثيرة للاهتمام... «تَمَّ في نور الإله. اختيار غريب للكلمات».

تنحنحَ پايسل، وقال: «غالبًا ما تظهر هذه الكلمات في رسائل ووثائق المُدن الحُرَّة، وتعني على سبيل المثال: تَمَّ بشهادة الإله، إله الرُّهبان الحُمر. إنها الصِّيغة التي يستخدمونها».

قال الإصبع الصَّغير مذكِّرًا: «ڤارس أخبرَنا قبل سنوات أن الليدي سيليس صارَت على صلةٍ قويَّة براهبٍ أحمر».

نقرَ تيريون على الورق قائلًا: «ويبدو الآن أن السيِّد زوجها حذا حذوها. يُمكننا أن نستخدم هذا ضده. سنحثُّ السِّپتون الأعلى على أن يفضح ستانيس، وكيف انقلبَ على الآلهة كما انقلبَ على ملكه الشَّرعي».

قالت الملكة بنفاد صبر: «نعم، نعم، لكن ينبغي أولًا أن نمنع هذه القذارات من الانتشار أكثر. يجب أن يُصدِر المجلس مرسومًا يقضي أن يفقد كلُّ من يتكلَّم عن زنى المحارم أو يدعو چوف نغلًا لسانه».

أومأ المِايستر الأكبر پايسل برأسه، فصلصلَت حلقات سلسلته، وقال: «إجراء حكيم».

تنهَّد تيريون قائلًا: «بل هي حماقة. عندما تقطع لسان أحدهم، فأنت لا تُثبِت أنه كاذب، بل تقول للعالم فقط إنك تخشى ما يتفوَّه به».



سألَته أخته بإلحاح: «ماذا تُريدنا أن نفعل إذن؟».

- «القليل جدًّا. دعيهم يتهامَسون، فسرعان ما سيملُّون الحكاية. أيُّ أحدٍ يملك ذرَّة عقلٍ سيرى أنها محاوَلة خرقاء لتبرير اغتصابِ التَّاج. هل يُقَدِّم ستانيس دليلًا؟ أنَّى له بدليلٍ بينما لم يَحدُث شيء من هذا قَطُّ؟». قالها تيريون ومنحَ أخته أعذب ابتساماته.

مرغمةً قالت: «هذا صحيح، ولكن...».

شبَّك بيتر بايلش أصابعه، وقال: «أخوكِ على حق يا جلالة الملكة. إذا حاوَلنا إسكات الكلام، فلن يُفضي هذا إلَّا إلى صبغِه بالمصداقيَّة، والأفضل أن نتعامَل مع تلك الأكاذيب الدَّنيئة بالازدراء الذي يليق بها، ونُكافِح النَّار بالنَّار في الوقت الرَّاهن».

رمقَته سرسي بنظرةٍ فاحصةٍ وهي تسأَله: «أيُّ نوعٍ من النَّار؟».

- «حكاية ذات طبيعةٍ مشابهة ربما، لكن قابلة للتَّصديق بسهولةٍ أكثر. لقد أمضى اللورد ستانيس معظم سنين زواجه بعيدًا عن زوجته، ولا ألومه في الحقيقة، فقد كنتُ لأفعل المِثل لو كانت الليدي سيليس زوجتي. على كلٍّ حال، إذا أذَعنا أن بنتها ابنة سِفاح وأن ستانيس ديوث... العامَّة متلهِّفون على تصديق أسوأ الأشياء طرًّا في لورداتهم، خصوصًا رجل قاسٍ صارم يثور لكرامته مثل ستانيس باراثيون».

قالت سرسي: «إنه لم يكن محبوبًا قَطُّ، هذا صحيح»، وفكَّرت لحظةً ثم أضافَت: «نردُّ له الدَّين بعُملته نفسها إذن. نعم، يُعجِبني هذا. مَن نقول إنه عشيق الليدي سيليس؟ إن لديها أخوين على ما أعتقدُ، وأحد أعمامها معها في دراجونستون طيلة الوقت».

- «السير آكسل فلورنت هو أمين القلعة». يكره تيريون أن يُقِرَّ بهذا علانيةً، لكن مكيدة الإصبع الصَّغير واعدة حقًّا. لم يكن ستانيس شغوفًا بزوجته في يومٍ من الأيام، لكنه شائك جدًّا كالقُنفذ عندما يتعلَّق الأمر بشَرفه، كما أنه شكَّاك بطبعه. إذا استطاعوا أن يزرَعوا الفُرقة بينه وبين أتباعه، ستبدأ صفوفهم في الانشقاق. «قيلَ لي إن الصَّغيرة لديها أُذنا عائلة فلورنت».

أشارَ الإصبع الصَّغير بخمولٍ مجيبًا: «ذات مرَّةٍ قال لي مبعوث تجاري من



لِيس إن اللود ستانيس يُحِبُّ ابنته كثيرًا، بما أنه أقامَ لها تماثيل بطول أسوار دراجونستون وعرضها، فقلتُ له: إنها كراجل يا سيِّدي!»، وأطلقَ ضحكةً قصيرةً، وتابعَ: «قد يَصلُح السير آكسل لأن يكون أبا شيرين، لكن حسب تجربتي، فكلما كانت الحكاية غريبة وصادمة أكثر سيكون ترديدها أسهل. ستانيس لديه مهرِّج غريب حقًّا، أبله وجهه مغطًّى بالأوشام».

فغرَ المِايستر الأكبر پايسل فاه مرتاعًا، وقال: «مؤكَّد أنك لا تقصد التَّلميح إلى أن الليدي سيليس قد تأخذ مهرِّجًا إلى فِراشها».

قال الإصبع الصَّغير: «ينبغي أن تكون مهرِّجًا أحمق لترغب في أن تُضاجِع سيليس فلورنت. لا شَكَّ أن ذا الوجه المرقَّع ذكَّرها بستانيس، ثم إن أفضل الكذب على الإطلاق ما ينطوي على شيءٍ من الحقيقة يكفي لأن يتوقَّف سامِعه ويُفكِّر. يتصادَف أن هذا المهرِّج وفيٌّ للفتاة لأقصى حَدٍّ ويُلازِمها كظِلِّها، بل وثمَّة شَبه بين الاثنين كذلك، فشيرين وجهها مرقَّع وشِبه متجمِّد كذلك».

قال پايسل حائرًا: «لكن هذا من جرَّاء الدَّاء الأرمد الذي كادَ يَقتُل المسكينة وهي رضيعة».

- «أفضِّلُ حكايتي، وكذا سيُفَضِّلها العوام. معظمهم يعتقد أنه إذا أكلَت امرأة لحم الأرانب وهي حامل، فسيولَد طفلها بأُذنين طويلتين مرنتين».

ارتسمَت على شفتي سرسي الابتسامة التي تحتفظ بها عادةً لچايمي وحده، وقالت: «لورد پيتر، أنت مخلوق لئيم».

- «أشكركِ يا جلالة الملكة».

أضافَ تيريون بلهجةٍ أقل دفئًا: «وكذَّاب متمكِّن للغاية». هذا الرَّجل أخطر مما تصوَّرتُ.

التقَت عينا الإصبع الصَّغير الخضراوان المائلتان إلى الرَّمادي بعيني تيريون غير المتماثلتين، دون أن يلوح فيهما أدنى أثر للاضطراب، وقال: «كلنا لديه مواهبه يا سيِّدي».

قالت الملكة المنغمسةً تمامًا في خواطر الانتقام ولم تنتبه لهما: «يديثُ



على زوجته مع مهرِّجٍ فقدَ عقله! سيُصبِح ستانيس أضحوكةً في كلِّ حانةٍ على هذا الجانب من البحرِ الضيِّق».

قال تيريون: «ينبغي ألَّا تأتي القصَّة منا، وإلَّا سوف تُعامَل باعتبارها كذبة تخدم مصالحنا نحن». وهي كذلك بالتَّأكيد.

مرَّةً أخرى زوَّدهم الإصبع الصَّغير بالإجابة: «العاهرات مولعات بالنَّميمة، ويتصادَف أني أملكُ ماخورًا واثنين وثلاثة، ولا شَكَّ أن ڤارس يستطيع أن يزرع بذور القصَّة في الحانات ومحال الأكل».

قالت سرسي مقطِّبةً وجهها: «ڤارس. أين هو؟».

- «أتساءلُ عن هذا عن نفسي يا جلالة الملكة».

قال المِايستر الأكبر پايسل بجدِّيَّة: «العنكبوت ينسج شباكه الخفيَّة ليل نهار. إنني لا أثقُ به أيها السَّادة».

قال تيريون وهو ينزل من على كرسيه: «مع أنه يُطري عليك كثيرًا». الحقيقة أنه يعرف ما يفعله الخصيُّ الآن، لكنه ليس بالشَّيء الذي يحتاج بقيَّة المستشارين أن يعرفوه. «أستأذنكم بالانصراف أيها السَّادة، فلديَّ أعمال أخرى».

ردَّت سرسي التي أصابَها الشَّكُّ من فورها: «أعمال تخصُّ الملك؟».

- «ليس شيئًا يستحقُّ أن تشغلي نفسك به».

- «دَع الحُكم لي».

- «أترغبين في إفساد مفاجأتي؟ ثمَّة هديَّة أصنعها لچوفري، سلسلة صغيرة».

- «ولِمَ يحتاج سلسلةً أخرى؟ إن لديه سلاسل من ذهبٍ وفضَّةٍ تكفيه عُمره كله. إذا حسبت لحظةً أنك تستطيع شراء حُبِّ چوف بالهدايا...».

- «مؤكَّد أن الملك يُحِبُّني كما أحبُّه تمامًا، لكني أومنُ بأنه سيُؤثِر تلك السِّلسلة بالتَّحديد على غيرها ذات يوم»، وانحنى الرَّجل الصَّغير، ثم سارَ متمايلًا إلى الباب.

كان برون ينتظره خارج قاعة المجلس، ليصحبه إلى بُرج اليد، وقال وهما يقطعان السَّاحة: «الحدَّادون في قاعة الاجتماعات، ينتظرون تشريفك».



- «ينتظرون تشريفي. أحبُّ وقع هذه الكلمة يا برون. تكاد تتكلَّم كرجل حاشيةٍ حقيقي، وربما أجدك تركع المرَّة القادمة».

- «نِك نفسك أيها القزم».

- «لديَّ شِاي لأفعل هذا معها». سمعَ تيريون الليدي تاندا تُناديه بمرح من على قمَّة السَّلالم الملتفَّة، فحَثَّ الخُطى متظاهرًا بأنه لا يسمعها، وقالَ لبرون: «قُل لهم أن يُجَهِّزوا نقَّالتي. سأغادرُ القلعة بمجرَّد أن أفرغ هنا». كان اثنان من إخوة القمر يقفان حراسةً على الباب، فحيَّاهما تيريون ببشاشة، قبل أن تتجهَّم ملامحه وهو يَرمُق سلالم البُرج، فالصُّعود إلى مسكنه دائمًا ما يُصيب قدميه بألم شديد.

في الدَّاخل وَجدَ صبيًّا في الثَّانية عشر يفرد ثيابًا على الفِراش، مُرافِقه المثير للشَّفقة پودريك پاين الصَّموت الخجول، الذي ما زال تيريون يرتاب في أن أباه ابتلاه به على سبيل الدُّعابة السَّمجة. همهمَ الصَّبي وقد خفضَ بصره عندما دلفَ تيريون: «ثيابك يا سيِّدي من أجل اجتماعك، والسِّلسلة، سلسلة اليد». حتى عندما يستجمع شَجاعته ويتكلَّم، فلا يستطيع پود أن يرفع عينيه إليك أبدًا.

- «عظيم. ساعِدني على ارتدائها». كانتِ السُّترة من المخمل الأسود المغطَّى بحُلِيٍّ ذهبيَّة على شكل رؤوس أُسود، والسِّلسلة من الذَّهب الخالص، عبارة عن حلقة من الأيدي التي تقبض أصابع كلٍّ منها على معصم الأخرى، وجاءَه پود بمعطفٍ من الحرير القرمزي الموشَّى بالذَّهبي، مفصَّل ليُناسِب مقاسه، فلم يكن يتعدَّى حرملةً قصيرةً إذا ارتداه رجل عادي.

لم تكن قاعة الاجتماعات الخاصَّة باليد كبيرةً كقاعة الملك، وتُمَثِّل مجرَّد رقعةٍ من رحابة قاعة العرش، لكن تيريون يُحِبُّ ما فيها من البُسط المايريَّة ومعلَّقات الحوائط والأُلفة التي تبثُّها فيه. أعلنَ وكيله لدى دخوله: «تيريون لانستر، يد الملك». وجدَ أن هذا أيضًا يروقه، خصوصًا عندما ركعَ رهط الحدَّادين والصَّاغة وتجَّار الحدائد الذين جاءَ بهم برون بمجرَّد رؤيته.

دفعَ نفسه إلى أعلى ليجلسِ على المقعد العالي تحت النَّافذة الذَّهبيَّة المستديرة، وأشارَ لهم بالقيام قائلًا: «أيها المحترمون، أعرفُ أنكم مشغولون،



لذا سأختصرُ الكلام. پود، إذا سمحت»، فناوَله الصَّبي جوالًا من الخيش، سحبَ تيريون رباطه وقلبَه، لتَسقُط محتوياته المعدنيَّة على البساط الصُّوف بصوتٍ مكتوم. «جعلتهم يصنعون هذه في ورشة القلعة، وأريدُ ألفًا أخرى مِثلها».

ركعَ واحد من الحدَّادين ليفحص الحلقات الفولاذيَّة الضَّخمة الثَّلاث المعشَّقة معًا، وقال: «سلسلة هائلة».

رَدَّ القزم: «هائلة لكن قصيرة، مِثلي إلى حَدٍّ ما. أرغبُ في واحدةٍ أطول بكثير. ألك اسم؟».

- «يُسَمُّونني بطن الحديد يا سيِّدي». كان الحدَّاد قصيرًا مكتنزًا كبير البطن، يرتدي ثيابًا تقليديَّةً من الصُّوف والجِلد، لكن ذراعيه مفتولتان كعُنق ثور.

- «أريدُ أن تُرَكِّز كلُّ ورشةٍ في كينجز لاندنج على صُنع الحلقات وربطها، وليوضَع أيُّ عملٍ آخَر جانبًا. أريدُ أن ينصبَّ كلُّ رجلٍ يعرف فَنَّ تشكيل المعادن على هذه المهمَّة، سواء أكان صاحب ورشة أم عاملًا أو صبيًّا تحت التَّدريب. عندما أمرُّ من شارع الحديد، أريدُ أن أسمع المَطارق تدقُّ نهارًا وليلًا، وأريدُ رجلًا، رجلًا قويًّا يُشرِف على كلِّ هذا. أأنت هذا الرَّجل أيها المحترم بطن الحديد؟».

- «قد أكونُ كذلك يا سيِّدي، لكن ماذا عن القمصان الواقية والسُّيوف التي تُريدها الملكة؟».

وتحدَّث حدَّاد آخَر قائلًا: «جلالتها أمرَتنا بأن نصنع قمصان الحلقات المعدنيَّة والدُّروع، وسيوفًا وخناجر وفؤوسًا بأعدادٍ ضخمة، لتسليح ذوي المعاطف الذَّهبيَّة الجُدد يا سيِّدي».

- «تلك الأعمال يُمكن أن تنتظر. السِّلسلة أولًا».

قال الحدَّاد المتوتِّر بإصرار: «أستميحك عذرًا يا سيِّدي، لكن جلالتها قالت إن من لا يُحقِّقون الأعداد المطلوبة ستُحَطَّم أيديهم، قالت إنها ستُهَشَّم على السِّندان».

سرسي وعذوبتها، دائمًا تُجاهِد لتجعل العامَّة يُحِبُّوننا. «لا شيء سيَحدُث ليد أحد، لكم كلمتي».



قال بطن الحديد: «الحديد صارَ شحيحًا، وتلك السِّلسلة ستحتاج كثيرًا منه، بالإضافة إلى الفحم للنَّار».

وعدَه تيريون: «سيحرص اللورد بايلش على أن تتوفَّر لكم المبالغ المطلوبة». تمنى أن يستطيعُ الاعتماد على الإصبع الصَّغير في هذا على الأقل. «سآمرُ حَرس المدينة بمساعَدتكم على إيجاد الحديد. أذيبوا كلَّ حدوة حصان في المدينة إذا اضطررتم».

تقدَّم رجل أكبر سِنًّا، يرتدي سُترةً ثمينةً من الإستبرق ذات أبازيم من الفضَّة، تحت معطفٍ مبطَّن بفرو الثَّعلب، وركعَ يفحص الحلقات الفولاذيَّة التي أسقطَها تيريون على الأرض، ثم قال بتجهُّم: «سيِّدي، هذا عمل غير متقَن في أغلب الأحوال، ولا فَنَّ فيه. صحيحٌ أنه يُناسِب الحدَّادين التَّقليديِّين، من يَدُقُّون حدوات الخيول والقدور، لكني أستاذ في فَنِّ صياغة المعادن إذا سمحَ سيِّدي، وهذا العمل لا يَصلُح لي أو لزملائي المحترفين. إننا نصنع سيوفًا حادَّةً كالأغاني، ودروعًا تليق بإله، وليس هذا».

مالَ تيريون برأسه جانبًا وسلَّطَ نظرات عينيه غير المتماثلتين على الرَّجل قليلًا، ثم قال: «ما اسمك أيها الأستاذ؟».

- «سالوريون، بَعد إذن سيِّدي. إذا سمحَ لي حضرة يد الملك، سيُشَرِّفني أن أصنع له دِرعًا تليق بعائلته ومنصبه الرَّفيع». أطلقَ اثنان من الآخَرين ضحكةً مكبوتةً، لكن سالوريون اندفعَ مواصلًا دون أن يلتفت لهما: «من الصَّفائح والأقراص المعدنيَّة على ما أظنُّ، الأقراص مذهَّبة وضَّاءة كالشَّمس، والصَّفائح مطليَّة بلون لانستر القرمزي القاني، وأقترحُ أن تكون الخوذة على شكل رأس شيطان، يُتَوِّجها قرنان ذهبيَّان طويلان. عندما تَدخُل ساحة المعركة، سيَصرُخ الرِّجال ويفرُّون خوفًا».

قال تيريون لنفسه بضِيق: رأس شيطان، ما الذي يقوله هذا عني؟ «أيها المحترم سالوريون، إنني أنوي أن أخوض بقيَّة معاركي من على هذا المقعد. ما أحتاجه هو الحلقات وليس قرون الشَّياطين. دعني أقولُ لك الخلاصة: سوف تصنع السِّلسلة، أو ترتدي سلسلةً، الخيار لك»، ونهضَ مغادرًا المكان دون أن يُلقي نظرةً واحدةً وراءه.



كان برون ينتظر عند البوَّابة مع النقَّالة وفِرقةٍ من رجال الآذان السَّوداء بخيولهم، وقال له تيريون بَعد أن ساعَده على الرُّكوب: «تعرف وجهتنا». لقد فعلَ غاية ما في وسعه ليُطعِم المدينة الجائعة، فكلَّف عدَّة مئات من النجَّارين ببناء قوارب الصَّيد بدلًا من المجانيق، وفتحَ غابة الملوك لأيِّ صيَّادٍ يَجسُر على عبور النَّهر، بل وأرسلَ ذوي المعاطف الذَّهبيَّة لجمع ما يَصلُح للأكل غَربًا وجَنوبًا... ومع ذلك لم يزل يرى نظرات الاتِّهام في الأعيُن أينما ذهبَ. على أن ستائر النقَّالة تقيه النَّظرات، كما تمنحه متَّسعًا للتَّفكير.

تأمَّل تيريون أحداث هذا الصَّباح وهُم يشقُّون طريقهم بتؤدةٍ عبر زقاق الظِّلَّة السَّوداء إلى سفح تَلِّ إجون العالي. غضبة أخته أعمَتها عن رؤية أهميَّة رسالة ستانيس باراثيون الحقيقيَّة، فاتِّهاماته لا تعني شيئًا بلا دليل، بينما ما يهمُّ فعلًا أنه يُسَمِّي نفسه ملكًا. فما الذي سيفعله رنلي إزاء هذا إذن؟ إنهما لن يجلسا معًا على العرش الحديدي بالطَّبع.

بحركةٍ فاتِرة أزاحَ السِّتار بعض الشَّيء صانعًا فرجةً يرى منها الشَّوارع. كان رجال الآذان السَّوداء يركبون على جانبيه وقد أحاطَت قلاداتهم البشعة بأعناقهم، بينما تقدَّمهم برون ليُفسِح الطَّريق. راقبَ تيريون المارَّة الذين يُراقِبونه، وبدأ يلعب لعبةً صغيرةً مع نفسه، محاولًا أن يفرز الجواسيس من البقيَّة. غالبًا أكثر من يبدو مثيرًا للرِّيبة بريء، أمَّا من تبدو عليهم البراءة فهُم من يجب أن أتوخَّى الحذر منهم.

كانت وجهته تقع وراء تَلِّ ريينس، والشَّوارع مزدحمة، ففاتَ ما يَقرُب من السَّاعة قبل أن تتوقَّف النقَّالة أخيرًا، وكان تيريون قد غفيَ، لكنه استيقظَ فجأةً مع سكون الحركة، وفركَ عينيه واتَّكأ على يد برون لينزل.

ارتفعَ البناء طابقين، السُّفلي من الحجارة والعُلوي من الخشب، واحتلَّ إحدى الزَّوايا بُرج مستدير صغير، بينما طُلِيَ عدد كبير من النَّوافذ بالرَّصاص، وعُلِّقَ مصباح دائري مزخرف من الحديد المذهَّب والزُّجاج القرمزي فوق الباب.

قال برون: «إنه ماخور. ماذا تنوي أن تفعل هنا؟».

- «ما الذي يفعله النَّاس عادةً في المواخير؟».



ضحكَ المرتزِق وقال: «ألا تكفيك شِاي؟».

- «كانت جميلةً بالنِّسبة لتابعة معسكرات، لكني لم أعد في المعسكر. شهيَّة الرِّجال الصِّغار كبيرة، ويُقال لي إن الفتيات هنا يلقن بملك».

- «هل كبرَ الصَّبي بما فيه الكفاية؟».

- «ليس چوفري، بل روبرت. هذا المكان كان مفضَّلًا لديه للغاية». مع أن چوفري قد يكون كبيرًا بما فيه الكفاية. فكرة مثيرة للاهتمام. «إذا أردت أنت والآذان السَّوداء أن تقضوا وقتًا طيِّبًا، فلا بأس، لكن فتيات شاتايا باهظات الثَّمن. ستجدون بيوتًا أرخص بطول الشَّارع. اترُكوا رجلًا واحدًا هنا يعرف أين يجد الآخَرين عندما أقرِّرُ العودة».

قال برون بينما ارتسمَت ابتسامات واسعة على وجوه رجال الآذان السَّوداء: «كما تقول».

في الدَّاخل استقبلَته امرأة طويلة القامة ترتدي ثوبًا من الحرير الهفهاف، بشرتها بلون الأبنوس وعيناها بلون خشب الصَّندل، وقالت منحنيةً بشدَّة: «أنا شاتايا، وأنت...».

- «دعينا لا نُمارِس عادة تبادُل الأسماء، فالأسماء شيء خطِر». كان الهواء يعبق برائحة نوعٍ غريب من التَّوابل، بينما عرضَت الأرضيَّة من تحته لوحةً مرسومةً بالفسيفساء لامرأتين تتطارَحان الغرام. «لديكِ منشأة تسرُّ الأنفُس».

- «لقد اجتهدتُ طويلًا لأجعلها هكذا. يُسعِدني أن حضرة اليد مسرور». كان صوتها كهرمانًا سائلًا، منكَّهًا بلكنات جُزر الصَّيف النَّائية.

قال تيريون بصرامة: «الألقاب خطِرة كالأسماء. أريني بعضًا من فتياتكِ».

- «من أقصى دواعي سعادتي أن أفعل. ستجدهن شديدات العذوبة بقدر ما هن جميلات، ومتمرِّسات في كلِّ فنون الهوى»، وتحرَّكت شاتايا بخفَّةٍ تاركةً تيريون يمشي متمايلًا وراءها بأقصى سرعةٍ تقدر عليها ساقاه، اللتان لا تتجاوَزان نِصف ساقيها طولًا.

من وراء السَّاتر المايري المزخرف المنقوش بأشكال الزُّهور وأوضاع العِشق والفتيات الحالمات، حدَّقا دون أن يراهما أحد في أرجاء القاعة العامَّة، حيث يعزف رجل عجوز نغمةً مرحةً على المزمار، بينما في فجوةٍ



مبطَّنة بالوسائد يُهَزهِز تايروشي سكران أرجواني الشَّعر فتاةً يافعةً عامرة الصَّدر وقد أجلسَها على رُكبتيه. كان قد خلعَ صِدارها، ويُمَيِّل كأسه ليصبَّ خيطًا رفيعًا من النَّبيذ على ثدييها ليلعقه عنهما. فتاتان أخريان كانتا تلعبان البلاطات إلى جوار واحدةٍ من النَّوافذ المطليَّة بالرَّصاص، منهما ذات النَّمش التي ترتدي سلسلةً من الزُّهور الزَّرقاء في شَعرها العسلي، والأخرى بشرتها ملساء سوداء كالسَّبَج المصقول، لها عينان واسعتان داكنتان ونهدان صغيران مدبَّبا التَّكوين. ارتدَت الاثنتان بدورهما غلالتين من الحرير الهفهاف المثبَّت عند الخصر بحزامٍ مرصَّع بالخرز، وحدَّد نور الشَّمس المنصبُّ من زجاج النَّافذة الملوَّن جسَديهما الشَّابين الجميلين من خلال النَّسيج الخفيف، ما جعلَ تيريون يَشعُر بحركةٍ بين ساقيه. قالت شاتايا: «مع احترامي، أقترحُ أن تختار داكنة البشرة».

- «إنها صغيرة».

- «سِنُّها ستَّة عشر عامًا يا سيِّدي».

حدَّث نفسه مسترجعًا ما قاله برون: سِنٌّ مناسبة لچوفري. أول امرأةٍ عاشَرها كانت أصغر من هذا. تذكَّر تيريون كيف بدا عليها الخجل وهو يسحب فُستانها من فوق رأسها أول مرَّة. شَعر أسود فاحم وعينان زرقاوان يُمكنك أن تغرق فيهما، ولقد غرقَ، منذ زمنٍ طويل للغاية... يا لك من أحمق بائس أيها القزم. «أهذه الفتاة من ديارِكِ؟».

- «الصَّيف يجري في دمها يا سيِّدي، لكن ابنتي وُلِدَت هنا في كينجز لاندنج». لا بُدَّ أن دهشته تجلَّت على وجهه، لأن شاتايا تابعَت: «يُؤمِن قومي بأن لا عار هنالك في بيوت الهوى. في جُزر الصَّيف يلقى البارعون في منح المُتع أعظم التَّقدير، وكثيرون من شباب علية القوم من الذُّكور والإناث يخدمون بضع سنواتٍ بَعد البلوغ لتكريم الآلهة».

- «ما علاقة الآلهة بالأمر؟».

- «الآلهة خلقَت أجسادنا كما خلقَت أرواحنا، أليس كذلك؟ وأعطَتنا الأصوات كي نتعبَّد لها بالأغاني، والأيدي كي نُشَيِّد لها المعابد، وكذا أعطَتنا الرَّغبة كي نتزاوَج ونَعبُدها بهذه الطَّريقة أيضًا».



قال تيريون: «ذكِّريني أن أُخبِر السِّپتون الأعلى. لو كنتُ أستطيعُ التعبُّد بقضيبي، لصرتُ أكثر تديُّنًا بكثير»، ولوَّح بيده مضيفًا: «يُسعِدني أن أقبل اقتراحكِ».

- «سأستدعي ابنتي. تفضَّل».

قابلَته الفتاة عند بداية السَّلالم. كانت أطول قامةً من شِاي، وإن لم تُناهِز أمَّها طولًا، فانحنَت كي يستطيع تيريون تقبيلها. قالت بصوتٍ يحمل لمحةً خفيفةً للغاية من لكنة أمِّها: «أنا ألايايا. تفضَّل يا سيِّدي»، وأخذَته من يده وصعدَت به سُلَّمين، ثم قادَته عبر رواقٍ طويل. تردَّد شهيق وأنين المُتعة من وراء أحد الأبواب المغلقة، والضَّحك والهمس من وراء آخَر، وشعرَ تيريون بذَكره يضغط على أربطة سراويله. سيكون هذا مهينًا، قال لنفسه وهو يصعد سُلَّمًا آخَر وراء ألايايا إلى غُرفة البُرج، حيث كان باب واحد قادَته عبره وأغلقَته. في الدَّاخل وجدَ سريرًا مغطًّى بالسَّتائر، وصُوان ملابس طويلًا مزيَّنًا بنقوشٍ لأوضاع حميمة، ونافذةً ضيِّقةً من الزُّجاج المطلي بالرَّصاص، رُسِمَت عليه ماسات حمراء وصفراء منتظمة.

قال لها تيريون عندما انفردَ بها: «أنتِ جميلة جدًّا يا ألايايا، من قمَّة رأسكِ إلى أخمص قدميكِ كلُّ جزءٍ منكِ ساحر، لكن أكثر جزءٍ يهمُّني الآن هو لسانكِ».

- «سيجد سيِّدي أن لساني ممرَّن تمامًا. في صغري تعلَّمتُ متى أستخدمه ومتى لا أفعل».

قال تيريون مبتسمًا: «يسرُّني هذا. ماذا سنفعل الآن إذن؟ ألديكِ اقتراحات؟».

- «نعم. إذا فتحَ سيِّدي الصُّوان، سيجد ما يبحث عنه».

لثَمَ تيريون يدها ودخلَ إلى الصُّوان الخاوي، فأغلقَت ألايايا الباب وراءه، وتحسسَّ هو اللَّوح الذي يُشَكِّل ظَهر الصُّوان، ولمَّا شعرَ به ينزلق تحت أصابعه، أزاحَه جانبًا. كان الفراغ الواقع وراء الصُّوان حالك الظُّلمة، لكنه تلمَّس الهواء أمامه حتى وقعَت يده على شيءٍ معدني، فأطبقَت على درجة السُّلَّم الأولى، ثم إنه وجدَ الدَّرجة الثَّانية بقدمه، وبدأ ينزل.



تحت مستوى الشَّارع انفتحَت البئر على نفقٍ تُرابي، حيث وجدَ ڤارس في انتظاره حاملًا شمعةً.

لم يبدُ ڤارس كنفسِه على الإطلاق. من تحت خوذته الفولاذيَّة ذات الرِّيشة المحزَّزة لاحَ وجه تعلوه النُّدوب ولحية داكنة خشنة، وكان يرتدي الحلقات المعدنيَّة فوق الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، ومن حزامه تدلَّى خنجر وسيف قصير. قال لتيريون: «هل أرضَتك شاتايا يا سيِّدي؟».

- «أكثر من اللَّازم. أأنت واثق بأن هذه المرأة يُعتمَد عليها؟».

قال ڤارس: «لا أثقُ بشيءٍ في هذا العالم المتقلِّب الخدَّاع يا سيِّدي، لكن شاتايا لا تملك سببًا يدفعها إلى حُبِّ الملكة، وتعرف أن الفضل يعود لك في تخليصها من آلار ديم. هيا بنا؟»، وتحرَّك إلى مخرج النَّفق.

حتى مشيته مختلفة. كانت رائحة النَّبيذ الرَّخيص والثَّوم عالقةً بڤارس بدلًا من عبير زهور الخُزامى. قال له وهما يمضيان: «أحبُّ ثيابك الجديدة».

- «العمل الذي أزاوله لا يُتيح لي الحركة في الشَّوارع بين صفَّين من الفُرسان، لذا أتَّخذُ مظهرًا أنسب عندما أغادرُ القلعة، ومن ثَمَّ أعيشُ لأخدمك مدَّةً أطول».

- «الجِلد يليق بك. يَجدُر بك أن تحضر اجتماع المجلس القادم في هذه الصُّورة».

- «لن ترضى أختك عن هذا سيِّدي».

قال مبتسمًا في الظَّلام: «كانت أختي لتُبَلِّل ثيابها. بالمناسبة، لم أرَ أثرًا لجواسيسها إثري».

- «يُسعِدني أن أسمع هذا يا سيِّدي. بعض مأجوري أختك ينتمون لي أيضًا دون درايةٍ منها، وأكرهُ أن يتصرَّف أحدهم بإهمالٍ فيُرى».

- «وأنا أكرهُ أن أدسَّ نفسي في صُوانٍ وأعاني رغبةً بلا إشباعٍ دون طائل».

قال ڤارس مُطَمْئِنًا: «ليس دون طائل أبدًا. إنهم يعرفون أنكَ هنا. لا أدري إن كان أحدهم سيتحلَّى بالجرأة الكافية ليَدخُل ماخور شاتايا متظاهرًا بأنه زبون، لكني أوثرُ المغالاة في الحذر على التَّهاوُن فيه».

- «كيف يضمُّ ماخور مدخلًا سرِّيًّا؟».



- «النَّفق حُفِرَ ليد ملكٍ آخَر، لم يسمح له شَرفه بدخول مكانٍ كهذا علانيةً. شاتايا تكتم سِرَّ وجوده ببراعة».

- «لكنك عرفت بوجوده على الرغم من ذلك».

- «الطُّيور الصَّغيرة تُحَلِّق في عديد الأنفاق المظلمة. احذر، فالدَّرجات منحدرة».

خرجا من بابٍ أفقي في مؤخِّرة اسطبل، وقد قطعا ما يَقرُب من ثلاثة شوارعٍ تحت تَلِّ رِينس. صهلَ حصان في مربطه عندما صفقَ تيريون الباب، وأطفأ ڤارس الشَّمعة ووضعها على عارضةٍ خشبيَّة، بينما تطلَّع تيريون حوله. احتلَّ المَرابط بغل وثلاثة خيول، فدنا من الحصان الأرقط وألقى نظرةً على أسنانه، ثم قال: «عجوز، وأعتقدُ أنه يُعاني من غازات البطن».

أجابَ ڤارس: «ليس حصانًا تمتطيه في المعركة بالتَّأكيد، لكنه سيَصلُح، ولن يلفت الانتباه، على عكس غيره. وعُمَّال الاسطبل لا يرون أو يسمعون غير الحيوانات»، والتقطَ الخصيُّ معطفًا معلَّقًا على وتد، فوجده تيريون رثًّا خشنًا لوَّحت الشَّمس لونه، لكن واسعًا للغاية، وعندما قال ڤارس: «اسمح لي»، ووضعه على كتفي تيريوْن، فابتلعَه المعطف تمامًا، وكانت قلنسوته تكفي لإغراق وجهه في الظِّلال. قال ڤارس وهو يُعَدِّل المعطف عليه: «النَّاس يرون ما يتوقَّعون أن يروه. الأقزام ليسوا بالمشهد المعتاد كالأطفال، لذا سيرون طفلًا، صبيًّا في معطفٍ قديم يجلس على حصان أبيه ويُساعِده في عمله. على كلِّ حالٍ من الأفضل أن تأتي ليلًا عادةً».

- «هذا ما أنويه... بَعد اليوم. أمَّا الآن فشِاي تنتظرني». كان قد أسكنَها إيوانًا مسوَّرًا في أقصى شَمال المدينة الغَربي، على مقربةٍ من البحر، لكنه لم يجرؤ على زيارتها هناك خشية أن يكون متبوعًا.

- «أيُّ حصانٍ ستركب؟».

هَزَّ تيريون كتفيه مجيبًا: «لا بأس بهذا».

أنزلَ ڤارس سَرجًا ولجامًا من على وتد، وقال: «سأجهِّزه لك».

عدَّل تيريون المعطف على كتفيه، وذرعَ الاسطبل بتوتُّرٍ قائلًا: «فاتَتك جلسة ساخنة حقًّا. ستانيس توَّج نفسه على ما يبدو».



- «أعرفُ».
- «ويتَّهم أخي وأختي بزنى المحارم. تُرى كيف راودَته هذه الشُّكوك؟».
- «لعلَّه قرأ كتابًا وألقي نظرةً على شَعر صبيٍّ نغل، مِثلما فعلَ ند ستارك ومن قبله چون آرن، أو لعلَّ أحدهم همسَ شيئًا في أُذنه».
- «أحد مِثلك ربما؟».
- «أأنا محطُّ ريبة؟ لا، لم يكن أنا».
- «وهل تُقِرُّ بهذا لو كان أنت؟».
- «كلا، لكن لِمَ أفشي سرًّا احتفظتُ به زمنًا طويلًا؟ أن تخدع ملكًا مسألة، بينما الاختباء من الصُّرصور بين ثنايا البساط أو من الطَّائر في المدخنة مسألة أخرى تمامًا. ثم إن النُّغول كانوا موجودين دائمًا على مرأى من الجميع».
- «نغول روبرت؟ ماذا عنهم؟».

قال ڤارس وهو يُثبِّت السَّرج بصعوبة: «لقد أنجبَ ثمانيةً على حَدِّ علمي، أمَّهاتهم كان شَعرهن بلون النُّحاس والعسل والكستناء والزُّبد، بينما جاءَ الصِّغار كلهم بشَعرٍ أسود كالغِدفان... وجلَبوا الحَظَّ العاثر معهم مثلها كذلك. هكذا عندما انزلَقَ كلٌّ من چوفري ومارسلا وتومن من بين فخذي أختك بشَعرٍ ذهبيٍّ كالشَّمس، لم يكن إدراك الحقيقة عسيرًا».

هَزَّ تيريون رأسه مستاءً. لو أنها ولدَت طفلًا واحدًا فقط من زوجها، لكان هذا كافيًا لضحد الشُّكوك... لكن لما كانت سرسي عندئذٍ. «إذا لم تكن أنت ذلك الواشي، فمَن؟».

شَدَّ ڤارس حزام السَّرج قائلًا: «خائن ما لا شَك».
- «الإصبع الصَّغير؟».
- «لم أذكر أيَّ أسماء».

تركَ تيريون الخصيَّ يُساعِده على الرُّكوب، ثم قال من فوق ظَهر الحصان: «لورد ڤارس، أحيانًا أشعرُ أنك أفضل أصدقائي في كينجز لاندنج على الإطلاق، وأحيانًا أشعرُ أنك ألدُّ أعدائي».
- «غريب حقًّا. هذا ما أشعرُ به حيالك بالضَّبط أيضًا».





بران

فتحَ عينيه قبل أن تتسلَّل خيوط الضَّوء الشَّاحب الأولى من خَصاص نافذته بفترةٍ طويلة.

في وينترفل ضيوف، زائرون جاءوا من أجل احتفال عيد الحصاد، ما يعني أنه سيجدهم يُبارِزون طواويس التَّدريب في السَّاحة هذا الصَّباح، الفكرة التي كانت لتملأه حماسةً في الماضي، لكن ذلك كان قبل ما حدثَ، وليس الآن. سوف يتمرَّن الصَّبيَّان والدر بالرِّماح مع مُرافِقي فُرسان اللورد ماندرلي، لكن بران لن يُشارِك، فعليه أن يلعب دور الأمير في غُرفة أبيه، وكما قال المِايستر لوين: «أصغِ لما يُقال، فعسى أن تتعلَّم معنى السِّيادة الحقيقي».

لم يَطلُب بران قَطُّ أن يكون أميرًا، فالفُروسية الشَّيء الوحيد الذي طالما حلمَ به، الدُّروع اللَّامعة والرَّايات الخفَّاقة، والحِراب والسُّيوف، وجواد حربي بين ساقيه. لِمَ إذن ينبغي عليه أن يجلس ويسمع رجالًا مسنِّين يتكلَّمون عن أشياء لا يفقه نِصفها؟ ذكَّره الصَّوت القادم من داخله: لأنك مكسور. من الممكن أن يكون هذا اللورد أو ذاك قعيدًا على كرسيه الوثير، والوالدران قالا إن جدَّهما شديد الوهن لدرجة أنهم يحملونه في كلِّ مكانٍ على نقَّالة، لكن من المُحال أن ينطبق الشَّيء نفسه على فارسٍ يمتطي حصانًا، كما أن عليه أن يؤدِّي واجبه. «أنت وريث أخيك وابن ستارك في وينترفل»، قال السيد رودريك مذكِّرًا إياه بأن روب اعتادَ الجلوس مع السيِّد والدهما كلما أتى حمَلة رايته للزِّيارة.

وصلَ اللورد وايمان ماندرلي من الميناء الأبيض قبل يومين، وقد سافرَ



بالصَّندل ثم النقَّالة، لأنه أسمن من أن يحتمل حصان جلوسه عليه، ومعه جاءَ عدد ضخم من الأتباع، فُرسان ومُرافِقوهم، ولوردات وليديهات أقلُّ منزلةً، وحُجَّاب وموسيقيُّون، بل وحاوٍ كذلك، يتألَّقون جميعًا تحت راياتهم وفي ثيابهم التي تألَّفت من نِصفمئةٍ من الألوان كما تبدَّى لبرانٍ، الذي رحَّب بهم في وينترفل وهو جالس على مقعد أبيه العالي ذي الذِّراعين المنحوتتين كذئبين رهيبين. بَعدها قال له السير رودريك إنه أبلى بلاءً حسنًا، ولو انتهى الأمر عند ذلك الحَدِّ لما وجدَ مانعًا، لكنها كانت البداية فحسب.

قال السير رودريك شارحًا: «الاحتفال حُجَّة لا بأس بها للزِّيارة، لكن لا أحد يُسافِر مسافة مئة فرسخ من أجل قطعةٍ من لحم البَطِّ ورشفةٍ من النَّبيذ. فقط مَن لديهم مسائل ذات أهميَّة يعرضونها علينا سيقطعون الرِّحلة».

رفعَ بران عينيه إلى السَّقف الحجري الخشن وحدَّق فيه. إنه يعرف أن روب كان ليقول له ألَّا يتصرَّف بطفوليَّة، ويكاد يسمعه يقولها بالفعل، ويسمع السيِّد والدهما كذلك. الشِّتاء قادم، وأنت تكاد تُصبِح رجلًا بالغًا يا بران، وعليك واجبات.

عندما دخلَ هودور مُحدثًا الضجَّة المعتادة وهو يبتسم ويُدَندِن بلا لحن، وجدَ الصَّبي مستسلمًا لمصيره، وعاوَنه على الاغتسال وتصفيف شَعره. قال له بران آمرًا: «السُّترة الصُّوف البيضاء اليوم، والدبُّوس الفضِّي. سيُريدني السير رودريك أن أبدو كالسَّادة». يُفَضِّل بران أن يرتدي ثيابه بنفسه قدر المستطاع، لكن يُثير غيظه أنه لا يستطيع أن يفعل بضعة أشياء الآن، مِثل وضْع سراويله أو ربْط حذائه، ما يتمُّ بسرعةٍ أكبر بمساعَدة هودور، الذي يُمارِس أيَّ شيءٍ بيُسرٍ عندما يتعلَّمه، ودائمًا ما كانت يداه رقيقتين على الرغم من قوَّته المدهشة. قال له بران: «أراهنُ أنك كنت لتُصبِح فارسًا أيضًا. لو لم تسلبك الآلهة عقلك، لأصبحت فارسًا عظيمًا».

رمقَه هودور بعينيه البنِّيَّتين ساذجتي النَّظرات، وقال: «هودور؟»، دون أن يلوح فيهما أثر للفهم.

قال بران مشيرًا: «نعم، هودور».

على الحائط إلى جوار الباب عُلِّقَت سلَّة مصنوعة بإحكامٍ من الأماليد



المجدولة والجِلد، وفيها فتحتان لساقي بران. دَسَّ هودور يديه في الأربطة وشَدَّ الحزام العريض حول صدره، ثم ركعَ إلى جوار الفِراش، فاستعانَ بران بالقضبان المثبَّتة في الحائط، ليحمل نفسه وهو يُلقي ساقيه الميتتين في السلَّة وعبر الفتحتين. كرَّر هودور وهو ينهض: «هودور». يُناهِز صبيُّ الاسطبل الأقدام السَّبعة طولًا، وعلى ظَهره يكاد رأس بران يحتكُّ بالسَّقف. ذات مرَّةٍ شَمَّ هودور رائحة الخُبز الطَّازج، فاندفعَ يجري إلى المطابخ، وأصيبَ بران بخبطةٍ عنيفة، حتى إن المِايستر لوين اضطرَّ لأن يخيِّط فروة رأسه. بَعدها أعطاه ميكن خوذةً قديمةً صدئةً بلا مقدِّمة من مستودع السِّلاح، لكن نادرًا ما ارتداها بران، فالوالدران يضحكان كلما رأياها على رأسه.

أراحَ يديه على كتفي هودور وهما ينزلان السَّلالم الملتفَّة، وفي الخارج كانت أصوات السُّيوف والدُّروع والخيول ترنُّ بالفعل في السَّاحة، صانعةً مقطوعةً عذبةً من الموسيقى. سألقي نظرةً، نظرةً سريعةً لا أكثر.

سوف يظهر صغار لوردات الميناء الأبيض في ساعةٍ لاحقةٍ من النَّهار مع فُرسانهم ورجالهم المسلَّحين، وحتى ذلك الحين تنتمي السَّاحة لمُرافِقيهم، الذين تتراوَح أعمارهم من العشرة إلى الأربعين. تمنَّى بران بكلِّ جوارحه لو أنه واحد منهم، لدرجة أن بطنه آلَمه مِن فرط الاشتياق.

في السَّاحة نُصِبَ طاووسان، كلٌّ منهما عبارة عن عمودٍ سميك يُثَبَّت عارضةً متقاطعةً دوَّارة، في أحد طرفيها تُرس وفي الثَّاني رُمح من البطانة، وقد طُلِيَ التُّرسان بالأحمر والذَّهبي، وإن بدا أسدا لانستر المرسومان عليهما سمينين وغير منتظمي التَّكوين، وشوَّهتهما بالفعل الضَّربات الأولى التي هوَت عليهما. جذبَ مشهد بران في سلَّته أنظار من لم يروه سابقًا، لكنه تعلَّم أن يتجاهَل النَّظرات، وعلى الأقل يتمتَّع بالإطلال على منظرٍ جيِّدٍ من مكانه هذا على ظَهر هودور، إذ يرتفع فوق الجميع. رأى الصَّبيَّينِ والدر يمتطيان حصانيهما، وكانا يرتديان الدِّرعين الممتازتين اللتين أتيا بهما معهما من «التَّوأمتين»، المصنوعتين من الصَّفائح المعدنيَّة المطليَّة بالفضَّة البرَّاقة، والمزيَّنتين بنقوشٍ زرقاء. اتَّخذت ريشة خوذة والدر الكبير شكل قلعة، بينما فضَّل والدر الصَّغير شريطًا من الحرير الأزرق والرَّمادي، كما أن تُرسيهما



والشِّعارين على سُترتيهما ساعَدوا على التَّمييز بينهما، فاختارَ والدر الصَّغير شعارًا يتألَّف من بُرجي فراي التَّوأمين مع خنزير عائلة جدَّته البرِّي المخطط وحارث عائلة أمِّه، كراكهول وداري على التَّوالي، بينما تكوَّن شعار والدر الكبير من شجرة وغِدفان عائلة بلاكوود وثُعباني عائلة پايپر المضفوريْن معًا.
قال بران لنفسه وهو يُراقِبهما يلتقطان الرِّماح: لا بُدَّ أنهما ظاماَن للاحترام حقًّا، بينما لا يحتاج ابن ستارك غير ذئبه الرَّهيب. حصاناهما المرقَّطان سريعان وقويَّان ومدرَّبان أحسن تدريب، وانقضَّ الاثنان بهما جنبًا إلى جنب على الطَّاووسين، ليُصيب كلاهما تُرسه بضربةٍ نظيفة ويمرُّ بسرعةٍ قبل أن يدور الرُّمح على المحور ويُصيبه. سدَّد والدر الصَّغير الضَّربة الأقوى، وإن خطرَ لبران أن تحكُّم والدر الكبير في حصانه بدا أفضل. كان ليُضَحِّي بساقيه عديمتي الفائدة مقابل فُرصة أن يُواجِه أيهما.

ألقى والدر الصَّغير رُمحه المهشَّم جانبًا، ثم لمحَ بران فتقدَّم منه بالحصان، وأشارَ لهودور قائلًا: «يا له من حصانٍ قبيح!».

قال بران: «هودور ليس حصانًا».

وقال هودور: «هودور».

دنا والدر الكبير لينضمَّ إلى ابن عمِّه، وقال: «إنه ليس ذكيًّا كالحصان، هذا مؤكَّد»، فلكزَ عدد من صِبية الميناء الأبيض بعضهم بعضًا وضحكوا.

نقلَ هودور بصره بأسارير متهلِّلة من فراي إلى فراي غير واعٍ لاستهزائهما به، وهمهمَ: «هودور. هودور هودور؟».

أطلقَ حصان والدر الصَّغير صهيلًا، فقال ضاحكًا: «أترى؟ إنهما يتبادَلان الكلام. لعلَّ هودور تعني «أحبُّك» بلُغة الخيول».

شعرَ بران بالدِّماء تصعد إلى رأسه، وصاحَ: «صمتًا يا فراي!».

تقدَّم والدر الصَّغير بحصانه أكثر ليدفع هودور إلى الوراء بعض الشَّيء، وسألَ بران: «وماذا ستفعل لو لم أصمت؟».

قال والدر الكبير محذِّرًا: «سيُطلِق ذئبه عليك يا ابن العم».

- «دَعه يُطلِقه. لطالما أردتُ معطفًا من فراء الذِّئاب».

قال بران: «سَمر سيُمَزِّق رأسك السَّمين».



ضربَ والدر الصَّغير واقي صدره بقبضته، وقال ساخرًا: «هل يملك ذئبك أسنانًا من الفولاذ يخترق بها المعدن؟».

- «كفى!». دوَّى صوت المِايستر لوين فجأةً ليعلو فوق ضجيج السَّاحة ويشقَّ الهواء كلسانٍ من البرق. لا يدري بران كم سمعَ مما قيلَ... لكن من الواضح أنه يكفي لإشعال ثورته. «هذه التَّهديدات لا تليق، ولن أسمع المزيد منها. أهكذا تتصرَّف في «التَّوأمتين» يا والدر فراي؟».

رمقَه والدر الصَّغير من فوق حصانه بنظرةٍ عابسة، وأجابَ: «إذا أردتُ»، كأن لسان حاله يقول: أنت مجرَّد مِايستر. مَن أنت لتُقَرِّع واحدًا من أولاد فراي سادة «المعبر؟»

قال المِايستر: «لكنه ليس السُّلوك الذي ينبغي أن يتَّبعه ربيب لليدي ستارك في وينترفل. والآن، كيف بدأ كلُّ هذا؟»، ونقلَ عينيه من صبيٍّ إلى آخَر، وأضافَ منذرًا: «سيُخبِرني أحدكم، وإلَّا أقسمُ أن...».

أسرعَ والدر الكبير يعترف وقد بدا عليه شيء من الخجل على الأقل: «كنا نُداعِب هودور. أعتذرُ إذا أسأنا للأمير بران. كنا نقصد المرح فقط».

أمَّا والدر الصَّغير فبدا عليه التذمُّر وهو يقول: «وأنا، كنتُ أقصدُ المرح فقط».

استحالَ لون البُقعة الصَّلعاء على رأس المِايستر إلى الأحمر، ليشي بأن غضبته تفاقَمت في الحقيقة، وقال للصَّبيَّين فراي: «اللورد الصَّالح يُعين ويحمي الضُّعفاء والعاجزين، ولن أسمح لكما بأن تجعلا هودور موضوعًا للدُّعابات القاسية، مفهوم؟ إنه صبيٌّ طيِّب القلب ومطيع ومخلص، وهذا أكثر مما أستطيعُ أن أقوله عن أيكما»، ثم لوَّح بإصبعه في وجه والدر الصَّغير، وتابعَ: «وأنت ستبقى بعيدًا عن أيكة الآلهة وعن هذين الذِّئبين، وإلَّا وجبَ عليك العقاب»، ودارَ على عقبيه بسرعةٍ ليتموَّج كُمَّاه الواسعان في الهواء، وسارَ بضع خطواتٍ قبل أن يلتفت خلفه ويقول: «هلمَّ يا بران، اللورد وايمان ينتظر».

قال بران: «اذهب مع المِايستر يا هودور».

- «هودور»، قال هودور، ولحقَت خطواته الواسعة بخطوات المِايستر



السَّاخطة على سلالم الحصن الكبير، ثم فتحَ المِايستر لوين الباب وثبَّته، فاحتضنَ بران عُنق هودور وخفض رأسه وهما يَمُرَّان إلى الدَّاخل.

قال بران: «الوالدران...».

قاطَعه المِايستر لوين وقد بدا عليه التَّعب والسَّأم: «لا أريدُ أن أسمع المزيد عن هذا الأمر. انتهينا. كنت على حَقٍّ في الدِّفاع عن هودور، لكن لم يكن من المفترَض أن تكون هناك أصلًا. السير رودريك واللورد وايمان أفطَرا بالفعل في انتظارك. أينبغي أن آتي لأُحضرك بنفسي كأنك طفل صغير؟».

رَدَّ بران بخجل: «كلا. آسف، لكني أردتُ فقط أن...».

قال المِايستر لوين بلهجةٍ ألطف: «أعرفُ ما أردته، وليته قابل للتَّحقيق يا بران. ألديك أسئلة قبل أن نبدأ الاجتماع؟».

- «هل سنتكلَّم عن الحرب؟».

عادَت الحدَّة إلى صوت لوين وهو يُجيب: «لن تتكلَّم أنت عن شيء. إنك ما زلت طفلًا في الثَّامنة».

- «أكادُ أبلغُ التَّاسعة!».

- «أنت في الثَّامنة»، كرَّر المِايستر. «لا تلفظ شيئًا غير التَّحيَّات ما لم يُوَجِّه لك السير رودريك أو اللورد وايمان سؤالًا مباشرًا».

أومأَ بران برأسه قائلًا: «سأتذكَّرُ هذا».

- «لن أذكُر شيئًا للسير رودريك عما دارَ بينك وبين صبيَّي فراي».

- «أشكرك».

وضعوا بران في مقعد أبيه المصنوع من خشب السَّنديان، فوق الوسائد المخمليَّة الرَّماديَّة، ووراء طاولةٍ قابلة للفَكِّ والتَّركيب، وجلسَ السير رودريك إلى يمينه، والمِايستر لوين إلى يساره مسلَّحًا بريشات الكتابة وقنينة الحِبر وفرخًا من الرَّقوق يُدَوِّن عليه وقائع الاجتماع. تحسَّس بران خشب الطَّاولة الخشن، واعتذرَ إلى اللورد وايمان لتأخُّره.

قال اللورد وايمان بمودَّة: «لا أمير يأتي متأخِّرًا أبدًا، لكن من وصَلوا قبله جاءوا مبكِّرين، هذا كلُّ شيء». لوايمان ماندرلي ضحكة صاخبة مدوِّية، ولا غرو أنه لا يستطيع الجلوس فوق ظَهر حصان، حيث يبدو بالفعل أنه يفوق



أغلب الخيول وزنًا، ولديه صوت جهوري يتماشى مع حجمه، وقد بدأ بسؤال وينترفل أن تُصَدِّق على تعيين مأموري الجمارك الذين اختارَهم للميناء الأبيض، فالسَّابقون كانوا يُحَصِّلون الفضَّة لكينجز لاندنج بدلًا من دفعها للملك الجديد في الشَّمال، ثم قال: «الملك روب يحتاج عُملته الخاصَّة كذلك، والميناء الأبيض المكان المناسب تمامًا لسَكِّها»، ثم إنه عرضَ أن يتولَّى المسألة إذا وافقَ الملك، وانتقلَ من هذا الموضوع إلى وصفٍ لتقويته دفاعات المرفأ، ذاكرًا تكلفة كلِّ تحسينٍ بالتَّفصيل. وبالإضافة إلى سَكِّ العُملة الجديدة، عرضَ اللورد ماندرلي أيضًا أن يبني لروب أسطولًا حربيًّا، وقال: «لم نملك أيَّ قوَّةٍ في البحر منذ مئات السِّنين، منذ أشعلَ براندون الحارق النَّار في سُفن أبيه. امنحوني الذَّهب، وخلال عام واحدٍ سأشيِّد قوادس تكفي للاستيلاء على دراجونستون وكينجز لاندنج معًا».

أثارَ الكلام عن السُّفن الحربيَّة اهتمام بران، ومع أن أحدًا لم يسأله رأيه، إلَّا أنه وجدَ عرْض اللورد وايمان رائعًا حقًّا، وبعين خياله رأى السُّفن بالفعل، وتساءلَ إن كان سبقَ لمشلولٍ أن يقود سفينة حربٍ من قبل. على أن السير رودريك لم يَعِد إلَّا بإرسال العرض إلى روب ليدرسه، بينما خَطَّ المِايستر لوين ما قيلَ على الرَّق.

حلَّت الظَّهيرة ومضَت، وأرسل المِايستر لوين تيم المجدور إلى المطابخ لإحضار الغداء، فتناوَلوا وجبةً من لحم الدِّيك والجبن وخُبز الشُّوفان الأسمر. مزَّق اللورد وايمان طائرًا بأصابعه السَّمينة، وتساءلَ بتهذيبٍ عن ابنة عمِّه الليدي هورنوود، وقال: «لقد وُلِدَت في عائلة ماندرلي كما تعلمون، وربما يروقها أن تحمل اسمها من جديد بمجرَّد أن ينتهي حِدادها، إيه؟»، وقضمَ من جناح الطَّائر ورسمَ على شفتيه ابتسامةً واسعةً متابعًا: «الحقيقة أني أرمل منذ ثمانية أعوام كاملة، وحانَ الوقت لأن أتَّخذ لنفسي زوجةً جديدةً، أليس كذلك أيها السَّادة؟ إن الوحدة تُصيبنا جميعًا»، وألقى العظام جانبًا ومَدَّ يده إلى ورك، وواصلَ: «أو إذا كانت الليدي تُفَضِّل رجلًا شابًّا، فابني وندل غير متزوِّج كذلك. إنه في الجَنوب الآن، يَحرُس الليدي كاتلين، لكن لا شَكَّ أنه سيرغب في عروسٍ بمجرَّد عودته. إنه صبيٌّ شُجاع ومرِح، الرَّجل



المناسب لأن يُعَلِّمها أن تضحك من جديد، إيه؟»، ومسحَ الدُّهن الذي سالَ على ذقنه بكُمِّه.

لم يكن بران يُبالي بأمور الزَّواج على الإطلاق، وقال لنفسه وصوت تقارُع السُّيوف يَبلُغه من النَّافذة: ليتني كنتُ معهم في السَّاحة.

انتظرَ حضرة اللورد حتى رُفِعَت الأطباق من على المائدة، قبل أن يفتح موضوع الرِّسالة التي تلقَّاها من اللورد تايوين لانستر، الذي أسرَ ابنه الأكبر وايليس في معركة الفرع الأخضر. «يعرض عليَّ أن أستردَّه بلا فدية، بشرط أن أسحب جنودي من جيش جلالة الملك وأتعهَّد بعدم القتال ثانيةً».

قال السير رودريك: «سوف تَرفُض بالطَّبع».

طمأنَهم اللورد قائلًا: «لا تُقلِقنَّكم هذه المسألة إطلاقًا، فالملك روب ليس لديه خادم أكثر إخلاصًا من وايمان ماندرلي. غير أني أكرهُ أن يُعاني ابني في هارنهال فترةً أطول مما ينبغي. إنها مكان كئيب وملعون كما يُقال، مع أني لستُ من النَّوع الذي يبتلع تلك الحكايات، لكن... انظُروا إلى ما جرى لچانوس سلينت مثلًا، رُفِعَ إلى لورديَّة هارنهال على يد الملكة، وخُلِعَ عنها على يد أخيها. يقولون إنهم شحَنوه إلى «الجِدار». أتمنَّى أن يتم ترتيب تبادُلٍ منصفٍ للأسرى قريبًا، فأنا أعرفُ أن وايليس لن يرغب في الجلوس ساكنًا بقيَّة الحرب. باسلٌ ابني هذا، وشرس ككلاب الحراسة».

مع نهاية الاجتماع كانت كتفا بران متيبِّستين من الجلوس في المقعد نفسه طويلًا. ليلتها، بينما جلسَ يتناوَل العَشاء، تردَّد نفير يُعلِن عن وصول ضيفٍ جديد. لم تأتِ الليدي دونيلا هورنوود بطابورٍ من الفُرسان والأتباع، بل جاءَت بنفسها فقط ومعها ستَّة من المسلَّحين المرهَقين، على ثيابهم البرتقاليَّة المغبَّرة رمز رأس الموظ[1]. قال بران عندما مثلَت أمامه لتُلقي عليه التحيَّة: «إننا في غاية الأسف لكلِّ ما عانيتِ يا سيِّدتي. وينترفل لن تنسى». كان اللورد

(1) الموظ أحد أنواع الأيائل، له عُنق قوي وقرنان جريديَّان، ويألف العيش في الغابات والمستنقعات.



هورنوود قد قُتِلَ في معركة الفرعِ الأخضر، وسقطَ ابنهما الوحيد في معركة الغابة الهامسة.

كانت امرأةً شاحبةً شديدة النُّحول، حفرَ الحُزن خطوطه على ملامحها كلها، وقد أجابَت: «يسرُّني أن أعرف هذا. إنني مرهَقة للغاية يا سيِّدي، وأشكرك إذا أعطيتني الإذن بالانصراف لأستريح».

قال السير رودريك: «بالتَّأكيد. لدينا ما يكفي من الوقت غدًا للكلام».

وحين جاءَ الغد، انقضى معظم الصَّباح في الكلام عن الغلال والخضراوات واللُّحوم المحفوظة، فبمجرَّد أن يُعلِن مِايسترات «القلعة» بداية الخريف، يدَّخر الحُكماء قسطًا من كلِّ حصاد... وإن بدا أن تحديد الكمِّيَّة التي ينبغي ادِّخارها يتطلَّب الكثير من الكلام. عرضَت الليدي هورنوود تخزين خُمس محصولها، قبل أن تتعهَّد برفع الكمِّيَّة إلى الرُّبع استجابةً لاقتراح المِايستر لوين. ثم إنها قالت لهم: «نغل رووس بولتون يحشد الرِّجال في «معقل الخوف». أتمنَّى أنه يعزم على قيادتهم جَنوبًا لينضمَّ إلى أبيه في «التَّوأمتين»، لكن عندما أرسلتُ إليه أسأله عن نيَّاته، أجابَني بأن لا أحد من آل بولتون يسمح بأن تستجوبِه امرأة، كأنه يحسب نفسه ابنًا شرعيًّا له حَقٌّ في أن يحمل هذا الاسم».

قال السير رودريك: «على حَدِّ علمي لم يعترف اللورد بولتون بالصَّبي قَطُّ. الحقيقة أني لا أعرفه».

أجابَت: «قليلون يعرفونه. كان يعيش مع أمِّه حتى عامين مضيا، عندما ماتَ دومريك الصَّغير وتركَ بولتونٍ بلا وريث، فأخذَه أبوه عندئذٍ إلى «معقل الخوف». الصَّبي شديد المكر بكلِّ المقاييس، ولديه خادم يكاد يُضاهيه في القسوة، رجل يُسَمُّونه ريك، يقولون إنه لا يستحمُّ أبدًا، ويَخرُج الاثنان للصَّيد معًا، النَّغل وريك هذا، وإن كانا لا يصطادان الغزلان. لقد سمعتُ حكاياتٍ لا تُصَدَّق، حتى بالنِّسبة لأحدٍ من آل بولتون. والآن وقد ذهبَ السيِّد زوجي وابني العزيز إلى الآلهة، فالنَّغل يتطلَّع إلى أرضي بنظراتٍ جائعة».

أرادَ بران أن يُعطي الليدي مئة رجلٍ للدِّفاع عن حقِّها، لكن السير رودريك اكتفى بأن قال: «يُمكنه أن يتطلَّع كما يشاء، لكنني أعدُكِ بأن العواقب ستكون



وخيمةً عليه إذا فعلَ أكثر من ذلك. ستكونين آمنةً يا سيِّدتي... لكن قد تجدين من الحكمة أن تتزوَّجي ثانيةً في الوقت المناسب، عندما ينتهي حِدادك».

ردَّت بابتسامةٍ باهتةٍ تَعِبة: «مرَّت سنين منذ كنتُ قادرةً على حمل الأطفال، وما كان لديَّ من جمالٍ ولَّى، ومع ذلك يأتي الرِّجال يخطبون وُدِّي كما لم يفعلوا قَطُّ في شبابي».

سألَها المِايستر لوين: «ألا تجدين أحدًا من هؤلاء الخُطَّاب مُرْضِيًا؟».

أجابَت الليدي هورنوود: «سأتزوَّجُ ثانيةً إذا أمرَ جلالة الملك، لكن مورس آكل الغُراب سكِّير فَظ، ويَكبُر أبي نفسه سِنًّا، أمَّا ابن عمِّي الكريم ماندرلي، ففِراش زوجي الرَّاحل ليس كبيرًا بما يكفي رجلًا بضخامته، ومؤكَّد أني أصغر حجمًا وأوهن من أن أستلقي تحته».

يعرف بران أن الرِّجال ينامون فوق النِّساء عندما يتشارَكون الفِراش، فتخيَّل أن النَّوم تحت اللورد ماندرلي كالنَّوم تحت حصانٍ ساقط. أومأ السير رودريك برأسه بتعاطُف، وقال: «سيأتيكِ المزيد من الخُطَّاب يا سيِّدتي، وسنُحاوِل أن نجد لكِ أحدًا أفضل وضعًا».

- «ربما ليس من الضَّروري أن تبحث بعيدًا أيها الفارس».

ابتسمَ المِايستر لوين بَعد أن تركَتهم، وقال: «أعتقدُ أن الليدي معجبة بك يا سير رودريك».

تنحنحَ السير رودريك وبدا عليه الارتباك، بينما قال بران: «كانت حزينةً للغاية».

أومأَ الفارس إيجابًا، وقال: «حزينةً ورقيقةً ومليحةً جدًّا بالنِّسبة لامرأةٍ في سِنِّها، لكنها لا تزال تُمَثِّل خطرًا على مملكة أخيك».

بدهشةٍ قال بران: «هي؟».

أجابَه المِايستر لوين: «بلا وريثٍ مباشر، ستجد أن مُطالبين كُثرًا يتنافَسون على أراضي الليدي هورنوود. عائلات تولهارت وفلينت وكارستارك كلها لها صلة قرابةٍ بعائلة هورنوود من ناحية الإناث، وآل جلوفر يُرَبُّون ابن اللورد هاليس غير الشَّرعي في «ربوة الغابة». ليس لـ«معقل الخوف» حَقٌّ أعرفُ به



في أراضي الليدي، لكن أراضيه تُتاخِمها، كما أن رووس بولتون ليس بالرَّجل الذي يتغاضى عن فُرصةٍ كتلك».

شَدَّ السير رودريك شواربه قائلًا: «في تلك الحالات ينبغي أن يجد لها اللورد وليُّ الأمر زوجًا مناسبًا».

سألَه بران: «لِمَ لا تتزوَّجها أنت؟ قلت إنها مليحة، كما أنها ستكون أمًّا لابنتك بِث».

وضعَ الفارس العجوز يده على ذراع بران، وقال: «فكرة لطيفة يا سمو الأمير، لكني مجرَّد فارس، ومسنٌّ كذلك. قد أستطيعُ الحفاظ على أراضيها بضع سنين، لكن فور أن أموت، ستجد الليدي هورنوود نفسها في الورطة ذاتها ثانيةً، وقد يضع هذا بِث في خطرٍ كذلك».

قال بران مفكِّرًا في أخيه نِصف الشَّقيق چون: «فليكن نغل اللورد هورنوود الوريث إذن».

رَدَّ السير رودريك: «سيسرُّ ذلك آل جلوڤر، وربما روح اللورد هورنوود كذلك، لكني لا أظنُّ أن خطوةً كتلك ستجعل الليدي هورنوود تُحِبُّنا، فالصَّبي ليس من دمها».

قال المِايستر لوين: «وإن كان، لا بُدَّ من أخْذ الفكرة بعين الاعتبار. الليدي دونيلا تجاوزَت سنوات خصوبتها كما قالت. لو لم يكن النَّغل، فمَن؟».

كان بران يسمع مُرافِقو الفُرسان يتدرَّبون على المبارَزة في السَّاحة، ويتناهى إليه رنين الفولاذ على الفولاذ، فقال: «أيُمكنني الانصراف؟».

قال السير رودريك: «كما ترغب يا سمو الأمير. لقد أبليت بلاءً حسنًا».

تورَّد وجه بران غبطةً. ليس عمل اللورد مملًّا كما خشيَ، وبما أن الليدي هورنوود كانت موجزةً عن اللورد ماندرلي بكثير، فقد تبقَّت له بضع ساعاتٍ من نور النَّهار ليزور سَمر. يُحِبُّ أن يقضي بعض الوقت مع ذِئبه كلَّ يوم، عندما يسمح السير رودريك والمِايستر.

ما كادَ هودور يَدخُل أيكة الآلهة حتى برزَ سَمر من تحت شجرة سنديان، كأنه كان يعرف أنهما قادمان، ولمحَ بران شبحًا أسود نحيلًا يُراقِب من بين



الشُّجيرات، فنادى: «شاجي، إليَّ، شاجيدوج، تعالَ»، لكن ذئب ريكون اختفى سريعًا كما ظهرَ.

يعرف هودور بُقعة بران المفضَّلة، فأخذَه إلى حافة البِركة، تحت أفرُع شجرة القلوب الممتدَّة، حيث كان اللورد إدارد يركع ليُصَلِّي. كانت التموُّجات تنتشر على صفحة الماء عندما وصلا، جاعلةً انعكاس شجرة الويروود يومض ويتراقَص، بينما الرِّيح خامدة، وهو ما أصابَ بران بالحيرة لحظةً.

ثم انبثقَت أوشا كالانفجار من قلب مياه البِركة التي تناثرَت في كلٍّ مكان، على حين غرَّةٍ لدرجة أن سَمر وثبَ إلى الوراء مزمجرًا، بينما قفزَ هودور بعيدًا مولولًا: «هودور، هودور!»، وراحَ يُرَدِّدها بجزع حتى ربَّت بران على كتفه يُهَدِّئه، ثم سألَ أوشا: «كيف يُمكنك السِّباحة هنا؟ أليس الماء باردًا؟».

قالت أوشا: «كنتُ أرضعُ من كُتل الجليد في صِغري أيها الصَّبي. إنني أحبُّ البرد»، ثم سبحَت إلى الصُّخور وخرجَت والماء يقطر منها. كانت عاريةً وبشرتها منفَّطة من القشعريرة، ودنا سَمر منها وتشمَّمها بينما أضافَت: «أردتُ أن ألمس القاع».

- «لم أكن أعرفُ أن هناك قاعًا».

قالت مبتسمةً: «وقد لا يكون. فيمَ تُحَملِق أيها الصَّبي؟ ألم ترَ امرأةً من قبل؟».

- «بل رأيتُ». تحمَّم بران مع أختيه مئات المرَّات، ورأى الخادمات في البِركِ السَّاخنة كذلك، لكن أوشا بدَت مختلفةً عنهن، قوامها جامد نحيف وليس بضًّا ذا منحنيات، وساقاها رفيعتان وتريَّتان، وثدياها مسطَّحان ككيسي نقودٍ فارغين. قال لها: «لديكِ ندوب كثيرة».

قالت: «وكلُّ ندب منها ربحته عن جدارة»، والتقطَت ثوبها البنِّي ونفضَت ورق الشَّجر الذي علَقَ به، ثم سحبَته على جسدها.

- «أكنتِ تُقاتِلين العمالقة؟». تدَّعي أوشا أنه لا يزال هناك عمالقة وراء «الجدار». قد أرى واحدًا ذات يوم...

أجابَت: «كنتُ أقاتلُ رجالًا»، وأضافَت وهي توثق حبلًا حول ثوبها



كالحزام: «غِربانًا سود في أغلب الأحيان، وقتلتُ واحدًا منهم أيضًا»، ونفضَت الماء من شَعرها الذي نما منذ جاءَت إلى وينترفل حتى تجاوزَ أُذنيها، فبدَت أكثر نعومةً من المرأة التي حاولَت أن تسرقه وتَقتُله ذات مرَّةٍ في غابة الذِّئاب. «سمعتُ ثرثرةً اليوم في المطابخ عنك وعن صبيَّي فراي».

- «ممَّن؟ وماذا قال؟».

أجابَت مبتسمةً بقسوة: «إن من يسخر من عملاقٍ أحمق لا شَك، وإنه لعالم مجنون عندما يُدافِع طفل عاجزٌ عن هذا العملاق».

قال بران: «هودور لم يُدرِك أنهما كانا يسخران منه، وعلى كلِّ حالٍ هو لا يتشاجَر أبدًا». تذكَّر يومًا وهو صغير ذهبَ فيه إلى السُّوق مع أمِّه والسِّپتة موردن، وكان هودور قد راحَ معهم ليحمل المشتريات، لكنه تاهَ منهم، وعندما وجدوه كان بعض الصِّبية قد حاصَروه في زُقاقٍ ويخزونه بالعِصِي، بينما أخذَ هو يَصرُخ: «هودور!» وقد انكمشَ خوفًا واحتضنَ نفسه، لكنه لم يرفع يديه ولو مرَّة ضد معذِّبيه. «السِّپتون كايل يقول إن لديه روحًا وديعةً».

قالت: «نعم، ويداه قويَّتان بما يكفي لانتزاع عُنق رجلٍ من على كتفيه إذا أرادَ. على كلِّ حال، من الأفضل أن ينتبه في وجود والدر هذا، وأنت كذلك. هذا الكبير الذي يدعونه الصَّغير، لديَّ إحساس بأنه اسم على مسمًّى، كبير من الخارج وصغير من الدَّاخل، ووضيع حتى النُّخاع».

- «لن يجرؤ على أن يمسَّني بأذى أبدًا. إنه يخاف سَمر مهما ادَّعى العكس».

- «لعلَّه ليس غبيًّا كما يبدو إذن». تتصرَّف أوشا بحذرٍ دائمًا في وجود الذِّئبين الرَّهيبين. كان سَمر وجراي ويند قد مزَّقا ثلاثةً من الهَمج إلى أشلاء دامية يوم أُسِرَت. «أو لعله كذلك، ما يعني المتاعب أيضًا»، وربطَت شَعرها وسألَته: «هل راودَك المزيد من أحلام الذِّئاب إياها؟».

- «كلا». إنه لا يُحِبُّ الكلام عن أحلامه.

قالت أوشا ضاحكةً: «من المفترض أن يكذب الأمير أفضل من هذا. طيِّب، أحلامك شأنك، وأنا لديَّ عمل في المطابخ، فمن الأفضل أن أعود



إليه قبل أن يبدأ جايچ في الصِّياح والتَّلويح بمغرفته الخشبيَّة الكبيرة. أستأذنك بالانصراف يا سمو الأمير».

فكَّر بران وهودور يحمله صاعدًا السَّلالم إلى غُرفة نومه: لم يكن ينبغي أن تأتي على ذِكر أحلام الذِّئاب. كافحَ كي لا ينام قدرما استطاعَ، لكن النَّوم اكتنفَه في النِّهاية كما يفعل دومًا. في تلك اللَّيلة حلمَ بشجرة الويروود. كانت تَنظُر إليه بعينيها الحمراوين العميقتين، وتُناديه بفمها الخشبي الملتوي، ومن بين فروعها الشَّاحبة جاءَ الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث يخفق، يَنقُر وجهه ويَصرُخ باسمه بصوتٍ بحدَّة السُّيوف.

أيقظَه دويُّ الأبواق، فدفعَ بران نفسه لينام على جانبه شاعرًا بالامتنان لمَن قاطعَ الحُلم. سمعَ جلبة الخيول والرِّجال، فقال لنفسه: المزيد من الضُّيوف، ويبدو من أصواتهم أنهم سكارى. قبضَ على القضبان وسحبَ نفسه من السَّرير إلى المقعد المجاور للنَّافذة. على راياتهم كان عملاق في أغلالٍ محطَّمة أخبرَهِ أنهم رجال أومبر الذين نزلوا من الأراضي الشَّمالية الواقعة وراء النَّهر الأخير.

في اليوم التَّالي جاءَ اثنان منهم للاجتماع؛ عمَّا چون الكبير، وهما رجلان صاخبان في شتاء العُمر، لكلٍّ منهما لحية بيضاء كمعطفيهما المصنوعين من فراء الدِّببة. ذات يوم حسبَ غُراب مورس ميتًا فنقرَ عينه وفقأها، فوضعَ مكانها قطعةً من زُجاج التِّنين، وطبقًا لحكاية العجوز نان، فإنه أطبقَ على الغُراب بقبضته وانتزعَ رأسه بأسنانه، فلقَّبوه بآكل الغُراب. على أن العجوز نان رفضَت أن تُخبِر بران بسبب تلقيب أخيه هوثر بباقِر العاهرة.

بمجرَّد جلوسهما طلبَ مورس الإذن بالزَّواج بالليدي هورنوود، وقال: «چون الكبير ذراع الذِّئب الصَّغير اليُمنى القويَّة، والكلُّ يعرف صحَّة هذا، فمَن أفضل من رجلٍ من عائلة أومبر يحمي أراضي الأرملة؟ وأيُّ أومبر أفضل مني؟».

قال المِايستر لوين: «الليدي دونيلا لا تزال في حِداد».

رَدَّ مورس ضاحكًا: «لديَّ علاج لحُزنها تحت ثيابي»، فشكرَه السير رودريك بكياسةٍ ووعدَ بأن يعرض الأمر على الليدي والملك.



أمَّا هوثر فكان يُريد سُفنًا، وقال: «الهَمج يتسلَّلون من الشَّمال بأعدادٍ أكبر مما رأيتُ من قبل، يَعبُرون خليج الفقمات بقوارب صغيرة، وينزلون على شواطئنا، والغِربان في قلعة حَرس اللَّيل الشَّرقيَّة أقلُّ عددًا من أن يستطيعوا التصدِّي لهم، كما أن الهَمج سرعان ما يتوارون كبنات عرسٍ. نحتاجُ سُفنًا طويلةً، نعم، ورجالًا أقوياء يُبحِرون بها. چون الكبير أخذَ رجالًا كثيرين معه، ونِصف محاصيلنا ذبلَ لافتقارنا لمن يحملون المناجل».

شَدَّ السير رودريك شواربه، وقال: «لديكم غابات من أشجار الصَّنوبر الطَّويلة وأشجار السَّنديان القديمة، واللورد ماندرلي لديه سفَّانون وبحَّارة بكثرة، ومعًا يُمكنكم بناء وتشغيل ما يكفي من السُّفن الطَّويلة لحماية شواطئكم كلها».

قال مورس أومبر ساخرًا: «ماندرلي؟ جوال السُّخام المترهِّل هذا؟ سمعتُ أن رعاياه أنفسهم يُلَقِّبونه بالشِّلْق[1] استهزاءً. الرَّجل يكاد لا يستطيع المشي، وإذا ثقبت بطنه بسيف، سيَخرُج منه عشرة آلاف ثعبان ماء».

رَدَّ السير رودريك: «إنه بدين، لكن ليس غبيًّا. سوف تعملون معه أو تُفَسِّرون رفضكم للملك»، ولدهشة بران انصاعَ الرَّجلان الشَّرسان للأمر، وإن دمدما تذمُّرًا.

أثناء الاجتماع وصلَ رجال جلوڤر من «ربوة الغابة»، ومجموعة كبيرة من رجال تولهارت من «مربَّع تورين». تركَ جالبارت وروبت جلوڤر قلعتهما بين يدي زوجة روبت، لكن وكيلهم هو من جاءَ إلى وينترفل، وقال: «الليدي تطلب منكم أن تغفروا غيابها، فطفلاها أصغر من أن يحتملا الرِّحلة، وهي تكره أن تُفارِقهما». سرعان ما تبيَّن بران أن الوكيل وليس الليدي جلوڤر هو من يَحكُم في «ربوة الغابة». أخبرَهم الرَّجل بأنه يدَّخر عُشر حصاده فقط في الوقت الحالي، فقد قال له ساحر متجوِّل إنه سيكون هناك صيف شبحيٌّ مثمر قبل أن يتمكَّن البرد من العالم. أبدى المِايستر لوين رأيه في

(1) الشِّلْق أو الجلكَى نوع من الأسماك يُشبه ثعابين الماء، له فم حادُّ الأسنان ليمتصَّ دماء الأسماك الأخرى.



السَّحرة المتجوِّلين، بينما أمرَ السير رودريك الرَّجل بادِّخار خُمس محصوله، واستجوبَه باهتمام عن ابن اللورد هورنوود غير الشَّرعي، الصَّبي لارنس سنو. في الشَّمال يحملُ كلُّ نغول علية القوم لقب سنو، وقد أثنى الوكيل على هذا الصَّبي الذي يَبلُغ من العُمر اثني عشر عامًا، وأشادَ بذكائه وشَجاعته.

قال المايستر لوين بَعد الاجتماع: «قد تكون فكرتك إزاء النَّغل موفَّقةً يا بران. أعتقدُ أنك ستُصبِح لوردًا صالحًا لوينترفل ذات يوم».

- «كلا». يعرف بران أنه لن يصير لوردًا أبدًا كما لن يصير فارسًا. «قلت لي بنفسك إن روب سيتزوَّج واحدةً من بنات فراي، والوالدران يقولان المِثل. سوف يُنجِب أبناءً يُصبِحون لوردات وينترفل من بَعده، وليس أنا».

قال السير رودريك: «قد يكون هذا صحيحًا يا بران، لكني تزوَّجتُ ثلاث مرَّات ولم تمنحني زوجاتي غير البنات، والآن ليس لديَّ غير بِث. أخي مارتن أنجبَ أربعة أبناء أقوياء، لكن چوري وحده عاشَ حتى أصبحَ رجلًا، ولمَّا قُتِلَ ماتَ معه نسل مارتن. لا شيء مؤكَّدًا أبدًا عندما نتكلَّم عن الغد».

جاءَ دور ليوبولد تولهارت في اليوم التَّالي، وتكلَّم عن تنبُّؤات الطَّقس وبلاهة العامَّة، وقال لهم إن ابن أخيه يتحرَّق شوقًا للمعركة. «بنفريد جمعَ فرقته الخاصَّة من حاملي الرِّماح، صِبية لا يتجاوَزون التَّاسعة عشر، لكن كلًّا منهم يحسب نفسه ذئبًا صغيرًا آخَر، وعندما قلتُ لهم إنهم مجرَّد أرانب صغيرة ضحكوا مني، والآن يُسَمُّون أنفسهم الأرانب الضَّارية، وينطلقون في جنبات الرِّيف وقد ربطوا فرو الأرانب على رؤوس رماحهم، مردِّدين أغنياتٍ عن الفُروسيَّة».

خطرَ لبران أن هذا عظيم حقًّا، وتذكر بنفريد تولهارت، الصَّبي المحتال كبير الحجم الذي زارَ وينترفل كثيرًا مع أبيه السير هلمان، وكان صديقًا لروب وثيون جرايچوي. على أن من الجليِّ أن السير رودريك لم يرضَ عمَّا سمعَ، وقال: «إذا احتاجَ الملك مزيدًا من الرِّجال، سيُرسِل في طلبهم. مُر ابن أخيك بالمكوث في «مربَّع تورين» كما أمرَ السيِّد والده».

- «سأفعلُ يا سيِّدي»، قال ليوبولد، وعندها فقط فتحَ موضوع الليدي هورنوود المسكينة، التي بلا زوجٍ يُدافِع عن أراضيها أو ابنٍ يرثها، وأضافَ أن



السيِّدة زوجته من عائلة هورنوود، أخت اللورد هاليس الرَّاحل كما يَذكُرون بلا شَك. «البيت الفارغ بيت حزين. لقد فكَّرتُ في إرسال ابني الأصغر إلى الليدي دونيلا لتُرَبِّيه كابنها. برين يكاد يَبلُغ العاشرة، صبيٌّ لا بأس به، وابن أختها. إنني واثق بأنه سيُبهِجها، ولربما يأخذ اسم هورنوود...».

قال المِايستر لوين: «إذا سمَّته وريثًا؟».

أنهى ليوبولد عبارته: «... بغية أن تستمرَّ العائلة».

كان بران يعرف الرَّدَّ المناسب، فاندفعَ يقول قبل أن ينطق السير رودريك: «نشكرك على اقتراحك يا سيِّدي. سنعرض الأمر على أخي روب. أوه، والليدي هورنوود أيضًا».

بدَت الدَّهشة على ليوبولد لأن بران تكلَّم، فقال له: «ممتنٌّ يا سمو الأمير»، لكن بران رأى الشَّفقة في عينيه الزَّرقاوين الباهتتين، شفقةً امتزجَت ربما بالسُّرور لأن الصَّبي المشلول ليس ابنه، وللحظةٍ شعرَ بران بالمقت نحو الرَّجل، وإن ظَلَّ يروق المِايستر لوين، الذي قال لهما بَعد انصراف ليوبولد: «قد يكون برين تولهارت أفضل الحلول. إنه نِصف هورنوود بالفعل بحُكم الدَّم، فإذا أخذَ اسم زوج خالته...».

قاطَعه السير رودريك: «سيظلُّ مجرَّد صبي، ومطلوب منه أن يُدافِع عن أراضيه ضد أمثال مورس أومبر أو نغل رووس بولتون. يجب أن نُفَكِّر في الأمر بعناية، قبل أن نُعطي روب أفضل مشورةٍ لدينا».

قال المِايستر لوين: «قد يحسم خيار عملي المسألة، بمعنى أن يكون أكثر لوردٍ منهم يحتاج روب أن يتودَّد إليه. إن أراضي النَّهر جزء من مملكته، وقد يرغب في أن يُزَوِّج الليدي هورنوود من أحد لوردات الثَّالوث، من عائلة بلاكوورد ربما، أو فراي».

قال بران: «من الممكن أن تتزوَّج الليدي هورنوود أحد صبيَّي فراي اللذين لدينا، أو لتأخذ الاثنين إذا أرادَت».

أجابَه السير رودريك بتأنيب هادئ: «أنت لستَ عطوفًا يا سمو الأمير».

ولا الوالدران كذلك. خفضَ بران رأسه إلى الطَّاولة عابسًا ولم يُعَلِّق.

في الأيام التَّالية وصلَت غِدفان من عائلاتٍ أخرى تحمل رسائل الأسف.



لن ينضمَّ نغل «معقل الخوف» إليهم، ورجال مورمونت وكارستارك ذهبوا جَنوبًا جميعًا مع روب، واللورد لوك مسنٌّ ولن يقوى على الرِّحلة، والليدي فلينت حبلى، وثمَّة مرض في قلعة الأرملة. أخيرًا مثلَ كلُّ ممثِّلي العائلات الأساسيَّة الحليفة لعائلة ستارك أمامهم وأدلوا بما لديهم، باستثناء هاولاند ريد رجل المستنقعات، الذي لم يخطُ خارج مستنقعاته منذ سنواتٍ عديدة، بالإضافة إلى عائلة سروين التي تقع قلعتها على بُعد نِصف يوم بالحصان من وينترفل. اللورد سروين أسير لدى آل لانستر، لكن ابنه الذي يَبلُغ الرَّابعة عشر وصلَ ذات صباح ساطع على رأس دستتين من حاملي الرِّماح. كان بران راكبًا دانسر في السَّاحة عندما دخلوا، وتقدَّم يُحَيِّيهم، فلطالما كان كلاي سروين صديقًا له ولأخويه.

قال له كلاي بمرح: «طابَ صباحك يا بران، أم أن عليَّ مخاطَبتك بالأمير بران الآن؟».

- «فقط إذا أردتَ».

ضحكَ كلاي قائلًا: «ولِمَ لا؟ الجميع ملوك أو أمراء هذه الأيام. هل كتبَ ستانيس لوينترفل أيضًا؟».

- «ستانيس؟ لا أدري».

- «هو أيضًا ملك الآن. يقول إن الملكة سرسي ضاجعَت أخاها، ما يعني أن چوفري نغل».

دمدمَ أحد فُرسان سروين: «چوفري الدَّنِس. لا عجب أنه بلا شَرف وأبوه هو قاتِل الملك».

قال آخَر: «نعم، الآلهة تبغض زنى المحارم. انظُر كيف أهلكَت عائلة تارجاريَن».

مرَّت وهلة شعرَ خلالها بران بأنه عاجز عن التقاط أنفاسه، واعتصرَت يد عملاقة قلبه وأحسَّ بالأرض تميد به، فتمسَّك بعِنان دانسر باستماتة.

ولا بُدَّ أن الرُّعب الذي أصابَه لاحَ على ملامحه، إذ قال كلاي سروين: «بران، أأنت بخير؟ إنه مجرَّد ملكٍ آخَر».

غمغمَ بران: «سيهزمه روب أيضًا»، ودارَ بدانسر نحو الاسطبلات غافلًا



عن نظرات الدَّهشة التي رمقَه بها رجال سروين. كانت الدِّماء تغلي في أُذنيه، ولو لم يكن مربوطًا بسَرجه لسقطَ بكلِّ تأكيد.

ليلتها توسَّل بران من آلهة أبيه نومًا بلا أحلام، وإذا كانت الآلهة قد سمعَته فقد هزأت بآماله، فالكابوس الذي أرسلَته إليه كان أسوأ من أيٍّ من أحلام الذِّئاب.

- طِر أو مُت! صرخَ الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث وهو يَنقُره، وبكى بران واستعطفَ، لكن الغُراب ظَلَّ يَنقُر بلا شفقةٍ أو هوادة، وفقأ عينه اليُسرى ثم اليُمنى، وعندما أصبحَ أعمى في الظَّلام، بدأ الغُراب يَنقُر جبهته، دافنًا منقاره الحادَّ الرَّهيب في جمجمته، وصرخَ بران وصرخَ حتى أيقنَ أن رِئتيه ستنفجران. كان الألم فأسًا تشجُّ رأسه، لكن عندما حرَّر الغُراب منقاره اللَّزج بقِطعٍ من العظام والمُخ، استطاعَ بران الرُّؤية من جديد، وما رآه حدا به إلى أن يشهق خوفًا. كان متعلِّقًا ببُرجٍ يرتفع أميالًا وأميالًا، وأصابعه تنزلق بالفعل فتخدش أظفاره الحجر، وساقاه تَجُرَّانه إلى أسفل، ساقاه السَّخيفتان الميتتان عديمتا القيمة. صرخَ: «ساعِدني!»، فظهرَ رجل ذهبي في السَّماء من فوقه وسحبَه إلى أعلى، ثم بنعومةٍ تمتمَ: «يا للأشياء التي أفعلها من أجل الحُب»، وألقى به في الهواء ليهوي من حالِق.





تيريون

قال له المِايستر الأكبر پايسل على سبيل الاعتذار لإجراء اللِّقاء فَجرًا: «لم أعُد أنام كما كنتُ أفعلُ وأنا أصغر سِنًّا، والآن أوثرُ النُّهوض من الفِراش والعالم لا يزال مظلمًا، على الاضطجاع فيه ومعاناة الضَّجر والقلق من الواجبات غير المنجَزة». كان يتكلَّم بينما تُعطي عيناه ذات الجفنين الثَّقيلين إيحاءً بأنه ما زال نِصف غافٍ بالفعل. في مسكن المِايستر طلْق الهواء، الذي تعلوه المِغدفة، قدَّمت لهما خادمته البيض المسلوق والبرقوق المطبوخ والثَّريد، بينما لعبَ پايسل دور الزَّاهد قائلًا: «في أوقاتنا الحزينة هذه وكثيرون جياع، أرى أن من اللِّياقة أن تكون مائدتي متواضعةً».

- «سلوك محمود»، قال تيريون وهو يُقَشِّر بيضةً حمراء، ذكَّرته في الوقت غير المناسب برأس المِايستر الأكبر الأصلع المبقَّع. «لكن لديَّ وجهة نظرٍ مختلفة. إذا كان هناك طعام فإنني آكُله، فربما لا أجدُ لقمةً واحدةً غدًا»، وابتسمَ وسألَه: «أخبِرني، هل تستيقظ غِدفانك مبكِّرًا مِثلك؟».

ملَّس پايسل على لحيته ناصعة البياض التي تتدلَّى حتى صدره، وأجابَ: «بالتَّأكيد. هل أرسلُ في طلب الحبر والرِّيشة بَعد أن نأكل؟».

قال تيريون: «لا داعي»، ووضعَ الرِّسالتين على المائدة إلى جوارِ وعاء الثَّريد، رَقَّين متماثلين، كلاهما مطويٌّ بإحكامٍ ومختوم بالشَّمع من الطَّرفين. «اصرِف خادمتك ودَعنا نتكلَّم».

قال پايسل للفتاة: «اترُكينا يا صغيرتي»، ولمَّا أسرعَت الخادمة مغادرةً الغُرفة، التفتَ إلى تيريون قائلًا: «هاتان الرِّسالتان...».



- «لعينيْ دوران مارتل أمير دورن فقط»، وقشَّر تيريون بيضته وقضمَ منها، ثم قرَّر أنها تحتاج ملحًا. «إنهما نُسختان من رسالةٍ واحدة. أريدك أن تُرسِل أسرع طائرين لديك، فالمسألة في غاية الأهميَّة».

- «بمجرَّد أن نتناوَل إفطارنا».

- «أرسِلهما الآن. البرقوق سيبقى، أمَّا البلاد فقد لا تبقى. اللورد رنلي يقود جيشه على الطَّريق الوردي، ولا أحد يدري متى يُبحِر اللورد ستانيس من دراجونستون».

طرفَ پايسل بعينيه قائلًا: «إذا كان سيِّدي يُفَضِّل...».

- «هذا ما يُفَضِّله».

قال المايستر: «أنا هنا لأخدم»، ونهضَ متثاقلًا وحلقات سلسلته ترنُّ بخفوت. ليست سلسلته بالشَّيء الخفيف على الإطلاق، تتألَّف من دستةٍ من أطواق المايسترات الملولبة حول وعبر بعضها بعضًا، والمزيَّنة بشتَّى الأحجار الكريمة؛ وبدا لتيريون أن الحلقات المصنوعة من الذَّهب والفضَّة والپلاتين تفوق في عددها تلك المصنوعة من معادن أدنى بكثير.

تحرَّك پايسل بتؤدةٍ بالغة، حتى إن تيريون أنهى بيضته وبدأ يتذوَّق البرقوق (ووجدَه مطهوًّا أكثر من اللَّازم وكثير الماء، ليس كما يُحِبُّ)، قبل أن يُعطيه صوت الأجنحة إشارة النُّهوض. لمحَ الغُداف الذي بدا داكنًا في نور الفَجر، ثم التفتَ بسرعةٍ إلى متاهة الأرفُف الواقعة في طرف الغُرفة القصي.

صنعَت أدوية وعقاقير المايستر منظرًا مثيرًا للإعجاب، عشرات الجرار المسدودة بالشَّمع، ومئات من القوارير ذات السِّدادات ومن القناني المصنوعة من الزُّجاج اللَّبني، وبرطمانات بلا عددٍ ملأى بالأعشاب المجفَّفة؛ وكلٌّ وعاءٍ يحمل اسم محتواه بخَطِّ پايسل المنمَّق. قال تيريون لنفسه: عقل منظَّم. وبالفعل، بمجرَّد أن تُدرك التَّرتيب، ستجد أن لكلِّ عقَّار مكانه. وأشياء مثيرة للاهتمام حقًّا. سجَّل عقلُه وجود كلٍّ من حُلو الكَرى، وعنب الثَّعلب، وحليب الخشخاش، ودموع لِيس، وفِطر الغاريقون الرَّمادي، وآفة الذِّئب، ورقصة الشَّيطان، وزُعاف البازيليسق[1]، والعين العمياء، ودم الأرملة...

---

(1) البازيليسق مخلوق زاحف أسطوري، يتميَّز بالقُدرة على القتل بسُمِّه الزُّعاف، ويُقال إنه ملك الأفاعي.



وقفَ على أصابع قدميه وشَبَّ إلى أعلى، وسحبَ قارورةً صغيرةً مغبَّرةً من على الرَّفِّ العالي، ولمَّا قرأ المكتوب عليها ابتسمَ ودسَّها في كُمِّه.

كان قد عادَ يجلس إلى المائدة ويُقَشِّر بيضةً أخرى بالفعل، عندما نزلَ المِايستر الأكبر پايسل سلالم المِغدفة بتوانٍ، ثم قال العجوز وهو يجلس: «تَمَّ يا سيِّدي. مسألة كهذه من الأفضل أن تتمَّ بلا إبطاء، بالفعل، بالفعل... تقول إنها في غاية الأهميَّة؟».

- «أوه، بكلِّ تأكيد». وجدَ تيريون الثَّريد ثخينًا أكثر من اللَّازم، ويحتاج عسلًا وزُبدًا. الواقع أن العسل والزُّبد صارا سلعتين نادرتين في كينجز لاندنج في الآونة الأخيرة، وإن ظَلَّ اللورد جايلز يُزَوِّد القلعة بكمِّيَّاتٍ كبيرة منهما. نِصف الطَّعام الذي يأكلونه هذه الأيام يأتي من أراضيه أو أراضي الليدي تاندا، خصوصًا أن روزبي وستوكوورث تقعان على مقربةٍ من المدينة شَمالًا، وما زالت الحرب لم تمسَّهما.

- «أمير دورن بنفسه. إذا سمحت لي بالسُّؤال...».

- «يَحسُن ألَّا تسأل».

الآن كان فضول پايسل على شفا الانفجار من فرط اشتعاله، لدرجة أن تيريون كادَ يَشعُر بمذاقه على لسانه بالفعل وهو يسمع المِايستر يُهَمهِم: «كما تقول. ربما إذن... مجلس الملك...».

نقرَ تيريون بملعقته الخشبيَّة على حافة الوعاء قائلًا: «وظيفة المجلس أن ينصح الملك أيها المِايستر».

- «تمامًا، والملك...».

- «... صبيٌّ في الثَّالثة عشر، وأنا أتكلَّم بصوته».

- «نعم، بكلِّ تأكيد، أنت حضرة يد الملك، لكن... أختك الكريمة، ملكتنا الوصيَّة على العرش، إنها...».

- «... تحمل عبئًا ثقيلًا على كتفيها البيضاوين الجميلتين، ولا أرغبُ في زيادة تلك الأثقال. أهذا ما تُريده أنت؟»، وحنى رأسه وحدجَ المِايستر الأكبر بنظرةٍ متسائلة.

خفضَ پايسل ناظريه إلى طعامه. شيءٌ ما في عيني تيريون غير المتماثلتين،



ونظراتهما بِنصف الخضراء ونِصف السَّوداء، يُصيب النَّاس بالارتباك، وقد تسلَّح تيريون بهذه المعرفة واستغلَّها جيِّدًا. غمغمَ العجوز مكلِّمًا البرقوق: «آه، لا شَكَّ أن لديك كلَّ الحق يا سيِّدي. مراعاة منك أن... أن تُوَفِّر عليها هذا... العبء».

عادَ تيريون إلى الثَّريد غير المُشبِع قائلًا: «أنا من هذا الطِّراز من النَّاس، مُراعٍ للغير، وسرسي أختي الحبيبة رغم كلِّ شيء».

قال المِايستر الأكبر پايسل: «وامرأة كذلك، امرأة غير تقليديَّة على الإطلاق بحق، لكن... ليس من الهيِّن أن تُعنى بشؤون البلاد كلها على الرغم من هشاشة جنسها...».

أوه، صحيح، إنها يمامة مهيضة الجناح حقًّا، سَل إدارد ستارك. «يَسُرُّني أنك تُشارِكني اهتمامي، وأشكرك على كرم ضيافتك، لكن يومًا طويلًا ينتظرني»، وأرجحَ ساقيه إلى الخارج لينزل من مقعده، وأردفَ: «أرجو أن تتكرَّم بإبلاغي في الحال بمجرَّد أن يأتينا رَدٌّ من دورن».

- «كما تأمر يا سيِّدي».
- «وستُبَلِّغني أنا فقط؟».
- «آه... بكلِّ تأكيد». كانت يد پايسل المبقَّعة قابضةً على لحيته كما يقبض الغريق على حبل، الشَّيء الذي أثلجَ صدر تيريون كثيرًا، وقال لنفسه: الأول.

خرجَ إلى الفِناء السُّفلي وصعدَ السَّلالم شاعرًا بالألم في ساقيه ناقصتي النُّمو. كانت الشَّمس قد ارتفعَت في السَّماء بالفعل، والحركة تدبُّ في أرجاء القلعة، يذرع الحُرَّاس الأسوار، ويتدرَّب الفُرسان والرِّجال المسلَّحون بأسلحةٍ ثلمة. جلسَ برون على مقربةٍ عند فم بئر، ومرَّت به خادمتان حسناوان متهاديتان وقد حملتا بينهما سلَّةً من الأماليد المجدولة تحوي ملاءات، لكن المرتزِق لم يُعِرهما نظرةً واحدةً، فأشارَ تيريون ناحيتهما قائلًا: «يئستُ منك يا برون. مناظر جميلة كتلك أمام عينيك مباشرةً، لكنك لا ترى غير قطيعٍ من الأجلاف يُصدِر الضَّوضاء».

رَدَّ برون: «في هذه المدينة مئة ماخور أستطيعُ أن أشتري فيها كلَّ ما أريدُ من فروجٍ بقطعةٍ نُحاسيَّة معوجَّة، لكن قد يأتي يوم تعتمد فيه حياتي على



يقظتي في مراقَبة أجلافك هؤلاء»، ونهضَ قائلًا: «مَن هذا الذي يرتدي السُّترة ذات المربَّعات الزَّرقاء، وعلى تُرسه الأعيُن الثَّلاث؟».

- «فارس جوَّال اسمه تالارد. لماذا؟».

أزاحَ برون خصلةً من شَعره عن عينيه مجيبًا: «إنه أفضلهم، لكن راقِبه وستراه يتحرَّك بإيقاع، يُسَدِّد الضَّربات نفسها بالتَّرتيب ذاته كلما هاجَمَ»، وابتسمَ مضيفًا: «سيكون في هذا موته يوم يُواجِهني».

- «إنه متعهِّد بالولاء لجوفري، فليس من الوارد أن يُواجِهك». قطعا السَّاحة وقد راعى برون الفارق بين خطواته الواسعة وخطوات تيريون. يكاد المرتزِق يبدو محترمًا هذه الأيام، فشَعره الفاحم مغسول ومصفَّف، ووجهه حليق، ويرتدي واقي الصَّدر الأسود المميِّز لضبَّاط حَرس المدينة، ومن على كتفيه ينسدل معطف بلون لانستر القرمزي المنقوش بأيادٍ ذهبيَّة. كان تيريون قد أهداه إياه بَعدما عيَّنه قائد حَرسه الشَّخصي. «كم واحدًا يلتمسون المثول أمامنا اليوم؟».

أجابَ برون: «ثلاثون ونيِّف، معظمهم يُريد تقديم شكوى أو أخرى، أو لديه مطلب ما كالعادة، كما أن حيوانتك الأليفة عادَت».

زمجرَ تيريون: «الليدي تاندا؟».

- «خادمتها. إنها تدعوك لتناوُل العَشاء معها ثانيةً. تقول إنها ستُقَدِّم فخذ غزال، وزوجًا من الإوز المحشو، مع صلصة التُّوت الأسود، و...».

ختمَ تيريون العبارة بلهجة جافَّة: «... وابنتها». منذ وصوله إلى كينجز لاندنج والليدي تاندا تتعقَّب خُطاه، مسلَّحةً بترسانةٍ لا تنتهي من فطائر سمك الشِّلْق، والخنازير البرِّيَّة، ويخناتٍ من مختلف الأنواع. بشكلٍ ما راودَتها فكرة أن لوردًا قزمًا مِثله هو الأنسب ليكون بعل ابنتها لوليس، تلك الفتاة البلهاء كبيرة الحجم، التي تقول عنها الشَّائعة إنها لا تزال عذراء في سِنِّ الحادية والثَّلاثين. قال: «بلِّغها اعتذاري».

قال برون وعلى شفتيه ابتسامة شرِّيرة: «لا رغبة لديك في إوزَّة محشوَّة؟».

- «ربما يَجدُر بك أن تأكل الإوزَّة وتتزوَّج الفتاة، أو من الأفضل أن تُرسِل لها شاجا».



- «كان شاجا ليأكل الفتاة ويتزوَّج الإوزَّة، ثم إن لوليس تفوقه وزنًا على كلِّ حال».

- «هذا صحيح»، قال تيريون وهما يَمُرَّان في ظِلِّ ممشى مغطًّى بين بُرجين، ثم سأله: «من يُريدني غيرها؟».

اكتسَت نبرة المرتزق بالجدِّيَّة وهو يُجيب: «ثمَّة دائن من براڤوس يحمل أوراقًا أنيقةً وما إلى ذلك، ويَطلُب أن يرى الملك بشأن رَدِّ قرض ما».

- «كأن چوفري يستطيع العَدَّ بَعد العشرين. أرسِله إلى الإصبع الصَّغير، سيجد هو وسيلةً لتأجيل الدَّفع. ماذا بَعد؟».

- «لورد صغير جاءَ من الثَّالوث، يقول إن رجال أبيك أحرَقوا حصنه واغتصَبوا زوجته وقتَلوا كلَّ فلَّاحيه».

- «أعتقدُ أن هذا ما يُسَمُّونه الحرب». اشتمَّ تيريون رائحة جريجور كليجاين في الأمر، أو السير آموري لورك، أو كلب الجحيم الآخَر المدلَّل لدى أبيه، ذلك الكوهوري. «ما الذي يُريده من چوفري؟».

أجابَ برون: «فلَّاحون جُدد. لقد قطعَ الطَّريق سيرًا ليُرَدِّد كم هو مخلص ويتوسَّل تعويضًا».

- «سأجدُ له وقتًا غدًا». سواء أكان مخلصًا حقًّا أم يائسًا فقط، فخضوع واحد من لوردات النَّهر لهم قد يكون نافعًا. «اعمل على أن ينزل في غُرفةٍ مريحة ويتناوَل وجبةً ساخنةً، وأرسِل له حذاءً جديدًا كذلك، حذاءً جيِّدًا، مع تحيَّات الملك چوفري». إبداء القليل من الكرم لن يضرَّ أبدًا.

أومأَ برون برأسه باقتضاب، وقال: «ثمَّة مجموعة كبيرة من الخبَّازين والجزَّارين والبقَّالين يُصِرُّون بصخب على أن تسمع ما لديهم».

- «قلتُ لهم المرَّة السَّابقة إني لا أملكُ ما أعطيهم إياه». لا يَدخُل كينجز لاندنج الآن غير النَّزر اليسير من الطَّعام، ومعظمه مخصَّص للقلعة والحامية، فارتفعَت أسعار الخضراوات والجذور والفاكهة والدَّقيق على نحو مغثٍ، ما جعلَ تيريون لا يرغب في مجرَّد تخيُّل أنواع اللَّحم التي تُطبَخ في قدور «جُحر البراغيث»، وتمنَّى أن يكون لحم أسماك. ما زال لديهم النَّهر والبحر... على الأقل حتى يُبحِر اللورد ستانيس.



- «يُريدون الحماية. ليلة أمس شُوِيَ خبّاز حيًّا في فُرنه. ادَّعى الدَّهماء أنه يبيع الخُبز بثمنٍ مبالغ فيه».

- «أهذا صحيح؟».

- «ليس في وسعه الإنكار الآن».

- «إنهم لم يأكلوه، أليس كذلك؟».

- «ليس حسبما سمعتُ».

قال تيريون مكشِّرًا: «المرَّة القادمة سيفعلون. إنني أعطيهم ما أستطيعُ من حماية، وذوو المعاطف الذَّهبيَّة...».

- «يدَّعون إن الدَّهماء كان بينهم رجال من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، ويُطالِبون بأن يُكلِّموا الملك بنفسه».

- «حمقى». سيصرفهم تيريون مع اعتذاره، بينما كان ابن أخته ليصرفهم والسِّياط والحِراب في أعقابهم. أغرَته فكرة أن يسمح بهذا... لكن لا، إنه لا يجرؤ، فعاجِلًا أو آجلًا سيزحف عدوٌّ ما على كينجز لاندنج، وآخِر شيءٍ يرغب فيه أن يصنع متطوِّعين للخيانة داخل أسوار المدينة. «قُل لهم إن الملك چوفري يُشارِكهم مخاوفهم، وسيفعل ما يقدر عليه من أجلهم».

- «إنهم يُريدون الخُبز لا الوعود».

- «إذا أعطيتهم خُبزًا اليوم، سأجدُ ضِعف عددهم على البوَّابة غدًا. مَن غيرهم؟».

- «أخ أسود من «الجِدار». يقول الوكيل إنه أحضرَ يدًا متعفِّنةً في برطمان».

ارتسمَت ابتسامة خافتة على شفتي تيريون، وقال: «يُدهِشني أن أحدًا لم يأكلها. أعتقدُ أن عليَّ أن أراه. إنه ليس يورن، أليس كذلك؟».

- «نعم، إنه فارس ما، اسمه ثورن».

- «السير أليسر ثورن؟». من بين كلِّ الإخوة السُّود الذين قابلَهم تيريون على «الجِدار»، كان السير أليسر ثورن أقلَّ من راقَه بينهم. إنه رجل رذيل كريه المعشر، يُغالي في قيمة نفسه. «في الواقع لا أجدُ لديَّ رغبةً في رؤية السير أليسر الآن. اعثُر له على حُجيرةٍ ضيِّقة لم يُبدِّلوا فيها الملاءات منذ عام، ودَع يده تتعفَّن أكثر قليلًا».



أطلقَ برون ضحكةً امتزجَت بنخيره وانصرفَ، فيما جاهدَ تيريون لصعود السَّلالم الملتفَّة، وبينما قطعَ السَّاحة الخارجيَّة بخطواتٍ عرجاء من فرط الألم، سمعَ صلصلة الشَّبكة الحديديَّة وهي تُرفَع، ورأى أخته تنتظر مع مجموعةٍ كبيرةٍ من الأتباع عند البوَّابة الرَّئيسة.

على متن حصانها الأبيض الصَّغير ارتفعَت سرسي عاليًا فوقه كإلهةٍ ترتدي الأخضر، ونادَته بلهجةٍ خالية من الدِّفء: «أخي». ما زالت الملكة غير مسرورة من الطَّريقة التي تعاملَ بها مع چانوس سلينت.

انحنى تيريون بأدبٍ قائلًا: «جلالة الملكة، تبدين جميلةً جدًّا هذا الصَّباح». كانت ترتدي تاجًا من الذَّهب ومعطفًا من فرو القاقوم[1]، وقد ركبَ رجال حاشيتها خيولهم وراءها؛ السير بوروس بلاونت فارس الحَرس الملكي الذي يرتدي دِرعًا من الصَّفائح المعدنيَّة البيضاء ونظرته المتجهِّمة المفضَّلة، والسير بالون سوان الذي يتدلَّى قوسه من سَرجه المطعَّم بالفضَّة، واللورد جايلز روزبي بسُعاله المتفاقم، وهالاين الپايرومانسر[2] رئيس رابطة الخيميائيِّين، بالإضافة إلى رفيق الملكة المفضَّل الجديد، السير لانسل لانستر ابن عمِّهما، ومُرافِق زوجها الرَّاحل الذي ترقَّى إلى فارسٍ بإلحاحٍ من أرملته. كان ڤايلار وعشرون من الحَرس يصحبونهم، فسألَها تيريون: «إلَى أين أنتِ ذاهبة يا أختاه؟».

- «أقومُ بجولةٍ على البوَّابات لتفقُّد العرَّادات ونافثات اللَّهب الجديدة، فلا أريدُ أن يعتقد أحد أننا كلنا لا نعبأ بدفاعات المدينة مِثلك»، وسلَّطت سرسي عليه تلكما العينين الخضراوين الصَّافيتين، اللتين لا يتوارى جمالهما حتى عندما يملأهما الامتعاض، وواصلَت: «بلغَني أن رنلي باراثيون خرجَ من هايجاردن، ويزحف على الطَّريق الوردي بكامل قوَّته».

(1) القاقوم حيوان ثديي ينتمي إلى فصيلة العرسيَّات، وهو من أخطر حيوانات هذه الفصيلة، على الرغم من لُطف وجمال شكله.

(2) الپايرومانسر كلمة يونانيَّة تعني «كاهن النَّار»، وكانت تُستخدَم قديمًا للإشارة إلى كلِّ من يحترف فَنَّ التَّعامل مع النَّار لمختلف الأغراض.



- «ڤارس أبلغَني بالشَّيء نفسه».
- «قد يصل مع اكتمال القمر».
- «ليس بحركته المتمهِّلة الحاليَّة. إنه يولِم كلَّ ليلةٍ في قلعةٍ مختلفة، ويعقد بلاطه على كلِّ مفترَق طُرق يمرُّ به».
- «وفي كلِّ يومٍ ينضمُّ المزيد إلى راياته. يُقال إن جيشه يضمُّ مئة ألف الآن».
- «يبدو رقمًا مبالَغًا فيه».

ردَّت سرسي بحدَّة: «إن وراءه قوَّة ستورمز إند وهايجاردن أيها الأحمق الصَّغير، جميع حمَلة راية تايرل باستثناء ردواين، ولك أن تَشكُرني على هذا، فما دمتُ محتفظةً بتوأميه المجدورين هذين، سيبقى اللورد پاكستر في «الكرمة» ويعدُّ نفسه محظوظًا لأنه خارج الصِّراع».

- «من المؤسف أنكِ سمحتِ لفارس الزُّهور بالانسلال من بين أصابعكِ الجميلة. على كلِّ حال، رنلي لديه هموم أخرى بخلافنا؛ أبونا في هارنهال، وروب ستارك في ريڤررَن... لو كنتُ مكانه لما اختلفَ ما أفعله كثيرًا، أتقدَّمُ وأزدهي بقوَّتي أمام البلاد كلها، وأراقبُ وأنتظرُ، أدعُ خصومي يتنافَسون بينما أتحيَّنُ الفُرصة بكامل راحتي. إذا هزمَنا ستارك، سيَسقُط الجَنوب في يد رنلي كما تَسقُط أوراق الشَّجر، ولن يكون قد خسرَ رجلًا واحدًا. وإذا حدثَ العكس، فيُمكنه أن ينقضَّ علينا ونحن مثخنون بجراح المعركة».

لم يُفلِح كلامه في إرضاء سرسي، التي قالت: «أريدك أن تجعل أبي يأتي بجيشه إلى كينجز لاندنج».

حيث لا نفع منه غير إشعاركِ بالأمان. «منذ متى أستطيعُ أن أجعل أبي يفعل أيَّ شيء؟».

تجاهلَت سؤاله قائلةً: «ومتى تنوي تحرير چايمي؟ إنه يُساوي مئةً منك».

قال تيريون بابتسامةٍ معوجَّة: «أتوسَّلُ إليكِ ألَّا تُخبِري الليدي ستارك، فليس لدينا مئة تيريون نُبادِلهم به».

قالت الملكة: «لا بُدَّ أن أبي فقدَ عقله عندما أرسلَك. أنت عديم الفائدة»،



وسحبَت عِنانها ودارَت بحصانها، وخرجَت مسرعةً من البوَّابة ومعطفها يخفق من ورائها، فأسرعَ رجال الحاشية يلحقون بها.

الحق أن خوف تيريون من رنلي باراثيون يكاد لا يَبلُغ نِصف خوفه من أخيه ستانيس، فرنلي محبوب من العوام، لكنه لم يَقُد رجالًا إلى الحرب من قبل قَطُّ، بينما ستانيس مختلف تمامًا، صُلب وبارد وعنيد. ليتهم يجدون وسيلةً يعرفون بها ما يجري في دراجونستون... لكن لا أحد من الصيَّادين الذين دفعَ لهم للتلصُّص على الجزيرة عادَ ثانيةً، والمُخبِرون الذين يدَّعي ڤارس أنه زرعَهم في بيت ستانيس لائذون بالصَّمت على نحو يُثير التوجُّس. على أن السُّفن اللايسينيَّة ذات الأبدان المخطَّطة شوهدَت بالقُرب من ساحل الجزيرة، ولدى ڤارس تقارير من مير تفيد أن عددًا من مرتزِقة البحر تعهَّدوا بخدمة دراجونستون. إذا هاجمَ ستانيس من البحر بينما يقتحم أخوه البوَّابات، فلن يمضي وقت طويل قبل أن يُعَلَّق رأس چوفري على خازوق، والأسوأ أن رأسي سيكون إلى جواره. عليه أن يضع خطَّةً لإخراج شِاي بأمانٍ من المدينة، إذا بدا أن الأسوأ على وشك الوقوع.

كان پودريك پاين واقفًا على باب غُرفته الشَّمسيَّة، يتفحَّص الأرض كالمعتاد، وخاطبَ إبزيم حزام تيريون قائلًا: «إنه في الدَّاخل، في غُرفتك يا سيِّدي، معذرةً».

زفرَ تيريون وقال: «انظُر إليَّ يا پود. إنك تُثير أعصابي عندما تُوَجِّه كلامك لواقي الصَّفَن[1] وليس لي، خصوصًا وأنا لا أرتدي واحدًا أصلًا! مَن الذي في غُرفتي؟».

رفعَ پودريك عينيه إلى وجهه، قبل أن يخفضهما سريعًا ويُجيب: «اللورد الإصبع الصَّغير، أعني اللورد پيتر، اللورد بايلش، أمين النَّقد».

قال تيريون: «تتكلَّم كأن هناك مجموعة كاملة في الدَّاخل»، فانكمشَ الصَّبي على نفسه كمن تلقَّى ضربةً، ما أشعرَ تيريون بقدرٍ مفرطٍ من الذَّنب.

كان اللورد پيتر جالسًا على المقعد المجاور للنَّافذة، يبدو عليه الخمول،

---

(1) واقي الصَّفَن نوع من الدُّروع يُثَبَّت حول الحوض وبين السَّاقين لحماية الخصيتين.



وقد تأنَّق بسُترةٍ من القطيفة بلون الخوخ وحرملةٍ حريريَّة صفراء، وأراحَ يده المغطَّاة بقُفَّازٍ على رُكبته. قال عندما دخلَ تيريون: «الملك يُقاتِل الأرانب البرِّيَّة بالقوس والنُّشَّاب، والأرانب متفوِّقة عليه. تعالَ وانظُر».

اضطرَّ تيريون للوقوف على أصابع قدميه ليُلقي نظرةً. في الأسفل كان أرنب برِّي ميتًا على الأرض، وآخَر ترتجف أذناه الطَّويلتان وهو على وشك النُّفوق من سهم في جانبه، بينما تناثرَت السِّهام المهدرَة على أرض السَّاحة نِصف الممهَّدة، كأعوادٍ من القَشِّ بعثرَتها عاصفة. صاحَ چوفري: «الآن!»، ليُطلِق عامل الألعاب سراح الأرنبِ الذي يُمسِكه، فيتواثَب مبتعدًا. شَدَّ چوفري زناد قوسه، لكن السَّهم أخطأَ الأرنب بقدمين، ووقفَ الحيوان على قائمتيه الخلفيَّتين وأنفه يختلج في وجه الملك. لاعنًا، دوَّر چوفري البكرة ليجذب الوتر ثانيةً، لكن الأرنب كان قد اختفى قبل أن يُلَقِّم القوس سهمًا جديدًا، فصاحَ: «آخَر!»، ليمدَّ عامل الألعاب يده داخل القفص، ثم يُخرِجها بأرنب بنِّي انطلقَ يجري وسط الحجارة، بينما كادَ سهم چوفري المتعجِّل يُصيب السير پرستون بين ساقيه.

التفتَ الإصبع الصَّغير عن النَّافذة، وسألَ پودريك پاين: «أتروقك الأرانب البرِّيَّة المطبوخة أيها الصَّبي؟».

حدَّق پود في حذاء الزَّائر المصنوع من جِلدٍ مصبوغ بالأحمر ومزيَّن بالنُّقوش السَّوداء، وقال: «للأكل يا سيِّدي؟».

قال الإصبع الصَّغير: «استمِر في قدور الطَّهي، فقريبًا ستجتاح الأرانب البرِّيَّة القلعة، وسنأكلها ثلاثًا كلَّ يوم».

قال تيريون: «أفضل من الجرذان على الأسياخ. اترُكنا الآن يا پود، ما لم يكن اللورد پيتر يرغب في شراب».

أجابَ الإصبع الصَّغير بابتسامته السَّاخرة: «أشكرك، لكن لا. يقولون إن من يشرب مع القزم يستيقظ ليجد نفسه يَحرُس «الجِدار»، وارتداء الأسود يجعلني أبدو شاحبًا كالمرضى».

لا تخف يا سيِّدي، فليس «الجِدار» ما أدَّخره لك. جلسَ تيريون على مقعدٍ عالٍ تكوَّمت عليه الوسائد، وقال: «تبدو شديد الأناقة اليوم يا سيِّدي».



- «أنت تجرحني. إنني أثابرُ لأبدو أنيقًا كلَّ يوم».
- «أهذه سُترة جديدة؟».
- «هي كذلك. أنت ثاقب البصر حقًّا».
- «خوخي وأصفر، ألوان عائلتك؟».
- «كلا، لكن لا مفرَّ من الإصابة بالملل من ارتداء الألوان نفسها يوميًّا، أو أن هذا ما اكتشَفته».
- «وهذا الخنجر أنيق كذلك».

قال الإصبع الصَّغير وقد لاحَ الخُبث في عينيه: «حقًّا؟»، وسحبَ الخنجر وألقى عليه نظرةً عابرةً كأنه لم يرَه من قبل قَطُّ، وأردفَ: «إنه من الفولاذ الڤاليري، والمقبض من عظام التنِّين، لكن تقليدي بعض الشَّيء. إنه ملكك إذا أردتَ».

قال تيريون: «ملكي؟»، وحدجَه بنظرةٍ طويلة، ثم تابعَ: «لا، لا أظنُّ، ليس ملكي أبدًا». الحقير الوقح يعرف، يعرف ويعرف أني أعرفُ، ويحسب أني لا أستطيعُ المساس به.

إذا كان هناك رجل يُدَرِّع نفسه بالذَّهب حقًّا، فهو پيتر بايلش وليس چايمي لانستر، فدِرع چايمي الشَّهيرة مجرَّد فولاذ مذهَّب، لكن الإصبع الصَّغير، آه... لقد تعلَّم تيريون عدَّة أشياء عن پيتر العزيز، أشياء جعلَت قلقه يتزايَد.

قبل عشرة أعوام عيَّنه چون آرن في وظيفةٍ سهلةٍ في الجمارك أدرَّت عليه دخلًا بلا جهدٍ يُذكَرٍ، وسرعان ما ميَّز اللورد پيتر نفسه بتحصيل ثلاثة أضعاف المبالغ التي يُحَصِّلها الجُباة الآخَرون للملك، وكان الملك روبرت شديد التَّبذير، فمن الطَّبيعي أن يُصبِح رجل على شاكلة پيتر بايلش -لديه موهبة تجعله يَفرُك تنِّينين ذهبيَّين معًا ليبيضا ثالثًا- عظيم القيمة لدى يد الملك. صعدَ الإصبع الصَّغير بسرعة السَّهم، وفي غضون ثلاث سنواتٍ من مجيئه إلى البلاط، أصبحَ أمين النَّقد وعضوًا في المجلس الصَّغير، واليوم تَبلُغ إيرادات التَّاج عشرة أضعاف ما كانت تحت إشراف سلفه... وإن تضاعفَت ديون التَّاج مرارًا كذلك. أستاذ حقيقي في الحواية پيتر بايلش هذا.

أوه، إنه ذكيٌّ حقًّا، فهو لا يجمع الذَّهب ويكتنزه ببساطةٍ في خزينة، لا،



بل يُسَدِّد ديون الملك وعودًا ويُشَغِّل الذَّهب، يشتري عربات ومحالًا وسُفنًا وبيوتًا، ويشتري الحبوب وقت وفرتها ويبيع الخُبز وقت شُحِّها، ويشتري الصُّوف من الشَّمال والكتَّان من الجَنوب والحرير من لِيس، ويُخَزِّن الأقمشة وينقلها ويَصبُغها ويبيعها؛ وهكذا توالدَت التَّنانين الذَّهبيَّة وتكاثرَت، ليُقرِضها الإصبع الصَّغير فتعود إليه وقد فقسَ مزيدٌ منها.

تضمَّن هذا أن ينقل رجاله إلى الأماكن المطلوبة، فحفَظة المفاتيح الأربعة رجاله، وعدَّاد وميزان الملك رجلان عيَّنهما بنفسه، وكذلك الموظَّفون المسؤولون عن دور سَكِّ العُملة الثَّلاث، وأمناء الميناء، ومأمورو الضَّرائب والجمارك، والصوَّافون والخمَّارون، وجُباة الرُّسوم، ومُحاسبو السُّفن— تسعة من كلِّ عشرةٍ ينتمون للإصبع الصَّغير، وهُم رجال تقليديُّون إجمالًا، أبناء تجَّار ولوردات ضئيلو الشَّأن، وأجانب أحيانًا كذلك، لكن النَّتائج التي يُقَدِّمونها تقول بوضوحٍ إنهم أبرع كثيرًا من سابقيهم النُّبلاء.

لم يَخطُرِ لأحدٍ قَطّ أن يستجوبه عن هذه التَّعيينات، فما الدَّاعي؟ الإصبع الصَّغير لا يُشَكِّل تهديدًا لأحد، رجل ذكي باسم كريم، وصديق الجميع، ودومًا يتمكَّن من العثور على ما يحتاجه الملك أو يده من ذهب، ومع ذلك لا نسب مميَّزًا له على الإطلاق، ووضْعه قاب قوسين أو أعلى من مجرَّد فارسٍ متجوِّل، ما يجعله رجلًا لا خشية منه. إنه بلا راياتٍ يستدعيها، ولا جيشٍ من الأتباع، ولا معقلٍ عظيم، ولا أملاك تُذكَر، ولا احتمال لزيجةٍ من عائلةٍ ثريَّة.

لكن هل أجرؤ على المساس به؟ حتى إذا كان خائنًا؟ لم يكن واثقًا على الإطلاق باستطاعته ذلك، سيَّما الآن والحرب مضطرمة. مع الوقت يستطيع أن يستبدل رجاله برجال الإصبع الصَّغير في المواقع الأساسيَّة، لكن...

دوَّت صيحة من السَّاحة، فقال اللورد بايلش: «آه، جلالته قتلَ أرنبًا».

- «لا شَكَّ أنه أرنب بطيء. سيِّدي، أنت نشأت في ريفررَن، وسمعتُ أنك كنت قريبًا من آل تَلي».

- «يُمكنك أن تقول هذا، من الفتاتين بالتَّحديد».

- «وكم اقتربت؟».

- «فضضتُ بكارتهما. أهذا قريب بما فيه الكفاية؟».



أُلقيَت الكذبة (وتيريون واثق تمامًا بكونها كذبةً) بأسلوب مغرق في اللا مبالاة، لدرجة أنك تكاد تُصَدِّقها. أمن الممكن أن كاتلين ستارك هي الكاذبة؟ كذبَت بشأن بتوليَّتها والخنجر كذلك؟ كلما عاشَ تيريون أدركَ أن لا شيء بسيطًا والقليل جدًّا حقيقي. قال: «ابنتا اللورد هوستر لا تُكِنَّان لي حُبًّا، وأشكُّ في قبولهما الإصغاء لأيِّ عرضٍ مني، لكن إذا جاءَت الكلمات نفسها منك فقد تتقبَّلها آذانهما أكثر».

- «سيعتمد هذا على الكلمات نفسها. إذا كنت تنوي أن تعرض عليها سانزا مقابل أخيك، فأرجو أن تُضَيِّع وقت أحدٍ آخَر، فچوفري لن يتنازل عن لُعبته أبدًا، والليدي كاتلين ليست بالحمقاء كي تُقايِض قاتِل الملك بمجرَّد فتاة».

- «أعتزمُ أن أعثر على آريا كذلك، ولديَّ رجال يبحثون عنها».

- «البحث عن شيءٍ لا يعني العثور عليه».

- «سأتذكَّرُ هذا يا سيِّدي. على كلِّ حال، الليدي لايسا هي من آملُ أن تستميلها، فلديَّ لها عرض أفضل».

- «لايسا أسهل انقيادًا من كاتلين، هذا صحيح... لكنها مخيفة أكثر منها، وأعتقدُ أنها تكرهك».

- «لأنها تظنُّ أن لديها سببًا وجيهًا. عندما كنتُ ضيفها في «العُش»، أصرَّت أني قتلتُ زوجها، ولم ترغب في سماع إنكاري»، ومالَ تيريون إلى الأمام مضيفًا: «إذا أعطيتها قاتل چون آرن الحقيقي، فقد يتغيَّر رأيها فيَّ إلى الأحسن».

جعلَ قوله الإصبع الصَّغير يعتدل منتبهًا ويقول: «القاتل الحقيقي؟ أعترفُ بأنك أثرت فضولي. عمَّن تتكلَّم؟».

كان هذا دور تيريون ليبتسم، وقال: «الهدايا أعطيها لأصدقائي بلا مقابل، وعلى لايسا آرن أن تتفهَّم هذا».

- «أتبغي صداقتها أم سيوفها؟».

- «هذه وتلك».

ملَّس الإصبع الصَّغير على لحيته المشذَّبة بعناية، وقال: «لايسا لديها



نصيبها من المتاعب، رجال القبائل ينزلون من جبال القمر ويشنُّون الغارات، وأعدادهم أكبر من أيِّ وقتٍ سابق... وتسليحهم أفضل».

قال تيريون الذي سلَّحهم: «هذا مؤسف. يُمكنني أن أساعدها في ذلك الصَّدد. كلمة مني...».

- «وماذا ستُكلِّفها هذه الكلمة؟».

- «أريدُ أن تُعلِن لايسا آرن وابنها أن چوفري الملك، وأن يُقسِما له على الولاء، و...».

قاطَعه الإصبع الصَّغير: «ويُعلِنا الحرب على آل ستارك وتَلي؟»، وهَزَّ رأسه قائلًا: «ها هو السُّم الذي في عسلك يا لانستر، فلايسا لن تُطلِق فُرسانها ضد ريڤرَرَن أبدًا».

- «ولن أطلبَ منها أن تفعل. إننا لا نُعاني نقصًا من الأعداء. سأستخدمُ قوَّتها لمواجَهة اللورد رنلي، أو اللورد ستانيس إذا أبحرَ من دراجونستون، وفي المقابل سأحقِّقُ لها العدالة لموت چون آرن والسَّلام في «الوادي»، بل وسأسمِّي طفلها الكريه هذا حاكمًا للشَّرق كما كان أبوه من قبله». في أغوار ذاكرته همسَ صوت وانٍ: أريدُ أن أراه يطير. «ولإقرار الصَّفقة، سأعطيها ابنة أختي».

سرَّه حقًّا أن يرى نظرة الدَّهشة الخالصة في عيني پيتر بايلش الخضراوين المشوَّبتين بالرَّمادي، وهو يقول: «مارسلا؟».

- «يُمكنها أن تتزوَّج روبرت الصَّغير عندما تَبلُغ، وحتى ذلك الحين ستكون ربيبة الليدي لايسا في «العُش»».

سألَه الإصبع الصَّغير: «وما رأي جلالة الملكة في تلك الحيلة؟»، وعندما اكتفى تيريون بهَزِّ كتفيه، انفجرَ ضاحكًا وقال: «كما حسبتُ. أنت رجل صغير خطِر يا لانستر. نعم، يُمكنني ترديد تلك الأغنيَّة على مسامع لايسا...»، ومرَّةً أخرى ارتسمَت الابتسامة الماكرة على وجهه ولاحَ الخُبث في نظرته وهو يختم عبارته: «... إذا وجدتُ نفسي راغبًا». أومأ تيريون برأسه وانتظرَ عالمًا أن الإصبع الصَّغير لا يحتمل الصَّمت طويلًا، وبالفعل أكملَ اللورد پيتر بَعد هنيهةٍ دون أن يبدو عليه أيُّ تأثُّر: «ماذا أنالُ من كلِّ هذا؟».



- «هارنهال».

كان من المثير أن يُراقِب وجهه لحظتها. أبو اللورد پيتر كان أصغر صغار اللوردات، وجدُّه فارسًا جوَّالًا بلا أرض أو أملاك، وبالوراثة لا يملك هو غير بضعة فدادين من الحجارة على ساحلِ «الأصابع» العاصف، بينما هارنهال واحدة من أثرى البقاع في الممالك السَّبع، أراضيها شاسعة وخصبة ومعطاءة، وقلعتها العظيمة مهيبة كأفضل قلاع البلاد... كما أنها ضخمة لدرجة تجعل ريڤررَن تتقزَّم أمامها، تلك القلعة التي نشأ فيها پيتر بايلش وسط عائلة تَلي، فقط ليُطرَد بفظاظةٍ عندما جرؤَ على أن يرفع عينيه إلى ابنة اللورد هوستر.

استغرقَ الإصبع الصَّغير لحظةً ليُعَدِّل حرملته على كتفيه، لكن تيريون رأى بريق الجوع في عيني القِطِّ الماكرتين، وحدَّث نفسه: إنه لي. قال اللورد پيتر بَعد لحظاتٍ متظاهرًا بالملل: «هارنهال ملعونة».

- «فلتَدُكَّها عن آخِرها إذن وتُشَيِّدها من جديدٍ كما يُناسِبك. ولن تفتقر إلى التَّمويل، لأني أنوي أن أجعلك اللورد وليَّ أمر الثَّالوث. لوردات النَّهر هؤلاء أثبتوا أنهم غير جديرين بالثِّقة. فليُقسِموا لك على الولاء إذن مقابل احتفاظهم بأراضيهم».

- «حتى عائلة تَلي؟».

- «إذا تبقَّى أحد منها عندما ننتهي».

بدا الإصبع الصَّغير كصبيٍّ استرقَ قضمةً من قُرص عسل. إنه يُحاوِل تجنُّب النَّحل، لكن ما ينتظره من رحيقٍ شديد العذوبة، ويجعله عاجزًا عن الصَّبر. قال متأمِّلًا: «هارنهال وكلُّ أراضيها ودخولها. بجرَّة ريشةٍ ستجعلني واحدًا من أعظم اللوردات في البلاد. لستُ ناكرًا للجميل يا سيِّدي... لكن لماذا؟».

- «لقد خدمت أختي بإخلاصٍ في مسألة الخلافة».

- «كما خدمَها چانوس سلينت، الذي أُسبِغَت عليه قلعة هارنهال ذاتها، فقط لتُنتزَع منه عندما انتهَت الحاجة إليه».

ضحكَ تيريون قائلًا: «مضطرٌّ أنا يا سيِّدي، ماذا يُمكنني أن أقول؟ إنني أحتاجك لتمنحني الليدي لايسا، ولم أحتج چانوس سلينت»، وهَزَّ كتفيه



المعوجَّتين مواصلًا: «أوثرُ أن تجلس أنت في هارنهال على أن يجلس رنلي على العرش الحديدي. ظننتُ هذا واضحًا».

- «حقًّا. إنك تُدرِك أني ربما أضطرُّ لأن أفترش لايسا ثانيةً كي تُوافِق على تلك الزِّيجة، أليس كذلك؟».

- «ليس لديَّ شَكٌّ في أنك أهل للمهمَّة».

قال الإصبع الصَّغير: «ذات مرَّةٍ قلتُ لند ستارك: إذا وجدت نفسك عاريًا مع امرأةٍ قبيحة، فخيارك الوحيد أن تُغمِض عينيك وتَفرُغ من الأمر»، وشبَّك أصابعه وحدَّق في عيني تيريون غير المتماثلتين، وأردفَ: «أعطني أسبوعين لأرتِّب أموري وأجد سفينةً تحملني إلى بلدة النَّوارس».

- «لا بأس على الإطلاق».

نهضَ ضيفه قائلًا: «صباح يسرُّ الأنفُس حقًّا يا لانستر، ومفيد... مفيد لكلينا بالتَّأكيد»، وانحنى ثم عمدَ إلى الباب بخطواتٍ واسعةٍ وحرملته تدور كدوَّامةٍ صفراء وراء ظَهره.

الثَّاني.

صعدَ تيريون إلى غُرفة نومه لينتظر ڤارس الذي سيظهر بَعد قليل، مع حلول المساء على حَدِّ تخمينه، أو ربما يتأخَّر حتى يطلع القمر، وإن تمنَّى ألَّا يَحدُث ذلك، فهو يأمل في زيارة شِاي اللَّيلة. المفاجأة السَّارَّة أن ساعةً واحدةً مرَّت، قبل أن يُعلِمه جالت رجل قبيلة الغِربان الحجريَّة بأن الرَّجل المعطَّر ينتظر على الباب.

قال الخصيُّ مؤنِّبًا بَعدما دخلَ: «رجل قاسٍ أنت كي تجعل المِايستر الأكبر يتحرَّق فضولًا هكذا. إنه لا يطيق الأسرار».

- «أأسمعُ غُدافًا يُعَيِّرُ الغُراب بلونه الأسود؟ أم أنك لا ترغب حقًّا في سماع ما عرضته على دوران مارتل؟».

قهقه ڤارس وقال: «ربما أخبرَتني به طيوري الصَّغيرة بالفعل».

أرادَ تيريون أن يسمع هذا، فقال: «حقًّا؟ قُل إذن».

- «الدورنيُّون ظلُّوا بمنأى عن تلك الحروب طيلة الوقت، فقط استدعى دوران مارتل راياته، لكن لا شيء أكثر من ذلك. كراهيته لعائلة لانستر



معروفة، ويعتقد السَّواد الأعظم من النَّاس أنه سينضمُّ إلى اللورد رنلي، وأنت تُريد إثناءه عن هذا».

- «كلٌّ هذا واضح».

- «اللُّغز الوحيد هو ما عرضته عليه لقاء ولائه. الأمير رجل عاطفي، ولا يزال مفجوعًا في أخته إليا وطفلها الجميل».

- «قال لي أبي ذات مرَّةٍ إن اللورد الحق لا يسمح للعاطفة باعتراض طريق الطُّموح أبدًا... ويتصادَف أن لدينا مقعدًا شاغرًا في المجلس الصَّغير الآن، بَعد أن لبسَ اللورد چانوس الأسود».

قال ڤارس: «مقعد في المجلس شيء لا يُستهان بهاً لكن هل سيكفي لأن يجعل رجلًا أبيًّا مِثله ينسى قتْل أخته؟».

ابتسمَ تيريون مجيبًا: «ولِمَ ينسى؟ لقد وعدته بأن أسلِّمه قتَلة أخته، أحياء أو موتى، كما يرغب... بَعد انتهاء الحرب بالتَّأكيد».

رمقَه ڤارس بنظرةٍ أريبة، وقال: «طيوري الصَّغيرة أخبرَتني أن الأميرة إليا صرخَت... صرخَت اسمًا معيَّنًا عندما تهجَّموا عليها».

- «أيبقى السِّرُّ سِرًّا إذا كان الكلُّ يعرفونه؟». معلوم في كاسترلي روك أن جريجور كليجاين قتلَ إليا وطفلها، ويقولون إنه اغتصبَ الأميرة ويداه ما زالتا ملطَّختين بدم ابنها وفُتات دماغه.

- «هذا السِّر يعني واحدًا من رجال السيِّد والدك المخلصين».

- «أبي سيكون أول من يقول لك إن خمسين ألفًا من الدورنيِّين يستحقُّون التَّضحية بكلبٍ مسعورٍ واحد».

ملَّس ڤارس على وجنته المغطَّاة بالمساحيق، وقال: «وإذا طالبَ الأمير دوران بدم اللورد الذي أعطى الأمر بالإضافة للفارس الذي نفَّذه؟».

- «روبرت باراثيون هو من قادَ الثَّورة، وجميع الأوامر أتَت منه في النِّهاية».

- «روبرت لم يكن في كينجز لاندنج».

- «ولا دوران مارتل».

- «إذن، الدَّم من أجل كبريائه، ومقعد في المجلس الصَّغير من أجل طموحاته، وذهب وأراضٍ بالطَّبع. عرض حُلو... لكن دَسَّ السُّم في الحُلو



وارد. لو كنتُ في مكان الأمير، لطلبتُ شيئًا آخَر قبل أن أمدَّ يدي إلى قُرص العسل، أمارةً ما على حُسنِ النِّيَّة، وسيلةً مضمونةً تحميني من الخيانة»، وابتسمَ ڤارس ابتسامته شديدة اللُّزوجة تلك، وأكملَ: «أيهما ستُعطيه يا تُرى؟».

تنهَّد تيريون وقال: «أنت تعرف، أليس كذلك؟».

- «ما دمت قلتها بهذه الطَّريقة، فبلى... إنه تومن، فلا يُمكنك أن تعرض مارسلا على لايسا آرن ودوران مارتل معًا».

- «ذكِّرني ألَّا أدخل في ألعاب التَّخمين هذه ثانيةً معك. إنك تغش».

- «الأمير تومن صبيٌّ طيِّب».

- «وإذا نأيتُ به عن سرسي وهو لا يزال صغيرًا، فلربما يَكبُر ليصير رجلًا صالحًا».

- «وملكًا صالحًا؟».

- «چوفري هو الملك».

- «وتومنِ هو الوريث إذا تعرَّض جلالته لأذًى ما، تومن الدَّمث العذب بطبيعته... والواضح أنه سهل الانقياد».

- «لديك عقل شكَّاك يا ڤارس».

- «سأعتبرُ هذا ثناءً يا سيِّدي. على كلِّ حال، لا شَكَّ أن الأمير دوران سيأخذ الشَّرف الذي تعرضه عليه بجدِّيَّة. لعبتها بمنتهى البراعة في الحقيقة... لولا أن هناك ثغرة واحدة».

ضحكَ تيريون وقال: «اسمها سرسي؟».

- «وهل تُغني شؤون البلاد وما فيها أمًّا عن حُبِّها لثمار رَحِمها النَّضرةِ؟ ربما، من أجل مجد عائلتها وأمان بلادها، من الممكن إقناع الملكة بالتخلِّي عن تومن أو مارسلا. لكن كليهما؟ لا أظنُّ».

- «ما لا تعرفه سرسي لن يَضُرَّني أبدًا».

- «وإذا اكتشفَت جلالتها مخطَّطاتك قبل أن تكتمل؟».

قال تيريون: «إذن سأعرفُ أن الرَّجل الذي أخبرَها عدوٌّ مؤكَّد لي»، ولمَّا قهقه ڤارس، قال في قرارة نفسه: الثَّالث.





سانزا

تعالي إلى أيكة الآلهة اللَّيلة إذا أردتِ العودة إلى ديارِك.

لم يختلف حرف واحد من الكلمات عندما قرأَتها سانزا للمرَّة المئة عن أول مرَّة، عندما اكتشفَت الرَّقَّ المطويَّ تحت وسادتها. لا تعرف كيف وُضِعَت الرِّسالة هناك أو ممَّن جاءَت، بما أنها لا تتضمَّن توقيعًا أو ختمًا، كما أن خَطَّ يد كاتبها غير مألوف. ضمَّت الرَّقَّ إلى صدرها بشدَّة، وردَّدت الكلمات لنفسها همسًا: «تعالي إلى أيكة الآلهة اللَّيلة إذا أردتِ العودة إلى ديارِك»، وخرجَت منها تنهيدة شديدة الخفوت.

ما معنى هذا؟ أينبغي أن تأخذ الرِّسالة إلى الملكة، لتُثبِت أنها تُحسِن التصرُّف؟ دلَّكت بطنها بعصبيَّة. كدمة الغضب الأرجوانيَّة التي خلَّفتها ضربة السير مرين استحالَت إلى لونٍ أصفر قبيح، لكن ما زالت تُؤلِمها. كانت قبضته مغطَّاة بقُفَّازٍ من الحلقات المعدنيَّة عندما ضربَها، لكن الغلطة غلطتها، وعليها أن تتعلَّم مواراة مشاعرها تحت السَّطح بصورةٍ أفضل، كي لا تُثير غضب چوفري. عندما علمَت أن العِفريت أرسلَ اللورد سلينت إلى «الجدار»، نسيَت نفسها واندفعَت تقول: «أتمنَّى أن ينال «الآخَرون» منه»، وبالطَّبع لم يرضَ الملك عن هذا.

تعالي إلى أيكة الآلهة اللَّيلة إذا أردتِ العودة إلى ديارِك.

لقد تضرَّعت سانزا للآلهة بكلِّ جوارحها. أمن الممكن إذن أن تكون هذه إجابتها؟ فارس حقيقي بعثَته لإنقاذها؟ من الجائز أنه أحد التَّوأمين ردواين،



أو اللورد بالون الجَسور... أو حتى بريك دونداريون، اللورد الشَّاب الذي فُتِنَت به صديقتها چين پوول، بشَعره الأحمر الذَّهبي وكوكبات النُّجوم على معطفه الأسود.

تعالي إلى أيكة الآلهة اللَّيلة إذا أردتِ العودة إلى ديارِكِ.

ماذا لو أنها دعابة قاسية من چوفري، كيوم أخذَها إلى الشُّرفات ليُريها رأس أبيها؟ أو لعلَّه شَرك خبيث بغية إثبات عدم إخلاصها. إذا ذهبَت إلى أيكة الآلهة، تُرى هل ستجد السير إلين پاين ينتظرها جالسًا بصمتٍ تحت شجرة القلوب، في يده «جَليد»، وعيناه الشَّاحبتان تترصَّدان مجيئها؟

تعالي إلى أيكة الآلهة اللَّيلة إذا أردتِ العودة إلى ديارِكِ.

عندما انفتحَ الباب، أسرعَت تدسُّ الرِّسالة تحت ملاءتها وجلسَت فوقها. كانت خادمتها، تلك الفتاة ذات الشَّعر البنِّي المتهدِّل، التي تُذَكِّرها بالفئران. سألَتها سانزا: «ماذا تُريدين؟».

- «هل ترغب سيِّدتي في حمَّام اللَّيلة؟».

- «أريدُ نارًا، إنني أشعرُ بالبرد». كانت ترتجف حقًّا على الرَّغم من حرارة اليوم.

- «كما تأمرين».

راقبَت سانزا الفتاة بنظراتٍ مرتابة. هل رأت الرِّسالة؟ أهي من وضعَتها تحت وسادتها؟ لم يبدُ هذا محتملًا، فالفتاة تلوح على ملامحها البلاهة، وليست شخصًا يُؤتمَن على توصيل رسالةٍ سرِّيَّة، لكن سانزا لا تعرفها حقًّا، فالملكة تُبَدِّل خادماتها كلَّ أسبوعين، لتضمن ألَّا تُصادِقها إحداهن.

عندما تأجَّجت النَّار في المستوقَد، شكرَت سانزا الفتاة باقتضابٍ وأمرَتها بالخروج، فأسرعَت تُطيع الأمير كعادتها، لكن سانزا قرَّرت أن في عينيها شيئًا ما خبيثًا. لا شَكَّ أنها تهرع الآن لإعطاء تقريرها للملكة، أو ربما ڤارس. إنها موقنة تمامًا من أن كلَّ خادماتها يتجسَّسن عليها.

بمجرَّد أن انفردَت بنفسها ألقَت الرِّسالة في اللَّهب، وشاهدَت ورق الرَّقوق يتجعَّد ويسودُّ. تعالي إلى أيكة الآلهة اللَّيلة إذا أردتِ العودة إلى



ديارِك. سارَت إلى نافذتها، وفي الأسفل رأت الفارس القصير الذي يرتدي دِرعًا شاحبةً كالقمر ومعطفًا أبيض ثقيلًا، ويذرع الجسر المتحرِّك. قدَّرت من طول قامته أنه لا يُمكن أن يكون غير السير پرستون جرينفيلد. كانت الملكة قد سمحَت لها بحرِّيَّة التِّجوال في القلعة، ومع ذلك سيُصِرُّ على معرفة وجهتها إذا غادرَت حصن ميجور في هذه السَّاعة من اللَّيل. ماذا تقول له؟ فجأةً أحسَّت بالسُّرور لأنها أحرقَت الرِّسالة.

خلعَت فستانها ودخلَت فِراشها، لكنها لم تنم. ألا يزال هناك؟ وكم سينتظر؟ من القسوة أن تأتيها الرِّسالة دون إخبارها بأيِّ تفاصيل.

ودارَت الأفكار وطافَت في رأسها.

ليت لديها من يُخبِرها ماذا تفعل. إنها تفتقد السِّپتة موردن، وأكثر منها چين پوول أخلص صديقاتها. السِّپتة فقدَت رأسها مع الآخَرين، وجريرتها أنها كانت تخدم عائلة ستارك، أمَّا چين فلا تدري سانزا ماذا جرى لها، فقد اختفَت من مسكنها بَعد المذبحة، دون أن يأتي أحد على سيرتها ثانيةً. كانت تُحاوِل ألَّا تُفكِّر فيمن ترَكوها كثيرًا، لكن الذِّكريات تأتي بلا دعوةٍ أحيانًا، وعندها يتعذَّر عليها أن تحبس دموعها. بين الحين والآخَر تفتقد سانزا أختها أيضًا. لا بُدَّ أن آريا في وينترفل الآن، تَرقُص وتحيك، وتلعب مع بران وريكون الصَّغير، بل وتركب إلى البلدة الشِّتويَّة إذا أرادَت. مسموح لسانزا بالرُّكوب أيضًا، لكن في السَّاحة فقط، ولذا سرعان ما أصابَها السَّأم من الدَّوران في دائرة بالحصان طول اليوم.

كانت يقِظةً تمامًا عندما سمعَت الصِّياح، الذي أتى من بعيدٍ في البداية ثم اقتربَ. ارتفعَت عقيرة كثيرين بالزَّعيق في آنٍ واحد، فلم تُمَيِّز الكلام، وكانت هناك خيول أيضًا، وأقدام تدقُّ الأرض، ومن يصيح بالأوامر. انسلَّت إلى نافذتها ورأت رجالًا يجرون على الأسوار، يحملون الحراب والمشاعل، فقالت لنفسها: عودي إلى فِراشِك. لا شأن لكِ بشيءٍ من هذا، إنها مجرَّد مشكلة جديدة في المدينة. معظم الكلام حول آبار القلعة هذه الأيام عن مشكلات المدينة، فالنَّاس يتزاحَمون وقد أتوا هاربين من الحرب، وكثيرون



لا سبيل لديهم للحياة غير أن يسرقوا ويَقتُلوا بعضهم بعضًا. عودي إلى الفِراش.

غير أن الفارس الأبيض كان قد اختفى عندما نظرَت، والجسر مُنزَل فوق الخندق الجاف، لكن بلا حراسة.

دارَت سانزا على عقبيها بلا تردُّدٍ وهرعَت إلى الصُّوان، وإذ ارتدَت ثيابها قالت نفسها: أوه، ماذا أفعلُ؟ هذا جنون. رأت أضواء مشاعل كثيرة على الأسوار الواقية. هل جاءَ ستانيس ورنلي أخيرًا للفتك بچوفري وأخْذ عرش أخيهما؟ كان الحُرَّاس ليرفعوا الجسر المتحرِّك في تلك الحالة، لقطْع حصن ميجور عن القلعة الخارجيَّة. ألقَت سانزا معطفًا رماديًّا بلا زينةٍ على كتفيها، والتقطَت السكِّين الذي تُقَطِّع به اللَّحم قائلةً لنفسها: إذا كان فخًّا، فخيرٌ لي أن أقتل نفسي بدلًا من تركهم يؤْلمونني أكثر، وخبَّأت السِّلاح تحت معطفها.

مَرَّ طابور من المُبارِزين ذوي المعاطف الحمراء وهي تَخرُج متسلِّلةً إلى اللَّيل، فانتظرَت حتى ابتعدوا مسافةً كافيةً، قبل أن تنطلق كالسَّهم عبر الجسر المتحرِّك الخالي من الحراسة. في السَّاحة كان الرِّجال يربطون أحزمة سيوفهم ويُثبِّتون السُّروج على مِتان الخيول، ولمحَت سانزا السير پرستون بالقُرب من الاسطبلات مع ثلاثةٍ آخَرين من فُرسان الحَرس الملكي يُساعِدون چوفري على ارتداء دِرعه ومعاطفهم النَّاصعة تنسدل على ظهورهم. احتبسَت أنفاسها عندما رأت الملك، لكن من حُسن الحَظِّ أنه لم يرَها وهو يزعق طالبًا سيفه ونُشَّابيَّته[1].

تراجعَت الضَّجة مع توغُّلها أكثر في القلعة، وإن لم تقوَ على النَّظر خلفها خشية أن يكون چوفري يُراقِب... أو أسوأ، يتبعها. ارتفعَت السَّلالم الملتفَّة أمامها، وقد خطَّطتها شرائط من الضَّوء المتذبذب من النَّوافذ في الأعلى. كانت تلهث مع بلوغها قمَّة السَّلالم، فجرَت عبر صَفِّ أعمدةٍ تحفُّه الظِّلال، حيث ضغطَت جسدها في حائطٍ لتلتقط أنفاسها. عندما احتكَّ شيء ما بساقها

---

(1) النُّشَّابيَّة آلة حربيَّة قديمة، عبارة عن قوسٍ صغير يُستخدَم لإطلاق نوعٍ من السِّهام يُسَمَّى النُّشَّاب.



كادَت تثب خارج جِلدها رُعبًا، لكنه كان مجرَّد قِط، قِط أسود أشعث له أُذن واحدة، هَسَّ في وجهها ثم أسرعَ مبتعدًا.

عندما وصلَت إلى أيكة الآلهة، كانت ضوضاء الفولاذ والحُلوق قد انحسرَت وخفتَت إلى حَدٍ كبير. شدَّت سانزا معطفها على جسدها أكثر، وتشمَّمت الهواء الغني بروائح أوراق الشَّجر والتُّربة قائلةً لنفسها: كانت ليدي لتُحبَّ المكان هنا. ثمَّة شيء ما من الضَّراوة في أيكِ الآلهة كلها، وحتى هنا في قلب القلعة في قلب المدينة، يُمكنك أن تَشعُر بالآلهة القديمة تُراقِب بألف عينٍ خفيَّة.

كانت سانزا تُفضِّل آلهة أمِّها على آلهة أبيها، وأحبَّت التَّماثيل والصُّور المرسومة على الزُّجاج المطلي بالرَّصاص، وشذى البخور المشتعل، والسِّپتونات بأرديتهم وبلَّوراتهم، ولعب ألوان قوس قزح السِّحري على المذابح المرصَّعة بعِرق اللُّؤلؤ والجَزْع واللازورد، ومع ذلك لم تكن تستطيع أن تُنكِر أن أيكة الآلهة تحوي طاقةً ما أيضًا، خاصَّةً عندما يجنُّ اللَّيل. هكذا صلَّت للآلهة قائلةً: ساعديني، ابعثي لي صديقًا، فارسًا حَقًّا ينصُرني...

تحرَّكت من شجرةٍ إلى أخرى شاعرةً بخشونة اللِّحاء تحت أصابعها، واحتكَّت الأوراق بوجنتيها. هل جاءَت متأخِّرةً؟ إنه لن يأتي ويُغادِر بَعد فترةٍ قصيرة، أليس كذلك؟ وهل أتى أصلًا؟ هل تجرؤ على رفْع صوتها ومناداته؟ المكان صامت ساكن تمامًا هنا...

- «خشيتُ ألَّا تأتي يا صغيرتي».

التفتَت سانزا مسرعةً، وخرجَ رجل من بين الظِّلال، ثقيل الوزن ثخين العُنق، يمشي مترنِّحًا ويرتدي معطفًا داكنًا تُغَطِّي قلنسوته وجهه، لكن عندما مَسَّ خيط رفيع من نور القمر وجنته، تعرَّفته على الفور من بشرته المبقَّعة وشبكة الأوردة البارزة من أسفلها، وشهقَت شاعرةً بقلبها ينكسر: «سير دونتوس، أهو أنت؟».

- «نعم يا سيِّدتي». شمَّت رائحة النَّبيذ الكريهة في أنفاسه عندما دنا منها قائلًا: «أنا»، ومَدَّ يده صوبها.



تراجعَت سانزا قائلةً: «إياك!»، ودسَّت يدها في طيَّات معطفها حيث السكِّين المخبَّأ، وقالت: «ماذا... ماذا تُريد مني؟».

قال السير دونتوس: «أن أساعدكِ فقط كما ساعدتِني».

- «أنت سكران، أليس كذلك؟».

- «شربتُ كأسًا واحدةً فقط لأستجمع شَجاعتي. إذا أمسَكوا بي الآن، سيَسلُخون الجِلد عن ظَهري».

وماذا سيفعلون بي؟ وجدَت سانزا نفسها تُفَكِّر في ليدي من جديد. كانت تستطيع أن تشمَّ رائحة الكذب، وكانت لتفعلها الآن، لكنها ماتَت، قتلَها أبوها بسبب آريا.

سحبَت السكِّين وحملَته أمامها بكلتا يديها، فسألَها السير دونتوس: «هل ستطعنينني؟».

- «سأفعلُ. قُل لي مَن أرسلَك».

- «لا أحد يا سيِّدتي الجميلة، أقسمُ على هذا بشَرفي كفارس».

- «فارس؟». كان چوفري قد قضى ألَّا يعود فارسًا، بل يُصبِح مجرَّد مهرِّج، وأقلَّ منزلةً من فتى القمر كذلك. «لقد دعوتُ الآلهة أن تبعث فارسًا ينجدني، دعوتُ ودعوتُ، فلِمَ تُرسل لي مهرِّجًا عجوزًا سكِّيرًا؟».

- «أستحقُّ هذا، وإنما... أعرفُ أن ما سأقوله غريب، لكنني كنتُ مهرِّجًا طيلة سنيني وأنا فارس، والآن وقد أصبحتُ مهرِّجًا حقًّا، أعتقدُ... أعتقدُ أني قد أجد في نفسي القُدرة على أن أكون فارسًا من جديد يا سيِّدتي الجميلة، وكلُّ هذا بسببكِ... بسبب إحسانكِ وشَجاعتكِ. لقد أنقذتِني، ليس من چوفري فقط، بل من نفسي أيضًا»، وخفضَ صوته مردفًا: «المغنُّون يقولون إن مهرِّجًا آخَر كان أعظم الفُرسان على الإطلاق...».

همسَت وقد سرَت في جسدها رعدة: «فلوريان».

قال دونتوس بخنوعٍ وهو ينزل على رُكبتيه أمامها: «سيِّدتي الجميلة، سأكونُ لكِ فلوريان».

خفضَت سانزا السكِّين ببُطءٍ وقد دارَ رأسها كأنها سابحة في الهواء. هذا



جنون، أن أأتمن هذا السِّكّير على نفسي، لكن لو رفضتُ فهل ستُقَدِّم الفُرصة نفسها مجدَّدًا؟ «كيف... كيف ستفعلها؟ كيف ستُهَرِّبني؟».

رفعَ السير دونتوس وجهه إليها، وأجابَ: «الخروج بكِ من القلعة سيكون الجزء الأصعب، لكن بمجرَّد خروجكِ فثمَّة سُفن تأخذكِ إلى وطنكِ. أحتاجُ أن أجد المال وأُجري التَّرتيبات فحسب».

سألَته وهي تكاد لا تجرؤ على الأمل: «هل يُمكننا أن نذهب الآن؟».

- «اللَّيلة؟ لا يا سيِّدتي، أخشى أننا لا نستطيع. عليَّ أولًا أن أعثر على وسيلةٍ أكيدة لإخراجكِ من القلعة عندما يحين الوقت المناسب، ولن يتمَّ هذا بسهولةٍ أو سرعة، فهُم يُراقِبونني بدوري»، ولعقَ شفتيه بتوتُّرٍ وقال: «هلَّا أبعدتِ سكِّينكِ؟».

دسَّت سانزا السكِّين تحت معطفها، وقالت: «انهض يا سيِّدي».

قال السير دونتوس: «أشكركِ يا سيِّدتي الجميلة»، ونهضَ متثاقلًا ونفضَ أوراق الشَّجر والتُّراب عن رُكبتيه، ثم قال: «السيِّد والدكِ كان رجلًا حقيقيًّا لم تعرف البلاد له مثيلًا، لكني لم أحرِّك ساكنًا وتركتهم يَقتُلوه، لم أقل شيئًا أو أفعل شيئًا... ومع ذلك، عندما أرادَ چوفري أن يَقتُلني، تكلَّمتِ أنتِ. سيِّدتي، إنني لم أكن بطلًا قطُّ، لا ردواين ولا باريستان الباسل، ولم أفز بأيِّ دورات ألعاب أو أحقِّق مجدًا في الحرب... لكني كنتُ فارسًا ذات يوم، وأنتِ ساعدتِني على تذكُّر ما يعنيه هذا. إن حياتي رخيصة، لكنها ملككِ»، وأراحَ السير دونتوس يده على جذع الشَّجرة الأبيض كثير العُقد، وتابعَ: «أقسمُ وآلهة أبوكِ تشهد أني سأعيدكِ إلى ديارِكِ».

لقد أقسمَ، أخذَ على نفسه عهدًا مقدَّسًا أمام الآلهة. «إذن... سأضعُ نفسي بين يديك أيها الفارس، لكن كيف أعرفُ عندما يحين وقت الرَّحيل؟ هل ستُرسِل لي رسالةً أخرى؟».

تطلَّع السير دونتوس حوله متوتِّرًا، وقال: «المخاطرة كبيرة. يجب أن تأتي إلى هنا، إلى أيكة الآلهة، كلما استطعتِ، فهنا آمن مكان، أو المكان الوحيد الآمن بالأحرى، وليس مكانًا آخَر، لا مسكنك أو مسكني أو على السَّلالم أو



في السَّاحة، حتى لو بدا أننا وحدنا. الأحجار لها آذان في القلعة الحمراء، وهنا فقط يُمكننا أن نتكلَّم بحرِّيَّة».

- «هنا فقط، لن أنسى».

- «وإذا وجدتِ أني قاسٍ أو ساخر أو لا مبالٍ في وجود الآخَرين، فسامحيني يا صغيرتي، فلديَّ دور ألعبه، ويجب أن تفعلي مِثلي. خطوة واحدة خاطئة وسيُزَيِّن رأسانا الأسوار كرأس أبيكِ من قبل».

أومأت سانزا قائلةً: «مفهوم».

- «يجب أن تكوني شُجاعةً وقويَّةً... وصبورةً، الصَّبر فوق كلِّ ما عداه».

قالت: «سأصبرُ، لكن... أرجوك... نفِّذ في أقرب وقتٍ ممكن. إنني خائفة...».

رَدَّ السير دونتوس مبتسمًا بشحوب: «وأنا كذلك. والآن يجب أن تذهبي قبل أن ينتبهوا لغيابكِ».

- «ألن تأتي معي؟».

- «الأفضل ألَّا نُرى معًا أبدًا».

أومأت سانزا ثانيةً، ثم ابتعدَت خطوةً، قبل أن تدور بحركةٍ متوتِّرة وتطبع قُبلةً ناعمةً على خدِّه وقد أغلقَت عينيها، وتهمس: «فارسي فلوريان، الآلهة أجابَت دُعائي».

هرعَت تقطع الممشى المجاور للنَّهر، ومرَّت بالمطبخ الصَّغير ثم من خلال فِناء الخنازير، وقد دفنَ صرير الخنازير في أقفاصها وقع خطواتها العَجول، بينما قالت لنفسها: الوطن، الوطن، سيأخذني إلى الوطن، سيحميني، فارسي فلوريان. كانت الأغاني التي تحكي عن فلوريان وجونكويل أثيرةً إليها عن الأخرى كلها. فلوريان أيضًا كان دميمًا، وإن لم يكن عجوزًا هكذا!

كانت تعدو عدوًا على السَّلالم الملتفَّة، عندما خرجَ رجل فجأةً من بابٍ غير مرئي، فارتطمَت به مباشرةً وفقدَت توازُنها، لكن أصابع من حديدٍ أطبقَت على معصمها قبل أن تَسقُط، وسمعَت صوتًا أجشَّ غليظًا يقول لها: «سقوط هذه الدَّرجات مميت أيتها الطَّائر الصَّغير. أتُريدين قتلنا معًا؟»، وأصدرَ ضحكةً خشنةً كصوت منشارٍ يحتكُّ بحجر، وأضافَ: «لعلَّ هذا ما تُريدينه».



كلب الصَّيد. قالت سانزا حاجبةً عينيها: «لا يا سيِّدي، مستحيل أن أفعل هذا»، لكنه كان قد رأى وجهها. حاولَت التملُّص قائلةً: «أرجوك، إنك تُؤلمني».

- «وما الذي يجعل طائر جوف الصَّغير يجري على السَّلالم في هذه السَّاعة من اللَّيل؟»، وعندما لم تُحِر جوابًا هَزَّها قائلًا بحدَّة: «أين كنتِ؟».

أجابَت دون أن تَجسُر على الكذب: «في أ-أ-أيكة الآلهة يا سيِّدي... أصلِّي... أصلِّي من أجل أبي و... والملك، أصلِّي ألَّا يمسَّه أذى».

قال: «أتحسبينني سكرانًا لدرجة أن أصدِّق هذا؟»، وأطلقَ سراحها وهو يتمايَل بعض الشَّيء في وقفته، وشرائط من الضَّوء والظَّلام تَسقُط متوازيةً على وجهه المحروق البشع. «تكادي تبدين امرأةً... لديكِ الوجه والثَّديان، وقامتكِ تبدو أطول بعض الشَّيء كذلك... آه، لكنكِ ما زلتِ طائرًا صغيرًا مغفَّلًا، أليس كذلك؟ تُرَدِّدين كلَّ الأغاني التي علَّموكِ إياها... فلتُغَنِّي لي إذن، هيا، غنِّي لي، أغنيَّةً ما عن الفُرسان والحسناوات. تُحِبِّين الفُرسان، أليس كذلك؟».

كان يُخيفها حقًّا الآن، فأجابَت: «أحبُّ الفُرسان الحقيقيِّين يا سيِّدي».

- «الفُرسان الحقيقيِّين»، ردَّد ساخرًا. «وأنا لستُ سيِّدًا أكثر من كوني فارسًا. أيجب أن أضربكِ حتى تتذكَّري هذا؟»، وترنَّح كليجاين وكادَ يقع، فقال: «نبيذ كثير جدًّا بحَقِّ الآلهة. أتُحِبِّين النَّبيذ أيتها الطَّائر الصَّغير؟ النَّبيذ الحقيقي؟ إبريق من الأحمر المُر هو كلُّ ما يحتاجه الرَّجل، أو المرأة»، وضحكَ وهَزَّ رأسه متابعًا: «سكران كالكلاب عليَّ اللَّعنة. هلمِّي، يجب أن تعودي إلى قفصكِ أيتها الطَّائر الصَّغير، سأصحبكِ إلى هناك، أحافظُ على سلامتكِ من أجل الملك»، وأعطاها كلب الصَّيد دَفعةً رقيقةً أدهشَتها، وتبعَها نزولًا على السَّلالم، ولمَّا بلغا القاع كان قد لاذَ بصمتٍ مُطبِق كأنه نسيَ وجودها. عندما وصلا إلى حصن ميجور أثارَ ارتياعها أن ترى السير بوروس بلاونت يَحرُس الجسر الآن. استدارَت خوذته البيضاء العالية بجمودٍ على وقع خطواتهما، وجفلَت سانزا من نظرته. السير بوروس هو أسوأ فُرسان الحَرس الملكي طرًّا، رجل قبيح معتلُّ المزاج، كبير اللُّغد وعابس النَّظرات.



وضعَ كلب الصَّيد يده الثَّقيلة على كتفها قائلًا: «هذا الرَّجل ليس بالمخيف حقًّا يا فتاة. إذا رسمتِ شرائط على ضفدع، فلن يجعله هذا نمرًا».

رفعَ السير بوروس مقدِّمة خوذته قائلًا: «أيها الفارس، أين...».

- «سُحقًا لهذا اللَّقب القبيح يا بوروس، أنت الفارس وليس أنا. إنني كلب الملك، أتَذكُر؟».

- «الملك كان يبحث عن كلبه منذ فترة».

- «والكلب كان يَلغُ في شرابه. من المفترَض أن تَحرُسه أنت اللَّيلة أيها الفارس، أليس كذلك؟ أنت وإخوتي الآخَرون».

التفتَ السير بوروس إلى سانزا قائلًا: «ماذا تفعلين خارج مسكنكِ في هذه السَّاعة أيتها السيِّدة؟».

- «ذهبتُ إلى أيكة الآلهة لأصلِّي من أجل الملك». بدَت الكذبة أفضل على مسامعها هذه المرَّة، تكاد تكون صِدقًا.

قال كليجاين: «أتتوقَّع أن تستطيع الفتاة النَّوم مع كلِّ هذا الضَّجيج؟ ماذا حدثَ؟».

أجابَ بوروس: «بعض الحمقى على البوَّابة. ثمَّة ألسنة فالِتة نشرَت حكاياتٍ عن الاستعدادات لمأدبة زفاف تايرك لانستر، واعتقدَ هؤلاء المأفونون بشكلٍ ما أن من الواجب أن تُقام لهم مأدبة بدورهم، فقادَ جلالته فِرقةً وجعلَهم يُوَلّون الأدبار».

قال كليجاين وفمه يرتعش: «صبيٌّ شجاع».

سنرى شَجاعته الحقيقيّة عندما يُواجِه أخي. اصطحبَها كلب الصَّيد عبر الجسر المتحرِّك، وبينما صعدا الدَّرجات إلى مسكنها قالت له: «لماذا تسمح لهم بمُناداتك بالكلب؟ إنك لا تسمح لأحدٍ بأن يدعوك بالفارس».

- «أحبُّ الكلاب أكثر من الفُرسان. أبو أبي كان قيِّم الوَجار في «الصَّخرة»، وفي عام خريفي اعترضَ اللورد تايتوس الطَّريق بين لبؤةٍ وفريستها، ولم تُبالِ اللَّبؤة مقدار قطعة خراء بأنها رمز عائلة لانستر. أنشبَت اللَّعينة أنيابها ومخالبها في حصان سيِّدي، وكانت لتُمزِّق الرَّجل إربًا كذلك، لولا أن جدِّي جاءَ ومعه كلاب الصَّيد. ماتَ ثلاثة من الكلاب وهُم يُحاوِلون طردها، وفقدَ جدِّي



ساقًا، فدفعَ له لانستر ثَمنها أرضًا ومنزلًا ذا بُرج، وأخذَ أبي مُرافِقًا له. الكلاب الثَّلاثة على رايتنا هي الكلاب التي ماتَت وسط أصفر عُشب الخريف. كلب الصَّيد سيموت من أجلكِ، لكن لن يكذب عليكِ أبدًا، وسيَنظُر في وجهكِ مباشرةً»، وأمسكَ وجهها من تحت الفَكِّ رافعًا ذقنها، لتقرصها أصابعه على نحوٍ مؤلم، وقال: «وهذا أكثر مما تستطيع الطُّيور الصَّغيرة أن تفعله، أليس كذلكِ؟ لم أحصل على أغنيَّتي بعدُ».

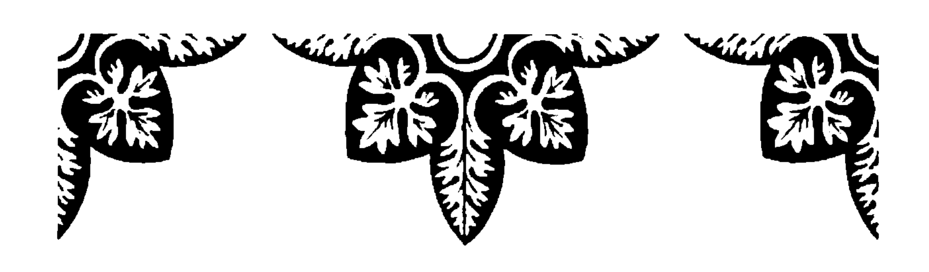
- «أعرفُ... أعرفُ واحدةً عن فلوريان وچونكويل».

- «فلوريان وچونكويل؟ مهرِّج وساقطته! اعفيني. لكن ذات يومٍ سأنالُ منكِ أغنيَّةً، شئتِ أم أبيتِ».

- «سيُسعِدني أن أغنِّيها لك».

أطلقَ ساندور كليجاين نخيرًا، وقال متهكِّمًا: «جميلة أنت، وخائبة جدًّا في الكذب. الكلاب تشمُّ رائحة الكذب كما تعرفين، فانظُري حولكِ واستنشِقي جيِّدًا. كلهم كذَّابون هنا... وكلهم أبرع منكِ».





آريا

عندما تسلَّقت حتى بلغَت أعلى الغُصون، رأت آريا المداخن بارزةً من بين قمم الأشجار، وقد احتشدَت البيوت المسقوفة بالقَشِّ بطول شاطئ البحيرة والنُّهير الصَّغير الذي يصبُّ فيها، بينما يمتدُّ رصيف خشبي في الماء بمحاذاة مبنى طويل واطئ ذي سقفٍ مكسو بألواح الأردواز. زحفَت إلى الخارج أكثر حتى بدأ الغُصن يرتخي تحت ثقلها، لكنها لم ترَ قوارب مربوطةً بالرَّصيف، وإن لمحَت خيوطًا رفيعةً من الدُّخان تتصاعَد من إحدى المداخن، وجزءًا من عربةٍ يَبرُز من وراء اسطبل. قالت آريا لنفسها ماضغةً شفتها: أحدهم هناك. كلُّ الأماكن الأخرى التي صادفَتهم كانت خاويةً مهجورةً؛ المَزارع والقُرى والقلاع والسِّبتات والحظائر، لا فارق. إذا كان ثمَّة شيء قابل للاحتراق، فرجال لانستر أحرَقوه، وإذا كان قابلًا للموت قتَلوه، حتى إنهم أضرَموا النَّار في الغابات حيثما استطاعوا، وإن كانت أوراق الشَّجر لا تزال خضراء مبتلَّةً إثر الأمطار الأخيرة، فلم تنتشر النِّيران. قال لها جندري: «كانوا ليُحرِقون البحيرة نفسها إذا استطاعوا»، وعرفَت آريا أنه على حق. ليلة هروبهم توهَّج انعكاس اللَّهب الذي التهمَ البلدة التهامًا على صفحة الماء بشدَّة، حتى بدَت البحيرة مشتعلةً بالفعل.

عندما استطاعَت وجندري أخيرًا لملمة الشَّجاعة الكافية للتسلُّل إلى خرائب البلدة في اللَّيلة التَّالية، لم يَعثُرا على شيءٍ تبقَّى غير الحجارة المسودَّة وهياكل البيوت الجوفاء والجُثث، وفي بعض البقاع كان الدُّخان الباهت لا



يزال يتصاعَد من الرَّماد. قبلها توسَّل هوت پاي إليهما ألَّا يعودا، ونعتَهما لومي بالحُمق وأقسمَ أن السير آموري سيقبض عليهما ويَقتُلهما أيضًا، لكن لورك ورجاله كانوا قد رحَلوا بالفعل منذ فترةٍ طويلة عند وصول آريا وجندري إلى المعقل، حيث وجدا الأبواب محطَّمةً والأسوار متهدِّمةً إلى حَدٍّ كبير، بينما تناثرَت جثامين الأموات هنا وهناك. نظرة واحدة كانت تكفي جندري، فقال: «لقد قُتِلوا عن آخِرهم، والكلاب نالَت منهم كذلك، انظُر».

- «أو الذِّئاب».

- «كلاب أو ذئاب، لا فارق. كلُّ شيءٍ انتهى هنا».

لكن آريا رفضَت المغادَرة حتى يَعثُرا على يورن. قالت لنفسها إن من غير الممكن أنهم قتَلوه، إنه قويٌّ عنيد، وأخ في حَرس اللَّيل فضلًا عن ذلك، وردَّدت هذا على مسامع جندري وهما يبحثان بين الجُثث.

ضربة الفأس التي قتلَته قصمَت جمجمته شطرين، لكن اللِّحية المشعثة الكثَّة لا يُمكن أن تكون لأحدٍ آخَر، وكذلك الثِّياب المتَّسخة المرقَّعة التي لوَّحتها الشَّمس حتى أصبحَت رماديَّةً أكثر من سوداء. لم يُبالِ السير آموري لورك بدفن موتاه أكثر مما فعلَ بالذين قتلَهم، فقد تكوَّمت جُثث أربعةٍ من رجال لانستر بالقُرب من جثَّة يورن، وتساءلَت آريا عن العدد الذي تطلَّب إسقاطه في النِّهاية.

قالت لنفسها وهما يَحفُران قبرًا للعجوز: كان سيأخذني إلى الدِّيار. عدد الموتى كان أكبر من أن يستطيعا دفنهم جميعًا، لكن آريا أصرَّت أن يورن على الأقل يستحقُّ قبرًا. كان سيُعيدني إلى أمان وينترفل، هكذا وعدَني.

جزء منها أرادَ أن يبكي، والجزء الآخَر أرادَ أن يَركُله.

جندري هو من فكَّر في منزل لورد البلدة والثَّلاثة الذين أمرَهم يورن بالدِّفاع عنه. لقد تعرَّضوا للهجوم أيضًا، لكن البُرج المستدير له مدخل واحد، باب في الطَّابق الثَّاني لا يُمكن بلوغه إلَّا بسُلَّم، وبمجرَّد أن رُفِعَ السُّلَّم لم يستطِع رجال السير آموري النَّيل منهم. كان رجال لانستر قد كوَّموا شجيراتٍ صغيرة حولَ قاعدة البُرج وأشعَلوها، لكن الحجر قاومَ النَّار، ولورك لم يتمتَّع



بالصَّبر كي يُجَوِّع الثَّلاثة حتى يَخرُجوا. فتحَ كتجاك الباب مع نداء جندري، وعندما قال كورز إن من الأفضل أن يتقدَّموا شَمالًا بدلًا من العودة، تمسَّكت آريا بمُرتجى الرُّجوع إلى وينترفل على الرغم مما حدثَ.

حسنٌ، هذه القرية لا تُضاهي وينترفل قطعًا، لكن سقوف البيوت المغطَّاة بالقَشِّ تعدُ بالدِّفء والمأوى، وربما الطَّعام كذلك، إذا وجدوا الجرأة الكافية للتسلُّل إليها. ما لم يكن لورك هناك. إن لديه خيولًا، ولا بُدَّ أنه تحرَّك أسرع منا. راقبَت من مكمنها على الشَّجرة فترةً طويلةً على أمل أن ترى شيئًا، سواء أكان رجلًا أم حصانًا أم رايةً، شيئًا ما يُعينها على المعرفة. لمحَت حركةً بضع مرَّات، لكن المباني بعيدة وتجعل التأكُّد عصيًّا، لكنها سمعَت صهيل حصان بوضوح تام.

امتلأَ الهواء بالطُّيور، أغلبها غِربان بدَت من بعيدٍ بحجم الذُّباب وهي تُحلِّق وتدور حول السُّقوف. إلى الشَّرق كان سطح «عين الآلهة» كلوحٍ أزرق ضخم طرَّقته الشَّمس ويملأ نِصف العالم. في بعض الأيام، إذ يقطعون دربهم البطيء على الشَّاطئ الموحل (فجندري رفضَ التحرُّك على أيِّ طريقٍ رئيس أيًّا كان، وحتى هوت پاي ولومي رأيا الصَّواب في هذا)، كانت آريا تحسُّ كأن البحيرة تُناديها، وتُريد أن تثب في تلك المياه الزَّرقاء الرَّائقة، أن تَشعُر بالنَّظافة مجدَّدًا وتسبح وتَنثُر الماء وتتشمَّس، لكنها لم تجرؤ على خلع ثيابها في وجود الآخَرين، ولا حتى لتغسلها. هكذا، في نهاية اليوم، كانت غالبًا ما تجلس على صخرةٍ وتُدَلِّي قدميها في المياه الباردة. لقد تخلَّصت أخيرًا من حذائها المشقَّق الذي تعفَّن جِلده، ومع أنها وجدَت السَّير حافية القدمين صعبًا في البداية، لكن البثور انفتحَت أخيرًا، وشُفيَت الجروح، واكتسى باطن قدميها بطبقةٍ جِلديَّةٍ سميكة. أحبَّت الشُّعور بالطَّمي بين أصابع قدميها، وبالتُّربة تحتها وهي تمشي.

من مكمنها العالي رأت جزيرةً صغيرةً غزيرة الأشجار تقع إلى الشَّمال الشَّرقي، بينما من بُعد ثلاثين ياردةً من الشَّاطئ كانت ثلاث بجعات سوداء تنزلق على الماء بمنتهى السَّكينة... لا أحد أخبرَها أن الحرب احتدمَت، وهي



لا تكترث بالبلدات المحروقة وأهاليها المذبوحين. حدَّقت فيها آريا بحنين، وجزء منها يرغب في أن تكون بجعةً، فيما يرغب الجزء الثَّاني في أن تأكل واحدةً، فقد أفطرَت على معجون جوز البلُّوط وحفنةٍ من الحشرات. ليست الحشرات بهذا السُّوء عندما تعتاد عليها، لكن الدُّود أسوأ، وإن لم يكن بسوء الجوع الذي يُشعِل بطنك وجعًا بَعد أيام بلا طعام؛ والعثور على الحشرات سهل، فكلُّ ما عليك أن تقلب صخرةً فقَط. أكلَت آريا حشرةً ذات مرَّةٍ في صِغرها، فقط لتُثير هلع سانزا، وهكذا لم تخشَ أن تأكل حشرةً أخرى. الفتاة الصَّغيرة لم تخشَ أكل الحشرات كذلك، لكن هوت پاي تقيَّأ الخُنفساء التي حاولَ أن يزدردها، ولومي وجندري رفضا التَّجربة أصلًا. بالأمس اصطادَ جندري ضفدعةً وتقاسَمها مع لومي، وقبلها ببضعة أيام وجدَ هوت پاي دغلًا من التُّوت الأسود فاقتطفَ كلَّ ما فيه من ثمار، لكنهم تعيَّشوا في الغالب على الماء والبلُّوط. أراهم كورز كيف يستخدمون صخرةً لعمل معجون الجوز، وكان مذاقه مريعًا.

تمنَّت لو أن لِصَّ الصَّيد لم يَمُت، إذ كان يعرف عن الغابات أكثر من بقيَّتهم مجتمعين، لكنه أصيبَ بسهم في كتفه وهو يرفع سُلَّم البُرج. غطَّى تاربر الجرح بالطِّين والطَّحالب، وطَيلة يوم أو اثنين راح كورز يحلف إن الجرح لا يُزعِجه على الإطلاق، على الرغمِّ من أن لون حَلقه استحالَ داكنًا وزحفَت انتفاخات حمراء غاضبة على فَكِّه وصدره. ثم جاءَ صباح خارَت فيه قُدرته على النُّهوض، وفي الصَّباح التَّالي فارقَ الحياة.

دفَنوه تحت كومةٍ من الحجارة، واستحوذَ كتچاك على سيفه وبوقه، بينما أخذَ تاربر قوسه وسكِّينه وحذاءه... ثم إنهما أخذا كلَّ شيءٍ عندما رحلا. في البدء ظَنَّ البقيَّة أنهما ذهبا للصَّيد وعمَّا قريب سيعودان ومعهما ما يُطعِمهم جميعًا، لكنهم انتظَروا وانتظَروا حتى جعلَهم جندري يتحرَّكون في النِّهاية. لعلَّ تاربر وكتچاك قرَّرا أن فُرصتهما أفضل دون أن يضطرَّا للعناية بمجموعةٍ من الصِّبية اليتامى. كانوا ليفعلون المِثل لو تبدَّلت الأدوار، لكن هذا لم يمنع آريا من كراهيتهما لتخلِّيهما عنهم.



بدأ هوت پاي ينبح تحت شجرتها كالكلاب. كان كورز قد قال لهم أن يستخدموا أصوات الحيوانات لتبادُل الإشارات فيما بينهم، مفسِّرًا أنها حيلة قديمة يُمارِسها لصوص الصَّيد، لكنه ماتَ قبل أن يُعَلِّمهم كيفيَّة إصدار الأصوات بشكلٍ سليم، ما جعلَ أصوات طيور هوت پاي شنيعةً، بينما صوت الكلب أفضل، وإن لم يكن كثيرًا.

وثبَت آريا من الغُصن العالي إلى آخَر أسفله وقد بسطَت يديها طلبًا للتَّوازُن. راقص المياه لا يَسقُط أبدًا! كوَّرت أصابع قدميها الرَّشيقتين حول الغُصن بإحكامٍ وسارَت بضعة أقدام، ثم وثبَت إلى فرعٍ أكبر، قبل أن تتأرجَح منه إلى غيره، وهكذا بين الأوراق المتشابكة، حتى بلغَت الجذع. كان اللِّحاء خشنًا تحت أصابع يديها وقدميها، لكنها نزلَت بسرعة، قافزةً الأقدام السِّتَّة الأخيرة التي تفصلها عن الأرض، لتتدحرَج فور أن حطَّت.

مَدَّ جندري يده يُساعِدها على النُّهوض قائلًا: «قضيت وقتًا طويلًا في الأعلى. ماذا رأيت؟».

- «قرية صيَّادين، مجرَّد مكان صغير شَمالًا على الشَّاطئ، ستَّة وعشرون من الأسقُف المغطَّاة بالقَشِّ وواحد بألواح الأردواز حسبما أحصيتُ. رأيتُ جزءًا من عربة، فلا بُدَّ أن أحدهم هناك».

خرجَت بنت عرس زاحفةً من بين الشُّجيرات على وقع صوتها. كان لومي قد أطلقَ عليها هذا اللَّقب لأنها تبدو كبنات عرس، وهذا ليس صحيحًا، لكنهم لا يستطيعون مناداتها بالفتاة الباكية بَعد أن كفَّت أخيرًا عن البكاء. رأت فمها متَّسخًا، فتمنَّت آريا أنها لم تكن تأكل الطِّين مرَّةً أخرى.

سألَها جندري: «هل رأيت ناسًا؟».

أجابَت: «أغلب ما رأيته سقوف، لكن الدُّخان يَخرُج من بعض المداخن، وسمعتُ صهيل حصان».

طوَّقت بنت عرس ساقي آريا بذراعيها وتمسَّكت بهما بشدَّة، كما أصبحَت تفعل أحيانًا، بينما قال هوت پاي بصوتٍ أعلى من اللَّازم: «ما دام هناك ناس



فهناك طعام». دائمًا يُنبِّهه جندري إلى التزام الهدوء، لكنه لا يتعلَّم أبدًا. «قد يُعطوننا شيئًا نأكله».

قال جندري: «وقد يَقتُلوننا أيضًا».

- «كأن لومي مَن يتكلَّم!».

جلسَ لومي أخضر اليد مستندًا إلى جذع شجرة بلُّوط بين اثنين من جذورها الغليظة. كان رُمح قد اخترقَ رَبلة ساقه اليُسرى أثناء القتال في المعقل، ومع نهاية اليوم التَّالي أصبحَ من الضَّروري أن يمشي على ساقٍ واحدة وقد وضعَ ذراعه حول جندري، لكن حتى ذلك لم يَعُد قادرًا عليه الآن. قطعوا فروع أشجار وصنعوا منها محفَّةً، وإن اتَّضح أن حمله عمل بطيء وينطوي على الكثير من المشقَّة، كما أنه يئنُّ كلما ارتجَّت به المحفَّة. قال لهم: «كان يجب أن يستسلم، هذا ما كان ينبغي أن يفعله يورن، يفتح البوَّابات كما قالوا».

ضاقَت آريا ذرعًا بقول لومي مرارًا وتكرارًا بأن يورن كان ينبغي أن يستسلم، فهذا كلُّ ما يتكلَّم عنه وهُم يحملونه، هذا وساقه ومعدته الخالية.

قال هوت پاي: «قالوا ليورن أن يفتح البوَّابات، قالوا له باسم الملك، وعلى المرء أن يُطيع ما يأمرونه به باسم الملك. إنها غلطة العجوز كريه الرَّائحة، لو أنه استسلمَ لتركونا وشأننا».

قطَّب جندري وجهه قائلًا: «الفُرسان وصغار اللوردات يأسرون بعضهم بعضًا ويدفعون فديةً، لكنهم لا يُبالون باستسلام أمثالك من عدمه»، ثم التفتَ مخاطبًا آريا: «ماذا رأيت غير ذلك؟».

لكن هوت پاي هو من رَدَّ: «إنها قرية صيَّادين، فأراهنُ أن لديهم سمكًا يبيعوننا إياه». البحيرة زاخرة بأنواع طيِّبة من الأسماك حقًّا، لكنهم لا يملكون شيئًا يصيدونها به، وقد حاولَت آريا استخدام يديها، كما رأت كوس يفعل، إلَّا أن السَّمك أسرع من الحمام، والمياه خدَّاعة لعينيها.

قالت آريا وهي تشدُّ شَعر بنت عرس الملبَّد، مفكِّرةً أن من الأفضل أن يُقَصَّ: «لا أدري إن كانت هناك أسماك حقًّا، فهناك غِربان عند الماء. شيء ما ميت هناك».



قال هوت پاي: «إنها أسماك جرفَها التيّار إلى الشّاطئ. إذا كانت الغِربان تأكلها، فيمكننا أن نأكلها أيضًا».

قال لومي: «يُمكننا أن نصطاد بعض الغِربان ونأكلها، نوقد نارًا ونشويها كالدَّجاج».

رَدَّ جندري وقد بدَت عليه الشَّراسة كعادته عندما يعبس، خصوصًا أن لحيته صارَت كثَّةً حالكة السَّواد: «قلتُ لن نُشعِل نارًا».

قال هوت پاي متأفِّفًا: «لومي جائع، وأنا أيضًا».

قالت آريا: «كلنا جائعون».

زعقَ لومي من مكانه على الأرض: «أنت لست جائعًا يا أنفاس الدِّيدان!».

أرادَت آريا أن تَركُله في جرحه، لكنها قالت: «قلتُ إنني سأجدُ دودًا لك أيضًا إذا أردت».

قال لومي باشمئزاز: «لولا ساقي لاصطدتُ لنا خنازير برِّيَّة».

علَّقت ساخرةً: «خنازير برِّيَّة! تحتاج رُمحًا خاصًّا لاصطياد خنزيرٍ برِّي، وخيولًا وكلابًا أيضًا، ورجال يستدرجون الحيوان من مخبأه». كانَ أبوها يصطاد الخنازير البرِّيَّة في غابة الذِّئاب مع روب وچون، وذات مرَّةٍ أخذوا بران معهم، لكن ليس آريا قَطُّ، على الرغم من أنها أكبر منه سِنًّا. قالت السِّپتة موردن إن الصَّيد ليس نشاطًا تُمارِسه ليدي، بينما وعدَت السيِّدة والدتها فقط بأنها قد تحظى بصقرٍ عندما تكبُر أكثر.

إنها أكبر الآن، لكن لو كان لديها صقر لالتهمَته التهامًا.

قال هوت پاي: «ما الذي تعلمه أنت عن صيد الخنازير البرِّيَّة؟».

- «أعلمُ أكثر منك».

لم يكن جندري في مزاجٍ يسمح بسماع هذا الجدل، فقال: «فليَصمُت كلاكما، أريدُ أن أفكِّر فيما نفعله». دائمًا ما يبدو كأنه يتألَّم وهو يُحاوِل التَّفكير، كأن التَّفكير موجع له حقًّا.

قال لومي: «نستسلم».



- «قلتُ لك أن تخرس بشأن الاستسلام. إننا لا نعرف مَن هناك حتى. قد نستطيع أن نسرق القليل من الطَّعام».

قال هوت پاي: «كان لومي ليسرقه لولا ساقه، فقد كان لِصًّا في المدينة».

ردَّت آريا: «لِصًّا سيِّئًا، وإلّا لما قُبِضَ عليه».

رمقَ جندري الشَّمس مضيِّقًا عينيه، وقال: «المساء أفضل وقتٍ للتسلُّل. سأذهبُ للاستطلاع مع حلول الظَّلام».

قالت آريا: «كلا، سأذهبُ أنا، لأنك تَصدِر جلبةً عاليةً».

لاحَت النَّظرة الشَّرسة إياها في عيني جندري وهو يقول: «كلانا سيذهب إذن».

قال لومي: «يَحسُن أن يذهب آري، فهو يُجيد التسلُّل أكثر منك».

- «قلتُ إننا سنذهب معًا».

- «لكن ماذا لو لم تعودا؟ هوت پاي لا يقوى على حملي وحده، وأنت تعرف هذا...».

أضافَ هوت پاي: «وهناك ذئاب، سمعتها ليلة أمس أثناء نوبة حراستي، وبدا صوتها قريبًا».

آريا أيضًا سمعَتها. كانت نائمةً على فروع شجرة دردار، لكن العُواء أيقظَها، وجلسَت تُصغي له ساعةً كاملةً والوخز يزحف على عمودها الفقري.

قال هوت پاي: «كما أنك لا تسمح لنا بإشعال النَّار كي نُبعِدها عنا حتى. ليس عدلًا أن تَترُكنا للذِّئاب».

قال جندري بامتعاض: «لا أحد سيَترُككم. لومي معه رُمحه إذا هاجمَتكم الذِّئاب، وأنت معه. سوف نذهب ونُلقي نظرةً فقط ثم نعود».

متذمِّرًا قال لومي: «أيًّا كان الذين هناك، فعليكما الاستسلام لهم. أحتاجُ دواءً لساقي، إنها تُؤلِمني جدًّا».

رَدَّ جندري: «إذا رأينا دواءً للسِّيقان، سنأخذه. آري، هيا بنا. أريدُ أن أقترب من القرية قبل أن تنخفض الشَّمس. هوت پاي، أبقِ بنت عرس هنا، فلا أريدها أن تتبعنا».



- «المرَّة السَّابقة ركلَتني».

قال جندري: «وسأركلك أنا إذا لم تُبقِها هنا»، ودون أن ينتظر ردًّا اعتمرَ خوذته الفولاذيَّة وتحرَّك، واضطرَّت آريا للإسراع كي تُواكِبه، فجندري أكبر منها بخمسة أعوام وأطول منها بقدم كامل، وطويل السَّاقين كذلك. لم يَقُل شيئًا فترةً، واكتفى بالخوض بين الأشجار مُصدرًا الكثير من الضجَّة، وقد اعتلَت وجهه نظرة غاضبة، لكنه توقَّف أخيرًا وقال: «أظنُّ أن لومي سيموت».

لم تندهش، فكورز ماتَ بفِعل جرحه مع أنه كان أقوى كثيرًا من لومي. كلما جاءَ دور آريا للمساعَدة على حمله، شعرَت بدِفء بشرته وشمَّت الرَّائحة الكريهة المنبعثة من ساقه. قالت: «قد نستطيع أن نَعثُر على مِايستر...».

قال جندري: «المِايسترات لا يوجَدون إلَّا في القلاع، وحتى لو وجدنا واحدًا، فلن يُوَسِّخ يديه بأمثال لومي»، وطأطأَ رأسه أسفل فرعِ شجرةٍ واطئ.

- «غير صحيح». إنها تعلم أن المِايستر لوين يُساعِد كلَّ من يأتيه طالبًا العون.

كرَّر: «سيموت، وخير لبقيَّتنا أن يموت سريعًا. يَجدُر بنا أن نَترُكه كما يقول. لو كان المصاب أحدنا لتركَه لا محالة»، ثم إنهما نزلا منحدرًا يُفضي إلى بُقعةٍ منخفضة وصعدا من الجانب الآخَر، قبل أن يُضيف جندري: «تعبتُ من حمله، وسئمتُ كلامه عن الاستسلام. لو كان يستطيع الوقوف لحطَّمت أسنانه. لومي عديم الفائدة، والفتاة الباكية كذلك».

قالت آريا: «دَع بنت عرس وشأنها، إنها خائفة وجائعة لا أكثر»، وتطلَّعت وراءها، لكن الفتاة لم تأتِ في أعقابها هذه المرَّة على الأقل. لا بُدَّ أن هوت پاي أمسكَها كما قال له جندري.

ردَّد جندري بعناد: «إنها عديمة الفائدة، هي وهوت پاي ولومي، كلهم يُعَرقِلون حركتنا، وسيتسبَّبون في مصرعنا. الشَّخص الوحيد ذو النَّفع الحقيقي في هذه المجموعة هو أنتِ... على الرغم من كونكِ بنتًا».

تجمَّدت آريا في مكانها، وقالت ضاغطةً كلماتها: «لستُ بنتًا!».

- «بل بنت. أتحسبينني غبيًّا مِثلهم؟».



- «لا، بل أغبى. حَرس اللَّيل لا يُجَنِّدون الفتيات، الكلُّ يعرف هذا».
- «هذا صحيح. لا أدري لِمَ أخذكِ يورن معه، لكن لا بُدَّ أنه كان لديه أسبابه. أنتِ بنت».
- «لا!».
- «أخرجي قضيبكِ إذن وتبوَّلي، هيا».
- «لا أَريدُ أن أتبوَّل، لكني سأفعلُ إذا أردتُ».
- «كاذبة. لا يُمكنكِ أن تُخرِجي قضيبكِ لأنكِ لا تملكين واحدًا أصلًا. لم ألاحظ من قبل عندما كان عددنا ثلاثين، لكنكِ تَدخُلين الغابة دائمًا لتقضي حاجتكِ، ولا ترين هوت پاي يفعل ذلك، ولا أنا. إذا لم تكوني فتاةً، فأنتِ خَصِي».
- «أنت الخَصي!».
قال جندري مبتسمًا: «تعرفين أني لستُ كذلك. أتريدين أن أُخرج قضيبي وأثبت لكِ؟ ليس لديَّ ما أخفيه».
ردَّت آريا في محاولةٍ يائسة للهرب من موضوع القضيب الذي لا تملكه: «بل لديك. عند الخان كان ذوو المعاطف الذَّهبيَّة يبحثون عنك، وتَرفُض إخبارنا بالسَّبب».
- «ليتني أعرفُ. أعتقدُ أن يورن كان يعرف، لكنه لم يُخبِرني بشيء. لماذا حسبتِ أنهم يبحثون عنكِ أنتِ؟».
عضَّت آريا شفتها متذكِّرةً ما قاله يورن يوم جَزَّ شَعرها: نِصف هؤلاء الشِّرذمة على استعدادٍ لتسليمكِ إلى الملكة في غمضة عين من أجل الحصول على عفو، ولربما بعض القِطع الفضِّيَّة كذلك، ونِصفهم الثَّاني سيفعل المِثل، لكن بَعدما يغتصبونكِ أولًا. الفارق أن جندري يختلف، بما أن الملكة تُريده أيضًا. هكذا قالت بحذر: «سأُخبرك إذا أخبرتَني».
- «كنتُ لأُخبِرك لو استطعتُ يا آري... أهذا اسمكِ الحقيقي أم أن لكِ اسم فتاةٍ فعليًّا؟».
أطرقَت آريا برأسها إلى جذر الشَّجرة كثير العُقد، وأدركَت أن التمثيليَّة



انتهَت. جندري يعرف، وليس في سراويلها ما يُقنِعه بالعكس. الآن إمَّا أن تستلَّ إبرتها وتَقتُله حيث يقف، أو تثق به، وهي غير متأكِّدة من قُدرتها على قتله، حتى لو حاولَت، فلديه سيفه هو الآخَر، كما أنه أقوى منها مرارًا. كلُّ ما تبقَّى هو الحقيقة، وهكذا قالت: «لا يُمكن أن يعرف لومي وهوت پاي».

- «لن يعرفا شيئًا مني».

رفعَت عينيها إليه قائلةً: «آريا. اسمي آريا، سليلة عائلة ستارك».

- «سليلة عائلة...». استغرقَ وهلةً قبل أن يقول: «يد الملك كان اسمه ستارك، ذلك الذي قتلوه لخيانته».

- «لم يكن خائنًا قَطُّ، وكان أبي».

اتَّسعت عينا جندري، وقال: «لهذا إذن حسبتِ...».

أومأَت برأسها إيجابًا، وقالت: «نعم. يورن كان سيأخذني إلى وينترفل».

- «أنا... أنتِ من علية القوم إذن... ستصيرين ليدي...».

تطلَّعت آريا إلى الأسمال التي ترتديها وقدميها الحافيتين اللتين تشقَّق جِلدهما وثخنَ، ورأت الأوساخ تحتِ أظفارها، والكشوط على مِرفقيها، والخدوش على يديها، وقالت لنفسها: أراهنُ أن السِّپتة موردن لم تكن لتتعرَّفني الآن. قد تتعرَّفني سانزا، لكنها ستتظاهَر بالعكس، ثم إنها قالت لجندري: «أمِّي هي الليدي، وأختي أيضًا، لكني لم أكن كذلك قَطُّ».

- «بل كنتِ، كنتِ ابنة لورد وعشتِ في قلعة، أليس كذلك؟ وأنتِ... لتُسامِحني الآلهة، إنني لم...»، وبدَت على جندري الحيرة فجأةً، وشيء من الخوف وهو يُكمِل: «كلُّ هذا الكلام عن القضبان، لم يكن ينبغي أن أقوله، وكنتُ أتبوَّلُ أمامكِ كذلك... اغفري لي يا سيِّدتي».

قالت آريا بصوتٍ كالفحيح: «كُفَّ عن هذا!». أيسخر منها؟

قال جندري بعناده الدَّائم: «إنني أعرفُ الأصول يا سيِّدتي. كلما جاءَت بنات علية القوم إلى الورشة مع آبائهن، كان سيِّدي يقول لي أن أركع وأتكلَّم فقط عندما يُوَجَّه لي كلام، وأخاطبهن بـ«سيِّدتي»».



- «إذا خاطبتني هكذا، حتى هوت پاي نفسه سيُلاحِظ، وخير لك أن تظلَّ تتبوَّل كما تفعل دائمًا».

- «كما تأمر سيِّدتي».

هوَت آريا بقبضتيها على صدره، فتعثَّر في حجرٍ وسقطَ على مؤخِّرته محدثًا صوتًا مكتومًا، وسألَها ضاحكًا: «أيُّ نوعٍ من بنات اللوردات أنتِ؟».

- «هذا النَّوع»، ردَّت راكلةً إياه في جانبه، لكن هذا جعلَه يضحك أكثر، فقالت له: «اضحك كما تشاء، أمَّا أنا فسأذهبُ لأرى مَن في القرية». كانت الشَّمس قد انخفضَت تحت مستوى الأشجار بالفعل، وسرعان ما يحلُّ الغَسق. هذه المرَّة كان جندري هو من أسرعَ وراءها، وسألَته: «أتشمُّ هذه الرَّائحة؟».

تشمَّم الهواء، ثم قال: «أسماك متعفِّنة؟».

- «تعرف أنها ليست كذلك».

- «يجب أن نتوخَّى الحذر. سأدورُ غَربًا وأرى إن كان هناك طريق ما. لا بُدَّ أن هنالك واحدًا ما دمتِ رأيتِ عجلةً. خُذي الشَّاطئ، وإذا احتجتِ نجدةً، انبحي كالكلاب».

قالت: «هذا سُخف. إذا احتجتُ نجدةً، سأصيحُ: النَّجدة!»، وانطلقَت مبتعدةً دون أن تُصدِر قدماها الحافيتان صوتًا على العُشب، وعندما ألقَت نظرةً وراءها، كان جندري لا يزال يُراقِبها وعلى وجهه تعبير الألم الذي يعني أنه يُفكِّر. غالبًا يُفكِّر أنه لا ينبغي أن يترُك «سيِّدتي» تذهب لسرقة الطَّعام. إنها تعرف أنه سيتصرَّف بغباء الآن.

صارَت الرَّائحة أقوى مع اقترابها من القرية، وجعلَتها تُكوِّر أنفها باشمئزاز. كانت تختلف عن رائحة الأسماك المتعفِّنة، مُنتِنة وكريهة أكثر.

بدأت الأشجار تُصبِح أقلَّ كثافةً وتشابُكًا، فانسلَّت آريا بين الشُّجيرات الصَّغيرة النَّامية تحتها بهدوء الظِّلال، تتوقَّف كلَّ بضع ياردات لتُصيخ السَّمع، وفي المرَّة الثَّالثة سمعَت حصانًا وصوت رجلٍ كذلك، وساءَت الرَّائحة أكثر وأكثر. رائحة الموتى. لقد شمَّتها من قبل، مع يورن والآخرين.



دغل كثيف من العُلَّيق كان ينمو جَنوب القرية، ومع صولها إليه كانت ظلال الغروب الطَّويلة قد بدأت تذوي بدورها، والحشرات المضيئة تَخرُج. رأت السُّقوف المغطَّاة بالقَشِّ من وراء سياج الشُّجيرات، فزحفَت حتى وجدَت ثغرةً مرَّت منها على بطنها متلويةً كالدِّيدان، وقد حرصَت على التَّواري حتى رأت مصدر الرَّائحة.

على ضفَّة «عينِ الآلهة»، التي تتكسَّر أمواجها الهادئة على الصُّخور بنعومة، نُصِبَ صَفٌّ طويل من المشانق المصنوعة من الخشب الأخضر الخام، ومنها تدلَّت أشياء كانت بَشرًا ذات يوم، الأقدام مقيَّدة بالسَّلاسل، بينما تقتات الغِربان على اللَّحم وتطير من جثَّةٍ إلى أخرى، ويحوم الذُّباب بالآلاف. عندما هبَّت الرِّيح من البحيرة، دارَت أقرب الجُثث إليها على سلسلتها بعض الشَّيء، ورأت آريا أن الغِربان أكلَت معظم الوجه، كما أن شيئًا آخَر نهشَ لحم الجسد كذلك، شيئًا أكبر حجمًا بكثير، فقد تمزَّقت الرَّقبة والصَّدر تمامًا، وتدلَّت الأمعاء الخضراء وشرائط من اللَّحم المتهتِّك من البطن المفتوح. كانت إحدى الذِّراعين مقتلَعة اقتلاعًا من الكتف، ولمحَت آريا العظام على بُعد بضعة أقدام، مقروضة ومهشَّمة، وعاريةً تمامًا من اللَّحم.

جعلَت نفسها تَنظُر إلى الرَّجل التَّالي، والذي يليه، والذي يليه، قائلةً لنفسها إنها بصلابة الحجر. كلها جُثث، وكلها منتهَك وبالٍ لدرجةٍ جعلَت آريا تستغرق فترةً حتى أدركَت أن أصحابها جُرِّدوا من ثيابهم تمامًا قبل أن يُشنَقوا. لكنهم لم يبدوا كأناسٍ عراة، بل كادوا لا يبدون أناسًا على الإطلاق. الغِربان أكلَت عيونهم، وأكلَت بعض وجوههم، ومن الجثَّة السَّادسة في الصَّفِّ لم يتبقَّ غير ساقٍ واحدة لا تزال عالقةً بالسِّلسلة، تتأرجَح مع كلِّ نسمة هواء.

ضربة الخوف أمضى من السَّيف.

الموتى لا يستطيعون مسَّها بأذى، لكن مَن قتَلوهم يقدرون. بعيدًا عن المشانق وقفَ رجلان يرتديان قميصين من الحلقات المعدنيَّة، ويستندان إلى رُمحين أمام المبنى الطَّويل الواطئ الذي يطلُّ على الماء، ذلك المسقوف بألواح الأردواز. أمام المبنى كانت ساريتان طويلتان مغروستين في الأرض



الموحلة، ومن كلٍّ منهما تتدلَّى راية، واحدة بدَت حمراء، والثَّانية ذات لونٍ فاتح أقرب إلى الأصفر أو الأبيض، لكن الاثنتين متهدِّلتان، ومع حلول الغَسق لا سبيل لآريا لأن تتأكَّد من أن الحمراء تحمل صبغة لانستر القرمزيَّة. ليس من الضَّروري أن أرى الأسد، فقد رأيتُ الموتى. مَن يُمكن أن يكون هؤلاء غير رجال لانستر؟

ثم إنها سمعَت صيحةً.

التفتَ حاملا الرِّماح، وظهرَ رجل ثالث يدفع أسيرًا أمامه. كان الظَّلام لا يسمح بتعرُّف الوجوه، لكن الأسير اعتمرَ خوذةً فولاذيَّةً لامعةً، وعندما أبصرَت آريا القرنين عرفَت أنه جندري. يا لك من أحمق أحمق أحمق أحمق! كانت لتَركُله ثانيةً لو كان معها الآن.

تكلَّم الحُرَّاس بصوتٍ عالٍ، لكنها كانت أبعد من أن تتبيَّن ما يقولون، بالذَّات والغِربان تنعب وتخفق بأجنحتها على مقربةٍ منها. اختطفَ أحد حاملي الرِّماح الخوذة من على رأس جندري وألقى عليه سؤالًا، لكن لا بُدَّ أن الإجابة لم تَرُقه، لأنه ضربَه على وجهه بكعب رُمحه وطرحَه أرضًا، وركلَه الرَّجل الذي قبضَ عليه، بينما جرَّب حامل الرِّماح الثَّاني ارتداء رأس الثَّور. بَعدها سحَبوه ليقف، وقادوه إلى المستودع؛ وعندما فتحوا الباب الخشبي الثَّقيل، اندفعَ ولد صغير إلى الخارج، لكن أحد الحُرَّاس أطبقَ على ذراعه وألقى به في الدَّاخل. سمعَت آريا نحيبًا قادمًا من المبنى، ثم دوَّت صرخة صاخبة ومفعمة بالألم جعلَتها تعضُّ شفتها.

دفعَ الحُرَّاس جندري إلى الدَّاخل وأوصَدوا الباب وراءهم، وحينها فقط هَبَّ النَّسيم يتنهَّد من البحيرة، وتحرَّكت الرَّايتان وارتفعتا. تلك التي على السَّارية الأطول تحمل الأسد الذَّهبي كما كانت آريا تخشى، وعلى الأخرى تعدو ثلاثة أشباح سوداء رشيقة على خلفيَّةٍ بصُفرة الزُّبد. كلاب. لقد رأت هذه الكلاب من قبل، لكن أين؟

لا يهمُّ... كلُّ المهمِّ الآن أنهم أسَروا جندري، وحتى إذا كان عنيدًا وأحمق، فعليها أن تُنقِذه. تساءلَت إن كانوا يعرفون أن الملكة تُريده.



خلعَ واحد من الحُرَّاس خوذته وارتدى خوذة جندري بدلًا منها، وأثارَ حنقها أن رأته يفعل هذا، وإن أدركَت أن ما بيدها حيلة. خُيِّلَ لها أنها سمعَت صراخًا كتمَته الحجارة من داخل المستودع الخالي من النَّوافذ، لكن التيقُّن عسير.

ظلَّت في مكمنها حتى رأت حُرَّاسًا جُددًا يحلُّون محلَّ الحاليِّين، ورأت أكثر من هذا، رجالًا يأتون ويذهبون، يقودون خيولهم إلى النُّهير لتشرب، وعادَت فرقة صيدٍ من الغابة ومعها جثَّة غزال معلَّقة من سارية. رأتهم يُنَظِّفونه وينزعون الأحشاء، ثم يُشعِلون نارًا للطَّهي على جانب النُّهير الآخَر، وامتزجَت رائحة الشِّواء برائحة العفن على نحوٍ غريب، فتهيَّجت معدتها الخالية حتى ظنَّت أنها ستتقيَّأ. جذبَت رائحة الطَّعام رجالًا آخَرين من البيوت، كلهم تقريبًا يرتدي قطعةً واقيةً أو أخرى الحلقات المعدنيَّة، أو الجلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، وعندما نضجَ الغزال أخذَ أحدهم أفضل قِطع اللَّحم إلى أحد البيوت.

خطرَ لها أنها تستطيع أن تدنو مستترةً بالظَّلام وتُحَرِّر جندري، لكن الحُرَّاس أوقَدوا مشاعل من نار الطَّهي، وأحضرَ مُرافِق فارس القليل من اللَّحم والخُبز للاثنين اللذين يَحرُسانَ المستودع، وفيما بَعد انضمَّ إليهما اثنان آخَران، وتقاسَموا جميعًا قِربةً من النَّبيذ، وعندما فرغَت القِربة غادرَا، لكن الحارسين ظلَّا مستندين إلى رُمحيهما.

شعرَت آريا بتيبُّسِ ساقيها وذراعيها عندما خرجَت متلويةً من الدَّغل إلى سواد الغابة. كانت ليلةً مظلمةً، والقمر ليس أكثر من شريطٍ رفيع يلوح من وراء السُّحب ويغيب. قالت لنفسها وهي تتحرَّك بين الأشجار: بصمت الظِّلال. لا تجرؤ على المجازَفة بالرَّكض في هذا الظَّلام، خشية أن تتعثَّر في جذرٍ لم تلحظه أو تضلَّ الطَّريق. إلى يسارها راحَت مياه «عين الآلهة» تتكسَّر بخفَّةٍ على الشَّاطئ، وإلى يمينها تنهَّدت الرِّيح بين الأغصان، فتحرَّكت الأوراق مصدرةً حفيفها.

ومن بعيدٍ تناهى إلى مسامعها عُواء الذِّئاب.

كادَ لومي وهوت پاي يتغوَّطا في ثيابهما عندما خرجَت من بين الأشجار



من ورائهما، فقالت لهما: «صمتًا»، ثم طوَّقت بنت عرس بذراعها عندما جاءَت الصَّغيرة تجري إليها.

سألَها لومي: «أين الثَّور؟».

أجابَت هامسةً: «أمسَكوه. يجب أن نُخرِجه من هناك، ويجب أن تُساعِدني يا هوت پاي. سنتسلَّل ونَقتُل الحارسين، ثم سأفتحُ الباب».

تبادلَ هوت پاي نظرةً مع لومي، ثم قال: «كم عددهم؟».

- «لم أستطِع أن أحصيهم، عشرون على الأقل، لكن اثنين فقط يَحرُسان الباب».

بدا هوت پاي على وشك الانفجار في البكاء وهو يقول: «لا يُمكننا أن نُقاتِل عشرينًا!».

- «عليك أن تُقاتِل واحدًا فقط، وسأتخلَّص أنا من الآخَر ونأخذ جندري ونهرب».

قال لومي: «يجب أن نستسلم، فقط نذهب إليهم ونستسلم»، ولمَّا هزَّت آريا رأسها نفيًا بعناد، قال: «لنَترُكه إذن. إنهم لا يعلمون بوجودنا. إذا اختبأنا سيُغادِرون، أنت تعرف هذا، ليست غلطتنا أنهم أمسَكوا جندري».

قالت آريا غاضبةً: «أنت أبله يا لومي، لأنك ستموت إذا لم نُحَرِّر جندري. مَن سيحملك؟».

- «أنت وهوت پاي».

- «طول الوقت وبلا مساعدةٍ من أحد؟ لن نقدر أبدًا. جندري هو القوي، وعلى كلِّ حالٍ لا أهتمُّ برأيك. سأعودُ إليه»، ونظرَت إلى هوت پاي قائلةً: «هل ستأتي؟».

نظرَ إلى لومي، ثم إلى آريا، ثم إلى لومي مجدَّدًا، قبل أن يقول على مضض: «سآتِ».

- «لومي، أبقِ بنت عرس هنا».

أمسكَ الفتاة من يدها وشدَّها إليه قائلًا: «وماذا لو جاءَت الذِّئاب؟».

- «استسلم».



بدا كأن شَقَّ طريق العودة إلى القرية استغرقَ منهما ساعات، إذ ظَلَّ هوت باي يتعثَّر ويضلُّ طريقه، واضطرَّت آريا لانتظاره أو الذَّهاب إليه والعودة به عدَّة مرَّات، قبل أن تُمسِكه من يده أخيرًا وتقوده وسط الأشجار قائلةً: «الزم الهدوء واتبعني»، وعندما تبيَّنا نزرًا يسيرًا من وهج النَّار في القرية، قالت له: «هناك موتى مشنوقون على الجانب الآخَر من سياج الشُّجيرات، لكن لا يوجد ما يدعو للخوف، تذكَّر فقط أن ضربة الخوف أمضى من السَّيف، ويجب أن نتحرَّك بمنتهى الهدوء والبُطء». أومأ هوت باي برأسه منصاعًا، فتلوَّت داخلةً الدَّغل أولًا وانتظرَته على الجانب الآخَر، وبَعد قليلٍ خرجَ شاحبًا يلهث وعلى وجهه وذراعيه خدوش طويلة. كان يوشك على أن يقول شيئًا، لكن آريا وضعَت إصبعها على فمه لتُخرِسه، ثم بدآ يزحفان على الأرجُل والأذرُع بطول المشانق تحت الموتى المتأرجحين، ولم يرفع هوت باي عينيه إلى أعلى مرَّةً، أو يُصدِر صوتًا...

... حتى حَطَّ الغُراب على ظَهره، فأطلقَ شهقةً مكتومةً، كانت كافيةً لأن يُدَوِّي صوت بغتةً من الظَّلام: «مَن هناك؟».

وثبَ هوت باي واقفًا وصاحَ: «أستسلمُ!»، وألقى سيفه بينما حلَّقت الغِربان المتذمِّرة صارخةً بالعشرات، ودارَت حول الجُثث. تمسَّكت آريا بساقه وحاولَت أن تسحبه إلى أسفل، لكنه تملَّص منها وهرعَ إلى الأمام ملوِّحًا بذراعيه ومردِّدًا: «أستسلمُ! أستسلمُ!».

وثبَت واقفةً بدورها واستلَّت إبرتها، لكن الرِّجال كانوا قد تحلَّقوا حولها بالفعل، وحاولَت آريا أن تهوي بضربةٍ على أحدهم، إلَّا أنه صدَّها بذراعٍ مدرَّعة بالفولاذ، وارتطمَ آخَر بها وطرحَها أرضًا، بينما انتزعَ ثالث السَّيف من قبضتها؛ وعندما حاولَت أن تعضَّ، أطبقَت أسنانها على حلقاتٍ معدنيَّة باردة متَّسخة، فقال الرَّجل ضاحكًا: «أوهو! يا للشَّراسة!»، قبل أن تكاد لكمة قبضته المغطَّاة بالحديد تخلع رأسها عن كتفيها.

تبادَلوا الكلام بينما ارتمَت هي تتألَّم على الأرض، لكن آريا لم تستوعب كلمةً من جرَّاء الرَّنين في أُذنيها، وعندما حاولَت الزَّحف مادَت بها الأرض.



لقد أخذوا «الإبرة». ما في هذا من عارٍ آلَمها أكثر من الألم نفسه، والألم كان بالغًا حقًّا. چون أعطاها هذا السَّيف، وسيريو علَّمها كيف تستعمله.

أخيرًا قبضَ أحدهم على مقدِّمة سُترتها وجَرَّها جَرًّا لتركع على رُكبتيها. هوت پاي كان راكعًا أيضًا أمام أطول رجلٍ رأته آريا في حياتها على الإطلاق، وحش من قِصص العجوز نان القديمة. لم ترَ من أين جاءَ العملاق، لكن ثلاثة كلاب سوداء كانت تَركُض على معطفه الأصفر الباهت، وبدا وجهه صُلبًا كأنما قُدَّ من الصَّخر. تذكَّرت آريا فجأةً أين رأت تلك الكلاب من قبل. عشيَّة دورة المباريات في كينجز لاندنج، علَّق كلُّ الفُرسان تروسهم التي تحمل رموزهم خارج السُّرادقات، وقالت لها سانزا وهما تَمُرَّان بالكلاب السَّوداء على الخلفيَّة الصَّفراء: «هذا رمز شقيق كلب الصَّيد. إنه أكبر حجمًا من هودور، سترين، ويُلَقِّبونه بالجبل راكب الخيول».

تركَت آريا رأسها يتدلَّى على صدرها، غير واعيةٍ لِنصف ما يدور حولها. كان هوت پاي يُؤكِّد استسلامه، أمَّا الجبل فقال: «ستقودانا إلى الآخَرين»، ثم انصرفَ. بَعدها أحسَّت بنفسها تمشي متعثِّرةً إلى جوار الموتى المعلَّقين في المشانق، بينما قال هوت پاي لآسريهم إنه سيخبز لهم فطيرًا وكعكًا إذا لم يُؤذوه. ذهبَ معهما أربعة رجال، أحدهم يحمل مشعلًا، والثَّاني سيفًا طويلًا، والآخَران رُمحين.

كان لومي في مكانه تحت شجرة البلُّوط، وبمجرَّد أن رآهم صاحَ: «أستسلمُ!»، وألقى رُمحه بعيدًا، ورفعَ يديه الملطَّختين بأخضر الصِّباغة القديم. «أرجوكم، إنني أستسلمُ».

بحثَ حامل المشعل تحت الأشجار، ثم قال: «أأنت آخِرهم؟ الخبَّاز قال إن هناك فتاة».

قال لومي: «هربَت عندما سمعَتكم قادمين، فقد أصدرتم ضجَّةً عالية»، فقالت آريا في قرارة نفسها: اركُضي يا بنت عرس، اركُضي بأقصى لديكِ من سرعة، اهرُبي واختبئي ولا تعودي أبدًا.

- «قُل لنا أين نجد ابن العاهرة دونداريون ولك وجبة ساخنة».



قال لومي ببلاهة: «مَن؟».

- «قلتُ لكم إن هؤلاء لا يعرفون أكثر من أولاد الزَّواني الآخَرين في القرية، مجرَّد مضيعة للوقت».

دنا أحد حاملي الرِّماح من لومي قائلًا: «ماذا حدثَ لساقك يا ولد؟».

- «أصيبَت».

بدا الاهتمام في صوته وهو يسأله: «أتستطيع المشي؟».

أجاب لومي: «كلا، عليك أن تحملني».

قال الرَّجل: «أهذا رأيك؟»، ورفعَ رُمحه بلا اكتراثٍ وغرسَ رأسه في حَلق الصَّبي الرَّخوِ، فلم يجد لومي وقتًا لأن يستسلم من جديد، بل انتفضَ جسده مرَّةً، وهذا كلُّ شيء. ثم إن الرَّجل سحبَ رُمحه لتتفجَّر نافورة قانية من الدَّم، وهمهمَ لنفسه ضاحكًا: «عليَّ أن أحمله!».





تيريون

نصَحوه بأن يرتدي ثيابًا تُدَفِّئه جيِّدًا، وأذعنَ تيريون لانستر لنصيحتهم، فتدثَّر بسراويل مبطَّنة ثقيلة وصُدرةٍ من الصُّوف، وفوق كلِّ شيءٍ ارتدى المعطف المصنوع من فرو قِطِّ الظِّل الذي حصلَ عليه في جبال القمر. كان المعطف أطول من قامته كثيرًا، فهو مُفَصَّل لرجلٍ بضِعف قامته، والوسيلة الوحيدة لارتدائه عندما لا يكون راكبًا الحصان، أن يلفَّه حول جسده عدَّة مرَّات، ما يجعله يبدو ككرةٍ من الفرو المخطَّط.

على الرغم من ذلك سرَّه أنه أصغى للنَّصيحة، فالبرودة السَّائدة في السِّرداب الرَّطب الطَّويل تَنخُر العظام حقًّا، لدرجة أن تيميت قرَّر أن يعود أدراجه إلى القبو بَعد أن جرَّب النَّزر اليسير من البرد في الأسفل. كانوا في مكانٍ ما تحت تَلِّ رييْنس، وراء مقرِّ رابطة الخيميائيِّين. تلطَّخت الجدران الحجريَّة الرَّطبة بالنَّطرون، والضَّوء يأتي من مصدرٍ وحيد، هو مصباح الزَّيت المصنوع من الحديد والزُّجاج، الذي حملَه هالاين الپايرومانسر بمنتهى الحرص.

بمنتهى الحرص بالفعل... لا بديل مع تلك الجرار. رفعَ تيريون جرَّةً وتفحَّصها. كانت مستديرةً ضاربةً إلى الحُمرة، كحبَّةٍ ممتلئة من ليمون الجنَّة، لكن مصنوعة من الفخَّار، وكبيرة بعض الشَّيء على يده، لكنها تُناسِب راحة يد أيِّ رجلٍ عادي، وجدارها رقيق وشديد الهشاشة، حتى إنهم حذَّروه من اعتصارها بشدَّةٍ في قبضته، خشية أن تنكسر. وكان الفخَّار خشن الملمس



كذلك، كأن هناك حصى على سطحه، فقال له هالاين إن هذا مقصود، وأضافَ: «احتمال سقوط الجرَّة الملساء أكبر».

سالَت النَّار الشَّعواء ببُطءٍ نحو فوَّهة الجرَّة عندما أمالها تيريون ليَنظُر داخلها. يعرف أن اللَّون سيكون أخضر قاتمًا، لكن الضَّوء الضَّعيف جعلَ التأكُّد من هذا مستحيلًا. قال: «السَّائل ثخين القوام».

- «هذا بفِعل البرودة يا سيِّدي»، رَدَّ هالاين، الرَّجل الشَّاحب ذو اليدين النَّاعمتين الرَّطبتين والأسلوب المتزلِّف. كان يرتدي ثوبًا مخطَّطًا بالأسود والقرمزي، ومبطَّنًا بفرو السَّمُّور، لكن العثَّة تغذَّت على الفرو حتى اهترأ. «كلما صارَ الجَوُّ أكثر دفئًا، تزداد انسيابية المادَّة، كزيت المصابيح».

«المادَّة» هي المصطلح الذي يُطلِقه اليايرومانسرات على النَّار الشَّعواء، كما أنهم يدعون بعضهم بعضًا بـ«صاحِب الحكمة»، الشَّيء الذي وجده تيريون مثيرًا للضِّيق، تمامًا كديدنهم في التَّلميح إلى خزائنِ المعارف السرِّيَّة الهائلة التي لديهم، راغبين في أن يعتقد أنهم يملكونها حقًّا. كانت رابطتهم قويَّةً ذات يوم، لكن خلال القرون الأخيرة حَلَّ مِايسترات «القلعة» محلَّ الخيميائيِّين في كلِّ مكانٍ تقريبًا، والآن لم يتبقَّ سوى عدد قليل من قُدماء الرَّابطة، الذين كفُّوا عن التَّظاهر بأنهم يستطيعون تحويل النُّحاس إلى ذهب...

... لكنهم يستطيعون تصنيع النَّار الشَّعواء على الأقل.

- «قيلَ لي إن الماء لا يُخمِدها».

- «هذا صحيح. بمجرَّد أن تشتعل المادَّة، ستظلُّ تحترق حتى تفنى، والأهمُّ أنها تتخلَّل الأقمشة والأخشاب والجلود، وحتى الفولاذ، فتتأجَّج أكثر».

تذكَّر تيريون الرَّاهب الأحمر ثوروس المايري وسيفه النَّاري، الذي كان يطليه بطبقةٍ خفيفةٍ من النَّار الشَّعواء، تكفي لأن تشتعل ساعةً كاملةً. دائمًا ما كان ثوروس يحتاج سيفًا جديدًا بَعد انتهاء الالتحام الجماعي، لكن روبرت كان مولعًا بالرَّجل، وأسعدَه دائمًا تزويده بسيفٍ جديد. «ولماذا لا تتخلَّل الفخَّار أيضًا؟».



قال هالاين: «أوه، إنها تتخلَّله. ثمَّة سرداب آخَر أسفلِ هذا نُخَزِّن فيه الجرار الأقدم، من أيام الملك إيرس. كان يستهويه أن يُشَكِّل الفخَّار على شكل فواكه... فواكه شديدة الخطر بالفعل يا حضرة اليد، و... هممم، ناضجة جدًّا الآن، إذا كنت تفهم ما أعنيه. سددنا تلك الجرار بالشَّمع، وضخخنا الماء في السِّرداب السُّفلي حتى ملأه تمامًا، ومع ذلك... الحق أنه كان من الواجب أن تُدَمَّر، لكن الكثير من عُمدائنا قُتِلوا أثناء نهْب كينجز لاندنج، والتَّلامذة القلائل الذين بقيوا لم يكونوا أهلًا للمهمَّة، كما أن كثيرًا من المخزون الذي صُنِعَ لإيرس فُقِدَ، والعام الماضي فقط تَمَّ اكتشاف مئتي جرَّةٍ في مخزنٍ أسفل سِبت بيلور الكبير. لا أحد يتذكَّر كيف وُضِعَت هناك، لكن من نافلة القول أن أُخبِرك أن السِّپتون الأعلى أصيبَ بهلعٍ شديد. أشرفتُ بنفسي على نقلها بأسلوبٍ آمن، فملأتُ عربةً بالرَّمل، وكلَّفتُ أقدر تلامذتنا بعمليَّة النَّقل، وعملنا ليلًا فقط، و...».

قاطَعه تيريون: «... أبليتم بلاءً رائعًا بلا شَك»، ووضعَ الجرَّة التي يحملها في مكانها بين أقرانها، الذين غطَّوا الطَّاولة في صفوفٍ مرتَّبةٍ من أربع، وامتدُّوا حتى تواروا في عتمة ما تحت الأرض؛ وكانت هناك طاولة أخرى بَعدها، وأخرى، وأخرى. «هذه الـ... آه، الفواكه التي زُرِعَت للملك الرَّاحل إيرس، أما زال من الممكن استخدامها؟».

- «أوه، نعم، بكلِّ تأكيد... لكن بحذرٍ شديد يا سيِّدي، بمنتهى الحذر، فكلما تقدَّم بها العُمر، تُصبِح المادَّة، هممم، متقلقلة، ومن شأن أيِّ لهبٍ أن يُشعِلها، أيِّ مستصغَر شرر. الحرارة العالية تجعل الجرار تشتعل من تلقاء ذاتها كذلك، وليس من الحكمة أن تضعها في نور الشَّمس، ولو فترةً قصيرةً. بمجرَّد أن تتَّقد النَّار في الدَّاخل، تتسبَّب الحرارة في تمدُّد المادَّة بصورةٍ عنيفة، وسرعان ما تنفجر الجرار إلى شظايا، وإذا تصادفَ وجود جرارٍ أخرى مخزَّنة على مقربة، فستشتعل بدورها، ثم...».

- «كم جرَّةً لديكم حاليًّا؟».



- «هذا الصَّباح أخبرَني صاحِب الحكمة مونشر أن لدينا سبعة آلاف وثمانمئة وأربعين، ويضمُّ هذا أربعة آلاف جرَّةٍ من عهد الملك إيرس بالطَّبع».

- «فواكهنا النَّاضجة أكثر من اللَّازم؟».

أومأَ هالاين الپايرومانسر برأسه قائلًا: «صاحِب الحكمة ماليارد على ثقةٍ بأننا سنُنتِج العشرة آلاف جرَّة التي وعَدنا بها الملكة، وأنا أتَّفقُ معه»، وبدا أنه مسرور على نحوٍ غير لائق بتلك الفكرة.

بافتراض أن يمنحك أعداؤنا الوقت. يُحافِظ الپايرومانسرات على سرِّيَّة وصفة النَّار الشَّعواء، لكن تيريون يعلم أنها عمليَّة طويلة وخطرة وتستهلك الوقت. كان يحسب أن وعد العشرة آلاف جرَّة ما هو إلَّا زهو فارغ، كحامل رايةٍ يتعهَّد بحشد عشرة آلاف محارب لحضرة اللورد، ثم يظهر يوم المعركة ومعه مئة واثنان. إذا استطاعوا حقًّا أن يصنعوا عشرة آلاف...

لا يدري إن كان عليه أن يَشعُر بالسُّرور أم الرُّعب. القليل من هذا والقليل من ذاك ربما. «أفترضُ أن إخوانك في الرَّابطة لا يعملون بأيِّ عجلةٍ لا داعي لها يا صاحِب الحكمة، فلسنا نُريد عشرة آلاف جرَّة من النَّار الشَّعواء المعيوبة، ولا جرَّةً واحدةً حتى... وبكلِّ تأكيدٍ لا نرغب في وقوع أيِّ حوادث».

- «لن تقع أيُّ حوادث يا حضرة اليد، فالمادَّة تُحَضَّر على يد تلامذةٍ مدرَّبين، في مجموعةٍ من الحُجيرات الحجريَّة العارية، وكلُّ جرَّةٍ ينقلها رجل متمرِّس إلى هنا بمجرَّد أن تجهز؛ وفوق كلِّ حُجيرة عمل هناك حُجرة مملوءة بالكامل بالرَّمل، وتَمَّ إلقاء تعويذة واقية على الأرضيَّات، هممم، قويَّة للغاية. أيُّ حريقٍ في حُجيرة عمل يجعل السَّقف ينهار، فتُخمِد الرِّمال اللَّهب في الحال».

- «ناهيك بأنها ستدفن التِّلميذ الأرعن». خطرَ لتيريون أن هالاين يعني «حيلة بارعة» عندما يقول «تعويذة»، وفكَّر أنه يُريد أن يتفحَّص واحدةً من تلك الحُجيرات ذات السُّقوف الهشَّة، ليرى طريقة العمل، لكن الوقت غير مناسب. بَعدما يربحون الحرب ربما.



- «إخواني لا يتصرَّفون برعونةٍ أبدًا»، قال هالاين بإصرار، ثم أردفَ: «أرجو أن تسمح لي بأن أتكلَّم، هممم، بصراحة...».

- «أوه، تفضَّل».

- «المادَّة تسري في عروقي، وتعيش في قلب كلِّ پايرومانسر. إننا نحترم قوَّتها، لكن الجندي التَّقليدي، همممم، في طاقم واحدةٍ من نافثات لهب الملكة على سبيل المثال، في خضمِّ المعمعة حيث لا يوجد وقت للتَّفكير... من شأن أيِّ خطأ صغير أن يُفضي إلى كارثة، ولا يُمكن المبالَغة أبدًا في توكيد هذه الحقيقة. كثيرًا ما كان أبي يُرَدِّد هذا التَّحذير على مسامع الملك إيرس، تمامًا كما فعلَ أبوه مع الملك چهيرس من قبله».

قال تيريون: «لا بُدَّ أنهما أصغيا إذن. كان أحدهم ليُخبِرني لو أن المدينة احترقَت عن بكرة أبيها. نصيحتك إذن أن نتوخَّى الحذر؟».

أجابَ هالاين: «الحذر الشَّديد جدًّا، الشَّديد جدًّا جدًّا».

- «تلك الجرار الفخَّاريَّة، ألديكم مخزون كبير منها؟».

- «أجل يا سيِّدي، ونَشكُرك على السُّؤال».

- «لن تُمانِعوا أن آخذ بعضها إذن، بضعة آلاف».

- «بضعة آلاف؟».

- «أو أيًّا كان العدد الذي تستطيع رابطتكم الاستغناء عنه دون تعطيل الإنتاج. افهم أني أطلبُ جرارًا خاليةً. أريدك أن تُرسِلها إلى قادة الحَرس على كلٍّ من بوَّابات المدينة».

- «سأفعلُ يا سيِّدي، لكن لماذا؟».

رفعَ تيريون وجهه إليه مبتسمًا، وقال: «عندما تقول لي أن أرتدي ثيابًا ثقيلةً، أرتدي ثيابًا ثقيلةً، وعندما تقول لي أن أتوخَّى الحذر... لا داعي لأن أُكمِل»، وهَزَّ كتفيه وأعلنَ: «رأيتُ ما يكفي. هلَّا تفضَّلت باصطحابي إلى نقَّالتي؟».

قال هالاين: «من دواعي، هممم، سروري أن أفعل يا سيِّدي»، ورفعَ المصباح وقادَ الطَّريق المفضي إلى السَّلالم، وتابعَ: «تلطُّف بالغ منك أن تزورنا، شَرف عظيم، هممم، فقد مضى وقت طويل منذ مَنَّ يد الملك علينا



بحضوره، منذ أيام اللورد روسارت الذي كان ينتمي لرابطتنا. كان هذا في عهد الملك إيرس، الذي أبدى اهتمامًا عظيمًا بعملنا».

الملك إيرس استغلَّكم لشواء لحم أعدائه وهُم على قيد الحياة. لقد قَصَّ عليه أخوه چايمي بضع حكاياتٍ عن الملك المجنون وپايرومانسراته المدلَّلين. قال: «لا شَكَّ أن چوفري سيهتمُّ بدوره»، ولهذا ينبغي أن أُبعده عنك تمامًا.

- «أملنا عظيم في أن يزور جلالته مقرَّ الرَّابطة بذاته الملكيَّة. تكلَّمتُ عن هذا مع السيِّدة أختك، احتفال عظيم...».

قال تيريون شاعرًا بالجَوِّ يزداد دفئًا مع صعودهما: «جلالته منعَ كلَّ الاحتفالات حتى تضع الحرب أوزارها». بإصرارٍ مني. «الملك يرى أن من غير اللَّائق أن نستمتع بأفضل الأطعمة بينما لا يجد شعبه كسرة خُبز».

- «لفتة، هممم، في غاية العطف يا سيِّدي. ربما يُمكن لبعضنا بدلًا من هذا أن يزوروا الملك في القلعة الحمراء إذن، نُقَدِّم عرضًا صغيرًا لقُدراتنا، إذا جازَ التَّعبير، لإلهاء جلالته عن مشاغله الكثيرة مدَّة أمسيَّة. النَّار الشَّعواء ليست إلَّا سرًّا واحدًا من الأسرار الرَّهيبة التي تحتفظ بها رابطتنا العتيقة، ونستطيع أن نُريكم العجب العُجاب».

- «سأعرضُ الأمر على أختي». ليس لدى تيريون اعتراض على بضع حيلٍ سحريَّة، لكن ولع چوف بجعل الرِّجال يتقاتَلون حتى الموت بلاء في حَدِّ ذاته، يكفي ويزيد، وهو لا ينوي أن يسمح للصَّبي بتذوُّق ما تعدُ به احتمالات حرق النَّاس أحياء كذلك.

عندما بلغا قمَّة السَّلالم أخيرًا، خلعَ تيريون معطفه وطواه على ذراعه. مقرُّ رابطة الخيميائيِّين عبارة عن جُحرٍ مهيب من الحجارة السَّوداء، لكن هالاين قادَه عبر المنعطفات والمنحنيات حتى وصلا إلى دهليز المشاعل الحديديَّة، رواق طويل يرتدُّ صدى الصَّوت عن جُدرانه، وتَرقُص فيه ألسنة طويلة من النِّيران الخضراء وتتلوَّى حول أعمدةٍ معدنيَّةٍ سوداء ترتفع عشرين قدمًا؛ يومض اللَّهب الشَّبحي على رخام الجُدران والأرضيَّة الأسود المصقول،



ويُغرِق الدِّهليز ببريقٍ زمرُّدي. كان تيريون لينبهر بالعرض أكثر لو لم يعلم أن المَشاعل الحديديَّة أوقِدَت هذا الصَّباح فقط على شَرف زيارته، وستُطفَأ لحظة أن يُغلَق الباب وراءه، فالتَّبذير في استخدام النَّار الشَّعواء يُكلِّف الكثير.

خرجا على قمَّة الدَّرجات العريضة المنحنية التي تطلُّ على شارع الأخوات، بالقُرب من سفح تَلِّ ڤيزينيا، ثم ودَّع تيريون هالاين، وتوجَّه متمايلًا نحو تيميت بن تيميت الذي ينتظره مع فرقةٍ من الرِّجال المحروقين. مع وضع مهمَّته اليوم في الاعتبار، وجدَ أن اختيارهم لحراسته هو القرار الأصحُّ على الإطلاق، كما أن ندوبهم تُثير الخوف في قلوب صعاليك المدينة، وهذا مفيد جدًّا هذه الأيام، فقبل ثلاث ليالٍ فقط احتشدَت طغمة أخرى منهم عند بوَّابات القلعة الحمراء، تزعق طالبةً الطَّعام، فأطلقَ عليهم چوفري عاصفةً من السِّهام ليَقتُل أربعةً منهم، ثم صاحَ فيهم أن لديهم إذنه بأكل موتاهم. ليكسب لنا مزيدًا من الأصدقاء.

أدهشَ تيريون أن رأى برون واقفًا أيضًا إلى جوار المحفَّة، فسألَه: «ماذا تفعل هنا؟».

أجابَ برون: «أوصِّلُ رسائلك. چاسلين ذو القبضة الحديديَّة يُريدك لأمرٍ مُلِحٍّ عند بوَّابة الآلهة، ويَرفُض أن يقول السَّبب، كما أنك مُستدعى إلى حصن ميجور كذلك».

- «مُستدعى؟». يعرف تيريون أن شخصًا واحدًا فقط يتجرَّأ على استخدام تلك الكلمة، فقال: «وما الذي تُريده سرسي مني؟».

هَزَّ برون كتفيه، وقال: «الملكة تأمرك بالعودة إلى القلعة في الحال والمثول أمامها في مسكنها. ابن عمِّك إياه الذي يُقارب الرُّشد هو من وصَّل الرِّسالة. أربع شُعيرات فوق شفته ويحسب نفسه رجلًا».

- «أربع شُعيرات وفُروسيَّة. إنه السير لانسل الآن، لا تنسَ هذا أبدًا». فكَّر تيريون أن السير چاسلين لن يُرسِل في طلبه ما لم تكن المسألة ملحَّةً حقًّا، فقال: «الأفضل أن أرى ما يُريده بايووتر. بلِّغ أختي أني سأمثلُ أمامها بَعد عودتي».



قال برون منذرًا: «لن يروقها هذا».

- «جميل. كلما انتظرَت سرسي مدَّةً أطول توهَّج غضبها أكثر، والغضب يجعلها حمقاء، وأنا أوثِرُ الغاضب الأحمق على رابط الجأش الأريب»، ثم ألقى تيريون معطفه المطوي داخل النقَّالة، وساعدَه تيميت على الصُّعود وراءه.

ميدان السُّوق الواقع داخل بوَّابة الآلهة، والذي يكتظُّ في الأوقات العاديَّة بالمُزارعين الذين يبيعون خضراواتهم، كان شِبه مهجورٍ عندما عبرَه تيريون، ثم قابَله السير چاسلين عند البوَّابة، ورفعَ يده الحديد بتحيَّةٍ جافَّة، وقال: «سيِّدي، كليوس فراي ابن عمِّك هنا، جاءَ من ريفررَن تحت راية سلامٍ حاملًا رسالةً من روب ستارك».

- «شروط سلام؟».

- «هذا ما يقوله».

- «ابن عمِّي العزيز أرني إياه».

كان ذوو المعاطف الذَّهبيَّة قد احتجَزوا السير كليوس في غُرفة حراسةٍ بلا نوافذ في مبنى البوَّابة، وعندما دخَل تيريون وبايووتر، نهضَ قائلًا: «تيريون، رؤيتك تسرُّني حقًّا».

- «لا أسمعُ من يقول لي هذا كثيرًا يا ابن العم».

- «هل أتَت سرسي معك؟».

قال تيريون: «أختي مشغولة بأمورٍ أخرى. أهذه رسالة ستارك؟»، واختطفَ الرَّقَّ من على الطَّاولة قائلًا: «سير چاسلين، يُمكنك أن تترُكنا الآن».

حنى بايووتر رأسه وخرجَ، وقال السير كليوس بَعدما انغلقَ الباب: «طُلِبَ مني أن يُقَدَّم هذا العرض للملكة الوصيَّة على العرش».

قال تيريون: «هذا ما سأفعله»، وجاسَت عيناه في الخارطة التي أرفقَها روب ستارك بالرِّسالة، وأضافَ: «كلُّ شيءٍ في أوانه يا ابن العم. استرِح، فأنت تبدو هزيلًا مُضنى». كان كليوس يبدو أسوأ من هذا في الحقيقة.

قال كليوس وهو يُعاوِد الجلوس على الدِّكَّة: «نعم. الأوضاع سيِّئة في



أراضي النَّهر يا تيريون، حول «عين الآلهة» وعلى طريق الملوك بالذَّات. لوردات النَّهر يُحرِقون محاصيلهم بأنفسهم كي يُجَوِّعونا، ومُغيرو أبيك يُشعِلون النَّار في كلِّ قريةٍ يأخذونها ويُقَتِّلون أهلها».

سَمْتُ الحرب أن يُذَبَّح العامَّة، بينما يُؤسَر النُّبلاء ويُطلَق سراحهم مقابل فدية. ذكِّرني أن أشكر الآلهة لأني وُلدتُ لانستر.

مرَّر السير كليوس يده في شَعره البنِّي الخفيف، وقال: «هوجِمنا مرَّتين على الرغم من راية السَّلام، ذئاب ترتدي الحديد، متعطِّشة لسَفك دم كلِّ مَن هُم أضعف منها. الآلهة وحدها تعلم أيُّ جانبٍ كانوا يُناصِرون في البداية، لكنهم في صَفِّ أنفسهم فقط الآن. فقدتُ ثلاثة رجال، وجُرِحَ ضِعف هذا العدد».

عادَ تيريون يصبُّ انتباهه على شروط ستارك، وسألَ: «ما أخبار عدوِّنا؟».

الصَّبي لا يُريد الكثير، نصف البلاد فقط، وإطلاق سراح رجاله الأسرى، وبضع رهائن، وسيف أبيه... أوه، وأختيه طبعًا.

- «الصَّبي يتلكَّأ في ريفررَن. أعتقدُ أنه يخشى مواجَهة أبيك في ميدان المعركة، وقُواه تضعف كلَّ يوم، فقد رحلَ لوردات النَّهر، ليعتني كلٌّ منهم بأراضيه».

أهذا ما يهدف إليه أبي؟ طوى تيريون خريطة ستارك، وقال: «هذه الشُّروط لن تَصلُح أبدًا».

سألَه السير كليوس بأسى: «هل ستُوافِق على الأقل على مبادَلة ابنتي ستارك بتيون وويلم؟».

تذكَّر تيريون أن تيون فراي أخو كليوس الصَّغير، وقال برفق: «كلا، لكننا سنُقَدِّم عرضنا الخاص لتبادُل الأسرى. دعني أتشاوَر مع سرسي والمجلس، وسنُرسِلك إلى ريفررَن بشروطنا نحن».

من الواضح أن إمكانيَّة نجاح هذا لم تسرَّه، فقال: «سيِّدي، لا أعتقدُ أن روب ستارك سيُذعِن بسهولة. الليدي كاتلين هي الرَّاغبة في السَّلام، وليس الصَّبي».



قال تيريون: «الليدي كاتلين تُريد ابنتيها»، ثم نزلَ من على الدِّكَّة وفي يده الرِّسالة والخريطة، وأردفَ: «سيحرص السير چاسلين على تزويدك بالطَّعام ونارٍ للتَّدفئة. إنك تبدو في أمسِّ الحاجة إلى النَّوم يا ابن العم. سأرسلُ في طلبك عندما نعرف المزيد».

وجدَ السير چاسلين على الأسوار، يُراقِب عدَّة مئات من المجنَّدين الجُدد الذين يتدرَّبون في الحقل في الأسفل. كثيرون جدًّا يبحثون عن ملاذٍ في كينجز لاندنج، وبالتَّالي ليس هناك نقص في الرِّجال الرَّاغبين في الانضمام إلى حَرس المدينة، في سبيل معدةٍ ممتلئةٍ وسريرٍ من القَشِّ في الثُّكنات، لكن لم تكن لدى تيريون أوهام بخصوص براعة هؤلاء البائسين في الدِّفاع عن المدينة إذا شبَّت المعركة.

قال تيريون: «أحسنت التصرُّف عندما أرسلت إليَّ. سأتركُ السير كليوس بين يديك. أريده أن يُعامَل بكلِّ حفاوة».

سألَه قائد الحَرس: «وماذا عن الفرقة المصاحبة له؟».

- «أعطِهم طعامًا وثيابًا نظيفةً، واعثُر على مِايستر يُداوي إصاباتهم، لكن إياك أن يخطوا خطوةً واحدةً داخل المدينة، مفهوم؟». لن ينفعهم أبدًا أن تَبلُغ حقيقة الأوضاع في كينجز لاندنج روب ستارك في ريڤررَن.

- «مفهوم تمامًا يا سيِّدي».

- «أوه، وشيء آخَر. سيُرسِل الخيميائيُّون مخزونًا كبيرًا من الجرار الفخَّاريَّة إلى كلِّ من بوَّابات المدينة، وستستخدمها لتدريب الرِّجال الذين سيعملون على نافثات اللَّهب. املأ الجرار بطلاءٍ أخضر ودرِّبهم على تلقيمها وإطلاقها. أيُّ رجلٍ يَنثُر قطرةً يجب استبداله في الحال، وعندما يتمرَّسون على التَّعامُل مع جِرار الطِّلاء، استخدم زيت المصابيح، واجعلهم يتمرَّنون على إيقاد الجرار وإطلاقها وهي مشتعلة. بمجرَّد أن يتعلَّموا هذا دون أن يُحرِقوا أنفسهم، فربما يكونون مستعدِّين للنَّار الشَّعواء».

حَكَّ السير چاسلين خدَّه بيده الحديديَّة، وقال: «إجراءات حكيمة، وإن كنتُ لا أكنُّ حبًّا لبول الخيميائيِّين هذا».



- «ولا أنا، لكني أستغلُّ ما في متناوَلي».

عندما عادَ إلى نقَّالته، أغلقَ تيريون لانستر السَّتائر وطوى وسادةً تحت مِرفقه. سيُكَدِّر سرسي أن تعرف أنه اعترضَ سبيل رسالة ستارك، لكن أباه أرسلَه إلى هنا ليَحكُم، لا ليُرضي سرسي.

يبدو له أن روب ستارك أعطاهم فرصةً ذهبيَّةً. فليبقَ الصَّبي في ريفررَن يَحلُم بسلام سهل. سيردُّ تيريون بشروطه الخاصَّة، ويُلَبِّي من مَطالب الملك في الشَّمال ما يكفي لأن يظلَّ متمسِّكًا بالأمل. دَع كليوس فراي يُبلي عجيزته على ظهور الخيول ذهابًا وإيابًا بالعروض والعروض المضادَّة، وبينما يدور كلُّ هذا سيستمرُّ السير ستافورد في تدريب وتسليح الجيش الجديد الذي حشدَه في كاسترلي روك، وبمجرَّد أن يستعدَّ، يُمكنه مع اللورد تايوين أن يسحقا آل تَلي وستارك معًا بينهما.

ألا ليت ستانيس ورنلي يكونان بهذا التَّعاوُن. على الرغم من تقدُّمه البطيء، فما زال رنلي باراثيون يزحف شَمالًا وشَرقًا بجيشٍ جَنوبيٍّ عرمرم، ولا تكاد ليلة تمرُّ دون أن يخشى تيريون أن يستيقظ على خبَر دخول أسطول اللورد ستانيس النَّهر الأسود. طيِّب، يبدو أن لديَّ مخزونًا كبيرًا من النَّار الشَّعواء، ومع ذلك...

قاطعَ لغط في الشَّارع أفكاره القلقة، فألقى نظرةً حذرةً من بين السَّتائر. كانوا يقطعون ميدان الأساكفة، حيث تجمهرَ حشد كبير تحت مظلَّات النَّوافذ الجِلديَّة، ليُصغوا إلى نبيٍّ يتشدَّق بالكلام. هتفَ الرَّجل بصوتٍ مجلجِل: «الفساد! ها هي الآية! أبصِروا سَوط «الأب»!»، وأشارَ إلى الجرح الأحمر النَّازف في السَّماء. من هذا الموقع تلوح القلعة البعيدة على تَلِّ إجون العالي من ورائه مباشرةً، والمذنَّب معلَّق فوق أبراجها منذرًا بالويل، فقال تيريون لنفسه: اختيار ذكي للمسرح، بينما تابعَ الرَّجل: «لقد انتفَخنا، تورَّمنا، تعفَّنَّا. الأخ يُجامِع أخته في فِراش الملوك، ويتبختر نِتاج سِفاحهما في قصره على أنغام مزمار قردٍ شيطاني منحرف. والنَّبيلات عاليات المقام يزنين مع المهرِّجين ويُنجِبن وحوشًا! حتى السِّپتون الأعلى نفسه نسيَ الآلهة! يستحمُّ



بالماء المعطَّر ويسمن يومًا بَعد يومٍ بينما يتضوَّر ناسه جوعًا! العنجهيَّة تسبق خشوع الصَّلاة، والدُّود يَحكُم في القلاع، والذَّهب كلُّ شيء... لكن ليس بَعد اليوم! انقضى الصَّيف العفِن، وسقطَ الملك زير النِّساء! عندما فتحَ الخنزير بطنه تصاعدَت رائحة مُنتِنة إلى السَّماوات، وخرجَت ألف حيَّةٍ من معدته، تهسُّ وتلدغ!»، ولوَّح بإصبعه الرَّفيع في اتِّجاه القلعة والمذنَّب ثانيةً، وواصلَ: «قد أتى النَّذير، والآلهة تصيح فيكم أن تُطَهِّروا أنفسكم وإلَّا تُطَهَّرون! تحمَّموا بخمر الاستقامة أو ستُحَمَّمون بالسَّعير! السَّعير!».

- «السَّعير!»، ردَّدت أصوات أخرى، لكن صيحات الاستهزاء والاستهجان أغرقَتها، ووجدَ تيريون في هذا شيئًا من العزاء. ألقى الأمر بمواصَلة التقدُّم، واهتزَّت النقَّالة كسفينةٍ في بحرٍ ثائرٍ والرِّجال المحروقون يُفسِحون الطَّريق. قرد شيطاني منحرف بالفعل. لدى المأفون حَقٌّ إزاء السِّپتون الأعلى. ما الذي قاله فتى القمر عنه منذ أيام؟ رجل بار يَعبُد «السَّبعة» بحماسةٍ شديدة، حتى إنه يأكل وجبةً لكلٍّ منهم كلما جلسَ إلى مائدة. رسمَت ذكرى مزحة المهرِّج ابتسامةً على شفتي تيريون.

سرَّه أنه بلغَ القلعة الحمراء دون أن يعترض طريقه شيء آخَر، وشعرَ وهو يصعد الدَّرجات إلى مسكنه بأملٍ أكبر مما كان لديه فَجر اليوم. الوقت هو كلُّ ما أحتاجه حقًّا، الوقت لوضْع كلِّ شيءٍ في مكانه. بمجرَّد أن تنتهي السِّلسلة...

فتحَ باب غُرفته الشَّمسيَّة، فالتفتَت سرسي عن النَّافذة وفُستانها يلتفُّ كدوَّامةٍ حول وَركيها النَّحيلين، وقالت غاضبةً: «كيف تجرؤ على تجاهُل استدعائي لك؟!».

- «من أدخَلكِ بُرجي؟».

- «بُرجك؟ هذه قلعة ابني الملكيَّة».

- «سمعتُ هذا». شعرَ تيريون بالاستياء، ولا بُدَّ أن كرون سيَشعُر باستياءٍ أكبر، فرجاله من إخوة القمر يتولَّون الحراسة اليوم. «كنتُ على وشك أن آتي إليكِ في الواقع».



- «حقًّا؟».

دفعَ الباب ليُغلِقه وراءه، وقال: «أترتابين في كلامي؟».

- «دائمًا، ولأسبابٍ وجيهة».

قال تيريون: «كلماتك تُؤلِم»، وسارَ متهاديًا إلى الخُوان ناشدًا كأسًا من النَّبيذ، فهو لا يعرف طريقةً للإصابة بالعطش الشَّديد أضمن من الكلام مع سرسي. «إذا كنتُ أسأتُ إليكِ بشكلٍ ما، فأريدُ أن أعرف كيف».

- «يا لك من دودةٍ حقيرة مُقرفة! مارسلا ابنتي الوحيدة. أكنت تتخيَّل حقًّا أني سأسمحُ لك ببيعها كجوالٍ من الدَّقيق؟».

مارسلا. عظيم، فقسَت البيضة إذن، لنرَ لون الفرخ. «ليست جوال دقيق على الإطلاق. مارسلا أميرة، وسيقول لك البعض إن هذا ما وُلِدَت لتكونه. أم أنكِ كنتِ تُخَطِّطين لتزويجها تومن؟».

اندفعَت يدها كالسَّوط ضاربةً كأس النَّبيذ من يده لتنسكِب على الأرض، وقالت: «حريٌّ بي أن أقطع لسانك لقولك هذا، سواء أكنت أخي أم لا. إنني الوصيَّة على چوفري، وليس أنت، وأقولُ إن مارسلا لن تُسَلَّم إلى ذلك الدورني كما سُلِّمتُ إلى روبرت باراثيون».

نفضَ تيريون النَّبيذ عن أصابعه، وتنهَّد قائلًا: «ولِمَ لا؟ في دورن ستكون في أمانٍ أكثر من هنا بكثير».

- «أأنت غِرٌّ ساذج أم مجرَّد منحرف؟ إنك تعلم مثلي تمامًا أن آل مارتل لا يُحِبُّوننا».

- «آل مارتل لديهم كلُّ الأسباب التي تحضُّهم على كراهيتنا، وعلى الرغم من ذلك أتوقَّعُ أن يقبلوا، فعداوة الأمير دوران لعائلة لانستر ترجع جيلًا واحدًا فقط، بينما حاربَ الدورنيُّون كلًّا من ستورمز إند وهايجاردن ألف سنة، ورنلي يعتبر ولاء دورن له أمرًا مسلَّمًا به. مارسلا في التَّاسعة، وتريستان مارتل في الحادية عشر، وقد عرضتُ أن يتزوَّجا عندما تَبلُغ الرَّابعة عشر، وحتى ذلك الحين ستنزل ضيفةً معزَّزةً مكرَّمةً في صنسپير، تحت حماية الأمير دوران».

قالت سرسي وفمها ينقبض: «تقصد رهينةً».



- «ضيفة معزَّزة مكرَّمة»، كرَّر تيريون بإصرار. «وأومنُ بأن مارتل سيُعامِل مارسلا بكياسةٍ أكبر مما عاملَ چوفري سانزا ستارك. أفكِّرُ في إرسال السير آريس أوكهارت معها أيضًا، فمع وجود فارسٍ من الحَرس الملكي كحارسٍ شخصيٍّ لها، لن ينسى أحد مَن أو ماذا تكون».

- «لن ينفعها السير أوكهارت كثيرًا إذا قرَّر دوران مارتل أن دم ابنتي سيُعَوِّضه عن دم أخته».

- «مارتل أشرف من أن يَقتلُ فتاةً في التَّاسعة، بالذَّات فتاة بريئة عذبة مِثل مارسلا. ما دامَت عنده، فسيظلُّ واثقًا إلى حَدٍّ كبير بالتزامنا بالاتِّفاق، وإغراء العرض أقوى من أن يَرفُضه. مارسلا أقلُّ ما في الأمر، لأني عرضتُ عليه أيضًا قاتِل أخته، ومقعدًا في المجلس، وبضع قلاع في تخوم دورن...».

قاطعَته سرسي وهي تبتعد عنه بتحفُّز اللَّبؤة وفُستانها يتموَّج: «كثير جدًّا، عرضت الكثير جدًّا، ودون موافَقتي أو موافَقة المجلس».

- «إننا نتكلَّم عن أمير دورن. لو عرضتُ أقلَّ من هذا لبصقَ في وجهي».

التفتَت إليه مسرعةً، وردَّدت: «كثير جدًّا!».

صاحَ تيريون وقد بدأت جذوة غضبه تتَّقد: «ما الذي كنتِ لتعرضينه عليه إذن؟ تلك الفُرجة بين ساقيكِ؟».

هذه المرَّة رأى الصَّفعة تهوي على وجهه، ودار عُنقه مصدرًا طقطقةً، فقال لها: «أختي الجميلة الغالية، إنها آخِر مرَّةٍ تضربينني، هذا وعد».

ضحكَت أخته قائلةً: «لا تُهَدِّدني أيها الصَّغير. أتحسب أن رسالة أبي تضمن لك الأمان؟ إنها مجرَّد قطعة ورق. إدارد ستارك كان يحمل قطعة ورقٍ أيضًا، فبِمَ نفعَته؟».

إدارد ستارك لم يكن يملك حَرس المدينة، ولا رجال القبائل، ولا المرتزِقة الذين استأجرَهم برون، أمَّا أنا فلديَّ كلُّ هؤلاء. أو أن هذا ما يأمله. الثِّقة بڤارس، والسير چاسلين بايووتر، وبرون... لا بُدَّ أن اللورد ستارك كانت لديه أوهامه أيضًا. على أنه لم يقل شيئًا، فالحكيم لا يصبُّ نارًا شعواء على مستوقَدٍ مشتعل، وبدلًا من هذا صَبَّ كأس نبيذٍ أخرى، وقال لسرسي:



«كم ستكون مارسلا آمنةً في رأيكِ إذا سقطَت كينجز لاندنج؟ سيُعَلِّق رنلي وستانيس رأسها على خازوقٍ إلى جوار رأسكِ».

وانهمرَت دموع سرسي.

لو أن إجون الفاتح نفسه اقتحمَ الغُرفة الآن على متن تنِّين وهو يُشَقلِب فطائر اللَّيمون في الهواء، لما ازدادَ الذُّهول الذي أصابَه في تلك اللَّحظة. إنه لم يرَ أخته تبكي منذ كانا طفلين في كاسترلي روك. بارتباكٍ تقدَّم منها خطوةً، فمن المفترَض عندما تبكي أختك أن تُواسيها... لكن هذه سرسي! متردِّدًا مَدَّ يده إلى كتفها، لكنها صاحَت مجفلةً: «لا تلمسني!». لم يكن ينبغي أن تجرحه الكلمة، لكنها فعلَت. بوجهٍ محتقن غضبًا وألمًا جاهدَت سرسي لالتقاط أنفاسها متمتمةً: «لا تَنظُر إليَّ، ليس... ليس هكذا... ليس أنت!».

أدارَ تيريون ظَهره لها بأدب، وقال: «أؤكِّدُ لكِ أني لم أقصد أن أخيفكِ. لا شيء سيَحدُث لمارسلا».

قالت من ورائه: «كاذب. إنني لستُ طفلةً تُهَدِّئ روعها بالوعود الفارغة. سبقَ أن قُلت لي إنك ستُحَرِّر چايمي أيضًا، فأين هو؟».

- «في ريڤررَن على حَدِّ علمي، آمن وتحت الحراسة، إلى أن أجد وسيلةً لتحريره».

تنشَّقت سرسي وقالت: «كان ينبغي أن أولَد رجلًا، وحينئذٍ لم أكن لأحتاج أحدًا منكم، أو أسمح لشيءٍ من هذا بالحدوث. كيف تركَ چايمي ذلك الصَّبي يأسره؟ وأبي، لحماقتي اتَّكلتُ عليه، لكن أين هو الآن ونحن نحتاجه؟ ماذا يفعل بالضَّبط؟».

- «يخوض حربًا».

قالت باستهجان: «من وراء أسوار هارنهال؟ طريقة مريبة للقتال، تجعَله يبدو للنَّاظر كأنه مختبئ».

- «أعيدي النَّظر».

- «ماذا يكون هذا إذن إن لم يكن اختباءً؟ أبي جالس في قلعة، وروب ستارك في أخرى، ولا أحد يُحَرِّك ساكنًا».



- «ثمَّة جلوس وثمَّة جلوس. كلٌّ منهما ينتظر أن يتحرَّك الآخَر، لكن الأسد ثابت ومنتبه وذيله يختلج، بينما الظَّبي الصَّغير متجمِّد خوفًا، ويكاد يتغوَّط على نفسه، فأينما ذهبَ سينال منه الأسد، وهو يعرف هذا».

- «وأنت موقن من أن أبانا هو الأسد؟».

قال تيريون مبتسمًا: «الأسد على راياتنا كلها».

تجاهلَت الدُّعابة، وقالت: «لو أن أبي هو الأسير، فلم يكن چايمي ليُضَيِّع الوقت سُدى».

كان چايمي ليُمَزِّق جيشه إلى أشلاء دامية على أسوار ريفررَن، وليأخذ «الآخَرون» فُرصتهم في النَّصر. إنه لم يكن من النَّوع الصَّبور قَطُّ، ولا أنتِ كذلك يا أختاه. «لسنا جميعًا بجسارة چايمي، لكن هناك طرائق أخرى للفوز في الحروب. هارنهال قويَّة وموقعها ممتاز».

- «وكينجز لاندنج ليست كذلك، كما يعلم كلانا جيِّدًا، وبينما يلعب أبي الأسد والظَّبي مع ابن ستارك، يزحف رنلي على الطَّريق الوردي، ويُمكن نجده على الأبواب في أيِّ يومٍ الآن!».

- «المدينة لن تَسقُط في يوم، والزَّحف من هارنهال على طريق الملوك سريع وفي خَطٍّ مستقيم. لن يكون رنلي قد انتهى من نصْب آلات الحصار قبل أن يُهاجِمه أبي من المؤخِّرة، وسيكون جيشه المطرقة وأسوار المدينة السِّندان. صورة جميلة».

أمعنَت عينا سرسي الخضراوان النَّظر فيه كالمسبار، بحذرٍ لكن بنهمٍ للطَّمأنة التي يُطعِمها إياها، وقالت: «وإذا بدأ روب ستارك الزَّحف؟».

- «هارنهال قريبة من مخاضات الثَّالوث، بحيث لا تسمح لرووس بولتون بأن يَعبُر بالمُشاة الشَّماليِّين للانضمام إلى خيَّالة الذِّئب الصَّغير. ستارك لا يستطيع الزَّحف إلى كينجز لاندنج دون الاستيلاء على هارنهال أولًا، ثم إنه ليس قويًّا كفايةً ليفعل ذلك، حتى ومُشاة بولتون معه»، ورسمَ تيريون على وجهه أوسع ابتسامةٍ ظافرةٍ يقدر عليها مضيفًا: «وفي تلك الأثناء يتغذَّى أبي على خير أراضي النَّهر، بينما يحشد السير ستافورد جُندًا جُددًا في «الصَّخرة»».



رمقَته سرسي بشَكٍّ قائلةً: «كيف تعرف كلَّ هذا؟ هل أخبرَك أبي بنيَّاته قبل أن يُرسِلك؟».

- «كلا، بل ألقيتُ نظرةً على خارطة».

استحالَت نظرتها إلى الازدراء وهي تقول: «لقد أعددت كلَّ كلمةٍ من هذا في عقلك المريض، أليس كذلك أيها العِفريت؟».

طقطقَ تيريون بلسانه، وقال: «أختي العزيزة، دعيني أسألكِ، لو لم نكن الرَّابحين، فهل كان آل ستارك ليَطلُبوا السَّلام؟»، ثم أخرجَ الرِّسالة التي أحضرَها كليوس فراي، وتابعَ: «الذِّئب الصَّغير أرسلَ لنا شروطًا، شروطًا غير مقبولةٍ بالتَّأكيد، لكنها بداية. أترغبين في الاطِّلاع عليها؟».

- «نعم». بهذه السُّرعة عادَت سرسي ملكةً من جديد. «كيف وصلَتك؟ المفترَض أن تأتيني مباشرةً».

قال تيريون: «وما فائدة يد الملك إن لم يُناوِلكِ شيئًا أو آخَر؟». كانت وجنته لا تزال تُؤلِمه حيث تركَت يد سرسي أثرها. فلتَسلُخ نصف وجهي. ثمن زهيد لموافَقتها على مصاهَرة دورن. إنه يعرف الآن أنه سيَحصُل على هذه الموافَقة.

ويعرف هويَّة الجاسوس الآن كذلك... صفقة رابحة حقًّا.





بران

وضَعوا على دانسر كسوةً من الصُّوف الأبيض النَّاصع كالثَّلج، مزيَّنةً بذئب عائلة ستارك الرَّهيب بلونه الرَّمادي، بينما ارتدى بران سراويل رماديَّةً وسُترةً بيضاء موشَّاة بالفرو عند الكُمَّين والياقة، وفوق قلبه ثبَّت دبُّوسه ذا شكل رأس الذِّئب، المصنوع من الفضَّة والكهرمان الأسود المصقول. إنه يُحَبِّذ أن يكون سَمر إلى جانبه بدلًا من وجود الذِّئب الفضِّي على صدره، لكن رفْض السير رودريك كان قاطعًا.

أعاقَت الدَّرجات الحجريَّة الواطئة دانسر لحظةً واحدةً فقط، لكنها صعدَتها بيُسرٍ عندما حثَّها بران، ووراء مصراعي الباب المصنوعين من السَّنديان والحديد، ملأَت ثمانية صفوفٍ طويلة من الموائد قاعة وينترفل الكُبرى، أربعة على كلِّ جانبٍ من الممشى الذي يشقُّ منتصَف المكان. تزاحمَ الرِّجال بأكتافٍ متلاصقةٍ على الدِّكك، وهتفوا ناهضين حين مَرَّ بهم بران على فَرسه. «ستارك! وينترفل! وينترفل!».

كان كبيرًا بما يكفي لأن يعرف أنهم لا يهتفون له هو حقًّا، بل هُم متهلِّلون للحصاد، لروب وانتصاراته، والسيِّد والده وجدِّه وكلِّ أسلاف عائلة ستارك المتجذِّرة منذ ثمانية آلاف عام. غير أن هذا لم يمنع أوداجه من الانتفاخ زهوًا، وطيلة المدَّة التي استغرقَها في قطْع القاعة حتى نهايتها، نسيَ أنه مكسور.

لكن عندما بلغَ المنصَّة وكلُّ عينٍ مسلَّطة عليه، حلَّت أوشا وهودور الأربطة والأحزمة، ورفعاه عن ظَهر دانسر، ثم حملاه إلى مقعد آبائه العالي.

جلسَ السير رودريك إلى يسار بران، وإلى جواره ابنته بِث، بينما جلسَ



ريكون إلى يمينه، وقد استطالَ شَعره الكستنائي الأشعث كثيرًا حتى تدلَّى على معطفه المصنوع من فرو القاقوم. منذ رحلَت أمُّهما وريكون يَرفُض السَّماح لأيِّ أحدٍ بقصِّه، وآخِر فتاةٍ حاولَت تلقَّت عضَّةً. قال ريكون بينما قادَ هودور دانسر من القاعة: «أردتُ أن أركب أيضًا. إنني أركبُ أفضل منك».

قال بران لأخيه: «غير صحيح، فاصمُت»، ثم هدرَ السير رودريك في الجموع طالبًا منهم الصَّمت، ليرفع بران صوته بالكلام. رحَّب بهم باسم أخيه روب الملك في الشَّمال، وطلبَ منهم أن يَشكُروا الآلهة القديمة والجديدة على انتصارات روب والحصاد الوفير، وختمَ كلمته رافعًا كأس أبيه الفضِّيَّة: «عسى أن نُرزَق بمئة حصادٍ آخَر».

ردَّد الرِّجال: «مئة حصادٍ آخَر!»، وقُرِعَت الدَّوارق القصدير والأكواب الفخَّار وقرون الشَّراب المطعَّمة بالحديد ببعضها بعضًا. كان نبيذ بران محلًّى بالعسل ومعطَّرًا بالقرفة والقرنفل، لكن أقوى مما تعوَّد، وأشعرَه بأصابع ثعبانيَّة ساخنة تتلوَّى في صدره وهو يبتلع، ولمَّا وضعَ الكأس كان رأسه يدور بالفعل.

قال له السير رودريك: «أحسنت يا بران. كان اللورد إدارد ليفخر بك جدًّا»، فهَزَّ المِايستر لوين رأسه موافقًا من مكانه على المائدة.

بدأ الخدم يُقَدِّمون الأطباق، ولم يرَ بران كلَّ هذا الكَمِّ من الأطعمة من قبل، وقد ظلَّت تتوالى صنفًا بَعد صنفٍ بَعد صنف، حتى إنه لم يقدر على أكثر من قضمةٍ أو اثنتين من كلِّ طبق. قُدِّمَت أوصال من لحم الثِّيران البرِّيَّة المشوي مع الكرفس، وفطائر من لحم الغزال مع الكثير من الجزر والفِطر واللَّحم المقدَّد، وضلوع الضَّأن الغارقة في العسل والقرنفل، والبط بالزَّعتر البرِّي، والخنازير البرِّيَّة بالفلفل، والإوز، وأسياخ من الحمام والدُّيوك السَّمينة، ويخنة اللَّحم البقري والشَّعير، وحَساء فواكه بارد. وكان اللورد وايمان قد أحضرَ عشرين برميلًا من الأسماك المحفوظة في الملح والطَّحالب البحريَّة من الميناء الأبيض، تنوَّعت بين السَّمك الأبيض والسَّرطان البحري، وقواقع البرونق وبلح البحر، والمحار والرِّنجة، والقُد والسلمون، والكركند والشِّلق. جاءَت كذلك أطباق من اللِّفت والبازلاء والشَّمندر، والفاصوليا والقرع



والبصل الأحمر الضَّخم، وأطباق أخرى من التُّفَّاح المخبوز وفطائر التُّوت والإجاص المسلوق في النَّبيذ القوي، كما وُضِعَت قوالب من الجبن الأبيض على كلِّ مائدة، فوق الملح وتحته، ومرَّت على الجميع أباريق من النَّبيذ المتبَّل السَّاخن والمِزر الخريفي المبرَّد.

عزفَ موسيقيُّو اللورد وايمان ألحانًا أطربَت الجميع، لكن سرعان ما غرقَت أنغام القيثارة والكمنجة والمزمار تحت أمواج الكلام والضَّحك وتضارُب الأكواب والأطباق وزمجرة الكلاب المتصارعة على بقايا الطَّعام. صدحَ المغنِّي بعددٍ من الأغاني المحبوبة، مِثل «حِراب الحديد» و«حريق السُّفن» و«الدِّب والحسناء»، وإن بدا أن هودور الوحيد الذي يُصغي، حيث أخذَ يتواثَب من قدم إلى أخرى إلى جوار الزمَّار.

تزايدَت الضجَّة حتى أصبحَت هديرًا ثابتًا امتزجَ فيه شتَّى الأصوات. تكلَّم السير رودريك مع المِايستر لوين من فوق رأس بِث ذي الشَّعر المعقوص، بينما صاحَ ريكون بسعادةٍ في الصَّبيَّين والدر. لم يرغب بران في وجود ابني فراي على المائدة العالية، لكن المِايستر ذكَّره بأنهما سيُصبحان من أقربائه عمَّا قريب، عندما يتزوَّج روب واحدةً من عمَّاتهما، وآريا أحد أعمامهما، فقال بران: «آريا لن تفعل هذا أبدًا»، لكن المِايستر لوين أصرَّ، ومن ثَمَّ جلسَ الاثنان إلى جوار ريكون.

عرضَ الخدم كلًّا من الأصناف على برانٍ أولًا، كي يقتطِع نصيب اللورد لنفسه إذا أرادَ، لكن مع بلوغهم طبق البَطِّ كانت معدته متخمةً تمامًا، وبَعد ذلك اكتفى بالإيماء برأسه استحسانًا لكلِّ صنفٍ بدوره ثم التَّلويح بيده ممتنعًا، وإذا كانت للطَّبق رائحة مميَّزة، فإنه يُرسِله إلى أحد اللوردات على المنصَّة، كعلامةٍ على الصَّداقة والمحاباة شدَّد المِايستر لوين على ضرورة إبدائها. هكذا أرسلَ القليل من السلمون إلى المسكينة الحزينة الليدي هورنوود، ولحم الخنزير البرِّي إلى الأخوين أومبر الصَّاخبين، وطبقًا من الإوز بالتُّوت إلى كلاي سروين، وفردًا ضخمًا من السَّرطان البحري إلى چوزث قيِّم الخيول، الذي لا يُعَدُّ لوردًا أو ضيفًا، وإن أخلصَ في تدريب دانسر وجعلَ ركوب بران إياها ممكنًا، وأرسلَ أصنافًا من الحُلو إلى هودور



والعجوز نان كذلك، بلا سبب غير محبَّته لهما. قال السير رودريك ألَّا ينسى أخويه بالتَّربية، فأرسلَ إلى والدر الصَّغير القليل من الشَّمندر المسلوق، وإلى والدر الكبير لِفتًا بالزُّبد.

على الدَّكك في الأسفل، اختلطَ رجال وينترفل بالعامَّة من البلدة الشِّتويَّة، والأصدقاء من المعاقل القريبة، ومُرافِقي اللوردات الضُّيوف. بعض الوجوه لم يرَه بران من قبل، والبعض الآخَر يعرفه كما يعرف وجهه هو، لكن الجميع على حَدٍّ سواء بدوا له أغرابًا، إذ يُراقِبهم من بُعدٍ كأنه لا يزال جالسًا عند نافذة غُرفة نومه، يتطلَّع إلى السَّاحة في الأسفل ويرى كلَّ شيءٍ لكن لا يُشارِك في شيء.

تحرَّكت أوشا بين الموائد تصبُّ المِزر، ودَسَّ أحد رجال ليوبولد تولهارت يده تحت تنُّورتها، فحطَّمت الإبريق على رأسه لتتفجَّر ضحكات الرِّجال. على أن ميكن كان يدسُّ يده بدوره في صِدار امرأة، ولم يبدُ أنها تُمانِع. راقبَ بران فارلن يُجبِر كلبته الحمراء على توسُّل العظام، وابتسمَ لمرأى العجوز نان تقتطِع بأصابعها العظميَّة لقيماتٍ من قاعدة فطيرةٍ ساخنة التصقَت بقاع الوعاء، بينما على المنصَّة انقضَّ اللورد وايمان على طبقٍ من سَمك الشِّلق السَّاخن كأنه جيش العدُو. كان بالِغ السِّمنة لدرجة أن السير رودريك أمرَ بصُنع مقعدٍ عريض يحتمل وزنه، لكن الرَّجل يضحك عاليًا وكثيرًا، وخطرَ لبران أنه يروقه. إلى جواره جلسَت الليدي هورنوود ممتقعة الوجه، ملامحها قناع من حَجر وهي تتناوَل طعامها بلا شهيَّة، وعلى الجانب المواجه من المائدة العالية انخرطَ هوثر وومورس في لُعبة شراب، يقرعان قرنيهما معًا كفارسين في النِّزال.

الجَوُّ حار جدًّا هنا، والأصوات صاخبة للغاية، وكلهم يسكرون. كان يحسُّ بالحكَّة تحت طبقات الصُّوف الرَّمادي والأبيض، وتمنَّى فجأةً أن يكون في أيِّ مكانٍ سوى هنا. الجَوُّ معتدل في أيكة الآلهة الآن، البُخار يتصاعَد من الينابيع السَّاخنة، وأوراق الويروود تحفُّ، والرَّوائح أطيب من هنا، وسرعان ما سيصعد القمر إلى السَّماء ويُغنِّي له أخي.

قال السير رودريك: «بران، إنك لا تأكل».



كان حُلم اليقظة شديد الوضوح، حتى إن بران استغرقَ لحظةً حتى أدركَ أين هو، ثم قال: «سآكلُ المزيد فيما بَعد، فمعدتي ممتلئة حتى الانفجار».

كان شارب الفارس العجوز ورديًّا بفِعل النَّبيذ وهو يقول: «أبليت بلاءً حسنًا يا بران، هنا وفي الاجتماعات، ورأيي أنك ستُصبِح لوردًا صالحًا للغاية ذات يوم».

أريدُ أن أكون فارسًا. رشفَ بران من النَّبيذ في كأس أبيه، شاعرًا بالامتنان لأن هناك شيئًا يقبض عليه. على جانب الكأس كان رأس الذِّئب الرَّهيب المزمجر مرفوعًا ويكاد يبدو حيًّا، وشعرَ بران بالخَطم الفضِّي يضغط على راحة يده، وتذكَّر آخِر مرَّةٍ رأى فيها أباه يشرب من تلك الكأس.

كانت ليلة مأدبة التَّرحيب التي أقيمَت على شرف الملك روبرت، عندما أتى ببلاطه إلى وينترفل. كان الصَّيف لا يزال سائدًا حينها، وتقاسمَ والداه المنصَّة مع الملك وملكته وأخويها إلى جوارها. عمُّه بنچن حضرَ المأدبة أيضًا بثيابه السَّوداء، وجلسَ بران وأخواه وأختاه مع أطفال الملك، چوفري وتومن والأميرة مارسلا، التي أمضَت الوقت كله في التَّحديق في روب بعينين ولهانتين. صنعَت آريا تعبيراتٍ مضحكة بوجهها عندما لم يكن هناك من يَنظُر إليها، وأرهفَت سانزا السَّمع حين أنشدَ مغنِّي الملك أغانٍ عن الفروسيَّة عازفًا على القيثارة السَّامية[1]، وظَلَّ ريكون يسأله عن سبب عدم انضمام چون إليهم، فاضطرَّ بران في النِّهاية لأن يُجيبه همسًا: «لأنه نغل».

وكلهم رحَلوا. كأن إلهًا متوحِّشًا مَدَّ يدًا عملاقةً من السَّماء واكتسحَهم جميعًا، الفتاتين إلى الأَسر، وچون إلى «الجِدار»، وروب وأمَّهم إلى الحرب، والملك روبرت وأباهم إلى القبر، وربما العم بنچن كذلك...

حتى على الدِّكك جلسَ رجال جُدد إلى الموائد، فقد ماتَ چوري، وتوم السَّمين، وپورثر، وآلين، ودزموند، وهالن قيِّم الخيول، وهاروين ابنه... كلٌّ من ذهبوا جَنوبًا مع أبيه، حتى السِّپتة موردن وڤايون پوول. البقيَّة خرجوا إلى الحرب مع روب، وقد لا يمضي وقت طويل حتى يموتوا بدورهم. لا بأس

(1) القيثارة السَّامية آلة موسيقيَّة من خيال المؤلِّف.



على الإطلاق بهايهِد وتيم المجدور وسكيتريك وبقيَّة الرِّجال الجُدد، لكنه يفتقد أصدقاءه القُدامى.

جاسَ بناظريه بين الدِّكك متطلِّعًا إلى الوجوه السَّعيدة والحزينة، وتساءلَ أيها لن يكون هنا العام المقبل والذي يليه. كان ليبكي لحظتها، لكنه لم يستطِع. إنه ابن ستارك في وينترفل، وابن أبيه ووريث أخيه، ويُوشِك أن يُصبِح رجلًا بالغًا.

في آخِر القاعة انفتحَت الأبواب، فهبَّ الهواء البارد جاعلًا لهب المشاعل يتأجَّج أكثر لحظةً، وقادَ الحارس الممتلئ آلبلي ضيفين جديدين إلى المأدبة، ورفعَ عقيرته فوق الصَّخب السَّائد معلنًا: «الليدي ميرا وأخوها چوچن، سليلا آل ريد أولاد قلعة المياه الرَّماديَّة».

رفعَ الرِّجال أنظارهم من الأكواب والأطباق ليُلقوا نظرةً على الوافديْن الجديديْن، وسمعَ بران والدر الصَّغير يُخاطِب والدر الكبير قائلًا: «آكلو الضَّفادع»، فيما نهضَ السير رودريك وقال: «مرحبًا بكما أيها الصَّديقان، لتُشارِكانا الاحتفال»، فأسرعَ الخدم يمدُّون طول المائدة العالية ويُحضِرون كرسيَّين.

سألَ ريكون: «مَن هذان؟».

أجابَه والدر الصَّغير بازدراء: «قوم الأوحال. إنهم لصوص وجبناء، وأسنانهم خضراء بسبب أكْل الضَّفادع».

انحنى المِايستر لوين إلى جوار مقعد بران، وقال له همسًا: «يجب أن تُحَيِّي هذين الاثنين بكلِّ حفاوة. لم أتوقَّع أن أراهما هنا، لكن... أتعرف مَن هما؟».

أومأَ بران برأسه مجيبًا: «إنهما من أهل المستنقعات، من «العُنق»».

قال له السير رودريك: «هاولاند ريد كان من أخلص أصدقاء أبيك، وهذان طفلاه على ما يبدو».

بدأ الوافدان الجديدان يقطعان القاعة، فرأى بران أن إحداهما فتاة بالفعل، وإن لم تكن ثيابها ما أفصحَ عن هذا، فقد ارتدَت سراويل من جِلد الحملان الذي نعَّمه فرط الاستعمال، وسُترةً بلا كُمَّين مدرَّعةً بأقراصٍ من البرونز.



وعلى الرغم من أن الفتاة تُقارِب روب في العُمر، فهي نحيلة كالصِّبيان، وشَعرها بنِّي طويل معقود وراء رأسها، وانتفاخ ثدييها يكاد لا يُذكَر. على وَركها النَّحيف تدلَّت شبكة صيد، وعلى الآخَر سكِّين برونزي طويل، وتحت إبطها حملَت خوذةً عظيمةً من الحديد يبدو عليها القِدم ويشيع فيها الصَّدأ، بينما علَّقت على ظَهرها رُمحًا لصيد الضَّفادع وتُرسًا جِلديًّا مستديرًا.

أمَّا أخوها فيَصغُرها بعدَّة سنوات ولا يحمل أسلحةً، ثيابه كلها خضراء، حتى الحذاء الجِلدي طويل العُنق، وعندما اقتربَ رأى بران أن عينيه بلون الطَّحالب، وإن كانت أسنانه بيضاء كأيِّ أحدٍ آخَر. كلا الأخوان ريد هزيل القوام ورفيع كسيف، ولا يزيد طولهما على طول بران كثيرًا.

ركعَ الاثنان أمام المنصَّة، وقالت الفتاة: «أيها السَّادة أبناء ستارك، مرَّت السِّنين بالمئات والآلاف منذ أقسمَ أهلي على الولاء للملك في الشَّمال، وقد أرسلَنا السيِّد والدي لنُجَدِّد العهد نيابةً عن أهلنا كلهم».

إنها تَنظُر إليَّ. كان عليه أن يَرُدَّ بشيءٍ ما، فقال: «أخي روب يُحارِب في الجَنوب، لكن يُمكنكما ترديد الكلمات لي إذا شئتما».

قالا معًا: «لوينترفل نتعهَّد بإخلاص القلعة الرَّماديَّة، ولك يا سيِّدي نمنح الوداد والفؤاد والحصاد، سيوفنا ورماحنا وسهامنا رهن إشارتك، فامنح ضُعفاءنا الرَّحمة، وعاجزينا العون، والجميع العدل، ولن نخذلك أبدًا».

وقال الصَّبي المسربل بالأخضر: «أقسمُ باليابسة والماء».

وقالت أخته: «أقسمُ بالبرونز والحديد».

وختما معًا: «نُقسِم بالجَليد والنَّار».

فحصَ بران عقله بحثًا عن رد. أمن المفترَض أن يُقسِم لهما بشيءٍ بدوره؟ إنه لم يتعلَّم هذا القَسم قَطُّ. هكذا قال: «عسى أن تكون أشتيتكم قصيرةً وأصيافكم مثمرةً». من اللَّائق أن يُقال هذا دائمًا. «انهضا. أنا براندون ستارك».

نهضَت الفتاة ميرا وساعدَت أخاها على النُّهوض. كان الصبيُّ يُحَدِّق في بران طول الوقت، وقال: «أحضرنا لكم هدايا من الأسماك والضَّفادع والدَّواجن».

أجابَ بران متسائلًا إن كان عليه أن يأكل ضفدعًا على سبيل التَّهذيب:



«أشكركما، وأقدِّمُ لكما طعام وشراب وينترفل». حاولَ أن يتذكَّر كلَّ ما تعلَّمه عن هؤلاء القوم الذين يَسكُنون مستنقعات «العُنق» ونادرًا ما يُغادِرون أراضيهم الرَّطبة. إنهم أناس فقراء، صيَّادو سَمك وضفادع يقطنون بيوتًا من القَشِّ والبوص المجدول، على جُزرٍ طافية متوارية في خبايا المستنقعات. يُقال إنهم جبناء يُقاتِلون بالأسلحة المسمومة ويُفَضِّلون الاختباء من أعدائهم على مواجَهتهم في المعركة، وعلى الرغم من ذلك كان هاولاند ريد من أوفى أصدقاء أبيه خلال حرب الملك روبرت من أجل العرش، قبل أن يُولَد بران.

جابَ الصَّبي چوچن القاعة بعينيه بفضولٍ وهو يجلس، وسألَ: «أين الذِّئبان الرَّهيبان؟».

أجابَ ريكون: «في أيكة الآلهة. شاجي أساءَ الأدب».

قالت الفتاة: «أخي يرغب في رؤيتهما».

رفعَ والدر الصَّغير صوته قائلًا: «فليحذر من أن يلحظا وجوده، وإلَّا عقَراه».

قال بران المسرور برغبتهما في رؤية الذِّئبين: «لن يفعلا ذلك في وجودي. سَمر لن يفعل على الأقل، وسيُبقي شاجيدوج بعيدًا». شعرَ بالفضول إزاء ساكني المستنقعات هؤلاء، ولم يتذكَّر أنه رأى أحدهم من قبل. أرسلَ أبوه كثيرًا من الرَّسائل إلى قلعة المياه الرَّماديَّة على مَرِّ السِّنين، لكن أحدًا منهم لم يَزُر وينترفل قَطُّ. أرادَ أن يتكلَّم مع الأخوين ريد أكثر، لكن صخب القاعة الكُبرى شديد لدرجةٍ لا تسمح لك بأن تسمع محدِّثك دون أن يجلس إلى جانبك مباشرةً.

السير رودريك كان إلى جانب بران مباشرةً، فسألَه: «أيأكلون الضَّفادع حقًّا؟».

أجابَ الفارس العجوز: «أجل، الضَّفادع والأسماك والأسود الزَّواحف[1]، والطُّيور بشتَّى أنواعها».

---

(1) الاسم الذي يُطلَق على الكائنات التي تعيش في مستنقعات وستروس، وهي أقرب إلى التَّماسيح.



ربما ليس لديهم غنم وأبقار. أمرَ بران الخدم بأن يُقَدِّموا لهما ضلوع الضَّأن وشرائح من لحم الثِّيران البرِّيَّة المشوي ويخنة اللَّحم والشَّعير، وبدا أن الطَّعام راقَهما. ضبطَته الفتاة يَنظُر إليها وابتسمَت، فتورَّد وجه بران خجلًا وأشاحَ بعينيه.

بَعد ذلك بفترةٍ طويلة، بَعد تقديم أطباق الحُلو كلها وابتلاع الرِّجال إياها بجالونات من النَّبيذ الصَّيفي، رُفِعَت الأواني وأزيحَت الموائد ناحية الجدران لإفساح مكانٍ للرَّقص. علا صوت الموسيقى، وانضمَّ الطبَّالون إلى العازفين، وأخرجَ هوثر أومبر بوقًا حربيًّا مقوَّسًا ضخمًا تُطَعِّمه الفضَّة، وعندما بلغَ المغنِّي ذلك الجزء من «اللَّيل الذي انتهى»، عندما خرجَ حَرس اللَّيل لمواجَهة «الآخَرين» في معركة الفَجر، أطلقَ نفيرًا جعلَ الكلاب كلها تنبح.

عزفَ اثنان من رجال جلوفر لحن رقصةٍ دوَّارة على مزمار القِرَب والقيثارة الخشبيَّة، وكان مورس أومبر أول من نهضَ ليَرقُص، فأطبقَ على ذراع خادمةٍ مارَّة مُسقِطًا إبريق النَّبيذ من يدها ليتهشَّم على الأرض، ودوَّرها ودوَّمها بين الحصير والعظام وفُتات الخبز وألقاها في الهواء، وضحكَت الفتاة واحمرَّ وجهها عندما انحسرَت تنُّورتها كاشفةً ساقيها.

سرعان ما انخرطَ آخَرون في الرَّقص، وبدأ هودور يَرقُص وحده، بينما طلبَ اللورد وايمان من بِث كاسل الصَّغيرة أن تنضمَّ إليه، والغريب أنه تحرَّك برشاقةٍ على الرغم من حجمه، ثم حَلَّ كلاي سروين محلَّه عندما تعبَ، بينما طلبَ السير رودريك من الليدي هورنوود أن تُشارِكه الرَّقص، لكنها تعلَّلت بشيءٍ ما واستأذنَت بالانصراف. تفرَّج بران على كلِّ هذا فترةً مناسبةً على سبيل التَّهذيب، ثم استدعى هودور. كان يَشعُر بالحَرِّ والتَّعب، ومتورِّدًا تمامًا بفِعل الخمر، كما أن الرَّقص أثارَ فيه الحُزن، فهو شيء آخَر لم يَعُد يقدر عليه. صاحَ في هودور: «أريدُ أن أذهب».

صاحَ هودور: «هودور»، وركعَ، ورفعَ المِايستر لوين وهايهد بران إلى السلَّة. كان أهل وينترفل قد رأوا هذا المنظر مرارًا، لكن لا شَكَّ أنه بدا غريبًا لعددٍ من ضيوفهم، الذين تغلَّب فضول بعضهم على أدبه، وشعرَ بران بنظراتهم المحملقة.



خرجا من المؤخِّرة بدلًا من قطْع طول القاعة، وطأطأَ بران رأسه وهما يَمُرَّان من باب اللورد. في الشُّرفة خافتة الإضاءة خارج القاعة الكُبرى، وجدا چوزث قيِّم الخيول منغمسًا في نوعٍ آخَر من الرُّكوب. كان يضغط امرأةً ما لا يعرفها بران إلى الجدار، وقد ارتفَعَ ثوبها حول خصرها، وكانت تضحك حتى توقَّف هودور ليتفرَّج فصرخَت، وقال بران: «دعهما وشأنهما يا هودور، خُذني إلى غُرفتي».

حملَه هودور على السَّلالم الملتفَّة إلى غُرفة البُرج، وركعَ إلى جوار واحدٍ من قضبان الحديد التي ثبَّتها ميكن في الحائط، فنقلَ بران نفسه إلى فِراشه، وخلعَ هودور حذاءه وسراويله، ثم قال له بران: «يُمكنك أن تعود إلى الاحتفال الآن، لكن لا تُزعِج چوزث وتلك المرأة».

أومأَ هودور برأسه قائلًا: «هودور».

غطَّته الظُّلمة كدثارٍ مألوف الملمس ناعِمه عندما أطفأَ الشَّمعة المجاورة لفِراشه، بينما ترامَت إليه أنغام الموسيقى الخافتة من بين خصاص النَّافذة.

شيءٌ ما أخبرَه به أبوه في صِغره وثبَ إلى عقله فجأةً. كان قد سألَ اللورد إدارد إن كان رجال الحَرس الملكي أفضل الفُرسان في الممالك السَّبع حقًّا، فأجابَ: «لم يعودوا كذلك، لكنهم كانوا أعجوبةً للنَّاظرين في الماضي، قدوةً لامعةً للعالم كله».

- «أكان هناك منهم من فاقَ الجميع؟».

- «أفضل فارسٍ رأيته في حياتي كلها كان السير آرثر داين، الذي كان يُقاتِل بسيفٍ اسمه «فَجر»، مصنوع من قلب نجم هوى. كانوا يُلَقِّبونه بسيف الصَّباح، وكان ليَقتُلني لولا هاولاند ريد». لاحَ الحُزن على أبيه عندئذٍ ولم يَبُح بالمزيد، وتمنَّى بران لو أنه سألَه عمَّا يعنيه.

خلدَ إلى النَّوم برأسٍ مشغول بالفُرسان والدُّروع، والقتال بسيوفٍ تلمع كنور النُّجوم، لكن عندما جاءَه الحُلم وجدَ نفسه في أيكة الآلهة مجدَّدًا. كانت الرَّوائح القادمة من المطبخ والقاعة الكُبرى شديدة القوَّة، كأنه لم يُغادِر المأدبة حقًّا. طافَ بين الأشجار وأخوه يتبعه من قُرب، وقد امتلأَ اللَّيل حياةً



وأفعمَه عُواء قطيع بني الإنسان اللّاهين. جعلَته الأصوات يتململ رغبةً في الحركة، وأرادَ أن يجري ويصطاد، أرادَ أن...

انتصبَت أُذناه على وقع صلصلة الحديد، وسمعَ أخوه ما سمعَه، فانطلقا وسط الشُّجيرات الصَّغيرة صوب الصَّوت. ثم إنه وثبَ فوق المياه الرَّاكدة عند قاعدة الشَّجرة البيضاء العتيقة، واشتمَّ رائحة غريب، رائحة الإنسان الممتزجة بروائح الجِلد والتُّربة والحديد.

توغَّل المتطفّلان بضع ياردات في الأيكة حتى وجداه أمامهما. أنثى وذَكر صغير هما، ولا رائحة للخوف فيهما على الإطلاق، حتى عندما كشَّر لهما عن أسنانه البيضاء، بينما زامَ أخوه بصوتٍ عميق، لكنهما لم يتزحزحا خطوةً.

قالت الأنثى: «ها هما ذان»، وهمسَ جزء منه: ميرا، لمحة من الصَّبي النَّائم الضَّائع في حُلم الذِّئب. «أكنت تعرف أنهما بهذا الحجم؟».

- «وسينمو حجمهما أكثر حتى يَكبُران»، أجابَ الذَّكر الصَّغير وهو يُراقِبهما بعينين خضراوين واسعتين خاليتين من الخوف. «الأسود يموج بالخوف والغضب، لكن الرَّمادي قوي... أقوى مما يحسب... أتشعُرين به يا أختاه؟».

ردَّت محرِّكةً يدها إلى مقبض السكِّين البُنِّي الطَّويل الذي تحمله: «كلا. خُذ الحذر يا چوچن».

قال الذَّكر: «إنه لن يُؤذيني. اليوم ليس يوم مماتي»، واتَّجه نحوهما بلا خوف، ومَدَّ يده إلى خَطمه ومسَّه مسَّةً بخفَّة نسيم الصَّيف، لكن مع لمسة هذه الأصابع تبدَّدت الغابة من حوله، واستحالَت الأرض تحت قدميه دخانًا وتخلَّت عنه ضاحكةً، ثم إنه وجدَ نفسه يدور ويَسقُط، ويَسقُط، ويَسقُط...





كاتلين

نائمةً كانت كاتلين على كلأ المرج الرَّحب، ترى في حُلمها بران مكتملًا من جديد، وآريا وسانزا متعانقتي اليدين، وريكون لا يزال رضيعًا على صدرها، وروب بلا تاج، يلعب بسيفٍ من الخشب؛ وعندما خلدوا جميعًا إلى النَّوم آمنين، وجدَت ند في فِراشها يبتسم.

والحُلم كان جميلًا، جميلًا وانتهى سريعًا، عندما جاءَ الفَجر يقطعه بقسوة خنجرٍ من نور، فاستيقظَت وحيدةً متوجِّعةً متعَبةً... متعبَةً من الرُّكوب، ومن الآلام، ومن الواجب. أريدُ أن أنام، أريدُ من يُواسيني. القوَّة أضنَتني، وأريدُ أن أتصرَّف بخوفٍ وحمقٍ ولو مرَّة، فترةً قصيرة فقط... يومًا... ساعةً...

كان الرِّجال يتحرَّكون خارج خيمتها، وسمعَت صهيل الخيول وشكوى شاد من التيبُّس في ظَهره، والسير وندل يَطلُب قوسه. تمنَّت كاتلين أن يرحَلوا جميعًا. إنهم رجال صالحون مخلصون، لكنها تحسُّ بالتَّعب منهم كلهم، وتحنُّ إلى أطفالها. وعدَت نفسها وهي متمدِّدة في فِراشها بأن اليوم سيأتي، يوم تسمح لنفسها بالتخلِّي عن شيءٍ من قوَّتها.

لكن ليس اليوم، لا يُمكن أن يَحدُث هذا اليوم.

شعرَت وهي ترتدي ثيابها بحركة أصابعها خرقاء أكثر من المعتاد، وخطرَ لها أنها ينبغي أن تكون ممتنَّةً لأنها تستطيع استخدام يديها من الأساس، فالخنجر كان من الفولاذ الڤاليري، وضربة الفولاذ الڤاليري أمضى وأعمق من كلِّ ما عداه، وما عليها إلَّا أن تَنظُر للنُّدوب لتتذكَّر.

في الخارج كان شاد يُقلِّب الشُّوفان في قِدر، بينما جلسَ السير وندل



ماندرلي يُوتِر قوسه، وقال عندما خرجَت كاتلين: «سيِّدتي، ثمَّة طيور في العُشب، فهل ترغبين في سمَّان مشوي على إفطاركِ؟».

- «الشُّوفان والخُبز كافيان... لنا جميعًا. ما زالت أمامنا فراسخ كثيرة يجب أن نقطعها يا سير وندل».

بدَت خيبة الأملِ على وجه الفارس المدوَّر، وارتعشَ طرفا شاربه الضَّخم الشَّبيه بشارب الفَظِّ[1] وهو يقول: «شوفان وخُبز، لا شيء أفضل من هذا». كان من أسمن الرِّجال الذين عرفَتهم كاتلين على الإطلاق، لكن أيًّا كان قَدر حُبِّه للطَّعام، فهو يحبُّ شَرفه أكثر.

قال شاد: «وجدتُ بعض القُرَّاص[2] وغليته مع الشَّاي، فهل ترغب سيِّدتي في كوب؟».

- «نعم، أشكرك».

أمسكَت شايها بيديها النَّديبتيْن ونفخَت فيه لتُدَفِّئه. شاد واحد من رجال وينترفل، إذ أرسلَ روب عشرينًا من أفضل رجاله ليصحبوها بأمانٍ إلى رنلي، كما أرسلَ أيضًا خمسةً من اللوردات الصِّغار، الذين من شأن أسمائهم وأنسابهم السَّامية أن تُضيف وزنًا واعتبارًا لمهمَّتها. في طريقهم جَنوبًا، بمنأى عن المعاقل والبلدات، رأوا جماعاتٍ من الرِّجال المدرَّعين بالمعدن أكثر من مرَّة، ولمحوا دخانًا في الأُفق الشَّرقي، لكن أحدًا لم يجرؤ على التحرُّش بهم، فهُم أضعف من أن يُشَكِّلوا تهديدًا، لكن أكثر نفرًا من أن يكونوا لقمةً سائغةً. تركوا الخطر وراءهم بمجرَّد أن عبروا النَّهر الأسود، وطيلة الأيام الأربعة الماضية لم يلمحوا أثرًا للحرب.

لم تكن رغبة كاتلين أن تقطع هذه الرِّحلة، وهذا ما قالَته لروب في ريڤررَن: «عندما رأيتُ رنلي آخِر مرَّة، كان صبيًّا لا يتعدَّى بران عُمرًا. إنني لا أعرفه. أرسِل أحدًا غيري، فمكاني هنا مع أبي ما تبقَّى له من وقت».

(1) الفَظ حيوان بحري شبيه بالفقمة، يتميَّز بشاربه الكثيف وفمه العريض الذي يَخرُج منه زوج من الأنياب العاجيَّة الحادَّة.

(2) القُرَّاص نبات عُشبي معمِّر يُستخدَم كدواء منظِّف للمعدة.



رمقَها ابنها عندئذٍ بضيقٍ، وقال: «ليس هناك غيرك. لا يُمكنني الذَّهاب بنفسي، وأبوكِ طريح فِراش المرض، والسَّمكة السَّوداء بمثابة عينيَّ وأُذنيَّ، فلا أستطيعُ الاستغناء عنه، وأخوكِ أحتاجه لقيادة ريڤررَن عندما نزحف».

- «تزحفون؟». لم يَذكُر لها أحد كلمةً واحدةً عن الزَّحف.

- «لا يُمكنني الجلوس في ريڤررَن منتظرًا السَّلام، لأن هذا يجعلني أبدو خائفًا من النُّزول إلى الميدان ثانيةً. عندما لا تكون هناك معارك، يبدأ الرِّجال في التَّفكير في الدِّيار والحصاد، كما قال لي أبي، وحتى رجالي الشَّماليُّون يتململَون بالفعل».

رجالي الشَّماليُّون. بدأ يتكلَّم كملك كذلك. «لم يسبق أن ماتَ أحد من التَّململ، لكن الاندفاع شيء آخَر. لقد بذَرنا البذور، فدعها تنمو».

هَزَّ روب رأسه بعناد، وقال: «بل ألقينا بذورًا في الرِّيح، وهذا كلُّ شيء. لو كانت أختكِ لايسا قادمةً لمسانَدتنا، لأتانا منها خبر. كم طائرًا أرسَلنا إلى «العُش»؟ أربعةً؟ أنا أيضًا أريدُ السَّلام، لكن لِمَ يمنحني آل لانستر أيَّ شيءٍ وكلُّ ما أفعله هو الجلوس هنا، بينما يتآكَل جيشي من حولي كما يذوب الثَّلج في الصَّيف؟».

- «ستَرقُص على لحن اللورد تايوين إذن بدلًا من أن تبدو جبانًا؟ إنه يُريدك أن تزحف على هارنهال. سَل خالك برايندن إن...».

قاطعَها روب: «لم أذكر شيئًا عن هارنهال. والآن، هل ستذهبين إلى رنلي من أجلي، أم أن عليَّ إرسال چون الكبير؟».

رسمَت الذِّكرى بسمةً على شفتيها. حيلة مكشوفة، لكن لا تخلو من حذقٍ بالنِّسبة لصبيٍّ في الخامسة عشر، فروب يعلم أن رجلًا مِثل چون أومبر الكبير ليس كفؤًا أبدًا للتَّعامُل مع رجلٍ مِثل رنلي باراثيون، ويعلم أنها تعلم كذلك. ماذا كان بيدها إذن غير أن تُذعِن وتدعو الآلهة أن يظلَّ أبوها حيًّا حتى ترجع؟ لو كان اللورد هوستر بصحَّته لذهبَ بنفسه، كما تعرف جيِّدًا، لكن الرَّحيل ظَلَّ بالِغ الصُّعوبة رغم ذلك. لم يتعرَّفها أبوها عندما ذهبَت تُوَدِّعه، وناداها باسم أمِّها مينيسا، قائلًا لها: «أين البنتان؟ كات الصَّغيرة ولايسا الجميلة...»، فقبَّلت كاتلين جبهته وردَّت بأن طفلتيه بخير، وأردفَت وعيناه تنغلقان:



«انتظرني يا سيِّدي. لقد انتظرتك مرارًا وتكرارًا، وعليك أن تنتظرني أنت هذه المرَّة».

فكَّرت كاتلين وهي ترشف الشَّاي اللَّاذع: القَدر يدفعني جَنوبًا ثانيةً، بينما حريٌّ بي أن أتوجَّه شَمالًا، شَمالًا وإلى الدِّيار. في تلك اللَّيلة الأخيرة في ريفرِرَن كتبَت لبران وريكون قائلةً: إنني لم أنسكما أيها الغاليان، صدِّقاني، وكلُّ ما هنالك أن أخاكما يحتاجني أكثر.

قال السير وندل بينما اغترفَ شاد الثَّريد من القِدر: «من المفترَض أن نَبلُغ أعالي نهر الماندر اليوم يا سيِّدتي، ولن يكون اللورد رنلي بعيدًا عن هناك، إذا صدقَ ما لدينا من معلومات».

وماذا أقولُ له عندما أجده؟ إن ابني لا يعترف به كملكٍ حقيقي؟ لم تكن تستسيغ تلك المقابَلة المرتقَبة. إنهم يحتاجون أصدقاءً وليس مزيدًا من الأعداء، لكن مُحال أن يركع روب مبايعًا رجلًا يَعتبر أن لا حَقَّ له في العرش.

كان وعاؤها فارغًا، وإن تذكَّرت بالكاد أنها تذوَّقت الثَّريد، فنحَّته جانبًا وقالت: «حان الوقت لأن نتحرَّك». كلَّما بكَّرت في الكلام مع رنلي صارَت عودتها إلى الدِّيار أسرع، وهكذا كانت أول من امتطى حصانه، وحدَّدت السُّرعة التي تتقدَّم بها المجموعة، وركبَ هال مولين إلى جوارها حاملًا راية عائلة ستارك، الذِّئب الرَّهيب الرَّمادي على خلفيَّة الجليد الأبيض.

كانوا ما زالوا يَبعُدون مسافة نِصف يوم من الرُّكوب عن معسكر رنلي عندما أخَذوهم. روبن فلينت الذي خرجَ للاستطلاع عادَ مسرعًا بخبرٍ عن كشَّافٍ يُراقِب من فوق سطح طاحونة هواءٍ بعيدة، ولدى وصول كاتلين ومجموعتها إلى تلك الطَّاحونة، كان الرَّجل قد اختفى. هكذا تقدَّموا، ليقطعوا أقلَّ من ميلٍ واحدٍ قبل أن يُطبِق رجال رنلي عليهم، عشرون رجلًا يرتدون الحلقات المعدنيَّة على متن الخيول، يقودهم فارس أشيب الرَّأس واللِّحية، على معطفه نقوش اتَّخذت شكل طائر القيق الأزرق.

عندما رأى الفارس رايتها، دنا منها وحده قائلًا: «سيِّدتي، أنا السير كولن من منطقة «البِرك الخضراء»، إذا سمحتِ لي بتقديم نفسي. إنكم تَعبُرون أراضٍ خطِرة».



أجابَته: «شأننا مُلِحٌّ. جئتُ مندوبةً عن ابني روب ستارك، الملك في الشَّمال، للتحدُّث مع رنلي باراثيون، الملك في الجَنوب».

- «رنلي ملك على الممالك السَّبع كافَّة يا سيِّدتي»، علَّق السير كولن، وإن تكلَّم بدماثة. «جلالته معسكِر مع جيشه على مقربةٍ من قلعة «جِسر العلقم»، حيث يَعبُر الطَّريق الورديّ نهر الماندر. من عظيم شَرفي أن أصحبكِ إليه»، ورفعَ الفارس يده المغطَّاة بالمعدن، فكوَّن رجاله صفَّين أحاطا بكاتلين وحَرسها. تصحبني أم تأسرني؟ لم تجد بيدها حيلة غير الثِّقة بشَرف السير كولن واللورد رنلي.

رأوا دخان نيران المعسكر قبل ساعةٍ كاملةٍ من بلوغهم النَّهر، ثم ساقَ الهواء الأصوات إلى آذانهم عبر المَزارع والحقول والسُّهول المتموِّجة، مبهمةً في البداية كهدير بحرٍ بعيد، قبل أن تتضَّح شيئًا فشيئًا مع دنوِّهم، وعندما أبصَروا مياه الماندر الغَنيَّة بالطَّمي تتألَّق في نور الشَّمس، تناهَت إلى مسامعهم أصوات الرِّجال وصلصلة الفولاذ وصهيل الخيول، وإن لم يكفِ الصَّوت أو الدُّخان لتهيأتهم لمنظر الجيش نفسه.

آلاف من حُفر نار الطَّهي أفعمَت الهواء بغشاوة دخانيَّة باهتة، وصفوف الخيول وحدها امتدَّت فراسخ وفراسخ، ولا شَكَّ أن غابةً كاملةً أزيلَت من الوجود من أجل عمل السَّواري الطَّويلة التي ارتفعَت عليها الرَّايات، بينما اصطفَّت آلات الحصار على حافة الطَّريق الورديّ المعشوشبة، مجانيق وقاذفات حجارة، وكِباش لدَكِّ البوَّابات مُرَكَّبة على عجلاتٍ أعلى من رجلٍ على متن حصان. توهَّجت رؤوس الرِّماح الفولاذيَّة بالأحمر في الشَّمس، كأنها تخضَّبت بالدَّم بالفعل، وبدَت سُرادقات الفُرسان وكبار اللوردات كأنها نابتة من العُشب كعيش الغُراب لو أنه من الحرير. رأت كاتلين رجالًا يحملون الحراب ورجالًا يحملون السُّيوف، ورجالًا يرتدون خوذاتٍ من الفولاذ وقمصانًا من حلقات المعدن، وتابعات المعسكر اللاتي يعرضن مفاتنهن مختالات، ورُماةً يُزَوِّدون السِّهام بريشاتها، وحوذيِّين يسوقون العربات، ورُعاةً يسوقون الخنازير، وخدمًا يهرعون هنا وهناك بالرَّسائل، ومُرافِقين يشحذون السُّيوف، وفُرسانًا يمتطون الجياد، وساسةً يقودون خيولًا معتلَّة المزاج.



قال السير وندل وهُم يَعبُرون الامتداد الحجري العتيق الذي استمدَّت «جسر العلقم» منه اسمها: «أعداد مخيفة».

قالت كاتلين: «صحيح».

بدا لها أن جميع فُرسان الجَنوب تقريبًا لبَّوا نداء رنلي، ورأت زهرة هايجاردن الذَّهبيَّة في كلِّ مكان، مخيَّطةً على الجانب الأيمن من صدور المُحارِبين والخدم، وخافقةً على الرَّايات الحريريَّة الخضراء التي زيَّنت الرِّماح والحراب، ومرسومةً على التُّروس المعلَّقة خارج سُرادقات أبناء وإخوة وأبناء أعمام عائلة تايرل. كذلك لمحَت كاتلين ثعلب وزهور عائلة فلورنت، وتُفَّاح عائلة فوسواي بفرعيها الأحمر والأخضر، وصيَّاد اللورد تارلي واسع الخُطى، وأوراق سنديان عائلة أوكهارت، وغرانيق عائلة كرين، وسحابة فراشات عائلة مالندور ذات الأسود والبرتقالي.

على الضفَّة الأخرى من الماندر كان لوردات أراضي العواصف قد رفعوا راياتهم كذلك، حمَلة راية رنلي المقسمون على الولاء لعائلة باراثيون وستورمز إند. تعرَّفت كاتلين عنادل برايس كارون، وريشتي عائلة پنروز، وسلحفاة اللورد إسترمونت البحريَّة الخضراء على خلفيَّةٍ خضراء أيضًا. على أن كلَّ رمزٍ عرفَته قابَله عشرة جُدد عليها، يحملها اللوردات الصِّغار المقسمون لحمَلة الرَّاية، والفُرسان المتجوِّلون والمُحارِبون غير النِّظاميِّين الذين أتوا أفواجًا ليجعلوا رنلي باراثيون ملكًا فعلًا كما هو اسمًا.

خفقَت راية رنلي فوق الأخريات كلهن، فمِن قمَّة أعلى أبراج الحِصار -ذلك الوحش العملاق ذو العجلات، المصنوع من خشب البلُّوط، والمغطَّى بالجلود غير المدبوغة- رفرفَت أضخم راية حربٍ رأتها كاتلين في حياتها على الإطلاق؛ قطعة من القُماش تكفي لتغطية أرضِ قاعاتٍ وقاعات، تتوهَّج بالذَّهبي ويتوسَّطها وعل عائلة باراثيون المتوَّج، يرمح بزهوٍ وشَمم.

سألَها هالس مولين وهو يدنو بحصانه: «أتسمعين هذه الضجَّة يا سيِّدتي؟ ما هذا؟».

أصغَت كاتلين. هتافات وصراخ خيول وصليل فولاذ، و... «تشجيع». كانوا يصعدون منحدَرًا خفيفًا نحو صَفٍّ من السُّرادقات زاهية الألوان على



قمَّة المرتفَع، وبينما شقُّوا طريقهم وسطها ازدادَ الزِّحام وعلا الصَّوت... ثم إنها رأت.

في الأسفل، تحت شُرفات القلعة الصَّغيرة المشيَّدة من الحجارة والأخشاب، كان التحام جماعي يدور.

كان الحقل قد أُخليَ، ونُصِبَت الأسيجة والمنصَّات وحواجز النِّزال، وقد احتشدَ المئات -وربما الآلاف- للمشاهَدة، ووشى منظر الأرض الموحلة غير الممهَّدة، التي تناثرَت فيها قِطع من الدُّروع المنبعجة والرِّماح المكسورة، أن المباريات مستمرَّة منذ يوم أو أكثر، وإن صارَت النِّهاية دانيةً الآن، إذ تبقَّى أقلُّ من عشرين فارسًا فوقَ خيولهم، ينقضُّون ويهوون بأسلحتهم على بعضهم بعضًا، بينما يهتف لهم المتفرِّجون والمتنافسون الذين خرَجوا. رأت جوادين بدِرعٍ كاملةٍ يتصادَمان ويَسقُطان في كُتلةٍ متشابكةٍ من الفولاذ ولحم الخيل، وقالَ هال مولين الذي يجنح دائمًا إلى تفسير الماء بالماء: «إنها دورة مباريات».

قال السير وندل: «أوه، رائع»، بينما دارَ فارس يرتدي معطفًا مخطَّطًا بألوان قوس قزح، وسدَّد ضربةً خلفيَّةً ببلطةٍ طويلة المقبض، حطَّمت تُرس الرَّجل الذي سعى لمهاجَمته، وجعلَته يترنَّح فوق سَرجه.

صعَّب الزِّحام الكثيف تقدُّمهم أكثر من هذا، فقال السير كولن: «ليدي ستارك، إذا تفضَّل رجالكِ بالانتظار هنا، سأقدِّمكِ إلى الملك».

قالت: «ليكن»، وألقَت الأمر على رجالها، وإن اضطرَّت لرفع صوتها كي يسمعوها وسط هذا الضَّجيج، ثم قادَ السير كولن حصانه على مهلٍ بين الجموع، بينما ركبَت كاتلين وراءه مباشرةً. تردَّد هدير الجمهور مع سقوط رجلٍ أحمر اللِّحية لا يضع خوذةً وعلى تُرسه رمز الجريفين، أمام فارسٍ كبير الحجم يرتدي دِرعًا زرقاء، وفولاذ سلاحه كله أزرق داكن كالكوبالت، حتى الكرة الشَّائكة غير الحادَّة التي تحكَّم فيها بقوَّةٍ وبراعةٍ ماحقتين، بينما حملَت كسوة حصانه رمز عائلة تارث المتألِّف من أربعة مربَّعاتٍ تحوي شمسين وقمرين.

قال رجلٌ ما حانقًا: «رونيت الأحمر سقطَ، على الآلهة اللَّعنة».



- «لوراس سيُطيح بهذا الأزرق...»، أجابَ رفيقه قبل أن يُغرِق هدير المشجِّعين بقيَّة العبارة.

رجلٌ آخَر سقطَ تحت حصانه الجريح، وكلاهما يَصرُخ ألمًا، فهرعَ المُرافِقون لمساعَدتهما، بينما قالت كاتلين لنفسها: هذا جنون. على كلِّ جانبٍ أعداء حقيقيُّون، ونصف البلاد مشتعل، وها هو رنلي جالس هنا يتعامَل مع الحرب كأنها لُعبة، كصبيٍّ يُمسِك سيفه الخشبيَّ الأول.

كان اللوردات والليديهات على المنصَّات مستغرقين في الالتحام الجماعي كالمتقاتلين أنفسهم، وفحصَتهم كاتلين بنظراتٍ متمعِّنة. كثيرًا ما تعاملَ أبوها مع لوردات الجَنوب، وكثيرون منهم حلُّوا ضيوفًا في ريڤررَن، فتعرَّفت اللورد ماثيس روان الأكثر سِمنةً وبهرجةً من ذي قبل، وقد فردَت شجرة عائلته الذَّهبيَّة فروعها على سُترته البيضاء، بينما جلسَت على مقعدٍ أدنى منه الليدي أوكهارت الرَّقيقة صغيرة الحجم، وإلى يسارها اللورد راندل تارلي سيِّد هورن هيل، وقد ثبَّت سيفه العظيم «آفة القلوب» منتصبًا على ظَهر مقعده. وهناك آخَرون تعرَّفتهم من رموزهم، وغيرهم لم تتعرَّفهم البتَّة.

ووسطهم، يتفرَّج ويضحك وإلى جانبه ملكته الشَّابَّة، جلسَ شبح يعتمر تاجًا ذهبيًّا.

لا غرو أن اللوردات يتحلَّقون حوله بهذه الحماسة. إنه روبرت وقد وُلِدَ من جديد. وسيمٌ رنلي مِثلما كان روبرت وسيمًا، طويل الأطراف وعريض المنكبين، ويُكَلِّل رأسه الشَّعر الأسود الفاحم النَّاعم المسترسل ذاته، ولديه العينان الزَّرقاوان العميقتان نفسيهما، والابتسامة الحاضرة. بدَت الدَّائرة الرَّفيعة على رأسه ملائمةً له تمامًا، حلقة ورودٍ من الذَّهب الخالص مشكَّلة بمنتهى البراعة والجَمال، على مقدِّمتها رأس وعلٍ من اليشب الأخضر الدَّاكن، مزيَّن بعينين وقرنين من الذَّهب.

زيَّن الوعل المتوَّج سُترة الملك المخمليَّة الخضراء كذلك، بالخيوط الذَّهبيَّة المشغولة على صدره؛ رمز باراثيون بلوني هايجاردن. والفتاة التي احتلَّت المقعد العالي إلى جانبه من هايجاردن أيضًا، ملكته الشَّابَّة مارچري، ابنة اللورد مايس تايرل. تعلم كاتلين أن زواجهما هو ما يُحافِظ على ثبات



التَّحالف الجَنوبي العظيم. رنلي في الحادية والعشرين من العُمر، والفتاة لا تتعدَّى سِنَّ روب، فاتنة الملامح ولها عينا ظبيَّةٍ ناعمتا النَّظرات، وشَعر بنِّي مموَّج ينسدل على كتفيها في حلقاتٍ صغيرة بسيطة.

في المضمار سقطَ رجل آخَر عن حصانه أمام الفارس ذي المعطف المخطَّط بألوان قوس قزح، وصاحَ الملك مستحسِنًا مع الآخَرين، وسمعَته كاتلين يهتف: «لوراس! لوراس! هايجاردن!»، بينما صفَّقت الملكة متحمِّسةً.

التفتَت كاتلين لترى نهاية القتال. لم يتبقَّ هنالك غير أربعةٍ من الرِّجال، ولا مجال للخطأ في هويَّة مَن يُناصِره الملك والملكة والعامَّة. إنها لم تلتقِ السير لوراس تايرل من قبل، لكن حتى في الشَّمال البعيد سمعَت حكاياتٍ عن بطولة فارس الزُّهور الشَّاب. امتطى السير لوراس فحلًا أبيض طويلًا عليه كسوة من الحلقات الفضِّيَّة، وقاتلَ ببلطةٍ طويلة المقبض، وقد توسَّطَت مقدِّمة خوذته ريشة من الورد الذَّهبي. قرَّر اثنان من الباقين الآخَرين الاتِّحاد، واندفعا بحصانيهما صوب الفارس ذي الدِّرع الزَّرقاء الدَّاكنة، فاندفعَ الفارس الأزرق نحوهما بدوره بقوَّة، ليقرع وجه أحدهما بتُرسه المكسَّر، بينما رفعَ حصانه الأسود حدوته الفولاذيَّة ضاربًا الثَّاني في الآن نفسه، وفي غمضة عينٍ كان أحد الحليفين طريح الأرض والثَّاني يترنَّح. أسقطَ الفارس الأزرق تُرسه الذي تهشَّم ليُحَرِّر يده اليُسرى، ثم انقضَّ عليه فارس الزُّهور. لم يبدُ لوزن دِرع السير لوراس أثر يُذكَر على السُّرعة والرَّشاقة اللتين تحرَّك بهما، وألوان قوس قزح على معطفه تلتفُّ حوله كدوَّامة.

دارَ الحصانان الأبيض والأسود كحبيبين في رقصة عيد الحصاد، بينما تبادلَ راكباهما ضربات الفولاذ بدلًا من القُبلات، وتألَّقت البلطة الطَّويلة، وشقَّت الكرة الشَّائكة الهواء. كلا السِّلاحين غير حاد، لكنهما ظلَّا قادرَيْن على إصدار قعقعةٍ رهيبة على الرغم من ذلك. بلا تُرس كان الفارس الأزرق في وضع أسوأ، وقد هوى السير لوراس بضربةٍ تلو الضَّربة على رأسه وكتفيه على خلفيَّةٍ من الهتاف باسم هايجاردن من الجماهير، ورَدَّ الفارس الأزرق الضَّربات بهرَّاوته، لكن كلما اقتربَ رأسها الكروي من السير لوراس، رفعَ تُرسه الأخضر المكسَّر المزيَّن بثلاث ورودٍ ذهبيَّة. ثم، عندما ارتطمَت البلطة



الطَّويلة بيد الفارس الأزرق بضربةٍ عكسيَّة، جاعلةً الهرَّاوة تُفلِت من يده، صرخَ الجمهور كوحشٍ مهتاج.

ورفعَ فارس الزُّهور بلطته استعدادًا للضَّربة القاضية.

وانقضَّ الفارس الأزرق، ليرتطم الحصانان ببعضهما بعضًا، ويضرب رأس البلطة واقي الصَّدر الأزرق المشوَّه... لكن بشكلٍ ما ظَلَّ الفارس الأزرق قابضًا على المقبض بأصابع مغطَّاة بالفولاذ، واختطفَ البلطة من يد السير لوراس، قبل أن يشتبك الاثنان فجأةً وهما على ظَهري الحصانين، فقط ليَسقُطا بَعد لحظةٍ واحدة، وإذ انفصلَ حصاناهما هوى الاثنان أرضًا بعُنفٍ رَجَّ كيانيهما رَجًّا. كانت الصَّدمة أثقل وطأةً على لوراس تايرل لسقوطه أسفل الفارس الأزرق، الذي استلَّ خنجرًا طويلًا وفتحَ مقدِّمة خوذة تايرل، وهدرَ المتفرِّجون بصوتٍ أصخب من أن تسمع كاتلين ما قاله السير لوراس، لكنها رأت الكلمة على شفتيه المشقوقتين الدَّاميتين: أستسلمُ.

نهضَ الفارس الأزرق بلا ثباتٍ ورفعَ خنجره في اتِّجاه رنلي باراثيون، تحيَّة البطل لملكه، ثم هرعَ المُرافِقون إلى المضمار يُساعِدون الفارس المهزوم على النُّهوض، وبُهِتَت كاتلين لمرأى سِنِّه الصَّغيرة عندما خلعوا خوذته، فلا بُدَّ أنه يسبق روب في العُمر بعامين على الأكثر. قد يكون الصَّبي جميل القسمات كأخته، لكن الشَّفتين المشقوقتين والعينين الزَّائغتين والدَّم المتقاطر من شَعره الملبَّد جعلوا التأكُّد عصيًّا.

قال الملك للفائز: «يُمكنك الاقتراب».

تقدَّم الفارس من منصَّة الملك بخطواتٍ عرجاء، ومن مقربةٍ بدَت دِرعه الزَّرقاء البديعة في حالةٍ مزرية؛ الخدوش منتشرة في كلِّ شِبرٍ منها، والانبعاجات التي خلَّفتها القضبان الشَّائكة والمطارق الحربيَّة، والشُّقوق الطَّويلة التي تركَتها السُّيوف، والكسور في واقي الصَّدر والخوذة المطليَّين بالمينا. معطفه أيضًا استحالَ إلى أسمال، ووشَت الطَّريقة التي تحرَّك بها بأن حال الرَّجل الذي في داخل الدِّرع لا تقلُّ سوءًا. حيَّته بضعة أصوات هاتفةً: «تارث!»، لكن الغريب أن البعض هتفَ: «المليحة! المليحة!»، بينما لاذَت



الأكثريَّة بالصَّمت. ركعَ الفارس الأزرق أمام الملك قائلًا بصوتٍ مكتوم من داخل خوذته العظيمة المنبعجة: «مولاي».

قال رنلي بصوتٍ بلغَ مسامع الجميع: «اللورد سلوين كان صادقًا فيما قاله. لقد رأيتُ السير لوراس يُسقَط عن حصانه مرَّةً أو مرَّتين... لكن ليس بهذه الطَّريقة قَطُّ».

على مقربةٍ قال قوَّاس سكران على سُترته وردة عائلة تايرل متذمِّرًا: «لم يَسقُط بطريقةٍ لائقة. كانت حيلةً وضيعة».

كان الازدحام قد بدأ يخفُّ، وقالت كاتلين لمُرافِقها: «سير كولن، مَن هذا الرَّجل، ولماذا يكرهونه هكذا؟».

أجابَ السير كولن مقطِّبًا وجهه: «لأنه ليس رجلًا يا سيِّدتي. إنها بِريان التارثيَّة، ابنة اللورد سلوين نجم المساء».

مرتاعةً ردَّدت كاتلين: «ابنة؟!».

- «يُلَقِّبونها ببِريان المليحة... وإن لم يكن في وجهها، خشية أن يجدوا أنفسهم مرغَمين على الدِّفاع عن كلامهم بأجسادهم».

سمعَت الملك رنلي يُعلِن الليدي بِريان التارثيَّة المنتصرة في الالتحام الجماعي العظيم في «جسر العلقم»، بصفتها آخِر مَن ظَلَّ على حصانه مِن مئة وستَّة عشر فارسًا، ثم قال لها: «باعتباركِ البطلة، يُمكنكِ أن تَطلُبي مني أيَّ هبةٍ تشائين، وإذا كانت تقع في نطاق قُدرتي، فهي لكِ».

أجابَت بِريان: «جلالة الملك، إنني أطلبُ شَرف أن يكون لي مكان في حَرس قوس قزح. أريدُ أن أكون من حَرسك السَّبعة، أن أتعهَّد بحماية حياتك بحياتي، وأن أتبعك حيثما ذهبت، وأركب إلى جانبك، وأقيك من كلِّ سوءٍ وأذى».

قال: «لكِ هذا. انهضي واخلعي خوذتكِ».

فعلَت كما أمرَها، ولمَّا رُفِعَت الخوذة العظيمة، استوعبَت كاتلين كلام السير كولن.

بالمليحة يُلَقِّبونها... لكن ساخرين. كشفَت الخوذة عندما خلعَتها عن شَعرٍ كعُشِّ سنجابٍ من القَشِّ المتَّسخ، أمَّا وجهها... لبِريان عينان واسعتان



بالِغتا الزُّرقة، عينا فتاةٍ صغيرة، واثقتان وبريئتان، بينما الباقي... ملامحها عريضة خشنة، وأسنانها ناتئة معوجَّة، وفمها واسع للغاية، وشفتاها ممتلئتان وتكادا تبدوان متورِّمتين، بينما انتشرَ النَّمش بغزارةٍ على وجنتيها وجبهتها، كما أن من الواضح أن أنفها كُسِرَ أكثر من مرَّة. ملأت الشَّفقة قلب كاتلين، وقالت لنفسها: أفي الدُّنيا مخلوق أشقى من امرأةٍ قبيحة؟

وعلى الرغم من ذلك، عندما خلعَ رنلي معطفها الممزَّق وألبسَها آخَر بألوان قوس قزح، لم تبدُ بِريان بذلك الشَّقاء، إذ أضاءَت بسمتها وجهها، وخرجَ صوتها قويًّا أبيًّا وهي تقول: «حياتي لك يا جلالة الملك. من الآن فصاعدًا أنا تُرسك، وأقسمُ على هذا بالآلهة القديمة والجديدة». كانت الطَّريقة التي تتطلَّع بها إلى الملك، تتطلَّع بها من أعلى بالأحرى، فهي أطول منه قامةً بشِبرٍ كامل، وإن كان رنلي يُقارِب أخاه الرَّاحل طولًا—رؤية تلك النَّظرات كانت مؤلمةً حقًّا.

ترجَّل السير كولن ليقترب من المنصَّة، وقال: «جلالة الملك، يُشَرِّفني أن أقدِّم لك اللَيدي كاتلين ستارك، التي جاءتنا مبعوثةً من ابنها روب، سيِّد وينترفل».

قالت: «سيِّد وينترفل والملك في الشَّمال»، وترجَّلت بدورها لتقف إلى جوار السير كولن.

لاحَت الدَّهشة على رنلي وهو يُخاطِبها قائلًا: «الليدي كاتلين؟ يا لها من مفاجأةٍ سارَّة»، والتفتَ إلى ملكته الشَّابَّة، وقال: «مارچري يا جميلتي، هذه هي الليدي كاتلين ستارك من وينترفل».

قالت الفتاة بدماثةٍ ناعمة: «مرحبًا بكِ أيتها الليدي ستارك، وآسفةٌ لمصيبتكِ».

- «هذا لُطف منكِ».

قال الملك: «سيِّدتي، أقسمُ لكِ أني سأعملُ على أن يدفع آل لانستر ثمن قتْل زوجكِ. عندما آخذُ كينجز لاندنج، سأرسلُ لكِ رأس سرسي».

وهل سيُعيد ذلك ند إليَّ؟ «سيكفيني أن أعرف أن العدالة أُنجِزَت يا سيِّدي».



قالت بِريان الزَّرقاء مصحِّحةً بحزم: «يا جلالة الملك. وعليكِ أن تركعي عندما تُخاطِبين الملك».

ردَّت كاتلين: «المسافة بين «سيِّدي» و«جلالة الملك» قصيرة يا سيِّدتي. اللورد رنلي يرتدي تاجًا، وكذلك ابني. إذا أردتِ، يُمكننا أن نقف هنا في الوحل ونتجادَل حول الألقاب المستحقَّة لهذا وذاك، لكن لدينا أمورًا أهمَّ علينا مناقَشتها».

همهمَ بعض لوردات رنلي اعتراضًا، لكن الملك ضحكَ قائلًا: «أحسنتِ القول يا سيِّدتي. سيكون هناك وقت للألقاب بَعدما تضع الحرب أوزارها. أخبِريني، متى ينوي ابنكِ الزَّحف على هارنهال؟».

إلى أن تعرف كاتلين إن كان هذا الملك صديقًا أم عدوًّا، فإنها لن تُفصِح عن أضأل جزءٍ من ترتيبات روب. هكذا قالت: «لا أشارِكُ في مجلس ابني الحربي يا سيِّدي».

- «ما دامَ سيَترُك لي بعضًا من آل لانستر، فلن أشكو. ماذا فعلَ بقاتِل الملك؟».

- «چايمي لانستر أسير في ريڤررَن».

قال اللورد ماثيس روان وقد بدا عليه الذُّعر: «أما زال حيًّا؟».

وبدهشةٍ قال رنلي: «يبدو أن الذِّئب الرَّهيب أرقُّ من الأسد».

غمغمَت الليدي أوكهارت بابتسامةٍ مريرة: «الأرقُّ من عائلة لانستر كالأكثر جفافًا من البحر».

قال اللورد راندل تارلي ذو اللِّحية القصيرة الخشنة، والمعروف بفظاظته: «أرى هذا ضَعفًا. لا أقصدُ إهانتكِ أيتها الليدي ستارك، لكن كان من الأليق أن يأتي اللورد روب ليُبايِع الملك بنفسه بدلًا من الاختباء وراء ثوب أمِّه».

ردَّت كاتلين بكياسةٍ باردة الجليد: «الملك روب يخوض حربًا يا سيِّدي، ولا يلعب في دورة مباريات».

قال رنلي وقد ارتسمَت ابتسامة عريضة على وجهه: «على رسلك يا لورد راندل، فأخشى أنك لست نِدًّا لها»، ثم استدعى وكيلًا يرتدي الزِّيَّ المميِّز لستورمز إند، وقال: «جِد مكانًا لرفاق الليدي، واحرص على تزويدهم بجميع



وسائل الرَّاحة. ستنزل الليدي كاتلين في سُرادقي الخاص، فلستُ أحتاجه بما أن اللورد كازويل تلطَّف بالسَّماح لي باستخدام قلعته. سيِّدتي، سيُشَرِّفني بَعدما تستريحين أن تُشاركينا الطَّعام والشَّراب في المأدبة التي سيُقيمها اللورد كازويل لنا اللَّيلة. إنها مأدبة وداع، فأخشى أن حضرة اللورد يرغب في رؤية أدبار قطيعي الجائع».

قال شابٌّ نحيل لا بُدَّ أنه كازويل هذا: «غير صحيح يا جلالة الملك، ما أملكه مِلكك».

قال رنلي: «كلما قال أحدهم هذا لأخي روبرت، ألزمَه بكلمته. ألديك بنات؟».

- «نعم يا جلالة الملك، اثنتان».

- «عليك أن تَشكُر الآلهة إذن أني لستُ روبرت، فملكتي الجميلة كلُّ مَن أشتهي مِن النِّساء»، ثم مَدَّ رنلي يده يُساعِد مارچري على النُّهوض، وقال لكاتلين: «سنتكلَّم ثانيةً عندما تستريحين يا سيِّدتي».

لم تستطِع كاتلين أن تتخيَّل شيئًا تحتاجه وغير متوفِّر بالفعل، فالسُّرادق أكبر حجمًا من القاعة العامَّة في أيِّ خان، ومزوَّد بكلِّ وسائل الرَّاحة: حشيَّة فِراش من الرِّيش، وأغطية من الفرو، وحوض استحمام من الخشب والنُّحاس يكفي فردين، ومستوقَد للتَّدفئة من برودة اللَّيل، وكراسي نقَّالة وثيرة من الجِلد، ومنضدة للكتابة عليها الرِّيش والحبر، وأوعية من الخوخ والبرقوق والكمِّثرى، وإبريق من النَّبيذ مع طقم متماثل من الكؤوس الفضِّيَّة، وصناديق من خشب الأرز معبَّأة بثياب رنلي، وكُتب وخرائط ورُقع ألعاب وقيثارة سامية، وقوس طويل وكنانة، وزوج من صقور الصَّيد حمراء الذَّيل، وترسانة متنوِّعة من الأسلحة الممتازة. قالت لنفسها متطلِّعةً إلى كلِّ هذا: رنلي هذا لا يبخل على نفسه بشيء. لا عجب أن جيشه يتحرَّك بمنتهى البطء.

إلى جوار المدخل وقفَت دِرع الملك كالحارس؛ بذلة من الصَّفائح الفولاذيَّة الملوَّنة بأخضر الغابات، ملحقاتها مطعَّمة بالذَّهب، والخوذة متوَّجة بقرنين ذهبيَّين عظيمين، والفولاذ ملمَّع بمنتهى العناية حتى إن كاتلين شاهدَت انعكاسها على واقي الصَّدر، يُحَدِّق فيها من قاع بِركةٍ خضراء عميقة.



وجه امرأةٍ غريقة. أمن الممكن أن يغرق المرء في الحُزن؟ أشاحَت بوجهها بحدَّةٍ وقد أصابَها الغضب من هذه الهفوة. إنها لا تملك الوقت لرِّثاء الذَّات، وعليها أن تغسل شَعرها من التُّراب وترتدي فُستانًا يليق بمأدبة الملك.

اصطحبَها السير وندل ماندرلي ولوكاس بلاكوود والسير پروين فراي وبقيَّة رفاقها من النُّبلاء إلى القلعة. لا يُمكن القول بأن القاعة الكُبرى في حصن اللورد كازويل كُبرى إلَّا مجامَلةً، لكنهم وجدوا أماكن لرجال كاتلين على الدِّكك المزدحمة، بينما خُصِّص لكاتلين نفسها مكان على المنصَّة بين اللورد ماثيس روان ذي الوجه المتورِّد، والفارس الدَّمث چون فوسواي من فرع التُّفَّاحة الخضراء في عائلة فوسواي. ألقى السير چون عددًا من الدُّعابات، فيما استعلمَ اللورد ماثيس بأدبٍ عن صحَّة أبيها وأخيها وأطفالها.

جلسَت بِريان التارثيَّة على الطَّرف القصيِّ من المائدة العالية، وقد ارتدَت بدلًا من ثياب السيِّدات ملابس فارسٍ أنيقة؛ سُترةً من المخمل نُقِشَ عليها مربَّعان بالوردي وآخَران بالأزرق السَّماوي، وسراويل وحذاءً طويل العُنق، وحزام سيفٍ مزخرَف، بينما انسدلَ معطفها الجديد ذو ألوان قوس قزح على ظَهرها. غير أن لا ثياب من شأنها صرْف الأنظار عن ملامحها، عن الوجه المسطَّح العريض، واليدين المنمَّشتين، والأسنان البارزة، وقد بدا جسدها خارج الدِّرع غير متناسق، ولاحَ وَركاها العريضان وأطرافها الغليظة وكتفاها المتحدِّبتان بعضلاتهما المفتولة، بينما يكاد لا يكون لها ثديان على الإطلاق... ومن الجليِّ من كلِّ حركةٍ أن بِريان تعي كلَّ هذا وتُعاني بسببه، فكانت تتكلَّم ردًّا فقط، وقلَّما رفعَت عينيها عن طعامها.

والطَّعام كان وفيرًا حقًّا، فالحرب لم تمسَّ أراضي هايجاردن المعطاءة، وبينما غنَّى المغنُّون ومارسَ المهرِّجون ألعابهم، بدأت المأدبة بالكمِّثرى المسلوقة في النَّبيذ، واستمرَّت لتشمل نوعًا صغيرًا لذيذًا من السَّمك مطهيًّا حتى النُّضوج التَّام ومدحرَجًا في الملح، وديوكًا محشوَّة بالبصل والفِطر، بالإضافة إلى أرغفةٍ كبيرة من الخُبز الأسمر، وأكوام من اللِّفت والذُّرة الحُلوة والبازلاء، وأفخاذ خنازير ضخمة، وإوزٍ مشويٍّ، وصِحاف ممتلئة بلحم الغزلان المطبوخ بالبيرة والشَّعير. وجاءَ خدم اللورد كازويل بأطباق من



الحلويَّات من مطابخ القلعة، ضمَّت الكريمة على شكل البجعة، وغزل البنات على شكل اليونيكورن[1]، وكعكات اللَّيمون على شكل الورد، والبسكويت بالعسل والتَّوابل، وكعكات التُّوت الأسود، ورقائق التُّفَّاح، وقوالب الجبن المزبَّد.

أشعرَت الأطعمة الدَّسمة كاتلين بالغثيان، لكن لن ينفعها أبدًا أن تُبدي أيَّ ضَعفٍ بينما يعتمد الكثير جدًّا على قوَّتها، فاكتفَت بلقيماتٍ صغيرة وهي تَرقُب هذا الرَّجل الذي يُريد أن يكون ملكًا. جلسَ رنلي وإلى يساره عروسه الشَّابَّة، وإلى يمينه أخوها، وبغَضِّ النَّظر عن الضمَّادة الكتَّان البيضاء حول جبهته، لم يبدُ السير لوراس في حالٍ سيِّئةٍ مع وضع إصابات اليوم في الاعتبار. إنه وسيم بالفعل كما خطرَ لها، والآن وقد غابَت عن عينيه الغمامة وجدَتهما مفعمتين بالحيويَّة والذَّكاء، ورأت شَعره شلَّالًا طبيعيًّا من الخُصل البنِّيَّة التي تحسده عليها فتيات كثيرات. كان قد ارتدى معطفًا جديدًا بدلًا من الذي مزَّقه القتال، حريره مصبوغ بألوان حَرس قوس قزح، ويُثبِّته مشبك على شكل وردة هايجاردن الذَّهبيَّة.

بين الحين والآخَر كان الملك يُطعِم مارچري قطعة طعام منتقاة من على طرف خنجره، أو يميل ليطبع قُبلةً شديدة الخفَّة على وجنتها، لكن السير لوراس هو من تقاسمَ معه أغلب مُزاحه وكلامه الهامس. من الواضح أن الملك يستمتع بالطَّعام والشَّراب، لكنه لم يبدُ شرهًا أو سكِّيرًا، وعندما يضحك يتردَّد ضحكه عاليًا طويلًا، كما أنه يُخاطِب كبار السَّادة وصُغريات الخادمات بالدَّماثة نفسها.

على أن بعض ضيوفه كانوا أقلَّ اعتدالًا، فقد شربوا كثيرًا ورفعوا عقيرتهم بعبارات تباهٍ أصخب من اللَّازم في رأيها. دخلَ جوسوا وإلاياس ابنا اللورد ويلوم في جدلٍ محتدم حول مَن منهما سيَعبُر أسوار كينجز لاندنج أولًا، وهزهزَ اللورد ڤارنر خادمةً على رُكبتيه، ممرِّغًا أنفه في عُنقها وقد زحفَت يده تحت صِدارها، بينما داعبَ جايارد الأخضر -الذي يحسب أنه يُجيد الغناء-

(1) اليونيكورن مخلوق أسطوري عبارة عن حصان له قرن واحد ويتمتَّع بقدرات سحريَّة.



قيثارةً، وغنَّى لهم مقطعًا بعض أجزائه مقفَّى عن ربْط ذيول الأسود في عُقد، وأحضرَ السير مارك مالندور قردًا أبيض وأسود وأطعمَه من طبقه الخاص، أمَّا السير تانتون ابن فرع التُّفَّاحة الخضراء من عائلة فوسواي، فصعدَ على المائدة وأقسمَ أن يَقتُل ساندور كليجاين في نزالٍ فردي، وكان القَسم ليبدو أكثر مهابةً لو لم تكن إحدى قدمي السير تانتون في قارب المرق عندما ألقاه.

بلغَت الملهاة ذُروتها عندما ظهرَ مهرِّج ممتلئ متواثبًا وقد ارتدي الصَّفيح المطلي بالذَّهبي ورأس أسدٍ من القُماش، وراحَ يُطارِد قزمًا بين الموائد ويضربه على رأسه بكيس هواءٍ مملوء، حتى طالبَ الملك بمعرفة سبب ضربه أخيه، فأجابَ المهرِّج: «لأني قاتِل أهلي يا جلالة الملك».

قال رنلي: «تقصد قاتِل الملك يا أحمق المهرِّجين»، فتفجَّر الضَّحك في القاعة.

لم يُشارِك اللورد روان الجالس إلى جوار كاتلين في المرح، وقال: «كلهم صغار السِّنِّ للغاية».

إنه محقٌّ، ففارس الزهور لم يكن قد شهدَ يوم ميلاده الثَّاني عندما قتلَ روبرت الأمير ريجار في معركة الثَّالوث، وقِلَّة من الآخَرين يَكبُرونه، إذ كانوا رُضَّعًا عندما نُهِبَت كينجز لاندنج، ومجرَّد صِبيةٍ عندما قادَ بالون جرايچوي تمرُّد جُزر الحديد. قالت لنفسها وهي تُشاهِد اللورد برايس يحثُّ السير روبار على إلقاء وتدوير زوجٍ من الخناجر في الهواء: ما زالوا لا يعرفون مذاق الدَّم، وكلُّ هذا مجرَّد لُعبةٍ في أنظارهم، دورة مباريات على نطاقٍ أكبر، ولا يرون إلَّا فُرصة نيل المجد والشَّرف والغنائم. إنهم صِبية أسكرَتهم الأغاني والقصص، وككلِّ الصِّبية يحسبون أنفسهم خالدين.

قالت كاتلين: «ستجعلهم الحرب يَكبُرون كما جعلَتنا». كانت فتاةً عندما رفعَ روبرت وند وچون آرن راياتهم ضد إيرس تارجاريَن، وامرأةً عندما انتهى القتال. «إنني أشفقُ عليهم».

قال اللورد روان: «لماذا؟ انظُري إليهم، إنهم شباب أقوياء، مفعَمون بالحياة والضَّحك، والشَّهوة كذلك، نعم، شهوة لا يدرون ماذا يفعلون بها. أؤكِّدُ لك أن بذور نغولٍ كُثر ستُزرَع اللَّيلة، فلِمَ تُشفِقين عليهم؟».



أجابَت بحُزن: «لأن هذا لن يدوم، لأنهم فُرسان الصَّيف، والشِّتاء قادم».

رمقَتها بِريان بعينيها الزَّرقاوين كدِرعها قائلةً: «أنتِ مخطئة يا ليدي كاتلين. الشِّتاء لن يأتي من هُم مِثلنا أبدًا. إذا سقَطنا في المعركة، فلا بُدَّ أنهم سيُؤَلِّفون أغاني عنا، وفي الأغاني الصَّيف أمدي، وفي الأغاني كلُّ الفُرسان بواسلِ، وكلُّ الفتيات جميلات، والشَّمس ساطعة دومًا».

فكَّرت كاتلين: الشِّتاء يأتينا جميعًا، أتاني عندما ماتَ ند، وسيأتيكِ أيضًا يا صغيرتي، أسرع مما تحسبين، لكن قلبها لم يُطاوِعها على التلفُّظ بأفكارها.

أنقذَها الملك رنلي عندما ناداها قائلًا: «ليدي كاتلين، أرغبُ في القليل من الهواء النَّقي، فهلَّا تمشَّيتِ معي؟».

نهضَت من فورها مجيبةً: «يُشَرِّفني أن أفعل».

نهضَت بِريان بدورها، وقالت: «جلالة الملك، امنحني لحظةً أرتدي دِرعي، فلا ينبغي أن تكون بلا حماية».

ابتسمَ رنلي وقال لها: «لو لم أكن آمنًا في قلبِ قلعة اللورد كازويل، وجيشي يُحيط بي، فلن يصنع سيف واحد فارقًا، حتى سيفكِ أنتِ يا بِريان. اجلسي وكُلي، وإذا احتجتكِ سأستدعيكِ».

بدا وقْع كلماته على الفتاة أعنف من أيِّ ضربةٍ تلقَّتها اليوم ظُهرًا، وقالت كاسفة البال: «كما ترغب يا جلالة الملك»، فتأبَّط رنلي ذراع كاتلين وقادَها من القاعة مرورًا بحارسٍ يقف بتراخٍ، أسرعَ يعتدل فكادَ يُسقِط رُمحه، لكن رنلي ربَّت على كتفه وألقى دُعابةً.

قال الملك: «من هنا يا سيِّدتي»، وخرجَ بها من بابٍ واطئ يقود إلى سُلَّم، ثم سألَها وهما يبدآن الصُّعود: «بالمناسَبة، هل السير بِاريستان سلمي مع ابنكِ في ريفررَن؟».

أجابَت حائرةً: «كلا. ألم يَعُد مع چوفري؟ إنه قائد الحَرس الملكي».

هَزَّ رنلي رأسه قائلًا: «قال له أولاد لانستر إنه مسنٌّ جدًّا وأعطوا معطفه لكلب الصَّيد، وقيلَ لي إنه غادرَ كينجز لاندنج مقسمًا أن يلتحق بخدمة الملك الحقيقي. كنتُ محتفظًا بذلك المعطف الذي حازَته بِريان اليوم من



أجل سلمي، على أمل أن يعرض عليَّ سيفه، وعندما لم يظهر في هايجاردن، خطرَ لي أنه ذهبَ إلى ريڤررَن ربما».

- «لم نرَه».

قال رنلي: «كان مسنًّا، نعم، لكنه يبقى رجلًا صالحًا، وأتمنَّى أن سوءًا لم يمسَّه. آل لانستر حمقى كبار حقًّا»، وصعدا بضع درجاتٍ أخرى قبل أن يُواصِل: «ليلة ماتَ روبرت، عرضتُ على زوجكِ أن أمدَّه بمئة رجل، وألححتُ عليه أن يفرض سيطرته على چوفري، فلو أصغي إليَّ لكان وصيًّا على العرش اليوم، ولما كنتُ لأجد حاجةً للمطالَبة بالتَّاج».

لم تكن تحتاج من يُخبِرها هذا، فقالت له: «ورفضَ ند».

- «لقد أقسمَ على حماية أطفال روبرت. كنتُ أفتقر للقوَّة الكافية للتصرُّف وحدي، فلم أجد لديَّ خيارًا غير الهرب عندما رفضَ اللورد إدارد عرضي. كنتُ أعرفُ أن الملكة لن تسمح لي بالحياة طويلًا بَعد زوجها لو أني بقيتُ».

فكَّرت كاتلين بمرارة: لو أنك بقيت وساندت ند، لكان حيًّا ما زال.

- «كنتُ معجبًا بزوجكِ للغاية يا سيِّدتي، وأعلمُ أنه كان صديقًا مخلصًا لروبرت... لكنه رفضَ الإصغاء والإذعان. مِن هنا، أريدُ أن أريكِ شيئًا». كانا قد بلغا قمَّة السُّلَّم، وفتحَ رنلي بابًا خشبيًّا خرجا منه إلى السَّطح.

لا يرتفع حصن اللورد كازويل عاليًا لدرجة أن تُسَمِّيه بُرجًا، لكن هذه المنطقة من الرِّيف واطئة ومسطَّحة، فاستطاعَت كاتلين أن ترى مسافة فراسخ عديدة في كلِّ الاتِّجاهات، وحيثما نظرَت رأت بؤر نارٍ تُغَطِّي الأرض كالنُّجوم الهاوية، وكالنُّجوم لا آخِر لها. قال رنلي بهدوء: «جرِّبي العَدَّ إذا أردتِ يا سيِّدتي، وستجدين نفسكِ لم تَفرُغي بعدُ عندما يبزغ الفَجر في الشَّرق. كم بؤرة نارٍ تتَّقد حول ريڤررَن اللَّيلة يا تُرى؟».

كانت كاتلين تسمع أنغام الموسيقى الخافتة الآتية من القاعة الكُبرى متخلِّلةً اللَّيل، ولم تجرؤ على عَدِّ النُّجوم.

تابعَ رنلي: «بلغَني أن ابنكِ عبرَ «العُنق» بعشرين ألف رجل، والآن وقد انضمَّ إليه لوردات الثَّالوث، فلعلَّه يقود أربعين ألفًا».



لا، ليس عددًا قريبًا من هذا حتى. لقد فقدنا كثيرين في القِتال، وآخَرين تركونا في سبيل الحصاد.

قال رنلي: «إن معي ضِعف هذا العدد هنا، وهذا مجرَّد جزء من قوَّتي، فمايس تايرل في هايجاردن معه عشرة آلاف آخَرون، ولديَّ حامية قويَّة تُحافِظ على ستورمز إند، وقريبًا سينضمُّ إليَّ الدورنيُّون بكلِّ قوَّتهم. وإياكِ أن تنسي أخي ستانيس، الذي يتسيَّد دراجونستون ويقود لوردات البحر الضيِّق».

ردَّت كاتلين بحدَّةٍ أشد مما أرادَت: «يبدو أنك أنت مَن نسيت ستانيس».

ضاحكًا قال رنلي: «أتقصدين دعواه؟ لنتكلَّم بمنتهى الصَّراحة يا سيِّدتي، كان ستانيس ليُصبِح ملكًا شنيعًا، وليس من المحتمَل أن يصير واحدًا على كلِّ حال. النَّاس يحترمون ستانيس، بل ويخافونه، لكن قِلَّةً قليلةً منهم تُحِبُّه».

- «لكنه ما زال أخاك الأكبر، وإذا كان لأحدكما حَقٌّ في العرش الحديدي، فلا بُدَّ أن يكون اللورد ستانيس».

هَزَّ رنليَ كتفيه، وقال: «أخبِريني، أكان هناك أيُّ حَقٍّ لأخي روبرت في العرش الحديدي؟»، ولم ينتظر منها إجابةً، بل أكملَ: «أوه، كان هناك كلام عن صِلة قرابةٍ بين عائلتي باراثيون وتارجاريَن، عن زيجاتٍ تمَّت قبل مئة عام، عن الأبناء الثَّانين والبنات البِكر، لكن لا أحد غير المِايسترات يُبالي بشيءٍ من هذا. روبرت ظفرَ بالعرشِ بواسطة مطرقته الحربيَّة»، ولوَّح بيده مشيرًا إلى بؤر النَّار المشتعلة من الأفق إلى الأُفق، وواصلَ: «حسنٌ، ها هي دعواي، تمامًا كما كانت دعوى روبرت. إذا ساندَني ابنكِ كما ساندَ أبوه روبرت، فلن يجدني بخيلًا، وسيُسعِدني أن أصدِّق على امتلاكه جميع أراضيه وألقابه ومراتب شَرفه. يُمكنه أن يَحكُم من وينترفل كما يشاء، بل ويُمكنه أن يستمرَّ في تسمية نفسه الملك في الشَّمال إذا أرادَ، ما دامَ سيركع أمامي ويُبايِعني باعتباري سيِّده الأعلى. «الملك» مجرَّد كلمة، لكن الوفاء والإخلاص والخدمة... هذا ما يجب أن أحظى به».

- «وإذا لم يمنحك تلك الأشياء يا سيِّدي؟».

- «إنني أنوي أن أكون ملكًا يا سيِّدتي، وليس على مملكةٍ منقوصة. لا يُمكنني أن أقولها بوضوحٍ أكبر. منذ ثلاثمئة عامٍ ركعَ واحد من ملوك ستارك



أمام إجون التنِّين، عندما رأى أن لا أمل له في النَّصر. تلك كانت حكمة منه، وعلى ابنكِ أن يكون حكيمًا كذلك. بمجرَّد أن ينضمَّ إليَّ، فهذه الحرب في حُكم المنتهية. إننا...»، وبترَ رنلي كلامه فجأةً وقد جذبَ انتباهه شيء ما، وقال: «ما هذا؟».

أفصحَت صلصلة السَّلاسل عن رفْع الشَّبكة الحديديَّة، وفي السَّاحة في الأسفل همزَ خيَّال يعتمر خوذةً مجنَّحةً حصانه المنهَك ليمرَّ تحت القضبان المدبَّبة، وصاحَ: «استدعوا الملك!».

وثبَ رنلي إلى أعلى ليقف في فُرجةٍ بين جدارين في الشُّرفة، وقال: «أنا هنا أيها الفارس».

تقدَّم الخيَّال بحصانه قائلًا: «جلالة الملك، لقد أتيتُ بأقصى سرعتي من ستورمز إند. إننا محاصَرون يا جلالة الملك. السير كورتناي يتحدَّاهم، وإنما...».

- «لكن... هذا مستحيل. كان الخبر ليَبلُغني لو أن اللورد تايوين غادرَ هارنهال».

- «إنه ليس جيش لانستر يا مولاي، بل هو اللورد ستانيس على بوَّاباتك، الملك ستانيس كما يدعو نفسه الآن».





چون

انهمرَ المطر مدرارًا ليضرب وجه چون كالسِّياط، وهو يهمز حصانه عابرًا به الجدول الذي فاضَت مياهه، وإلى جواره شَدَّ حضرة القائد مورمونت قلنسوته على رأسه أكثر، وراحَ يصبُّ لعناته على الطَّقس، بينما استقرَّ غُدافه على كتفه نافشًا ريشه، وقد تعكَّر مزاجه كالدُّب العجوز نفسه. هبَّت الرِّيح لتُطَيِّر أوراق الشَّجر المبتلَّة حولهم كسرب من الطُّيور الميتة، وفكَّر چون بكآبة: الغابة المسكونة... الغابة الغارقة بالأحرى.

تمنَّى أن يكون سام صامدًا وهو يتحرَّك في مؤخِّرة الرَّكب، فهو ليس بارعًا في الرُّكوب، حتى في الأجواء المعتدلة، ناهيك بهذا الجَوِّ الذي ينزل فيه الغيث منذ ستَّة أيام كاملة بلا انقطاع، جاعلًا الأرض خدَّاعةً، كلها وحل رخو وصخور خفيَّة. عندما تهبُّ الرِّيح، فإنها تدفع الماء في أعيُنهم مباشرةً، فلا شَكَّ أن أجزاءً صغيرةً من «الجِدار» تتطايَر جَنوبًا، ثلوجًا ذائبةً تتَّحد مع قطرات الأمطار الدَّافئة لتمتزج بمياه الجداول والأنهار. ولا بُدَّ أن پيپ وتودر جالسان الآن بالقُرب من النَّار في قاعة القلعة السَّوداء العامَّة، يحتسيان النَّبيذ المتبَّل قبل العَشاء. شعرَ چون بالحسد نحوهما، فقد التصقَت ثيابه الصُّوف المشبَّعة بالماء بجسده وأشعرَته بالحكَّة، وآلَمَته رقبته وكتفاه بشدَّة بسبب وزن قميص الحلقات المعدنيَّة والسَّيف الثَّقيل، بالإضافة إلى السَّأم التَّام الذي أصابَه من سمك القُد واللَّحم المملَّح والجبن الجامد.

من أمامهم تردَّد نفير مرتعش من بوق صيد، وقد طغَى عليه صوت المطر المتساقط بلا توقُّف، فأعلنَ الدُّب العجوز: «بوق بكويل. الشُّكر للآلهة، ما



زال كراستر هنا»، وخفقَ غُدافه بجناحيه الواسعين مرَّةً ناعبًا: «ذُرة!»، ثم عادَ ينفش ريشه.

كثيرًا ما سمعَ چون الإخوة السُّود يتحاكون عن كراستر وقلعته، والآن سيراها بأُمِّ عينيه. بَعد سبع قُرى خاوية على عروشها، كانوا يتوجَّسون خيفةً جميعًا من أن يجدوا مقرَّ كراستر خاليًا مهجورًا كغيره، لكن يبدو أن ذلك لن يتكرَّر هنا. قد يتحصَّل الدُّب العجوز على بعض الإجابات أخيرًا، وعلى كلِّ حالٍ سنجد ساترًا من المطر.

أقسمَ ثورين سمولوود أن كراستر صديق لحَرس اللَّيل، على الرغم من سُمعته السيِّئة، وقال للدُّب العجوز: «لن أنكر أن الرَّجل شِبه مخبول، لكنك كنت لتُصاب بالخبال مِثله لو أنك قضيت حياتك في هذه الغابة الملعونة، ومع ذلك فهو لم يبخل بناره على أحد الجوَّالة قَطُّ، كما أنه لا يحبُّ مانس رايدر. سيمنحنا مشورةً مفيدةً».

ما دامَ سيُعطينا وجبةً ساخنةً والفُرصة لتجفيف ملابسنا، سأكونُ راضيًا. قال دايوين إن كراستر يَقتُل ذويه، وإنه كذَّاب ومغتصِب وجبان، ولمَّح إلى أن له تعامُلات ما مع النخَّاسين والشَّياطين، وأضافَ الحطَّاب العجوز مطقطقًا بأسنانه الخشبيَّة: «وأسوأ... ثمَّة رائحة باردة تنبعث من هذا الرَّجل حقًّا».

قال اللورد مورمونت آمرًا: «چون، اركب حتى نهاية الطَّابور وانشُر الخبر، وذكِّر القيِّمين بأني لا أريدُ أيَّ متاعب مع زوجات كراستر. على الرِّجال أن يصونوا أيديهم، ويُوَجِّهوا أقلَّ القليل من الكلام لهؤلاء النِّسوة».

قال چون: «أمرك يا سيِّدي»، ودارَ بحصانه عائدًا أدراجه من حيث أتوا، شاعرًا بالسُّرور لابتعاد المطر عن وجهه ولو فترةً قصيرةً، بينما بدا كلُّ مَن مَرَّ بهم كأنهم يبكون، وقد امتدَّت مسيرتهم مسافة نِصف ميلٍ في الغابة. وجدَ ساموِيل تارلي في منتصَف طابور عربات الأمتعة، يجلس محنيَّ الظَّهر فوق سَرجه وتحت قبَّعةٍ عريضةٍ مرنة وقد امتطى واحدًا من أحصنة الجرِّ بينما يقود البقيَّة. دفعَ صوت قطرات المطر التي لا تنفكُّ ترتطم بأغطية الأقفاص الغِدفان إلى الصُّراخ والرَّفرفة بأجنحتها بهياج، فسألَه چون رافعًا صوته: «هل حبست ثعلبًا معها أم ماذا؟».



جرى الماء على حافة قبَّعة سام عندما رفعَ رأسه قائلًا: «أوه، أهلًا چون. لا، إنها تكره المطر فقط، تمامًا مِثلنا».

- «كيف حالك يا سام؟».

أجابَ الصَّبي البدين وقد رسمَ على وجهه ابتسامةً خفيفةً: «مبتلٌّ تمامًا، لكن لا شيءَ قتلَني حتى الآن».

- «عظيم. قلعة كراستر أمامنا مباشرةً، وبمشيئة الآلهة سيسمح لنا بالنَّوم حول النَّار».

بدا الشَّكُّ على ملامح سام وهو يقول: «إد الكئيب يقول إن كراستر همجي فظيع، إنه يتزوَّج بناته ولا يُطيع أيَّ قوانين غير التي يستنُّها بنفسه. ودايوين قال لجرن إن هناك دماءً سوداء تسري في عروقه، فأمُّه كانت همجيَّةً ضاجعَت جوَّالًا، ولذا فهو نغـ...»، وبترَ عبارته وقد أدركَ فجأةً ما أوشكَ على أن يقوله.

إلَّا أن چون قال ضاحكًا: «نغل؟ يُمكنك أن تقولها يا سام، إنها ليست أول مرَّةٍ أسمعها»، ثم همزَ حصانه صغير الحجم واثق الخُطى قائلًا: «يجب أن أجد السير أوتين. توخَّ الحذر في وجود نسوة كراستر». كأن ساموِيل تارلي في حاجةٍ حقًّا إلى تحذيرٍ في هذا الصَّدد. «سنتكلَّم لاحقًا بَعد أن ننصب المخيَّم».

ذهبَ چون بالخبر إلى السير أوتين ويذرز، الذي يتقدَّم بتثاقُلٍ مع حَرس المؤخِّرة. كان رجلًا صغير الحجم، تنتشر في وجهه التَّجاعيد، ويُقارِب الدُّب العجوز في السِّن، ودائمًا ما يبدو عليه الإنهاك، حتى عندما يكونون في القلعة السَّوداء، وقد زادَه المطر المنصبُّ بلا رحمةٍ إنهاكًا، فرَدَّ على چون قائلًا: «أخبار سارَّة. البلل تخلَّل عظامي ذاتها، وحتى أوجاع الرُّكوب التي أشعرُ بها تشتكي من أوجاعها الخاصَّة!».

في طريق العودة دارَ چون دورةً واسعةً حول خَطِّ سير الرَّكب، وسلكَ طريقًا أقصر عبر الغابة المتشابكة. شيئًا فشيئًا خفتَت أصوات الرِّجال والخيول، ابتلعَتها البريَّة الخضراء البليلة، وسرعان ما أصبحَ الصَّوت الوحيد الذي يسمعه هو خرير المطر السَّائل على الأشجار والأعشاب والصُّخور. كانوا في منتصَف الظَّهيرة، لكن الغابة بدَت مظلمةً كأنه الغَسق، وشَقَّ چون



طريقًا ملتفًّا بين الصُّخور وبرك الوحل، مارًّا بأشجار السَّنديان الضَّخمة، وأشجار الحارس الخضراء الرَّماديَّة، وأشجار الصُّلب سوداء اللِّحاء. في بعض البقاع كوَّنت الأغصان الكثيفة مظلَّةً في الأعلى، فاستراحَ قليلًا من الأمطار التي تقرع رأسه، وبينما مَرَّ بشجرة كستناء ضربَها البرق ونما عليها الورد البرِّي الأبيض بغزارة، سمعَ حفيفًا وسط الشُّجيرات الصَّغيرة، فنادى: «جوست، جوست، إليَّ».

لكن دايوين هو من خرجَ من قلب الخُضرة، يقود حصانًا رماديًّا أشعث، وإلى جواره جرِن على متن حصانٍ آخَر. كان الدُّب العجوز قد نشرَ كشَّافةً على جانبي الرَّكب الرَّئيس، بغية حماية مسيرتهم وتحذيرهم من أيِّ عدوٍّ يقترب؛ وحتى في هذا الصَّدد لم يُغامِر، فكان يُرسِل الرِّجال أزواجًا دائمًا.

ابتسمَ دايوين كاشفًا أسنانه المنحوتة من خشب البلُّوط التي لا تُناسِب فمه، وقال: «آه، إنه أنت يا لورد سنو. حسبتُ أن هناك واحدًا من هؤلاء «الآخَرين» علينا أن نتعامَل معه. هل فقدت ذئبك؟».

- «إنه يصطاد في مكانٍ ما». لا يحبُّ جوست التحرُّك مع الرَّكب، لكنه لا يبتعد كثيرًا، وعندما يُخَيِّمون ليلًا، يجد طريقه إلى خيمة حضرة القائد.

قال دايوين: « مع كلِّ هذا الماء، لا بُدَّ أن ما يصطاده سَمك».

قال جرِن بأمل: «كانت أمِّي تقول دومًا إن المطر خير، لأنه يجعل المحاصيل تنمو».

رَدَّ دايوين: «نعم، سينمو محصول وفير من العفن الفطري. أفضل ما في مطرٍ كهذا أنه يُوَفِّر عليك الاستحمام»، وطقطقَ بأسنانه الخشبيَّة.

قال لهما جون: «بكويل وجدَ كراستر».

قال دايوين ضاحكًا: «وهل كان قد فقدَه؟ احرصوا على عدم التعرُّض لزوجات كراستر أيها الصِّغار، مفهوم؟».

سألَه جون مبتسمًا: «أتُريدهن جميعًا لنفسك يا دايوين؟».

طقطقَ دايوين بأسنانه مجدَّدًا، وقال: «ربما. كراستر لديه عشرة أصابع وقضيب واحد، أي أنه لا يعرف العَدَّ بَعد أحد عشر، فلن يفتقد واحدةً أو اثنتين».



سألَ جرِن: «كم زوجةً لديه حقًّا؟».

- «أكثر مما سيكون لديك من زوجاتٍ يا أخي. ليست المسألة بهذه الصُّعوبة عندما تُنجِب زوجاتك بنفسك. ها هو ذئبك يا سنو».

كان جوست يخبُّ إلى جوار حصان چون، وقد رفعَ ذيله عاليًا وانتفشَ فروه الأبيض الكثيف بفِعل المطر. كان يتحرَّك بلا صوتٍ على الإطلاق، حتى إن چون لم يدرِ متى ظهرَ، وجفلَ حصان جرِن لمَّا اشتمَّ رائحته، فإلى الآن، بَعد مرور أكثر من عام، ما زالت الخيول تضطرب في وجود الذِّئب الرَّهيب. وكزَ چون حصانه في اتِّجاه قلعة كراستر قائلًا: «معي يا جوست».

لم يكن ينتظر أن يجد قلعةً من الحجر على الجانب الآخَر من «الجِدار»، لكنه تخيَّل على الأقل حصنًا ببُرجٍ خشبي يقع على رابيةٍ مرتفعة، وتُحيط به ساحة ويُطَوِّقه خندق فيه أوتاد، أمَّا ما وجدوه بدلًا من هذا فكان كومة قاذورات وزريبة خنازير وحظيرة غنم فارغة، وقاعةً مبنيَّةً من الجِصِّ والأغصان المجدولة لا تستحقُّ أن تُسَمَّى قاعةً، فهي طويلة واطئة، ودعائمها من جذوع الأشجار وسقفها من النَّجيل. استقرَّت الأبنية المتواضعة على مرتفَعٍ أكثر تواضُعًا من أن يُسَمَّى تَلًّا، يُحيط بها سياج من التُّربة، بينما يسيل الماء مصطبغًا بلون الأوحال البنِّي في مجارٍ ضيِّقة على المنحدَر، حيث التهمَ المطر أجزاءً من الدِّفاعات وحوَّلها إلى ثغراتٍ متَّسعة، ليمتزج بمياه غديرٍ تجري مسرعةً في منعطَفٍ إلى الشَّمال، وقد حوَّلها الوابل الهاطل من السَّماء إلى سيلٍ داكن.

وجدٌ إلى الجَنوب الغَربي بوَّابةً مفتوحةً على جانبيها جمجمتا حيوانين مثبَّتتين على ساريتين طويلتين، إحداهما لدُبٍّ والثَّانية لكبش، ولاحظَ چون وهو يُعاوِد الانضمام إلى الطَّابور أن قِطعًا من اللَّحم لا تزال عالقةً بجمجمة الدُّب. في الدَّاخل كان كشَّافة چارمان بكويل، ورجال من حَرس الطَّليعة تحت قيادة ثورين سمولوود، يُنَظِّمون صفوف الخيول وينصبون الخيام بصعوبة، وفي الزَّريبة استقرَّت مجموعة كبيرة من الخنازير الوليدة حول ثلاث خنزيرات ضخمات، بينما كانت فتاة صغيرة تقطف الجزر من حديقةٍ على مقربةٍ وهي عارية على الرغم من المطر، وقيَّدت اثنتان من زوجات



كراستر خنزيرًا توطئةً لذبحه، فتردَّد قباع الحيوان عاليًا شنيعًا، يكاد مما فيه من رُعبٍ يكون صراخًا بَشريًّا، وردَّت عليه كلاب تشِت نباحًا وهي تزوم وتنهش الهواءَ متحديةً الشَّتائم التي انهالَ بها عليها، ليردَّ اثنان من كلاب كراستر النَّباح بالنِّباح. مع ظهور جوست بترَ بعض الكلاب نباحه وفرَّ، وكلاب أخرى راحَت تعوي وتُزَمجِر، بينما تجاهَلها الذِّئب الرَّهيب كلها تمامًا، وكذلك چون.

قال چون لنفسه بمجرَّد أن ألقى نظرةً شاملةً على القاعة: ثلاثون منا سينعمون بالدِّفء والجفاف، خمسون على أقصى تقدير. كان المكان أصغر من أن ينام فيه مئتا رجلٍ دُفعةً واحدةً، ما يعني أن أغلبهم سيضطرُّ للبقاء في الخارج، لكن أين بالضَّبط؟ لقد ملأَ المطر نِصف السَّاحة ببِرَكٍ ترتفع حتى الكاحل، وأحالَ الباقي إلى أوحالٍ رخوة. ها هي ليلة مزرية أخرى تنتظرهم.

عهدَ حضرة القائد بحصانه لإد الكئيب، الذي كان يُنَظِّف الحوافر من الطِّين عندما ترجَّل چون، فقال له: «اللورد مورمونت في القاعة، وطلبَ أن تنضمَّ إليه. من الأفضل أن تَترُك الذِّئب في الخارج، لأنه يبدو جائعًا بما فيه الكفاية لالتهام أحد أطفال كراستر. الحقيقة أني جائع بما فيه الكفاية لالتهام أحد أطفال كراستر، ما دامَ سيُقَدَّم ساخنًا. اذهب أنت وسأعتني بحصانك، ولا تُخبرني إن كان الجَوُّ دافئًا في الدَّاخل، فلم يُؤذَن لي بالدُّخول»، ونقرَ كُتلةً من الطِّين المبتلِّ من تحت حدوة الحصان قائلًا: «أيبدو لك هذا الطِّين كالخراء؟ أمن الممكن أن هذا التَّلَّ كله تكوَّن من خراء كراستر؟».

مبتسمًا قال چون: «محتمَل. سمعتُ أنه هنا منذ زمنٍ طويل».

- «إنك تملأ نفسي بهجةً حقًّا. اذهب إلى الدُّب العجوز».

قال چون لذئبه آمرًا: «جوست، ابقَ هنا».

كان باب قلعة كراستر عبارةً عن سديلتين من جِلد الأيل غير المدبوغ، فدَسَّ چون جسده بينهما برأسٍ محني، ليمرَّ من تحت العتبة العُليا الواطئة. كان عشرون ونيِّف من كبار الجوَّالة قد سبَقوه إلى الدَّاخل، ويقفون حول حُفرة النَّار في منتصف الأرض التُّرابيَّة، بينما تتجمَّع بِركٌ صغيرة من الماء حول أحذيتهم، ومن القاعة كلها فاحَت رائحة كريهة هي مزيج من السِّناج والرَّوث والكلاب المبتلَّة، وامتلأَ الهواء بالدُّخان وإن ظَلَّ رطبًا بشكلٍ ما،



وتسرَّب ماء المطر من فتحة التَّهوية في السَّقف. رأى چون أن المكان كله يتكوَّن من غُرفةٍ واحدة، وثمَّة زوج من السَّلالم المتهالكة يقود إلى علِّيَّة نومٍ في الأعلى.

تذكَّر چون شعوره يوم تركوا «الجِدار»، وكيف كان متوتِّرًا كعذراء في خدرها، لكن توَّاقًا إلى رؤية الغوامض والعجائب الواقعة وراء كلِّ أُفقٍ جديد. طيِّب، ها هي واحدة من العجائب، قال لنفسه وهو يتطلَّع إلى أنحاء القاعة القذرة كريهة الرَّائحة، وقد جعلَ الدُّخان الكثيف عينيه تدمعان. من المؤسف أن پيپ وتودر لا يريان ما فاتَهما.

جلسَ كراستر عاليًا عن النَّار، باعتباره الرَّجل الوحيد الذي يتمتَّع بمقعده الخاص، فحتى حضرة القائد مورمونت اضطرَّ للجلوس على الدِّكَّة المشترَكة، وغُدافه على كتفه يُهَمهِم، بينما وقفَ چارمان بكويل وراءه والماء يقطر من قميص الحلقات المعدنيَّة المرقَّع والجِلد اللَّامع المبتل، إلى جوار ثورين سمولوَود الذي يرتدي واقي الصَّدر الثَّقيل والمعطف المبطَّن بفرو السَّمُّور، اللذين كانا ملكًا للسير چارمي الرَّاحل.

صنعَت سُترة كراستر المفصَّلة من جِلد الغنم، ومعطفه المصنوع من جلودٍ مختلفة مخيَّطة معًا، منظرًا رَثًّا متناقضًا، لكن حول أحد معصميه الثَّخينين كانت حلقة ثقيلة لها لمعة الذَّهب. بدا الرَّجل قويًّا، وإن كان في شتاء العُمر الآن، وقد بدأ البياض يزحف على شَعره الرَّمادي، بينما أعطاه الأنف المسطَّح والفم المتدلِّي مظهرًا قاسيًا، بالإضافة إلى أن إحدى أذنيه مبتورة. هكذا يبدو الهمجي إذن. تذكَّر چون حكايات العجوز نان عن القوم المتوحِّشين الذين يشربون الدَّم من جماجم بشريَّة، بينما كان كراستر يشرب بيرةً صفراء خفيفةً من كوبٍ حجريٍّ مكسور الحافة. لعلَّه لم يسمع تلك الحكايات!

كان كراستر يقول لمورمونت: «لم أرَ بنچن ستارك منذ ثلاثة أعوام، وأصدقُك القول إنني لم أفتقده لحظةً». كان نِصف دستة من الجراء السَّوداء وخنزير أو اثنان يتسكَّعون بين الدِّكك، بينما مرَّت على الرِّجال بقرون البيرة نساء ترتدي جِلد الأيل البالي، وحرَّكن النَّار، وقطَّعن البصل والجزر في قِدر.



قال ثورين سمولوود: «لا بُدَّ أنه مَرَّ من هنا العام الماضي». جاءَ كلب يتشمَّم حول ساقه، فركلَه ركلةً جعلَته يجري نابحًا.

قال اللورد مورمونت: «بن كان يبحث عن وايمار رويس، الذي اختفى مع كلٍّ من چارد وويل الشَّاب».

رَدَّ كراستر: «نعم، أذكرُ هؤلاء الثَّلاثة. اللورد الصغير كان أكبر من تلك الجراء بالكاد، وأكثر اعتزازًا بنفسه من أن ينام تحت سقفي، بمعطفه الثَّمين وفولاذه الأسود، لكن زوجاتي تطلَّعن إليه بافتتانٍ على الرغم من ذلك»، وضيَّق عينيه رامقًا أقرب النِّساء إليه، وتابعَ: «قال چارد إنهم يُطارِدون مجموعةً من المُغيرين، فقلتُ له إن خيرًا لهم ألَّا يلحقوا بهم ومعهم قائد معدوم الخبرة مِثل هذا. لم يكن چارد بذلك السُّوء بالنِّسبة لغُراب، وكانت يملك من الآذان أقلَّ مني. قضمة الصَّقيع أخذَت أُذنيه كما أخذَت أُذني»، ثم ضحكَ مضيفًا: «والآن أسمعُ أنه صارَ بلا رأسٍ أيضًا. هل قضمَه الصَّقيع بدوره؟».

تذكَّر چون الدَّم الأحمر المتناثر على الثَّلج الأبيض، وكيف ركلَ ثيون جرايچوي رأس الرَّجل الميت. كان متهرِّبًا من الخدمة. في طريق العودة إلى وينترفل تسابقَ چون وروب، وعثرا على جِراء أنثى الذِّئب الرَّهيب السِتَّة وسط الثُّلوج. كان هذا منذ ألف عام.

- «إلى أين اتَّجه السير وايمار بَعد أن تركك؟».

هَزَّ كراستر كتفيه وقال: «لديَّ أشياء أهتمُّ بها أكثر من ذهاب الغِربان وإيابهم»، وأخذَ جرعة من البيرة ونحَّى الكوب جانبًا، وواصلَ: «لم أحظَ بنبيذٍ جَنوبيٍّ جيِّد هنا منذ زمن. أحتاجُ القليل من النَّبيذ حقًّا، وبلطةً جديدةً كذلك، لأن بلطتي فقدَت حدَّتها، ولا يُمكنني تجاهُل هذا ولديَّ نساء أحميهن»، ونقلَ بصره بين زوجاته اللاتي يتحرَّكن في المكان.

قال مورمونت: «أنتم قِلَّة هنا، ومعزولون. سأعيِّنُ بعض الرِّجال ليصحبوكم جَنوبًا إلى «الجِدار» إذا أردت»، وبدا أن الفكرة راقَت الغُداف الذي صرخَ: «جِدار!»، وقد فردَ جناحيه الأسودين كياقةٍ عالية وراء رأس مورمونت.

ارتسمَت ابتسامة كريهة على وجه مضيفهم كشفَت أسنانه البنِّيَّة المكسَّرة،



وقال: «وماذا نفعل هناك؟ نخدمكم بينما تتناوَلون العَشاء؟ إننا أحرار هنا، وكراستر ليس خادمًا لأحد».

- «سُكنى البراري في أوقاتٍ كهذه سيِّئ حقًّا، فالرِّيح الباردة تهبُّ».

قال كراستر: «دَعها تهبُّ، فجذوري شديدة العُمق»، وجذبَ امرأةً عابرةً من معصمها قائلًا لها: «أخبِريه يا زوجتي، أخبِري اللورد الغُراب كم نحن قانعون هنا».

لعقَت المرأة شفتيها الرَّفيعتين، وقالت: «هذا مكاننا، وكراستر يُحافِظ على سلامتنا. الموت أحرارًا خير من الحياة عبيدًا».

ردَّد الغُداف: «عبيدًا!».

مالَ مورمونت إلى الأمام قائلًا: «كلُّ القرى التي مررنا بها مهجورة، ووجوهكم أول وجوهٍ حيَّة نراها منذ تركنا «الجِدار». النَّاس اختفوا تمامًا... ولا أدري إن كانوا موتى أم هاربين أم أسرى، والحيوانات اختفَت كذلك، ولم يتبقَّ شيء. منذ فترةٍ وجدنا جثتي اثنين من جوَّالة بن ستارك على بُعد فراسخ معدودة من «الجِدار». كانتا شاحبتين باردتين، وأيديهما وأقدامهما سوداء، وجروحهما لا تنزف، لكن عندما أخَذناهما إلى القلعة السَّوداء، نهضَتا في جوف اللَّيل قاصدتين القتل. إحداهما قتلَت السير چارمي ريكر، والأخرى هاجمَتني، ما يجعلني أفكِّرُ أن تلك الجُثث الحيَّة تتذكَّر القليل مما كانت تعرفه قبل موتها، وإن لم تتبقَّ فيها رحمة إنسانيَّة على الإطلاق».

فغرَت المرأة فاها عن آخِره ككهفٍ ورديٍّ مبتل، لكن كراستر أطلقَ نخيرًا ساخرًا، وقال: «لم تُواجِهنا متاعب مشابهة هنا... وأشكرك إذا لم تحكِ حكاياتٍ شرِّيرة كهذه تحت سقفي. إنني رجل تقي، والآلهة تحميني، وإذا وجدتُ جُثثًا حيَّةً تمشي هنا، فسأعرفُ كيف أعيدها إلى قبورها، وإن كنتُ أحتاجُ بلطةً حادَّةً جديدةً»، وصفعَ زوجته على مؤخِّرة ساقها زاعقًا: «المزيد من البيرة، وبسرعة».

قال چارمان بكويل: «لا متاعب من الموتى، لكن ماذا عن الأحياء يا سيِّدي؟ ماذا عن ملكك؟».

صاحَ غُداف مورمونت: «ملك، ملك، ملك، ملك!».



رَدَّ كراستر: «مانس رايدر؟»، وبصقَ في النَّار قبل أن يُغَمغِم: «ملك ما وراء الجدار. لماذا يُريد شعب الأحرار ملكًا؟»، ثم التفتَ إلى مورمونت قائلًا: «يُمكنني أن أخبركم بالكثير عن رايدر وما يفعله إذا واتَتني الرَّغبة. القُرى الخالية، هذا من صُنعه، وكنت لتجد هذه القاعة مهجورةً بدورها لو كنتُ رجلًا ينصاع لأمثاله. لقد أرسلَ لي خيَّالًا قال لي إن عليَّ أن أترك قلعتي وأذهب لأتذلَّل عند قدمي مانس، فأعدته إليه دون لسانه. علَّقته بمسمارٍ على الحائط»، وأشارَ مضيفًا: «ربما يُمكنني أن أقول لكم أين تبحثون عن مانس رايدر إذا واتَتني الرَّغبة»، ثم ابتسمَ ابتسامته البنِّيَّة تلك من جديد وأردفَ: «لكننا سنجد وقتًا لهذا. لا بُدَّ أنكم ترغبون في النَّوم تحت سقفي والتهام ما لديَّ من خنازير».

قال مورمونت: «نُرَحِّب بالسَّقف كلَّ التَّرحيب يا سيِّدي، فقد قطعنا مسافةً طويلةً شاقَّةً وعانينا الكثير من البلل».

- «ستنزلون ضيوفًا هنا مدَّة ليلةٍ لا أكثر، فلستُ مغرمًا لهذه الدَّرجة بالغِربان. العلِّيَّة لي ولزوجاتي، لكن الأرض كلها لكم. لديَّ لحم وبيرة تكفي عشرينًا لا أكثر، أمَّا بقيَّتكم أيها الغِربان السَّوداء فيمكنهم العثور على ذُرةٍ يأكلونها».

قال الدُّب العجوز: «لقد حزمنا مؤننا الخاصَّة يا سيِّدي، ويُسعِدنا أن نتقاسَم طعامنا ونبيذنا».

مسحَ كراستر فمه المتدلِّي بظَهر يده المشعرة، وقال: «سأتذوَّقُ نبيذكم أيها اللورد الغُراب، لا شَكَّ في هذا. ثمَّة شيء آخَر: أيُّ رجلٍ يمسُّ واحدةً من زوجاتي سيفقد يده».

قال ثورين سمولوود: «تحت سقفك تسري قواعدك»، وأومأَ اللورد مورمونت برأسه بجمود، وإن بدا عليه عدم الرِّضا.

قال كراستر: «اتَّفقنا إذن»، ثم سألَ بفظاظة: «ألديكم من يستطيع رسم الخرائط؟».

تقدَّم چون قائلًا: «سام تارلي يستطيع. إنه يحبُّ الخرائط».

أشارَ له مورمونت بالاقتراب، وقال: «قُل له أن يأتي بَعد أن يأكل، واجعله



يجلب ريش الكتابة والرَّقوق. وجِد توليت كذلك وقُل له أن يُحضِر بلطتي. إنها هديَّتي كضيفٍ لمضيفنا».

قال كراستر قبل أن يَخرُج چون: «من هذا؟ إن لديه ملامح أولاد ستارك».

- «إنه وكيلي ومُرافِقي چون سنو».

تطلَّع كراستر إلى چون من أعلى إلى أسفل، وقال: «نغل، هه؟ إذا أرادَ الرَّجل أن يُضاجِع امرأةً، فليتزوَّجها. هذا ما أفعله أنا»، ولوَّح بيده صارفًا چون قائلًا: «طيِّب، اذهب وقُم بواجبك أيها النَّغل، وتأكَّد من أن تلك البلطة حادَّة، فلا حاجة لديَّ إلى الفولاذ الثَّلم».

انحنى چون بحركةٍ جامدة وغادرَ. كان السير أوتين ويذرز في طريقه إلى الدَّاخل بينما خرجَ، وكاد الاثنان يتصادَمان عند الباب المصنوع من جِلد الأيل. في الخارج بدا أن الأمطار خفَّت أخيرًا، ونُصِبَت الخيام في كلِّ مكانٍ بين المباني، ورأى چون قمم خيام أخرى تحت الأشجار.

قال إد الكئيب بينما يُطعِم الخيول: «نُعطي الهمجي بلطةً، ولِمَ لا؟»، وأشارَ إلى بلطة مورمونت الحربيَّة ذات المقبض القصير والزَّخارف الذَّهبيَّة المنقوشة على الفولاذ الأسود، وأضافَ: «أؤكِّدُ لك أنه سيُعيدها، لكن مغروسةً في جمجمة الدُّب العجوز غالبًا. لِمَ لا نعطيه بلطاتنا كلها وسيوفنا أيضًا؟ إنني أكرهُ الطَّريقة التي تُصَلصِل وتُخَشخِش بها ونحن راكبون. ستكون حركتنا أسرع دونها، إلى أبواب الجحيم مباشرةً. تُرى هل يهطل المطر في الجحيم؟ ربما يُريد كراستر قبَّعةً بدلًا من البلطة».

قال چون مبتسمًا: «يُريد بلطةً، ونبيذًا كذلك».

- «أترى؟ الدُّب العجوز ذكيٌّ حقًّا. إذا جعلْنا الهمجيَّ يشرب حتى الثُّمالة ويسكر، فلربما يقطع أُذنًا واحدةً عندما يُحاوِل قتلنا بهذه البلطة. إن لديَّ أُذنين، لكن رأسًا واحدًا».

- «سمولوود يقول إن كراستر صديق لحَرس اللَّيل».

قال الأخ الكئيب: «أتدري الفارق بين الهمجي صديق حَرس اللَّيل والهمجي الذي ليس كذلك؟ أن أعداءنا يَترُكون جُثثنا للغِربان والذِّئاب، بينما يدفننا أصدقاؤنا في قبورٍ سرِّيَّة. منذ متى وجمجمة الدُّب معلَّقة على البوَّابة يا



تُرى؟ وماذا كان كراستر يفعل قبل أن نظهر؟»، ورمقَ إد البلطة بشَكٍّ والمطر يجري على وجهه الطَّويل، وسألَ: «هل المكان جافٌّ في الدَّاخل؟».

- «أكثر جفافًا من هنا».

- «إذا كمنتُ هناك بَعد أن يَفرُغوا، وليس على مقربةٍ من النَّار، فربما لا يلحظون وجودي قبل طلوع النَّهار. من ينامون تحت هذا السَّقف سيكونون أول من يُقتَلون، لكننا سنموت جافِّين على الأقل».

ضحكَ چون رغمًا عنه، وقال: «كراستر رجل واحد ونحن مئتان. أشكُّ أنه سيَقتُل أحدًا».

قال إد ولهجته مفعمة تمامًا بالجِهامة: «إنك تُثير بهجتي حقًّا. ثم إن البلطة الحادَّة لها مميِّزاتها، لأني أكرهُ أن أُقتَل بمطرقة. رأيتُ رجلًا تلقَّى ضربةً على الجبهة بمطرقةٍ من قبل، فلم يتأذَّى الجِلد كثيرًا، لكن العظام أسفله تفتَّتت، وتورَّم رأسه حتى صار كحبَّة اليقطين لو أن لونه أرجواني محمرّ. كان رجلًا وسيمًا، لكنه ماتَ قبيحًا. من الجيِّد أننا لن نُعطيهم مطارق»، وابتعدَ وهو يهزُّ رأسه، ومياه المطر تقطر من معطفه الغارق تمامًا.

أطعمَ چون الخيول قبل أن يتوقَّف للتَّفكير في عَشائه، وكان يتساءَل أين يجد سام عندما سمعَ من تصيح مرتعبةً: «ذئب!»، فانطلقَ يعدو حول القاعة نحو مصدر الصَّيحة والتُّربة الرَّخوة تمتصُّ حذاءه، ليجد واحدةً من نسوة كراستر ملصقةً ظَهرها بالجِدار الملطَّخ بالطِّين، وتصيح في جوست: «ابتعد عني! ابتعد عني!». كان الذِّئب الرَّهيب يحمل أرنبًا في فمه، وعلى الأرض إلى جواره واحد آخَر دامٍ ميت. قالت المرأة متوسِّلةً عندما رأت چون: «أبعِده يا سيِّدي».

- «لن يُؤذيكِ»، قال چون وقد أدركَ ما حدثَ في الحال من منظر القفص الخشبي، الذي تحطَّمت أضلاعه وانقلبَ على جانبه وسط العُشب المبتل. «لا بُدَّ أنه جائع، فلم نرَ طرائد كثيرةً في طريقنا»، ثم أطلقَ صفيرًا فازدردَ الذِّئب الرَّهيب الأرنب محطِّمًا العظام الصَّغيرة بين أسنانه، ثم اتَّجه إلى صاحِبه.

حدجَتهما المرأة بنظراتٍ عصبيَّة. كانت أصغر سِنًّا مما حسبَ في البداية، وقدَّر أن عُمرها خمسة أو ستَّة عشر عامًا، شَعرها الدَّاكن ملتصق بوجهها



الكئيب بسبب المطر، وقدماها الحافيتان ملوَّثتان بالوحل حتى الكاحلين، بينما يشي انتفاخ بطنها من تحت ثوبها الجِلدي بأنها في شهور الحمل الأولى. سألَها: «أأنتِ واحدة من بنات كراستر؟».

وضعَت يدها على بطنها مجيبةً: «زوجته الآن»، وركعَت إلى جوار القفص المكسور متحاشيةً الذِّئب، وقالت بأسى: «كنتُ سأستولدُ هذين الأرنبين، فلم تَعُد لدينا أغنام».

قال چون: «سيُعَوِّضكِ حَرس اللَّيل عنهما». إنه لا يملك أيَّ مال، وإلَّا لكان عرضَه عليها... مع أنه لا يدري بِمَ ستنفعها بِضع عُملاتٍ نُحاسيَّة أو حتى قطعة فضِّيَّة هنا وراء «الجِدار». «سأكلِّمُ اللورد مورمونت غدًا».

مسحَت يديها على تنُّورتها قائلةً: «سيِّدي...».

- «لستُ سيِّدًا».

كان آخَرون قد تحلَّقوا حول المكان وقد جذبَهم صراخ المرأة وصوت تحطُّم قفص الأرانب، وصاحَ الجوَّال الوضيع كالكلاب لارك رجل الأخوات: «لا تُصَدِّقيه يا فتاة، فهذا هو اللورد سنو بنفسه».

وبسخريةٍ قال تشِت الذي تركَ كلابه ليرى سبب الجلبة: «نغل وينترفل وأخو الملوك».

قال لارك: «الذِّئب يَرمُقكِ بنظراتٍ جائعة يا فتاة، فلعلَّه يرغب في قطعة اللَّحم الطَّريَّة في بطنك».

قال چون بصرامة: «إنك تُخيفها».

- «يُحَذِّرها بالأحرى»، قال تشِت بابتسامته القبيحة كالبثور التي غطَّت أغلب وجهه.

بدا أن الفتاة تذكَّرت فجأةً، فقالت: «ليس مسموحًا لنا بالكلام معكم».

- «مهلًا»، قال چون لكن متأخِّرًا، فقد انطلقَت تَركُض مبتعدةً.

مَدَّ لارك يده إلى الأرنب الثَّاني، لكن جوست كان أسرع، وعندما كشَّر عن أنيابه انزلقَ رجل الأخواتِ في الوحل وسقطَ على عجيزته العظميَّة، فضحكَ الآخَرون، بينما التقطَ الذِّئب الرَّهيب الأرنب بفمه وذهبَ به إلى چون.

قال لهم: «لم يكن هناك داعٍ لإخافة تلك الفتاة».



- «لن نقبل تقريعًا منك أيها النغل». كان تشِت يلوم چون على فقدان عمله المريح مع المِايستر إيمون، وليس ظُلمًا، فلو لم يذهب چون إلى إيمون بخصوص سام تارلي، لكان تشِت لا يزال يخدم العجوز الضَّرير بدلًا من قطيعٍ من كلاب الصَّيد معتلَّة المزاج. «قد تكون حيوان حضرة القائد المدلَّل، لكنكَ لست حضرة القائد... ولم تكن لتتكلَّم بهذه الجرأة لو لم يكن وحشك اللَّعين هذا معك دائمًا».

رَدَّ چون بصوتٍ أبرد من مشاعره: «لن أتعارَك مع أخٍ ونحن وراء «الجِدار»».

اعتدلَ لارك راكعًا على رُكبةٍ واحدة، وقال: «إنه خائف منك يا تِشت. في «الأخوات» لدينا اسم نُطلقه على أمثاله».

قال چون: «أعرفُ كلَّ الأسماء، فوفِّر كلامك»، وابتعدَ وجوست إلى جانبه. كان المطر قد استحالَ إلى رذاذٍ خفيف عندما وصلَ إلى البوَّابة. سرعان ما سيحلُّ الغَسق، تتبعه ليلة أخرى كئيبة كلها بلل، وستُخفي السُّحب القمر والنُّجوم وشُعلة مورمونت، لتُغرِق الغابة في ظلام حالك، وستكون كلُّ مرَّةٍ يذهب فيها ليقضي حاجته بمثابة مغامَرة، وإن لمَ تكن من النَّوع الذي تصوَّره چون سنو من قبل.

تحت الأشجار كان بعض الجوَّالة قد وجدوا ما يكفي من الفحم والحطب الجافَّين لإشعال نارٍ أسفل بروزٍ مائلٍ من الأردواز، ونصبَ آخَرون خيامًا أو صنعوا سواتر بمعاطفهم المفرودة على الفروع الواطئة، بينما دَسَّ العملاق جسده في تجويفٍ في شجرة بلُّوط ميتة، وخاطبَ چون قائلًا: «ما رأيك في قلعتي يا لوردِ سنو؟».

- «تبدو مريحةً. أتعرف أين أجد سام؟».

أجابَ العملاق: «استمر على طريقك، وإذا مررت بسُرادق السير أوتين، ستكون قد تجاوَزت سام بالفعل»، وابتسمَ مردفًا: «ما لم يكن قد عثرَ على شجرةٍ أيضًا، ويا لها من شجرة!».

جوست هو من عثرَ على سام في النِّهاية. اندفعَ الذِّئب الرَّهيب فجأةً كالسَّهم من القوس، وتحت بروزٍ صخري مَدَّه بشيءٍ من الوقاية من المطر،



كان سام يُطعِم الغِدفان. أصدرَ حذاؤه أصوات تخويض وهو يتحرَّك، وقال بتعاسة: «قدماي غارقتان تمامًا. عندما نزلتُ من فوق حصاني، خطوتُ في حُفرةٍ وغصتُ فيها حتى الرُّكبتين».

قال چون: «اخلع حذاءك وجفِّف جواربك، وسأجدُ حطبًا جافًّا. إذا لم تكن الأرض مبتلَّةً تحت الصُّخور، فربما يُمكننا أن نُشعِل نارًا»، وأراه الأرنب مضيفًا: «ونولِم!».

- «ألن تخدم حضرة القائد في القاعة؟».

- «نعم، لكن أنت ستفعل. الدُّب العجوز يُريدك أن ترسم خريطةً له، فكراستر يقول إنه سيُرينا مكان مانس رايدر».

تمتمَ سام: «أوه»، دون أن تبدو عليه لهفة لرؤية كراستر، حتى إذا كان هذا يعني دفء النَّار.

- «لكنه قال أن تأكل أولًا. جفِّف قدميك إذن». ذهبَ چون يبحث عن وقودٍ للنَّار، ونقَّب تحت الشُّجيرات السَّاقطة عن الأخشاب الأكثر جفافًا من غيرها، وقشَّر طبقاتٍ من أوراق الصَّنوبر المشبَّعة بالماء حتى عثرَ على ضَرَم مناسب، وعلى الرغم من ذلك استغرقَ إشعال الشَّرارة الأولى وقتًا طويلًا للغاية. ثم إنه علَّق معطفه على الصخر، ليحمي ناره الصَّغيرة الدَّاخنة من المطر، صانعًا فجوةً صغيرةً مريحةً.

جلسَ على رُكبتيه يَسلُخ الأرنب، بينما خلعَ سام حذاءه قائلًا ببؤسٍ وهو يلوي أصابع قدميه: «أعتقدُ أن الطَّحالب بدأت تنمو على قدميَّ»، ثم غمغمَ رامقًا الأرنب: «سيكون مذاقه طيِّبًا. حتى منظر الدَّم لا يُزعِجني»، وأشاحَ بوجهه مضيفًا: «ليس كثيرًا...».

ثبَّت چون جثَّة الحيوان على سيخ، وأحاطَ النَّار بصخرتين وضعَ وجبة اللَّيلة فوقهما. كان الأرنب هزيلًا، لكن رائحة نضوجه جعلَته وليمة ملك، فحدجَهما جوَّالة آخَرون بنظرات الحسد، وحتى جوست تطلَّع إلى الأرنب بجوعٍ واللَّهب ينعكس في عينيه الحمراوين وهو يتشمَّم الهواء، لكن چون قال لَه: «أنت أكلت أرنبك بالفعل».

لم يكتمل نُضج الأرنب تمامًا، لكن مذاقه كان رائعًا على الرغم من ذلك،



وسألَ سام چون وهو يأكل: «هل كراستر متوحِّش حقًّا كما يقول الجوَّالة؟ كيف تبدو قلعته؟».

- «مقلب قمامة بسقفٍ وحُفرة نار»، أجابَ چون، ثم أخبرَ سام بما رآه وسمعه في قلعة كراستر.

مع انتهاء الحكي، كان الظَّلام قد حَلَّ في الخارج وسام يلعق أصابعه قائلًا: «كان مذاقه شهيًّا بحق، لكنني أريدُ فخذ ضأن الآن، فخذًا كاملةً لي وحدي، متبَّلةً بالنَّعناع والعسل والقرنفل. هل رأيت حملانًا؟».

- «رأيتُ حظيرة غنم خاليةً».

- «كيف يُطعِم رجالَه إذن؟».

- «لم أرَ رجالًا، فقط كراستر ونسوته وبضع فتياتٍ صغيرات. أتساءلُ إن كان قادرًا فعلًا على الدِّفاع عن المكان، فدفاعاته لا تُذكَر، مجرَّد خندقٍ موحل. هل ستجد طريقك إلى هناك؟».

قال سام: «إذا لم أسقط في الطِّين»، وعادَ ينتعل حذاءه بصعوبة، ثم التقطَ ريش الكتابة وورق الرَّقوق وخرجَ إلى اللَّيل، والمطر ينهمر على معطفه وقبَّعته المرنة.

أسندَ جوست رأسه إلى قوائمه وغابَ في النَّوم إلى جوار النَّار، وتمدَّد چون إلى جواره شاعرًا بالامتنان للدِّفء. كان لا يزال باردًا مبتلًّا، لكن ليس كما كان منذ قليل. قد يعرف الدُّب العجوز معلومةً اللَّيلة تقودنا إلى العمِّ بنچن.

استيقظَ على مشهد أنفاسه تتحوَّل إلى بُخارٍ في هواء الصُّبح البارد، وعندما تحرَّك أحسَّ بالوجع في عظامه، ووجدَ النَّار وقد خمدَت، بينما لم يَعُد جوست هناك. مَدَّ يده يسحب المعطف الذي علَّقه على الصَّخرة، ووجدَه متيبِّسًا متجمِّدًا، فنهضَ ووقفَ تحته وسط غابةٍ تحوَّلت إلى بلَّور.

تألَّق نور الفَجر الوردي على الأغصان والأوراق والأحجار، وبدا كلُّ عود عُشبٍ كأنه منحوت من الزمرُّد، وكلُّ قطرة ماءٍ كأنها استحالَت إلى ماس، وأحاطَ بالورد والفِطر على حَدٍّ سواءٍ غُلاف من زجاج، وحتى بِرك الوحل



نفسها كانت لها لمعة بنِّيَّة، بينما لاحَت خيام إخوته السَّوداء وسط الخُضرة وقد اكتسَت بطبقةٍ رقيقةٍ من الجليد اللَّامع.

ثمَّة سِحر وراء «الجِدار» إذن. وجدَ نفسه يُفكِّر في أختيه، ربما لأنه حلمَ بهما ليلة أمس. كانت سانزا لتصف المشهد بالسِّحري وقد اغرورقَت عيناها بالدُّموع من فرط الجمال، بينما كانت آريا لتجري ضاحكةً صائحةً وترغب في أن تلمس كلَّ شيء.

سمعَ الصَّوت الرَّقيق الخانع يُناديه: «لورد سنو؟»، فالتفتَ.

جاثمةً فوق الصَّخرة التي وقَته ليلًا كانت صاحِبة الأرنبين، ترتدي معطفًا أسود ضخمًا للغاية، وأدركَ چون في الحال أنه معطف سام. لماذا ترتدي معطف سام؟

قالت: «السَّمين قال إنني سأجدك هنا يا سيِّدي».

- «لقد أكلنا الأرنب لو أن هذا ما جئتِ من أجله»، قالها فأشعرَه الاعتراف بذنبٍ شديد.

- «اللورد الغُراب العجوز، ذلك الذي معه الطَّائر المتكلِّم، أعطى كراستر نُشَّابيَّة تسوى مئة أرنب»، وضمَّت ذراعيها حول بطنها المنتفخ متسائلةً: «هل ما قالوه صحيح يا سيِّدي؟ أأنت أخ لملك؟».

- «أخ غير شقيق. أنا نغل ند ستارك، وأخي روب هو الملك في الشَّمال. ماذا تفعلين هنا؟».

- «السَّمين، سام هذا، قال أن آتي إليك، وأعطاني معطفه كي لا ألفت انتباه أحد».

- «ألن يغضب كراستر منكِ؟».

قالت وأنفاسها المتوتِّرة تَخرُج لتتجمَّد في الهواء: «أبي أفرطَ في الشَّراب من نبيذ اللورد الغُراب ليلة أمس، وسينام معظم النَّهار. يقولون إن الملك يمنح العدالة والحماية للضُّعفاء»، وبدأت تنزل الصَّخرة بلا اتِّزان، لكنها كانت زلقةً بفِعل الجليد، فانزلقَت قدم الفتاة رغمًا عنها، إلَّا أن چون أمسكَها قبل أن تَسقُط، وساعدَها على النُّزول بأمان، فركعَت على الأرض الجليديَّة قائلةً: «سيِّدي، أتوسَّـ...».



- «لا تتوسَّلي مني شيئًا وعودي إلى القاعة. إن لدينا أوامر بعدم الكلام مع نسوة كراستر».

- «ليس عليك أن تتكلَّم معي يا سيِّدي، فقط خُذني معك عندما تذهب، هذا كلُّ ما أطلبه».

كلُّ ما تَطلُبه، كأن هذا ليس بالخطب الكبير.

- «سأكونُ... سأكونُ زوجتك إذا أردت. أبي لديه تسع عشرة زوجةً الآن، ولن يضرَّه أن يفقد واحدةً».

- «الإخوة السُّود يُقسِمون ألَّا يتزوَّجوا أبدًا، ألا تعرفين هذا؟ كما أننا ضيوف على أبيكِ».

- «ليس أنت. لقد راقبتك، ولم أرَك تأكل على مائدته قَطُّ أو تنم إلى جوار ناره. إنه لم يُعطِك حَقَّ الضَّيف، فلست ملزَمًا بشيءٍ نحوه. يجب أن أرحل من أجل طفلي».

- «إنني لا أعرفُ اسمكِ حتى».

- «سمَّاني جيلي، على اسم الزَّهرة».

- «اسم جميل». تذكَّر أن سانزا قالت له ذات مرَّةٍ إن عليه أن يقول هذا متى أخبرَته امرأة باسمها، وهو لا يستطيع أن يُساعِد الفتاة، لكن ربما تسرُّها المجامَلة. «هل يُخيفكِ كراستر يا جيلي؟».

- «خوفي على الطِّفل لا على نفسي. إذا كان فتاةً فلا بأس، فستَكبُر خلال سنواتٍ قليلة ويتزوَّجها أبي، لكن نِلا تقول إنه سيكون صبيًّا، وقد أنجبَت ستَّةً وتعرف هذه الأشياء. إنه يُعطي الصِّبيان للآلهة، يفعل هذا كلما جاءَ البرد الأبيض، ومؤخَّرًا يأتي البرد الأبيض بكثرة، ولهذا السَّبب بدأ يُعطي الأغنام للآلهة، على الرغم من أنه يحبُّ الضَّأن، لكن الأغنام نفدَت، وبَعدها سيأتي دور الكلاب، إلى أن...»، وخفضَت عينيها وملَّست على بطنها.

- «أيُّ آلهة؟». كان يُفكِّر الآن أنهم لم يروا أيَّ صبيانٍ في قلعة كراستر، ولا رجالًا كذلك باستثناء كراستر نفسه.

أجابَت: «آلهة الزَّمهرير التي تأتي ليلًا، الظِّلال البيضاء».

وعلى حين غرَّةٍ وجدَ چون نفسه في بُرج حضرة القائد من جديد. كانت



اليد المبتورة تتسلَّق رَبلة ساقه عندما انتزعَها برأس سيفه الطَّويل، فراحَت تتلوَّى على الأرض وأصابعها تنفتح وتنغلق، ونهضَ الرَّجل الميت بعينين تلمعان بالأزرق وسط وجهه المنتفخ المشجوج، بينما تدلَّى اللَّحم الممزَّق كالحبال من جرح بطنه الكبير، ومع ذلك لم تَسِل منه دماء على الإطلاق.

سألَها: «ما لون أعيُنهم؟».

- «زرقاء، زرقاء لامعة كالنُّجوم، ومِثلها باردة».

لقد رأتهم. كان كراستر يكذب.

- «هل ستأخذني؟ حتى «الجِدار» فقط، و...».

- «لسنا متَّجهين إلى «الجِدار»، بل شَمالًا وراء مانس رايدر وهؤلاء «الآخَرين»، الظِّلال البيضاء والجُثث الحيَّة. إننا نسعى إليهم يا جيلي، فلن يكون صغيركِ آمنًا معنا».

كان خوفها جليًّا على وجهها وهي تقول: «لكنكم ستعودون، عندما تَفرُغون من قتالكم ستمرُّون من هنا ثانيةً».

- «قد نفعل». إذا ظللنا أحياءً. «إنه قرار الدُّب العجوز، مَن تُسَمُّونه اللورد الغُراب. إنني مُرافِقه لا أكثر، ولا أختارُ الطُّرق التي نَسلُكها».

سمعَ نبرة الهزيمة في صوتها إذ غمغمَت: «لا. آسفةٌ لأني أزعجتك يا سيِّدي، لكني فقط... يقولون إن الملك يُحافِظ على سلامة النَّاس، وخطرَ لي...»، واندفعَت تجري مبتعدةً بيأس، ومعطف سام يخفق وراء ظَهرها كجناحين أسودين ضخمين.

راقَبها چون تبتعد وقد زالَت بهجته بجَمال الصَّباح العابر، وفكَّر باستياء: عليها اللَّعنة، وعلى سام اللَّعنة مرَّتين لأنه أرسلَها لي. ما الذي حسبَ أني أستطيعُ أن أفعله من أجلها؟ إننا هنا لقتال الهَمج وليس إنقاذهم.

بدأ رجال آخَرون يَخرُجون من ملاجئهم وهُم يتثاءبون ويتمطُّون، وقد تلاشى السِّحر بالفعل، واستحالَ الألَق الجليدي إلى ندى تقليدي في نور الشَّمس المشرقة. كان أحدهم قد أشعلَ نارًا، وشَمَّ چون رائحة الحطب المحترق المتسلِّلة بين الأشجار، ورائحة اللَّحم المقدَّد الدُّخانيَّة، فأنزلَ معطفه وخبطَه على الصَّخرة ليُحَطِّم القشرة الجليديَّة الرَّقيقة التي تكوَّنت



عليه ليلًا، ثم التقطَ سيفه «المخلب الطَّويل» ودَسَّ ذراعه في حزام الكتف، قبل أن يتَّجه إلى دغلٍ متجمِّدٍ قريب ليتبوَّل، فنزلَ البول والبُخار ينبعث منه، ليُذَوِّب الجليد أينماً سقطَ، وبَعدها ربطَ چون سراويله الصُّوف السَّوداء، وسارَ نحو مصدر الرَّوائح.

كان جرن ودايوين بين الإخوة الذين اجتمَعوا حول النَّار، وناولَ هاك چون رغيفًا مفرَّغًا من الخُبز السَّميك، مملوءًا باللَّحم المقدَّد المحروق وقِطع السَّمك المملَّح المدفَّأة في دُهن اللَّحم، والتهمَ چون الطَّعام بنهمٍ بينما أصغى لدايوين الذي يتباهى بأنه ضاجعَ ثلاثًا من نسوة كراستر خلال اللَّيل.

قال جرن عابسًا: «لم يَحدُث. كنتُ لأراك».

صفعَه دايوين على أُذنه بظَهر كفِّه قائلًا: «أنت؟ ترى؟ إنك أعمى كالمِايستر إيمون تمامًا، ولم ترَ الدُّبَّ حتى».

- «أيُّ دُب؟ أكان هناك دُب؟».

قال إد الكئيب بلهجته المستسلمة المعتادة: «هناك دُبٌّ دائمًا، كالذي قتلَ أخي لمَّا كنتُ صغيرًا، وبَعدها علَّق أسنانه في شريطٍ جِلديٍّ حول عُنقه. كانت أسنانًا نضيدةً أيضًا، أفضل من أسناني التي لم أعرف معها غير المتاعب».

سألَه چون: «هل نامَ سام في القاعة؟».

- «لا أسمِّي ذلك نومًا، فالأرض كانت صُلبةً والبُسط كريهة الرَّائحة، وغطيط إخوتي كفيل بإيقاظ الموتى. تكلَّموا عن الدِّببة إذا أردتم، فسهيف أيُّ دُبٍّ لا يُضاهي غطيط برنار البنِّي أبدًا. لكني حظيتُ بالدِّفء على الأقل، عندما نامَ عدد من الكلاب فوقي، وكان معطفي يكاد يجفُّ تمامًا بالفعل عندما بالَ أحدها عليه، أو لعلَّ برنار البنِّي مَن فعلَها. هل لاحظتم أن المطر توقَّف بمجرَّد أن أصبحَ هناك سقف فوقي؟ وطبعًا سيُعاوِد النُّزول الآن ما دمتُ خرجتُ. الآلهة والكلاب على حَدٍّ سواء يطيب لها التبوُّل عليَّ».

قال چون: «من الأفضل أن أذهب لأرى اللورد مورمونت».

صحيحٌ أن الأمطار توقَّفت، لكن الأرض ظلَّت أقرب إلى مستنقعٍ من البِرك الضَّحلة والأوحال الزَّلقة. كان الإخوة السُّود يطوون خيامهم ويُطعِمون خيولهم ويلوكون شرائح من اللَّحم المملَّح، بينما شَدَّ كشَّافة چارمان بكويل



أحزمة سروجهم قبل التحرُّك، وحيَّاه بكويل من على ظَهر حصانه قائلًا: «چون، فلتُحافِظ على حدَّة سيفك النَّغل هذا، لأننا سنحتاجه قريبًا».

كانت قاعة كراستر معتمةً في عينيه بَعد نور النَّهار، وفي الدَّاخل كانت المشاعل التي أوقِدَت ليلًا تكاد تخبو، ومن الصَّعب أن تُدرِك أن الشَّمس أشرقَت بالفعل. غُداف اللورد مورمونت كان أول من لمحَه يدلف، فخفقَ بجناحيه الأسودين الواسعين ثلاث مرَّاتٍ بكسل، ثم حَطَّ على مقبض «المخلب الطَّويل»، وأخذَ يُعَضعِض خصلةً من شَعر چون وهو يتساءَل: «ذُرة؟».

قال مورمونت: «تجاهَل هذا الطَّائر الشحَّاذ المأفون يا چون، فقد التهمَ نِصف لحمي المقدَّد لتوِّه». كان الدُّب العجوز جالسًا إلى مائدة كراستر يتناوَل فطوره مع القيِّمين الآخَرين، والذي تكوَّن من الخُبز المحمَّر واللَّحم المقدَّد وسجق أمعاء الخراف. استقرَّت بلطة كراستر الجديدة على المائدة، تلمع زخارفها الذَّهبيَّة بخفوتٍ في ضوء المشاعل، أمَّا صاحِبها فقد تمدَّد فاقد الوعي في علِّيَّة النَّوم فوقهم، بينما كانت النِّسوة كلهن مستيقظات، يتحرَّكن هنا وهناك ويُقَدِّمن الطَّعام. «كيف يبدو اليوم الذي ينتظرنا؟».

- «باردًا، لكن المطر انقطعَ».

- «عظيم. احرص على تجهيز حصاني، لأني أنوي أن نتحرَّك خلال ساعة. هل أكلت؟ طعام كراستر بسيط لكن مُشبِع».

اتَّخذ چون قراره فجأةً، وقال لنفسه: لن آكل طعام كراستر، ثم أجابَ: «أفطرتُ مع الرِّجال يا سيِّدي»، وهَشَّ الغُداف من على مقبض سيفه، فوثبَ الطَّائر إلى كتف مورمونت، حيث تبرَّز في الحال، فدمدمَ الدُّب العجوز: «كان يُمكنك أن تفعل هذا على سنو بدلًا من ادِّخار الخراء لي»، واكتفى الغُداف بالنَّعيب.

وجدَ سام واقفًا مع جيلي وراء القاعة بالقُرب من قفص الأرانب المحطَّم. كانت تُساعِده على ارتداء معطفه، لكنها انسلَّت مبتعدةً حين رأت چون، ورمقَه سام بنظرة لومٍ جريحة قائلًا: «حسبتُ أنك ستُساعِدها».



قال چون محتدًّا: «وكيف كنتُ لأساعدها؟ آخذها معنا مدَّثِّرةً بمعطفك؟ إن لدينا أوامر بعدم الـ...».

قال سام وقد بدا عليه الإحساس بالذَّنب: «أعرفُ، لكنها كانت خائفةً، وأنا أعرفُ معنى الخوف تمام المعرفة. قلتُ لها...»، وبترَ عبارته وابتلعَ لُعابه.

- «ماذا؟ إننا سنأخذها معنا؟».

احتقنَ وجه سام السَّمين وهو يُجيب دون أن يقوى على النَّظر في عيني چون: «في طريق العودة. سوف تُنجِب طفلًا».

- «سام، هل فقدت كلَّ ما لديك من عقل؟ قد لا نعود من هذا الطَّريق، وإذا فعلنا، فهل تتصوَّر أن الدُّب العجوز سيسمح لك بأخذ واحدةٍ من زوجات كراستر؟».

- «خطرَ لي... ربما كنتُ لأفكِّر في وسيلةٍ حتى ذلك الحين...».

- «لا أملكُ وقتًا لهذا»، وابتعدَ چون شاعرًا بالحيرة ممتزجةً بالغضب. لسام قلب كبير حقًّا كبقيَّة جسده، لكن على الرغم من قراءته المستمرَّة يظلُّ أحمق كجرنٍ أحيانًا. إن ما يرغب فيه مُحال، ومُخِلٌّ بالشَّرف علاوةً على ذلك... فلِمَ أشعرُ بالخجل يُكَلِّلني إذن؟

اتَّخذ چون مكانه المعتاد إلى جانب مورمونت بينما خرجَ حَرس اللَّيل من بوَّابة كراستر مارِّين بالجمجمتين. تحرَّكوا شَمالًا وغَربًا على طريقٍ معوجٍّ مجهَّز لاصطياد الفرائس، وتقاطرَ الجليد الذَّائب من كلِّ موضعٍ حولهم كنوعٍ أبطأ من المطر له موسيقاه الخاصَّة. شَمال قلعة كراستر كانَ الغدير يتدفَّقُ فائضًا عن آخِره، وقد سَدَّته أوراق الأشجار وقِطع الخشب، لكن الكشَّافة عثروا على المخاضة واستطاعَ الرَّكب العبور. ارتفعَت المياه حتى بطون الخيول، وسبحَ جوست حتى الضفَّة، ليَخرُج والماء يقطر من فروه الأبيض بنِّيًّا، وعندما نفضَ نفسه ناثرًا الماء والوحل في كلِّ اتِّجاه، لم يُعَلِّق مورمونت، وإن أطلقَ غُدافه صيحةً.

بهدوءٍ قال چون والغابة تُطبِق عليهم من جديد: «سيِّدي، كراستر ليس لديه أغنام، أو أبناء»، فلمَّا لم يُجِب مورمونت، تابعَ: «واحدة من الخادمات



في وينترفل حكَت لنا أشياء، كانت تقول إن هناك هَمجًا يُضاجِعون «الآخَرين» لإنجاب أطفالٍ نِصف بَشريِّين».

- «مجرَّد حكاياتٍ مخيفة تُروى حول النَّار ليلًا. هل يبدو كراستر أقلَّ من إنسانٍ في رأيك؟».

من نواحٍ كثيرة، أجل. «إنه يُعطي أبناءه للغابة».

صمتٌ طويل، ثم: «نعم»، و«نعم» أخرى ردَّدها الغُداف نافشًا ريشه. «نعم، نعم، نعم!».

- «كنت تعرف؟».

- «سمولوود أخبرَني منذ زمنٍ طويل. كلُّ الجوَّالة يعرفون، لكن قلائل يتكلَّمون عن هذا».

- «هل كان عمِّي يعرف؟».

- «كلُّ الجوَّالة. إنك ترى أن عليَّ أن أوقِفه، أن أقتله إذا دعَت الحاجة»، وزفرَ الدُّب العجوز وأضافَ: «لو أن الأمر كان ببساطة أن يرغب في تخليص نفسه من بعضَ الأفواه الجائعة، فكان ليُسعِدني أن أرسل يورن أو كونوي لأخذ الصِّبية، وكنا لنُرَبِّيهم على الأسود ويزداد حَرس اللَّيل قوَّةً، لكن الهَمج يَعبُدون آلهةً أقسى مما نَعبُد. هؤلاء الصِّبية قرابين كراستر، أو صلواته».

لا بُدَّ أن زوجاته يُقَدِّمن قرابين من نوعٍ آخَر.

سألَه الدُّب العجوز: «من أين عرفت هذا؟ من إحدى زوجات كراستر؟».

أجابَ چون معترفًا: «نعم يا سيِّدي، وأفضِّلُ ألَّا أقول لك أيهن، لأنها كانت خائفةً وأرادَت العون».

- «العالم الواسع يزخر بمن يحتاجون العون يا چون، وليت البعض يجد الشَّجاعة ليُعين نفسه. كراستر نائم في علِّيَّته الآن، غائب عن الوعي وتفوح منه رائحة النَّبيذ الكريهة، وعلى المائدة في الأسفل ثمَّة بلطة حادَّة جديدة. لو كنتُ مكانه لسمَّيتها «الدُّعاء المستجاب» وفرغت من الأمر».

نعم. فكَّر چون في جيلي وأخواتها. عددهن تسعة عشر، وكراستر رجل واحد، لكن...

- «إلَّا أنه سيكون من حظِّنا العاثر أن يموت كراستر. كان عمُّك ليحكي



لك عن المرَّات التي صنعَت فيها قلعة كراستر فارقًا بين الحياة والموت لجوَّالتنا».

بدأ چون يقول: «أبي...»، لكنه صمتَ متردِّدًا.

- «هلمَّ يا چون، قُل ما تُريد أن تقوله».

- «أبي قال لي ذات مرَّةٍ إن هناك رجالًا لا يستحقُّون أن نحظى بهم. حامل الرَّاية الوحشي أو الظَّالم يُلَوِّث شَرف اللورد وليِّ أمره تمامًا كشَرفه هو».

- «لا وليَّ أمرٍ لكراستر غير نفسه. إنه لم يتعهَّد لنا بشيء، ولا يخضع لقوانيننا. لديك قلب نبيل يا چون، لكن عليك أن تتعلَّم درسًا. نحن لا نستطيع إصلاح الكون، فهذا ليس عملنا. حَرس اللَّيل أمامهم حروب أخرى يخوضونها».

حروب أخرى. نعم، يجب أن أتذكَّر هذا. «چارمان بكويل قال إني قد أحتاجُ سيفي قريبًا».

قال مورمونت دون أن يبدو عليه الرِّضا: «حقًّا؟ كراستر قال أكثر من هذا بكثير ليلة أمس، وأكَّد من مخاوفي ما كان كفيلًا بحرماني النَّوم على أرض قاعته. مانس رايدر يجمع قومه معًا في منطقة «أنياب الصَّقيع»، ولهذا خلَت القُرى، وهذا ما عرفَه السير دينس ماليستر من الهمجي الذي أسرَه رجاله في «الغور»، لكن كراستر أضافَ المكان، وهذا يصنع كلَّ الفارق».

- «هل يبني مدينةً أم جيشًا؟».

- «هذا هو السُّؤال. كم همجيًّا هناك؟ كم رجلًا في سِنِّ القتال؟ لا أحد يعرف على وجه الدِّقَّة، فـ«أنياب الصَّقيع» منطقة شديدة القسوة ولا تَصلُح للمعيشة، برارٍ من الحجارة والجليد، فلن يحتمل عدد ضخم من النَّاس المعيشة هناك طويلًا. لا أرى إلَّا غرضًا واحدًا من هذا الحشد. مانس رايدر ينوي الزَّحف جَنوبًا، إلى الممالك السَّبع».

- «سبقَ أن غزا الهَمج البلاد من قبل». لقد سمعَ چون الحكايات من العجوز نان والمِايستر لوين في وينترفل. «رايمون ذو اللِّحية الحمراء قادَهم جَنوبًا في زمن جَدِّ جدِّي، وقبله كان هناك ملك اسمه بايل الشَّاعر».

- «أجل، وقبلهما بزمنٍ طويل جاءَ اللورد ذو القرون، والأخوان الملكان



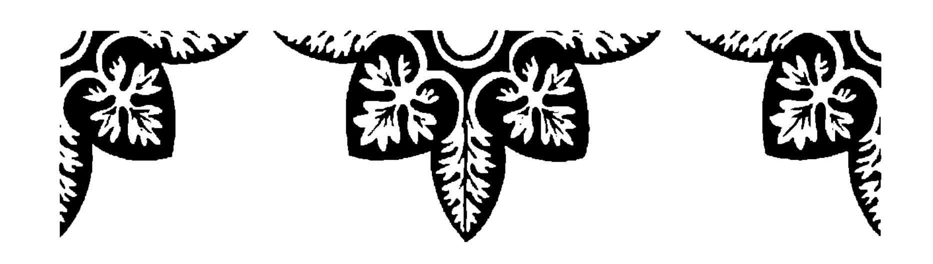
جندل وجورن، وفي الماضي السَّحيقِ چورامونِ الذي نفخَ في بوق الشِّتاء وأيقظَ العمالقة من قلبِ الأرض. كلٌّ منهم حطَّم قوَّته على «الجِدارِ»، أو حطَّمته قوَّة وينترفل على الجانب الآخَر... لكن حَرس اللَّيل مجرَّد ظِلٍّ الآن لما كانوا من قبل، ومن تبقَّى لمواجَهة الهَمج غيرنا؟ لقد ماتَ سيِّد وينترفل، ووريثه زحفَ بقوَّاته جَنوبًا ضد آل لانستر. قد لا يحظى الهَمج بفُرصةٍ كهذه ثانيةً أبدًا. كنتُ أعرفُ مانس رايدر يا چون. إنه حانث بالقَسم، نعم... لكنه ليس أعمى، كما أن أحدًا لم يجرؤ قَطُّ على وصفه بالجُبن».

سألَه چون: «وماذا سنفعل؟».

أجابَ مورمونت: «سنجده، ونُقاتِله، ونوقِفه».

وقال چون لنفسه وأصابعه تنقبض وتنبسط: ثلاثمئة رجلٍ نحن... ضد ضراوة البراري.





ثيون

كانت رائعة الجَمال بحق، وتطلَّع ثيون جرايجوي إليها مفكِّرًا: لكن الأولى جميلة دومًا.

جاءَ صوت امرأةٍ من ورائه يقول: «هكذا تكون الابتسامة الحُلوة. يبدو أنها أعجبَت اللورد الصَّغير، أليس كذلك؟».

التفتَ يَرمُقها بنظرةٍ فاحصة، وراقَه ما رأى. من الوهلة الأولى عرفَ أنها حديديَّة الميلاد، نحيلة القوام وطويلة السَّاقين، وشَعرها أسود قصير ويداها قويَّتان واثقتان، وتشي بشرتها بتعرُّضها المستمرِّ للرِّيح، بينما يتدلَّى من حزامها خنجر، ويبدو أنفها كبيرًا وحادًّا بالنِّسبة لوجهها الصَّغير، وإن عوَّضتها ابتسامتها عن ذلك. قدَّر أنها تكبُره ببضع سنوات، لكن لا تتجاوَز الخامسة والعشرين، وتتحرَّك كمن اعتادَ على وجود سطح سفينةٍ تحت قدميه.

قال لها: «نعم، منظرها يسرُّ الأنفُس حقًّا، لكنها لا تدنو من نِصف جمالكِ».

ردَّت بابتسامةٍ واسعة: «أوهو، عليَّ أن آخذ حذري، فاللورد الصَّغير معسول اللِّسان».

- «تذوَّقيه واعرفي بنفسكِ».

قالت مسدِّدةً إليه نظراتها الجريئة: «هكذا إذن؟». في جُزر الحديد إناث -قليل منهن- يعملن على السُّفن الطَّويلة مع الملَّاحين الرِّجال، ويُقال إن الملح والبحر يُغيِّرانهن، ويُكسِبانهن شهوات الذُّكور. «هل غِبت وقتًا طويلًا في البحر أيها اللورد الصَّغير؟ أم أن لا نساء حيث كنت؟».

- «نساء كثيرات، لكن ولا واحدة منهن مِثلكِ».



- «وكيف لك أن تعرفني؟».

- «عيناي تريان وجهكِ، وأُذناي تسمعان ضحككِ، وقضيبي انتصبَ كالسَّارية لمرآكِ».

تقدَّمت المرأة وضغطَت مقدِّمة سراويله بيدها، ثم قالت: «لست تكذب»، واعتصرَت ذَكره مرَّةً من فوق القُماش مضيفةً: «أيُؤلِمك كثيرًا؟».

- «بعُنف».

تخلَّت عنه وتراجعَت قائلةً: «اللورد الصَّغير المسكين. الحقيقة أني امرأة متزوِّجة، وحديثة الحمل».

- «الشُّكر للآلهة، فلا فُرصة إذن لأن تحملي نغلًا مني».

- «وإن يكن، لن يَشكُرك رجلي على شيءٍ كهذا».

- «نعم، لكن قد تَشكُرينني أنتِ».

- «ولِمَ؟ لقد جرَّبتُ اللوردات من قبل، ولا فارق بينهم وبين غيرهم من الرِّجال».

- «وهل سبقَ أن جرَّبتِ أميرًا؟ عندما يتغضَّن وجهكِ ويشيب شَعركِ ويترهَّل ثدياكِ إلى ما بَعد بطنكِ، يُمكنكِ أن تحكي لأولاد أولادكِ أنكِ أحببتِ ملكًا ذات يوم».

- «أوه، أنتكلَّم عن الحُبِّ الآن؟ وكنتُ أتصوَّرُ أن الأمر يقتصِر على الفروج والقضبان فقط».

- «أهو الحُبُّ ما تشتهين؟». قرَّر أن هذه الفتاة -أيًّا كانت- تستهويه حقًّا، خصوصًا أن بديهتها الحاضرة وحِسَّها العالي في الدُّعابة بمثابة مهرب محبَّذ من كآبة پايك ورطوبتها. «هل أطلقُ اسمكِ على سفينتي الطَّويلة، وأعزِفُ لكِ على القيثارة السَّامية، وأُسكِنكِ غُرفةً في بُرجٍ في قلعتي، لا ترتدين فيها غير الجواهر كالأميرات في الأغاني؟».

قالت متجاهلةً الباقي: «الواجب حقًّا أن تُطلِق اسمي على سفينتك الطَّويلة، فأنا من بنيتها».

- «سيجرين سفَّان السيِّد والدي هو من بناها».

- «وأنا إسجريد، ابنة أمبرود وزوجة سيجرين».



لم يكن يعرف أن أمبرود أنجبَ بنتًا، ولا أن سيجرين تزوَّج... لكنه التقى السَّفَّان الشَّاب مرَّةً واحدةً فقط، أمَّا العجوز فيكاد لا يَذكُره. قال لها: «خسارة أنتِ في سيجرين فعلًا».

- «أوهو، سيجرين قال لي إن هذه السَّفينة الجميلة خسارة فيك».

قال ثيون بخشونة: «أتعرفين مَن أكونُ؟».

- «الأمير ثيون سليل عائلة جرايچوي، مَن غيره؟ اصدُقني القول يا سيِّدي، كم تروقك فتاتك الجديدة؟ سيُريد سيجرين أن يعرف».

كانت السَّفينة الطَّويلة جديدةً تمامًا، حتى إن رائحة القار والراتنج[1] لا تزال تنبعث منها. سوف يُبارِكها عمُّه آرون غدًا، لكن ثيون جاءَ على متن حصانٍ من پايك كي يُلقي نظرةً عليها قبل أن تنزل إلى البحر. إنها ليست ضخمةً كسفينة اللورد بالون «الكراكن العظيم»، أو «النَّصر الحديدي» سفينة عمِّه ڤيكتاريون، لكنها تبدو سريعةً رشيقةً، حتى وهي مستقرَّة في حوضها الخشبي على الشَّاطئ. بدنها أسود رفيع طوله مئة قدم، ويرتفع منها صارٍ واحد طويل، ومزوَّدة بخمسين مجذافًا طويلًا، وسطحها يتَّسع لمئة رجل... ومن المقدِّمة يَخرُج الكبش الحديدي الضَّخم على شكل رأس السَّهم.

قال: «سيجرين أسداني خدمةً عظيمةً. أهي بالسُّرعة التي تبدو عليها؟».

- «وأسرع... لو أن رُبَّانها يعرف كيف يتحكَّم فيها».

- «مضَت سنوات منذ أبحرتُ بسفينة». ولم أكن رُبَّانًا على واحدةٍ قَطُّ في الحقيقة. «لكني من آل جرايچوي، والبحر يجري في دمي».

- «ودمك سيجري في البحر لو أنك تُبحِر مِثلما تتكلَّم».

- «لا يُمكنني أبدًا أن أسيء معامَلة حسناء كهذه».

قالت ضاحكةً: «حسناء؟ إنها كلبة بحر».

- «ليكن، ها أنتِ قد اخترتِ اسمها، «كلبة البحر»».

وشَت اللَّمعة في عينيها الدَّاكنتين بأن هذا سرَّها، وقالت بنبرةٍ تُحاكي التَّأنيب الجريح: «قلت إنك ستُطلِق عليها اسمي».

---

(1) الراتنج مادَّة عضويَّة صمغيَّة تُستخدَم في الطِّلاء والغراء.



قال: «هذا ما فعلته»، والتقطَ يديها مضيفًا: «ساعِديني يا سيِّدتي. في الأراضي الخضراء يُؤمِنون بأن الحبلى تجلب البخت السَّعيد لأيِّ رجلٍ يفترشها».

– «وماذا يعرفون عن السُّفن في الأراضي الخضراء؟ أو عن النِّساء؟ كما أني أعتقدُ أن هذا الكلام من تأليفك».

– «أستظلِّين تُحِبِّيني إذا اعترَفتُ؟».

– «أظلُّ؟ ومتى أحببتك أصلًا؟».

قال: «لم تُحِبِّيني قَطُّ، لكني أحاولُ تعويض نفسي عن هذا يا حُلوتي إسجريد. الرِّيح باردة، فتعالي معي على متن سفينتي ودعيني أدفِّئكِ. غدًا سيصبُّ عمِّي آرون مياه البحر على مقدِّمتها ويُهَمهِم بصلاةٍ ما للإله الغريق، لكني أوثرُ أن أباركها بلبني ولبنكِ».

– «قد يُغضِب ذلك الإله الغريق».

– «فليذهب الإله الغريق إلى حيث ألقت. سوف أُغرقه ثانيةً إذا أزعجَنا. إننا ذاهبون إلى الحرب خلال أسبوعين لا أكثر، فهل يُرضيكِ أن أدخل المعركة وأنا أعاني السُّهاد والاشتياق؟».

– «بكلِّ سرور».

– «فتاة قاسية. سفينتي اسم على مسمًّى حقًّا. إذا قادَني شرودي فيكِ لتحطيمها على الصُّخور، فلا تلومي إلَّا نفسكِ».

قالت إسجريد: «أتنوي قيادتها بهذا؟»، وتحسَّست مقدِّمة سراويله مرَّةً أخرى بخفَّة، وابتسمَت ممرِّرةً إصبعها على بروز ذَكره المنتصب عن آخِره.

– «تعالي معي إلى پايك»، قال فجأةً وهو يُفَكِّر: ماذا سيقول اللورد بالون؟ ولماذا أبالي بما يقوله؟ إنني رجل بالغ، وإذا أردتُ أن آخذ فتاةً إلى فِراشي، فهذا شأني وحدي.

قالت وقد ظلَّت يدها في مكانها: «وماذا أفعلُ في پايك؟».

– «سيقيم أبي مأدبةً لِربابنته اللَّيلة». إنه يُقيم لهم المآدب كلَّ ليلةٍ في الحقيقة، بينما ينتظر المتلكِّئين عن الوصول، لكن ثيون لم يرَ داعيًا لأن تعرف هي هذا.



قالت وعلى شفتيها أمكر ابتسامةٍ رأى امرأةً تبتسمها على الإطلاق: «هلَّا جعلتَني رُبَّانتك اللَّيلة يا سيِّدي الأمير؟».

- «قد أفعلُ، إذا تأكَّدتُ من أنكِ تستطيعين قيادتي إلى المرفأ».

- «أعرفُ أيُّ طرفيِّ المجذاف يوضَع في الماء، وليست هناك من هي أبرع مني في التَّعامُل مع الحبال والعُقد»، وبيدٍ واحدةٍ حلَّت أربطة سراويله، ثم ابتسمَت وتراجعَت مبتعدةً عنه بحركةٍ سريعة، وأضافَت: «لكنني للأسف امرأة متزوِّجة، وحديثة الحمل».

عادَ ثيون يربط سراويله بارتباكٍ قائلًا: «يجب أن أرجع إلى القلعة. إذا لم تأتي معي، فقد أضلُّ طريقي من فرط حُزني، فتصير الجُزر أفقر».

- «لا يُمكننا أن نسمح بهذا... لكني لا أملكُ حصانًا يا سيِّدي».

- «تستطيعين ركوب حصان مُرافِقي».

- «وأجعلُ مُرافِقك المسكين يمشي حتى پايك؟».

- «اركبي معي إذن».

عادَت الابتسامة إلى وجهها وهي تقول: «يروقك أن أفعل، هه؟ هل أركبُ وراءك أم أمامك؟».

- «حيثما شئتِ».

- «أحبُّ أن أكون على القمَّة».

أين كانت هذه الفتاة طيلة حياتي؟ «قاعة أبي مظلمة ورطبة، وتحتاج إسجريد لتُؤَجِّج نارها».

- «اللورد الصَّغير معسول اللِّسان».

- «ألم نبدأ من هنا؟».

رفعَت يديها في الهواء قائلةً: «وهنا ننتهي! إسجريد لك يا أميري الجميل. خُذني إلى قلعتك، وأرِني أبراجك الشَّامخة ترتفع من البحر».

قال: «تركتُ حصاني عند الخان. تعالي»، وسارا على الشَّاطئ معًا، ولم تُجفِل عندما تأبَّط ثيون ذراعها. راقَته الطَّريقة التي تسير بها، ملأى بالجرأة وتجمع بين المشي الهوينى والتَّمايُل، وتشي بأنها لا تقلُّ جرأةً تحت الأغطية.

كانت لوردزپورت مزدحمةً على نحوٍ لم يرَه من قبل، تعجُّ بأطقُم السُّفن



الطَّويلة التي ارتصَّت على حصى السَّاحل، ورسَت في صفوفٍ طويلة تتجاوَز حائل الأمواج. لا يُبدي الحديديُّون ذِلَّةً أو مَسكنةً ببساطةٍ أو كثيرًا، لكن ثيون لاحظَ أن البحَّارة وأهل البلدة لاذوا بالصَّمت مع مرورهما، وأوفوه إيماءات الاحترام، ففكَّر: أخيرًا يعلمون من أنا، وآنَ أوان أن يعلموا.

كان اللورد جودبراذر قد وصلَ من ويك الكُبرى اللَّيلة السَّابقة مع قوَّاته كلها، ما يَقرُب من أربعين سفينةٍ طويلة، ورجاله في كلِّ مكان، يلفتون الأنظار بأوشحتهم المخطَّطة المصنوعة من شَعر الماعز. تردَّد الكلام حول الخان عن أن سيقان عاهرات أوتر جيمپني تقوَّست من كثرة امتطاء الصِّبية الحليقين ذوي الأوشحة لهن. فليهنأ الصِّبية بهن، فبيت البغايا الوضيع هذا أشبه بمعقلٍ للأمراض كان ثيون يأمل ألَّا يراه أبدًا، بينما تُناسِب رفيقته الحاليَّة ذوقه أكثر، وحقيقة أنها زوجة سفَّان أبيه -وحبلى كذلك- جعلَتها أكثر جاذبيَّة.

سألَته إسجريد وهما يَشُقَّان طريقهما إلى الاسطبل: «هل بدأ سيِّدي الأمير ينتقي طاقمه؟»، ثم إنها لمحَت ملَّاحًا طويل القامة يرتدي صُدرةً من جِلد الدِّببة وخوذةً ذات جناحي غُداف، فرفعَت عقيرتها قائلةً له: «هوه! ذو السِّن الزَّرقاء، كيف حال عروسك؟».

- «بطنها منتفخ بالحمل، وتقول إنها ستلد توأمين».

قالت إسجريد بتلك الابتسامة الماكرة: «بهذه السُّرعة؟ لا بُدَّ أنك غمست مجذافك في الماء على الفور».

صاح الرَّجل بضحكةٍ هادرة: «أجل، وجذفتُ، وجذفتُ وجذفتُ!».

قال ثيون: «رجل كبير الحجم. اسمه ذو السِّن الزَّرقاء؟ هل أختاره لـ«كلبة البحر»؟».

- «فقط إذا أردت أن تُهينه، فلديه سفينته الخاصَّة».

- «الحقَّ أني غِبتُ طويلًا، فلم أعُد أعرفُ رجلًا من غيره». كان قد بحثَ عن بعض الأصدقاء الذين لعبَ معهم في صِباه، لكنهم إمَّا رحَلوا أو ماتوا أو أصبحوا أغرابًا. «أعارَني عمِّي ڤيكتاريون قائد دفَّته».

قالت: «رايمولف ستورمدرنك؟ إنه رجل صالح ما دامَ بوعيه»، ثم إنها



لمحَت مزيدًا من الوجوه التي تعرفها، فنادَت ثلاثة رجالٍ مارِّين قائلةً: «أولر، كارل، سكايت، أين أخوكم؟».

أجابَ الرَّجل الممتلئ الذي وخطَ الشَّيب لحيته: «أخشى أن الإله الغريق احتاج مجذفًا قويًّا».

وقال الشَّاب متورِّد الوجه إلى جانبه: «ما يعنيه أن إلديس ظَلَّ يشرب النَّبيذ حتى انفجرَ بطنه السَّمين».

قالت إسجريد: «عسى الميِّت ألَّا يموت أبدًا».

- «عسى الميِّت ألَّا يموت أبدًا».

تمتمَ ثيون بالكلمات معهم، ثم قال لها بَعد أن ابتعدَ الرِّجال: «تبدين معروفةً جدًّا».

- «كلُّ رجلٍ يُحِبُّ زوجة السفَّان، وخيرٌ له أن يُحِبَّها لو أنه يُريد ألَّا تغرق سفينته. إذا كنتَ تحتاج مجذفين، فهؤلاء الثَّلاثة أفضل من غيرهم».

- «لوردزپورت لا تفتقر لأصحاب الأذرُع القويَّة». كان ثيون قد فكَّر مليًّا في الأمر، فهو يرغب في مُقاتِلين، ولا بُدَّ أن يكونوا رجالًا موالين له هو، وليس للسيِّد والده أو أعمامه. إنه يلعب دور الأمير الشَّاب المطيع في الوقت الرَّاهن، بينما ينتظر أن يُفصِح اللورد بالون عن مخطَّطاته كاملةً، لكن إذا تبيَّن أن ثيون غير راضٍ عن تلك الخطط أو دوره فيها...

- «القوَّة لا تكفي. يجب أن تتحرَّك مجاذيف السَّفينة الطَّويلة معًا كمجذافٍ واحد لو أردتها أن تنطلق بكامل سرعتها. إذا كنت حكيمًا، فاختر رجالًا سبق لهم التَّجذيف معًا».

- «نصيحة سديدة. ربما يُمكنكِ مساعَدتي على اختيارهم». دَعها تعتقد أني أنشدُ حكمتها، فهذا ما يُعجب النِّساء.

- «قد أفعلُ إذا عامَلتني برقَّة».

- «وهل من سبيلٍ آخَر لمعامَلتكِ؟».

حَثَّ ثيون الخُطى مع اقترابهما من «الميراهام» التي تتأرجح عاليةً فارغةً على الرَّصيف. كان رُبَّانها قد حاولَ الإبحار قبل أسبوعين، لكن اللورد بالون لم يسمح له، كما لم يسمح لأيٍّ من التُّجَّار الذين توقَّفوا في لوردزپورت



بالمغادَرة ثانيةً، فأبوه لا يرغب في وصول أنباء احتشاد السُّفن الطَّويلة إلى البَرِّ قبل أن يضرب ضربته.

ناداه الصَّوت الأسيان من أعلى مقدِّمة السَّفينة التِّجاريَّة، وقد مالَت ابنة الرُّبَّان على الحاجز تلتهمه بنظراتها. كان أبوها قد حرَّم عليها النُّزول إلى اليابسة، لكن كلما أتى ثيون إلى لوردزپورت لمحَها تذرع سطح السَّفينة بشرودٍ ويأس، والآن سمعَها تصيح بتوسُّل: «سيِّدي، إذا طابَ لسيِّدي أن...».

سألَته إسجريد وهو يهرع متجاوزًا الكوج: «هل طابَت هي لسيِّدها؟».

لم يرَ مغزى لادِّعاء الحياء مع واحدةٍ مِثلها، فقال: «فترةً من الوقت، والآن تُريد أن تكون زوجتي الملحيَّة».

- «أوهو، سيُفيدها القليل من التَّمليح بلا شَك، فهي لينة جدًّا وبلا طعمٍ مميَّز، أم أني مخطئة؟».

- «لستِ مخطئةً». لينة جدًّا وبلا طعم مميَّز، بالضبط. كيف عرفَت؟

كان قد أمرَ وِكس بانتظاره في الخان، ووجدَ ثيون القاعة العامَّة مكتظَّةً عن آخِرها، حتى إنه اضطرَّ لحشْر نفسه حشرًا كي يَدخُل، ليرى أن لا مكان شاغرًا على الدِّكك أو الطاولات. لم يلمح مُرافِقه، فرفعَ صوته فوق الضَّجيج زاعقًا: «وِكس!»، وقال لنفسه حانقًا: لو أنه مع واحدةٍ من تلك العاهرات القذرات، فأقسمُ أن أسلخ جِلده، قبل أن تقع عيناه على الصَّبي أخيرًا، يلعب النَّرد إلى جوار المستوقَد... ويربح كذلك كما يشي منظر كومة العُملات أمامه.

أعلنَ ثيون: «سنُغادِر الآن»، ولمَّا لم يُعِره الصَّبي انتباهًا، قبضَ على أُذنه بقوَّةٍ وشَدَّه بعيدًا عن اللُّعبة، فالتقطَ وِكس حفنة العُملات النُّحاسيَّة، وذهبَ معه دون أن ينبس بكلمةٍ واحدة. صمته هذا واحد من الأشياء التي تروق ثيون فيه، فمعظم مُرافِقي النُّبلاء والفُرسان لا يصونون ألسنتهم أبدًا، بينما وُلِدَ وِكس أبكم... وإن لم يَعُقه هذا خطوةً عن أن يكون أذكى من أيِّ صبيٍّ تقليدي في الثَّانية عشرة من العُمر. إنه الابن غير الشَّرعي لأحد إخوة اللورد بوتلي غير الأشقَّاء، وتعيينه مُرافِقًا لثيون كان جزءًا من الثَّمن الذي دفعَه لقاء حصانه.

اتَّسعت عينا وِكس عندما رأى إسجريد، فقال ثيون لنفسه: كأنه لم يرَ



امرأةً من قبل، وخاطبَ الصَّبي قائلًا: «إسجريد ستركب معي إلى پايك. جهِّز الحصانين بسرعة».

ركبَ الصَّبي حصانًا ناحلًا صغير الحجم من اسطبل اللورد بوتلي، أمَّا حصان ثيون فيختلف تمامًا. سألَته إسجريد حين رأته: «من أين أتيت بجواد الجحيم هذا؟»، لكن ضحكتها أفصحَت لثيون عن إعجابها بالدَّابَّة.

- «اللورد بوتلي اشتراه من لانسپورت قبل عام، لكنه أثبتَ أنه أكثر جموحًا من أن يستطيع بوتلي ترويضه، فسرَّه أن يبيعه». جُزر الحديد أصغر مساحةً وأكثر امتلاءً بالصُّخور من أن تُتيح استيلاد وتربية خيلٍ جيِّدة، ومعظم سُكَّان الجُزر لا يعبأون بالرُّكوب، ناهيك بإجادته، ويَشعُرونَ بالرَّاحة والأُلفة فوق أسطُح السُّفن الطَّويلة أكثر من السُّروج. حتى اللوردات هنا يمتطون أحصنةً صغيرةً أقرب إلى المهور، أو خيولًا قزمةً من هارلو، بينما تنتشر العربات التي تجرُّها الثِّيران أكثر من تلك التي تجرُّها الخيول بكثير، والعوام الأفقر من أن يمتلكوا هذه أو تلك يَجُرُّون محاريثهم بأنفسهم على التُّربة الحجريَّة الفقيرة. غير أن ثيون أمضى عشر سنواتٍ في وينترفل، ولا ينوي الذَّهاب إلى الحرب دون مطيَّةٍ تَصلُح، وهكذا كان سوء تقدير اللورد بوتلي بمثابة حظه الحَسن، فمزاج هذا الفحل أكثر سوادًا من جِلده، وحجمه أكبر من خيول السِّباق لكن لا يُضاهي الجياد الحربيَّة الضَّخمة، وبما أن ثيون ليس كبير الحجم كمعظم الفُرسان، فقد ناسبَه هذا تمامًا. في عيني الحصان نار موقدة، وعندما قابلَ مالكه الجديد أول مرَّة، كشفَ أسنانه وحاولَ أن يقضم وجهه.

سألَته إسجريد وهو يمتطي الحصان: «أله اسم؟».

أجابَ: «سمايلر»، ومَدَّ يده يُساعِدها على الصُّعود لتركب أمامه، حيث يستطيع أن يُطَوِّقها بذراعيه، وأردفَ: «عرفتُ رجلًا قال لي ذات مرَّةٍ إنني أبتسمُ للأسباب الخطأ».

- «وهل هذا صحيح؟».

قال: «فقط في رأي من لا يبتسمون لشيءٍ أبدًا»، ووجدَ نفسه يُفَكِّر في أبيه وعمِّه آرون.

- «هل تبتسم الآن يا سيِّدي الأمير؟».



قال ثيون: «أوه، بالتَّأكيد»، ومَدَّ يديه حولها يلتقط العِنان. إنها تكاد تُناهِزه طولًا، يحتاج شَعرها غسلًا، وثمَّة ندب وردي باهت على عُنقها الجميل، لكنه أحبَّ رائحتها التي تتمازَج فيها الملوحة والعذوبة بالأنوثة.

الآن تُبَشِّر رحلة العودة إلى پايك بأنها ستكون أمتع كثيرًا من رحلة الذَّهاب.

عندما ابتعدا مسافةً لا بأس بها عن لوردزپورت، رفعَ ثيون كفَّه وطوَّق بها ثدي إسجريد، التي أسرعَت تُزيحها قائلةً: «خيرٌ لك أن تبقى يداك على العِنان، وإلَّا ألقانا وحشك الأسود هذا من فوقه وركلَنا حتى الموت».

- «لقد قهرتُ هذه النَّزعة فيه». شاعرًا بالاستمتاع، أحسنَ ثيون الأدب فترةً من الوقت وثرثرَ بأسلوبٍ لطيف عن الطَّقس (السَّماء ملبَّدة بالغيوم الرَّماديَّة المكفهرَّة كما كانت منذ عادَ، والأمطار متكرِّرة)، وحكى لها عن الرِّجال الذين قتلَهم في معركة الغابة الهامسة، وعندما بلغَ الجزء الذي كان فيه على مرمى حجرٍ من قاتِل الملك، رفعَ يده إلى ثديها ثانيةً. ثدياها صغيران، لكنه يُحِبُّ اكتنازهما.

- «لست تُريد أن تفعل هذا يا سيِّدي الأمير».

اعتصرَ ثيون الثَّدي قائلًا: «أوه، لكني أريدُ حقًّا».

- «مُرافِقك يُراقِبك».

- «دَعيه يُراقِب. إنه لن يحكي لأحدٍ أبدًا، أقسمُ لكِ».

انتزعَت إسجريد أصابعه عن ثديها، وهذه المرَّة ظلَّت مُطبقةً عليها بعيدًا عنها بيديها القويَّتين.

- «أحبُّ المرأة ذات القبضة القويَّة المُحكمة».

قالت متهكِّمةً: «ما كنتُ لأتصوَّر ذلك منذ رأيتُ تلك الفتاة على السَّاحل».

- «لا تَحكُمي عليَّ من خلالها، فقد كانت الأنثى الوحيدة على السَّفينة».

- «حدِّثني عن أبيك. هل سيُرَحِّب بي في قلعته؟».

- «ولِمَ؟ لقد رحَّب بي أنا بالكاد مع أني لحمه ودمه، ووريث پايك وجُزر الحديد».



سألَته بلهجةٍ محايدة: «أأنت كذلك حقًّا؟ يُقال إن لديك أعمامًا وأخوين وأختًا».

- «أخواي ماتا منذ زمن، أمَّا أختي... يقولون إن ثوب آشا المفضَّل عبارة عن قميصٍ طويلٍ من الحلقات المعدنيَّة يتجاوَز رُكبتيها، بينما ترتدي تحته ثيابًا داخليَّةً منَ الجِلد المقوَّى، لكن ثياب الرِّجال لن تصنع منها رجلًا. سأرتِّبُ لها زيجةً تحالفيَّةً مناسبةً عقب فوزنا بالحرب، لو وجدتُ رجلًا يرضى بها. كما أذكرُ، فأنفها معقوف كمنقار النَّسر، ووجهها مليء بالبثور المتنفخة، ولا فارق بين صدرها وصدور الصِّبيان».

قالت إسجريد: «يُمكنك أن تُزَوِّج أختك، لكن ماذا عن أعمامك؟».

- «أعمامي...». الواقع أن ثيون يسبق إخوة أبيه الثَّلاثة في أحقيَّة الخلافة، لكن المرأة ضربَت وترًا حسَّاسًا على الرغم من هذا، فليست حادثةً نادرةً في جُزر الحديد أن يُجَرِّد عَمٌّ أو خالٌ قويٌّ ابن أخيه أو أخته من حقوقه، وعادةً ما يَقتُله كذلك. لكني لستُ ضعيفًا، وأنوي أن أكون أقوى وأقوى إلى أن تحين ساعة أبي. «أعمامي لا يُشَكِّلون تهديدًا لي. آرون سكران بماء البحر والورع، ويحيا من أجل إلهه فقط».

- «إلهه وليس إلهك؟».

- «وإلهي كذلك. عسى الميِّت ألَّا يموت أبدًا»، وابتسمَ ابتسامةً خفيفةً وأكملَ: «إذا تظاهَرتُ بالتَّقوى والتديُّن، سيدعني ذو الشَّعر الرَّطب وشأني، وبالنِّسبة لعمِّي ڤيكتاريون...».

- «حضرة قائد الأسطول الحديدي والمحارب المغوار. سمعتهم يُغَنُّون عنه في الحانات».

- «أثناء ثورة أبي، أبحرَ إلى لانسپورت مع عمِّي يورون وأحرقَ أسطول لانستر في مرساه، لكن يورون هو من وضعَ الخطَّة. ڤيكتاريون كالعِجل الضَّخم العجوز، قوي ومخلص ولا يكلُّ، لكنه لن يفوز في أيِّ سباق. لا ريب أنه سيخدمني بولاءٍ كما خدمَ أبي، فهو لا يتمتَّع بذكاءٍ أو طموحٍ يُخَوِّلان له إضمار المكائد».



- «لكن يورون عين الغُراب لا يَنقُصه الدَّهاء. سمعتُ حكاياتٍ رهيبة تُروى عنه».

اعتدلَ ثيون فوق سَرجه، وقال: «لم يظهر عمِّي يورون في الجُزر منذ ما يَقرُب من عامين. قد يكون ميتًا». ولو أنه ماتَ حقًّا فقد يكون هذا خيرًا، فأخو اللورد بالون الأكبر لم يتخلَّ قَطُّ عن «النَّهج القديم» ولو يومًا واحدًا، ويُقال إن سُمعة سفينته «الصَّمت» بأشرعتها السَّوداء وبدنها الأحمر القاني سيِّئة في كلِّ الموانى من إيبن إلى آشاي.

قالت إسجريد: «قد يكون ميتًا، وإذا كان حيًّا فقد أمضى وقتًا طويلًا في البحر على كلِّ حال، وسيبدو هنا أقرب إلى الغُرباء. الحديديُّون لن يُجلِسوا غريبًا على كرسي حجر اليَمِّ أبدًا».

رَدَّ ثيون: «أعتقدُ هذا»، قبل أن يَخطُر له أن البعض يُمكنهم وصْفه بالغريب بدوره، وجعلَه الخاطر يُقَطِّب وجهه عابسًا. عشرة أعوام زمن طويل، لكني رجعتُ، وأبي لن يموت قريبًا. لديَّ وقت يكفي لإثبات نفسي.

فكَّر في مداعَبة ثدي إسجريد ثانيةً، لكنها ستُزيح يده غالبًا، كما أن الكلام عن أعمامه ثبَّط فورته إلى حَدٍّ ما. سيجد وقتًا كافيًا للعب بَعدما يعود إلى خصوصيَّة مسكنه في القلعة. قال لها: «سأُكلِّمُ هيليا عندما نَبلُغ بايك، وأحرصُ على أن تجلسي في مكان شَرفٍ في المأدبة. عليَّ أن أجلس على المنصَّة إلى يمين أبي، لكني سأنزلُ وأنضمُّ إليكِ عندما يُغادِر القاعة. نادرًا ما يبقى وقتًا طويلًا هناك، فمعدته لا تحتمل الشَّراب هذه الأيام».

- «شيء حزين أن يشيخ العُظماء».

- «اللورد بالون ليس أكثر من أبٍ لرجلٍ عظيم».

- «لورد صغير متواضع أنت».

رَدَّ: «فقط الأحمق يَذِلُّ والعالم يعجُّ بمَن يُمكنهم أن يفعلوا هذا بدلًا منه»، ولثَمَ مؤخِّرة عُنقها بخفَّة.

مدَّت يدها إلى الخلف دافعةً وجهه، وقالت: «ماذا سأرتدي لهذه المأدبة العظيمة؟».



- «سأطلبُ من هيليا أن تجد لكِ ثيابًا. قد يَصلُح لكِ واحد من فساتين السيِّدة والدتي. لقد رحلَت إلى هارلو، وليس من المتوقَّع أن تعود».

- «سمعتُ أن الرِّياح الباردة استنزفَت قُواها. ألن تذهب لزيارتها؟ هارلو تَبعُد يومًا واحدًا، ومؤكَّد أن الليدي جرايجوي تتوق لرؤية ابنها مرَّةً أخيرةً».

- «ليتني أستطيعُ، لكني كثير الأشغال هنا، وأبي يعتمد عليَّ بما أني عدتُ. عندما يحلّ السَّلام ربما...».

- «قد يمنحها ذهابك إليها السَّلام».

قال متذمِّرًا: «تتكلَّمين كامرأةٍ الآن».

- «أعترفُ أني كذلك... وحديثة الحمل».

بشكلٍ ما أثارَته الفكرة، فقال: «هذا ما تقولين، لكن جسدكِ يشي بالعكس، فكيف تُثبِتين صحَّة كلامكِ؟ قبل أن أصدِّقكِ، عليَّ أن أرى ثدياك يَنضُجان وأتذوَّق لبنكِ».

- «وماذا سيقول زوجي عن هذا؟ إنه رجل وخادم أبيك المخلص».

- «سنجعله يبني سُفنًا كثيرةً للغاية، فلن يُلاحِظ أنكِ تركتِه».

قالت ضاحكةً: «اللورد الصَّغير الذي أسرَني قاسٍ بحق. إذا وعدتك أنك ستُشاهِد صغيري يرضع ذات يوم، فهل ستحكي لي المزيد عن حربك يا ثيون يا سليل عائلة جرايجوي؟ ما زالت أمامنا جبال وأميال، وأريدُ أن أسمع عن ذلك الملك الذِّئب الذي كنت تخدمه، والأسود الذَّهبيَّة التي يُقاتِلها».

متلهِّفًا على إرضائها، انصاعَ ثيون، ومضى الجزء الباقي من الرِّحلة سريعًا وهو يملأ رأسها الجميل بحكاياتٍ عن وينترفل والحرب، حتى إن بعض الأشياء التي قالها أدهشَته هو نفسه. الكلام معها سهلٌ حقًّا، باركَتها الآلهة. أشعرُ كأني أعرفها منذ سنين. لو أن لعبها في السَّرير يَبلُغ نصف فطنتها، فعليَّ أن أحتفظ بها... فكَّر في سيجرين السَّفَّان، الرَّجل ثخين الجسد والعقل، الذي بدأ شَعره الكتَّاني ينحسر عن جبهته ذات البثور، وهَزَّ رأسه قائلًا لنفسه: خسارة، خسارة فاجعة حقيقةً.

لم يبدُ أن وقتًا مَرَّ على الإطلاق قبل أن يلوح سور پايك الواقي العظيم أمامهما.



كانت البوَّابات مفتوحةً، فهمزَ ثيون حصانه سمايلر بقوَّةٍ ليتقدَّم مسرعًا، وفي الدَّاخل نبحَت الكلاب بضراوةٍ بينما ساعدَ إسجريد على الترجُّل، واندفعَت مجموعة كبيرة منها نحوهما بذيولٍ تتراقَص، وتجاوزَته قافزةً على المرأة وحولها حتى كادت تَسقُط، وأخذَت تلعقَها نابحةً بسعادة. زعقَ ثيون آمرًا الكلاب بالابتعاد وهو يُسَدِّد ركلةً غير مؤثِّرةٍ لكلبةٍ بنِّيَّة كبيرة الحجم، لكن إسجريد كانت تضحك وتتدحرَج وسطها.

جاءَ عامل اسطبل يجري وراء الكلاب، فقال له ثيون: «خُذ الحصان، وأبعِد هذه الكلاب اللَّعينة...»، لكن الأحمق لم ينتبه له، وعلى وجهه ارتسمَت ابتسامة ملأَت شِدقيه وكشفَت أسنانه المتباعدة وهو يقول: «ليدي آشا، لقد عُدتِ».

قالت: «ليلة أمس. أبحرتُ من ويك القديمة مع اللورد جودبراذر، وبِتُّ في الخان. أخي الصَّغير كان كريمًا وسمحَ لي بالرُّكوب معه من لوردزپورت»، وقبَّلت أحد الكلاب على أنفه ورفعَت وجهها إلى ثيون بابتسامةٍ واسعة.

كلُّ ما كان في وسعه لحظتها هو الوقوف والتَّحديق فيها مبهوتًا. آشا. لا. مستحيل أن تكون آشا. أدركَ فجأةً أن هناك اثنتين منها في مخيِّلته؛ إحداهما الفتاة الصَّغيرة التي عرفَها قديمًا، والثَّانية يتخيَّل بشكلٍ مبهَم أنها تُشبِه أمَّها، لكن لا هذه ولا تلك تُشبِه هذه الـ... الـ... الـ...

قالت وهي تُصارِع كلبًا: «البثور راحَت عندما كبرَ الثَّديان، لكني احتفَظتُ بمنقار النَّسر».

استطاعَ ثيون أن ينطق أخيرًا، فقال ضاغطًا على كلماته: «لماذا لم تُخبِريني؟».

تركَت آشا كلب الصَّيد واعتدلَت مجيبةً: «أردتُ أن أعرف مَن تكون أولًا، وقد فعلتُ»، وبسخريةٍ انحنَت نِصف انحناءةٍ مضيفةً: «والآن يا أخي الصَّغير، اسمح لي بالانصراف، فعليَّ أن أستحمَّ وأبدِّل ثيابي للمأدبة. تُرى أما زلتُ أملكُ الثَّوب المعدني الذي أحبُّ ارتداءه فوق الثِّياب الدَّاخليَّة الجِلد؟»، ومنحَته البسمة الشرِّيرة مجدَّدًا، وقطعَت الجسر بتلك المشية التي أحبَّها، التَّمايُل الممتزج بالسَّير المتهادي.



ابتسامة ساخرة كانت تحتلُّ وجه وِكس حين التفتَ ثيون إليه، فهوى على صُدغ الصَّبي بضربةٍ قائلًا: «هذه لاستمتاعك الشَّديد بالمشهد»، ثم بضربةٍ ثانية أقوى وهو يُواصِل: «وهذه لعدم تحذيري. فليَنَمُ لك لسانِ المرَّة القادمة».

لم يَشعُر ببرودةٍ مماثلةٍ في مسكنه في الحصن الكبير قَطُّ، مع أن الخدم كانوا قد تركوا مستوقَدًا مشتعلًا. طوَّح ثيون حذاءه عن قدميه، وتركَ المعطف يَسقُط أرضًا، وصَبَّ لنفسه كأسًا من النَّبيذ وهو يتذكَّر فتاةً خرقاء ذات رُكبتين مرضوضتين ووجهٍ مليء بالبثور. قال لنفسه مغضبًا: لقد حلَّت سراويلي، وقالت... يا للآلهة، وقلتُ أنا... أطلقَ أنينًا ساخطًا. لقد جعلَ من نفسه أكبر أحمق في العالم. ثم إنه وجدَ نفسه تردُّ قائلةً: كلا، بل هي التي جعلَتني أبدو كالأحمق. لا بُدَّ أن الشرِّيرة الحقيرة استمتعَت بكلِّ لحظة... والطَّريقة التي ظلَّت تمدُّ بها يدها على قضيبي...

حملَ كأسه إلى الكرسي المجاور للنَّافذة، حيث جلسَ يشرب ويتفرَّج على البحر بينما تُظلِم السَّماء فوق پايك. ليس لي مكان هنا، والسَّبب آشا، فليأخذها «الآخَرون»! استحالَ لون المياه في الأسفل من الأخضر إلى الرَّمادي إلى الأسود، ووقتها كانت الموسيقى الخافتة تترامى إلى مسامعه من بعيدٍ بالفعل، فعرفَ أن الوقت حان لتبديل ثيابه للمأدبة.

اختارَ ثيون حذاءً تقليديًّا وملابس لا يُمَيِّزها شيء، كلها درجات داكنة من الأسود والرَّمادي تتماشى مع مزاجه الحالي، ولم يضع أيَّ حُلِيٍّ أو زينة، فهو لا يملك شيئًا دفعَ فيه الثَّمن الحديدي. كنتُ لآخذ شيئًا من جثَّة الهمجي الذي قتلته لإنقاذ بران ستارك، لكنه لم يملك شيئًا يستحقُّ الأخذ. حظِّي الملعون أني أقتلُ المعدِمين.

وجدَ القاعة الطَّويلة مليئةً بالدُّخان ولوردات وربابنة أبيه عندما دخلَ. كان عددهم يدنو من الأربعمئة، وإن لم يرجع داجمر ذو الفك المفلوق من ويك القديمة بعدُ مع رجال عائلتي دروم وستونهاوس، لكن البقيَّة كلهم موجودون؛ رجال هارلو من هارلو، ورجال بلاكتايد من بلاكتايد، ورجال سپار ومرلين وجودبراذر من ويك الكُبرى، ورجال سولتكليف وساندرلي من سولتكليف، ورجال بوتلي ووينش من النَّاحية الأخرى من پايك. كان



الخدم يصبُّون المِزر في الأقداح، ولعبَ العازفون على الكمنجات والقِرب والطُّبول، بينما اشتركَ ثلاثة رجالٍ ضخام الجثَّة في رقصة الأصابع، يقذفون بلطات قصيرة المقابض نحو بعضهم بعضًا، بهدف إمساك البلطة أو الوثوب فوقها دون تعثُّر؛ ويُسَمُّونها رقصة الأصابع لأنها تنتهي عادةً بأن يفقد أحد الرَّاقصين إصبعًا... أو اثنين... أو الخمسة.

لم ينتبه الرَّاقصون أو الشَّاربون كثيرًا لثيون جرايچوي الذي قطعَ القاعة بخطواتٍ واسعة نحو المنصَّة. كان اللورد بالون يحتلُّ كرسي حجر اليَم، المنحوت على شكل كراكن عظيم من قالبٍ ضخم من الحجر الزَّيتي الأسود. تقول الأسطورة إن البَشر الأوائل وجَدوه على ساحل ويك القديمة عندما أتوا إلى جُزر الحديد. إلى يسار الكرسي العالي جلسَ عمًّا ثيون، بينما استقرَّت آشا عند يد أبيهما اليُمنى في مكان الشَّرف.

قال اللورد بالون: «تأخَّرت يا ثيون».

رَدَّ ثيون: «تقبَّل اعتذاري»، وجلسَ في المقعد الشَّاغر المجاور لآشا، ومالَ على أُذنها هامسًا بصوتٍ كالفحيح: «أنتِ في مكاني».

التفتَت إليه بعينين بريئتين قائلةً: «لا بُدَّ أنك مخطئ يا أخي، فمكانك في وينترفل»، وأضافَت بابتسامةٍ ماضية كسكِّين: «وأين ثيابك الفاخرة؟ سمعتُ أنك تُحِبُّ ملمس الحرير والقطيفة على بشرتك». كانت ترتدي ثوبًا من الصُّوف الأخضر النَّاعم، بسيط التَّفصيل ويتمسَّك بخطوط جسدها النَّاحل.

رَدَّ عليها: «لا بُدَّ أن الصَّدأ أصابَ قميصكِ المعدني يا أختاه. خسارة، أردتُ أن أراكِ ترتدين الحديد».

ضحكَت آشا قائلةً: «قد تفعل يا أخي الصَّغير... إذا كنت تعتقد أن كلبتك تستطيع مجاراة سفينتي «الرِّيح السَّوداء»». اقتربَ أحد خدم أبيهما حاملًا إبريقًا من النَّبيذ، فسألَته: «أترغب في احتساء المِزر أم النَّبيذ اللَّيلة يا ثيون؟»، ومالَت عليه متابعةً: «أم ما زلت تُريد تذوُّق لبني؟».

احتقنَ وجهه، وقال للخادم: «نبيذ»، فالتفتَت آشا عنه ودقَّت على المائدة طالبةً المِزر.

قسمَ ثيون رغيفًا من الخُبز إلى نِصفين، وفرَّغه صانعًا طبقًا، ثم استدعى



خادمًا يملأه بيخنة السَّمك. أصابَته رائحة القشدة الثَّخينة بشيءٍ من الغثيان، لكنه أرغمَ نفسه على أن يتناوَل القليل، فقد شربَ من الخمر ما يكفي وجبتين كاملتين. إذا تقيَّأتُ، سأتقيَّأ عليها. سألَ أخته: «هل يعرف أبونا أنكِ تزوَّجتِ سفَّانه؟».

هزَّت كتفيها مجيبةً: «سيجرين نفسه لا يعرف. إسجريد كان اسم أول سفينةٍ بناها، وسمَّاها على اسم أمِّه. أجدُ صعوبةً حقًّا في معرفة مَن منهما يُحِبُّ أكثر».

- «كلُّ كلمةٍ قُلتِها لي كانت كذبًا».

بالابتسامة الواسعة إياها قالت آشا: «ليس كلَّ كلمة. أتذكُر عندما قلتُ لك إني أحبُّ أن أكون على القمَّة؟».

أجَّج هذا غضبته أكثر، فقال: «كلُّ ذلك الكلام عن كونكِ امرأةً متزوِّجةً وتحملين طفلًا...».

قالت آشا: «أوه، هذا الجزء حقيقي»، وانتفضَت واقفةً ورفعَت يدها وصاحَت في واحدٍ من راقصي الأصابع: «روفل، هنا!»، فرآها الرَّجل ودارَ على عقبيه، وفجأةً جاءَت البلطة تشقُّ الهواء، يلمع نصلها وهو يدور ويدور في ضوء المشاعل، ولم يجد ثيون وقتًا إلَّا لإطلاق شهقةٍ مختنقة، قبل أن تختطف آشا البلطة في الهواء وتغرسها في المائدة، قاسمةً طبقه المرتجَل إلى نِصفين وناثرةً الطَّعام على معطفه. «ها هو السيِّد زوجي...»، قالت أخته، ودسَّت يدها في ثوبها وسحبَت خنجرًا من بين ثدييها، وأكملَت: «... وهذا طفلي الرَّضيع».

لا يتخيَّل كيف بدا في تلك اللَّحظة، لكن ثيون جرايچوي أدركَ فجأةً أن القاعة الكُبرى تهدر بالضَّحك... بالضَّحك منه هو. حتى أبوه كان مبتسمًا، على الآلهة اللَّعنة، بينما قهقهَ عمُّه ڤيكتاريون بصوتٍ عالٍ. أفضل ردَّة فعلٍ استطاعَ استحضارها لحظتها كانت أن تختلج ابتسامة صغيرة على شفتيه، بينما في قرارة نفسه قال: سنرى من يضحك عندما ينتهي كلُّ هذا أيتها الحقيرة.

انتزعَت آشا البلطة من المائدة، وعادَت تُلقيها إلى الرَّاقصين على خلفيَّةٍ من الصَّفير والتَّهليل الصَّاخب، ثم التفتَت إليه قائلةً: «خيرٌ لك أن تُصغي لما



قُلته لك عن اختيار طاقمك»، ثم عرضَ خادم عليهما طبقًا، فغرسَت خنجرها في سمكةٍ مملَّحة وأكلَتها من على طرفه، وتابعَت: «لو أنك كلَّفت نفسك تعلُّم أيِّ شيءٍ عن سيجرين، فلم أكن لأستطيع خداعك أبدًا. قضيت عشرة أعوام ذئبًا، ثم تحسب أنك تستطيع أن تجوب الجُزر مختالًا كأمير، بينما لا تعرفُ شيئًا أو أحدًا هنا. ما الذي يحثُّ الرِّجال على القتال والموت من أجلك؟».

أجابَ ثيون بجمود: «أنا أميرهم شرعًا وقانونًا».

- «وَفقًا لقوانين الأراضي الخضراء ربما، لكننا نستنُّ قوانيننا الخاصَّة ها هنا، أم أنك نسيت؟».

بوجهٍ مربد التفتَ ثيون إلى الطَّبق الذي تسيل منه اليخنة فتقترب من حِجره بسرعة، فزعقَ في أحد الخدم أن يُنَظِّف المائدة. انتظرتُ نِصف حياتي أن أعود إلى الوطن، فمن أجلِ ماذا؟ السُّخرية والاستخفاف؟ لم تكن هذه بايك التي يتذكَّرها. لكن هل يتذكَّرها حقًّا؟ لقد كان صغيرًا عندما أخذوه رهينةً.

كانت المأدبة متواضعةً جدًّا، لم تتوالَ فيها غير أطباق يخنة السَّمك والخُبز الأسمر ولحم الماعز غير المتبَّل، وألذُّ شيءٍ استطاعَ ثيون أن يأكله كان فطيرة بصل، لكن المِزر والنَّبيذ ظلَّا يتدفَّقان طويلًا بَعد رفع أطباق الطَّعام.

نهضَ اللورد بالون جرايچوي من كرسي حجر اليَم، وقال آمرًا لمَن شارَكوه المنصَّة: «افرغوا من شرابكم والحقوا بي في غُرفتي، فلدينا خُطط علينا وضعها»، وتركَهم بلا كلمةٍ أخرى وقد أحاطَ به اثنان من حُرَّاسه من الجانبين، ثم نهضَ أخواه يتبعانه بَعد مدَّةٍ قصيرة، ونهضَ ثيون ليلحق بهما.

قالت آشا: «أخي الصَّغير متلهِّف على المغادَرة»، ورفعَت بوق الشَّراب وأشارَت طالبةً مزيدًا من المِزر.

- «السيِّد والدنا ينتظر».

- «إنه ينتظر منذ سنواتٍ طويلة، فلن يضرَّه أن ينتظر فترةً أطول قليلًا... لكن إذا كنت تخشى غضبته، فاجرِ وراءه طبعًا، ولن تجد مشكلةً في اللَّحاق بعمَّينا»، وابتسمَت مضيفةً: «فأحدهما سكران بماء البحر، والآخر عِجل ضخم عجوز سيضلُّ الطَّريق من فرط غبائه».

عادَ ثيون يجلس، وقال بضيق: «لا أجري وراء أيِّ رجل».



- «لكن وراء كلِّ امرأة؟».
- «ليس أنا من أمسكَ قضيبكِ».
- «ليس لديَّ قضيب، أنسيت؟ لكنك أسرعت بإمساك كلِّ جزءٍ آخَر مني».
شعرَ بالدِّماء تصعد إلى وجهه وهو يقول: «أنا رجل ولديَّ شهوات الرِّجال، فأيُّ مخلوقٍ شاذ أنتِ؟».
قالت آشا: «مجرَّد فتاةٍ خجول»، واندفعَت يدها كالسَّهم تعتصر قضيبه تحت المائدة، فكادَ ثيون يثب من مقعده، فقالت له: «ماذا؟ ألا تُريدني أن أقودك إلى الشَّاطئ يا أخي؟».
قال ثيون بحزم: «لا زواج لك. أعتقدُ أني سأرسلكِ للالتحاق بالأخوات الصَّامتات عندما أحكمُ»، ونهضَ بحركةٍ حادَّة وتحرَّك بلا ثباتٍ تابعًا أباه.
كان المطر يَسقُط لمَّا بلغَ الجسر المتأرجح الذي يقود إلى بُرجِ البحر، ومعدته تتقلَّب كالأمواج في الأسفل وقد جعلَ النَّبيذ حركته مضطربةً. ضغطَ ثيون على أسنانه وقبضَ على الحبل بإحكامٍ وهو يَعبُر متظاهرًا بأنه يقبض على عُنق آشا.
غُرفة أبيه الشَّمسيَّة كانت رطبةً وتسري فيها تيَّارات الهواء الباردة كالعادة، وجلسَ أبوه أمام المدفأة مدفونًا تحت ثوبه الضَّخم المصنوع من جِلد الفقمات، بينما جلسَ أخواه على جانبيه. كان ڤيكتاريون يتكلَّم عن حركة المَدِّ والجَزر والرِّيح عندما دخلَ ثيون، لكن اللورد بالون أشارَ له بالصَّمت، وقال: «لقد وضعتُ خُططي، وحان الوقت لأن تسمعوها».
- «لديَّ بعض الاقتراحات...».
قاطَعه أبوه: «سأطلبُ نصيحتك عندما أحتاجها. جاءَنا طائر من ويك القديمة، داجمر سيعود ومعه رجال دروم وستونهاوس، وإذا أنعمَ الإله علينا بريحٍ مواتية، سنُبحِر عندما يصلون... أو ستُبحِر أنت بالأحرى. أريدك أن تضرِب الضَّربة الأولى يا ثيون، لذا ستقود ثماني سُفن طويلة شَمالًا و...».
قال وقد احتقنَ وجهه: «ثماني سُفن؟ وما الذي يُمكنني تحقيقه بثماني سُفن طويلة؟».
- «ستُداهِم السَّاحل الحجري وتُغير على قُرى الصَّيد وتُغرِق أيَّ سفينةٍ



تُصادِفك، وقد تستدرج بعضًا من لوردات الشَّمال من وراء أسوارهم الحجريَّة. سيصحبك آرون، وداجمر ذو الفك المفلوق».

قال الرَّاهب: «باركَ الإله الغريق في سيوفنا».

أحسَّ ثيون كأنه صُفِعَ على وجهه. سيُرسِله أبوه ليقوم بعمل مُغيرٍ تقليدي، يُحرِق بيوت الصيَّادين ويغتصب بناتهم القبيحات، ومع ذلك لا يبدو أن اللورد بالون يثق بمقدرته على القيام بهذا القَدر الضَّئيل حتى. سيِّئ بما فيه الكفاية أن يتحمَّل توبيخ وتعنيف ذي الشَّعر الرَّطب، وفي وجود داجمر ذي الفك المفلوق كذلك، فإنه لن يتولَّى سوى الحَدِّ الأدنى من القيادة.

واصلَ اللورد بالون: «آشا يا ابنتي»، فلاحظَ ثيون أن أخته انسلَّت إلى المكان بصمت. «ستقودين ثلاثين سفينةً طويلةً عليها نخبةً منتقاة من الرِّجال حول «رأس التنِّين البحري»، ثم ترسين على السَّاحل الموحل شَمال «ربوة الغابة». ازحفي بسرعة، وقد تَسقُط القلعة قبل أن يُدرِكوا أنكم تُهاجِموهم».

ابتسمَت آشا كقطَّةٍ تتلذَّذ بوعاءٍ من بالقشدة، وقالت بعذوبة: «لطالما أردتُ قلعةً».

- «خُذيها إذن».

اضطرَّ ثيون لأن يحبس لسانه. «ربوة الغابة» معقل عائلة جلوڤر، وفي غياب روبت وجالبارت في الحرب جَنوبًا، فلا بُدَّ أن دفاعاتها ضعيفة، وبمجرَّد أن تَسقُط القلعة، سيكون الرِّجال الحديديُّون قد أمَّنوا قاعدةً لهم في قلب الشَّمال. من المفترَض أن يُرسِلني أنا إلى «ربوة الغابة». إنه يعرفها جيِّدًا، وزارَ آل جلوڤر هناك مرارًا مع إدارد ستارك.

خاطبَ اللورد بالون أخاه قائلًا: «ڤيكتاريون، الحِمل الأكبر يقع عليك أنت. عندما يضرب ولداي ضربتهما، فلا بُدَّ أن وينترفل سترِدُّ، لكنك ستجد مقاومةً محدودةً أثناء ملاحتك في خليج «الرُّمح الملحي» والنَّهر المحموم. عندما تَبلُغ منبع النَّهر، ستفصلك عشرون ميلًا لا أكثر عن خندق كايلن. «العُنق» مفتاح المملكة، ونحن نُسَيطِر على البحر من الغَرب بالفعل، وبمجرَّد أن نستحوذ على «الخندق»، فلن يستطيع الجرو الانسحاب شَمالًا... وإذا كان بالحماقة الكافية لأن يُحاوِل، سيُغلِق أعداؤه طرف الطَّريق الجَنوبي



وراءه، وسيجد روب الصَّبي نفسه حبيسًا كجرذٍ في زجاجة».

لم يقدر ثيون على الصَّمت أكثر، فقال: «خطَّة جريئة يا أبي، لكن اللوردات في قلاعهم...».

ضحكَ اللورد بالون رأيه في الحال قائلًا: «اللوردات ذهبوا جَنوبًا مع الجرو، ولم يتبقَّ غير المسنِّين والجُبناء والصِّبية الخُضر. سوف يستسلمون أو يَسقُطون واحدًا تلو الآخَر. قد تتحدَّانا وينترفل عامًا، لكن ماذا في هذا؟ بقيَّة الشَّمال ستكون ملكنا، الغابات والحقول والأبهاء، وسنجعل سُكَّانه خدمنا وزوجاتنا الملحيَّات».

رفعَ آرون ذو الشَّعر الرَّطب يديه هاتفًا: «وستفيض مياه الغضب وترتفع عاليًا، ويفرض الإله الغريق سُلطانه على الأراضي الخضراء!».

قال ڤيكتاريون بوقار: «عسى الميِّت ألَّا يموت أبدًا»، فردَّد اللورد بالون وآشا الكلمات، ولم يجد ثيون خيارًا غير التَّمتمة بها معهما.

وهكذا قُضِيَ الأمر.

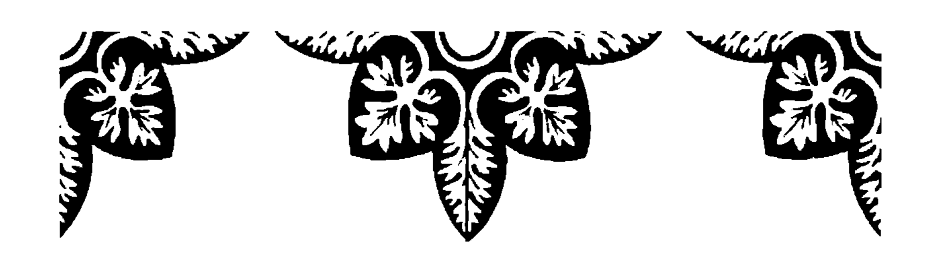
في الخارج كانت الأمطار تنهال بغزارةٍ عن ذي قبل، وتلوَّى الجسر المصنوع من الحبال وتمعَّج تحت قدميه، فتوقَّف ثيون جرايچوي في منتصَفه وتأمَّل الصُّخور في الأسفل. هدرَت الأمواج المتكسِّرة بعُنف، وشعرَ بمذاق الرَّذاذ المالح على شفتيه، ثم هبَّت الرِّيح فجأةً جاعلةً إياه يفقد توازُنه ويَسقُط، فعادَ ينهض متعثِّرًا.

وساعدَته آشا على النُّهوض قائلةً: «لا تحتمل الشُّرب كثيرًا كذلك يا أخي».

اتَّكأ ثيون على كتفها وتركَها تقوده فوق ألواح الخشب الزَّلقة، وقال لها بلهجةٍ فاترة: «كنتِ تروقينني أكثر وأنتِ إسجريد».

فضحكَت وردَّت: «هذا عادل، لأنك كنت تروقني أكثر وأنت في التَّاسعة».





تيريون

تسلَّلت أنغام القيثارة السَّامية عبر الباب ممتزجةً بصوت المزمار الرَّاجف، بينما كتمَت الجدران السَّميكة صوت المغنِّي، لكن تيريون تعرَّف المقطع الذي يشدو به، واستعادَه في قرارة نفسه: عشقتُ بنتًا بهيَّةً كالصَّيف، في شَعرها نور الشَّمس...

كان السير مرين ترانت يَحرُس باب الملكة اللَّيلة، وعندما تمتمَ: «سيِّدي»، كان لنبرته وقْع عُدواني بعض الشَّيء على أُذني تيريون، لكنه فتحَ الباب على الرغم من هذا، فتوقَّفت أغنيَّة «مواسم حبيبتي» فجأةً وهو يدلف إلى غُرفة نوم أخته.

وجدَ سرسي مضطجعةً على كومةٍ من الوسائد، حافية القدمين وشَعرها الذَّهبي منفوش بأناقة، وقد برقَ ثوبها المفصَّل من السَّميت الأخضر المقصَّب بالذَّهبي في ضوء الشُّموع وهي ترفع عينيها إليه، فقال: «شقيقتي العزيزة، تبدين رائعة الجَمال اللَّيلة»، والتفتَ إلى المغنِّي مضيفًا: «وأنت أيضًا يا ابن العم. لم أكن أعرف أنك تتمتَّع بهذا الصَّوت الرَّخيم».

حدَت المجامَلة بالسير لانسل إلى العبوس، ربما لأنه حسبَ أنه يتعرَّض للسُّخرية. بدا لتيريون أن طول الصَّبي زادَ ثلاث بوصاتٍ منذ تنصيبه فارسًا. للانسل شَعر كثيف بلون الرَّمل، وعينا عائلة لانستر الخضراوان، وخَطٌّ من الزَّغب الأشقر فوق شفته العُليا، وفي سِنِّ السَّادسة عشر عليه لعنة الثِّقة التَّامَّة التي تُصيب الشَّباب كافَّة، ولا يختمر في نفسه أدنى قدرٍ من حِسِّ الدُّعابة أو الشَّكِّ في الذَّات، كما أنه غارق حتى النُّخاع في عجرفةٍ وخيلاء من يُولَدون



شُقرًا أقوياء وسيمي الملامح؛ ومن ثَمَّ جعلَته ترقيته الأخيرة أسوأ وأسوأ. قال الصَّبي بلهجةٍ أنوف: «هل استدعَتك جلالتها؟».

أجابَ تيريون: «ليس حسبما أذكرُ. يُؤسِفني أن أقطع عليك مرحك يا لانسل، لكن هناك موضوعات مهمَّة أناقشها مع أختي».

رمقَته سرسي بريبةٍ قائلةً: «لو أنك هنا من أجل أولئك الإخوة الشحَّاذين يا تيريون، فوفِّر على نفسك تأنيبي، فلن أسمح لهم بنشر كلام الخونة القذر هذا في الشَّوارع. يُمكنهم أن يعظوا بعضهم بعضًا في الزَّنازين».

أضافَ لانسل: «وليعتبروا أنفسهم محظوظين لأن ملكتنا بهذه الرَّأفة، إذ كنتُ لأقطع ألسنتهم».

قالت سرسي: «أحدهم تجاسرَ على القول بأن الآلهة تُعاقِبنا لأن چايمي اغتالَ الملك الشَّرعي. لا يُمكن السَّماح بهذا يا تيريون. لقد أعطيتك فُرصةً كافيةً للتَّعامُل مع هؤلاء الحثالة، لكنك لم تفعل شيئًا، ولا رجلك السير چاسلين، فأمرتُ ڤايلار بأن يتولَّى الأمر».

- «وقد فعلَ». كان استياء عارم قد أصابَ تيريون عندما جَرَّ ذوو المعاطف الحمراء نِصف دستةٍ من الأنبياء الذين يُكَدِّرون السِّلم العام إلى الزَّنازين دون استشارته، لكنهم ليسوا بالأهميَّة التي تجعَله يتصارع مع أخته من أجلهم. «لا شَكَّ أن من الخير لنا جميعًا أن يسود الهدوء الشَّوارع بعض الشَّيء، لكني لم آتِ لهذا السَّبب، فلديَّ أنباء أعرفُ أنكِ ترغبين في سماعها يا شقيقتي العزيزة، لكن من الأفضل الكلام عنها على انفراد».

ردَّت: «ليكن»، فانحنى عازفا القيثارة والمزمار وأسرعا بالمغادَرة، بينما طبعَت سرسي قُبلةً خفيفةً على خَدِّ ابن عمِّها، وقالت له: «اترُكنا الآن يا لانسل. أخي عديم الأذى وهو وحده. لو كان قد أحضرَ حيواناته المدلَّلة، لكنا قد شمَمنا رائحتها».

حدجَ الفارس الشَّاب ابن عمِّه بنظرةٍ ناريَّة، وصفقَ الباب وراءه بعُنف، ثم قال تيريون بَعد أن غادرَ: «أريدكِ أن تعرفي أني أجعلُ شاجا يستحمُّ مرَّةً كلَّ أسبوعين!».

- «أنت في مزاجٍ رائق للغاية، أليس كذلك؟ ما السَّبب؟».



قال تيريون: «ولِمَ لا؟». طيلة اللَّيل والنَّهار تدقُّ المطارق في شارع الحديد، لتستطيل السِّلسلة الهائلة أكثر وأكثر. وثبَ إلى الفِراش الكبير المغطَّى بالسَّتائر قائلًا: «أهذا هو الفِراش الذي ماتَ فيه روبرت؟ يُدهِشني أنك احتفَظتِ به».

أجابَت: «النَّوم فيه يجعلني أرى أحلامًا حُلوةً. والآن أفرِغ ما لديك من كلام وانصرِف إلى حال سبيلك أيها العِفريت».

ابتسمَ تيريون وقال: «اللورد ستانيس أبحرَ من دراجونستون».

انتفضَت ناهضةً وصاحَت: «وتجلس هنا مبتسمًا كيقطينةٍ في عيد الحصاد؟ هل استدعى بايووتر حَرس المدينة؟ يجب أن نُرسِل طائرًا إلى هارنهال على الفور». كان تيريون يضحك، فأطبقَت على كتفيه وهزَّته قائلةً: «كُفَّ عن هذا. أأنت مجنون أم سكران. كُفَّ عن هذا!».

بصعوبةٍ استطاع استجماع الكلمات، وقال لاهثًا: «لا أستطيعُ... الموقف... طريف للغاية بحَقِّ الآلهة.... ستانيس...».

- «ماذا؟!».

- «إنه لم يُبحِر ضدنا. لقد حاصرَ ستورمز إند، ورنلي في الطَّريق إليه».

انغرسَت أظفار أخته في ذراعيه على نحوٍ مؤلم، ومرَّت لحظات ظلَّت تَرمُقه فيها غير مصدِّقة، كأنه رطنَ شيئًا ما بلُغَةٍ غير مفهومة، ثم إنها قالت: «ستانيس ورِنلي يتقاتَلان؟»، وعندما أومأَ برأسه إيجابًا بدأت سرسي تُقَهقِه، وقالت متقطِّعة الأنفاس: «يا للآلهة، بدأتُ أعتقدُ أن روبرت كان أذكى إخوته».

ألقى تيريون رأسه إلى الوراء وانفجرَ ضاحكًا، واشتركَ الاثنان في الضَّحك، قبل أن ترفعه سرسي من على السَّرير وتدور به في هواء الغُرفة، بل وتُعانِقه لحظةً كذلك بحبور فتاةٍ صغيرة، ولمَّا تخلَّت عنه أخيرًا كان تيريون يلهث شاعرًا بالدُّوار، فتحرَّك متمايلًا صوب الخوان وأسندَ يده عليه ليُثبِّت نفسه.

- «هل تعتقد أن الحرب ستنشب بينهما حقًّا؟ إذا استطاعا التوصُّل إلى اتِّفاقٍ ما...».



- «لن يَحدُث. إنهما متباينان للغاية، لكنهما متشابهان كذلك، ولا أحد منهما يهضم الآخَر».

قالت سرسي مفكِّرةً: «وستانيس كان يرى دائمًا أن ستورمز إند سُلِبَت منه غدرًا، باعتبارها مقرَّ عائلة باراثيون المتوارَث... لو تعرف كم مرَّةً جاءَ إلى روبرت يُرَدِّد الأغنيَّة نفسها بنبرته الكئيبة المغبونة تلك. حين أعطى روبرت القلعة لرنلي، صَرَّ ستانيس بأسنانه بعُنفٍ جعلَني أحسبُ أنها ستتحطَّم».

- «اعتبرَها إهانةً».

- «كانت الإهانة مقصودةً».

- «هل نرفع كأسًا في نخب الحُبِّ الأخوي؟».

قالت وهي تنهج: «نعم، أوه، بحَقِّ الآلهة نعم».

كان ظَهره لها وهو يملأ كأسين بنبيذ «الكرمة» الأحمر الحُلو، وكان أيسر شيءٍ في العالم لحظتها أن يَنثُر المسحوق النَّاعم في شرابها. قال بينما ناولَها الكأس: «نخب ستانيس!». عديم الأذى وأنا وحدي، أليس كذلك؟

ردَّت ضاحكةً: «نخب رنلي! عسى أن تستغرقهما حرب ضَروس مديدة ويأخذهما «الآخَرون»!».

أهذه هي سرسي التي يراها چايمي؟ عندما تبتسم، فإنك ترى كم هي جميلة حقًّا. عشقتُ بنتًا بهيةً كالصَّيف، في شَعرها نور الشَّمس.

كادَ تيريون يَشعُر بالأسف لأنه سمَّمها.

في الصَّباح التَّالي جاءَه رسولها وهو يتناوَل إفطاره، قائلًا إن الملكة متوعِّكة ولن تستطيع مغادَرة مسكنها. لن تستطيع مغادَرة مرحاضها بالأحرى. ردَّد تيريون عبارات التَّعاطُف الواجبة وأرسلَ لسرسي قائلًا لها أن تستريح، وإنه سيردُّ على السير كليوس كما اتَّفقا.

عرش إجون الفاتح الحديدي كُتلة متشابكة من البروزات الحادَّة المقيتة والأنياب المعدنيَّة المحزَّزة، التي تنتظر الأحمق الذي يُحاوِل الجلوس براحة، وأصابَ صعود الدَّرجات ساقي تيريون ناقصتي النُّمو بالتَّشنُّجات، وهو يعي تمامًا أن منظره يبدو سخيفًا للعيان، لكن لا مناص من الإقرار بأن الكرسي الحديدي القبيح مرتفع حقًّا.



وقفَ حَرس لانستر صامتين في معاطفهم القرمزيَّة وخوذاتهم القصيرة ذات ريشة الأسد، وعلى الجانب الآخَر وقفَ قُبالتهم رجال السير جاسلين ذوو المعاطف الذَّهبيَّة، بينما وقفَ برون والسير پرستون فارس الحَرس الملكي على جانبي درجات العرش، وملأَ أفراد الحاشية الشُّرفة، فيما تجمَّع الملتمِسون بالقُرب من الأبواب الضَّخمة المصنوعة من السَّنديان والبرونز، وبدَت سانزا ستارك جميلةً بشكلٍ خاص هذا الصَّباح، وإن كان وجهها شاحبًا كالحليب، أمَّا اللورد جايلز فوقفَ يَسعُل، وارتدى تايرك المسكين -ابن عمِّ تيريون- معطف العرسان الجُدد المصنوع من الفراء الأبيض والقطيفة. منذ زواجه الرَّضيعة الليدي إرميساند، ومُرافِقو الفُرسان الآخَرون يُلَقِّبونه ساخرين بالمُرضعة، ويسألونه عن الحفَّاضة التي ارتدَتها عروسه ليلة زفافهما.

تطلَّع تيريون إلى جنبات القاعة من أعلى، ووجدَ أن الإحساس يروقه حقًّا. قال: «استدعوا السير كليوس فراي»، فارتدَّ صوته رنَّانًا عن الجُدران الحجريَّة التي حملَته إلى مسامع الحاضرين بطول القاعة، وراقَه هذا أيضًا، وقال لنفسه متأمِّلًا: خسارة أن شِاي ليست هنا لترى هذا! كانت قد طلبَت منه أن تأتي، لكنه وجدَ ذلك مستحيلًا.

قطعَ السير كليوس القاعة الطَّويلة بين صَفَّي ذوي المعاطف الذَّهبيَّة وتلك القرمزيَّة، دون أن يلتفت برأسه شِمالًا أو يمينًا، ولاحظَ تيريون عندما ركعَ أن ابن عمِّه بدأ يفقد شَعره.

قال الإصبع الصَّغير الجالس إلى طاولة المجلس: «سير كليوس، نَشكُرك لمجيئك إلينا بعرض السَّلام من اللورد ستارك».

تنحنحَ المِايستر الأكبر پايسل، وقال: «الملكة الوصيَّة على العرش ويد الملك والمجلس الصَّغير درَسوا الشُّروط التي يعرضها ذلك الذي يُسَمِّي نفسه ملكًا في الشَّمال، ويُؤسِفني أن أقول إنها لن تَصلُح، وعليك تبليغ الشَّماليِّين هذا أيها الفارس».

قال تيريون: «ها هي شروطنا. على روب ستارك أن يرمي سلاحه ويُقسِم على الولاء ويعود إلى وينترفل، وعليه أن يُطلِق سراح أخي دون أن يمسَّه أذى، ويضع جيشه تحت إمرة چايمي، ليقوده ضد المتمرِّديْن رنلي وستانيس



باراثيون، وعلى كلٍّ من حمَلة راية ستارك أن يُرسِل إلينا ابنًا رهينةً، وإن لم يكن لديه أبناء فلتكن بنتًا إذن. سوف يُعامَلون بكرم ويُمنَحوا مواضع عالية هنا في البلاط، ما دامَ آباؤهم ممتنعين عن ارتكاب أيِّ خياناتٍ جديدة».

بدا الغثيان على كليوس فراي وهو يقول: «يا حضرة اليد، اللورد ستارك لن يُوافِق على هذه الشُّروط أبدًا».

لم نتوقَّع قَطُّ أنه سيفعل يا كليوس. «قُل له إننا حشدنا جيشًا كبيرًا آخَر في كاسترلي روك، وإنه سيزحف ضده قريبًا من الغَرب، بينما يتقدَّم أبي من الشَّرق. قُل له إنه وحيد، بلا أملٍ في التَّحالُف مع أحَد. ستانيس ورنلي يُقاتِلان أحدهما الآخَر، وأمير دورنَ وافقَ على تزويج ابنه تريستان الأميرة مارسلا». ارتفعَت مع العبارة الأخيرة همهمات السُّرور والارتياع على حَدٍّ سواء من الشُّرفة ومؤخِّرة القاعة، بينما واصلَ تيريون: «بالنِّسبة لابني عمِّي، فإننا نعرض هاريون كارستارك ووايليس ماندرلي مقابل ويلم لانستر، واللورد سروين والسير دونل لوك مقابل أخيك تيون. قُل لستارك إن اثنين من أولاد لانستر يُساوِيان أربعةً من الشَّماليِّين في أيِّ حين»، وانتظرَ حتى خفتَ ضحك الحاضرين قبل أن يُتابِع: «أمَّا رُفات أبيه فسيحظى به، كأمارةٍ على حُسن نيَّة چوفري».

قال السير كليوس مذكِّرًا: «اللورد ستارك طلبَ أختيه وسيف أبيه كذلك».

كان السير إلين پاين يقف مصابًا بالخرس كالمعتاد، بينما يرتفع مقبض سيف إدارد ستارك العظيم من وراء كتفه.

قال تيريون: «جَليد». سوف يناله بَعدما يحلُّ السَّلام بيننا، وليس قبل ذلك».

- «كما تقول. والأختان؟».

ألقى تيريون نظرةً على سانزا، وشعرَ بالشَّفقة تطعن صدره وهو يُجيب: «إلى أن يُطلَق سراح أخي چايمي دون أن يمسَّه أذى، ستبقيان رهينتين هنا، وكيفيَّة معاملَتهما تعتمد عليه هو». وإذا منَّت علينا الآلهة، سيَعثُر بايووتر على آريا حيَّةً قبل أن يعرف روب أنها مفقودة.

- «سأحملُ رسالتك إليه يا سيِّدي».



نقرَ تيريون على أحد النِّصال الملتوية المنبثقة من ذراع العرش قائلًا لنفسه: حان وقت تسديد الطَّعنة، ثم نادى: «ڤايلار».

- «سيِّدي».

أعلنَ تيريون: «الرِّجال الذين أرسلَهم ستارك يكفون لحراسة رُفات اللورد إدارد، لكن ينبغي لواحدٍ من عائلة لانستر أن يَحرُسه رجال لانستر. السير كليوس ابن عمِّي أنا والملكة، وسننعم بنومٍ أفضل إذا اصطحَبته بأمانٍ إلى ريڤررَن».

- «كما تأمر. كم رجلًا آخذُ؟».

- «جميعهم بالطَّبع».

تجمَّد ڤايلار في مكانه كتمثالٍ من الحجر، بينما المِايستر الأكبر پايسل هو من نهضَ قائلًا بلهفة: «حضرة اليد، لا يُمكن أن... السيِّد والدك اللورد تايوين نفسه هو من أرسلَ هؤلاء الرِّجال الطَّيِّبين إلى مدينتنا لحماية الملكة سرسي وأطفالها...».

- «الحَرس الملكي وحَرس المدينة يحمونهم بما فيه الكفاية. فلتهب لك الآلهة السُّرعة على الطَّريق يا ڤايلار».

على طاولة المجلس ارتسمَت ابتسامة العليم على وجه ڤارس، بينما جلسَ الإصبع الصَّغير متظاهرًا بالملل، وفغرَ پايسل فاه كسمكةٍ بارتباكٍ وقد امتقعَ وجهه. تقدَّم حاجب ورفعَ صوته قائلًا: «إذا كان لدى أحدهم مسألة يطرحها على يد الملك، فليتكلَّم الآن أو ليَصمُت».

قال رجل رشيق يرتدي الأسود دافعًا نفسه بين التَّوأمين ردواين: «أنا لديَّ ما أقوله».

صاحَ تيريون: «سير أليسر! لم أكن أعلم أنك جئت إلى البلاط. كان يجب أن تُرسِل لي خبرًا».

ثورن رجل صارم ناحل حادُّ الملامح في الخمسين من العُمر، صُلب العينين واليدين، وفي شَعره الأسود خطوط من الشَّيب، وقد رَدَّ بلهجة قاسية كالأشواك: «لقد تعرَّضتُ للنَّبذ والتَّجاهُل، وتُرِكتُ أنتظر كخادمٍ ابن حرام».



- «حقًّا؟ أسأت التصرُّف حقًّا يا برون. السير أليسر وأنا صديقان قديمان، وسِرنا على «الجِدار» معًا».

غمغمَ ڤارس: «السير أليسر العزيز، أرجو ألَّا تُسيء بنا الظَّن، فكثيرون يَطلُبون المثول أمام چوفري في أوقات القلاقل والاضطراب هذه».

- «الأوقات أكثر اضطرابًا مما تحسب أيها الخصي».

قال الإصبع الصَّغير مازحًا: «إننا نُخاطِبه باللورد الخصي في وجهه».

سألَ المِايستر الأكبر پايسل بلهجةٍ ملاطِفة: «كيف نُساعِدك أيها الأخ الكريم؟».

أجابَ ثورن: «حضرة القائد أرسلَني إلى جلالة الملك، فالأمر أخطر من أن يُترَك لخدمه».

قال تيريون: «الملك يلعب بنُشَّابيَّته الجديدة». لم يتطلَّب تخليص نفسه من چوفري غير نُشَّابيَّةٍ مايريَّة قبيحة تُطلِق ثلاثة سهامٍ في المرَّة، فلم يستطِع كبح جماح لهفته لتجربتها في الحال. «يُمكنك أن تُكَلِّم الخدم أو تَصمُت».

قال السير أليسر باستياءٍ تام: «ليكن. أُرسِلتُ لإخباركم بأننا وجدنا اثنين من الجوَّالة كانا مفقوديْن منذ فترةٍ طويلة. كانا ميتيْن، لكن عندما عُدنا بهما إلى «الجِدار»، نهضا ليلًا، وقتلَ أحدهما السير چارمي ريكر، بينما حاولَ الثَّاني قتل حضرة القائد».

سمعَ تيريون ضحكةً مكبوتةً من بعيد، وسألَ نفسه: هل يقصد السُّخرية مني بهذا الهراء؟ اعتدلَ في جلسته متوتِّرًا، وألقى نظرةً ناحية ڤارس والإصبع الصَّغير وپايسل، متسائلًا إن كان لأحدهم يد في هذا. في أفضل الأحوال يتمتَّع القزم بقدرٍ طفيف من الكرامة، وبمجرَّد أن يبدأ البلاط والمملكة في الضَّحك منه، فهذه نهايته.

لكن مع ذلك... مع ذلك...

عادَ تيريون بذاكرته إلى ليلةٍ باردةٍ تحت النُّجوم، عندما وقفَ مع الصَّبي چون سنو وذئبٍ أبيض ضخم على قمَّة «الجِدار»، يتطلَّعان إلى الظَّلام عديم الملامح وراء حدود العالم. عندئذٍ شعرَ... شعرَ بماذا؟ بشيءٍ ما بالتَّأكيد،



برُعبٍ ينفذ في اللَّحم كرياح الشَّمال القارسة. في مكانٍ ما في اللَّيل عوى ذئب، وجعلَ الصَّوت رعدةً تسري في أوصاله.

حدَّث لنفسه: لا تكن أبله. ذئب وريح وغابة مظلمة، هذا لا يعني شيئًا. ومع ذلك... لقد أعجبَ بالعجوز چيور مورمونت حقًّا خلال الفترة التي قضاها في القلعة السَّوداء، فقال: «وهل نجا الدُّب العجوز من الهجوم؟».

- «نعم».

- «وهل قتلَ إخوتك هذين الـ... آه، الرَّجلين الميتيْن؟».

- «نعم».

سألَ تيريون بلهجةٍ لطيفة: «وهل أنت متأكِّد من أنهما ماتا هذه المرَّة؟»، فلمَّا خرجَ ضحك برون منه ممتزجًا بالنَّخير، أدركَ الأسلوب الذي عليه أن يُواصِل به: «ماتا ماتا حقًّا؟».

قال السير أليسر بحدَّة: «كانا ميتيْن أول مرَّة، جثَّتين باردتين شاحبتين، أيديهما وأقدامهما سوداء. لقد أحضرتُ يد چارد التي انتزعَها ذئب النَّغل من جثَّته».

اعتدلَ الإصبع الصَّغير قائلًا: «وأين هذا الدَّليل السَّاحر؟».

عقدَ السير أليسر حاجبيه باضطراب، وأجابَ: «لقد... تعفَّنت وتفسَّخت بينما انتظرتُ دون أن يسمعني أحد، ولم يتبقَّ منها غير العظام».

تردَّدت ضحكات التهكُّم في القاعة، بينما خاطبَ تيريون الإصبع الصَّغير قائلًا: «لورد بايلش، اشترِ لفارسنا الشُّجاع السير أليسر مئةً من المجارف يأخذها معه إلى «الجِدار»».

ضيَّق السير أليسر عينيه بشَكٍّ مردِّدًا: «مجارف؟».

- «إذا دفنتم موتاكم، فإنهم لن ينهضوا»، قال تيريون، فدوَّى ضحك الحاضرين، وواصلَ هو: «ستُنهي المجارف مشاكلكم، مع بعض الأيدي القويَّة التي تحملها. سير چاسلين، احرِص على أن يختار الأخ الكريم من يشاء من زنازين المدينة».

قال السير چاسلين بايووتر: «كما تأمر يا سيِّدي، لكن الزَّنازين شِبه خالية، فقد أخذَ يورن كلَّ الرِّجال المناسبين».



رَدَّ تيريون: «اعتقِل البعض إذن، أو انشُر خبرًا بأن على «الجِدار» خُبز ولفت، وسيذهبون من تلقاء ذاتهم». في المدينة أفواه عديدة جائعة، وحَرس اللَّيل في حاجةٍ مستمرَّةٍ إلى رجال. بإشارةٍ من تيريون أعلنَ الحاجب ختام الجلسة، وبدأت القاعة تخلو.

لكن السير أليسر ثورن لم ينصرف بهذه السُّهولة، وكان ينتظر عند قاعدة العرش الحديدي عندما نزلَ تيريون، وقال غاضبًا وقد اعترضَ الطَّريق: «هل تحسب أني أبحرتُ من قلعة البحر ليسخر مني أمثالك؟ هذه ليست مزحةً. لقد شهدتُ ما حدثَ بأُمِّ عينيَّ، وأقولُ لك إن الموتى ينهضون».

قال تيريون دافعًا نفسه ليَمُرَّ: «عليكم أن تُحاوِلوا قتلهم بعنايةٍ أكبر»، فحاولَ السير أليسر أن يُمسِك كُمَّه، لكن پرستون جرينفيلد دفعَه إلى الوراء قائلًا: «لا تقترب أيها الفارس».

كان ثورن أعقل من أن يتحدَّى فارسًا في الحَرس الملكي، فصاحَ في ظَهر تيريون: «أنت أحمق أيها العِفريت».

التفتَ القزم يُواجِهه قائلًا: «أنا؟ حقًّا؟ لماذا كانوا يضحكون منك أنت إذن يا تُرى؟»، وارتسمَت على وجهه ابتسامة خفيفة وهو يُضيف: «لقد جئت تنشد رجالًا، أليس كذلك؟».

- «الرِّيح الباردة تهبُّ، ولا بُدَّ من الدِّفاع عن «الجدار»».

قال تيريون: «والدِّفاع عنه يتطلَّب رجالًا، ورجالًا أعطيتك إذا لاحظت، لو أن أُذنيك سمعتا شيئًا غير الإهانات. خُذهم واشكُرني وارحل قبل أن تُجبِرني على أن أخزك بشوكة سرطان البحر ثانيةً. بلِّغ اللورد مورمونت تحيَّاتي الحارَّة... وچون سنو أيضًا»، ثم أطبقَ برون على مِرفق السير أليسر، وأخرجَه رغمًا عنه من القاعة.

كان المايستر الأكبر پايسل قد انسحبَ بالفعل، بينما شهدَ ڤارس والإصبع الصَّغير كلَّ ما دارَ من البداية للنِّهاية، وقال الخصيُّ معترفًا: «إعجابي بك يزداد بحَقٍّ يا سيِّدي. تُسايِر صبيَّ ستارك برُفات أبيه، وتُجَرِّد أختك من حُماتها بضربةٍ واحدةٍ سريعة. تُعطي الأخ الأسود الرِّجال الذين يُريدهم، وتُخَلِّص



المدينة من بعض الأفواه الجائعة، لكن تجعل الأمر كله يبدو هزليًا كي لا يقول أحد إن لا سنارك أو جرامكن[1] يُخيف القزم. أوه، أحسنت حقًّا».

ملَّس الإصبع الصَّغير على لحيته متسائلًا: «هل تنوي أن تصرف حَرسك كلهم حقًّا يا لانستر؟».

- «كلا، بل أنوي أن أصرف حَرس أختي كلهم».

- «الملكة لن تسمح بذلك أبدًا».

- «أوه، أعتقدُ أنها ستسمح. إنني أخوها، وعندما تعرفني أكثر، ستُدرِك أني أعني كلَّ شيءٍ أقوله».

- «حتى الأكاذيب؟».

- «بالذَّات الأكاذيب. يُراودني إحساس بأنك غاضب مني يا لورد پيتر».

- «لم يتبدَّل حُبِّي لك إطلاقًا يا سيِّدي، لكنني لا أستسيغُ التَّلاعُب بي وكأني أحمق. إذا تزوَّجت مارسلا تريستان مارتل، فلا يُمكنها أن تتزوَّج روبرت آرن، أليس كذلك؟».

- «ليس دون التسبُّب في فضيحةٍ مدويَّة. آسفٌ لخدعتي الصَّغيرة يا لورد پيتر، لكني حين كلَّمتك لم أكن أدري أن الدورنيُّون سيقبلون عرضي».

لم يقتنع الإصبع الصَّغير، وقال: «لا أحبُّ أن يكذب عليَّ أحد يا سيِّدي. اترُكني بعيدًا عن خديعتك القادمة».

فكَّر تيريون رامقًا الخنجر المثبَّت في غِمده على وَرك بايلش: فقط إذا عامَلتني بالمِثل، ثم إنه قال: «تقبَّل خالص اعتذاري إذا أسأتُ إليك. الكلُّ يعلم كم نُحِبُّك يا سيِّدي، وكم نحتاجك».

قال الإصبع الصَّغير: «حاوِل أن تتذكَّر هذا»، ثم انصرفَ وتركهما.

قال تيريون: «امشِ معي يا فارس»، وخرجا من باب الملك وراء العرش، وخُفَّا الخصيِّ يُصدِران صوت احتكاكٍ ناعمًا على الأرض الحجريَّة.

- «اللورد بايلش على حق كما تعلم، فالملكة لن تسمح لك أبدًا بصرف حُرَّاسها».

---

(1) السنارك والجرامكن كائنان خياليَّان من ابتكار المؤلِّف يأتي ذِكرهما في الحكايات الشَّعبيَّة القديمة في قارَّة وستروس.



- «ستفعل، وستعمل أنت على هذا».
تلاعبَت بسمة على شفتي الخصيِّ الممتلئتين، وقال: «حقًّا؟».
- «أوه، بكلِّ تأكيد. ستُخبِرها بأن هذا جزء من خطَّتي لتحرير چايمي».
ملَّس ڤارس على وجنته المغطَّاة بالمساحيق قائلًا: «لا بُدَّ أن هذا سيتضمَّن الرِّجال الأربعة الذين بحثَ عنهم رجلك برون باجتهادٍ في الأحياء المنحطَّة من كينجز لاندنج، اللِّص والمسمِّم والممثِّل والقاتل».
- «ألبِسهم المعاطف القرمزيَّة وخوذات الأسد ولن يُمَيِّزهم شيء عن أيِّ حارسٍ آخَر. لقد فكَّرتُ مليًّا في حيلةٍ تُدخِلهم ريڤررَن قبل أن يَخطُر لي أن أخبِّئهم على مرأى من الجميع. هكذا سيَدخُلون من البوَّابة الرَّئيسة رافعين رايات لانستر ويصحبون رُفات اللورد إدارد»، وابتسمَ تيريون ابتسامةً معوجَّةً، وأردفَ: «لن يلحظ أحد أربعةً وسط مئة، لذا عليَّ إرسال الحَرس الحقيقيِّين مع الزَّائفين... كما ستقول لأختي».
قال ڤارس وهما يقطعان رواقًا مهجورًا: «وستُوافِق هي في سبيل أخيها الحبيب على الرغم من هواجسها، لكن فقدان ذوي المعاطف الحمراء سيُشعِرها بالاضطراب رغم ذلك».
- «وأنا أحبُّها مضطربةً».
غادرَ السير كليوس فراي في اليوم نفسه بَعد الظُّهر، في صُحبة ڤايلار ومئة من حَرس لانستر حُمر المعاطف، وانضمَّ إليهم الرِّجال الذين أرسلَهم روب ستارك عند بوَّابة الملك، ليبدأوا الرِّحلة الطَّويلة غَربًا.
وجدَ تيريون تيميت يلعب النَّرد مع رجاله المحروقين في الثُّكنات، وقال له: «تعالَ إلى غُرفتي عند منتصَف اللَّيل»، فرمقَه تيميت بنظرةٍ قاسيةٍ بعينه الواحدة وهَزَّ رأسه باقتضاب، فلا يُحَبِّذ هذا الرَّجل الكلام الكثير.
تناولَ طعامه ليلتها مع رجال الغِربان الحجريَّة وإخوة القمر في القاعة الصَّغيرة، وإن رفضَ النَّبيذ على غير عادته، فقد أرادَ أن تكون قواه العقليَّة كلها حاضرةً. خاطبَ شاجا قائلًا: «في أيٍّ من أطوار القمر نحن؟».
أجابَ شاجا بملامحه العابسة المهيبة: «الطَّور الأسود على ما أعتقدُ».



- «في الغَرب يُسَمُّونه قمر الخونة. حاوِل ألَّا تسكر كثيرًا اللَّيلة، واحرِص على أن تكون فأسك حادَّةً».

- «فأس الغُراب الحجري حادَّة دائمًا، وفؤوس شاجا أحدُّها جميعًا. ذات مرَّةٍ قطعتُ رأس رجل، فلم يُدرِك ما حدثَ حتى حاولَ أن يُصَفِّف شَعره، وعندها سقطَ الرَّأس».

سألَه: «ألهذا لا تُصَفِّف شَعرك أبدًا؟»، فهدرَ رجال الغِربان الحجريَّة بالضَّحك ودَقُّوا الأرض بأقدامهم، وضحكَ شاجا نفسه بصخبٍ أكثر من الجميع.

كانت القلعة ساكنةً مظلمةً مع انتصاف اللَّيل، مع أن لا شَكَّ أن بعض ذوي المعاطف الذَّهبيَّة على الأسوار لمحوهم يُغادِرون بُرج اليد، لكن لا أحد منهم قال شيئًا، فهو يد الملك، وأينما يذهب شأنه وحده.

انفلقَ الباب الخشبي الرَّفيع بصوتٍ كالرَّعد بضربةٍ من كعب حذاء شاجا، وتطايرَت قِطع الخشب إلى الدَّاخل، وسمعَ تيريون امرأةً تشهق خوفًا. حطَّم شاجا الباب بثلاث ضرباتٍ عنيفة بفأسه، وركلَ ما تبقَّى منه بقدمه داخلًا، وتبعَه تيميت ثم تيريون الذي خطا بحذرٍ فوق الشَّظايا. لم يتبقَّ من النَّار في المستوقَد غير بضع جمراتٍ متوهِّجة، فغرقَت الغُرفة في الظِّلال، وعندما مزَّق تيميت ستائر الفِراش، رفعَت الخادمة العارية عينين متَّسعتين صوبهم، وقالت بضراعة: «أرجوكم يا سادتي، لا تُؤذوني»، وجفلَت مبتعدةً عن شاجا وقد تورَّدت بشرتها وتصدَّر الخوف ملامحها، تُحاوِل تغطية مفاتنها كلها فتجد أن يدًا ثالثةً تَنقُصها لتنجح في هذا.

قال تيريون: «اذهبي، فلا نُريدكِ أنتِ».

- «شاجا يُريد هذه المرأة».

قال تيميت بن تيميت متبرِّمًا: «شاجا يُريد كلَّ عاهرةٍ في مدينة العاهرات هذه».

قال شاجا بلا أدنى قدرٍ من الخجل: «نعم. سيضع شاجا في بطنها طفلًا قويًّا».



- «إذا أرادَت طفلًا قويًّا، فإنها تعرف عمَّن تبحث... تيميت، اصحبها إلى الخارج، برفقٍ إذا سمحت».

جذبَ الرَّجل المحروق الفتاة من الفِراش وقادَها عبر الغُرفة بشيءٍ من الجَرِّ وشيءٍ من الدَّفع، وراقبَهما شاجا ببالٍ كاسف كجروٍ حُرِمَ لُعبته. تعثَّرت الفتاة فوق شظايا الباب وهي تَخرُج إلى الرُّواق إذ دفعَها تيميت مرَّةً أخيرةً.

وفوق رؤوسهم كانت الغِدفان تَصرُخ.

سحبَ تيريون الغطاء النَّاعم من على الفِراش، كاشفًا المِايستر الأكبر پايسل من تحته، وقال له: «أخبِرني، هل تُوافِق «القلعة» على مضاجعتك الخادمات أيها المِايستر؟».

كان العجوز عاريًا تمامًا كالفتاة، وإن كان منظره أقلَّ جاذبيَّةً بمراحل، وعلى غير العادة كانت عيناه ذاتا الجِّفنين الثَّقيلين مفتوحتين عن آخِرهما وهو يقول: «ما... ما معنى هذا؟ إنني رجلٍ عجوز، خادمك المخلص...».

رفعَ تيريون نفسه إلى الفِراش قائلًا: «مخلص للغاية لدرجة أنك أرسلت نُسخةً واحدةً من رسالتي إلى دوران مارتل، وأعطيت الثَّانية لأختي».

قال پايسل بصوتٍ كالصَّرير: «لـ... لا، لا، هذا كذب، أقسمُ لك، لم يكن أنا، ڤارس، إنه ڤارس، العنكبوت، حذَّرتك...».

- «هل يكذب كلُّ المِايسترات بهذا الابتذال؟ لقد قلتُ لڤارس إنني سأعطي الأمير دوران ابن أختي تومن لينشأ عنده، وقلتُ للإصبع الصَّغير إنني أنوي تزويج مارسلا اللورد روبرت سيِّد «العُش»، لكني لم أقل لأحدٍ إنني عرضتُ مارسلا على الدورني... تلك الحقيقة كانت في الرِّسالة التي عهدتُ إليك بها فقط».

تمسَّك پايسل بطرف الغطاء، وقال: «الطُّيور تضلُّ الطَّريق، والرَّسائل تُسرَق وتُباع... إنه ڤارس... يُمكنني أن أحكي لك أشياء عن الخصيِّ تُجَمِّد الدِّماء في عروقك...».

- «امرأتي تُفَضِّل دمائي حارَّةً».

- «تأكَّد أن كلَّ سِرٍّ يهمس به الخصيُّ في أُذنك تُقابِله عشرة أسرارٍ يكتمها، والإصبع الصَّغير، هذا الرَّجل...».



- «أعرفُ كلَّ شيءٍ عن اللورد بايلش. إنه لا يستحقُّ الثِّقة مِثلك تمامًا. شاجا، اقطع ذَكره وأطعِمه للماعز».

قبضَ شاجا على الفأس الضَّخمة ذات النَّصلين، وقال: «لا توجد ماعز يا نِصف الرَّجل».

- «تصرَّف إذن».

وثبَ شاجا إلى الأمام هادرًا، وصرخَ بايسل وبلَّل الفِراش، ليتناثَر البول في كلِّ مكانٍ وهو يتراجَع بعيدًا، فأمسكه الهمجي من لحيته البيضاء الكبيرة، وقطعَ ثلاثة أرباعها دُفعةً واحدةً بضربةٍ واحدةٍ من فأسه.

قال تيريون وهو يُنَظِّف حذاءه من البول بجزءٍ من الملاءة: «تيميت، هل تعتقد أن صديقنا سيكون مستعدًّا أكثر للكلام دون هذه اللِّحية التي يختبئ وراءها؟».

ماجَت الظُّلمة في المحجر الخالي الذي كان عين تيميت وهو يقول: «سيقول الحقيقة قريبًا. إنني أشمُّ نتانة خوفه».

ألقى شاجا حفنةً من الشَّعر على البساط، وأطبقَ على ما تبقَّى من اللِّحية، فقال تيريون: «اثبت أيها المِايستر، فحين يغضب شاجا تهتزُّ يده».

قال الرَّجل الضَّخم محتجًّا: «يد شاجا لا تهتزُّ أبدًا»، وضغطَ النَّصل نِصف المستدير تحت ذقن بايسل المختلجة، وجَزَّ المزيد من الشَّعر.

خاطبَ تيريون المِايستر قائلًا: «منذ متى تتجسَّس لحساب أختي؟».

كانت طبقة لامعة من العَرق تُغَطِّي جبهة العجوز العريضة، بينما علقَت شُعيرات بيضاء ببشرته المتغضِّنة، وقال بايسل وأنفاسه تتلاحَق قصيرةً: «كلُّ ما فعلته كان من أجل عائلة لانستر، دائمًا... على مَرِّ السِّنين... السيِّد والدك، سَله، لطالما كنتُ خادمه المخلص... أنا من دعوتُ إيرس لفتح بوَّابات المدينة...».

أصابَ اعترافه تيريون بدهشةٍ حقيقيَّة. لقد كان مجرَّد صبيٍّ قبيح في كاسترلي روك عندما سقطَت المدينة. «إذن فنهْب كينجز لاندنج كان صنيعك أيضًا؟».

- «من أجل البلاد! لقد انتهَت الحرب بمجرَّد موت ريجار، وإيرس كان مجنونًا، وڤسيرس صغيرًا للغاية، والأمير إجون رضيعًا، لكن البلاد كانت في



حاجةٍ إلى ملك... تمنَّيتُ أن يكون والدك الكريم، لكن روبرت كان قويًّا للغاية، واللورد ستارك تحرَّك بسرعةٍ بالغة...».

- «تُرى كم واحدًا خُنتَ؟ إيرس، إدارد ستارك، أنا... والملك روبرت كذلك؟ واللورد آرن والأمير ريجار؟ أين كانت البداية يا پايسل؟». إنه يعرف أين تكون النِّهاية.

حَكَّت الفأس تُفَّاحة حلق پايسل والجلد الرَّخو النَّاعم تحت فَكِّه كاشطةً آخِر الشُّعيرات، وشهقَ عندما ارتفعَ النَّصل إلى وجنتيه، وقال متلعثمًا: «أنت... لم تكن هنا. روبرت... جروحه... لو أنك رأيتها وشمَمت رائحتها، لم يكن شَكٌّ ليُخامِرك...».

- «أوه، أنا واثق بأن الخنزير البرِّي أدَّى دورك بدلًا منك... لكن لو لم يُنجِز المهمَّة، فلا بُدَّ أنك كنت لتُنهيها».

- «كان ملكًا مأفونًا... مغرورًا وسكِّيرًا وفاجرًا... كان ينوي التخلُّص من أختك، ملكته... أرجوك... رنلي كان يُخَطِّط للمجيء بفتاة هايجاردن إلى البلاط، ليُغوي أخاه... إنها الحقيقة والآلهة تشهد...».

- «وما الذي كان اللورد آرن يُدَبِّره؟».

أجابَ پايسل: «كان يعرف بأمر... بأمر...».

قاطَعه تيريون بحدَّة: «أعرفُ ما كان يعرفه». إنه لا يرغب في أن يعرف شاجا وتيميت بدورهما.

- «كان سيُعيد زوجته إلى «العُش»، ويُرسِل ابنه ليتربَّى في دراجونستون... كان ينوي أن يتَّخذ خطوةً...».

- «ولذا سمَّمته أولًا».

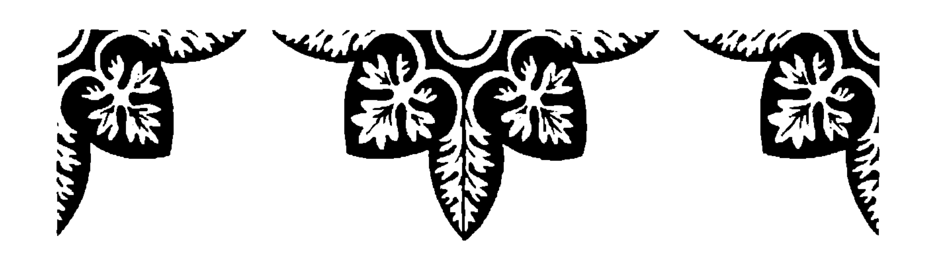
- «لا!». قاومَ پايسل بوهن، فدمدمَ شاجا وأطبقَ على رأسه بيده شديدة الضَّخامة، التي يُمكنه أن يسحق بها جمجمة المِايستر كقشرة بيضةٍ لو أنه ضغطَ فقط.

طقطقَ تيريون بلسانه، وقال: «لقد رأيتُ دموع لِيس وسط عقاقيرك، كما أنك صرفت مِايستر اللورد آرن الخاص وتولَّيت علاجه بنفسك، بغية أن تتيقَّن من موته».



- «كذب!».
- «أريدُ حلاقةً أنظف يا شاجا، الرَّقبة مرَّة أخرى».
تحرَّكت الفأس إلى الأمام والخلف مصدرةً صوتًا خشنًا مع احتكاكها بالجِلد، بينما تكوَّنت فقاقيع من اللُّعاب على شفتي پايسل وفمه يرتعش قائلًا: «حاولتُ إنقاذ اللورد آرن، أقسمُ لك...».
- «احترس يا شاجا، لقد جرحته».
قال شاجا بصوتٍ هادر: «أبي دولف أنجبَ مُحارِبين لا حلَّاقين».
عندما أحسَّ بخيط الدَّم يسيل على عُنقه ويقطر على صدره، ارتجفَ العجوز، وخارَ ما تبقَّى لديه من قوَّة تمامًا، وبدا منكمشًا وأصغر حجمًا وأوهن مما كان عندما اقتحَموا المكان عليه، وقال وهو ينشج: «نعم، نعم. كولمون كان يعمل على تطهير الأمعاء بالمسهِّلات، فصرفته. الملكة كانت تُريد اللورد آرن أن يموت، لكنها لم تَقُل ذلك، لم تستطِع أن تقوله، ڤارس كان يتنصَّت، دائمًا يتنصَّت، لكني عرفتُ عندما نظرتُ إليها. لكن ليس أنا من دَسَّ له السُّم، أقسمُ لك»، وأضافَ باكيًا: «ڤارس سيقول لك إنه كان الصَّبي، مُرافِق اللورد آرن، كان اسمه هيو، لا بُدَّ أنه فعلها بكلِّ تأكيد، سَل أختك، سَلها».
شاعرًا بالاشمئزاز قال تيريون: «قيِّداه وخُذاه من هنا، ألقياه في واحدةٍ من الزَّنازين السَّوداء».
جرَّه تيميت وشاجا إلى الباب المهشَّم وهو يقول نائحًا: «لانستر، كلُّ ما فعلته كان من أجل لانستر...».
بَعد غيابه، أجرى تيريون بحثًا متمهِّلًا في مسكن المِايستر، وجمعَ بضع قوارير أخرى من على الأرفُف، بينما همهمَت الغِدفان فوق رأسه وهو يعمل، وإن كانت ضوضاؤها مُطَمْئِنَةً على نحوٍ غريب. عليه أن يجد مَن يُعنى بالطُّيور إلى أن تُرسِل «القلعة» بديلًا لپايسل.
كان من أملتُ في أن أثق به. إنه يرتاب في أن ڤارس والإصبع الصَّغير ليسا أكثر إخلاصًا منه... لكنهما أذكى، ومن ثَمَّ أخطر. لعلَّ منهج أبيه أفضل الحلول على الإطلاق؛ يستدعي إلين پاين، ويُعَلِّق ثلاثة رؤوسٍ على الخوازيق فوق البوَّابات، وينتهي من الأمر تمامًا. ويا له من منظرٍ جميلٍ.





آريا

كثيرًا ردَّدت آريا لنفسها: ضربة الخوف أمضى من السَّيف، لكن هذا لم يُفلِح بتاتًا في طرْد الخوف من قلبها، إذ أصبحَ جزءًا لا يتجزَّأ من أيامها، تمامًا كالخُبز البائت وقروح أصابع قدميها بَعد السَّير طول النَّهار على الطَّريق الوعر.

كانت تعتقد أنها تعرف معنى الخوف الحقيقي، لكنها تعلَّمت غير ذلك في المستودع المقام على ضفَّة «عين الآلهة». ثمانية أيام ظلَّتها هناك قبل أن يُعطي الجبل الأمر بالتحرُّك، وكلَّ يوم شهدَت أحدًا يموت، متى أتى الجبل إلى المستودع بَعد أن تناولَ إفطاره، واختارَ واحدًا من السُّجناء للاستجواب. لم يرفع أهل القرية أنظارهم إليه قَطُّ، فلعلَّهم حسبوا أنه لن يراهم إذا لم يروه... لكنه رآهم على كلِّ حالٍ وانتقى مَن يشاء، فما مِن مكانٍ للاختباء، وما بيد أحدهم حيلة، ولا سبيل للأمان.

واحدة من الفتيات شاركَت أحد الجنود فِراشه ثلاث ليالٍ على التَّوالي، وفي اليوم الرَّابع اختارَها الجبل، ولم ينبس الجُندي بكلمةٍ واحدة.

عجوز باسم كان يرتق ثيابهم الممزَّقة، ولم ينفك يُثَرثِر عن ابنه الذي يخدم مع ذوي المعاطف الذَّهبيَّة في كينجز لاندنج، ويقول طول الوقت: «رجل الملك هو، رجل الملك الوفي مِثلي، كلٌّ لجوفري». كان يُرَدِّدها كثيرًا للغاية، فأصبحَ «كلٌّ لجوفري» لقبه بين بقيَّة الأسرى لمَّا لم يكن هناك حُرَّاس يسترقون السَّمع... وفي اليوم الخامس جاء دور الرَّجل.

أمٌّ شابَّة يزخر وجهها بالبثور عرضَت من تلقاء نفسها أن تُخبِرهم بكلِّ ما



تعرفه إذا وعدوها ألَّا يُؤذون ابنتها، فسمعَ الجبل ما لديها، وفي اليوم التَّالي انتقى ابنتها، ليتأكَّد من أن الأمَّ لم تكتم أيَّ معلومات.

دائمًا ما تَمَّ استجواب المختارين على مرأى ومسمع من بقيَّة الأسرى، كي يروا بأنفسهم مصير المتمرِّدين والخونة، وكان رجل يُلَقِّبه الآخَرون بالمُدغدِغ يُلقي الأسئلة، رجل تقليدي الملامح والثِّياب للغاية، حتى إن آريا كانت لتحسبه واحدًا من القرويِّين لو لم ترَه يُزاوِل عمله أولًا. قال لهم العجوز الأحدب تشيزويك: «المُدغدِغ يجعلهم يعوون إلى أن يبولوا على أنفسهم». إنه الرَّجل الذي حاولَت أن تعضَّه ووصفَها بالشَّراسة قبل أن يضربها على رأسها، وكان يُساعِد المُدغدِغ. في أحيانٍ أخرى ساعدَه رجال مختلفون، بينما يقف السير جريجور نفسه بلا حراك، يُشاهِد ويُصغي، إلى أن تموت الضحيَّة.

لم تتبدَّل الأسئلة على الإطلاق: هل من ذهب مخبَّأ في القرية؟ هل من فضَّة أو جواهر؟ المزيد من الطَّعام؟ أين اللورد بريك دونداريون؟ مَن عاوَنه من أهل القرية؟ عندما غادرَ، إلى أين اتَّجه؟ كم رجلًا كانوا معه؟ كم فارسًا وكم قوَّاسًا وكم مسلَّحًا؟ ما تسليحهم؟ كم منهم امتطى الخيول؟ كم منهم كان جريحًا؟ هل رأوا أعداء آخَرين؟ كم؟ متى؟ أيَّ راياتٍ حملوا؟ أين ذهبوا؟ هل من ذهب مخبَّأ في القرية؟ هل من فضَّة أو جواهر؟ أين اللورد بريك دونداريون؟ مَن عاوَنه من أهل القرية؟ عندما غادرَ، إلى أين اتَّجه؟ كم رجلًا كانوا معه؟

مع حلول اليوم الثَّالث، كانت آريا لتستطيع إلقاء الأسئلة بنفسها.

عثروا على القليل من الذَّهب والفضَّة وجوالٍ ضخم من العُملات النُّحاسيَّة، بالإضافة إلى كأسٍ منبعجة مزيَّنة بالعقيق، كادَ اثنان من الجنود يتشاجَرا بسببها، كما توصَّلوا إلى أن اللورد بريك كان معه عشرة من الرِّجال المتضوِّرين جوعًا، أو أنهم كانوا مئة فارسٍ بخيولهم، وأنه اتَّجه غربًا أو شَمالًا أو جَنوبًا، وأنه عبرَ البحيرة بقارب، وأنه قويٌّ كثورٍ برِّي أو واهن من



جرَّاء الزُّحار الدَّموي[1] الذي أصابَه. لم ينجُ أحد من القرويِّين من استجواب المُدغدِغ، لا الرِّجال ولا النِّساء ولا الأطفال، واحتملَ أفواهم حتى بُعَيد الغروب لا أكثر، ثم عُلِّقَت جُثث الجميع على المشانق وراء نار المعسكر لتفترسها الذِّئاب.

لمَّا بدأوا الزَّحف، كانت آريا تُدرِك أنها ليست راقصة مياه. سيريو فورل لم يكن ليسمح لهم أبدًا بأن يُجَندِلوه ويأخذوا سيفه، ولم يكن ليقف ساكنًا وهُم يَقتُلون لومي أخضر اليد. سيريو لم يكن ليقعد صامتًا في المستودع، أو يزحف بخنوع بين الأسرى. الذِّئب الرَّهيب رمز عائلة ستارك، لكن آريا أحسَّت أنها مجرَّد حمَل يُحيط به الخراف.

كان المقت الذي تَشعُر به إزاء أهل القرية لجُبنهم يُعادِل مقتها نفسها الخائفة.

آل لانستر سلَبوها كلَّ شيء؛ الأبَّ والأصدقاء والدِّيار والأمل والشَّجاعة، وأحد رجالهم أخذَ إبرتها، وآخَر كسرَ سيفها الخشبيَّ الرَّفيع على رُكبته، بل وسلَبوها سرَّها السَّخيف كذلك. المستودع كان واسعًا بما يكفي لأن تنسلَّ وتقضي حاجتها خلسةً في أحد الأركان عندما لا يكون هناك من يراها، لكن الأمر مختلف على الطَّريق. لقد حبسَت البول في مثانتها قَدر المستطاع، لكنها في النِّهاية اضطرَّت لأن تُقَرفِص إلى جوار شجيرةٍ وتُنزِل سراويلها أمامهم جميعًا... كان إمَّا هذا أو أن تُبَلِّل ثيابها. حدَّق هوت پاي فيها بعينين متَّسعتين، لكن لا أحدَ آخَر كلَّف نفسه مجرَّد النَّظر إليها. فليكن الخروف ذَكرًا أو أنثى، فرجال السير جريجور لا يُبالون.

لم يسمح لهم آسروهم بالثَّرثرة، وتعلَّمت آريا من شفتها المشقوقة أن تُطبِق فمها على لسانها، بينما لم يتعلَّم آخَرون إطلاقًا. طفل في الثَّالثة لم يتوقَّف عن نداء أمِّه، فهشَّموا وجهه بهرَّاوةٍ شائكة، وعندما بدأت أمُّه في الصُّراخ، قتلَها رالف المعسول بدورها.

---

(1) الزُّحار التهاب في الأمعاء يؤدِّي إلى إسهال شديد يحتوي على الدَّم، ويُعرَف أيضًا في عالم هذه الرِّوايات باسم داء «الفَرس الصَّفراء» في قارة إسوس.



رأتهم آريا يموتون ولم تفعل شيئًا، فبِمَ تعود الشَّجاعة على المرء؟ ثمَّة امرأة اختارَها كليجاين للاستجواب حاولَت أن تكون شُجاعةً، لكنها ماتَت صارخةً كسواها. لا شُجعان في هذه المسيرة، لا أحد غير الخائفين الجائعين. الغالبيَّة من النِّساء والأطفال، والرِّجال القلائل إمَّا كبارٍ جدًّا أو صغار جدًّا، والآخَرون تُرِكوا مقيَّدين بالسَّلاسل على المشانق للذِّئاب والغِربان، ولم يحيَ جندري إلَّا لأنه أقرَّ بأنه طرَّق الخوذة ذات القرنين بنفسه، فالحدَّادون -وحتى صبيانهم- أعلى قيمةً من أن يُقتَلوا.

أخبرَهم الجبل بأنهم ذاهبون لخدمة اللورد تايوين لانستر في هارنهال، وقال لهم: «أنتم خونة ومتمرِّدون، فاشكُروا آلهتكم أن اللورد تايوين يمنحكم هذه الفُرصة، فهذا أكثر مما تنالون من الخارجين على القانون. أطيعوا الأوامر واخدِموا وعيشوا».

عندما افترَشوا الأرض ليلتها، سمعَت عجوزًا ضامرةً تقول شاكيةً: «هذا ليس عدلًا، ليس عدلًا. نحن لم نَخُن أحدًا. الآخَرون جاءوا وأخذوا ما أرادوا مِثل هؤلاء تمامًا».

همسَت صديقتها: «لكن اللورد بريك لم يمسَّنا بأذى، وذلك الرَّاهب الأحمر الذي معه دفعَ ثمن ما أخذوه».

- «دفعَ؟ لقد أخذَ اثنتين من دجاجاتي وأعطاني ورقةً عليها علامة. هل سآكلُ الورقة المهلهلة؟ هل ستبيض لي؟»، ثم تطلَّعت حولها لترى أن لا أحد قريبًا من الحُرَّاس، وبصقَت ثلاثًا وقالت: «هذه لتَلي وهذه للانستر وهذه لستارك».

قال رجل مسنٌّ بصوتٍ كالفحيح: «إنها خطيئة وعار. لم يكن الملك القديم ليسمح بهذا عندما كان حيًّا».

ناسيةً نفسها سألَته آريا: «الملك روبرت؟».

أجابَها بصوتٍ أعلى من اللَّازم: «الملك إيرس»، فتقدَّم حارس بتؤدةٍ ليُخرِسهم، وفقدَ العجوز السِّنَّين اللتين تبقَّيتا له، ولم يتفوَّه أحدهم بشيءٍ آخَر ليلتها.

بالإضافة إلى الأسرى، جلبَ السير جريجور دستةً من الخنازير، وقفصًا



من الدَّجاج، وبقرةً حلوبًا هزيلةً، وتسع عرباتٍ من السَّمك المملَّح. ركبَ الجبل ورجاله الخيول، لكن الأسرى كلهم قطعوا الطَّريق سيرًا على الأقدام، والأضعف من أن يُجاروا حركة الرَّكب قُتِلوا من فورهم، بالإضافة إلى كلٍّ من سوَّلت له حماقته الفرار. كلَّ ليلةٍ كان الحَرس يأخذون نساءً بين الشُّجيرات، وبدا أن معظمهن توقَّعن هذا، فذهبن معهم مذعنات. فتاة منهن كانت أجمل من الأخريات، واعتادَ أربعة أو خمسة رجالٍ مختلفين في اللَّيلة الواحدة أخْذها، إلى أن ضربَت أحدهم بصخرة، فجعلَ السير جريجور الجميع يُشاهِدون بينما قطعَ رأسها بضربةٍ واحدةٍ من سيفه الضَّخمٍ الذي يحمله بيديه معًا، ثم إنه قال آمرًا بَعدها وهو يُناوِل مُرافِقه السَّيف ليُنَظِّفه: «اترُكوا الجثَّة للذِّئاب».

ألقَت آريا نظرةً بطرف عينها على «الإبرة» الموضوع في غِمده على وَرك رجلٍ مسلَّح اسمه پوليڤر، أسود اللِّحية وبدأ الصَّلع يزحف على رأسه، وقالت لنفسها: من الجيِّد أنهم أخذوه مني، وإلَّا لكانت حاولَت أن تطعن السير جريجور، وكان ليَشُجَّها حينئذٍ إلى نِصفين، لتأكلها الذِّئاب هي الأخرى.

ليس پوليڤر بسوء عددٍ من الآخَرين، على الرغم من أنه سرقَ إبرتها. ليلة قبضوا عليها كان رجال لانستر مجرَّد أغراب بلا أسماء تتشابَه وجوههم كخوذاتهم ذات واقيات الأنوف، لكنها أصبحَت تعرفهم جميعًا الآن، وتعلَّمت مَن منهم كسول ومَن قاسٍ، ومَن ذكي ومَن غبي، وتعلَّمت أن مَن يُلَقِّبونه بفم الخراء، الذي يُرَدِّد أقذعَ كلامٍ سمعَته في حياتها على الإطلاق، يُعطيك قطعةً إضافيَّةً من الخُبز إذا طلبتَ، بينما لو طلبتها من تشيزويك العجوز المرح أو راف الذي يتكلَّم بنعومةٍ ودماثة، فستنال ضربةً بظاهر اليد.

وتُشاهِد آريا وتُصغي وتَصقُل كراهيتها مِثلما كان جندري يَصقُل خوذته. كان دانسن يضع قرنيَ الثَّور على رأسه الآن، وهكذا فازَ بكراهيتها. إنها تكره پوليڤر لأنه استولى على إبرتها، وتكره تشيزويك العجوز الذي يحسب نفسه طريفًا، وأكثر من هؤلاء تكره راف المعسول الذي غرسَ رأس رُمحه في حلق لومي، وتكره السير آموري لورك من أجل يورن، وتكره السير مرين ترانت من أجل سيريو، وكلب الصَّيد لقتْل صبيِّ الجزَّار مايكا، والسير إلين والأمير



چوفري والملكة من أجل أبيها وتوم السَّمين ودزموند والبقيَّة، وحتى من أجل ليدي ذئبة سانزا. أمَّا المُدغدغ فمخيف لدرجةٍ لا تجعلها تجرؤ على كراهيته. في أحيانٍ كانت تنسى أنه لا يزال معهم، فعندما لا يُلقي الأسئلة على الأسرى، يتصرَّف كأيِّ جُندي عادي، ويميل إلى الصَّمت أكثر من غيره، بينما تذوب ملامحه التي تُشبه ألفًا سواه بين ملامح الآخَرين.

في كلِّ ليلةٍ تُرَدِّد آريا الأسماء، تهمسها لوسادتها الحجريَّة: «السير جريجور، دانسن، پوليڤر، تشيزويك، راف المعسول، المُدغدِغ وكلب الصَّيد، السير آموري، السيرِ إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي». في وينترفل كانت تُصَلِّي مع أمِّها في السِّپت ومع أبيها في أيكة الآلهة، لكن على الطريق إلى هارنهال، كانت قائمة الأسماء الصَّلاة الوحيدة التي أرادَت أن تتذكَّرها.

كلَّ نهارٍ يمضون على الطَّريق، وكلَّ ليلةٍ تُرَدِّد الأسماء، إلى أن صارَت الأشجار أقلَّ تشابُكًا أخيرًا وأفسحَت المجال لبُقعةٍ من الرِّيف تزخر بالتِّلال المتموِّجة والنُّهيرات المتعرِّجة والحقول التي تُضيؤها الشَّمس، حيث برزَت هياكل المعاقل المحترقة سوداء كالأسنان العفنة، لكنهم ساروا يومًا طويلًا آخَر قبل أن يلمحوا أبراج هارنهال من بعيد، ترتفع قاسيةً إلى جوار مياه البحيرة الزَّرقاء.

قال الأسرى لبعضهم بعضًا إن الأوضاع ستتحسَّن عندما يصلون إلى هارنهال، لكن آريا لم تكن واثقةً بذلك، وتذكَّرت قِصص العجوز نان عن القلعة المشيَّدة على الخوف. كانت نان تحكي فتقول إن هارن الأسود كان يمزج الدَّم البشريَّ في الهاون، وقد خفضَت صوتها حتى يميل الأطفال دانين منها أكثر، لكن إجون التنِّين شوى هارن وأبناءه كلهم داخل الجُدران الحجريَّة الهائلة. مضغَت آريا شفتها وهي تمضي بقدمين اكتسيَتا بطبقةٍ من الجِلد اليابس، وقالت لنفسها إنهم سرعان ما سيصلون، فهذه الأبراج لا تَبعُد أكثر من بضعة أميال.

على أنهم ساروا ذلك النَّهار طوله، ومعظم النَّهار التَّالي، قبل أن يَبلُغوا أطراف جيش اللورد تايوين أخيرًا، والذي عسكرَ غَرب القلعة وسط بقايا



بلدةٍ محترقة. هارنهال خدَّاعة من بعيد لأنها هائلة حقًّا، ترتفع أسوارها الواقية العملاقة على ضفَّة البحيرة عموديَّةً خاطفةً كجروف الجبال، وتبدو على قِممها صفوف العرَّادات المصنوعة من الحديد والخشب صغيرةً كالعقارب.

تناهَت رائحة جيش لانستر الكريهة إلى أنف آريا بفترةٍ قبل أن تتبيَّن حتى الرُّموز التي تحملها الرَّايات فوق سُرادقات جموع الغربيِّين على شاطئ البحيرة، وجعلَتها الرَّائحة تُدرِك أن اللورد تايوين هنا منذ فترةٍ طويلة، فالمراحيض المحيطة بالمعسكر كانت فائضةً ويحتشد حولها الذُّباب بكثافة، كما أنها رأت زغبًا أخضر ناعمًا على الكثير من الخوازيق الحادَّة التي تحمي المعسكر.

رأت أن مبنى بوَّابة هارنهال -الذي يُناهِز حصن وينترفل الكبير حجمًا- مشوَّه بقَدر ما هو ضخم، أحجاره متصدِّعة ولاحَت ألوانها. من الخارج، من وراء الأسوار، لا يلوح من البروج الخمسة الشَّاهقة غير قممها، تلك البروج التي يُعادِل أقصرها أعلى بُرج في وينترفل مرَّةً ونِصفًا، وإن كانت لا ترتفع إلى عنان السَّماء بالطَّريقة المألوفة، وخطرَ لآريا أنها تبدو كأصابع رجلٍ عجوزٍ عظميَّة متغضِّنة، تُحاوِل القبض على سحابةٍ عابرة. تذكَّرت ما حكَته نان عن الحجر الذي ذابَ وسالَ كالشَّمع على السَّلالم وإلى داخل النَّوافذ، وقد توهَّج بلونٍ أحمر كئيب وهو يسعى إلى هارن في مخبئه، والآن تُصَدِّق آريا كلَّ كلمة، وقد بدا كلُّ بُرجٍ شائهًا منفِّر المنظر أكثر من سابقه، كثير النتوءات ويُشبِه الشَّمعة المطفأة وتَشيع فيه الشُّقوق.

قال هوت پاي بصوتٍ راجفٍ وهارنهال تفتح بوَّاباتها لهم: «لا أريدُ أن أدخل. هناك أشباح في الدَّاخل».

سمعَه تشيزويك، لكنه ابتسمَ هذه المرَّة وخاطَبه قائلًا: «لديك خياران يا صبيَّ الخبَّاز، إمَّا أن تَدخُل إلى الأشباح أو تُصبِح واحدًا منها».

ودخلَ هوت پاي مع بقيَّتهم.

في الحمَّام الذي تُرَدِّد حوائطه أصداء كلِّ صوت، أمروا الأسرى بالتجرُّد من ثيابهم وحَكِّ وفرك أجسادهم في أحواضٍ من الماء شديد السُّخونة، وأشرفَت امرأتان عجوزان قويَّتان على العمليَّة بينما تبادَلتا الكلام عنهم كأنهم



قطيع من الحمير المشتراة حديثًا، ولمَّا جاءَ دور آريا، طقطقَت العقيلة آمابل بلسانها باستنكارٍ من منظر قدميها، بينما تحسَّست العقيلة هارا الجِلد المتيبِّس على أصابعها، الذي اكتسبَته من ساعات التَّدريب الطَّويلة بإبرتها، وقالت: «أراهنُ أنهما صارتا هكذا من مخض الزُّبد. أنتِ بنت مُزارعٍ ما، أليس كذلك؟ لا عليكِ يا فتاة، فلديكِ فُرصة أن ترقَّي إلى مرتبةٍ أعلى في هذا العالم لو عملتِ بكدٍّ، أمَّا إذا لم تعملي بكد، فستُضرَبين. ما اسمكِ؟».

لم تَجسُر آريا على الإجابة باسمها الحقيقي، لكن آري لا يَصلُح أيضًا، فهو اسم صبي، والكلُّ يرى أنها ليست كذلك. «بنت عرس»، أجابَت قائلةً اسم أول فتاة استطاعَت التَّفكير فيه. «لومي سمَّاني بنت عرس».

قالت العقيلة آمابل متنشِّقةً: «يُمكنني أن أرى السَّبب. منظر هذا الشَّعر مرعب، كما أنه جُحر للقمل كذلك. سنحلقه، ثم تذهبين إلى المطابخ».

قالت: «أفضِّلُ العناية بالخيول». تُحِبُّ آريا الخيول، ولربما تستطيع إذا عملَت في الاسطبلات أن تسرق حصانًا وتهرب.

صفعَتها العقيلة هارا بقوَّةٍ شقَّت شفتها المتورِّمة ثانيةً، وردَّت: «واحفظي لسانكِ هذا وإلَّا ستنالين ما هو أسوأ. لم يَطلُب أحد رأيكِ».

كان للدَّم في فمها مذاق معدني مالح، وخفضَت آريا عينيها ولم تقل شيئًا، بينما فكَّرت بأسى: لم تكن لتجرؤ على ضربي لو أن «الإبرة» لا تزال معي.

قالت العقيلة آمابل: «اللورد تايوين وفُرسانه لديهم سائسون ومُرافِقون للعناية بخيولهم، ولا يحتاجون أمثالكِ. المطابخ مريحة ونظيفة، وهناك دائمًا نار تنامين إلى جوارها دافئةً والكثير من الطَّعام. كنتِ لتُبلين بلاءً حسنًا هناك، لكنني أرى أنكِ لستِ فتاةً ذكيَّةً. هارا، أعتقدُ أن علينا أن نعهد بها إلى ويز».

- «إذا كان هذا رأيكِ يا آمابل».

وهكذا أعطوها ثوبًا من الصُّوف الرَّمادي الخشن، وحذاءً لا يُناسِب مقاس قدميها، وصرَفوها.

ويز هذا وكيل مساعد في البُرج المسمَّى بُرج العويل، رجل قصير مكتنز لديه أنف كبير مليء بالدَّمامل، وبالقُرب من رُكنِ شفتيه الممتلئتين قروح حمراء غاضبة. كانت آريا واحدةً من السِّتَّة الذين أُرسِلوا إليه، فتطلَّع إليهم



بنظرةٍ ثاقبةٍ قائلًا: «آل لانستر كُرماء مع من يُخلِصون في خدمتهم، وهو شَرف لا يستحقُّه أمثالكم، لكن الرَّجل يستغلُّ ما لديه في حالة الحرب. اعملوا باجتهادٍ واعرفوا منزلتكم، وربما تترقُّون مِثلي ذات يوم، لكن إذا تطاوَلتم على كرم حضرة اللورد، ستجدونني في الانتظار بَعدما يرحل»، وتحرَّك متبخترًا أمامهم، وأخبرَهم أن عليهم ألَّا يرفعوا أعيُنهم إلى أعيُن النُّبلاء أبدًا، وألَّا يتكلَّموا ما لم يُوَجَّه لهم الكلام، وألَّا يعترضوا طريق حضرة اللورد، وأضافَ: «أستطيعُ أن أشمَّ رائحة التحدِّي، ورائحة الكبرياء، ورائحة العصيان. إذا شممتُ أيًّا من تلك الرَّوائح، فستُعاقَبون. عندما أتشمَّمكم، فلا أريدُ أن يلتقط أنفي غير رائحة الخوف».





دنيرس

على أسوار كَارث دَقَّ الرِّجال النَّواقيس معلنين أنها أقبلَت، بينما نفخَ آخَرون في أبواقٍ غريبة الشَّكل، تلتفُّ حول أجسادهم كأفاعٍ برونزيَّة ضخمة، وخرجَ صَفٌّ من راكبي الجِمال من المدينة ليتَّخذوا مواقعهم كحَرس شَرفٍ لها، وقد ارتدوا دروعًا من النُّحاس تُشبِه حراشف الأسماك، وخوذاتٍ ذات واقياتٍ طويلة للأنف، يَخرُج من كلٍّ منها نابان نُحاسيَّان وريشة حريريَّة طويلة، أمَّا جِمالهم فكسَتها أغطيةٍ بمئة لونٍ ولون.

كان پيات پري قد قال لها وهُم لا يزالون وسط عظام ڤايس تولورو: «كَارث أعظم مدينة كانت أو ستكون. إنها مركز العالم، البوَّابة بين الشَّمال والجَنوب، والجسر بين الشَّرق والغرب، أعتق من أن تُدرك ذاكرة البَشر منشأها، وبديعة لدرجة أن ساثوس الحكيم فقأَ عينيه بَعدما تطلَّع إلى كَارث أول مرَّة، إذ علمَ أن كلَّ ما يراه من تلك اللَّحظة فصاعدًا سيكون حقيرًا قبيحًا بالمقارَنة».

ارتابَت داني كثيرًا في صحَّة كلام الدجَّال، وإن لم يكن هناك سبيل لإنكار روعة المدينة العظيمة. ثلاثة أسوار سميكة تُطَوِّق كَارث، كلها منقوش بمنتهى العناية والتَّنميق. السُّور الخارجي من الحجر الرَّملي الأحمر، يرتفع ثلاثين قدمًا، وتُزَيِّنه صُور حيوانات؛ ثعابين تزحف، وطائرات ورقيَّة محلِّقة، وأسماك تسبح متمازجةً مع ذئاب القَفر الأحمر وخيول الزورس[1] المخطَّطة والأفيال هائلة الحجم. والسُّور الأوسط يرتفع أربعين قدمًا، مشيَّد

(1) الزورس حيوان هجين يَنتُج عن زواج ذَكر الحمار الوحشي وأنثى الحصان.



من الجرانيت الرَّمادي، وبعثَت فيه الحياة مَشاهد الحرب؛ تقارُع السُّيوف والتُّروس والحراب، وتحليق السِّهام في الهواء، وأبطال يتقاتَلون وأطفال يُذبَحون، ومَحارق جثامين الموتى. أمَّا السُّور الدَّاخلي فيرتفع خمسين قدمًا من الرُّخام الأسود، وعليه صُور محفورة جعلَت وجنتيَّ داني تتورَّدان خجلًا، إلى أن قالت لنفسها إنها تتصرَّف كالحمقى، فهي ليست عذراء، وإذا استطاعَت التطلُّع إلى مَشاهد المذابح على السُّور الرَّمادي، فلِمَ تغضُّ بصرها عن مَشاهد رجالٍ ونساءٍ يتبادَلون المتعة؟

البوَّابة الخارجيَّة مدعَّمةٌ بالنُّحاس، والوُسطى بالحديد، أمَّا الدَّاخليَّة فمرصَّعة بالجواهر في أماكن أعيُن المرسومين؛ والبوَّابات الثَّلاث فُتِحَت مع دنوِّ داني، وإذ امتطَت فَرسها الفضِّيَّة إلى داخل المدينة، هرعَ أطفال صغار يَنثُرون الزُّهور في طريقها، وقد ارتدوا صنادل ذهبيَّةً وطُلِيَت أجسادهم العارية بألوانٍ مبهرجة.

كلُّ الألوان المفقودة في ڤايس تولورو وجدَت طريقها إلى كارث. احتشدَت المباني من حولها بشكلٍ خياليٍّ كما في حُلم محموم، بدرجاتٍ من القُرنفلي والبنفسجي والعنبري، ومرَّت تحت قنطرةٍ مشيَّدة على شكل ثُعبانين يتزاوَجان، حراشفهما من اليَشب والزُّجاج البُركاني واللازورد، بينما ارتفعَت الأبراج الرَّفيعة أعلى مما رأت داني في حياتها كلها، وضَمَّ كلُّ ميدانٍ نوافير أنيقةً تتَّخذ أشكال الجريفين والتِّنين والمانتيكور.

اصطفَّ الكارثين في الشَّوارع وتفرَّجوا من شُرفاتٍ رقيقة التَّصميم، تبدو أكثر هشاشةً من أن تتحمَّل أوزانهم. إنهم شعب من طِوال القامة شاحبي الملامح، يرتدون الكتَّان والسَّميت وفرو النَّمر، وكلُّ واحدٍ منهم في نظرها لورد أو ليدي. ترتدي النِّساء فساتين تَترُك واحدًا من الثَّديين مكشوفًا، بينما يلبس الرِّجال ثيابًا من الحرير المرصَّع بالخرز، ما أشعرَ داني بأنها تبدو كالهمج ذوي الملابس الرثَّة وهي تمرُّ بهم مرتديةً فروة الأسد وعلى كتفها دروجون. يُسَمِّي الدوثراكي الكارثين «شعب الحليب» لشحوب بشرتهم، وكان كال دروجو يَحلُم باليوم الذي ينهب فيه مُدن الشَّرق العظيمة. ألقَت نظرةً على خيَّالة دمها، بأعيُنهم اللَّوزيَّة الدَّاكنة التي لا تبوح بأفكارهم، وقالت



لنفسها متسائلةً: ألا يرون غير الغنائم؟ لا بُدَّ أننا نبدو برابرةً حقًّا في أنظار هؤلاء الكارثين.

تقدَّم پيات پري گالاسارها في منتصَف الممرِّ المقنطَر العظيم، حيث تقف تماثيل أبطال المدينة القُدامى بثلاثة أضعاف حجمهم الأصلي، على أعمدةٍ من الرُّخام الأبيض والأخضر، ومَرُّوا خلال سوقٍ تحتلُّ مبنى غائرًا فسيحًا، سقفه المرسوم على شكل عريشٍ شجري يضمُّ ألفًا من الطُّيور ذات الألوان البهيجة، بينما ازدانَت الجُدرانُ المدرَّجة فوق الأكشاك بنقوش الزُّهور والأشجار الباسقة، وبدا لداني أن المكان يحوي كلَّ ما وضعَته الآلهة على الأرض معروضًا للبيع.

جفلَت فَرسها عندما اقتربَ الأمير زارو زون داكسوس منها بجَمله، وكانت داني قد لاحظَت أن الخيول لا تطيق وجود الجِمال على مقربةٍ منها. من أعلى سَرجه الأنيق ذي القرن قال لها زارو: «إذا رأيتِ شيئًا ترغبين فيه هنا يا جميلة الجميلات، فعليكِ أن تقولي فقط، وهو لكِ».

قال پيات پري ذو الشَّفتين الزَّرقاوين برصانةٍ من على جانبها الآخَر: «كارث ذاتها لها، فهي لا تحتاج حُلِيًّا رخيصةً. كما وعدتكِ يا گاليسي، تعالي معي إلى بيت الخالدين، وستشربين من نبع الحقيقة والحكمة».

حدَّث زارو الدجَّال قائلًا: «وما حاجتها إلى قصر الغبار هذا بينما أستطيعُ أن أعطيها نور الشَّمس ومياهًا عذبةً وحريرًا تتمرَّغ فيه؟ سيضع الثَّلاثة عشر تاجًا من اليَشب الأسود والأوپال النَّاري على رأسها الجميل».

- «المكان الوحيد الذي أرغبُ فيه هو القلعة الحمراء في كينجز لاندنج يا لورد پيات». تتعامَل داني بحذرٍ مع المشعوذ، فقد سمَّمت ميري ماز دور أفكارها إزاء كلِّ من يلعبون بالسِّحر. «وإذا كان عُظماء كارث يرغبون في مُهاداتي يا زارو، فليُعطوني سُفنًا ومُقاتِلين أستردُّ بهم حقِّي».

مَطَّ پيات پري شفتيه الزَّرقاوين إلى أعلى بابتسامةٍ كيِّسة، وقال: «كما تأمرين يا گاليسي»، وابتعدَ متمايلًا مع حركة جَمله، وثوبه الطَّويل المزيَّن بالخرز ينسدل وراءه.

غمغمَ زارو زون داكسوس من فوق سَرجه العالي: «الملكة الصَّغيرة أكثر



حكمةً من سنوات عُمرها. ثمَّة مقولة في كارث مفادها أن بيت الدجَّال مبنيٌّ من العظام والكذب».

- «لِمَ يخفض النَّاس أصواتهم عندما يتكلَّمون عن دجَّالي كارث إذن؟ في كلِّ أصقاع الشَّرق يحترم الناس قُواهم وحكمتهم».

قال زارو: «كانوا أقوياء حقًّا ذات يوم، لكنهم يُثيرون الضَّحك الآن، كالجُنود المسنِّين الذين يظلُّون يتباهون بشراستهم بَعدما فارقَتهم كلُّ طاقةٍ أو مهارة. إنهم يقرأون لفائفهم المتهالكة، ويشربون صبغة المساء إلى أن تكسو الزُّرقة شفاههم، ويُلَمِّحون إلى امتلاكهم قُوى مخيفة، لكنهم مجرَّد هياكل جوفاء مقارنةً بأسلافهم. احذري هدايا ﭘيات ﭘري، فستستحيل تُرابًا بين يديكِ»، وهوى على جَمله بضربةٍ من سوطه، وأسرعَ مبتعدًا.

تمتمَ السير چورا بلُغة وستروس العاميَّة: «الغُراب يُعَيِّر الغُداف بلونه الأسود». كان الفارس المنفي يركب إلى يمينها كالعادة، ومن أجل دخولهم كارث كان قد تخلَّى عن ثياب الدوثراكي، وعادَ يرتدي دِرعه وقميصه المعدني وسراويله الصُّوفيَّة، ثياب الممالك السَّبع الواقعة على الجانب الآخَر من العالم. «خيرٌ لكِ أن تتحاشي هذين الرَّجلين يا جلالة الملكة».

ردَّت: «هذان الرَّجلان سيُساعِداني على الفوز بتاجي. زارو فاحش الثَّراء، وﭘيات ﭘري...».

قاطَعها الفارس بفظاظة: «... يتظاهَر بالقوَّة». على سُترته الخضراء الدَّاكنة وقفَ دُب عائلة مورمونت الأسود الشَّرس على قائمتيه الخلفيَّتين، ولم يبدُ چورا أقلَّ ضراوةً منه وقد عبسَ في وجوه المتزاحمين في السُّوق. «رأيي ألَّا نبقى هنا طويلًا يا مولاتي. رائحة هذه المكان ذاتها لا تروقني».

ابتسمَت داني وقالت: «لعلَّك تشمُّ رائحة الجِمال، أمَّا الكارثين أنفسهم فرائحتهم زكيَّة في أنفي».

- «أحيانا يُستخدَم الزَّكي من الرَّوائح لإخفاء النَّتن منها».

قالت داني لنفسها: دُبِّي الكبير. إنني ملكته، لكني سأظلُّ بالنِّسبة إليه ديسمًا صغيرًا[٣] كذلك، وسيحميني دائمًا. أشعرَها هذا بالأمان، لكنه أمان لا يخلو من حُزن، وتمنَّت لو أنها تستطيع أن تُحِبَّه أكثر.



عرضَ زارو زون داكُوس عليها ضيافة بيته ما دامَت في المدينة، وكانت تتوقَّع بناءً فخمًا، لكنها لم تتصوَّر حقًّا هذا القصر الأوسع من بلدة سوقٍ كاملة. إنه يجعل ضيعة الماچستر إليريو في پنتوس تبدو كزريبة خنازير. وعدَ زارو بأن بيته يتَّسع لراحة قومها كلهم بالإضافة إلى خيولهم، وقد ابتلعَهم المكان ابتلاعًا بالفعل، وخُصِّص لها جناح كامل، حيث ستحظى بحدائقها الخاصَّة، وحوض سباحةٍ من الرُّخام، وبُرجٍ لمراقَبة النُّجوم، ومتاهةٍ من تصميم الدجَّالين، بينما سيُلَبِّي العبيد حاجاتِها كافَّة. في مسكنها الخاص، كانت الأرضيَّة من الرُّخام الأخضر، وعلى الجُدران تنسدل معلَّقات من الحرير الملوَّن الذي يتموَّج لامعًا كلما هَبَّ النَّسيم.

قالت لزارو زون داكُوس: «أنت شديد الكرم».

- «لا هديَّة تغلو على أمِّ التَّنانين». زارو رجل أنيق كسول الملامح، أصلع الرَّأس ولديه أنف معقوف كبير مزيَّن بقِطعٍ صغيرة من الياقوت والأوپال واليَشب. «غدًا ستتناوَلين وليمةً من الطَّواويس ولسان طائر القُبَّرة، وتسمعين موسيقى تليق بأجمل النِّساء. سيأتي إليكِ الثَّلاثة عشر ليُقَدِّموا فروض الطَّاعة، ومعهم كلُّ عُظماء كارث».

فكَّرت داني: كلُّ عُظماء كارث سيأتون لرؤية تنانيني، لكنها شكرَت زارو على لُطفه قبل أن تصرفه، ثم استأذنَ پيات پري بالانصراف متعهِّدًا أن يلتمس من الخالدين أن تَمثُل أمامهم، وأضافَ: «إنه شَرف نادر كالثُّلوج في الصَّيف»، وقبل أن يُغادِر، لثَمَ قدميها الحافيتين بشفتيه الزَّرقاوين الشَّاحبتين، وألحَّ أن تتقبَّل منه هديَّةً عبارة عن برطمانٍ يحوي دهانًا أقسمَ أنه سيجعلها ترى أرواحًا في الهواء.

كانت كويث آسرة الظِّلال آخِر من غادرَ من السَّاعين إليها، وقالت من وراء القناع الأحمر المصقول: «حذارِ».

- «ممَّن؟».

- «من الجميع. سيأتون ليل نهار ليروا الأعجوبة التي وُلِدَت في هذا العالم من جديد، وسيشتهونها، فالتَّنانين هي النَّار وقد استحالَت لحمًا، والنَّار قوَّة».



عندما رحلَت كويث بدورها، قال السير چورا: «إنها تقول الحق يا مولاتي... وإن كانت لا تروقني أكثر من الآخَرين».

قالت: «لستُ أفهمها». لقد أمطرَها پيات وزارو بالوعود بمجرَّد أن رأوا تنانينها، وأعلنا نفسيهما خادميها المخلصيْن في كلِّ شيء، بينما لم تنَل من كويث غير كلمةٍ غامضة، كما أنها منزعجة من أنها لم ترَ وجه المرأة إطلاقًا. تذكَّري ميري ماز دور، تذكَّري الخيانة. التفتَت إلى خيَّالة دمها قائلةً: «سنُعَيِّن حَرسًا منا ما دمنا هنا. لا تسمحوا لأحدٍ بدخول هذا الجناح دون إذني، واحرِصوا على وضْع حراسةٍ كافية على التَّنانين طول الوقت».

قال آجو: «كما تأمرين يا كاليسي».

تابعَت: «إننا لم نرَ من كَارث غير البقاع التي أرادَ پيات پري أن نراها. راكَارو، اذهب وألقِ نظرةً على البقيَّة، وأخبِرني بما تجده. خُذ رجالًا أقوياء معك، ونساءً كذلك، ليَدخُلن حيث يُمنَع دخول الرِّجال».

قال راكَارو: «كلامكِ أوامر يا دم دمي».

- «سير چورا، اذهب إلى الميناء واعرف ماهية السُّفن الرَّاسية. لقد مضى نِصف عام منذ بلغَتني أيُّ أخبارٍ من الممالك السَّبع، ولربما تُنعِم الآلهة علينا برُبَّانٍ صالحٍ من وستروس لديه سفينة تحملنا إلى الوطن».

قطَّب الفارس وجهه قائلًا: «تلك ليست نعمةً، لأن الغاصِب سيَقتُلك بكلِّ تأكيد»، ودَسَّ إبهامه في حزام سيفه مضيفًا: «مكاني هنا إلى جانبكِ».

- «چوجو أيضًا يستطيع أن يَحرُسني، بينما تُجيد أنت لُغاتٍ أكثر من خيَّالة دمي، والدوثراكي لا يثقون بالبحار ومَن يُبحِرون فيها. أنت الوحيد الذي يستطيع خدمتي في هذا الصَّدد. تجوَّل بين السُّفن وتكلَّم مع أطقُمها، اعرف من أين أتوا وإلى أين هُم ذاهبون، ونوع الرِّجال الذين يقودونهم».

أومأ مورمونت برأسه، وعلى مضضٍ قال: «كما تقولين يا مولاتي».

عندما خرجَ الرِّجال كلهم، خلعَت وصيفتاها ثيابها الحريريَّة التي لوَّثها السَّفر، وخرجَت داني إلى حوض السِّباحة الرُّخامي المستظل بظِلِّ رُواقٍ معمَّد، حيث وجدَت المياه باردةً على نحوٍ منعش، كما حفلَ الحوض بأسماكٍ ذهبيَّة دقيقة أخذَت تُعَضعِض بشرتَها بفضولٍ وجعلَتها تضحك.



أشعرَها بالطُّمأنينة أن تُغلِق عينيها وتطفو على سطح الماء، عالمةً أنها تستطيع الرَّاحة قدر ما شاءَت، وتساءلَت إن كانت قلعة إجون الحمراء تحوي حوضًا كهذا، وحدائق غنَّاء تعبق بالخُزامى والنَّعنع. من المؤكَّد أنها تضمُّ كلَّ هذه الأشياء. ڤسيرس قال إن الممالك السَّبع أبهى من أيِّ مكانٍ آخَر في العالم.

أصابَها التَّفكير في الوطن بالانزعاج. لو عاشَ شمسها ونجومها، لكان قد عبرَ المياه المسمومة بگالاساره واكتسحَ أعداءها، لكن قوَّته فارقَت الحياة. صحيحٌ أن خيالة دمها بقوا، وأنهم أقسَموا على الولاء لها مدى الحياة، وأنهم بارعون في فنون القتال، لكن على طريقة سادة الخيول فحسب، فالدوثراكي يجتاحون المُدن وينهبون الممالك، لكنهم لا يَحكُمونها، وداني لا ترغب في تحويل كينجز لاندنج إلى أطلال محترقة ملأى بأرواح الموتى القلقة، فقد شربَت ما يكفي من الدُّموع بالفعل. أريدُ أن أجعل مملكتي جميلةً، أن أملأها بالرِّجال السِّمان والفتيات الحسناوات والأطفال الضَّاحكين. أريدُ أن يبتسم شعبي عندما يراني أمرُّ، مثلما كان يبتسم لأبي كما قال ڤسيرس.

لكن قبل أنَ يتسنَّى لها ذلك، عليها أن تغزو أولًا.

مورمونت قال: الغاصِب سيقتُلك بكلِّ تأكيد، وروبرت قتلَ أخاها الباسل ريجار، ثم عبرَ واحد من مخلوقاته بحر الدوثراكي ليَقتُلها وابنها الذي لم يولَد. يقولون إن روبرت قويٌّ كالثِّيران ومقدام في المعارك، إنه رجل لا يهوى شيئًا أكثر من الحرب، ومعه يقف اللوردات العظام الذين لقَّبهم أخوها بكلاب الغاصِب، إدارد ستارك ذي القلب الجليدي، وولدا لانستر الذَّهبيَّان، الأب والابن، بثرائهما وسطوتهما وخيانتهما.

مِن أين لها الأمل في الإطاحة برجالٍ كهؤلاء؟ لمَّا كان گال دروجو حيًّا، كان الرِّجال يرتجفون ويُغدِقون عليه الهدايا ليتَّقوا غضبته، وإذا لم يفعلوا، كان يأخذ مُدنهم وثرواتهم وزوجاتهم وكلَّ ما يملكون، لكن گالاسار دروجو كان ضخمًا، بينما گالاسارها هي ضئيل. لقد تبعها قومها عبر القَفر الأحمر وهي تُطارِد مذنَّبها، وسيتبعونها عبر المياه المسمومة كذلك، لكنهم لن يكْفوا. لقد آمنَ ڤسيرس بأن البلاد ستنتفض لنُصرة الملك الشَّرعي... لكن ڤسيرس كان أحمق، والحمقى يُؤمِنون بأشياء حمقاء.



جعلَتها شكوكها ترتجف، وأحسَّت داني فجأةً أن الماء أبرد من اللَّازم، وتضايقَت من وخز الأسماك الدَّقيقة لبشرتها، فنهضَت وخرجَت من الحوض مناديةً: «إيري، چيكوي».

فيما جفَّفت الوصيفتان جسدها وألبسَتاها ثوبًا من الحرير الرَّملي، دارَت أفكار داني حول الثَّلاثة الذين سعوا إليها في مدينة العظام. النَّجم النَّازف قادَني إلى كارث لسبب ما. سأجدُ ما أحتاجه هنا، إذا تحلَّيتُ بالقوَّة لآخذ ما يُعرَض عليَّ، والحكمة لتحاشي الشِّراك والمصايد. إذا أرادَتني الآلهة أن أغزو، فستُرسِل لي علامةً... أمَّا إذا لم ترُد... إذا لم ترُد...

كان المساء يوشك على المجيء وداني تُطعِم تنانينها، عندما دخلَت إيري من بين السَّتائر الحرير لتُخبرها بأن السير چورا عادَ من الميناء، وليس وحده، فردَّت بفضول: «دعيه يَدخُل مع من أتى في صُحبته».

كانت جالسةً على كومةٍ من الوسائد عندما دخلا، ورأت أن الرَّجل الذي جاءَ مع چورا يرتدي معطفًا من الرِّيش الأخضر والأصفر، وبشرته كالكهرمان الأسود. قال الفارس: «جلالة الملكة، أقدِّمُ لك كاهورو مو، رُبَّان «ريح القِرفة» القادمة من بلدة الأشجار الطَّويلة».

ركعَ الرَّجل الأسود قائلًا: «شَرف عظيم لي يا مولاتي». لم يَقُلها بلُغة جُزر الصَّيف التي تجهلها داني، وإنما بالڤاليريَّة المائعة التي يتحدَّثونها في المُدن الحُرَّة التِّسع.

أجابَت داني باللُّغة نفسها: «الشَّرف لي يا كاهورو مو. هل أتيت من جُزر الصَّيف؟».

- «هذا صحيح يا جلالة الملكة، لكن قبل ذلك، منذ أقلِّ من نِصف عام، رسونا في البلدة القديمة، ومن هناك أتيتكِ بهديَّةٍ ثمينة».

- «هديَّة؟».

- «هديَّة في صورة أخبار يا أمَّ التَّنانين ووليدة العاصفة. أقولُ لك صدقًا إن روبرت باراثيون ماتَ».

كان الغَسق يبسط أجنحته فوق كارث خارج الجُدران، لكن في قلب داني أشرقَت الشَّمس، فردَّدت: «ماتَ؟»، وفي حِجرها أطلق دروجون الأسود



فحيحًا وارتفعَ الدُّخان الباهت أمام وجهها كحجاب. «أأنت واثق؟ الغاصِب ماتَ؟».

– «هكذا يقولون في البلدة القديمة، وفي دورن، وفي لِيس، وكلِّ الموانئ الأخرى التي رسونا فيها».

أرسلَ لي نبيذًا مسمومًا، لكني حيّة وهو ميت. سألَته: «كيف ماتَ؟»، وعلى كتفها خفقَ ڤسيريون الشَّاحب بجناحين بلون القشدة محرِّكًا الهواء.

– «مزَّقه خنزير برِّي متوحِّش وهو يصطاد في غابة الملوك، أو أن هذا ما سمعته في البلدة القديمة. يقول آخَرون إن ملكته خانَته، أو أخاه، أو اللورد ستارك الذي كان يده، لكن الحكايات كلها تتَّفق على أن الملك روبرت ماتَ وفي قبره بالفعل».

لم ترَ داني وجه الغاصِب قَطُّ، لكن لا يكاد يوم يمرُّ دون أن تُفَكِّر فيه، فظِلُّه الشَّاسع ساقطٌ عليها منذ ساعة ميلادها، حينما جاءَت وسط الدَّم والعاصفة الهائجة إلى دنيا لم يَعُد لها فيها مكان، والآن يرفع هذا الغريب الأبنوسي الظِّلَّ عنها.

قال السير چورا: «الصَّبي يجلس على العرش الحديدي الآن».

عقَّب كاهورو مو: «الملك چوفري يَحكُم، لكن السُّلطة الحقيقيَّة في يد عائلة لانستر. لقد فَرَّ أخوا روبرت من كينجز لاندنج، ويُقال إنهما ينويان المطالَبة بالتَّاج، كما أن اليد سقطَ كذلك، اللورد ستارك صديق الملك روبرت. لقد اعتقَلوه بتهمة الخيانة».

قال چورا ساخرًا: «ند ستارك خائن؟ مستحيل. سيحلُّ الصَّيف الطَّويل من جديد قبل أن يُدَنِّس هذا الرَّجل شَرفه الغالي».

قالت داني: «أيُّ شَرفٍ هذا؟ لقد خانَ ملكه الحقيقي، تمامًا مِثل آل لانستر». سرَّها أن تعرف أن كلاب الغاصِب يتصارَعون، وإن لم تندهش، فالشَّيء نفسه حدثَ بحذافيره عندما ماتَ دروجو، ومزَّق گالاساره العظيم نفسه إلى أشلاء. قالت لرجل جُزر الصَّيف: «أخي ماتَ كذلك، ڤسيرس الذي كان الملك الشَّرعي. السيِّد زوجي گال دروجو قتلَه بتاجٍ من الذَّهب



الذّئب». لو أن أخاها كان أكثر حكمةً، فهل كان ليُدرِك أن القصاص الذي تمنَّاه من الآلهة قريب لهذا الحد؟

- «إنني حزين من أجلكِ يا أمَّ التَّنانين، ومن أجل وستروس التي تنزف محرومةً ملكها الشَّرعي».

تحت أصابع داني الرَّقيقة، حدَّق ريجال الأخضر في الغريب بعينين من الذَّهب المصهور، وعندما فتحَ فمه لمعَت أسنانه كإبرٍ سوداء. سألَت: «متى تعود سفينتك إلى وستروس أيها الرُّبَّان؟».

- «أخشى أننا لن نعود قبل عام أو يزيد، فمِن هنا ستُبحِر «ريح القِرفة» شَرقًا لتقوم بدورة التِّجارة في أنحاء بحر اليَشب».

قالت داني شاعرةً بخيبة الأمل: «مفهوم. أتمنَّى لك ريحًا مواتيةً وتجارةً رابحةً إذن. لقد جئتني بهديَّةٍ نفيسة».

- «وقد تلقَّيتُ المقابل أضعافًا يا مولاتي».

تساءلَت حائرةً: «كيف؟».

أجابَ بعينين تتألَّقان: «لقد رأيتُ التَّنانين».

قالت ضاحكةً: «آملُ أن تراها أكثر ذات يوم. تعالَ إليَّ في كينجز لاندنج عندما أجلسُ على عرش أبي، وستنال مني مكافأةً سخيَّةً».

وعدَها رجل جُزر الصَّيف بأنه سيفعل، وطبعَ قُبلةً خفيفةً على أصابعها وهو يستأذن بالانصراف، ثم صحبَته چيكوي إلى الخارج، بينما ظَلَّ السير چورا مورمونت، وقال لمَّا أصبحا وحدهما: «ﮔاليسي، لو كنتُ مكانكِ لما تكلَّمتُ بهذا الانفتاح عن خُططي، فهذا الرَّجل سيَنشُر الحكاية أينما ذهبَ».

قالت: «دَعه يَنشُرها، دَع العالم كله يعرف مرامي. لقد ماتَ الغاصِب، فما الفارق؟».

أجابَها السير چورا بنبرةٍ تحذيريَّة: «ليست كلُّ حكايات البحَّارة حقيقيَّة، وحتى لو ماتَ روبرت حقًّا، فابنه يَحكُم مكانه، وهذا لا يُغيِّر شيئًا حقًّا».

قالت داني: «بل يُغيِّر كلَّ شيء»، ونهضَت بحركةٍ حادَّة، فاعتدلَ تنانينها وبسَطوا أجنحتهم، وخفقَ دروجون وتسلَّق المدخل المقنطَر غارسًا فيه أنيابه حتى بلغَ العتبة العُليا، بينما تسكَّع الآخَران على الأرض وأطراف أجنحتهما



تحتكُّ بالرُّخام. «في السَّابق كانت الممالك السَّبع مِثل گالاسار دروجو، مئة ألفٍ وحَّدتهم قوَّته، والآن انفطرَ هذا الرَّابط كما حدثَ مع الگالاسار بَعد موت گالي».

- «لطالما تقاتلَ اللوردات الكبار. أخبِريني من فازَ وسأخبرك ما يعنيه هذا. گاليسي، الممالك السَّبع لن تَسقُط في يديكِ كثمار الخوخ النَّاضجة على الشَّجر. سوف تحتاجين أسطولًا، وذهبًا، وجُندًا، وتحالُفات...».

قاطعَته قائلةً: «كلُّ هذا أعيه»، وأخذَت يديه بين يديها ورفعَت عينيها إلى عينيه الدَّاكنتين الشَّكَّاكتين. أحيانًا يُفَكِّر فيَّ كأني طفلة يجب أن يحميها، وأحيانًا كامرأةٍ يرغب في أن يُطارِحها الغرام، لكن هل يراني ملكته حقًّا؟ «لستُ الفتاة الخائفة التي التقيتها في پنتوس. أي نعم لا يتعدَّى عُمري الخمسة عشر عامًا، لكنني عجوز كحيزبونات الدوش گالين، وصغيرة كتنانيني يا چورا. لقد حملتُ طفلًا، وأحرقتُ گالًا، وعبرتُ القَفر الأحمر وبحر الدوثراكي، ودمائي دماء التنِّين».

قال بعناد: «كَما كانت دماء أخيكِ».

- «أنا لستُ ڤسيرس».

قال: «نعم، لستِ هو. أعتقدِ أن فيكِ من ريجار أكثر من ڤسيرس، لكن حتى ريجار نفسه كان قابلًا للقتل، وروبرت أثبتَ هذا في معركة الثَّالوث دون أن يحتاج أكثر من مطرقةٍ حربيَّة. حتى التَّنانين تموت».

شبَّت على أصابع قدميها ولثمَته برفقٍ على خدِّه غير الحليق، وقالت: «التَّنانين تموت، لكن قاتليها يموتون كذلك».





بران

تحرَّكت ميرا بحذرٍ في دائرة، وقد تدلَّت شبكتها من يدها اليُسرى، بينما وازنَت بيُمناها رُمح صيد الضَّفادع الرَّفيع ذا الشُّعب الثَّلاث، وتابعَها سَمر بعينيه الذَّهبيَّتين وهو يدور رافعًا ذيله الطَّويل، ويُراقِب، ويُراقِب...

صاحَت الفتاة والرُّمح يندفع: «ياي!»، وانزلقَ الذِّئب يسارًا ووثبَ قبل أن تتمكَّن من سحْب الرُّمح إلى الوراء، فألقَت الشَّبكة التي انحلَّت عُقدها في الهواء أمامها، لتلتفَّ حول سَمر الذي ألقَته الوثبة داخلها مباشرةً، وجرَّها معه وهو يرتطم بصدر ميرا، ليُسقِطها على ظَهرها ويطير الرُّمح من يدها. خفَّف الكلأ الرَّطب سقطتها، وإن أفرغَت رئتاها كلَّ ما فيهما من هواءٍ بصوت «أووف» عالٍ، ثم جثمَ الذِّئب فوقها.

وصاحَ بران بجذلٍ ظافر: «خسرتِ».

قال أخوها چوچن: «بل كسبَت، سَمر وقعَ في الشَّرك».

رأى بران أنه محقٌّ، إذ أخذَ سَمر يتقلَّب بعُنفٍ ويُزَمجِر محاولًا تحرير نفسه من الشَّبكة، فقط ليُوَرِّط نفسه فيها أكثر، خصوصًا أنه لا يستطيع تمزيقها بأسنانه، فقال بران: «أخرِجيه».

ضاحكةً، طوَّقت ابنة ريد الذِّئب العالق في الشَّبكة بذراعيها وتدحرجَت معه، فأطلقَ سَمر أنينًا مثيرًا للشَّفقة وقوائمه تَركُل الحبال التي قيَّدته، ثم ركعَت ميرا إلى جواره وحلَّت حبلين محبوكيْن، وسحبَت جزءًا من رُكن، وشدَّت هنا وهناك بحركاتٍ رشيقة بأصابعها، وفجأةً كان الذِّئب الرَّهيب يتواثَب حُرًّا.

قال بران: «سَمر، إليَّ»، ثم عقَّب: «تفرَّجي»، قبل أن يرتطم به الذِّئب



بلحظةٍ واحدة، فتمسَّك به بكلِّ قوَّته وهو يَجُرُّه على الكلأ، وتصارعَ الاثنان وتدحرجا وتشبَّثا ببعضهما بعضًا، أحدهما يزوم وينبح، والثَّاني يضحك، وفي النِّهاية استلقى بران فوق الذِّئب الرَّهيب الذي وسَّخه الوحل، وقال لاهثًا: «ذئب طيِّبٌ»، فلعقَ سَمر أُذنه.

هزَّت ميرا رأسها متسائلةً: «ألا يغضب أبدًا؟».

أجابَ بران: «ليس مني»، وشَدَّ الذِّئب من أُذنيه، فنهشَ سَمر الهواء أمام وجهه بشراسة، لكن على سبيل اللَّعب لا أكثر، فواصلَ بران: «أحيانًا يُمَزِّق ثيابي، لكنه لم يُرِق الدَّم قَطُّ».

- «تعني أنه لم يُرِق دمك أنت، فلو أنه تملَّص من شبكتي...».

- «لم يكن ليُؤذيكِ، فهو يعرف أني أعزُّكِ». كان جميع اللوردات والفُرسان الآخَرين قد رحلوا عقب احتفال الحصاد بيوم أو اثنين، باستثناء الأخوين ريد اللذين بقيا وأصبحا رفيقيَّ بران الدَّائمَيْن. كان چوچن شديد الرَّزانة، حتى إن العجوز نان لقَّبته بالجَدِّ الصَّغير، بينما تُذَكِّر ميرا بران بأخته آريا، فهي لا تخشى أن تتَّسخ، وتُجيد العدْو والقتال والتَّسديد كأيِّ صبي، وإن كانت تكبُر آريا عُمرًا، تكاد تَبلُغ عامها السَّادس عشر لتصير امرأةً ناضجةً، وكلا الأخوان أكبر من بران في الحقيقة، على الرغم من أن يوم ميلاده التَّاسع جاءَ أخيرًا ومضى، لكنهما لا يُعامِلانه كطفلٍ إطلاقًا.

قال: «ليتكما كنتما ربيبينا بدلًا من الوالدرين»، ثم بدأ يُكافح للزَّحف صوب أقرب شجرة، فكان من غير اللَّائق الاكتفاء بمراقَبته يجرُّ قدميه ويتلوَّى، لكن عندما تحرَّكت ميرا لترفعه، قال لها: «لا، لا تُساعِديني»، وتدحرجَ بحركةٍ خرقاء ودفعَ نفسه إلى الخلف معتمدًا على قوَّة ذراعيه، إلى أن جلسَ وظَهره إلى جذع شجرة دردار عالية، ثم قال وقد تمدَّد سَمر إلى جانبه ووضعَ رأسه في حِجره: «أرأيتِ؟ كما قلتُ لكِ»، ثم أردفَ وهو يحكُّ الذِّئب الرَّهيب بين الأذنين: «لم أعرف أحدًا يُقاتِل بشبكةٍ من قبل. هل علَّمكِ قيِّم السِّلاح في قلعتكم القتال بالشِّباك؟».

- «أبي علَّمني، فليس لدينا فُرسان في القلعة الرَّماديَّة، ولا قيِّم سلاح أو مِايستر».



- «ومَن يُعنى بغِدفانكم إذن؟».
أجابَت مبتسمةً: «الغِدفان لا تستطيع العثور على قلعة المياه الرَّماديَّة، تمامًا مِثل أعدائنا».
- «ولِمَ لا؟».
- «لأنها تتحرَّك».
لم يسمع بران من قبل قَطُّ بشيءٍ كقلعةٍ متحرِّكة، فرمقَها مرتابًا، وإن لم يستطِع أن يستَقرئ من ملامحها إن كانت تُعابِثه أم لا، فقال لها: «أتمنَّى أن أراها. هل تحسبين أن السيِّد والدكِ سيسمح لي بالزِّيارة بَعد الحرب؟».
- «أنت على الرَّحب والسِّعة يا سموَّ الأمير، حينها أو الآن».
ردَّد بران الذي أمضى حياته كلها في وينترفل ويتوق لرؤية البقاع البعيدة: «الآن؟ يُمكنني أن أسأل السير رودريك عندما يعود». كان الفارس العجوز قد ذهبَ شَرقًا، بغية أن يُحاول تصحيح الأوضاع المضطربة هناك، بَعد أن بدأ ابن رووس بولتون غير الشَّرعي المتاعب بالقبض على الليدي هورنوود فور عودتها من احتفال الحصاد، وتزوَّجا في اللَّيلة نفسها على الرغم من أنه في سِنِّ أولادها، ثم استولى اللورد ماندرلي على قلعتها، ليحمي أملاك عائلة هورنوود من آل بولتون كما زعمَ في رسالته، ومع ذلك قاربَت غضبة السير رودريك منه غضبته من النَّغل. «قد يَترُكني السير رودريك أذهب، أمَّا المِايستر لوين فلن يُوافِق أبدًا».
حدجَه چوچن ريد الجالس متقاطع السَّاقين تحت شجرة الويروود بنظرةٍ مكفهرَّة، وقال: «من الخير أن تُغادِر وينترفل يا بران».
- «حقًّا؟».
- «نعم، وعاجلًا قبل آجلًا».
قالت ميرا: «أخي يتمتَّع بالبصيرة الخضراء، يَحلُم بأشياء لم تَحدُث بعدُ، لكنها تتحقَّق أحيانًا».
بادرَها أخوها: «ليس هناك «أحيانًا» يا ميرا»، وتبادلَ الاثنان نظرةً تقاسمَت حُزنه وتحدِّيها.
قال بران: «أخبِرني بما سيَحدُث».



رَدَّ چوچن: «سأفعلُ إذا حكيت لي عن أحلامك».

خيَّم صمت مطبِق على أيكة الآلهة، فلم يسمع بران غير حفيف أوراق الأشجار وصوت المياه التي يَنثُرها هودور بعيدًا في الينابيع السَّاخنة، ووجدَ أفكاره تتَّجه إلى الرَّجل الذَّهبي والغُراب ذي الأعيُن الثَّلاث، متذكِّرًا العظام تنسحق بين فكَّيه ومذاق الدَّم النُّحاسي على لسانه، ثم إنه قال: «لستُ أحلم. المِايستر لوين يسقيني عقاقير النَّوم».

- «وهل تُساعِدك؟».

- «أحيانًا».

قالت ميرا: «وينترفل كلها تعرف أنك تصحو ليلًا تَصرُخ وتتصبَّب عَرقًا يا بران. النِّساء يتكلَّمن عند البئر، وكذا الحُرَّاس في قاعتهم».

وقال چوچن: «أخبِرنا بما يُخيفك إلى هذا الحَد».

- «لا أريدُ، ثم إنها مجرَّد أحلام على كلِّ حال. المِايستر لوين قال إن الأحلام قد تعني أيَّ شيء أو لا شيء على الإطلاق».

قالت ميرا: «أخي يرى أحلامًا عاديَّةً كغيره من الصِّبية، وتلك الأحلام قد تُفسَّر بأيِّ شكل، لكن الأحلام الخضراء مختلفة».

لچوچن عينان بلون الطُّحلب، وأحيانًا عندما يتطلَّع إليك، فإنه يبدو كأنه يرى شيئًا آخَر... مِثل الآن وهو يقول لبران: «رأيتُ في منامي ذئبًا مجنَّحًا مقيَّدًا إلى الأرض بأغلالٍ من الحجر الرَّمادي. كان حُلمًا أخضر، فعرفتُ أنه حقيقي. كان هناك غُرابٌ يُحاوِل تكسير الأغلال بمنقاره، إلَّا أن الحجر كان شديد الصَّلادة، فلم يستطِع المنقار غير أن يخدشه».

- «أكان للغُراب ثلاث أعيُن؟».

أومأَ چوچن برأسه إيجابًا، فرفعَ سَمر رأسه من حِجر بران، ورمقَ بعينيه الذَّهبيَّتين الدَّاكنتين ولد الأوحال الذي قال: «في طفولتي كدتُ أموتُ بحُمَّى المستنقعات، وعندئذٍ أتاني الغُراب».

اندفعَ بران يقول: «لقد أتاني بَعدما سقطتُ، وظللتُ غائبًا عن الوعي فترةً طويلةً. قال إن عليَّ أن أطير أو أموت، ثم استيقظتُ مكسورًا ولم أطِر على الإطلاق».



قالت ميرا: «يُمكنك أن تفعلها إذا أردت»، والتقطَت شبكتها وهزَّتها لتنحلَّ عُقدها الأخيرة، ثم بدأت تُسَوِّيها في طيَّاتٍ فضفاضة.

قال جوجن: «أنت الذِّئب المجنَّح يا بران. لم أكن متأكِّدًا في بداية مجيئنا، لكني متأكِّد الآن. الغُراب أرسلَنا إلى هنا لنُحَطِّم أغلالك».

- «أهو في القلعة الرَّماديَّة؟».

- «لا، الغُراب في الشَّمال».

- «على «الجِدار»؟». لطالما أرادَ بران أن يرى «الجِدار»، لا سيَّما أن أخاه النَّغل جون هناك الآن، رجل في حَرس اللَّيل.

أجابَت ميرا ريد وهي تُعَلِّق الشَّبكة في حزامها: «وراء «الجِدار». السيِّد والدنا أرسلَنا إلى وينترفل عندما أخبرَه جوجن بحُلمه».

سألَ بران: «كيف أحطِّمُ الأغلال يا جوجن؟».

- «افتح عينك».

- «إنهما مفتوحتان، ألا ترى؟».

أجابَ جوجن مشيرًا: «اثنتان فقط مفتوحتان. واحد، اثنان».

- «وأنا لا أملكُ غير اثنتين!».

قال جوجن بطريقة كلامه المتمهِّلة الرَّفيقة: «بل تملك ثلاثًا. الغُراب أعطاك العين الثَّالثة، لكنك تَرفُض أن تفتحها. بعينين ترى وجهي، وبثلاث يُمكنك أن ترى قلبي. بعينين ترى شجرة البلُّوط هذه، وبثلاث يُمكنك أن ترى الجوزة التي نمَت الشَّجرة منها والبقايا التي ستصيرها ذات يوم. بعينين لا ترى أبعد من أسوارك، وبثلاث يُمكنك أن تَنظُر جَنوبًا إلى بحر الصَّيف وشَمالًا إلى ما وراء «الجِدار»».

نهضَ سَمر، بينما ارتسمَت ابتسامة متوتِّرة على وجه بران وهو يقول: «لا أحتاجُ إلى النَّظر بعيدًا هكذا. لقد سئمتُ الكلام عن الغِربان. لنتكلَّم عن الذِّئاب، أو الأسود الزَّواحف. هل اصطدتِ أحدها من قبل يا ميرا؟ إنها لا تعيش في هذه الأنحاء».

التقطَت ميرا رُمح صيد الضَّفادع من بين الشُّجيرات مجيبةً: «تعيش في الماء، في النُّهيرات البطيئة والمستنقعات العميقة...».



قاطَعها أخوها سائلًا بران: «هل حلمت بأسدٍ زاحف؟».
- «كلا. قلتُ لك إنني لا أريدُ...».
- «هل حلمت بذئب؟».
قال بران وقد بدأ الغضب ينتابه: «لستُ مضطرًّا لأن أحكي لك عن أحلامي. إنني الأمير، ابن ستارك في وينترفل».
- «هل كان سَمر؟».
- «صمتًا!».
- «ليلة مأدبة الحصاد حلمت أنك سَمر في أيكة الآلهة، أليس كذلك؟».
صاحَ بران: «كفى!»، فانسلَّ سَمر تجاه شجرة الويروود وقد كشفَ أسنانه.
تجاهَله چوچن ريد، وتابعَ: «عندما لمستُ سَمر، شعرتُ بك في داخله، تمامًا مِثلما أنت في داخله الآن».
- «لم يكن بإمكانك أن تفعل، لأني كنتُ نائمًا في سريري».
- «كنت في أيكة الآلهة والرَّمادي يكتنفك».
- «كان مجرَّد حُلم سيِّئ...».
نهضَ چوچن قائلًا: «لقد شعرتُ بك، شعرتُ بك تَسقُط. أهذا ما يُخيفك؟ السُّقوط؟».
السُّقوط، والرَّجل الذَّهبي، شقيق الملكة، هو أيضًا يُخيفني، لكن السُّقوط يُخيفني أكثر. غير أن بران لم يَبُح بأفكاره، فكيف يستطيع؟ إنه لم يقوَ على إخبار السير رودريك أو المِايستر لوين حتى، ولا يستطيع أيضًا أن يُخبر الأخوين ريد. عساه ينسى إذا ظَلَّ لائذًا بالصَّمت، فهو لم يرغب في أن يتذكَّر إطلاقًا، وقد لا يكون ما يتذكَّره صحيحًا من الأساس.
سألَه چوچن بهدوء: «هل تَسقُط كلَّ ليلةٍ يا بران؟».
خرجَت من حَلق سَمر زمجرة غاضبة واطئة خالية تمامًا من حِسِّ اللَّعب، وتقدَّم مكشوف الأسنان متَّقد العينين، فتقدَّمت ميرا بدورها لتحول بين الذِّئب وأخيها رافعةً رُمحها، وقالت: «اجعله يتوقَّف يا بران».
- «چوچن يُثير غضبه».
فضَّت ميرا شبكتها، بينما قال أخوها: «إنه غضبك أنت يا بران، وخوفك».



- «كلا، أنا لستُ ذئبًا»، قال بران على الرغم من أنه كان يعوي مع الذِّئبين ليلًا وعرفَ طَعم الدَّم في أحلامه.

- «سَمر جزء منك، وأنت جزء منه. إنك تعرف هذا يا بران».

اندفعَ سَمر إلى الأمام مسرعًا، لكن ميرا سدَّت الطَّريق في وجهه ملوِّحةً برُمحها ثُلاثي الشُّعب، فانزلقَ الذِّئب جانبًا ودارَ متحيِّنًا فُرصة الهجوم، والتفتَت ميرا تُواجِهه قائلةً: «اجعله يرجع يا بران».

صاحَ بران: «سَمر! سَمر، إليَّ!»، وخبطَ براحة يده المفتوحة على لحم فخذه، فاستشعرَ وخزًا في يده، بينما لم تَشعُر ساقه الميتة بشيء.

انقضَّ الذِّئب الرَّهيب ثانيةً، وثانيةً اندفعَ رُمح ميرا، وتفاداه سَمر ودارَ متراجعًا، ثم صدرَ حفيف من وسط الشُّجيرات، وخرجَ جسم أسود رشيق من وراء شجرة الويروود كاشفًا أسنانه. كانت الرَّائحة قويَّةً، واشتمَّ أخوه غضبه. أحسَّ بران بالشُّعيرات تنتصب على مؤخِّرة عُنقه، وقد وقفَت ميرا إلى جوار أخيها وعلى جانبيهما الذِّئبان، وصاحَت: «بران، اجعلهما يرجعان!».

- «لا أستطيعُ!».

- «چوچن، تسلَّق الشَّجرة».

- «لا داعي. اليوم ليس يوم مماتي».

صرخَت فيه: «تسلَّق!»، فبدأ أخوها يصعد مستخدمًا ملامح الوجه المحفور كدعامات، وانقضَّ الذِّئبان معًا، فتخلَّت ميرا عن الشَّبكة والرُّمح، ووثبَت إلى أعلى متمسِّكةً بالغُصن الذي يعلوها، ليُطبِق فَكَّا شاجي على الهواء تحت كاحلها مباشرةً وهي تتأرجَح إلى أعلى لتقف فوق الغُصن. جلسَ سَمر على قائمتيه الخلفيَّتين وراحَ يعوي، بينما افترسَ شاجيدوج الشَّبكة ومزَّقها بأسنانه.

حينئذٍ فقط تذكَّر بران أنهم ليسوا وحدهم، فكوَّر يديه حول فمه صائحًا: «هودور! هودور! هودور!». كان يرتجف خوفًا، وبشكلٍ ما يحسُّ بالخزي أيضًا، فقال لصديقيه العالقيْن فوق الشَّجرة: «لن يمسَّا هودور بأذى».

مرَّت لحظات قليلة قبل أن يسمعوا دندنةً بلا لحن، وظهرَ هودور نِصف



عارٍ وملوَّث بوحل الينابيع السَّاخنة، لكن بران لم يَشعُر بمِثل هذا السُّرور لرؤيته من قبل، وقال: «هودور، ساعِدني، اطرُد الذِّئبين، اطرُدهما».

لبَّى هودور الأمر بمرحٍ وقد أخذَ يُلَوِّح بذراعيه ويدقُّ الأرض بقدميه صائحًا: «هودور، هودور»، بينما يجري نحو ذئبٍ ثم الثَّاني، فانسحبَ شاجيدوج أولًا وانسلَّ بين الشُّجيرات مطلقًا زمجرةً أخيرةً، ثم عندما اكتفى سَمر، عادَ إلى بران واستلقى إلى جواره.

اختطفَت ميرا شبكتها ورُمحها بمجرَّد أن لمسَت قدماها الأرض، أمَّا چوچِن فلم يرفع عينيه عن سَمر لحظةً، وقال لبران بنبرة من يقطع وعدًا: «سنتكلَّم ثانيةً».

لا يفهم حقًّا كيف تصرَّف الذِّئبان بهذا الهياج. هما من فعلا هذا وليس أنا. لعلَّ المِايستر لوين كان محقًّا عندما حبسَهما في أيكة الآلهة. قال: «هودور، خُذني إلى المِايستر لوين».

كان بُرجَ المِايستر الواقع تحت المِغدفة من أماكن بران المفضَّلة دائمًا، وعلى الرغم من أن لا أمل في تعلُّم لوين ترتيب حاجياته، فمنظر الكُتب واللَّفائف والقوارير المكوَّمة بلا نظام يظلُّ مألوفًا ومريحًا لبران، تمامًا كالبُقعة الصَّلعاء على رأس المِايستر وكُمَّي ثوبه الرَّمادي الفضفاض، كما أن الصَّبي يُحِبُّ الغِدفان أيضًا.

وجدَ لوين جالسًا على كرسي مرتفع ويَكتُب، ففي غياب السير رودريك وقعَ عبء حُكمِ القلعة بأكملها على عاتقه. قال عندما دخلَ هودور: «سمو الأمير، جئت مبكرًا إلى دروسك اليوم». جرَت العادة على أن يقضي المِايستر عدَّة ساعاتٍ كلَّ يومٍ بَعد الظُّهر في تعليم بران وريكون والصَّبيَّين والدر فراي.

قال بران: «هودور، قِف ثابتًا»، ثم تمسَّك بشمعدان مثبَّت إلى الحائط بكلتا يديه، واعتمدَ عليه ليسحب نفسه إلى أعلى وخارج السلَّة، ثم تدلَّى من ذراعيه في الهواء لحظةً، قبل أن يحمله هودور ويضعه في أحد الكراسي، حيث جلسَ وقال: «ميرا تقول إن أخاها يتمتَّع بالبصيرة الخضراء».

حَكَّ المِايستر لوين جانب أنفه بريشة الكتابة قائلًا: «حقًّا؟».



أومأَ برأسه إيجابًا، وقال: «أذكرُ أنك أخبرتَني بأن أطفال الغابة كانوا يتمتَّعون بها».

- «البعض يَزعُم أنهم كانوا يملكون تلك القُدرة، وكان حُكماؤهم يُسَمُّون الأنبياء الخُضر».

- «أكان هذا سِحرًا؟».

- «يُمكنك أن تُسَمِّيه سِحرًا لافتقارنا لتعبيرٍ أفضل، لكنه كان مجرَّد ضربٍ مختلف من المعرفة في جوهره».

- «وماذا كان؟».

وضعَ المِايستر لوين ريشته، وأجابَ: «لا أحد يعرف على وجه اليقين يا بران، فقد غابَ الأطفال من العالم، وغابَت معهم حكمتهم. نعتقد أن للأمر علاقة ما بالوجوه المحفورة على الأشجار، وقد آمنَ البَشر الأوائل بأن الأنبياء الخُضر كانوا يستطيعون النَّظر من خلال عيون أشجار الويروود، ولهذا السَّبب قطعوها متى خاضوا معركةً من أطفال الغابة. يُعتقَد أيضًا أن الأنبياء الخُضر كانوا يملكون سُلطانًا على حيوانات الغاب وطيور الشَّجر، وحتى الأسماك. هل يدَّعي ابن ريد امتلاكه شيئًا من تلك القُوى؟».

- «لا، لا أظنُّ، لكن ميرا تقول إنه يرى أحلامًا تتحقَّق أحيانًا».

- «كلنا نَحلُم بأشياء تتحقَّق أحيانًا. أنت نفسك حلمت بالسيِّد والدك في السَّراديب قبل أن يَبلُغنا خبر موته، أتَذكُر؟».

- «وريكون كذلك، كلانا رأى الحُلم ذاته».

- «اعتبِرها البصيرة الخضراء إذا أردت... لكن تذكَّر أيضًا عشرات الآلاف من الأحلام الأخرى التي رأيتها أنت وريكون ولم تتحقَّق. هل تَذكُر ما علَّمتك إياه عن طوق الحلقات الذي يرتديه كلُّ مِايستر؟».

فكَّر بران برهةً محاولًا التذكُّر، ثم أجابَ: «المِايستر يُكَوِّن حلقات سلسلته في قلعة البلدة القديمة، وهي سلسلة لأنك تُقسِم على الخدمة، ومصنوعة من معادن مختلفة لأنك تخدم البلاد، والبلاد فيها مختلف أنواع النَّاس، وكلما تعلَّمت شيئًا جديدًا تُضيف حلقةً؛ الحديد الأسود لفَنِّ الغدفنة، والفضَّة للعلاج، والذَّهب للحسابات والأرقام... لا أذكرُها كلها».



دَسَّ لوين إصبعًا تحت سلسلته وبدأ يُدَوِّرها بوصةً بوصةً حول عُنقه الثَّخين مقارنةً بجسده الصَّغير، لكنه سرعان ما دوَّرها بالكامل، وقال عندما تدلَّت حلقة مصنوعة من معدنٍ رماديٍّ داكن فوق تُفَّاحة حَلقه: «هذا فولاذ ڤاليري. مِايستر واحد من كلِّ مئةٍ يضع حلقةً كهذه، تُشير إلى أني درستُ ما يُسَمُّونه «الغوامض العُليا» في «القلعة»، أي السِّحر لعدم وجود مصطلح أوفى. إنه مسعى مشوِّق حقًّا، لكن محدود الفائدة، ولهذا السَّبب يُجَشِّم عددٌ قليل جدًّا من المِايسترات نفسه عناء الاهتمام به. كلُّ مَن يدرسون الغوامض العُليا يُجَرِّبون التَّعامُل مع التَّعاويذ عاجلًا أم آجلًا، ويجب أن أعترف بأني استسلمتُ لهذا الإغراء، لكني كنتُ صبيًّا، وأيُّ صبيٍّ لا يتمنَّى سِرًّا أن يكتشف قُوى خفيَّةً في نفسه؟ على أن جهودي لم تُثمِر أكثر مما أثمرَت جهود ألفِ قبلي وألفِ غيرهم منذ ذلك الحين. يُؤسِفني أن أقول إن السِّحر لا يعمل».

قال بران معترضًا: «إنه يعمل أحيانًا. لقد رأيتُ ذلك الحُلم، وريكون أيضًا، كما أن هناك سحَرة ومشعوذين في الشَّرق...».

قال المِايستر لوين: «هناك مَن يُسَمُّون أنفسهم سحَرةً ومشعوذين. كان لديَّ صديق في «القلعة» يستطيع أن يُخرِج وردةً من أُذنك، لكنه لم يكن يتمتَّع بأيِّ قُدراتٍ سِحريَّة. أوه، بالتَّأكيد هناك الكثير مما لا نفهمه، فالسِّنون تمرُّ بالمئات والآلاف، وماذا يرى الإنسان من الحياة غير بضع أصيافٍ وأشتية؟ إننا نتطلَّع إلى الجبال ونقول إنها أبديَّة خالدة، وهكذا تبدو بالفعل... لكن في مجرى الزَّمن ترتفع الجبال وتَسقُط، وتُغَيِّر الأنهار مجاريها، وتهوي النُّجوم من السَّماء، وتغرق المُدن العُظمى في أعماق البحار، وحتى الآلهة تموت حسبما نعتقد. لا شيء يبقى على حاله أبدًا. لعلَّ السِّحر كان من القُوى الخارقة التي عرفَها العالم في الماضي، لكنه لم يَعُد كذلك، وما تبقَّى منه ليس أكثر من خيط الدُّخان الذي يظلُّ في الهواء بَعدما يهمد الحريق العظيم، وحتى هذا الخيط باهت الآن. ڤاليريا كانت الجمرة الأخيرة، وڤاليريا هلكَت، والتَّنانين انقرضَت، وماتَ العمالقة، وراحَ أطفال الغابة في غياهب النِّسيان بكلِّ معارفهم. لا يا سموَّ الأمير، ربما رأى چوچن ريد حُلمًا أو اثنين يُصَدِّق أنهما تحقَّقا، لكنه لا يتمتَّع بالبصيرة الخضراء، ولا رجل حيًّا لديه هذه القُدرة».



كان هذا ما أعادَه بران على مسامع ميرا ريد عندما جاءَته عند الغَسق، إذ جلسَ على مقعده المجاور للنَّافذة يتفرَّج على أضواء القلعة والحياة تنبعث فيها، ثم قال لها: «آسفٌ لما حدثَ مع الذئبين. لم يكن ينبغي لسَمر أن يُحاوِل إيذاء چوچن، لكن لم يكن يَجدُر بچوچن أن يقول كلَّ ما قاله عن أحلامي. لقد كذبَ الغُراب عندما قال إنني سأطيرُ، وأخوكِ كذبَ كذلك».

- «أو لعلَّ مِايستركَ مخطئ».

- «كلا. أبي نفسه كان يعتمد على نصيحته».

- «ليس لديَّ شَكٌّ في أن أباك كان يُصغي إليه، لكنه اتَّخذ قراراته بنفسه في النِّهاية. بران، هل تسمح بأن أحكي لك حُلمًا لچوچن رآك فيه مع أخويك بالتَّربية؟».

- «الوالدران ليسا أخويَّ».

لم تُعِر تعليقه انتباهًا، وقالت: «كنت جالسًا تتناوَل العَشاء، لكن المِايستر لوين قدَّم لك طعامك بدلًا من أحد الخدم، نصيب الملك من الشِّواء، لكن اللَّحم كان نيئًا وداميًا، وإنما شهي الرَّائحة لدرجةٍ أسالَت لُعاب الجميع، بينما كان اللَّحم الذي قدَّمه لولديٍّ فراي قديمًا ورماديًّا وميتًا، وعلى الرغم من ذلك راقَهم طعامهم أكثر مما راقَك طعامك».

- «لستُ أفهمُ».

- «أخي يقول إنك ستفعل، وعندها سنتكلَّم ثانيةً».

شعرَ بران بالتوجُّس من الجلوس إلى العَشاء ليلتها، لكنهم قدَّموا له فطير الحمام الذي قدَّموه للجميع، ولم يرَ عيبًا في نصيب الوالدرين من الطَّعام، فقال لنفسه: المِايستر لوين على حق. لا شيء سيِّئًا سيأتي إلى وينترفل مهما قال چوچن، ما أشعرَ بران بالرَّاحة... وبخيبة الأمل أيضًا، فما دامَ هناك سِحر فكلُّ شيءٍ ممكن، أشباح تمشي على الأرض، أشجار تتكلَّم... ويُمكن أن يَكبُر صبيٌّ مكسور ليُصبِح فارسًا. «لكن ليس هناك سِحر»، حدَّث نفسه بصوتٍ عالٍ في ظُلمة غُرفته. «ليس هناك سُحر، والقِصص مجرَّد قِصص».

ولن يمشي بران أبدًا، ولن يطير، ولن يكون فارسًا.





تيريون

كان البساط شائكًا تحت قدمي تيريون الحافيتين وهو يقول لپودريك پاين، الذي أتاه نِصف نائم، ومتوقِّعًا لا شَكَّ أن يشويه حيًّا لإيقاظه: «ساعة غريبة يختارَها ابن عمِّي للزِّيارة. اصحبه إلى غُرفتي الشَّمسيَّة وقُل له إنني سأنزلُ بَعد قليل».

خمَّن من السَّواد السَّائد خارج النَّافذة أن الوقت تجاوزَ منتصَف اللَّيل بكثير، وقال لنفسه متسائلًا: هل يُفَكِّر لانسل أنه سيجدني نعسانًا بطيء البديهة في هذه السَّاعة؟ كلا، لانسل يكاد لا يُفَكِّر أبدًا. سرسي هي التي وراء هذا. لكن أخته ستُصاب بالإحباط، فتيريون يعمل -حتى وهو في الفِراش- إلى الصَّباح الباكر؛ يقرأ على ضوء الشُّموع المتذبذب، ويُدَقِّق في تقارير جواسيس ڤارس، ويُراجِع دفاتر حسابات الإصبع الصَّغير، إلى أن تتشوَّش الأعمدة والسُّطور أمام عينيه الموجوعتين.

رَشَّ وجهه بالقليل من الماء الفاتر من الحوض المجاور لسريره، ثم استغرقَ وقته وقد قرفصَ في بيت الرَّاحة شاعرًا بهواء اللَّيل البارد على جِلده. السير لانسل في السادسة عشر من العُمر، وليس معروفًا بتمتُّعه بفضيلة الصَّبر. فلينتظر إذن وينمو توتُّره مع طول الانتظار. بَعدما أفرغَ أمعاءه، ارتدى تيريون معطف النَّوم ونفشَ شَعره الكتَّاني الخفيف بأصابعه، ليبدو أكثر وأكثر كأنه أوقِظَ من نومه.

كان لانسل يتحرَّك جيئةً وذهابًا بعصبيَّةٍ أمام رماد المستوقَد، وقد ارتدى سُترةً من المخمل الأحمر، يَبرُز من تحت كُمَّيها المُشَرَّطين كُمَّان آخَران من



الحرير الأسود، بينما تدلَّى من حزام سيفه غِمد مذهَّب فيه خنجر مقبضه مطعَّم بالجواهر. حيَّاه تيريون قائلًا: «أهلًا يا ابن العم. زياراتك قليلة حقًّا. لأيِّ شيءٍ أدينُ بهذه البهجة غير المستحَقَّة؟».

أجابَ السير لانسل: «جلالة الملكة الوصيَّة على العرش أرسلَتني لآمُرك بالإفراج عن المِايستر الأكبر پايسل»، وعرضَ على تيريون شريطًا قرمزيًّا يحمل خَتم سرسي، الأسد المطبوع في الشَّمع الذَّهبي، وأضافَ: «ها هو تفويضها».

لوَّح تيريون بيده دلالةً على عدم اكتراثه بالاطِّلاع على التَّفويض، وقال: «بالتَّأكيد. آملُ أن أختي لا تُجهِد نفسها أكثر من اللَّازم بَعد وعكتها. سيكون مؤسفًا حقًّا أن تُصاب بانتكاسة».

قال السير لانسل باقتضاب: «جلالتها تعافَت تمامًا».

- «خبر له وقْع الموسيقى على أُذنيَّ». مع أني لستُ مغرمًا بهذا اللَّحن. كان عليَّ أن أضع لها جرعةً أكبر. كان تيريون يأمل في قضاء بضعة أيام إضافيَّة دون تدخُّل سرسي، لكن استردادها صحَّتها بهذه السُّرعة لم يُدهِشه كثيرًا، فهي توأمة چايمي في النِّهاية. رسمَ ابتسامةً كيِّسةً على وجهه، وقال: «أشعِل لنا نارًا يا پود، فالهواء بارد للغاية. هلَّا احتسيت كأسًا معي يا لانسل؟ النَّبيذ المتبَّل يُساعِد على النَّوم».

أجابَ لانسل: «لا أحتاجُ مساعدةً لأنام. لقد جئتُ لتبليغ رسالةٍ نيابةً عن جلالتها، لا لأشرب معك أيها العِفريت».

فكَّر تيريون أن الفُروسيَّة أصابَت الصَّبي بالجرأة، بالإضافة إلى الدَّور البائس الذي لعبَه في اغتيال الملك روبرت، ثم إنه ابتسمَ قائلًا وهو يصبُّ: «النَّبيذ له أخطاره... بالنِّسبة للمِايستر الأكبر پايسل، فأعتقدُ أن أختي الجميلة كانت لتأتيني بنفسها لو أنها قلقة عليه حقًّا، لكن ها هي تُرسِلك أنت، فماذا أستنتجُ من هذا؟».

- «استنتِج ما شِئت ما دُمت ستُطلِق سراح السَّجين. المِايستر الأكبر صديق وفي للملكة الوصيَّة على العرش، وتحت حمايتها شخصيًّا»، وتراقصَت لمحة من الاستهزاء على شفتي الصَّبي تشي باستمتاعه، ما جعلَ تيريون يقول



لنفسه: إنه يتلقَّى دروسه من سرسي، بينما تابعَ لانسل: «جلالتها لن تُوافِق أبدًا على هذا الاعتداء، وتُذَكِّرك بأنها هي الوصيَّة على چوفري».

- «كما أني يد چوفري».

رَدَّ الفارس الشَّاب بلا مبالاة: «اليد يخدم، أمَّا الوصيُّ فيَحكُم حتى يَبلُغ الملك».

قال تيريون: «ربما يَجدُر بك أن تُدَوِّن هذا كي أتذكَّره لاحقًا». كانت النَّار تُطَقطِق بمرح في المستوقَد، فالتفتَ إلى مُرافِقه قائلًا: «يُمكنك أن تَترُكنا الآن يا پود»، ولمَّا خرجَ الصَّبي عادَ إلى لانسل وسأَلَه: «أهناك المزيد؟».

- «نعم. جلالتها طلبَت مني إبلاغك بأن السير چاسلين بايووتر عصى أمرًا باسم الملك».

ما يعني أن سرسي أمرَت بايووتر بإطلاق سراح پايسل بالفعل، فرفضَ أن يُلَبِّي. «مفهوم».

- «إنها تصرُّ أن يُعزَل الرَّجل من منصبه ويوضَع رهن الاعتقال بتهمة الخيانة، وأحذِّرك أن...».

قاطَعه تيريون منحِّيًا كأسه جانبًا: «لن أقبل منك أيَّ تحذيرات يا ولد».

قال لانسل بجمود: «قُل «أيها الفارس»»، ومَسَّ سيفه، ربما ليُذَكِّر تيريون بأنه يحمل واحدًا، وتابعَ: «احذر كيف تُخاطِبني أيها العِفريت». لا شَكَّ أنه يقصد أن يبدو مهدِّدًا، لكن شاربه الخفيف السَّخيف أفسدَ التَّأثير.

- «أوه، اترُك السَّيف. صيحة واحدة مني ويقتحم شاجا المكان ليَقتُلك، بفأس وليس قِربة نبيذ».

احتقنَ وجه لانسل. أهو أبله لدرجة أن يُصَدِّق أن دوره في موت روبرت مَرَّ مرور الكرام؟ بدأ يقول: «إنني فارس...».

لكن تيريون بادَره مقاطعًا: «هذا ما سمعته. أخبِرني، هل أنعمَت سرسي عليك بالفُروسيَّة قبل أن تأخذك إلى فِراشها أم بَعدها؟». الاضطراب في نظرة لانسل كان كلَّ الاعتراف الذي احتاجَه تيريون لأن يتأكَّد من أن ما قاله ڤارس حقيقي. على الأقل لا أحد يُمكنه أن يدَّعي أن أختي لا تُحِبُّ عائلتها. «ماذا؟ أليس لديك ما تقوله؟ لا تحذيرات أخرى لي... أيها الفارس؟».



- «ستسحب هذه الاتِّهامات القذرة، وإلَّا ...».

- «صَهٍ. هل فكَّرت مرَّةً فيما سيفعله چوفري عندما أُخبره أنك قتلت أباه لتُضاجِع أمَّه؟».

صاحَ لانسل مرتعبًا: «ليس هذا ما حدثَ!».

- «حقًّا؟ ما الذي حدثَ إذن؟».

- «الملكة هي من أعطَتني النَّبيذ القوي! أبوك اللورد تايوين قال لي بنفسه يوم تعييني مُرافِقًا للملك أن أطيعها في كلِّ شيء».

- «وهل قال لك أن تنكحها كذلك؟». انظُر إليه، ليس طويلًا أو وسيم الملامح لهذه الدَّرجة، وشَعره يُشبه الرَّمل لا الذَّهب المغزول، ومع ذلك... حتى هذه النُّسخة الرَّديئة من چايمي أفضل من الفِراش الخالي على ما أعتقدُ. «لا، لا أظنُّ أنه قالها».

- «لم أقصد قَطُّ أن... لقد فعلتُ كما أُمِرتُ... إنني...».

- «تكره كلَّ لحظةٍ من كلِّ هذا، أليس كذلك؟ أهذا ما تُريدني أن أصدِّقه؟ المكان العالي في البلاط، الفُروسية، وأختي تفتح لك ساقيها كلَّ ليلة... أوه، حقًّا، لا ريب أنك تُعاني أيما معاناة!»، ثم نهضَ تيريون قائلًا: «انتظر هنا. لا بُدَّ أن جلالته سيرغب في سماع هذا».

تسرَّب آخِر ما تبقَّى في لانسل من تحدٍّ في الحال، وهوى الفارس الشَّاب على رُكبتيه وقد استحال صبيًّا راجفًا، وقال بضراعة: «الرَّحمة يا سيِّدي، أتوسَّلُ إليك».

- «وفِّر التوسُّلات لچوفري، فهو يُحِبُّها حقًّا».

- «سيِّدي، كان هذا أمر أختك الملكة كما قلت أنت، لكن جلالته... إنه لن يتفهَّم أبدًا...».

- «هل تُريدني أن أكتم الحقيقة عن الملك؟».

- «من أجل خاطر أبي! سأغادرُ المدينة وكأن شيئًا لم يكن! أقسمُ أنني سأنهي...».

كان عصيًّا على تيريون ألَّا يضحك لحظتها وهو يقول: «لا، لا أظنُّ».

بدا الصَّبي حائرًا، وقال: «سيِّدي؟».



- «كما سمعتني. أبي قال لك أن تُطيع أختي؟ ليكن إذن، أطِعها، ابقَ إلى جانبها وحافظ على ثقتها ومتِّعها كلما أرادَت. لن يعرف أحد أبدًا... ما دُمت ملتزمًا بإخلاصك لي. أريدُ أن أعرف ما تفعله سرسي، أين تذهب، مَنِ تُقابِل، عمَّ يتكلَّمون، الخُطط التي تُضمِرها، كلَّ شيء، وأنت ستُخبِرني بكل شيء، أليس كذلك؟».

أجابَ لانسل دون لحظة تردُّدٍ واحدة، الشَّيء الذي راقَ تيريون: «بلى يا سيِّدي، أقسمُ لك، كما تأمر».

قال تيريون: «انهض»، وملأَ كأسًا ثانيةً بالنَّبيذ ودَسَّها بين يدي لانسل مواصلًا: «اشرب نخب تفاهُمنا. تأكَّد أن لا خنازير برِّيَّة موجودة في القلعة على حَدِّ علمي»، فرفعَ الصَّبي الكأس ورشفَ منها، وإن على مضض، بينما تابعَ تيريون: «ابتسم يا ابن العم، فأختي امرأة جميلة، وكلُّ هذا في صالح البلاد. يُمكنك أن تستفيد كثيرًا من الموقف، فالفُروسية شيء لا يُذكَر، وإذا تصرَّفت بذكاء، ستنال اللورديَّة مني قبل أن ينتهي عملك»، ودوَّر النَّبيذ في كأسه مكملًا: «نُريد أن تثق بك سرسي تمامًا. عُد لها وأخبِرها أني أطلبُ منها الصَّفح، قُل لها إنك أخفتَني وإني لا أريدُ أيَّ خلافاتٍ بيننا، وإنني لن أفعل شيئًا دون موافقتها من الآن فصاعدًا».

- «لكن... مطالبها...».

- «أوه، سأعطيها پايسل».

لاحَت الدَّهشة على لانسل وهو يقول: «حقًّا؟».

أجابَ تيريون مبتسمًا: «سأفرجُ عنه غدًا. يُمكنني أن أقسم أني لم ألمس شعرةً من رأسه، لكن ذلك لن يكون صحيحًا تمامًا. إنه في حالٍ لا بأس بها عمومًا، وإن كنتُ لا أزعمُ تمتُّعه بالحيويَّة، فالزَّنازين السَّوداء ليست بالمكان الصحِّي لرجلٍ في سِنِّه. فلتحتفظ به سرسي حيوانًا أليفًا لها أو تُرسِله إلى «الجِدار»، لا أُبالي، لكني لا أريده في المجلس».

- «والسير چاسلين؟».

- «قُل لأختي إنك واثق بقُدرتك على استمالته بعيدًا عني مع الوقت. من شأن هذا أن يجعلها تبقى قانعةً فترةً».



قال لانسل: «كما تقول»، وأنهى نبيذه.

- «ثمَّة شيء أخير. مع موت الملك روبرت، سيكون الحرج عظيمًا إذا انتفخَ بطن أرملته بطفل».

قال الصَّبي متلعثمًا: «سيِّدي، إنني... نحن... الملكة أمرَتني بألَّا...»، واكتسبَت أُذناه لون لانستر القرمزي وهو يُتابِع: «إنني أفرغُ نُطفتي على بطنها يا سيِّدي».

- «وليس لديَّ شَكٌّ في جَمال بطنها. رطِّبه كما وكلما شئت... لكن احرِص على عدم إراقة سائلك في أيِّ مكانٍ آخَر، فلستُ أريدُ المزيد من أولاد الأخت، مفهوم؟».

حنى السير لانسل رأسه بجمود، واستأذنَ بالانصراف.

سمحَ تيريون لنفسه بالشُّعور بالشَّفقة على الصَّبي وهلةً وهو يُفكِّر: أحمق آخَر، وضعيف كذلك، لكنه لا يستحقُّ ما نفعله به أنا وسرسي. من الرَّحمة أن لعمِّه كيفان ابنين آخَرين، فليس من المحتمَل أن يظلَّ هذا الابن حيًّا حتى نهاية العام. سوف تَقتُله سرسي في التَّوِّ واللَّحظة إذا علمَت أنه يخونها، وإذا لم يَحدُث ذلك بسبب عنايةٍ إلهيَّةٍ ما، فلن يعيش لانسل يومًا بَعد رجوع چايمي إلى كينجز لاندنج. السؤال إن كان چايمي سيَقتُله في نوبة الغيرة الغاضبة، أم ستسبقه سرسي لتحول دون معرفة چايمي بما كانت تفعله في غيابه. رهان تيريون على سرسي.

انتابَته حالة من الضَّجر، فأدركَ أنه لن يَخلُد إلى النَّوم اللَّيلة. ليس هنا على الأقل. وجدَ پودريك پاين نائمًا على كرسيٍّ خارج الباب، فهَزَّه من كتفه قائلًا: «استدعِ برون، ثم اجرِ إلى الاسطبلات وجهِّز حصانين».

ردَّدَ المُرافِق بعينين عليهما غمامة النَّوم: «حصانين».

- «تلك الحيوانات البنِّيَّة الكبيرة التي تُحِبُّ التُّفَّاح، أنا واثق بأنك رأيتها من قبل، أربع سيقان وذيل... لكن برون أولًا».

لم يمضِ وقت طويل قبل ظهور المرتزِق، الذي قال لتيريون: «من بالَ في حسائك وكدَّرك هكذا؟».



- «سرسي كالمعتاد. كنتُ أحسبني اعتدتُ الطَّعم، لكن لا عليك بهذا. يبدو أن أختي الرَّقيقة تحسبني ند ستارك».

- «سمعتُ أنه كان أطول منك».

- «ليس بَعد أن بترَ جوف رأسه. كان حريًّا بك أن ترتدي ثيابًا أثقل، فاللَّيلة باردة».

- «أنحن ذاهبان إلى مكانٍ ما؟».

- «أكلُّ المرتزِقة بذكائك؟».

على الرغم من المخاطر التي تحفُّ شوارع المدينة، شعرَ تيريون بالأمان في وجود برون. أخرجَهما الحُرَّاس من بوَّابةٍ جانبيَّة في السُّور الشَّمالي، ومن هناك قطعا الدَّرب المظلَّل بحصانيهما حتى سفح تَلِّ إجون العالي، ثم اتَّجها إلى زُقاق الخنازير، حيث مرَّا بصفوفٍ من النَّوافذ المغطَّاة بالسَّتائر، والمباني الطَّويلة المبنيَّة بالخشب والحجارة، التي تميل طوابقها العُليا فوق الشَّارع بزوايا حادَّة تجعلها تلوح كأنها على وشك تبادُل القُبلات. بدا أن القمر يتبعهما أينما ذهبا، يختلس النَّظر إليهما ثم يتوارى وراء مدخنة، وهكذا دواليك، بينما لم يُصادِفا أحدًا باستثناء عجوزٍ شمطاء وحيدة تحمل قِطَّةً ميتةً من ذيلها، رمقَتهما بنظرةٍ خائفة، كأنها تخشى أن يُحاوِلا سرقة عشائها، ثم انسلَّت وسط الظِّلال بلا كلمةٍ واحدة.

أجالَ تيريون فِكره في الرَّجلين اللذين شغلا منصب يد الملك قبله، واللذين أثبتا أنهما لا يُدانِيان سرسي في الكيد. وكيف يُمكنهما مُباراتها؟ رجال كهذين الاثنين... إنهم أشرف من أن يعيشوا وأنبل من أن يُخادِعوا، وسرسي تلتهم أمثال أولئك الحمقى على الإفطار يوميًّا. السَّبيل الوحيد لهزيمة أختي أن تلعب لُعبتها، الشَّيء الذي رفضَ اللوردان ستارك وآرن أن يفعلاه تمامًا. لا عجبٍ أن كليهما ميت الآن، بينما لم يَشعُر تيريون لانستر بالحياة هكذا من قبل قَطُّ. قد تجعله ساقاه ناقصتا النُّمو يبدو كفقرة تسليةٍ في احتفال الحصاد، لكن هذه هي الرَّقصة التي يُجيدها.

كان الماخور مزدحمًا على الرغم من تأخُّر السَّاعة، وحيَّتهما شاتايا ببشاشةٍ واصطحبَتهما إلى القاعة العامَّة. صعدَ برون إلى الطَّابق العُلوي مع فتاةٍ داكنة



العينين من دورن، لكن ألايايا كانت منشغلةً مع أحد الزَّبائن، فقالت شاتايا: «ستُسَرُّ كثيرًا عندما تعرف أنك أتيت. سأحرِصُ على تجهيز غُرفة البُرج لك. هل يرغب سيِّدي في كأسٍ من النَّبيذ بينما ينتظر؟».

- «نعم».

وجدَ النَّبيذ رديئًا مقارنةً بخمور «الكرمة» المعتَّقة التي يُقَدِّمها المكان عادةً، فقالت شاتايا: «سامِحنا يا سيِّدي، لكني لا أستطيعُ العثور على نبيذٍ طيِّب بأيِّ سعر مؤخَّرًا».

- «أخشى أنكِ لستِ الوحيدة».

تبادلَت شاتايا معه بضع عبارات الشَّكوى والمواساة التَّقليديَّة، ثم استأذنَت وابتعدَت، وفكَّر تيريون وهو يُراقِبها تذهب: امرأة حسناء. لم يرَ من قبل أناقةً ورُقِيًّا كهذين في عاهرة، وإن كانت هي ترى نفسها راهبةً ما. لعلَّ هذا هو السِّر، العبرة ليست بما نفعله، وإنما بالسَّبب الذي نفعله من أجله. بشكلٍ ما بَثَّ فيه هذا الخاطر الرَّاحة.

كان عدد من مُرتادي المكان الآخَرين يحدجونه بنظراتٍ جانبيَّة. آخِر مرَّةٍ غامرَ فيها بالخروج، بصقَ رجل عليه... أو أنه حاولَ، لكن البصقة حطَّت على برون بدلًا منه، وفي المستقبَل سيَبصُق الرَّجل بلا أسنان.

- «أيَشعُر سيِّدي بأنه منبوذ؟»، قالت دانسي وهي تجلس في حِجره، وعضعضَت أُذنه مضيفةً: «لديَّ علاج لهذا».

هَزَّ تيريون رأسه مبتسمًا، وقال: «أنتِ أجمل من أن توصَفي بكلماتٍ يا حُلوتي، لكني صرتُ مولعًا بعلاج ألايايا».

- «لكنك لم تُجَرِّب علاجي. سيِّدي لا يختار أحدًا أبدًا غير يايا. إنها بارعة، لكني أبرع. ألا تُريد أن ترى؟».

- «المرَّة القادمة ربما». ليس لدى تيريون شَكٌّ في أن دانسي ستكون شديدة الإمتاع، فهي مرنة وذات أنفٍ أفطس، وعلى وجهها نمش، وتتمتَّع بشَعرٍ أحمر كثيف ينسدل إلى ما بَعد خصرها... لكن شِاي تنتظره في إيوانها. ضاحكةً، وضعَت يدها بين ساقيه واعتصرَت من فوق السَّراويل قائلةً:



«لا أظنُّه يرغب في الانتظار حتى المرَّة القادمة. أعتقدُ أنه يُريد أن يَخرُج ويعدَّ نمشاتي».

– «دانسي»، قالت ألايايا التي وقفَت في المدخل ببشرتها الدَّاكنة وملامحها الهادئة، وقد ارتدَت الحرير الأخضر الشفَّاف. «حضرة اللورد أتى لزيارتي أنا».

خلَّص تيريون نفسه برفقٍ من الفتاة الأخرى ونهضَ، ولم يبدُ على دانسي أنها تُمانع، وإن قالت مذكِّرةً: «المرَّة القادمة»، ووضعَت إصبعًا في فمها ومصَّته.

قالت الفتاة سوداء البشرة ريثما قادَته على السَّلالم: «مسكينة دانسي. أمامها أسبوعان ليختارها سيِّدي، وإلَّا ستخسر رهانها مع ماريي وتُعطيها لآلئها السَّوداء».

ماريي تلك فتاة هادئة رقيقة شاحبة الملامح سبقَ أن لاحظَها تيريون مرَّةً أو اثنتين، خضراء العينين وبشرتها كالپورسلين، وشَعرها الشَّبيه بالفضَّة طويل مسترسل، رائعة الجمال حقًّا، لكن شديدة الكآبة. قال: «أكرهُ أن تخسر المسكينة لآلئها بسببي».

– «خُذها إلى الطَّابق العُلوي المرَّة القادمة إذن».

– «قد أفعلُ».

ابتسمَت قائلةً: «لا أظنُّ يا سيِّدي».

إنها محقَّة، لن أفعل. قد تكون شِاي مجرَّد عاهرة، لكني مخلصٌ لها بشكلٍ ما.

في غُرفة البُرج، وهو يفتح باب الصُّوان، التفتَ إلى ألايايا وسألَها بفضول: «ماذا تفعلين في غيابي؟».

رفعَت ذراعيها وتمطَّت كهرَّةٍ سوداء رشيقة، وأجابَت: «أنامُ. إنني أنالُ راحةً كافيةً منذ بدأت زيارتنا يا سيِّدي، كما أن ماريي تُعَلِّمنا القراءة، وقد أتمكَّنُ قريبًا من تزجية الوقت بكتاب».

قال: «النَّوم جيِّد، والكُتب أفضل»، ثم قبَّلها سريعًا على وجنتها، قبل أن ينزل البئر ويقطع النَّفق.



بينما خرجَ تيريون من الاسطبل على حصانه الأرقط، تناهَت إلى مسامعه أنغام الموسيقى الطَّافية في الهواء فوق أسطُح المباني، وكان من السَّار أن يُفَكِّر أن النَّاس ما زالوا يُغَنُّون، حتى في وسط المذابح والمجاعة. أفعمَت عقله الألحان المتدفِّقة في ذاكرته، ومرَّت لحظة كادَ يستطيع فيها أن يسمع تايشا إذ غنَّت له منذ نِصف عُمر، ولمَّا جذبَ عِنان الحصان ليُوقِفه، وجدَ اللَّحن غير صحيح، والكلمات أبعد من أن يُمَيِّزها. إنها أغنيَّة أخرى. ولِمَ لا؟ من البداية إلى النِّهاية وتايشا البريئة العذبة محض كذبة، مجرَّد عاهرةٍ استأجرَها أخوه چايمي لتصنع منه رجلًا.

إنني حُرٌّ من تايشا الآن. لقد لاحقَتني ذِكراها نصف حياتي، لكني لم أعُد أحتاجها، تمامًا كما لا أحتاجُ ألايايا أو دانسي أو ماريي، أو المئات من أمثالهن اللائي عاشرتهن على مَرِّ السِّنين. إن لديَّ شِاي الآن، شِاي.

كانت أبواب الإيوان مغلقةً وموصدةً، ودَقَّ تيريون حتى انفتحَت الكوَّة البرونزيَّة المنمَّقة، فقال: «إنه أنا».

الرَّجل الذي فتحَ له وأدخَله واحد من اكتشافات ڤارس الممتازة، مُقاتِل بالخناجر من براڤوس لديه شفة أرنبيَّة مشقوقة ومصاب بالغَمَش[1]. لم يرغب تيريون في وجود حَرس شباب وسيمي الطَّلعة حول شِاي يومًا تلو اليوم، وقال للخصي: «اعثُر لي على رجالٍ قِباحٍ في وجوههم ندوب، ويُفَضَّل أن يكونوا عاجزين جنسيًّا كذلك، رجال يُفَضِّلون الغِلمان، أو يُفَضِّلون الماعز حتى، لا فارق». لم يجد ڤارس أحدًا من محبِّي الماشية، لكنه عثرَ على خنَّاقٍ مخصي، ورجلين مقيتي الرَّائحة من إيبن، لا يقلُّ غرامهما بالفؤوس عن غرامهما ببعضهما بعضًا، أمَّا الآخَرون فنخبة منتقاة من المرتزِقة الذين خبرَتهم الزَّنازين وخبروها، وكلٌّ منهم أقبح من الآخَر. عندما عرضَهم ڤارس عليه، خشيَ تيريون أنه تمادى، لكن شِاي لم تنبس بشكوى واحدة.

---

(1) الغَمَش أو العين الكسول ضَعف في الرُّؤية المركزيَّة للعين دون سبب عضوي، بحيث يَحدُث خلل في انتقال إشارات العصب البصري إلى المخ.



ولِمَ تشتكي؟ إنها لم تشتكِ مني قَطُّ على الرغم من أني أقبح من حُرَّاسها مجتمعين. لعلَّها لا ترى القُبح أصلًا.

ومع ذلك كان تيريون يُفَضِّل أن يَحرُس بعض رجال قبائل الجبال الإيوان بدلًا من هؤلاء، رجال تشلا من الآذان السَّوداء ربما، أو إخوة القمر، فثقته في إخلاصهم الحديدي وحاسَّة الشَّرف لديهم تفوق ثقته في جشع المرتزقة كثيرًا. غير أن المخاطَرة كبيرة، فكينجز لاندنج كلها تعلم أن الهمج رجالَه، وإذا أرسلَ الآذان السَّوداء إلى هنا، فهي مسألة وقتٍ فحسب حتى تعرف المدينة كلها أن يد الملك لديه محظيَّة.

أخذَ واحد من الاثنين الإيبنيزيَّين حصانه، فسألَه تيريون: «هل أيقظتموها؟».

- «كلا يا سيِّدي».

- «عظيم».

لم يتبقَّ مِن النَّار في غُرفة النَّوم غير بضع جمراتٍ صغيرة، لكن المكان لا يزال محتفظًا بدفئه. كانت شِاي قد أزاحَت الأغطية والملاءات في نومها، وتمدَّدت عاريةً على الفِراش المحشوِّ بالرِّيش، وقد تخطَّطت منحنيات جسدها النَّاعمة بالوهج الخافت القادم من المستوقَد. وقفَ تيريون في المدخل ينهل من منظرها مفكِّرًا: أصغر من ماريي، وأعذب من دانسي، وأجمل من ألايايا. إنها كلُّ مَن أحتاجُ وأكثر. كيف يُمكن لعاهرةٍ أن تبدو بهذه النَّظافة والجاذبيَّة والبراءة؟

لم يكن ينوي أن يُقلِق نومها، لكن منظرها كان قمينًا بأن يجعل ذَكره ينتصِب بشدَّة، فتركَ ثيابه تَسقُط أرضًا، ثم صعدَ إلى الفِراش وباعدَ بين ساقيها برفقٍ وقبَّلها بين الفخذين، ولمَّا غمغمَت شِاي بشيءٍ ما في نومها قبَّلها ثانيةً ولعقَ حلاوتها السرِّيَّة، وأخذَ يلعق ويلعق حتى غرقَت لحيته وفرجها تمامًا، وعندما أطلقَت أنَّةً خافتةً وارتعدَت، اعتلاها ودفعَ نفسه في داخلها، لتتفجَّر ذُروته بَعد لحظاتٍ معدودة.

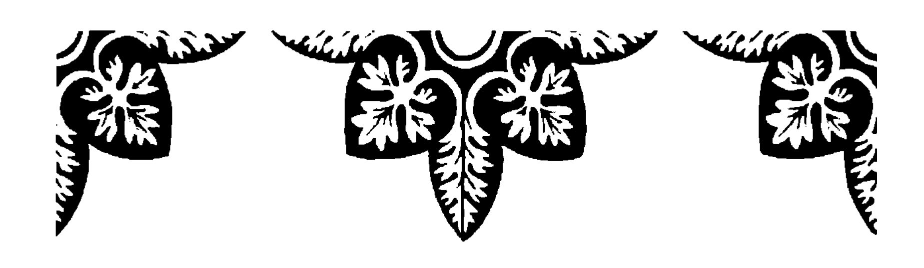
كانت عيناها مفتوحتين، وتبسَّمت وملَّست على شَعره هامسةً: «رأيتُ أجمل حُلمٍ على الإطلاق لتوِّي يا سيِّدي».



عَضَّ تيريون حلمتها الصَّغيرة المنتصبة ووسَّد رأسه كتفها دون أن يُخرِج نفسه من داخلها، متمنيًا لو أن من الممكن ألَّا يَخرُج أبدًا، وقال: «لم يكن حُلمًا». إنها حقيقة، كلُّ هذا حقيقة، الحروب والدَّسائس ولُعبة العروش الدَّامية، وأنا في مركزها بالضَّبط... أنا، القزم، الوحش، الذي تهكَّموا عليه وضحكوا منه، لكني أملكُ كلَّ شيءٍ الآن، السَّطوة والمدينة والفتاة. هذا ما خُلِقتُ من أجله، ولتُسامِحني الآلهة، هذا ما أحبُّه...

وأحبُّها... وأحبُّها.





آريا

أيًّا كانت الأسماء التي انتوى هارن الأسود إطلاقها على أبراج قلعته، فقد طواها النِّسيان منذ زمنٍ بعيد، والآن تحمل الأبراج أسماءً أخرى، هي بُرج الفزع، وبُرج الأرملة، وبُرج العويل، وبُرج الأشباح، وبُرج محرقة الملك. تنام آريا على فِراشٍ من القَشِّ في كُوَّةٍ غير عميقة في الحائط في السَّراديب الغائرة تحت بُرج العويل، حيث لديها ماء وصابون تغتسل بهما متى أحبَّت، وعلى الرغم من أنها وجدَت العمل شاقًّا، فهو ليس أشقَّ من المشي أميالًا كلَّ يوم، كما أن بنت عرس ليست مضطرَّةً للتَّنقيب عن ديدان وحشرات تأكلها مِثلما كان آري يفعل، فهناك خُبز بصفةٍ يوميَّة، ويخنة الشَّعير بالجزر واللِّفت، بالإضافة إلى مقدارٍ صغيرٍ من اللَّحم يُوَزَّع عليهم مرَّةً كلَّ أسبوعين.

كان هوت پاي يأكل أفضل منها بكثير، بما إنه في المكان الذي ينتمي إليه، المطابخ التي تحتلُّ مبنى حجريًّا مستديرًا تُغَطِّيه قُبَّة، وتُعَدُّ عالمًا قائمًا بذاته. تتناوَل آريا وجباتها على مائدةٍ قابلة للفَكِّ والتَّركيب في سردابٍ تحت الأرض مع ويز وعامليه، لكنها تُكَلَّف أحيانًا بإحضار طعامهم، وعندها تسترق برهةً لتتكلَّم مع هوت پاي، الذي لا يتذكَّر أبدًا أن اسمها بنت عرس الآن، ويصرُّ على دعوتها بآري، على الرغم من أنه يعرف أنها فتاة. ذات مرَّةٍ حاولَ أن يسرق لها فطيرة تُفَّاح ساخنة، لكنه تصرَّف برعونة ورآه اثنان من الطُّهاة، فأخذا الفطيرة منه وتبادَلا ضربه بملعقةٍ خشبيَّةٍ كبيرة.

أُرسِل جندري إلى ورشة الحدادة، فكان نادرًا ما تراه آريا، أمَّا من تخدم



معهم فلم تَشعُر برغبةٍ في معرفة أسمائهم حتى، الشَّيء الذي يُصيبها بألم أكبر حينما يموت أحدهم. معظمهم أكبر منها، ولا يُمانِعون أن يدَعوها وشأنَها.

هارنهال شاسعة حقًّا، وإن طالَ الاضمحلال معظمها. كانت الليدي ونت تُحافِظ على القلعة باعتبارها حاملة راية عائلة تَلي، لكنها استخدمَت الثُّلثين السُّفليَّين فقط من اثنين من الأبراج الخمسة، وتركَت الخراب يُحيق بالباقي، قبل أن تفرَّ من المكان تاركةً عددًا محدودًا من الأتباع، لا يكفي على الإطلاق لتلبية احتياجات جميع الفُرسان واللوردات والأسرى النُّبلاء الذين جاءَ بهم اللورد تايوين معه، ومن ثَمَّ كان على رجال لانستر البحث عن الخدم بالإضافة إلى كلِّ ما هو قابلٌ للسَّلب والنَّهب. يقول الكلام الدَّائر إن اللورد تايوين يُزمِع إعادة هارنهال إلى مجدها الغابر، ويجعلها مقرَّه الجديد بمجرَّد أن تضع الحرب أوزارها.

يُكَلَّف ويز آريا بحمل الرَّسائل ورفْع المياه من البئر وإحضار الطَّعام، وأحيانًا بالتَّخديم على الموائد في قاعة الثُّكنات الواقعة فوق مستودع السِّلاح، حيث يأكل الجنود وجباتهم، وإن كانت غالبًا ما تعمل في التَّنظيف. خُصِّصَ الطَّابق الأرضي من بُرج العويل لتخزين الأطعمة والغلال، واحتوى طابقان آخَران فوقه جزءًا من رجال الحامية، بينما ظلَّت الطَّوابق العُليا مهجورةً طيلة ثمانين عامًا كاملة، والآن أمرَ اللورد تايوين بجعلها صالحةً للسُّكنى من جديد، فكان لا بُدَّ من دعْك الأرضيَّات، وغسيل النَّوافذ مما عليها من سُخام، والتخلُّص من المقاعد المكسورة والأسِرَّة المتعفِّنة. وجدوا الطَّابق الأعلى يعجُّ بأعشاش الخفافيش السَّوداء الضَّخمة، التي تتَّخذها عائلة ونت رمزًا لها، بالإضافة إلى الجرذان التي وجدوها في الأقبية... والأشباح التي يقول البعض إنها تَسكُن المكان، أرواح هارن الأسود وأبنائه.

خطرَ لآريا أن الاعتقاد في ذلك سُخف حقيقي، فهارن وأبناؤه ماتوا في بُرج محرقة الملك، الذي استمدَّ اسمه من هذه الحادثة بالتَّحديد، فلِمَ تَعبُر أشباحهم السَّاحة لتُلاحِقها؟ أمَّا بُرج العويل فلا يُعْوِل إلَّا حينما تهبُّ الرِّيح من الشَّمال، وليس ذلك أكثر من الصَّوت الذي يُصدِره الهواء إذ يمرُّ من صُدوع الحجر الذي تشقَّق من فرط الحرارة في الماضي. لو أن هناك



أشباحًا في هارنهال، فهي لا تُزعِجها بتاتًا، بينما أخشى مَن تخشاهم أحياء؛ ويز والسير جريجور واللورد تايوين لانستر نفسه، المستقرُّ في بُرج محرقة الملك، الذي يظلُّ أعلى بروج القلعة وأقواها، وإن مالَ تحت ضغط الحجارة المصهورة التي جعلَته يبدو كشمعةٍ سوداء عملاقة نِصف ذائبة.

تساءلَت كيف ستكون ردَّة فعل اللورد تايوين، لو أنها ذهبَت إليه الآن واعترفَت بكونها آريا ستارك، لكنها تُدرك أنها لن تستطيع الاقتراب منه أبدًا لتُخبِره بأيِّ شيء، كما أنه لن يُصَدِّقها أبَدًا إذا فعلَت على أيِّ حال، وبَعدها سيضربها ويز حتى يُدميها.

على طريقته المختالة الخاصَّة، يكاد ويز يكون مخيفًا كالسير جريجور ذاته، فالجبل يسحق النَّاس كأنهم ذُباب، وإن كان لا يبدو في أغلب الآونة أنه يلحظ وجودك أصلًا، أمَّا ويز فيعرف دومًا أنك هناك، وما تفعله، وأحيانًا ما تُفَكِّر فيه كذلك. إنه يضرب لأهون استفزاز، كما أن لديه كلبةً تُناهِزه في سوء الطِّباع، كلبة قبيحة مرقَّطة رائحتها ألعن من أيِّ كلب شمَّته آريا في حياتها كلها، وقد رأته مرَّةً يُطلِقها على عامل مراحيضٍ أثارَ ضيقه، فمزَّقت قطعةً كبيرةً من رَبلة ساق الصَّبي بينما انفجرَ ويز ضاحكًا.

استغرقَ ويز أيامًا ثلاثة فقط حتى احتلَّ موضع شَرفٍ في صلواتها اللَّيليَّة، فتبدأ آريا هامسةً اسمه: «ويز»، قبل أن تستكمل القائمة: «دانسن، تشيزويك، پوليڤر، راف المعسول، المُدغدِغ وكلب الصَّيد، السير جريجور، السير آموري، السير إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي». إذا سمحَت لنفسها بأن تنسى واحدًا فقط من تلك الأسماء، فكيف ستَعثُر على صاحِبه ذات يوم وتَقتُله؟

على الطَّريقِ شعرَت آريا كأنها شاة، لكن هارنهال حوَّلتها إلى فأر، وهي تبدو كالفئران بالفعل بثوبها الرَّمادي المصنوع من الصُّوف الخشن، وكالفئران لزمَت شقوق القلعة وفتحاتها ودروبها المظلمة، زاحفةً بعيدًا عن طريق الأقوياء.

بين الفينة والفينة يَخطُر لها أنهم جميعًا فئران وراء تلك الأسوار السَّميكة، حتى الفُرسان واللوردات الكبار، وقد جعلَ حجم القلعة الهائل السير



جريجور نفسه يبدو ضئيلًا، فهارنهال تُغَطِّي ثلاثة أضعاف مساحة وينترفل، وبناياتها أضخم كثيرًا، حتى إن لا مجال للمقارَنة بين هذه وتلك، وتتَّسع اسطبلاتها لألفٍ من الخيول، بينما تحتلُّ أيكة الآلهة عشرين فدَّانًا كاملةً، وتُماثِل المطابخ قاعة وينترفل الكُبرى في الحجم، أمَّا قاعة هارنهال الكُبرى فتحمل الاسم المهيب «قاعة المئة مستوقَد»، على الرغم من أنها لا تضمُّ غير ما يزيد على الثَّلاثين مستوقدًا بقليل (وقد حاولَت آريا أن تُحصيها مرَّتين، فعدَّت تارةً حتى 33 وتارةً حتى 35)، غير أن القاعة فسيحة للغاية، لدرجة أن اللورد تايوين يستطيع إقامة مأدبةٍ لجيشه كله هناك إذا أرادَ، وإن لم يفعلها قَطُّ. الجُدران والأبواب والقاعات والدَّرجات، كلُّ شيءٍ مشيَّد بمقياسٍ غير إنساني حدا بآريا لأن تتذكَّر القِصص القديمة التي كانت العجوز نان تحكيها عن العمالقة الذين عاشوا وراء «الجِدار» في سالف الزَّمان.

ولأن اللوردات والليديهات لا يُلاحِظون الفئران الرَّماديَّة الصَّغيرة تحت أقدامهم، فقد اطَّلعت آريا على أسرارٍ من شتَّى الأنواع، لمجرَّد أنها تفتح أُذنيها بينما تُمارِس واجباتها. پيا الحسناء التي تعمل في مخزن المؤن فتاة فاسقة تتنقَّل بين جميع فُرسان القلعة، وزوجة السَّجَّان حبلى، لكن الأب الحقيقي إمَّا السير آلين ستاكسپير أو مطرب اسمه وات ذو البسمة البيضاء، واللورد ليفورد يسخر من حكايات الأشباح على الملأ، وعلى الرغم من ذلك يُبقي شمعةً موقدةً دائمًا إلى جوار فِراشه، ومُرافِق السير دوناڤر المدعو چودچ لا يستطيع حبْس بوله وهو نائم، والطُّهاة يحتقرون السير هاريس سويفت ويُتَبِّلون طعامه كله ببُصاقهم، كما أن آريا سمعَت مرَّةً خادمة المِايستر توثمير إذ أسرَّت إلى أخيها بكلام عن رسالةٍ تقول إن چوفري نغل وليس الملك الشَّرعي على الإطلاق، وأضافَت الفتاة هامسةً: «قال له اللورد تايوين أن يُحرِق الرِّسالة ولا يتكلَّم عن تلك القاذورات ثانيةً».

سمعَت أن ستانيس ورنلي أخوي الملك روبرت قد انضمَّا إلى القتال، وقال ويز: «وكلاهما ملك الآن. في البلاد ملوك أكثر مما في القلاع من جرذان». حتى رجال لانستر تساءَلوا كم من الوقت سيستطيع چوفري الحفاظ على العرش الحديدي، وسمعَت لوردًا صغيرًا يُغَمغِم وهو سكران: «الفتى لا



يملك جيشًا غير ذوى المعاطف الذَّهبيَّة، ويتحكَّم فيه خصيٌّ وقزم وامرأة. كيف سيُفيده أمثال هؤلاء إذا اشتعلَت المعركة؟». كما أن هناك دائمًا كلام عن اللورد بريك دونداريون، وقال قوَّاس بدين في مرَّةٍ إن الممثِّلين السَّفَّاحين قتَلوه، إلَّا أن زملاءه ضحكوا ساخرين، وقال أحدهم: «لورك قتلَه في منطقة الشلَّالات الدَّافقة، والجبل فتكَ به مرَّتين. أراهنُ بأيلٍ فضِّي أنه لن يظلَّ ميتًا هذه المرَّة أيضًا».

لم تعرف آريا مَن يكون الممثِّلون السَّفَّاحون هؤلاء إلَّا بَعد أسبوعين، عندما وصلَت أغرب جماعةٍ رأتها على الإطلاق من الرِّجال إلى هارنهال. تحت رايةٍ عليها كبش أسود ذو قرنين داميين، ركبَ رجال نُحاسيُّو البشرة في جدائل شَعرهم أجراس، ورمَّاحون يمتطون خيولًا مخطَّطةً بالأبيض والأسود، ورُماة ذوو وجوه مدهونة بالمساحيق، ورجال خشنون مُشعِرون قصار القامة يحملون تروسًا متواضعةً، ورجال بنِّيُّو البشرة يرتدون معاطف مزيَّنة بالرِّيش، ومهرِّج ناعم الملامح يرتدي ثيابًا من الأخضر والوردي، ومُبارِزون لهم لحى متشعِّبة غريبة مطليَّة بالأخضر والأرجواني والفضِّي، وحاملو حِراب ذوو ندوب ملوَّنة تُغَطِّي خدودهم، ورجل ناحل يرتدي ثوب السِّپتونات، وثانٍ عطوف الملامح يرتدي ملابس المِايسترات الرَّماديَّة، وثالث يبدو عليه السَّقم ويرتدي معطفًا جِلديًّا موشًّى بشَعرٍ أشقر طويل.

وعلى رأسهم كان رجل فارِع الطُّول رفيع كعصا، وجهه أعجف مسحوب، ويبدو مستطيلًا أكثر بسبب اللِّحية السَّوداء الطَّويلة المجدولة كالحبال، التي تنبت من ذقنه المدبَّب وتكاد تَبلُغ خصره. من قرن سَرجه تدلَّت خوذة من الفولاذ الأسود، مطرَّقة على شكل رأس كبش، بينما أحاطَت بعُنقه سلسلة حلقاتها من العُملات مختلفة الأحجام والأشكال والمعادن، أمَّا حصانه فواحد من تلك الأحصنة الغريبة المخطَّطة.

قال لها ويز لمَّا رآها تتطلَّع إلى الرَّجل ذي خوذة رأس الكبش: «لستِ ترغبين في معرفة هذه الشِّرذمة يا بنت عرس». كان معه اثنان من نُدمائه، رجلان مسلَّحان في خدمة اللورد ليفورد، ولمَّا سألَت عمَّن يكون هؤلاء الغُرباء، ضحكَ أحد الجُنديَّين وأجابَ: «إنهم رجال الأقدام يا فتاة، أصابع



الكبش، ممثِّلو اللورد تايوين السَّفَّاحون»، فأسرعَ ويز يقول: «يا لك من أبله! إذا تسبَّبت في أن يُسلَخ جِلدها، فلتُنَظِّف أنت السَّلالم!»، ثم خاطبَ آريا قائلًا: «إنهم مرتزِقة يا فتاة، يُسَمُّون أنفسهم رِفقة الشُّجعان، فلا تستخدمي أيًّا من تلك الأسماء الأخرى على مقربةٍ من أحدٍ منهم أبدًا، وإلَّا ستتأذِّين كثيرًا. صاحِب خوذة رأس الكبش قائدهم، اللورد ڤارجو هوت».

قال الجُندي الثَّاني: «ليس لوردًا أو أيَّ خراء مشابه. سمعتُ السير آموري يقول ذلك. إنه مجرَّد مرتزِق فمه مليء بالرِّيالة ويُغالي في تقدير نفسه».

رَدَّ ويز: «أجل، لكن من الخير لها أن تُلَقِّبه هي باللورد إذا أرادَت الاحتفاظ بكلٍّ أعضائها».

تطلَّعت آريا إلى ڤارجو هوت ثانيةً، وتساءلَت: كم وحشًا يملك اللورد تايوين؟

سكنَ رجال رِفقة الشُّجعان بُرج الأرملة، فلم يكن على آريا أن تخدمهم، الشَّيء الذي أراحَها، ففي ليلة وصولهم ذاتها نشبَ عراكٌ بين المرتزِقة وبعض رجال لانستر، فطُعِنَ مُرافِق السير هاريس سويفت حتى الموت، وجُرِحَ اثنان من الممثِّلين السَّفَّاحين، وفي اليوم التَّالي شنقَهما اللورد تايوين على جُدران مبنى البوَّابة، ومعهما واحد من رُماة اللورد ليدن. قال ويز إن الرَّامي هو من بدأ المشكلة كلها عندما استفزَّ المرتزِقة بذِكر بريك دونداريون، وبَعد أن كَفَّ المشنوقون عن ركل الهواء، تعانقَ ڤارجو هوت والسير هاريس وتبادَلا القُبلات على الخدود، وأقسَما أن تجمع بينهما المحبَّة دائمًا، بينما راقبَهما اللورد تايوين. فكَّرت آريا أن لثغة ڤارجو هوت ولُعابه السَّائل دائمًا شيء طريف حقًّا، وإن كانت أعقل من أن تضحك.

لم يبقَ الممثِّلون السَّفَّاحون في هارنهال طويلًا، لكن قبل أن يُغادِروا مجدَّدًا، سمعَت آريا أحدهم يقول إن جيشًا شَماليًّا تحت قيادة رووس بولتون احتلَّ مخاضة الياقوت في نهر الثَّالوث، فقال أحد رجال لانستر: «إذا عبرَ، سيسحقه اللورد تايوين ثانيةً مِثلما فعلَ في معركة الفرع الأخضر»، لكن رفاقه تهكَّموا عليه، وقال أحدهم: «بولتون لن يَعبُر أبدًا قبل أن يزحف الذِّئب الصَّغير من ريڤررَن مع رجاله الشَّماليِّين الهمج وقطيع الذِّئاب».



آريا لم تكن تعلم أن أخاها قريب إلى هذا الحَد، فريفرِرَن أقرب كثيرًا إلى وينترفل، وإن كانت لا تدري أين تقع بالنِّسبة لهارنهال. يُمكنني أن أعرف بوسيلةٍ ما، أعلمُ أني أقدرُ، فقط إذا استطعتُ الفرار. عضَّت شفتها عندما فكَّرت في رؤية وجه روب ثانيةً، وقالت لنفسها: وأريدُ أن أرى چون أيضًا، وبران وريكون وأمِّي، وحتى سانزا... سأقبِّلها وأطلبُ منها السَّماح كما تفعل الليدي الحقَّة، سيروقها هذا.

عرفَت من الكلام في السَّاحة أن الغُرف العُلويَّة في بُرج الفزع تضمُّ أكثر من ثلاثين من الأسرى الذين سقطوا في معركةٍ ما دارَت على فرع الثَّالوث الأخضر. مُنحَ معظمهم حرِّيَّة التَّجوال في القلعة، مقابل تعهُّدهم بعدم محاوَلة الهرب، ففكَّرت آريا: لقد أقسَموا على عدم الفرار، لكنهم لم يُقسِموا على عدم مساعَدتي عليه!

يتناوَل الأسرى وجباتهم على مائدةٍ خاصَّة بهم في قاعة المئة مستوقَد، وكثيرًا ما تراهم هنا أو هناك، ومنهم أربعة إخوة يتمرَّنون مع بعضهم بعضًا كلَّ يوم، فيُقاتِلون بالهرَّاوات والتُّروس الخشبيَّة في ساحة الحجر المصهور. ثلاثة منهم من آل فراي سادة «المعبر»، والرَّابع أخوهم النَّغل، ولم يَطُل بقاؤهم في هارنهال، إذ وصلَ أخوان آخَران ذات صباحٍ تحت راية السَّلام ومعهما صندوق من الذَّهب، الذي دُفِعَ فديةً للفُرسان الذين أسَروا إخوتهما، ثم رحلَ أبناء فراي الستَّة معًا.

غير أن أحدًا لم يدفع فديةً لإطلاق سراح مجرَّد واحدٍ من الشَّماليِّين.

قال لها هوت پاي إن لوردًا صغيرًا سمينًا يتردَّد إلى المطابخ طول الوقت، دائمًا يبحث عن لقمةٍ يأكلها، شاربه كَثٌّ للغاية ويُغَطِّي فمه، والمشبك الذي يُثَبِّت معطفه عبارة عن رُمح ثُلاثي الشُّعب من الفضَّة والياقوت الأزرق، وهو من أسرى اللورد تايوين. أمَّا الشَّاب القوي الملتحي الذي أحبَّ أن يذرع الشُّرفات بمفرده، مرتديًا معطفه الأسود المزيَّن بالشُّموس البيضاء، فقد أخذه فارس متجوِّل ينوي أن يُثري من ورائه. كانت سانزا ستعرف من يكون، هو والآخَر البدين، بينما لم تعبأ آريا قَطُّ بالألقاب والرُّموز، وكلما ثرثرَت السِّپتة موردن عن تاريخ هذه العائلة أو تلك، كانت تشرد دائمًا وتَحلُم وتتساءَل متى ينتهي الدَّرس.



على أنها تذكَّرت اللورد سروين، الذي تقع أراضيه قريبًا من وينترفل، وهكذا كان يأتي مع ابنه كلاي للزِّيارة باستمرار. لكن شاءَت الأقدار أن يكون اللورد سروين الأسير الوحيد الذي لا يراه أحد أبدًا، إذ ظَلَّ طريح الفِراش في حُجيرةٍ في بُرج، يتعافى من جرحٍ أصيبَ به في المعركة. أيامًا وأيامًا حاولَت آريا التوصُّل إلى وسيلةٍ تنسلُّ بها من وراء حارسيه لتراه، فلا بُدَّ أن معه ذهبًا بما أنه لورد، كلهم معهم ذهب، ولربما يرشو بعض مرتزقة اللورد تايوين ليأخذوها إلى ريڤررَن. لقد قال أبوها إن المرتزِقة يخونونَ أيَّ أحدٍ لقاء ما يكفي من الذَّهب.

ثم جاءَ صباح لمحَت فيه ثلاث نساء في ثياب الأخوات الصَّامتات الرَّماديَّة ذات القلنسوات، يرفعن جثَّةً إلى عربتهن. كانت الجثَّة ملفوفةً بمعطفٍ من الحرير الثَّمين، مزيَّن برمز البلطة الحربيَّة، وحين استفسرَت آريا عن الميت، أجابَها أحد الحُرَّاس أنه اللورد سروين. أحسَّت بالكلمات كركلةٍ تلقَّتها في بطنها، وقالت لنفسها والأخوات يَخرُجن بالعربة من البوَّابة: لم يكن ليستطيع مساعَدتي على كلِّ حال، بل لم يستطِع أن يُساعِد نفسه حتى أيتها الفأر المغفَّل.

بَعد ذلك عادَت إلى التَّنظيف والانسلال والتَّنصُّت على الأبواب. سمعَت أن اللورد تايوين سيزحف عمَّا قريب إلى ريڤررَن، أو أنه سيتَّجه جَنوبًا إلى هايجاردن، فلا أحد سيتوقَّع ذلك. لا، بل عليه أن يُدافِع عن كينجز لاندنج، لأن ستانيس يُشَكِّل التَّهديد الأكبر. سمعَت أنه أرسلَ جريجور كليجاين وڤارجو هوت لتدمير رووس بولتون ونزْع هذه الشَّوكة من ظَهره، وأنه أرسلَ طيورًا إلى «العُش» عارضًا الزَّواج على لايسا آرن بغرض أن يضمَّ «الوادي» إلى صَفِّه، وأنه جلبَ أطنانًا من الفضَّة لصناعة سيوفٍ سِحريَّة من أجل القضاء على أوْراج[1] جيش ستارك، وأنه يَكتُب لليدي ستارك ليتَّفق معها على شروط السَّلام، بما أن قاتِل الملك سيُطلَق سراحه قريبًا.

(1) الوارْج كلمة ذات أصول نورديَّة وجرمانيَّة وفارسيَّة قديمة بمعنى «ذئب»، وفي عالم الرِّواية يُسَمَّى البَشري الذي يستطيع تلبُّس الحيوانات بعقله ليتحكَّم فيها «مبدِّل الجِلدة»، والوارْج فئة نادرة من مبدِّلي الجِلدة، تستطيع تلبُّس الذِّئاب والكلاب على وجه التَّحديد.



وعلى الرغم من أن الغِدفان تروح وتجيء طيلة اليوم، فاللورد تايوين نفسه يقضي السَّواد الأعظم من وقته وراء الأبواب المغلقة مع مجلسه الحربي. أحيانًا ما تلمحه آريا، لكن من بعيدٍ دومًا، مرَّةً وهو يتجوَّل على الأسوار في صُحبة ثلاثة مِايسترات والأسير البدين ذي الشَّارب الكَث، ومرَّةً وهو يُغادِر مع اللوردات حمَلة رايته لزيارة المعسكرات، لكن غالبًا ما تراه يقف في واحدةٍ من قناطر الشُّرفة المسقوفة، يُشاهِد تدريبات الرِّجال في السَّاحة في الأسفل، يقف دائمًا مشبِّكًا يديه معًا على قبيعة سيفه الطَّويل الذَّهبيَّة. يقولون إن اللورد تايوين يُحِبُّ الذَّهب أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر، وسمعَت آريا واحدًا من مُرافِقي الفُرسان يقول مازحًا ذات مرَّةٍ إنه يتبرَّز ذهبًا كذلك. يبدو اللورد لانستر قويًّا بالنِّسبة لرجلٍ متقدِّمٍ في السِّن، ولديه لحية ذهبيَّة متيبِّسة ورأس أصلع، وثمَّة شيء في وجهه يُذَكِّرها بأبيها، على الرغم من أن لا تشابُه على الإطلاق بين ملامح الاثنين. قالت لنفسها: إنه يملك وجه لورد، وهذا كلُّ شيء، وتذكَّرت أنها سمعَت السيِّدة والدتها تقول لأبيها يومًا أن يرتدي وجه اللورد ويذهب ليتعامَل مع مسألةٍ ما، فضحكَ أبوها، لكنها لا تتخيَّل أن يضحك اللورد تايوين على أيِّ شيءٍ كان.

ثم جاءَت ظهيرة، بينما تنتظر دورها في سحْب دلوٍ من الماء من البئر، عندما سمعَت صرير مفصلات البوَّابة الشَّرقيَّة، وببُطءٍ عبرَت مجموعة من الرِّجال على متن الخيول تحت الشَّبكة الحديديَّة، وحين لمحَت المانتيكور الزَّاحف على تُرس قائدهم، شعرَت بطعنة الكراهية الماضية في أعماقها.

لا يبدو السير آموري لورك مخيفًا في نور النَّهار كما كان في ضوء المشاعل، لكنه لا يزال يملك العينين الخنزيريَّتين اللتين تَذكُرهما. قالت إحدى النِّسوة إنه دارَ مع رجاله دورةً كاملةً حول «عين الآلهة» ليُطارِدوا بريك دونداريون ويَقتُلوا المتمرِّدين، فحدَّثت آريا نفسها: لم نكن متمرِّدين، بل حَرس اللَّيل، وحَرس اللَّيل لا يتدخَّلون في شؤون البلاد. على أن عددًا أقلَّ مما تَذكُره من الرِّجال عادَ مع السير آموري، بينهم جرحى كُثر، فقالت في قرارتها: أتمنَّى أن تتعفَّن جروحهم ويموتوا جميعًا.

ثم إنها رأت الثَّلاثة الرَّاكبين قُرب نهاية الطَّابور.



كان رورج يضع خوذةً قصيرةً سوداء ذات واقي أنف حديديٍّ عريض، يجعل من الصَّعب أن تتبيَّن أنه بلا أنف، وإلى جواره ركبَ العضَّاض بتثاقُلٍ فوق يبدو على وشك الانهيار تحت وزنه، وقد غطَّت الحروق نِصف المندملةً جسده، جاعلةً منظره أشنع مما كان من قبل.

لكن چاكن هاجار كان لا يزال يبتسم. رأت أنه ما زال يرتدي ثيابًا باليةً متَّسخةً، لكنه وجدَ الوقت لغسْل وتصفيف شَعره، الذي انسدلَ على كتفيه أحمر وأبيض ولامعًا، وسمعَت آريا الفتيات يتبادَلن ضحكات الإعجاب.

كان ينبغي لي أن أترك النَّار تلتهمهم، هذا ما قاله جندري، وكان عليَّ أن أسمع كلامه. لو أنها لم تُلقِ لهم تلك البلطة، لكان ثلاثتهم موتى الآن. شعرَت بالخوف لحظةً، لكنهم مرُّوا بها دون أدنى لمحةٍ من الاكتراث، وكان چاكن هاجار الوحيد الذي ألقى نظرةً عابرةً في اتِّجاهها، وتجاوزَتها النَّظرة مباشرةً، ففكَّرت: لم يتعرَّفني. آري كان ولدًا صغيرًا شرسًا يحمل سيفًا، لكني مجرَّد فأرٍ رمادي يحمل دلوًا.

أمضَت بقيَّة اليوم في دعْك السَّلالم في بُرج العويل، ومع حلول المساء كانت يداها مسحوجتين داميتين، وذراعاها تُؤلِمانها للغاية، حتى إنهما اهتزَّتا وهي تعود إلى القبو حاملةً الدَّلو. شاعرةً بتعبٍ لا يجعلها تقوى على الأكل حتى، استأذنَت آريا من ويز وذهبَت إلى فِراشها القَشِّ لتنام، ثم قالت متثائبةً: «ويز، دانسن، تشيزويك، پوليڤر، راف المعسول، المُدغدِغ وكلب الصَّيد، السير جريجور، السير آموري، السير إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي». خطرَ لها أن تُضيف ثلاثة أسماء أخرى إلى صلاتها، لكنها أكثر إرهاقًا من أن تُقرِّر اللَّيلة.

كانت آريا تَحلُم بالذِّئاب تعدو حُرَّةً في الغابة، عندما أطبقَت يد قويَّة على فمها كحجرٍ أملس دافئ، صُلبة ولا تتزحزَح، فأفاقَت في الحال مقاومةً تُحاوِل التملُّص، فهمسَ صوت من وراء أُذنها: «الفتاة لن تقول شيئًا، الفتاة ستُبقي فمها مغلقًا فلا يسمع أحد، ثم يتكلَّم الصَّديقان سِرًّا، اتَّفقنا؟».

بقلبٍ يدقُّ بعُنف، حرَّكت آريا رأسها بتؤدةٍ بالغة لتُومئ إيجابًا.

رفعَ چاكن هاجار يده. كان ظلام القبو حالكًا فلم ترَ وجهه الدَّاني منها



للغاية، وإن شمَّت رائحة الصَّابون النَّظيفة على بشرته والعِطر في شَعره، أمَّا هو فغمغمَ: «الصَّبي أصبحَ بنتًا».

– «كنتُ بنتًا طول الوقت. لم أحسب أنك رأيتني».

– «الرَّجل يرى، الرَّجل يعرف».

تذكَّرت أنها تكرهه، فقالت: «لقد أخفتني. إنك واحد منهم الآن. كان يجب أن أترُككم تحترقون. ماذا تفعل هنا؟ اذهب وإلَّا ناديتُ ويز».

– «الرَّجل يُسَدِّد ديونه، الرَّجل مدين بثلاث».

– «ثلاث؟».

– «لا بُدَّ أن يُوَفَّى الإله الأحمر حقُّه أيتها الفتاة الحُلوة، والموت وحده ثَمن الحياة. هذه الفتاة أخذَت ثلاث أنفُسٍ كانت له، وعلى هذه الفتاة أن تُعطيه ثلاثًا بدلًا منها. قولي الأسماء وسيتولَّى الرَّجل الباقي».

إنه يرُيد أن يُساعِدني، قالت آريا لنفسها مع دفقة الأمل التي أحسَّت بها وأصابَتها بالدُّوار، فاندفعَت تقول: «خُذني إلى ريفرَن. إنها ليست بعيدةً. إذا سرَقنا خيولًا فيُمكننا...».

وضعَ إصبعه على شفتها قائلًا: «ثلاث أنفُسٍ ستنالين مني، لا أكثر ولا أقل، ثلاثًا ثم ننتهي. على الفتاة أن تُفكِّر إذن»، وطبعَ قُبلةً ناعمةً على شَعرها مضيفًا: «لكن ليس طويلًا».

لمَّا أشعلَت آريا عُقب شمعتها، لم يكن قد تبقَّى منه غير رائحةٍ واهية، نفحة من الزَّنجبيل والقرنفل ظلَّت في الهواء.

انقلبَت المرأة النَّائمة في الكُوَّة المجاورة على فِراشها القَش متذمِّرةً من الضَّوء، فنفخَت آريا في الشَّمعة وأطفأَتها، وعندما أغلقَت عينيها من جديد، رأت الوجوه طافيةً أمامها؛ چوفري وأمَّه، إلين پاين ومرين ترانت وساندور كليجاين... لكنهم على بُعد مئات الأميال في كينجز لاندنج، أمَّا السير جريجور فلم يبقَ غير بضع ليالٍ قبل أن يرحل ثانيةً بحثًا عن المزيد من الخدم والغنائم، وأخذَ معه راف وتشيزويك والمُدغدِغ. لكن السير آموري لورك هنا، وهي تكاد تبغضه مِثلما تبغض الآخَرين، أليس كذلك؟ إنها ليست واثقةً، كما أن هناك ويز دائمًا.



فكَّرت فيه ثانيةً في الصَّباح التَّالي عندما جعلَتها الحاجة إلى النَّوم تتثاءَب، فقال ويز بصوتٍ كالقرقرة: «بنت عرس، إذا رأيتُ فمكِ مفتوحًا ثانيةً، سأقطعُ لسانكِ وأطعِمه لكلبتي»، ولوى أُذنها بأصابعه ليتأكَّد من أنها أصغَت إليه، وقال لها أن تعود إلى دعْك السَّلالم، فهو يريدها نظيفةً حتى البسطة الثَّالثة مع حلول المساء.

فكَّرت آريا وهي تعمل فيمن تُريدهم موتى، وتظاهرَت بأنها ترى وجوههم على السَّلالم، فكانت تدعك بقوَّةٍ أكبر لتمسحها. عائلة ستارك في حربٍ مع عائلة لانستر، وهي من عائلة ستارك، فعليها إذن أن تَقتُل أكبر عددٍ ممكن من رجال لانستر، فهذا ما يَحدُث في الحروب، لكنها لا تحسب أنها تستطيع الثِّقة بچاكن. يجب أن أقتلهم بنفسي. كلما حكمَ أبوها على أحدٍ بالموت، كان يُنَفِّذ الحُكم بنفسه بسيفه العظيم «جَليد»، وذات مرَّةٍ سمعَته يقول لروب وچون: «إذا كنت ستسلب رجلًا ما حياته، فأنت مدين له بأن تَنظُر في عينيه وتسمع كلماته الأخيرة».

تحاشَت چاكن هاجار في اليوم التَّالي واليوم الذي تلاه، ولم يكن هذا عسيرًا، فهي ضئيلة للغاية وهارنهال ضخمة للغاية، وملأى بالجحور التي تستطيع الفئران التَّواري فيها.

ثم عادَ السير جريجور مبكِّرًا عن المتوقَّع، سائقًا قطيعًا من الماعز هذه المرَّة بدلًا من السُّجناء، وسمعَت أنه فقدَ أربعة رجالٍ في واحدةٍ من غارات اللورد بريك اللَّيليَّة، لكن مَن تَمقُتهم آريا عادوا دون أن يُصيبهم خدش واحد، وسكنوا الطَّابق الثَّاني من بُرج العويل، فحرصَ ويز على تزويدهم المستمر بالشَّراب، وتمتمَ بتبرُّم: «هؤلاء الثُّلَّة يَشعُرون بالعطش دائمًا. بنت عرس، اصعدي إليهم وسليهم إن كانت لديهم ملابس تحتاج رتقًا، وسأجعلُ النِّساء يُصلِحنها».

انطلقَت آريا تصعد السَّلالم التي نظَّفتها بإتقان، ولم يُعِرها أحدهم انتباهًا عندما دخلَت. كان تشيزويك جالسًا بالقُرب من النَّار وفي يده قرن من المِزر، يحكي واحدةً من قِصصه الطَّريفة، فلم تجرؤ على مقاطعته خشية أن يُدمي شفتها بضربةٍ منه.



كان تشيزويك يقول: «كان هذا بَعد دورة مباريات يد الملك، قبل الحرب، وكنا في طريق العودة غَربًا، سبعة منا مع السير جريجور. كان راف معي، والشَّاب چوس ستيلوود الذي خدمَ سيِّدي في مضمار النِّزال. طيِّب، ثم إذا بنا نتوقَّف عند ذلك النَّهر القذر الفائض بسبب الأمطار التي هطلَت قبلها، ولا سبيل لدينا للعبور، لكننا وجدنا حانةً قريبةً فذهبنا إليها، وهناك يُوقِظ سيِّدي الخمَّار ويقول له أن يحرص على امتلاء قروننا حتى تنحسر المياه، وكان حريًّا بكم أن تروا عيني الرَّجل الشَّبيهتين بعيني خنزير وهما تلمعان مع مرأى الفضَّة. هكذا يجلب لنا المِزر، هو وابنته، وكان نوعًا رديئًا جدًّا أقرب إلى البول البنِّي، الشَّيء الذي لم يُرضِني أو يُرضِ سيِّدي طبعًا. وطول الوقت يُرَدِّد ذلك الخمَّار أنه مسرور للغاية لاستضافتنا، فالزَّبائن قليلون بسبب المطر، ولا يخرس الأحمق أبدًا على الرغم من أن سيِّدي لم يَقُل كلمةً واحدةً، فقط يُفَكِّر عابسًا في فارس الورد إياه والحيلة القذرة التي مارسَها، وكان من الواضح أن فمه مزموم تمامًا، وأنا والأولاد أعقل من أن نقول حرفًا واحدًا له في حالته هذه، لكن الخمَّار لم يزل يتكلَّم، بل ويسأل كيف أبلى سيِّدي في النِّزال، فرمقَه سيِّدي بهذه النَّظرة فقط»، وقهقهَ تيشزويك وجرعَ من مِزره ثم مسحَ الرَّغوة بظَهر يده مواصلًا: «في تلك الأثناء كانت ابنته تُحضِر الشَّراب وتصبُّه، فتاة بدينة، في الثَّامنة عشر أو نحوها...».

لوى راف المعسول شِدقيه، وقال متفاصحًا: «كانت أقرب إلى الثَّالثة عشر».

- «أيًّا كان، فلم يكن منظرها سارًّا كثيرًا، لكن أجون شربَ كثيرًا وبدأ يتحسَّسها، ولربما تحسَّستها بعض الشَّيء بدوري، ثم يقول راف للشَّاب ستيلوود إن عليه أن يَجُرَّ الفتاة إلى الطَّابق العُلوي ويصنع من نفسه رجلًا، هكذا على سبيل تشجيع الصَّبي، وأخيرًا يمدُّ چوس يده تحت تنُّورتها، فتَصرُخ وتُسقِط الإبريق الذي تحمله وتهرع إلى المطبخ. كان من الممكن أن ينتهي الأمر عند هذا الحَد، لولا أن الأحمق العجوز ذهبَ بَعدها إلى سيِّدي وطلبَ منه أن يجعلنا ندع الفتاة وشأنها، بما أنه فارس منصَّب وما إلى ذلك. السير جريجور لم يكن منتبهًا لمرحنا، لكنه يرفع عينيه الآن ويَنظُر، تعلمون



نظرته تلك، ويأمر بمثول الفتاة أمامه، والآن يجرُّها العجوز من المطبخ ولا يلومنَّ إلَّا نفسه، ثم يتطلَّع سيِّدي إلى الفتاة ويقول: هذه إذن هي العاهرة التي تشغل نفسك بها، فيردُّ العجوز المخبول: ابنتي ليانا ليست عاهرةً أيها الفارس، يقولها في وجه السير جريجور مباشرةً، ولا يطرف جفن لسيِّدي، ويقول من فوره: إنها كذلك الآن، ويُلقي أيلًا فضِّيًّا آخَر للرَّجل، ثم يُمَزِّق ثياب البنت ويأخذها هناك على المائدة أمام أبيها، بينما تتلوَّى هي وتُحاوِل التملُّص كالأرانب وتُصدِر الأصوات إياها. النَّظرة على وجه العجوز جعلَتني أنفجر ضحكًا حتى خرجَ المِزر من أنفي، ثم يسمع ذلك الصَّبي الجلبة، الابن كما خمَّنتُ، ويأتي مندفعًا من القبو، فيغرس راف خنجرًا في بطنه. كان سيِّدي قد فرغَ عندئذٍ، وعادَ إلى الشُّرب ونالَ كلٌّ منا دوره. توبوت، إنكم تعرفونه، يقلبها على بطنها ويَدخُل من الباب الخلفي، ولمَّا حانَ دوري كانت الفتاة قد كفَّت عن المقاوَمة، لعلَّها قرَّرت أن هذا يروقها، وإن لم أكن لأمانع القليل من التلوِّي في الحقيقة. أمَّا أفضل جزء على الإطلاق... عندما انتهى كلُّ شيء، يقول سيِّدي للرَّجل إنه يُريد باقي نقوده، فالفتاة لا تسوى قطعةً فضِّيَّة... ولتحلَّ بي اللَّعنة إن لم يُخرِج العجوز حفنةً من القِطع النُّحاسيَّة ويعتذر لسيِّدي ويَشكُره على الزِّيارة!».

هدرَ الرِّجال ضاحكين، أصخبهم تشيزويك نفسه، الذي ضحكَ بعُنفٍ على القصَّة التي رواها حتى سالَ المخاط من أنفه إلى لحيته الشَّائبة الخشنة. وقفَت آريا وسط ظلال بئر السُّلَّم وراقبَته، ثم إنها رجعَت إلى القبو دون أن تقول كلمةً، ولمَّا عرفَ ويز أنها لم تسأل عن الثِّياب، أنزلَ سراويلها وضربَها على مؤخِّرتها بالعصا حتى سالَت الدِّماء على وَركيها، لكن آريا أغلقَت عينيها وفكَّرت في كلِّ الأقوال التي علَّمها سيريو فورل إياها، فشعرَت بالألم بالكاد.

بَعد ليلتين أرسلَها إلى قاعة الثُّكنات للتَّخديم على الموائد، وكانت تحمل إبريق نبيذٍ وتصبُّ حين لمحَت چاكن هاجار الجالسِ أمام صحفة طعام على الجانب الآخَر من الممشى. مضغَت آريا شفتها وتطلَّعت حولها بحذرٍ لتتأكَّد من عدم وجود ويز في الجوار، وقالت لنفسها: ضربة الخوف أمضَى من السَّيف.



تحرَّكت خطوةً، ثم أخرى، ومع كلِّ خطوةٍ إضافيَّة كان شعورها بأنها فأر يتخلَّى عنها، وشقَّت طريقها بطول الدِّكَّة مالئةً الأقداح. جلسَ رورچ إلى يمين چاكن سكرانًا تمامًا، لكنه لم يُلاحِظها، فمالَت آريا وهمسَت: «تشيزويك» في أُذن چاكن مباشرةً، فلم يُبدِ اللوراثي أمارةً على أنه سمعها.

عندما فرغَ الإبريق، هرعَت آريا إلى القبو لتملأه من البرميل، ثم عادَت مسرعةً إلى صَبِّ النَّبيذ للرِّجال، لكن أحدًا لم يَمُت من الظَّمأ في غيابها، أو لاحظَ أنها غابَت أصلًا.

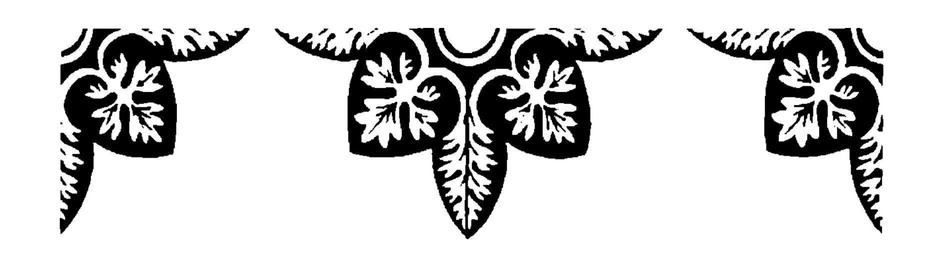
ولم يَحدُث شيء في اليوم التَّالي أو الذي تلاه، لكن في اليوم الثَّالث ذهبَت آريا إلى المطابخ مع ويز ليُحضِرا طعام الغداء، وسمعَت ويز يقول لإحدى الطَّاهيات: «أحد رجال الجبل سقطَ من فوق سورٍ ليلة أمس وكسرَ عُنقه الأحمق».

سألَته المرأة: «أكان سكرانًا؟».

- «ليس أكثر من المعتاد. يقول البعض إن شبح هارن هو مَن ألقاه»، وأطلقَ نخيرًا ليُريها رأيه في الأفكار المشابهة.

أرادَت آريا أن تقول: لم يكن هارن، بل أنا. لقد قتلَت تشيزويك بهمسة، وما زال هناك اثنان آخَران ستَقتُلهما قبل أن تنتهي. قالت لنفسها: أنا الشَّبح الذي يَسكُن هارنهال، وتلك اللَّيلة نقصَت الأسماء التي تكرهها آريا واحدًا.





كاتلين

كان موقع اللِّقاء مرجًا عُشبيًّا انتشرَ فيه الفِطر الرَّمادي الباهت وبقايا الأشجار المقطوعة.

- «نحن أول الواصلين يا سيِّدتي»، قال هالس مولين بينما توقَّفا بحصانيهما وحدهما وسط الجذوع المبتورة وبين الجيشين، وقد خفقَت راية ذئب ستارك الرَّهيب على السَّارية التي يحملها. لم تستطِع كاتلين أن ترى البحر من مكانهما هذا، وإن أحسَّت بقُربه الشَّديد، إذ هبَّت الرِّيح من الشَّرق محمَّلةً برائحة الملح القويَّة.

كان رجال ستانيس باراثيون قد قطَعوا الأشجار من أجل بناء أبراج الحصار والمجانيق، وتساءلَت كاتلين كم من الزَّمن احتلَّ البُستان هذه المنطقة قبل أن تأتي عليه الحرب، وإن كان نِد قد استراحَ هنا عندما قادَ جيشه جَنوبًا، ليرفع الحصار السَّابق عن ستورمز إند. يومها حقَّق انتصارًا عظيمًا، أعظم ما فيه أن دماءً لم تُرَق.

قالت كاتلين في قرارة نفسها: فلتِهب لي الآلهة القُدرة على تحقيق المِثل. كان أتباعها المخلصون أنفسهم قد حسبوها مجنونةً لمجرَّد المجيء إلى هنا، وقال السير وندل ماندرلي: «هذه ليست معركتنا يا سيِّدتي. أعرفُ أن الملك لم يكن ليرغب في أن تُعَرِّض أمُّه نفسها للخطر».

أجابَته بلهجةٍ ربما كانت أحدَّ من اللَّازم: «كلنا في خطرٍ بالفعل. أتحسب أني أريدُ أن أكون هنا أيها الفارس؟». مكاني في ريڤررَن مع أبي المحتضر، في وينترفل مع ولديَّ. «روب بعثَني جَنوبًا لأتكلَّم نيابةً عنه، وهذا ما أنوي



أن أفعله». إنها تعلم أن إقامة السَّلام بين هذين الأخوين لن تكون بالمهمَّة اليسيرة، لكن عليها أن تُحاوِل في سبيل البلاد.

وراء المرتفَعات الحجريَّة والحقول المشبَّعة بمياه الأمطار، ارتفعَت قلعة ستورمز إند العظيمة كأنما تَبلُغ عنان السَّماء، وقد ولَّت البحر غير المرئي ظَهرها، وبدت قوَّات ستانيس باراثيون التي تُطوِّق أسوارها الرَّماديَّة الباهتة ضئيلةً تافهةً كفئران تحمل الرَّايات.

يُحكى في الأغاني أن ستورمز إند شُيِّدَت في عصرٍ سحيق على يد داران أول ملوك العواصف، الذي فازَ بحُبِّ الجميلة إليني، ابنة إله البحر وإلهة الرِّيح، وفي ليلة زفافهما تخلَّت إليني عن بكارتها للفاني الذي أحبَّته، ومن ثَمَّ حكمَت على نفسها بالموت كما الفانين، فأطلقَ أبواها الثَّكلانان غضبتهما كلها في صورة الرِّياح والأمواج التي انقضَّت على معقل داران لتَدُكَّه، وانسحقَ أصدقاؤه وإخوته وضيوف زفافه جميعًا تحت الجُدران المتهاوية، أو طيَّرهم الهواءِ العاصف إلى البحر، لكن إليني وقَت داران بذراعيها فلم يمسَّه أذًى، ولمَّا طلعَ الفَجر أخيرًا، أعلنَ الملك الحرب على الآلهة، وتعهَّد بإعادة بناء القلعة.

خمس قلاعٍ أخرى شيَّدها داران، كلٌّ منها أكبر وأقوى من سابقتها، فقط ليشهدها تُدَمَّر واحدةً تلو الأخرى وسط الأعاصير الجارفة التي هبَّت عاويةً من خليج السُّفن الغارقة، تدفع أمامها جُدرانًا هائلةً من المياه. ناشَده لورداته أن يبني إلى الدَّاخل، وقال له كهنته أن عليه مهادَنة الآلهة بإعادة إليني إلى البحر، وحتى رعيَّته استعطَفوه كي يلين، لكن إصرار داران لم يتزحزَح قيد أُنملة، وشُيِّدَت القلعة السَّابعة أضخم من السَّابقات كلهن. قال البعض إن أطفال الغابة ساعَدوه على بنائها بتشكيل الحجارة بالسِّحر، وزعمَ آخَرون أن صبيًّا صغيرًا أخبرَه بما يجب أن يفعله، صبيًّا سيَكبُر ليُصبِح براندون البنَّاء. لكن مهما حُكِيَت الحكاية، فخاتمتها واحدة، تقول إن الآلهة هاجمَت القلعة بعاصفةٍ تلو العاصفة، لكن القلعة السَّابعة تحدَّتها وتصدَّت لها كلها، وعاشَ داران وَيل الآلهة والجميلة إليني معًا حتى نهاية أيامهما.

الآلهة لا تنسى، وتظلُّ العواصف الثَّائرة تهبُّ من البحر الضيِّق، لكن



ستورمز إند بقيَت صامدةً على مَرِّ القرون وعشرات القرون، قلعةً لا مثيل لها. يرتفع السُّور الواقي العظيم مئة قدمٍ كاملةً، لا تتخلَّله أيُّ فتحاتٍ لإطلاق السِّهام أو أبواب جانبيَّة، وكلُّ جزء منه منحنٍ مستدير وأملس تمامًا، كما ترتصُّ الأحجار معًا بدقَّةٍ متناهية لم تَترُك صدعًا أو زاويةً أو ثغرةً تَدخُل منها الرِّيح. يُقال إن سُمك السُّور يَبلُغ أربعين قدمًا في أضيق نقاطه، ونحو ثمانين في الجزء المواجه للبحر، ويتشكَّل من صفَّين متوازيَيْن من الأحجار صُبَّ بينهما الرَّمل والدَّبش، وفي داخل هذا الحصن الجبَّار تبقى المطابخ والاسطبلات والسَّاحات في أمانٍ من الرِّيح والأمواج. من الأبراج ليس هناك غير واحد، بُرج دائري عملاق بلا نوافذ حيث يُواجِه البحر، وواسع للغاية لدرجة أنه يضمُّ صومعة الغلال والثُّكنات وقاعة الاحتفالات ومسكن اللورد في آنٍ واحد، وتُتَوِّجه شُرفة هائلة تجعله يبدو من بعيدٍ كقبضةٍ شائكةٍ في نهاية ذراع مرفوعة إلى السَّماء.

خَرجَ راكبان من المعسكر الصَّغير المنظَّم تحت أسوار القلعة، واتَّجها نحوهما ببُطء، فقال هال مولين: «سيِّدتي، لا بُدَّ أنه الملك ستانيس».

قالت كاتلين وهي تُراقِبهما يدنوان: «لا شَك». لا بُدَّ أنه ستانيس، لكن هذه ليست راية باراثيون. كانت الرَّاية ذات لونٍ أصفر فاقع، وليس الذَّهبي الفاخر كرايات رنلي، والرَّمز الذي تحمله أحمر، وإن لم تستطِع كاتلين تمييز شكله.

سيكون رنلي آخِر من يصل، فهذا ما قاله لها قبل أن تُغادِر، وبالفعل لم يتحرَّك لامتطاء حصانه حتى رأى أخاه في طريقه بالفعل. على أول من يصل أن ينتظر الآخَر، ورنلي لا ينتظر أحدًا. قالت لنفسها: إنها لُعبة يُحِبُّها الملوك. حسنٌ، إنها ليست ملكًا، وعليه فليست مضطرَّةً لأن تشترك في اللَّعب، كما أنها متمرِّسة في الانتظار.

مع اقترابه، رأت أن ستانيس يعتمر تاجًا من الذَّهب الأحمر، رؤوسه المدبَّبة مطرَّقة على شكل ألسنة اللَّهب، بينما طُعِّمَ حزامه بالعقيق الأحمر والتوپاز الأصفر، واستقرَّت ياقوتة مربَّعة كبيرة في مقبض السَّيف الذي يحمله، لكن فيما عدا ذلك فثيابه تقليديَّة تمامًا، سُترة جلديَّة أزرارها من الحديد فوق صُدرةٍ مبطَّنة، مع حذاء بالٍ وسراويل من الصُّوف البنِّي الخشن. كان الرَّمز



على رايته الصَّفراء كالشَّمس عبارةً عن قلبٍ أحمر محاط باللَّهب البرتقالي المتَّقد، وصحيحٌ أن الوعل المتوَّج موجود أيضًا، إلَّا أنه منكمش ومحصور داخل القلب. الأكثر إثارةً للفضول من الرَّاية كانت حاملتها، تلك المرأة التي ترتدي ثيابًا حمراء بالكامل، ويتوارى وجهها تحت قلنسوة معطفها القُرمزي الواسعة. قالت كاتلين لنفسها حائرةً: راهبة حمراء. لهذه الطَّائفة أتباع كُثر وسُلطة لا يُستهان بها في المُدن الحُرَّة والشَّرق البعيد، لكن عدد المنتمين إليها في الممالك السَّبع محدود.

قال ستانيس باراثيون بكياسةٍ باردةٍ وهو يتوقَّف بحصانه: «ليدي ستارك»، وحتى رأسه الذي زحفَ عليه الصَّلع أكثر عن آخِر مرَّةٍ رأته فيها.

أجابَت: «لورد ستانيس».

أطبقَ فكَّيه الثَّقيلين بقوَّةٍ تحت لحيته المشذَّبة بعناية، لكن أشعرَها بالامتنان أنه لم يترفَّع عليها إزاء الألقاب، بل قال: «لم أتوقَّع أن أجدكِ عند ستورمز إند».

- «لم أتوقَّع أن أكون هنا».

رمقَتها عيناه العميقتان بانزعاج، فهذا الرَّجل ليس مخلوقًا لتبادُل عبارات المجامَلة، وقال لها: «آسفٌ لموت السيِّد زوجكِ، مع أن إدارد ستارك لم يكن صديقًا لي».

- «لكنه لم يكن عدوَّك قَطُّ يا سيِّدي. عندما سجنَك اللوردان تايرل وردواين في هذه القلعة وجعلاك تتضوَّر جوعًا، كان إدارد ستارك مَن كسرَ الحصار».

رَدَّ ستانيس: «بأمر أخي، لا لمحبَّته لي. لن أنكر أن اللورد إدارد أدَّى واجبه، فهل أقلَّ عنه في هذا؟ كان يجب أن أكون أنا يد روبرت».

- «تلك كانت رغبة أخيك، لكن ند لم يرغب في المنصب قَطُّ».

- «لكنه أخذَه بينما كان المفترَض أن يكون لي. ومع ذلك أعطيكِ كلمتي، ستنالين العدالة لمقتله».

كم يُحبُّ هؤلاء الرِّجال الذين يُريدون ملوكًا أن يَعِدوا بالرُّؤوس المبتورة. «أخوك وعدَني بالشَّيء نفسه، لكن الحَقَّ أني أوثرُ أن أستعيد ابنتيَّ وأدع إنجاز



العدالة للآلهة. ما زالت سرسي تحتجز ابنتي سانزا، ولا توجد أخبار عن آريا منذ يوم موت روبرت».

رَدَّ: «إذا عثرنا على ابنتيكِ عندما آخذُ المدينة، سنُرسِلهما إليكِ»، بينما قالت نبرته: حيَّين أو ميتتين.

- «ومتى سيكون هذا يا لورد ستانيس؟ كينجز لاندنج قريبة من جزيرتك دراجونستون، لكنني أجدك هنا بدلًا من ذلك».

- «أنتِ صريحة يا ليدي ستارك. ليكن، سأجيبكِ بصراحةٍ إذن. كي آخذ المدينة، فإنني أحتاجُ قوَّة هؤلاء اللوردات الجَنوبيِّين الذين أراهم عبر المرج. إنهم مع أخي، ويجب أن آخذهم منه».

- «النَّاس يمنحون ولاءهم لمن يشاؤون يا سيِّدي، وهؤلاء اللوردات أقسَموا على الولاء لروبرت وعائلة باراثيون. إذا نحَّيت أنت وأخوك خلافكما جانبًا...».

- «ليس لديَّ خلاف مع رنلي إذا أثبتَ طاعته لي. إنني أخوه الأكبر ومليكه، ولا أريدُ إلَّا ما هو حقِّي شرعًا. رنلي مدين لي بالإخلاص والطَّاعة، وأنوي أن أنالهما منه ومن أولئك اللوردات الآخَرين»، وتمعَّن في وجهها متسائلًا: «لكن ماذا أتى بكِ إلى هذا المكان يا سيِّدتي؟ هل ضَمَّت عائلة ستارك رجالها إلى أخي؟ أهذا ما حدثَ؟».

فكَّرت: هذا الرَّجل لن يلين أبدًا، لكن عليها أن تُحاوِل على الرغم من هذا، فالكثير جدًّا على المحك. هكذا قالت: «ابني يَحكُم بصفته الملك في الشَّمال، لكن برغبة لورداتنا وشعبنا، ولا يركع أمام أحد، وإن كان يمدُّ يد الصَّداقة للجميع».

قال ستانيس بجفاء: «الملوك ليس لديهم أصدقاء، بل رعايا وأعداء فقط».

- «وإخوة!»، قال صوت مرح من ورائها، فألقَت كاتلين نظرةً من فوق كتفها لترى فَرس اللورد رنلي تشقُّ طريقها بين بقايا الأشجار. بدا الأخ باراثيون الصَّغير شديد الأناقة في سُترةٍ من المخمل الأخضر ومعطفٍ من الحرير الموشَّى بالفراء، بينما طوَّق تاج الورود الذَّهبيَّة رأسه وارتفعَ رأس الوعل المنحوت من اليَشب فوق جبهته، ومن تحته استرسلَ شَعره الفاحم



الطَّويل، وزيَّنت كُتل مذبَّبة من الماس الأسود حزام سيفه، فيما أحاطَت بعُنقه سلسلة من الذَّهب والزمرُّد.

رنلي أيضًا اختارَ امرأةً تحمل رايته، على الرغم من أن بِريان أخفَت وجهها وجسدها تحت دِرع من الصَّفائح المعدنيَّة لا تدلُّ على جِنسها إطلاقًا، وعلى السَّارية التي ترتفع اثني عشر قدمًا جعلَت رياح البحر الوعل المتوَّج الأسود يتواثَب على الخلفيَّة الذَّهبيَّة.

حيَّاه أخوه باقتضاب: «لورد رنلي».

- «الملك رنلي. أهذا أنت حقًّا يا ستانيس؟».

قطَّب ستانيس وجهه قائلًا: «ومَن غيري؟».

هَزَّ رنلي كتفيه باستهتار، وأجابَ: «لم أكن واثقًا حين رأيتُ هذه الرَّاية. راية مَن هذه التي تحملها؟».

- «رايتي أنا».

تكلَّمت الرَّاهبة الحمراء قائلةً: «الملك اتَّخذ قلب إله الضِّياء النَّاري رمزًا له».

بدا أن رنلي وجدَ هذا طريفًا، فقال: «أفضل كثيرًا. إذا استخدمَ كلانا الرَّاية نفسها، ستكون المعركة مربكةً تمامًا».

قالت كاتلين: «لنأمل ألَّا تقع معركة. نحن الثَّلاثة لدينا عدوٌّ مشترَك يسعى إلى تدميرنا جميعًا».

رمقَها ستانيس بنظرةٍ فاحصة، وقال بوجهٍ جامد: «العرش الحديدي من حقِّي، وكلُّ مَن يُنكِرون هذا أعدائي».

قال رنلي: «البلاد كلها تُنكِره يا أخي، المسنُّون يُنكِرونه وهُم يلفظون آخِر أنفاسهم، والأجِنَّة يُنكِرونه في بطون أمَّهاتهم، يُنكِرونه في دورن ويُنكِرونه على «الجدار». لا أحد يُريدك ملكًا، آسف».

انقبضَ فَكَّا ستانيس وشَدَّ وجهه، وقال: «لقد أقسمتُ أني لن أتعامَل معك أبدًا ما دُمت ترتدي تاج الخيانة هذا، فليتني حافظتُ على قَسمي».

تدخَّلت كاتلين قائلةً بحدَّة: «هذه حماقة. اللورد تايوين جالسٌ في هارنهال ومعه عشرون ألف مُحارِب، وفلول جيش قاتِل الملك عادوا يُنَظِّمون



صفوفهم عند قلعة «النَّاب الذَّهبي»، بينما يحتشد جيش لانستر آخَر في ظِلٍّ كاسترلي روك، وسرسي وابنها يُسَيطِران على كينجز لاندنج وعرشكما الحديدي الغالي. كلاكما يُسَمِّي نفسه ملكًا، لكن المملكة تنزف، ولا أحد يرفع سيفه دفاعًا عنها سوى ابني».

هَزَّ رنلي كتفيه قائلًا: «ابنكِ ربحَ بضع معارك، لكني سأربحُ الحرب، ولينتظر آل لانستر كلَّ الأشياء الجميلة التي أعدُّها لهم».

قال ستانيس بغِلظة: «إذا كان لديك ما تعرضه، فاعرضه وإلَّا رحلتُ».

- «ليكن إذن. أعرضُ أن تترجَّل وتركع وتُقسِم لي على الولاء».

كبتَ ستانيس غضبته السَّوداء، وقال: «هذا ما لن تناله مني أبدًا».

- «لقد خدمت روبرت، فلِمَ لا تخدمني؟».

- «روبرت كان أخي الأكبر، وأنت أخي الأصغر».

- «الأصغر والأجرأ والأوسم بمراحل...».

- «ولِصٌّ وغاصِب كذلك».

هَزَّ رنلي كتفيه من جديدٍ قائلًا: «آل تارجاريَن لقَّبوا روبرت بالغاصِب، لكنه بدا قادرًا على حمْل هذا العار، وكذا أنا».

فكَّرت كاتلين: لن يَصلُح هذا أبدًا، ثم رفعَت صوتها قائلةً: «اسمعا نفسيكما! لو كنتما ابنيَّ، لضربتُ رأسيكما معًا وحبستكما في غُرفةٍ حتى تتذكَّرا أنكما أخوان!».

عبسَ ستانيس في وجهها، وقال: «إنكِ تتجرَّئين كثيرًا يا ليدي ستارك. أنا الملك الشَّرعي، وخيانة ابنكِ لا تقلُّ عن خيانة أخي هذا، وسوف يأتي يومه».

أشعلَ التَّهديد السَّافر غضبها، فقالت: «أنت حُرٌّ في اعتبار الآخَرين خونةً وغاصِبين يا سيِّدي، لكن فيمَ تختلف أنت عنهم بالتَّحديد؟ تقول إنك وحدك الملك الشَّرعيّ، بينما يبدو لي أن روبرت أنجبَ ابنين، ووَفقًا لكلِّ قوانين الممالك السَّبع، فالأمير چوفري هو الوريث الشَّرعي، وتومن مِن بَعده... وكلنا خونة مهما كانت وجاهة أسبابنا».

ضحكَ رنلي، وقال: «يجب أن تُسامِح الليدي ستارك يا ستانيس، فقد



قطعَت الطَّريق الطَّويل من ريفرزَن إلى هنا على ظَهر حصان، وأخشى أنها لم ترَ رسالتك».

قال ستانيس بلهجةٍ جافَّة: «چوفري ليس من صُلب أخي، ولا تومن. إنهما نغلان، والفتاة كذلك. ثلاثتهم مسوخ مولودون من زنى المحارم».

مصعوقةً تساءلَت كاتلين: أمن الممكن أن تكون سرسي نفسها بهذا الجنون؟

قال رنلي: «أليست قِصَّةً ممتازةً يا سيِّدتي؟ كنتُ معسكِرًا في هورن هيل عندما تلقَّى اللورد تارلي نُسخته من الرِّسالة، ويجب أن أعترف بأنها أبهرَتني حقًّا»، وابتسمَ لأخيه متابعًا: «لم أتوقَّع قَطُّ أنك بهذه البراعة يا ستانيس. ليتها قِصَّة صحيحة، لكنتَ وريث روبرت حقًّا».

- «ليتها قِصَّة صحيحة؟ أتقول إنني كاذب؟».

- «هل يُمكِنك إثبات كلمة واحدة من هذه الخرافة؟».

وكَزَّ ستانيس على أسنانه.

فكَّرت كاتلين: ليس ممكنًا أن روبرت كان يعلم، وإلَّا لفقدَت سرسي رأسها في لحظة، ثم قالت: «لورد ستانيس، إذا كنت على درايةٍ بارتكاب الملكة تلك الجرائم الوحشيَّة، فلِمَ لُذت بالصَّمت؟».

أجابَ ستانيس: «لم ألذ بالصَّمت، بل ذهبتُ بشكوكي إلى چون آرن».

- «بدلًا من الذَّهاب إلى أخيك؟».

قال ستانيس: «كلُّ اعتبار أخي لي كان بدافع الواجب لا أكثر، وإذا أتَت تلك الاتِّهامات مني، لكانت قد بدَت بدافع الحقد والأنانية، مجرَّد وسيلة لوضْع نفسي في تسلسُل الخلافة، فخطرَ لي أن روبرت سيُصغي إذا جاءَت الاتِّهامات من اللورد آرن، الذي كان يُحِبُّه».

قال رنلي: «آه، إذن فليس لدينا إلَّا كلمة رجل ميت».

- «أتعتقد أن موته كان مصادفةً أيها الأحمق الأعمى؟ لقد سمَّمته سرسي خشية أن يفضح سِرَّها. اللورد چون كان يجمع أدلَّةً معيَّنةً...».

- «... ماتَت معه بلا شَك. يا لها من صُدفة!».

كانت كاتلين تتذكَّر وترصُّ قِطع اللُّغز معًا، فقالت: «أختي لايسا اتَّهمت



الملكة بقتل زوجها في رسالةٍ أتتني منها في وينترفل، وبَعد ذلك، في «العُش»، ألقَت التُّهمة على شقيق الملكة تيريون».

قال ستانيس ساخرًا: «إذا دخلتِ بيت الأفاعي، فهل يهمُّ مَن يلدغكِ أو لَا؟».

قال رنلي: «كلُّ هذا الكلام عن الأفاعي وزنى المحارم مسلٍّ حقًّا، لكنه لا يُغَيِّر شيئًا. قد تكون صاحِب الدَّعوى الأفضل يا ستانيس، لكني ما زلتُ أملك الجيش الأكبر»، ودَسَّ يده في معطفه، فلاحظَ ستانيس ومَدَّ يده من فوره إلى مقبض سيفه، لكن قبل أن يستلَّه... أخرجَ أخوه خوخةً، وسألَه مبتسمًا: «أترغب في واحدةٍ يا أخي؟ إنها من هايجاردن، وأؤكِّدُ لك أنك لم تتذوَّق شيئًا بهذه الحلاوة من قبل»، وقضمَ من الثَّمرة ليسيل العصير على جانب فمه.

رَدَّ ستانيس وهو يتميَّز من الغيظ: «لم آتِ إلى هنا لآكل الفاكهة».

صاحَت كاتلين: «أيها السيِّدان! يَجدُر بنا أن نسنَّ شروطًا للتَّحالُف، لا أن نتبادَل عبارات الاستفزاز».

قال رنلي وهو يُلقي النَّواة: «لا يجب أن يَرفُض أحد تذوُّق الخوخ أبدًا، فقد لا ينال الفرصة ثانيةً. الحياة قصيرة يا ستانيس. تذكَّر ما يقوله آل ستارك... الشِّتاء قادم»، ومسحَ فمه بظَهر كفِّه.

- «لم آتِ إلى هنا لأتلقَّى التَّهديدات كذلك».

رَدَّ رنلي بحدَّة: «وأنا لم أهدِّدك، فستعرف عندما أهدِّدُ. إذا كنت تُريد الحَق، فأنا لم أحبَّك قَطُّ يا ستانيس، لكنك من دمي في النِّهاية، ولا أرغبُ إطلاقًا في مصرعك. إذا كانت ستورمز إند هي ما تروم، فخُذها... كهديَّةٍ أخويَّة. كما أهدانيها روبرت من قبل، ها أنا أهديك إياها».

- «إنها ليست مِلكك لتُهديها، بل مِلكي أنا شرعًا».

متنهِّدًا، التفتَ رنلي نِصف التفاتةٍ فوق سَرجه، وقال: «ماذا أفعلُ مع أخي هذا يا بِريان؟ يَرفُض خوختي، ويَرفُض قلعتي، بل واجتنبَ حضور زفافي كذلك...».

- «كلانا يعلم أن زواجك مسرحيَّة هزليَّة. منذ عامٍ واحدٍ كنت تُخَطِّط لجعْل الفتاة واحدةً من بغايا روبرت».



- «منذ عامٍ واحدٍ كنتُ أخطِّطُ لجعْل الفتاة ملكة روبرت، لكن ما أهميَّة هذا الآن؟ الخَنزير البرِّي نالَ من روبرت، ونلتُ أنا مارچري. سيسرُّك أن تعرف أنها جاءَتني عذراء.».

- «وفي فِراشك ستموت عذراء غالبًا».

- «أوه، إنني أتوقَّعُ أن أزرع فيها بذرة ابني قبل نهاية العام. قُل لي، كم ابنًا لديك يا ستانيس؟ أوه، هذا صحيح، ولا واحد»، ورسمَ رنلي على وجهه ابتسامةً بريئةً وهو يُواصِل: «وبالنِّسبة لابنتك، فأنا متفهِّم. لو أن زوجتي تُشبِه زوجتك، لأرسلتُ مهرِّجي لمعاشَرتها أيضًا».

بصوتٍ هادرٍ صاحَ ستانيس: «كفى! لن أسمح لك بالسُّخرية مني في وجهي، هل تفهم؟ لن أسمح!»، وسحبَ سيفه الطَّويل من غِمده، فتألَّق الفولاذ على نحوٍ عجيب في نور الشَّمس الشَّاحب، لحظةً أحمر، ولحظةً أصفر، ولحظةً أبيض وهَّاجًا، وبدا الهواء من حوله ملتهبًا كأنه يبثُّ الحرارة.

صهلَ حصان كاتلين وتراجعَ خطوةً، لكن بريان تقدَّمت تحول بين الأخوين وسيفها في يدها، وهتفَت في ستانيس: «نَحِّ سيفك جانبًا!».

لنفسها قالت كاتلين بتعب: لا بُدَّ أن سرسي لانستر تضحك حتى تتقطَّع أنفاسها.

أشارَ ستانيس بسيفه إلى أخيه، وبصوتٍ كالرَّعد قال الرَّجل الشَّهير بعدم الرَّحمة: «أنا لستُ عديم الرَّحمة، ولا رغبة لديَّ في تلويث «جالِب الضِّياء» بدماء أخي. لأجل خاطِر الأمِّ التي حملتنا، سأعطيك اللَّيلة لتُعيد التَّفكير في حماقاتك يا رنلي. أنزِل راياتك وتعالَ إليَّ قبل الفَجر، وسأعطيك ستورمز إند ومقعدك السَّابق في المجلس، بل وسأسمِّيك وريثي إلى أن يولَد لي ابن. إمَّا هذا أو أدمِّرك تدميرًا».

ضحكَ رنلي، وقال: «ستانيس، أقرُّ بأنه سيف جميل، لكني أخشى أن وهجه أضعفَ بصرك. انظُر عبر المرج يا أخي. أترى كلَّ تلك الرَّايات؟».

- «أتحسب أن بضع لفائف من القُماش ستجعلك ملكًا؟».

- «سيوف تايرل ستجعلني ملكًا، روان وتارلي وكارون سيجعلونني ملكًا بالفأس والصَّولجان الشَّائك ومطرقة الحرب، سيوف تارث ورماح



پنروز، وفوسواي، وكوي، ومالندور، وإسترمونت، وسلمي، وهايتاور، وأوكهارت، وكرين، وكازويل، وبلاكبار، وموريجن، وبيزبوري، وشريمر، ودون، وفوتلي... وحتى عائلة فلورنت، إخوة زوجتك وأعمامها، كلُّ هؤلاء سيجعلونني ملكًا. سلاحِ فُرسان الجَنوب كله معي، وهذا أقلُّ جزءٍ من قوَّتي، فما زال مُشاتي في الطَّريق، مئة ألفٍ من حاملي السُّيوف والرِّماح والحراب... وستُدَمِّرني؟! بماذا؟ بهؤلاء الغوغاء الذين أراهم متحلِّقين حول أسوار القلعة؟ سأكون كريمًا وأحصي خمسة آلافٍ منهم، لوردات السَّمك وفُرسان البصل والمرتزقة. أراهنُ أن نِصفهم سينضمُّ إليَّ قبل بدء المعركة، كما أن كشَّافتي أبلَغوني أن لديك أقلَّ من أربعمئةٍ من الخيَّالة، أنهم مُحارِبون غير نظاميِّين يرتدون الجِلد المقوَّى، ولن يَصمُدوا لحظةً أمام حاملي الرِّماح المدرَّعين. لا أبالي بأنك تحسب نفسك مقاتلًا مخضرمًا يا ستانيس، فجيشك هذا لن يحتمل أكثر من هجمةٍ واحدةٍ من طليعة جيشي».

قال ستانيس: «سنرى يا أخي»، وبدا لكاتلين أن شيئًا من نور الدُّنيا انطفأَ عندما دَسَّ ستانيس سيفه في غِمده وأكملَ: «سنرى حينما يطلع الفَجر».

- «آملُ أن إلهك الجديد رحيم يا أخي».

أطلقَ ستانيس نخيرًا ساخرًا، وابتعدَ بسرعةٍ وقد لاحَ عليه بالازدراء، بينما تخلَّفت الرَّاهبة الحمراء عنه لحظةً، وقالت وهي تدور بحصانها: «تأمَّل في إصر الخطايا الذي تحمله يا لورد رنلي».

رجعَت كاتلين واللورد رنلي معًا إلى المعسكر، حيث ينتظر آلافه وقِلَّتها عودتهما، وعلَّق رنلي قائلًا: «كان هذا مسلِّيًا، إن لم يكن مفيدًا لأقصى درجة. تُرى أين يُمكنني الحصول على سيفٍ كهذا؟ لا شَكَّ أن لوراس سيُهديني إياه بَعد المعركة. يُحزِنني أن تصل الأمور إلى هذا الحَد».

قالت كاتلين، التي تَشعُر بالغَمِّ حقًّا ولا تتصنَّعه: «إنك تُعبِّر عن حُزنك بطريقةٍ بهيجةٍ فعلًا».

تساءلَ رنلي: «حقًّا؟»، وهَزَّ كتفيه متابعًا: «ليكن إذن، أعترفُ بأن ستانيس لم يكن أحبَّ أخٍ لي قَطُّ. أتحسبين أن حكايته تلك حقيقيَّة؟ إذا كان چوفري ابن قاتِل الملك حقًّا...».



- «... فأخوكَ الوريث الشَّرعي».

- «ما دامَ حيًّا، على الرغم من أنه قانون سخيف، ألا ترين ذلك؟ لماذا الابن الأكبر وليس الأصلح؟ سيُلائِمني التَّاج كما لم يُلائِم روبرت قَطُّ ولا يُلائِم ستانيس البتَّة. إنني أملكُ القُدرة على أن أكون ملكًا عظيمًا، قويًّا لكن كريمًا، ذكيًّا وعادلًا ومثابرًا ومخلصًا لأصدقائي ومروِّعًا مع أعدائي، لكن قادرًا على الغفران، وصبورًا...».

أضافَت كاتلين: «ومتواضعًا؟».

ضحكَ رنلي قائلًا: «عليكِ أن تسمحي لي بالقليل من العيوب يا سيِّدتي».

شعرَت كاتلين بإنهاكٍ بالِغ. كلُّ هذا كان بلا طائل، وسيُغرِق الأخوان باراثيون بعضهما بعضًا في الدِّماء، بينما يُواجِه ابنها جيوش لانستر وحده، ولا شيء يُمكنها أن تقوله أو تفعله سيُغَيِّر هذا. آن أوان عودتي إلى ريفررَن لأُغلق عينيَّ أبي. أستطيعُ أن أفعلِ هذا على الأقل. قد أكونُ مبعوثةً فاشلةً، لكني محنَّكة في الأحزان، ولتتولَّني الآلهة برحمتها.

أقيمَ معسكرهم في موقع جيِّدٍ فوق مرتفَعٍ حجريٍّ واطئ يمتدُّ من الشَّمال إلى الجَنوب، وبدا أكثر تنظيمًا بمراحل منَ المعسكر الآخَر المنتشر على نهر الماندر، وإن كان يَبلُغ رُبع حجمه فقط. عندما علمَ رنلي بهجوم أخيه على ستورمز إند، قسَّمَ قوَّاته مِثلما فعلَ روب عند «التَّوأمتين»، وتركَ مُشاته بأعدادهم الغفيرة في «جسر العلقم» مع ملكته الشَّابَّة ومركباته وعرباته وحيوانات الجَرِّ وجميع آلات الحصار الثَّقيلة، بينما قادَ رنلي نفسه فُرسانه ومُحارِبيه غير النِّظاميِّين سريعًا إلى الشَّرق.

كم يُشبِه أخاه روبرت، حتى في هذا... غير أن روبرت كان يحظى دومًا بإدارد ستارك ليُهَدِّئ اندفاعه وينصحه بالحِرص. مؤكَّد أن ند كان ليَحُثَّ رنلي على المجيء بقوَّته كاملةً ليُطَوِّق ستانيس ويُحاصِر المحاصِرين، لكن رنلي حرمَ نفسه ذلك الخيار بلهفته المتهوِّرة لمواجَهة أخيه، فابتعدَ عن خطوط إمداده، وأخَّر الطَّعام والمؤن أيامًا عن الوصول إليه مع جميع مركباته وثيرانه وبغاله.

يجب أن يَدخُل المعركة قريبًا إذن، أو يجوع جيشه.



أرسلَت كاتلين هال مولين للعناية بالخيول، بينما سارَت في صُحبة رنلي إلى السُّرادق الملكي في قلب المعسكر، وكان قادته واللوردات حمَلة رايته جالسين في الخيمة ذات الحوائط الحرير الخضراء، ينتظرون أن يعرفوا نتيجة المفاوَضة، فقال لهم ملكهم الشَّاب ريثما خلعَت بِريان معطفه ورفعَت تاج الذَّهب واليَشب عن جبهته: «أخي لم يتغيَّر، لن يقنع بالقلاع والمجامَلات، ويُريد الدَّم. حسنٌ، أفكِّرُ في أن أحقِّق له رغبته».

قال اللورد ماثيس روان: «لا أرى حاجةً لخوض معركةٍ هنا يا جلالة الملك، فحامية القلعة قويَّة ومزوَّدة بالكثير من المؤن، والسير كورتناي پنروز قائد مخضرم، ولم يُبنَ بعدُ المنجنيق الذي يستطيع اختراق أسوار ستورمز إند. دَع اللورد ستانيس يُحاصِر القلعة، فلن يجد أيَّ مسرَّةٍ في هذا، وبينما يجلس في مكانه باردًا جائعًا دون أن يُثمِر حصاره شيئًا، سنأخذ نحن كينجز لاندنج».

- «وأجعلُ النَّاس يقولون إنني خفتُ من مواجَهة ستانيس؟».

قال اللورد ماثيس بإلحاح: «لن يقول ذلك غير الحمقى».

نظرَ رنلي إلى الآخَرين متسائلًا: «وما رأيكم أنتم؟».

أعلنَ اللورد راندل تارلي: «رأيي أن ستانيس خطر عليك. دَعه بلا إراقة دماءٍ وسيستقوي أكثر، بينما تخور قوَّتك من معركةٍ إلى أخرى. آل لانستر لن يُهزَموا في يومٍ واحد، ومع فروغك منهم قد يكون اللورد ستانيس قد أصبحَ في مِثل قوَّتك... أو أقوى».

ردَّد آخَرون موافقتهم، ما جعلَ الملك يبدو مسرورًا، وقال: «سنُقاتِل إذن».

حدَّثت كاتلين نفسها: لقد خذلتُ روب كما خذلتُ ند، ثم خاطبَت رنلي قائلةً: «سيِّدي، ما دُمت عازمًا على القتال، فقد انتهى الغرض من وجودي هنا. أطلبُ منك الإذن بالعودة إلى ريڤررَن».

أجابَ رنلي وهو يجلس على واحدٍ من كراسي المعسكرات: «لا أعطيكِ الإذن».



تخشَّبت في مكانها قائلةً: «لقد أملتُ في مساعَدتك على تحقيق السَّلام يا سيِّدي، لكني لن أعينك على الحرب».

هَزَّ رنلي كتفيه مغمغمًا: «أجسرُ على القول بأننا سننتصر دون رجالكِ الخمسة وعشرين يا سيِّدتي. لستُ أريدكِ أن تُشارِكي في المعركة، بل أن تشهديها فحسب».

- «كنتُ في الغابة الهامسة بالفعل يا سيِّدي، ورأيتُ ما يكفي من الذَّبح. لقد أتيتُ مبعوثةً...».

- «وستُغادِرين مبعوثةً، لكن أكثر حكمةً مما كنتِ حين أتيتِ. سترين بأُمِّ عينيكِ ما يَحدُث للمتمرِّدين، كي يسمع ابنكِ التَّفاصيل كلها من فمكِ. سنُحافِظ على سلامتك، فلا تخشي شيئًا»، والتفتَ رنلي عنها لعمل ترتيباته، وكلَّم رجاله قائلًا: «لورد ماثيس، ستقود قلب قوَّتي الأساسيَّة. برايس، الميسرة لك، والميمنة لي. لورد إسترمونت، ستقود قوَّات الاحتياط».

أجابَ اللوردِ إسترمونت: «لن أخذلك يا سيِّدي».

رفعَ اللورد ماثيس روان صوته متسائلًا: «من سيقود الطَّليعة؟».

قال السير چون فوسواي: «جلالة الملك، أناشدك المَنَّ عليَّ بهذا الشَّرف».

قال السير جايارد الأخضر: «ناشِده كما تشاء، لكن الحَقَّ أن يُسَدِّد واحد من حَرسه السَّبعة الضَّربة الأولى».

تدخَّل اللورد راندل تارلي قائلًا: «الهجوم على حائطٍ من التُّروس يتطلَّب أكثر من معطفٍ أنيق. لقد كنتُ أقودُ طليعة جيش مايس تايرل وأنت لا تزال ترضع من حلمة أمِّك يا جايارد».

ذاعَ الهرج والمرج في السُّرادق إذ اندفعَ الرِّجال الآخَرون يُطالِبون بقيادة الطَّليعة، فقالت كاتلين لنفسها: فُرسان الصَّيف. ثم إن رنلي رفعَ يده قائلًا: «أيها السَّادة، لو كانت لدي دستة من الطَّلائع، لولَّيت كلًّا منكم على واحدة، لكن الحَقَّ ينصُّ على أن المجد الأعظم ينتمي للفارس الأعظم. السير لوراس هو مَن سيقود الهجمة الأولى».

ركعَ فارس الزُّهور أمام مليكه، وقال: «بقلبٍ فَرِح يا جلالة الملك.



امنحني مبارَكتك وفارسًا يركب إلى جواري حاملًا رايتك. فليَدخُل الوعل والوردة المعركة جنبًا إلى جنب».

تطلَّع رنلي حوله، وقال: «برِيان».

غمغمَت: «جلالة الملك؟». كانت لا تزال ترتدي دِرعها الفولاذيَّة الزَّرقاء، وإن خلعَت خوذتها، وجعلَت حرارة السُّرادق المزدحم العَرق يلصق شَعرها الأصفر المتهدِّل بوجهها العريض الدَّميم. «مكاني إلى جوارك. إنني حاميتك التي...».

قاطَعها الملك مذكِّرًا: «واحدة من سبعة. لا تخافي، فأربعة من رفاقك سيكونون معي خلال القتال».

هوَت برِيان على رُكبتيها قائلةً: «إن كان لا مناص من فراق جلالتك، فامنحني شَرف تسليحك للمعركة».

سمعَت كاتلين أحدًا يُطلِق ضحكةً مكتومةً وراءها، ففكَّرت بأسف: المسكينة تُحِبُّه، تلعب دور مُرافِقه لمجرَّد أن تلمسه، ولا تُبالي بأنهم يعدُّونها بلهاء كبيرة.

قال رنلي: «لكِ هذا. والآن اترُكوني كلكم، فحتى الملوك يجب أن يستريحوا قبل المعركة».

قالت كاتلين: «سيِّدي، ثمَّة سِپت صغير في آخِر قريةٍ مررنا بها. ما دُمت لن تأذن لي بالعودة إلى ريڤررَن، فاسمح لي بأن أذهب إلى هناك وأصلِّي».

- «كما تشائين. سير روبار، اعمل على اصطحاب الليدي ستارك بأمانٍ إلى ذلك السِّپت... لكن احرِص على عودتها إلينا قبل الفَجر».

قالت كاتلين: «قد يُفيدك أن تُصَلِّي أنت أيضًا».

- «للنَّصر؟».

- «للحكمة».

ضحكَ رنلي، وقال: «لوراس، ابقَ معي وساعِدني على الصَّلاة، فقد مضى وقت طويل منذ آخِر مرَّةٍ ونسيتُ كيف أصلِّي. أمَّا بقيَّتكم، فأريدُ كلَّ رجلٍ في موقعه مع خيوط النَّهار الأولى، مسلَّحين ومدرَّعين وعلى متن خيولكم. سنُري ستانيس فَجرًا لن ينساه قريبًا».



كان الغَسق قد بدأ يحلُّ لمَّا غادرَت كاتلين السُّرادق، وخرجَ السير روبار رويس في أعقابها. إنها تعرفه بعض الشَّيء، فهو واحد من أبناء يون البرونزي، وسيم على نحوٍ خشن، ومُحارِب حقَّق نوعًا من الشُّهرة في دورات المباريات. كان رنلي قد أَنعمَ عليه بمعطفٍ بألوان قوس قزح ودِرعًا قانيةً كالدَّم، وعيَّنه واحدًا من حَرسه الملكي السَّبعة. قالت له: «بعيد أنت جدًّا عن «الوادي» أيها الفارس».

- «وبعيدة أنتِ جدًّا عن وينترفل يا سيِّدتي».

- «أعرفُ ما جاءَ بي إلى هنا، فلِمَ جئت أنت؟ هذه ليست معركتك كما أنها ليست معركتي».

- «جعلتُها معركتي عندما جعلتُ رنلي مليكي».

- «عائلة رويس تحمل راية عائلة آرن».

- «السيِّد والدي يدين لليدي لايسا بالولاء، ووريثه كذلك، بينما على الابنِ الثَّاني أن يسعى إلى المجد حيثما يستطيع»، وهَزَّ السير روبار كتفيه مضيفًا: «وسئمتُ المباريات».

خمَّنت كاتلين أن عُمره لا يتعدَّى الحادية والعشرين، يُقارِب ملكه في السِّن... لكن ملكها هي، ابنها روب، يتحلَّى في سِنِّ الخامسة عشر بحكمةٍ أكثر مما تعلَّم هذا الشَّاب في حياته كلها، أو أن هذا ما تتمنَّاه من الآلهة.

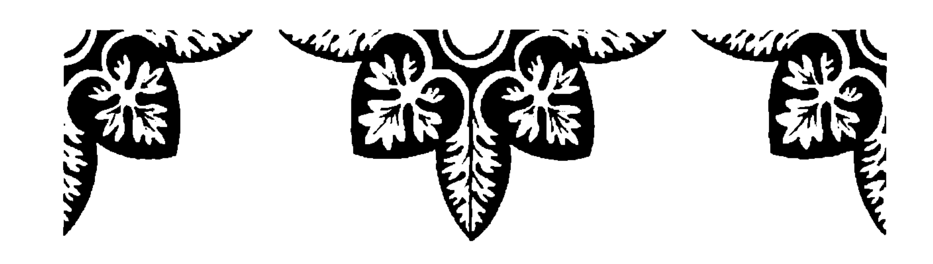
في رُكن كاتلين الصَّغير من المعسكر، كان شاد يُقَطِّع الجزر في قِدر، بينما انغمسَ هال مولين في لعب النَّرد مع ثلاثةٍ من رجال وينترفل، وجلسَ لوكاس بلاكوود يشحذ خنجره، وعندما رآها قال: «ليدي ستارك، مولين يقول إن المعركة ستبدأ عند الفَجر».

ردَّت: «هال مُحِق»، ولا يستطيع أن يكتم سِرًّا على ما يبدو.

- «هل نُحارِب أم نهرب؟».

أجابَته: «نُصَلِّي يا لوكاس، نُصَلِّي».





سانزا

قال لهاساندور كليجاين محذِّرًا: «كلما تركتِه ينتظر مدَّةً أطول، ستكون العاقبة أوخم».

حاولَت سانزا أن تُسرِع، لكن أصابعها تلمَّست أزرار وعُقد ثيابها باضطرابٍ بالغ. كلب الصَّيد خشن اللِّسان دائمًا، لكن شيئًا ما في نظرته إليها أفعمَها رهبةً. هل علمَ چوفري بلقائها بالسير دونتوس؟ فكَّرت وهي تُمَشِّط شَعرها: أرجوكِ لا أيتها الآلهة. السير دونتوس أملها الأوحد. يجب أن أبدو جميلةً، چوفري يُحِبُّني جميلةً، ودائمًا استحسنَ رؤيتي في هذا الفُستان وهذا اللَّون. سوَّت نسيج الفُستان، وأحسَّت به مشدودًا على صدرها.

سارَت سانزا على يسار كلب الصَّيد عندما خرجَت من غُرفتها، بعيدًا عن جانب وجهه المحروق، وقالت: «أخبِرني ماذا فعلتُ».

- «ليس أنتِ، بل أخوكِ الملوكي».

تحفظ سانزا الكلمات صمًّا، وهكذا ردَّدت: «روب خائن، وليس لي دور فيما فعلَه أيًّا كان». أرجوكِ أيتها الآلهة، لا تجعليه قاتِل الملك. إن آذى روب چايمي لانستر، فسيعني هذا حياتها. فكَّرت في السير إلين وهاتين العينين الشَّاحبتين الفظيعتين، اللتين تُحَدِّقان بلا أدنى أثرٍ للرَّحمة فيهما من وجهه الضَّاوي المجدور.

قال كلب الصَّيد ساخرًا: «درَّبوكِ جيِّدًا أيتها الطَّائر الصَّغير».

قادَها إلى الفِناء السُّفلي، حيث احتشدَ رهط حول أهداف الرِّماية، وأفسحَ لها الحاضرون الطَّريق. سمعَت سُعال اللورد جايلز، بينما رمقَها عُمَّال



الاسطبلات المتسكِّعين حول المكان بنظراتٍ وقحة، لكن السير هوراس ردواين حوَّل بصره عنها وهي تمرُّ، أمَّا أخوه هوبر فتظاهرَ بأنه لا يراها من الأصل. على الأرض كانت قِطَّة صفراء تحتضر، تُطلِق مواءً واهنًا يُمَزِّق نياط القلوب، وقد اخترقَ سهم نُشَّابيَّة ضلوعها، فدارَت سانزا حولها شاعرةً بالغثيان.

منذ لم يستطِع السير دونتوس امتطاء حصانه في دورة المباريات بسبب ثَمَله الشَّديد، قضى الملك ألَّا يذهب إلى أيِّ مكانٍ بلا حصان، وهكذا اقتربَ منها على حصانه الخشبي المصنوع من عصا مكنسة، وهمسَ معتصرًا ذراعها: «كوني شُجاعةً».

وقفَ چوفري في مركز الحشد، يُدَوِّر بكرة نُشَّابيَّةٍ مزخرَفة، ومعه السير بوروس والسير مرين، اللذين كان منظرهما كفيلًا بأن تنقلب معدتها تمامًا.

ركعَت قائلةً: «جلالة الملك».

قال الملكِ: «لن يُنقِذك الرُّكوع. قفي. إنكِ هنا لتُكَفِّري عن خيانات أخيكِ الأخيرة».

- «جلالة الملك، أيًّا كان ما فعلَه أخي الخائن، فلم يكن لي دور فيه. إنك تعلم هذا، أتوسَّلُ إليك، أرجوك...».

- «أنهِضها!».

وجذبَها كلب الصَّيد لتقف، وإنما ليس بخشونة.

قال چوفري: «سير لانسل، أخبِرها باعتداء أخيها».

لطالما رأت سانزا لانسل لانستر وسيمًا لبقًا، لكن النَّظرة التي حدجَها بها لم تحمل أيَّ عطفٍ أو رأفة إذ قال: «أخوكِ استخدمَ حيلةً سِحريَّةً وضيعةً وكَرَّ على السير ستافورد لانستر بجيشٍ من الأورْاج، على بُعد أقلِّ من ثلاثة أيام بالحصان من لانسپورت. آلاف من الرِّجال الصَّالحين ذُبحوا في نومهم، دونَ أن ينالوا فُرصة رفْع سيفٍ واحد، وعقب المذبحة أقامَ الشَّماليُّون وليمةً من لحم القتلى».

وطوَّق الرُّعب عُنق سانزا بيدين باردتين.

سألَها چوفري: «أليس لديكِ ما تقولينه؟».



تمتمَ السير دونتوس: «المسكينة مصدومة يا جلالة الملك».
صاحَ چوفري: «اخرس أيها المهرِّج»، ثم صوَّب نُشَّابيَّته إلى وجهها قائلًا: «أنتم كائنات غير طبيعيَّة حقًّا يا معشر الشَّماليِّين، تمامًا كذئابكم تلك. إنني لم أنسَ كيف حاولَ وحشك افتراسي».
قالت: «كانت ذئبة آريا. ليدي لم تمسَّك بأيِّ أذى، لكنك قتلتها على كلِّ حال».
قال چوف: «لا، أبوكِ هو مَن قتلَها، وأنا قتلتُ أبوكِ، وليتني فعلتها بنفسي. لقد قتلتُ رجلًا أكبر حجمًا منه ليلة أمس. جاءوا إلى البوَّابة يصيحون باسمي ويَطلُبون الخُبز كأني خبَّاز، لكني لقَّنتهم درسًا، وأصبتُ أصخبهم في حَلقه مباشرةً».
- «وهل ماتَ؟». كان عصيًّا عليها التَّفكير في شيءٍ آخَر تردُّ به بينما ترى رأس السَّهم الحديدي القبيح مصوَّبًا إلى وجهها.
- «طبعًا ماتَ، لقد اخترقَ سهم حَلقه. كانت هناك امرأة تقذف الحجارة، وأصبتها أيضًا لكن في ذراعها فقط»، وعقدَ چوف حاجبيه وهو يخفض النُّشَّابيَّة مردفًا: «كنتُ لأرميكِ بسهم أيضًا، لكن أمِّي تقول إنهم سيَقتُلون خالي چايمي لو فعلتُ. إلَّا أنكِ ستُعاقَبين بدلًا من هذا، وسنُرسِل خبرًا إلى أخيكِ يُعلِمه بما سيجري لكِ إذا لم يستسلم. أيها الكلب، اضربها».
- «دَعني أنا أضربها!»، صاحَ السير دونتوس دافعًا نفسه بين الحاضرين ودِرعه الصَّفيح تُصَلصِل. كان مسلَّحًا بـ«هرَّاوةٍ شائكة» رأسها عبارة عن ثمرة شمَّام. فارسي فلوريان. كانت لتُقبِّله لحظتها ببشرته المبقَّعة وشبكة الأوردة البارزة من تحتها، ودارَ هو بحصانه الخشبي حولها صائحًا: «خائنة! خائنة!»، بينما يضربها بالشمَّامة على رأسها، فرفعَت سانزا يديها تقي نفسها، مترنِّحةً كلما ضربَتها الثَّمرة، وقد تلزَّج شَعرها مع الضَّربة الثَّانية فقط. كان الموجودون يضحكون، وتفسَّخت الشمَّامة تمامًا، فقالت سانزا لنفسها والعُصارة تسيل على وجهها وصدر فُستانها الحريري الأزرق: اضحك يا چوفري، اضحك وارضَ.
لكن چوفري لم يُصدِر مجرَّد ضحكةٍ مكبوتة، وقال: «بوروس، مرين».



أطبقَ السير مرين ترانت على ذراع دونتوس، ودفعَه بعيدًا بغلظة، فانطرحَ المهرِّج ذو الوجه المشرَّب الحُمرة أرضًا ومعه عصا المكنسة والشمَّامة، بينما أمسكَ السير بوروس بسانزا.

قال چوفري آمرًا: «اترُكا وجهها. أحبُّها جميلةً».

هوى بوروس بلكمةٍ على بطن سانزا أفرغَت ما في صدرها من هواء، فلمَّا انحنَت إلى الأمام، جذبَها الفارس من شَعرها واستلَّ سيفه، ومرَّت لحظة شنيعة أيقنَت خلالها سانزا أنه سيشقُّ حَلقها، لكن عندما نزلَ بالجانب المسطَّح من السَّيف على ظَهر فخذيها، أحسَّت بساقيها على وشك الانكسار من عُنف الضَّربة، وصرخَت واحتشدَت الدُّموع في مُقلتيها. سرعان ما ينتهي هذا!... لكن سرعان ما عجزَت هي عن عَدِّ الضَّربات التي توالَت.

سمعَت صوت كلب الصَّيد الأجشَّ يقول: «هذا يكفي».

قال الملك: «كلا، لا يكفي. بوروس، عرِّها».

دَسَّ بوروس يده اللَّحيمة داخل صِدار سانزا من الأمام وشَدَّه بعُنف، فتمزَّق الحرير ليُعَرِّيها حتى الخصر، وغطَّت سانزا ثدييها بيديها بينما تناهَت إلى أُذنيها ضحكات هازئة بعيدة، وقال چوفري: «اضربها حتى يسيل دمها. سنرى كيف يروق أخاها أن...».

- «ما الذي يَحدُث هنا؟». شَقَّ صوت العِفريت الهواء كالسَّوط، وفجأةً وجدَت سانزا نفسها طليقةً، فنهضَت مترنِّحةً وقد تقاطعَت ذراعاها على صدرها وتقطَّعت أنفاسها. قال تيريون لانستر غاضبًا: «أهذه فكرتك عن الفُروسيَّة يا سير بوروس؟». كان مرتزِقه المدلَّل يقف معه، بالإضافة إلى واحدٍ من رجاله الهمج، صاحِب العينِ المحروقة. «أيُّ فارسٍ هذا الذي يضرب الفتيات العاجزات؟».

قال السير بوروس: «الفارس الذي يُطيع ملكه أيها العِفريت»، ورفعَ سيفه، فتقدَّم السير مرين يقف إلى جواره مستلًّا سيفه من غِمده.

قال مرتزِق القزم: «توخَّيا الحذر مع هذين السَّيفين، فلستما تُريدان تلويث معطفيكما الأبيضين الجميلين بالدِّماء».

قال العِفريت: «فليُعطِ أحدكم الفتاة شيئًا تَستُر نفسها به»، فخلعَ ساندور



كليجاين معطفه وألقاه إليها، وضمَّته سانزا إلى صدرها غارسةً قبضتيها في الصُّوف الأبيض، وشعرَت بالنَّسيج الخشن يحكُّ جِلدها، لكنها لم تحسَّ براحةٍ كهذه مع أيِّ مخملٍ ارتدَته من قبل.

خاطبَ العِفريت چوفري قائلًا: «هذه الفتاة ستُصبِح ملكتك. ألَّا يعنيك شَرفها؟».

- «إنني أعاقبها».
- «بأيِّ جريرة؟ إنها لم تُقاتِل في معركة أخيها».
- «دماء الذِّئب في عروقها».
- «وأنت في رأسك عقل إوزَّة!».
- «لا يُمكنك أن تُكلِّمني هكذا. الملك يفعل كما يُريد».
- «إيرس تارجاريَن فعلَ كما أرادَ، فهل حكَت لك أمُّك ما حاقَ به؟».

تنحنحَ السير بوروس منذرًا، وقال: «لا أحد يُهَدِّد جلالته في حضور الحَرس الملكي».

رفعَ تيريون لانستر حاجبًا، ورَدَّ: «لا أهدِّدُ الملك أيها الفارس، بل أهذِّبُ ابن أختي. برون، تيميت، إذا فتحَ السير بوروس فمه مرَّةً أخرى، اقتُلاه»، وابتسم القزم وأردفَ: «هذا يكون التَّهديد أيها الفارس. أترى الفارق؟».

احتقنَ وجه السير بوروس تمامًا، وقال: «ستسمع الملكة بهذا!».

- «لا شَك، فلِمَ الانتظار إذن؟ چوفري، هل نستدعي أمَّك؟».

واحتقنَ وجه الملك هو الآخَر.

واصلَ خاله: «أليس لديك ما تقوله يا جلالة الملك؟ عظيم. تعلَّم أن تستخدم أذنيك أكثر وفمك أقل، وإلَّا سيكون حُكمك أقصر مني. الوحشيَّة الغاشمة ليست وسيلةً تكسب بها حُبَّ شعبك... أو ملكتك».

قال چوفري: «أمِّي تقول إن الخوف أفضل من الحُب»، وأشارَ إلى سانزا مضيفًا: «هي تخافني».

زفرَ تيريون قائلًا: «نعم، مفهوم. من المؤسف أن ستانيس ورنلي ليستا فتاتين في الثَّانية عشرة أيضًا. برون، تيميت، أحضِراها».

تحرَّكت سانزا كأنها في حُلم. حسبَت أن رجليَّ العِفريت سيُعيدانها إلى



غُرفة نومها في حصن ميجور، لكنهما قاداها إلى بُرج اليد. لم تكن قدماها قد وطأتا هذا المكان منذ يوم سقوط أبيها من النِّعمة إلى النِّقمة، وأشعرَها صعود هذه الدَّرجات من جديد بالدُّوار.

تولَّت بضع خادماتٍ أمرها، فخلعَت واحدة أسمال فُستانها وثيابها الدَّاخليَّة، وحمَّمتها أخرى وغسلَت شَعرها ووجهها من العُصارة اللَّزجة، وبينما نظَّفنها بالصَّابون وصببن الماء الدَّافئ على رأسها، لم ترَ أمامها غير وجوه الحاضرين في الفِناء. الفُرسان يُقسِمون على الدِّفاع عن الضُّعفاء وحماية النِّساء والقتال في سبيل الحَق، لكن أحدًا منهم لم يُحَرِّك ساكنًا. وحده السير دونتوس حاولَ أن يُساعِدها على الرغم من أنه لم يَعُد فارسًا، تمامًا مِثل العِفريت الذي ليس بفارس، أو كلب الصَّيد... كلب الصَّيد يبغض الفُرسان... وأنا أيضًا أبغضهم. هؤلاء ليسوا فُرسانًا حقيقيِّين، لا أحد منهم.

بَعدما عادَت نظيفةً، أتى المِايستر فرنكن ذو الجسد الممتلئ والشَّعر البنِّي المحمر، وطلبَ منها أن تتمدَّد على بطنها على الفِراش، ثم دهنَ مرهمًا على الكدمات الحمراء الغاضبة التي غطَّت رَبلتيَّ ساقيها، قبل أن يمزج لها جرعةً من نبيذ النَّوم ويُضيف إليه العسل ليُساعِدها على الابتلاع، وقال لها: «نامي قليلًا يا صغيرتي، وسيبدو كلُّ هذا حُلمًا مزعجًا فحسب عندما تستيقظين».

فكَّرت سانزا: كلا، لن يبدو كذلك أيها الأبله، لكنها احتسَت النَّبيذ على كلِّ حالٍ وغابَت في النَّوم.

وكان الظَّلام قد حَلَّ حين استيقظَت غير مستوعبةٍ أين هي بالضَّبط، إذ بدَت لها الغُرفة غريبةً وفي الآن نفسه مألوفةً على نحوٍ غريب، ثم إنها نهضَت فشعرَت بالوجع يسري كالبرق في ساقيها ويُعيد إليها الذِّكرى كلها، فاغرورقَت عيناها بالعبرات. كان أحدهم قد بسطَ معطفًا لها إلى جوار الفِراش، فارتدَته سانزا وفتحَت الباب، وفي الخارج وقفَت امرأة صارمة الملامح ذات بشرةٍ بنِّيَّة متينة، تُحيط بعُنقها النَّاحل ثلاث قلادات، واحدة من الذَّهب والثَّانية من الفضَّة والثَّالثة حلقاتها آذان بَشريَّة. سألَتها المرأة المستندة إلى رُمحٍ طويل: «أين تحسب نفسها ذاهبةً؟».



- «أيكة الآلهة». يجب أن تجد السير دونتوس وتستجديه أن يأخذها إلى الدِّيار الآن وفورًا قبل أن يفوت الأوان.

أجابَت المرأة: «النِّصف رجل قال ألَّا أتركَكِ تُغادِرين. صلِّي هنا، فالآلهة ستسمع».

بخنوع خفضَت سانزا ناظريها وعادَت إلى الدَّاخل، وأدركَت بغتةً لِمَ يبدو المكان مألوفًا لهذه الدَّرجة. لقد وضَعوني في غُرفة آريا القديمة، عندما كان أبونا يد الملك. أغراضها كلها اختفَت ومواضع الأثاث تبدَّلت، لكنها الغُرفة ذاتها...

بَعد مدَّةٍ قصيرة، جلبَت خادمة صحفةً من الجبن والخُبز والزَّيتون وإبريقًا من الماء البارد، فقالت لها سانزا آمرةً: «ارفعي هذا الطَّعام»، لكن الفتاة تركَته على المائدة. على أنها أدركَت أنها ظمآنة جدًّا، وكانت كلُّ خطوةٍ أخذَتها نحو المائدة بمثابة سكاكين تطعن فخذيها، وإن أجبرَت نفسها على عبور الغُرفة، فشربَت كوبين من الماء، وكانت تقضم زيتونةً عندما سمعَت الطَّرقة.

التفتَت متوتِّرةً إلى الباب، وسوَّت طيَّات معطفها قائلةً: «نعم؟».

انفتحَ الباب، ودخلَ تيريون لانستر وقال لها: «سيِّدتي، أتمنَّى أني لم أزعجكِ».

- «أأنا سجينتك؟».

كان يرتدي سلسلة منصبه، القلادة المصنوعة على شكل أيادٍ ذهبيَّة متعانقة، وقد أجابَها: «ضيفتي، وخطرَ لي أن نتكلَّم».

وجدَت سانزا عدم التَّحديق فيه صعبًا، فقسمات وجهه قبيحة لدرجةٍ تُصيبها بنوعٍ عجيبٍ من الافتتان، لكنها قالت: «كما يأمر سيِّدي».

قال: «هل حازَ الطَّعام والملبس رضاكِ؟ إذا كنتِ تحتاجين شيئًا آخَر، فما عليكِ إلَّا أن تَطلُبي».

- «أنت شديد اللُّطف، وهذا الصَّباح... كان رائعًا منك أن تُساعِدني».

- «لديكَ حَقٌّ في معرفة سبب غضبة چوفري. قبل ستِّ ليالٍ، انقضَّ أخوكِ على عمِّي ستافورد المعسكِر مع جيشه في قريةٍ اسمها أوكسكروس تَبعُد أقلَّ



من ثلاثة أيام بالحصان عن كاسترلي روك. لقد حقَّق قومكِ الشَّماليُّون نصرًا ماحقًا، ولم يَبلُغنا الخبر حتى صباح اليوم».

فكَّرت مغتبطةً: روب سيَقتُلكم جميعًا. «هذا... شنيع يا سيِّدي. أخي خائن آثم».

قال القزم بابتسامةٍ واهنة: «إنه ليس ظبيًّا على الأقل، فقد جعلَ هذا واضحًا جدًّا».

- «السير لانسل قال إن روب قادَ جيشًا من الأوْراج».

أطلقَ العِفريت ضحكة ازدراء، وقال: «السير لانسل مُحارِب قِرب النَّبيذ، وأجهل من دابَّة. ذئب أخيكِ الرَّهيب كان معه، لكنني أشكُّ في أن الأمر تجاوزَ هذا. لقد تسلَّل الشَّماليُّون إلى معسكر عمِّي وقطَعوا عنه خطوط الخيول، ثم أطلقَ اللورد ستارك ذئبه بينها، وحتى الخيول المدرَّبة على الحرب أصابَها الجنون، فدعسَت الفُرسان حتى الموت في خيامهم، واستيقظَ الجنود الأوباش مرعوبين وألقوا أسلحتهم كي يفرُّوا أسرع. قُتِلَ السير ستافورد وهو يُطارِد حصانًا، إذ غرسَ اللورد ريكارد كارستارك حربةً في صدره، وماتَ السير روبرت براكس أيضًا، بالإضافة إلى كلٍّ من السير ليموند ڤيكاري واللورد كراكهول واللورد چاست، وسقطَ نِصفمئة آخَرون أسرى، بمن فيهم أبناء چاست ومارتن لانستر ابن عمِّي كيڤان. النَّاجون يَنشُرون حكاياتٍ مخيفة، ويُقسِمون أن آلهة الشَّمال القديمة تزحف مع جيش أخيكِ».

- «هل... استُخدِم السِّحر إذن؟».

أجابَ تيريون ساخرًا: «السِّحر صلصة يغرفها البُله على وجه الفشل ليُخَبِّئوا مذاق عجزهم. عمِّي الأحمق لم يُجَشِّم نفسه عناء تعيين حراسة على ما يبدو، كما أن أفراد جيشه لم يتمتَّعوا بأيِّ خبرة، مجرَّد صِبية وِرش وعُمَّال مناجم وحقول وصيَّادين، كُناسة لانسپورت. اللُّغز الوحيد هو كيف وصلَ أخوكِ إلى هناك، فقوَّاتنا لا تزال تُسَيطِر على معقل «النَّاب الذَّهبي»، ويُقسِمون أنه لم يمرَّ إطلاقًا»، وهَزَّ القزم كتفيه بضيق، وأردفَ: «طيِّب، روب ستارك مشكلة أبي، وچوفري مشكلتي أنا. أخبِريني، بِمَ تَشعُرين تجاه ابن أخي الملوكي؟».



أجابَت سانزا على الفور: «أحبُّه من صميم قلبي».
لم يبدُ عليه الاقتناع وهو يسألها: «حقًّا؟ حتى الآن؟».
- «حُبِّي لجلالته أكبر مما كان في أيِّ وقتٍ سابقٍ».
ضحكَ العِفريت بصوتٍ عالٍ، وقال: «أحدهم علَّمك أن تُحسِني الكذب، وقد تجدين نفسكِ ممتنَّةً لهذا ذات يومٍ يا طفلتي. إنكِ ما زلتِ طفلةً، أليس كذلك؟ أم أنكِ أزهرتِ؟».
تورَّد وجهها. كان السُّؤال وقحًا، لكن الخجل من التعرِّي أمام نِصف القلعة جعلَه تافهًا بالمقارَنة، فقالت: «بلى يا سيِّدي».
- «هذا أفضل كثيرًا. لو أن في هذا عزاءً ما، فأنا لا أنوي أن تتمَّ زيجتك چوفري أبدًا، إذ أخشى أن لا زواج سيُثمِر صُلحًا بين ستارك ولانستر بَعد كلِّ ما حدثَ، وهذا مؤسف أكثر، لأن تلك كانت واحدةً من أفضل الأفكار التي تفتَّق عنها ذهن الملك روبرت، لولا أن چوفري أفسدَ الأمر كله».
أدركَت أن عليها أن تقول شيئًا، لكن الكلام احتبسَ في حَلقها.
قال تيريون لانستر: «أراكِ لائذةً بالصَّمت. أهذا ما تُريدين؟ نهايةً لخطبتك؟».
- «أنا...». لم تعرف سانزا ماذا تقول. أهذه خدعة؟ هل سيُعاقِبني إذا قلتُ الحقيقة؟ حدَّقت في جبهة القزم البارزة جدًّا، والعين السَّوداء القاسية والثَّانية الخضراء اللَّامعة، والأسنان المعوجَّة واللِّحية الخشنة. «أريدُ أن أكون وفيَّةً فقط».
قال القزم متأمِّلًا: «وفيَّة، وبعيدةً عن أيِّ لانستر، ولا ألومكِ على هذا. لقد أردتُ الشَّيء نفسه عندما كنتُ في سِنِّكِ»، وابتسمَ مضيفًا: «يقولون لي إنكِ تتردَّدين إلى أيكة الآلهة يوميًّا، فلأيِّ شيءٍ تُصَلِّين يا سانزا؟».
أصلِّي لانتصار روب وموت چوفري... وللوطن، لوينترفل. «أصلِّي لأن ينتهي القتال».
- «سيَحدُث هذا عمَّا قريب. ستدور معركة أخرى بين أخيكِ روب والسيِّد والدي، وعندها ستُسَوَّى المسألة».
سيهزمه روب. لقد هزمَ عمَّك وأخاك چايمي، وسيهزم أباك أيضًا.



كأن وجهها كتاب مفتوح قرأ فيه القزم آمالها بمنتهى اليُسر، فقال لها بلهجةٍ رفيقة: «لا يَغُرَّنكِ ما حدثَ في أوكسكروس يا سيِّدتي، فالمعركة ليست حربًا، والسيِّد والدي ليس عمِّي ستافورد بكلِّ تأكيد. عندما تزورين أيكة الآلهة المرَّة القادمة، فادعي أن يتحلَّى أخوكِ بالحكمة ويركع، فبمجرَّد أن يرجع الشَّمال إلى سلام الملك، سأعيدكِ إلى ديارِكِ»، ونزلَ من على مقعد النَّافذة قائلًا: «يُمكنكِ قضاء اللَّيلة هنا. سآمرُ عددًا من رجالي بحراستكِ، من الغِربان الحجريَّة ربما...».

اندفعَت سانزا تقول مذعورةً: «لا!». إذا ظلَّت حبيسةً في بُرج اليد، تحت حراسة رجال القزم، فكيف سيُهَرِّبها السير دونتوس إلى الحرِّيَّة؟

- «هل تُحَبِّذين الآذان السَّوداء؟ سأعطيكِ تشلا إذا كنتِ تشعرين بالطُّمأنينة أكثر في وجود امرأة».

- «لا، أرجوك يا سيِّدي، الهمج يُخيفونني».

ابتسمَ قائلًا: «ويُخيفونني كذلك، لكن الأهمَّ أنهم يُخيفون چوفري والأفاعي الخبيثة والكلاب المسعورة التي يُسَمِّيها حَرسًا ملكيًّا. في وجود تشلا أو تيميت إلى جانبكِ، فلن يجرؤ أحد على التعرُّض لكِ».

قالت: «أفضِّلُ العودة إلى فِراشي»، ثم خطرَت لها الكذبة فجأةً، فأضافَت: «رجال أبي قُتِلوا في هذا البُرج، وستُصيبني أشباحهم بكوابيس شنيعة، وسأرى دماءهم أينما نظرتُ».

تمعَّن تيريون لانستر في وجهها، ثم قال: «ليست الكوابيس بالشَّيء الغريب عليَّ يا سانزا. لعلكِ أكثر حكمةً مما ظننتُ. اسمحي لي على الأقل إذن بأن أصحبكِ بأمانٍ إلى مسكنكِ».



الرواية التي تحولت إلى ظاهرة

«مارتن راوي قصص بالفطرة يتمتَّع بخيال واحد في المليون، والمسلسل المأخوذ عن سلسلته رائع، لكن الكُتب أفضل بكثير». **ستيڤن كينج**

«نجحت سلسلة مارتن الخيالية في إشعال خيال الملايين للسبب نفسه الذي جعل أعمال هوميروس وسوفوكليس وشكسبير تدوم عصورًا». **الجارديان**

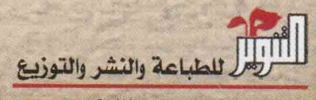
«مارتن هو الأفضل على الإطلاق بين من يكتبون في مجال الفانتازيا الملحميَّة في العصر الحالي، ولا مبالغة في وصفه بأنه تولكين الأمريكي». **تايم**

«موهبة مارتن في الحكي تكاد تكون خارقة للطبيعة». **نيويورك تايمز**

في «صِدام الملوك» يواصل چورچ ر. ر. مارتن أحداث تحفته الفنيَّة الأصيلة، التي تحوي أفضل ما في الأدب الخيالي من إثارة وغموض ومغامرة، على مستوى أكبر من الواقع، بالإضافة إلى مجموعةٍ كبيرة من الشخصيات الأساسيَّة والفرعيَّة المثيرة لاهتمام وتفاعُل القارئ، ما جعل الملايين من عشاق الفانتازيا حول العالم يقعون في غرامها ويتابعون أجزاء ملحمة «أغنية الجليد والنار» بمنتهى الشغف.

من حيث انتهَت أحداث الكتاب الأول مباشرةً تبدأ أحداث الكتاب الثاني هذا. فبينما يشقُّ السماء مذنَّب بلون الدم واللهب، تضرب ويلات الحرب البلاد إذ يتصارعٍ خمسة ملوك على عرش الممالك السبع الحديدي، في صِدامٍ عنيف تظلُّ فيه عجلة الدسائس والمؤامرات والخيانة والسحر الأسود دائرةً بلا انقطاع، لتسلب الآلاف من الأبرياء والمذنبين أرواحهم على حد سواء. فيما يبدأ الخطر القادم من الشمال في الإفصاح عن وجهه، وتواصل الملكة المنفية إلى بلادٍ أخرى سعيها إلى استعادة عرش أبيها. في هذه الحرب تولد التحالفات وتموت في غمضة عين وتسيل الدماء، فحين يتصادم الملوك تنزف البلاد بأكملها.


ISBN 978-977-6483-92-7


التنوير للطباعة والنشر والتوزيع
تونس - بيروت - القاهرة

الكتاب الثاني من أغنية الجليد والنار

صدام الملوك

جورج ر.ر. مارتن

ترجمة هشام فهمي



جورج ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

صِدام الملوك

الجزء الثاني

الكتاب: صِدام الملوك II (الكتاب الثاني من أغنيَّة الجَليد والنَّار) / رواية

المؤلف: چورچ ر. ر. مارتن

ترجمة: هشام فهمي

عدد الصفحات: 528 صفحة

الترقيم الدولي: 978-977-6483-92-7

رقم الناشر: 2015/22115

الطبعة الأولى: 2017

هذه ترجمة مرخّصة لكتاب:

A Clash of Kings by George R.R. Martin

Published by agreement with the author and the author's agents, The Lotts Agency Ltd

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر

لبنان: بيروت - بئر حسن - سنتر كريستال، الهزيم - الطابق الأول

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة - 2 شارع فؤاد سراج الدين (السرايا الكبرى سابقا) - جاردن سيتي

هاتف: 00227963545

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com



چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

صِدام الملوك

الجزء الثاني

ترجمة: هشام فهمي



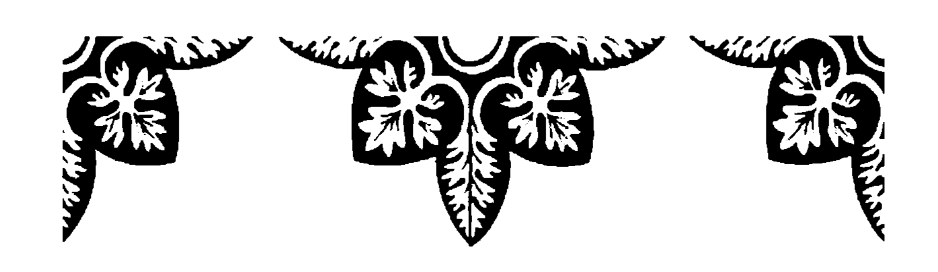




رواياتي
Rwaiaty.com



مكتبة
الفكر الجديد



كاتلين

كانت السَّماء قد اكتسَت بحجابٍ من السَّواد الحالك بالفعل قبل أن يَبلُغوا القرية، ووجدَت كاتلين نفسها تتساءَل إن كان للمكان اسم، وإن كان له اسم، فقد أخذَ ساكنوه هذه المعلومة معهم عندما فرُّوا، بالإضافة إلى كلِّ ما يملكونه، بما في ذلك شموعِ السِّپت.

أوقدَ السير وندل مشعلًا وقادَها عبر الباب الواطئ، وفي الدَّاخل كانت الجُدران السَّبعة مشقَّقة ومعوجَّة. في طفولتها علَّمها السِّپتون أوزميند أن الإله واحد ولكن بسبعة وجوه، كما أن السِّپت مبنى واحد له سبعة جُدران. في المُدن تضمُّ السِّپتات الثَّريَّة تماثيل لـ«السَّبعة» ومذبحًا لكلٍّ منهم، وفي وينترفل يُعَلِّق السِّپتون كايل سبعة أقنعةٍ منحوتة على الجُدران، أمَّا هنا فلم تجد كاتلين غير رسومٍ متواضعة بالفحم. ثبَّت السير وندل المشعل في الحاملِ المجاور للبابٍ، ثم خرجَ ينتظر مع روبار رويس.

تطلَّعت كاتلين إلى الوجوه بإمعان. «الأب» ملتحٍ كديدنه، و«الأُم» على شفتيها الابتسامة الحامية الحانية، و«المُحارِب» سيفُه مرسوم تحت وجهه، و«الحدَّاد» يحمل مطرقته، و«العذراء» جميلة القسمات، و«العجوز» تبدو في أرذل العُمر وإنما حكيمة.

والوجه السَّابع... «الغريب» ليس ذَكرًا أو أنثى لكن كليهما، منبوذ دومًا وهائم أبدًا في البقاع القصيَّة، أكثر وأقلٍ من إنسان، مجهول وما لسبْر أغواره من سبيل. وجهه هنا بيضاوي أسود، ظِلٌّ له نجمتان مكان العينين، وقد أصابَ



كاتلين بالاضطراب، فعلمَت أنها لن تنال غير نزرٍ يسيرٍ من الطُّمأنينة التي تَنشُدها هنا.

ركعَت أمام «الأُم»، وابتهلَت قائلةً: «يا سيِّدتي، انظُري من عليائكِ بعينيّ الأُم، فكلهم أبناء. اعفي عنهم إذا استطعتِ، واعفي عن أبنائي أيضًا، واحفظي روب وبران وريكون. ليتني كنتُ معهم الآن».

في الجِدار الذي تحتلُّه «الأُم» صدع يمرُّ بعينها اليُسرى، جاعلًا إياها تبدو كأنها تبكي. كان صوت السير وندل الجهوري يَبلُغ مسامع كاتلين، وبين الحين والآخَر إجابات السير روبار الهادئة، إذ تكلَّما عن المعركة المقبِلة، لكن فيما عدا ذلك كان المساء ساكنًا تمامًا، فلم تسمعَ صريرًا لصُرصور حقلٍ حتى، بينما حافظَت الآلهة على صمتها. هل أجابَتك آلهتك من قبل يا ند؟ عندما كنت تركع أمام شجرة القلوب، هل كانت تسمعك؟

تراقصَ ضوء المشعل المتذبذب على الجُدران، ليجعل الوجوه تبدو أقرب إلى الحياة، ويُشَوِّهها، ويُبَدِّلها. وجوه التَّماثيل في سِپتات المُدن الكبيرة هي الوجوه التي شكَّلها النحَّاتون، لكن رسوم الفحم الرَّديئة هذه كانت شديدة البساطة، حتى إنها من الممكن أن تكون أيَّ أحد. حدا بها وجه «الأب» إلى التَّفكير في أبيها الذي يُحتضَر في فِراشه في ريڤررَن، و«المُحارِب» هو رنلي وستانيس، روب وروبرت، چايمي لانستر وچون سنو... بل إنها لمحَت الخطوط تُكَوِّن وجه آريا لحظةً واحدةً، قبل أن تهبَّ الرِّيح من الباب محرِّكةً اللَّهب، فراحَ التَّشابُه وذابَ في الوهج البرتقالي.

أحرقَ الدُّخان عينيها، ففركَتهما برُسغيٍّ يديها النَّديبتين، وحين رفعَت بصرها إلى «الأُم» مجدَّدًا، رأت أمَّها هي. لقد ماتَت الليدي مينيسا تَلي أثناء المخاض، إذ حاولَت أن تُنجِب للورد هوستر ابنًا ثانيًا، وماتَ الرَّضيع معها، وبَعد ذلك خبا شيء من الحياة في أبي كاتلين. فكَّرت كاتلين وهي تتذكَّر يديَّ أمِّها الرَّقيقتين وابتسامتها الدَّافئة: لطالما كانت هادئةً. لو أنها عاشَت، لاختلفَت حياتنا كثيرًا، وتساءلَت عن تأويل الليدي مينيسا لأفعال ابنتها الكُبرى الرَّاكعة أمامها ها هنا. سافرتُ آلافًا من الفراسخ، فمن أجل ماذا؟ مَن



نفعتُ؟ لقد فقدتُ ابنتيَّ، وروب لا يُريدني، ولا بُدَّ أن بران وريكون يحسبانني أمًّا حجريّةَ القلب باردة المشاعر. حتى ند لم أكن معه حين ماتَ...

دارَ رأسها وشعرَت كأن السِّپت يتحرَّك من حولها، وتمايلَت الظِّلال وتبدَّلت فبدَت كحيواناتٍ مراوغة تتسابَق على الجُدران البيضاء المشقَّقة. لم تأكل كاتلين لقمةً اليوم، ولعلَّ هذه حماقةً منها. قالت لنفسها إنه لم يكن هناك وقت، لكن الحقيقة أن الطَّعام فقدَ مذاقه في عالمٍ بلا ند. عندما قطعوا رأسه، قتَلوني معه.

طقطقَ لهب المشعل من خلفها، وخُيِّلَ لها فجأةً أنها ترى وجه أختها على الجِدار، وإن كانت العينان أقسى مما تذكَّرت، ليستا عيني لايسا بل سرسي. سرسي أمٌّ أيضًا، وأيًّا كان أبو هؤلاء الأطفال، فقد أحسَّت بهم يرَكُلون في داخلها، وأتَت بهم إلى العالم في خضمٍّ الألم والدَّم، وأرضعَتهم من ثدييها. إذا كانوا أولاد چايمي حقًّا...

سألَت كاتلين «الأُم»: «هل تُصَلِّي سرسي أيضًا لكِ يا سيِّدتي؟». كانت ترى أسارير الملكة ابنة لانستر الباردة الجميلة الأنوف مطبوعةً على الجِدار، والصَّدع لا يزال في مكانه. حتى سرسي نفسها من الممكن أن تبكي من أجل أطفالها. قال لها السِّپتون أوزميند ذات مرَّةٍ إن كلًّا من «السَّبعة» يُجَسِّد «السَّبعة» كلهم، ففي «العجوز» جَمال كما في «العذراء»، و«الأُم» تستطيع أن تكون أضرى من «المُحارِب» لو أن أطفالها في خطر. نعم...

لقد رأت روبرت باراثيون في وينترفل بما فيه الكفاية لتُدرِك أن الملك لم يكن يُعامِل چوفري بوُدٍّ شديد، ولو كان الصَّبي من صُلب چايمي حقًّا، لكان روبرت قد قتلَه مع أمِّه، وكان قلائل ليُدينوا فعلته. الثُّغول منتشرون في كلِّ مكان، لكن سِفاح القُربى خطيئة وحشيَّة عند الآلهة القديمة والجديدة، وثمار هذا الشَّرِّ يُسَمُّون مسوخًا في السِّپت وأيكة الآلهة على حَدٍّ سواء. كان ملوك التَّنانين يُزَوِّجون الإخوة أخواتهم، لكنهم كانوا من دم ڤاليريا القديمة، حيث شاعَت تلك الممارَسات، وكتنانينهم لم يكن آل تارجاريَن يخضعون لآلهةٍ أو بَشر.

لا بُدَّ أن ند كان يعرف، واللورد آرن من قبله، فلا غرو أن الملكة قتلَت



الاثنين. هل يُمكنني أن أفعل أقلَّ في سبيل أطفالي؟ ضمَّت كاتلين يديها شاعرةً بالشَّدِّ في أصابعها التي انغرسَ فيها خنجر القاتل المأجور حتى العظم وهي تُقاتِل من أجل ابنها، ثم إنها همسَت خافضةً رأسها: «بران أيضًا يعرف». بحَقِّ الآلهة، لا بُدَّ أنه رأى أو سمعَ شيئًا، ولهذا حاوَلوا قتله في فِراشه.

شاعرةً بالضَّياع والإرهاق، سلَّمت كاتلين نفسها لآلهتها. ركعَت أمام «الحدَّاد» الذي يُصلِح المكسور من الأشياء، ودعَته أن يكتنف جميلها بران بحمايته، ثم ذهبَت إلى «العذراء» وتضرَّعت إليها أن تبثَّ شَجاعتها في آريا وسانزا، وأن تقي ما لديهما من براءة، ولـ«الأب» صلَّت طالبةً العدالة، والقوَّة للسَّعي إليها والحكمة للتعرُّف عليها، وسألَت «المُحارِب» أن يُثَبِّت خُطى روب ويحميه في المعارك، وأخيرًا التفتَت إلى «العجوز»، التي غالبًا ما تُظهِرها تماثيلها حاملةً مصباحًا بيدها، ودعَتها قائلةً: «أرشِديني يا سيِّدتي، أريني الدَّرب الذي عليَّ أن أقطعه، ولا تدعيني أتعثَّر فيما ينتظرنا من أماكن مظلمة».

أخيرًا سمعَت وقع أقدام من ورائها وجلبةً عند الباب، وقال السير روبار برفق: «سيِّدتي، أستميحكِ العُذر، لكن وقتنا هنا انتهى، ويجب أن نعود قبل مطلع الفَجر».

نهضَت كاتلين بأطرافٍ متيبِّسة، وآلَمَتها رُكبتاها بشدَّة، حتى إنها كانت لتدفع ثمنًا غاليًا مقابل أن تحظى بفِراشٍ من الرِّيش ووسادةٍ لحظتها، لكنها قالت: «أشكرك أيها الفارس. أنا جاهزةٌ».

بصمتٍ حملَتهم خيولهم عبر منطقةٍ غابيَّة تميل أشجارها القليلة كالسَّكارى بعيدًا عن البحر، وقادَهم صهيل الخيول العصبي وصلصلة السِّلاح إلى معسكر رنلي، وقد تدرَّعت صفوف الرِّجال والجياد الطَّويلة بالظَّلام، سوداء كأن «الحدَّاد» نفسه طرَّق من اللَّيل فولاذًا. على يمينها كانت رايات، وعلى شِمالها رايات، ومن أمامها صفوف وصفوف من الرَّايات، لكن في ظُلمة ما قبل الفَجر لا يختلف لون عن لون أو رمز عن رمز. جيش رمادي، رجال رماديُّون على خيولٍ رماديَّة تحت راياتٍ رماديَّة. رفعَ فُرسان رنلي المسربَلين بالسَّواد رماحهم إلى أعلى بينما جلسوا على صهوات خيولهم



ينتظرون، ومرَّت كاتلين من خلال غابةٍ من الأشجار الطَّويلة العارية، مسلوبة الأوراق والحياة. كان الظَّلام أعمق وأحلك حيث تقف ستورمز إند، حائط من الأسود لا تلوح لمعة نجم واحد من خلاله، وإن رأت المشاعل تتحرَّك هنا وهناك في المرج حيث أقامَ اللورد ستانيس معسكره.

جعلَت الشُّموع المُضاءة داخل سُرادق رنلي الحوائط الحرير اللَّامعة تبدو كأنها تتوهَّج، محوِّلةً الخيمة الكبيرة إلى قلعةٍ سِحريَّة بَثَّ فيها الضَّوء الزمرُّدي الحياة. كان اثنان من حَرس قوس قزح يقفان عند مدخل السُّرادق الملكي، وومضَ الضَّوء الأخضر على نحوٍ غريب على ثمار البرقوق الأرجوانيَّة المنقوشة على معطف السير پارمن، وبدرجة لونٍ مغثيةٍ صبغَ ورود عبَّاد الشَّمس التي غطَّت كلَّ شبرٍ من دِرع السير إمون الصَّفراء المطليَّة بالمينا. من خوذتيهما انتصبَت ريشتان طويلتان من الحرير، وعلى كتفيهما انسدلَ معطفان بألوان قوس قزح.

في الدَّاخل وجدَت كاتلين بِريان تُلبِس الملك دِرعه استعدادًا للمعركة، بينما ناقشَ اللوردان تارلي وروان التَّرتيبات والمخطَّطات. كان الجَوُّ دافئًا على نحوٍ سار في الدَّاخل، حيث تنبعث الحرارة من الفحم المشتعل في دستةٍ من المستوقَدات الحديد. «يجب أن أتكلَّم مع جلالتك»، قالت مانحةً إياه لقب الملك هذه المرَّة، أيَّ شيءٍ يجعله ينتبه إليها.

أجابَ رنلي بينما ثبَّتت بِريان واقي الظَّهر بواقي الصَّدر حول سُترته المبطَّنة: «لحظة يا ليدي كاتلين». ارتدى الملك دِرعًا ذات لونٍ أخضر ناضر، أخضر ورق الشَّجر العميق في غابةٍ صيفيَّة، داكن لدرجة أنه تشرَّب ضوء الشُّموع، وتألَّقت الزَّخارف البارزة والأبازيم الذَّهبيَّة كأنها نيران مشتعلة من بعيدٍ في تلك الغابة، فتومض كلما تحرَّك. «أكمِل يا لورد ماثيس».

قال ماثيس روان رامقًا كاتلين بنظرةٍ جانبيَّة: «يا جلالة الملك، كما كنتُ أقولُ، خُطط المعركة جاهزة للتَّنفيذ، فلِمَ ننتظر حتى الفَجر؟ أطلِق نفير الهجوم الآن».

- «وأجعلُ الناس تقول إنني انتصرتُ بالخيانة والهجوم الغادر؟ الفَجر هو السَّاعة المختارة».



علَّق راندل تارلي: «هذا اختيار ستانيس. إنه يُريدنا أن ننقضَّ والشَّمس المشرقة في وجوهنا، ما سيجعلنا شِبه عميان».

قال الملك بثقة: «حتى الصَّدمة الأولى فقط. سوف يخترق السير لوراس صفوفهم، وبَعدئذٍ ستسود الفوضى». شدَّت بريان أحزمةً جِلديَّةً خضراء، وثبَّتت أبازيم ذهبيَّة، بينما تابعَ: «عندما يَسقُط أَخي، فاحرِصوا على ألَّا يُهان جُثمانه. إنه من دمي، ولن أسمح باستعراض رأسه المقطوع على رُمح».

سألَ اللورد تارلي: «وإذا استسلمَ؟».

ضحكَ اللورد روان قائلًا: «ستانيس يستسلم؟ عندما حاصرَ مايس تايرل ستورمز إند، فضَّل ستانيس أكْل الجرذان على فتح بوَّاباته».

قال رنلي: «أذكرُ هذا»، ورفعَ ذقنه ليُتيح لبِريان تثبيت واقي العُنق في مكانه، وواصلَ: «قُرب النِّهاية، حاولَ السير جاون وايلد وثلاثة من فُرسانه التسلُّل من بوَّابةٍ خلفيَّة بغية أن يستسلموا، وضبطَهم ستانيس وأمرَ بقذفهم من فوق الأسوار بالمجانيق. ما زلتُ أرى وجه جاون وهُم يُقَيِّدونه بالمنجنيق. كان قيِّم السِّلاح في القلعة».

بدَت الحيرة على اللورد روان وهو يقول: «لم يَحدُث أن قُذِفَ رجال من فوق الأسوار. كنتُ لأذكر حادثةً كتلك».

رَدَّ رنلي: «المِايستر كرسن قال لستانيس إننا قد نُجبَر على أكْل موتانا، فلا فائدة من التخلُّص من اللَّحم الجيِّد»، ورفعَ شَعره إلى الوراء لتربطه بِريان بشريطٍ من القطيفة، ثم ثبَّتت قبَّعةً مبطَّنة حول رأسه وفوق أُذنيه، لتُخَفِّف وزن الخوذة. «بفضل فارس البصل لم تصل بنا الحال إلى أكْل الجُثث، وإن دنونا من ذلك جدًّا، خصوصًا أن السير جاون ماتَ في زنزانته».

كانت كاتلين تنتظر بصبر، لكن الوقت يضيق، فرفعَت صوتها قائلةً: «يا جلالة الملك، لقد وعدتني بفُرصةٍ للكلام معك».

أومأَ رنلي برأسه، وقال: «راجعوا خُططكم أيها السَّادة... أوه، وإذا كان باريستان سلمي في صَفِّ أخي، فلا أريدُ أن يمسَّه أذى».

قال اللورد روان باستنكار: «ليست هناك أيُّ أخبارٍ عن سلمي منذ طردَه چوفري».



- «هذا العجوز أعرفه جيِّدًا. إنه يحتاج ملكًا يحميه، وإلَّا فمَن يكون؟ ومع ذلك لم يأتِ إليَّ، والليدي كاتلين تقول إنه ليس مع روب ستارك في ريڤررَن، فأين عساه يكون إلَّا مع ستانيس؟».

- «كما تأمر يا جلالة الملك. لن يُصيبه أذى»، وانحنى اللوردات بشدَّةٍ ثم انسحَبوا من السُّرادق.

قال رنلي: «قولي ما ترغبين في قوله يا ليدي ستارك»، بينما ثبَّتت بريان معطفه على كتفيه العريضتين، وكان مصنوعًا من قُماش الذَّهب، ثقيلًا ويُزَيِّنه وعل باراثيون المتوَّج برُقاقاتٍ من الكهرمان الأسود.

- «آل لانستر حاوَلوا اغتيال ابني بران. لقد سألتُ نفسي ألف مرَّةٍ عن الدَّافع، وأعطاني أخوك الإجابة. كان هناك صيد يوم سقطَ، وخرجَ روبرت وند ومعظم الرِّجال الآخَرين ليُلاحِقوا الخنازير البرِّيَّة، لكن چايمي لانستر بقيَ في وينترفل، والملكة كذلك».

لم يتوانَ رنلي في استيعاب مضمون كلامها، فقال: «تعتقدين إذن أن الصَّبي ضبطَهما يزنيان...».

- «أتوسَّلُ إليك يا سيِّدي، أعطِني الإذن بالذَّهاب إلى أخيك ستانيس لأُخبِره بشكوكي».

- «لأيِّ غرض؟».

- «سيخلع روب تاجه إذا فعلت المِثل أنت وأخوك»، قالت متمنِّيةً أن يكون ذلك صحيحًا، ولسوف تجعله صحيحًا لو اضطرَّت. روب سيُصغي إليها حتى لو رفضَ لورداته. «فليدعُ ثلاثتكم إلى مجلسٍ سام لم تشهد البلاد له مثيلًا منذ مئة عام، وسنُرسِل إلى وينترفل كي يحكيَ برانُ ما لديه ويعرف النَّاس كلهم أن آل لانستر غاصِبون. دَع جموع لوردات الممالك السَّبع يختارون من يَحكُمهم».

ضحكَ رنلي وقال: «أخبِريني يا سيِّدتي، هل تُصَوِّت الذِّئاب الرَّهيبة على مَن يقود القطيع؟». أحضرَت بريان قُفَّازي الملك وخوذته العظيمة، المتوَّجة بأسلات الوعل الذَّهبيَّة التي تُضيف قدمًا ونِصفًا إلى طوله، وأكملَ هو: «فاتَ أوان الكلام، والآن سنرى من الأقوى»، وثبَّت رنلي القُفَّاز الأخضر والذَّهبي



المكسوَّ بالصَّفائح المعدنيَّة على يده اليُسرى، بينما ركعَت بِريان لتُثَبِّت إبزيم حزامه، الذي أثقلَه السَّيف الطَّويل والخنجر في غِمديهما.

- «أتوسَّلُ إليك باسم «الأم»...»، كانت كاتلين تقول، عندما هبَّت الرِّيح فجأةً فاتحةً باب الخيمة، وخُيِّلَ إليها أنها لمحَت حركةً ما، لكن عندما دارَت برأسها رأت أنه ظِلُّ الملك الذي يتمايَل على الحائط الحرير، وسمعَت رنلي يبدأ في إلقاء دُعابةٍ ما، بينما يتحرَّك ظِلُّه رافعًا سيفه، أسود على خلفيَّةٍ خضراء، وضوء الشُّموع يتذبذَب ويرتعش... شيء ما غريب، شيء ما خطأ... ثم إنها رأت سيف رنلي مدسوسًا في غِمده، بينما السَّيف الظِّل...

بصوتٍ هامسٍ حائرٍ قال رنلي: «يا للبرودة»، وبَعدها بنبضة قلبٍ واحدةٍ انفلقَ فولاذ الواقِي المحيط بعُنقه كأنه قطعة من الشَّاش تحت ظِلِّ سيفٍ ليس موجودًا حقًّا، ولم يُسعِف الوقت رنلي إلَّا بإطلاق شهقةٍ خفيضة قبل أن تنبثق الدِّماء من حَلقه.

- «جلالة الـ... لا!»، صرخَت بِريان الزَّرقاء عندما رأت هذا الشَّرَّ يسري أمامها، وقد تمكَّن الخوف من صوتها كأيِّ فتاةٍ صغيرة، وتهاوى الملك بين ذراعيها والدَّم يسيل بغزارةٍ على وجه دِرعه كشلَّالٍ أحمر قانٍ أغرقَ الأخضر والذَّهبي. تذبذبَ المزيد من الشُّموع، وحاولَ رنلي أن يتكلَّم، لكنه كان يختنق بدمائه، وتداعَت ساقاه دون أن يُثَبِّته شيء غير قوَّة بِريان، التي ألقَت رأ..ها إلى الوراء وانفجرَت صارخةً وقد أعجزَتها اللَّوعة عن الكلام.

الظِّل. شيء شرِّير أسود حدثَ هنا، تعرف هذا وتعرف أنها لا تستوعبه على الإطلاق. رنلي لم يُلقِ هذا الظِّل. الموت دخلَ من الباب واستلبَ منه الحياة بسُرعة إخماد الرِّيح لشموعه.

ثوانٍ معدودة مرَّت قبل أن يقتحم روبار رويس وإمون كاي المكان، وإن أحسَّت كاتلين أن نِصف اللَّيل انقضى قبل أن يفعلا، ومن ورائهما أقبلَ اثنان من الجنود يحملان مشعلين، ولمَّا رأوا رنلي بين ذراعي بِريان وقد أغرقَتها دماؤه، أطلقَ السير روبار صيحة جزع، بينما صرخَ السير إمون المدرَّع بالفولاذ المزيَّن بعبَّاد الشَّمس: «امرأة ملعونة! ابتعدي عنه أيتها الحقيرة!».

قال السير روبار: «بحَقِّ الآلهة يا بِريان، لماذا؟».



رفعَت بريان عينيها عن جثَّة مليكها، وقد اصطبغَ معطف قوس قزح الذي ترتديه بالأحمر حيث تشرَّب النَّسيج دم الملك، وهمهمَت: «أنا... أنا...».

قال السير إمون: «ستموتين لهذا»، واختطفَ فأسًا حربيَّةً طويلة المقبض من كومة الأسلحة المجاورة للباب، وأضافَ: «ستدفعين حياتكِ ثَمنًا لحياة الملك!».

صرخَت كاتلين ستارك وقد عثرَت على صوتها أخيرًا: «**لا!**»، وإنما بَعد فوات الأوان، إذ استحوذَ جنون الدَّم عليهما بالفعل، وانقضَّ كلٌّ منهما على الثَّاني بصيحاتٍ طغَت على نبرتها النَّاعمة.

تحرَّكت بِريان بسرعةٍ لم تُصَدِّقها كاتلين، ولم يكن سيفها في متناولها، فاختطفَت سيف رنلي من غِمده ورفعَته لتَصُدَّ فأس إمون التي هوَت ضربتها عليها من أعلى، فتفجَّرت شرارة تألَّقت بالأبيض المزرق عندما ارتطمَ الفولاذ بالفولاذ بصوتٍ يصمُّ الآذان، ثم أسرعَت بِريان تنهض لتَسقُط جثَّة الملك جانبًا بخشونة، فتعثَّر السير إمون في الجثَّة وهو يُحاوِل الدُّنو منها، وجَزَّ سيف بريان مقبض الفأس ليطير رأسها دائرًا في الهواء. دفعَ رجل آخَر مشعله في ظَهرها، لكن معطف قوس قزح كان مشبَّعًا بالدَّم فلم تنشب فيه النَّار، ودارَت بِريان على عقبيها، وبَعد لحظةٍ كان المشعل واليد التي تحمله على الأرض. زحفَ اللَّهب على البساط، وبدأ الرَّجل مبتور اليد يَصرُخ، وألقى السير إمون مقبض الفأس ومَدَّ يده إلى سيفه، بينما انقضَّ الجندي الثاني، فتفادَته بِريان، ورقصَ سيفاهما معًا وصلصَلا، وعندما عادَ إمون كاي إلى حومة القتال، وجدَت بِريان نفسها مرغمةً على التَّراجُع، وإن نجحَت بشكلٍ ما في صَدِّ كَرِّ الرَّجلين عليها.

وعلى الأرض مال رأس رنلي جانبًا على نحوٍ مغثٍ، وفي حَلقه انفتحَ فم آخَر يتثاءَب، والدَّم يَخرُج منه بدفقاتٍ بطيئة.

كان السير روبار قد ظَلَّ بمنأى عن القتال، غير واثقٍ بما يجب أن يفعله، لكنه مَدَّ يده إلى مقبض سيفه الآن، فأطبقَت كاتلين على ذراعه قائلةً: «روبار، اسمعني، لا. إنك مخطئ بشأنها، لم تكن هي من قتلَته. **ساعِدها!** اسمعني، ستانيس هو من فعلَها». وجدَت الاسم على شفتيها دون أن تدري كيف، لكنها



أدركَت أنها الحقيقة بمجرَّد أن لفظَته. «أقسمُ لك، أنت تعرفني، ستانيس هو من قتلَه».

حدجَ فارس قوس قزح الشَّاب هذه المرأة المخبولة بعينين شاحبتين خائفتين، وغمغمَ: «ستانيس؟ كيف؟».

- «لا أدري. كانت شعوذةً، سِحرًا أسود ما، كان هناك ظِل، ظِل!». شعرَت بوقْع صوتها مهتاجًا مجنونًا على مسامعها، لكن الكلمات انصبَّت منها كشلَّال بينما تقارعَت السُّيوف من خلفها. «ظِلٌّ يحمل سيفًا، أقسمُ لك، رأيته بنفسي. أأنت أعمى؟ الفتاة كانت تُحِبُّه! ساعِدها!»، ونظرَت كاتلين وراءها، فرأت الجندي الثَّاني يَسقُط وتتخلَّى أصابعه المرتخية عن سيفه. كانت تعرف أن مزيدًا من الرِّجال الغاضبين سيقتحمون المكان عليهم بَعد لحظات، فقالَت: «إنها بريئة يا روبار. أعطيك كلمتي وأقسمُ بقبر زوجي وشَرفي كبنت ستارك!».

هنا حزمَ السير روبار أمره، وقال: «سأصدُّهم. أخرِجيها من هنا»، ودارَ واتَّجه إلى الخارج.

كانت النَّار قد طالَت الحائط وتزحف على جانب الخيمة، والسير إمون يُضَيِّق على بِريان بشدَّة، هو بدِرعه الفولاذ الصَّفراء المطليَّة بالمينا، وهي بثيابها الصُّوف، لكنه كان قد نسيَ كاتلين حتى هوى المستوقَد الحديد على مؤخِّرة رأسه، ولأنه يرتدي خوذته، فلم تُحدِث الضَّربة ضررًا مزمنًا، وإن كانت كافيةً لأن يَسقُط الفارس على رُكبتيه، فقالت كاتلين بنبرةٍ آمرة: «بِريان، تعالي معي»، ولم تتباطأ الفتاة في اغتنام الفُرصة، وبضربةٍ من سيفها انشقَّ حرير الخيمة الأخضر، وخرجَت الاثنتان إلى الظَّلام وبرد ما قبل الفَجر. قالت كاتلين بلهفة: «مِن هنا، وببُطء. يجب ألَّا نجري، وإلَّا سيسألونا عن السَّبب. امشي على مهل كأن كلَّ شيءٍ على ما يُرام».

ثبَّتت بِريان سيفها في حزامها وتحرَّكت إلى جوار كاتلين. أفعمَت رائحة المطر هواءَ اللَّيل، ومن ورائهما تأجَّج اللَّهب في سُرادق الملك، وارتفعَت ألسنته عاليًا تُضيء الظُّلمة، لكن أحدًا لم يُحاوِل اعتراض طريقهما على الإطلاق، واندفعَ الرِّجال مارِّين بهما، يَصرُخون بأشياء عن الحريق والقتل



والشَّعوذة، بينما وقفَ آخَرون في مجموعاتٍ صغيرة يتكلَّمون بأصواتٍ خفيضة، قليل منهم يُصَلِّي، وثمَّة مُرافِق فارسٍ شاب جالس على رُكبتيه يبكي بحرارة.

كان جيش رنلي يتفسَّخ بالفعل مع سريان الشَّائعات من فم إلى فم، ومن مشاعل اللَّيل لم يتبقَّ غير جذواتٍ صغيرة، وبينما بدأ الشَّرق يُنيِّر، تجلَّت كُتلة ستورمز إند الهائلة كحُلم من حجر، وتسابقَت خيوط من الضَّباب الشَّاحب فوق المرج، وقد أتَت طَائرةً من الشَّمس على أجنحةٍ من الرِّيح. ذات مرَّةٍ سمعَت العجوز نان تُسَمِّيها «أشباح الصُّبح»، الأرواح العائدة إلى قبورها... ورنلي واحد منها الآن، رحلَ كأخيه روبرت، كحبيبها ند.

قالت برِيان وهما تسيران بهدوءٍ وسط الفوضى الضَّاربة أطنابها في المعسكر: «لم أحتضنه قَطُّ إلَّا وهو يموت». كان وقْع صوتها يشي بأنها على وشك الانهيار في أيِّ لحظة، وتابعَت: «في لحظةٍ كان يضحك، وفجأةً أغرقَ الدَّم كلَّ شيء... سيِّدتي، أنا لا أفهمُ حقًّا. هل رأيتِ؟ هل...».

- «رأيتُ ظِلًّا. في البدء حسبته ظِلَّ رنلي، لكنه كان ظِلَّ أخيه».

- «اللورد ستانيس؟».

- «لقد شعرتُ به. أعرفُ أن هذا لا يُعقَل...».

لكنه بدا معقولًا بما فيه الكفاية لبِريان، وبحسمٍ قالت الفتاة الطَّويلة القبيحة: «سأقتله، بسيف سيِّدي سأقتله. أقسمُ على هذا، أقسمُ على هذا، أقسمُ على هذا».

كان هال مولين وبقيَّة مُرافِقيها ينتظرون مع الخيول، وبلهفةٍ على معرفة ما يجري اندفعَ السير وندل ماندرلي يقول حين رآهما: «سيِّدتي، المعسكر كله أصيبَ بالجنون. اللورد رنلي، هل...»، ثم بترَ عبارته محدِّقًا في بِريان والدِّماء التي تُغرِقها.

- «ماتَ، لكن ليس بأيدينا».

قال هال: «المعركة...».

قاطعَته: «لن تكون هناك معركة»، وامتطَت حصانها فاتَّخذ مُرافِقوها مواضعهم حولها، السير وندل إلى يسارها والسير پروين فراي إلى يمينها،



وخاطبَت الفتاة قائلةً: «بِريان، معنا خيول تكفي ضِعف عددنا. اختاري واحدًا وتعالي معنا».

- «لديَّ حصاني يا سيِّدتي، ودِرعي...».

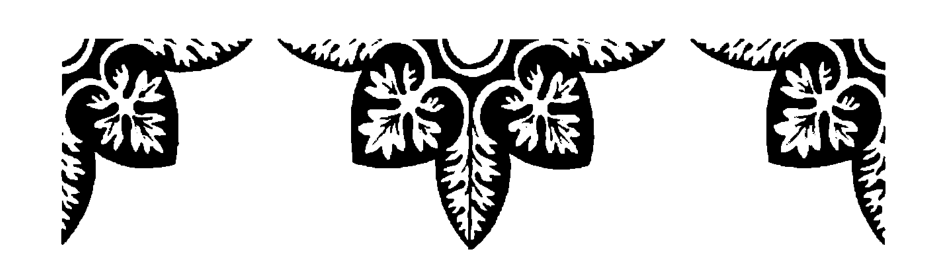
- «اترُكيهما. يجب أن نكون قد ابتعدنا قبل أن يُفَكِّروا في البحث عنا. كلتانا كانت مع الملك عندما قُتِلَ، وهذا لن يُنسى أبدًا». لم تُعَلِّق بريان وفعلَت كما دعَتها كاتلين، التي قالت آمرةً لرجالها عندما امتطوا خيولهم جميعًا: «تحرَّكوا، وإذا حاولَ أحدهم اعتراض طريقنا، اقتُلوه».

تفتَّحت أصابع الفَجر الطَّويلة في السَّماء فوق الحقول، وبدأت الألوان ترجع إلى الدُّنيا، وحيث كان الرِّجال الرَّماديُّون يركبون خيولًا رماديَّةً ويتسلَّحون برماحٍ من ظِل، تألَّقت رؤوس عشرة آلافٍ من تلك الرِّماح الآن بلونٍ فضِّيٍّ بارد، وعلى الرَّايات الخافقة اللا نهائيَّة، رأت كاتلين تورُّد الأحمر والوردي والبرتقالي، وعُمق الأزرق والبنِّي، ولهيب الذَّهبي والأصفر، رأت كلَّ قوَّة ستورمز إند وهايجاردن، القوَّة التي كانت ملكًا لرنلي منذ ساعةٍ واحدة. إنهم ينتمون لستانيس الآن، حتى وإن لم يُدرِكوا هذا بعد. إلى مَن سينضمُّون إن لم يكن الباراثيون الأخير؟ ستانيس فازَ بهم جميعًا بضربةٍ شرِّيرة واحدة.

دارَت في خلدها كلمات ستانيس، الذي أعلنَ بفَكٍّ مضغوط بشدَّةٍ كالحديد: أنا الملك الشَّرعي، وخيانة ابنكِ لا تقلُّ عن خيانة أخي هذا، وسوف يأتي يومه.

واقشعرَّ جسدها.





چون

ارتفعَ التَّلُّ فوق أشجار الغابة الكثيفة المتشابكة منعزلًا خاطفًا، وقد لاحَت أعاليه المكشوفة للرِّيح من بُعد أميال. يقول الجوَّالة إن الهَمج يُسَمُّونه «قبضة البَشر الأوائل»، وخطرَ لچون سنو أن التَّلَّ يتَّخذ بالفعل شكل قبضةٍ تنبثق من قلب الأرض والغابة، وتتجلَّى منحدراته البنِّيَّة الجرداء كمفاصل أصابعٍ من حجر.

ركبَ حصانَه إلى القمَّة في صُحبة اللورد مورمونت وسائر القيِّمين، تاركًا جوست تحت الأشجار في الأسفل. كان الذِّئب الرَّهيب قد فَرَّ ثلاث مرَّاتٍ وهُم يصعدون، وعادَ مرَّتين على مضضٍ بصفيرٍ من چون، وفي المرَّة الثَّالثة نفدَ صبر حضرة القائد، وقال بحدَّة: «دَعه يذهب يا فتى. أريدُ أن أبلغ القمَّة قبل الغَسق. اعثُر على الذِّئب فيما بَعد».

كان الطَّريق إلى أعلى حجريًّا شديد الانحدار، وتوَّج القمَّة سور بارتفاع الصَّدر من الصُّخور، فاضطرُّوا لأن يدوروا مسافةً طويلةً نوعًا إلى الغَرب، قبل أن يجدوا ثغرةً واسعةً بما يكفي لأن تَدخُل منها الخيول. قال الدُّب العجوز عندما وصلوا إلى القمَّة أخيرًا: «هذه أرض ممتازة يا ثورين، لا يُمكننا أن نتمنَّى أفضل منها. سنُقيم مخيَّمنا هنا وننتظر ذا النِّصف يد»، ثم ترجَّل حضرة القائد من فوق حصانه مزيحًا الغُداف عن كتفه، فنعبَ الطَّائر متذمِّرًا بصوتٍ عالٍ وحلَّق في الهواء.

المشهد من فوق ذُروة التَّلِّ آسر، لكن السُّور المستدير هو ما لفتَ انتباه چون، الأحجار الرَّماديَّة المعرَّضة لعوامل الجَوِّ المختلفة، وما يَكسوها من



رُقع الأُشنة البيضاء والطُّحلب الأخضر. يُقال إن «القبضة» كان حصنًا للبَشر الأوائل خلال فَجر العصور، وغمغمَ ثورين سمولوود: «مكان قديم وقوي».
ردَّد غُداف مورمونت صارخًا وهو يطير في دوائر مزعجة حول رؤوسهم: «قديم، قديم، قديم، قديم!».
دمدمَ مورمونت محدِّثًا الطَّائر: «صمتًا». لا تسمح كبرياء الدُّب العجوز له بالإقرار بالضَّعف، لكن چون لم ينخدع، ورأى بوضوحٍ أن مجاراة الرِّجال الأصغر سِنًّا أنهكَته كثيرًا.
قال ثورين وهو يسير بحصانه بمحاذاة حلقة الأحجار، والرِّيح تُحَرِّك معطفه المصنوع من فرو السمُّور: «سيكون الدِّفاع عن هذه المرتفعَات سهلًا إذا دعَت الحاجة».
رَدَّ الدُّب العجوز: «نعم، هذا المكان صالح»، ورفعَ ذراعه في الهواء، فحَطَّ الغُداف على ساعِده، لتخدش مخالبه ذراع قميص الحلقات المعدنيَّة الأسود.
تساءلَ چون: «وماذا عن الماء يا سيِّدي؟».
- «لقد عبرنا جدولًا عند سفح التَّل».
علَّق چون: «ارتفاع عالٍ لا بُدَّ من تسلُّقه من أجل شربة ماء، وخارج حلقة الأحجار كذلك».
سألَه ثورين: «هل تتكاسَل عن تسلُّق تَلٍّ يا ولد؟».
ولمَّا قال اللورد مورمونت: «ليس واردًا أن نجد مكانًا آخَر قويًّا كهذا. سنحمل الماء إلى أعلى ونحرص على أن يكون مخزوننا منه وافرًا»، رأى چون أن من العقل ألَّا يُجادِل. هكذا أُعطِيَ الأمر، وأقامَ إخوة حَرس اللَّيل مخيَّمهم داخل الحلقة الحجريَّة التي بناها البَشر الأوائل، فبدَت الخيام السَّوداء كأنها تنبت من التُّربة كعيش الغُراب بَعد المطر، وغطَّت الأغطية والأسِرَّة المحمولة الأرض العارية، بينما ربطَ الوكلاء الخيول في صفوفٍ طويلة وأطعَموها وسقوها، وهوى الحطَّابون بفؤوسهم على الأشجار في نور بَعد الظُّهر المتضائل، ليقطعوا ما يكفيهم من أخشابِ اللَّيلة، أمَّا البنَّاؤون فتولَّى عشرون منهم اقتلاع الشُّجيرات وحفْر المراحيض وحَلِّ حُزَم الخوازيق



المقوَّاة بالنَّار. قال الذُّب العجوز آمرًا: «أريدُ أن يُحفَر خندق عند كلِّ فتحةٍ في السُّور الدَّائري، وأن تُثَبَّت فيه الخوازيق قبل هبوط الظَّلام».

بمجرَّد أن نصبَ خيمة حضرة القائد واعتنى بحصانيهما، نزلَ چون سنو التَّلَّ ليبحث عن جوست، وجاءَ الذِّئب الرَّهيب من فوره وهو صامت تمامًا. في لحظةٍ كان چون يذرع الأرض تحت الأشجار بخطواتٍ واسعة وقد راحَ يصفِر ويُنادي وحيدًا وسط الأخضر، وتحت قدميه أكواز الصَّنوبر وأوراق الشَّجر السَّاقطة، وفي اللَّحظة التَّالية كان الذِّئب الأبيض الضَّخم يمشي إلى جواره شاحب اللَّون كغيوم الصُّبح.

لكن جوست عادَ يتوقَّف ثانيةً عندما بلغا الحصن الدَّائري، ثم تقدَّم بحذرٍ يتشمَّم الثَّغرة في الحجر، قبل أن يتراجَع كأن ما اشتمَّه لم يُعجِبه، وحاول چون أن يُمسِكه من مؤخِّرة عُنقه ويَجُرَّه دُفعةً واحدةً إلى داخل الحلقة، ما وجدَه في غاية الصُّعوبة، فالذِّئب يُعادِله وزنًا، كما أنه أقوى منه كثيرًا. «جوست، ماذا بك؟!». لم يكن من عادته إطلاقًا أن يتوتَّر هكذا، وفي النِّهاية استسلمَ چون، وقال للذِّئب: «كما تُريد، اذهب إلى الصَّيد»، وراقبَته العينان الحمراوان وهو يعود أدراجه إلى وراء الأحجار المكسوَّة بالطَّحالب.

لا بُدَّ أنهم سيكونون آمنين هنا، فالتَّلُّ يكشف كلَّ ما حوله، والمنحدرات شديدة الوعورة والتحدُّر إلى الشَّمال والغَرب، وليست أحسن حالًا كثيرًا إلى الشَّرق، وعلى الرغم من ذلك، إذ توغَّل الغَسق وتسرَّبت الظُّلمة إلى الفراغات بين الأشجار، تعاظمَ إحساس چون بالتوجُّس، وقال لنفسه: إنها الغابة المسكونة. لعلَّ الأشباح تَسكُن هذا المكان، أرواح البَشر الأوائل. لقد كان مكانها ذات يوم.

قال چون لنفسه بصوتٍ عال: «كُفَّ عن التصرُّف كالأطفال»، وتسلَّق إلى أعلى الصُّخور المكوَّمة ليتطلَّع إلى الشَّمس الغاربة، ورأى النُّور يَبرُق كالذَّهب المطرَّق على صفحة النَّهر اللَّبني الذي ينحني مجراه جَنوبًا، أمَّا الأرض الواقعة عكس مجرى النَّهر فكانت أكثر وحشةً، تُفسِح فيها الغابة الكثيفة المجال لمجموعةٍ متجاورةٍ من التِّلال الحجريَّة العارية، التي ترتفع عاليةً مقفرةً إلى الشَّمال والغَرب، وفي الأُفق تقف الجبال كظِلٍّ عظيم، تمتدُّ سلسلة فوق سلسلة إلى بعيدٍ حيث يصطبغ العالم بمزيجٍ من الأزرق



والرَّمادي، والثَّلج يَغمُر ذُراها المحزَّزة دائمًا وأبدًا، فبدَت حتى من هذه المسافة جسيمةً باردةً لا حياة فيها.

أمَّا على مقربةٍ فالهيمنة للأشجار، وإلى الجَنوب والشَّرق امتدَّت الغابة متجاوزةً مدى بصر چون، شبكة لا نهائيَّة من الجذور والفروع ملوَّنة بألف درجةٍ من الأخضر، وهنا وهناك ثمَّة رُقعة من الأحمر حيث تشقُّ أشجار الويرورود طريقها إلى أعلى وسط أشجار الصَّنوبر والحارس، أو من الأصفر حيث بدأت الأوراق العريضة في فِقدان ألوانها. عندما هبَّت الرِّيح، سمعَ صرير الأغصان التي تَكبُره عُمرًا، وحفَّت الأوراق بالآلاف، ومرَّت لحظة بدَت الغابة فيها بحرًا أخضر عميقًا، بحرًا مائجًا ضربَته عاصفة، أزليًّا أبديًّا مجهولًا.

فكَّر أن جوست ليس وحده بالتَّأكيد في الأسفل، فمن الجائز أن يكون هناك أيُّ شيءٍ يتحرَّك تحت هذا البحر، يزحف نحو الحصن الدَّائري في ظلام الغابة مستترًا أسفل الأشجار. أيُّ شيء على الإطلاق. وأنَّى لهم بأن يعرفوا؟ وقف فترةً طويلةً في مكانه، إلى أن توارَت الشَّمس وراء الجبال الشَّبيهة قممها بأسنان المنشار، وبدأ الظَّلام يفرض ملكوته على الغابة.

ناداه ساموِيل تارلي: «چون؟ خطرَ لي أنك أنت الواقف هنا. هل أنت بخير؟».

وثبَ چون من فوق كومة الصُّخور، وأجابَ: «بخير بما فيه الكفاية. كيف أبليت اليوم؟».

- «حسنًا، أبليتُ بلاءً حسنًا حقًّا».

لم يرغب چون في البوح بقلقه لصديقه، لا سيَّما أن ساموِيل تارلي كان قد بدأ يكتشف شَجاعته أخيرًا، وبدلًا من ذلك قال له: «الدُّب العجوز ينوي أن نقبع هنا في انتظار كورين ذي النِّصف يد ورجاله من بُرج الظِّلال».

قال سام: «يبدو مكانًا قويًّا. حصن دائري أقامَه البَشر الأوائل... أتعتقد أن معارك ما دارَت هنا؟».

- «بلا شَك. من الأفضل أن تُجَهِّز طائرًا، فلا بُدَّ أن مورمونت سيرغب في إرسال الأخبار إلى «الجِدار»».



- «ليتني أستطيعُ إرسالها كلها. إنها تكره الحبس في الأقفاص».
- «كنت لتكرهه أيضًا لو أنك تستطيع الطَّيران».
- «لو أني أستطيعُ الطَّيران، لكنتُ في القلعة السَّوداء الآن، آكلُ فطائر الخنزير».

ربَّت چون على كتفه بيده المحروقة، وسارا معًا وسط المخيَّم. كانت نيران الطَّهي تُشعَل من حولهما، ومن فوقهما بدأت النُّجوم تظهر، بينما توهَّج ذيل شُعلة مورمونت الأحمر الطَّويل كأنه القمر. سمعَ چون الغِدفان قبل أن يراها، وقد نادى بعضها اسمه، فهذه الطُّيور لا تعرف الخجل عندما يتعلَّق الأمر بإصدار الضَّوضاء.

إنها تحسُّ ما أحسُّه. قال: «من الأفضل أن أذهب إلى الدُّب العجوز، فهو أيضًا يُصبِح مزعجًا عندما يجوع».

وجدَ مورمونت يتكلَّم مع ثورين سمولوود ونِصف دستةٍ من القيِّمين الآخَرين، وقالِ له العجوز بخشونة: «ها أنت ذا. أحضِر لنا النَّبيذ السَّاخن، فاللَّيل بارد».

قال چون: «أمرك يا سيِّدي»، وأشعلَ نارًا، ثم تناولَ برميلًا صغيرًا من مخزون نبيذ مورمونت الأحمر القويِّ المفضَّل، وصَبَّه في مِرجل علَّقه فوق اللَّهب بينما أحضرَ بقيَّة المقادير. الدُّب العجوز دقيق للغاية إزاء النَّبيذ المتبَّل السَّاخن، هذا القَدر من القرفة وهذا القَدر من جوز الطِّيب وهذا القَدر من العسل، وليس قطرةً إضافيَّةً، كما يُضاف الزَّبيب والبندق والتُّوت المجفَّف، وإنما ليس اللَّيمون، الذي يعدُّ مورمونت إضافته إلى النَّبيذ أحطَّ أنواع البِدَع في الجَنوب، وهو الشَّيء الغريب، لأنه يتناوَل اللَّيمون مع بيرته الصَّباحيَّة دائمًا. يُصِرُّ حضرة القائد كذلك على أن يكون الشَّراب ساخنًا يُدفئ المعدة، لكن لا يجب السَّماح له بالغليان أبدًا، وهكذا أبقى چون عينًا حريصةً على المِرجل.

كان يسمع الأصوات القادمة من الخيمة وهو يعمل، وچارمان بكويل يقول: «أسهل طريقٍ لدخول «أنياب الصَّقيع» هو اتِّباع النَّهر اللَّبني إلى منبعه، لكن إذا سلكنا ذلك الطَّريق، فسيعلم رايدر باقترابنا بكلِّ تأكيد».



قال السير مالادور لوك: «قد يَصلُح طريق «سُلَّم العملاق»، أو «الممر الصَّادح» لو أنه خالٍ من العقبات».

تصاعدَ البُخار من النَّبيذ، فرفعَ چون المِرجل عن النَّار، وملأ ثمانية أقداح حملَها إلى الدَّاخل. كان الدُّب العجوز يفحص الخريطة البدائيَّة التي رسمَها سام في تلك اللَّيلة في قلعة كراستر، وأخذَ قدحًا من على صحفة چون وجرَّب جرعةً من النَّبيذ، ثم هَزَّ رأسه باستحسانٍ مقتضب، وحَطَّ غُدافه على ذراعه قائلًا: «ذُرة، ذُرة، ذُرة!».

رفعَ السير أوتين ويذرز يده ممتنعًا عن النَّبيذ، وقال بصوتٍ رفيع متعَب: «لا أنصحُ بدخول الجبال على الإطلاق. إن قضمة «أنياب الصَّقيع» لقاسية حتى في الصَّيف، بينما الآن... إذا داهمَتنا عاصفة...».

قال مورمونت: «لا أنوي المغامَرة بدخول «أنياب الصَّقيع» إلَّا مضطرًّا، فالهَمج لا يستطيعون التعيُّش على الثَّلج والحجارة أكثر منا، وسيبزغون من المرتفَعات عمَّا قريب، وأيُّ جيشٍ بأيِّ حجم لا بُدَّ أن يَسلُك طريق مجرى النَّهر اللَّبني، وإذا حدثَ ذلك فموقعنا قويٌّ هنَا، ولا أمل لديهم في الانسلال دون أن نلحظهم».

قال السير مالادور وهو يلتقط قدحًا من چون: «ربما لا يرغبون في الانسلال. إنهم آلاف، وعددنا لن يتجاوَز الثَّلاثمئة عندما ينضمُّ إلينا ذو النِّصف يد».

أعلنَ مورمونت: «إذا بلغَ الأمر حَدَّ المعركة، فما من موقع أفضل من هنا نتمنَّاه. سنُقَوِّي الدِّفاعات؛ حراب وخوازيق، وأرجُل غِربان[1] منثورة على المنحدرات، مع سَدِّ كلِّ فجوة. چارمان، أريدُ أن يقف أحدُّ رجالك بصرًا حراسةً، حلقة منهم حولنا وعند النَّهر، لتحذيرنا من أيِّ عدوٍّ يقترب. اجعلهم

(1) رِجل الغُراب أو الكالتروب سلاح قديم كان يُستخدَم منذ العصور الوُسطى وحتى بَعد الحرب العالميَّة الثَّانية، لتعطيل الجنود والخيول، ويُصنَع من اثنين أو أكثر من المسامير أو الأشواك الحادَّة المركَّبةَ معًا، بحيث يبرز أحد الأطراف إلى أعلى دائمًا، بغرض أن ينغرس في الأقدام.



يتوارون في الأشجار. ويَحسُن أن نشرع في رفع المياه كذلك، أكثر مما نحتاج. سنَحفُر أحواضًا، وسيشغل هذا الرِّجال، وقد يُفيدنا لاحقًا».

قال ثورين سمولوود: «جوَّالتي...».

- «جوَّالتك سيَحصُرون جولاتهم على هذه الضفَّة من النَّهر إلى أن يصل ذو النِّصف يد، وبَعدها سنرى، فلن أفقد مزيدًا من رجالي».

قال سمولوود باستنكار: «قد يكون جيش مانس رايدر يحتشد على بُعد يوم واحدٍ من هنا، ولن نعرف أبدًا».

رَدَّ مورمونت: «لقد عرفنا أين يحتشد الهَمج بالفعل، عرفنا من كراستر. لا أحبُّ هذا الرَّجل، لكني لا أحسبُ أنه كذبَ علينا».

قال سمولوود: «كما تقول»، وغادرَ عابسًا، فيما أنهى الآخَرون شرابهم وتبعوه وإنما بكياسةٍ أكثر.

سألَ چون: «هل أحضرُ عشاءك يا سيِّدي؟».

صاحَ الغُدَاف: «ذُرة!»، أمَّا مورمونت فلم يُجِب على الفور، وعندما تكلَّم لم يَقُل غير: «هل عثرَ ذئبك على فرائس اليوم؟».

- «لم يرجع بعدُ».

دَسَّ مورمونت يده في كيسٍ وأخرجَ حفنةً من الذُّرة رفعَ يده بها إلى طائره، وقال: «نحتاج لحمًا طازجًا. هل تحسبني مخطئًا بشأن إبقاء الجوَّالة على مقربة؟».

- «ليس لي أن أقول يا سيِّدي».

- «لك طالما وُجِّهَ إليك السُّؤال».

باحَ چون بما في باله قائلًا: «إذا كان على الجوَّالة البقاء على مقربةٍ من «القبضة»، فلا أرى كيف يُمكنهم أن يأملوا في العثور على عمِّي».

قال الدُّب العجوز والغُداف يلتقِط الحَبَّ من راحة يده: «لا يُمكنهم. مئتان أو عشرة آلاف من الرِّجال، لا فارق، فهذه الأصقاع شاسعة للغاية»، ولمَّا نفدَت الذُّرة قلبَ مورمونت يده.

- «هل ستتخلَّى عن البحث إذن؟».



قال مورمونت: «المِايستر إيمون يحسبك ذكيًا»، ونقلَ الغُداف إلى كتفه، فمالَ الطَّائر برأسه جانبًا وعيناه الصَّغيرتان تلتمعان.

توصَّل چون إلى الإجابة، فقال: «هل... يبدو لي أن عثور رجلٍ واحدٍ على مئتين أسهل من عثور مئتين على رجلٍ واحد».

أصدرَ الغُداف نعيبًا كقوقأة الدَّجاج، لكن الدُّب العجوز ابتسمَ من وراء لحيته الشَّيباء، وقال: «هذا العدد من الرِّجال والخيول يَترُك أثرًا يستطيع إيمون نفسه اقتفاءه، ولا بُدَّ أن نارنا فوق هذا التَّلِّ تُرى من على مسافةٍ تصل إلى مرتفَعات «أنياب الصَّقيع» ذاتها. إذا كان بن ستارك حيًّا وحُرًّا، فلا ريب أنه سيأتي إلينا».

قال چون: «نعم، لكن ماذا لو...».

أكملَ مورمونت بلهجةٍ رفيقة: «... أنه ميت؟».

أومأَ چون برأسه بتردُّد، بينما ردَّد الغُداف: «ميت، ميت، ميت!».

قال الدُّب العجوز: «قد يأتي إلينا على كلِّ حال، مِثل أوثور وچافر فلاورز. إنني أخشى هذا كما تخشاه تمامًا يا چون، لكن علينا الاعتراف بأنه احتمال قائم».

عادَ الغُداف ينعق وقد نفشَ ريشه وصارَ صوته أحدَّ وأعلى: «ميت، ميت!».

ملَّس مورمونت على ريش الطَّائر الأسود، وكتمَ التَّثاؤب الذي هاجَمه فجأةً بظَهر يده، ثم قال: «أعتقدُ أني سأتخلَّى عن العَشاء اللَّيلة. أنفع لي أن أستريح. أيقِظني مع أول خيوط الضَّوء».

قال چون: «نومًا هنيئًا يا سيِّدي»، وجمعَ الأكواب الفارغة وخرجَ، فسمعَ الضَّحكات البعيدة ونغم المزامير المفعم بالشَّجن. نار كبيرة كانت مشتعلةً في منتصَف المخيَّم، وشَمَّ چون رائحة اليخنة المطبوخة، التي ذكَّرته بأنه جائع حتى إن لم يكن الدُّب العجوز كذلك، فسارَ في اتِّجاه النَّار.

كان دايوين يحمل ملعقةً ويستطرد كلامه مع إخوته قائلًا: «إنني أعرفُ هذه الغابة أكثر من أيِّ رجلٍ حي، وأؤكِّدُ لكم أن لا رغبة لديَّ في خوضها ليلًا. ألا تشمُّون الرَّائحة؟».



حدَّق جرِن فيه بعينين متَّسعتين، لكن إد الكئيب قال: «لا أشمُّ غير خراء مئتي حصان وهذه اليخنة، التي لا تختلف رائحتها كثيرًا في الحقيقة».

قال هاك مربِّتًا على خنجره: «وأنا أشمُّ رائحتك التي لا تختلف كثيرًا من مكاني»، ثم دمدمَ وملأ وعاء چون من القِدر. كان في اليخنة الكثير من الشَّعير والجزر والبصل، مع نسيلةٍ هزيلةٍ هنا وهناك من اللَّحم المملَّح الذي ليَّنه الطَّهي.

سألَ جرِن: «ماذا تشمُّ يا دايوين؟».

كان قد خلعَ أسنانه، فبدا وجهه رخوًا مجعَّدًا، يُشبه يديه كثيرتي العُقد كالجذور القديمة، ورشفَ الحطَّاب من ملعقته لحظةً، ثم أجابَ: «يُخَيَّل لي أنها رائحة... البرد».

قال له هاك: «لديك عقل خشبي كأسنانك. البرد لا رائحة له».

فكَّر چون متذكِّرًا اللَّيلة إياها في مسكن حضرة القائد: بل له رائحة، رائحته كالموت. فجأةً فقدَ شهيَّته للطَّعام، فأعطى يخنته لجرِن، الذي بدا في حاجةٍ إلى حصَّةٍ إضافيَّة تمدُّه بالدِّفء في برد اللَّيل.

كانت الرِّياح تهبُّ بقوَّةٍ عندما غادرَ. مع مجيء الصَّباح ستكون الأرض قد اكتسَت بالصَّقيع، وستتجمَّد حبال الخيام وتتيبَّس. كان مقدار صغير من النَّبيذ المتبَّل قد تبقَّى في المِرجل، فغذَّى چون النَّار بمزيدٍ من الحطب ووضعَ المِرجل فوق اللَّهب معيدًا تسخينه، وأخذَ يبسط يده ويطويها بينما ينتظر، إلى أن استشعرَ وخزًا فيها. كان أفراد المناوَبة الأولى من الحراسة قد اتَّخذوا مواقعهم حول محيط المخيَّم، وتذبذبَ لهب المشاعل بطول السُّور الدَّائري. إنها ليلة بلا قمر، لكن ألف نجمةٍ ونجمةٍ سطعَت في السَّماء.

انبعثَ من الظَّلام صوت خافت بعيد، وإن كان عُواء ذئاب لا لَبس فيه. ارتفعَت أصواتها وانخفضَت بأغنيَّةٍ حزينةٍ لحنها من برد، جاعلةً الشُّعيرات تنتصب على مؤخِّرة عُنقه، وعلى الجانب الآخَر من النَّار رمقَته عينان حمراوان من وسط الظِّلال، وقد توهَّجتا في ضوء اللَّهب.

قال چون لاهثًا من المفاجأة: «جوست، إذن فقد قرَّرت الدُّخول في النِّهاية، إيه؟». غالبًا ما يقضي الذِّئب الأبيض اللَّيل بطوله في الصَّيد، فلم



يتوقَّع أن يراه ثانيةً قبل طلوع النَّهار، فسألَه: «ألم تَعثُر على فرائس؟ تعالَ، إليَّ يا جوست».

دارَ الذِّئب الرَّهيب حول النَّار متشمِّمًا چون والهواء دون أن يَثبُت لحظةً، ولم يبدُ أن اللَّحم هو ما يرغب فيه الآن. جوست أدركَ ما يَحدُث عندما جاءَ الموتى السَّائرون، وأيقظَني وحذَّرني. نهضَ چون منتبهًا، وقال: «أثمَّة شيء ما في الخارجِ يا جوست؟ هل تشمُّ شيئًا؟». دايوين قال إنه يشتمُّ البرد.

انطلقَ الذِّئب الرَّهيب يجري، ثم توقَّف ونظرَ وراءه، فقال چون لنفسه: يُريدني أن أتبعه، وثبَّت قلنسوة معطفه على رأسه، وابتعدَ عن الخيام وعن دِفء النَّار، مارًّا بصفوف الخيول الهزيلة. صهلَ حصان بعصبيَّةٍ مع مرور جوست، فهدَّأه چون بكلمةٍ وملَّس على خَطمه، ثم ترامى إلى مسامعه صفير الرِّيح إذ تَدخُل من بين فجوات الصُّخور مع اقترابه وجوست من السُّور المستدير، حيث قال له صوت آمر أن يُعَرِّف نفسه، فأجابَ: «أريدُ إحضار الماء لحضرة القائد».

قال الحارس: «اذهب إذن، وأسرِع». كان الرَّجل منكمشًا تحت معطفه الأسود وقد رفعَ قلنسوته ضد الرِّيح، فلم يُلقِ مجرَّد نظرةٍ ليرى إن كان چون يحمل دلوًا.

انسلَّ چون بحركةٍ جانبيَّة بين اثنين من الخوازيق، بينما انزلقَ جوست من تحتهما، ووجدَ مشعلًا مثبَّتًا في صدع، يخفق لهبه كراياتٍ برتقاليَّةٍ كلما هَبَّ الهواء، فالتقطَه وهو يدسُّ جسده في ثغرةٍ بين الأحجار. نزلَ جوست التَّلَّ مسرعًا، لكن چون تبعَه بتؤدةٍ وقد رفعَ المشعل أمامه، وبدأت أصوات المعسكرِ تَخفُت من ورائه وهو ينزل المنحدر الحجري غير المستوي في حُلكة اللَّيلة، ما يعني أن أقلَّ غفلةٍ كفيلة بأن يكسر كاحله... أو رقبته. سألَ نفسه وهو ينتقي مواطئ قدميه: ما هذا الذي أفعله؟

وقفَت الأشجار تحته كمُحارِبين تدرَّعوا باللِّحاء والورق، منتظمين في صفوفهم الصَّامتة، ينتظرون الأمر بالهجوم على التَّل. بدَت سوداء تمامًا، وفقط حين مَسَّها ضوء المشعل لمحَ چون بريق الأخضر، وسمعَ المياه المتدفِّقة على الصُّخور من بعيد. اختفى جوست وسط الشُّجيرات، وكافحَ



چون ليلحق به مصغيًا لنداء الجدول الجاري وتنهُّد أوراق الشَّجر في الرِّيح، وعلقَت الأغصان بمعطفه، بينما تعانقَت الفروع الغليظة من فوقه حاجبةً النُّجوم.

وجدَ جوست يشرب من الجدول، فقال: «جوست، إليَّ، الآن»، وعندما رفعَ الذِّئب الرَّهيب رأسه، التمعَت عيناه الحمراوان منذرتين بالويل، وسالَ الماء من فَكَّيه كاللُّعاب. لحظتها كان فيه شيء ما ضارٍ مهيب، ثم إنه عادَ ينطلق متجاوزًا چون ليغيب بين الأشجار، فصاحَ صاحِبه: «جوست، لا، انتظر هنا»، لكن الذِّئب لم ينتبه إليه، وابتلعَ الظَّلام الجسد الأبيض الرَّشيق، تاركًا لچون خيارين: أن يتسلَّق التَّلَّ ثانيةً وحده، أو يتبعه.

هكذا تبعَه غاضبًا وقد خفضَ المشعل كي يرى الصُّخور التي تُهَدِّده بالتعثُّر مع كلِّ خطوة، والجذور الغليظة التي بدَت كأنها تمتدُّ لتقبض على قدميه، والحُفر التي يُمكن أن يلتوي كاحله في واحدةٍ منها. راحَ يُنادي جوست كلَّ بضعة أقدامٍ، لكن رياح اللَّيل كانت تدور في دوَّاماتٍ بين الأشجار مبتلعةً صوته، وفكَّر وهو يتوغَّل في الأخضر أكثر: هذا جنون. كان على وشك أن يعود أدراجه عندما لمحَ شبحًا أبيض على يمينه في اتِّجاه التَّل، فتحرَّك نحوه وهو يسبُّ ويلعن.

طاردَ الذِّئب رُبع الطَّريق حول «القبضة» قبلَ أن يفقده ثانيةً، وأخيرًا توقَّف يلتقط أنفاسه وسط الشُّجيرات والأشواك والأحجار السَّاقطة عند سفح التَّل، واشتدَّت حُلكة الظَّلام وراء نطاق ضوء المشعل.

ثم جعلَه صوت احتكاكٍ خفيف يلتفت، فتحرَّك نحو مصدره خاطيًا بحذرٍ بين الجلاميد والشُّجيرات الشَّائكة، ووراء شجرةٍ ساقطةٍ وجدَ جوست من جديد، وكان الذِّئب الرَّهيب يَحفُر بعُنفٍ في الأرض.

قال چون: «علامَ عثرت؟»، وخفضَ المشعل ليكشف عن كومةٍ دائريَّةٍ من التُّربة النَّاعمة، ففكَّر: قبر، لكن مَن الميت؟

ركعَ وغرسَ المشعل في الأرض إلى جواره. كانت التُّربة رمليَّةً مخلخلَةً، وجرفَها چون بقبضتيه، فلم يجد أحجارًا أو جذورًا. أيًّا كان المدفون هنا، فقد دُفِنَ في الآونة الأخيرة. على عُمق قدمين مسَّت أصابعه قُماشًا. كان



يتوقَّع جثَّةً، يخشى أن تكون جثَّةً، لكن هذا شيء مختلف. ضغطَ على النَّسيج وتلمَّس أشكالًا صغيرةً حادَّةً صُلبةً من تحته، بينما لم يشتمَّ رائحة عفنٍ أو يرى أثرًا لديدان القبور.

تراجعَ جوست وجلسَ على قائمتيه الخلفيَّتين يُراقِب، وأزاحَ چون التُّربة المخلخَلة، وكشفَ عن حزمةٍ مستديرة قُطرها نحو قدمين، فدَسَّ أصابعه حول الحواف وخلَّصها، ولمَّا رفعَها أخيرًا تحرَّك ما في داخلها وصدرَت منه صلصلة، فقال لنفسه: إنه كنز... لكن الأشكال ليست أشكال نقود، والصَّوت ليس صوت معدن. كان حبل مهترئ يربط الحزمة، فسحبَ چون خنجره وقطعَه، وتحسَّس القُماش بحثًا عن أطرافه وشَدَّ، فانقلبَت الحزمة وانسكبَت محتوياتها على الأرض متألِّقةً بلونٍ داكن. رأى دستةً من السَّكاكين، ورؤوس رماحٍ على شكل أوراق شجر، وعديدًا من رؤوس السِّهام، ثم التقطَ نصل خنجرٍ أسود لامعًا، خفيفًا كريشةٍ وبلا مقبض، وانعكسَ ضوء المشعل على حافته في خَطٍّ برتقاليٍّ رفيع يشي بأنه حادٌّ كالموسى. زُجاج التنِّين، ما يُسَمِّيه المِايسترات الزُّجاج البُركاني. هل اكتشفَ جوست خبيئةً عتيقةً لأطفال الغابة مدفونةً هنا منذ آلاف السِّنين؟ صحيحٌ أن «قبضة البَشر الأوائل» مكان قديم، لكن...

تحت زُجاج التنِّين كان بوق حربي قديم، مصنوع من قرن ثورٍ برِّي ومطعَّم بالبرونز. نفضَ چون التُّراب من داخله، وسقطَ منه المزيد من رؤوس السِّهام، فتركَها تَسقُط ورفعَ رُكن القُماش الذي لُفَّ فيه البوق، وفركَه بين يديه. صوف من نوعٍ جيِّد، سميك، مزدوج الغُرزة، رطب لكن لم يتعفَّن. ليس ممكنًا أنه مدفونٌ في الأرض منذ فترةٍ طويلة، كما أنه داكن اللَّون كذلك. أطبقَ على جزءٍ من القُماش وسحبَه مقرِّبًا إياه من المشعل. ليس داكنًا، بل أسود.

من قبل أن ينهض چون وينفض الصُّوف الأسود، كان يُدرِك أن ما بين يديه معطف أسود من معاطف إخوة حَرس اللَّيل.





بران

وجدَه آلبلي في ورشة الحدادة، يُشَغِّل المنفاخ لميكن، فقال له: «المِايستر يُريدك في بُرجه يا سيِّدي الأمير. جاءَتنا رسالة من الملك».

- «مِن روب؟». لم ينتظر بران هودور من فرط اللَّهفة، وجعلَ آلبلي يحمله على السَّلالم. كان رجلًا كبير الحجم، لكن ليس بضخامة هودور، ولا يُدانيه في القوَّة على الإطلاق، فلمَّا بلغا قمَّة السَّلالم في بُرج المِايستر، كان يلهث وقد احتقنَ وجهه. وجدَ بران أن ريكون سبقَهما إلى هناك، والصَّبيَّان والدر فراي كذلك.

صرفَ المِايستر لوين آلبلي وأغلقَ الباب، ثم قال بوقار: «أيها السَّادة، وصلَتنا رسالة من جلالته، تحوي أخبارًا طيِّبةً وأخرى سيِّئةً. لقد حقَّق نصرًا عظيمًا في الغَرب، وحطَّم جيشًا للانستر في مكانٍ اسمه أوكسكروس، واستولى على عدَّة قلاعٍ كذلك، منها آشمارك التي كتبَ لنا منها، المعقل السَّابق لعائلة ماربراند».

شَدَّ ريكون كُمَّ المِايستر قائلًا: «هل سيعود روب؟».

- «أخشى أنه لن يعود قريبًا، فما زالت هناك معارك تنتظره».

سألَه بران: «هل هزمَ اللورد تايوين؟».

أجابَه المِايستر: «كلا، السير ستافورد لانستر كان يقود جيش العدو، وقد لقيَ حتفه في المعركة».

لم يكن بران قد سمعَ بالسير ستافورد لانستر هذا من قبل، ووجدَ نفسه يتَّفق مع والدر الكبير حين قال: «اللورد تايوين هو الوحيد الذي يهمُّ».



قال ريكون: «قُل لروب أن يعود، وليُحضِر ذئبه أيضًا، وأمِّي وأبي». مع أنه يعلم أن اللورد إدارد ماتَ، كان ريكون ينسى أحيانًا... عن عمدٍ كما يرتاب بران، فأخوه الصَّغير عنيد ذلك العناد الذي لا يتَّسم به غير أولاد الرَّابعة من العُمر.

شعرَ بران بالسُّرور لانتصار روب، وإن شوَّب سروره القلق، وتذكَّر ما أخبرَته به أوشا يوم خرجَ أخوه بجيشه من وينترفل. يومها قالت الهمجيَّة بإصرار: إنه مصرٌّ على الزَّحف في الاتِّجاه الخاطئ.

قال المِايستر لوين: «للأسف لا نصر بلا ثَمن»، والتفتَ إلى الوالدرين قائلًا: «أيها السَّيدان، عمُّكما السير ستفرون فراي كان ممن فقدوا حياتهم في أوكسكروس. كتبَ روب في رسالته إنه جُرِحَ في المعركة، ولم يحسبوا أن الجُرح بالغ، لكنه ماتَ وهو نائم في خيمته بَعد ثلاث ليالٍ».

هَزَّ والدر الكبير كتفيه قائلًا: «كان مسنًّا للغاية، في الخامسة والستِّين على ما أعتقدُ، لا تليق سِنُّه بالمعارك، وكان يُرَدِّد دائمًا أنه متعَب».

قال والدر الصَّغير ساخرًا: «تعني أنه متعَب من انتظار موت جدِّنا. أيعني هذا أن السير إمون هو الوريث الآن؟».

رَدَّ ابن عمِّه: «لا تكن غبيًّا. أبناء الابن الأول يسبقون الابن الثَّاني. السير رايمان هو التَّالي في التَّسلسُل، ثم إدويك ووالدر الأسود وبيتر ذو الدَّمامل، ثم إجون وكلُّ أبنائه».

قال والدر الصَّغير: «رايمان عجوز أيضًا. أراهنُ أنه تجاوزَ الأربعين، كما أنه يُعاني مرضًا في البطن. هل تعتقد أنه سيُصبِح اللورد؟».

- «سأصبحُ أنا اللورد، ولا أبالي إن أصبحَ هو».

قاطعَهما المِايستر لوين محتدًّا: «يَجدُر بكما أن تخجلا من هذا الكلام أيها السَّيدان. لقد ماتَ عمُّكما، أفلا تُبدِيان حُزنًا؟».

قال والدر الصَّغير: «نعم، إننا حزينان جدًّا».

لكنهما لم يكونا حزينيْن، وأحسَّ بران بمعدته تنقلب. مذاق الموت يروقهما أكثر مني. استأذنَ بالانصراف من المِايستر لوين، فقال: «لا بأس»، ودَقَّ الجرس. لا بُدَّ أن هودور مشغول في الاسطبلات، وبدلًا منه جاءَت



أوشا التي تفوق آلبلي قوَّةً، ولم يبدُ عليها العناء إذ حملَت بران بين ذراعيها ونزلَت به السَّلالم.

سألَها بران وهي تقطع به السَّاحة: «أوشا، هل تعرفين الطَّريق شَمالًا؟ إلى «الجدار» وما بَعده؟».

أجابَت: «الطَّريق سهل. استرشِد بكوكبة «التنِّين الجليدي»، وطارِد النَّجم الأزرق في عينِ راكِب التنِّين»، ودخلَت بظَهرها من بابٍ وبدأت تصعد الدَّرجات الملتفَّة.

- «وهل ما زال العمالقة موجودين هناك؟ و... والكائنات الأخرى... «الآخَرون» وأطفال الغابة؟».

- «العمالقة رأيتهم، والأطفال سمعتُ حكاياتٍ عنهم، والمُشاة البِيض... لماذا تُريد أن تعرف؟».

- «هل رأيتِ غُرابًا ذا ثلاث أعيُن؟».

أجابَت أوشا ضاحكةً: «كلا، ولا أظنُّ أني أريدُ أن أراه»، وفتحَت باب غُرفته بركلةٍ من قدمها، وأجلسَته في مقعده المجاور للنَّافذة، حيث يستطيع مشاهَدة السَّاحة في الأسفل.

لم تكد لُحيظات لا تُذكَر تمرُّ بَعد استئذانها بالانصراف، حتى انفتحَ باب الغُرفة ثانيةً ودخلَ چوچن ريد بلا استئذان، ومن ورائه أخته ميرا، فسألَه: «هل سمعت بالطَّائر الذي جاءَ؟»، فلمَّا هَزَّ الصَّبي الآخَر رأسه علامة الإيجاب، قال بران: «لم يكن عشاءً كما قلتَ، بل رسالةٌ من روب، ولم نأكلها، لكن...».

رَدَّ چوچن: «أحيانًا تتَّخذ الأحلام الخضراء صُورًا غريبةً، واستيعاب حقيقتها لا يكون سهلًا كلَّ مرَّة».

قال بران: «أخبِرني بالشَّيء السيِّئ الذي رأيته في حُلمك، الشَّيء السيِّئ القادم إلى وينترفل».

- «هل يُصَدِّقني سيِّدي الأمير الآن؟ هل سيثق بكلامي أيًّا كان وقعه عجيبًا على مسامعه؟».

وأومأَ بران برأسه أن نعم.

- «البحر قادم».



- «البحر؟».

- «حلمتُ بالبحر يتلاطَم حول أسوار وينترفل، رأيتُ موجًا أسود يتكسَّر على البوَّابات والأبراج، ثم تدفَّق الماء المالح من فوق الأسوار وأغرقَ القلعة، وطفَت جُثث الغرقى في السَّاحة. لم أكن أعرف وجوههم عندما رأيتُ الحُلم أول مرَّةٍ في القلعة الرَّماديَّة، لكني أعرفها الآن. آلبلي هذا واحد منهم، الحارس الذي أعلنَ اسمينا في الاحتفال، والسِّپتون واحد آخَر، والحدَّاد كذلك».

قال بران شاعرًا بحيرةٍ ممتزجة بالجزع: «لكن البحر يَبعُد مئات ومئات من الأميال، وأسوار وينترفل عالية للغاية، فلن يَدخُل الماء من فوقها حتى لو حدثَ ذلك».

قال چوچن: «في ظلام اللَّيل سيتدفَّق البحر المالح من فوق هذه الأسوار. لقد رأيتُ جُثث الموتى الغارقة المنتفخة».

قال بران: «يجب أن نُخبِرهم، آلبلي وميكن والسِّپتون كايل، نقول لهم ألَّا يغرقوا».

أجابَ الصَّبي الأخضر: «لن يُبَدِّل هذا مصايرهم».

دنَت ميرا من مقعد النَّافذة، ووضعَت يدها على كتفه قائلةً: «لن يُصَدِّقوا يا بران، تمامًا كما لم تُصَدِّق أنت من قبل».

جلسَ چوچن على سرير بران، وقال: «أخبِرني بأحلامك أنت».

كان خائفًا، حتى في تلك اللَّحظة، لكنه أقسمَ على الثِّقة بهما، وابن ستارك في وينترفل لا يحنث بقَسمه، وهكذا قال ببُطء: «ثمَّة أنواع مختلفة. هناك أحلام الذِّئاب، وتلك ليست سيِّئةً كالأخرى، إذ أركضُ وأصطادُ وأقتلُ السَّناجب. وهناك الأحلام التي يأتيني فيها الغُراب ويقول لي أن أطير، وفي بعض الأحيان تكون الشَّجرة في هذه الأحلام أيضًا، تُناديني باسمي. إنها تُخيفني، لكن أسوأ الأحلام على الإطلاق هي التي أسقطُ فيها»، وتطلَّع إلى السَّاحة شاعرًا بالبؤس، وتابعَ: «لم أسقط من قبل قَطُّ، وكنتُ أذهب إلى كلِّ مكانٍ في القلعة عندما أتسلَّقُ، أصعدُ فوق الأسطُح والأسوار، وأطعِمُ الغِربان



في البُرج المحروق. كانت أمِّي تخاف دائمًا أن أسقط، لكني كنتُ أعرفُ أن ذلك لن يَحدُث... لكني سقطتُ، والآن أسقطُ في نومي طيلة الوقت».

اعتصرَت ميرا كتفه سائلةً: «أهذا كلُّ شيء؟».

- «على ما أظنُّ».

قال چوچن ريد: «وارْج».

نظرَ بران إليه بعينين متَّسعتين، وقال: «ماذا؟».

- «وارْج، متبدِّل الهيئة، حيواني. هكذا سيُسَمُّونك إذا عرفوا بأحلام الذِّئاب التي تراها».

عادَت الأسماء تُثير فيه الخوف من جديد، وتساءلَ: «مَن سيُسَمِّيني؟».

- «أهلك، بدافع الخوف. سيكرهك بعضهم إذا عرفوا مَن تكون، بل وسيُحاوِل بعضهم قتلك».

كانت العجوز نان تحكي قِصص رُعب عن الحيوانيِّين ومتبدِّلي الهيئة أحيانًا، وهُم أشرار في القِصص دائمًا، فقال بران: «أنا لستُ كذلك، لستُ كذلك على الإطلاق. إنها مجرَّد أحلام».

- «أحلام الذِّئاب ليست أحلامًا حقًّا. إنك تُغلِق عينك عن آخِرها وأنت مستيقظ، لكنها تنفتح عندما تغيب في النَّوم وتسعى روحك إلى نِصفها الآخَر. إنك تتمتَّع بملَكةٍ قويَّة».

- «لا أريدها، أريدُ أن أكون فارسًا».

- «فارسًا تُريد أن تكون، لكنك وارْج، ولا تستطيع تغيير هذا يا بران، لا تستطيع إنكاره أو التخلُّص منه. أنت الذِّئب المجنَّح، لكنك لن تطير أبدًا»، ونهضَ چوچن وسارَ إلى النَّافذة المفتوحة مكملًا: «ما لم تفتح عينك»، وبإصبعين متجاوريْن وخزَ جبهة بران بقوَّة.

عندما رفعَ يده إلى البُقعة التي وخزَها چوچن، لم يَشعُر إلَّا بالجِلد الطَّري سليمًا. ليست هناك عين، لا عين مغلقةً حتى، فقال: «كيف أفتحها إذا لم تكن موجودةً؟».

- «لن تَعثُر على العين بأصابعك أبدًا يا بران. عليك أن تبحث عنها



بقلبك»، وتمعَّن چوچن في وجهه بهاتين العينين الخضراوين الغريبتين، وأردفَ: «أم أنك خائف؟».

- «المِايستر لوين يقول إنه لا يوجد ما يُخيف في الأحلام».

- «بل يوجد».

- «ماذا؟».

- «الماضي، والمستقبَل، والحقيقة».

تركَاه أكثر حيرةً مما كان، ولمَّا صارَ بمفرده، حاولَ بران أن يفتح عينه الثَّالثة، ولكن بلا طائل، ومهما قطَّب جبهته أو وخزَها بأصابعه، لم يرَ أيَّ شيءٍ يختلف عن ذي قبل. في الأيام التَّالية حاولَ تحذير الآخَرين مما رآه چوچن، لكن الأحداث لم تجرِ كما أرادَ، إذ وجدَ ميكن الأمر طريفًا، وقال: «البحر؟ لطالما أردتُ أن أرى البحر، لكني لم أذهب إلى أيِّ مكانٍ يقودني إليه قَطُّ. والآن سيأتي هو إليَّ؟ الشُّكر للآلهة على تكليف نفسها هذا العناء من أجل حدَّادٍ فقير».

وقال له السِّپتون كايل بهدوء: «الآلهة ستأخذني في الوقت الذي تراه مناسبًا، وإن كنتُ لا أحسبُ أني سأغرقُ يا بران. لقد ترعرَعتُ على ضفاف نهر «السكِّين الأبيض» كما تعلم، أي أني سبَّاح ماهر للغاية».

آلبلي هو الوحيد الذي أعارَ التَّحذير انتباهًا، وذهبَ يتكلَّم مع چوچن بنفسه، وبَعدها كَفَّ عن الاستحمام ورفضَ أن يقترب من البئر على الإطلاق، وأخيرًا فاحَت رائحته الكريهة، حتى إن ستَّةً من الحُرَّاس حملوه وألقوه في حوضٍ من الماء السَّاخن ونظَّفوه بينما راحَ هو يَصرُخ أنهم سيُغرقونه كما قال صَبيُّ الضَّفادع، ومنذ ذلك الحين وهو يعبس كلما رأى بران أو چوچن يتحرَّكان في القلعة، ويرغي ويزبد بصوتٍ خفيض.

بَعد بضعة أيامٍ من حمَّام آلبلي، عادَ السير رودريك إلى وينترفل ومعه سجين، شاب سَمين ذو شفتين ممتلئتين رطبتين وشَعرٍ طويل، رائحته كالمراحيض، أسوأ مما كانت رائحة آلبلي نفسه. أجابَ هايهَد حين سألَ بران عمَّن يكون: «يُسَمُّونه ريك، لكني لم أسمع اسمه الحقيقيَّ. إنه يخدم نغل بولتون، ويقولون إنه ساعدَه على قتل الليدي هورنوود».



عرفَ بران في المساء نفسه على العَشاء أن النَّغل نفسه ماتَ، عندما أمسكَ به رجال السير رودريك في أرض هورنوود يفعل شيئًا شنيعًا، (ولم يستوعب بران تمامًا ماهية ذلك الشَّيء، لكن يبدو أنه يتطلَّب أن تفعله دون ثيابك)، وأسقَطوه بالسِّهام حين حاولَ الهرب بحصانه. غير أنهم وصَلوا إلى الليدي هورنوود المسكينة بَعد فوات الأوان. كان النَّغل قد حبسها في بُرج عقب زفافهما وامتنعَ عن إطعامها، وقد سمعَ بران الرِّجال يقولون إنه عندما حطَّم السير رودريك بابها، وجدَها بفمٍ غارقٍ في الدِّماء وقد مضغَت أصابعها.

قال الفارس العجوز للمِايستر لوين: «ذلك الوحش أوقعَنا في مأزقٍ عويص. سواء راقَنا هذا أم لا، فالليدي هورنوود كانت زوجته، وجعلَها تُرَدِّد النُّذور أمام السِّپتون وشجرة القلوب، وعاشَرها في اللَّيلة نفسها على مرأى من الشُّهود، ووقَّعت هي وصيَّةً تُسَمِّيه فيها وريثها وختَمَتها بخَتمها».

قال المِايستر معترضًا: «النُّذور التي تُرَدَّد بتهديد السِّلاح لا قيمة لها».

بدا الاستياءِ على السيرِ رودريك وهو يقول: «قد لا يُوافِقك رووس بولتون الرَّأي والذي عليٍ المحكِّ أرض. ليتني أستطيعُ أن أقطع رأس ذلك الخادم أيضًا، فهو لا يقلُّ سوءًا عن سيِّده، لكن أخشى أن عليَّ الإبقاء على حياته حتى يرجع روب من الحرب، لأنه الشَّاهد الوحيد على أسوأ جرائم النَّغل. قد يتنازَل رووس بولتون عن دعواه عندما يسمع ما لديه، لكن في الوقت الحالي هناك فُرسان ماندرلي ورجال «معقل الخوف» الذين يَقتُلون بعضهم بعضًا في غابات هورنوود، وأنا أفتقرُ إلى القوَّة لإيقافهم»، ودارَ الفارس العجوز في مقعده، ورمقَ بران بنظرةٍ صارمةٍ قائلًا: «وماذا كنت تفعل في غيابي يا سيِّدي الأمير؟ تأمر حُرَّاسنا بعدم الاستحمام؟ هل تُريد أن تفوح رائحتهم مِثل ريك هذا؟».

قال بران: «البحر قادم إلى هنا. چوچن رأى هذا في حُلمٍ أخضر. آلبلي سيغرق».

شَدَّ المِايستر لوين سلسلته، وقال: «صبيٌّ ريد يعتقد أنه يرى المستقبَل في أحلامه يا سير رودريك. لقد تكلَّمتُ مع بران عن أن هذه التَّكهُّنات غير أكيدة على الإطلاق، لكن الحَقَّ يُقال إن هناك متاعب بطول السَّاحل الحجري



بالفعل، مُغيرون في سُفنٍ طويلة ينهبون قُرى الصَّيد ويغتصبون ويُحرقون. ليوبولد تولهارت أرسلَ ابنَ أخيه بنفريد يتعامَل معهم، وإن كنتُ أتوقَّعُ أنهم سيفرُّون إلى سُفنهم بمجرَّد أن يروا رجالًا مسلَّحين».

- «نعم، ثم يُهاجِمون مكانًا مختلفًا. فليأخذ «الآخَرون» كلَّ هؤلاء الجُبناء. لم يكونوا ليَجسُروا أبدًا، ولا كان نغل بولتون ليَجسُر، لو أن قوَّتنا الأساسيَّة ليست على بُعد ألف فرسخ جَنوبًا»، ثم التفتَ السير رودريك إلى بران سائلًا: «بِمَ أخبرَك الصَّبي غير هذا؟».

- «قال إن الماء سيتدفَّق من فوق أسوارنا، ورأى آلبلي غريقًا، وميكن والسِّپتون كايل أيضًا».

عقدَ السير رودريك حاجبيه، وقال: «طيِّب، إذا حدثَ أن خرجتُ للتَّعامُل مع المُغيرين بنفسي، فلن آخذ آلبلي معي. هل رآني غريقًا أيضًا؟ لا؟ عظيم».

شجَّع الكلام بران، وقال لنفسه: ربما لن يغرقوا إذن إذا ظلُّوا بعيدًا عن البحر.

وكان هذا رأي ميرا أيضًا في وقتٍ لاحقٍ ليلتها عندما التقَت بران مع چوچن ليلعبوا لُعبة بلاطاتٍ ثلاثيَّة، لكن أخاها هَزَّ رأسه نفيًا، وقال: «الأشياء التي أراها في الأحلام الخضراء لا يُمكن أن تتغيَّر».

أغضبَ قوله أخته، التي قالت: «لماذا تُرسِل إلينا الآلهة إنذارًا إذا كنا لا نستطيع الإصغاء إليه وتغيير ما سيَحدُث؟».

أجابَ چوچن بحُزن: «لا أدري».

- «لو أنك في مكان آلبلي، لكنت ألقيت نفسك في البئر غالبًا وانتهيت من الأمر! يجب أن يُقاوِم، وبران أيضًا».

شعرَ بران بخوفٍ مفاجئ، وقال: «أنا؟ ما الذي يجب أن أقاوِمه؟ هل سأغرقُ أيضًا؟».

لاحَ الإحساس بالذَّنب في عيني ميرا وهي تَرمُقه قائلةً: «لم يكن من المفترَض أن أقول...».

أدركَ أنها تُخفي شيئًا، فسألَ چوچن بتوتُّر: «هل رأيتني في حُلمٍ أخضر؟ أكنتُ غارقًا؟».



أجابَ چوچن كأن كلَّ كلمةٍ تُؤلِمه: «ليس غارقًا. لقد حلمتُ بالرَّجل الذي جاءَ اليومِ، ريك هذا. أنت وأخوك كنتما ميتين عند قدميه، وكان يَسلُخ وجهيكما بسكينٍ أحمر طويل».

نهضَت ميرا قائلةً: «إذا ذهبتُ إلى الزِّنزانة، فيُمكنني أن أغرس رُمحًا في قلبه. كيف سيَقتُل بران وهو ميت؟».

قال چوچن: «سيُوقِفكِ السجَّانون والحَرس، ولن يُصَدِّقوكِ إذا قلتِ لهم لماذا تُريدين قتله».

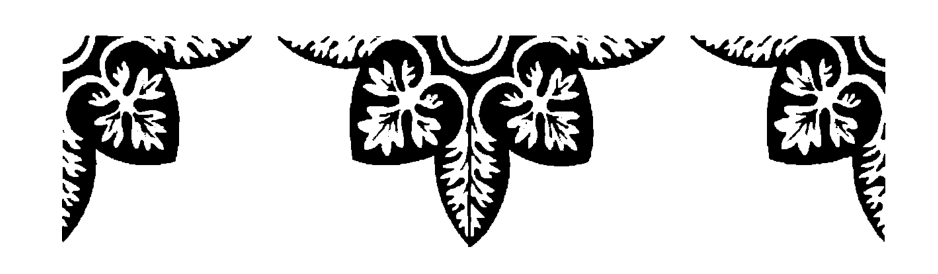
قال بران: «أنا أيضًا لديَّ حَرس، آلبلي وتيم المجدور وهايهِد والآخَرون».

أفعمَت الشَّفقة عيني چوچن ذاتي لون الطُّحلب، وقال: «لن يستطيعوا إيقافه يا بران. لم أرَ السَّبب، لكني رأيتُ النِّهاية، رأيتك أنت وريكون في السَّراديب، في الظَّلام مع الملوك الموتى وذئابهم الحجريَّة».

لا... لا... «إذا رحلتُ... إلى القلعة الرَّماديَّة أو إلى الغُراب، إلى مكانٍ بعيد لا يستطيعونِ العثور عليَّ فيه...».

- «لن يصنع هذا فارقًا. الحُلم كان أخضر يا بران، والأحلام الخضراء لا تكذب أبدًا».





تيريون

وقفَ ڤارس عند المستوقَد يُدفئ يديه النَّاعمتين، وقال: «يبدو أن رنلي قُتِلَ بطريقةٍ مخيفة حقًّا في قلب جيشه، شُقَّ حَلقه من الأُذن إلى الأُذن بنصلٍ اخترقَ الفولاذ والعظم كأنهما جُبن طري».

سألَت سرسي: «قُتِلَ بيد مَن؟».

- «هل خطرَ لكِ من قبل أن تعدُّد الإجابات كغيابها تمامًا؟ ليس جميع جواسيسي في المواقع العالية التي نرغبها، وعندما يموت ملكٌ ما، فالشَّائعات تُصير أكثر من ذرَّات الرَّمل على شاطئ. ثمَّة سائس يقول إن واحدًا من حَرس قوس قزح قتلَ رنلي، وتدَّعي غسَّالة أن ستانيس تسلَّل إلى قلب جيش أخيه بسيفٍ سِحري، وجنود كُثر موقنون من أن امرأةً ارتكبَت الفعلة الآثمة، وإن لم يتَّفقوا على هويَّة تلك المرأة. أحدهم يقول إنها خادمة ازدراها رنلي، ويقول ثانٍ إنها واحدة من تابعات المعسكرات كانوا قد أتوا بها لتسليته عشيَّة المعركة، وثالث يُخَمِّن أنها قد تكون الليدي كاتلين ستارك».

لم يبدُ الرِّضا على الملكة وهي تقول: «أينبغي أن تُضَيِّع وقتنا بكلِّ شائعةٍ يُرَدِّدها الحمقى؟».

- «إنكم تدفعون لي أجرًا باهظًا من أجل هذه الشَّائعات يا ملكتي الكريمة».

- «بل ندفع لك من أجل معرفة الحقائق. تذكَّر هذا أيها اللورد ڤارس، وإلَّا أصبحَ هذا المجلس الصَّغير أصغر».

أطلقَ ڤارس ضحكةً عصبيَّةً مكتومةً، وقال: «أنتِ وأخوكِ النَّبيل ستترُكان الملك بلا مستشارين على الإطلاق إذا استمَرَرْتما».



قال الإصبع الصَّغير مبتسمًا: «أظنُّ أن البلاد ستحتمل غياب بضعة مستشارين آخَرين».

رَدَّ ڤارس: «عزيزي پيتر، ألا يُقلِقك أن اسمك قد يكون التَّالي على قائمة حضرة اليد؟».

- «قبلك يا ڤارس؟ لا أتخيَّلُ ذلك أبدًا».

قال ڤارس: «لربما نُصبِح أنا وأنت أخوين على «الجدار»»، وضحكَ ثانيةً.

قالت الملكة بحدَّة: «سيَحدُث هذا أسرع مما تتوقَّع لو أن الكلام التَّالي الذي تنطقه ليس مفيدًا أيها الخصي». من نظرة عينيها، كانت سرسي مستعدَّةً لحظتها لإخصاء ڤارس مرَّةً أخرى.

سألَ الإصبع الصَّغير: «أمن المحتمَل أنها خدعة؟».

أجابَ ڤارس: «إذا كانت خدعةً، فهي غير مسبوقةٍ في براعتها. فقد انطلَت عليَّ بكلِّ تأكيد».

تكلَّم تيريون الذي سمعَ ما فيه الكفاية، فقال: «سيُصاب چوف بخيبة الأمل، فقد كان يدَّخر خازوقًا لامعًا لرأس رنلي، لكن أيًّا كان من فعلَها، فعلينا أن نفترض أن ستانيس وراء الأمر، فالبديهي أن هذا في صالِحه». لم يَرُقه الخبر، إذ كان يعتمد على استنزاف الأخوين باراثيون لقُواهما في معركةٍ دامية. أحسَّ بنبض الألم في مِرفقه حيث شقَّته الكَرة الشَّائكة في معركة الفرع الأخضر، الشَّيء الذي يَحدُث أحيانًا في الطَّقس الرَّطب، فاعتصرَ ذراعه عبثًا وهو يسأل: «وماذا عن جيش رنلي؟».

قال ڤارس: «السَّواد الأعظم من مُشاته ما زال في «جسر العلقم»»، وابتعدَ عن المستوقَد ليجلس إلى الطَّاولة، وتابعَ: «ومعظم اللوردات الذين ذهبوا مع اللورد رنلي إلى ستورمز إند انضمُّوا براياتهم وسلاحهم إلى ستانيس، ومعهم فُرسانهم كلهم».

قال الإصبع الصَّغير: «وأراهنُ أن آل فلورنت على رأسهم».

تكلَّف ڤارس الابتسام في وجهه، وقال: «تكسب الرِّهان يا سيِّدي. اللورد ألستر كان أول من يركع، وتبعَه كثيرون».

باهتمامٍ قال تيريون: «كثيرون لكن ليس الجميع؟».



وافقَه الخصيُّ قائلًا: «ليس الجميع، لا لوراس تايرل أو راندل تارلي أو ماثيس روان، كما أن ستورمز إند نفسها لم تستسلم، فالسير كورتناي پنروز ما زال يُدافِع عن القلعة باسم رنلي، ويَرفُض تصديق أن مليكه ماتَ، ويُطالِب بأن يرى رُفاته أولًا قبل أن يفتح بوَّاباته، لكن يبدو أن جثَّة رنلي اختفَت بلا أثر. هناك من هرَّبها في الغالب، فخُمس فُرسان رنلي فضَّلوا الرَّحيل مع لوراس على الرُّكوع لستانيس. يُقال إن لوثةً أصابَت فارس الزُّهور حين رأى جثَّة ملكه، وأسقطَ ثلاثةً من حَرس رنلي في غَمرة الغضب، بينهم إمون كاي وروبار رويس».

فكَّر تيريون: للأسف توقَّف عند ثلاثةٍ فقط.

واصلَ ڤارس: «السير لوراس في طريقه إلى «جسر العلقم» غالبًا، فأخته ملكة رنلي هناك، بالإضافة إلى عددٍ غفيرٍ من الجنود الذين وجدوا أنفسهم بلا ملكٍ فجأةً، فأيُّ جانبٍ سيختارون الآنَ؟ سؤال حسَّاس، لأن كثيرين منهم يخدمون اللوردات الذين ظلُّوا عند ستورمز إند، وهؤلاء اللوردات ينتمون لستانيس الآن».

مالَ تيريون إلى الأمام قائلًا: «يبدو لي أن أمامنا فُرصةً سانحةً. إذا ضممنا لوراس تايرل إلى صفوفنا، فقد يلحق به مايس تايرل وحمَلة رايته بدورهم. قد يكونوا قد أقسَموا لستانيس في الوقت الحالي، لكنهم لا يُحِبُّونه، وإلَّا لكانوا معه من البداية».

سألَت سرسي: «وهل حبُّهم لنا أكبر؟».

قال تيريون: «إطلاقًا. من الجليِّ أنهم أحبُّوا رنلي، لكن رنلي قُتِلَ، ولربما نستطيع أن نُعطيهم أسبابًا كافيةً لتفضيل چوفري على ستانيس... إذا تحرَّكنا بلا إبطاء».

- «وأيُّ نوعٍ من الأسباب تنوي أن تُعطيهم؟».

قال الإصبعُ الصَّغير في الحال: «أسباب من ذهب».

طقطقَ ڤارس بلسانه، وقال: «عزيزي پيتر، مؤكَّد أنك لا تقترح أن هؤلاء اللوردات الأبيِّين والفُرسان النُّبلاء يُمكن شراؤهم كالدَّجاج في الأسواق».

رَدَّ الإصبع الصَّغير: «هل زُرت أسواقنا مؤخَّرًا يا لورد ڤارس؟ ستجد



أن شراء اللورد أسهل من شراء الدَّجاجة، لكن قوقأة اللوردات فيها كبرياء أكثر من الدَّجاج بالطَّبع، لأنهم يَشعُرون بالإهانة إذا عرضت عليهم المال كأنك تاجر، بينما نادرًا ما يعترضون على تلقِّي الهدايا... الألقاب والأراضي والقلاع...».

قال تيريون: «قد تستميل الرَّشاوى اللوردات الأقلَّ منزلةً، لكن ليس هايجاردن أبدًا».

قال الإصبع الصَّغير: «هذا صحيح. فارس الزُّهور هو المفتاح. مايس تايرل لديه ابنان أكبر، لكن لطالما كان لوراس ابنه المفضَّل. اظفر به تكن هايجاردن لك».

نعم. «يتراءى لي أن علينا تعلُّم درسٍ من اللورد الرَّاحل رنلي. يُمكننا أن نكسب حِلف عائلة تايرل مِثلما فعلَ، بالزَّواج».

كان ڤارس أسرع من فهمَ مقصده، فقال: «تُفَكِّر في تزويج چوفري مارچري تايرل».

- «بالضَّبط». لا تتجاوَز ملكة رنلي الشَّابَّة الخامسة أو السَّادسة عشر من العُمر على ما يَذكُر... أكبر من چوفري، لكن بضع سنواتٍ لا تُشَكِّل أيَّ فارِق. خُطَّة شديدة الأناقة والحلاوة حتى إنه يكاد يتذوَّقها على لسانه.

قالت سرسي معترضةً: «سانزا ستارك مخطوبة لچوفري».

- «اتِّفاقات الزَّواج قابلة للفسخ. ما المنفعة من تزويج الملك ابنة خائنٍ ميت؟».

قال الإصبع الصَّغير: «يَجدُر بك أن تُوَضِّح لجلالته أن آل تايرل أثرى كثيرًا من آل ستارك، ويُقال أيضًا إن مارچري بارعة الحُسن... وجاهزة للنِّكاح كذلك».

قال تيريون: «نعم، سيروق هذا چوف بما فيه الكفاية».

- «ابني أصغر من أن يهتمَّ بتلكم الأشياء».

قال لها تيريون: «أتظنِّين هذا؟ إنه في الثَّالثة عشر يا سرسي، السِّنِّ نفسها التي تزوَّجتُ فيها».



- «لقد كلَّلتنا جميعًا بالعار بهذه الواقعة المشينة. چوفري مصنوع من خامةٍ أرقى».
- «نعم، خامة شديدة الرُّقي لدرجة أنه جعلَ السير بوروس يُمَزِّق فُستان سانزا من على جسدها».
- «كان غاضبًا من الفتاة».
- «وكان غاضبًا من الطَّاهي الذي سكبَ الحَساء ليلة أمسٍ كذلك، لكنه لم يُجَرِّده من ملابسه».
- «تلك لم تكن مجرَّد مسألة حَساءٍ مسكوب...».
لا، كانت مسألة ثديين جميلين. بَعد ما حدثَ في السَّاحة، تكلَّم تيريونٍ مع ڤارس عن طريقةٍ يُدَبِّران بها زيارة چوفري ماخور شاتايا، فلديه أمل أن يُلَطِّف مذاق الشَّهد سوء خُلُق الصَّبي، بل وقد يَشعُر بالامتنان كذلك (حاشا للآلهة)، وتيريون يرغب حقًّا في قَدرٍ زائدٍ ولو قليلًا من الامتنان من مليكه. يجب أن تتمَّ الزِّيارة في الخفاء بالطَّبع، لكن الجزء العسير هو إبعاده عن كلب الصَّيد. يومها قال لڤارس: «الكلب لا يبتعد عن سيِّده أبدًا، لكن البَشر كلهم ينامون، وبعضهم يُقامِر ويُعاشِر البغايا ويزور الحانات أيضًا».
- «كلب الصَّيد يفعل تلك الأشياء كافَّة إذا كان هذا سؤالك».
قال تيريون: «كلا، سؤالي هو متى يفعلها».
عندئذٍ وضعَ ڤارس إصبعه على وجنته مبتسمًا بغموض، وقال: «سيِّدي، قد يحسب رجل شكَّاك أنك ترغب في إيجاد وقتٍ لا يحمي فيه ساندور كليجاين جلالة الملك چوفري، بغية أن تُنزِل بالصَّبي أذًى ما».
قال تيريون: «مؤكَّد أنك تعرفني أفضل من هذا يا لورد ڤارس. لستُ أريدُ إلَّا أن يُحِبَّني چوفري».
وعدَ الخصيُّ بأن يتدارَس الأمر، لكن الحرب لها متطلَّباتها، وعلى دخول چوفري عالم الذُّكورة أن ينتظر... والآن جعلَ تيريون نفسه يقول لسرسي: «لا ريب أنكِ تعرفين ابنكِ أفضل مما أعرفه، لكن بغَضِّ النَّظر عن هذا، ففوائد مصاهَرة عائلة تايرل عديدة، وقد تكون السَّبيل الوحيد لأن يعيش چوفري حتى ليلة زفافه».



أبدى الإصبع الصَّغير اتِّفاقه بقوله: «ابنة ستارك لن تُقَدِّم لچوفري غير جسدها، وعلى الرغم من جماله، فمارچري تايرل تُقَدِّم خمسين ألفًا من المُحارِبين، وكلَّ قوَّة هايجاردن».

غمغمَ ڤارس: «بالتَّأكيد»، ووضعَ يدًا ناعمةً على كُمِّ الملكة قائلًا: «لديكِ قلبُ أُم، وأعرفُ أن جلالته يُحِبُّ حُلوته الصَّغيرة، لكن على الملوك أن يتعلَّموا إيثار حاجات البلاد على رغباتهم الشَّخصيَّة. رأيي أن لا مناص من تقديم هذا العرض».

سحبَت الملكة يدها بعيدًا عن لمسة الخصي، وقالت: «لم تكونوا لتقولوا هذا لو أنكم نساء. قولوا ما تشاؤون أيها السَّادة، لكن چوفري أكثر شممًا من أن يقبل بمخلَّفات رنلي، ولن يُوافِق أبدًا».

هَزَّ تيريون كتفيه قائلًا: «عندما يَبلُغ الملك بَعد ثلاث سنوات، يُمكنه أن يُوافِق أو يَرفُض كما يُريد، لكن حتى ذلك الحين فأنتِ الوصيَّة عليه وأنا يده، وسيتزوَّج مَن نقول له أن يتزوَّجها، سواء كانت مخلَّفات أم لا».

هكذا فرغَت جَعبة سرسي، فقالت لهم: «قدِّموا عرضكم إذن، لكن لترحمكم الآلهة جميعًا إذا لم يرضَ چوف عن تلك الفتاة».

قال تيريون: «يَسُرُّني للغاية أن نتَّفق. والآن، مَن منا سيذهب إلى «جسر العلقم»؟ يجب أن نصل إلى السير لوراس بعرضنا قبل أن يَبرُد دمه».

- «أتنوي إرسال واحدٍ من أعضاء المجلس؟».

- «لا أتوقَّعُ أن يقبل فارس الزُّهور التَّعامُل مع برون أو شاجا، أليس كذلك؟ آل تايرل معتدُّون بأنفسهم».

لم تُبَدِّد أخته ثانيةً واحدةً في لَيِّ الموقف لصالحها، فقالت: «السير چاسلين بايووتر نبيل المولد. أرسِله هو».

هَزَّ تيريون رأسه نفيًا، ورَدَّ: «نحتاج شخصًا أهلًا لأكثر من مجرَّد ترديد كلامنا والعودة بإجابة. يجب أن يتكلَّم مبعوثنا باسم الملك والمجلس، ويُسَوِّي المسألة بسرعة».

توهَّج ضوء الشُّموع بأخضر النَّار الشَّعواء في عيني سرسي وهي تقول:



«اليد يتكلَّم بصوت الملك. إذا أرسلناك يا تيريون، فكأن چوفري ذهبَ بنفسه، فمَن أفضل منك؟ إن بلاغتك تُضاهي براعة چايمي في المبارَزة».

أأنتِ متلهِّفة إلى هذا الحَدِّ على إخراجي من المدينة يا سرسي ؟ «أنتِ شديدة اللُّطف يا سرسي، لكن يبدو لي أن أُمَّ الصَّبي أجدر كثيرًا بترتيب زيجته من أيِّ خال، كما أنكِ تتمتَّعين بموهبةٍ لا أُدانيها أبدًا في الفوز بالأصدقاء».

ضيَّقت عينيها قائلةً: «چوف يحتاجني إلى جانبه».

قال الإصبع الصَّغير: «يا جلالة الملكة، يا حضرة اليد، الملك يحتاج كليكما هنا، فدعاني أذهبُ بدلًا منكما».

- «أنت؟». ترُى ما المكسب الذي ينتظره مِن هذا؟

- «إنني عضوٌ في مجلس الملك، لكني لستُ من دمه، فلن أكون رهينةً ذات قيمة، كما أني عرفتُ السير لوراس إلى حَدٍّ معقول حين كان هنا في البلاط، ولم أمنحه سببًا لكراهيتي، علاوةً على أن مايس تايرل لا يُكِنُّ لي عداوةً على حَدِّ علمي، وأني أغبطُ نفسي على مهاراتي في التَّفاوُض».

لقد نالَ منا. لا يثق تيريون بپيتر بايلش على الإطلاق، ولا يرغب في ابتعاده عن نظره، لكن هل من خياراتٍ أخرى؟ يجب أن يكون المبعوث الإصبع الصَّغير أو تيريون نفسه، الذي يعي جيِّدًا أن مغادَرته كينجز لاندنج أيَّ فترةٍ من الوقت ستعني أن ينهدم كلَّ ما حقَّقه. هكذا قال بحذر: «لا بُدَّ أن هناك قتالًا دائرًا على الطَّريق بين هنا و«جسر العلقم»، ولك أن تثق بأن اللورد ستانيس قد أرسلَ رُعاته لجمع شتات قطيع أخيه».

- «لا أخشى الرُّعاة إطلاقًا، بينما تُقلِقني الخراف. على أن من اللَّائق أن أذهب ومعي حراسة».

قال تيريون: «يُمكنني الاستغناء عن مئةٍ من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة».

- «خمسمئة».

- «ثلاثمئة».

- «وأربعون، عشرون فارسًا ومِثلهم من مُرافِقيهم. إذا وصلتُ دون رِفقةٍ من الفُرسان، فسيحسبني تايرل ضئيل الشَّأن».

كان هذا كافيًا، فقال تيريون: «اتَّفقنا».



- «سأضمُّ هورور وسلوبر إلى مجموعتي، ثم أُرسِلهما إلى السيِّد والدهما بَعدها كعلامةٍ على حُسن النِّيَّة. إننا نحتاج پاكستر ردواين، فهو أقدم أصدقاء مايس تايرل، ويملك وحده قوَّةً لا يُستهان بها».

قالت الملكة معترضةً: «وخائن. كانت «الكرمة» لتُعلِن تأييدها لرنلي مع الآخَرين، لولا أن رداوين يعلم جيِّدًا أن ابنيه السَّخيفين سيدفعان الثَّمن».

رَدَّ الإصبع الصَّغير: «رنلي ماتَ يا جلالة الملكة، ولن ينسى ستانيس أو اللورد پاكستر أبدًا كيف أغلقَت قوادس ردواين البحر أثناء حصار ستورمز إند. أعيدي التَّوأمين، ولربما نكسب حُبَّ ردواين».

ما زالت سرسي لم تقتنع، وقالت: «فليأخذ «الآخَرون» حُبَّه. ما أريده هو جنوده وسُفنه، والإبقاء على توأميه الوسيلة الوحيدة لأن ننال هذا».

وجدَ تيريون الحَل، فقال: «لنُعِد السير هوبر إلى «الكرمة» إذن ونحتفظ بالسير هوراس هنا. أعتقدُ أن اللورد پاكستر بالذَّكاء الكافي لأن يستنتج معنى هذا».

لوقيَ الاقتراح بالقبول بلا نقاش، لكن الإصبع الصَّغير لم يكن قد انتهى بعدُ، وقال: «سنحتاج خيولًا قويَّةً سريعةً، لأن القتال سيجعل الحصول على خيولٍ بديلة في الطَّريق صعبًا، بالإضافة إلى مخزونٍ وافرٍ من الذَّهب من أجل الهدايا سالفة الذِّكر».

- «خُذ ما تحتاجه. ستانيس سيسرق الذَّهب كله لا محالة إذا سقطَت المدينة».

- «أريدُ تفويضًا مكتوبًا، وثيقةً لا تدع مجالًا للشَّكِّ عند مايس تايرل في السُّلطة المخوَّلة لي، وتُعطيني تصريحًا كاملًا بإجراء أيِّ ترتيباتٍ ضروريَّة واتِّفاقاتٍ ملزِمة باسم الملك، ويجب أن تحمل توقيع چوفري وجميع أعضاء هذا المجلس، وأختامنا كلها».

اعتدلَ تيريون في جلسته بغير راحة، وقال: «اتَّفقنا. أهذا كلُّ شيء؟ دعني أذكِّرك بأن الطَّريق إلى «جسر العلقم» طويل».

نهضَ الإصبع الصَّغير قائلًا: «سأكونُ عليه قبل مطلع الفَجر، وأنا على ثقةٍ بأن الملك سيُجزي لي المكافأة على مجهوداتي الشُّجاعة لدى عودتي».



قهقه ڤارس، وقال: «چوفري ملك يُقِرُّ بالجميل دائمًا. أنا واثق بأنك لن تجد داعيًا للشَّكوى يا سيِّدي الشُّجاع».

سألَته الملكة بلا موارَبة: «ماذا تريد يا پيتر؟».

رمقَ الإصبع الصَّغير تيريون وعلى شفتيه بسمة خبيثة، وأجابَ: «عليَّ أن أفكِّر في هذا، ولا شَكَّ أنني سأتوصَّلُ إلى شيءٍ ما»، ورسمَ انحناءةً وهميَّةً في الهواء، ثم انصرفَ بمنتهى الأريحية كأنه في الطَّريق إلى أحد مواخيره.

ألقى تيريون نظرةً خارج النَّافذة. كان الضَّباب كثيفًا لدرجةٍ لم تُمَكِّنه من رؤية السُّور الواقي عبر السَّاحة، بينما لاحَت بضعة أضواءٍ خافتة وسط الحجاب الرَّمادي. يوم سيِّئ للسَّفر. إنه لا يحسد پيتر بايلش. «من الأفضل أن نشرع في كتابة تلك الوثائق. لورد ڤارس، أرسِل مَن يُحضِر ورقًا وحبرًا، وعلى أحدٍ أن يوقِظ چوفري».

كان الجَوُّ لا يزال مظلمًا غائمًا عندما انتهى الاجتماع أخيرًا، وانصرفَ ڤارس بمفرده وخُفَّاه النَّاعمان يحتكَّان بخفَّةٍ بالأرض، بينما بقيَ الأخوان لانستر عند الباب، حيث ثبَّت السير پرستون معطفًا من قماش الفضَّة مبطَّنًا بالفراء على كتفيِّ سرسي، التي قالت: «ما أخبار سلسلتك يا أخي؟».

- «تطول حلقةً حلقةً. علينا أن نَشكُر الآلهة على أن السير كورتناي پنروز عنيد هكذا، فستانيس لن يتحرَّك شَمالًا أبدًا بينما ستورمز إند في يد خصومه من ورائه».

- «تيريون، أعرفُ أننا لا نتَّفق دائمًا على سياسة إدارة الأمور، لكن يبدو لي أني كنتُ مخطئةً بشأنك. أنت لست الأحمق الكبير الذي تصوَّرته، والحقيقة أني أدركُ الآن أنك ذو نفعٍ كبير. يجب أن تُسامِحني إذا كلَّمتكُ بقسوةٍ في الماضي».

غمغمَ: «يجب؟»، وهَزَّ كتفيه وابتسمَ لها قائلًا: «يا أختي العزيزة، لم يَحدُث أن قلتِ شيئًا يستأهل السَّماح».

قالت: «تقصد اليوم؟»، وضحكَ الاثنان... ثم مالَت سرسي وطبعَت قُبلةً ناعمةً سريعةً على جبهته.

بدهشةٍ غامرة أعجزَته عن الكلام، لم يستطِع تيريون إلَّا أن يَرقُبها تبتعد



قاطعةً الرُّواق بخطواتٍ واسعة وإلى جوارها السير پرستون، ولمَّا ابتعدَت سألَ برون: «هل فقدتُ عقلي أم أن أختي قبَّلتني الآن؟».

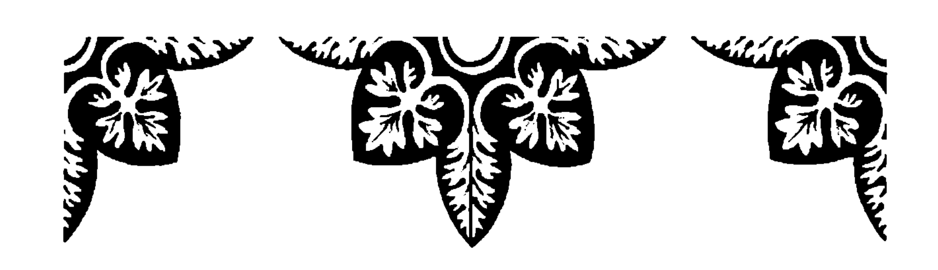
- «أكانت قُبلةً حُلوةً؟».

- «كانت... غير متوقَّعة». تتصرَّف سرسي بغرابةٍ في الآونة الأخيرة، الشَّيء الذي يجده تيريون باعثًا على القلق. «أحاولُ أن أتذكَّر آخِر مرَّةٍ قبَّلتني. لم أكن أكبر من ستَّة أو سبعة أعوام، وقد تحدَّاها چايمي أن تفعلها».

- «المرأة لاحظَت محاسنك أخيرًا».

قال تيريون: «كلا، المرأة تُدَبِّر شيئًا، والأفضل أن نكتشف ماهيته يا برون، فأنت تعرف كم أكرهُ المفاجآت».





ثيون

مسحَ ثيون البصقة عن وجنته بظَهر كفِّه، بينما صرخَ بنفريد تولهارت: «سيَبقُر روب بطنك يا جرايچوي! سيُطعِم ذئبه قلبك الخائن يا خراء البهائم!».

شَقَّ صوت آرون ذو الشَّعر الرَّطب الشَّتائم بحدَّة السَّيف وهو يقول: «الآن يجب أن تَقتُله».

قال ثيون: «عندي أسئلة له أولًا».

صاحَ بنفريد المعلَّق بلا حيلةٍ بين ورلاج وستيج: «اذهب إلى الجحيم أنت وأسئلتك! ستختنق بها قبل أن تنال أيَّ إجاباتٍ مني أيها المارق الجبان!».

قال العمُّ آرون بعنادٍ قاسٍ: «عندما يَبصُق عليك، فإنه يَبصُق علينا جميعًا، ويَبصُق على الإله الغريق. يجب أن يموت».

- «أبي ولَّاني أنا القيادة هنا يا عمِّي».
- «وأرسلَني لأنصحك».

وكي تُراقِبني أيضًا. لا يجرؤ ثيون على التَّمادي أكثر من اللَّازم مع عمِّه، فمع أن القيادة له بالفعل، فرجاله يضعون ثقةً في الإله الغريق لا يُكِنُّونها له على الإطلاق، كما أنهم مرعوبون من آرون ذي الشَّعر الرَّطب. ولا أستطيعُ أن ألومهم على هذا.

قال بنفريد: «ستفقد رأسك من أجل هذا يا جرايچوي، وستأكل الغِربان عينيك»، وحاولَ أن يَبصُق عليه ثانيةً، لكن كلَّ ما خرجَ من فمه كان قليلًا من الدَّم، فقال: «فليغتصِب «الآخَرون» إلهكم المبتل!».

بصقتَ حياتك نفسها يا تولهارت. «ستيج، أخرِسه».



أجبَرا بنفريد على الرُّكوع على رُكبتيه، ومزَّق ورلاج فروة الأرنب عن حزامه ودَسَّها في فمه ليمنعه من الصِّياح، بينما استلَّ ستيج فأسه، لكن آرون ذا الشَّعر الرَّطب أعلنَ: «لا، يجب أن نُعطيه للإله على نهجنا القديم».

وما الفارق؟ الموت واحد مهما تعدَّدت السُّبل. «خُذاه إذن».

- «ستأتي أنت أيضًا، فأنت القائد، ويجب أن يكون القُربان منك».

كان هذا أكثر مما يستطيع ثيون أن يهضمه، فقال: «أنت الرَّاهب يا عمَّاه، وأتركُ شؤون الإله لك، فأسدِني المعروف نفسه ودَع المعارك لي»، ولوَّح بيده، فجَرَّ ستيج وورلاج الأسير نحو السَّاحل، أمَّا آرون ذو الشَّعر الرَّطب فحدجَ ابن أخيه بنظرة تأنيب، ثم تبعهما. سيَتَّجهون إلى الشَّاطئ المفروش بالحصى، ليُغرِقوا بنفريد تولهارت في الماء المالح طِبقًا لنهجهم القديم.

قال ثيون لنفسه وهو يمشي بقامةٍ مشدودة في الاتِّجاه الآخَر: لعلَّها رحمة، ذلك أن ستيج ليس بالسيَّاف البارع، بينما لبنفريد عُنق ثخين كخنزير برِّي، مفتول العضلات وكثير الدُّهون. كنتُ أسخرُ من عُنقه هذا، فقط لأرى كم أقدرُ على إثارة غضبه. كان هذا منذ... ثلاثة أعوام تقريبًا؟ عندما ذهبَ ند ستارك إلى «مربَّع تورين» ليزور السير هلمان، اصطحبَ معه ثيون الذي أمضى أربعة ليالٍ في رِفقة بنفريد.

تناهَت إلى مسامعه الأصوات الظَّافرة الخشنة من منعطَف الطَّريق الذي دارَت عليه المعركة... إذا كان من الجائز تسميتها معركةً حقًّا. كانت أقرب إلى مذبحةٍ للخراف في الحقيقة، خراف صوفها فولاذ، ولكن خراف في النِّهاية.

تسلَّق ثيون كومةً من الحجارة ليُلقي نظرةً على الرِّجال الموتى والخيول المحتضرة، التي تستحقُّ مصيرًا أفضل. كان تايمور وإخوته قد جمعوا الخيول التي خرجَت سليمةً من القتال، بينما أخرسَ أورزن ولورن الأسود تلك ذات الجروح البالغة ولا سبيل لإنقاذها، أمَّا بقيَّة رجاله فكانوا يجمعون الغنائم من الجُثث، ورأى جفين هارلو يميل على صدر رجل ميت ويقطع إصبعه من أجل خاتم. يدفع الثَّمن الحديدي. كان أبي ليُبدي الاستحسان. فكَّر ثيون في تفتيش جثَّتي الرَّجلين اللَّذين قتلَهما بنفسه بحثًا عن أيِّ جواهر تستحقُّ أن



يأخذها، لكن الفكرة تركَت مذاقًا مُرًّا في فمه، وتخيَّل ما كان إدارد ستارك ليقوله، لكن تلك الفكرة أصابَته بالغضب، فذكَّر نفسه: ستارك ماتَ ويتعفَّن، ولا يعني لي شيئًا.

جلسَ العجوز بوتلي الملقَّب بشوارب القرموط مقطِّبًا وجهه إلى جوار كومة غنائمه، بينما يُضيف أبناؤه الثَّلاثة إليها. كان أحدهم يتعارَك مع رجل بدين اسمه تودريك، يترنَّح بين القتلى حاملًا قرنًا من المزر بيدٍ وبلطةً بالأخرى، ويرتدي معطفًا من فرو الثَّعلب الأبيض لطَّخه قليلٌ من دم مالكه السَّابق، وتبيَّن ثيون أن الرَّجل سكران وهو يَرقُبه يجأر بالزَّعيق. يُقال إن الدِّماء كانت تُسكِر الحديديِّين القُدامى في المعارك، وتُصيبهم بسُعارٍ يجعلهم لا يَشعُرون بالألم أو يخافون الأعداء، لكن ما يراه الآن سكرة المِزر التَّقليديَّة.

قال ثيون: «وِكس، أحضِر قوسي وجَعبتي»، فهرعَ الصَّبي يجلبهما، وحنى ثيون القوس وثبَّت الوتر في طرفيه، بينما طرحَ تودريك صبيَّ بوتلي أرضًا وألقى المِزر في عينيه، فهَبَّ شوارب القرموط يسبُّ، لكن ثيون سبقَه، وسدَّد سهمه إلى اليد القابضة على القرن، مفكِّرًا أن يُريهم رميةً يتكلَّمون عنها، لكن تودريك أفسدَ الأمر حين مالَ جانبًا في اللَّحظة ذاتها التي أطلقَ فيها ثيون السَّهم، الذي شَقَّ الهواء لينغرِس في بطن تودريك. عندئذٍ توقَّف جامعو الغنائم وحدَّقوا مشدوهين، فخفضَ ثيون قوسه قائلًا: «قلتُ لا سكارى، ولا عراك على الغنائم». كان تودريك يُحتضَر بصوتٍ مزعج وقد سقطَ على رُكبتيه، فقال ثيون آمرًا: «بوتلي، أخرِسه»، وأسرع شوارب القرموط وأبناؤه يُطيعون الأمر، فشَقُّوا حَلق تودريك وهو يَركُل مقاومًا بوهن، وجرَّدوه من معطفه وخواتمه وأسلحته قبل أن يلفظ آخِر أنفاسه حتى.

الآن يعرفون أني أعني ما أقوله. أي نعم ولَّاه اللورد بالون القيادة، لكن ثيون يعلم أن بعض رجاله لا يرون حين يَنظُرون إليه غير صبيٍّ ناعم من الأراضي الخضراء. قال: «ألدى أحدٍ آخَر رغبة؟»، فلمَّا لم يُحِر أحَدهم جوابًا، غمغمَ: «عظيم»، وركلَ راية بنفريد السَّاقطة، التي تقبض عليها يد المُرافِق الميت الذي حملَها من قبل، ورأى ثيون أن ثمَّة فروة أرنبٍ مربوطة بالسَّارية تحت الرَّاية. كان ينوي أن يسأل عن مسألة فرو الأرانب هذه، لكن



البصق على وجهه أنساه أسئلته. ألقى قوسه إلى وِكس وابتعدَ متذكِّرًا الانتشاء الذي أحسَّه بَعد معركة الغابة الهامسة، ومسائلاً نفسه عما يجعله لا يتذوَّق حلاوة نصرٍ مماثلةً ها هنا. تولهارت أيها الأحمق المتعجرف، إنك لم تُرسِل كشَّافًا واحدًا حتى.

كانوا يضحكون، بل ويُغَنُّون، وهُم يقتربون وقد خفقَت راية عائلة تولهارت ذات الأشجار الثَّلاث من فوقهم، بينما تدلَّى فرو الأرانب من رؤوس رماحهم بشكلٍ سخيف. أفسدَ الرُّماة المتواورون خلف شُجيرات الرَّتَم[1] الأغنيَّة بوابلٍ من السِّهام، ثم قادَ ثيون نفسه رجاله للإجهاز على من تبقَّوا بالخنجر والفأس والمطرقة، وإن أمرَ بالإبقاء على حياة القائد كي يستجوِبه.

لكنه لم يتوقَّع إطلاقًا أن يكون بنفريد تولهارت.

كانت جثَّته الهامدة تُجَرُّ من وسط الأمواج المتكسِّرة بينما عادَ ثيون إلى «كلبة البحر»، وقد ارتفعَ صاري السَّفينة الطَّويلة كأنه يشقُّ السَّماء فوق الشَّاطئ المفروش بالحصى. من قرية الصَّيد لم يتبقَّ غير الرَّماد الذي تفوح منه رائحة كريهة عند هطول المطر، أمَّا الرِّجال فقد قُتِّلوا جميعًا، باستثناء القلائل الذين سمحَ لهم ثيون بالفرار بأخبار ما حدثَ إلى «مربَّع تورين»، في حين استولى الحديديُّون على زوجاتهم وبناتهم كزوجاتٍ ملحيَّات، أو الشَّابات الجميلات منهن بالأحرى، فالعجائز والقبيحات إمَّا اغتُصِبن وقُتِلن ببساطة، أو أُخِذن كخادماتٍ إذا كُنَّ يملكن المهارة الكافية ولم يبدُ أنهن سيُسَبِّبن متاعب.

ثيون هو من خطَّط لهذا الهجوم أيضًا، وأبحرَ بسُفنه الطَّويلة إلى السَّاحل في الظُّلمة الباردة قبل الفَجر، ثم وثبَ من مقدِّمة سفينته وفي يده فأس طويلة المقبض، ليقود رجاله إلى داخل القرية النَّائمة. لم يَرُقه مذاق أيٍّ من هذا على الإطلاق، لكن ألديه خيار؟

كانت أخته الملعونة ثلاثًا تُبحِر بسفينتها «الرِّيح السَّوداء» شَمالًا الآن، في

---

(1) الرَّتَم نبات ذو أوراق صغيرة للغاية، ينمو في شُجيرات خضراء شائكة ويتكيَّف على العيش في الأجواء الجافَّة.



طريقها إلى الفوز بقلعةٍ لنفسها لا شَك. لم يكن اللورد بالون قد سمحَ لكلمةٍ واحدةٍ بأن تتسرَّب من جُزر الحديد عن احتشاد السُّفن، وسيُتَّهم مُغيرو البحر الباحثون عن الغنائم بارتكاب أفعال ثيون الدَّامية بطول السَّاحل الغربي، فلن يُدرِك الشَّماليُّون الخطر الحقيقي الذي يتهدَّدهم إلى أن تَسقُط المطرقة على «ربوة الغابة» وخندق كايلن بالفعل. وفي النِّهاية، بعدما يتحقَّق النَّصر، سيؤَلِّفون الأغاني عن تلك الحقيرة آشا وينسون أني كنتُ هنا حتى... لو أنه سمحَ لذلك بالحدوث.

وقفَ داجمر ذو الفَكِّ المفلوق عند المقدِّمة العالية المنحوتة لسفينته الطَّويلة «ثُمالة البحر». كان ثيون قد كلَّفه بحماية السُّفن، وإلَّا لكان الرِّجال اعتبَروه انتصار داجمر وليس انتصاره هو. كان رجل أسرع غضبًا ليرى في هذا إهانةً، أمَّا ذو الفَكِّ المفلوق فقد اكتفى بالضَّحك.

حدَّثه داجمر من أعلى قائلًا: «النَّصر لنا، لكني لا أراك تبتسم يا فتى. ينبغي أن يبتسم الأحياء، فالأموات لا يبتسمون»، وابتسمَ هو ليُريه الطَّريقة، وهو المنظر الشَّنيع بالفعل، فتحت شَعره الأبيض الثَّلجي، تُكَلِّل وجه داجمر ذا الفَكِّ المفلوق ألعن نَدبةٍ رآها ثيون في حياته على الإطلاق، التَّركة التي تركَتها له بلطة كادت تفتك به في صِغره، وحطَّمت ضربتها فَكَّيه وهشَّمت أسنانه الأماميَّة وزوَّدته بشفتين إضافيَّتين إلى شفاه البَشر الطَّبيعيَّة. تُغَطِّي لحيته المشعثة وجنتيه وعُنقه، لكن الشَّعر لا ينمو فوق النَّدبة، حيث تقسم فلقة لامعة من اللَّحم المشوَّه وجهه كصدع في حقلٍ مسكوٍّ بالثُّلوج. قال المُحارِب العجوز: «سمعناهم يُغَنُّون. كانت أغنيَّةً جيِّدةً، وردَّدوها بشَجاعة».

- «كان غناؤهم أفضل من قتالهم، فما كان الأمر ليختلف لو قاتَلوا بالقيثار بدلًا من الرُّمح».

- «كم رجلًا سقطوا؟».

قال ثيون: «من رجالنا؟»، ثم هَزَّ كتفيه مجيبًا: «تودريك. قتلته لأنه ثملَ وتعاركَ على الغنائم».

- «بعض النَّاس يولَد ليُقتَل». كان رجل أدنى ليخشى أن يُظهِر ابتسامةً



مخيفةً كهذه، لكن داجمر يبتسم تلك الابتسامة الواسعة أكثر من اللورد بالون بكثير.

على الرغم من بشاعتها، أعادَت الابتسامة لثيون مئة ذكرى. لقد اعتادَ رؤيتها كثيرًا في صباه، لمَّا كان يثب بحصانٍ فوق سورٍ مغطًّى بالطَّحالب، أو يقذف فأسًا يَشطُر بها هدفًا مربَّعًا، وحين يصدُّ ضربةً من سيف داجمر، أو يُصيب نورسًا محلِّقًا بسهم، وعندما أمسكَ دفَّة سفينةٍ طويلة وقادَها بأمانٍ وسط غابةٍ من الصُّخور. لقد ابتسمَ لي أكثر من أبي وإدارد ستارك معًا. حتى روب... كان المفترَض أن ينال منه ابتسامةً يوم أنقذَ بران من الهمجي، وبدلًا من هذا تلقَّى التَّقريع كأنه طبَّاخ أحرقَ الطَّعام.

قال ثيون: «يجب أن نتكلَّم يا عمَّاه». ليس داجمر عمَّه الحقيقي، بل مجرَّد واحدٍ من أتباع عائلته، في عروقه أقلُّ القليل من دماء جرايچوي من أربعة أو خمسة أجيالٍ سابقة، ومن جانب الإناث كذلك، وإن دعاه ثيون دائمًا بالعم.

- «اصعد إلى متن سفينتي إذن». لا يقول داجمر «سيِّدي» أبدًا ما دامَ على سطح سفينته، ففي جُزر الحديد كلُّ رُبَّانٍ ملك على متن سفينته.

صعدَ إلى سطح «ثُمالة البحر» بأربعِ خطواتٍ واسعة على لوح العبور، وقادَه داجمر إلى قمرته الضيِّقة في المؤخِّرة، حيث صَبَّ المِزر المُرَّ في قرنٍ وعرضَ آخَر على ثيون، لكنه رفضَه، وقال: «لم نستولِ على ما يكفي من خيول. عددها قليل، لكن... يبدو أني سأستغلُّ ما لديَّ. عدد أقلُّ من الرِّجال يعني المزيد من المجد».

- «فيمَ نحتاج الخيول؟». كمعظم الحديديِّين، يُفَضِّل داجمر القتال على قدميه أو من فوق سطح سفينة. «الخيول لن تفعل أكثر من التغوُّط على أسطُح سُفننا واعتراض طريقنا».

قال ثيون: «إذا أبحرنا، نعم، لكن لديَّ خطَّة أخرى»، وراقبَ ملامح الرَّجل بحذرٍ ليرى كيف سيتلقَّى كلماته. دون ذي الفَكِّ المفلوق لا أمل لديه في النَّجاح، وسواء كان القائد أم لا، فلن يتبعه الرِّجال أبدًا إذا عارَضه آرون وداجمر في آنٍ واحد، وقد يئسَ تمامًا بالفعل من استمالة الرَّاهب العابس.

- «السيِّد والدك أمرَنا بالإغارة على السَّاحل لا أكثر». راقبَت العينان



الشَّاحبتان كرغوة البحر ثيون من تحت الحاجبين الأبيضين الكثَّين. أهو الاستنكار ما يراه فيهما أم شرارة اهتمام؟ يظنُّ أنها الثَّانية... أو يأمل...

- «أنت رجل أبي».

- «أفضل رجاله، ولطالما كنتُ كذلك».

كبرياؤه. إنه عالي الكبرياء، ويجب أن أستغلَّ هذا. كبرياؤه هي المفتاح. «ليس هناك رجل في جُزر الحديد يملك نِصف براعتك في القتال بالرُّمح أو السَّيف».

- «لقد غبتَ طويلًا يا فتى. كنتُ كذلك عندما غادرتَ، لكنني شختُ في خدمة اللورد جرايچوي. يقول المغنُّون إن أندريك هو الأفضل الآن، أندريك اللا مبتسم كما يُلَقِّبونه. إنه ضخم الجسد حقًّا، يخدم اللورد دروم في ويك القديمة. كما أن لورن الأسود وكارل البِكر يُقارِبانه هيبةً».

- «قد يكون أندريك هذا مُحارِبًا عظيمًا، لكن النَّاس لا يخافونه كما يخافونك».

قال داجمر: «نعم، هذا صحيح». كانت الأصابع التي تكوَّرت حول قرن المِزر مثقلةً بالخواتم، خواتم من الذَّهب والفضَّة والبرونز، فصوصها من الياقوت الأزرقِ والعقيق الأحمر وزُجاج التنِّين، ويعلم ثيون أنه دفعَ الثَّمن الحديدي في كلٍّ واحدٍ منها.

- «إذا كان لديَّ رجل مِثلك في خدمتي، فلا يجب أن أهدر قُدراته في أعمال الأطفال كالإغارة والحرق، فهذا لا يليق بأفضل رجال اللورد بالون».

فتحَت ابتسامة داجمر شفاهه وكشفَت أسنانه البنِّيَّة المهشَّمة، وهو يقول: «ولا بابنه الشَّرعي؟»، ثم أطلقَ ضحكةً ساخرةً وتابعَ: «إنني أعرفك جيِّدًا يا ثيون. لقد رأيتك تخطو أولى خطواتك، وساعدتك على إعداد قوسك الأول. ليس أنا مَن يَشعُر بأن قُدراته مهدَرة».

قال وهو يُدرِك على نحوٍ مزعج وقع كلماته المغتاظة: «كان الأحقُّ أن أتولَّى القيادة التي أُعطيَت لأُختي».

- «أنت تُبالِغ في ردَّة فعلك يا فتى. كلُّ ما هنالك أن أباك لا يعرفك، فمع



موت أخويك واستيلاء الذِّئاب عليك، كانت أختك سلواه الوحيدة، وتعلَّم أن يعتمد عليها، وهي لم تخذله قَطُّ».

- «ولا أنا خذلته. آل ستارك عرفوا قيمتي، فكنتُ واحدًا من صفوة كشَّافة برايندن السَّمكة السَّوداء، وكنتُ وسط موجة الهجوم الأولى في الغابة الهامسة، واقتربتُ إلى هذا الحَدِّ من مبارَزة قاتِل الملك نفسه»، ورفعَ ثيون يديه مباعدًا بينهما مسافة قدمين، وواصلَ: «لكن دارن هورنوود حالَ بيننا ولقيَ حتفه لهذا».

سألَه داجمر: «لماذا تُخبِرني بهذه الأشياء؟ لقد وضعتُ سيفك الأول في يدك بنفسي، وأعلمُ أنك لست جبانًا».

- «وهل يعلم أبي؟».

بدا المُحارِب الأشيب كأنه قضمَ من صنفٍ لا يروقه مذاقه وهو يقول: «المشكلة يا ثيون... أن الذِّئب الصَّبي صديقك، وآل ستارك حظوا بك عشر سنواتٍ كاملة».

- «أنا لستُ من آل ستارك». لقد حرصَ اللورد إدارد على هذا. «إنني جرايچوي، وأنوي أن أكون وريث أبي، فكيف أفعلُ هذا دون أن أثبت نفسي بإنجازٍ عظيم؟».

- «ما زلتَ شابًّا. ستأتي حروب أخرى وستُحَقِّق إنجازاتك العظيمة، أمَّا الآن فنحن مأمورون بالإغارة على السَّاحل الحجري».

- «دَع عمِّي آرون يتولَّى هذا. سأعطيه سِتَّ سُفن، جميعها باستثناء «ثُمالة البحر» و«كلبة البحر»، ويُمكنه أن يُحرِق ويُغرِق حتى يشبع إلهه».

- «أنت القائد لا آرون ذو الشَّعر الرَّطب».

- «وما الفارق ما دامَت الغارات مستمرَّة؟ لا راهب يستطيع أن يفعل ما أنتويه، ولا ما أريده منك، فلديَّ مهمَّة لا يقدر غير داجمر ذي الفَكِّ المفلوق على إتمامها».

أخذَ داجمر رشفةً طويلةً من قرنه، ثم قال: «أخبِرني».

ها هو الإغراء تمكَّن منه. إنه لا يُحِبُّ عمل المُغيرين هذا أكثر مني. «إذا كانت أختي تستطيع الاستيلاء على قلعة، فأنا أستطيعُ كذلك».



- «آشا معها أربعة أو خمسة أضعاف ما معنا من رجال».

رسمَ ثيون على شفتيه ابتسامةً خبيثةً قائلًا: «لكننا نتمتَّع بأربعة أضعاف الذَّكاء وخمسة أضعاف الشَّجاعة».

- «أبوك...».

- «... سيَشكُرني عندما أسلِّمه مملكته. إنني أنوي أن أحقِّق إنجازًا سيُغَنُّون عنه ألف عام».

كان يُدرِك أن هذا سيجعل داجمر يُعيد النَّظر. ثمَّة مغنٍّ ألَّف أغنيَّةً عن البلطة التي فلقَت فكَّه إلى نِصفين، وقد أحبَّ العجوز سماعها، ومتى أسرفَ في الشَّراب كان يَطلُب أن يسمع واحدةً من أغاني الغارات، أغنيَّةً حماسيَّةً ملتهبةً تحكي عن أبطال الماضي وأفعال البطش والإقدام. اشتعلَ رأسه شيبًا ونَخِرَت أسنانه، لكن ما زال المجد يلذُّ له.

- «ماذا سيكون دوري في خطَّتك تلك يا فتى؟»، سألَه داجمر ذو الفَكِّ المفلوق، وحينها عرفَ ثيون أنه ظفرَ به.

- «أن تُلقي الرُّعب في قلوب الأعداء كما لا يستطيع سوى مَن يحمل اسمك أن يفعل. ستقود الجزء الأكبر من قوَّاتنا وتزحف إلى «مربَّع تورين». لقد أخذ هلمان تولهارت أفضل رجاله جَنوبًا، وبنفريد ماتَ هنا مع أبنائهم، بينما يبقى عمُّه ليوبولد فقط على رأس حاميةٍ صغيرة». ولو أني تمكَّنتُ من استجواب بنفريد، لعرفتُ حجمها بالضَّبط. «لا تُحيطوا اقترابكم بالكتمان، وردِّدوا كلَّ ما تُريدون من أغانٍ. أريدهم أن يُغلِقوا بوَّاباتهم».

- «هل «مربَّع تورين» تلك قلعة قويَّة؟».

- «قويَّة بما فيه الكفاية. الأسوار حجريَّة، ترتفع ثلاثين قدمًا، وثمَّة بُرج مربَّع عند كلِّ رُكن، وحصن مربَّع في الدَّاخل».

- «لا يُمكننا إضرام النَّار في الأسوار الحجريَّة، فكيف نقتحمها؟ إننا لا نملك العدد الكافي للهجوم على قلعةٍ صغيرة حتى».

- «ستُعَسكِرون خارج الأسوار وتشرعون في بناء المجانيق وآلات الحصار».

- «ليس هذا «النَّهج القديم»، أم أنك نسيت؟ الحديديُّون يُقاتِلون بالسَّيف



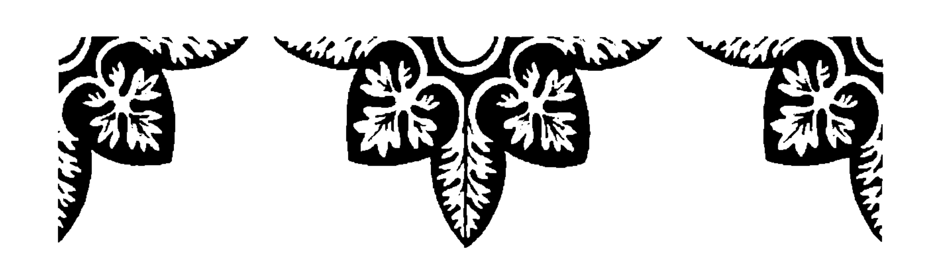
والبلطة وليس بقذف الحجارة. لا يوجد مجد في تجويع الأعداء حتى يستسلموا».

- «لن يُدرِك ليوبولد ذلك. عندما يراكم تبنون أبراج الحصار، ستتجمَّد دماؤه الأنثويَّة في عروقه ويثغو طالبًا النَّجدة كالخراف. مُر رُماتك بعدم إطلاق سهامهم يا عمَّاه، ودعوا الغِدفان تُحَلِّق. أمين القلعة في وينترفل رجل شجاع، لكن السِّنَّ يبَّست عقله كما يبَّست أطرافه، وحين يعلم أن أحد حمَلة راية مليكه يتعرَّض لهجوم من داجمر ذي الفَكِّ المفلوق شخصيًّا، سيستدعي قوَّاته ويَخرُج لعون تولهارت، فهذا واجبه، والسير رودريك يُعلي الواجب على كلِّ شيءٍ آخَر».

قال داجمر: «القوَّة التي يستدعيها ستكون أكبر مما معي أيًّا كان حجمها، وهؤلاء الفُرسان المسنُّون أمكر مما تحسب، وإلَّا لما كانوا قد عاشوا حتى شابَت شَعرتهم الأولى. إنك تُريد إرسالنا إلى معركةٍ لا أمل لنا في الفوز بها يا ثيون، فـ«مربَّع تورين» هذه لن تَسقُط أبدًا».

ابتسمَ ثيون قائلًا: «ليست «مربَّع تورين» القلعة التي أنوي الاستيلاء عليها».





آريا

سادَ الهرج والمرج القلعة.

وقفَ الرِّجال فوق العربات يُحَمِّلون براميل النَّبيذ وأجولة الدَّقيق وصُرر السِّهام المزوَّدة بريشاتٍ جديدة، وانهمكَ الحدَّادون في تقويم السُّيوف ودَقِّ الانبعاجات في الدُّروع وتثبيت الحدوات على أرجُل الجياد الحربيَّة وبغال الجَرِّ على حَدٍّ سواء، بينما وُضِعَت قمصان الحلقات المعدنيَّة في براميل مليئة بالرَّمل، دُحرِجَت على أرض ساحة الحجر المصهور كثيرة البروزات بغرض تنظيف القمصان وصقلها، وعكفَت نساء ويز على رتق عشرين من المعاطف وغسل مئة أخرى، واحتشدَ علية القوم وسفلتهم معًا في السِّپت يُصَلُّون، أمَّا خارج الأسوار فكانت الخيام والسُّرادقات تُفَكُّ، فيما ألقى مُرافِقو الفُرسان دلاءً من الماء على بؤر النَّار، وأخرجَ الجنود مشاحذهم لسَنِّ أسلحتهم مرَّةً أخيرةً. في كلِّ مكانٍ كانت الضَّوضاء كالمَدِّ المرتفع؛ خيول تقبع وتصهل، ولوردات يرفعون عقيرتهم بالأوامر، وجنود يتبادَلون الشَّتائم، وأتباع المعسكر يتشاحَنون.

أخيرًا سيتحرَّك اللورد تايوين لانستر.

كان السير أدام ماربراند أول من غادرَ من القادة، قبل يوم من البقيَّة، فجعلَ من رحيله عرضًا فخمًا، وقد امتطى جوادًا أحمر قويًّا، عُرفه باللَّون النُّحاسي نفسه الذي ينسدل على كتفيِّ السير أدام، وعلى سَرج الجواد وُضِعَت كسوة مصبوغة باللَّون البرونزي تُماثِل معطف راكبه، ومزيَّنة برمز الشَّجرة



المحترقة. بعض نسوة القلعة انتحَبن لمرآه يرحل، وقال ويز إنه خيَّال ومُبارِز عظيم، وأجرأ قادة اللورد تايوين على الإطلاق.

فكَّرت آريا وهي تُشاهِده يَخرُج من البوَّابة ومن ورائه رجاله في طابورٍ مزدوج: أتمنَّى أن يموت، أن يموتوا جميعًا. إنها تعلم أنهم ذاهبون لقتال روب، فمن خلال الإصغاء للكلام الدَّائر هنا وهناك بينما تُمارِس عملها، عرفَت أن روب حقَّق نصرًا عظيمًا في الغَرب، فقال البعض إنه أَحرقَ لانسپورت، أو إنه ينوي إحراقها، والبعض الآخَر قال إنه استولى على كاسترلي روك وقتَّل جميع من فيها، أو إنه يُحاصِر «النَّاب الذَّهبي»... لكن المؤكَّد أن شيئًا ما حدثَ بالفعل.

يُكَلِّفها ويز بنقل الرَّسائل من الفَجر وحتى الغَسق، فأخذَها بعض الرَّسائل إلى خارج أسوار القلعة حيث فوضى المعسكر وأوحاله، وفكَّرت وعربة تمرُّ بها مصدرةً صوتًا مزعجًا: يُمكنني أن أهرب، يُمكنني أن أثب على مؤخِّرة عربةٍ وأختبِئ، أو أندسَّ بين أتباع المعسكر ولن يُلاحِظني أحد. وكان من الممكن أن تفعلها حقًّا لولا ويز، الذي قال لهم أكثر من مرَّةٍ ما سيفعله بأيِّ أحدٍ يُحاول أن يَهرُب منه: «أوه، لن أضربكم، لا، بل لن أمسَّ شعرةً منكم حتى. سأترككم للكوهوري، نعم، سأترككم للمكسِّح. اسمه ڤارجو هوت، وعندما يرجع سيقطع أقدامكم». ربما إذا ماتَ ويز، فكَّرت آريا... وإن لم يكن في وجوده، فهو يستطيع بمجرَّد النَّظر إليك أن يشمَّ أفكارك ذاتها، ودائمًا ما يُرَدِّد هذا.

على أن ويز لم يتخيَّل قَطُّ أنها تُجيد القراءة، فلم يُكَلِّف نفسه أن يختم الرَّسائل التي يُعطيها إياها، فتختلس آريا النَّظر إليها جميعًا، لكنها لا تضمُّ شيئًا مفيدًا أبدًا، بل محض أوامر سخيفة بإرسال هذه العربة إلى صومعة الغلال أو تلك إلى مستودع السِّلاح، وأشياء من هذا القبيل. واحدة منها كانت مطالَبةً بتسديد دين لُعبة قمارٍ ما، لكن الفارس الذي ذهبَت إليه بها لم يكن يعرف القراءة، فلمَّا أخبرَته بمحتواها حاولَ أن يضربها، لكن آريا انحنَت متفاديةً الضَّربة، واختطفَت قرن شرابٍ مطعَّمًا بالفضَّة من جراب سَرجه وسلَّمت ساقيها للرِّيح. جأرَ الفارس واندفعَ في أعقابها، لكنها انزلقَت بين عربتين



والدشت وسط مجموعةٍ من الرُّماة، ثم وثبَت من فوق مرحاض، ولم يستطِع الفارس اللَّحاق بها بسبب قميصه المعدني الثَّقيل. قال لها ويز عندما أعطَته اللورد إن بنت عرس صغيرة ذكيَّة مِثلها تستحقُّ مكافأةً، وأضافَ: «لقد وضعتُ عيني على ديكٍ سمين آكله على العَشاء اللَّيلة. سنتقاسَمه، وسيروقك هذا».

أينما ذهبَت، كانت آريا تبحث عن چاكن هاجار، راغبةً في أن تهمس اسمًا آخَر في أذنه قبل أن يبتعد مَن تكرههم عن متناوَلها، لكنها لم تَعثُر على المرتزِق اللوراثي في أيِّ مكانٍ وسط الفوضى والاضطراب. إنه لا يزال يدين لها بميتتين أخريين، وهي تخشى أنها لن تنالهما أبدًا إذا خرجَ إلى المعركة مع الآخَرين. أخيرًا استجمعَت شَجاعتها وسألَت أحد الحُرَّاس على البوَّابة إن كان چاكن قد رحلَ، فأجابها الرَّجل: «أهو أحد رجال لورك؟ لن يذهب إذن. حضرة اللورد عيَّن السير آموري أمينًا لهارنهال، وسيبقى رجاله كلهم للدِّفاع عن القلعة، والممثِّلون السفَّاحون سيبقون كذلك لمَدِّنا بالمؤن. لا بُدَّ أن هذا الكبش هوت مغتاظ، فلطالما كان هو ولورك يكرهان بعضهما بعضًا».

أمَّا الجبل فسيُغادِر مع اللورد تايوين ليقود الطَّليعة في المعركة، ما يعني أن دانسن وپوليڤر وراف سينسلُّون من بين أصابعها ما لم تَعثُر على چاكن وتجعله يَقتُل واحدًا منهم قبل أن يرحلوا.

قال ويز يومها بَعد الظُّهر: «بنت عرس، اذهبي إلى مستودع السِّلاح وأخبِري لوكان أن السير لايونل فَلَّ سيفه أثناء التَّدريب ويُريد واحدًا جديدًا. ها هو شعاره»، وأعطاها ورقةً مربَّعةً مواصلًا: «أسرِعي، فسيَخرُج مع السير كيڤان لانستر».

أخذَت آريا الورقة وأسرعَت تُنَفِّذ الأمر. يُتاخِم مستودع سلاح القلعة مبنى وِرش الحدادة الطويل عالي السَّقف، الذي يُشبِه النَّفق ويضمُّ عشرين ورشةً وقنوات ماء حجريَّة طويلة لتلطيف حرارة الفولاذ. نِصف الوِرش كان يعمل بالفعل عندما دخلَت، وتردَّد رنين المطارق على الجُدران، بينما تصبَّب عَرق الرِّجال متيني البنيان الذين يرتدون المآزر الجِلديَّة من شدَّة الحرارة، وقد انحنوا فوق الكيران والسَّنادين. لمحَت جندري وقد سالَ العَرق غزيرًا على جذعه العاري، وإن احتفظَت العينان الزَّرقاوان من تحت الشَّعر الأسود



الغزير بالنَّظرة العنيدة التي تَذكُرها. لم تكن آريا تعرف إن كانت تُريد أن تتكلَّم معه من الأصل، فهو مَن تسبَّب في القبض عليهم جميعًا، لكنها مدَّت يدها بالورقة قائلةً: «أيهم لوكان؟ أريدُ سيفًا جديدًا للسير لايونل».

رَدَّ: «لا عليكِ بالسير لايونل»، وسحبَها جانبًا وقال: «ليلة أمس سألَني هوت پاي إن كنتُ سمعتكِ تهتفين «وينترفل» ونحن في المعقل، عندما كنا نُقاتِل على الأسوار».

- «لم يَحدُث!».

- «بل حدثَ. أنا أيضًا سمعتكِ».

قالت آريا بنبرةٍ دفاعيَّة: «الجميع كانوا يهتفون بأشياء ما، هوت پاي هتفَ «هوت پاي» مئة مرَّةٍ على الأقل».

- «المهمُّ هو ما هتفتِ به أنتِ. قلتُ لهوت پاي أن يُنَظِّف أُذنيه من الشَّمع، وأنكِ هتفتِ «فليأخذكم الظِّل!». قولي له هذا إذا سألكِ».

قالت: «سأفعلُ»، مع أن رأيها أن هتافًا مِثل «فليأخذكم الظِّل!» شديد السَّخافة حقًّا. إنها لم تجرؤ على إخبار هوت پاي بهويَّتها الحقيقيَّة. ربما عليَّ أن أقول اسمه لچاكن.

قال جندري: «سأحضرُ لوكان».

وحدَّق لوكان في الرِّسالة مدمدمًا (وإن لم تعتقد آريا أنه استطاعَ قراءتها)، ثم سحبَ سيفًا طويلًا ثقيلًا، وقال وهو يُناولِها إياه: «سيف كهذا خسارة في ذلك الأحمق. أخبِريه أنني قلتُ هذا».

ردَّت كاذبةً: «سأفعلُ». إذا فعلَت شيئًا كهذا، سيضربها ويز حتى يسيل دمها. فليُوَجِّه لوكان إهاناته بنفسه.

وجدَت السَّيف الطَّويل أثقل كثيرًا من «الإبرة»، لكنها أحبَّت الإحساس الذي بَثَّه حمْله في نفسها، إذ جعلَها ثِقل الفولاذ تَشعُر بأنها أقوى. لعلِّي لم أصبح راقصة مياهٍ بعدُ، لكني لستُ فأرًا كذلك. الفئران لا تستطيع القتال بالسَّيف، لكني أستطيعُ. كانت البوَّابات مفتوحةً، والجنود يَدخُلون ويَخرُجون، والعربات تأتي فارغةً وتذهب مترنِّحةً تحت حمولاتها الثَّقيلة وتُصدِر صريرًا مزعجًا. خطرَ لها أن تذهب إلى الاسطبلات وتقول لهم



إن السير لايونل يُريد حصانًا جديدًا، فالورقة معها، ولن يتمكَّن عُمَّال الاسطبلات من قراءتها، تمامًا مِثل لوكان. يُمكنني أن آخذ الحصان والسَّيف وأخرج، وإذا اعترضَ الحَرس طريقي، سأريهم الورقة وأقولُ إنني ذاهبة بهما إلى السير لايونل. غير أنها لا تعرف كيف يبدو السير لايونل أو أين تجده، فإذا استجوَبوها فسيعرفون الحقيقة، ثم إن وِيز... ويز...

كانت تمضع شفتها محاولةً ألَّا تُفكِّر فيما ستَشعُر به إذا قُطِعَت قدماها، عندما مرَّت بها مجموعة من الرُّماة في سُتراتٍ جِلديَّة وخوذاتِ حديد، وقد علَّقوا أقواسهم على الأكتاف، والتقطَت أُذنا آريا مقتطفاتٍ من كلامهم.

- «... عمالقة كما أقولُ لكم، معه عمالقة طولهم عشرون قدمًا جاءَ بهم من وراء «الجِدار»، ويتبعونه كالكلاب...».

- «... غير طبيعي، الهجوم عليهم بهذه السُّرعة في جوف اللَّيل. إنه ذئب أكثر من إنسان، كلُّ أولاد ستارك كذلك...».

- «... خراء على ذئابك وعمالقتك. سيبول الصَّبي في سراويله لو عرفَ أننا قادمون. إنه لم يكن بالرُّجولة الكافية للزَّحف إلى هارنهال، أليس كذلك؟ وهربَ في الاتِّجاه الآخَر، أليس كذلك؟ خيرٌ له أن يهرب الآن أيضًا لو أنه يعرف ما في صالحه».

- «هذا ما تقوله أنت، لكن ربما يعلم الصَّبي شيئًا لا نعلمه، ربما خيرٌ لنا نحن أن نهرب...».

نعم، نعم، عليكم أنتم أن تهربوا، أنتم واللورد تايوين والجبل والسير أدام والسير آموري والسير لايونل الأحمق أيًّا كان، خيرٌ لكم أن تهربوا جميعًا قبل أن يفتك بكم أخي. إنه ستارك، ذئب أكثر من إنسان، وأنا كذلك.

- «بنت عرس». شَقَّ صوت ويز مسامعها كالسِّياط. لم ترَ مِن أين جاءَ، لكن فجأةً ها هو أمامها يقول: «أعطيني هذا»، وانتزعَ السَّيف من بين أصابعها، ثم هوى على وجهها بصفعةٍ موجعةٍ بظهر كفِّه، وقال: «المرَّة القادمة أسرِعي».

كانت قد رجعَت ذئبةً من جديدٍ مدَّة هنيهة، لكن صفعة ويز عادَت تستلبها هذا الإحساس، ولم تَترُك لها غير مذاق دمائها في فمها، إذ عضَّت لسانها عندما صفعَها، وكرهَته لهذا.



قال ويز: «أتُريدين أخرى؟ ستنالينها، فلن أتجاوَز عن نظراتكِ المتحدية إياها. انزلي إلى المَخمرة وقولي لتافلبري إن عندي دستتين من البراميل له، لكن خيرٌ له أن يُرسِل بعضًا من صبيانه ليأخذوها، وإلَّا سأجدُ مَن يحتاجها أكثر منه». بدأت آريا تتحرَّك، لكن ليس بالسُّرعة التي تُرضي ويز، فصاحَ ناسيًا وعده بالدِّيك السَّمين: «اجري إذا كنتِ تُريدين أن تأكلي اللَّيلة. ولا تضلِّي الطَّريق مرَّةً أخرى، وإلَّا أقسمُ أن أضربكِ حتى يسيل دمكِ».

قالت آريا في أعماقها: لن تفعل، لن تفعل ثانيةً أبدًا، لكنها جرَت على الرغم من ذلك، ولا بُدَّ أن آلهة الشَّمال القديمة كانت تهدي خُطاها، ففي منتصَف الطَّريق إلى المَخمرة، وبينما تمرُّ من تحت الجسر الحجري الذي يمتدُّ كقنطرةٍ بين بُرج الأرملة وبُرج محرقة الملك، سمعَت ضحكةً هادرةً خشنةً، ثم ظهرَ رورج عند زاوية مبنى مع ثلاثة رجالٍ آخَرين، وقد خُيِّطَ مانتيكور السير آموري فوق قلوبهم. توقَّف وابتسمَ حين رآها، كاشفًا أسنانه البنِّيَّة المعوجَّة، أسفل السَّديلة الجِلديَّة التي يرتديها على وجهه أحيانًا، ليُغطِّي الفجوة التي كان أنفه يحتلُّها، وناداها قائلًا: «قحبة يورن الصَّغيرة. أظنُّنا نعرف الآن لماذا أرادكِ النَّغل الأسود على «الجِدار»، أليس كذلك؟»، وعادَ يضحك وضحكَ الآخَرون معه، ثم قال بلهجةٍ صارمةٍ مفاجئة وقد غابَت الابتسامة عن وجهه بسرعةٍ كما جاءَت: «أين عصاكِ الآن؟ لقد وعدتك بأن أنيككِ بها حتى تدمين»، وتقدَّم منها خطوةً لتتراجَع آريا، فقال: «لستِ شُجاعةً الآن وأنا غير مكبَّل بالأغلال، أليس كذلك؟».

صاحَت: «لقد أنقذتك!». كانت تُحافِظ على مسافة ياردة كاملة بينهما، مستعدَّةً للفرار بسُرعة الثُّعبان إذا حاولَ الإمساك بها.

- «يبدو إذن أن عليَّ أن أنيككِ مرَّتين سدادًا للدَّين. هل كان يورن يُفَضِّل كُسَّكِ أم هذا الدُّبر الصَّغير المشدود؟».

قالت: «أبحثُ عن چاكن. هناك رسالة له».

توقَّف رورج. شيء ما في عينيه... أمِن الممكن أنه يخاف چاكن هاجار؟

قال لها: «الحمَّام. ابتعدي عن طريقي».

دارَت آريا على عقبيها وانطلقَت برشاقة الغزلان، تطير قدماها طيرانًا



فوق الأرض المرصوفة بالحصى حتى الحمَّام، حيث وجدَت چاكْن يجلس مغمض العينين في حوضٍ والبُخار يتصاعَد من حوله، بينما صبَّت خادمة الماء السَّاخن على رأسه، وقد انسدلَ شَعره الطَّويل (أبيض على جانب وأحمر على الثَّاني) على كتفيه مثقلًا بالبلل.

انسلَّت نحوه بهدوء الظِّلال، لكنه فتحَ عينيه قائلًا: «تتسلَّل على قدمين صغيرتين كالفئران، لكن الرَّجل يسمع». تساءلَت: كيف سمعَني؟ وكأنه سمعَ هذا أيضًا، قال: «احتكاك الجِلد بالحجر عالٍ كنفير الحرب لمَن يُصيخ السَّمع. الفتاة الذكيَّة تمشي حافية القدمين».

قالت آريا: «معي رسالة لك»، ورمقَت الخادمة بشَك، فلمَّا تبيَّنت أنها لن تُغادِر، مالَت حتى كادَ فمها يُلامِس أُذنه، وهمسَت: «ويز».

عادَ چاكْن هاجار يُغلِق عينيه، وتمدَّد في الماء بخمولٍ كأنه نِصف نائم، وقال: «أخبِري حضرة اللورد أن الرَّجل سيذهب إليه في الوقت الذي يُناسِبه»، ثم تحرَّكت يده بسُرعةٍ ورشَّت آريا بالماء السَّاخن، فوثبَت إلى الخلف كي لا تبتلَّ.

عندما أخبرَت تافلبري بما قاله ويز، أطلقَ الخمَّار سبابًا عاليًا، ورَدَّ عليها: «قولي لويز إن صبياني لديهم واجبات يقومون بها، وقولي له إنه نغل مجدور كذلك، وستتجمَّد الجحائم السَّبع قبل أن ينال قرنًا آخَر من مِزري. إمَّا أن تصلني البراميل خلال ساعة أو يسمع اللورد تايوين بهذا، ولستُ أمزحُ».

سَبَّ ويز بدوره حين عادَت إليه آريا بالرَّد، على الرغم من أنها لم تَذكُر الجزء الخاص بالنَّغل المجدور، واستشاطَ غضبًا وأخذَ يُهَدِّد بالثُّبور، لكن في النِّهاية جمعَ ستَّة رجالٍ وأرسلَهم متذمِّرين بالبراميل إلى المَخمرة.

تكوَّن العَشاء ليلتها من يخنةٍ خفيفة من الشَّعير والبصل والجزر، مع قطعةٍ من الخُبز الأسمر البائت. واحدة من النِّسوة اعتادَت النَّوم في فِراش ويز، فنالَت قطعةً من الجبن الأزرق الطَّري كذلك، بالإضافة إلى جناحٍ من الدِّيك الذي ذكَره ويز في الصَّباح، أمَّا بقيَّة الطَّائر فقد أكلها بنفسه، وسال الدُّهن في خَطٍّ لامعٍ على البثور القبيحة المجاورة لرُكن فمه. كان الدِّيك قد التُهِمَ



بالكامل تقريبًا، عندما رفعَ ويز عينيه عن صحفته ولمحَ آريا تُحَدِّق فيه، فقال لها: «تعالي هنا يا بنت عرس».

كان القليل من اللَّحم الدَّاكن لا يزال عالقًا بفخذ الطَّائر، ففكَّرت آريا: لقد نسيَني، لكنه تذكَّرني الآن، وشعرَت بالذَّنب لأنها قالت لچاكن أن يَقتُله. نهضَت من على الدِّكَّة وذهبَت إليه عند رأس المائدة.

قال ويز: «رأيتكِ تَنظُرين إليَّ»، ومسحَ أصابعه على وجه ثوبه، ثم أطبقَ على عُنقها بيده وصفعَها بالأخرى قائلًا: «ماذا قلتُ لك؟»، وصفعَها ثانيةً بظَهر يده، وتابعَ: «إياكِ أن ترفعي عينيكِ ثانيةً، وإلَّا اقتلعتها المرَّة القادمة بملعقة وأطعمتها لكلبتي»، ودفعَها لتَسقُط أرضًا، فعلقَت حافة ثوبها بمسمارٍ مخلخَل في الدِّكَّة الخشبيَّة البالية، وتمزَّقت مع سقطتها، فقال ويز آمرًا وهو يُفَسِّخ قطعة لحم الدِّيك الأخيرة: «ستُصلِحين هذا قبلِ أن تنامي»، ومَصَّ أصابعه بصوتٍ مرتفع لمَّا فرغَ، وألقى العظم لكلبته المرقَّطة.

- «ويز»، همسَت آريا ليلتها وقد مالَت فوق ثوبها تُصلِح المزق، وكلما ثقبَت الصُّوف غير المصبوغ بإبرتها العظميَّة ردَّدت اسمًا آخَر: «دانسن، پوليڤر، راف المعسول، المُدغدِغ وكلب الصَّيد، السير جريجور، السير آموري، السير إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي». تساءلَت كم سيبقى ويز جزءًا من صلاتها، وغابَت في النَّوم حالمةً بأنه سيكون ميتًا حين تستيقظ غدًا.

لكن طرف حذاء ويز الحاد هو ما أيقظَها كالمعتاد. قال لهم وهُم يُفطِرون على كعكات الشُّوفان إن الجزء الأساسي من قوَّة اللورد تايوين سيُغادِر اليوم، وأضافَ منذرًا: «لا يحسبنَّ أحدكم أن العمل سيُصبِح أسهل هنا بمجرَّد رحيل اللورد لانستر، فأعدكم بأن حجم القلعة لن يَصغُر، لكن الفارق الآن أن عدد من يعتنون بها أقلُّ. الآن ستتعلَّمون معنى العمل الحقيقي أيها الكسالى، نعم».

قالت آريا لنفسها وهي تقطع من كعكة الشُّوفان: ليس منك. عبسَ ويز في وجهها كأنه اشتمَّ سِرَّها، فأسرعَت تخفض ناظريها إلى طعامها، ولم تجرؤ على رفعهما من جديد.

كان الضَّوء الشَّاحب يَغمُر السَّاحة حين خرجَ اللورد تايوين لانستر من



هارنهال. راقبَت آريا من نافذةٍ مقنطرة في واحدٍ من طوابق بُرج العويل الوُسطى، فرأت جواده في كسوةٍ من أقراص المعدن القرمزيَّة المطليَّة بالمينا، بالإضافة إلى واقييْن مذهَّبين للرَّأس والعُنق، بينما ارتدى اللورد تايوين نفسه معطفًا سميكًا من فرو القاقوم، وقارَبه أخوه السير كيڤان في أبَّهة المنظر. تقدَّمهما عدد من حاملي الأعلام لا يقلُّ عن أربعة، رافعين راياتٍ قرمزيَّة ضخمة مرصَّعة بالأسد الذَّهبي، ومن وراء الأخوين لانستر جاءَ كبار اللوردات والقادة، تتموَّج راياتهم وتخفق في مهرجانٍ من الألوان؛ الثَّور الأحمر والجبلَ الذَّهبي، واليونيكورن الأرجواني والدِّيك الفرخ، وابن مِقرِض الفضِّي والحاوي ذو ثياب المهرِّجين، والنُّجوم والشَّمس المتفجِّرة، والطَّاووس والفهد، والعلم والخنجر، والقلنسوة السَّوداء والخنفساء الزَّرقاء والسَّهم الأخضر.

وأخيرًا جاءَ السير جريجور كليجاين في دِرعٍ من الفولاذ الرَّمادي الشَّاحب، يرتدي فَحلًا معتلَّ المزاج كراكبه، وإلى جواره ركبَ پوليڤر وفي يده راية الكلاب السَّوداء وعلى رأسه خوذة جندري ذات القرنين. طويل القامة هو، لكن في ظِلِّ سيِّده لم يبدُ أكبر من صبيٍّ لم يكتمِل نموُّه.

زحفَت القشعريرة على عمود آريا الفقري وهي تُشاهِدهم يمرُّون من تحت شبكة هارنهال الحديديَّة الضَّخمة، وأدركَت بغتةً أنها ارتكبَت خطأً فادحًا، وقالت لنفسها: يا لغبائي. ويز بلا قيمةٍ حقًّا، تمامًا كما كان تشيزويك. هؤلاء هُم الرِّجال المهمُّون، الرِّجال الذين كان عليها أن تَقتُلهم. كان بإمكانها ليلة أمسٍ أن تهمسَ بموت أيِّهم، فقط لو لم تكن غاضبةً من ويز لأنها ضربَها وكذبَ بشأن الدِّيك. اللورد تايوين. لماذا لم أقل اسم اللورد تايوين؟

ربما لم يَفُت أوان تغيير رأيها، فويز لم يُقتَل بعدُ، وإذا استطاعَت أن تَعثُر على چاكن وتُخبِره...

بسُرعة السَّهم نزلَت آريا الدَّرجات الملتوية، وقد نسيَت كلَّ شيءٍ عن واجباتها، وسمعَت صلصلة السَّلاسل والشَّبكة الحديديَّة تنزل ببُطءٍ لتغوص أطرافها المدبَّبة في عُمق الأرض... ثم سمعَت صرخة ألم وخوف.

وجدَت دستةً ممن سبقوها، وإن لم يَجسُر أحدهم على الدُّنو أكثر من

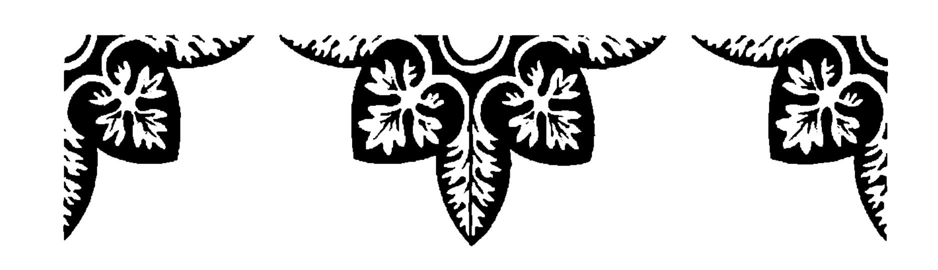


اللَّازم، فدسَّت آريا جسدها بينهم، ورأت ويز ملقى على الأرض الحجريَّة وعُنقه خراب أحمر، تُحَدِّق عيناه إلى أعلى بلا رؤيةٍ وقد كسَتهما غشاوة رماديَّة، بينما وقفَت كلبته المرقَّطة القبيحة فوق صدره، تلعق الدَّم المنبجس من حَلقه في دفقات، وبين الحين والآخَر تُمَزِّق قطعةً من اللَّحم من وجهه.

أخيرًا أحضرَ أحدهم نُشَّابيَّةً وأردى الكلبة المرقَّطة وهي تنهش واحدةً من أُذني ويز، وسمعَت آريا رجلًا يقول: «ألعن شيءٍ رأيته. هذه الكلبة معه منذ كانت جروةً صغيرةً»، فقال حامل النُّشَّابيَّة: «هذا المكان ملعون»، وأضافَت العقيلة آمابل: «إنه شبح هارن. أقسمُ أن نومًا لن يأتيني هنا اللَّيلة».

رفعَت آريا بصرها عن الرَّجل الميت وكلبته الميتة، فلمحَت چاكُن هاجار مستندًا إلى جانب بُرج العويل، ولمَّا رآها تَرمُقه، رفعَ يده بحركةٍ عَرَضيَّة ووضعَ إصبعين متجاورَيْن على وجنته.





كاتلين

على بُعد يومين بالحصان من ريڤررَن، لمحَهم كشَّاف يسقون خيولهم من جدولٍ موحل، ولم تَشعُر كاتلين بسرورٍ مشابهٍ من قبل لمرأى بُرجيِّ عائلة فراي التَّوأمين، وحين طلبَت منه أن يقودهم إلى عمِّها، أجابَ الرَّجل: «السَّمكة السَّوداء ذهبَ غَربًا مع الملك يا سيِّدتي. مارتن ريڤرز يقود الكشَّافة بدلًا منه».

- «مفهوم». كانت قد التقَت مارتن ريڤرز في «التَّوأمتين». إنه ابن غير شرعي للورد والدر فراي، وأخ غير شقيق للسير پروين. لم يُدهِشها أن روب وجَّه ضربةً إلى عُقر لانسپورت، ومن الواضح أنه كان يعتزم هذا بالفعل عندما أرسلَها إلى رنلي. «أين ريڤرز الآن؟».

- «معسكره على بُعد ساعتين يا سيِّدتي».

قالت آمرةً: «خُذنا إليه»، وساعدَتها بِريان على امتطاء حصانها ثانيةً، وتحرَّكوا في الحال.

سألَها الكشَّاف: «هل أتيتِ من «جسر العلقم» يا سيِّدتي؟».

- «كلا». الحقيقة أنها لم تجرؤ على الذَّهاب إلى هناك، فمع موت رنلي لم تكن واثقةً بطبيعة استقبال أرملته الشَّابَّة وحُماتها لها، وبدلًا من هذا شقَّت طريقها في قلب الحرب، وقطعَت أراضٍ خصيبةً أحالَتها ثائرة آل لانستر إلى صحراء سوداء، وفي كلِّ ليلةٍ كان كشَّافتها يعودون إليها بقِصصٍ تُشعِرها بالغثيان. أضافَت: «لقد اغتيلَ اللورد رنلي».

- «كنا نأمل أنها مجرَّد كذبة أذاعَها آل لانستر، أو...».



- «ليتها كذلك. هل يتولَّى أخي القيادة في ريفرزَن؟».

- «نعم يا سيِّدتي، جلالته كلَّف السير إدميور بالحفاظ على ريفرزَن وحماية مؤخِّرة قوَّاته».

فلتمنحه الآلهة القوَّة، والحكمة أيضًا. «أهناك أنباء من روب من الغَرب؟».

بدَت الدَّهشة على الرَّجلِ وهو يقول: «ألم تسمعي؟ جلالته حقَّق نصرًا عظيمًا في أوكسكروس، وقُتِلَ السير ستافورد لانستر وتشتَّت جيشه».

أطلقَ السير وندل ماندرلي شهقةً مسرورةً، بينما اكتفَت كاتلين بالإيماء برأسها، فمِحَن الغد تهمُّها أكثر من انتصارات الأمس.

أقامَ مارتن ريفرز معسكره وسط أطلال معقلٍ متهدِّم، إلى جوار اسطبلٍ بلا سقف وعشرات القبور الحديثة، وقد ركعَ على رُكبةٍ واحدةٍ عندما ترجَّلت كاتلين، وقال: «تُسعِدنا رؤيتكِ يا سيِّدتي. أخوكِ كلَّفنا بترقُّب ظهور مجموعتكِ واصطحابكم إلى ريفرزَن على وجه السُّرعة إذا قابَلناكم».

لم ترتَح كاتلين للكلام، فسألَت: «أهو أبي؟».

أجابَ ريفرز، الرَّجل متورِّد الوجه الذي لا يُشبِه إخوته غير الأشقَّاء كثيرًا: «كلا يا سيِّدتي، حالة اللورد هوستر لم تتبدَّل. كنا نخشى فقط أن تُصادِفوا كشَّافة لانستر، فاللورد تايوين غادرَ هارنهال ويزحف غَربًا بكامل قوَّته».

قالت لريفرز عاقدةً حاجبيها: «انهض». لا شَكَّ أن ستانيس باراثيون سيبدأ الزَّحف قريبًا أيضًا، ولترحم الآلهة الجميع. «كم من الوقت قبل أن يَبلُغنا اللورد تايوين؟».

- «ثلاثة أيام، وربما أربعة. من الصَّعب أن نعرف بالتَّحديد. لدينا أعيُن على الطُّرق كلها، لكن من الأفضل ألَّا نتلكَّأ هنا».

وبالفعل لم يتلكَّأوا، فحَلَّ ريفرز معسكره سريعًا وامتطى حصانه إلى جوارها، وتحرَّكوا من جديدٍ وقد قاربَ عددهم الخمسين الآن، منطلقين تحت رايات الذِّئب الرَّهيب وسمكة الترويت الواثبة والبُرجين التَّوأمين.

أرادَ رجالها أن يعرفوا المزيد عن انتصار روب في أوكسكروس، فأذعنَ ريفرز قائلًا: «ثمَّة مغنٍّ جاءَ إلى ريفرزَن يُسَمِّي نفسه رايموند النَّاظم، ألَّف أغنيَّةً عن المعركة يُسَمِّيها «ذئب في اللَّيل» لا شَكَّ أنكِ ستسمعينها اللَّيلة



يا سيِّدتي»، واستطردَ حاكيًا أن فلول جيش السير ستافورد انسحبَت إلى لانسپورت. ليس هناك سبيل للهجوم على كاسترلي روك بلا آلات حصار، ولذا يعمل الذِّئب الصَّغير على القصاص من آل لانستر للخراب الذي أحدَثوه في أراضي النَّهر، فيشنُّ اللوردان كارستارك وجلوڤر الغارات على السَّاحل، بينما أوقعَت الليدي مورمونت بآلاف الماشية، وتسوقها الآن نحو ريڤرزَن، أمَّا چون الكبير فقد استولى على مناجم الذَّهب في كاستامير ونونز ديپ وتلال پندريك.

قال السير وندل ضاحكًا: «لا شيء يجعل اللانستر يأتي جريًا غير تعرُّض ذهبه للخطر».

سألَ السير پروين فراي أخاه النَّغل: «كيف استولى الملك على «النَّاب الذَّهبي»؟ إنها قلعة قويَّة حصينة، وتُشرِف على طريق التِّلال».

- «لم يستولِ عليها، بل دارَ حولها سِرًّا في جوف اللَّيل. يُقال إن ذئبه الرَّهيب جراي ويند أراه الطَّريق، بَعد أن اشتمَّ دربًا للماعز ينزل ممرًّا جبليًّا ثم يصعد مارًّا بمحاذاة سلسلة جبال. إنه طريقٌ حجري معوج، لكن واسع بما فيه الكفاية لأن يقطعه الرِّجال راكبين في صَفٍّ واحد، فلم يلمحهم جنود لانستر في أبراج الحراسة إطلاقًا»، ثم خفضَ ريڤرز صوته، وقال: «يقول البعض إن الملك اقتلعَ قلب السير ستافورد من صدره بَعد المعركة وأطعمَه لذئبه».

قالت كاتلين بحدَّة: «لا يُصَدِّقن أحدكم تلك الحكايات، فابني ليس متوحِّشًا».

- «كما تقولين يا سيِّدتي، وإن لم يكن ذلك أكثر مما يستحقُّه الذِّئب. إنه ليس ذئبًا تقليديًّا على الإطلاق. چون الكبير يقول إن آلهة الشَّمال القديمة أرسلَت تلك الذِّئاب إلى أطفالكِ».

تذكَّرت كاتلين يوم عثرَ ابناها على الجراء وسط ثلوج أواخر الصَّيف. كانوا خمسةً، ثلاثة ذكورٍ وأنثيين لأولاد عائلة ستارك الشَّرعيِّين... وسادس أبيض الفرو وأحمر العينين لابن نِد غير الشَّرعي چون سنو. ليست ذئابًا تقليديَّةً بالفعل.

جاءَتها بِريان ليلتها في خيمتها وهُم ينصبون مخيَّمهم، وقالت لها:



«سيِّدتي، بما أنكِ عُدتِ وسط قومكِ بأمان، وتَبعُدين يومًا واحدًا عن قلعة أخيكِ، فأرجو أن تُعطيني الإذن بالرَّحيل».

لم يكن ينبغي أن تندهِش كاتلين، فالشَّابَّة الدَّميمة عزفَت عن الاختلاط بهم طيلة الرِّحلة، وقضَت معظم وقتها مع الخيول، تُمَشِّط شَعرها وتنتزع الحجارة العالقة بحَدواتها، وإن ساعدَت شاد أيضًا في الطَّهي وتنظيف ما اقتنَصوه من طرائد، وسرعان ما أثبتَت مهارتها في الصَّيد كذلك. كلُّ ما كلَّفتها به كاتلين نفَّذته برِيان بحِذقٍ وبلا شكوى، وعندما وُجِّهَ إليها الكلام كانت تُجيب بأسلوبٍ مهذَّب، لكنها لم تُثَرثِر قَطُّ، ولم تبكِ، ولم تضحك. لقد ركبَت معهم كلَّ نهارٍ ونامت وسطهم كلَّ ليلة، إلَّا أنها لم تَصِر واحدةً منهم حقًّا.

تمامًا مثلما كانت مع رنلي، أثناء المأدبة والالتحام الجماعي، وحتى في سُرادقه مع إخوتها في حَرس قوس قزح. هذه الفتاة تُحيط بها أسوار أعلى من تلك التي تُطَوِّق وينترفل.

سألَتها كاتلين: «إذا تركتِنا، فأين ستذهبين؟».

أجابَت برِيان: «سأعودُ إلى ستورمز إند».

- «وحدك»، قالت كاتلين، وإن لم يكن بلهجة السُّؤال.

- «نعم». كان وجهها العريض كبِركةٍ من المياه الرَّاكدة، لا يشي أبدًا بما قد يكون ساكنًا في الأعماق.

- «تعتزمين أن تَقتُلي ستانيس».

ضمَّت برِيان أصابعها الثَّخينة ذات الجِلد المتيبِّس حول مقبض سيفها، السَّيف الذي كان سيفه هو، وقالت: «لقد أقسمتُ أن أقتله، أقسمتُ ثلاثًا كما سمعتِني».

غمغمَت كاتلين: «نعم». إنها تعلم أن الفتاة احتفظَت بمعطف حَرس قوس قزح عندما تخلَّصت من ملابسها الملطَّخة بالدِّماء، أمَّا أغراضها الأخرى فقد تركَتها برِيان في المعسكر حين هربَتا، فأُجبرَت على ارتداء قِطع غير متناسقةٍ من ثياب السير وندل الإضافيَّة، بما أن أحدًا آخَر في المجموعة لا يملك ثيابًا



كبيرةً تُناسِب مقاسها. «وأنا أوافِقكِ على أن البِرَّ بالقَسم واجب، لكن ستانيس مُحاط بجيشٍ جرَّار، وحَرسه أقسَموا على حمايته».

- «لستُ أخشى حَرسه، ولا أقلّ براعةً عن أيِّهم. لم يكن عليَّ أن أهرب قَطُّ».

قالت كاتلين: «أهذا ما يُقلِقكِ؟ أن يتَّهمكِ أحمق ما بالجُبن؟»، وتنهَّدت مضيفةً: «موت رنلي لم يكن غلطتك. لقد خدمتِه بشَجاعةٍ وإخلاص، لكنكِ لا تخدمين أحدًا حين تسعين إلى اللَّحاق به في القبر»، ومدَّت يدها تُعطيها ما تقدر عليه لمستها من مواساة، وأردفَت: «أعلمُ كم هو صعب أن...».

أزاحَت بِريان يدها قائلةً: «لا أحد يعلم».

بحدَّةٍ قالَت كاتلين: «أنتِ مخطئة. كلما استيقظتُ صباحًا أتذكَّرُ أن ند رحلَ. إنني لا أملكُ أيَّ براعةٍ في المبارَزة، لكن ذلك لا يعني أني لا أحلمُ بأن أذهب إلى كينجز لاندنج وأُطبِق على عُنق سرسي الأبيض بيديَّ إلى أن يسودَّ وجهها».

رفعَت المليحة عينيها، الجزء الوحيد المليح منها حقًّا، وقالت: «إذا كنتِ تَحلُمين بهذا، فلِمَ ترغبين في منعي؟ بسبب ما قاله ستانيس في المفاوَضة؟».

أهذا هو السَّبب؟ تطلَّعت كاتلين عبر المخيَّم، ورأت حارسين يمشيان حامليْن رُمحيهما، ثم قالت: «لقد تعلَّمتُ أن الأخيار عليهم محارَبة الشَّرِّ في هذا العالم، وموت رنلي كان شرًّا مستطيرًا لا ريب فيه، لكنني تعلَّمتُ كذلك أن الآلهة لا سيوف البَشر هي مَن تصنع الملوك، فإذا كان ستانيس ملكنا الشَّرعي...».

- «ليس كذلك، وروبرت أيضًا لم يكن الملك الشَّرعيِ، وحتى رنلي قال هذا. چايمي لانستر قتلَ الملك الشَّرعي غيلةً، بَعدما قتلَ روبرت وريثه الشَّرعي في معركة الثَّالوث، فأين كانت الآلهة حينئذٍ؟ الآلهة لا تُبالي بالبَشر أكثر مما يُبالي الملوك بالفلَّاحين».

- «الملك الصَّالح يُبالي».

- «اللورد رنلي... جلالته... كان ليُصبح الملك الأصلح يا سيِّدتي. كان طيِّب القلب للغاية، و...».



قالت كاتلين برفقٍ قَدر الإمكان: «لقد رحلَ يا بِريان، بينما يبقى ستانيس وجوفري... وابني كذلك».

- «إنه لن... أنتِ لن تتصالَحي مع ستانيس أبدًا، أليس كذلك؟ وتركعين له؟ أنتِ لن...».

- «أصدقكِ القول يا بِريان إنني لا أعرفُ. قد يكون ابني ملكًا، لكني لستُ ملكةً... إنني مجرَّد أمٍّ ترغب في الحفاظ على أمان أطفالها بأيِّ وسيلة».

- «لستُ مخلوقةً لأن أكون أمًّا، وأحتاجُ أن أقاتل».

- «قاتِلي إذن... لكن من أجل الأحياء لا الأموات. أعداء رنلي أعداء روب أيضًا».

رمقَت بِريان الأرض وعدَّلت موضع قدميها، وقالت: «أنا لا أعرفُ ابنكِ يا سيِّدتي»، ثم رفعَت عينيها مضيفةً: «لكن يُمكنني أن أخدمكِ أنتِ إذا قبلتِ بي».

تساءلَت كاتلين مشدوهةً: «ولماذا أنا؟».

بدا أن السُّؤال حيَّر بِريان، فأجابَت بتردُّد: «لقد ساعدتِني ونحن في السُّرادق... حين حسبوا أني... أني...».

- «كنتِ بريئةً».

- «ومع ذلك لم تكوني مضطرَّةً لأن تُساعِديني، وكان يُمكنكِ أن تدعيهم يَقتُلوني، فلم أكن أعني لكِ شيئًا».

فكَّرت كاتلين: ربما لأني لم أرغب في أن أكون الوحيدة التي تعرف حقيقة الشَّرِّ الأسود الذي حدثَ هناك، ثم إنها قالت: «بِريان، لقد ألحقتُ الكثير من السيِّدات كريمات المحتد بخدمتي على مَرِّ السِّنين، لكن ولا واحدة منهن مِثلك. أنا لستُ قائدةً حربيَّةً».

- «نعم، لكنكِ تتحلِّين بالشَّجاعة، ليس شَجاعة المعركة ربما، لكن... لا أدري... إنها شَجاعة أنثويَّة... وأحسبُ أنكِ لن تُحاوِلي منعي عندما يحين الوقت. عِديني، عِديني بأنكِ لن تمنعيني عن ستانيس».

ما زالت كاتلين تسمع قول ستانيس بأن دور روب سيأتي أيضًا، كأنه نفحة من الهواء البارد على مؤخِّرة عُنقها، فقالت: «لن أمنعكِ عندما يحين الوقت».



ناري. قال لها: «كات، جميل أن تعودي إلينا سالمةً. لقد خفنا على حياتكِ عندما سمعنا بموت رنلي، واللورد تايوين يتحرَّك كذلك».

- «هذا ما سمعته. كيف حال أبينا؟».

أجابَ: «في يوم يبدو أقوى، وفي اليوم التَّالي...»، وهَزَّ رأسه وقال: «لقد سألَ عنكِ، ولم أعرِف بِمَ أجيبه».

قالت: «سأذهبُ إليه قريبًا. هل من أخبار من ستورمز إند منذ موت رنلي؟ أو من «جسر العلقم»؟». لا تأتي الغِدفان للمسافرين على الطَّريق، فكانت كاتلين متلهِّفةً على معرفة ما جرى وراءها.

- «لا شيء من «جسر العلقم»، لكن من ستورمز إند جاءَت ثلاثة غِدفانٍ من أمين القلعة السير كورتناي پنروز، كلها تحمل الالتماس ذاته. ستانيس يُحاصِره من البَرِّ والبحر، وپنروز يعرض ولاءه على أيِّ ملكٍ يكسر الحصار، ويقول إنه خائف على حياة الصَّبي. أتعرفين مَن يقصد؟».

أجابَت برِيان: «إدريك ستورم، ابن روبرت غير الشَّرعي».

رمقَها إدميور بفضول، وقال: «ستانيس أقسمَ أنه سيمنح رجال الحامية حريَّتهم ولن يمسَّهم بأذى، بشرط أن يُسَلِّموا القلعة خلال أسبوعين ويُسَلِّموه الصَّبي، لكن السير كورتناي يَرفُض».

أيُغامِر بكلِّ شيءٍ من أجل صبيٍّ نغلٍ ليس من دمه حتى؟ «هل أرسلت له إجابةً؟».

هَزَّ إدميور رأسه نفيًا، وأجابَ: «ولِمَ ونحن لا نملك عونًا أو أملًا نُقَدِّمهما له؟ كما أن ستانيس ليس عدوَّنا».

تكلَّم السير روبن رايجر قائلًا: «سيِّدتي، هلَّا أخبرتِنا بكيفيَّة موت اللورد رنلي؟ ما سمعناه من حكاياتٍ عجيب حقًّا».

وقال أخوها: «كات، البعض يقول إنكِ قتلتِ رنلي، وآخَرون يَزعُمون أنها امرأة جَنوبيَّة ما»، وثبَّت ناظريه على برِيان.

قالت الفتاة بهدوء: «لقد قُتِلَ مليكي، لكن ليس بيد الليدي كاتلين. أقسمُ على هذا بسيفي والآلهة القديمة والجديدة».

قالت لهم كاتلين: «هذه برِيان التارثيَّة، ابنة اللورد سلوين نجم المساء،



وكانت تخدم في حَرس قوس قزح لدى رنلي»، ثم قالت للفتاة: «بِريان، يُشَرِّفني أن أقدِّم لكِ أخي السير إدميور تَلي وريث ريڤررَن، ووكيله السير أوثيرايدس واين، والسير روبن رايجر والسير دزموند جرِل».

قال السير دزموند: «تشرَّفتُ»، وردَّد الآخَرون الكلمة، فتورَّد وجه الفتاة وقد أصابَها الحرج من هذه التحيَّة التَّقليديَّة. إذا حسبَ إدميور أنها امرأة تُثير الفضول، فإنه لم يَبُح بهذا على الأقل.

قالت كاتلين: «بِريان كانت مع رنلي حين قُتِلَ، وأنا كذلك، لكن لم يكن لنا دور في موته». لم ترغب في الكلام عن الظِّلِّ هنا في وجود الرِّجال من حولهم، فلوَّحت بيدها نحو الجُثث متسائلةً: «مَن الرِّجال الذين شنَقتوهم؟».

رفعَ إدميور عينيه إلى أعلى بضيق، وأجابَ: «لقد أتوا مع السير كليوس عندما عادَ بجواب الملكة على عرض السَّلام الذي قدَّمناه».

مصدومةً قالت كاتلين: «أقتلتم المندوبين؟!».

قال إدميور: «كانوا مندوبين زائفين، تعهَّدوا لي بالسَّلام وسلَّموا أسلحتهم، فمنحتهم حريَّة الحركة في القلعة، وطيلة ثلاث ليالٍ أكلوا طعامي وشربوا شرابي بينما تكلَّمتُ مع السير كِليوس، وفي اللَّيلة الرَّابعة حاوَلوا إطلاق سراح قاتِل الملك»، وأشارَ إلى أعلى مواصِلًا: «هذا الثَّور الكبير قتلَ حارسين بيديه العاريتين، أطبقَ على عُنقيهما وهشَّم رأس كلٍّ منهما برأس الآخَر، بينما فتحَ الصَّبي النَّاحل المجاور له زنزانة لانستر بطولٍ من الأسلاك، عليه لعنة الآلهة. وهذا الذي في النِّهاية كان ممثِّلًا لعينًا ما، استخدمَ صوتي ليأمر بفتح بوَّابة النَّهر، والحُرَّاس يُقسِمون على هذا، إنجر ودلپ وليو الطَّويل، الثَّلاثة. إذا طلبتِ رأيي، فلم يكن صوته كصوتي إطلاقًا، لكن الحمقى رفعوا الشَّبكة الحديديَّة على الرغم من ذلك».

خطرَ لكاتلين أن هذا من تدبير العِفريت، فرائحة المكر الكريهة ذاتها التي فاحَت منه في «العُش» هي ما تشتمُّه هنا. كان ممكنًا في السَّابق أن تَعُدَّ تيريون أقلَّ أولاد لانستر خطرًا، لكنها لم تَعُد واثقةً بذلك الآن. سألَت: «كيف قبضتم عليهم؟».



ركعَت الفتاة الطَّويلة بارتباكٍ واستلَّت سيف رنلي الطَّويل، ووضعَته عند قدمي كاتلين قائلةً: «إذن فأنا لكِ يا سيِّدتي، تابعتكِ المخلصة... أو أيًّا كان ما تُريدين أن أكون. سأحمي ظَهركِ وأسديكِ النُّصح وأدافعُ عن حياتكِ بحياتي. أقسمُ على هذا بالآلهة القديمة والجديدة».

- «وأنا أقسمُ على أن يكون لكِ مكان دائم إلى جوار ناري وعلى مائدتي، وأتعهَّدُ ألَّا أطلب منكِ شيئًا يُلَوِّث شَرفكِ أبدًا. أقسمُ على هذا بالآلهة القديمة والجديدة. انهضي». وبينما ضمَّت يديَّ المرأة الأخرى بين يديها، لم يكن في وسع كاتلين غير أن تبتسم وتُحَدِّث نفسها قائلةً: كم مرَّةً شاهدتُ ند يقبل قَسم الخدمة من رجلٍ ما؟ وتساءلَت عمَّا كان ليُفَكِّر فيه لو أنه رآها الآن.

خاضوا فرعَ الثَّالوث الأحمر في وقتٍ متأخِّرٍ من اليوم التَّالي، عكس التيَّار من ريڤررَن، حيث يصنع النَّهر أنشوطةً واسعةً وتصير المياه ضحلةً موحلةً. تحمي المعبر قوَّة مختلطة من الرُّماة وحاملي الرِّماح الذين يضعون على صدورهم نسر عائلة ماليستر، وعندما رأوا رايات كاتلين، خرجوا من وراء الخوازيق الحادَّة، وأرسَلوا رجلًا من الضفَّة الأخرى يقود مجموعتها عبر النَّهر، فقال لها محذِّرًا وهو يلتقط لجام حصانها: «ببُطءٍ وحرص يا سيِّدتي، فقد غرسنا خوازيق حديديَّةً تحت الماء كما ترين، بالإضافة إلى أرجُل الغِربان الموزَّعة بين هذه الصُّخور هناك. فعلنا الشَّيء نفسه عند المخاضات كلها بأمر أخيكِ».

إدميور يُفَكِّر في خوض القتال هنا. أصابَها هذا الإدراك بالغثيان، لكنها لم تُعَلِّق.

انضمُّوا بين نهري الفرع الأحمر والجلمود إلى طابورٍ من العوام المتَّجهين إلى أمان ريڤررَن، بعضهم يسوق الحيوانات والبعض الآخَر يقود العربات، لكنهم أفسَحوا الطَّريق مع مرور كاتلين وحيُّوها هاتفين باسمي تَلي وستارك. على بُعد نِصف ميلٍ من القلعة مرُّوا عبر معسكرٍ كبير ترتفع فيه راية عائلة بلاكوود القرمزيَّة فوق خيمة اللورد، فاستأذنَها لوكاس أن يذهب إلى أبيه اللورد تايتوس، وواصلَ الآخَرون الطَّريق إلى القلعة.

لمحَت كاتلين معسكرًا آخَر مقامًا بطول ضفَّة الجلمود الشَّماليَّة، حيث



تخفق رايات أخرى مألوفة في الرِّيح؛ عذراء مارك پايپر الرَّاقصة، وحارث داري، وثُعباني پايپج الأحمر والأبيض المضفورَيْن معًا. كلهم حمَلة راية أبيها، لوردات الثَّالوث الذين غادرَ معظمهم ريڤررَن قبلها للدِّفاع عن أراضيهم، فإذا كانوا هنا الآن، فلا يعني هذا إلَّا أن إدميور استدعاهم ثانيةً. فلترحمنا الآلهة، إنه ينوي دخول المعركة ضد اللورد تايوين حقًّا.

رأت كاتلين من بعيدٍ أشياء داكنةً معلَّقةً على أسوار ريڤررَن، ولمَّا دنَت تبيَّنت أنها جُثث تتدلَّى من الشُّرفات، من حبالٍ طويلة في أطرافها أناشيط من التِّيل تلتفُّ حول أعناقهم بإحكام، وقد انتفخَت الوجوه واسودَّت. كانت الغِربان قد انتهكَت الجُثث، لكن المعاطف القرمزيَّة لا تزال تبدو لامعةً على خلفيَّة الأسوار المبنيَّة من الحجر الرَّملي.

قال هال مولين: «لقد شنَقوا بعض رجال لانستر».

قال السير وندل ماندرلي بمرح: «منظر يسرُّ الأعيُن».

وقال السير پروين فراي مازحًا: «أصدقاؤنا بدأوا دوننا»، فضحكَ الآخَرون كلهم باستثناء برِيان، التي رفعَت عينيها إلى صَفٍّ الجُثث ورمقَتها بإمعانٍ دون أن تتكلَّم أو تبتسم.

إذا قتَلوا قاتِل الملك، فابنتاي ميتّتان أيضًا. همزَت كاتلين حصانها ليتقدَّم مسرعًا، بينما تسابقَ هال مولين وروبن فلينت إلى مبنى البوَّابة منادين حُرَّاسه. لا شَكَّ أن من يَحرُسون الأسوار رأوا راياتها منذ فترة، لأن الشَّبكة الحديديَّة كانت مرفوعةً بالفعل.

خرجَ إدميور من القلعة على حصانه يستقبلها، محاطًا بثلاثةٍ من رجال أبيها، السير دزموند جرِل قيِّم السِّلاح ذو البطن الكبير، وأوثيرايدس واين وكيل القلعة، والسير روبن رايجر قائد حَرس ريڤررَن الأصلع الضَّخم. الرِّجال الثَّلاثة في سِنِّ اللورد هوستر، رجال أمضوا حياتهم في خدمة أبيها... رجال مسنُّون.

ارتدى إدميور معطفًا من الأحمر والأزرق فوق سُترةٍ طُرِّزَت عليها سمكة فضِّيَّة، وبدا من منظره أنه لم يحلق ذقنه منذ ذهبَت جَنوبًا، فبدَت رحلته كدغلٍ



- «آه، تصادفَ أني لم أكن في القلعة حينها. كنتُ قد عبرتُ الجلمود كي... آه...».

- «كنت في أحضان عاهرةٍ ما. أكمِل».

اشتعلَت وجنتا إدميور بأحمر لحيته، وقال: «كنتُ عائدًا في السَّاعة السَّابقة للفَجر، ولمَّا رأى ليو الطَّويل قاربي تعرَّفني، وعندئذٍ فقط توقَّف ليتساءَل عمَّن وقفَ في الأسفل يزعق بالأوامر، فصاحَ طالبًا العون».

- «قُل لي إنكم قبضتم على قاتِل الملك».

- «نعم، ولكن ليس ببساطة، فقد استولى چايمي على سيفٍ وقتلَ پول وپمفورد ومايلز مُرافِق السير دزموند، كما أصابَ دلپ بجرحٍ بالغ، حتى إن المِايستر ڤايمان يخشى أنه سيموت قريبًا بدوره. كانت فوضى داميةً. عندما سمعَ ذوو المعاطف الحمراء صوت تقارُع السُّيوف، أسرعَ بعضهم للانضمام إلى چايمي، ومنهم من كان أعزل، فشنَقتهم إلى جوار الذين حرَّروه، ورميتُ بقيَّتهم في الزَّنازين، بالإضافة إلى چايمي نفسه، الذي لن يُحاوِل الهرب ثانيةً. إنه في الظَّلام هذه المرَّة، يداه وقدماه مقيَّدة بالسَّلاسل المثبَّتة في الحائط».

- «وكليوس فراي؟».

- «يُقسِم أنه لم يكن يعرف شيئًا عن الخطَّة، لكن مَن يدري؟ إنه نِصف لانستر ونِصف فراي، وكذَّاب من رأسه إلى قدميه. لقد وضعته في زنزانة چايمي القديمة في البُرج».

- «تقول إنه جاءَ بشروط؟».

- «إذا كان من الممكن وصفها بذلك. مؤكَّد أنها لن تروقكِ أكثر مما راقَتني».

سألَ أوثيرايدس واين وكيل أبيها: «ألا أمل لنا في عونٍ من الجَنوب يا ليدي ستارك؟ هذا الاتِّهام بسفاح القُربى... اللورد تايوين لا يتلقَّى إهانةً كتلك ببساطة، وسيسعى إلى غسل العار عن اسم ابنته بدماء متَّهِمها، ولا بُدَّ أن ستانيس يُدرِك ذلك، فلا خيار لديه غير أن يتآزَر معنا».

ستانيس تآزَرَ مع قوَّةٍ أعظم وأكثر ظُلمةً. قالت كاتلين: «لنتكلَّم عن هذه الأمور فيما بَعد»، وقطعَت الجسر المتحرِّك بحصانها، واضعةً منظر رجال



لانستر الموتى البشع وراءها، فتحرَّكَ أخوها إلى جوارها، وإذ دخلا ساحة ريفررَن العلويَّة الصَّاخبة، جرى طفل عارٍ فجأةً أمام الحصانين، فجذبَت كاتلين عنان حصانها بقوَّةٍ لتتفاداه، وتطلَّعت حولها بارتياع. مئات من العامَّة سُمِحَ لهم بدخول القلعة ونصْب مآوٍ بدائيَّة عند الأسوار، فكان أطفالهم في كلِّ مكانٍ بين الأقدام، وازدحمَت السَّاحة بأبقارهم وخرافهم ودجاجهم. سألَت إدميور: «مَن كلُّ هؤلاء النَّاس؟».

أجابَ إدميور: «قومي. كانوا خائفين».

لا أحد سوى أخي يُمكنه حشد كلِّ هذه الأفواه عديمة الفائدة في قلعةٍ قد تقع تحت الحصار قريبًا. تعلم كاتلين رقَّة قلب إدميور، وإن خطرَ لها في بعض الأحيان أن عقله أرقُّ، ولهذا تُحِبُّه، لكن... «هل من الممكن بلوغ روب بالغِدفان؟».

أجابَ السير دزموند: «إنه في الميدان يا سيِّدتي، فلن يجد الطَّائر سبيلًا لبلوغه».

تنحنحَ أوثيرايدس واين، وقال: «قبل أن يرحل، تركَ لنا الملك الشَّاب تعليماتٍ بإرسالكِ إلى «التَّوأمتين» لدى عودتكِ يا ليدي ستارك، ويَطلُب منكِ أن تعرفي المزيد عن بنات اللوردَ والدر، لمساعَدته على اختيار عروسه عندما يحين الوقت».

قال أخوها: «سنُزَوِّدكِ بخيولٍ جديدة ومؤن. لا بُدَّ أنكِ ترغبين في القليل من الانتعاش قبل أن...».

قاطعَته كاتلين وهي تترجَّل: «ما أرغبُ فيه هو البقاء». إنها لا تنوي أن تَترُكَ ريفررَن وأباها المحتضر كي تختار لروب زوجته. روب يُريدني آمنةً، ولا ألومه على هذا، لكن حُججه صارت مبتذلةً تمامًا. نادَت: «يا ولد»، فجاءَ صبيٌّ من الاسطبل يجري ليلتقط عِنان حصانها.

ترجَّل إدميور الذي يفوقها طولًا برأسٍ كامل، لكنه سيظلُّ أخاها الصَّغير دائمًا، وقال بغير رضا: «كات، اللورد تايوين قادم...».

- «إنه يتَّجه غربًا للدِّفاع عن أراضيه. إذا أغلقنا بوَّاباتنا واحتمينا وراء الأسوار، فيُمكننا أن نُشاهِده يمرُّ ونحن آمنون».



أعلنَ إدميور: «هذه أرض تَلي، وإذا كان تايوين لانستر يحسب أنه سيمرُّ منها مرور الكرام، فإنني أنوي تلقينه درسًا قاسيًا».

الدَّرس نفسه الذي لقَّنت ابنه إياه؟ يتمكَّن عناد صُلب كصخور النَّهر من أخيها عندما تكون كبرياؤه على المحك، لكن لا أحد منهما سينسى كيف مزَّق السير چايمي جيش إدميور إربًا داميةً عندما خاضَ معركةً آخِر مرَّة. بكياسةٍ قالت كاتلين: «ليس لدينا ما نجنيه، بينما لدينا كلُّ ما يُمكن أن نخسره بلقاء اللورد تايوين في ميدان المعركة».

- «السَّاحة ليست المكان المناسب لمناقَشة خُططي».

- «كما ترغب. أين نذهب؟».

اربدَّ وجه أخيها، ومرَّت وهلة حسبَت فيها أنه سينفجر في وجهها غاضبًا، لكنه قال بحدَّةٍ في النِّهاية: «أيكة الآلهة ما دُمتِ مصرَّةً».

تبعَته وهو يقطع رواقًا يقود إلى بوَّابة أيكة الآلهة. لطالما عبَّر إدميور عن غضبه بأسلوبٍ عابسٍ جهيم، وشعرَت كاتلين بالأسف لأنها جرحَته، لكن المسألة أهمُّ من أن تشغل نفسها بكبريائه. التفتَ إدميور يُواجِهها حين أصبحا وحدهما تحت الأشجار، وبلا موارَبةٍ قالت له: «لست تملك القوَّة الكافية لمواجَهة جيش لانستر في الميدان».

رَدَّ إدميور: «عندما تحتشد قوَّاتي كلها، سأملكُ ثمانية آلافٍ من المُشاة وثلاثة آلافٍ من الخيَّالة».

- «ما يعني أن اللورد تايوين سيملك ما يَقرُب من ضِعف هذه الأعداد».

قال إدميور: «روب ربحَ معارك وأرجحيَّة النَّصر أقلّ، كما أن لديَّ خطَّةً. يبدو أنكِ نسيتِ رووس بولتون. اللورد تايوين هزمَه في معركة الفرع الأخضر، لكنه لم يُلاحِقه، وعندما لاذَ اللورد تايوين بهارنهال، استولى بولتون على مخاضة الياقوت ومفترَق الطُّرق، ومعه عشرة آلاف رجل. لقد أرسلتُ إلى هلمان تولهارت لينضمَّ إليه بالحامية التي تركَها روب في «التَّوأمتين»...».

- «إدميور، روب تركَ هؤلاء الرِّجال للدِّفاع عن «التَّوأمتين» والتأكُّد من أن يصون اللورد والدر كلمته».

قال إدميور بعناد: «ولقد صانَها. آل فراي قاتَلوا بشَجاعةٍ في الغابة الهامسة،



وسمعنا أن السير ستفْرون ماتَ في أوكسكروس، والسير رايمان ووالدر الأسود والآخَرون مع روب في الغَرب، والسير پروين ساعدَ على اصطحابكِ إلى رنلي بأمان. بحَقِّ الآلهة، ماذا تُريدين منهم أكثر من هذا؟ روب خطبَ إحدى بنات اللورد والدر، وسمعتُ أن رووس بولتون تزوَّج أخرى. ثم إنكِ أخذتِ اثنين من أحفاده لينشآ في وينترفل، أليس كذلك؟».

- «من السَّهل أن يُصبِح الرَّبيب رهينةً إذا دعَت الحاجة». لم تكن قد علمَت بموت السير ستفْرون أو بزواج بولتون.

- «إذا كنا نملك رهينتيْن، فهذا سبب أدعى لأن يُحجِم اللورد والدر عن التَّلاعُب بنا. بولتون يحتاج رجال فراي، ورجال السير هلمان أيضًا. لقد أمرته بأن يستردَّ هارنهال».

- «مهمَّة دامية».

- «نعم، لكن بمجرَّد سقوط القلعة، لن يجد اللورد تايوين مكانًا آمنًا ينسحب إليه. سيُدافِع جنودي عن مخاضات الفرع الأحمر ضد عبوره، وإذا هاجمَ عبر النَّهر، سيُلاقي مصير ريجار نفسه عندما حاولَ عبور الثَّالوث، وإذا امتنعَ فسيقع بين ريفررَن وهارنهال، وعندما يعود روب من الغَرب سيقضي عليه تمامًا».

امتلأَ صوت أخيها بالثِّقة الفجَّة، لكن كاتلين وجدَت نفسها تتمنَّى لو أن روب لم يأخذ عمَّهما برايندن غَربًا معه، فالسَّمكة السَّوداء جُندي عريق خاضَ نحو نِصفمئة معركة، بينما لم يَخُض إدميور غير معركةٍ واحدةٍ خسرَها.

أنهى إدميور كلامه قائلًا: «إنها خطَّة جيِّدة. هذا ما يقوله اللورد تايتوس واللورد چونوس كذلك. منذ متى يتَّفق بلاكوود وبراكن على أيِّ شيءٍ غير أكيد؟».

قالت شاعرةً بتعبٍ مفاجئ: «ليكن». لعلَّها كانت مخطئةً في معارَضته، ولعلَّها خطَّة رائعة بالفعل، أمَّا وساوسها فمجرَّد مخاوف امرأة. «هل أخذت رأي أبينا؟».

- «أبونا ليس في حالةٍ تسمح بدراسة خُطط الحرب. منذ يومين كان



يُخَطِّط لزواجكِ براندون ستارك! اذهبي لرؤيته بنفسكِ إذا كنتِ لا تُصَدِّقيني. ستنجح هذه الخطَّة يا كات، وسترين».

قالت: «آملُ هذا حقًّا يا إدميور»، وقبَّلته على وجنته لتؤكِّد له أنها تعني ما قالته، ثم تركَته وذهبَت إلى أبيها.

وجدَت اللورد هوستر كما تركَته، طريح الفِراش ضاويًا، جِلده شاحب رخو، وقد أفعمَت الغُرفة رائحة المرض، رائحة هي مزيج متجانس من العَرق القديم والدَّواء. أطلقَ أبوها أنينًا عندما فتحَت السَّتائر، وفتحَ عينيه رامقًا إياها كأنه لا يعرف مَن تكون أو ماذا تُريد.

قبَّلته وقالت: «لقد عدتُ يا أبي».

بدا أنه تعرَّفها حينئذٍ، وهمسَ بوهنٍ وقد تحرَّكت شفتاه بالكاد: «أتيتِ».

قالت: «نعم. روب أرسلَني جَنوبًا، لكني أسرعتُ بالعودة».

تمتمَ: «جَنوبًا... أين... هل «العُش» في الجَنوب يا صغيرتي؟ لا أذكرُ... آهٍ يا قُرَّة عيني، كنتُ خائفًا... هل غفرتِ لي يا طفلتي؟»، وسالَت الدُّموع على وجهه.

قالت: «لم تفعل شيئًا يستأهل الغفران يا أبي»، وملَّست على شَعره الأبيض الخفيف وتحسَّست جبهته. لم تزل الحُمَّى تُحرِقه من الدَّاخل على الرغم من كلِّ عقاقير المِايستر.

همسَ أبوها: «كان هذا في مصلحتكِ. چون رجل صالح، صالح... قوي... عطوف... يعتني بكِ... سيعتني بكِ... وعالي المقام. أصغي إليَّ، يجب أن تتزوَّجيه، أنا أبوكِ... أبوكِ... ستتزوَّجين عندما تتزوَّج كات، نعم...».

يحسبني لايسا. بحَقِّ الآلهة، إنه يتكلَّم كأننا لم نتزوَّج بعدُ.

قبضَ على يديها بيدين ترتعشان كطائرين أبيضين خائفين، وقال: «الفتى المراهق... صبيٌّ تَعِس... لا تَذكُري هذا الاسم لي... واجبكِ... أمُّك، إنها...»، وصرخَ اللورد هوستر إذ حاقَت به نوبة من الألم، ثم غمغمَ: «أوه، لتُسامِحني الآلهة، لتُسامِحني، لتُسامِحني... دوائي...».

ثم جاءَ المِايستر ڤايمان حاملًا كوبًا وضعَه عند شفتيه، فامتصَّ اللورد



هوستر الدَّواء الأبيض الثَّخين كمولودٍ يرضع من ثدي أمِّه، ورأت كاتلين السَّلام يحلُّ على ملامحه ثانيةً، وقال المِايستر عندما فرغَ الكوب: «سينام الآن يا سيِّدتي». تركَ حليبُ الخشخاش غِشاءً أبيض سميكًا حول فم أبيها، فمسحَه المِايستر ڤايمان بكُمِّه.

لم تستطِع كاتلين أن تُشاهِد أكثر. لطالما كان هوستر تَلي رجلًا قويًّا أبيًّا، وآلَمها أن تراه يضمحلُّ هكذا. خرجَت إلى الشُّرفة، ورأت السَّاحة في الأسفل تعجُّ باللَّاجئين الذين ملأوها ضوضاء، لكن وراء الأسوار تدفَّق النَّهران نظيفين صافيين وبلا نهاية. هذان نهراه، وقريبًا سيعود إليهما في رحلته الأخيرة.

تبعَها المِايستر ڤايمان إلى الشُّرفة، وقال برفق: «سيِّدتي، لم أعد قادرًا على تأخير النِّهاية أكثر من هذا. علينا أن نُرسِل خيَّالًا إلى أخيه، فلا بُدَّ أنه سيرغب أن يكون هنا».

قالت كاتلين بصوتٍ يقطر أسى: «نعم».

- «وربما اللَيدي لايسا أيضًا؟».

- «لايسا لن تأتي».

- «إذا كتبتِ لها بنفسكِ، فلربما...».

- «سأكتبُ بضع كلماتٍ على الورق لو أن هذا يُرضيك». تساءلَت عن هويَّة مراهق لايسا التَّعس هذا. غالبًا مُرافِق شاب أو فارس متجوِّل... وإن دَلَّ العُنف الذي رفضَه به اللورد هوستر على أنه كان ابن تاجرٍ ما أو تابعًا نغلًا، أو مطربًا حتى، فلطالما كانت لايسا مغرمةً بالمطربين. لا يجب أن ألومها. جون آرن كان يكبُرُ أبانا بعشرين عامًا، مهما علا مقامه.

البُرج الذي خصَّصه أخوها لها كان البُرج نفسه الذي تقاسمَته مع لايسا في صِغرهما. من الجميل أن تنام على فِراشٍ محشوٍّ بالرِّيش من جديد، مع نارٍ مشتعلة في المستوقَد. سيبدو العالم أقلَّ كآبةً عندما تستريح.

لكنها وجدَت أوثيرايدس واين ينتظر خارج غُرفتها مع امرأتين ترتديان الرَّمادي، وجهاهما مغطَّيان بالكامل باستثناء أعيُنهما، فأدركَت كاتلين في الحال سبب وجودهما هنا، وقالت: «ند؟».



خفضَت الأختان بصريهما، بينما قال أوثيرايدس: «السير كليوس أتى به من كينجز لاندنج يا سيِّدتي».

قالت آمرةً: «خُذوني إليه». كانوا قد سجَّوه على طاولةٍ وغطَّوه براية عائلة ستارك البيضاء ذات رمز الذِّئب الرَّهيب، فقالت: «أريدُ أن أراه».

- «لم يتبقَّ غير العظام يا سيِّدتي».

كرَّرت: «أريدُ أن أراه».

وأزاحَت واحدة من الأختين الصَّامتتين الرَّاية.

عظام. هذا ليس ند، ليس الرَّجل الذي أحببته، ليس أبا أطفالي. كانت يداه مشبَّكتين معًا فوق صدره، وقد تكوَّرت أصابع من عظم حول سيفٍ طويل ما، لكنهما ليستا يدي ند القويَّتين المليئتين بالحياة. كانوا قد ألبَسوا العظام سُترة ند المخمليَّة البيضاء النَّاعمة ذات رمز الذِّئب الرَّهيب في موضع القلب، لكن لا شيء تبقَّى من اللَّحم الدَّافئ الذي أراحَت عليه رأسها لياليَ لا تُحصى، أو من الذِّراعين اللتين ضمَّتاها مرارًا. أعيدَ إيصال الرَّأس ثانيةً بالجسد بسلكٍ فضِّيٍّ ناعم، لكن لا جمجمة تختلف عن الأخرى، وفي هذين المحجرين الأجوفين لم ترَ أثرًا لعيني سيِّدها الرَّماديَّتين الدَّاكنتين، العينين اللتين كان بإمكانهما أن تكونا رفيقتين كالضَّباب أو قاسيتين كالحجر. عيناه تركوهما للغِربان.

التفتَت كاتلين قائلةً: «هذا ليس سيفه».

قال أوثيرايدس: «لم يُعيدوا «جليد» إلينا يا سيِّدتي، بل رُفات اللورد إدارد فقط».

- «أعتقدُ أن عليَّ أن أشكر الملكة على هذا القدر على الأقل».

- «اشكُري العِفريت يا سيِّدتي، فهو من دبَّر هذا».

سيأتي يوم أشكرهم فيه جميعًا. «إنني ممتنَّة لخدمتكما أيتها الأختان، لكن يجب أن أكلِّفكما بمهمَّةٍ أخرى. اللورد إدارد كان من عائلة ستارك، ولا بُدَّ أن يُوارى رُفاته الثَّرى في سراديب وينترفل». سينحتون له تمثالًا، صورةً حجريَّةً تبقى في الظَّلام مع ذئبٍ رهيب عند قدميه وسيفٍ على رُكبتيه. قالت لأوثيرايدس واين: «تأكَّد من حصول الأختين على حصانين جديدين وكلِّ ما



تحتاجاه في رحلتهما. سيصحبهما هال مولين إلى وينترفل، فهذا دوره كقائد الحَرس»، ثم تطلَّعت إلى العظام التي لم يتبقَّ غيرها من سيِّدها وحبيبها، وقالت: «والآن اترُكوني جميعًا. أريدُ أن أكون وحدي مع ند اللَّيلة».

حنَت المرأتان ذواتا الثِّياب الرَّماديَّة رأسيهما، وحدَّثت كاتلين نفسها متذكِّرةً: الأخوات الصَّامتات لا يُكَلِّمن الأحياء، لكن البعض يقول إنهن يستطعن تكليم الموتى.

ولكم تحسدهن على هذا...





دنيرس

منعَت السَّتائر غُبار وحرارة الشَّوارع من التسلُّل إلى الدَّاخل، وإن لم تستطِع أن تمنع الشُّعور بخيبة الأمل. صعدَت داني إلى الهودج شاعرةً بالإرهاق، لكن سرَّها أن تحتمي من بحر أعيُن الكارثين، بينما زعقَ چوجو في الجموع ملوِّحًا بسوطه: «أفسِحوا الطَّريق، أفسِحوا الطَّريق، أفسِحوا الطَّريق لأمِّ التَّنانين!».

مضطجعًا على وسائد حريريَّة فاترة الحرارة، وبيدين واثقتين ثابتتين على الرغم من تمايُل الهودج، صَبَّ زارو زون داكسوس نبيذًا أحمر كالياقوت في كأسين متماثلتين من الذَّهب واليَشب، وناوَلها إحداهما قائلًا: «أرى حُزنًا عميقًا مرسومًا على ملامحكِ يا نور الحُب. أهو الحُزن على حُلم ضاعَ؟».

- «حُلم تأجَّل تحقيقه لا أكثر». كان طوق داني الفضِّي الضَّيِّق يحتكُّ بحَلقها، فخلعَته وألقَته جانبًا. رصَّع الطَّوق حجر جَمَشْت مسحور، أقسمَ زارو أنه سيدرأ عنها أذى كلِّ السُّموم، فأنقياء الميلاد في كارث ذوو سُمعةٍ سيِّئة في تقديم النَّبيذ المسموم لمَن يعتبرونهم خطِرين، لكنهم لم يُقَدِّموا لداني قدحًا من الماء حتى. فكَّرت بمرارة: لم يروني ملكةً على الإطلاق، لم أكن أكثر من فقرة تسليةٍ تفرَّجوا عليها بعَد الظُّهر، فتاة الخيول وحيوانها المدلَّل.

هَسَّ ريجال وغرسَ مخالبه السَّوداء الحادَّة في كتفها العارية إذ مدَّت يدها تلتقِط النَّبيذ، فجفلَت متألِّمةً ونقلَته إلى كتفها الأخرى، حيث يستطيع أن يغرس مخالبه في فُستانها بدلًا من جِلدها. كانت متأنِّقةً على غرار الكارثين، بَعدما



قال لها زارو محذِّرًا إن المتوَّجين لن يُصغوا أبدًا إلى واحدةٍ من الدوثراكي، فحرصَت على المثول أمامهم مرتديةً فُستانًا من السَّميت يكشف عن أحد نهديها، وخُفًّا مفضَّضًا في قدميها، مع حزامٍ من اللُّؤلؤ الأبيض والأسود حول خصرها. أخذَت رشفةً كبيرةً من النَّبيذ مفكِّرةً: ما كانت النَّتيجة لتختلف لو أني ذهبتُ إليهم عاريةً. ربما كان عليَّ أن أفعل.

يقود المنحدِرون من نسل ملوك وملكات كارث القُدامى قوَّات الحَرس المدني، علاوةً على أسطول القوادس الفاخرة الذي يتسيَّد المضايق بين البحار، وقد أرادَت دنيرس تارجاريَن هذا الأسطول، أو جزءًا منه، بالإضافة إلى بعض الجنود كذلك، وهكذا قدَّمت القُربان التَّقليدي في معبد الذِّكرى، والرَّشوة التَّقليديَّة إلى حافِظ القائمة الطَّويلة، وثمرة التِّين الكاكي التَّقليديَّة لفاتِح الباب، وأخيرًا تلقَّت الخُفَّ الأزرق التَّقليديَّ دلالةً على استدعائها إلى قاعة الألف عرش.

سمعَ أنقياء الميلاد التماسها وهُم جالسون على مقاعد أسلافهم الخشبيَّة العظيمة، التي ترتفع في صفوفٍ مدرَّجة من الأرضيَّة الرُّخام إلى السَّقف ذي القُبَّة العالية، التي رُسِمَت عليها مَشاهد من مجد كارث الغابر. كانت المقاعد ضخمة الحجم، عليها نقوش شديدة التَّنميق تخلب الألباب، وتلتمع فيها أشغال الذَّهب، ويُرَصِّعها الكهرمان والجَزْع واللَّازورد واليَشب، كلٌّ منها يختلف عن الآخَر ويُجاهِد لأن يكون الأجمل، أمَّا مَن جلسوا عليها فلاحَ عليهم الكسل والضَّجر حتى إنهم بدوا شِبه نائمين. أصغوا لي، لكنهم لم يسمعوا أو يكترثوا. إنهم شعب الحليب حقًّا. لم تكن لديهم أدنى نيَّة لمساعَدتي، ولم يأتوا إلَّا لإشباع فضولهم، أتوا لأنهم كانوا يَشعُرون بالملل، والتنِّين على كتفي أثارَ اهتمامهم أكثر مني.

حثَّها زارو زون داكسوس على الكلام قائلًا: «أخبِريني بقرار أنقياء الميلاد، أخبريني بما قالوه وأحزنَ ملكة فؤادي».

أجابَت متذوِّقةً طعم الرُّمَّان ونهارات الصَّيف الحارَّة في النَّبيذ: «قالوا لا. قالوها بكياسةٍ بالغة حقًّا، لكن من تحت الكلمات المهذَّبة المعسولة كان لسان حالهم يقول لا».



- «هل أثنيتِ عليهم؟».
- «بكلٍّ فجاجة».
- «هل بكيتِ؟».

أجابَت محتدَّةً: «دم التنِّين لا تبكي».

تنهَّد زارِو، وقال: «كان ينبغي أن تبكي». كثيرًا ما يبكي الكَارثين، وبيُسرٍ تام، ويعتبرون البكاء علامة الإنسان المتحضِّر. «والذين اشترَيناهم، ماذا قالوا؟».

- «ماثوس لم يقل شيئًا، وأشادَ ويندِيلو كَار ديث بلباقتي في الكلام، والبهيُّ رفضَ كالبقيَّة، لكنه بكى بَعدها».

- «حسرةٌ أن يَنقُض الكَارثين كلمتهم هكذا. ابكِ، ابكِ لغدر البَشر». لا ينتمي زارو نفسه إلى أنقياء الميلاد، لكنه دلَّها على مَن ترشوهم وأخبرَها وكم تدفع لكلٍّ منهم.

كانت داني لتُفَضِّل أن تبكي على ذهبها، فالرَّشاوى التي دفعَتها لكلٍّ من ماثوس مالاراوان وويندِيلو كَار ديث وإيجون إمروس البهي، كانت كفيلةً بشراء سفينةٍ أو استئجار عشرين من المرتزِقة. سألَته: «ماذا لو أرسلتُ السير چورا ليُطالِب باسترداد هداياي؟».

رَدَّ زارو: «ماذا لو تسلَّل رجل آسف إلى قصري ليلًا وقتلكِ في منامكِ؟». الرِّجال الآسفون رابطة مقدَّسة عتيقة من القتَلة المأجورين، ويُطلَق عليهم هذا الاسم لأنهم يهمسون لضحاياهم «آسفٌ جدًّا» قبل أن يَقتُلوهم، فالكَارثين شديدو التَّهذيب في جميع الأحوال. «ثمَّة حكمة تقول إن الحصول على الحليب من بقرة فاروس الحجريَّة أسهل من انتزاع الذَّهب من براثن أنقياء الميلاد».

لا تعرف داني أين تقع فاروس هذه، وإن بدا لها أن كَارث تعجُّ بالأبقار الحجريَّة، إذ ينقسم الأمراء التجَّار، الذين فحشَ ثراؤهم من التِّجارة عبر البحار، إلى ثلاثة فصائل يغار كلٌّ منها من الآخَر: عُصبة العطَّارين العريقة،



وأخوَّة التورمالين[1]، ورابطة الثَّلاثة عشر التي ينتمي إليها زارو، وتتنافَس الفصائل الثَّلاثة معًا على السَّيطرة، بالإضافة إلى تنافُسها اللا نهائي مع أنقياء الميلاد... وعلى الجميع يَسقُط ظِلُّ الدجَّالين، بشفاههم الزَّرقاء وقُواهم الرَّهيبة التي تُرى نادرًا لكن يخشاها الجميع.

كانت لتضيع لولا زارو. الذَّهب الذي بدَّدته لفتح أبواب قاعة الألف عرشٍ كان نتيجةً لكرم التَّاجر وبديهته السَّريعة، فمع انتشار شائعة التَّنانين الحيَّة في الشَّرق، جاءَ المزيد والمزيد من السَّاعين إليها ليعرفوا إن كانت الحكاية صحيحةً حقًّا، فحرصَ زارو زون داكسوس على أن يُقَدِّم العظماء والمتواضعون على حَدٍّ سواء العطايا لأمِّ التَّنانين، وسرعان ما استحالَت القطرة إلى غيثٍ جارف، فأتاها ربابنة السُّفن التِّجاريَّة بالحرير من مير، وصناديق من الزَّعفران من يي تي، والكهرمان وزُجاج التنِّين من آشاي، وقدَّم لها التجَّار صُررًا من النُّقود، وصائغو الفضَّة الخواتم والسَّلاسل، بينما عزفَ لها الموسيقيُّون على المزاميز، واستعرضَ البهلوانات والحواة مهاراتهم أمامها، وألبسَها الصبَّاغون ألوانًا لم تكن تعرف أن لها وجود، كما أن اثنينِ من شعب الچوجوس نهاي أهدياها واحدًا من خيول الزورس الشَّرسة المخطَّطة بالأبيض والأسود التي تستوطن بلادهما، وهذا بخلاف الأرملة التي جاءَتها بجثمان زوجها المغطَّى بقشرةٍ من أوراق الشَّجر المفضَّضة، تبعًا للمعتقَد الذي يقول إن هذا النَّوع من الرُّفات يحوي قُوى هائلة، خصوصًا إذا كان صاحِب الجثمان مشعوذًا مِثلما كان هذا الرَّجل، أمَّا أعضاء أخوَّة التورمالين فأصرُّوا على أن تقبل منهم تاجًا مشغولًا على شكل تنِّينٍ ثُلاثي الرُّؤوس، ذيله من الذَّهب الأصفر، وجناحاه من الفضَّة، ورؤوسه من اليَشب والعاج والعقيق الأسود.

التَّاج هو العطيَّة الوحيدة التي احتفظَت بها، أمَّا الباقي فباعَته بغية أن تجمع الثَّروة التي أهدرَتها بَعدها على أنقياء الميلاد. أرادَها زارو أن تبيع التَّاج أيضًا

(1) التورمالين حجر شِبه كريم بلَّوري الشَّكل، يتألَّف من عدد كبير من العناصر التي تُعطيه ألوانًا زاهية.



(وأقسمَ أن يعمل الثَّلاثة عشر على حصولها على واحدٍ أجمل بكثير)، لكن داني رفضَت تمامًا، وقالت: «ڤسيرس باعَ تاج أمِّي فدعاه النَّاس بالشحَّاذ. سأحتفظُ بهذا كي يدعوني ملكةً»، وبالفعل احتفظَت به، وإن آلَمَ ثِقله عُنقها.

ومع ذلك ما زِلتُ شحَّاذةً حتى وأنا متوَّجة. أصبحتُ أسمى شحَّاذةٍ في العالم، لكني أظلُّ شحَّاذةً. كم تَمقُت هذا، تمامًا كما كان أخوها يَمقُته بكلِّ تأكيد. كلُّ هذه السِّنين التي قضيناها في الفرار من مدينةٍ إلى أخرى، نسبق قتَلَة الغاصِب المأجورين بخطوةٍ واحدة، نتوسَّل العون من الحُكَّام والأمراء والماچسترات، ونشتري طعامنا بالمداهَنة. لا بُدَّ أنه كان يعلم أنهم يسخَرون منه، فلا عجب أنه عانى من كلِّ هذا الغضب والمرارة. وفي النِّهاية أفضى به غضبه ومرارته إلى الجنون. وسيفعلا بي المِثل إذا سمحتُ لهما. جزءٌ منها كان ليقنع تمامًا بأن تقود قومها وتعود بهم إلى ڤايس تولورو، حيث يجعلون المدينة تزدهر من جديد. لكن لا، هذه هزيمة، بينما لديَّ شيء لم يحظَ به ڤسيرس قَطُّ، لديَّ التَّنانين، والتَّنانين تصنع فارقًا هائلًا.

ملَّست على ريجال، فأغلقَ التنِّين الأخضر أسنانه على لحم يدها وعَضَّ بقوَّة. في الخارج امتلأَت المدينة العظيمة بالهمهمات والطَّنين والزَّعيق، وقد اندمجَت الأصوات العديدة معًا، صانعةً صوتًا واحدًا واطئًا كجيشان البحر، وراحَ چوچو يصيح: «أفسِحوا الطَّريق يا شعب الحليب، أفسِحوا الطَّريق لأمِّ التَّنانين!»، فتنحَّى الكارثين جانبًا، لكن غالبًا بسبب الثَّورين اللذين يحملان الهودج لا صوته. لمحَته داني من بين السَّتائر المتمايلة على متن فَحله الرَّمادي، يهوي بين الحين والآخَر على ظَهر أحد الثَّورين بضربةٍ من السَّوط ذي المقبض الفضِّي الذي أهدَته إياه. كان آجو يَحرُس الجانب الآخَر من الهودج، بينما ركبَ راكارو في مؤخِّرة الموكب، يُراقِب الوجوه في الزِّحام بحثًا عمَّا يُنذِر بالخطر، أمَّا السير چورا فقد تركَته اليوم ليحمي التنِّينين الآخَرين، وقد كان الفارس المنفيُّ معارضًا لهذه الحماقة من البداية. إنه لا يثق بأيِّ أحد، وربما لسببٍ وجيه.

رفعَت داني كأسها لتشرب، فتشمَّم ريجال النَّبيذ، ثم ألقى رأسه إلى الوراء وأطلقَ هسيسًا، فقال زارو: «تنِّينكِ يتحلَّى بأنفٍ حاد»، ومسحَ فمه وأضافَ:



«إنه نبيذ تقليدي. يُقال إنهم يصنعون عبر بحر اليَشب خمرًا ذهبيَّةً شديدة الرَّوعة، لدرجة أنها تجعلَ مذاق كلِّ الخمور الأخرى كالخَلِّ بالمقارَنة. فلنأخذ مركب النُّزهات الذي أملكه ونذهب بحثًا عنها أنا وأنتِ».

قالت داني: «"الكرمة" تصنع أفضل نبيذٍ في العالم». إنها تَذكُر أن اللورد ردواين حاربَ في صفوف أبيها ضد الغاصِب، وكان واحدًا من القلائل الذين ظلُّوا مخلصين إلى النِّهاية. أتُراه سيُحارِب من أجلي أيضًا؟ لا تعرف سبيلًا للتأكُّد بَعد مضيٍّ هذه السِّنين كلها. «تعالَ معي إلى "الكرمة" يا زارو، وستتذوَّق أفضل خمورٍ ستشربها في حياتك كلها، لكن علينا أن نذهب بسفينةٍ حربيَّة وليس مركب نُزهات».

– «لا أملكُ سُفنًا حربيَّةً. الحرب تضرُّ بالتِّجارة، وكثيرًا قلتُ لكِ إن زارو زون داكسوس رجل سلام».

زارو زون داكسوس رجل ذهب، والذَّهب سيبتاع لي كلَّ ما أحتاجه من سُفن وجُند. «لم أطلب منك أن تحمل سيفًا وتُقاتِل، بل أن تُقرِضني سُفنك لا غير».

ابتسمَ بتواضُعٍ وقال: «أملكُ عددًا من السُّفن التِّجاريَّة، هذا صحيح، لكن مَن يدري كم عددها؟ قد تكون إحداها تغرق الآن في بُقعةٍ عاصفةٍ من بحر الصَّيف، وغدًا ستقع أخرى في أيادي القراصنة، وبَعد غدٍ قد يتطلَّع أحد ربابنتي إلى الثَّروة التي بين يديه ويقول لنفسه: المفترَض أن يكون كلُّ هذا ملكي. تلك مخاطر التِّجارة. حقًّا، كلما طالَ حديثنا فمن الوارد بشدَّة أن يقلَّ عدد سُفني. إن ثروتي تتضاءَل كلَّ لحظة».

– «أعطِني سُفنًا وسأجعلك ثريًّا من جديد».

– «تزوَّجيني أيتها الضِّياء السَّاطع وأبحِري بسفينة قلبي. إنني لا أنامُ اللَّيل من التَّفكير في جمالكِ».

ابتسمَت داني. كانت تعبيرات زارو النَّاعمة عن غرامه تُسَلِّيها حقًّا، غير أن تصرُّفاته تتعارَض مع كلامه، فبينما استطاعَ السير چورا بالكاد أن يغضَّ بصره عن نهدها العاري وهو يُساعِدها على ركوب الهودج، فبالكاد أيضًا تظاهرَ زارو بأنه يُلاحِظه، حتى على مقربةٍ منها في هذا المكان المغلَق، كما



أنها رأت الغلمان جميلي الطَّلعة الذين يُحيطون بالأمير التَّاجر ويتنقَّلون في أرجاء قصره مرتدين الحرير الخفيف. قالت: «تقول كلامًا عذبًا يا زارو، لكنني أسمعُ «لا» أخرى متواريةً وراء كلماتك».

قال زارو وقد أعطته الجواهر في أنفه سيماء طائرٍ برَّاقٍ عجيب: «ذلك العرش الحديدي الذي تتكلَّمين عنه يبدو فظيع البرودة والصَّلابة، ولا أتحمَّلُ فكرة أن تجرح بروزاته الحادَّة بشرتكِ النَّاعمة»، ولوَّح بأصابعه الطَّويلة الأنيقة علامة الرَّفض، ثم أضافَ: «اجعلي هذه مملكتكِ يا أبدع الملكات، واجعليني ملككِ. سأعطيكِ عرشًا من ذهبٍ إذا شئتِ، ولمَّا تبدأ كارث تُصيبكِ بالسَّأم، سنجول حول يي تي ونبحث عن مدينة الشُّعراء الحالمة، ونشرب خمر الحكمة من جمجمة رجلٍ ميت».

قالت: «ما أسعى إليه هو الإبحار إلى وستروس وشُرب خمر الانتقام من جمجمة الغاصِب»، وحكَّت ريجال تحت عينه، فانبسطَ جناحاه الأخضران كاليَشب وحرَّكا هواء الهودج السَّاكن.

سالَت عبرة واحدة متقَنة على وجنة زارو زون داكسوس، وقال: «ألن يثنيكِ شيء عن هذا الجنون؟».

قالت متمنِّيةً لو أنها تَشعُر حقًّا بالثِّقة التي تتكلَّم بها: «لا شيء سيثنيني. إذا أقرضَني كلٌّ من الثَّلاثة عشر عشر سُفن...».

– «فستملكين مئةً وثلاثين سفينةً بلا أطقُم تُبحِر بها. عدالة قضيَّتكِ لا تعني شيئًا لعامَّة كارث. لماذا يُبالي بحَّارتي بمَن يجلس على عرش مملكةٍ ما عند حافة العالم؟».

– «سأدفعُ لهم كي يُبالوا».

– «بأيِّ أموالٍ يا نجمة سمائي الجميلة؟».

– «بالذَّهب الذي يجلبه السَّاعون».

– «يُمكنكِ أن تفعلي هذا، لكن الكثير من المبالاة يُكَلِّف الكثير، فعليكِ أن تدفعي لهم أكثر مني، واعلمي أن كارث كلها تسخر من كرمي المتهوِّر».

– «ما دامَ الثَّلاثة عشر لن يُساعِدوني، فهَب أني قصدتُ عُصبة العطَّارين أو أخوَّة التورمالين؟».



هَزَّ زارو كتفيه بفتورٍ قائلًا: «لن تنالي منهم غير الإطراء والأكاذيب. العطَّارون مجرَّد متبجِّحين مدَّعين، والأخوَّة تعجُّ بالقراصنة».

- «عليَّ إذن أن أصغي لپيات پري وأذهب إلى الدجَّالين».

اعتدلَ الأمير التَّاجر بحركةٍ حادَّة، وقال: «پيات پري أزرق الشَّفتين، ويُقال صدقًا إن الشِّفاه الزَّرقاء لا تتفوَّه بغير الأكاذيب. أصغي لحكمة مَن يُحِبُّكِ، الدجَّالون كائنات لدود تأكل التُّراب وتشرب من الظِّلال، ولن يُعطوكِ شيئًا لأنهم لا يملكون ما يُعطونه».

- «لم أكن لأقصد عون بعض المشعوذين لو أعطاني صديقي زارو زون داكسوس ما أطلبه».

- «لقد أعطيتكِ بيتي وقلبي، أفلا يعنيان شيئًا لكِ؟ أعطيتكِ عطورًا ورُمَّانًا، وقرودًا تتشقلَب وثعابين تفحُّ، ومخطوطات من ڤاليريا القديمة، ورأس صنم وقدم أفعى. أعطيتكِ هذا الهودج المصنوع من الأبنوس والذَّهب، وزوجًا من الثِّيران يحمِله، أحدهما أبيض كالعاج والثَّاني أسود كالسَّبج، وقرونهما مطعَّمة بالذَّهب».

قالت داني: «نعم، لكنني أردتُ سُفنًا وجنودًا».

- «ألم أعطكِ جيشًا يا أعذب النِّساء؟ أعطيتكِ ألف فارسٍ يرتدون الدُّروع اللَّامعة».

الدُّروع مصنوعة من الفضَّة والذَّهب، والفُرسان من اليَشب والزَّبرجد والجَزْع والتورمالين والعقيق والأوپال والجَمَشْت، كلٌّ منهم بطول خنصرها. قالت: «ألف فارسٍ جميل، لكن ليس من النَّوع الذي يُرهب أعدائي، كما أن الثَّورين لا يستطيعان حَملي عبر البحر. إنني... لماذا نتوقَّف؟». كانت حركة الثَّورين قد تباطأت إلى حَدٍ كبير.

نادى آجو من وراء السَّتائر، والهودج يرتجُّ متوقِّفًا فجأةً: «گاليسي»، فاتَّكأت داني على مِرفقها ومالَت إلى الخارج، لترى أنهم على أطراف السُّوق، والطَّريق أمامهم يُغلِقه حائط صُلب من النَّاس، فسألَت: «إلامَ يَنظُرون؟».

رجعَ چوجو بحصانه إليها مجيبًا: «إنه حاوي نار يا گاليسي».

- «أريدُ أن أرى».



قال الدوثراكي: «سترين إذن»، ورفعَ يده إليها، ولمَّا أمسكَت بها رفعَها على حصانه وأجلسَها أمامه، حيث تستطيع أن تُشاهِد من فوق رؤوس المتفرِّجين. كان حاوي النَّار قد صنعَ سُلَّمًا في الهواء، سُلَّمًا يُطَقطِق لهبه البرتقالي ويتموَّج صاعدًا من أرض السُّوق بلا دعائم نحو السَّقف العالي المرسوم على شكل عريش.

لاحظَت أن أغلب المتفرِّجين ليسوا من أهل المدينة، ورأت بحَّارةً جاءوا في السُّفن التِّجارية، وتجَّارًا جاءوا مع القوافل، ورجالًا مغبَّرين أتوا من القَفر الأحمر، وجنودًا جوَّالين وحِرَفيِّين ونخَّاسين. طوَّق چوجو خصرها بيده، ومالَ عليها قائلًا: «شعب الحليب يتجنَّبه. گاليسي، أترين الفتاة ذات القبَّعة الصُّوف؟ هناك، وراء الرَّاهب البدين، إنها...».

أكملَت داني عبارته: «نشَّالة». إنها ليست ليدي مدلَّلةً تغفل عن تلك الأشياء، ورأت الكثير من النشَّالين في شوارع المُدن الحُرَّة خلال السَّنوات التي قضَتها مع أخيها في الهرب من قتلَة الغاصِب.

كان الحاوي يُلَوِّح بيديه بحركاتٍ واسعةٍ مستحثًّا اللَّهب على أن يرتفع أعلى فأعلى، وإذ رفعَ المتفرِّجون رؤوسهم، اندسَّ النشَّالون بينهم مخبِّئين سكاكين صغيرةً في راحات أيديهم، وخلَّصوا الأثرياء من نقودهم بيدٍ بينما تُشير الثَّانية إلى أعلى.

حينما ارتفعَ السُّلَّم النَّاري أربعين قدمًا، وثبَ الحاوي إلى الأمام وبدأ يتسلَّقه واضعًا يدًا فوق يدٍ بسُرعة القرود، لتذوب كلُّ درجةٍ من ورائه مخلِّفةً خيطًا من الدُّخان الفضِّي لا أكثر، ولمَّا بلغَ القمَّة كان السُّلَّم قد اختفى، وكذلك هو.

أعلنَ چوجو بإعجاب: «حيلة ممتازة».

جاءَ صوت امرأةٍ يقول باللُّغة العاميَّة: «ليست حيلةً».

لم تكن داني قد لاحظَت كويث وسط الجموع، لكن ها هي ذي، عيناها رطبتان لامعتان من وراء قناعها الخشبي الأحمر الصُّلب، فسألَتها: «ماذا تعنين يا سيِّدتي؟».



- «قبل نِصف عامٍ فقط لم يكن هذا الرَّجل يستطيع إشعال النَّار من زُجاج التنِّين. كان يتمتَّع بموهبةٍ محدودة في التَّعامُل مع المساحيق والنَّار الشَّعواء، ما يكفي لأن يسلب ألباب المتفرِّجين بينما يقومِ النشَّالون بعملهم، وكان يمشي على الفحم السَّاخنِ ويجعل زهورًا محترقةً تتفتَّح في الهواء، لكنه لم يكن ليَحلُم بأن يتسلَّق سُلَّمًا من لهبٍ أكثر مما يَحلُم الصيَّاد العادي بوقوع كراكن في شباكه».

نظرَت داني باضطرابٍ إلى حيث كان السُّلَّم. حتى الدُّخان تلاشى، وبدأ المحتشدون ينصرفون إلى حال سبيلهم، بعضهم على وشك أن يجد كيس نقوده خاويًا. «والآن؟».

- «والآن تنمو قُدراته يا كاليسي، والسَّبب أنتِ».

قالت ضاحكةً: «أنا؟ كيف؟».

تقدَّمت المرأة واضعةً إصبعين على معصم داني، وردَّت: «أنتِ أمُّ التَّنانين، أليس كذلك؟».

قال چوجو: «هي كذلك، وغير مسموحٍ لأولاد الظِّلال بأن يلمسوها»، وأزاحَ يد كويث بمقبض سوطه.

تراجعَت المرأة خطوةً، وقالت: «يجب أن تُغادِري هذه المدينة قريبًا يا دنيرس تارجاريَن، وإلَّا لن يُسمَح لكِ بالمغادَرة إطلاقًا».

ظلَّت داني تَشعُر بوخزٍ في معصمها حيث مسَّتها كويث، وسألَتها: «أين تُريدينني أن أذهب؟».

- «لتذهبي شَمالًا يجب أن ترتحلي جَنوبًا، لتَبلُغي الغَرب يجب أن تذهبي إلى الشَّرق، لتمضِي قُدمًا يجب أن تعودي أدراجكِ، وكي تمسَّي النور عليك أن تَمُرِّي تحت الظِّل».

آشاي، تُريدني أن أذهب إلى آشاي. «وهل سيُعطيني الآشايئيُّون جيشًا؟ هل سأجدُ ذهبًا في آشاي؟ أو سُفنًا؟ ما الذي سأجده في آشاي ولن أجده في كارث؟».

- «الحقيقة»، قالت المرأة المقنَّعة، وانحنَت قبل أن تغيب في الزِّحام.

أطلقَ راگارو نخير ازدراءٍ من وراء شاربه الأسود المتدلِّي، وقال:



«گاليسي، خيرٌ للمرء أن يبتلع حفنةً من العقارب من أن يثق بأولاد الظِّلال الذين لا يجرؤون على إظهار وجوههم تحت الشَّمس. هذا معلوم».

أيَّده آجو مردِّدًا: «هذا معلوم».

كان زارو زون داكوس قد شاهدَ الحوار كله من فوق وسائده، وعندما عادَت داني تصعد إلى جواره في الهودج، قال لها: «رجالكِ الهمجيُّون أكثر حكمةً مما يحسبون، فالحقائق التي يكتنزها الآشايئيُّون ليست بالشَّيء الذي يسرُّ»، ثم ناوَلها كأس نبيذٍ أخرى، وراحَ يتكلَّم عن الحُبِّ والشَّهوة وغيرهما من التَّوافه طول ما تبقَّى من الطَّريق إلى قصره.

في هدوء مسكنها، خلعَت داني ملابسها الأنيقة وارتدَت ثوبًا فضفاضًا من الحرير الأرجواني. كان تنانينها جائعين، فقطَّعت ثعبانًا وطهَت قِطع اللَّحم فوق مستوقَد، وبينما شاهدَتهم يتشاجَرون على اللَّحم المتفحِّم، قالت لنفسها: إنهم يَكبُرون. لا بُدَّ أن وزنهم يَبلُغ ضِعف ما كان في ڤايس تولورو. وعلى الرغم من ذلك لم تزل أمامهم سنوات قبل أن يَكبُر حجمهم بما فيه الكفاية لأن تَدخُل بهم حربًا. ويجب تدريبهم كذلك، وإلَّا دمَّروا مملكتي عن بكرة أبيها. مع أن دماء عائلة تارجاريَن تجري في عروقها، فداني لا تملك أدنى فكرةٍ عن كيفيَّة تدريب التَّنانين.

جاءَها السير چورا مورمونت والشَّمس في سبيلها إلى المغيب، وبادَرها متسائلًا: «هل رَدَّكِ أنقياء الميلاد؟».

قالت داني: «كما قلتَ إنهم سيفعلون. تعالَ واجلس، أعطِني نصيحتك»، وسحبَته مُجلسةً إياه إلى جوارها على الوسائد، وجلبَت چيكوي لهما وعاءً من الزَّيتون الأرجواني والبصل المغموسيْن في النَّبيذ.

قال السير چورا: «لن تنالي عونًا في هذه المدينة يا گاليسي»، والتقطَ بصلةً بسبَّابته وإبهامه مضيفًا: «كلَّ يوم أقتنعُ بهذا أكثر من سابِقه. أنقياء الميلاد لا يرون أبعد من أسوار كارث، وزارو...».

– «سألَني أن أتزوَّجه ثانيةً».

– «نعم، وأنا أعرفُ السَّبب». عندما يعبس الفارس، يلتحِم حاجباه الكثَّان الأسودان معًا فوق عينيه العميقتين.



قالت ضاحكةً: «إنه يَحلُم بي ليل نهار».

- «سامحيني يا مولاتي، لكن تنانينكِ هي ما يَحلُم به».

- «زارو يؤكِّد لي أن الرِّجال والنِّساء في كارث يحتفظون بممتلكاتهم بَعد الزَّواج، والتَّنانين ملكي». ابتسمَت وقد جاءَ دروجون يخفق ويتواثَب على الأرض الرُّخام ليستقرَّ على الوسادة إلى جوارها.

- «يقول الحقيقة، وإن لم تكن كاملةً، فثمَّة شيء آخَر أهملَ ذِكره. للكارثين عُرف غريب يتعلَّق بالزَّواج يا مولاتي. يوم زفافهما، مُباح للعروس أن تَطلُب من زوجها أمارةً على حُبِّه، وعليه أن يمنحها أيَّ شيءٍ ترغب فيه من ممتلكاته الدُّنيويَّة، ويستطيع أن يَطلُب منها شيئًا آخَر بدوره. من الممكن طلب شيءٍ واحدٍ فقط، لكن لا يُمكن رفضه أيًّا كان».

ردَّدت: «شيء واحد؟ ولا يُمكن رفضه؟».

- «بتنِّينٍ واحد، يستطيع زارو زون داكسوس أن يَحكُم هذه المدينة، بينما لن تنفع سفينة واحدة قضيَّتنا كثيرًا».

قضمَت داني من بصلةٍ وتفكَّرت بكآبةٍ في غدر البَشر، ثم إنها قالت للسير چورا: «مررنا بالسُّوق في طريق عودتنا من قاعة الألف عرش. كويث كانت هناك»، وحكَت له عن حاوي النَّار وسُلَّم اللَّهب، وما أخبرَتها به ذات القناع الأحمر.

قال الفارس لمَّا فرغَت: «يسرُّني أن أغادر هذه المدينة إذا أردتِ الحَق، لكن ليس إلى آشاي».

- «إلى أين إذن؟».

- «الشَّرق».

- «إنني أبعدُ نِصف عالم بالفعل عن مملكتي هنا، وإذا توغَّلتُ شَرقًا أكثر، فقد لا أعثرُ على طريق العودة إلى وستروس».

- «إذا ذهبتِ غَربًا، فأنتِ تُجازِفين بحياتكِ».

- «عائلة تارجاريَن لديها أصدقاء في المُدن الحُرَّة، أصدقاء أصدق من زارو أو أنقياء الميلاد».



- «إذا كنتِ تقصدين إليريو موپاتيس، فإنني أرتابُ. سيبيعكِ إليريو كما يبيع عبدًا مقابل ما يكفي من الذَّهب».

- «أنا وأخي نزلنا ضيفين في ضيعة إليريو طيلة نِصف عام. لو كان ينوي بيعنا، لفعلَها عندئذٍ».

قال السير چورا: «لقد باعكِ بالفعل... لگال دروجو».

احتقنَ وجه داني. إنه يقول الحَق، لكن الحدَّة التي قالها بها لا تروقها. ردَّت: «إليريو حمانا من قتَلة الغاصِب، وكان مؤمنًا بقضيَّة أخي».

- «إليريو لا يُؤمِن بأيِّ قضيَّةٍ غير إليريو. الشَّرهون أناس جشعون بالضَّرورة، والماچسترات منحرفون، وإليريو موپاتيس هذا وذاك. ماذا تعرفين عنه حقًّا؟».

- «أعرفُ أنه أعطاني بيضات التَّنانين».

قال ساخرًا: «لو كان يعرف أنها ستفقس، لجثمَ عليها بنفسه».

جعلَها تعليقه تبتسم رغمًا عنها، وقالت: «أوه، لا شَكَّ لديَّ في هذا أيها الفارس. إنني أعرفُ إليريو أكثر مما تحسب. كنتُ طفلةً حين تركتُ ضيعته في پنتوس لأتزوَّج شمسي ونجومي، لكنني لم أكن عمياء أو صمَّاء، ولم أعد طفلةً».

قال الفارس بعناد: «حتى إذا كان إليريو الصَّديق الذي تعتقدينه، فهو ليس قويًّا بما فيه الكفاية لأن يُتَوِّجكِ بمفرده، تمامًا كما لم يستطِع مع أخيكِ».

- «إنه ثري. ليس فاحش الثَّراء كزارو، لكن بما يكفي لأن يستأجر لي سُفنًا ورجالًا».

قال السير چورا: «المرتزِقة لهم فوائدهم، لكنكِ لن تفوزي بعرش أبيكِ بكُناسة المُدن الحُرَّة. لا شيء يُوَحِّد مملكةً مشتَّتةً مِثل جيشٍ من الغزاة على تُرابها».

معترضةً قالت داني: «أنا ملكتهم الشَّرعيَّة!».

- «أنتِ غريبة تسعى للرَّسو على سواحلهم بجيشٍ من الأجانب الذين لا يتكلَّمون اللُّغة العاميَّة حتى. لوردات وستروس لا يعرفونكِ، ولديهم كلُّ ما



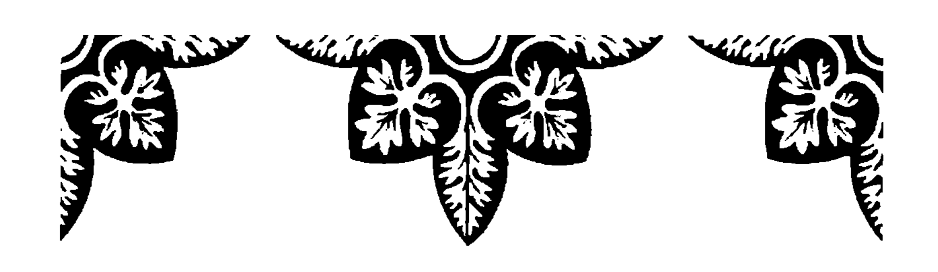
يدعوهم لأن يخافوكِ ويرتابون فيكِ. يجب أن تربحي ثقتهم قبل أن تُبحِري، بعضهم على الأقل».

- «وكيف أفعلُ ذلك إذا اتَّجهتُ شَرقًا كما تنصحني؟».

أكلَ زيتونةً وبصقَ النَّواة في راحة يده، ثم قال: «لا أدري يا جلالة الملكة، لكن ما أعرفه أنه إذا طالَ بقاؤكِ في مكانٍ واحد، فسيَسهُل على أعدائكِ العثور عليكِ. ما زال اسم تارجاريَن يُخيفهم، لدرجة أنهم أرسَلوا رجلًا يغتالكِ حين عرفوا أنكِ حبلى، فماذا سيفعلون عندما يعرفون بأمر تنانينكِ؟».

كان دروجون مكوِّرًا نفسه تحت ذراعها، ساخنًا كحجرٍ تشرَّب لهيب الشَّمس طيلة النَّهار، بينما تشاجرَ ريجال وڤسيريون على قطعةٍ لحم، يضربان بعضهما بعضًا بأجنحتهما بينما يَخرُج الدُّخان من أنفيهما. أطفالي الشَّرسون، لا يجب أن يمسَّهم ضُرٌّ أبدًا. «المذنَّب قادَني إلى كارث لسبب. كنتُ آملُ أن أجد جيشي هنا، لكن يبدو أن ذلك لن يَحدُث. أساءلُ نفسي، ما الخيار الذي تبقَّى لي؟». ولمَّا خطرَت لها الإجابة فكَّرت: إنني خائفة، لكن يجب أن أتشجَّع، ثم قالت لچورا: «عندما يأتي الغد، عليك أن تذهب إلى بيات بري».





تيريون

لم تذرف الفتاة ولو دمعة واحدة، فحتى في هذه السِّنِّ الصَّغيرة، تظلُّ مارسلا باراثيون أميرةً بالفِطرة. ذكَّر تيريون نفسه: وتنتمي لآل لانستر كذلك، على الرغم من اسمها، وفي عروقها تسري دماء چايمي قدر ما تسري دماء سرسي.

صحيحٌ أن ابتسامتها بدَت راجفةً بعض الشَّيء حين ودَّعها أخواها على سطح «مِغوار البحر»، إلَّا أن الفتاة كانت تعرف الكلمات اللَّائقة التي ينبغي ترديدها، وردَّدتها بشَجاعةٍ وكرامة، ولمَّا جاءَ وقت الرَّحيل، كان الأمير تومن هو من بكى، ومارسلا هي من واسَته.

شاهدَ تيريون الوداع من على السَّطح العالي لـ«مطرقة الملك روبرت»، السَّفينة الحربيَّة العظيمة المزوَّدة بأربعمئة مجذاف. ستقود «مطرقة روب» -كما يُسَمِّيها ملَّاحوها- القوَّة المصاحبة لمارسلا، التي تضمُّ كلًّا من «أسد النُّجوم» و«الرِّيح الجَسور» و«الليدي ليانا».

كان تيريون يَشعُر بقلقٍ عارم للاستغناء عن جزءٍ كبيرٍ من أسطولهم المحدود المستنزَف بالفعل، منذ أن خسروا كلَّ السُّفن الَّتي أبحرَت مع اللورد ستانيس إلى دراجونستون ولم تَعُد، لكن سرسي لم تقبلْ بأقلٍّ من هذا على الإطلاق، ولعلَّ رأيها رشيد حقًّا، فلو سقطَت الفتاة في الأسر قبلما تَبلُغ صنسپير، فسينهار التَّحالُف الدورني تمامًا. حتى الآن لم يفعل دوران مارتل أكثر من استدعاء راياته، وبمجرَّد أن تصل مارسلا إلى براڤوس، سيُنَفِّذ تعهُّده بتحريك قوَّاته إلى الممرَّات العالية، حيث يُمكن أن يجعل التَّهديد بعض



لوردات تُخوم دورن يُعيدون التَّفكير في موضع ولائهم، ويجعل ستانيس يتردَّد في الزَّحف شَمالًا. على أن هذا مجرَّد تمويه، فآل مارتل لن يَدخُلوا المعركة فعلًا ما لم تتعرَّض دورن نفسها للهجوم، وستانيسٍ ليس بتلك الحماقة. لكن بعض حمَلة رايته قد يكونون كذلك. عليَّ أن أفكِّر في هذا.

تنحنحَ وقال: «تعرف أوامرك أيها الرُّبَّان».

- «نعم يا سيِّدي. سنُبحِر بمحاذاة السَّاحل، بحيث تظلُّ اليابسة على مرأى منا دائمًا، إلى أن نَبلُغ «الرَّأس المتصدِّع»، ومن هناك نَمخُر البحر الضيِّق إلى براڤوس، دون أن ندنو من دراجونستون أبدًا».

- «وفي حال لاقاكم أعداؤنا مصادفةً؟».

- «إذا كانت سفينةً واحدةً، سنُعَطِّلها أو نُدَمِّرها، وإذا كان العدد أكبر، ستظلُّ «الرِّيح الجَسور» ملازمةً «مِغوار البحر» لتحميها، بينما يخوض باقي الأسطولِ المعركة».

أومأ تيريون برأسه. في أسوأ الأحوال، فمن شأن «مِغوار البحر» أن تفرَّ من المطارَدة، بما أنها سفينة صغيرة الحجم ذات أشرعةٍ كبيرة، ما يعني أنها أسرع من أيِّ سفينةٍ حربيَّة على سطح الماء، أو أن هذا ما يدَّعيه رُبَّانها. من المفترَض أن تُصبِح مارسلا آمنةً فور أن تَبلُغ براڤوس، فقد كلَّف تيريون السير آريس أوكهارت بأن يكون حارسها الشَّخصي، واتَّفق مع البراڤوسيِّين على أن يصحبوها بقيَّة الطَّريق إلى صنسپير، فحتى اللورد ستانيس نفسه سيتردَّد في إشعال غضبة أعظم المُدن الحُرَّة وأقواها. بالطَّبع ليس السَّفر من كينجز لاندنج إلى دورن عن طريق براڤوس أكثر السُّبل مباشَرةً، لكنه الأكثر أمانًا... أو أن هذا ما يأمله.

إذا علمَ اللورد ستانيس بهذه الرِّحلة، فلن يجد وقتًا أفضل من هذا لأن يُبحِر أسطوله ضدنا. ألقى تيريون نظرةً وراءه، حيث يصبُّ النَّهر في الخليج الأسود، وأراحَه أنه لم يرَ أثرًا لأيِّ أشرعةٍ في الأفق الأخضر الواسع. تقول آخِر إفادةٍ إن أسطول باراثيون لا يزال راسيًا عند ستورمز إند، حيث يُواصِل السير كورتناي پنروز -باسم رنلي- تحدِّي من يُحاصِرونه، وفي تلك الأثناء ها قد اكتملَ بناء ثلاثة أرباع بُرجيِّ الأوناش اللذين أمرَ تيريون ببنائهما، وفي هذه



اللَّحظة بالذَّات يظلُّ الرِّجال يرفعون قوالب الحجارة الثَّقيلة، لاعنين إياه بلا شَكٍّ لجعلهم يعملون أثناء الاحتفالات، ودَعهم يلعَنوه كما شاءوا. أسبوعان آخَران فقط يا ستانيس، هذا كلُّ ما أحتاجه، أسبوعان آخَران وأنتهي.

شاهدَ تيريون ابنة أخته تركع أمام السِّبتون الأعلى لتتلقَّى البَركة من أجل رحلتها، وقد تشرَّب تاجه البلَّوري نور الشَّمس وصبَّه في صورة أقواس قزحٍ على وجه مارسلا المرفوع، وإن جعلَت الضَّوضاء القادمة من ضفَّة النَّهر سماع الصَّلوات مستحيلًا، فتمنَّى تيريون أن يكون سمعُ الآلهة أكثر حدَّةً. السِّبتون الأعلى شديد البدانة، وأكثر خيلاءً وإسهابًا في الكلام من پايسل نفسه، حتى أن تيريون فكَّر بضيق: كفى أيها العجوز، فلننتهِ. الآلهة لديها أشياء تفعلها أفضل من الإصغاء إليك، وأنا أيضًا.

عندما انتهَت الثَّرثرة أخيرًا، ودَّع تيريون رُبَّان «مطرقة روب»، ووعدَه بقوله: «أوصِل ابنة أختي سالمةً إلى براڤوس، وحين عودتك ستجد فروسيَّةً في انتظارك».

أحسَّ تيريون بالعيون القاسية المسلَّطة عليه وهو ينزل لوح العبور إلى الرَّصيف. كان القادس يتمايَل برفق، فجعلَته الحركة تحت قدميه يتمايَل أكثر بدوره. أراهنُ أنهم يتحرَّقون شوقًا لأن يضحكوا مستهزئين. لكن أحدًا لم يجرؤ، ليس على الملأ على الأقل، وإن سمعَ تيريون همهماتٍ هنا وهناك ممتزجةً بصرير الخشب والحبال وتكسُّر مياه النَّهر حول دعائم الرَّصيف. إنهم لا يُحِبُّونني، ولا عجب، فأنا حسن التَّغذية وقبيح، بينما يتضوَّرون هُم جوعًا.

رافقَه برون وسط الزِّحام وهو ينضمُّ إلى شقيقته وابنيها، وتجاهلَته سرسي مفضِّلةً أن تَنثُر ابتساماتها بغزارةٍ على ابن عمِّهما. رآها تفتن لانسل بعينين بخُضرة طوق الزمرُّد المحيط بعُنقها الأبيض الرَّفيع، وابتسمَ لنفسه ابتسامةً خبيثةً. أعرفُ سِرَّكِ يا سرسي. في الآونة الأخيرة تزور أخته السِّبتون الأعلى بكثرة، تَطلُب أن تنزل عليهم بَركة الآلهة في صِدامهم المقبل مع اللورد ستانيس... أو أن هذا ما تُريد أن يُصَدِّقه تيريون، بينما الحقيقة أن زيارات سرسي سِپت بيلور الكبير مقتضبة دائمًا، وبَعدها ترتدي معطف مسافرين



بنِّيًّا تقليديًّا، وتذهب خلسةً للقاء فارسٍ متجوِّلٍ معيَّن يحمل الاسم المزري أوزموند كِتلبلاك، مع أخويه أوزني وأوزفريد اللذين يُضاهِيان شخصيَّتَه البغيضة. أخبرَه لانسل بكلِّ شيءٍ عنهما، وبأن سرسي تُريد استغلال الإخوة كِتلبلاك لشراء قوَّتها الخاصَّة من المرتزِقة.

حسنٌ، دَعها تستمتع بمؤامراتها. إنها أعذب كثيرًا حين تتصوَّر أنها تفوقه دهاءً. سيُغريها الإخوة كِتلبلاك بالكلام ويأخذون مالها ويعدونها بأيِّ شيءٍ تَطلُبه، ولِمَ لا وبرون يدفع لهم ما تدفعه من عُملاتٍ نُحاسيَّةٍ قطعةً قطعة؟ ثلاثتهم متشرِّد ودود الأسلوب، وإن كان الأخوة متمرِّسون في فنون الخداع أكثر من سفك الدِّماء بمراحل. كلُّ ما فعلَته سرسي أنها اشترَت ثلاث طبولٍ فارغة تُصدِر كلَّ ما تتطلَّبه من جعجعةٍ صاخبة، أمَّا من الدَّاخل فهي فارغة تمامًا، الشَّيء الذي أثار استمتاع تيريون لأقصى درجة.

أطلقَت الأبواق نفيرها مع تحرُّك «أسد النُّجوم» و«الليدي ليانا» من الشَّاطئ في اتِّجاه مصبِّ النَّهر، لإخلاء الطَّريق لـ«مِغوار البحر»، وارتفعَت بضع هتافاتٍ من الجمهور المحتشد على الضَّفتين، خفيفةً متباعدةً كالسَّحاب المتناثر في السَّماء. ابتسمَت مارسلا ولوَّحت بيدها مودِّعةً من على سطح سفينتها، وخلفها وقفَ السير آريس أوكهارت ومعطفه الأبيض يُرَفرِف. أمرَ الرُّبَّان بإلقاء أثقال السَّفينة، ودفعَت المجاذيف «مِغوار البحر» إلى تيَّار النَّهر الأسود الشَّديد، حيث ارتفعَت أشرعتها ونفخَتها الرِّيح... تلك الأشرعة البيضاء التَّقليديَّة طِبقًا لأوامر تيريون، لا أشرعة لانستر القرمزيَّة. انتحبَ الأمير تومن، فقال له أخوه بصوتٍ كالفحيح: «إنك تموء كهرَّةٍ رضيعة. ليس من اللَّائق أن يبكي الأمراء».

قالت سانزا ستارك: «الأمير إيمون الفارس التنِّين بكى يوم زُفَّت الأميرة نييرس إلى أخيه إجون، والتَّوأمان السير آريك والسير إريك ماتا ودموعهما على وجهيهما بَعد أن أصابَ كلٌّ منهما الثَّاني بجرحٍ مميت».

قال چوفري لخطيبته: «صمتًا وإلَّا جعلتُ السير مرين يُصيبكِ أنتِ بجرحٍ مميت»، فنظرَ تيريون إلى أخته، لكنه وجدَ سرسي مستغرقةً في شيءٍ ما يقولَه لها السير بالون سوان، فتساءلَ في أعماقه: أهي معميَّة عن حقيقته لهذا الحَد؟



غمسَت «الرِّيح الجَسور» مجاذيفها في النَّهر وتحرَّكت في اتِّجاه مصبِّه وراء «مِغوار البحر»، وأخيرًا أبحرَت «مطرقة الملك روبرت»، مفخرة الأسطول الملكي... أو على الأقل الجزء الذي لم يهرب إلى دراجونستون العام الماضي مع ستانيس. لقد انتقى تيريون السُّفن بعناية، متحاشيًا كلَّ سفينةٍ في ولاء رُبَّانها شَك، طِبقًا لتقارير ڤارس... لكن بما أن ولاء ڤارس نفسه محلُّ شَك، فقد ظَلَّ تيريون يَشعُر بشيءٍ من الخشية. إنني أعتمدُ على ڤارس أكثر من اللَّازم، وأحتاجُ أن يكون لي جواسيسي أنا، مع أني لن أثق بهم كذلك. الثِّقه تقود المرء إلى حتفه.

عادَ يتساءَل عن الإصبع الصَّغير، فلم تصل أيُّ أخبارٍ من پيتر بايلش منذ ذهبَ إلى «جسر العلقم». قد لا يعني هذا شيئًا... أو يعني كلَّ شيء، فحتى ڤارس لا يدري، وخمَّن أن من الوارد أن مكروهًا ما أصابَ الإصبع الصَّغير على الطَّريق، وربما يكون قد قُتِلَ حتى، فأطلقَ تيريون نخيرًا ساخرًا حينها، وقال: «لو ماتَ الإصبع الصَّغير، فأنا عملاق!». الاحتمال الأرجح أن آل تايرل يُناهِضون عرض الزَّواج، ولا يستطيع تيريون أن يلومهم على هذا. لو كنتُ مايس تايرل، لآثرتُ أن يوضَع رأس چوفري على خازوق على أن يولج قضيبه في ابنتي.

كان الأسطول الصَّغير قد ابتعدَ في الخليج، عندما أعلنَت سِرسي أن وقت الذَّهاب قد حانَ، فأحضرَ برون حصان تيريون وساعدَه على امتطائه، ما يُعَدُّ واجب پودريك پاين عادةً، لكنهم تركوا پود في القلعة الحمراء، فوجود المرتزِق النَّاحل مُطَمْئِن أكثر بكثير من الصَّبي.

اصطفَّ رجال حَرس المدينة في الشَّوارع الضيِّقة، يدفعون الجماهير إلى الوراء برماحهم، فيما تقدَّم السير چاسلين بايووتر الموكب، على رأس حاجزٍ بَشريٍّ من الخيَّالة حاملي الرِّماح الذين يرتدون الحلقات المعدنيَّة السَّوداء والمعاطف الذَّهبيَّة، ومن ورائه حملَ السير أرون سانتاجار والسير بالون سوان رايتيَّ الملك، أسد لانستر ووعل باراثيون المتوَّج.

تبعَهم الملك چوفري على صهوة حصانٍ رماديٍّ طويل، وقد استقرَّ تاج من ذهبٍ على شَعره الذَّهبي، بينما امتطَت سانزا ستارك فَرسًا بلون الكستناء



إلى جواره، دون أن تَنظُر يَمينًا أو شِمالًا، ينسدل شَعرها الكستنائي الكثيف على كتفيها تحت شبكةٍ من أحجار القمر. حاذى اثنان من الحَرس الملكي الخطيبين من الجانبين، كلب الصَّيد على يمين الملك، والسير ماندون مور على يسار ابنة ستارك.

بَعدهم جاءَ تومن يتنشَّق، ومعه السير پرستون جرينفيلد في دِرعه ومعطفه الأبيضين، ثم سرسي في رِفقة السير لانسل وحماية مرين ترانت وبوروس بلاونت. انضمَّ تيريون إلى أخته، وتبعَهما السِّپتون الأعلى على نقَّالته، وفي أعقابه صَفٌّ طويل من أفراد الحاشية؛ السير هوراس ردواين والليدي تاندا وابنتها وچالابار شو واللورد جايلز روزبي والآخَرون، فيما تولَّى طابور مزدوج من الحَرس حماية المؤخِّرة.

حدَّق ذوو اللِّحى المشعثة والأجساد القذرة في الموكب بسُخطٍ فاترٍ من وراء صفوف الرِّماح، ففكَّر تيريون: هذا المنظر لا يروقني مقدار ذرَّة. كان برون قد وزَّع عِشرين مرتزِق وسط الجموع، مع أمرٍ بمنع أيِّ مشكلةٍ قبل أن تبدأ، ولعلَّ سرسي وزَّعت مرتزِقة الإخوة كِتلبلاك على النَّحو نفسه، لكن بشكلٍ ما لم يحسب تيريون أن يصنع ذلك فارقًا كبيرًا. إذا كانت النَّار شديدة الحرارة، فلا يُمكنك أن تحول دون احتراق الحلوى بإلقاء حفنةٍ من الزَّبيب في القِدر.

عبَروا ميدان السمَّاكين وقطَعوا الدَّرب الموحل، قبل أن ينعَطفوا إلى الشَّارع الضيِّق المنحني المسمَّى «الخُطَّاف»، ليبدأوا صعود تَلِّ إجون العالي، وارتفعَت أصوات تهتف: «جوفري! التَّحيات! التَّحيات!» مع مرور الملك الصَّغير، لكن مقابل كلِّ فردٍ أطلقَ هتافًا، لاذَ مئة بصمتهم. خاضَ أولاد لانستر بحرًا من الرِّجال رَثِّي الثِّياب والنِّساء الجائعات، يُقاوِمون مَدًّا من النَّظرات العابسة. أمام تيريون مباشرةً كانت سرسي تضحك لشيءٍ ما قاله لانسل، وإن أحسَّ بأن مرحها مصطنَع، فليس ممكنًا أنها غافلة عن الاضطراب المحيط بهم، لكن أخته تُؤمِن دائمًا بوضع قناع الشَّجاعة.

في منتصَف الطَّريق دسَّت امرأة تُوَلوِل نفسها بين حارسين، وتملَّصت منهما وجرَت إلى الشَّارع أمام الملك ومُرافِقيه، رافعةً جثَّة رضيعها فوق



رأسها، جثَّةً منتفخةً مزرقَّةً بشعة المنظر، لكن الرُّعب الحقيقي كان نظرة عيني الأُم. بدا چوفري لحظةً كأنه سيدهسها بحصانه، إلَّا أن سانزا ستارك مالَت عليه وقالت له شيئًا، فبحثَ الملك في كيس نقوده وألقى للمرأة أيلًا فضِّيًّا، فقط لترتدَّ قطعة العُملة عن الطِّفل الميت وتتدحرَج تحت أرجُل ذوي المعاطف الذَّهبيَّة ثم المتزاحمين الذين بدأ بعضهم يقتَتِل للوصول إليها، أمَّا الأمُّ فلم يَطرُف لها جفن، وقد ارتعشَت ذراعاها النَّحيلتان تحت وزن ابنها الميت.

نادَت سرسي ابنها قائلةً: «اترُكها يا جلالة الملك. ليس في مقدورنا مساعَدة المسكينة».

وسمعَتها الأمُّ. بوسيلةٍ ما نفذَ صوت الملكة إلى عقل المرأة الخَرِب، فانقلبَت سحنتها الجامدة إلى تعبير مقتٍ خالص، وصرخَت: «**عاهرة! عاهرة قاتِل الملك! ناكحة أخيها!**»، وسقطَ طفلها الميت من يديها كجوال دقيق إذ أشارَت إلى سرسي وواصلَت صراخها: «**ناكحة أخيها ناكحة أخيها!**».

لم يرَ تيريون مَن ألقى قطعة الرَّوث، فقط سمعَ شهقة سانزا وسباب چوفري المدوِّي، وحين أدارَ رأسه، كان الملك يمسح عن وجنته القذارة البنِّيَّة، التي التصقَ المزيد منها بشَعره الذَّهبي ولطَّخ ساقي سانزا. صرخَ چوفري: «من ألقى هذا؟»، ودفعَ أصابعه بين خصلات شَعره واشتعلَت ملامحه غضبًا وهو يرمي قبضةً أخرى من الرَّوث ثم يزعق: «أريدُ من ألقى هذا! مئة تنِّينٍ ذهبي لمن يدلُّني عليه!».

صاحَ أحدهم من وسط الجموع: «كان على هذا السَّطح!»، فدارَ الملك بحصانه ليمسح بعينيه أسطُح البيوت والشُّرفات المفتوحة، وفي الزِّحام كان النَّاس يُشيرون ويتدافَعون ويشتمون بعضهم بعضًا والملك.

قالت سانزا بتوسُّل: «أرجوك يا جلالة الملك، دَعه يذهب».

تجاهَلها چوفري، وصاحَ: «اجلِبوا لي الرَّجل الذي ألقى هذه القذارة! سيُنَظِّفها بلسانه وإلَّا قطعتُ رأسه! أيها الكلب، أحضِره إليَّ هنا!».

أطاعَ ساندور كليجاين الأمر ونزلَ من فوق سَرجه، لكن بلا سبيلٍ



لاختراق حائط اللَّحم البَشري، ناهيك بالوصول إلى السَّطح، وبدأ الأقرب إليه يتملَّصون ويتدافَعون مبتعدين، بينما تقدَّم آخَرون راغبين في أن يتفرَّجوا، واشتمَّ تيريون رائحة كارثةٍ قادمة، فقال: «كليجاين، انسَ الأمر، الرَّجل فَرَّ بالفعل».

عادَ چوفري يصيح مشيرًا إلى السَّطح: «أريده! كان هناك! أيها الكلب، اضربهم بسيفك وأحضِر...».

أغرقَت موجة من الهياجِ بقيَّة عبارته، هدير محمَّل بالغضب والخوف والكراهية اجتاحَهم من كلِّ حدبٍ وصوب، وصرخَ واحد من النَّاس في چوفري: «**نغل! وحش نغل!**»، بينما ألقَت أصوات أخرى الملكة بهتافات «**عاهرة!**» و«**ناكحة أخيها!**»، ورجمَت تيريون صيحات «**مسخ!**» و«**نِصف رجل!**»، وبالشَّتائم امتزجَت هتافات «**العدالة!**» و«**روب! الملك روب! الذِّئب الصَّغير!**» و«**ستانيس!**» وحتى«**رنلي!**». من جانبيِّ الشَّارع انقضَّ النَّاس على مقابض الرِّماح، فيما كافحَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة للحفاظ على تماسُك صفوفهم، وتطايرَت الحجارة والرَّوث وما هو أسوأ فوق الرُّؤوس. صرخَت امرأة: «**أطعِمونا!**»، ودوَّى رجل من ورائها: «**الخُبز! نُريد خُبزًا أيها النَّغل!**»، وفي غمضة عينٍ ارتفعَ ألف صوتٍ بالنِّداء، ونُسِيَ الملك چوفري والملك روب والملك ستانيس، وأصبحَ الملك خُبز صاحب الجلالة الوحيد: «**الخُبز! الخُبز! الخُبز!**».

همزَ تيريون حصانه واندفعَ إلى جانب أخته زاعقًا: «إلى القلعة حالًا!»، فهزَّت سرسي رأسها باقتضابٍ واستلَّ السير لانسل سيفه. أمام الموكب كان السير چاسلين بايووتر يصيح بالأوامر، فوجَّه رجاله رماحهم وتقدَّموا في تشكيلٍ مثلَّث، بينما راحَ الملك يدور بحصانه بتوتُّرٍ إذ تجاوزَت الأيدي صَفَّ ذوي المعاطف الذَّهبيَّة ممتدَّةً نحوه، واستطاعَت إحداها أن تُطبِق على ساقه، لكن مدَّة ثانيةٍ لا أكثر، هوى بَعدها سيف السير ماندون مور مفرِّقًا بين اليد والمعصم. صاحَ تيريون في ابن أخته: «اذهب!»، وهوى على كفل حصانة بكَفِّه، فرفعَ الحيوان قائمتيه الأماميَّتين وأطلقَ صهيلًا عاليًا، قبل أن يندفع بسرعةٍ يخترق الزِّحام.



هرعَ تيريون في أعقاب الملك، ولازمَه برون وسيفه في يده. طارَت صخرة محزَّزة مارَّةً برأسه، بينما انفجرَت ثمرة كرنب عفنة على تُرس السير ماندون، وإلى يسارهم سقطَ ثلاثة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة تحت أقدام الثَّائرين، وفي اللَّحظة التَّالية كان النَّاس يندفعون إلى الأمام واطئين مَن سقطوا. اختفى كلب الصَّيد وراءهم، وإن ظَلَّ حصانه يعدو إلى جوارهم، ورأى تيريون أرون سانتاجار يُشَدُّ من فوق حصانه وقد انتُزِعَت راية وعل باراثيون المتوَّج من قبضته، أمَّا السير بالون سوان فأسقطَ أَسد لانستر من تلقاء نفسه، وسحبَ سيفه الطَّويل وهوى به يمينًا ويسارًا، بينما تمزَّقت الرَّاية السَّاقطة ودارَت الإرب التي صارَتها في الهواء كورق شجرٍ قرمزي في ريحٍ عاصفة، ثم اختفَت بَعد لحظة. وجدَ أحدهم نفسه أمام حصان الملك، وصرخَ وچوفري يدهسه، ولا يدري تيريون إن كان رجلًا أم امرأةً أم طفلًا. كان چوفري ينطلق إلى جانبه بوجهٍ ممتقع، وإلى يساره السير ماندون مور كظِلٍّ أبيض.

وفجأةً أضحى الجنون وراءهم ووجدوا أنفسهم ينطلقون على الأرض المعبَّدة بالحصى في الميدان المواجِه لحصن القلعة الأمامي، وقد وقفَ صَفٌّ من حاملي الحراب أمام البوَّابة. دارَ السير چاسلين برجاله نحو الشَّارع استعدادًا لهجوم آخَر، بينما انزاحَت الحراب ليَدخُل الملك ومن معه من تحت الشَّبكة الحَديديَّة، وارتفعَت الأسوار الحمراء الباهتة من حولهم عاليةً على نحوٍ يُطَمئِن وتعجُّ بالرُّماة.

لا يتذكَّر تيريون أنه ترجَّل. كان السير ماندون يُساعِد الملك الرَّاجف على النُّزول عن حصانه، عندما دخلَت سرسي وتومن ولانسل من البوَّابة ومن ورائهما السير بوروس والسير مرين، وقد تخضَّب سيف بوروس بالدِّماء، بينما انتُزِعَ معطف مرين الأبيض من على ظَهره، ثم دخلَ السير بالون سوان بلا خوذة، وقد أغرقَت الرَّغوة حصانه[1] الذي راحَ ينزف من فمه، وجاءَ هوراس ردواين بالليدي تاندا التي طارَت نفسها شعاعًا من الخوف على

(1) عندما تعرق الخيول نتيجةً للمجهود الشَّديد، تَخرُج من مسامِّها مادَّة رغويَّة يتسبَّب بروتين معيَّن في إفرازها.



ابنتها لوليس، التي سقطَت من فوق سَرجها وتُركَت وسط الحشود، وبوجهٍ مربدٍّ كثيرًا عن المعتاد حكى اللورد جايلز أنه رأى السِّپتون الأعلى يُلقى من نقَّالته وهو يَصرُخ بالصَّلوات بينما اكتسحَته الجموع، فقال چالابار شو إنه يحسب أنه رأى السير پرستون جرينفيلد فارس الحَرس الملكي يعود بحصانه إلى نقَّالة السِّپتون الأعلى المقلوبة، وإن لم يكن واثقًا تمامًا.

بإدراكٍ واهٍ سمعَ تيريون مِايسترًا يسأله إن كان مصابًا، قبل أن يشقَّ طريقه عبر السَّاحة إلى حيث يقف ابن أخته وقد مالَ تاجه الملوَّث بالرَّوث على رأسه، وأخذَ چوفري يُجَعجِع بانفعال: «خونة! سأطيحُ برؤوسهم، سـ...».

وطيَّرت صفعة القزم العاتية التَّاج من فوق رأسه، قبل أن يدفعه بكلتا يديه فيرتمي أرضًا بعُنف، ويَصرُخ فيه: «يا لك من أحمق أعمى!».

ولولَ چوفري من على الأرض: «كانوا خونةً! شتَموني وهاجَموني!».

- «**لقد أطلقت كلبك عليهم!** ماذا كنت تحسبهم سيفعلون؟ يركعون بخنوع بينما يَبتُر كلب الصَّيد أطرافهم؟ أيها الصَّبي المدلَّل الأبله، لقد قتلت كليجاين، والآلهة تعلم كم غيره، ومع ذلك لا يُصيبك خدش واحد. **عليك اللعنة!**»، وركلَه تيريون، وأشعرَته الرَّكلة بنشوةٍ بالغة حتى إنه كان ليفعل ما هو أكثر، غير أن السير ماندون مور سحبَه بعيدًا وچوفري يعوي ألمًا، وبَعدها بلحظةٍ كان برون يجذبه إليه. مالت سرسي فوق ابنها، بينما كبحَ السير بالون سوان لانسل، أمَّا تيريون فتملَّص من قبضة برون، وصاحَ دون أن يُوَجِّه كلامه إلى أحدٍ بعينه ولكن لهم جميعًا: «كم تبقَّوا في الخارج؟».

صاحَت الليدي تاندا: «ابنتي، أرجوكم، يجب أن يعود أحد ليجد لوليس...».

وقال السير بوروس بلاونت: «السير پرستون لم يَعُد، ولا أرون سانتاجار».

أضافَ هوراس ردواين: «ولا المُرضِعة»، قاصدًا تايرك لانستر الذي ألصقَ به مُرافِقو الفُرسان الآخَرون اللَّقب السَّاخر.

جاسَ تيريون بناظريه في السَّاحة متسائلًا: «أين ابنة ستارك؟».

مرَّت وهلة دون أن يُجيب أحد، ثم قال چوفري: «كانت راكبةً إلى جواري. لا أدري أين ذهبَت».



ضغطَ تيريون صُدغيه بأصابع متبلِّدة الإحساس. إذا مَسَّ سانزا ستارك سوء، فچايمي ميِّت لا محالة. «سير ماندون، كنت أنت حارسها».

لم يبدُ أيُّ اضطراب على السير ماندون مور وهو يردُّ: «عندما تجمهَروا على كلب الصَّيد، فكَّرتُ في الملك أولًا».

علَّقت سرسي: «ومعه حَق»، ثم قالت: «بوروس، مرين، عودا واعثُرا على الفتاة».

قالت الليدي تاندا منتحبةً: «وابنتي. أرجوكما أيها الفارسان...».

لم يبدُ السير بوروس مسرورًا بفكرة الخروج من أمان القلعة، وقال لسرسي: «جلالة الملكة، قد يُغضِب منظر المعاطف البيضاء الرَّعاع».

كان تيريون قد هضمَ كلَّ ما يقدر عليه، فانفجرَ صائحًا: «فليأخذ «الآخَرون» معاطفكم البيضاء اللَّعينة! اخلعا معطفيكما إذا كنتما خائفين من ارتدائهما أيها الأبله... لكن اعثُرا على سانزا ستارك، وإلَّا أقسمُ أن آمر شاجا بأن يقسم رأسك القبيح هذا إلى نِصفين، لأرى إن كان يحوي شيئًا غير الوحل الأسود!».

احتقنَ وجه السير بوروس حنقًا، وقال: «أنت تنعتني بالقُبح؟ أنت؟»، وبدأ يرفع سيفه الدَّامي الذي يُمسِكه بقبضته المكسوَّة بالحلقات المعدنيَّة، فدفعَ برون تيريون وراءه بفظاظة، أمَّا سرسي فقالت بحدَّة: «كفى! بوروس، ستفعل كما تؤمَر، وإلَّا سنجد أحدًا آخَر يرتدي هذا المعطف. إن قَسمك...».

قاطعَتها صيحة چوفري: «ها هي ذي!».

دخلَ ساندور كليجاين من البوَّابة مندفعًا بفَرس سانزا الكستنائيَّة، بينما ركبَت الفتاة وراءه مطوِّقةً صدره بذراعيها.

ناداها تيريون: «هل أصابكِ سوء يا ليدي سانزا؟».

قالت والدَّم يَقطُر على جبهتها من جرح عميق في فروة رأسها: «كانوا... كانوا يقذفون أشياء... صخورًا وقاذورات وبيضًا... حاولتُ أن أقول لهم إن لا خُبز معي أعطيهم إياه. جذبَني رجل من فوق حصاني، وقتلَه كلب الصَّيد... أظنُّ... ذراعه...»، واتَّسعت عيناها ووضعَت يدها على فمها مكملةً: «لقد قطعَ ذراعه».



رفعَها كليجاين وأنزلَها. كان معطفه الأبيض مهلهلًا ملوَّثًا، وسالَ الدَّم من مزقٍ تحت كمِّه الأيسر، لكنه قال: «الطَّائر الصَّغير تنزف. فليأخذها أحد إلى قفصها ويُداوي هذا الجرح»، فتقدَّم المِايستر فرنكن يُلَبِّي، بينما واصلَ كلب الصَّيد: «لقد قتَلوا سانتاجار. أربعة رجالٍ ثبَّتوه على الأرض وتبادَلوا تهشيم رأسه بقالبِ حجري. بقرتُ بطن أحدهم، وإن لم ينفع هذا السير أرون كثيرًا».

دنَت منه الليدي تاندا قائلةً: «ابنتي...».

- «لم أرها»، وتطلَّع كلب الصَّيد عبر السَّاحة مقطِّبًا وجهه، وقال: «أين حصاني؟ إذا حدثَ شيء لهذا الحصان، فسيدفع أحدهم الثَّمن».

أجابَه تيريون: «كان يجري إلى جوارنا فترةً، لكن لا أدري ماذا حدثَ له بَعدها».

- «حريق!». جاءَت الصَّرخة من أعلى الحصن الأمامي، وصاحَ فيهم الجُندي: «أيها السَّادة، هناك دُخان في المدينة. «جُحر البراغيث» يحترق».

كان تيريون منهكًا لأقصى درجة، لكن لا وقت الآن لليأس، فقال: «برون، خُذ كلَّ من تحتاج من رجال، واحرِص على ألَّا يتعرَّض أحد لعربات الماء». يا للآلهة، النَّار الشَّعواء، إذا طالَتها شرارة واحدة... «فلنفقد «جُحر البراغيث» كله، لكن إياك أن تَبلُغ النَّار مقرَّ رابطة الخيميائيِّين، مفهوم؟ كليجاين، ستذهب معه».

حسبَ تيريون لحظةً وجيزةً أنه لمحَ الخوف في عيني كلب الصَّيد الدَّاكنتين، فقال لنفسه منتبهًا: النَّار. فليأخذني «الآخَرون»، إنه يهاب النَّار بالطَّبع، فقد عرفَ مذاقها جيِّدًا. لكن الخوف لم يكد يلوح حتى غابَ، وحلَّت محلَّه نظرة كليجاين العابسة المألوفة وهو يقول: «سأذهبُ، وإن لم يكن بأمرك. يجب أن أعثر على حصاني».

التفتَ تيريون إلى فُرسان الحَرس الملكي الثَّلاثة المتبقِّين، وقال لهم: «سيَخرُج كلٌّ منكم مُرافِقًا أحد الحُجَّاب. مُروا النَّاس بالعودة إلى بيوتهم. كلُّ من يوجَد في الشَّوارع بَعد آخِر رنَّةٍ من جرس المساء سيُقتَل».

قال السير مرين معترضًا: «مكاننا إلى جوار الملك».



انتصبَ ظَهر سرسي كالأفعى إذ قالت: «مكانكم حيثما أمرَكم أخي. اليد يتكلَّم بصوت الملك، والعصيان خيانة».

تبادلَ بوروس ومرين نظرةً، ثم سألَ الأول: «هل نرتدي معطفينا يا جلالة الملكة؟».

- «اذهبا عاريين إذا أردتما. قد يُذَكِّر هذا الغوغاء بأنكما رجلان، فلا بُدَّ أنهم نسوا بَعدما رأوا كيف تصرَّفتم في الشَّارع».

ابتعدَ تيريون تاركًا ثورة أخته تشتعل بينما يضرب الصُّداع رأسه بالمطارق، وخطرَ له أنه يشمُّ دُخانًا، وإن كانت غالبًا رائحة أعصابه المحترقة. كان اثنان من الغِربان الحجريَّة يَحرُسان باب بُرج الملك، فقال لهما: «اعثُرا على تيميت بن تيميت».

أجابَه أحد الهمجيَّين بتبجُّح: «الغِربان الحجريَّة لا يذهبون للبحث عن الرِّجال المحروقين».

كان تيريون قد نسيَ لحظةً مع من يتعامَل، فقال: «اعثُرا على شاجا إذن».

- «شاجا نائم».

قال ضاغطًا على حروفه وهو يستجمع طاقته كلها كي لا ينفجر صارخًا: «أيقِظه».

رَدَّ الرَّجل: «إيقاظ شاجا بن دولف ليس سهلًا، فغضبته مخيفة»، ثم انصرفَ متذمِّرًا.

وبَعد قليلٍ دخلَ عليه رجل القبائل يتثائب ويحكُّ جسده، فقال له تيريون: «نِصف المدينة في شغب والنِّصف الآخَر يحترق، وشاجا يغطُّ في النَّوم».

- «شاجا لا يحبُّ مياهكم الموحلة، وعليه أن يشرب مِزركم الضَّعيف ونبيذكم المُرَّ، ثم يُصيبه الصُّداع».

- «شِاي في إيوان بالقُرب من بوَّابة الحديد. أريدك أن تذهب إليها وتحميها مهما حدثَ».

ابتسمَ الرَّجل الضَّخم لتَبرُز أسنانه كشِقٍّ أصفر في لحيته الكثيفة المشعثة، وقال: «شاجا سيُحضِرها إلى هنا».



- «احرِصْ على ألَّا يقع لها أذى لا أكثر، وقُل لها إنني سأذهبُ إليها فور ما أستطيعُ، اللَّيلة ربما، أو غدًا بالتَّأكيد».

لكن مع حلول المساء كانت المدينة لا تزال تموج بالاضطراب، وإن عادَ برون وأبلغَه أن الحرائق أُخمِدَت، وأن أغلب الدَّهماء تفرَّقوا. بقَدر اشتياق تيريون إلى أحضان شِاي، فلا سبيل للذَّهاب إليها اللَّيلة.

جاءَه السير چاسلين بايووتر بفاتورة الجزَّار وهو يتناوَل عَشاءً من لحم الدِّيك البارد والخُبز الأسمر في غُرفته الشَّمسيَّة المعتمة. كان الغَسق قد استحالَ ظلامًا كاملًا، لكن عندما أتى خدمه يُشعِلون شمعه ونارًا في المستوقَد، هدرَ تيريون في وجوههم، فهرعوا من المكان مولِّين الأدبار. كان في مزاجٍ أسود كغُرفته، وما قاله بايووتر لم يُساعِد على تحسينه ذرَّةً.

السِّپتون الأعلى تصدَّر لائحة القتلى، وقد مُزِّقَ جسده تمزيقًا وهو يَصرُخ لآلهته طالبًا الرَّحمة. الجوعى لا ينظُرون بعين العطف لرجل دينٍ أسمن من أن يمشي.

السير پرستون لم يتعرَّفوا جثَّته في البداية، فذوو المعاطف الذَّهبيَّة كانوا يبحثون عن فارسٍ يرتدي دِرعًا بيضاء، وقد طُعِنَ الرَّجل وشُجَّ لحمه بوحشيَّةٍ أغرقَته بالأحمر والبنِّي من رأسه إلى قدميه.

السير أرون سانتاجار عُثِرَ عليه في زُقاق، برأسٍ تحوَّل إلى عجينٍ داخل خوذته المهشَّمة.

ابنة الليدي تاندا سلَّمت بكارتها لنِصفمئةٍ من الرِّجال الصَّارخين وراء محلٍّ صباغة، ووجدَها ذوو المعاطف الذَّهبيَّة تهيم عاريةً في شارع الشَّحم.

تايرك لا يزال مفقودًا، مثله مِثل تاج السِّپتون الأعلى البلَّوري، بينما قُتِلَ تسعة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة وجُرِحَ أربعون، أمَّا الغوغاء فلم يُجَشِّم أحد نفسه عناء عَدِّ موتاهم.

قال تيريون باقتضاب عندما فرغَ بايووتر: «أريدُ العثور على تايرك حيًّا أو ميتًا. إنه صبيٌّ لا أكثر، ابن عمِّي الرَّاحل تايجت، ولطالما كان أبوه عطوفًا عليَّ».

- «سنَعثُر عليه، وعلى تاج السِّپتون أيضًا».



- «فلينكح «الآخَرون» بعضهم بعضًا بتاج السِّپتون، لا أبالي!».

- «حين عيَّنتني قائدًا لحَرس المدينة، قلت لي إنك تريد الحقيقة المطلقة دائمًا».

قال تيريون بكآبة: «لسببٍ ما يُراوِدني إحساس بأن ما ستقوله لن يروقني».

- «اليوم استطعنا الحفاظ على المدينة يا سيِّدي، لكني لا أعدُ بشيءٍ يخصُّ الغَد. لصوص وقتَلة كثيرون للغاية طُلقاء، حتى إن لا بيت في أمان، والإسهال الدَّموي ينتشر في شارع المراحيض، ولا يوجد طعام يُمكن شراؤه بالنُّحاس أو الفضَّة. في السَّابق كنت تسمع همهماتٍ متفرِّقة في الأزقَّة، إنما الكلام عن الخيانة على الملأ الآن في المحال والأسواق».

- «هل تحتاج رجالًا أكثر؟».

- «لستُ أثقُ بنِصف من لديَّ من رجالٍ الآن. سلينت ضاعفَ أعداد حَرس المدينة، لكن صُنع الحارس يتطلَّب أكثر من معطفٍ ذهبي. بين المجنَّدين الجُدد رجال صالحون مخلصون، لكن هناك أيضًا متوحِّشين وسكِّيرين وجُبناء وخونة أكثر مما تعلم. إنهم ناقصو التَّدريب وغير منظَّمين، وما لديهم من إخلاص فهو لبني جِلدتهم. أخشى أنهم لن يَصمُدوا إذا قامَت المعركة».

قال تيريون: «لم أتوقَّع قَطُّ أن يفعلوا. أعرفُ من البداية أننا ضائعون بمجرَّد أن تُخترَق الأسوار».

- «أغلب رجالي من العامَّة، يمشون في الشَّوارع نفسها، ويشربون في الحانات نفسها، ويأكلون أوعية البنِّي في محال الأكل نفسها. لا بُدَّ أن الخصيَّ قال لك إن كينجز لاندنج تُكِنُّ حبًّا قليلًا لآل لانستر، فكثيرون ما زالوا يَذكُرون كيف نهبَ السيِّد والدك المدينة حين فتحَ له إيرس البوَّابات، والنَّاس يتهامَسون أن الآلهة تُعاقِبنا على خطايا عائلتك، على قتل أخيك الملك إيرس، على مجزرة طفليِّ ريجار، على إعدام إدارد ستارك ووحشيَّة عدالة چوفري. البعض يقول علنًا إن الأوضاع كانت أفضل كثيرًا أيام روبرت، ويُلَمِّحون إلى تحسُّنها ثانيةً في وجود ستانيس على العرش. تسمع هذه الأشياء في محال الأكل والحانات والمواخير، وأخشى أنها تتردَّد في الثُّكنات وغُرف الحَرس كذلك».



- «يكرهون عائلتي. أهذا ما تقوله؟».
- «نعم، وسينقلبون عليها إذا سنحَت الفُرصة».
- «وعليَّ أيضًا؟».
- «سَل خصيَّك».
- «أسألك أنت».

التقَت عينا بايووتر الدَّاكنتان عينيَّ تيريون غير المتماثلتين، ولم تَطرُفا وهو يُجيب: «أنت بالذَّات يا سيِّدي؟».

قال شاعرًا بالإجحاف يوشك على أن يَخنُقه: «بالذَّات؟ چوفري هو من قال لهم أن يأكلوا موتاهم، چوفري هو من أطلقَ كلابه عليهم، فكيف يلومونني؟».

- «جلالته مجرَّد صبي. يُقال في الشَّوارع إنه محاط بمستشارين أشرار. الملكة لم تكن صديقةً للعامَّة قَطُّ، وڤارس لم يُلَقَّب بالعنكبوت بدافع الحُب... لكنك أنت أكثر من يلومون، فأختك والخصيُّ كانا هنا عندما كانت الأوضاع أفضل تحت حُكم الملك روبرت، أمَّا أنت فلم تكن. يقولون إنك ملأت المدينة بالمرتزِقة السكِّيرين والمتوحِّشين الأقذار، المتنمِّرين الذين يستحوذون على ما يُريدون ولا يتبعون قوانينَا سوى قوانينهم. يقولون إنك نفيت چانوس سلينت لأنك وجدته صادقًا صريحًا أكثر من اللَّازم، وإنك ألقيت پايسل الحكيم المعطاف في زنزانةٍ عندما جرؤَ على رفع صوته ضدك، بل ويدَّعي البعض أنك تنوي الاستيلاء على العرش الحديدي لنفسك».

قال تيريون: «نعم، كما أني وحش مشوَّه بشع، لا تنسَ هذا»، وكوَّر قبضته قائلًا: «سمعتُ ما يكفي. كلانا لديه عمل. اذهب»، ولمَّا أصبحَ وحده فكَّر: لعلَّ أبي كان على حَقٍّ في ازدرائي كلَّ هذه السِّنين إذا كان هذا أفضل ما يُمكنني تحقيقه. رمقَ بقيَّة عَشائه وقد انقلبَت معدته من منظر الدِّيك البارد ودهونه، ثم دفعَه بعيدًا باشمئزاز وزعقَ مناديًا پود، وأرسلَ الصَّبي جريًا لاستدعاء ڤارس وبرون. أكثر من أتَّكلُ عليهم خصيٌّ ومرتزِق، وامرأتي عاهرة، فماذا يقول هذا عني؟

اشتكى برون من العتمة حين جاءَ، وأصرَّ على إشعال نارٍ في المستوقَد،



كانت قد تأجَّجت لدى وصول ڤارس، الذي بادرَه تيريون قائلًا: «أين كنت؟».

- «أقومُ بأعمال الملك يا سيِّدي العزيز».

غمغمَ تيريون: «نعم، الملك. ابن أختي لا يَصلُح للجلوس على مرحاض، ناهيك بالعرش الحديدي».

هَزَّ ڤارس كتفيه قائلًا: «على من يُريد أن يتعلَّم حرفةً ما أن يتمرَّن عليها».

قال برون: «نِصف المتدرِّبين في ورش زُقاق الدُّخان يستطيعون أن يَحكُموا أفضل من ملكك هذا»، وجلسَ إلى الجانب الآخَر من المائدة ومزَّق جناحًا من الدِّيك.

كان تيريون قد تعلَّم أن يتجاهَل صفاقة المرتزق الدَّائمة، لكنه وجدَها مثيرةً للأعصاب اللَّيلة، فقال: «لا أذكرُ أني أعطيتك الإذن بإنهاء عَشائي».

قال برون بفمٍ مليء باللَّحم: «لم يبدُ أنك تأكله. المدينة تتضوَّر جوعًا، أي أن تبديد الطَّعام جريمة. ألديك نبيذ؟».

فكَّر تيريون بجهامة: لا ينقُص غير أن يَطلُب مني أن أصبَّ له، وقال محذِّرًا: «إنك تتمادى».

ألقى برون عظمة الجناح على البساط، وردَّ: «وأنت لا تتمادى كفايةً أبدًا. هل فكَّرت كم كانت الحياة لتُصبِح سهلةً لو أن الأخ الآخَر وُلِدَ أولًا؟»، ودسَّ أصابعه في لحم الدِّيك ومزَّق قطعةً من الصَّدر مضيفًا: «الصَّغير الباكي، تومن. يبدو لي أنه كان ليُنفِّذ ما يُقال له كما ينبغي للملك الصَّالح».

زحفَت القشعريرة على عمود تيريون الفقري إذ أدركَ ما يرمي إليه المرتزِق. لو كان تومن الملك...

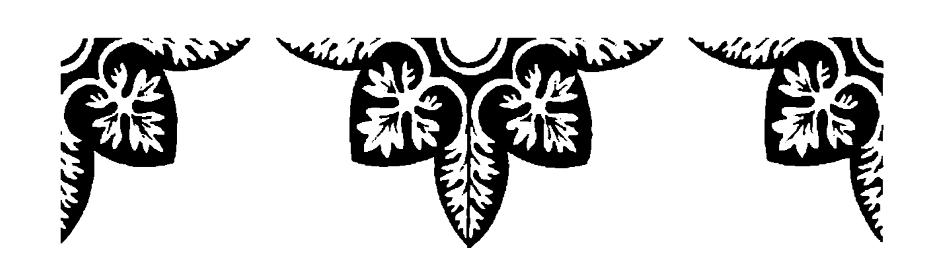
ليس هناك غير سبيلٍ واحد لأن يكون تومن ملكًا. لا، إنه لا يقدر على التَّفكير في هذا حتى. چوفري من دمه، وابن چايمي كما هو ابن سرسي.

قال لبرون: «يُمكنني أن أقطع رأسك لما قُلته»، لكن المرتزِق اكتفى بالضَّحك.

قال ڤارس: «الشِّجار لن ينفعنا أيها الصَّديقان. حريٌّ بنا الآن انتزاع القلب من براثن القنوط».

سألَ تيريون وهو يُفكِّر في الخيارات المغرية الكثيرة: «انتزاع قلب مَن؟».





داڤوس

امتنعَ السير كورتناي پنروز عن ارتداء دِرع وقد امتطى فَحلًا لونه كالنُّحاس الأحمر، بينما ركبَ حامل رايته حصانًا رماديًّا أرقط، ومِن فوقهما خفقَ وعل باراثيون المتوَّج، وريشتا پنروز البيضاوان المتقاطعتان على خلفيَّةٍ خمريَّة. للسير كورتناي لحية ذات شكل ورقة شجرٍ مدبَّبة وخمريَّة هي الأخرى، وإن نالَ الصَّلع من رأسه كله. إذا كان حجم مجموعة الملك وفخامتها قد أثَّرا في نفسه، فلم يَلُح هذا على وجهه الضَّاوي.

تقدَّموا بخيولهم مع الكثير من رنين السَّلاسل وخشخشة الدُّروع، وحتى داڤوس كان يرتدي الحلقات المعدنيَّة، وإن عجزَ عن معرفة الدَّاعي لَمَّا أحسَّ بالألم الذي أحدثَه الثِّقل غير المعتاد في كتفيه وأسفل ظَهره، بخلاف أنه يحدُّ من حركته ويُشعِره بالحماقة، ويدفعه إلى التَّساؤل من جديدٍ عمَّا يفعله هنا. ليس لِي أن أراجع الملك في أوامره، ومع ذلك...

كلُّ رجلٍ في المجموعة أعلى نسبًا وأرقى مكانةً من داڤوس سيوورث، وتألَّق اللوردات الكبار في نور الشَّمس وقد أضاءَ الفولاذ المفضَّض والزَّخارف الذَّهبيَّة دروعهم وخوذاتهم ذات الرِّيشات عديدة الألوان، المزيَّنة بنقوشٍ منمَّقة لمخلوقاتٍ عيونها من الجواهر تُصَوِّر شعارات النَّبالة. أمَّا ستانيس نفسه فبدا في غير مكانه وسط هذه الرِّفقة الملكيَّة الرَّفيعة، فمِثل داڤوس، ارتدى الملك ثيابًا تقليديَّةً من الصُّوف والجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، وإن مدَّته حلقة الذَّهب الأحمر المستقرَّة حول صُدغيه بنوعٍ من المهابة، وتوهَّج نور الشَّمس على أطرافها المطرَّقة كألسنة اللَّهب كلما حَرَّك رأسه.



هذه أقصر مسافةٍ اقتربَها من جلالته طيلة الأيام الثَّمانية التي مرَّت منذ انضمام سفينته «بِثا السَّوداء» إلى بقيَّة الأسطول عند ستورمز إند. كان قد سعى للمثول أمام الملك خلال ساعةٍ من عودته، فقط ليقولوا له إنه مشغول، وعرفَ داڤوس من ابنه دڤان المُرافِق الملكي أن الملك مشغول في أغلب الأحيان، فالآن وقد تصدَّر ستانيس باراثيون السُّلطة، بدأ اللوردات يطنُّون حوله كالذُّباب حول الجُثث. هو نفسه يبدو أقرب إلى جثَّة، أكبر بأعوام مما كان حين تركتُ دراجونستون. قال دڤان إن الملك نادرًا ما ينام في الفترةَ الأخيرة، وأسرَّ لأبيه قائلًا: «منذ ماتَ اللورد رنلي والكوابيس الرَّهيبة تُداهِمه، وعقاقير المِايسترات لا تُؤتي معها نفعًا. فقط الليدي مليساندرا تستطيع تهدئته حتى ينام».

ألهذا تُشارِكه سُرادقه الآن؟ لتُصَلِّي معه؟ أم أن لديها وسيلة أخرى لتهدئته حتى ينام؟ كان سؤالًا غير لائق، ولا يقدر على توجيهه حتى لابنه نفسه، فمع أن دڤان صبيٌّ صالح، لكنه يضع رمز القلب النَّاري بفخرٍ على سُترته، ولقد رآه أبوه عند بؤر النَّار مع حلول الغَسق يتضرَّع لإله الضِّياء أن يأتي بالفَجر. إنه مُرافِق الملك، فمن المتوقَّع بالطَّبع أن يُؤمن بإله الملك.

كان داڤوسٍ قد نسيَ كيف تبدو أسوار ستورمز إند شاهقةً سميكةً من قُرب، وقد توقَّف الملك ستانيس تحتها على بُعد أقدام قليلة من السير كورتناي وحامل رايته، وقال بكياسةٍ يابسة دون أن يترجَّل: «أيها الفارس».

- «أيها اللورد». الإجابة الأقلُّ كياسةً، وإن كانت متوقَّعةً.

أعلنَ اللورد فلورنت: «جرى العُرف على أن يُخاطَب الملك بـ«جلالة الملك»». على واقي صدره أبرزَ ثعلب من الذَّهب الأحمر خَطمه اللَّامع عبر دائرةٍ من الزُّهور اللازورد، أمَّا سيِّد قلعة «المياه الوضَّاءة» نفسه فكان أول من يُعلِن انضمامه لستانيس من حمَلة راية رنلي، وأول من يتبرَّأ من آلهته القديمة ويعتنق ديانة إله الضِّياء. كان ستانيس قد تركَ ملكته في دراجونستون مع عمِّها آكسل، لكن رجال الملكة أكثر وأقوى الآن من أيِّ وقت سابق، وآلستر فلورنت أبرزهم.

تجاهَله السير كورتناي پنروز مفضِّلًا أن يُخاطِب ستانيس: «معك مجموعة من النُّخبة؛ اللوردات العظام إسترمونت وإرول وڤارنر، والسير چون ابن فرع



التُّفَّاحة الخضراء من عائلة فوسواي، والسير برايان ابن فرع التُّفَّاحة الحمراء، واللورد كارون والسير جايارد من حَرس قوس قزح... واللورد الجبَّار آلستر فلورنت سيِّد «المياه الوضَّاءة». أهذا فارس البصل هناك في المؤخِّرة؟ أهلًا يا سير داڤوس. لكن أخشى أني لا أعرفُ السيِّدة».

أجابَت: «اسمي مليساندرا أيها الفارس، وأخدمُ مليكك وإله الضِّياء». هي الوحيدة التي لم تأتِ مدرَّعةً بشيءٍ غير ثوبها الأحمر الفضفاض، وعلى عُنقها تشرَّبت الياقوتة الكبيرة نور النَّهار.

قال السير كورتناي: «أتمنَّى لكِ الخير منهما يا سيِّدتي، لكني أركعُ لآلهةٍ أخرى وملكٍ آخَر».

رَدَّ اللورد فلورنت: «هناك ملك شرعي واحد، وإله حق واحد».

- «أنحن هنا لنتجادَل في الدِّين يا سيِّدي؟ لو كنتُ أعرفُ لجئت معي بسِپتون».

قال ستانيس: «تعلم جيِّدًا سبب وجودنا هنا. لقد نلتَ أسبوعين للتَّفكير في عرضي، وأرسلت غِدفانك لكن نجدةً لم تأتِ، ولن تأتي. ستورمز إند تقف وحدها، وأنا نفدَ صبري. للمرَّة الأخيرة أيها الفارس، آمرك بأن تفتح بوَّاباتك وتُسَلِّمني حقِّي الشَّرعي».

سألَه السير كورتناي: «والشُّروط؟».

- «تظلُّ كما هي. سأعفو عمَّا ارتكبته من خيانةٍ كما عفوتُ عن هؤلاء اللوردات الذين تراهم ورائي، وسيكون رجال حاميتك أحرارًا في الالتحاق بخدمتي أو العودة إلى بيوتهم دون أن يعترضهم أحد، وتستطيعون الاحتفاظ بأسلحتكم وأيِّ ممتلكاتٍ يُمكنكم حملها، لكني سآخذُ خيولكم وحيوانات الجَر».

- «وماذا عن إدريك ستورم؟».

- «يجب تسليم نغل أخي لي».

- «إذن فما زالت إجابتي لا يا سيِّدي».

ضغطَ الملك فَكَّيه ولم يقل شيئًا، بينما تكلَّمت مليساندرا قائلةً: «عسى أن يحميك إله الضِّياء في ظلامك أيها السير كورتناي».



رَدَّ پنروز بحدَّة: «عسى أن ينكح «الآخَرون» إله ضيائكِ ثم يمسحوا دُبره بهذه الخرقة التي تحملينها!».

تنحنحَ اللورد آلستر فلورنت، وقال: «صُن لسانك يا سير كورتناي. جلالته لا يُضمِر للصَّبي أذًى. إنه من دمه، ومن دمي كذلك. ديلينا ابنة أخي كانت الأمُّ كما يعلم الجميع. إذا كنت تَرفُض أن تثق بالملك، فثِق بي أنا. إنك تعرف أني رجل شريف...».

قاطعَه السير كورتناي: «أعرفُ أنك رجل طَموح، رجل يُبَدِّل ملكه وآلهته كما أبدِّلُ حذائي، تمامًا مِثل هؤلاء المارقين الذين أراهم أمامي».

ارتفعَت الهمهمات الغاضبة من بين رجال الملك، بينما فكَّر داڤوس: ليس مخطئًا تمامًا. قبل فترةٍ قصيرةٍ جدًّا كان كلٌّ من ابني فوسواي وجايارد موريجن واللوردات كارون وڤارنر وإرول وإسترمونت ينتمي لرنلي، يجلسون معه في سُرادقه ويُساعِدونه على رسم خُطط المعركة ويدرسون سُبل الإطاحة بستانيس... واللورد فلورنت كان معهم. قد يكون عمَّ الملكة سيليس، لكن هذا لم يمنع سيِّد «المياه الوضَّاءة» من الرُّكوع لرنلي حين كان نجمه في صعود.

تقدَّم برايس كارون بحصانه بضع خطوات، ومعطف قوس قزح الطَّويل يُرَفرِف على ظَهره في رياح الخليج، وقال: «لا أحد هنا مارق أيها الفارس. إن ولائي لستورمز إند، والملك ستانيس سيِّدها الشَّرعي... وملكنا الشَّرعي. إنه آخِر أولاد عائلة باراثيون، ووريث روبرت ورنلي».

- «إذا كان هذا صحيحًا، فلِمَ لا أرى فارس الزُّهور بينكم؟ وأين ماثيس روان؟ وراندل تارلي؟ والليدي أوكهارت؟ هؤلاء أكثر من أحبُّوا رنلي، فلماذا ليسوا معكم؟ أين بِريان التارثيَّة؟».

أطلقَ السير جايارد موريجن ضحكةً خشنةً، وقال: «هي؟ لقد فرَّت كما انبغى لها أن تفعل، فيدها هي اليد التي قتلَت الملك».

قال السير كورتناي: «كذب. إنني أعرفُ بِريان منذ كانت طفلةً تلعب عند قدمي أبيها في بهو المساء، وعرفتها أفضل بَعدما أرسلَها سلوين نجم المساء إلى هنا. الأعمى كان يرى أنها أحبَّت رنلي باراثيون منذ رأته أول مرَّة».



قال اللورد فلورنت بكياسة: «بالتَّأكيد، لكنها ليست أول فتاةٍ يُجَنُّ جنونها فتَقتُل الرَّجل الذي نبذَها، وإن كنتُ أعتقدُ من ناحيتي أن الليدي ستارك هي من قتلَت الملك. لقد جاءَت من ريفررَن تلتمس تحالُفًا من رنلي، فرفضَ. لا شَكَّ أنها عدَّته تهديدًا لابنها وأزاحَته».

بإصرارٍ قال اللورد كارون: «إنها برِيان. السير إمون كاي أقسمَ على هذا قبل أن يموت، وأنا أقسمُ لك يا سير كورتناي».

رَدَّ السير كورتناي بلهجةٍ تَقطُر احتقارًا: «وما قيمة ذلك؟ أراك ترتدي معطفك الملوَّن، المعطف الذي أعطاك رنلي إياه حين أقسمت أن تحميه. إذا كان ميتًا، فلماذا أنت حي؟»، والتفتَ باحتقاره إلى جايارد مورجين قائلًا: «السُّؤال نفسه لك أيها الفارس. أنت جايارد الأخضر، أليس كذلك؟ فارس حَرسِ قوسِ قزح؟ الذي أقسمَ على الدِّفاع عن حياة مليكه بحياته؟ لو كنتُ أملكُ معطفًا كهذا، لخجلتُ من ارتدائه».

صاحَ موريجن مغضبًا: «من حُسن طالعك أن هذه مفاوَضة يا پنروز، وإلَّا لقطعتُ لسانك لما قُلته».

- «لتُلقيه في النَّار نفسها التي تركت فيها رجولتك؟».

- «كفى!»، قال ستانيس. «إله الضِّياء شاءَ أن يموت أخي لخيانته، ولا يهمُّ مَن فعلَها».

قال السير كورتناي: «لا يهمُّك أنت ربما. لقد سمعتُ عرضك أيها اللورد ستانيس، والآن إليك بعرضي»، وخلعَ قُفَّازه وألقاه في وجه الملك مواصلًا: «نزال فردي، بالسَّيف أو الرُّمح أو أيِّ سلاحٍ تُفَضِّله. وإذا كنت تخشى أن تُخاطِر بسيفك السِّحري ولحمك الملكي ضدَّ رجلٍ عجوز، فاختر لك نصيرًا وسأفعلُ المِثل»، ورمقَ جايارد موريجن وبرايس كارون باستهزاءٍ مضيفًا: «أظنُّ أن أيًّا من هذين الجروين يَصلُح».

اربدَّ وجه السير جايارد موريجن من فرط الغيظ، وقال: «سأحملُ هذا الشَّرف إذا سمحَ الملك».

ونظرَ برايس كارون إلى ستانيس قائلًا: «وأنا أيضًا».

صَرَّت أسنان الملك وهو يقول: «لا».



لم تبدُ الدَّهشة على السير كورتناي، وقال: «أتشكُّ في عدالة قضيَّتك أم قوَّة ذراعك يا سيِّدي؟ أتخشى أن أبول على سيفك المشتعل وأطفِئه؟».

قال ستانيس: «أتحسبني أحمق؟ إن معي عشرين ألف رجل، وأنت محاصَر من البَرِّ والبحر، فلِمَ أختارُ النِّزال الفردي بينما نصري مضمون في النِّهاية؟»، وأشارَ إليه بإصبعه متابعًا: «أحذِّرك تحذيرًا عادلًا، إذا أجبرتَني على أخذ قلعتي بالقوَّة، فلا تتوقَّع أن تأخذني بك رحمة. سأشنقكم جميعًا كخونة، كلكم بلا استثناء».

قال السير كورتناي: «هي مشيئة الآلهة إذن. فلتزأر عاصفتك يا سيِّدي، لكن تذكَّر كم صدَّت هذه القلعة من عواصف»، وشَدَّ عِنان جواده وتراجعَ نحو البوَّابة.

لم يُعَلِّق ستانيس، ودارَ بحصانه عائدًا إلى معسكره والآخَرون وراءه. قال اللورد إسترمونت الرَّجل الهَرِم -وجَدُّ الملك من جانب الأم- بعصبيَّة: «سيموت الآلاف إذا هاجَمنا هذه الأسوار. أليس من الأفضل المخاطَرة بحياة رجلٍ واحد؟ إن قضيَّتنا شريفة وعادلة، فلا بُدَّ أن الآلهة ستُبارِك ذراعيَّ نصيرنا بالفوز».

فكَّر داڤوس: الإله وليس الآلهة أيها العجوز. نسيت أن لنا واحدًا فقط الآن، إله مليساندرا الأحمر.

قال السير چون فوسواي: «يُسعِدني أن أخوض المواجَهة بنفسي، وإن لم أكن بنِصف براعة اللورد كارون أو السير جايارد. رنلي لم يَترُك فُرسانًا بارزين في ستورمز إند، فواجب الحامية يقع على عاتق المسنِّين والصِّبية الخُضر».

أيَّده اللورد كارون: «سيكون نصرًا سهلًا بالتَّأكيد، ويا له من مجدٍ أن تَسقُط ستورمز إند بضربةٍ واحدة!».

جالَ الملك بينهم بناظريه عابسًا، وقال: «إنكم تُثَرثِرون كالببغاوات، وبعقلٍ أقل منها. اصمُتوا جميعًا»، ثم وجَّه كلامه لداڤوس: «اركب معي أيها الفارس»، وهمزَ حصانه مبتعدًا عن أتباعه، لا يُلازِمه غير مليساندرا التي تحمل الرَّاية الضَّخمة ذات القلب النَّاري المنغلق حول الوعل المتوَّج. كأنه ابتلعَه بالكامل.



لمحَ داڤوس النَّظرات التي تبادَلها اللوردات وهو يمرُّ بهم لينضمَّ إلى الملك. هؤلاء ليسوا فُرسان بصل، بل رجال أبيُّون من عائلاتٍ جذورها ضاربة في أعماقِ الحسب والنَّسب، وبشكلٍ ما يعرف داڤوس أن رنلي لم يَزجُرهم هكذا قَطُّ، فالأخ باراثيون الأصغر كان كيِّسًا دمثًا بالسَّليقة، المَزِيَّة التي يفتقر لها أخوه للأسف.

أبطأَ حركة حصانه حين صارَ يُحاذي ستانيس، وقال: «جلالة الملك».

مِن هذا القُرب يبدو ستانيس أسوأ مما حسبَ داڤوس من بُعد، وجهه مهزول مُضنًى، وتحت عينيه هالات سوداء.

قال الملك: «لا بُدَّ أن تكون أحكام المهرِّب على النَّاس عادلةً، فما قولك في السير كورتناي پنروز هذا؟».

أجابَ داڤوس بحذر: «رجل عنيد».

- «أراه توَّاقًا للموت. يُلقي عفوي في وجهي، نعم، ويُلقي بنفسه إلى الهلاك كذلك، وبأنفُس كلِّ الرِّجال وراء هذه الأسوار. نزال فردي؟»، وأطلقَ الملك نخيرًا ساخرًا، وأضافَ: «لا ريب أنه حسبَني روبرت».

- «الأرجح أنه يائس، فهل من أملٍ آخَر لديه؟».

- «البتَّة. القلعة ستَسقُط، لكن كيف نفعلها بسرعة؟»، وأطرقَ ستانيس مفكِّرًا لحظات، ومن تحت طقطقة الحوافر المنتظمة، سمعَ داڤوس أسنانه تصرُّ، ثم إنه قال: «اللورد آلستر يستحثُّني على المجيء باللورد پنروز الكبير إلى هنا، يقصد أبا السير كورتناي. أعتقدُ أنك تعرفه».

قال داڤوس: «عندما ذهبتُ إليه بصفتي مندوبك، استقبلَني اللورد پنروز بحفاوةٍ أكثر من غيره. إنه على أعتاب القبر يا مولاي، مريض وخائر القُوى».

- «فلورنت يُريد أن تخور قُواه أكثر، على مرأى من ابنه وحبل المشنقة محيط بعُنقه».

من الخطر أن يُعارِض رجال الملكة، لكن داڤوس أقسمَ أن يُخبر الملك بالحقيقة دومًا، وهكذا قال: «أظنُّها فكرةً سيِّئةً يا مولاي. سيُفَضِّل السير كورتناي أن يرى أباه يموت على أن يخون ثقته. لن ينفعنا هذا بشيء، وسيُلَوِّث قضيَّتنا بالعار».



قال ستانيس محتدًّا: «أيُّ عارٍ هذا؟ أتُريدني أن أُبقي على حياة الخونة؟».
- «لقد أبقيت على حياة هؤلاء الرَّاكبين وراءنا».
- «وهل تُؤَنِّبني على هذا أيها المهرِّب؟».
رَدَّ داڤوس شاعرًا بالخشية من أنه باحَ بأكثر من اللَّازم: «ليس لي أن أفعل».
قال الملك بقسوة: «إنك تُقَدِّر پنروز هذا أكثر من اللوردات حمَلة رايتي، فلِمَ؟».
- «لأنه يظلُّ مخلصًا».
- «إخلاص في غير محلِّه لغاصِبٍ ميت».
- «نعم، لكنه يُحافِظ على إخلاصه».
- «على عكس هؤلاء الرِّجال وراءنا؟».
كان داڤوس قد تمادى مع ستانيس لدرجةٍ تمنعه من أن يستحي الآن، فأجابَ: «العام الماضي كانوا رجال روبرت، وقبل قمرٍ واحد كانوا رجال رنلي، وهذا الصَّباح رجالك، فرجال من سيكونون غدًا؟».
وضحكَ ستانيس، ضحكته مفاجئة خشنة وملأى بالتهكُّم، وقال للمرأة الحمراء: «قلتُ لكِ يا مليساندرا إن فارسي البصلي يَصدُقني القول».
قالت المرأة الحمراء: «أرى أنك تعرفه جيِّدًا يا جلالة الملك».
قال الملك: «افتقدتك بشدَّة يا داڤوس. نعم، ورائي ذيل من الخونة، وحاسَّتك لا تخدعك. اللوردات حمَلة رايتي ليسوا متَّسقين حتى في الخيانة. إنني أحتاجهم، لكن يجب أن تُدرِك الاشمئزاز الذي أشعرُ به من العفو عن هؤلاء بينما عاقبتُ رجالًا أفضل على جرائم أهون. لديك كلُّ الحَق في ملامتي يا سير داڤوس».
- «إنك تلوم نفسك أكثر مني بكثير يا جلالة الملك. يجب أن تحظى بهؤلاء اللوردات الكبار كي تفوز بعرشك...».
ابتسمَ ستانيس بكآبةٍ قائلًا: «بأصابعهم كاملةً على ما يبدو».
بلا تفكيرٍ رفعَ داڤوس جَدَعة يده إلى الجراب المتدلِّي من عُنقه، وتحسَّس عظام الأصابع في داخله مفكِّرًا: للحَظ.
لمحَ الملك الحركة، فقال: «ألا تزال معك يا فارس البصل؟ ألم تفقدها؟».



- «ما زالت معي».
- «لماذا تحتفظ بها؟ كثيرًا ما تساءلتُ عن هذا».
- «لتُذَكِّرني بما كنته ومن أين أتيتُ، لتُذَكِّرني بعدالتك يا مولاي».
قال ستانيس: «وكانت عدالةً حقًّا. خير الصَّنيع لا يمحو سيِّئه، وسيِّئه لا يمحو خيره، ولكلٍّ جزاؤه، وأنت كنت بطلًا ومهرِّبًا في آنٍ واحد»، وألقى نظرةً وراءه نحو اللورد فلورنت وفارسي قوس قزَح وغيرهم من المارقين الذين يتبعونهم من بُعد، وتابعَ: «خيرٌ لهؤلاء اللوردات المعفي عنهم أن يتأمَّلوا في هذا. الرِّجال الصَّالحون الأوفياء سيُقاتِلون من أجل چوفري لاعتقادهم الخاطئ أنه الملك الشَّرعي، بل وقد يقول أحد أهل الشَّمال الشَّيء نفسه عن روب ستارك، لكن هؤلاء اللوردات الذين ساقوا أنفسهم إلى صَفِّ أخي كانوا يعلمون أنه غاصِب، وأداروا ظهورهم لملكهم الشَّرعي لا لسببٍ أفضل من أحلامِ السَّطوة والمجد، ولقد وسَمتهم عندي بحقيقتهم. عفوتُ عنهم، نعم، لكنه غُفران لا نسيان»، ولاذَ بالصَّمت بعض الوقت مفكِّرًا في خُططه لتطبيق العدالة، ثم قال فجأةً: «ماذا يقول العامَّة عن موت رنلي؟».
- «إنهم ينعونه. أخوك كان محبوبًا».
دمدمَ ستانيس: «الحمقى يُحِبُّون الحمقى... لكني أنعاه أيضًا، أنعى الصَّبي الذي كانه لا الرَّجل الذي أصبحَه»، وصمتَ بعض الوقت ثم سألَ: «كيف تلقَّى العامَّة نبأ زنى سرسي؟».
- «كانوا يهتفون للملك ستانيس ونحن بينهم، لكني لا أدري ما قالوه بمجرَّد أن أبحَرنا».
- «ألا تحسبهم صدَّقوا إذن؟».
- «تعلَّمتُ أيام التَّهريب أن بعض النَّاس يُصَدِّق كلَّ شيءٍ وبعضهم لا يُصَدِّق شيئًا، وقد التقينا كلا النَّوعين، كما أن هناك حكاية أخرى منتشرة...».
قاطَعه ستانيس بحدَّة: «نعم. سيليس ركَّبت لي قرنين وثبَّتت فيهما أجراس المهرِّج الأبله الذي أنجبَ ابنتي! حكاية يتساوى فيها الانحطاط مع السُّخف. رنلي ألقاها في وجهي عندما التقينا للتَّفاوُض. لا بُدَّ أن من يُصَدِّق شيئًا كهذا مخبول مِثل ذي الوجه المرقَّع».



- «صحيح يا مولاي... لكن صدَّقوا القصَّة أم كذَّبوها، فإنهم يتلذَّذون بترديدها». في أماكن كثيرة اعترضَتهم الشَّائعة ولوَّثت بئر حكايتهم الحقيقيَّة.

- «يبول روبرت في الكوب فيقولون إنه خمر، ولمَّا أقدِّمُ لهم أنا ماءً زُلالًا يُقَطِّبون بريبةٍ ويُتَمتِمون فيما بينهم عن مذاقه الغريب»، وكبسَ ستانيس أسنانه معًا متابعًا: «لو قال أحدهم إنني سحرتُ نفسي وقتلتُ روبرت في هيئة خنزيرٍ برِّي، فسيُصَدِّقون هذا أيضًا».

قال داڤوس: «لا يُمكنك منعهم من الكلام يا مولاي، لكن حين تقتصُّ من قَتَلة أخويك الحقيقيِّين، فستعرف البلاد كلها أن تلك الحكايات ما هي إلَّا أكاذيب».

بدا ستانيس شاردًا وهو يقول: «لا شَكَّ لديَّ في أن لسرسي يد في موت روبرت، وسأقتصُّ له، نعم، ولند ستارك وچون آرن أيضًا».

خرجَ السُّؤال من داڤوس قبل أن يتوقَّف ليُفَكِّر فيه: «ولرنلي؟».

فترة طويلة لاذَها الملك بالصَّمت التَّام، ثم إنه بهدوءٍ شديدٍ قال: «أحيانًا أحلمُ بموت رنلي. أرى خيمةً خضراء وشموعًا وامرأةً تَصرُخ، والدَّم»، ورمقَ كَفَّيه، وأردفَ: «كنتُ لا أزالُ في الفِراش حين ماتَ. سيقول لك ابنك دڤان إنه حاولَ إيقاظي. كان الفَجر دانيًا واللوردات ينتظرون متململين، وكان من المفترَض أن أكون مدرَّعًا راكبًا حصاني بالفعل، لأني كنتُ أعرفُ أن رنلي سيُهاجِم مع أول خيوط الصُّبح. قال دڤان إنني تلوَّيتُ وصرختُ، لكن فيمَ يهمُّ هذا؟ إنه مجرَّد حُلم. كنتُ في خيمتي حين ماتَ رنلي، وعندما استيقظتُ كانت يداي نظيفتين».

شعرَ السير داڤوس سيوورث بحكَّةٍ في أطراف أصابعه الشَّبحيَّة، وقال المهرِّب السَّابق لنفسه: شيء ما خطأ، لكنه أومأَ برأسه مغمغمًا: «مفهوم».

- «رنلي عرضَ عليَّ خوخةً خلال المفاوَضة... سخرَ مني وتحدَّاني وهدَّدني، وعرضَ عليَّ خوخةً. حسبته يستلُّ سيفًا، فمددتُ يدي إلى سيفي. ماذا كان غرضه؟ أن أبدي الخوف؟ أم أنها إحدى دُعاباته العقيمة؟ عندما تكلَّم عن حلاوة الخوخة، أكان لكلماته مغزى خفيٌّ ما؟»، وهَزَّ الملك رأسه بعُنف كلبٍ يهزُّ أرنبًا ليكسر رقبته، وقال: «فقط رنلي القادر على تكديري



هكذا بثمرة فاكهة. لقد حكَمَ على نفسه بالتَّهلكة لخيانته، لكني أحببته يا داڤوس، أعلمُ هذا الآن. أقسمُ أني سأذهبُ إلى قبري وأنا أفكِّرُ في خوخة أخي».

في هذا الحين كانوا قد توغَّلوا في المعسكر، مارِّين بصفوف الخيام المنظَّمة والرَّايات الخفَّاقة وأكوام التُّروس والرِّماح، وأفعمَت رائحة روث الخيول الهواء، ممتزجةً بدُخان الحطب وشواء اللَّحم. توقَّف ستانيس وزعقَ في اللورد فلورنت والآخَرين صارفًا إياهم بفظاظة، وأمرَهم بالعودة إلى سُرادقه بَعد ساعةٍ لعقد مجلس الحرب، فحنوا رؤوسهم وتفرَّقوا، بينما اتَّجه داڤوس ومليساندرا إلى سُرادق الملك.

كان من الضَّروري أن يكون السُّرادق كبيرًا يتَّسع لحمَلة رايته عندما يأتون إلى المجلس، وإن لم يُمَيِّزه أدنى طابع من الفخامة، مجرَّد خيمة جنودٍ من قُماش القُنَّب الثَّقيل، مصبوغة بالأصفَر الدَّاكن الذي يُمكن اعتباره ذهبيًّا أحيانًا، ولا شيء غير الرَّاية الملكيَّة المرفرِفة على السَّارية الوُسطى أعلاه يُبَيِّن أنها خيمة ملك، هي والحَرس الواقفين في الخارج، رجال الملكة برماحهم الطَّويلة وشارة القلب النَّاري فوق قلوبهم.

جاءَ السَّائسون لمساعَدتهم على التَّرجُّل، وخلَّص أحد الحُرَّاس مليساندرا من ثِقل رايتها، وغرسَ السَّارية بعُمقٍ في التُّربة النَّاعمة. وقفَ دڤان على أحد جانبيِّ الباب، ينتظر أن يرفع السَّديلةَ للملك، ووقفَ مُرافِق آخَر أكبر سِنًّا إلى جواره. خلعَ ستانيس تاجه وناولَه لدڤان، وقال: «ماء بارد وكوبان. داڤوس، انتظر معي. سيِّدتي، سأرسلُ في استدعائكِ حين أحتاجكِ».

قالت مليساندرا: «كما يأمر الملك»، وانحنَت منصرفةً.

كان داخل السُّرادق فاتر الحرارة معتمًا بَعد سطوع الصَّباح. جلسَ ستانيس على كرسي معسكرات خشبي تقليدي، وأشارَ لداڤوس بالجلوس على آخَرٍ قائلًا: «قد أجعلك لوردًا ذات يوم أيها المهرِّب، ولو بغية تكدير سلتيجار وفلورنت لا أكثر، لكنك لن تَشكُرنيَ، لأن معنى هذا أن تتحمَّل تلك الاجتماعات وتتظاهَر بالاهتمام بنهيق البغال».

- «لماذا تَعقِدها إذن ما دامَت بلا طائل؟».



- «لِمَ في رأيك؟ لأن البغال تُحِبُّ سماع نهيقها، كما أني أحتاجها لجَرِّ عربتي. أوه، بالتَّأكيد سيتفتَّق ذهن أحدها عن فكرةٍ صائبة كلَّ حينٍ من الدَّهر، لكن ليس اليوم على ما أظنُّ... آه، ها قد أتى ابنك بالماء».

وضعَ دڤان الصَّحفة على المائدة وملأ قدحين من الفخَّار، ورَشَّ الملك قليلًا من الملح في قدحه قبل أن يشرب، أمَّا داڤوس فاحتسى ماءه بلا ملحٍ وهو يتمنَّى لو كان نبيذًا، وقال: «كنت تتكلَّم عن المجلس».

- «دَعني أُخبرك بما سيجري. اللورد ڤيلاريون سيستحثُّني على مهاجَمة أسوار القلعة في الصَّباح الباكر، خطاطيف وسلالم ضد السِّهام والزَّيت المغلي، وستقول البغال الصَّغيرة إنها فكرة رائعة. إسترمونت سيُحَبِّذ أن نُجَوِّعهم حتى يستسلموا، كما حاولَ تايرل وردواين معي من قبل. قد يستغرق هذا عامًا كاملًا، لكن البغال العجوز صبور. واللورد كارون وغيره من البغال التي تُحِبُّ الرَّكل سيُريد أن يقبل تحدِّي السير كورتناي ويُراهِن على كلِّ شيءٍ بنزالٍ فردي، وكلٌّ منهم يتخيَّل أنه سيكون نصيري ويربح صيتًا لا يموت»، وأنهى الملك ماءه، وأردفَ: «ماذا تنصحني أنت بأن أفعل أيها المهرِّب؟».

تأمَّل داڤوس لحظةً قبل أن يُجيب: «ازحف إلى كينجز لاندنج في الحال».

قال الملك ساخرًا: «وأترك ستورمز إند دون أن تَسقُط؟».

- «السير كورتناي لا يملك قُدرةً على إيذائك، أمَّا آل لانستر فيقدرون. الحصار سيستغرق وقتًا طويلًا، والاعتماد على النِّزال الفردي غير مضمون النَّتيجة، والهجوم سيُكَلِّفنا آلاف الأرواح بلا ثقةٍ في النَّجاح. كما أن لا داعي لإسقاط القلعة، فستكون لك من تلقاء ذاتها مع الأخريات كلهن فور أن تُطيح بجوفري. يُقال في أنحاء المعسكر إن اللورد تايوين لانستر يهرع غَربًا لإنقاذ لانسپورت من انتقام الشَّماليِّين...».

قال ستانيس للصَّبي الواقف عند مِرفقه: «لديك أب ذكي يا دڤان، يجعلني أتمنَّى لو أن لديَّ المزيد من المهرِّبين في خدمتي، ولوردات أقل. لكنك مخطئ في أمرٍ واحد يا داڤوس، لأن هناك داعٍ. إذا تركتُ ستورمز إند ورائي دون أن تَسقُطَ، سيُقال إنني هُزِمتُ هنا، ولا يُمكنني أن أسمح بذلك. النَّاس لا يُحِبُّوني كما أحبُّوا أخي، ويتبعوني لأنهم يخافوني... والهزيمة موت



الخوف. لا بديل عن سقوط القلعة»، وتحرَّك فَكَّاه من جانبٍ إلى جانب كأنه يطحن بهما وهو يُكمِل: «نعم، وبسرعة. دوران مارتل استدعى راياته وحصَّن الممرَّات الجبليَّة، ورجاله الدورنيُّون جاهزون لاكتساح التُّخوم، بينما تظلُّ هايجاردن محتفظةً بقوَّتها، بما أن أخي تركَ الجزء الأعظم من قوَّته في «جسر العلقم»، نحو ستِّين ألفٍ من المُشاة. أرسلتُ أخا زوجتي السير إرول مع السير پارمن كرين لأخذهم تحت قيادتي، لكنهما لم يرجعا، وأخشى أن السير لوراس تايرل بلغَ «جسر العلقم» قبلهما وأخذَ هذا الجيش لنفسه».

- «وهذا سبب أدعى للاستيلاء على كينجز لاندنج في أسرع وقتٍ ممكن. سالادور سان قال لي...».

انفجرَ ستانيس صائحًا: «سالادور سان لا يُفكِّر في غير الذَّهب! رأسه مليء بأحلام الكنوز التي يتوهَّم أنها تقبع تحت القلعة الحمراء، فدَعنا لا نقول شيئًا عن سالادور سان. يوم أحتاجُ نصائح حربيَّةً من قرصانٍ لايسيني هو اليوم الذي أخلعُ فيه تاجي وألتحقُ بحَرس اللَّيل»، وكوَّر الملك قبضته وسألَه: «أأنت هنا لتخدمني أيها المهرِّب، أم لتُزعِجني بالجدل؟».

قال داڤوس: «أنا رهن إشارتك».

- «اسمعني إذن. نائب السير كورتناي ابن عمومةٍ لعائلة فوسواي. اسمه اللورد ميدوز، صبيٌّ أخضر في العشرين من العُمر. إذا أصابَ سوء ما پنروز، ستنتقل قيادة ستورمز إند لهذا الفتى، وأبناء عمومته يُؤَكِّدون أنه سيقبل شروطي ويُسَلِّم القلعة».

- «أذكرُ فتًى آخر وُلِّيَ قيادة ستورمز إند، ولم يكن أكبر من العشرين بكثير».

- «اللورد ميدوز لا يملك عنادي الحجري».

- «عنيد أو جبان، ما الفارق؟ السير كورتناي پنروز بدا لي في أتمِّ صحَّة».

- «وكذا بدا أخي قبل موته بيوم. اللَّيل حالكٌ ومفعم بالأهوال يا داڤوس».

أحسَّ داڤوس سيوورث بالشُّعيرات الصَّغيرة تنتصب على مؤخِّرة عُنقه، وقال: «لستُ أفهمك يا سيِّدي».

- «لا أطلبُ فهمك، بل خدمتك. السير كورتناي سيموت قبل ختام اليوم.



مليساندرا رأت موته وطريقته في لهب المستقبَل، ولا حاجة لأن أقول إنه لن يموت في نزالٍ بين فارسين»، ورفعَ ستانيس قدحه ليملأه دڤان من الإبريق، وتابعَ: «لهبها لا يكذب. لقد رأت موت رنلي أيضًا، رأته في دراجونستون وأخبرَت سيليس. اللورد ڤيلاريون وصديقك سالادور سان أرادا أن أُبحر ضد چوفري، لكن مليساندرا قالت لي إنني سأظفرُ بالجزء الأفضل من قوَّة أخي إذا ذهبتُ إلى ستورمز إند، وكانت محقَّةً».

قال داڤوس بتلعثُم: «لـ-لكن... اللورد رنلي جاءَ إلى هنا لأنك حاصرت قلعته، وقبلها كان يزحف إلى كينجز لاندنج ضد آل لانستر، وكان لـ...».

اعتدلَ ستانيس في جلسته، وقطَّب وجهه قائلًا: «كان، كان لـ... ما هذا؟ لقد فعلَ ما فعلَه، وجاءَ إلى هنا بجنوده وخوخه حيث لقيَ حتفه... وأفادَني أنه فعلَ هذا. مليساندرا رأت يومًا آخَر في لهبها كذلك، صباحًا تحرَّك فيه رنلي من الجَنوب في دِرعه الخضراء ليُحَطِّم جيشي تحت أسوار كينجز لاندنج. لو التقيتُ أخي هناك، فلربما مِتُّ أنا بدلًا منه».

قال داڤوس معترضًا: «أو لربما ضممت قوَّتك إلى قوَّته وأسقطتما آل لانستر، فلِمَ ليس ذلك؟ إذا رأت مستقبلَيْن، فلا يُمكن أن يكون كلاهما حقيقيًّا».

أشارَ الملك ستانيس بإصبعه قائلًا: «مخطئ أنت في هذا يا فارس البصل. بعضُ الأضواء يُلقي أكثر من ظِل. قِف أمام بؤرة نارٍ ليلًا وسترى بنفسك أن اللَّهب يتبدَّل ويتراقَص ولا يَثبُت أبدًا، والظِّلال تطول وتَقصُر، وكلُّ شخص يُلقي دستةً منها، بعضها أكثر خفوتًا من غيره لا أكثر. حسنٌ، البَشر يُلقونَ ظلالهم على المستقبَل أيضًا، وسواء أكان ظِلًّا واحدًا أو أكثر، فمليساندرا تراها كلها. أعرفُ أنك لا تُحِبُّ هذه المرأة يا داڤوس، فلستُ أعمى. إسترمونت يرى أن القلب النَّاري اختيار رديء، ويتوسَّل أن نُحارِب تحت الوعل المتوَّج القديم، والسير جايارد يقول إنه لا يَجدُر بامرأةٍ أن تحمل رايتي، وآخَرون يتهامَسون أن لا مكان لها في مجلسي الحربي، وأن عليَّ أن أعيدها إلى آشاي، وأن قضاءها اللَّيل في خيمتي إثم. نعم، إنهم يتهامَسون... وهي تخدم».



سألَه داڤوس متوجِّسًا من الإجابة: «وكيف تخدم؟».

قال الملك: «حسب الحاجة»، ورمقَه مضيفًا: «وأنت؟».

تمتمَ داڤوس: «أنا...»، ولعقَ شفتيه وأجابَ: «أنا طوع أمرك. ماذا تُريدني أن أفعل؟».

- «لا شيء لم تفعله من قبل، أن ترسو بقاربٍ تحت القلعة في جوف اللَّيل دون أن يراك أحد. أتستطيع هذا؟».

- «نعم. اللَّيلة؟».

أومأَ الملك برأسه باقتضابٍ قائلًا: «ستحتاج قاربًا صغيرًا، ليس «بِثا السَّوداء»، فلا ينبغي أن يعلم أحدٌ بمهمَّتك».

أرادَ داڤوس أن يعترض. إنه فارس الآن ولم يَعُد مهرِّبًا، ولم يكن مغتالًا قَطُّ، لكن الكلمات لم تُسعِفه حين فتحَ فمه. هذا ستانيس، سيِّده العادل الذي يدين له بكلِّ شيء، كما أن عليه التَّفكير في أبنائه. ما الذي فعلَته به بحَقِّ الآلهة؟

قال ستانيس: «أنت صامت».

فكَّر داڤوس: ويجب أن أظلَّ صامتًا، وعلى الرغم من هذا قال: «مولاي، أدركُ الآن أنك يجب أن تأخذ القلعة، لكن لا بُدَّ أن هناك سُبلًا أخرى، سُبلًا أنظف. دَع السير كورتناي يحتفظ بالنَّغل وقد يستسلم».

- «يجب أن آخذ الصَّبي يا داڤوس، يجب. مليساندرا رأت هذا أيضًا في اللَّهب».

بيأسٍ بحثَ داڤوس عن حَلٍّ آخَر، وقال: «ستورمز إند لا تضمُّ فارسًا يُباري السير جايارد أو اللورد كارون، أو أيًّا من العشرات الذين أقسَموا على خدمتك. النِّزال الفردي... ألا يُمكن أن السير كورتناي يبحث عن وسيلةٍ للاستسلام بشَرف؟ حتى إذا كان سيدفع حياته ثَمنًا؟».

احتلَّت نظرة انزعاج ملامح الملك كسحابةٍ عابرة، وقال: «الأرجح أنه يُدَبِّر خدعةً ما. لن يكونَ هناك نزال بين نصيريْن. السير كورتناي ميت من قبل أن يُلقي القُفَّاز. اللَّهب لا يكذب يا داڤوس».

ومع ذلك يحتاجني لتحقيق ما يقوله. زمن طويل مَرَّ منذ شعرَ داڤوس سيوورث بهذا الحُزن العميق.



وهكذا وجدَ نفسه يَعبُر خليج السُّفن الغارقة في ظلام اللَّيل من جديد، مبحرًا بقاربٍ صغير أسود الشِّراع. السَّماء كما هي، والبحر، والرَّائحة الملحيَّة ذاتها في الهواء، وخرخرة المياه المتكسِّرة على بدن القارب كما يَذكُرها، بينما اشتعلَت ألف بؤرة نارٍ متذبذة حول القلعة كبؤر جيش تايرل ورداوين قبل ستَّة عشر عامًا، لكن كلُّ شيءٍ آخَر مختلف هذه المرَّة.

المرَّة السَّابقة جئتُ بالحياة إلى ستورمز إند في شكل حبَّات البصل، وهذه المرَّة أجيءُ بالموت في صورة مليساندرا الآشايية. قبل ستَّة عشر عامًا طقطقَت الأشرعة وفرقعَت مع كلِّ هبَّة ريح، إلى أن أنزلَها وواصلَ الطَّريق بمجذافيْن مكتومي الصَّوت، وحتى حينئذٍ كان قلبه في حُلقومه، لكن الرِّجال على متن قوادس ردواين كانوا قد استرخوا مع الوقت، وانسلَّ هو مخترقًا حصارهم بنعومة الحرير الأسود، أمَّا هذه المرَّة فكلُّ ما يراه من سُفنٍ ينتمي لستانيس، والخطر الوحيد لن يأتي إلَّا من الحُرَّاس على أسوار القلعة، ومع ذلك شعرَ داڤوس بأعصابه مشدودةً كوتر القوس.

ربضَت مليساندرا في الجانب الآخَر من القارب، وقد غابَت بين طيَّات الثَّوب الأحمر الدَّاكن الذي غطَّاها من رأسها إلى قدميها، ولا يبدو من وجهها غير بياضه الشَّاحب من تحت القلنسوة. يُحِبُّ داڤوس الماء، وأفضل نومةٍ يغيب فيها تكون عندما يحسُّ بسطح سفينةٍ يتمايَل أسفله، وتنهُّد الرِّيح بين أشرعته صوت أعذب عنده من أيِّ نغمةٍ يستطيع مغنٍّ عزفها على قيثاره، لكن حتى البحر نفسه لم يُشعِره براحةِ اللَّيلة، وقالت له المرأة الحمراء بنعومة: «أشمُّ رائحة الخوف المنبعثة منك أيها الفارس».

- «أحدهم قال لي ذات مرَّةٍ إن اللَّيل حالكٌ ومفعم بالأهوال، واللَّيلة لستُ فارسًا، اللَّيلة أعودُ داڤوس المهرِّب. ليتكِ كنتِ بصلةً».

ضحكَت وسألَته: «أتخشاني أنا أم ما نفعله؟».

- «ما تفعلينه أنتِ، فلا دور لي فيه».

- «يدك أنت رفعَت الشِّراع، يدك أنت تُحَرِّك الدفَّة».

انتبهَ داڤوس إلى طريقه صامتًا. السَّاحل غابة من الصُّخور، ولذا يَعبُر بهما الخليج في دورةٍ واسعة، وعليه أن ينتظر حتى يتبدَّل المَدُّ كي يستطيع



تغيير اتِّجاهه، فتضاءلَت ستورمز إند من ورائها، لكن قلقًا لم يبدُ على المرأة الحمراء، وقالت: «أأنت رجل صالح يا داڤوس سيوورث؟».

وهل يفعل رجل صالح ما أفعله الآن؟ «أنا رجل، رفيق بزوجتي لكني عرفتُ نساءً أخريات، وحاولتُ أن أكون أبًا لأبنائي، وأن أساعد على بناء مكانٍ لهم في هذه الدُّنيا. نعم، انتهكتُ بضعة قوانين، لكني لم أشعر بالشَّرِّ قَطُّ قبل اللَّيلة. إنني مختلط يا سيِّدتي، صالح وطالح».

- «رجل رمادي، لا أبيض ولا أسود، لكن فيك من الاثنين. أهذه حقيقتك يا سير داڤوس؟».

- «وماذا لو أنها كذلك؟ يبدو لي أن أكثر النَّاس رماديُّون».

- «إذا كان نِصف البصلة عفنًا أسود فكلها بصلة عفنة. الرَّجل إمَّا خيِّر أو شرِّير».

كانت بؤر النَّار وراءهما قد امتزجَت صانعةً وهجًا واحدًا باهتًا تحت السَّماء السَّوداء، وكادَت الأرض تغيب عن أنظارهما، ولمَّا حانَ وقت تغيير المسار قال لها: «انتبهي لرأسكِ يا سيِّدتي»، وحرَّك الدفَّة فنثرَ القارب الصَّغير موجةً من الماء الأسود وهو يدور، ومالَت مليساندرا تحت عارضة الصَّاري المتأرجحة واضعةً يدًا واحدةً على حافة القارب والسُّكون التَّام يلوح عليها. صَرَّ الخشب وفرقعَ الشِّراع وتناثرَ الماء بصوتٍ عالٍ حتى إنك كنت لتُقسِم أن القلعة سمعَته بالتَّأكيد، لكن داڤوس يعلم سُخف هذا، فتلاطُم الأمواج اللا نهائي بالصُّخور هو الصَّوت الوحيد الذي يخترق أسوار ستورمز إند المواجِهة للبحر، وحتى هذا الصَّوت خافت.

تموَّجت المياه من وراء القارب إذ تحرَّك صوب الشَّاطئ، وخاطبَ داڤوس مليساندرا قائلًا: «تتكلَّمين عن الرِّجال والبصل، فماذا عن النِّساء؟ ألا ينطبِق الأمر نفسه عليهن؟ أأنتِ خيِّرة أم شرِّيرة يا سيِّدتي؟».

جعلَها سؤاله تُصدِر ضحكةً خافتةً، قبل أن تُجيب: «أنا أيضًا فارسة بشكلٍ ما يا سيِّدي العزيز، نصيرة النُّور والحياة».

- «غير أنكِ تُزمِعين قتل رجلِ اللَّيلة، كما قتلتِ المايستر كرسن».



- «المِايستر سمَّم نفسه. كان ينوي أن يُسَمِّمني، لكني كنتُ محميَّةً بقوَّةٍ أعظم، وهو لا».

- «ورنلي باراثيون؟ مَن قتلَه؟».

أدارَت رأسها إليه، ومن تحت ظِلِّ قلنسوتها توهَّجت عيناها كلهب شمعةٍ أحمر باهت، وأجابَت: «ليس أنا».

- «كاذبة». الآن تأكَّد داڤوس من أنها فعلَتها.

ضحكَت مليساندرا ثانيةً، وقالت: «أنت ضائع في الظُّلمة والحيرة يا سير داڤوس».

قال: «وهذا أفضل»، وأشارَ إلى الأضواء البعيدة التي تتذبذَب على أسوار ستورمز إند متابعًا: «أتَشعُرين ببرودة الرِّيح؟ سيتلملَم الحَرس على مقربةٍ من هذه المشاعل. قليل من الدِّفء وقليل من الضَّوء مصدر راحةٍ في ليلةٍ كهذه، لكن المشاعل ستُعميهم ولن يلمحونا نمرُّ». كما آملُ. «إله الظُّلمات هو مَن يحمينا الآن يا سيِّدتي، يحميكِ أنتِ».

بدا لهب عينيها كأنه اتَّقد أكثر مع قوله، وردَّت: «لا تلفظ هذا الاسم أيها الفارس وإلَّا جذبت عينه السَّوداء إلينا. لك أن تثق بأنه لا يحمي إنسانًا، وبأنه عدوٌّ كلِّ ما هو حي. قلت بنفسك إن المشاعل هي ما يُخفينا، النَّار، نعمة إله الضِّياء السَّاطعة».

- «كما تشائين».

- «كما يشاء هو بالأحرى».

كانت حركة الرِّيح تتبدَّل، وأحسَّ داڤوس بهذا ورآه في تموُّج الشِّراع الأسود، فمَدَّ يده إلى الحبال قائلًا: «ساعِديني على إنزال الشِّراع. سأجذفُ بقيَّة الطَّريق»، وأنزلا الشِّراع معًا وربطاه والقارب يتأرجح من تحتهما، وسألَها داڤوس وهو يغمس مجذافيه في المياه السَّوداء: «من جذفَ بكِ إلى رنلي؟».

أجابَت: «لم تكن هناك حاجة، فلم يكن محميًّا، أمَّا هنا... ستورمز إند هذه مكان قديم، وثمَّة تعاويذ ممتزجة بحجارتها، حواجز سوداء لا يستطيع ظِلٌّ المرور منها... عتيقة، منسيَّة، لكن لا تزال في أماكنها».



شعرَ داڤوس بالقشعريرة تزحف على جِلده، وقال: «ظِل؟ الظِّلال من الظَّلام».

- «أنت أجهل من طفلٍ أيها الفارس، فلا ظلال في الظَّلام. الظِّلال خدم النُّور، أطفال النَّار، وأسطع لهبٍ يُلقي أغمق ظِل».

عقدَ داڤوس حاجبيه وأشارَ لها بالسُّكوت. إنهما يُعاوِدان الاقتراب من الشَّاطئ، والأصوات تنتقل عبر الماء. جذفَ ليطغى صوت الأمواج الرَّتيب على صوت مجذافيه الواطئ. يستقرُّ الجانب المواجه للبحر من ستورمز إند فوق جُرفٍ أبيض شاحب، ترتفع حجارته الطُّبشوريَّة بزاويةٍ مستقيمة حتى السُّور العملاق الذي يفوقها طولًا مرَّةً ونِصفًا، وفي الحجارة كانت الثَّغرة التي أبحرَ داڤوس صوبها كما فعلَ قبل ستٍّ عشرة سنة، حيث ينفتح النَّفق على كهفٍ تحت القلعة شيَّد فيه سادة أراضي العواصف القُدامى مرساهم.

لا يكون الممرُّ المائي صالحًا للملاحة إلَّا مع ارتفاع المَد، ودائمًا ما يكون خدَّاعًا، لكن مهارات المهرِّب لم تتخلَّ عن داڤوس، وشَقَّ طريقهما ببراعةٍ بين الصُّخور المحزَّزة إلى أن لاحَ مدخل الكهف أمامهما، فتركَ الموج يحملهما إلى الدَّاخل وهو يتكسَّر حول القارب ويدفعه هنا وهناك ويُغرِقهما تمامًا. فجأةً ظهرَ إصبع صخري من العتمة والماء يزبد من حوله، وبالكاد أزاحَهما داڤوس عنه بمجذاف.

ثم إنهما مرَّا أخيرًا وابتلعَهما الظَّلام تمامًا وهدأَ الماء، فتباطأَت حركة القارب الصَّغير ودارَ، بينما تردَّد صدى أنفاسهما وتعاظمَ حتى بدا كأنه يُحيط بهما. لم يتوقَّع داڤوس هذا السَّواد، ففي المرَّة السَّابقة كانت المشاعل موقدةً بطول النَّفق، ورمقَته أعيُن الجائعين من فتحات الدِّفاع في السَّقف. يعرف أن الشَّبكة الحديديَّة في مكانٍ ما أمامهما، فاستخدمَ المجذافين لإبطاء القارب، وحملَهما التيَّار بشِبه نعومة.

قال داڤوس وهمساته تطفو على صفحة الماء المتموِّجة كأنها طابور من الفئران الصَّغيرة ذات الأقدام الورديَّة اللَّدنة: «هنا أقصى بُقعةٍ يُمكننا بلوغها، ما لم يكن لديكِ رجل في الدَّاخل يفتح لنا البوَّابات».

- «هل عبرنا إلى الجانب الآخَر من الأسوار؟».



- «نعم، نحن أسفلها، لكننا لا نستطيعُ التقدُّم أكثر. الشَّبكة الحديديَّة تنزل حتى القاع، والقضبان متراصَّة على مقربةٍ من بعضها بعضًا، بحيث لا يستطيع طفل اعتصار جسده بينها».

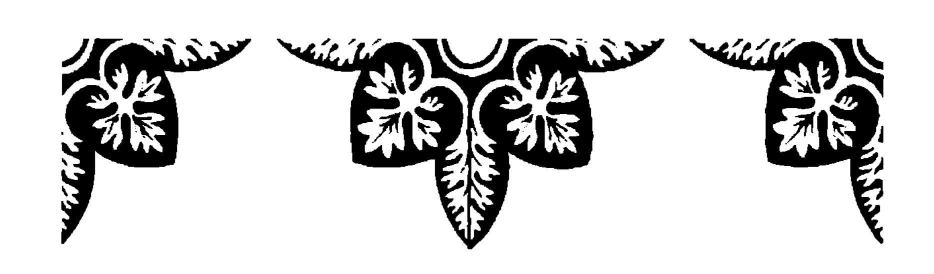
لم تأته إجابة غير حفيفٍ ناعم، ثم اشتعلَ ضوء مباغت في قلب الظَّلام.

رفعَ داڤوس يده يحمي عينيه، واحتبسَت أنفاسه في حَلقه. كانت مليساندرا قد خلعَت قلنسوتها وتخلَّت عن الثَّوب الخانق، ومن تحته كانت عاريةً وقد انتفخَ بطنها بالجنين، ينتأ جِلده حتى بدا كأنه على شفا الانفجار، وتدلَّى نهداها ممتلئين ثقيلين على صدرها، فهمسَ داڤوس: «فلتحفظنا الآلهة»، وسمعَها تردُّ بضحكةٍ حلقيَّةٍ عميقة. عيناها كانتا جمرتين متَّقدتين، والعَرق الذي تصبَّب منها بدا كأنه يُضيء بنوره الخاص، فتألَّق جسد مليساندرا ألقًا.

لاهثةً، جلسَت القرفصاء وباعدَت بين ساقيها، وسالَ الدَّم على فخذيها أسود كالحبر. صرختها كانت إمَّا ألمًا أو نشوةً أو الاثنين، ورأى داڤوس قمَّة رأس الطِّفلِ تدفع نفسها من داخلها، ثم تحرَّرت ذراعان وتلمَّستا طريقهما، قبل أن تلتفَّ أصابع سوداء حول فخذي مليساندرا المشدودتين وتدفع، إلى أن خرجَ الظِّلُّ بأكمله إلى العالم وارتفعَ وقد فاقَ داڤوس طولًا، ارتفعَ طويلًا كالنَّفق ذاته فوق القارب. لم يملك داڤوس أكثر من لحظةٍ واحدةٍ رآه فيها قبل أن يتلوَّى بين قضبان الشَّبكة الحديديَّة ويهرع على سطح الماء، لكن لحظةً واحدةً كانت تكفي.

إنه يعرف هذا الظِّل، ويعرف الرَّجل الذي ألقاه.





چون

جاءَ النِّداء يتخلَّل سواد اللَّيل، ودفعَ چون نفسه ليستند على مِرفقه، وقد امتدَّت يده بحُكم العادة إلى «المخلب الطَّويل»، بينما دبَّت الحركة في المخيَّم. النَّفير الذي يوقظ النِّيام.

ظلَّت النَّغمة الواطئة الطَّويلة عالقةً عند حافة السَّمع، ووقفَ الحُرَّاس على السُّور الدَّائري جامدين في أماكنهم، تَخرُج أنفاسهم صقيعًا ورؤوسهم ملتفتة إلى الغَرب. كفَّت الرِّيح نفسها عن الهبوب مع خفوت النَّفير، وقامَ الرِّجال من تحت أغطيتهم يلتقطون الرِّماح وأحزمة السُّيوف، يتحرَّكون بهدوءٍ منصتين. صهلَ حصان فأسكتَه أحدهم، وطيلة المدَّة التي تستغرقها نبضة القلب، بدَت الغابة كلها كأنها تحبس أنفاسها. انتظرَ إخوة حَرس اللَّيل نفخةً ثانيةً في البوق، وفي قرارة أنفسهم وكلهم خوف من أن يسمعوها، دعوا الآلهة ألَّا تَبْغ آذانهم.

حين طالَ الصَّمت حتى فاقَ الاحتمال، وأدركَ الرِّجال أخيرًا أن النَّفير لن يتردَّد ثانيةً، ابتسَموا لبعضهم بعضًا بارتباكٍ كأنهم يُحاوِلون إنكار توتُّرهم. أطعمَ چون سنو النَّار بضع قطعٍ من الخشب، وربطَ حزام سيفه وارتدى حذاءه، ونفضَ التُّراب والنَّدى عن معطفه وثبَّته على كتفيه، وتأجَّج اللَّهب إلى جواره، تلفح حرارته المحبَّبة وجهه بينما ارتدى ثيابه وهو يسمع حضرة القائد يتحرَّك في خيمته، وبَعد لحظةٍ رفعَ مورمونت سديلة الباب متسائلًا: «نفخة واحدة؟». على كتفه كان غُدافه صامتًا منفوش الرِّيش ويبدو عليه البؤس.

قال چون: «واحدة يا سيِّدي، إخوة عائدون».

اقتربَ مورمونت من النَّار قائلًا: «ذو النِّصف يد، أخيرًا». كان اضطرابه



يتنامى كلَّ يوم قبعوا فيه منتظرين، ولو انتظروا مدَّةً أطول كان مزاجه ليسوء أكثر بكثير. «احرِص على وجود طعامٍ ساخن للرِّجال وعلفٍ للخيول. سأرى كورين في الحال».

- «سأحضره يا سيِّدي». كان متوقَّعًا أن يصل الرِّجال القادمون من «بُرج الظِّلال» منذ أيام، ولمَّا لم يظهروا بدأ الإخوة يتساءَلون، وسمعَ چون همهماتٍ كئيبة حول المخيَّم، وليس من إد الكئيب فقط، فالسير أوتين ويذرز أرادَ الانسحاب إلى القلعة السَّوداء في أسرع وقتٍ ممكن، بينما حبَّذ السير مالادور لوك التوجُّه إلى «بُرج الظِّلال»، على أمل اقتفاء أثر كورين ومعرفة ما جرى له، لكن ثورين سمولوود أعلنَ: «مانس رايدر يعلم أن عليه أن يُقاتِل حَرس اللَّيل، لكنه لن يبحث عنا أبدًا على هذا البُعد شَمالًا. إذا سلكنا طريق النَّهر اللَّبني، فسنُباغِته بهجومنا ونُمَزِّق جيشه إربًا قبل أن يدري أننا نُهاجِمه حتى».

قال السير أوتين باستنكار: «الأعداد ليست في صالحنا. كراستر قال إنه يحشد جيشًا ضخمًا، آلافًا وآلافًا، ونحن مئتان فقط دون رجال كورين».

رَدَّ سمولوود بثقة: «أطلِق مئتي ذئبٍ بين عشرة آلافٍ من الخراف أيها والفارس وانظُر ما سيَحدُث».

قال چارمان بكويل محذِّرًا: «ثمَّة تيوس بين هذه الخراف يا ثورين، نعم، وربما بضعة أسودٍ أيضًا... ذو القميص المُخشخِش، وهارما رأس الكلب، وألفين قاتِل الغِربان...».

قاطعَه ثورين سمولوود بحدَّة: «أعرفهم مِثلما تعرفهم تمامًا يا بكويل، وأنوي أن أقطع رؤوسهم جميعًا. إنهم هَمج وليسوا جنودًا، بضع مئاتٍ من الأبطال السَّكارى وسط جيشٍ عظيم من النِّساء والأطفال والخدم. سنكتسحهم ونُعيدهم إلى جحورهم مولولين».

تناقَشوا ساعاتٍ طويلة ولم يتَّفقوا. الدُّب العجوز أكثر عنادًا من أن ينسحب، لكنه لن يتهوَّر بسلوك طريق النَّهر اللَّبني سعيًا إلى المعركة كذلك، وفي النِّهاية لم يتقرَّر شيء غير انتظار رجال «بُرج الظِّلال» بضعة أيامٍ أخرى، واستئناف الكلام إذا لم يظهروا.



وها هُم ظهَروا، أي أن القرار لن يتأجَّل أكثر، وهذا على الأقل يسرُّ چون، فإن كان عليهم أن يُقاتِلوا مانس رايدر، فليفعلوا قريبًا.

وجدَ إد الكئيب عند النَّار، يشكو كم يَصعُب عليه النَّوم بينما يُطلِق النَّاس النَّفير في الغابة، فمدَّه چون بشيءٍ جديدٍ يشكو منه، ومعًا أيقظا هاك الذي تلقَّى أوامر حضرة القائد بوابلٍ من الشَّتائم قبل أن ينهض، وبَعد قليلٍ كان قد كلَّف دستةً من الإخوة بتقطيع الجذور ليصنع حَساءً.

اقتربَ سام لاهثًا من چون وهو يقطع المخيَّم، وتحت قلنسوته السَّوداء كان وجهه شاحبًا مستديرًا كالقمر، وقال: «سمعتُ النِّداء. هل عادَ عمُّك؟».

- «إنهم رجال «بُرج الظِّلال» لا أكثر». أصبحَ التمسُّك بعودة بنچن ستارك الآمنة أصعب فأصعب. المعطف الذي وجدَه تحت «القبضة» من الممكن أن يكون لعمِّه أو أحد رجاله، وحتى الدُّب العجوز أقرَّ بهذا، وإن لم يستطِع أحد أن يُخَمِّن سبب دفنه في هذا المكان حول خبيئةٍ من زُجاج التنِّين. «يجب أن أذهب يا سام».

عند السُّور الدَّائري وجدَ الحُرَّاس يجتثُّون الخوازيق من التُّربة نِصف المتجمِّدة ليصنعوا فتحةً للمرور، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن تبدأ طليعة إخوة «بُرج الظِّلال» صعود المنحدَر الملتفّ، كلهم يرتدون الجِلد والفرو، مع شيءٍ من الفولاذ والبرونز هنا وهناك، وقد غطَّت اللِّحى الكثيفة الوجوه النَّاحلة القويَّة، جاعلةً إياهم يبدون شَعِثين كخيولهم. أدهشَ چون أن يرى أزواجًا منهم على حصانٍ واحد، ولمَّا أمعنَ النَّظر صارَ واضحًا أن كثيرين جرحى. واجهتَهم متاعب في الطَّريق.

تعرَّف چون كورين ذا النِّصف يد لحظة أن رآه، على الرغم من أنهما لم يلتقيا قَطُّ، فالجوَّال الكبير يكاد يكون أسطورةً وسط إخوة حَرس اللَّيل، رجل كلامه متروٍّ وأفعاله سريعة، طويل منتصب القامة كالحربة، وطويل الأطرافِ ووقور الملامح، يَسقُط شَعره من تحت خوذته في جديلةٍ طويلةٍ يُغَلِّفها الصَّقيع، والأسود الذي يرتديه باهت للغاية حتى إنه أقرب إلى الرَّمادي. لم يتبقَّ غير الإبهام والسبَّابة من اليد التي تُمسِك عِنان حصانه، أمَّا الأصابع الأخرى فبترَتها بلطة الهمجي التي صدَّها قبل أن تفلق جمجمته، ويُحكى أنه



ألقى قبضته المشوَّهة في وجه رامي البلطة فانبثقَ الدَّم منها في عينيه، وقتلَه وهو معميٌّ عنه، ومنذ ذلك الحين والهَمج وراء «الجِدار» لا يعرفون خصمًا ألدَّ منه.

حيَّاه چون، وقال: «حضرة القائد مورمونت يرغب في رؤيتك في الحال. سأصحبك إلى خيمته».

ترجَّل كورين قائلًا: «رجالي جائعون، والخيول تحتاج عنايةً».

- «سنعتني بالجميع».

سلَّم الجوَّال حصانه لأحد رجاله، وقال وهو يتبعه: «أنت چون سنو. لديك ملامح أبيك».

- «هل كنت تعرفه يا سيِّدي؟».

- «لستُ سيِّدًا، بل أخ في حَرس اللَّيل فحسب. نعم، كنتُ أعرفُ اللورد إدارد، وأباه من قبله».

وجدَ چون أن عليه أن يُسرِع ليُواكِب خطوات كورين الواسعة، وقال: «اللورد ريكارد ماتَ قبل أن أولَد».

قال كورين: «كان صديقًا لحَرس اللَّيل»، ثم ألقى نظرةً وراءه وأردفَ: «يُقال إن معك ذئب رهيب».

- «سيعود جوست فَجرًا. إنه يصطاد طول اللَّيل».

وجدا إد الكئيب يُحَمِّر شريحةً من اللَّحم المقدَّد ويَسلُق دستةً من البيض في قِدرٍ فوق حُفرة نار الدُّب العجوز، بينما جلسَ مورمونت في كرسي المعسكَرات المصنوع من الجِلد والخشب، وقال: «كنتُ قد بدأتُ أشعرُ بالخوف عليكم. هل لاقَتكم متاعب؟».

- «لاقينا ألفين قاتِل الغِربان. مانس أرسلَه للتقصِّي عند «الجِدار»، وصادَفناه وهو عائد»، وخلعَ كورين خوذته وأضافَ: «لن يُزعِج ألفين البلاد ثانيةً، وإن أفلتَ بعض رجاله منا. طارَدنا أكبر عددٍ ممكن منهم، لكن من الوارد أن تستطيع قِلَّة التَّراجُع إلى الجبال».

- «والتَّكلفة؟».

- «أربعة إخوة ماتوا ودستة من الجرحى، ثُلث ما خسرَه العدوُّ، بالإضافة



إلى أسيرين، سرعان ما ماتَ أحدهما متأثِّرًا بجراحه، لكن الثَّاني عاشَ حتى استجوَبناه».

- «يَحسُن أن نتكلَّم عن هذا في الدَّاخل. سيجلب لك چون قرنًا من المِزر، أم أنك تُفَضِّل النَّبيذ المتبَّل السَّاخن؟».

- «يكفي الماء المغلي، وبيضة وقطعة من اللَّحم المقدَّد».

قال مورمونت: «كما ترغب»، ورفعَ سديلة باب الخيمة، فانحنى كورين ذو النِّصف يد وخطا إلى الدَّاخل.

وقفَ إد عند القِدر يُحَرِّك البيض بملعقة، وقال: «كم أحسدُ هذه البيضات. قليل من الماء المغلي سينفعني الآن. لو كانت القِدر أكبر لوثبتُ فيها، وإن كنتُ أفضِّلُ أن يكون هذا نبيذًا لا ماءً. ثمَّة طُرق أسوأ للموت من أن يموت المرء دافئًا سكرانًا. في مرَّةٍ عرفتُ أخًا أغرقَ نفسه في النَّبيذ، لكنه كان نوعًا رديئًا، والجثَّة لم تُحَسِّنه».

- «هل شربته؟!».

- «شيء شنيع أنت تجد أخاك ميتًا. كنت لتحتاج شرابًا أنت أيضًا يا لورد سنو»، وقلَّب إد البيض وأضافَ رشَّةً من جوز الطِّيب.

بتوتُّرٍ قبعَ چون إلى جوار النَّار وحرَّكها بعصا. كان يسمع صوت الدُّب العجوز من داخل الخيمة، يُقاطِعه نعيق الغُداف ونبرة كورين الأهدأ، وإن لم يستطِع تمييز الكلام. ماتَ ألفين قاتِل الغِربان، هذا جيِّد. كان واحدًا من أشرس مُغيري الهَمج، استمدَّ لقبه من الإخوة السُّود الذين قتلَهم. فلِمَ يبدو كورين متجهِّمًا بعد انتصارٍ كهذا؟

كان چون يأمل أن يرفع وصول رجال «بُرج الظِّلال» الرُّوح المعنويَّة في المخيَّم. اللَّيلة الماضية فقط كان عائدًا من قضاء حاجته في الظَّلام، حين سمعَ خمسة أو ستَّة رجالٍ يتكلَّمون بأصواتٍ خفيضة حول نار، ولمَّا تناهى إلى مسامعه صوت تشِت يُهَمهِم أنهم تأخَّروا في الانسحاب، توقَّف چون وأصغى، وسمعَه يقول: «هذه الجولة كلها حماقة رجلٍ عجوز، ولن نجد شيئًا في هذه الجبال غير قبورنا».



قال لارك رجل الأخوات: «ثمَّة عمالقة في «أنياب الصَّقيع»، وأوْراج، وأشياء أسوأ».

- «لن أذهب إلى هناك، أؤكِّدُ لك».

- «وهل سيُعطيك الدُّب العجوز الخيار؟».

قال تشِت: «ربما لا نُعطيه نحن خيارًا».

عندئذٍ رفعَ أحد الكلاب رأسه وزمجرَ، فأسرعَ چون يبتعد قبل أن يُرى، وفكَّر: لم يكن من المفترَض أن أسمع هذا. خطرَ له أن ينقل الكلام إلى مورمونت، لكنه لم يقدر على إرغام نفسه على الوشاية بإخوته، حتى أمثال تشِت ورجل الأخوات، وقال لنفسه: مجرَّد كلام فارغ. إنهم يَشعُرون بالبرد والخوف مِثلنا جميعًا. من العسير الانتظار هنا على القمَّة الحجريَّة فوق الغابة، والتَّساؤل عمَّا سيأتي به الغَد. العدوُّ الخفي مخيف أكثر من غيره دائمًا.

أخرجَ چون خنجره الجديد من غِمده، وتمعَّن في انعكاس اللَّهب المتراقص على الزُّجاج الأسود البرَّاق. كان قد حفرَ المقبض الخشبي بنفسه، ولَفَّه بخيوطٍ من التِّيل ليستطيع القبض عليه. قبيح شكله، لكنه مفيد، وإن قال إد الكئيب إن السَّكاكين الزُّجاج عديمة الجدوى كحلمتين على صدر دِرع الفارس، لكن چون ليس متأكِّدًا من صحَّة هذا، فالنَّصل المصنوع من زُجاج التِّنين أمضى من الفولاذ، مع أنه أكثر هشاشةً بمراحل.

لا بُدَّ أنه دُفِنَ لسببٍ وجيه.

صنعَ خنجرًا لجرِنْ أيضًا، وآخَر لحضرة القائد، أمَّا البوق الحربي فأعطاه لسام، فمع الفحص الدَّقيق تبيَّن أن البوق مشروخ، وحتى بَعدما نظَّفه من التُّراب تمامًا، لم يستطِع چون إخراج أيِّ صوتٍ منه، كما أن الحافة مكسورة كذلك، لكن سام يُحِبُّ الأشياء القديمة، حتى عديمة القيمة منها، وقال له چون: «اصنَع منه قرن شراب، وكلما شربت منه ستتذكَّر أنك خرجت في جولةٍ وراء «الجِدار» وذهبت إلى «قبضة البَشر الأوائل» نفسها». أهدى سام رأس رُمح ودستةً من رؤوس السِّهام كذلك، ووزَّع البقيَّة على أصدقائه الآخَرين كتمائم حَظ.

بدا الدُّب العجوز مسرورًا بالخنجر، وإن لاحظَ چون أنه يُفَضِّل سكِّينًا من



الفولاذ في حزامه، وإن عجزَ مورمونت عن تقديم إجاباتٍ عن هويَّة من دفنَ المعطف أو ما يعنيه هذا. ربما يعرف كورين. لقد توغَّل ذو النِّصف يد في البراري أكثر من أيِّ رجلٍ على قيد الحياة.

سألَه إد: «هل ترغب في تقديم الطَّعام أم أقدِّمه أنا؟».

دَسَّ الخنجر في غِمده مجيبًا: «سأقدِّمه». إنه يرغب في معرفة ما يقولاه.

قطَّع إد ثلاث شرائح سميكة من الخُبز البائت ورصَّها في طبقٍ خشبي وغطَّاها باللَّحم المقدَّد ودُهنه، وملأ وعاءً بالبيض المسلوق، فحملَ چون الوعاء بيدٍ والطَّبق بالثَّانية، ودخلَ خيمة القائد بظَهره.

جلسَ كورين متقاطع السَّاقين على الأرض وعموده الفقري منتصب كالرُّمح، وتذبذبَ ضوء الشُّموع على وجنتيه المسطَّحتين الصُّلبتين وهو يتكلَّم. كان يقول: «... ذو القميص المُخشخِش والرَّجل الباكي، وكلُّ زعيم آخَر صغير أو كبير. معهم أوْراج كذلك، وماموثات، وقوَّتهم أكبر مما تصوَّرنا كثيرًا، أو أن هذا ما زعمَه، فلن أؤكِّد حقيقة كلامه. إبن يعتقد أن الرَّجل كان يحكي أشياء تُطيل عُمره قليلًا فحسب».

قال الدُّب العجوز بينما وضعَ چون الطَّبق بينهما: «حقيقة أو كذب، لا بُدَّ من تحذير «الجِدار»، والملك أيضًا».

- «أيُّ ملك؟».

- «جميعهم، الشَّرعيُّون والزَّائفون على حَدٍّ سواء. إذا كانوا يُريدون أن يَحكُموا البلاد، فليُدافِعوا عنها».

التقطَ ذو النِّصف يد بيضةً وكسرَها على حافة الوعاء، وقال وهو يُقَشِّرها: «لن يفعل هؤلاء الملوك إلَّا ما يُريدونه فقط، وغالبًا سيكون قليلًا جدًّا. وينترفل أفضل أملٍ لدينا. على آل ستارك أن يحشدوا الشَّمال».

قال الدُّب العجوز: «نعم، بالتَّأكيد»، وبسطَ خريطةً وحدَّق فيها عابسًا، ثم التقطَ أخرى وفتحَها، ورأى چون أنه يُفَكِّر أين ستَسقُط المطرقة. في الماضي كان حَرس اللَّيل يُحَصِّنون تسع عشرة قلعةً بطول فراسخ «الجِدار» المئة، لكنها هُجِرَت واحدةً تلو الأخرى مع اضمحلال أخوَّتهم، وثلاث منها فقط مزوَّدة الآن بالرِّجال، الحقيقة التي يعلمها مانس رايدر مِثلما يعلمونها. «نأمل



أن يعود السير أليسر ثورن بجُندٍ جُدد مِن كينجز لاندنج. إذا استطعنا تزويد «الحارس الأرمد» بالرِّجال من «بُرج الظِّلال»، و«الرَّبوة الطَّويلة» من القلعة الشَّرقيَّة...».

- ««الحارس الأرمد» آيلة للسُّقوط، لكن قد تَصلُح «الباب الحجري» إذا عثرنا على الرِّجال، وربما «رُقعة الجليد» و«البحيرة العميقة» كذلك، مع دوريَّات يوميَّة على الشُّرفات بينها».

- «دوريَّات، نعم، مرَّتان في اليوم إذا استطعنا. «الجِدار» نفسه عائق مهيب، لن يوقِفهم بلا دفاع لكنه سيُعَطِّلهم، وكلما زادَ حجم الجيش استغرَقوا وقتًا أطول. الخواء الذي خلَّفوه وراءهم يشي بأنهم يُزمِعون إحضار نسائهم معهم، وأطفالهم وحيواناتهم أيضًا... هل رأيت عنزةً تتسلَّق سُلَّمًا من قبل؟ أو حبلًا؟ عليهم أن يبنوا درجات ويصنعوا منحدَرًا ضخمًا سيستغرق منهم قمرًا كاملًا على الأقل، وربما أكثر. مانس يعرف أن أفضل فُرَصه تكمُن في المرور من تحت «الجِدار»، عبر بوَّابةٍ أو...».

- «ثغرة».

رفعَ مرومونت رأسه بحدَّةٍ قائلًا: «ماذا؟».

- «إنهم لا ينتوون تسلُّق «الجِدار» أو الحفر تحته يا سيِّدي، بل يُخَطِّطون لاختراقه».

- ««الجِدار» يرتفع سبعمئة قدم، وبالغ السُّمك عند القاعدة، حتى أن مئة رجلٍ سيستغرقون عامًا كاملًا في تحطيمه بالمعاول والفؤوس».

- «ولو».

نتفَ مورمونت شعرةً من لحيته وقد قطَّب وجهه، وتساءلَ: «كيف؟».

قال كورين: «كيف في رأيك؟ بالسِّحر»، وقضمَ نِصف البيضة مضيفًا: «لأيِّ سببٍ آخَر قرَّر مانس أن يجمع قوَّاته في «أنياب الصَّقيع؟» إنها منطقة جرداء مقفرة، والزَّحف منها إلى «الجِدار» طويل ومتعِب».

- «كنتُ آملُ أنه اختار الجبال ليُخفي احتشاد جيشه عن أعيُن جوَّالتي».

قال كورين منهيًا البيضة: «ربما، لكني أظنُّ أن هناك دوافع أخرى. إنه يبحث عن شيءٍ ما في البقاع العالية الباردة، يبحث عن شيءٍ ما يحتاجه».



- «شيء ما؟». رفعَ غُداف مورمونت رأسه وأطلقَ نعيبًا صارخًا، فتردَّد الصَّوت بحدَّة السكِّين في الخيمة المغلقة.

- «قوَّة ما لم يدرِ أسيرنا كنهها. يبدو أنه استُجوبَ بعُنفٍ أكثر من اللَّازم، وماتَ دون أن يقول الكثير، لكني أشكُّ أنه كان يعلَم».

سمعَ چون الرِّيح في الخارج وهي تتسلَّل من فجوات السُّور الدَّائري وتشدُّ حبال الخيام، بينما فركَ مورمونت فمه مفكِّرًا وردَّد: «قوَّة ما. ينبغي أن أعرف ماذا تكون».

- «عليك أن تُرسِل كشَّافةً إلى الجبال إذن».

- «أكرهُ أن أخاطر بمزيدٍ من الرِّجال».

- «أسوأ ما يُمكِن أن يَحدُث أن نموت. لماذا نرتدي هذه المعاطف السَّوداء إن لم يكن لنموت دفاعًا عن البلاد؟ رأيي أن تُرسِل خمسة عشر رجلًا في ثلاث مجموعاتٍ خُماسيَّة، واحدة تستكشف طريق النَّهر اللَّبني، والثَّانية إلى «الممر الصَّادح»، والثَّالثة إلى «سُلَّم العملاق»، تحت قيادتي أنا وچارمان بكويل وثورين سمولوود. يجب أن نعرف ما ينتظر في هذه الجبال».

صاحَ الغُداف: «ينتظر، ينتظر!».

تنهَّد حضرة القائد مورمونت بعُمقٍ، ثم قال مذعنًا: «لا أرى خيارًا آخَر، لكن إذا لم تعودوا...».

قال الجوَّال: «أحدهم سيَخرُج من «أنياب الصَّقيع» يا سيِّدي. إذا كان نحن، فلا بأس، وإن لم يكن نحن فهو مانس رايدر، وأنتم تعترضون طريقه، فلن يستطيع أن يزحف جَنوبًا ويَترُككم وراءه لتتبعوه وتُغيروا على مؤخِّرة جيشه، وعليه يجب أن يُهاجِم، وهذا مكان قوي».

قال مورمونت: «ليس إلى هذا الحَد».

- «من الوارد أن نموت كلنا، لكن موتنا سيكسب وقتًا لإخوتنا على «الجِدار»، وقتًا لتحصينِ القلاع الخالية وإغلاق البوَّابات بالجليد، ووقتًا لاستدعاء اللوردات والفُرسان إلى نجدتهم، ووقتًا لشحذ أسلحتهم وبناء المجانيق. سنبذل حياتنا لقاء شيءٍ نافع».

همهمَ الغُداف وهو يتحرَّك جيئةً وذهابًا على كتفي مورمونت: «نموت،



نموت، نموت، نموت، نموت!»، فيما أطرقَ الدُّب العجوز بصمتٍ كأن عبء الكلام أصبحَ أثقل من أن يحمله، لكنه قال في النِّهاية: «فلتُسامِحني الآلهة. اختر رجالك».

أدارَ كورين ذو النِّصف يد رأسه وسلَّط عينيه على عيني چون طويلًا، ثم قال: «ليكن إذن. أختارُ چون سنو».

حدَّق فيه مورمونت مندهشًا، وقال: «إنه ليس أكثر من صبي، ووكيل أيضًا وليس جوَّالًا حتى».

- «توليت يستطيع أن يخدمك بالكفاءة نفسها يا سيِّدي»، ورفعَ كورين يده المشوَّهة ذات الإصبعين، وأردفَ: «لم تزل الآلهة القديمة قويَّةً وراء «الجِدار»، آلهة البَشر الأوائل... وآل ستارك».

نظرَ مورمونت إلى چون قائلًا: «ما قولك؟».

أجابَ من فوره: «أريدُ أن أذهب».

ابتسمَ العجوز بحُزن، وقال: «كما حسبتُ».

كان الفَجر قد بزغَ حين خرجَ چون من الخيمة مع كورين ذي النِّصف يد، لتدور الرِّياح حولهما محرِّكةً معطفيهما الأسودين وناثرةً الجمار المنطفئة في الهواء، وقال له الجوَّال: «سنتحرَّك قريبًا. من الأفضل أن تَعثُر على ذئبك».





تيريون

كانا راكعيْن وحدهما في عتمة السِّپت وسكونه، لا يُحيط بهما غير الظِّلال وضوء الشُّموع المرتعش، ومع ذلك حافظَ لانسل على نبرةٍ خفيضة وهو يقول: «الملكة تعتزم إخراج الأمير تومن من المدينة. النيَّة أن يأخذه اللورد جايلز إلى روزبي ويُخفيه هناك في هيئة خادم. سيَصبُغون شَعره بلونٍ داكن ويقولون للجميع إنه ابن فارسٍ متجوِّل ما».

- «أهي خائفة من الدَّهماء أم مني؟».

- «منك ومنهم».

- «آه». لم يكن تيريون يعلم بأمر ذلك المخطَّط. هل خذلَته طيور ڤارس الصَّغيرة هذه المرَّة؟ حتى العناكب تغفل أحيانًا في اعتقاده... أم أن الخصيَّ يلعب لُعبةً أكثر غموضًا ومكرًا مما يتصوَّر؟ «أشكرك أيها الفارس».

- «هل ستمنحني ما طلبته منك؟».

- «ربما». كان لانسل قد طلبَ أن يتولَّى موقع قيادةٍ في المعركة المقبلة. إنها وسيلة سامية للموت قبل أن يكتمل نموُّ شاربه هذا، لكن الفُرسان الصِّغار يتصوَّرون دائمًا أنهم لا يُقهَرون.

بقيَ تيريون بَعد انصراف ابن عمِّه، وعند مذبح «المُحارِب» أشعلَ شمعةً بأخرى وصلَّى: احم أخي أيها الوغد اللَّعين، إنه واحد من جنودك، ثم أشعلَ شمعةً أخرى عند مذَبح «الغريب» لنفسه.

ليلتها، عندما أظلمَت القلعة الحمراء، جاءَ برون ليجده يختم رسالةً،



وقال القزم وهو يُقَطِّر الشَّمع الذَّهبي السَّاخن على الرَّق: «خُذ هذه إلى السير چاسلين بايووتر».

- «ماذا فيها؟». لا يعرف برون القراءة، لكنه يُلقي أسئلةً وقحةً.

أجابَ تيريون بينما يضغط ختمه في الشَّمع الطَّري: «أن يأخذ خمسينًا من أفضل رجاله ويستطلع الطَّريق الوردي».

- «الأرجح أن يأتي ستانيس من طريق الملوك».

- «أوه، أعرفُ هذا. قُل لبايووتر أن يتجاهَل ما في الرِّسالة ويأخذ رجاله شَمالًا، حيث سينصب شَركًا على طريق روزبي. اللورد جايلز سيُغادِر إلى قلعته خلال يوم أو اثنين مع دستةٍ من المسلَّحين وبعض الخدم وابن أختي. قد يكون الأمير تومن متنكرًا في هيئة خادم».

- «أتُريد إعادة الصَّبي إلى المدينة؟».

- «لا، أريده أن يُواصِل الطَّريق إلى القلعة». كان تيريون قد قرَّر أن خروج الصَّبي من كينجز لاندنج من أفضل الأفكار التي تفتَّقت عنها سرسي، ففي روزبي سيكون تومن آمنًا من الدَّهماء، كما أن إبعاده عن أخيه يُصَعِّب الأمور أكثر على ستانيس، فحتى إذا استولى على كينجز لاندنج وأعدمَ چوفري، سيظلُّ صاحِب دعوى آخَر من آل لانستر يُصارِعه على العرش. «اللورد جايلز أسقم من أن يفرَّ وأجبن من أن يُقاوِم، وسيأمر أمين قلعته بفتح البوَّابة. بمجرَّد أن يَدخُلوا، سيَطرُد بايووتر الحامية ويُحافِظ على سلامة تومن. سَله إن كان وقع «اللورد بايووتر» يروقه».

- «يروقني وقع «اللورد برون» أكثر. يُمكنني أن آخذ الصَّبي منهم بالكفاءة نفسها، بل وأهَزهِزه على رُكبتي وأغنِّي له تهويدةً لو أن في الأمر لورديَّة».

قال تيريون: «أحتاجك هنا». ثم إنني لا أأتمنك على ابن أختي. إذا طالَ چوفري أذى، ستستقرُّ دعوى آل لانستر للعرش الحديدي على عاتقيِّ تومن الصَّغيرين، وسيُدافِع رجال السير چاسلين عن الصَّبي، بينما الأرجح أن يبيعه مرتزِقة برون لأعدائه.

- «وماذا يفعل اللورد الجديد بالقديم؟».

- «ما يُريد، بشرط أن يتذكَّر أن يُطعِمه، فلا أريده أن يموت»، وقامَ من



على المائدة مواصلًا: «أختي سترُسِل واحدًا من رجال الحَرس الملكي مع الأمير».

لم يبدُ قلق على برون، وقال: «لن يتخلَّى كلب چوفري عنه، أمَّا البقيَّة فيستطيع ذوو المعاطف الذَّهبيَّة تولِّي أمرهم بسهولة».

قال تيريون: «إذا تطوَّر الأمر إلى القتل، فقُل للسير چاسلين إنني لا أريدُ أن يَحدُث هذا أمام تومن»، وارتدى معطفًا ثقيلًا من الصُّوف البنِّي الدَّاكن مواصلًا: «ابن أختي رقيق القلب».

- «أأنت واثق بأنه لانستر؟».

- «لا أثقُ بشيءٍ غير الشِّتاء والحرب. تعالَ، سأركبُ معك جزءًا من الطَّريق».

- «إلى شاتايا؟».

- «كم تعرفني!».

خرجا من بوَّابة جانبيَّة في السُّور الشَّمالي، وهمزَ تيريون حصانه فاندفعَ يقطع الدَّرب المظلَّل، حيث هرعَت بضعة أشباح مسربَلة بالسَّواد إلى الأزقَّة مع ارتفاع وقع الحوافر على حجارة الرَّصف، لكن أحدًا لم يجرؤ على الدُّنو منهما. كان المجلس قد مَدَّ حظر التَّجوال الذي فرضَه تيريون، ومن يُلقى القبض عليه في الشَّارع بَعد رنين أجراس المساء يُعاقَب بالموت. أعادَ هذا الإجراء قَدرًا من السَّلام إلى كينجز لاندنج، وخفضَ أعداد الجُثث التي يُعثَر عليها كلَّ صباحٍ في الأزقَّة إلى الرُّبع، وعلى الرغم من ذلك يقول ڤارس إن النَّاس يلعنونه. يَجدُر بهم أن يمتنُّوا لأن في صدورهم أنفاس تتردَّد كي يلعنوا.

اعترضَ طريقهما اثنان من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة في عطفة النحَّاسين، لكن حين أدرَكا هويَّتيهما، اعتذرا لحضرة اليد وسمَحا لهما بالمرور، قبل أن يفترقا وينعطف برون جَنوبًا نحو بوَّابة الطَّمي.

تقدَّم تيريون في طريقه إلى ماخور شاتايا، لكن صبره نفدَ تمامًا فجأةً، والتفتَ فوق سَرجه وجاسَ بعينيه في الشَّارع من ورائه، فلم يرَ أثرًا لأحدٍ يتبعه، والنَّوافذ كلها مظلمة أو ستائرها مسدَلة بالكامل، ولم يسمع شيئًا غير دوران الرِّياح في الأزقَّة. إذا كانت سرسي قد أرسلَت مَن يتبعني خلسةً اللَّيلة،



فلا بُدَّ أنه متنكِّر في صورة جرذ. تمتمَ: «فلتحترق الدُّنيا». لقد سئمَ تمامًا من الحذر والحيطة، وهكذا دارَ بحصانه وهمزَه بقوَّةٍ قائلًا لنفسه: إذا كان أحدهم ورائي، فلنرَ براعته في الرُّكوب، وقطعَ الشَّوارع التي يُنيرها القمر طيرانًا، تدقُّ الحوافر حجارة الأرض والحصان ينطلق كسهمٍ في الأزقَّة الضيِّقة والمنعطفات، ينطلق إلى حبيبته.

كان يَطرُق البوَّابة بينما تتسلَّل إلى مسامعه موسيقى خافتة من وراء الأسوار الحجريَّة المزوَّدة بالخوازيق. قادَه أحد الإيبنيزيِّين إلى الدَّاخل، وسلَّم تيريون الرَّجل حصانه متسائلًا: «مَن هذا؟». كان زُجاج الرَّدهة الكبيرة ذو الأشكال الماسيَّة مضيئًا بالأصفر، وسمعَ تيريون صوت رجلٍ يُغَنِّي.

هَزَّ الإيبنيزي كتفيه مجيبًا: «مغنٍّ بدين ما».

تعالى الصَّوت فيما مشيَ من الاسطبل إلى البيت. لم يكن تيريون مغرمًا بالمغنِّين قَطُّ، وهذا بالتَّحديد راقَه أقلَّ ممَّن هُم على شاكلته قبل أن يراه حتى. حين فتحَ الباب، بترَ الرَّجل الأصلع ذو البطن المنتفخ أغنيَّته، وركعَ مغمغمًا: «حضرة اليد، تشرَّفتُ، تشرَّفتُ».

ابتسمَت شِاي لمرآه قائلةً: «سِيدي». يُحِبُّ هذه الابتسامة والطَّريقة الغريزيَّة السَّريعة التي ترتسم بها على مُحَيَّاها الجميل. ارتدَت الفتاة فُستانها الأرجواني الحرير، مطوَّقًا عند الخصر بوشاحٍ من قماش الفضَّة، فاتَّسق اللَّونان مع شَعرها الفاحم وبياض بشرتها البضَّة.

خاطبَها قائلًا: «حُلوتي... ومَن هذا؟».

رفعَ المغنِّي عينيه مجيبًا: «اسمي سايمون لسان الفضَّة يا سيِّدي، ممثِّل ومغنٍّ وحكَّاء...».

قاطَعه تيريون: «وأحمق كبير. بِمَ دعوتني عندما دخلتُ؟».

بدا كأن الفضَّة في لسان سايمون تحوَّلت إلى رصاصٍ وهو يقول: «بِمَ دعوتك؟ إنني... حضرة اليد، قلتُ إنه شَرف...».

- «رجل أكثر حكمةً كان ليتظاهَر بأنه لم يتعرَّفني. لم أكن سأنخدِع، لكن كان عليك أن تُحاوِل. ماذا أفعلُ بك الآن؟ إنك تعلم بأمر حُلوتي شِاي، وتعلم أين تَقطُن، وتَعلم أني أزورها وحدي ليلًا».



- «أقسمُ أنني لن أخبر أحدًا...».

قال تيريون: «نتَّفق على هذا الجزء. طابَت ليلتك»، وقادَ شِاي إلى الطَّابق العُلوي.

قالت مداعبةً: «قد لا يستطيع مغنِّيَّ الغناء ثانيةً وقد أخفته حتى فقدَ صوته».

- «قليل من الخوف سيُساعِده على بلوغ النَّغمات العالية».

أغلقَت باب غُرفة نومهما قائلةً: «لن تُؤذيه، أليس كذلك؟»، وأشعلَت شمعةً معطَّرةً وركعَت تخلع حذاءه، وأكملَت: «أغانيه تُسَلِّيني في اللَّيالي التي لا تأتيها».

قال وهي تُدَلِّك قدميه الحافيتين: «ليتني أقدر على المجيء كلَّ ليلة. أهو مغنٍّ جيِّد؟».

- «أفضل من البعض وليس ببراعة آخَرين».

فتحَ تيريون فُستانها ودفنَ وجهه بين ثدييها. دائمًا ما تكون نظيفة الرَّائحة، حتى في هذه المدينة الأقرب رائحتها إلى زرائب الخنازير. قال لها: «احتفِظي به إذا أردتِ، لكن على مقربة، فلا أريده أن يجول في المدينة ناشرًا الحكايات في محال الأكل».

بدأت تتكلَّم قائلةً: «لن...»، لكنَ تيريون غطَّى شفتيها بشفتيه. لقد اكتفى من الكلام، وما يرغب فيه الآن هو البساطة الحُلوة التي يجدها في مُتعة ما بين فخذيِّ شِاي، فهنا على الأقل يَشعُر بالتَّرحاب، بأنه مرغوب.

بَعدها سحبَ ذراعه برفقٍ من تحت رأسها وارتدى سُترته الطَّويلة ونزلَ إلى الحديقة، حيث صبغَ الهِلال ورق أشجار الفاكهة بالفضَّة وأضاءَ سطح بِركة السِّباحة الصِّناعيَّة. جلسَ تيريون إلى جوار الماء، ومن مكانٍ ما على يمينه سمعَ صرصور حقلٍ يصرُّ، الصَّوت الذي بَثَّ فيه أُلفةً عجيبةً. ثمَّة سكينة حقيقيّة هنا، لكن إلى متى؟

بلغَت أنفه نفحة من شيءٍ كريه الرَّائحة جعلَته يُدير رأسه، ووجدَ شِاي واقفةً في المدخل مرتديةً الثَّوب المفضَّض الذي أهداها إياه. عشقتُ بنتًا بيضاء كالشِّتاء، في شَعرها نور القمر. وراءها وقفَ أحد الإخوة الشحَّاذين، رجل ممتلئ يرتدي ثيابًا مرقَّعةً قذرةً، وقد اكتسَت قدماه الحافيتان بالأوساخ،



بينما تدلَّى وعاء من شريطٍ جِلديٍّ يُحيط بعُنقه كما يُعَلِّق السِّبتون بلَّورته، لكن الأدهى هو رائحته التي تقلب معدة جرذ. أعلنَت شِاي: «اللورد ڤارس جاءَ لزيارتك».

رمقَها الأخ الشحَّاذ مندهشًا، بينما ضحكَ تيريون وقال: «بالتَّأكيد. كيف تعرَّفتِه فيما عجزتُ أنا عن ذلك؟».

هزَّت كتفيها مجيبةً: «إنه لا يزال الشَّخص نفسه، فقط يرتدي ثيابًا مختلفةً».

قال تيريون: «شكله مختلف ورائحته مختلفة وطريقة مشيه مختلفة، ما يكفي لخداع معظم الرِّجال».

- «ومعظم النِّساء ربما، لكن ليس العاهرات. العاهرة تتعلَّم أن ترى الرَّجل وليس ملبسه، وإلَّا سيجدونها ميتةً ذات يومٍ في زُقاق».

بدا ڤارس منزعجًا، وليس من الجَربِ الزَّائف على قدميه، فضحكَ تيريون، وقال: «شِاي، هلَّا أحضرتِ لنا القليل من النَّبيذ؟». قد يحتاج شرابًا، فما أتى بالخصيِّ إلى هنا في جوف اللَّيل لن يكون خيرًا.

قال ڤارس حين تركَتهما شِاي: «أكادُ أخشى أن أخبرك بسبب مجيئي يا سيِّدي، فلديَّ أنباء كريهة».

- «حريٌّ بك أن ترتديَ الرِّيش الأسود يا ڤارس، فأنت نذير سوء كالغِدفان»، ونهضَ بحركةٍ مرتبكة، خائفًا من إلقاء السُّؤال التَّالي، لكنه سألَه: «أهو چايمي؟». لو مسُّوه بأذى فلن يُنقذهم شيء.

- «لا يا سيِّدي، إنها مسألة أخرى. لقد ماتَ السير كورتناي پنروز وفتحَت ستورمز إند بوَّاباتها لستانيس باراثيون».

أزاحَ الهلع كلَّ الخواطر الأخرى من عقل تيريون، وحين رجعَت شِاي بالنَّبيذ، أخذَ رشفةً واحدةً قبل أن يقذف الكأس لتتفجَّر على جانب البيت. رفعَت شِاي يدها تحمي نفسها من الشَّظايا بينما سرى النَّبيذ على الحجر كأصابع طويلة، وقد صبغَه نور القمر بالأسود، وقال تيريون: «اللَّعنة عليه!».

ابتسمَ ڤارس كاشفًا الأسنان النَّخرة في فمه، وتساءلَ: «على مَن يا سيِّدي؟ السير كورتناي أم اللورد ستانيس؟».

- «على الاثنين». ستورمز إند قويَّة، وكان من المفترَض أن تَصمُد نِصف



عام أو أكثر... ما يكفي من وقتٍ لأن يَفرُغ أبوه من روب ستارك. «كيف حدَثَ هذا؟».

نظرَ ڤارس إلى شِاي قائلًا: «سيِّدي، أينبغي أن نُزعِج منام الليدي الجميلة بهذا الحديث الدَّموي الكئيب؟».

قالت شِاي: «هذا الحديث يُخيف الليدي، لكنه لا يُخيفني».

قال لها تيريون: «يَجدُر بكِ أن تخافي. مع سقوط ستورمز إند، سيصبُّ ستانيس انتباهه على كينجز لاندنج»، وشعرَ بالنَّدم على سكب النَّبيذ وهو يقول: «لورد ڤارس، امنحنا لحظةً. سأعودُ معك إلى القلعة».

- «سأنتظرُ في الاسطبل»، وانحنى الخصيُّ وابتعدَ.

جذبَ تيريون شِاي إلى أسفل قائلًا: «لستِ آمنةً هنا».

- «حولي أسواري والحُرَّاس الذين عيَّنتهم لي».

- «إنهم مرتزِقة، يُحِبُّون ذهبي، لكن هل سيموتون في سبيله؟ أمَّا هذه الأسوار، فمن الممكن أن يقف رجلٍ على كتف آخَر ويَعبُر في لحظة. لقد احترقَ إيوان يُشبِه هذا كثيرًا أثناء الشَّغب، وقتَلوا صاحِبه الصَّائغ بجريمة امتلاكه مخزن لحوم ممتلئًا، تمامًا كما مزَّقوا جسد السِّپتون الأعلى، واغتصَبوا لوليس نِصفمئة مرَّةً، وهشَّموا رأس السير أرون. ماذا تحسبينهم فاعلين إذا وضعوا أيديهم على امرأة يد الملك؟».

رمقَته بعينيها الواسعتين الجريئتين قائلةً: «تقصد عاهرة يد الملك؟ لكني أوثِرُ أن أكون امرأتك يا سِيدي، وأرتدي الثِّياب الجميلة التي أهديتَني إياها، الحرير والسَّميت وقُماش الذَّهب، وأتزيَّن بجواهرك وأمسك يدك وأجلس إلى جوارك في الاحتفالات. أستطيعُ أن أنجب لك أبناءً، أعرفُ أني أستطيعُ... وأتعهَّدُ بأني لن أجلب لك العار أبدًا».

حُبِّي لكِ يُكَلِّلني بعارٍ كفاية. «حُلم جميل يا شِاي، والآن أتوسَّل إليكِ أن تتخلَّي عنه، فلا يُمكن أنْ يتحقَّق أبدًا».

- «بسبب الملكة؟ لستُ أخشاها هي الأخرى».

- «أنا أخشاها».

- «اقتُلها إذن وأرِح بالك، فلا حُبَّ بينكما أصلًا».



زفرَ تيريون، وقال: «إنها أختي. مَن يَقتُل أحدًا من دمه ملعون للأبد في أعيُن الآلهة والبَشر، وعلاوة على هذا، فمهما كان رأيي ورأيكِ في سرسي، فهي غالية للغاية عند أبي وأخي. يُمكنني التَّحايُل على أيِّ أحدٍ في الممالك السَّبع كلها، لكن الآلهة لم تُزَوِّدني بالقُدرة على مواجَهة چايمي في نزالٍ بالسُّيوف».

- «الذِّئب الصَّغير واللورد ستانيس معهما سيوف ولا تخشاهما».

تعرفين القليل جدًّا يا حُلوتي. «ضدهما معي قوَّة عائلة لانستر كلها، أمَّا ضد چايمي أو أبي فلا أملكُ سوى ظَهرِ محني وساقين ناقصتي النُّمو».

قالت شِاي: «تملكني أنا»، وقبَّلته مطوِّقةً عُنقه بذراعيها وهي تضغط جسدها على جسده.

أثارَته قُبلتها كسائر قُبلاتها دومًا، لكن تيريون حَلَّ نفسه منها برفقٍ هذه المرَّة، وقال: «ليس الآن. اسمعي يا حُلوتي، إن لديَّ... اعتبريها بذرة خطَّة. أعتقدُ أني أستطيعُ إدخالكِ مطابخ القلعة».

تجمَّدت ملامح شِاي وهي تُرَدِّد: «المطابخ؟».

- «نعم. إذا تصرَّفتُ من خلال ڤارس، فلن يعي أحد شيئًا».

قهقهَت قائلةً: «عندئذٍ سأسمِّمك يا سِيدي. كلُّ رجلٍ تذوَّق طهيي أخبرَني كم أنا عاهرة ممتازة!».

- «في القلعة الحمراء ما يكفي من الطُّهاة، والجزَّارين والخبَّازين كذلك. عليكِ أن تتظاهَري بأنكِ مساعِدة طبَّاخ».

- «عاملة مطبخ ترتدي الصُّوف البنِّي الخشن. أهكذا يُريد أن يراني سِيدي؟».

- «سِيدي يُريد أن يراكِ حيَّةً! لا يُمكنكِ تنظيف القدور وأنتِ ترتدين الحرير والمخمل».

قالت: «هل سئمَني سِيدي؟»، ومدَّت يدها تحت سُترته الطَّويلة وقبضَت على ذَكره، وبحركتين سريعتين جعلَته ينتصِب، فضحكَت قائلةً: «ما زال راغبًا فيَّ. أتحبُّ أن تُضاجِع خادمة المطبخ يا سِيدي؟ يُمكنك أن ترشَّ عليَّ الدَّقيق وتمصَّ المرق من على حلمتيَّ إذا...».



- «كفى!». ذكَّرته الطَّريقة التي تتصرَّف بها الآن بدانسي، التي بذلَت جهدًا كبيرًا كي تربح رهانها، فأزاحَ يدها يمنعها من المزيد من العبث، وقال: «ليس هذا الوقت المناسب للعب السَّرير يا شِاي. حياتكِ قد تكون على المحك».

تلاشَت ابتسامتها، وقالت: «لم أقصد أن أثير استياء سِيدي، لكن... ألا يكفي أن تُعطيني مزيدًا من الحَرس؟».

تنهَّد تيريون بعُمقٍ وقال لنفسه: تذكَّر سِنَّها الصَّغيرة، ثم التقطَ يدها وقال لها: «جواهركِ يُمكن استبدالها، ويُمكن تفصيل فساتين جديدة أجمل من القديمة مرَّتين. بالنِّسبة لي أنتِ أثمن شيءٍ بين هذه الأسوار. القلعة الحمراء ليست آمنةً كذلك، لكنها أكثر أمنًا من هنا مرارًا، وأريدكِ هناك».

قالت بصوتٍ خالٍ من المشاعر: «في المطابخ، أنظِّفُ القدور».

- «فترةً قصيرةً فقط».

زمَّت فمها قائلةً: «أبي جعلَني خادمةً في مطبخه، ولهذا فررتُ».

- «قلتِ لي إنكِ فررتِ لأن أباكِ جعلكِ عاهرته».

- «وهذا أيضًا. لم يَرُقني تنظيف القدور أكثر مما راقَني قضيبه في داخلي»، وحرَّكت رأسها بعصبيَّةٍ مردفةً: «لِمَ لا يُمكنك الاحتفاظ بي في بُرجك؟ نِصف اللوردات في البلاد لديهم من يُدفئن أسرَّتهم».

- «لقد مُنِعتُ بشكلٍ صريح من أخذكِ إلى البلاط».

مطَّت شفتيها، وقالت: «منعَك أبوك الأحمق. أنت ناضج بما يكفي للاحتفاظ بكلٍّ مَن تشاء من عاهرات. أيظنُّك ولدًا خصيًّا؟ وماذا سيفعل؟ يصفعك على مؤخِّرتك؟».

وصفعَها تيريون، ليس بقوَّة غاشمة، لكن بقوَّةٍ فيها الكفاية، وقال لها: «عليكِ اللعنة، لا تسخري مني أبدًا، ليس أنتِ!».

مرَّت مدَّة لاذَت خلالها بالصَّمت، والصَّوت الوحيد أتى من صرصور الحقل... يصرُّ، يصرُّ... وأخيرًا قالت شِاي بصوتٍ متخشِّبٍ ثقيل: «أستميحك العُذر يا سِيدي، لم أقصد أن أكون وقحةً».

وأنا لم أقصد أن أصفعكِ. بحَقِّ الآلهة، أتراني أتحوَّلُ إلى سرسي؟ قال لها: «كلانا أساءَ التصرُّف. شِاي، إنكِ لا تفهمين»، ورغم إرادته خرجَت مِن



فيه الكلمات التي لم يكن ينوي أن يقولها أبدًا: «حين كنتُ في الثَّالثة عشر، تزوَّجتُ ابنة مُزارع، أو أني حسبتها كذلك. كنتُ معميًّا بحُبِّي لها، وحسبتها تُحِبُّني بدورها، لكن أبي ألقى الحقيقة في وجهي. كانت عروسي عاهرةً استأجرَها چايمي بغية أن أتذوَّق الرُّجولة للمرَّة الأولى». ولحماقتي صدَّقتُ كلَّ شيء. «وليتأكَّد من تلقيني الدَّرس كاملًا، أعطى اللورد تايوين زوجتي لرجال ثُكنةٍ كاملةٍ من جنوده ليستخدموها كما أحبُّوا، وأمرَني بأن أشاهد». ولكي آخذها مرَّةً أخيرةً بَعدما فرغَ الآخَرون. يومها قال: «كي تتذكَّرها على حقيقتها»، وكان عليَّ أن أتحدَّاه، لكن قضيبي خانَني وفعلتُ كما أمرَ. «بَعد أن فرغَ منها، أبطلَ أبي الزِّيجة، كأننا لم نتزوَّج قَطُّ كما قال السِّپتون»، واعتصرَ يد شِاي قائلًا: «أرجوكِ، دعينا لا نتكلَّم عن بُرج اليد ثانيةً. ستقضين فترةً قصيرةً في المطابخ، وبمجرَّد أن ننتهي من ستانيس، ستحظين بإيوان آخَر وحريرٍ بنعومة يديكِ».

كانت عينا شِاي متَّسعتين، وإن لم يستطِع أن يتبيَّن ما في نظرتهما، وقالت: «لن تعود يداي ناعمتين إذا نظَّفتُ الأفران وحككتُ الأطباق طيلة اليوم. أستظلُّ ترغب في لمستهما وهما محمرَّتان رطبتان مشقَّقتان من الماء السَّاخن والصَّابون؟».

- «أكثر من أيِّ وقتٍ آخَر. حين أنظرُ إليهما، ستُذَكِّرانني بشَجاعتكِ».

لا يدري إن كانت صدَّقته أم لا، وخفضَت هي ناظريها قائلةً: «أنا طوع أمرك يا سِيدي».

كان من الواضح أن هذا أقصى قبولٍ سيناله منها اللَّيلة، وهكذا قبَّل وجنتها حيث صفعَها، على سبيل تخفيف الضَّربة، وقال: «سأرسلُ للإتيان بكِ».

كان ڤارس ينتظر في الاسطبل كما وعدَ، وامتطى تيريون حصانه الذي يبدو أعجف وأقرب إلى الموت، ففتحَ لهما أحد المرتزقة البوَّابة وخرجا صامتيْن. سألَ تيريون نفسه وقد أصابَه خوف مباغت: لماذا حكيتُ لها عن تايشا بحَقِّ الآلهة؟ ثمَّة أسرار لا يجب أن تُفشى أبدًا، ضروب من الخزيِ على الإنسان أن يأخذها معه إلى القبر. ماذا أرادَ منها؟ المغفرة؟ وماذا تعني الطَّريقة التي نظرَت إليه بها؟ هل كرهَت فكرة تنظيف القدور لهذه الدَّرجة أم كرهَت اعترافه؟ قال



جزء في داخله: كيف أقولُ لها هذا وأبقى معتقدًا أنها ستُحِبُّني؟ ورَدَّ جزء آخَر ساخرًا: أيها القزم الأبله، العاهرة لا تُحِبُّ غير الذَّهب والجواهر.

أحسَّ بنبض الألم في مِرفقه المصاب، يصرُّ كلما مَسَّ أحد حوافر الحصان الأرض. أحيانًا يُخَيَّل إليه أنه يسمع العظام تطحن بعضها بعضًا في الدَّاخل. ربما عليه أن يرى مِايسترًا ويَحصُل على عقَّارٍ للألم... لكن منذ أفصحَ پايسل عن حقيقته وتيريون لانستر لا يثق بالمِايسترات البتَّة، فالآلهة وحدها تعلم مع من يتآمَرون أو ما يمزجونه بالأدوية التي يُعطونك إياها. قال بَعد صمت: «ڤارسِ، أريدُ أن آتي بشِاي إلى القلعة دون أن تدري سرسي»، وبإيجازٍ أبلغَه بما يُفَكِّر فيه إزاء عملها في المطابخ.

أصدرَ الخصيُّ ضحكةً قصيرةً حين انتهى، وقال: «سأفعلُ كما يأمرني سيِّدي بالطَّبع... لكن عليَّ أن أحذِّرك من أن المطابخ ملأى بالعيون والآذان. حتى إذا لم تتعرَّض الفتاة لشكوكٍ بعينها، فسيُلقى عليها ألف سؤال. أين وُلِدَت؟ مَن كان أبواها؟ كيف جاءَت إلى كينجز لاندنج؟ لن تنفع الحقيقة أبدًا، لذا يجب أن تكذب... وتكذب وتكذب»، ورمقَ تيريون من أعلى، وأكملَ: «وخادمة مطبخ بجمالها ستُثير الشَّهوة علاوةً على الفضول، وسيلمسونها ويَقرُصونها ويتحسَّسونها. سيزحف عمَّال المطابخ تحت أغطيتها ليلًا، وقد يسعى طبَّاخ وحيد إلى زواجها، ويعجن الخبَّازون ثدييها بأيدٍ ملوَّثة بالدَّقيق».

قال تيريون: «أفضِّلُ أن تتعرَّض للقرص والتحسُّس على الطَّعن».

مضى ڤارس بضع خطواتٍ في طريقه، قبل أن يقول: «قد تكون هناك وسيلة أخرى. يتصادَف أن الوصيفة التي تخدم ابنة الليدي تاندا تسرق جواهرها، فإذا أبلغتُ الليدي تاندا، ستضطرُّ إلى طرد الفتاة في الحال، وستتطلَّب الابنة وصيفةً جديدةً».

- «مفهوم». رأى تيريون الاحتمالات الواعدة في الحال. وصيفة الليدي ترتدي ثيابًا أفضل من عاملة المطبخ، وغالبًا جوهرةً أو اثنتين، فمن شأن هذا أن يسرَّ شِاي، كما أن سرسي تعدُّ الليدي تاندا مملَّةً واهنة الأعصاب، ولوليس بلهاء بليدةً، فليس من الوارد إذن أن تقوم بأيِّ زياراتٍ ودِّيَّة لهما.

قال ڤارس: «لوليس خانعة وسريعة الثِّقة، وستقبل أيما قيلَ لها. منذ سلبَها



الغوغاء بكارتها وهي خائفة من مغادَرة غُرفتها، أي أن شِاي ستكون بعيدةً عن الأنظار... وقريبةً منك في آنٍ واحد عندما تحتاج منها الرَّاحة».

- «تعلم مِثلي تمامًا أن بُرج اليد مراقَب. مؤكَّد أن سرسي ستَشعُر بالفضول إذا بدأت وصيفة لوليس تتردَّد إليَّ».

- «ربما أستطيعُ إدخال الصَّغيرة غُرفة نومك دون أن تُرى. ماخور شاتايا ليس المكان الوحيد الذي يتمتَّع بباب خفي».

قال تيريون: «تعني أن هناك مدخلًا سرِّيًّا إلى مسكني أنا؟». أفعمَه الضِّيق أكثر من الدَّهشة. لأيِّ سببٍ آخَر غير الحفاظ على تلك الأسرار أمرَ ميجور المتوحِّش بقتل كلِّ البنَّائين الذين عملوا على قلعته؟ «نعم، أعتقدُّ أن لا بُدَّ من واحد. وأين أجدُ هذا الباب؟ في غُرفتي الشَّمسيَّة أم غُرفة النَّوم؟».

- «إنك لن تُجبِرني على الكشف عن أسراري كلها يا صديقي، أليس كذلك؟».

- «من الآن فصاعدًا اعتبرها أسرارنا معًا يا ڤارس»، ورفعَ تيريون عينيه إلى الخصيِّ في ثياب التنكُّر مقيتة الرَّائحة، وأردفَ: «بافتراض أنك في صَفِّي...».

- «أترتاب في هذا؟».

تردَّد صدى ضحكته المريرة على النَّوافذ المغلقة، وأجابَ: «أوه، لا، إن ثقتي بك بلا حدود، بل إنني أثقُ بك كما أثقُ بأهلي أنفسهم في الحقيقة! والآن أخبِرني كيف ماتَ كورتناي پنروز».

- «يُقال إنه ألقى نفسه من فوق بُرج».

- «ألقى نفسه؟ لا، لن أصدِّق ذلك!».

- «لم يرَ حُرَّاسه أحدًا يَدخُل مسكنه، ولا وجدوا أحدًا في الدَّاخل بَعدها».

قال تيريون: «إذن دخلَ القاتل قبل ذلك واختبأَ تحت الفِراش، أو نزلَ من السَّطح على حبل. ولعلَّ الحُرَّاس يكذبون، فمَن يُمكنه أن يُثبِت أنهم لم يفعلوها بأنفسهم؟».

- «لا ريب أنك محقٌّ يا سيِّدي».

حدَّثت لهجة ڤارس المتعالية تيريون بالعكس، فقال: «لكنك لا تُؤيِّدني؟ كيف قُتِلَ الرَّجل إذن؟».



مرَّت فترة طويلة دون أن يقول ڤارس شيئًا، والصَّوت الوحيد كان ذلك الوقع الجليل لحوافر الخيول على الأرض المرصوفة بالحجارة، قبل أن يتنحنَح الخصيُّ أخيرًا ويقول: «هل تُؤمِن بالقُوى القديمة يا سيِّدي؟».

بصبرٍ نافدٍ سألَه تيريون: «تعني السِّحر؟ تعاويذ الدَّم واللَّعنات وتبديل الهيئة؟ تلك الأشياء؟»، وأضافَ ساخرًا: «أتقترح أن السير كورتناي قُتِلَ بالسِّحر؟».

- «السير كورتناي تحدَّى اللورد ستانيس بنزالٍ فردي صبيحة وفاته. قُل لي، أهذا تصرُّف رجلٍ تمكَّن منه اليأس؟ ثم إن هناك مسألة اغتيال رنلي الغامض، الذي حدثَ في الوقت المناسب تمامًا بينما تستعدُّ صفوفه لاكتساح أخيه من ميدان المعركة»، وصمتَ الخصيُّ لحظةً، ثم قال: «سألتني ذات مرَّةٍ يا سيِّدي كيف قُطِعَت أعضائي».

قال تيريون: «أتذكَّرُ، لكنك لم ترغب في الكلام عن ذلك».

- «وما زلتُ لا أرغبُ، وإنما...». طالَ الصَّمت هذه المرَّة، وحين تكلَّم ڤارس كان صوته مختلفًا بشكلٍ ما: «كنتُ صبيًّا يتيمًا أتدرَّبُ مع فرقةٍ مسرحيَّة جوَّالة، وامتلكَ سيِّدنا سفينةً صغيرةً سافَرنا بها عبر البحر الضيِّق لنُؤَدِّي عروضنا في المُدن الحُرَّة، وفي البلدة القديمة وكينجز لاندنج بين الحين والآخَر. ذات يومٍ في مير أتى رجل معيَّن إلى فرقتنا بَعد المسرحيَّة وقدَّم عرضًا وجدَه سيِّدي مغريًا لا يُمكن رفضه. كنتُ مرعوبًا، وخشيتُ أن الرَّجل يرغب في استغلالي كما سمعتُ عمَّن يستغلُّون الصِّبية الصِّغار، لكن الحقيقة أن الجزء الوحيد الذي احتاجَه مني كان ذَكري. سقاني عقَّارًا أعجزَني عن الحركة والكلام، وإن لم يفعل شيئًا لتخدير حواسي، وبسكِّينٍ طويلٍ معقوف قطعَ ذَكري وخصيتيَّ وهو يترنَّم طول الوقت. رأيته يُحرقَ ذكورتي على مستوقَد، واستحالَ لون اللَّهب إلى الأزرق، وسمعتُ صوتًا يُجيب نداءه، وإن لم أفهم الكلام الذي قالاه. كان الممثِّلون قد أبحَروا بالفعل لمَّا فرغَ مني، وطردَني الرَّجل بَعدما استنفدَ غرضه، وحين سألته عمَّا أفعله الآن، أجابَ أن عليَّ أن أموت. هكذا عزمتُ على العيش نكايةً فيه، وتسوَّلتُ وسرقتُ وبعتُ ما تبقَّى لي من جسدي، وسرعان ما أصبحتُ واحدًا من أمهر اللُّصوص في



مير، وعندما كبرتُ تعلَّمتُ أن محتويات رسائل الرَّجل أقيم من محتويات كيس نقوده. لكني لا أزالُ أرى تلك اللَّيلة في أحلامي يا سيِّدي. لا أحلمُ بالمشعوذ أو سكِّينه، ولا حتى بذَكري الذي انكمشَ إذ احترقَ، بل بالصَّوت، الصَّوت الذي خرجَ من اللَّهب. أكان إلهًا أم شيطانًا أم حيلة ساحر؟ لا أدري مع أني أعرفُ كلَّ الحيل. كلُّ ما أستطيعُ أن أؤكِّده أن الرَّجل نادى والصَّوت أجابَ، ومنذ ذلك اليوم وأنا أبغضُ السِّحر وكلَّ من يُمارِسونه، فإذا كان ستانيس منهم، فإنني أنوي أن يموت».

قطَعا الطَّريق بصمتٍ بعض الوقت عندما انتهى، ثم قال تيريون: «حكاية مروِّعة. أنا آسف».

تنهَّد الخصيُّ وقال: «أنت آسف، لكنك لا تُصَدِّقني. لا يا سيِّدي، لا حاجة للاعتذار. كنتُ مخدَّرًا وأتألَّمُ، وكان هذا منذ زمنٍ طويل في مكانٍ بعيد وراء البحر. لا شَكَّ أني توهَّمتُ ذلك الصَّوت، هذا ما قُلته لنفسي ألف مرَّة».

قال تيريون: «إنني أومنُ بالسُّيوف الفولاذ والنُّقود الذَّهب وذكاء البَشر، وأومنُ بأنه كانت هناك تنانين ذات يوم، فقد رأيتُ جماجمها بعينيَّ».

- «لنأمل أن يكون هذا أسوأ شيءٍ تراه يا سيِّدي».

ابتسمَ تيريون قائلًا: «في هذا نتَّفق. وبالنِّسبة لموت السير كورتناي، فنحن نعرف أن ستانيس استأجرَ قراصنةً من المُدن الحُرَّة، فلعلَّه استأجرَ قاتلًا بارعًا كذلك».

- «قاتلًا بارعًا للغاية».

- «لأمثاله وجود. اعتدتُ أن أحلم بأن أكون ثريًّا بما يكفي لاستئجار واحدٍ من الرِّجال عديمي الوجوه لقتل أختي العزيزة».

قال ڤارس: «بغَضِّ النَّظر عن كيفيَّة موت السير كورتناي، فقدَ ماتَ وسقطَت القلعة، وستانيس جاهز للزَّحف».

- «هل من فُرصةٍ لإقناع الدورنيِّين بالهجوم على التُّخوم؟».

- «بتاتًا».

- «يا للخسارة. طيِّب، قد يُفلِح التَّهديد في إبقاء لوردات التُّخوم على مقربةٍ من قلاعهم. هل من أخبارٍ عن أبي؟».



- «لم يصلني خبر يُفيد بعبور اللورد تايوين الفرع الأحمر بعدُ. ربما يعلق بين أعدائه إذا لم يُسرِع، فقد شوهِدَت ورقة شجر أوكهارت وشجرة روان شَمال نهر الماندر».

- «ولا أخبار من الإصبع الصَّغير؟».

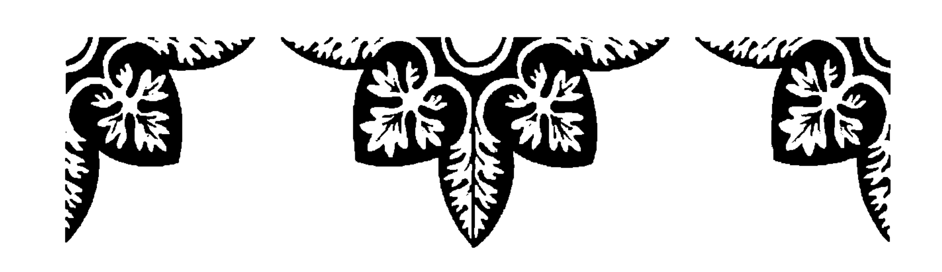
- «لعلَّه لم يَبلُغ «جسر العلقم» قَطُّ، ولعلَّه ماتَ هناك. راندل تارلي استحوذَ على ذخائر وعتاد رنلي، وقتَّل كثيرين، أغلبهم من رجال فلورنت، واللورد كازويل أغلقَ قلعته على نفسه».

وألقى تيريون رأسه إلى الوراء وانفجرَ ضاحكًا...

جذبَ ڤارس عنان حصانه قائلًا بدهشة: «سيِّدي؟».

قال تيريون: «ألا ترى الملهاة يا لورد ڤارس؟»، ولوَّح بيده نحو النَّوافذ المغلقة والمدينة النَّائمة كلها، وتابعَ: «ستورمز إند سقطَت، وستانيس قادم بالنَّار والفولاذ، والآلهة وحدها تعلم أيُّ قُوى سوداء أخرى، والعامَّة بلا چايمي يحميهم، ولا روبرت ولا رنلي ولا ريجار ولا فارس الزُّهور الغالي. ليس لديهم غيري، الرَّجل الذي يكرهونه»، وضحكَ ثانيةً وأضافَ: «القزم، المستشار الشرِّير، القرد الشَّيطاني المنحرف. أنا كلُّ ما يحول بينهم والفوضى الآن».





كاتلين

- «قولي لأبي إنني ذهبتُ لأجعله يفخر بي»، قال أخوها، ووثبَ على حصانه وقد بدا مهيبًا من الرَّأس إلى القدمين في دِرعه اللَّامعة ومعطفه ذي لونيِّ الطَّمي والماء، بينما زيَّنت ريشة خوذته العظيمة سمكة تروِيت فضِّيَّة هي صورة مطابقة لتلك المرسومة على تُرسه.

- «لطالما كان فخورًا بك يا إدميور، ويُحِبُّك حُبًّا جمًّا، صدِّقني».

قال: «سأعطيه سببًا أفضل من مجرَّد النَّسب»، ودارَ بجواده الحربي ورفعَ يده، فنُفِخَ في الأبواق ودوَّت دقَّات طبلة، ونزلَ الجسر المتحرِّك بحركاتٍ متشنِّجة، ثم خرجَ السير إدميور تَلي من ريفررَن على رأس رجاله برماحهم المرفوعة وراياتهم الخفَّاقة.

فكَّرت كاتلين وهي تُشاهِدهم يرحلون: لديَّ جيش أكبر من جيشك يا أخي، جيش من الشُّكوك والمخاوف.

إلى جوارها كادَ بؤس بريان يكون ملموسًا. كانت كاتلين قد أمرَت بحياكة فساتين لها، فساتين أنيقة تَليق بنَسبها وجنسها، ومع ذلك ظلَّت تُفَضِّل ارتداء قطعٍ غير متناسقة من الحلقات المعدنيَّة والجِلد المقوَّى، وقد ربطَت حزام السَّيف حول خصرها. لا ريب أنها كانت لتسعد أكثر بالذَّهاب إلى الحرب مع إدميور، لكن حتى الأسوار القويَّة كتلك المحيطة بريفررَن تحتاج من يُدافِع عنها، لا سيَّما أن أخاها أخذَ كلَّ رجلٍ سليم البدن معه إلى المخاضات، تاركًا السير دزموند جرِل يقود حاميةً تتألَّف من الجرحى والمسنِّين والمرضى، بالإضافة إلى عددٍ من المُرافِقين وأبناء الفلَّاحين الذين لم يتلقَّوا أيَّ تدريبٍ أو يَبلُغوا الرُّجولة حتى.



هؤلاء يُدافِعون عن قلعةٍ تكتظُّ بالنِّساء والأطفال.

سألَت بِريان حين خرجَ آخِر مُشاة إدميور من تحت الشَّبكة الحديديَّة: «ماذا نفعل الآن يا سيِّدتي؟».

– «نؤدِّي واجبنا». كانت ملامح كاتلين مشدودةً بينما بدأت تقطع السَّاحة مفكِّرةً: دائمًا ما أدَّيتُ واجبي. ربما لهذا السَّبب تعلَّق بها السيِّد والدها أكثر من أطفاله كلهم. كلا أخويها الكبيريْن ماتَ في المهد، فكانت بمثابة ابن فضلًا عن كونها ابنةً للورد هوستر إلى أن وُلِدَ إدميور، ثم ماتَت أمُّها وقال لها أبوها إن عليها أن تكون سيِّدة ريفررَن الآن، فأدَّت واجبها حينئذٍ أيضًا، ولمَّا وعدَها أبوها لبراندون ستارك، شكرَته لأنه رتَّب لها زيجةً رفيعة المقام كهذه.

منحتُ براندون عطيَّتي، ولم أواسِ پيتر مرَّةً عقب إصابته، ولم أودِّعه عندما صرفَه أبي. ثم حين قُتِلَ براندونَ وأخبرَني أبي أن عليَّ أن أتزوَّج أخاه، قبلتُ بسرورٍ على الرغم من أني لم أرَ وجه ند حتى يوم زفافنا. سلَّمتُ بكارتي لهذا الغريبِ الرَّصين وترَكته يذهب إلى حربه وملكه والمرأة التي حملَت له نغله، لأني أدَّيتُ واجبي دومًا.

قادَتها خُطاها إلى السِّپت، المعبد سُباعي الجُدران المشيَّد وسط حدائق أمِّها وتملأه أضواء بألوان قوس قزحٍ. كان مزدحمًا عندما دخلَت كاتلين، فليست هي الوحيدة التي تحتاج أن تُصَلِّي. ركعَت أمام صورة «المُحارِب» المرسومة على الرُّخام، وأشعلَت شمعةً لإدميور وأخرى لروب الغائب وراء التِّلال، وصلَّت: احفظهما وأعِنهما على النَّصر، وامنح أرواح القتلى الرَّاحة، ومَن ترَكوا وراءهم المواساة.

دخلَ السِّپتون بمبخرته وبلَّورته إذ صلَّت، فانتظرَت كاتلين لحضور الشَّعائر. لا تعرف هذا السِّپتون، لكنه شابٌّ جادٌّ قريب من إدميور في السِّنِ، يؤدِّي مهامَّ عمله بكفاءة، ولديه صوت عذب يسرُّ الأنفُس حينما يُنشِد مقرِّظًا «السَّبعة»، وإن وجدَت كاتلين نفسها شاعرةً بالحنين إلى نغمات صوت السِّپتون أوزميند المرتعشة. لقد رحلَ أوزميند عن الدُّنيا منذ زمنٍ طويل، لكنه كان ليُصغي بصبرٍ وهي تحكي عمَّا شهدَته وأحسَّت به في سُرادق رنلي، ولربما كان ليدري ما يعنيه هذا كذلك، وما عليها أن تفعله لتتخلَّص من



الظِّلال التي تُلاحِقها في أحلامها. أوزميند، أبي، عمِّي برايندن، الِمايستر كيم العجوز... كان يبدو دومًا أنهم يعرفون كلَّ شيء، بينما لا يوجد غيري الآن، ويبدو أني لا أعرفُ أيَّ شيء، حتى واجبي نفسه. كيف أؤدِّي واجبي إن كنتُ أجهلُ موضعه؟

كانت رُكبتاها متصلِّبتين حين نهضَت، وإن لم تَشعُر بأن حكمتها ازدادَت مقدار خردلة. ربما تذهب إلى أيكة الآلهة اللَّيلة وتُصَلِّي لآلهة ند بدورها، فهي أقدم من «السَّبعة».

سمعَت في الخارج أغنيَّةً من نوع مختلف تمامًا. كان رايموند النَّاظم جالسًا عند المَخمرة وسط حلقةٍ من السَّامعين، يرنُّ صوته العميق إذ يُغَنِّي عن اللورد ديريموند في المرج الدَّامي.

وهناك وقفَ وسيفه في يده
عاشِر رجال داري، وآخرهم...

وقفَت بِريان تُصغي، كتفاها العريضتان محدَّبتان وذراعاها الغليظتان متقاطعتان على صدرها، بينما جرَت مجموعة من الصِّبيان مرتدي الأسمال من أمامها، وقد راحوا يَصرُخون مرحًا ويتبارَزون بالعِصِي. لماذا يُحبُّ الصِّبية لعب الحرب لهذه الدَّرجة؟ تساءلَت كاتلين إن كان رايموند هو الإجابة، إذ ارتفعَ صوت المغنِّي وهو يدنو من نهاية الأغنيَّة.

وحمراء كانت وُريقات الكلأ تحت قدميه
وحمراء كانت راياته
وحمراء كانت الشَّمس الغاربة
التي غمرَته بالضِّياء

حينها صاحَ اللورد العظيم: «هلمُّوا، هلمُّوا، ما زال سيفي جائعًا».



وبصرخة غضبٍ هادرة
تدفَّقوا مجتازينَ الغدير

قالت بريان: «القتال أفضل من هذا الانتظار. إنكِ لا تَشعُرين بالعجز حين تُقاتِلين، فلديكِ سيف وحصان، وفأس أحيانًا. من الصَّعب أن يُؤذيكِ أحد وأنت مدرَّعة».

ذكَّرتها كاتلين: «الفُرسان يموتون في المعارك».

رمقَتها بِريان بهاتين العينين الزَّرقاوين الجميلتين، وقالت: «كما تموت النِّساء أثناء الوضع، لكن لا أحد يُغَنِّي عنهن».

عادَت كاتلين تتحرَّك قاطعةً السَّاحة، وردَّت: «الأطفال معركة من نوعٍ آخَر، معركة بلا راياتٍ أو أبواق، لكن لا تقلُّ ضراوةً. أن تحملي طفلًا وتأتيَ به إلى الدُّنيا... لا بُدَّ أن أمَّكِ حكَت لكِ عن هذا الألم».

قالت بريانِ: «لم أعرف أمِّي قَطُّ. ثمَّة ليديهات عرفهن أبي... ليدي مختلفة كلَّ عام، لكن...».

- «هؤلاء لسن ليديهات. مهما كانت صعوبة الولادة يا بِريان، فما يأتي بَعدها أصعب وأصعب. أحيانًا أشعرُ كأني ممزَّقة إربًا، فليت هناك خمس مني، واحدة لكلٍّ من أطفالي، كي أستطيع حمايتهم جميعًا».

- «ومَن يحميكِ أنتِ يا سيِّدتي؟».

أجابَت بابتسامةٍ خافتة واهنة: «رجال عائلتي بالطَّبع، أو أن هذا ما علَّمتنيه أمِّي. السيِّد والدي وأخي وعمِّي وزوجي يحمونني... لكن ما داموا بعيدين عني، فأظنُّ أن عليكِ سَدَّ فراغهم يا بِريان».

خفضَت الفتاة رأسها قائلةً: «سأحاولُ يا سيِّدتي».

في وقتٍ لاحقٍ من اليوم نفسه جاءَ المِايستر ڤايمان حاملًا رسالةً، فالتقَته في الحال آملةً أنها تحمل أخبارًا من روب أو السير رودريك في وينترفل، لكن اتَّضح أن الرِّسالة من المدعو اللورد ميدوز الذي يقول إنه أمين قلعة ستورمز إند. كانت موجَّهةً إلى أبيها أو أخيها أو ابنها (أو مَن يُسَيطِر الآن على ريڤررَن أيًّا كان)، وكتبَ الرَّجل أن السير كورتناي پنروز ماتَ، وفتحَت ستورمز إند



للملك والوريث الشَّرعي ستانيس باراثيون، كما أقسمَ جميع رجال حامية القلعة على مناصَرته في قضيَّته، ولم ينَل أحدهم أذى.

غمغمَت كاتلين: «باستثناء السير كورتناي». إنها لم تلتقِ الرَّجل قَطُّ، لكنها حزنَت لرحيله. «يجب أن يعرف روب بهذا في الحال. أنعرف أين هو الآن؟».

أجابَ المِايستر ڤايمان: «آخِر خبرٍ يقول إنه يزحف إلى «الجُرف»، مقر عائلة وسترلينج. إذا أرسلتُ غُدافًا إلى آشمارك، فربما يُمكنهم أن يبعثوا إليه خيَّالًا من هناك».

- «افعل هذا».

عادَت كاتلين تقرأ الرِّسالة بَعد ذهاب المِايستر، ثم قالت لبِريان: «اللورد ميدوز لم يَذكُر شيئًا عن نغل روبرت. أعتقدُ أنه سلَّم الصَّبي مع البقيَّة، وإن كنتُ أعترِفُ بأني لا أفهمُ لماذا أرادَه ستانيس بهذه الشدَّة».

- «لعلَّه يخشى دعوى الصَّبي».

- «دعوى نغل؟ لا، هناك سبب آخَر... كيف يبدو الولد؟».

- «إنه في السَّابعة أو الثَّامنة من العُمر، وسيم، شَعره أسود وعيناه زرقاوان لامعتان. كثيرًا ما حسبَه الزوَّار ابن اللورد رنلي نفسه».

قالت كاتلين وقد بدأت تستوعب: «ورنلي كان يُشبِه روبرت. ستانيس ينوي أن يعرض نغل أخيه على البلاد، كي يرى النَّاس وجه روبرت في ملامحه ويتساءَلوا لِمَ يغيب الشَّبه تمامًا من ملامح چوفري».

- «وهل يفرق هذا كثيرًا؟».

- «من يُؤَيِّدون ستانيس سيقولون إنه دليل، ومن يُؤَيِّدون چوفري سيقولون إنه لا يعني شيئًا». في ملامح أطفالها من عائلة تَلي أكثر من ستارك، وآريا هي الوحيدة التي يتبدَّى وجه ند في قسماتها. وچون سنو أيضًا، لكنه ليس ابني. وجدَت نفسها تُفَكر في أمِّ چون، الحُب السِّرِّي الغامض الذي لم يتكلَّم زوجها عنه قَطُّ. أتُراها حزينة على ند مِثلي؟ أم أنها كرهَته لأنه هجرَ فِراشها إلى فِراشي؟ أتُصَلِّي من أجل ابنها كما أصلِّي من أجل أبنائي؟

إنها أفكار مزعجة، ولا طائل منها كذلك. إذا كان چون ولد أشارا داين ابنة قلعة ستارفول كما تهامسَ البعض، فالليدي ماتَت منذ زمنٍ بعيد، وإن لم تكن



هي الأمُّ، فلا تملك كاتلين أدنى فكرة مَن أو أين قد تكون... ولا فارق، فقد ماتَ ند، ومعه ماتَت غراميَّاته وأسراره.

ومع ذلك عادَت الدَّهشة تُراوِدها من الطَّريقة التي يتصرَّف بها الرِّجال حيال نغولهم. لطالما شملَ ند چون بحمايةٍ وثيقة، والسير كورتناي پنروز دفعَ حياته ثَمنًا لحماية إدريك ستورم هذا، بينما كانت منزلة نغل رووس بولتون عند أبيه تقلُّ عن منزلة واحدٍ من كلابه، كما قدَّرت من لهجة الرِّسالة العجيبة التي تلقَّاها إدميور منه قبل أقلِّ من ثلاثة أيام. كتبَ بولتون أنه عبرَ الثَّالوث في الطَّريق إلى هارنهال حسب أوامره، وأضافَ: «إنها قلعة حصينة وحاميتها قويَّة، لكن جلالته سيَحصُل عليها، حتى إذا اضطررتُ لأن أقتل كلَّ نفس داخلها»، وقال إنه يأمل أن يُوازِن جلالته هذا الإنجاز مع جرائم ابنه غير الشَّرعي، الذي قتلَه رجال السير رودريك كاسل، وتابعَ: «الدَّم الملوَّث خوَّان دائمًا، ورامزي كان خبيثًا وجشعًا ومتوحِّشًا بطبيعته، وأعدُّ نفسي محظوظًا للخلاص منه، كما أن الأبناء الشَّرعيِّين الذين وعدَتني بهم زوجتي الشابَّة لم يكونوا ليعيشوا آمنين أبدًا وهو على قيد الحياة».

طردَ صوت الخطوات المسرعة الأفكار الكئيبة من عقلها، واندفعَ مُرافِق السير دزموند إلى الغرفة لاهثًا، وركعَ قائلًا: «سيِّدتي... جنود لانستر... عبر النَّهر».

- «التقِط نفسًا طويلًا يا فتى وتكلَّم ببُطء».

فعلَ كما أمرَته، وقال: «فرقة من الرِّجال المدرَّعين على ضفَّة الفرع الأحمر الأخرى، يرفعون راية يونيكورن أرجواني تحت أسد لانستر».

أحد أبناء اللورد براكس. كان براكس قد زارَ ريڤررَن مرَّةً في صِغرها، ليعرض زواج أحد أبنائه بها أو بلايسا، وتساءلَت كاتلين إن كان ذلك الابن نفسه يقود الهجوم الآن.

قال لها السير دزموند عندما انضمَّت إليه على الشُّرفات إن جنود لانستر أتوا من الجَنوب الشَّرقي حاملين الرَّايات اللَّامعة، وأضافَ مُطَمْئِنًا: «إنها مجموعة صغيرة من الكشَّافة لا أكثر. الجزء الأساسي من جيش اللورد تايوين بعيد في الجَنوب. لسنا في خطرٍ هنا».



تنبسِط الأرض جَنوب الفرع الأحمر مسطَّحةً مفتوحةً، فاستاطعَت كاتلين أن ترى مسافة أميالٍ من مكانها أعلى بُرج الحراسة، وعلى الرغم من ذلك ظلَّت المخاضة الأقرب إلى القلعة وحدها ظاهرةً. كان أخوها قد ائتمنَ اللورد چيسون ماليستر على دفاعاتها، بالإضافة إلى ثلاث مخاضاتٍ أخرى في اتِّجاه منبع النَّهر. تحرَّكَ خيَّالة لانستر بلا هدفٍ واضح بالقُرب من الماء، تخفق راياتهم القرمزيَّة والفضِّيَّة في الرِّيح، وقال السير دزموند مقدِّرًا: «ليسوا أكثر من خمسين يا سيِّدتي».

شاهدَت كاتلين الخيَّالة ينتشرون في صَفٍّ طويل، بينما انتظرَهم رجال اللورد چيسون وراء الصُّخور والحشائش والأكَمات، ثم نُفِخَ في بوقٍ فتقدَّم الخيَّالة بتؤدةٍ خائضين النَّهر، ومرَّت فترة من الوقت قدَّموا خلالها عرضًا شُجاعًا براياتهم المرفرِفة ودروعهم البرَّاقة، وقد انعكسَ نور الشَّمس على رؤوس رماحهم.

سمعَت بريان تُتَمتِم: «الآن».

كان من الصَّعب تبيُّن ما يَحدُث، وإن بلغَهم صراخ الخيول المرتفع رغم بُعد المسافة، وبصوتٍ أكثر خفوتًا من الصُّراخ سمعَت كاتلين تقارُع الفولاذ بالفولاذ. اختفَت واحدة من الرَّايات فجأةً وقد اكتُسِحَ حاملها، وسرعان ما طفَت الجثَّة الأولى التي دفعَها التيَّار لتمرَّ بأسوارهم. عندئذٍ كان جنود لانستر قد انسحَبوا بارتباك، وراقبَتهم كاتلين وهُم يُعيدون تنظيم صفوفهم ويتشاوَرون بإيجاز، ثم يهرعون عائدين من حيث أتوا، بينما يرميهم الرِّجال على الأسوار بالشَّتائم، وإن كانوا أبعد كثيرًا من أن يسمعوها.

ربَّت السير دزموند على بطنه قائلًا: «ليت اللورد هوستر شاهدَ ما حدثَ، كان ليَرقُص طربًا».

قالت كاتلين: «أخشى أن أيام رقص أبي ولَّت، وأن هذا القتال ما زال في بدايته. اللورد تايوين سيُهاجِم ثانيةً، فلديه ضِعف أعداد أخي».

رَدَّ السير دزموند: «ولو أن لديه عشرة أضعاف فلا فارق. ضفَّة الفرع الأخضر الغَربيَّة أعلى من الشَّرقيَّة يا سيِّدتي، وأشجارها كثيفة، ما يعني أن رُماتنا مستترون بغطاءٍ مناسب وأمامهم مجال مفتوح لإطلاق سهامهم... وإذا



وقعَت ثغرة، فأفضل فُرسان إدميور موجودون في قوّات الاحتياط، وجاهزون للإسراع إلى أكثر موقع يحتاجهم. سيصدُّ النَّهر أعداءنا».

قالت كاتلين بلهجةٍ جادَّة: «أسألُ الآلهة أن تكون محقًّا».

ليلتها عادوا ثانيةً.

كانت كاتلين قد أمرَت بأن يوقِظوها في الحال إذا عادَ العدوُّ، وبَعد منتصَف اللَّيل بعدَّة ساعات مسَّت خادمة كتفها برفقٍ، فاعتدلَت كاتلين جالسةً وسألَت: «ما الأمر؟».

- «المخاضة مرَّة أخرى يا سيِّدتي».

صعدَت كاتلين إلى سطح الحصن مدَّثِّرةً بمعطف النَّوم. من هناك تستطيع أن ترى وراء الأسوار والنَّهر المُضاء بنور القمر حيث احتدمَت المعركة. كان المدافِعون قد أشعَلوا نار حراسةٍ بطول الضفَّة، وعلى الأرجح حسبَ جنود لانستر أنهم سيجدونهم معميِّين أو غافلين، وإذا كان هذا صحيحًا فهي حماقة، فالظَّلام حليف غير مضمون في أفضل الأحوال. خاضوا في الماء محاولين العبور، فخطوا في بِركٍ خفيَّة وسقَطوا ناثرين المياه، ومنهم من تعثَّروا في الصُّخور أو شجَّت أرجُل الغِربان المخبَّأة أقدامهم، فيما أطلقَ عليهم رُماة ماليستر عاصفةً من السِّهام النَّارية عبر النَّهر، بدَت جميلةً على نحوٍ غريبٍ من بعيد، ورأت كاتلين رجلًا اخترقَت جسده دستة من السِّهام واشتعلَت ثيابه يترنَّح ويدور وقد غاصَ في الماء حتى الرُّكبتين، حتى سقطَ أخيرًا وكنسَه التيَّار، وحين مَرَّ بريڤرَن كانت ناره وحياته قد انطفأتا.

قالت كاتلين لنفسها لمَّا انتهى القتال وذابَ النَّاجون من جنود العدوِّ في سواد اللَّيل: انتصار صغير، لكن انتصار. سألَت بريان عن رأيها وهما تنزلان سلالم البُرج الملتفَّة، فأجابَت الفتاة: «هذه مجرَّد لمسة بأطراف أصابع اللورد تايوين يا سيِّدتي. إنه يجسُّ النَّبض، يبحث عن معبرٍ بلا دفاعات، عن نقطة ضَعف، وإذا لم يجد واحدةً، فسيضمُّ قبضته ويُحاول أن يصنعها بنفسه»، وحنَت بِريان كتفيها مضيفةً: «هذا ما سأفعله لو أني مكانه»، ونزلَت يدها إلى مقبضٍ سيفها وربَّتت عليه، كأنها تستوثِق من أنه لا يزال في غِمده.

فكَّرت كاتلين: ولتُساعِدنا الآلهة حينئذٍ. وهي بلا حيلة في هذا. معركة أخيها هناك عند النَّهر، ومعركتها بين أسوار القلعة.



في الصَّباح التَّالي، فيما تناولَت إفطارها، استدعَت وكيل أبيها الشَّيخ أوثيرايدس واين، وقالت له: «أرسِل إبريقًا من النَّبيذ إلى السير كليوس فراي. أعتزمُ استجوابه، وأريدُ لسانه طليقًا».

- «كما تأمرين يا سيِّدتي».

بَعدها بفترةٍ ليست بالطَّويلة جاءَ خيَّال على صدره نسر عائلة ماليستر برسالةٍ من اللورد چيسون، تُخبِرهم عن مناوَشةٍ أخرى وانتصارٍ جديد. السير فليمنت براكس حاولَ أن يفتح ثغرةً للعبور عند مخاضةٍ أخرى تَبعُد ستَّة فراسخ جَنوبًا، وهذه المرَّة قصَّر جنود لانستر رماحهم وتقدَّموا عبر النَّهر من وراءها على الأقدام، لكن وابلًا من سهام رُماة ماليستر انهمرَ على تروسهم من زاويةٍ مقوَّسة عالية، بينما قذفَتهم العرَّادات التي نصبَها إدميور على الضفَّة بالحجارة الثَّقيلة التي هوَت عليهم محطِّمةً تشكيلهم. قال الخيَّال: «تركوا دستةً من الموتى في الماء، واثنان منهم فقط بلغا المنطقة الضَّحلة، وتعامَلنا معهما بحسم»، وأبلغَهم أيضًا بقتالٍ آخَر دارَ في اتِّجاه مصبِّ النَّهر، حيث يُدافِع اللورد كاريل ڤانس عن المخاضات، وقال: «سرعان ما تَمَّ صَدُّ هذه الهجمات أيضًا، وتجشَّم العدوُّ خسائر جسيمة».

لعلَّ إدميور أكثر حكمةً مما حسبتُ. كلٌّ لورداته رأوا العقل في خُططه، فلماذا كنتُ عمياء؟ أخي لم يَعُد الصَّبي الصَّغير الذي أتذكَّره، تمامًا كروب.

انتظرَت حتى المساء قبل أن تذهب إلى السير كليوس فراي، وقد فكَّرت أنها كلما تأخَّرت سيكون سكرانًا أكثر، وحين دخلَت زنزانة البُرج، هرعَ السير كليوس يعتدل راكعًا على رُكبتيه ويقول: «سيِّدتي، لم أكن أعرفُ أيَّ شيءٍ عن محاوَلة التَّهريب. العِفريت قال إنه ينبغي أن يُصاحِب ابن لانستر حَرس من جنود لانستر، أقسمُ بشَرفي كفارس...».

جلسَت كاتلين قائلةً: «انهض أيها الفارس. أعرفُ أن لا حفيد لوالدر فراي ناقضٍ للعهد». ما لم يكن في هذا خدمة لمصالحه. «يقول أخي إنك أحضرت شروطًا للسَّلام».

قال السير كليوس وهو ينهض بسرعة: «نعم»، وسرَّها أن تراه غير متَّزن.



- «أخبِرني»، قالت آمرةً، ففعلَ، وحين انتهى جلسَت كاتلين عاقدةً حاجبيها. إدميور على حَق، فهذه ليست شروطًا على الإطلاق، باستثناء... «لانستر سيُبادِل آريا وسانزا بأخيه؟».

- «أجل. جلسَ على العرش الحديدي وأقسمَ على هذا».

- «أمام شهود؟».

- «أمام البلاط كله يا سيِّدتي، والآلهة كذلك. هذا ما قُلته للسير إدميور، لكنه قال إن ذلك غير ممكن، وإن جلالته روب لن يُوافِق أبدًا».

- «ما قاله صحيح». إنها لا تستطيع حتى أن تقول إن روب مخطئ، لأن آريا وسانزا مجرَّد طفلتين، أمَّا التخلِّي عن قاتِل الملك فيعني أن يكون أحد أخطر الرِّجال في البلاد حيًّا طليقًا. تعرف أن هذا الطَّريق مسدود، وهكذا قالت: «هل رأيت ابنتيَّ؟ هل تُعامَلان معاملةً حسنةً؟».

تردَّد السير كليوس قبل أن يقول بارتباك: «إنني... نعم، بديتا...».

يبحث عن كذبة، لكن النَّبيذ بلبلَ تفكيره. قالت ببرود: «سير كليوس، لقد فرَّطت في الحماية التي تَكفُلها لك راية السَّلام عندما احتالَ علينا رجالك. اكذب عليَّ وستُشنَق على الأسوار إلى جوارهم، صدِّق هذا. سأسألك مرَّةً أخرى، هل رأيت ابنتيَّ؟».

تصبَّب العَرق على جبهته وهو يُجيب: «رأيتُ سانزا في البلاط يوم أخبرَني تيريون بشروطه، وبدَت رائعة الجمال يا سيِّدتي، وإنما شاحبة بعض الشَّيء، متعَبة ربما».

سانزا ولكن ليس آريا. قد يعني هذا أيَّ شيء. لطالما كان ترويض آريا أصعب، ولعلَّ سرسي متردِّدة في عرضها على الملأ أمام البلاط، خشية ما قد تقوله أو تفعله. ربما حبَسوها في مكانٍ آمن. أو ربما قتَلوها. أزاحَت كاتلين الخاطر عن بالها، وقالت: «تقول إنها شروطه، لكن سرسي هي الملكة الوصيَّة على العرش».

- «تيريون تكلَّم بلسانيهما، فالملكة لم تكن حاضرةً يومها، وقيلَ لي إنها كانت متوعِّكةً».

- «غريب». عادَت كاتلين بذاكرتها إلى تلك الرِّحلة الرَّهيبة في جبال



القمر، والطَّريقة التي أغرى بها تيريون لانستر المرتزق الذي كان في خدمتها واجتذبَه إلى صَفِّه بشكلٍ ما. القزم داهية حقيقي. لا تتخيَّل كيف نجا من الطَّريق العالي بَعد أن صرفَته لايسا من «الوادي»، لكنها ليست مندهشةً. لم يلعب دورًا في مقتل ند على الأقل، وهَبَّ للدِّفاع عني حين هاجمَنا رجال القبائل. إذا كان يُمكنني الوثوق بكلمته...

فتحَت يديها ورمقَت النُّدوب في أصابعها، وذكَّرت نفسها: هذه آثار خنجره، الخنجر الذي حملَه القاتل الذي دفعَ له ليذبح بران. مع أن القزم أنكرَ الاتِّهام، وحتى بَعدما حبسَته لايسا في واحدةٍ من زنازين السَّماء وهدَّدته بباب القمر ظَلَّ يُنكِر. قالت ناهضةً بغتةً: «لقد كذبَ. كلُّ أولاد لانستر كذَّابون، والقزم أسوأهم. القاتل كان مسلَّحًا بسكِّينه».

حدَّق السير كليوس فيها قائلًا: «لا أعرفُ شيئًا عن...».

قالت دائرةً على عقبيها لتُغادِر من الزِّنزانة: «نعم، لا تعرف شيئًا»، وانضمَّت برِيان إليها بصمت. فكَّرت كاتلين شاعرةً بالحسد يخزها: الأمر أبسط بالنِّسبة لها. إنها كالرِّجال، فعند الرَّجل الإجابة واحدة دومًا، أقصى بُعدٍ لها هو السَّيف الأقرب إليه، أمَّا عند المرأة، عند الأُم، فالطَّريق أوعر وأكثر غموضًا.

تناولَت عشاءً متأخِّرًا ليلتها مع أفراد الحامية، كي تمنحهم ما تقوى عليه من تشجيع، وغنَّى رايموند النَّاظم مصاحبًا الأصناف كلها وموفِّرًا عليها الحاجة إلى الكلام، وختمَ بأغنيَّةٍ ألَّفها عن انتصار روب في أوكسكروس. «ونجوم اللَّيل أعيُن ذئابه، والرِّيح ذاتها أنشودتهم». بين الأبيات كان رايموند يُلقي رأسه إلى الوراء ويعوي، ومع نهاية الأغنيَّة كان نِصف من في القاعة يعوون معه، حتى دزموند جرِل الذي أفرطَ في الشُّرب، وتردَّدت أصواتهم بين عوارض السَّقف.

فكَّرت كاتلين وهي تُداعِب كأسها الفضِّيَّة: فليشدوا بأغانيهم ما دامَت تبثُّ فيهم الشَّجاعة.

قالت برِيان بهدوء: «دائمًا كان هناك مغنُّون في بهو المساء في طفولتي، وحفظتُ كلَّ الأغاني عن ظَهر قلب».



- «سانزا أيضًا حفظَتها، مع أن مغنِّين قلائل كانوا يُكَلِّفون أنفسهم جهد قطْع الرِّحلة شَمالًا إلى وينترفل». لكني قلتُ لها إنه سيكون هناك مغنُّون في بلاط الملك، قلتُ لها إنها ستسمع موسيقى من كلٍّ الألوان، وإن أباها سيجد لها أستاذًا يُعَلِّمها القيثارة السَّامية. أوه، سامِحيني يا آلهتي...

قالت بِريان: «أتذكَّرُ امرأةً... أتَت من مكانٍ ما وراء البحر الضيِّق. لا أدري اللُّغة التي غنَّت بها حتى، لكن صوتها كان بجمال ملامحها. عيناها كانتا بلون البرقوق، وخصرها شديد النُّحول حتى إن أبي استطاعَ أن يضع يديه حوله، ويداه كانتا كبيرتين كيديَّ تقريبًا»، وأغلقَت أصابعها الطَّويلة الغليظة كأنها تُريد إخفاءها.

سألَتها كاتلين: «أكنتِ تغنِّين لأبيكِ؟».

هزَّت بِريان رأسها نفيًا، وخفضَت عينيها إلى طبقها بحثًا عن إجابةٍ ما في المرق ربما.

- «للورد رنلي؟».

تورَّد وجه الفتاة، وقالت: «إطلاقًا، إنني... مهرِّجه كان يُلقي دعاباتٍ قاسية أحيانًا، وأنا...».

- «يجب أن تُغَنِّي لي ذات يوم».

- «أنا... أرجوكِ، أنا لا أملكُ الموهبة»، ودفعَت بِريان مقعدها إلى الوراء ونهضَت قائلةً: «أستميحكِ العذر يا سيِّدتي. ألِي الإذن بالانصراف؟».

أومأَت كاتلين برأسها، فغادرَت الفتاة الطَّويلة الدَّميمة القاعة بخطواتٍ واسعة، تكاد لا يُلاحِظها أحد في خضمِّ المرح الصَّاخب، وقالت كاتلين لنفسها وهي تعود على مضض إلى طعامها: فلتصحبها سلامة الآلهة.

أيام ثلاثة مرَّت قبل أن تَهوي المطرقة كما تنبَّأت بِريان، وأيام خمسة قبل أن تَبلُغهم الأنباء. كانت جالسةً مع أبيها حين وصلَ رسول إدميور بدِرعٍ منبعجة وحذاءٍ مغبَّر ومزقٍ في سُترته، لكن النَّظرة التي لاحَت على وجهه إذْ ركع كانت كفيلةً بإعلامها بأنها أنباء طيِّبة. قال الرَّجل: «إنه النَّصر يا سيِّدتي»، وناولَها رسالة إدميور، وارتجفَت يدها وهي تكسر الختم.

كتبَ أخوها أن اللورد تايوين حاولَ العبور من دستةٍ من المخاضات



المختلفة، لكن هجماته صُدَّت كلها. غرقَ اللورد ليفورد، وفارس كراكهول الملقَّب بالعُفر القوي سقطَ أسيرًا، بينما دُفِعَ السير أدام ماربراند إلى الانسحاب ثلاث مرَّات... لكن المعركة الأعنف دارَت عند معبر «الطَّاحونة الحجريَّة»، حيث قادَ السير جريجور كليجاين الهجوم، وسقطَ عدد كبير للغاية من رجاله، حتى كادَت جُثثهم تصنع سدًّا في النَّهر، وفي النِّهاية استطاعَ الجبل وعدد من أفضل رجاله العبور إلى الضفَّة الغربيَّة، لكن إدميور دفعَ قوَّاته الاحتياطيَّة إلى مواجَهتهم، فتشتَّتت صفوفهم واسنحَبوا دامين منهزمين، وفقدَ السير جريجور نفسه حصانه وعادَ يَعبُر الفرع الأحمر يترنَّح وينزف من عدَّة جروح بينما أمطرَت السَّماء من حوله سهامًا وأحجارًا. أضافَ إدميور: «لن يَعبُروا يا كات. اللورد تايوين يزحف إلى الجَنوب الغَربي. قد تكون خدعةً أو انسحابًا كاملًا، لا فارق. إنهم لن يَعبُروا».

انتشى السير دزموند جرِل بالخبر، وقال الفارس العجوز حين قرأت عليه الرِّسالة: «أوه، ليتني كنتُ معه. أين ذلك الأحمق رايموند؟ في هذه الحكاية ما يستحقُّ أغنيَّةً سيرغب إدميور نفسه في سماعها... الطَّاحونة التي هرسَت الجبل. كنتُ لأؤلِّف الكلمات بنفسي لو أن لي موهبة المغنِّي».

قالت كاتلين، ربما بحدَّةٍ أكثر من اللَّازم: «لن أسمع أيَّ أغانٍ حتى ينتهي القتال»، لكنها سمحَت للسير دزموند بنشر الخبر، ووافقَت لمَّا اقترحَ فتح بضعة براميل من النَّبيذ على شَرف انتصار «الطَّاحونة الحجريَّة». المزاج في ريفررَن كئيب متوتِّر في الآونة الأخيرة، وسينفعهم جميعًا القليل من الشَّراب والأمل.

رنَّت أصوات الاحتفال في القلعة ليلتها، وهتفَ العامَّة لريفررَن وتَلي. لقد جاءوا خائفين عاجزين، واحتواهم أخوها فيما كان معظم اللوردات ليُغلِقوا بوَّاباتهم في وجوههم. طفَت أصواتهم في الهواء وتسرَّبت من النَّوافذ العالية ومن تحت أبواب الخشب الأحمر الثَّقيلة، وعزفَ رايموند على قيثارته، يُصاحِبه طبَّالان وشاب بمزمارٍ من الخوص، بينما أصغَت كاتلين لضحك الفتيات وثرثرة الصِّبية الخُضر الذين تركَهم أخوها لحماية القلعة. أصوات حُلوة... لكنها لم تُؤَثِّر فيها، ولم تستطِع الشُّعور بسعادتهم.

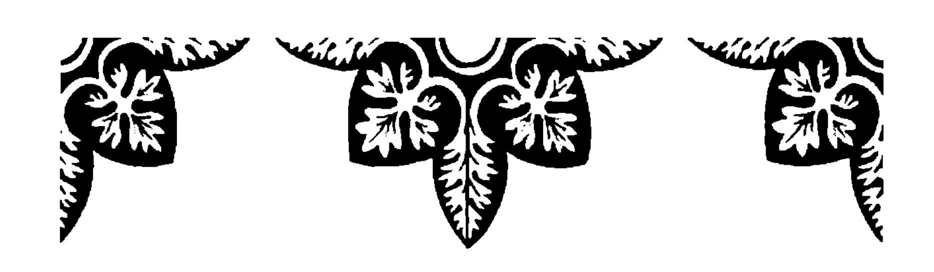


في غُرفة أبيها الشَّمسيَّة وجدَت كتابًا ثقيلًا للخرائط مغلَّفًا بالجِلد، وفتحَته على أراضي النَّهر. وقعَت عيناها على مجرى الفرع الأحمر وتتبَّعتاه على ضوء الشُّموع المتذبذب. يزحفون إلى الجَنوب الغَربي. لا بُدَّ أنهم عند منابع النَّهر الأسود الآن.

أغلقَت الكتاب شاعرةً بتوتُّرٍ أكثر مما سبقَ. لقد منَّت عليهم الآلهة بنصرٍ بَعد نصر، في «الطَّاحونة الحجريَّة»، وفي أوكسكروس، وفي معركة المعسكرات، وفي الغابة الهامسة...

لكن إذا كنا الفائزين، فلِمَ يتملَّكني كلُّ هذا الخوف؟





بران

الصَّوت صليلٌ شديد الخفوت، وفولاذ يحتكُّ بالحجر، فيرفع رأسه المستريح على قائمتيه الأماميَّتين، يُصيخ السَّمع ويتشمَّم اللَّيل.

كانت الأمطار التي نزلَت مساءً قد أيقظَت مئة رائحةٍ نائمةٍ وجعلَتها قويَّةً فوَّاحةً من جديد؛ كلأ وأشواك، وتوت أسود مهروس على الأرض، وطين وديدان وأوراق تبلى، وجرذ يتسلَّل وسط دغل. يلتقط أنفه رائحة فروة أخيه السَّوداء الخشنة، ويحسُّ بالنَّكهة النُّحاسيَّة اللَّاذعة لدم السِّنجاب الذي قتلَه، وقد راحَت سناجب أخرى تتحرَّك بين الأغصان في الأعلى، رائحتها فروٌ مبتلٌّ وخوف، بينما تخدش أرجُلها الصَّغيرة اللِّحاء. كان الصَّوت أقرب إلى هذا.

وها هو يسمعه مرَّةً أخرى، الصَّليل والاحتكاك، فينهض مرهفًا أُذنيه ويرفع ذيله ويعوي، يُطلِق نداءً طويلًا عميقًا راجفًا، عُواءً يُوقِظ النِّيام، لكن تظلُّ أكوام صخور بني الإنسان مظلمةً هادئةً. إنها ليلة للبلل والسُّكون، ليلة تدفعهم إلى الهجوع في أوكارهم. لقد توقَّفت الأمطار منذ فترة، لكن لا يزال بنو الإنسان يختبئون من الرُّطوبة، ويتلملَمون حول النَّار في كهوفٍ من الأحجار المرصوصة.

يأتي أخوه منسلًّا من بين الأشجار، يتحرَّك بهدوءٍ شديدٍ أشبه بأخ آخَر يحتفظ عنه بذكرى ضبابيَّة من حينٍ بعيد، الأخ الأبيض ذي العينين القانيتين. أمَّا هذا الأخ فعيناه بثران من الظِّلال، لكن الفرو على مؤخِّرة عنقه منتصب. هو أيضًا سمعَ الأصوات ويعرف أنها تعني الخطر.



هذه المرَّة يتلو الصَّليل والاحتكاك صوت انزلاقٍ والطَّقطقة النَّاعمة السَّريعة لجِلد الأقدام على الحجر، وتحمل الرِّيح نفحة شديدة الخفَّة من رائحة إنسانٍ لا يعرفها. غريب. خطر. موت.

يعدو إلى مصدر الصَّوت وينطلق أخوه إلى جواره، ومن أمامهما ترتفع الأوكار الحجريَّة، الأسوار المبتلَّة الزَّلقة، فيُكَشِّر عن أنيابه، لكن صخور بني الإنسان لا تعيره اهتمامًا. تلوح بوَّابة في الأسوار، حيث يلتفُّ ثعبان حديدي أسود بإحكام حول القضبان والأعمدة، وحين يرتطم بها ترتجُّ البوَّابة ويُصَلصِل الثُّعبان وينزِلق قليلًا لكن يبقى صامدًا. من بين القضبان يستطيع أن يَنظُر إلى أسفل إلى حيث الجُحر الحجري الطَّويل الذي يمتدُّ بين الأسوار إلى الحقل الحجري وراءها، وإنما دون وسيلةٍ للعبور، فلا يقدر على أكثر من دَسِّ خَطمه بين قضيبين. كثيرًا حاولَ أخوه أن يُهَشِّم عظام البوَّابة السَّوداء بأسنانه، لكنها لا تنكسر أبدًا، وحاولَا الحفر تحتها، لكن هناك أحجارًا مسطَّحة كبيرة نِصف مغطَّاةٍ بالتُّربة وأوراق الشَّجر السَّاقطة.

يُزَمجِر ويذرع الأرض جيئةً وذهابًا وراء البوَّابة، ثم يُلقي نفسه عليها مرَّةً أخرى، فتتحرَّك بعض الشَّيء قبل أن ترتطم به، ويهمس شيءٌ ما: موصدة. مسلسلَة. الصَّوت الذي لم يسمعه، الرَّائحة عديمة الرَّائحة. الطُّرق الأخرى مسدودة بدورها، فالخشب سميكٌ قويٌّ هنا، فيما تنفتح الأبواب في جُدران بني الإنسان.

لا سبيل للخروج.

تأتي الهمسة: بل هناك سبيل، ويُهَيَّأ له أنه يرى ظِلَّ شجرةٍ عظيمة مغطَّاة بالأوراق الطَّويلة المدبَّبة كالإبر، ترتفع مائلةً من التُّربة السَّوداء بالغةً عشرة أضعاف طول الإنسان، إلَّا أنه لا يراها حين يتطلَّع حوله. على الجانب الآخَر من أيكة الآلهة، شجرة الحارس، أسرِع، أسرِع...

في حَلكة اللَّيل ترتفع صيحة مكتومة سرعان ما يُخرِسها أحدهم.

بسرعةٍ بسرعةٍ يدور وينطلق وسط الأشجار، فتحفُّ الأوراق البليلة تحت قوائمه وتجلده الفروع الواطئة وهو يخترق طريقه بينها، بينما يسمع أخاه يتبعه من قُرب، ثم يندفعا تحت شجرة القلوب وحول البِركة الباردة، عبر شُجيرات



التُّوت الأسود، وتحت دغلٍ متشابكٍ من السَّنديان والدَّردار والزُّعرور البرِّي، وإلى الجانب القصيِّ من الأيكة... وها هو ذا، الظِّلُّ الذي لمحَه دون أن يراه، الشَّجرة المائلة صوب الأسطُح. شجرة الحارس.

يتذكَّر الآن كيف كان تسلُّقها؛ الأوراق الإبريَّة في كلِّ مكان، تخدش قدميه الحافيتين وتَسقُط على مؤخِّرة عُنقه إلى داخل ثيابه، والنُّسغ اللَّزج على يديه، والرَّائحة الصَّنوبريَّة الحادَّة. هي شجرة يَسهُل على صبيٍّ تسلُّقها ما دامَت مائلةً معوجَّةً هكذا، تتدانى فروعها حتى تكاد تصنع سُلَّمًا يرتفع مائلًا نحو السَّقف.

يُزَمجِر ويتشمَّم الهواء حول الشَّجرة، ثم يرفع ساقًا ويضع علامته عليها بخيطٍ من البول. يمسُّ غُصن واطئ وجهه، فينقضُّ عليه بأسنانه ويلوي ويسحب إلى أن ينكسر الخشب وينقلع، وتملأ الأوراق الإبريَّة ومذاق النُّسغ المُرُّ فمه، فيهزُّ رأسه ويزوم.

يجلس أخوه على قائمتيه الخلفيَّتين ويرفع عقيرته بعُواءٍ نائح، أغنيَّةٍ من عويلٍ أسود. الطَّريق ليس طريقًا. إنهما ليسا سنجابين، ولا من جِراء بني الإنسان، ولا يستطيعان الزَّحف على جذوع الأشجار والتعلُّق بها بكفوفٍ ورديَّة ليِّنة وأرجُلٍ خرقاء. إنهما عدَّاءان، صيَّادان، متربِّصان.

في مكانٍ ما في اللَّيل وراء الأحجار المطبِقة عليهما، تستيقظ الكلاب وترفع أصواتها بالنِّباح، واحد ثم ثانٍ ثم جميعها، ضجَّة تصمُّ الآذان. هي أيضًا شمَّت رائحة الأعداء والخوف.

تملأه ثورة يائسة متَّقدة كالجوع، فيندفع مبتعدًا عن الأسوار، ويثب تحت الأشجار بينما تُبَرقِش ظلال الغصون والأوراق فروه الرَّمادي... ثم يستدير ويندفع عائدًا، تطير أقدامه طيرانًا وتَنثُر أوراق الشَّجر المبتلَّة وإبر الصَّنوبر، وتمرُّ فترة وجيزة يرى نفسه فيها صيَّادًا يفرُّ منه وعل ذو قرنين، يراه ويشمُّه وينطلق وراءه بأقصى سُرعته، فتجعل رائحة الخوف قلبه يدقُّ بصوتٍ كالرَّعد واللُّعاب يسيل من بين فكَّيه، ثم يَبلُغ الشَّجرة المائلة بخطوةٍ أخيرةٍ واسعة، ويُلقي نفسه على الجذع إلى أعلى، تخدش مخالبه اللِّحاء بحثًا عن بُقعةٍ يتثبَّث بها. إلى أعلى يثب مرَّةً، مرَّتين، ثلاثًا، لا تتباطأ حركته إلَّا قليلًا، إلى



أن يجد نفسه بين الفروع السُّفليَّة، وتتشابَك الأغصان حول أقدامه وتضربه على عينيه، وتتناثَر الإبر الخضراء الرَّماديَّة وهو يدسُّ نفسه بينها وينهشها. يجب أن يُبطئ. يعوق شيء ما قدمه فيُحَرِّرها بحركةٍ عنيفةٍ مزمجرًا، ويضيق الجذع المبتلّ من تحته ويتحدَّر أكثر حتى يكاد يستقيم. يُحاوِل التشبُّث باللِّحاء فيتمزَّق كالجِلد. يَبلُغ ثُلث الطَّريق، نِصفه، يتجاوَز النِّصف، والسَّقف يدنو ويدنو... ثم يضع قدمه ويَشعُر بها تنزلق على انحناءة فرع مبتل، وفجأةً يجد نفسه يتزحلَق، يتعثَّر، ويرتفع عويله الخائف الغاضب، ويَسقُط، ويَسقُط، يتلوَّى بينما تهرع الأرض إلى أعلى لتكسره...

ثم وجدَ بران نفسه في فِراشه في غُرفة البُرج الموحشة، وقد تشابكَت الأغطية حول جسده وخرجَت أنفاسه من صدره لهاثًا. بصوتٍ عالٍ صاحَ: «سَمر! سَمر!»، وأحسَّ بوجع في كتفه كأنه سقطَ عليها، لكنه أدركَ أنه مجرَّد طيفٍ لما يَشعُر به الذِّئب، وقال لنفسه: چوچن على حَق، إنني حيواني. من الخارج أتاه صوت نباح الكلاب الخافت. البحر جاءَ كما رأى چوچن في حُلمه، ويتدفَّق من فوق الأسوار. أمسكَ بران القضيب المثبَّت فوق رأسه وشَدَّ نفسه ليجلس معتدلًا ورفعَ صوته طالبًا من يُساعِده، لكن أحدًا لم يأتِ، وبَعد وهلةٍ تذكَّر بران أن لا أحد سيأتي، فقد رفَعوا الحراسة عن بابه، بما أن السير رودريك أخذَ كلَّ رجلٍ في سِنِّ القتال في متناوَله، فلم يبقَ في وينترفل غير حاميةٍ رمزيَّة.

الآخَرون غادَروا قبل ثمانية أيام، ستمئة رجلٍ من وينترفل وأقرب المعاقل إليها، والمفترَض أن ينضمَّ إليهم كلاي سروين بثلاثمئةٍ غيرهم على الطَّريق، كما أرسلَ المِايستر لوين غِدفانًا تسبقهم لاستدعاء جنودٍ من الميناء الأبيض وأراضي الرَّوابي، وحتى البقاع العميقة في غابة الذِّئاب. تعرَّضت قلعة «مربَّع تورين» لهجوم من قائدٍ حربيٍّ متوحِّش اسمه داجمر ذو الفَكِّ المفلوق، قالت العجوز نان عنه إن لا سبيل لقتله، وإن خصمًا شَجَّ رأسه إلى نِصفين ذات مرَّة، لكن داجمر شديد القوَّة، لدرجة أنه ضغطَ النِّصفين معًا وثبَّتهما حتى التأما ثانيةً. تُرى هل فازَ داجمر؟ «مربَّع تورين» تَبعُد أيامًا عدَّة عن وينترفل، لكن...

سحبَ بران نفسه من الفِراش، وتنقَّل من قضيبٍ إلى آخَر إلى أن بلغ



النَّافذة، واضطربَت أصابعه بعض الشَّيء إذ رفعَ السِّتار. كانت السَّاحة خاليةً وكلُّ النَّوافذ التي رآها مظلمة. وينترفل نائمة. صاحَ بأعلى صوته: «هودور!». لا بُدَّ أنه نائم فوق الاسطبلات، لكن قد يسمعه إذا نادى بصوتٍ عالٍ بما يكفي، أو يسمعه أيُّ أحد. «هودور، تعال بسرعة! أوشا! ميرا! چوچن! أي أحد!»، وكوَّر بران يديه حول فمه، ودوَّى نداؤه: «هوووووودووووور!».

لكن حينما انفتحَ الباب بعُنفٍ من ورائه، كان الرَّجل الذي دخلَ غريبًا لا يعرفه بران، يرتدي سُترةً من الجِلد خُيِّطَت عليها أقراص متداخلة من الحديد، ويحمل خنجرًا بينما تلوح فأس مثبَّتة على ظَهره.

قال بران خائفًا: «ماذا تُريد؟ هذه غُرفتي، اخرُج».

تبعَ ثيون جرايچوي الرَّجل إلى الدَّاخل، وقال: «لسنا هنا لنُؤذيك يا بران».

قال بران ورأسه يدور من الارتياح: «ثيون؟ هل أرسلك روب؟ أهو هنا؟».

- «روب بعيد جدًّا، ولا يستطيع أن يُساعِدك الآن».

حائرًا قال بران: «يُساعِدني؟ ثيون، لا تُخفني».

- «إنني الأمير ثيون الآن. مَن كان ليَحلُم بأن يُصبِح كلانا أميرًا يا بران؟ لكني استوليتُ على قلعتك يا سموَّ الأمير».

- «وينترفل؟»، وهَزَّ بران رأسه قائلًا: «لا، غير ممكن».

- «ورلاج، اترُكنا»، فانسحبَ حامل الخنجر من الغُرفة، بينما جلسَ ثيون على الفِراش، وقال: «أرسلتُ أربعة رجالٍ يتسلَّقون الأسوار بالخطاطيف والحبال، ففتَحوا بوَّابةً خلفيَّةً لبقيَّتنا، ورجالي يتعامَلون مع رجالك الآن. أؤكِّدُ لك أن وينترفل ملكي».

قال بران بلا استيعاب: «لكنك ربيب أبي!».

- «والآن أنت وأخوك ربيباي. بمجرَّد انتهاء القتال، سيجمع رجالي بقيَّة قومك في القاعة الكُبرى، حيث سنُكَلِّمهم. ستقول لهم إنك سلَّمتني وينترفل، وإنك تأمرهم بأن يخدموا ويُطيعوا اللورد الجديد كما فعلوا مع اللورد القديم».

قال بران: «لن أفعل ذلك. سنُقاتِلكم ونَطرُدكم. إنني لم أستسلم، ولا يُمكنك إجباري على أن أقول إنني استسلمتُ».



- «هذه ليست لُعبةً يا بران، فلا تتصرَّف معي كالأطفال، لأني لن أقبل. القلعة لي، لكن هؤلاء النَّاس يظلُّون ناسك أنت، وإذا أرادَ الأمير أن يُحافِظ على سلامتهم، فالأفضل أن يُنَفِّذ ما يُقال له»، ونهضَ ثيون واتَّجه إلى الباب مضيفًا: «أحدهم سيأتي ليُلبسك ثيابك ويحملك إلى القاعة الكُبرى. فكِّر مليًّا فيما ستقوله».

أشعرَ الانتظار بران بعجزٍ أكبر من ذي قبل، وجلسَ في المقعد المجاور للنَّافذة يتطلَّع إلى الأبراج المظلمة والأسوار السَّوداء كالظِّلال. خُيِّلَ إليه أنه سمعَ صِياحًا من وراء قاعة الحَرس، وصوتًا ربما كان تقارُع سيفين، لكنه لا يملك أُذنيَّ سَمر أو أنفه. في اليقظة أظلُّ مكسورًا، لكن في المنام، حين أكونُ سَمر، أستطيعُ أن أجري وأقاتل وأسمع وأشمَّ.

توقَّع أن يأتي هودور، أو واحدة من الخادمات على الأقل، لكن عندما عادَ الباب ينفتح، كان المِايستر لوين هو من دخلَ حاملًا شمعةً، وقال: «بران، هل... هل بلغَك ما حدثَ؟ هل أخبَروك؟». كان الجِلد مشقوقًا فوق عينه اليُسرى، والدَّم يسيل على جانب وجهه.

- «جاءَني ثيون، وقال إن وينترفل ملكه الآن».

وضعَ المِايستر الشَّمعة ومسحَ الدَّم عن وجنته قائلًا: «لقد خاضوا في الخندق المائي، وتسلَّقوا الأسوار بالخطاطيف والحبال وعبروا والماء يَقطُر منهم وأسلحتهم في أيديهم»، وجلسَ على المقعد المجاور للباب وجُرح جبهته يُعاوِد النَّزيف، وتابعَ: «آلبلي كان عند البوَّابة. باغَتوه في بُرج الحراسة وقتَلوه، وهايهِد جريح أيضًا. أسعفَني الوقت بإرسال غِدافين قبل أن يقتحموا عليَّ غُرفتي، ونجحَ الطَّائر الذَّاهب إلى الميناء الأبيض في الفرار، لكنهم أسقَطوا الثَّاني بسهم»، وحدَّق المِايستر في البساط على الأرض مضيفًا: «السير رودريك أخذَ عددًا ضخمًا من رجالنا، لكني ملامٌ مِثله تمامًا، فلم أرَ هذا الخطر قطُّ، لم...».

چوچن رآه. «يَحسُن أن تُساعِدني على ارتداء ثيابي».

- «نعم، بالطَّبع». أخرجَ المِايستر ثيابًا داخليَّةً وسراويل وسُترةً من الصُّندوق الثَّقيل المقوَّى بالحديد الموضوع عند قدم الفِراش، وقال: «أنت



ابن ستارك في وينترفل ووريث روب، ويجب أن يليق مظهرك بأمير»، وبمساعدَة لوين ارتدى بران ثيابًا تُلائِم واحدًا من السَّادة.

- «ثيون يُريدني أن أسلِّم القلعة»، قال بران بينما يُثبِّت المِايستر على كتفيه المعطف بمشبكه المفضَّل ذي شكل رأس الذِّئب، المصنوع من الفضَّة والكهرمان الأسود.

- «لا عار في هذا. على اللورد أن يحمي رعيَّته. الأماكن القاسية تُنجِب أناسًا قساة يا بران، تذكَّر هذا وأنت تتعامَل مع هؤلاء الحديديِّين. لقد فعلَ السيِّد والدك ما يقدر عليه لترويض ثيون، لكن أخشى أن الأوان كان قد فاتَ بالفعل».

الرَّجل الحديدي الذي جاءَهما كان قصيرًا مكتنزًا ذا لحيةٍ بسواد الفحم تُغَطِّي نِصف صدره، وحملَ بران بيُسرٍ وإن لم يبدُ عليه الرِّضا بمهمَّته. تقع غُرفة نوم ريكون عند منتصَف السَّلالم في الطَّابق السُّفلي، وبدا الصَّبي ذو الأعوام الأربعة متذمِّرًا لإيقاظه، وقال: «أريدُ أمِّي، أريدها، وشاجيدوج أيضًا».

قال المِايستر لوين وهو يُلبسه معطف نوم: «أمُّك بعيدة عن هنا يا سموَّ الأمير، لكني موجود، وبران أيضًا»، وأخذَ ريكون من يده وقادَه إلى الخارج.

في الأسفل رأوا رجلًا أصلع يحمل رُمحًا يُناهِزه ثلاث مرَّاتٍ طولًا، يسوق ميرا وچوچن من غُرفتهما، وحين نظرَ چوچن إلى بران، كانت عيناه بئرين خضراوين ملآتين بالأسى. كان رجال حديديُّون آخَرون قد أيقَظوا صبيَّي فراي، وقال والدر الصَّغير لبران: «أخوك فقدَ مملكته. لم تَعُد أميرًا، بل مجرَّد رهينة».

قال چوچن: «وكذا أنت، وأنا، وكلنا».

- «لا أحد كلَّمك يا آكل الضَّفادع».

تقدَّمهم أحد الرِّجال الحديديِّين حاملًا مشعلًا، لكن المطر عادَ يهطل ثانيةً وسرعان ما أطفأه، وبينما أسرَعوا قاطعين السَّاحة سمعوا عُواء الذِّئبين الرَّهيبين يتردَّد من أيكة الآلهة. أتمنَّى أن السَّقطة لم تؤذِ سَمر.

جالسًا في مقعد عائلة ستارك العالي، كان ثيون جرايچوي قد خلعَ معطفه،



وفوق قميصٍ من الحلقات المعدنيَّة اللَّامعة ارتدى سُترةً سوداءَ مزيَّنةً بكراكن عائلته الذَّهبي، وقد أراحَ يديه على رأسي الذِّئبين المنحوتين في طرفي الذِّراعين الحجريَّتين. قال ريكون: «ثيون جالس في مقعد روب».

- «صمتًا يا ريكون». كان بران يَشعُر بالتَّهديد المحيط بهم، بينما لا يزال أخوه طفلًا. أُوقِد عدد من المشاعل وتأجَّجت النَّار في المستوقَد الكبير، وإن ظَلَّ معظم القاعة غارقًا في الظَّلام، ولا مكان للجلوس لأن الدِّكك مكوَّمة عند الحوائط، فوقف قاطنو القلعة في مجموعاتٍ صغيرة، لا يجرؤ أحد منهم على الكلام. رأى العجوز نان تفتح فمها الخالي من الأسنان وتُغلِقه، وحُمِلَ هايهد إلى القاعة بين اثنين من الحُرَّاس الآخَرين، وقد التفَّت ضمَّادة ملطَّخة بالدِّماء حول صدره العاري، بينما أخذَ تيم المجدور يبكي بحرارة، وسالَت دموع بث كاسل الخائفة.

سأَلَ ثيون أولاد ريد وفراي: «ماذا لدينا هنا؟».

أجابَ المِايستر لوين: «هذان ربيبا الليدي كاتلين، كلاهما اسمه والدر فراي، وهذان چوچن ريد وأخته ميرا، ابن وابنة هاولاند ريد سيِّد قلعة المياه الرَّماديَّة، وقد جاءا لتجديد قَسم الولاء لوينترفل».

قال ثيون: «قد يقول البعض إنهما جاءا في الوقت غير المناسب، لكنه يُناسِبني أنا. إنكما هنا، وهنا ستظلَّان»، وأخلى المقعد العالي قائلًا: «أحضِر الأمير يا لورن»، فأنزلَ ذو اللِّحية السَّوداء بران على المقعد الحجري كأنه جوال من القمح.

كان بقيَّة ساكني القلعة لا يزالوا يُساقون إلى القاعة بالصِّياح ومقابض الرِّماح، وجاءَ جايچ وأوشا من المطبخ ملوَّثين بدقيق خُبز الصَّباح، وجُرَّ ميكن إلى الدَّاخل وهو يسبُّ ويلعن، ودخلَ فارلن يَعرُج محاولًا بصعوبةٍ أن يسند بالا، التي تمزَّق وجه فُستانها إلى نِصفين ضمَّتهما بقبضتها بينما تمشي كأن كلَّ خطوةٍ عذاب مضنٍ، فتقدَّم السِّپتون كايل بغية أن يُساعِدهما، لكن واحدًا من الرِّجال الحديديِّين طرحَه أرضًا.

آخِر مَن أدخَلوه من الباب كان السَّجين ريك الذي سبقَته رائحته النَّتنة، وأحسَّ بران بمعدته تنقلب من فرط الاشمئزاز. «وجدناه محبوسًا في زنزانة



بُرج»، أعلنَ الرَّجل الذي أتى به، شابٌّ حليق ذو شَعرٍ بُنِّي وثياب مشبَّعة بالماء، فلا شَكَّ أنه أحد من سبحوا في الخندق المائي. «يقول إنهم يُسَمُّونه ريك».

قال ثيون مبتسمًا: «واضح. أرائحتك لعينة هكذا دائمًا، أم أنك فرغت للتَّوِّ من مضاجَعة خنزير؟».

- «لم أضاجع أحدًا منذ أسَروني يا سيِّدي. اسمي الحقيقي هيك. كنتُ أخدمُ نغل «معقل الخوف» حتى غرسَ رجال ستارك سهمًا في ظَهره كهديَّة زفاف».

سألَ ثيون وقد وجدَ الكلام طريفًا: «مَن تزوَّج؟».

- «أرملة هورنوود يا سيِّدي».

- «تلك الشَّمطاء؟ أكان أعمى؟ إن ثدييها كقِربتي نبيذٍ فارغتين، أصابَهما الجفاف والذُّبول».

- «لم يتزوَّجها من أجل ثدييها يا سيِّدي».

صفقَ الحديديُّون مصراعيَّ الباب الطَّويلين في مقدِّمة القاعة، ومن مكانه على المقعد العالي أحصى بران عشرينًا منهم. غالبًا تركَ حَرسًا على البوَّابات ومستودع السِّلاح. وعلى الرغم من ذلك فلا يُمكن أن عددهم يتجاوَز الثَّلاثين.

رفعَ ثيون يده داعيًا إياهم للصَّمت، وقال: «كلكم تعرفوني...».

- «نعم، نعرفك كجوالٍ من الخراء السَّاخن!»، صاحَ ميكن قبل أن يهوي الرَّجل الأصلع على بطنه بكعب رُمحه، ثم يضربه في وجهه بالمقبض، ليتهاوى الحدَّاد على رُكبتيه ويَبصُق سِنًّا مكسورةً.

- «ميكن، الزم الصَّمت». حاولَ بران أن يكون صوته صارمًا آمرًا مِثل روب حينما يُكَلِّف أحدهم بشيء، لكن صوته خانَه وخرجَت منه الكلمات كصرير حاد.

قالَ ثيون: «أصغِ إلى سيِّدك الصَّغير يا ميكن. إنه أعقل منك».

قال بران لنفسه مذكِّرًا: الحاكم الصَّالح يحمي رعيَّته، ثم رفعَ صوته قائلًا: «لقد سلَّمتُ ثيون وينترفل».

- «بصوتٍ أعلى يا بران، وادعُني بالأمير ثيون».



بصوتٍ أعلى قال: «لقد سلَّمتُ الأمير ثيون وينترفل، وعليكم جميعًا أن تُنَفِّذوا أوامره».

هدرَ ميكن: «فلتحلَّ بي اللَّعنة إذا فعلتُ!».

تجاهلَ ثيون غضبة الحدَّاد، وتابعَ: «لقد وضعَ أبي تاج الملح والصَّخر العريق، وأعلنَ نفسه ملكًا لجُزر الحديد، ويضمُّ الشَّمال إلى مملكته كذلك بحَقِّ الغزو. جميعنا رعاياه».

مسحَ ميكن الدَّم من على فمه قائلًا: «فليذهب كلُّ هذا إلى الجحيم. إنني أخدمُ عائلة ستارك، وليس سمكةً خائنةً من... آه!». أسقطَه كعب الرُّمح ليضرب وجهه الأرض الحجريَّة مباشرةً.

قال ثيون: «الحدَّادون أقوياء الأذرُع ولكن ضُعفاء العقول، لكن إذا خدمَني بقيَّتكم بإخلاصٍ كما خدمتم ند ستارك، فستجدونني شديد الكرم».

بصقَ ميكن دمًا وهو جاثم على يديه ورُكبتيه، وفي قرارة نفسه قال بران: أرجوك، لا تفعلها، لكن الحدَّاد صاحَ: «إذا كنت تحسب أنك تستطيع احتلال الشَّمال بهذه العصابة البائسة...».

وغرسَ الأصلع رأس الرُّمح في مؤخِّرة عُنق ميكن، وشَقَّ الفولاذ اللَّحم وخرجَ من حَلقه ناثرًا الدِّماء، فصرخَت امرأة وطوَّقت ميرا ريكون بذراعيها، أمَّا بران ففكَّر كالمخدَّر: غرقَ في الدَّم، في دمه هو.

سألَ ثيون جرايچوي: «مَن غيره لديه ما يقوله؟».

وصاحَ هودور بعينين متَّسعتين: «هودور هودور هودور هودور!».

- «فليتفضَّل أحد بإخراس هذا الأبله».

بدأ اثنان من الحديديِّين يضربان هودور بكعبيِّ رُمحيهما، وسقطَ صبيُّ الاسطبل أرضًا محاولًا حماية نفسه بيديه.

رفعَ ثيون صوته ليعلو على ارتطام الخشب باللَّحم قائلًا: «سأكونُ سيِّدًا صالحًا لكم كما كان إدارد ستارك، لكن خُونوني وستتمنَّون لو أنكم لم تفعلوا، ولا تحسبوا أن الرِّجال الذين ترونهم هنا هُم قوَّتي كلها، لأن «مربَّع تورين» و«ربوة الغابة» ستُصبِحان لنا بدورهما قريبًا، كما أن عمِّي يُبحِر في خليج «الرُّمح الملحي» للاستيلاء على خندق كايلن. إذا استطاعَ روب ستارك أن



يدرأ آل لانستر، فيُمكنه أن يَحكُم بصفته ملك الثَّالوث من الآن فصاعدًا، لكن الشَّمال لعائلة جرايچوي».

قال الرَّجل المسمَّى ريك: «سيُحارِبك لوردات ستارك، ذلك الخنزير البدين في الميناء الأبيض، وأولاد أومبر وكارستارك أيضًا. ستحتاج رجالًا. أطلِق سراحي وسأكون خادمك».

تأمَّل ثيون بعض الوقت، قبل أن يقول: «أنت أذكى مما تشي رائحتك، لكني لن أتحمَّلها».

قال ريك: «يُمكنني أن أستحمَّ إذا أُطلِق سراحي».

ابتسمَ ثيون قائلًا: «رجل ذو عقلٍ نادر. اركع».

ناولَ أحد الحديديِّين ريك سيفًا، فوضعَه عند قدميّ ثيون وأقسمَ على الطَّاعة لعائلة جرايچوي والملك بالون، ولم يستطِع بران أن يَنظُر ليشهد تحقُّق الحُلم الأخضر.

خطَت أوشا متجاوزةً جثَّة ميكن، وقالت: «لورد جرايچوي، أنا أيضًا جئتُ إلى هنا أسيرةً. كنت موجودًا يوم أخذوني».

متألِّمًا قال بران في أعماقه: حسبتكِ صديقةً.

أعلنَ ثيون: «أحتاجُ مُحارِبين وليس مومسات المطابخ».

- «روب ستارك هو من وضعَني في المطابخ، وطيلة ما يَقرُب من عام وأنا أنظِّفُ القدور وأكشطُ الشُّحوم وأدفِّئُ لهذا الرَّجل فِراشه»، ورمقَت جايچ مواصلةً: «سئمتُ كلَّ هذا. ضَع رُمحًا في يدي».

قال الأصلع الذي قتلَ ميكن: «عندي رُمح لكِ هنا»، ووضعَ يده على قضيبه مبتسمًا ابتسامةً عريضةً.

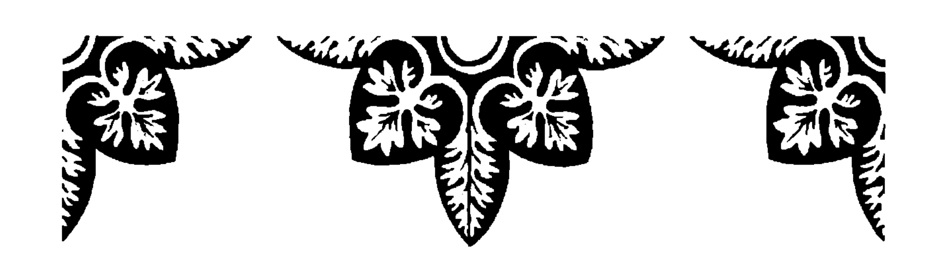
ودفنَت أوشا رُكبتها بين ساقيه قائلةً: «احتفِظ بهذه الدُّودة الطريَّة»، وانتزعَت الرُّمح منه وأسقطَته بضربةٍ من كعبه متابعةً: «سأكتفي بالخشب والحديد»، وتلوَّى الأصلع ألمًا على الأرض فيما انفجرَ المُغيرون الآخَرون ضاحكين.

شاركَهم ثيون الضَّحك، وقال: «ستَصلُحين. احتفظي بالرُّمح، وسيجد ستيج واحدًا آخَر. والآن اركعي وأقسِمي».



ثم حينما لم يتقدَّم أحد غير ريك وأوشا ليتعهَّد بالخدمة، صرفَهم ثيون آمرًا بأن يقوموا بعملهم ولا يُسَبِّبوا متاعب. كُلِّفَ هودور بحمل بران إلى غُرفته، وقد قَبُحَ وجهه من الضَّربات التي تلقَّاها، وتورَّم أنفه وانغلقَت إحدى عينيه. «هودور»، قال منتحبًا بشفتين مشقوقتين إذ رفعَ بران بين ذراعيه الضَّخمتين القويَّتين بيديه الدَّاميتين وخرجَ به إلى المطر.





آريا

قال هوت پاي وهو يعجن الخُبز وقد غطَّى الدَّقيق ذراعيه حتى المِرفقين: «هناك أشباح، إنني متأكِّد. پيا رأت شيئًا ليلة أمسِ في مخزن المؤن».

أطلقَت آريا نخيرًا ساخرًا، فپيا ترى أشياء في مخزن المؤن طول الوقت، لكن عادةً ما تكون تلك الأشياء رجالًا. سألَته: «هلَّا أعطيتني كعكةً؟ لقد خبزتَ صحفةً كاملةً».

- «أحتاجُ صحفةً كاملةً. السير آموري يُحِبُّ هذه الكعكات».

إنها تكره السير آموري، ولذا قالت: «فلنَبصُق عليها».

تلفَّت هوت پاي حوله متوتِّرًا، وقال: «سيعرف». كانت المطابخ ملأى بالظِّلال والأصداء، لكن الطُّهاة وعُمَّال المطابخ الآخَرين ما زالوا نائمين في الحُجرات العلويَّة الواسعة فوق الأفران.

قالت آريا: «لن يعرف. لا أحد يتذوَّق البُصاق!».

قال هوت پاي: «أنا مَن سيُجلَد إذا عرفَ»، وتوقَّف عن العجن والتفتَ إليها قائلًا: «لا يَجدُر بكِ أن تكوني هنا أصلًا. إنه جوف اللَّيل».

كانت السَّاعة متأخِّرةً بالفعل، لكن آريا لم تُمانِع، فحتى في جوف اللَّيل لا تنام المطابخ أبدًا، ودومًا ثمَّة مَن يُجَهِّز العجين من أجل خُبز الصَّباح، أو يُقَلِّب محتويات مرجلٍ بملعقةٍ خشبيَّة، أو يذبح خنزيرًا من أجل إفطار السير آموري. اللَّيلة كان دور هوت پاي.

قال: «إذا استيقظَ ذو العين الورديَّة ووجدكِ غائبةً...».

- «ذو العين الورديَّة لا يستيقظ أبدًا بمجرَّد أن يغيب عن الوعي». اسمه



الحقيقي مبِل، لكن الجميع يُلَقِّبونه بذي العين الورديَّة بسبب عينيه الدَّامعتين دائمًا[1]، وقد اعتادَ أن يُفطِر كلَّ يوم على المِزر، وكلَّ مساءٍ بَعد العَشاء يأخذه نوم السَّكارى ويسيل اللُّعاب الملوَّن بالنَّبيذ على ذقنه، فتنتظر آريا حتى تسمع غطيطه، ثم تنسلُّ صاعدةً سلالم الخدم بقدمين حافيتين، دون أن تحمل شمعةً أو فتيلًا، فذات يوم قال لها سيريو إن الظَّلام يُمكن أن يكون حليفها، وكان محقًّا، وما دامَت تَستطيع الرُّؤية في نور القمر أو النُّجوم، فهذا يكفي. قالت لهوت پاي: «أراهنُ أننا نستطيع الهرب، ولن ينتبه ذو العين الورديَّة إلى غيابي أبدًا».

- «لا رغبة لديَّ في الهرب. هنا أفضل من الغابة، ولا أريدُ العودة إلى أكل الدُّود. هاكِ، انثُري القليل من الدَّقيق على اللَّوح».

مالَت آريا برأسها جانبًا، وقالت: «ما هذا؟».

- «ماذا؟ لستُ...».

- «اسمع بأُذنيك لا فمك. لقد تردَّد صوت بوقٍ حربي، نفختان، ألم تسمع؟ وهذا صوت سلاسل الشَّبكة الحديديَّة. أحدهم مغادر أو قادم. أتُريد أن تذهب وترى؟». لم تكن بوَّابات هارنهال قد فُتِحَت منذ صبيحة رحيل اللورد تايوين بجيشه.

قال هوت پاي معترضًا: «إنني أصنعُ خُبز الصَّباح، وقلتُ لكِ إني لا أحبُّ الخروج في الظَّلام».

- «سأذهبُ وأحكي لك فيما بَعد. هل لي بكعكة؟».

- «لا».

لكنها اختطفَت واحدةً على كلِّ حالٍ والتهمَتها في الطَّريق إلى الخارج. كانت محشوَّةً بالجوز المقطَّع والفاكهة والجبن، قشرتها الخارجيَّة هشَّة ولا تزال تحتفظ بدِفء الفُرن. أشعرَ التهام كعكة السير آموري آريا بالجرأة، وهمسًا غنَّت: حافية القدمين، واثقة القدمين، خفيفة القدمين، أنا الشَّبح الذي يَسكُن هارنهال.

---

(1) المرض الذي يُعرَف في عالم الواقع باسم التهاب الملتحمة.



كان النَّفير قد أيقظَ القلعة من نومها، وخرجَ النَّاس إلى السَّاحة ليروا سبب الضجَّة، فانضمَّت آريا إليهم، ورأت طابورًا من العربات التي تجرُّها الثِّيران يَدخُل مقعقعًا من تحت الشَّبكة الحديديَّة، فأدركَت ما تحمله في الحال، وقالت لنفسها: غنائم. تحدَّث الخيَّالة المصاحبون للعربات بلُغاتٍ غريبة، ولمعَت دروعهم بشحوبٍ في نور القمر، ولمحَت آريا زوجًا من خيول الزورسِ المخطَّطة بالأبيضِ والأسود. الممثِّلون السفَّاحون. تراجعَت لتغوص في الظِّلال أكثر، وشاهدَت بينما دخلَت عربة تحملِ قفصًا يحوي دُبًّا أسود ضخمًا، فيما حُمِّلَت عربات أخرى بالدُّروع الفضِّيَّة والأسلحة والتُّروس وأجولة الدَّقيق وأقفاص الخنازير والكلاب الهزيلة والدَّجاج. كانت آريا تُحاوِل أن تتذكَّر متى كانت آخِر مرَّةٍ أكلَت فيها لحم الخنزير المشوي، حين رأت أول الأسرى.

لا بُدَّ أنه لورد ما، كما تشي وقفته والطَّريقة الأنوف التي يرفع بها رأسه، ولمحَت آريا الحلقات المعدنيَّة تلتمع من تحت سُترته الممزَّقة. حسبَته في البداية واحدًا من رجال لانستر، لكن حين مَرَّ بالقُرب من مشعلٍ تبيَّنت أن رمزه عبارةٌ عن قبضةٍ فضِّيَّة وليس أسدًا. كان معصماه مقيَّدين بإحكام، وربطَه حبل ملتفٌّ حول أحد كاحليه بالرَّجلِ الذي وراءه، فكان طابور الأسرى كله يمشي متمايلًا بإيقاعٍ موحَّد، وقد تجلَّى أن كثيرين منهم جرحى، وإذا توقَّف أحدهم، كان واحدٌ من الخيَّالة يتقدَّم مسرعًا ويهوي عليه بالسَّوط ليُعاوِد الحركة. حاولَت أن تحصي عدد السُّجناء، لكنها عجزَت عن العَدِّ قبلَ أن تَبلُغ الخمسين، وقدَّرت أن عددهم يصل إلى ضِعف هذا على الأقل. لطَّخ الوحل والدَّم ثيابهم، وفي ضوء المشعل كان من العَصِيِّ أن تُمَيِّز شاراتهم ورموزهم، لكن آريا تعرَّفت بعضها، كالبُرجين التَّوأمين والشَّمس المتفجِّرة والرَّجل الدَّامي والبلطة الحربيَّة. البلطة الحربيَّة رمز عائلة سروين، والشَّمس البيضاء على خلفيَّة سوداء رمز كارستارك. إنهم شَماليُّون، رجال أبي وروب. لم ترغب في التَّفكير فيما يعنيه هذا.

بدأ الممثِّلون السفَّاحون يترجَّلون، وجاءَ صبيان الاسطبلات ناعسين من أسرَّتهم القَشِّ ليُعنوا بالخيول المنهَكة. زعقَ أحد الخيَّالة طالبًا المِزر،



بينما دفعَت الضَّوضاء السير آموري لورك إلى الخروج إلى الشُّرفة المغطَّاة فوق السَّاحة، وقد أحاطَ به اثنان من حاملي المشاعل. أوقفَ ڤارجو هوت ذو خوذة رأس الكبش حصانه تحت الشُّرفةِ، وقال بصوتٍ ثقيلٍ مصحوبٍ باللُّعاب السَّائل، كأن لسانه أكبر من أن يحتويه فمه: «ثيِّدي أمين الَقلعة».

قال السير آموري عابسًا: «ما كلُّ هذا يا هوت؟».

- «أثرى. رووث بولتون فكَّر في عبور النَّهر، لكن رجالي من رِفقة الشُّجعان مذَّقوا مقدِّمة جيشه إربًا، وقتَلنا كثيرين ودفَعنا بولتون إلى الفرار. هذا قائدهم جلوڤر، ووراءه الثير إينث فراي».

رمقَ السير آموري الأسرى المربوطين معًا بالحبال بعينيه الخنزيريَّتين، وخطرَ لآريا أنه ليس مسرورًا، فكلٌّ من في القلعة يعلمون الكراهية المتبادَلة بينه وبين ڤارجو هوت، ثم إنه قال: «ليكن. سير كادوين، خُذ هؤلاء الرِّجال إلى الزَّنازين».

رفعَ اللورد ذو رمز القبضة المغطَّاة بالحلقات الفضِّيَّة صوته، وقال: «وُعِدنا بمعاملةٍ كريمة...».

صرخَ ڤارجو هوت مقاطعًا واللُّعاب يتناثَر من فمه: «ثمتًا!».

خاطبَ السير آموري الأسرى قائلًا: «ما وعدَكم به هوت لا يعني لي شيئًا. اللورد تايوين عيَّنني أنا أمينًا لهارنهال، وسأفعلُ بكم ما يروقني»، وأشارَ لحُرَّاسه مضيفًا: «ستكفي الزِّنزانة الكبيرة تحت بُرج الأرملة لاحتوائهم جميعًا، ومن لا يرغب في الذَّهاب يُمكنه أن يموت هنا».

بينما ساقَ رجاله الأسرى برؤوس رماحهم، أبصرَت آريا ذا العين الورديَّة يَخرُج من بئر السُّلَّم وعيناه تَطرُفان في ضوء المشاعل. إذا وجدَها غائبةً، سيزعق ويُهَدِّد بأن يجلدها حتى يُمَزِّق جلدها، لكنها لم تَشعُر بالخوف، فهو ليس ويز، ودائمًا يُهَدِّد بأن يجلد هذا أو ذاك حتى يتمزَّق جِلده، وإن لم ترَه يضرب أحدًا قَطُّ، لكن من الأفضل ألَّا يراها رغم ذلك. تطلَّعت حولها فرأت الثِّيران تُحَلُّ وحمولات العربات تُفرغ، فيما رفعَ رجال رِفقة الشُّجعان أصواتهم طالبين الشَّراب، وتحلَّق الفضوليُّون حول قفص الدُّب. في هذه



الفوضى لم يكن صعبًا عليها أن تتسلَّل خلسةً، فعادَت من حيث أتَت، راغبةً في أن تبقى بعيدًا عن الأنظار قبل أن يراها أحد ويُكَلِّفها بعملٍ ما.

بمنأى عن البوَّابات والاسطبلات تظلُّ القلعة العظيمة مهجورةً إلى حَدٍّ كبير. شيئًا فشيئًا خفتَ الضَّجيج من ورائها، وهبَّت الرِّيح في دوَّامات لتُخرِج صرخةً راجفةً مدوِّيةً مِن بين صدوع حجارة بُرجِ العويل. كانت الأوراق قد بدأت تَسقُط من أشجار أيكة الآلهة، وأدركَت أذنا آريا حفيفها إذ تطايرَت بين السَّاحات والمباني الخالية ودفعَتها الرِّياح على الحجر. الآن تُمارِس الأصوات حيلًا عجيبةً وقد عادَت هارنهال تخلو، فأحيانًا يبدو كأن الجُدران تمتصُّ الصَّوت امتصاصًا، فتدثِّر السَّاحات بمعطفٍ من الصَّمت، وفي أحيانٍ أخرى تدبُّ الحياة في الأصداء، فيتردَّد وقْع كلِّ خطوةٍ كأن جيشًا من الأشباح يدقُّ الأرض، ويصير كلُّ صوتٍ بعيد بمثابة جوقةٍ شبحيَّة. تلك الأصوات الغريبة واحدة من الأشياء التي تُزعِج هوت پاي، لكن ليس آريا.

بهدوء الظِّلال مرقَت عبر الفِناء الأوسط، وحول بُرج الفزع، ومن خلال مجموعة اسطبلات فارغة، حيث يقول النَّاس إن أرواح الصُّقور الميتة تُحَرِّك الهواء بأجنحتها الطَّيفيَّة. تستطيع آريا حاليًّا أن تذهب أينما شاءَت، فعدد رجال الحامية لا يتجاوَز المئة، فرقة محدودة للغاية حتى إنها تتوارى تمامًا في ضخامة هارنهال. كانت قاعة المئة مستوقَد مغلقةً، بالإضافة إلى العديد من المباني الأصغر حجمًا وشأنًا، وحتى بُرج العويل، وانتقلَ السير آموري لورك للإقامة في مسكن أمين القلعة في بُرجِ محرقة الملك، الذي لا يقلُّ اتِّساعًا عن مسكن سيِّد القلعة نفسه، بينما انتقلَت آريا مع بقيَّة الخدم إلى الأقبية أسفل البُرج ليكونوا على مقربة. حين أقامَ اللورد تايوين في القلعة، كان الجنود يسألونك عمَّا تفعله هنا وهناك دائمًا، أمَّا الآن فثمَّة مئة رجلٍ يَحرُسون ألف باب، ولا يبدو أن أحدًا يدري المكان المفترَض لهذا الشَّخص أو ذاك، أو يُبالي.

سمعَت آريا دقَّات مطرقةٍ حين مرَّت بمستودع السِّلاح، ولاحَ وهج برتقالي داكن في النَّوافذ العالية، فتسلَّقت إلى السَّطح وألقَت نظرةً إلى أسفل، لترى جندري يُطَرِّق واقي صدر. لا شيء يَسكُن وجوده حين يعمل غير المعدن



والكير والنَّار، وتُصبِح المطرقة جزءًا من ذراعه. شاهدَت عضلات صدره تلعب وأصغَت لموسيقاه الفولاذيَّة مفكِّرةً: إنه قوي حقًّا. أمسكَ مِلقطًا طويل المقبض يغمس به واقي الصَّدر في حوض الماء، بينما دسَّت آريا جسدها في النَّافذة ووثبَت لتقف إلى جواره.

لم تبدُ عليه الدَّهشة لمرآها، وقال لها: «المفترَض أن تكوني في فِراشكِ يا فتاة»، وصدرَ من الواقي صوت كهسيس القِطط إذ غمسَه في الماء البارد متسائلًا: «فيمَ كانت هذه الضَّوضاء؟».

- «ڤارجو هوت عادَ ومعه أسرى. رأيتُ رموزهم. هناك أحد أبناء جلوڤر من «ربوة الغابة»، رجل أبي، والآخَرون كذلك غالبًا». دون سابق إنذارٍ أدركَت آريا لماذا قادَتها خُطاها إلى هنا، فقالت: «يجب أن تُساعِدني على تحريرهم».

قال جندري ضاحكًا: «وكيف نفعل ذلك؟».

- «السير آموري وضعَهم في الزِّنزانة تحت بُرج الأرملة، إنها زنزانة واحدة كبيرة. يُمكنكَ أن تكسر الباب بمطرقتك...».

- «بينما يتفرَّج الحُرَّاس ويتراهَنون على عدد الضَّربات الذي سيتطلَّبه كسر الباب، أليس كذلك؟».

مضغَت شفتها قائلةً: «علينا أن نَقتُل الحُرَّاس».

- «كيف؟».

- «قد لا يكون عددهم كبيرًا».

قال جندري: «لو أن هناك اثنين فقط، فهذا عدد أكبر من أن نُواجِهه. يبدو أنكِ لم تتعلَّمي شيئًا في تلك القرية، أليس كذلك؟ حاوِلي أن تفعلي هذا، وسيقطع ڤارجو هوت يديكِ وقدميكِ كما يفعل مع أمثالكِ»، وعاد يرفع المِلقط من الماء.

- «أنت خائف».

- «دعيني وشأني يا فتاة».

- «جندري، هناك مئة من رجال الشَّمال، وربما أكثر، فلم أستطِع أن أحصيهم، أي أنهم يُماثِلون رجال السير آموري في العدد... دون عَدِّ الممثِّلين السفَّاحين. علينا أن نُخرِجهم فقط وسيُمكننا أن نستولي على القلعة ونهرب».



- «لا تستطيعين إخراجهم، تمامًا كما لم تستطيعي إنقاذ لومي»، وقلبَ جندري واقي الصَّدر بالمِلقط ليفحصه عن كثبٍ مضيفًا: «وإذا هربنا، فأين نذهب؟».

أجابَت من فورها: «وينترفل. سأحكي لأمِّي كيف ساعدتَني، ويُمكنك أن تبقى و...».

- «هل ستسمح سيِّدتي؟ هل أصنعُ حدواتٍ لخيولكم وسيوفًا لإخوتك الكرام؟».

أحيانًا يجعلها تشتعل غضبًا. صاحَت: «اصمُت!».

- «لماذا أقامرُ بقدميَّ لمجرَّد فرصة أن أكدح في وينترفل بدلًا من هارنهال؟ هل تعرفين العجوز بن ذا الإبهام الأسود؟ لقد جاءَ إلى هنا صبيًّا صغيرًا، وعملَ حدَّادًا لدى الليدي وِنت وأبيها من قبلها وأبيه من قبله، بل واللورد لوثستون الذي كان سيِّد هارنهال قبل عائلة وِنت، والآن هو حدَّاد لدى اللورد تايوين. أتدرين ماذا يقول؟ السَّيف سيف والخوذة خوذة، وإذا مددت يدك في النَّار تحترق، أيًّا كان من تخدمه. لوكان معلِّم لا بأس به. سأبقى هنا».

- «ستقبض عليك الملكة إذن. إنها لم تُرسِل ذوي المعاطف الذَّهبيَّة لملاحَقة ذي الإبهام الأسود!».

- «ربما لم يكونوا يُريدونني أنا أصلًا».

- «تعلم جيِّدًا أنهم كانوا يُريدوك أنت، لأنك مهم!».

- «أنا صبيٌّ حدَّاد، وربما أصبحُ معلِّم حدادة ذات يوم... إذا لم أهرب وتُقطَع قدماي أو أُقتَل»، والتفتَ جندري عنها، والتقطَ مطرقته وعادَ يدقُّ.

كوَّرت آريا قبضتيها شاعرةً بالعجز، وصاحَت فيه: «عندما تصنع خوذةَ المرَّة القادمة، ضع أُذني بغل بدلًا من قرني الثَّور!»، وأسرعَت مغادرةً قبل أن تستسلم لرغبتها في ضربه. غالبًا لن يَشعُر بشيءٍ إذا ضربته. حينما يَعثُرون عليه ويقطعون رأس البغل الغبي عن كتفيه، سيندم على أنه لم يُساعِدني. إنها أفضل حالًا دونه، فهو من تسبَّب في القبض عليها في القلعة.

لكن التَّفكير في القرية جعلَها تتذكَّر المسيرة على الطَّريق، والمستودع،



والمُدغدِغ، وخطرَ ببالها الولد الصَّغير الذي هشَّموا وجهه بهرَّاوةٍ شائكة، والعجوز الأحمق كلٌّ لچوفري، ولومي أخضر اليد. كنتُ شاةً، ثم فأرًا لا يقوى على شيءٍ غير الاختباء. مضغَت آريا شفتها محاولةً أن تتذكَّر متى استردَّت شَجاعتها. چاكن أعادَ إليَّ الشَّجاعة، جعلَني شبحًا بدلًا من فأر.

كانت تتحاشى اللوراثي منذ مصرع ويز. تشيزويك كان سهلًا، فأيُّ أحدٍ يستطيع أن يدفع رجلًا من شُرفة، لكن ويز كان يُرَبِّي تلك الكلبة المرقَّطة القبيحة منذ كانت جروةً، ولا شيء غير سحرٍ أسود ما يُمكنه أن يدفعها إلى الانقلاب عليه. يورن وجدَ چاكن في زنزانةٍ سوداء، ومعه رورج والعضَّاض. چاكن ارتكبَ فعلةً شنعاء ويورن كان يعلم، ولهذا كبَّله بالسَّلاسل. إذا كان اللوراثي ساحرًا، فلا بُدَّ أن رورج والعضَّاض شيطانان استحضرَهما من جحيم ما، وليسا بَشريَّين على الإطلاق.

ما زال چاكن مدينًا لها بميتةٍ أخرى. في حكايات العجوز نان عمَّن تمنحهم الجرامكنات أمنياتٍ سحريَّة، عليك أن تكون شديد الحذر مع الأمنية الثَّالثة، لأنها الأخيرة. تشيزويك وويز لم يكونا مهمَّين، بينما تُذَكِّر آريا نفسها كلَّ ليلةٍ إذ تهمس بقائمة الأسماء: لا بُدَّ أن تكون للميتة الأخيرة قيمة. لكنها تتساءَل الآن إن كان هذا سبب تردُّدها الحقيقي، فما دامَت قادرةً على القتل بهمسة، فلا سبب لأن تخشى أحدًا... لكن بمجرَّد أن تستنفد آخِر الميتات، ستعود مجرَّد فأرٍ مذعور.

لم تجرؤ على العودة إلى فِراشها بَعد استيقاظ ذي العين الورديَّة، ولمَّا لم تدرِ أين تختبئ، اتَّجهت إلى أيكة الآلهة. تُحِبُّ رائحة أشجار الصَّنوبر والحارس اللَّاذعة، والشُّعور بالكلأ والثَّرى بين أصابع قدميها، والأصوات التي تُصدِرها الرِّياح وسط الأوراق. يتعرَّج جدول ضحل بطيء التيَّار عبر الأيكة، وثمَّة بُقعة التهمَ فيها الماء الأرض تحت كتلةٍ متشابكةٍ من الأشجار السَّاقطة.

وهناك، تحت الخشب المتعفِّن والفروع الملتوية المهشَّمة، وجدَت سيفها المخبَّأ.

كان جندري قد رفضَ بعنادٍ أن يصنع واحدًا لها، فكسرَت رأس مقشَّةٍ



واستخدمَت العصا، وعلى الرغم من أن سيفها شديد الخفَّة وبلا مقبض ملائم، فقد أحبَّت رأسه المحزَّز المشظَّي، وكلما وجدَت ساعةً بلا عملٍ تسلَّل لتتدرَّب على الحركات التي علَّمها سيريو إياها، وتدور بقدمين حافيتين على ورق الشَّجر السَّاقط، ضاربةً الأغصان ومسقطةً المزيد من الأوراق، وأحيانًا تتسلَّق الشَّجرة وتُمارِس حركاتها الرَّاقصة بين الفروع العُليا التي تتشبَّث بها أصابع قدميها وهي تتحرَّك أمامًا وخلفًا، فيقلُّ ترنُّحها كلَّ يومٍ مع استعادتها توازنها.

اللَّيل أفضل الأوقات على الإطلاق، فلا أحد يُزعِجها ليلًا.

تسلَّقت آريا، وهناك في الأعلى، في قلب مملكة الأخضر، استلَّت سيفها ونسيَتهم جميعًا، السير آموري والممثِّلين ورجال أبيها على حَدٍّ السَّواء، وفقدَت نفسها في الإحساس بالخشب الخشن تحت قدميها وصوت شَقِّ السَّيف الهواء. تحوَّل فرع مكسور إلى چوفري، فراحَت تضربه حتى سقطَ، أمَّا الملكة والسير إلين والسير مرين وكلب الصَّيد فكانوا مجرَّد أوراق، لكنها قتلَتهم جميعًا وقطَّعتهم إلى شرائط خضراء مبتلَّة. عندما تعبَت ذراعها، جلسَت على فرعٍ ضخم تلتقط أنفاسها في هواء اللَّيل البارد، وأصغَت لأصوات الخفافيش وهي تصطاد، ومن خلال مظلَّة الأوراق رأت فروع شجرة القلوب البيضاء كالعظام، فقالت لنفسها: تُشبِه التي في وينترفل تمامًا من هنا... وليتها كانت تلك التي في وينترفل حقًّا، فعندها كانت ستجد نفسها في ديارها من جديدٍ حين تنزل، ولربما يكون أبوها جالسًا تحت شجرة الويروود كديدنه.

ثبَّتت السَّيف في حزامها، ونزلَت من فرعٍ إلى فرعٍ إلى أن بلغَت الأرض، ثم شقَّت طريقها إلى الويروود، التي صبغَ القمر غصونها بلونٍ أبيض مائل إلى الفضِّي، بينما أحالَ اللَّيل أوراقها الحمراء خماسيَّة الرُّؤوس إلى الأسود. حدَّقت آريا في الوجه المحفور في الجذع، الوجه البشع الذي التوى فمه واشتعلَت عيناه كراهيةً. أهكذا يبدو الإله؟ وهل من الممكن أن يمسَّ الآلهة أذى كالبَشر؟ فكَّرت مقرِّرةً فجأةً: ينبغي أن أصلِّي.

جثَت آريا على رُكبتيها دون أن تدري كيف تبدأ، ثم شبَّكت يديها معًا وصلَّت في أعماقها: ساعِديني أيتها الآلهة القديمة، ساعِديني على إخراج



هؤلاء الرِّجال من الزِّنزانة كي نَقتُل السير آموري ونعود بي إلى وينترفل. اجعليني راقصة مياهٍ وذئبةً، ولا تدعي الخوف يُصيبني ثانيةً أبدًا.

أيكفي هذا؟ ربما عليها أن تُصَلِّي بصوتٍ عالٍ إذا أرادَت أن تسمعها الآلهة القديمة، وربما عليها أن تُصَلِّي فترةً أطول. تذكَّرت أن أباها كان يقضي وقتًا طويلًا في الصَّلاة أحيانًا، وأصابَتها الذِّكرى بالغضب، فخاطبَت الشَّجرة معنِّفةً: «كان يجب أن تُنقذيه وقد صلَّى لكِ طول الوقت. لا أبالي إذا ساعدتِني أم لا، ولا أظنُّ أنكِ تقدرين حتى إذا أردتِ».

- «لا تصحُّ السُّخرية من الآلهة يا فتاة». أجفلَها الصَّوت، فوثبَت ناهضةً وسحبَت سيفها الخشبي. كان چاكِن هاجار يقف بثباتٍ تام في الظَّلام حتى إنه بدا كواحدةٍ من الأشجار. «الرَّجل جاءَ ليسمع اسمًا. واحد واثنان ثم يأتي الثَّالث وينتهي الرَّجل».

خفضَت آريا رأس السَّيف المشظَّى، وقالت: «كيف عرفت أني هنا؟».

- «الرَّجل يرى، الرَّجل يسمع، الرَّجل يعرف».

حدجَته بنظراتٍ مرتابة. هل أرسلَته الآلهة؟ «كيف جعلت الكلبة تَقتُل ويز؟ هل استحضرت رورج والعضَّاض من الجحيم؟ هل چاكِن هاجار اسمك الحقيقي؟».

- «البعض يحمل أسماء عدَّة. بنت عرس، آري... آريا».

تراجعَت مبتعدةً عنه حتى انضغطَ ظَهرها على شجرة القلوب، وقالت: «هل وشى بي جندري؟».

- «الرَّجل يعرف يا ليدي ستارك».

لعلَّ الآلهة أرسلَته استجابةً لدُعائها حقًّا. هكذا قالت: «أريدك أن تُساعِدني على إخراج هؤلاء الرِّجال من الزِّنزانة، جلوڤر والبقيَّة، جميعهم. يجب أن نَقتُل الحُرَّاس ونفتح الزِّنزانة بوسيلةٍ ما...».

قاطَعها بهدوء: «الفتاة تنسى. نفسين نالَت والدَّين ثلاث. إذا كانت ترغب في موت حارسٍ، فعليها فقط أن تقول اسمه».

- «لكن حارسًا واحدًا لا يكفي. يجب أن نَقتُلهم كلهم لنفتح الزِّنزانة»،



وعضَّت آريا شفتها بقوَّةٍ لتمنع نفسها من البكاء، وقالت: «أريدك أن تُنقِذ رجال الشَّمال كما أنقذتك».

رمقَها بلا شفقةٍ في عينيه، وقال بصوتٍ بنعومة الحرير وقسوة الفولاذ: «ثلاث أنفُسٍ اختُطِفَت من الإله، وثلاث أنفُسٍ لا بُدَّ أن تُرَدَّ. لا تصحُّ السُّخرية من الآلهة».

- «لم أسخر منها قَطُّ»، وفكَّرت لحظةً قبل أن تقول: «الاسم... أيُمكنني أن أقول اسم أيِّ أحدٍ وستَقتُله؟».

مالَ چاكن هاجار برأسه جانبًا، وأجابَ: «هذا ما قاله الرَّجل».

كرَّرت: «ستَقتُله أيًّا كان؟ رجلًا أو امرأةً أو طفلًا رضيعًا؟ اللورد تايوين أو السِّپتون الأعلى أو أباك؟».

- «والد الرَّجل ماتَ منذ زمن، لكن لو كان حيًّا وتعرفين اسمه، لماتَ بأمركِ».

قالت آريا: «أقسِم، أقسِم بالآلهة».

- «بكلِّ آلهة البحر والهواء وحتى إله النَّار أقسمُ»، ووضعَ چاكن يده على فم الويرورود متابعًا: «بالآلهة السَّبعة الجديدة والآلهة القديمة التي لا تُحصى أقسمُ».

لقد أقسمَ. «حتى إذا نطقتُ اسم الملك...».

- «انطقي الاسم وموتًا يموت. غدًا، أو عندما يستدير القمر، أو بَعد عام من اليوم، سيأتي الموت. الرَّجل لا يُحلِّق كالطُّيور، لكن قدمًا تمضي ثم الثَّانية حتى يأتي يوم ويصل الرَّجل ويموت الملك»، وركعَ إلى جوارها ليتقابَل وجهاهما، وقال: «فلتهمس الفتاة إذا كانت تخشى الكلام بصوتٍ عالٍ. اهمسي بالاسم الآن. أهو چوفري؟».

قرَّبت آريا شفتيها من أُذنه وهمسَت: «چاكن هاجار».

حتى في الحظيرة وأسوار النِّيران ترتفع من حوله وهو مكبَّل بالأغلال، لم يبدُ عليه الجزع الذي بدا الآن وهو يقول: «الفتاة... إنها تمزح».

- «لقد أقسمت، والآلهة سمعَتك تُقسِم».

- «الآلهة سمعَت»، وظهرَ السكِّين في يده فجأةً، نصله رفيع للغاية



كخنصرها، وإن لم تدرِ آريا إن كان لها أم له. «الفتاة ستبكي. الفتاة ستفقد صديقها الوحيد».

قالت: «لست صديقي. كان صديقي ليُساعِدِني»، وابتعدَت عنه موازنةً نفسها على مُشطي قدميها تحسُّبًا لأن يُلقي السكِّين، وأردفَت: «لا يُمكنني أن أقتل صديقًا أبدًا».

لاحَت ابتسامة چاكن وراحَت، وقال: «أيُمكن للفتاة أن... تنطق اسمًا آخَر إذن إن ساعدَها الصَّديق؟».

- «ربما تفعل الفتاة... إن ساعدَها الصَّديق».

اختفى السكِّين، وقال اللوراثي: «تعالي».

- «الآن؟». لم تحسب أنه سيتصرَّف بهذه السُّرعة.

- «الرَّجل يسمع همس الرَّمل في الزُّجاج، الرَّجل لن ينام حتى تسحب الفتاة اسمًا معيَّنًا. هلمِّي أيتها الطِّفلة الشرِّيرة».

لستُ طفلةً شرِّيرةً، إنني ذئبة رهيبة والشَّبح الذي يَسكُن هارنهال. وضعَت عصا المقشَّة في مخبأها وتبعَته إلى خارج أيكة الآلهة.

دبَّت الحركة في هارنهال على الرغم من السَّاعة المتأخِّرة، إذ خرقَ وصول ڤارجو هوت وتيرة الحياة المنتظمة منذ فترة. كانت السَّاحة قد خلَت من العربات والثِّيران والخيول، وإن ظَلَّ قفص الدُّبِّ هناك، معلَّقًا من قنطرة الجسر الذي يصل بين السَّاحتين الخارجيَّة والوُسطى، وقد ثبَّتته سلاسل ثقيلة على ارتفاع بضعة أقدام من الأرض. أغرقَت حلقة من المشاعل المكان بالضَّوء، بينما أخذَ عدد من صِبيان الاسطبل يقذفون الدُّبَّ بالحصى ليُزَمجِر ويخور، وعبر السَّاحة خرجَ الضَّوء من قاعة الثُّكنات، تصحبه خشخشة الدَّوارق المعدنيَّة ونداء الرِّجال طالبين مزيدًا من النَّبيذ، وارتفعَت عدَّة أصواتٍ بأغنيَّةٍ ما بلُغةٍ حلقيَّة غريبة تجهلها آريا.

إنهم يأكلون ويشربون قبل أن يناموا. لا بُدَّ أن ذا العين الورديَّة أرسلَ من يُوقظني لأقدِّم الطَّعام والشَّراب، وعرفَ أني لستُ في فِراشي. لكنه غالبًا يصبُّ الشَّراب بنفسه لرجال رِفقة الشُّجعان ورجال السير آموري الذين انضمُّوا إليهم، وستُساعِد الجلبة التي يُحدِثونها على إلهائهم.



قال چاكِن: «الآلهة الجائعة ستلتهم وليمةً من الدَّم اللَّيلة إذا نفَّذ الرَّجل هذا الشَّيء. أيتها الفتاة الحُلوة الطيِّبة، اسحبي الاسم وقولي آخَر وتخلَّي عن ذلك الحُلم المجنون».

- «لا».

بدا عليه الاستسلام، وقال: «ليكن. سيُنَفَّذ هذا الشَّيء إذن، لكن على الفتاة أن تُطيع. الرَّجل لا يملك وقتًا للكلام».

قالت آريا: «الفتاة ستُطيع. ماذا أفعلُ؟».

- «الرِّجال المئة جائعون ولا بُدَّ من إطعامهم، واللورد أمرَ بالحَساء السَّاخن. يجب أن تهرع الفتاة إلى المطابخ وتقول لصبيِّ الفطائر».

- «الحَساء. وأين ستكون أنت؟».

- «الفتاة ستُساعِد في إعداد الحَساء، وستبقى في المطابخ حتى يأتيها الرَّجل. اذهبي، اجري».

كان هوت پاي يُخرِج أرغفة الخُبز من الفُرن حين دخلَت مسرعةً، لكنه لم يَعُد بمفرده، بَعدما أيقَظوا الطُّهاة لإطعام ڤارجو هوت وممثِّليه السفَّاحين. كان الخدم يحملون سلالًا من خُبز وكعكات هوت پاي، بينما يُقَطِّع رئيس الطُّهاة شرائح من لحم الخنزير، ويُدَوِّر عُمَّال الأسياخ الأرانب على النَّار وتسقيها عاملات المطبخ بالعسل، وتُقَطِّع النِّسوة البصل والجزر. سألَها رئيس الطُّهاة لمَّا رآها: «ماذا تُريدين يا بنت عرس؟».

- «الحَساء، سيِّدي يُريد الحَساء».

أشارَ بسكِّينه إلى القدور الحديد السَّوداء المعلَّقة فوق اللَّهب، وقال: «وماذا تحسبين هذا؟ مع أني أفضِّلُ أن أبول فيه على تقديمه لهذا الكبش الذي لا يَترُكنا ننام ليلًا»، وبصقَ وأضافَ: «لا عليكِ. عودي إليه وقولي إننا لا نستطيع استعجال الغليان».

- «أمرَني بالانتظار هنا حتى يجهز».

- «لا تُعَطِّلينا إذن، أو الأفضل أن تجعلي نفسكِ مفيدةً. اذهبي إلى مخزن المؤن، فحضرة الكبش يُريد زُبدًا وجبنًا. أيقِظي پيا وقولي لها أن تتحرَّك بسرعةٍ إذا أرادَت الاحتفاظ بقدميها».



ذهبَت بأقصى سرعتها، ووجدَت پيا تتلوَّى وتتأوَّه تحت واحدٍ من الممثِّلين، لكنها عادَت ترتدي ثيابها سريعًا حين سمعَت صيحة آريا، وملأَت ستَّ سلالٍ بقوالب الزُّبد وشرائح الجُبن كريه الرَّائحة المغلَّف بالشَّاش، وقالت لآريا: «ساعِديني على حملها».

- «لا أستطيعُ، لكن خيرٌ لكِ أن تُسرِعي وإلَّا بترَ ڤارجو هوت قدمكِ»، وهرعَت مبتعدةً قبل أن تُمسِكها پيا، وفي طريق العودة إلى المطابخ تساءلَت لماذا يحتفظ كلُّ الأسرى بأقدامهم وأيديهم كافَّة. ربما يكون ڤارجو خائفًا من إثارة غضب روب، مع أنه لا يبدو عليه أن يخاف أحدًا.

كان هوت پاي يُقَلِّب محتويات القدور بملعقةٍ خشبيَّةٍ طويلة عندما عادَت، فالتقطَت ملعقةً ثانيةً وبدأت تُساعِد، وخطرَ لها لحظةً أنه ربما يَجدُر بها أن تُخبِره، قبل أن تتذكَّر القرية وتُقَرِّر ألَّا تفعل. سوف يستسلم ثانيةً لا أكثر.

ثم إنها سمعَت نبرة صوت رورج القبيحة إذ نادى: «أيها الطَّاهي، سنأخذ حَساءك اللَّعين»، فتخلَّت آريا عن الملعقة مرتاعةً، وفكَّرت: لم أقل له أن يُحضِرهما. كان رورج يرتدي خوذته الحديد ذات الواقي الذي يُخفي مكان أنفه المفقود، وتبعَه چاكن والعضَّاض إلى الدَّاخل.

قال الطَّاهي: «الحَساء اللَّعين لم يجهز بعدُ. يجب أن يُترَك ليغلي على نارٍ هادئة، ولقد أضَفنا البصل للتَّوِّ و...».

- «أغلِق فمك هذا وإلَّا دسستُ سيخًا في فتحة مؤخِّرتك ودوَّرتك على النَّار. قلتُ الحَساء وقلتُ الآن».

فَحَّ العضَّاض ومزَّق قطعةً من لحم أرنبٍ نِصف مشوي من على سيخٍ وغرسَ فيه أسنانه، ليسيل العسل من بين أصابعه.

باستسلام قال الطَّاهي: «خُذوا حَساءكم اللَّعين إذن، لكن فلتُخبِروا الكبش بالسَّبب إذا قال إن لا طَعم له».

لعقَ العضَّاض الدُّهن والعسل من على أصابعه، بينما ارتدى چاكن هاجار قُفَّازين ثقيلين مبطَّنين، وناولَ آريا اثنين آخَرين قائلًا: «بنت عرس ستُساعِد».

كان الحَساء يغلي والقدور ثقيلة للغاية، وبعناءٍ حملَت آريا واحدةً مع چاكن، بينما حملَ رورج الثَّانية وحده، ورفعَ العضَّاض اثنتين أخريين، مطلقًا فحيحًا



متألِّمًا إذ أحرقَ مقبضاهما يديه ، لكنه لم يُسقِطهما على الرغم من ذلك، وخرَجوا بالقدور من المطابخ وعبروا بها السَّاحة إلى باب بُرج الأرملة، حيث وقفَ حارسان سألَ أحدهما رورچ: «ما هذا؟».

- «قِدر من البول المغلي. أترغب في القليل؟».

ابتسمَ چاكن بنعومةٍ قائلًا: «يجب أن يأكل السُّجناء أيضًا».

- «لم يقل أحد شيئًا عن...».

قاطعَته آريا: «الحَساء لهم وليس لكم».

أشارَ لهم الحارس الثَّاني بالمرور قائلًا: «أنزلوه إليهم إذن».

في الدَّاخل كانت سلالم ملتفَّة تقود إلى الزِّنزانة في الأسفل، وقادَهم رورچ بينما تحرَّك چاكن وآريا في المؤخِّرة، وقال لها: «الفتاة لن تعترض الطَّريق». أفضَت السَّلالم إلى سردابٍ حجري شديد الرُّطوبة، طويل ومعتم وبلا نوافذ، واتَّقدت بضعة مشاعل مثبَّتة على حوامل في طرف السِّرداب الدَّاني، حيث جلسَ عدد من حَرس السير آموري حول طاولةٍ خشبيَّة مشوَّهة، يتكلَّمون ويلعبون البلاطات، وقد فصلَتهم قضبان حديديَّة ثقيلة عن الأسرى الذين تزاحَموا معًا في الظَّلام، وجعلَت رائحة الحَساء كثيرين منهم يقتربون من القضبان.

أحصَت آريا ثمانيةً من الحُرَّاس الذين شمُّوا الحَساء بدورهم، وقال قائدهم لرورچ: «أنت أقبح خادمةٍ رأيتها في حياتي كلها. ما الذي في القِدر؟».

- «قضيبك وخصيتاك. أتُريد أن تأكل أم لا؟».

كان أحد الحُرَّاس يتحرَّك جيئةً وذهابًا، وثانٍ يقف بالقُرب من القضبان، وثالث يجلس على الأرض مسندًا ظَهره إلى الحائط، لكن الطَّعام حثَّهم جميعًا على الالتفاف حول الطَّاولة.

- «أخيرًا تذكَّروا أن يُطعِمونا».

- «أهذه رائحة بصل؟».

- «وأين الخُبز؟».

- «تبًّا! نحتاج أطباقًا وأكوابًا وملاعق...».

قال رورچ: «لا، لا تحتاجونها»، وقذفَ الحَساء المغلي عبر الطَّاولة في



وجوههم مباشرةً، وأسرعَ چاكن هاجار يحذو حذوه، بينما ألقى العضَّاض قِدريه ملوِّحًا بهما لتدورا في هواء الزِّنزانة وتُمطِرا الحُرَّاس بالحَساء، وأصابَت إحداهما قائد الحَرس في صُدغه وهو يُحاوِل النُّهوض، فسقطَ كجوالٍ من الرَّمل وهمدَت حركته، أمَّا الآخَرون فكانوا يَصرُخون ألمًا، يتوسَّلون الرَّحمة من الآلهة ويُحاولون الزَّحف بعيدًا.

ضغطَت آريا نفسها على الحائط حين بدأ رورج يشقُّ الحلوق، بينما فضَّل العضَّاض أن يُمسِك الرِّجال من وراء الرَّأس وتحت الذَّقن، فيكسر أعناقهم بحركةٍ واحدةٍ من يديه الضَّخمتين الشَّاحبتين. واحد فقط منهم استطاعَ أن يستلَّ سيفه، ووثبَ چاكن متفاديًا ضربته وسحبَ سيفه وأجبرَ الرَّجل على التَّراجُع إلى زاويةٍ بسيلٍ من الضَّربات، قبل أن يُسَدِّد سيفه إلى قلبه ويَقتُله، ثم ذهبَ اللوراثي بالسَّيف الملطَّخ بدماء القلب إلى آريا، ومسحَه على ثوبها قائلًا: «يَجدُر بالفتاة أن تكون داميةً أيضًا، فهذا من صُنعها».

كان مفتاح الزِّنزانة معلَّقًا في خُطَّافٍ على الحائط فوق الطَّاولة، فالتقطَه رورج وفتحَ الباب، وكان أول مَن خرجَ هو اللورد ذو رمز القبضة المكسوَّة بحلقات الفضَّة على سُترته، وقال: «أنا روبت جلوڤر».

انحنى چاكن قائلًا: «سيِّدي».

بمجرَّد أن خرجَ الأسرى من الزِّنزانة، بدأوا يُجَرِّدون الحُرَّاس من أسلحتهم، واندفعوا صاعدين السَّلالم بالفولاذ في أيديهم، فيما تحلَّق رفاقهم وراءهم عُزلًا، لكنهم تحرَّكوا بسرعةٍ وبلا كلام، دون أن يلوح على أيِّهم أنه يُعاني جرحًا بالغًا كما بدوا عندما ساقَهم ڤارجو هوت إلى داخل هارنهال. كان الرَّجل جلوڤر يقول: «حيلة الحَساء هذه كانت بارعةً حقًّا ولم أتوقَّعها. أهي فكرة اللورد هوت؟».

وانفجرَ رورج ضاحكًا، وراحَ يضحك ويضحك بقوَّةٍ حتى طارَ المخاط من الفتحة التي كان أنفه يحتلُّها، وجلسَ العضَّاض فوق واحدٍ من الموتى وأمسكَ يده المرتخية وبدأ يقضم الأصابع لتتهشَّم العظام بين أسنانه.

عقدَ روبت جلوڤر حاجبيه متسائلًا: «من أنتم يا رجال؟ لم تكونوا مع هوت حين أتى إلى معسكر اللورد بولتون. أأنتم من رِفقة الشُّجعان؟».



مسحَ رورج المخاط عن ذقنه بظَهر يده قائلًا: «إننا كذلك الآن».

- «هذا الرَّجل له شَرف أن يكون چاكن هاجار، من مدينة لوراث الحُرَّة في الماضي، ورفيقا هذا الرَّجل الذَّميمان اسمهما رورج والعضَّاض. لا بُدَّ أن سيِّدي يعرف مَن منهما العضَّاض»، ثم أشارَ إلى آريا قائلًا: «وهذه...».

أسرعَت تقول قبل أن يُفشي هويَّتها الحقيقيَّة: «بنت عرس». إنها لا تُريد أن يُنطَق اسمها هنا حيث يسمعه رورج والعضَّاض وكلُّ الآخَرين الذين لا تعرفهم.

رأت جلوڤر يصرف نظره عنها قائلًا: «ليكن إذن. دعونا ننتهي من هذا العمل الدَّامي».

عندما صعَدوا السَّلالم الملتفَّة، وجدوا حارسيَّ الباب غارقيْن في بِركتين من دمائهما، بينما اندفعَ الشَّماليُّون هنا وهناك عبر السَّاحة، وسمعَت آريا صياحًا، وانفتحَ باب قاعة الثُّكنات بعُنفٍ وخرجَ منه رجل يترنَّح ويَصرُخ، قبل أن يلحق به ثلاثة آخَرون ويُخرِسوه بالحربة والسَّيف، كما تناهى إلى مسامعها قتال من عند مبنى البوَّابة أيضًا. انطلقَ العضَّاض ورورج مع جلوڤر، أمَّا چاكن هاجار فركعَ إلى جوار آريا، وقال: «ألا تفهم الفتاة؟».

أجابَت بلا فهم حقيقي: «بل أفهم».

لكن لا بُدَّ أنَّ اللوراثي رأى الحيرة على ملامحها، فقال: «الكبش لا إخلاص له. قريبًا سترتفع راية الذِّئب هنا على ما أظنُّ، لكن قبل هذا يُريد الرَّجل أن يسمع اسمًا معيَّنًا يُسحَب».

قالت آريا: «أسحبُ اسمك»، ومضغَت شفتها متسائلةً: «ألا تزال لي ميتة ثالثة؟».

- «الفتاة طمَّاعة»، ومَسَّ چاكن جثَّة أحد حارسيِّ الباب وأراها أصابعه الملطَّخة بالدِّماء متابعًا: «ها هو الثَّالث وها هو الرَّابع، وفي الأسفل ثمانية آخَرون. قد سُدِّدَ الدَّين».

ردَّدت آريا على مضض: «قد سُدِّدَ الدَّين»، وخامرَها الحُزن لأنها عادَت مجرَّد فأرٍ صغير.



- «قد أوتيَ الإله حَقَّه، والآن يجب أن يموت الرَّجل»، وارتسمَت ابتسامة غريبة على شفتي چاكن هاجار.

ما معنى هذا؟ قالت حائرةً: «يموت؟ لكنني سحبتُ اسمك، ولا داعي الآن لأن تموت».

- «بل هناك داعٍ، لأن وقتي انتهى»، ومرَّر چاكن يده على وجهه من جبهته إلى ذقنه، وأينما مسَّت يده ملامحه تبدَّلت الملامح، فامتلأَت وجنتاه أكثر، ودنَت عيناه من بعضهما بعضًا أكثر، وصارَ أنفه معقوفًا، وظهرَت نُدبة على وجنته اليُسرى التي كانت نظيفةً تمامًا من قبل، وحين هَزَّ رأسه اختفى شَعره الطَّويل المنسدل، الأحمر على جانب وأبيض على الثَّاني، ليحلَّ محلَّه شَعر أسود مجعَّد قصير.

فغرَت آريا فاها وهمسَت بذهولٍ يفوق خوفها: «من أنت؟ كيف فعلت هذا؟ أهو صعب؟».

ابتسمَ كاشفًا سِنًّا ذهبيَّةً لامعةً، وقال: «ليس أصعب من انتحال اسمٍ جديد لو أنك تعرفين الطَّريقة».

قالت من فورها: «أرني، أريدُ أن أفعل هذا أيضًا».

- «إذا أردتِ أن تتعلَّمي، فيجب أن تأتي معي».

بتردُّدٍ سألَته: «أين؟».

- «بعيدًا عبر البحر الضيِّق».

- «لا أستطيعُ. يجب أن أعودَ إلى دياري في وينترفل».

قال: «لا مناص من أن نفترق إذن، فلديَّ واجبات بدوري»، ورفعَ يدها ودَسَّ عُملةً صغيرة الحجم في راحتها قائلًا: «هاكِ».

- «ما هذا؟».

- «عُملة عظيمة القيمة».

عضَّتها آريا فوجدَتها شديدة الصَّلابة بحيث لا يُمكن أن تكون من غير الحديد، وسألَته: «أتكفي لشراء حصان؟».

- «إنها ليست لشراء الأحصنة».

- «ما جدواها إذن؟».



- «كأني بكِ تسألين عن جدوى الحياة أو الموت. إذا جاءَ يوم وأردتِ العثور عليَّ ثانيةً، فأعطي هذه العُملة لأيِّ رجلٍ من براڤوس وقولي له هذه العبارة: ڤالار مورجولِس».

ردَّدت آريا: «ڤالار مورجولِس». لم تجد العبارة صعبةً، وأغلقَت أصابعها بإحكام حول العُملة بينما سمعَت أصوات القتل قادمةً عبر السَّاحة، وقالت له: «أرجوك لا ترحل يا چاكن».

قال بحُزن: «چاكن ماتَ كما ماتَ آري، ولديَّ وعود عليَّ أن أحفظها. ڤالار مورجولِس يا آريا ستارك، قوليها ثانيةً».

- «ڤالار مورجولِس»، ردَّدت، فانحنى الغريب الذي يرتدي ثياب چاكن، ثم ابتعدَ بمعطفٍ يُرَفرف حتى اكتنفَه الظَّلام، وأصبحَت بمفردها مع الموتى، فقالت لنفسها متذكِّرةً كلَّ من قتلَهم السير آموري في المعقل عند البحيرة: كانوا يستحقُّون الموت.

كانت الأقبية أسفل بُرج محرقة الملك خاليةً عندما عادَت إلى فِراشها القَش، حيث همسَت بأسمائها لوسادتها، وفي النِّهاية أضافَت: «ڤالار مورجولِس» بصوتٍ خافتٍ ناعم وهي تتساءَل عن معنى العبارة.

عادَ ذو العين الورديَّة والآخَرون فَجرًا، كلهم باستثناء صبيٍّ واحدٍ لقيَ مصرعه أثناء القتال لسببٍ لا يدريه أحد، ثم صعدَ ذو العين الورديَّة إلى السَّاحة وحده ليرى الأوضاع في نور النَّهار، واشتكى طول الطَّريق إلى أعلى من أن عظامه العجوز لا تتحمَّل السَّلالم، قبل أن يعود ويُخبرهم بأن هارنهال سقطَت، ويقول: «الممثِّلون السفَّاحون قتَلوا بعض رجال السير آموري وهُم نيام، والآخَرون أجهَزوا عليهم بَعدما جلسوا سكرانين حول الموائد. سيصل اللورد الجديد قبل ختام اليوم مع جيشه كله. إنه من براري الشَّمال حيث يقف «الجِدار» إياه، ويقولون إنه قاسٍ. على كلِّ حال، هذا اللورد أو ذاك، ما زال لدينا عمل نقوم به. ارتكِبوا أيَّ أفعالٍ حمقاء وسأجلدكم حتى يتمزَّق جِلدكم». رمقَ آريا وهو ينطق الجزء الأخير، لكنه لم يُوَجِّه لها كلمة واحدة عن غيابها اللَّيلة السَّابقة.

راقبَت الممثِّلين السفَّاحين يُجَرِّدون الأموات من ممتلكاتهم طول



الصَّباح، ويسحبون الجُثث إلى ساحة الحجر المصهور، حيثُ أُشعِلَت محرقة للتخلُّص منها. قطعَ شاجويل المهرِّج رأسيَّ فارسين وتبخترَ حول القلعة وهو يُلَوِّح بهما ويجعلهما يتكلَّمان، فيقول رأس: «ماذا قتلكَ؟»، ويُجيب الثَّاني: «حَساء بنت عرس السَّاخن».

كُلِّفَت آريا بمسح الدِّماء الجافَّة، ولم يُوَجِّه لها أحد كلامًا غير المعتاد، وإن لاحظَت بين الحين والآخَر النَّاس يحدجونها بنظراتٍ غريبة. لا بُدَّ أن روبت جلوڤر والآخَرين الذين حرَّروهم تكلَّموا عمَّا حدثَ في الزِّنزانة، ثم أخذَ شاجويل ورأساه السَّخيفان يُثَرثِرون عن حَساء بنت عرس. كانت لتقول له أن يخرس، لكنها تخشى المهرِّج نِصف المجنون، الذي سمعَت في مرَّةٍ أنه قتلَ رجلًا لم يضحك على واحدةٍ من نكاته. فكَّرت وهي تحكُّ البُقعة البنِّيَّة المحمرَّة: خيرٌ له أن يَصمُت وإلَّا وضعتُ اسمه على قائمتي.

كانت المساء يدنو عندما وصلَ سيِّد هارنهال الجديد أخيرًا، ورأت أن له وجهًا حليقًا تقليديَّ الملامح، لا شيء مميَّزًا فيه غير العينين الشَّاحبتين العجيبتين، ليس ممتلئًا أو نحيلًا أو مفتول العضلات، ويرتدي الحلقات المعدنيَّة السَّوداء ومعطفًا ورديًّا مرقَّطًا، وبدا الرَّمز على رايته كرجلٍ مغموس في الدَّم. هتفَ مُرافِقه، الصَّبي الذي لا يفوق آريا سِنًّا: «اركعوا لسيِّد «معقل الخوف»!»، وركعَت هارنهال.

تقدَّم ڤارجو هوت قائلًا: «ثيِّدي، هارنهال لك».

أجابَ اللورد بشيءٍ ما، لكن بصوتٍ أنعم وأخفت من أن تسمعه آريا، وانضمَّ إليهما روبت جلوڤر والسير إينس فراي، اللذان تحمَّما وارتديا ثيابًا نظيفةً، وبَعد كلام وجيز قادَهم السير إينس إلى رورج والعضَّاض. اندهشَت آريا لأنهما لا يزالان هنا، فقد توقَّعت أن يختفيا بشكلٍ ما مع غياب چاكن. سمعَت صوت رورج الأجشَّ لكن ليس ما قاله، قبلَ أن ينقضَّ شاجويل عليها فجأةً ويسحبها من معصمها عبر السَّاحة معلنًا بصوتٍ مترنِّم: «سيِّدي، سيِّدي، ها هي بنت عرس التي صنعَت الحَساء!».

قالت آريا متملِّصةً من قبضته: «دَعني!».



رمقَها اللورد دون أن يتحرَّك في وجهه غير عينيه الشَّاحبتين كالجليد، وقال لها: «كم عُمرك أيتها الصَّغيرة؟».

فكَّرت لحظةً قبل أن تتذكَّر وتُجيب: «عشرة أعوام».

قال بصرامة: «عشرة أعوام يا سيِّدي. أتُحِبِّين الحيوانات؟».

- «أحبُّ بعضها يا سيِّدي».

ارتسمَت ابتسامة رفيعة ملتوية على شفتيه، وقال: «لكن ليس الأسد على ما يبدو، أو المانتيكور»، ولمَّا لم تعرف بِمَ تُجيب، لاذَت بالصَّمت وتابعَ هو: «يقولون لي إن اسمكِ بنت عرس. لن يَصلُح هذا. ماذا سمَّتكِ أمُّكِ؟».

عضَّت شفتها باحثةً عن اسم آخَر. لومي سمَّاها رأس الجِزَل، وسانزا سمَّتها وجه الحصان، ورجال أبيها لقَّبوها بآريا المُداسة، لكنها لا تحسب أن أيًّا من هذه الأسماء سيُرضيه. هكذا قالت: «نايميريا، لكنها كانت تدعوني نان اختصارًا».

قال اللورد برفق: «ستُخاطِبينني بـ«يا سيِّدي» حين تُكَلِّمينني يا نان. إنكِ أصغر من أن تَصلُحي لرفقة الشُّجعان في رأيي، ومن الجنس الخطأ كذلك. هل تخافين العَلَقات[1] أيتها الصَّغيرة؟».

- «إنها مجرَّد عَلَقات يا سيِّدي».

- «يبدو أن على مُرافِقي أن يتعلَّم منكِ درسًا. تعليق العَلق المستمر هو سِرُّ الحياة الطَّويلة، فيجب أن يُطَهِّر الرَّجل جسده من الدَّم الفاسد. أعتقدُ أنكِ ستَصلُحين. ستكونين ساقيتي ما دمتُ مقيمًا في هارنهال يا نان، وتخدمينني على المائدة وفي مسكني».

هذه المرَّة كانت أعقل من أن تقول إنها تُفَضِّل العمل في الاسطبلات، وردَّت: «نعم يا سيِّدك... أقصدُ يا سيِّدي».

لوَّح اللورد بيده قائلًا للا أحد بعينه: «اجعلوا مظهرها لائقًا، واحرِصوا

(1) العَلَقات كائنات طفيليَّة تُشبِه الدِّيدان وتمتصُّ الدِّماء، وبدأ استخدامها قبل ألفيِّ عام بغرض تطهير الجسد من الدَّم الفاسد بعمليَّة كانت تُعرَف بتعليق العَلق، بالإضافة إلى الحفاظ على الدَّم من التجلُّط أثناء الجراحة.

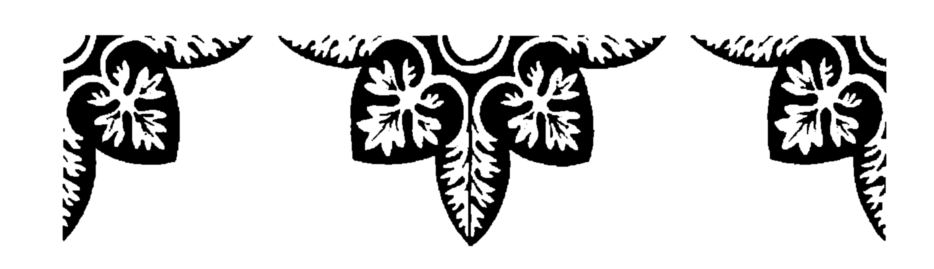


على أن تتعلَّم كيف تصبُّ النَّبيذ دون أن تَسكُبه»، ثم التفتَ وقال مشيرًا: «لورد هوت، تولَّ أمر تلك الرَّايات المرفوعة على مبنى البوَّابة».

صعدَ أربعة من رِفقة الشُّجعان إلى شُرفة المبنى وألقوا أسد لانستر ومانتيكور السير آموري الأسود أرضًا، ثم رفعوا مكانهما رجل «معقل الخوف» المسلوخ وذئب ستارك الرَّهيب.

هذا المساء صبَّت خادمة اسمها نان النَّبيذ لرووس بولتون وڤارجو هوت إذ وقفا في الشُّرفة المغطَّاة يُشاهِدان رجال رِفقة الشُّجعان يسوقون السير آموري لورك عاريًا عبر السَّاحة الوُسطى، وتوسَّل السير آموري وانتحبَ وتمسَّك بأقدام آسِريه، إلى أن جَرَّه رورج وركلَه شاجويل ليَسقُط في حُفرة الدُّب، فقالت آريا لنفسها: الدُّب أسود تمامًا، مِثلما كان يورن، وملأَت كأس رووس بولتون بالنَّبيذ دون أن تَسكُب قطرةً.





دنيرس

في مدينة العجب العُجاب هذه، توقَّعت داني أن يكون بيت الخالدين أبهى البيوت جميعًا، لكنها خرجَت من هودجها لتجده أطلالًا رماديَّةً عتيقةً.

مبنى طويل واطئ هو، بلا أبراجٍ أو نوافذ، ويلتفُّ كأفعى حجريَّة عبر أيكةٍ من الأشجار سوداء اللِّحاء، التي يُصنَع من ورقها الأزرق كالحبر شراب المشعوذين المسمَّى لدى الكارثين صبغة المساء. ليست هناك أبنية أخرى قريبة، ويكتسي سطح القصر بالقرميد الأسود الذي سقطَ منه الكثير أو تحطَّم، بينما جَفَّ الملاط بين الأحجار وتفتَّت. الآن تفهم لماذا سمَّاه زارو زون داكسوس قصر الغُبار، وحتى دروجون بدا متوتِّرًا من منظره، وفَحَّ التنِّين الأسود وخرجَ الدُّخان من بين أسنانه السَّوداء.

قال چوجو بالدوثراكي: «يا دم دمي، هذا مكان شرِّير تَسكُنه الأشباح والمايجي. أترين كيف يتشرَّب نور الشَّمس؟ لنرحل قبل أن يتشرَّبنا بدورنا».

تقدَّم السير چورا مورمونت يقف إلى جوارهما، وقال: «أيُّ قوَّةٍ لديهم وهُم يعيشون في هذا؟».

قال زارو زون داكسوس المسترخي داخل الهودج: «أصغي إلى كلام من يُحِبُّونكِ. الدجَّالون كائنات لدود تأكل التُّراب وتشرب من الظِّلال، ولن يُعطوكِ شيئًا لأنهم لا يملكون ما يُعطونه».

وضعَ آجو يده على أراخه قائلًا: «گاليسي، يُقال إن كثيرين يَدخُلون قصر الغُبار، لكن قلائل يَخرُجون».

أيَّده چوجو: «هذا معلوم».



قال آجو: «نحن دم دمكِ، أقسمنا على العيش والموت معكِ. دعينا نمشي معكِ في هذا المكان المظلم، لنحميكِ من الأذى».

قالت داني: «بعض الأماكن على الكَال نفسه أن يَدخُلها وحده».

بإلحاحٍ قال السير چورا: «خُذيني إذن، فالمخاطَرة...».

- «يجِب أن تَدخُل الملكة دنيرس وحدها أو لا تَدخُل على الإطلاق».

خرجَ الدجَّال پيات پري من بين الأشجار، فتساءلَت داني: أكان هنا من البداية؟ بينما واصلَ هو: «إذا عادَت أدراجها الآن، ستنغلق أبواب الحكمة في وجهها إلى أبد الآبدين».

ناداها زارو زون داكسوس: «ما زال مركب النُّزهات ينتظر. تراجعي عن هذه الحماقة يا أكثر الملكات عنادًا. لديَّ عازفو ناي سيُنعِشون روحكِ القلقة بموسيقى عذبة، وفتاة صغيرة سيجعلك صوتها تتنهَّدين وتذوبين طربًا».

رمقَ السير چورا مورمونت الأمير التَّاجر بنظرةٍ عابسة، وقال: «تذكَّري ميري ماز دور يا جلالة الملكة».

قالت داني وقد حزمَت أمرها فجأةً: «أتذكَّرها، وأتذكَّرُ أنها امتلكَت معرفةً مع أنها كانت مجرَّد مايجي».

رسمَ پيات پري بسمةً رفيعةً على شفتيه قائلًا: «الطِّفلة تتكلَّم بحكمة العجائز. خُذي ذراعي ودعيني أقودكِ».

ردَّت داني: «لستُ طفلةً»، لكنها تأبَّطت ذراعه رغم ذلك.

سادَ الظَّلام تحت الأشجار السَّوداء أكثر مما كانت تحسب، ووجدَت الطَّريق أطول كذلك، ومع أن الممرَّ بدا كأنه يمتدُّ من الشَّارع إلى باب القصر مباشرةً، فقد انعطفَ پيات پري بَعد قليل، ولمَّا سألَته عن السَّبب اكتفى الدجَّال بأن قال: «الطَّريق الأمامي يقود إلى الدَّاخل، لكن ليس إلى الخارج ثانيةً أبدًا. أصغي إلى كلامي يا مولاتي الملكة، بيت الخالدين لم يُبنَ للفانين، وإذا كنتِ تُقَدِّرين روحكِ، فعليكِ أن تحترسي وتفعلي كما أقولُ لكِ بالضَّبط».

- «سأفعلُ كما تقول».

- «عندما تَدخُلين، ستجدين نفسكِ في غُرفةٍ ذات أربعة أبواب، الباب الذي دخلتِ منه وثلاثة غيره. ادخُلي من أول بابٍ إلى يمينكِ، الباب الأول



إلى يمينكِ كلَّ مرَّة، وإذا صادفتِ سُلَّمًا فاصعدي لكن لا تهبطي أبدًا، ولا تَدخُلي من أيِّ بابٍ غير الأول إلى يمينكِ».

– «الباب الأول إلى يميني، مفهوم. وعندما أخرجُ، هل أختارُ العكس؟».

قال پيات پري: «إياكِ. لا فارق بين الدُّخول والخروج، إلى أعلى دائمًا، ومن الباب الأول إلى يمينكِ دائمًا. قد تنفتح أبواب أخرى لكِ، وفي الدَّاخل سترين أشياء كثيرة تُزعِجكِ، رؤى من الجَمال ورؤى من الرُّعب، عجائب ومهالك، مناظر وأصوات من عصورٍ دالَت وعصورٍ ستحلُّ وعصورٍ لم تكن قَطُّ. قد يُكَلِّمكِ السَّاكنون والخدم بينما تتحرَّكين، فأَجيبيهم أو تجاهَليهم كما تختارين، لكن لا تَدخُلي أيَّ غُرفةٍ إلى أن تصلي إلى قاعة المثول».

– «مفهوم».

– «عندما تَبلُغين قاعة الخالدين، تحلَّي بالصَّبر، فحيواتنا القصيرة ليست أكثر من حركة جناح عُثَّةٍ عندهم. أصغي إليهم ودوِّني كلَّ كلمةٍ على فؤادكِ».

حين وصلا إلى الباب -الفم البيضاوي الطَّويل المحفور في جدارٍ منحوت على شكل وجهٍ بَشري- كان أصغر قزم رأته داني في حياتها كلها يقف عند العتبة. لا يَبلُغ طوله أكثر من ارتفاع رُكبتَها، وله وجه ممصوص مدبَّب وأنف أشبه بالخَطم، وإن ارتدى ثيابًا ثمينةً من الأرجواني والأزرق، وحملَ صحفةً فضِّيَّة بيديه الورديَّتين الدَّقيقتين، استقرَّت عليها كأس من البلَّور ملأَها سائل أزرق ثخين، نبيذ الدجَّالين المسمَّى صبغة المساء. حثَّها پيات پري قائلًا: «خُذيه واشربيه».

– «هل سيَصبُغ شفتيَّ بالزُّرقة؟».

– «لن يفعل الإكسير شيئًا غير تذويب الشَّمع من أُذنيكِ والغَمص من عينيكِ، كي تسمعي وتري الحقائق التي ستُطرَح أمامكِ».

رفعَت داني الكأس إلى شفتيها. كان مذاق الرَّشفة الأولى كالحبر واللَّحم التَّالف، كريهًا، لكن حين ابتلعَت الشَّراب أحسَّت بالحياة تدبُّ فيه في أعماقها، وشعرَت كأن نبتةً متسلِّقةً تتفرَّع داخل صدرها كأصابع من نارٍ تلتفُّ حول قلبها، وعلى لسانها كان مذاق كالعسل والينسون والقشدة، كلبن أمِّها



ونُطفة دروجو، كاللَّحم الأحمر والدَّم السَّاخن والذَّهب المصهور. كانت كلّ المذاقات التي عرفَتها ولا واحد منها... ثم فرغَت الكأس.

قال الدجَّال: «يُمكنكِ الدُّخول الآن»، فوضعَت داني الكأس على صحفة الخادم القزم، ودخلَت.

وجدَت نفسها في بهو حجري فيه أربعة أبواب تحتلُّ الجُدران الأربعة، وبلا تردُّدٍ اتَّجهت إلى البَّاب الأول إلى يمينها ودخلَت، لتجد بهوًا توأمًا للأول، ومرَّةً أخرى دخلَت من الباب إلى اليمين، وحين فتحَته وجدَت نفسها في بهو آخَر صغير فيه أربعة أبواب. إنني في حضرة الشَّعوذة.

الغُرفة الرَّابعة كانت بيضاويَّةً لا مربَّعةً، وجُدرانها من الخشب الذي أكلَه الدُّود وليست من الحجر، وتتفرَّع منها ستَّة أروقة لا أربعة، فاختارَت داني الأدنى إلى يمينها ودخلَت دهليزًا طويلًا معتمًا عالي السَّقف، وإلى يمينها كان صَفٌّ من المشاعل المتَّقدة بضوءٍ برتقالي دُخاني، لكن الأبواب الوحيدة الموجودة تقع إلى اليسار. بسطَ دروجون جناحيه الأسودين الواسعين وضربَ الهواء الرَّاكد، وحلَّق عشرين قدمًا قبل أن يَسقُط على نحوٍ مخجل، فأسرعَت داني إليه بخطواتٍ واسعة.

كان البساط الذي أكلَه العفن تحت قدميها ملوَّنًا بألوانٍ بهيَّة في الماضي، وما زال ممكنًا أن ترى الزَّخارف الذَّهبيَّة في النَّسيج، التي تلمع على استحياءٍ وسط الرَّمادي الباهت والأخضر المبقَّع. ما تبقَّى من البساط كان كافيًا لأن يكتم وقع قدميها، غير أن هذا ليس بالشَّيء المرغوب تمامًا، إذ سمعَت داني أصواتًا آتيةً من داخل الجُدران، أصوات حَكٍّ وخمشٍ جعلَتها تُفَكِّر في الجرذان. دروجون أيضًا سمعَها، وتحرَّك رأسه وهو يتبعها بأُذنيه، وحين توقَّفت أطلقَ صرخةً غاضبةً. أصوات أخرى أكثر إثارةً للتوجُّس تسرَّبت من وراء الأبواب المغلقة، واهتزَّ أحدها وتعالَت منه دقَّات، كأن أحدهم يُحاول اقتحامه من الدَّاخل، ومن وراء باب آخَر أتَت أصوات مزامير نشاز جعلَت التنِّين يجلد الهواء بذيله بعُنف، وهرعَت داني تتجاوَز الباب.

لم يكن كلُّ الأبواب مغلقًا، فقالت داني لنفسها: لن أنظر، لكن الإغراء كان أقوى منها كثيرًا.



في غُرفةٍ انطرحَت امرأة جميلة عاريةً على الأرض، بينما أخذَ أربعة رجالٍ صغار الحجم يزحفون فوقها، وجوههم مدبَّبة وملامحهم كالجرذان، وأيديهم ورديَّة ضئيلة كيدي الخادم الذي قدَّم لها كأس الصَّبغة. كان أحدهم يدفع نفسه بين فخذيها، وآخَر يفترس ثدييها وينهش الحلمتين بفمه الأحمر المبتل، يُمَزِّق ويَمضُغ.

بَعد مسافةٍ صادفَت وليمةً للجُثث، حيث تبعثرَ المولِمون المذبوحون بوحشيَّةٍ بين الكراسي المقلوبة والموائد المحطَّمة، غرقى في بِركٍ من الدِّماء المتخثِّرة، بعضهم مبتور الأطراف بل والرُّؤوس، وقد قبضَت الأيدي المقطوعة على الكؤوس الدَّامية والملاعق الخشبيَّة والطُّيور المشويَّة وأرغفة الخُبز، وعلى عرشٍ يعلوهم جلسَ رجل ميت ذو رأس ذئب، يرتدي تاجًا من الحديد ويُمسِك ساق حَملٍ بيده كما يُمسِك الملك صولجانًا، وتبعَت عيناه داني بضراعةٍ خرساء.

فرَّت منه، لكن حتى الباب المفتوح التَّالي فقط، حيث قالت لنفسها: أعرفُ هذه الغُرفة. تذكَّرت عوارض السَّقف الخشبيَّة الضَّخمة ووجوه الحيوانات المنقوشة التي تُزَيِّنها، وهناك خارج النَّافذة كانت شجرة اللَّيمون! مجرَّد مرآها جعلَ قلبها يُوجِعها من فرط الحنينِ. إنه المنزل ذو الباب الأحمر، المنزل الذي كان في براڤوس. لم تكد تُفكِّر في هذا حتى دخلَ السير ويلم داري الغُرفة متَّكئًا بشدَّةٍ على عُكَّازه، وقال بصوتٍ مبحوحٍ رفيق: «ها أنتِ ذي يا أميرتي الصَّغيرة، تعالي، تعالي إليَّ يا سيِّدتي، إنكِ في بيتكِ الآن، أنتِ آمنة الآن»، ومَدَّ إليها يده الكبيرة المتغضِّنة الرَّخوة كالجِلد القديم، وأرادَت داني أن تُمسِكها وتقبض عليها وتلثمها، أرادَت هذا أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر أرادَته قبلًا، وتقدَّمت قدمها خطوةً، قبل أن تُفكِّر: إنه ميت، إنه ميت، الدُّب العجوز الجميل ماتَ منذ سنين طويلة، وتراجعَت وجرَت.

امتدَّ الدِّهليز الطَّويل وامتدَّ وامتدَّ، أبوابه بلا نهايةٍ إلى يسارها ولا شيء غير المشاعل إلى يمينها، ومرَّت بأبواب أكثر من أن تحصيها، أبواب مغلقة وأخرى مفتوحة، أبواب حديد وأخرى خشب، أبواب مزخرفة وأخرى تقليديَّة، أبواب بمقابض وأبواب بأقفال وأبواب بمقارع. ضربَها دروجون



على ظَهرها بذيله مستحثًّا إياها على التقدُّم، وعدَت داني حتى لم تَعُد تقوى على العدو.

فجأةً ظهرَ مصراعا باب برونزيَّان عملاقان إلى يسارها، تبدو عليهما الفخامة أكثر من غيرهما، وانفتَحا من تلقاء نفسهما حين اقتربَت، ومن ورائهما لاحَت قاعة حجريَّة هائلة الحجم، أكبر قاعةٍ رأتها على الإطلاق، تستقرُّ جماجم تنانين على جُدرانها، وفوق عرشٍ شائكٍ ضخم جلسَ رجل عجوز يرتدي ثيابًا فاخرةً، رجل عجوز داكن العينَين ذو شَعرٍ أشيب يميل إلى الفضِّي، وكان يقول للرَّجل الواقف عند قاعدة العرش: «فليكن ملكًا على العظام المتفحِّمة واللَّحم المطبوخ، فليكن ملكًا على الرَّماد». صرخَ دروجون وغرسَ مخالبه في حرير ثوبها وجِلدها، لكن الملك الجالس على العرش لم يسمع شيئًا، وواصلَت داني طريقها.

ڤسيرس كان أول ما خطرَ لها حين توقَّفت ثانيةً، لكن التَّدقيق بناظريها أخبرَها بشيءٍ آخَر. للرَّجل شَعر أخيها، لكنه أطول قامةً، وعيناه بلون النِّيلج الدَّاكن بدلًا من البنفسجي الفاتح، وقد قال لامرأةٍ تُرضِع طفلًا حديث الولادة في سريرٍ خشبيٍّ ضخم: «إجون. هل من اسمٍ أفضل لملك؟».

سألَته المرأة: «هل ستُؤَلِّف له أغنيَّةً؟».

أجابَ الرَّجل: «لديه أغنيَّة بالفعل. إنه الأمير الموعود، وأغنيَّته أغنيَّة الجليد والنَّار». رفعَ عينيه وهو يقولها لتلتقيا بعينَي داني، حتى بدا كأنه يراها واقفةً هناك خارج الباب، وقال دون أن تدري داني إن كان يُخاطِبها أم يُخاطِب المرأة الجالسة في الفِراش: «لا بُدَّ أن يكون هناك واحد آخَر. التنِّين له ثلاثة رؤوس»، واتَّجه إلى المقعد المجاور للنَّافذة، والتقطَ قيثارةً داعبَت أصابعه أوتارها الفضِّيَّة بخفَّة، وأفعمَ الغُرفة شجن عذب بينما ذابَ الرَّجل وزوجته وطفلهما كضباب الصُّبح، لا يبقى من أثرهم غير الموسيقى تحثُّ داني على التقدُّم.

كأن ساعةً أخرى مرَّت قبل أن ينتهي الدِّهليز الطَّويل بغتةً عند سلالم حجريَّة منحدرة تهبط لتغيب في الظُّلمة. كلُّ بابٍ مفتوح أو مغلَق كان إلى يسارها، وتطلَّعت داني وراءها لتُدرِك والخوف يتملَّكها أن المشاعل بدأت



تنطفئ. ربما لم يتبقَّ منها غير عشرين مشعل موقَد، ثلاثين على الأكثر، وتذبذبَ لهب واحدٍ آخَر وانطفأَ بالفعل وهي تَنظُر، فدنا الظَّلام أكثر قليلًا عبر الدِّهليز إذ زحفَ نحوها، وبينما أصغَت بدا أنها تسمع شيئًا آخَر يقترب، يزحف ويجرُّ نفسه بتؤدةٍ على البساط العتيق. ملأَها الرُّعب. إنها لا تستطيع العودة وتخشى البقاء هنا، لكن كيف يُمكنها الاستمرار؟ ليس هناك باب إلى يمينها، والسَّلالم تتَّجه إلى أسفل لا أعلى.

مشعل آخَر انطفأَ ريثما وقفَت تُفكِّر، وارتفعَت الأصوات درجةً. مَدَّ دروجون عُنقه الطَّويل وفغرَ فاه صارخًا والبُخار يتصاعَد من بين أسنانه. هو أيضًا يسمع الأصوات. التفتَت إلى الحائط المصمت مرَّةً أخرى، لكن لا شيء اختلفَ. أمن الممكن أن هناك بابًا سِريًّا لا أراه؟ وانطفأَ مشعل آخَر، وآخَر. قال الباب الأول إلى اليمين، دائمًا الباب الأول إلى اليمين. الباب الأول إلى اليمين...

وأدركَت الحَلَّ فجأةً.

... هو الباب الأخير إلى اليسار.

ودخلَت من الباب قفزًا، ووراءه كانت غُرفة صغيرة أخرى فيها أربعة أبواب، وإلى اليمين اتَّجهت، وإلى اليمين، وإلى اليمين، وإلى اليمين، وإلى اليمين، وإلى اليمين، وإلى اليمين، حتى عادَ رأسها يدور وأنفاسها تتقطَّع.

عندما توقَّفت، وجدَت نفسها في غُرفةٍ حجريَّة مظلمة أخرى... لكن هذه المرَّة كان الباب المواجه لها مستديرًا، مشكِّلًا كفم مفتوحٍ، وفي الخارج وقفَ پيات پري على العُشب تحت الأشجار، ولمَّا رآها سألَها غير مصدِّق: «أمن الممكن أن الخالدين فرغوا منكِ بهذه السُّرعة؟».

قالت بارتباك: «بهذه السُّرعة؟ لقد مشيتُ ساعات وساعات دون أن أجدهم».

قال پيات پري: «لا بُدَّ أنكِ سلكتِ منعطفًا خطأً. تعالي، سأقودكِ»، ومَدَّ يده.

تردَّدت داني. ثمَّة باب إلى يمينها لا يزال مغلقًا...

بحزم قال پيات پري وقد زَمَّ شفتيه استنكارًا: «ليس هذا الطَّريق الصَّحيح. الخالدونَ لن ينتظروا إلى الأبد».



قالت داني: «حيواتنا القصيرة ليست أكثر من حركة جناح عُثَّةٍ عندهم».
- «أيتها الطِّفلة العنيدة، ستضيعين ولن يُعثَر لكِ على أثرٍ أبدًا».
وابتعدَت عنه متَّجهةً صوب الباب إلى يمينها.
وصرخَ پيات: «لا، لا، إليَّ، تعالي إليَّ، إليييييَّ!»، وتجعَّد وجهه وتغضَّن إلى الدَّاخل مستحيلًا إلى شيءٍ شاحبٍ أشبه بالدُّودة.
تركَته داني وراءها ودخلَت بئر سُلَّم وبدأت تصعد، وسرعان ما أوجعَتها ساقاها، وتذكَّرت أن بيت الخالدين بلا أيِّ أبراج.
أخيرًا انتهَت السَّلالم، وإلى يمينها كان باب خشبي واسع موارَب، أحد مصراعيه من خشب الأبنوس والثَّاني من الويروود، تتموَّج فيهما العروق السَّوداء والبيضاء وتتلوَّى في نقوشٍ متداخلةٍ عجيبة. كان المصراعان جميليَّ المنظر للغاية، لكن مخيفين بشكلٍ ما. دم التنِّين لا يجب أن تخاف. ردَّدت صلاةً سريعةً طالبةً الشَّجاعة من «المُحارِب» والقوَّة من إله الخيول الدوثراكي، قبل أن تُجبِر نفسها على التقدُّم.
وراء الباب كانت قاعة عظيمة ورهط من السَّحرة البادين في أبهى صورة، بعضهم يرتدي ثيابًا بالغة الفخامة من فرو القاقوم والمخمل الياقوتي وقُماش الذَّهب، والبعض الآخر يُؤثِر ارتداء دروعٍ أنيقة مطعَّمة بالأحجار الكريمة، أو قُبَّعاتٍ طويلة مدبَّبة مرقَّطة بالنُّجوم، وبينهم كانت نساء ترتدي فساتين بديعةً في جمالها، بينما تسلَّلت خيوط من نور الشَّمس من النَّوافذ الملوَّنة، ودَبَّت الحياة في الهواء ذاته على أنغام أعذب موسيقى سمعَتها في حياتها.
نهضَ رجل ملوكي المنظر يرتدي ثوبًا أنيقًا حين رآها، وابتسمَ قائلًا: «دنيرس سليلة عائلة تارجاريَن، مرحبًا بكِ. تفضَّلي وشارِكينا طعام الأبديَّة. نحن خالدو كارث».
- «طويلًا انتظرناكِ»، قالت امرأة تُجاوِره ترتدي الوردي والفضِّي، وثديها الذي تركَته مكشوفًا تبعًا لتقليد الكارثين كان في أكمل شكلٍ يُمكن أن يكونه ثديٌ.
قال الملك السَّاحر: «كنا نعرف أنكِ ستأتيننا، منذ ألف عامٍ ونحن نعرف، وننتظركِ منذ ذلك الحين، وأرسلنا المذنَّب ليُريكِ الطَّريق».



وقال مُحارِب يرتدي دِرعًا برَّاقةً من الزمرُّد: «لدينا معارف نتشارَكها معكِ، وأسلحة نُزَوِّدكِ بها. لقد اجتزتِ كلَّ اختبار، فتعالي واجلسي معنا وستُجاب أسئلتكِ كلها».

تقدَّمت خطوةً، إلَّا أن دروجون وثبَ عندئذٍ من على كتفها، وحلَّق إلى أعلى الباب المصنوع من الأبنوس والويروود، وجثمَ هناك وبدأ يقضم الخشب المنقوش.

ضحكَ شابٌّ وسيم قائلًا: «حيوان عنيد. هل تَنشُدين أن نعلِّمكِ لُغة التِّنانين؟ تعالي، تعالي».

تملَّكتها الشُّكوك. كان الباب الضَّخم ثقيلًا لدرجة أنه تطلَّب قوَّة داني كلها حتى تزحزحَ، لكنه بدأ يتحرَّك أخيرًا، ومن ورائه لاحَ باب آخَر كان متواريًا، باب من الخشب الرَّمادي القديم، تقليدي ومشقَّق... لكنه إلى يمين الباب الذي دخلَت منه. كان السَّحرة يستحثُّونها على الاقتراب بأصوات أحلى من الموسيقى، لكنها فرَّت منهم وحلَّق دروجون عائدًا إليها، ومن الباب الضيِّق مرَّت لتَدخُل غُرفةً غارقةً في العتمة.

احتلَّت طاولة حجريَّة طويلة الغُرفة، وفي الهواء فوقها سبحَ قلب بَشري منتفخ مزرق من العفن، لكن لا يزال حيًّا. كان ينبض بصوتٍ ثقيلٍ عميق، ومع كلِّ نبضةٍ يتوهَّج ضوء بلون النِّيلج. لم تكن أجساد المحيطين بالطَّاولة أكثر من ظلالٍ زرقاء، ولمَّا اقتربَت داني من المقعد الشَّاغر عند قدم الطَّاولة، لم يتحرَّكوا، أو يتكلَّموا، أو يُديروا رؤوسهم إليها، وما من صوتٍ غير الخفقات البطيئة العميقة القادمة من القلب المتعفِّن.

... أمُّ التِّنانين... جاءَ صوت هو نِصف همسة ونِصف أنَّة... التِّنانين... التِّنانين... التِّنانين... وتردَّدت أصوات أخرى كالصَّدى في ظلام الغُرفة، بعضها ذَكر وبعضها أنثى، وتكلَّم أحدها كأنه طفل. نبضَ القلب السَّابح في الهواء بين عتمةٍ وظلمة، وأحسَّت داني بصعوبة استجماع إرادتها لتتكلَّم، بعُسر تذكُّر الكلمات التي تدرَّبت عليها باجتهاد، قبل أن تقول: «أنا دنيرس وليدة العاصفة، سليلة عائلة تارجاريَن، ملكة ممالك وستروس السَّبع». هل



يسمعونني؟ لماذا لا يتكلَّمون؟ جلسَت طاويةً يديها في حِجرها، وقالت: «امنحوني مشورتكم وحدِّثوني بحكمة من قهَروا الموت».

في زُرقة النِّيلج المعتمة ميَّزت الملامح الذَّابلة للخالد الجالس إلى يمينها، رجل طاعن في السِّنِّ تغضَّن وجهه وسقط شَعره، جِلده رخو وأزرق مائل إلى الأرجواني، وأظفاره وشفتاه أشدُّ زُرقةً، وحتى بياض عينيه أزرق، وقد حدَّقتا بلا رؤيةٍ في المرأة التي بلغَت من العُمر أرذله وجلسَت إلى الجانب المقابل من الطَّاولة في فُستانٍ من الحرير الباهت البالي على جسدها، بينما تُرِكَ ثدي واحد ذاوٍ مكشوفًا على طريقة الكَارثين، في نهايته حلمة زرقاء مدبَّبة وصُلبة كالجلد.

أَصغَت داني إلى الصَّمت مفكِّرةً: إنها لا تتنفَّس، لا أحد منهم يتنفَّس أو يتحرَّك، وتلك الأعيُن لا تُبصِر شيئًا. أيُمكن أن يكون الخالدون موتى؟

جاءَت إجابة المرأة همسةً رفيعةً كشارب الفأر:... نحن أحياء... أحياء... أحياء... أحياء... وردَّدت أصوات أخرى عدَّة الهمس:... ونعرف... نعرف... نعرف... نعرف...

قالت داني: «أتيتُ ساعيةً إلى هبة الحقيقة. في الدِّهليز الطَّويل... الأشياء التي رأيتها، أهي رؤى حقيقيَّة أم كاذبة؟ أشياء من الماضي أم المستقبَل؟ ماذا تعني؟».

... صورة من الظِّلال... غدايا وعشايا لم تُخلَق بعدُ... اشربي من كأس الجليد... اشربي من كأس النَّار...

... أمُّ التَّنانين... ابنة الثَّلاثة...

قالت بلا فهم: «ثلاثة؟».

... للتنِّين ثلاثة رؤوس... ثرثرَت الجوقة الشَّبحيَّة داخل جمجمتها دون أن تتحرَّك شفة واحدة، دون أن يتردَّد نفس واحد في الهواء الأزرق السَّاكن... أمُّ التَّنانين... طفلة العاصفة... استحالَت الهمسات إلى أغنيَّةٍ تدور كدوَّامة... ثلاث نيرانٍ ستُشعِلين... واحدةً للحياة وواحدةً للموت وواحدةً للحُب... كان قلبها ينبض الآن بإيقاعٍ واحدٍ مع الآخَر الطَّافي أمامها بزُرقته وعفنه... ثلاث دوابٍّ ستمتطين... واحدةً إلى الفِراش وواحدةً إلى الرُّعب وواحدةً



إلى الحُب... أدركَت أن الأصوات تعلو، وأحسَّت بخفقان قلبها يتباطأ، وأنفاسها أيضًا... ثلاث خياناتٍ ستعرفين... واحدةً من أجل الدَّم وواحدةً من أجل الذَّهب وواحدةً من أجل الحُب.

- «لستُ...». لم يعلُ صوتها على همسة، وخرجَ منها خافتًا كأصواتهم. ما الذي يَحدُث لها؟ بنبرةٍ أعلى قالت: «لستُ أفهم. ساعِدوني، أروني». لماذا يَصعُب الكلام هنا هكذا؟

بسخريةٍ قالت الهمسات:... ساعِدوها... أروها...

ارتعشَت الأشباح في الظُّلمة كصُورٍ بزُرقة النِّيلج، وصرخَ ڤسيرس إذ سالَ الذَّهب المصهور على وجنتيه وملأَ فمه، ووقفَ لورد طويل القامة ذو بشرةٍ بلون النُّحاس وشَعرٍ بلون الذَّهب الفضِّي أسفل راية جوادٍ ناري ومن تحته مدينة تحترق، وطارَت حبَّات الياقوت كقطرات الدَّم من صدر أمير محتضر، وتهاوى على رُكبتيه في الماء، وبآخِر أنفاسه تمتمَ باسم امرأة... أمُّ التَّنانين... ابنة الموت... بوهج غروب الشَّمس ارتفعَ سيف أحمر في يد ملكٍ أزرق العينين لا يُلقي ظِلًّا، وتمايلَ تنِّين من القُماش على أعمدةٍ وسط جمهور يُهَلِّل، ومن بُرجٍ داخنٍ حلَّق وحش حجري عظيم نافثًا نارًا من ظلال... أمُّ التَّنانين... قاتلَة الأكاذيب... كانت فَرسها الفضِّيَّة تعدو وسط الكلأ نحو جدول ماءٍ مظلم تحت بحرٍ من النُّجوم، ووقفَت جثَّة رجلٍ عند مقدِّمة سفينةٍ بعينين تلمعان في الوجه الميت وشفتان رماديَّتان تبتسمان بحُزن، ونمَت وردة زرقاء من شِقٍّ في جِدارٍ من الجليد وملأَت الهواء بالشَّذى... أمُّ التَّنانين... عروس النَّار...

تسارعَت الرُّؤى أكثر فأكثر وتوالَت واحدةً بَعد الأخرى حتى بدا لها كأن الهواء نفسه صارَ حيًّا. تلوَّت ظلال رهيبة بلا عظام ورقصَت داخل خيمة، وجرَت فتاة صغيرة حافية القدمين نحو منزلٍ كبير ذي بابٍ أحمر، وصرخَت ميري ماز دور واللَّهب يلتهمها، بينما انبثقَ تنِّين من جبهتها، ووراء حصانٍ فضِّي تخبَّطت جثَّة رجلٍ عارٍ مجرورةً، واندفعَ أسد أبيض وسط غابة عُشبٍ يفوق قامة الإنسان طولًا، وفي ظِلِّ الجبل الأم خرجَ صَفٌّ من الحيزبونات العاريات من بحيرةٍ عظيمة وركعن أمامها حانيات الرُّؤوس الشَّائبة، ورفعَ



عشرة آلافٍ من العبيد أياديهم الملطَّخة بالدِّماء بينما مرقَت بفَرسها الفضِّيَّة مسابقةً الرِّيح، وهتَفوا: «أمّاه! أمّاه! أمّاه». كانوا يمدُّون أيديهم إليها، يتحسَّسونها، يجذبون معطفها وحاشية تنُّورتها، وقدميها، وساقيها، ونهديها. كانوا يُريدونها، يحتاجونها، النَّار، الحياة، وشهقَت داني وفتحَت ذراعيها مسلِّمةً نفسها إليهم...

وعندئذٍ ضربَها الجناحان الأسودان على رأسها، وشَقَّت صرخة غضبٍ الهواء الأزرق، وعلى حين غرَّةٍ تلاشَت الرُّؤى، واستحالَت شهقة داني إلى رُعب. كان الخالدون يُحيطون بها بزُرقتهم وبرودتهم، يهمسون وهُم يمدُّون أيديهم نحوها، يسحبون ويتلمَّسون ويشدُّون ثيابها ويتحسَّسونها بأيديهم الجافَّة الباردة ويتخلَّلون شَعرها بأصابعهم. تخلَّت قوَّتها كلها عنها وارتخَت أطرافها ولم تقدر على الحركة، وحتى قلبها كَفَّ عن النَّبض. شعرَت بيدٍ على نهدها المكشوف تلوي حلمتها، وأحاطَت أسنان بجِلد حَلقها اللَّين، وهبطَ فم إلى عينها، يلعق، يعضُّ، يمصُّ...

ثم أصبحَت زُرقة النِّيلج برتقاليًّا، وتحوَّل الهمس إلى صراخ. كان قلبها يدقُّ بعُنفٍ وقد اختفَت الأيدي والأفواه، وغمرَت الحرارة بشرتها، وطرفَت داني بعينها مع الوهج الذي تأجَّج فجأةً. فوق رأسها فردَ التنِّين جناحيه وراحَ ينهش القلب الدَّاكن البشع، يُمَزِّق اللَّحم العفِن تمزيقًا، وحين دفعَ رأسه إلى الأمام، خرجَت النَّار ساخنةً متَّقدةً من فمه المفتوح، وسمعَت داني صرخات الخالدين وهُم يحترقون، ترتفعُ أصواتهم الرَّقيقة كالورق بلُغاتٍ ماتَت منذ دهر، وتجعَّد لحمهم كالرَّقوق واحترقَت عظامهم كالحطب الجاف المغموس في الشَّحم، فترنَّحوا وداروا وتلوُّوا ورفعوا الأيادي المضطرمة عاليًا لتضيء أصابعهم كالمشاعل.

دفعَت داني نفسها إلى النُّهوض ودفعَتهم بعيدًا عنها، فوجدَتهم خفيفي الوزن كالهواء، ليسوا أكثر من قشور، وسقَطوا بمجرَّد اللَّمس. كانت الغُرفة كلها مشتعلةً حين بلغَت الباب، ونادَت: «دروجون»، فطارَ إليها عبر ألسنة اللَّهب.

في الخارج امتدَّ ممرٌّ طويل متعرِّج مظلمًا أمامها، لا يُنيره غير الوهج

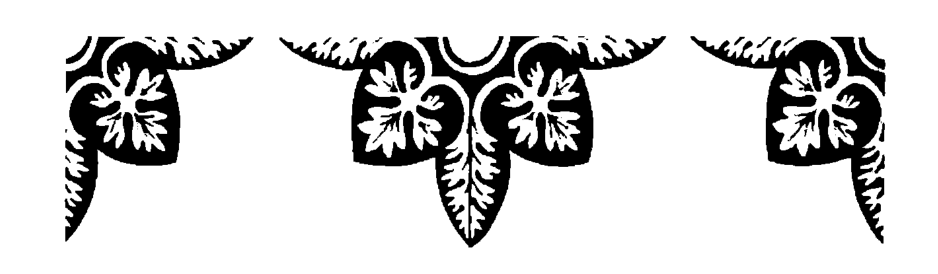


البرتقالي القادم من خلفها، وجرَت داني تبحث عن باب، بابٍ إلى يمينها، بابٍ إلى يسارها، عن أيٍّ باب، لكن لا شيء هنالك غير الجُدران الحجريَّة الملتوية، وأرضيَّة تبدو كأنها تتحرَّك على مهلٍ تحت قدميها، تتلوَّى كأنها تُريد عرقلتها، فحافظَت على ثبات خُطاها وجرَت أسرع، وفجأةً كان الباب أمامها، باب كالفم المفتوح.

جعلَها النُّور السَّاطع تتعثَّر حينما خرجَت إلى الشَّمس، وكان پيات پري يرطن بلسانٍ مجهول ويثب من قدم إلى الثَّانية، ولمَّا نظرَت داني وراءها رأت خيوطًا من الدُّخان تَخرُج من بين صُدوع جُدران قصر الغُبار الحجريَّة العتيقة، وترتفع من وسط القرميد الأسود على السَّطح.

أمطرَها پيات پري بالشَّتائم وسحبَ سكِّينًا انقضَّ به عليها، لكن دروجون ارتطمَ بوجهه مباشرةً، وسمعَت سوط چوجو يشقُّ الهواء، فلم يبدُ لها صوت بهذه العذوبة من قبل. طارَ السكِّين، وبَعد لُحيظةٍ كان راگارو يطرح پيات أرضًا، بينما ركعَ السير چورا إلى جوار داني وسط الكلأ الأخضر البارد وطوَّق كتفيها بذراعه.





تيريون

قال تيريون مهدِّدًا بينما ابتعدَت العبَّارة عن رصيف الميناء حاملةً الدُّفعة الأولى من الغِربان الحجريَّة: «إذا مُتَّ بسبب غلطةٍ حمقاء، سأطعمُ جثَّتك للماعز».

ضحكَ شاجا قائلًا: «النِّصف رجل لا يملك أيَّ ماعز».

- «سأشتري بعضها من أجلك خصِّيصًا».

كان الفَجر يَبزُغ، وعلى صفحة النَّهر تلألأَت تموُّجات الضَّوء الشَّاحب، تتبعثَر أينما مسَّتها عِصِيُّ التَّجذيف، وتعود تتشكَّل بَعدما تمرُّ العبَّارة. قبل يومين أخذَ تيميت رجاله المحروقين إلى غابة الملوك، والأمس تبعَهم إخوة القمر والآذان السَّوداء، واليوم دور الغِربان الحجريَّة.

قال تيريون: «مهما فعلتم، فلا تُحاوِلوا أن تخوضوا معركةً. هاجِموا مخيَّماتهم وخطوط الإمداد، وتربَّصوا بكشَّافتهم واشنُقوهم على الأشجار في البقاع التي سيمرُّون بها أثناء زحفهم، ودوروا حولهم واقتُلوا من يشردون عن صفوفهم. أريدُ هجماتٍ ليليَّة كثيرة ومباغِتة حتى يُصيبهم الخوف من الخلود إلى النَّوم...».

قاطعَه شاجا واضعًا يده على رأسه، وقال: «كلُّ هذا تعلَّمته من دولف بن هولجر قبل أن تَنبُت لحيتي. إنه سَمت الحِرب في جبال القمر».

- «غابة الملوك ليست جبال القمر، ولن يكون قتالكم ضد رجالٍ من قبيلة ثعابين الحليب أو الكلاب الملوَّنة. وأريدكم أن تُصغوا للأدلَّة الذين أرسلتهم



معكم، فهُم يعرفون هذه الغابة كما تعرفون جبالكم. التزموا بنصائحهم وسيخدمونكم بكفاءة».

وعدَه رجل القبائل بعبوس: «شاجا سيُصغي لحيوانات النِّصف رجل المدلَّلة»، ثم إنه قادَ حصانه صاعدًا به إلى العبَّارة، وشاهدَهم تيريون يدفعونها ويجذفون نحو منتصَف النَّهر الأسود. أحسَّ وخزًا غريبًا في معدته إذ غابَ شاجا وسط غشاوة الصُّبح، وفكَّر أن غياب رجال القبائل سيُشعِره بأنه عارٍ تمامًا.

ما زالَ لديه برون ومَن استأجرَهم، قُرابة الثَّمانمئة الآن، لكن مِن المسلَّمات التي يعلمها الجميع أن المرتزِقة متلوِّنون، على الرغم من أن تيريون فعلَ كلَّ ما يقدر عليه لشراء ولائهم المستمر، ووعدَ برون ودستةً من أفضل رجاله بالفُروسيَّة والأراضي بَعد الفوز بالمعركة، وقد شربوا نبيذه وضحكوا على دُعاباته ولقَّب كلٌّ منهم الآخَر بالسير فلان إلى أن ترنَّحوا من فرط الثَّمل... جميعهم باستثناء برون نفسه، الذي اكتفى برسم ابتسامته الخبيثة الوقحة على شفتيه، وقال فيما بَعد: «سيَقتُلون في سبيل تلك الفُروسيَّة، لكن لا تحسب أبدًا أنهم سيموتون من أجلها».

ولم تكن لدى تيريون أوهام من هذا النَّوع.

يكاد ذوو المعاطف الذَّهبيَّة يكونون سلاحًا غير مضمونٍ بدورهم. في حَرس المدينة ستَّة آلاف رجل -بفضل سرسي- لكن رُبعهم فقط يُمكن الاعتماد عليه، وكان بايووتر قد حذَّره قائلًا: «هناك بضعة خونةٍ معروفون، وهناك آخَرون لم يستطِع عنكبوتكم العثور عليهم على الإطلاق، لكن المشكلة في المئات الأكثر خضرةً من العُشب في الرَّبيع، الرِّجال الذين انضمُّوا إلى حَرس المدينة من أجل الطَّعام والشَّراب والأمان. لا أحد يُحِبُّ أن يبدو جبانًا في أعيُن رفاقه، لذا سيُقاتِلون بشيءٍ من الشَّجاعة في البداية، عندما تقتصر المعركة على أصوات الأبواق وخفقان الرَّايات، لكن إذا بدا أن المعركة ستدور عليهم، فسيَنكُصون، ويَنكُصون بعُنف. أول رجلٍ يُلقي رُمحه ويجري سيذهب ألف في أعقابه».

لا شَكَّ أن هناك رجالًا مخضرمين في حَرس المدينة، اللُّب المكوَّن من



ألفيِّ رجلٍ تسلَّموا معاطفهم الذَّهبيَّة من روبرت وليس سرسي، لكن حتى هؤلاء... الحارس ليس جنديًّا حقًّا كما ردَّد اللورد تايوين مرارًا وتكرارًا. من الفُرسان ومُرافِقيهم والجنود لا يملك تيريون أكثر من ثلاثمئة، وقريبًا عليه أن يختبر حقيقة قولٍ آخَر من أقوال أبيه: رجل واحد على الأسوار يُساوي عشرةً تحتها.

كان برون والمصاحبون له ينتظرون عند نهاية الرَّصيف وسط حشدٍ من المتسوِّلين والعاهرات الجوَّالات وبائعات السَّمك المناديات على الصَّيد، وبدا أن تجارة بائعات السَّمك وحدها أكثر ربحًا من البقيَّة مجتمعين، إذ تحلَّق المشترون حول البراميل والأكشاك ليُساوموا على سِعر الحلازين والمحار وسمك الكراكي النَّهري. مع عدم دخول أيِّ أطعمةٍ أخرى المدينة، تضاعفَت أسعار الأسماك عشر مرَّاتٍ عمَّا كانت قبل الحرب، ولا تزال ترتفع، ومَن يملكون مالًا يأتون إلى ضفَّة النَّهر صباحًا ومساءً، على أمل العودة إلى بيوتهم بسمكة أنقليس أو وعاءٍ من السَّرطانات الحمراء، ومَن لا يملكون المال يتنقَّلونَ خلسةً بين الأكشاك آملين في النَّجاح في سرقة شيء، أو يقفون بائسين مكفهرِّي الملامح تحت الأسوار.

أخلى ذوو المعاطف الذَّهبيَّة طريقًا بين الجموع، دافعين النَّاس جانبًا بأعمدة رماحهم، بينما تجاهلَ تيريون السِّباب المكتوم قَدر الإمكان. ثم إن سمكةً عفنةً لزجةً طارَت من وسط الزِّحام، وسقطَت متفسِّخةً عند قدميه، فخطا فوقها بحذرٍ وامتطى حصانه، بينما بدأ الأطفال ذوو البطون المتورِّمة يتعارَكون على قِطَع السَّمك المنتِنة بالفعل.

أجالَ بصره من فوق صهوة حصانه عبر ضفَّة النَّهر. كانت دقَّات المطارق تتردَّد في هواء الصُّبح وقد احتشدَ النجَّارون حول بوَّابة الطَّمي، يمدُّون أسوجةً خشبيَّةً من شُرفات الأسوار. هذا الجزء من العمل يمضي على قدمٍ وساق، بينما تُكدِّره كثيرًا فوضى الأبنية المتداعية التي سُمِحَ لها بالنموِّ والانتشار وراء أرصفة الميناء، لاصقةً نفسها بأسوار المدينة كالكائنات القشريَّة التي تلتصقُ بأبدان السُّفن؛ محال بيع طُعوم الأسماك ومحال الأكل، والمخازن وأكشاك التُّجَّار، والحانات والمواخير التي تفتح فيها عاهرات من



نوع أرخص سيقانهن. يجب التخلُّص من كلٍّ هذا. إذا استمرَّ هذا الوضع، فلن يحتاج ستانيس سلالم لعبور الأسوار.

نادى برون وقال له: «اجمع مئة رجلٍ واحرقوا كلَّ شيءٍ تراه هنا بين حافة الماء وأسوار المدينة»، وأشارَ بأصابعه القصيرة إلى ضفَّة النَّهر القذرة مضيفًا: «لا أريدُ أن يبقى شيء قائمًا، مفهوم؟».

التفتَ المرتزِق أسود الشَّعر ممتأمِّلًا المطلوب، وقال: «لن يروق هذا من يملكون تلك المباني».

- «لم أكن أتخيَّلُ أنه سيروقهم. ليكن، سيصير لديهم سبب آخَر للعن القرد الشَّيطاني الشرِّير».

- «قد يُقاوِم بعضهم».

- «احرِصوا على أن يخسروا».

- «وماذا نفعل بمن يعيشون هناك؟».

- «امنحوهم وقتًا معقولًا لنقل ممتلكاتهم، ثم اطرُدوهم، وحاوِلوا ألَّا تَقتُلوا أحدًا منهم، فهُم ليسوا الأعداء... ولا مزيد من الاغتصاب! سيطِر على رجالك عليك اللَّعنة!».

قال برون: «إنهم مرتزِقة وليسوا رجال دين. المرَّة القادمة ستقول إنك تُريدهم أن يفيقوا من سُكرهم».

- «لن يضرَّنا أن يفعلوا».

تمنَّى تيريون لو أنه يستطيع بالسُّهولة نفسها أن يُضاعِف طول الأسوار مرَّتين وسُمكها ثلاثًا، وإن كان يبدو أن ذلك لا يصنع فارقًا، فالأسوار العملاقة والأبراج الشَّاهقة لم تُنقِذ ستورمز إند، ولا هارنهال، ولا حتى وينترفل.

تذكَّر وينترفل كما رآها آخِر مرَّة، ليست ضخمةً بصورةٍ رهيبة كهارنهال، ولا تبدو عليها المناعة والحصانة التامَّة كستورمز إند، لكن ثمَّة قوَّة عظيمة في تلكم الأحجار، إحساس بأن المرء يستطيع الشُّعور بالأمان وراء تلكم الأسوار. جاءَ نبأ سقوط القلعة كصدمةٍ مريرة، وتمتمَ حين أبلغَه ڤارس: «الآلهة تُعطي بيدٍ وتأخذ بالثَّانية». الآلهة أعطَت آل ستارك هارنهال وأخذَت منهم وينترفل، مبادَلة مقيتة.



لا شَكَّ أن عليه أن يَشعُر بالحبور، فالآن سيضطرُّ روب ستارك إلى الاتِّجاه شَمالًا، لأنه إذا كان لا يستطيع الدِّفاع عن دياره، فهو ليس ملكًا على الإطلاق. معنى هذا أن ينال الغَرب وآل لانستر راحةً مؤقَّتةً، ومع ذلك...

يملك تيريون ذكرى ضبابيَّة للغاية عن ثيون جرايچوي من الفترة التي أمضاها مع آل ستارك. شابٌّ غِرٌّ هو، دائم الابتسام وبارع في الرِّماية، لكن من الصَّعب تصوُّره سيِّدًا لوينترفل. سيِّد وينترفل سيكون من أبناء ستارك دائمًا وأبدًا.

تذكَّر أيكة الآلهة هناك، أشجار الحارس الطَّويلة المدرَّعة بأوراقها الإبريَّة الخضراء الرَّماديَّة، وأشجار السَّنديان والزُّعرور والدَّردار والصَّنوبر الجُندي[1]، وفي المركز تقف شجرة القلوب كعملاقٍ شاحبٍ مجمَّد في الزَّمن. يكاد يستطيع أن يشمَّ رائحة المكان، رائحة الطَّمي والقِدم، رائحة القرون، ويتذكَّر كيف كانت الأيكة مظلمةً دومًا حتى خلال النَّهار. تلك الأيكة كانت وينترفل، كانت الشَّمال ذاته. لم أشعر قَطُّ بأني غريب كما شعرتُ وأنا هناك، كأني متطفِّل غير مرغوب. تساءلَ إن كان أولاد جرايچوي سيَشعُرون بهذا أيضًا. قد تكون القلعة لهم، لكن ليس أيكة الآلهة أبدًا، ليس بَعد عامٍ أو عشرة أو خمسين.

قادَ تيريون لانستر حصانه بتؤدةٍ إلى بوَّابة الطَّمي، وقال لنفسه مذكِّرًا: وينترفل لا تُمَثِّل لك شيئًا. فلتبتهِج لأنها سقطَت وانتبه إلى أسوارك أنت. كانت البوَّابة مفتوحةً، وفي الدَّاخل وقفَت المجانيق الثَّلاثة الضَّخمة جنبًا إلى جنبٍ في ميدان السُّوق، تطلُّ من فوق الشُّرفات كثلاثة طيورٍ عملاقة. صُنِعَت أذرُع قذف الحجارة من جذوع أشجار البلُّوط القديمة، وثُبِّتَت بالحديد للحيلولة دون تشقُّق الخشب، وأطلقَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة على المجانيق اسم العاهرات الثَّلاث، لأنها ستُرَحِّب باللورد ستانيس بمنتهى الشَّبق. أو أن هذا ما نأمله.

---

(1) شجرة من خيال المؤلِّف.



همزَ الحصان وأسرعَ يَدخُلِ من بوَّابة الطَّمي مخترقًا الشلَّال البَشري، وبمجرَّد أن تجاوزَ العاهرات خَفَّ الزِّحام وانفتحَ الشَّارع أمامه.

لم يَحدُث شيء خلال رحلة العودة إلى القلعة الحمراء، أمَّا في بُرج اليد فقد وجدَ دستةً من ربابنة السُّفن التِّجاريَّة الغاضبين ينتظرونه في غُرفة الاجتماعات ليحتجُّوا على مصادَرة سُفنهم، فاعتذرَ لهم بحرارةٍ ووعدَهم بالتَّعويض بمجرَّد أن تنتهي الحرب، لكن قوله لم يُقنِعهم، وقال له رُبَّان براڤوسي: «وماذا لو خسرتم يا سيِّدي؟».

- «التمِسوا التَّعويضِ من الملك ستانيس إذن».

كانت الأجراس تدقُّ حينِ خلَّص نفسه منهم، وعرفَ تيريون أنه تأخَّر على التَّنصيب. قطعَ السَّاحة متمايلًا بخطواتٍ أقرب إلى الرَّكض، ثم دَسَّ نفسه بين المجتمعين في سِپت القلعة، بينما ثبَّت چوفري معطفين من الحرير الأبيض حول أكتاف أحدث فارسين التحقَا بالحَرسِ الملكي. يتطلَّب الطَّقس أن يقف الجميع، فلم يرَ تيريون شيئًا أمامه غير صَفٍّ من المؤخِّرات الفاخرة، لكن من ناحيةٍ أخرى، بمجرَّد أن يَفرُغ السِّپتون الأعلى الجديد من إرشاد الفارسين إلى حلف يمينهما ومَرْخهما بالزُّيوت المقدَّسة باسم الآلهة السَّبعة، سيكون تيريون في الموقع المناسب لأن يكون أول من يَخرُج.

إنه يُوافِق أخته على اختيارها أن يحلَّ السير بالون سوان محلَّ الفارس القتيل پرستون جرينفيلد، فأبناء عائلة سوان لوردات في منطقة تخوم دورن، كما أنهم أبيُّون وأقوياء وحذرون. كان اللورد چوليان سوان قد تذرَّع بالمرض وظَلَّ في قلعته لا يُشارِك في الحرب، لكن ابنه الأكبر انضمَّ إلى رنلي، والآن إلى ستانيس، بينما يخدم الابن الأصغر بالون في كينجز لاندنج، فلو أن له ابنًا ثالثًا لانضمَّ إلى روب ستارك. ليس هذا السَّبيل الأشرف، وإن دَلَّ على الحكمة، فعائلة سوان تنوي أن تستمرَّ بغَضِّ النَّظر عمَّن يفوز بالعرش الحديدي. بالإضافة إلى نَسبه الكريم، فالسير بالون شُجاع ودمث ويبرع في استخدام الأسلحة، ماهر في القتال بالرُّمح وأمهر مع الكرة الشَّائكة وأشدُّ مهارةً مع القوس. سوف يخدم بشَجاعةٍ وشَرف.

لكن للأسف لا يستطيع تيريون أن يقول الشَّيء ذاته عن اختيار سرسي



الآخَر. يبدو السير أوزموند كِتلبلاك مهيبًا بما فيه الكفاية، تَبلُغ قامته ستَّة أقدام وستَّ بوصاتٍ طولًا، معظمها أوتار وعضلات، بينما يمنحه أنفه المعقوف وحاجباه الكثَّان ولحيته البنِّيَّة ذات شكل ورقة الشَّجر المدبَّبة سيماء الشَّراسة ما دامَ لا يبتسم. كِتلبلاك مجرَّد فارسٍ متجوِّل من العوام، ويعتمد تمامًا على سرسي في ترقِّيه في العالم، السَّببُ الذي جعلَ اختيارها يقع عليه بلا شَك. قالت لچوفري عندما طرحَت عليه الاسم: «السير أوزموند مخلص وشُجاع»، غير أن ذلك ليس صحيحًا مع الأسف، فالسير أوزموند المحترم يبيع برون أسرارها منذ أول يومٍ له في خدمتها، وإن كان تيريون لا يستطيع أن يقول لها هذا بالطَّبع.

ربما لا يَجدُر به أن يشكو، فهذا التَّنصيب يمنحه أُذنًا أخرى بالقُرب من الملك تغفل عنها أخته تمامًا، وحتى إذا أثبتَ السير أوزموند أنه جبان كبير، فلن يكون أسوأ من السير بوروس بلاونت، الذي يُقيم حاليًّا في زنزانةٍ في روزبي. كان السير بوروس يصحب الأمير تومن واللورد جايلز عندما باغتَهم السير چاسلين بايووتر ورجاله ذوو المعاطف الذَّهبيَّة، وسلَّم الصَّبي الذي كُلِّفَ بحمايته ببساطةٍ كانت لتُشعِل ثورة العجوز باريستان سلمي كما أشعلَت ثورة سرسي، فمن المفترَض أن يموت فارس الحَرس الملكي دفاعًا عن حياة الملك والعائلة الملكيَّة. أصرَّت أخته على أن يُجَرِّد چوفري بلاونت من معطفه الأبيض بتُهمة الخيانة والجُبن. والآن تستبدله برجلٍ آخَر خاوٍ تمامًا مِثله.

بدا كأن الصَّلاة وحلف اليمين والمَرْخ استغرَقوا نِصف الصَّباح، وسرعان ما شعرَ تيريون بالألم في ساقيه، فنقلَ ثِقله من قدم إلى أخرى بضجر. رأى الليدي تاندا تقف على بُعد عدَّة صفوف، وإن لم تكُن ابنتها معها، وكان يأمل أن يلمح شِاي. قال ڤارس إنها في حالٍ طيِّبة، لكنه يُحَبِّذ أن يرى بنفسه.

- «وصيفة ليدي أفضل من عاملة مطبخ»، قالت شِاي حين أخبرَها تيريون بخطَّة الخصي. «أيُمكنني أن آخذ حزام الزُّهور الفضِّيَّة والطَّوق الذَّهبي ذا الماسات السَّوداء التي قلتَ إنها تُشبِه عينيَّ؟ لن أرتديهما إذا قلتَ ألَّا أفعل».

على الرغم من كراهيته إحباطها، كان عليه أن يشرح لها أن الليدي تاندا



لا تبدو امرأةً ذكيَّةً البتَّة، لكن ذلك لا يعني أن التَّساؤلات لن تُراوِدها إذا رأت أن وصيفة ابنتها تملك جواهر أكثر من ابنتها نفسها، وقال لها آمرًا: «اختاري فُستانين أو ثلاثة لا أكثر، صوف جيِّد لكن لا حرير أو سَميت أو فراء. بقيَّة الثِّياب سأحتفظُ بها في مسكني لترتديها عندما تأتين لزيارتي». لم تكن الإجابة التي أرادَتها شِاي، لكنها آمنة على الأقل.

لمَّا انتهَت طقوس التَّنصيب أخيرًا، خرجَ چوفري بين السير بالون والسير أوزموند في معطفيهما الأبيضين الجديدين، بينما تخلَّف تيريون ليُكَلِّم السِّپتون الأعلى الجديد (الذي كان اختياره هو، وحكيمًا بما فيه الكفاية لأن يعرف مَن يمنُّ عليه)، وقال له تيريون بلهجةٍ عمليَّة: «أريدُ الآلهة في صَفِّنا. قُل للنَّاس إن ستانيس أقسمَ على إحراق سِپت بيلور الكبير».

سألَه السِّپتون الأعلى، الرَّجل النَّبيه صغير الحجم ذو اللِّحية البيضاء المنسدلة والوجه الذَّابل: «أهذا صحيح يا سيِّدي؟».

هَزَّ تيريون كتفيه مجيبًا: «ربما. لقد أحرقَ ستانيس أيكة الآلهة في ستورمز إند كقُربانٍ لإله الضِّياء، فإذا ضحَّى بالآلهة القديمة، فلماذا يَترُك الجديدة؟ قُل لهم هذا، قُل لهم إن أيَّ أحدٍ يُفَكِّر في مسانَدة هذا الغاصِب يخون الآلهة كما يخون ملكه الشَّرعي».

- «سأفعلُ يا سيِّدي، وسآمُرهم بالدُّعاء لصحَّة الملك ويده».

كان هالاين الپايرومانسر ينتظره في غُرفته الشَّمسيَّة لدى رجوعه، كما أحضرَ المِايستر فرنكن عددًا من الرَّسائل، فتركَ الخيميائي ينتظر فترةً أطول بينما اطَّلع على ما أتَته به الغِدفان. ثمَّة رسالة قديمة من دوران مارتل يُنذِره فيها من أن ستورمز إند سقطَت، ورسالة أكثر إثارةً للاهتمام بكثير أتَت من بالون جرايچوي في پايك، يُسَمِّي نفسه فيها ملك الجُزر والشَّمال، ويدعو الملك چوفري إلى إرسال مبعوثٍ إلى جُزر الحديد لرسم الحدود بين المملكتين ومناقشَة تحالُفٍ محتمَل.

قرأ تيريون الرِّسالة ثلاث مرَّاتٍ ثم نحَّاها جانبًا. كانت سُفن اللورد بالون الطَّويلة لتصنع فارقًا عظيمًا ضد الأسطول المبحر من ستورمز إند، لكنها تَبعُد آلاف الفراسخ على الجانب الآخَر من وستروس، وتيريون ليس واثقًا على



الإطلاق بأنه يُريد التخلِّي عن نِصف البلاد. ربما عليَّ أن أرمي تلك المشكلة في حِجر سرسي أو آخذها إلى المجلس.

عندئذٍ فقط سمحَ لهالاين بالدُّخول حاملًا كشوف الحساب الأخيرة من الخيميائيِّين، وقال تيريون وهو يدرس الدَّفاتر: «لا يُمكن أن يكون هذا صحيحًا. نحو ثلاثة عشر ألف جرَّة؟ أتحسبني أحمق؟ اعلم أني لن أدفع ذهب الملك لقاء جرارٍ فارغة أو ملأى بمياه المجاري ومغلقة بالشَّمع».

صاحَ هالاين: «لا، لا، أقسمُ لك أن الأرقام سليمة. لقد، هممم، حالفَنا حَظٌّ كبير يا حضرة اليد، إذ عثرنا على مخزونٍ آخَر للورد روزارت، أكثر من ثلاثمئة جرَّة، تحت جُبِّ التَّنانين! بعض العاهرات كُنَّ يستخدمن الأطلال لاستضافة زبائنهن، وسقطَ أحدهم في قبوٍ عبر رُقعةٍ متعفِّنة في الأرض، وحين وجدَ الجرار حسبَ أنها تحوي خمرًا، وكان سكرانًا لدرجة أنه كسرَ غطاء إحداها وشربَ».

بلهجةٍ جافَّة قال تيريون: «كان هناك أمير جرَّب هذا ذات مرَّة. لم أرَ تنانين تُحَلِّق فوق المدينة، فيبدو إذن أن الحيلة لم تُفلِح هذه المرَّة أيضًا».

جُبُّ التَّنانين المقام فوق تَلِّ ريينس مهجور منذ قرنٍ ونِصف، وفكَّر تيريون أنه مكان مناسب كغيره لتخزين النَّار الشَّعواء، بل وأفضل من معظم الأماكن، وإن كان من اللَّطيف لو أن اللورد روزارت أخبرَ أحدًا. «تقول ثلاثمئة جرَّة؟ ما زال هذا لا يجعل تلك الأرقام سليمةً. ثمَّة عدَّة آلاف من الجرار تزيد على أفضل تقديرٍ أخبرتني به حين رأيتك آخِر مرَّة».

مسحَ هالاين جبهته الشَّاحبة بكُمِّ ثوبه الأسود والقرمزي، وقال: «نعم، نعم، هذا صحيح، لكننا عملنا بمنتهى الجدِّ يا سيِّدي، هممم».

- «لا شَكَّ أن هذا يُفَسِّر كيف صنعتم قَدرًا من المادَّة أكبر من قبل»، وابتسمَ تيريون مثبِّتًا نظرة عينيه غير المتماثلتين على الپايرومانسر قائلًا: «وإن كان هذا يطرح سؤالًا عن عدم بدئكم في العمل بجِدٍّ قبل الآن».

لهالاين بشرة بلون عيش الغُراب، فكان من الصَّعب تصوُّر أن لونه قابل للامتقاع أكثر، لكن شحوبه ازداد بالفعل وهو يقول: «إننا نعمل بجدٍّ طول الوقت يا حضرة اليد، إخوتي وأنا نجتهد ليل نهار من البداية، أؤكِّدُ لك،



لكننا، هممم، صنعنا الكثير جدًّا من المادَّة حتى إننا أصبحنا، هممم، أكثر تمرُّسًا، بالإضافة إلى...»، وبدَّل الپايرومانسر وضعه بغير راحةٍ مكملًا: «تعاويذ معيَّنة، هممم، أسرار طائفتنا العتيقة، شديدة الحساسيَّة والصُّعوبة، لكن ضروريَّة إذا أردنا أن تُصبِح المادَّة، هممم، كلَّ ما يُمكن أن تكونه...».

أحسَّ تيريون بنفاد الصَّبر. غالبًا وصلَ السير چاسلين بايووتر، وذو اليد الحديد يكره الانتظار. هكذا قال: «نعم، لديكم تعاويذ سرِّيَّة، كم هذا رائع. ماذا عنها؟».

ابتسمَ هالاين بوهنٍ مجيبًا: «يبدو أنها، هممم، تعمل أفضل من قبل. أتحسب أن هناك تنانين حيَّة في مكانٍ ما؟».

- «لا، ما لم تكونوا قد وجدتم واحدًا تحت جُبِّ التَّنانين. لماذا؟».

- «أوه، اعذرني، كنتُ أتذكَّرُ شيئًا أخبرَني به صاحِب الحكمة پوليتور ذات مرَّةٍ عندما كنتُ تلميذًا. سألته لماذا لا يبدو معظم تعاويذنا مؤثِّرًا كما تُريدنا المخطوطات أن نُصدِّق، فقال إن السَّبب أن السِّحر بدأ يتلاشى من العالم يوم ماتَ آخِر التَّنانين».

- «آسفٌ لإحباطك، لكني لم أرَ أيَّ تنانين، لكني رأيتُ جلَّاد الملك في الجوار، وإذا اتَّضح أن لُبَّ أيٍّ من تلك الفواكه التي تبيعني إياها يتكوَّن من شيءٍ غير النَّار الشَّعواء، فستراه أنت أيضًا».

فَرَّ هالاين بمنتهى السُّرعة حتى إنه كادَ يرتطم بالسير چاسلين... لا، إنه اللورد چاسلين الآن، يجب أن يتذكَّر هذا. رحمَه ذو اليد الحديد وتكلَّم بصراحةٍ مباشِرة كالمعتاد. كان قد عادَ من روزبي لتوصيل فرقةٍ جديدة من حاملي الرِّماح من أراضي اللورد جايلز واستئناف قيادته حَرس المدينة، وسألَه تيريون حين انتهيا من مناقَشة الدِّفاعات: «كيف حال ابن أختي؟».

- «الأمير تومن معافى وسعيد يا سيِّدي، وتبنَّى ولد ظبيٍّ جاءَ به رجالي من الصَّيد. قال إنه كان يملك واحدةً أنثى من قبل، لكن چوفري سلخَها ليصنع صُدرةً من فروتها. أحيانًا يسأل عن أمِّه، وكثيرًا يشرع في كتابة رسائل للأميرة مارسلا، مع أنه لا يُنهيها أبدًا، بينما لا يبدو أنه يفتقد أخاه على الإطلاق».

- «هل أجريت التَّرتيبات اللَّازمة بخصوصه في حال خسرنا المعركة؟».



- «أعطيتُ رجالي توجيهاتهم».

- «ألا وهي؟».

- «أمرتني بعدم إخبارك بها يا سيِّدي».

جعلَته الإجابة يبتسم، وقال: «يسرُّني أنك تتذكَّر». إذا سقطَت كينجز لاندنج، فمن الوارد أن يُؤسَر حيًّا، والأفضل ألَّا يعرف مكان وريث چوفري.

سرعان ما ظهرَ ڤارس بَعد ذهاب اللورد چاسلين، وعلى سبيل التحيَّة قال: «البَشر مخلوقات غدَّارة حقًّا».

زفرَ تيريون متسائلًا: «مَن الخائن اليوم؟».

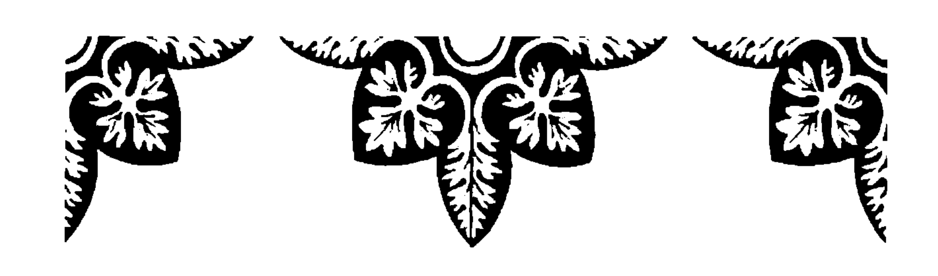
ناولَه الخصيُّ لُفافةً، وأجابَ: «قَدر هائل من الدَّناءة، أغنيَّة حزينة عن عصرنا. هل ماتَ الشَّرف حين ماتَ آباؤنا؟».

قال تيريون فاحصًا القائمة بعينيه: «ما زال أبي حيًّا. إنني أعرفُ بعض هذه الأسماء، منهم تُجَّار وباعة وحِرفيُّون. لماذا يتآمَرون علينا؟».

- «يبدو أنهم يُؤمِنون بأن اللورد ستانيس يجب أن ينتصر، ويرغبون في نصيبٍ من نصره. يُسَمُّون أنفسهم رجال القرون تيمُّنًا بالوعل المتوَّج».

- «على أحدٍ أن يقول لهم إن ستانيس غيَّر رمزه، ليُصبِحوا القلوب السَّاخنة!». لكن المسألة لا تحتمل المزاح حقًّا، فرجال القرون هؤلاء سلَّحوا عدَّة مئاتٍ من أتباعهم للاستيلاء على البوَّابة القديمة بمجرَّد احتدام المعركة، وفتحها كي يَدخُل العدوُّ المدينة. بين الأسماء على القائمة كان أستاذ الحدادة سالوريون، فقال تيريون متذمِّرًا وهو يُذَيِّل أمر إلقاء القبض على الرَّجل بتوقيعه: «أعتقدُ أن هذا يعني أني لن أحصل على تلك الخوذة المخيفة ذات قرنيِّ الشَّيطان».





ثيون

في لحظةٍ كان غائبًا في النَّوم، وفي التَّالية استيقظَ.

نامَت كايرا ضامَّةً نفسها إليه ومريحةً ذراعها على ذراعه وقد مَسَّ نهداها ظَهره، وسمعَ صوت أنفاسها المنتظم الهادئ. كانت الأغطية متشابكةً حولهما، والليل أسود تمامًا، وغُرفة النَّوم مظلمة ساكنة.

ماذا هناك؟ هل سمعتُ شيئًا؟ أو أحدًا؟

تنهَّدت الرِّيح بخفوتٍ دافعةً السَّتائر، ومن مكانٍ ما بعيد تناهى إلى مسامعه مواء أشبه بالعويل لقِطَّةٍ تُعاني الاحترار، لكن لا شيء آخَر. نَم يا جرايچوي. القلعة هادئة، ولديك حُرَّاس ساهرون على غُرفتك والبوَّابات ومستودع السِّلاح.

كان ليعزو اضطرابه إلى حُلم سيِّئ رآه، لكنه لا يَذكُر أن أحلامًا راودَته، خصوصًا أن كايرا أنهكَته. إلى أن أرسل ثيون يستدعيها، كانت قد عاشَت سنين عُمرها الثَّماني عشر في البلدة الشِّتويَّة دون أن تطأ قدماها أرض القلعة قَطُّ، وقد جاءَته متهيِّجةً توَّاقةً ورشيقةً كبنات عرس، ولا يُنكِر أن هناك نوعًا من اللذَّة الحرِّيفة استطعمَه بينما اعتلى ساقية حانةٍ تقليديَّة في فِراش اللورد إدارد ستارك ذاته.

تمتمَت بكلماتٍ ناعسة حين سحبَ نفسه من تحت ذراعها ونهضَ. بضع جمارٍ كانت لا تزال تحترق بلا دُخانٍ في المستوقَد، بينما نامَ وِكس على الأرض عند قدم الفِراش مدَّثِّرًا بمعطفه وغافلًا عن العالَم تمامًا. لم يسمع ثيون أيَّ حركة، فاتَّجه إلى النافذة وفتحَ السَّتائر، فمسَّه اللَّيل بأصابع باردة،



وسرَت القشعريرة في جِلده العاري. مالَ على العتبة الحجريَّة وتطلَّع إلى الأبراج المظلمة والسَّاحات الخالية والسَّماء السَّوداء، حيث نجوم أكثر مما يستطيع إنسان أن يحصي ولو عاشَ مئة عام، وهلال يطفو فوق بُرج الجرس ويُلقي انعكاسه على سطح الصُّوبة الزُّجاجيَّة. لم يسمع إنذارًا أو أصواتًا أو مجرَّد وقع قدم.

كلُّ شيءٍ على ما يُرام يا جرايچوي. أتسمع السُّكون؟ حريٌّ بك أن تكون سكرانًا من النَّشوة. لقد أخذت ويترفل بأقلِّ من ثلاثين رجلًا، مأثرة تليق بالأغاني. تحرَّك عائدًا إلى الفِراش مقرِّرًا أنه سيقلب كايرا على ظَهرها ويُضاجِعها ثانيةً، فمن شأن هذا أن يَطرُد الأشباح من مخيِّلته، وسيروقه أن تقطع شهقاتها وضحكاتها هذا الصَّمت.

ثم إنه توقَّف. لقد اعتادَ عُواء الذِّئبين الرَّهيبين تمامًا حتى إنه يكاد لا يسمعه إطلاقًا الآن... لكن شيئًا ما في أعماقه، غريزة الصيَّاد ربما، سمعَ غياب العُواء.

خارج الباب وقفَ أورزن، رجل مفتول العضلات يُعَلِّق تُرسًا مستديرًا على ظَهره، وقال له ثيون: «الذِّئبان هادئان. اذهب وانظُر ماذا يفعلان وعُد إليَّ مباشرةً». أشعرَته فكرة أن ذئبين رهيبين طليقان في القلعة بالغثيان، وتذكَّر ذلك اليوم في غابة الذِّئاب عندما هاجمَ الهَمج بران، فحوَّلهم سَمر وجراي ويند إلى أشلاء.

وكزَ وِكس بطرف حذائه، واعتدلَ الصَّبي وفركَ عينيه، فقال له آمرًا: «تأكَّد أن بران ستارك وأخاه في سريريهما، وأسرِع».

نادَته كايرا بصوتٍ ناعس: «سيِّدي؟».

قال ثيون: «عودي إلى النَّوم. ما يَحدُث لا يعنيكِ»، وصَبَّ لنفسه كأس نبيذٍ أفرغَها في جوفه وقد أصاخَ السَّمع متمنِّيًا أن يسمع العُواء، وفكَّر بكآبة: رجال قليلون للغاية، معي رجال قليلون للغاية، وإذا لم تأتِ آشا...

سرعان ما عادَ وِكس يهزُّ رأسه نفيًا، فأطلقَ ثيون سبَّةً، وعلى الأرض وجدَ قميصه وسراويله اللذين أسقطَهما في غمار لهفته على نيل كايرا. فوق القميص ارتدى صُدرةً من الجِلد المطعَّم بالحديد، وثبَّت سيفًا طويلًا وخنجرًا في حزامه. كان شَعره منفوشًا كغابة، لكن أمامه مشاغل أهمَّ الآن.



رجعَ أورزن قائلًا: «الذِّئبان ليسا هناك».

أوصى ثيون نفسه بأن يتحلَّى ببرود اللورد ستارك وترويِّه، وقال: «أيقِظوا القلعة، اجمعوهم كلهم في السَّاحة وسنرى مَن منهم متغيِّب، واجعل لورن يقوم بدورة على البوَّابات. وِكس، تعالَ معي».

تساءلَ إن كان ستيج قد بلغَ «ربوة الغابة»، فالرَّجل ليس خيَّالًا بارعًا كما يدَّعي (ولا أحد من الحديديِّين يبرع كثيرًا في ركوب الخيل)، لكن وقتًا كافيًا مَرَّ بالفعل، وقد تكون آشا في طريقها. وإذا علمَت أني فقدتُ صبيَّي ستارك... لا يحتمل مجرَّد التَّفكير في هذا.

كانت غُرفة بران خالية، ومِثلها غُرفة ريكون عند منتصَف السَّلالم في الطَّابق السُّفلي، ولعنَ ثيون نفسه. كان ينبغي أن يضع عليهما حراسةً، لكنه قرَّر أن الأهمَّ أن يَحرُس رجاله الأسوار ويحموا البوَّابات، لا أن يُجالِسوا طفلين أحدهما قعيد.

سمعَ النَّحيب الآتي من الخارج إذ انتُزِعَ أهلِ القلعة من أسرَّتهم ودُفِعوا إلى السَّاحة. سأعطيهم سببًا للبكاء. عاملتهم بلُطفٍ وهكذا يردُّون الجميل. لقد أمرَ بجَلد اثنين من رجاله حتى سالَت دماؤهما بغزارةٍ لاغتصابهما ابنة قيِّم وجار الكلاب، ليُريهم أنه ينوي أن يَحكُمهم بالعدل. وما زالوا يلومونني على الاغتصاب وغيره. ليس هذا عادلًا. ميكن قتلَته سلاطة لسانه، تمامًا مِثل بنفريد، وبالنِّسبة لكايل فقد كان رجاله يتوقَّعون أن يمنح قُربانًا للإله الغريق، وقال للسِّپتون قبل أن يُلقوه في البئر: «لا أضمرُ لك شرًّا، لكن لا مكان لك وآلهتك هنا الآن». كان يتصوَّر أن يَشعُر الآخَرون بالامتنان لأنه لم ينتقِ أحدهم، لكن لا. تُرى كم منهم شاركَ في هذه المؤامرة ضده؟

عادَ أورزن مع لورن الأسود، الذي قال: «بوَّابة الصيَّادين. تعالَ وانظُر».

تقع بوَّابة الصيَّادين في المكان المناسب عند وجار الكلاب والمطابخ، وتُفتَح مباشرةً على الحقول والغابات، مخوِّلةً للرَّاكبين أن يَدخُلوا ويَخرُجوا دون الاضطرار إلى المرور من البلدة الشِّتويَّة أولًا، وهكذا فضَّلتها فِرق الصَّيد. سألَ ثيون: «مَن كان يتولَّى الحراسة هناك؟».

- «درنان وسكوينت».



درنان هذا أحد الرَّجلين اللذين اغتصبا بالا. «إذا تركا الصَّبيَّين يَهرُبان، فأقسمُ أن أفعل بهما أكثر من مجرَّد الجَلد هذه المرَّة».

قال لورن الأسود باقتضاب: «لا داعي».

ولم يكن هناك داعٍ بالفعل، فقد عثروا على سكوينت طافيًا على بطنه في الخندق، تمتدُّ أحشاؤه وراءه كعائلةٍ من الثَّعابين الشَّاحبة، بينما سقطَ درنان نِصف عارٍ في مبنى البوَّابة، داخل الغُرفة الصَّغيرة التي يُشَغِّل منها الجسر المتحرِّك. وجدوا حَلقه مشقوقًا من الأُذن إلى الأُذن، وقد غطَّت سُترة مهترئة النُّدوب التي تركَها السَّوط على ظَهره ولم تلتئم تمامًا بعدُ، لكن حذاءه ملقى بإهمالٍ على البساط، وسراويله متشابكة حول قدميه، وعلى مائدةٍ صغيرة مجاورة للباب كان طبق من الجبن وإبريق فارغ وقدحان.

رفعَ ثيون قدحًا وتشمَّم ثُمالة النَّبيذ في القعر، وسألَ: «سكوينت كان في الشُّرفة على السُّور، أليس كذلك؟».

أجابَ لورن: «بلى».

ألقى ثيون القدح في المستوقَد قائلًا: «يبدو أن درنان أنزلَ سراويله ليضع سكِّينه الصَّغير في المرأة حينما غرسَت هي فيه سكِّينًا حقيقيًّا، سكِّين الجبن كما يبدو. فليجد أحدكم حربةً ويُخرِج الأحمق الآخَر من الخندق».

الأحمق الآخَر كان في حالٍ أسوأ بكثيرٍ من درنان، فحين أخرجَه لورن الأسود من الماء، رأوا أن إحدى ذراعيه منتزَعة من عند المِرفق، بينما فقدَ نِصف عُنقه واحتلَّت فجوة مهلهَلة مكان سُرَّته وعانته. مزَّقت الحربة أحشاءه ولورن يسحبه، وفاحَت رائحة شنيعة في المكان.

قال ثيون: «الذِّئبان، كلاهما على ما أظنُّ»، وعادَ إلى الجسر المتحرِّك شاعرًا بالاشمئزاز. يُطَوِّق وينترفل سوران هائلان من الجرانيت، بينهما خندق مائي عريض، ويرتفع السُّور الخارجي ثمانين قدمًا، والدَّاخلي أكثر من مئة، ولمَّا كان ثيون يفتقر إلى العدد الكافي من الرِّجال، فقد اضطرَّ لهجر الدِّفاعات الخارجيَّة وتوزيع رجاله على السُّور الدَّاخلي الأعلى، فلم يجرؤ على المخاطَرة بأن يكونوا على الجانب الآخَر من الخندق إذا انتفضَت القلعة ضده.



لا بُدَّ أن هناك اثنين أو أكثر. المرأة ألهَت درنان بينما حرَّر البقيّة الذِّئبين.

طلبَ ثيون مشعلًا وقادَهم على الدَّرجات إلى شُرفة السُّور، وحرَّك اللَّهب على ارتفاعٍ منخفض أمامه بحثًا عن... ها هو ذا. رآه يُلَطِّخ السَّاتر الحجري من الدَّاخلِ، حيث الفتحة الواسعة بين قائمين طويلين، وأعلنَ: «دم، ممسوح على عجلة وبلا براعة. تخميني أن المرأة قتلَت درنان وأنزلَت الجسر، ولمَّا سمعَ سكوينت صلصلة السَّلاسل، جاءَ يُلقي نظرةً وبلغَ هذه البُقعة، ثم ألقوا الجثَّة عبر الفتحة إلى الخندق كي لا يراها حارس آخَر».

تطلَّع أورزن إلى الأسوار قائلًا: «أبراج الحراسة الأخرى ليست بعيدةً، وأرى مشاعل لا تزال موقدةً...».

قال ثيون بحدَّة: «مشاعل لكن لا حَرس. وينترفل فيها أبراج حراسة أكثر مما لديَّ من رجال».

قال لورن الأسود: «أربعة رجال على البوَّابة الرَّئيسة، وخمسة يذرعون الأسوار بخلاف سكوينت».

غمغمَ أورزن: «لو أنه نفخَ في البوق...».

إنني محاط بالبُله. «حاوِل أن تتخيَّل أنك كنت هنا يا أورزن. الجَوُّ مظلم وبارد، وقد أمضيت ساعاتٍ في الذَّهاب والمجيء على الأسوار وتتطلَّع إلى نهاية ورديَّتك. ثم إنك تسمع جلبةً فتتحرَّك نحو البوَّابة، وفجأةً ترى أعيُنًا عند قمَّة السَّلالم تتوهَّج بالأخضر والذَّهبي في ضوء المشعل، ثم ينطلق الظِّلَّان نحوك بسرعةٍ تفوق خيالك، وتلمح أسنانًا مكشوفةً وتبدأ في موازَنة رُمحك، قبل أن يرتطما بك ويَبقُرا بطنك، ويُمَزِّقا الجِلد الذي ترتديه كأنه شاش»، ودفعَ أورزن بقوَّةٍ مواصلًا: «الآن أنت على ظَهرك، أمعاؤك تنسكب من بطنك، وأحدهما يُطبِق على عُنقك بأنيابه»، وقبضَ على حَلق الرَّجل النَّاحل وشدَّد قبضته مبتسمًا، وتابعَ: «قُل لي إذن، في أيِّ لحظةٍ وسط كلِّ هذا يُمكنك أن تتوقَّف لتَنفُخ في بوقك اللَّعين؟!»، ودفعَ أورزن بعُنفٍ ليصطدم بأحد قوائم الشُّرفة، وبينما حَكَّ الرَّجل عُنقه فكَّر ثيون ساخطًا: كان ينبغي لي أن أقتل الوحشين يوم أخذنا القلعة. لقد رأيتُ الذِّئاب الرَّهيبة تَقتُل، وأعرفُ كم هي خطرة.



قال لورن الأسود: «يجب أن نُلاحِقهم».

- «ليس في الظَّلام». لا يُحَبِّذ ثيون فكرة أن يُطارِد ذئبين رهيبين في الغابة ليلًا، فبمنتهى البساطة يُمكن أن يستحيل الصيَّادون إلى طرائد. «سننتظر نور النَّهار، وحتى ذلك الحين فمن الأفضل أن أذهب وأكلِّم رعاياي الأوفياء».

في السَّاحة كان حشد من الرِّجال والنِّساء والأطفال المتوتِّرين المصطفِّين عند السُّور، كثير منهم لم يجد الوقت لارتداء ثيابه، فستَروا أنفسهم بأغطيةٍ من الصُّوف أو انحنوا عراةً تحت المعاطف، وقد أحاطَت بهم دستة من الرِّجال الحديديِّين، يحملون المشاعل بيدٍ والسِّلاح بالثَّانية. هبَّت الرِّيح وانعكسَ الضَّوء البرتقالي المتذبذب باهتًا على الخوذات الفولاذ واللِّحى الكثيفة والأعيُن المغتمَّة.

سارَ ثيون جيئةً وذهابًا أمام السُّجناء متمعِّنًا في وجوههم، فبدوا جميعًا مذنبين، وسألَ: «كم منهم غائب؟».

دنا منه ريك ورائحة الصَّابون تفوح منه وشَعره يتحرَّك في الهواء، وأجابَ: «ستَّة، ابنا ستارك وصبيُّ المستنقعات وأخته وعامل الاسطبل الأبله وامرأتك الهمجيَّة».

أوشا. لقد ارتابَ فيها لحظة أن رأى القدح الثَّاني. لم يكن يَجدُر بي أن أثق بها. إنها مخلوقة شاذَّة مِثل آشا، بل إن اسميهما متشابهان كذلك. «هل بحث أحد في الاسطبلات؟».

- «آجار يقول إن لا خيول مفقودة».

- «ألا تزال دانسر في مربطها؟».

قال ريك مقطِّبًا وجهه: «دانسر؟ آجار يقول إن الخيول كلها موجودة، والأبله فقط متغيِّب».

إنهم على أقدامهم إذن. هذا أفضل خبرٍ سمعَه منذ استيقظَ. لا شَكَّ أن بران راكب في سلَّته على ظَهر هودور، بينما تحمل أوشا ريكون، فقدماه الصَّغيرتان لن تحملاه بعيدًا وحدهما. هكذا أصبحَ ثيون واثقًا بأنهم سرعان ما سيعودون بين يديه. قال لأهل القلعة: «بران وريكون هربا. مَن يعرف أين ذهبا؟». لم يُجِبه أحد، فتابعَ: «ليس ممكنًا أنهما هربا دون مساعَدة، ودون



طعامٍ وثيابٍ وسلاح». كان قد استولى على كلِّ سيفٍ وفأسٍ في وينترفل، لكنْ لا ريبَ أن هناك أسلحةً تظلُّ مخبَّأةً منه. «أريدُ أسماء كلِّ من ساعَدوهم، وكلِّ من غضُّوا أنظارهم. سأعيدهما إلى القلعة بمجرَّد طلوع النَّهار»، ودَسَّ إصبعيه في حزام السَّيف، وقال: «أريدُ صيَّادين. مَن يرغب في فروة ذئبٍ دافئة تقيه من البرد خلال الشِّتاء؟ جايچ؟». دائمًا كان الطَّاهي يُحَيِّيه ببشاشةٍ حين يعود من الصَّيد، ويسأله إن كان قد اقتنصَ شيئًا خاصًّا للمائدة، لكنه لم يُعَلِّق الآن. عادَ ثيون يتحرَّك فاحصًا وجوههم بحثًا عن أيِّ دلالةٍ على المعرفة، وواصلَ: «البراري ليست مكانًا لصبيٍّ قعيد، وكم سيستطيع ريكون الاستمرار في سِنِّه الصَّغيرة هذه؟ نان، فكِّري كم هما خائفان الآن». هذه العجوز ملأَت أذنيه ثرثرةً بحكاياتها القديمة اللا نهائيَّة طيلة عشرة أعوام، لكنها ترمقه الآن بصمتٍ كأنه غريب. «كان من الممكن أن أقتل كلَّ رجلٍ منكم وأعطي نسوتكم لرجالي ليفعلوا بهن ما شاءوا، لكني حميتكم بدلًا من ذلك، وهكذا تَشكُرونني؟». چوزث الذي ساسَ أحصنته، وفارلن الذي علَّمه كلَّ ما يعرف عن كلاب الصَّيد، وبارث زوجة الخمَّار التي كانت أول أنثى افترشَها... لا أحد منهم رفعَ عينيه إليه. إنهم يكرهونني.

اقتربَ ريك وقال بإلحاحٍ واللُّعاب يلتمع على شفتيه الغليظتين: «جرِّدهم من جلودهم. كان اللورد بولتون يقول إن الرَّجل العاري أسراره قليلة، أمَّا الرَّجل المسلوخ فلا يكتم أيَّ أسرار».

يعرف ثيون أن الرَّجل المسلوخ رمز عائلة بولتون، وقبل عصورٍ كان بعض لورداتهم يتمادون ويصنعون معاطف من جلود أعدائهم الموتى، وقد آلَ عدد من أبناء ستارك أنفسهم إلى هذا المصير، وإن كان من المفترَض أن كلَّ هذا توقَّف قبل ألف عام، حين ركعَ آل بولتون لوينترفل. أو هكذا يزعُمون، لكن النُّهوج القديمة تموت بصعوبةٍ كما أعلمُ جيِّدًا. رفعَ ثيون صوته قائلًا: «لن يكون هناك سلخ في الشَّمال ما دمتُ أحكمُ في وينترفل»، بينما أرادَ أن يَصرُخ: أنا حاميكم الوحيد من أمثاله! إنه لا يستطيع أن يقولها بذلك السُّفور، لكن لعلَّ بعضهم ذكيٌّ بما يكفي لأن يستوعِب المغزى.

كان الرَّمادي يزحف الآن على السَّماء فوق أسوار القلعة، ما يعني أن



الفَجر ليس ببعيد. هكذا قال: «چوزث، جهِّز سمايلر وحصانًا لك. مورش، جاريس، تيم المجدور، أنتم أيضًا ستأتون معي». مورش وجاريس أفضل صيَّاديْن في القلعة، وتيم رام بارع، لكنه يحتاج رجاله أيضًا ليحموا ظَهره، فناداهم: «آجار، ردنوز، جلمَار، ريك، وِكس»، وأخيرًا خاطبَ قيِّم الوجار قائلًا: «فارلن، أريدُ كلاب صيد، وأريدك لتتحكَّم فيها».

عقدَ قيِّم الوجار الأشيب ذراعيه على صدره، وقال: «ولِمَ أرغبُ في مطارَدة سيِّديَّ الشَّرعيَّين، وكلاهما طفل كذلك؟».

دنا منه ثيون قائلًا: «أنا سيِّدك الشَّرعي الآن، والرَّجل الذي يُحافِظ على سلامة پالا».

رأى التحدِّي يموت في نظرة فارلن إذ قال: «أمرك يا سيِّدي».

تراجعَ ثيون متطلِّعًا حوله ليرى مَن يحتاج أيضًا، ثم أعلنَ: «مِايستر لوين».

- «لا أعرفُ شيئًا عن الصَّيد».

نعم، لكني لا أئتمنك على القلعة في غيابي. «حانَ الوقت لأن تتعلَّم إذن».

تقدَّم صبيٌّ لا يفوق بران في العُمر قائلًا: «دعني آتي معك أيضًا». استغرقَ بران برهةً حتى تذكَّره، وقال والدر فراي: «لقد خرجتُ للصَّيد مرارًا، واصطدتُ غزلان حمراء وأيائل، بل وخنازير برِّيَّة».

ضحكَ ابن عمِّه ساخرًا، وقال: «مرَّةً فقط خرجَ مع أبيه لصيد خنزيرٍ برِّي، لكنهم لم يسمحوا له بالاقتراب منه البتَّة».

رمقَ ثيون الصَّبي بشَك، ثم قال: «تعالَ إذا أردت، لكن إذا لم تستطِع مواكَبتنا، فلا تتوقَّع أني سأرعاك»، والتفتَ إلى لورن الأسود قائلًا: «وينترفل تحت تصرُّفك في غيابي. إذا لم نَعُد، فافعل بها ما تشاء». خيرٌ لهم أن يجعلهم هذا يُصَلُّون لنجاحي.

اجتمَعوا عند بوَّابة الصيَّادين وأنفاسهم تتجمَّد في هواء الصُّبح البارد، بينما مسَّت خيوط أشعَّة الشَّمس الأولى قمَّة بُرج الجرس. سلَّح جلمار نفسه ببلطةٍ طويلة يُتيح له مداها أن يُسَدِّد ضرباته قبل أن يَبلُغه الذِّئبان، والنَّصل ثقيل بما يكفي لأن يَقتُل بضربةٍ واحدة، وارتدى آجار واقييَّ ساقين من الفولاذ، أمَّا ريك فجاءَ حاملًا رُمحًا لصيد الخنازير البرِّيَّة وصُرَّة ثيابٍ منتفخة لا يعلم غير



الآلهة ما تحويه. لم يأخذ ثيون معه غير قوسه الذي لا يحتاج سواه. ذات مرَّةٍ أنقذَ حياة بران بسهم، ويأمل الآن ألَّا يسلبه إياها بسهمٍ آخَر، لكنه سيفعلها إذا وجدَ نفسه مجبَرًا.

عبرَ أحد عشر رجلًا وصبيَّان ودستة من الكلاب الخندق، ووراء السُّور الخارجي كانت الآثار جليَّةً في التُّربة اللَّينة؛ قوائم الذِّئبين وخطوات هودور الثَّقيلة والعلامات الضَّحلة التي تركَتها أقدام الأخوان ريد. بمجرَّد أن أصبَحوا تحت الأشجار، جعلَت الأرض الحجريَّة والأوراق السَّاقطة ملاحظَة الأثر أصعب، لكن كلبة فارلن الحمراء كانت قد التقطَت الرَّائحة، ووراءها بمسافةٍ قصيرة الكلاب الأخرى، تتشمَّم كلاب الصَّيد التَّقليديَّة الهواء وتنبح، بينما يتحرَّك كلبان عملاقان من نوع الدِّرواس[1] في المؤخِّرة، فشراستهما وحجمهما يصنعان فارقًا ضد ذئب رهيب محاصَر.

كان قد خمَّن أن أوشا ستهرعُ جَنوبًا إلى السير رودريك، لكن الأثر قادَ إلى الشَّمال فالشَّمال الغَربي، إلى قلب غابة الذِّئاب، الشَّيء الذي لم يَرُق ثيون مقدار ذرَّة. لكانت سخريةً مريرةً لو أن صبيًّا ستارك اتَّجها إلى «ربوة الغابة»، فقط ليقعا بين يدي آشا. فكَّر بتجهُّم: أفضلُ أن يموتا، فخيرٌ لي أن أبدو متوحِّشًا من أن أبدو أحمق.

انتشرَت خيوط من الضَّباب الشَّاحب بين الأشجار، حيث يتكاثَف شجر الحارس والصَّنوبر الجُندي، ولا شيء في العالم أكثر ظلامًا وكآبةً من غابةٍ دائمة الخُضرة. كانت الأرض غير مستوية، والأوراق الإبريَّة السَّاقطة تُخفي ليونة أديم التُّربة، جاعلةً مواطئ أقدام الخيول خدَّاعةً، ما جعلَهم يتحرَّكون ببُطء. لكن ليس ببُطء رجلٍ يحملِ طفلًا قعيدًا، أو امرأةٍ ناحلة على ظَهرها طفل في الرَّابعة. قال لنفسه أن يتحلَّى بالصَّبر. سيوقع بهم قبل ختام اليوم.

اقتربَ منه المِايستر لوين وهُم يتبعون دربًا للفرائس عند مدخل وهدٍ منحدِر صغير، وقال: «حتى الآن لا يُمَيِّز الصَّيد شيء عن ركوب الحصان في الغابة يا سيِّدي».

---

(1) الدِّرواس كلب شديد الضَّخامة يُستخدَم في الصَّيد والحراسة.



قال ثيون مبتسمًا: «ثمَّة نقاط مشتركة، لكن الصَّيد ينتهي بالدَّم».

- «أيجب أن يَحدُث هذا؟ الهرب كان حماقةً، لكن ألن تكون رحيمًا؟ إننا نبحث عن أخويك في التَّربية».

- «روب هو الستارك الوحيد الذي كان بمثابة أخي، وإن كانت لبران وريكون قيمة عندي حيَّين أكثر من ميتين».

- «الشَّيء نفسه ينطبق على ولدي ريد. خندق كايلن تستقرُّ عند حافة المستنقعات، ويستطيع اللورد هاولاند أن يجعل احتلال عمِّك لها جحيمًا إذا أرادَ، لكنه سيمتنع ما دمتَ محتفظًا بوريثيه».

لم يكن ثيون قد فكَّر في هذا. الحقيقة أنه لم يُعِر ولديَّ قوم الأوحال أيَّ انتباهٍ باستثناء التَّحديق في ميرا مرَّةً أو مرَّتين والتَّساؤل إن كانت لا تزال عذراء. «لعلَّك مُحِق. سنصفح عنهما إذا استطعنا».

- «وهودور أيضًا كما آمل. تعرف أن الصَّبي بسيط العقل، ويفعل ما يُقال له. كم مرَّةً ساسَ حصانك وغسلَ سَرجك ونظَّف دِرعك؟».

لا يعني هودور له شيئًا، وهكذا قال: «سنَترُكه حيًّا إذا لم يُقاوِمنا»، ثم أشارَ ثيون بإصبعه قائلًا بحزم: «لكن قُل كلمةً واحدةً عن الصُّفح عن الهمجيَّة وستموت معها. لقد حلفَت لي يمينًا وبالَت عليها».

حنى المِايستر رأسه قائلًا: «لا أختلقُ أعذارًا للحانثين باليمين. افعل ما تُريد، وأشكرك على رحمتك».

فكَّر ثيون بينما ابتعدَ لوين: الرَّحمة، يا لها من فَخٍّ لعين. كثيرها يُبديك ضعيفًا، وقليلها يُبديك وحشًا. لكنه يعرف أن المِايستر أسداه خير المشورة. لا يُفكِّر أبوه إلَّا باعتبارات الغزو وحدها، لكن ما الجدوى من الاستيلاء على مملكةٍ إذا كنت لا تستطيع الحفاظ عليها؟ القوَّة والرَّهبة وحدهما لن تجعلاك تقطع شوطًا طويلًا. من المؤسف أن ند ستارك أخذَ ابنتيه جَنوبًا، وإلَّا لاستطاعَ ثيون أن يُحكِم قبضته على وينترفل بأن يتزوَّج إحداهما، وسانزا فتاة جميلة حقًّا، ولا بُدَّ أنها صالحة للافتراش الآن، لكنها بين براثن آل لانستر على بُعد آلاف الفراسخ، فيا للخسارة.

اتَّسعت الغابة شيئًا فشيئًا، وأفسحَت أشجار الصَّنوبر والحارس المجال



لأشجار السَّنديان الدَّاكنة الضَّخمة، وأخفى شجر الزُّعرور المتشابك الأخاديد والشُّقوق الخدَّاعة، بينما صعدَت المرتفعات الحجريَّة ونزلَت، ومرُّوا بكوخِ مزارعٍ مهجور نمَت عليه النَّباتات بكثافة، ومضوا بمحاذاة مَقلع حجارةٍ أغرقَته المياه التي تلمع بلونٍ رمادي كالفولاذ. حين بدأت الكلاب تنبح، فكَّر تيريون أن الهاربين قريبون، فهمزَ سمايلر وتبعها مسرعًا، لكن ما وجدَه كان مجرَّد جثَّة إلكةٍ صغيرة... أو ما تبقَّى منها بالأحرى.

ترجَّل ليُلقي نظرةً عن كثب. لا تزال الجثَّة طازجةً، وواضح تمامًا أن هذا من صُنع الذِّئبين. أخذَت الكلاب تتشمَّم حول الجثَّة بلهفة، وأنشبَ أحد الدِّرواسيْن أسنانه في فخذٍ حتى زعقَ فارلن فيه وأبعدَه. لا جزء مذبوحًا من هذا الحيوان. الذِّئبان أكلا، لكن ليس البَشر. حتى إذا رفضَت أوشا المخاطَرة بإشعال نار، فكان عليها أن تقطع بضع شرائحِ من اللَّحم، فليس من المنطقي أن يَترُكوا هذا اللَّحم الممتاز كله يتعفَّن. سأل: «فارلن، أأنت واثق بأننا نقتفي الأثر الصَّحيح؟ هل يُمكن أن كلابك تُطارِد ذئابًا أخرى؟».

- «كلبتي تعرف رائحة سَمر وشاجي جيِّدًا».

- «آملُ هذا لصالحك».

بَعد أقلِّ من ساعةٍ قادَ الأثر إلى منحدَرٍ ينزل إلى غدير امتلأ عن آخِره بمياه الأمطار التي هطلَت مؤخَّرًا، وهناك فقدَت الكلاب الرَّائحة. خاضَ وِكس وفارلن الماء بكلاب الصَّيد، ثم عادا يهزَّان رأسيهما، بينما ذرعَت الكلاب الضفَّة الأخرى متشمِّمةً، وقال قيِّم الوجار: «لقد نزلوا إلى الغدير من هنا يا سيِّدي، لكنني لا أرى من أين خرجوا».

ترجَّل ثيون وركعَ إلى جوار الماء، وغمسَ يده فيه ليجده باردًا، ثم قال: «لا يُمكن أنهم بقوا طويلًا في الماء. خُذ نِصف الكلاب وتحرَّك مع التيَّار، وسآخذُ البقيَّة في الاتِّجاه الآخَر و...». قاطَعه وِكس مصفِّقًا بيديه بقوَّة، فسألَه: «ما الأمر؟»، ولمَّا أشارَ الصَّبي رأى ثيون الآثار الواضحة التي تركَها الذِّئبان على الأرض الموحلة إلى جوار الماء، فقال: «آثار قوائم الذِّئبين، نعم، وماذا في هذا؟».

غرسَ وِكس قدمًا في الوحل وحرَّكها يمينًا وشِمالًا، فتركَت أثرًا عميقًا،



وأدركَ چوزث ما يرمي إليه الصَّبي، فقال: «المفترَض أن يَترُك رجل بحجم هودور أثرًا غائرًا في الوحل، خصوصًا والصَّبي يُثقِل ظَهره، ومع ذلك آثار الأقدام الوحيدة هنا لنا فقط. انظُر بنفسك».

مرتاعًا، رأى ثيون أنه مُصيب. الذِّئبان نزلا إلى المياه الموحلة الفائضة وحدهما. «لا بُدَّ أن أوشا انعطفَت في بُقعةٍ ما وراءنا، قبل الإلكة غالبًا. وأرسلَت الذِّئبين وحدهما على أمل أن نقتفي أثرهما»، ثم خاطبَ صيَّاديْه قائلًا: «لو أنكما تلاعبتما بي...».

قال جاريس بلهجةٍ دفاعيَّة: «لم يكن هناك سوى أثرٍ واحد يا سيِّدي، أقسمُ لك، ولا يُمكن أن الذِّئبين افترَقا عن الصَّبيَّين فترةً طويلَةً».

هذا صحيح. من الوارد أن سَمر وشاجيدوج ذهبا للصَّيد، وعاجلًا أو آجلًا سيعودان إلى بران وريكون. «جاريس، مورش، خُذا أربعة كلاب وعودا من حيث أتينا واعثُرا على المكان الذي فقدناهم فيه، وأنت يا آجار ستُراقِبهما، فلا أريدُ أيَّ خداع. أنا وفارلن سنتبع الذِّئبين. نفخة واحدة في البوق إذا وجدتم الأثر، ونفختان إذا لمحتما الذِّئبين نفسيهما. بمجرَّد أن يعرف أحدنا أين ذهبا، فسيقودانا إلى سيِّديهما».

أخذَ وِكس وصبيَّ فراي وجاينير ردنوز ليبحثوا عكس تيَّار الغدير، وركبَ مع وِكس على إحدى ضفَّتيه، بينما ركبَ ردنوز معٍ والدر فراي على الثَّانية، وكلٌّ منهم معه زوج من كلاب الصَّيد. محتمَل أن الذِّئبين خرجا من الماء إلى أيِّ الضفَّتين، وترصَّد ثيون الآثار كلها من أقدام حيواناتٍ وفروع مكسورة وأيِّ دلالةٍ على البُقعة التي غادرَ الذِّئبان الماء منها، ولمحَ آثارَ الغزلان والإلكة والغُرَيرات بسهولة، بينما باغتَ وِكس ثعلبةً تشرب من الغدير، ودفعَ والدر ثلاثة أرانب إلى الفرار من مكمنها وسط الشُّجيرات، وأصابَ أحدها بسهم، كما رأوا آثار المخالب حيث مزَّق دُبٌّ لحاء شجرة بَتولة[1]، ولكن لا أثر للذِّئبين الرَّهيبين.

قال ثيون لنفسه: لنتقدَّم أكثر قليلًا، بَعد هذه البلُّوطة، فوق هذا المرتفَع،

---

(1) شجرة رفيعة فارعة تنمو في الغابات الباردة، أوراقها قليلة وأزهارها ناعمة.



بَعد انعطافة الغدير التَّالية، سنجد شيئًا هناك. تقدَّم طويلًا بَعدما أدركَ أن عليه أن يعود أدراجه، وفي بطنه يلتهم إحساس بالجزع أحشاءه، وكان النَّهار قد انتصفَ بالفعل عندما أدارَ سمايلر بعُنفٍ شاعرًا بالامتعاض والاستسلام. بشكلٍ ما ضلَّلته أوشا والآخَرون، مع أن المفترَض ألا يكون ذلك ممكنًا وهُم يسيرون على الأقدام، يُثقِلهم صبيٌّ كسيح وطفلٌ صغير. كلُّ ساعةٍ تمرُّ ترفع من احتماليَّة نجاحهم في الفرار. إذا بلغوا قريةً... أهل الشَّمال لن يُغلِقوا أبوابهم في وجهي ابني ند ستارك وأخوي روب أبدًا، وسيمنحونهما خيولًا يُواصِلون بها فرارهم، وطعامًا كذلك، وسيتقاتَل الرِّجال على شَرف حمايتهما، وسيحتشد الشَّمال اللَّعين كله حولهما.

تمسَّك بفكرة أن الذِّئبين تحرَّكا مع تيَّار الغدير لا أكثر. ستشمُّ الكلبة الحمراء المكان الذي خرجا منه وسنُعاوِد اقتفاء أثرهما.

لكن حين انضمُّوا إلى مجموعة فارلن، حطَّمت نظرة واحدة إلى وجه قيِّم الوجار آمال ثيون إلى شظايا، وقال حانقًا: «هذه الكلاب لا تَصلُح إلَّا طُعمًا لاصطياد الدِّببة، وليتني كنتُ أملكُ دُبًّا».

ركعَ فارلن بين أحد الدِّرواسيْن وكلبته الحمراء واضعًا يدًا على كلٍّ منهما: «ليس هذا خطأ الكلاب. المياه الجارية لا تحتفظ بالرَّوائح يا سيِّدي».

- «لا بُدَّ أن الذِّئبين خرجا من مكانٍ ما في الغدير».

- «لا شَكَّ في هذا، في اتِّجاه التيَّار أو عكسه. سنُواصِل ونجد المكان، لكن في أيِّ جهةٍ نذهب؟».

قال ريك: «لم أعرف ذئبًا يجري أميالًا في مجرى غدير. قد يستطيع إنسان أن يفعلها إذا عرفَ أنه مطارَد، لكن ذئب؟».

لكن ثيون ظَلَّ يتساءَل. هذان ليسا كالذِّئاب الأخرى. كان ينبغي أن أسلُخ المخلوقين اللَّعينين.

خيبة الأمل نفسها تكرَّرت بحذافيرها حين انضمُّوا إلى جاريس ومورش وآجار. كان الصيَّادان قد عادا أدراجهما حتى منتصَف الطَّريق إلى وينترفل دون أن يجدا أيَّ شيءٍ يدلُّ على البُقعة التي افترقَ فيها صبيًّا ستارك عن



الذِّئبين، وبدَت كلاب فارلن محبَطةً كأسيادها، تتشمَّم الأشجار والصُّخور بتعاسةٍ وتتبادَل النِّباح العصبي.

لم يَجسُر ثيون على الاعتراف بالهزيمة، وقال: «سنعود إلى الغدير ونبحث ثانيةً، وهذه المرَّة سنمضي كما تدعو الحاجة».

قال صبيٌّ فراي فجأةً: «لن نَعثُر عليهما أبدًا ما دامَ آكلا الضَّفادع معهما. قوم الأوحال هؤلاء غادرون، ولا يُقاتِلون بشَرفٍ كالنَّاس الآخَرين، بل يكمنون لأعدائهم ويستخدمون سهامًا مسمومةً. لا تراهم أبدًا لكنهم يروك، ومَن يَدخُلون المستنقعات لمطارَدتهم لا يَخرُجون أبدًا. بيوتهم تتحرَّك! وحتي قلاعهم تتحرَّك!»، وجاسَ ببصره بتوتُّرٍ في الخُضرة التي أحاطَت بهم من كلِّ حدبٍ وصوب، وأردفَ: «قد يكونون هنا الآن، يُصغون لكلِّ ما نقوله».

ضَحِكَ فارلن معبِّرًا عن رأيه في الفكرة، وقال: «كانت كلابي لتشمَّ أيَّ شيءٍ متواريًا في هذه الأدغال، وتُهاجِمه قبل أن يرتدَّ إليك طرفك يا ولد».

قال فراي بإصرار: «رائحة آكلي الضَّفادع غير رائحة البَشر. إنها كالمياه الآسنة، خليط من روائح الضَّفادع والأشجار والمياه المنتِنة، وينمو الطُّحلب تحت آباطهم بدلًا من الشَّعر، ويستطيعون الحياة بلا طعام، ويتنفَّسون في مياه المستنقعات».

كان ثيون على وشك أن يقول له أين يَدُسُّ خرافة المرضِعات هذه، عندما رفعَ المِايستر لوين صوته قائلًا: «يقول التَّاريخ إن شعب المستنقعات كان قريبًا من أطفال الغابة حينما حاولَ الأنبياء الخُضر تحطيم «العُنق» بمطرقة المياه، فلعلَّهم يتمتَّعون بمعارف سرِّيَّة».

فجأةً بدَت الغابة أكثر حَلكةً مما كانت قبل لحظة، كأن سحابةً حجبَت وجه الشَّمس. طبيعيٌّ أن يتفوَّه صبيٌّ أحمق بالحماقات، لكن المِايسترات يتحلُّون بالحكمة.

قال ثيون: «بران وريكون هما كلُّ مَن يعنيني من أطفال. سنعود إلى الغدير، الآن».

مرَّت لحظة حسبَ خلالها أنهم لن يُطيعوا، لكن في النِّهاية وكَّدت العادات القديمة نفسها وتبعوه على مضض، وتحرَّك صبيٌّ فراي متوانبًا كالأرانب التي



وجدَها من قبل. وضعَ ثيون رجالًا على كلتا الضِّفتين وتحرَّكوا مع التيَّار، وقطَعوا أميالًا ببُطءٍ وحذر، يتوقَّفون ليقودوا الخيول عبر البقاع الغادرة، تاركين كلاب الصَّيد (التي لا تَصلُح إلَّا طُعمًا لاصطياد الدِّببة) تتشمَّم كلَّ دغل. سَدَّت شجرة ساقطة المجرى، فاضطرَّ الصيَّادون إلى الدَّوران حول بركةٍ خضراء، لكن إذا كان الذِّئبان الرَّهيبان قد فعلا مِثلهم، فإنهما لم يَترُكا أَدنى أثر، وبدا أن الحيوانين أحبَّا السِّباحة. يُمكنهما أن يسبحا كما أرادا عندما أمسكُ بهما، سأعطيهما للإله الغريق.

أدركَ ثيون جرايچوي هزيمته حين بدأ الظَّلام يُخَيِّم على الغابة. إمَّا أن صبيَّي الأوحال يُجيدان سِحر أطفال الغابة حقًّا، أو أن أوشا خدعَتهم بحيلةٍ ما من حيل الهَمج. جعلَ رجاله يُواصِلون البحث والغَسق يزحف على السَّماء، لكن حين خبا الضَّوء الأخير، استجمعَ چوزث شَجاعته ليقول: «لا طائل يا سيِّدي. سيُصاب حصان أو يكسر أحدنا ساقه».

قال المِايستر لوين: «چوزث على حَق. البحث في الغابة على ضوء المشاعل لن يُثمِر شيئًا».

أحسَّ ثيون بغصَّةٍ في حَلقه، وفي بطنه كانت عشرات الأفاعي تسعى، تلتفُّ حول بعضها بعضًا وتفحُّ. إذا عادَ إلى وينترفل خاوي الوفاض، فحريٌّ به أن يرتدي ثياب المهرِّجين وقُبَّعةً مدبَّبةً من الآن فصاعدًا، فسيصفه الشَّمال كله بأنه مهرِّج. وحين يعرف أبي، وآشا...

حَثَّ ريك حصانه على التقدُّم قائلًا: «يا سموَّ الأمير، ربما لم يَسلُك صبيَّا ستارك هذا الطَّريق أصلًا. لو كنتُ مكانهما لاتَّجهت شَمالًا، وشَرقًا ربما، إلى حيث آل أومبر. إنهم رجال ستارك المخلصون، لكن أراضيهم بعيدة، لذا سيختبئ الصبيَّان في مكانٍ أقرب، وأظنُّ أني أعرفُ أين».

رمقَه ثيون بشَكٍّ قائلًا: «أخبِرني».

- «أتعرف تلك الطَّاحونة القديمة التي ترتفع وحيدةً عند نهر البلُّوط؟ لقد توقَّفنا هناك حين جرُّوني مأسورًا إلى وينترفل، وباعَتنا زوجة الطحَّان تبنًا للخيول، بينما أبدى ذلك الفارس العجوز إعجابه بابنيها. قد يكون صبيَّا ستارك مختبئيْن هناك».



يعرف ثيون تلك الطَّاحونة، بل وضاجعَ زوجة الطحَّان مرَّةً أو اثنتين كذلك، ولم يجد شيئًا يُمَيِّز المكان أو المرأة. «لماذا هناك بالتَّحديد؟ ثمَّة قُرى ومعاقل عدَّة تَبعُد المسافة نفسها».

التمعَ الاستمتاع على تلكما الشَّفتين الشَّاحبتين وصاحِبهما يقول: «لماذا؟ مَن يدري؟ لكن شعورًا يُراوِدني بأنهما هناك».

كان قد بدأ يملُّ إجابات الرَّجل الخبيثة الغامضة. شفتاه تبدوان كدودتين تتضاجَعان! «ماذا تعني؟ لو أنك تحجب شيئًا عني...».

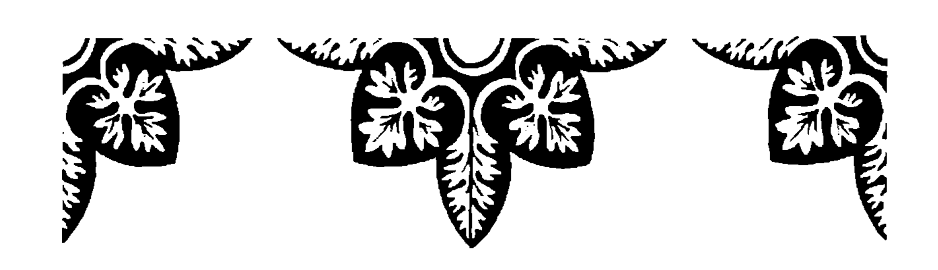
قال ريك مترجِّلًا ومشيرًا إلى ثيون ليحذو حذوه: «سيِّدي الأمير»، ولمَّا وقفا متجاورِيْن، فتحَ الصُّرَّة التي أخذَها من وينترفل قائلًا: «ألقِ نظرةً».

جعلَ الظَّلام الرُّؤية عسيرةً، فدَسَّ ثيون يده في الصُّرَّة بصبرٍ نافد، وشعرَ بملمس الفرو النَّاعم والصُّوف الخشن، ووخزَ شيء مدبَّب حاد جِلده، ثم أطبقَت يده على شيءٍ صُلبٍ بارد، وأخرجَ المشبك ذو شكل رأس الذِّئب المصنوع من الفضَّة والكهرمان الأسود. أتاه الفهم فجأةً، فضَمَّ قبضته وقال متسائلًا في قرارة نفسه عمَّن يستطيع الثِّقة به (لا أحد): «جلمار، آجار، ردنوز، ستأتون معنا، وليرجع بقيَّتكم إلى وينترفل مع الكلاب، فلم أعد أحتاجها. لقد عرفتُ أين يختبئ بران وريكون».

قال المِايستر لوين باستجداء: «مولاي الأمير ثيون، هل ستتذكَّر وعدك؟ قلت إنك سترحمهم».

رَدَّ ثيون: «الرَّحمة كانت نهارًا». خيرٌ لي أن يخافني النَّاس من أن يسخروا مني. «قبل أن يُغضِبوني».





چون

كانوا يرون النَّار تتوهَّج على جانب الجبل في ظلام اللَّيل كنجم هوى، تتَّقد بحُمرةٍ أكثر من النُّجوم الأخرى لكن لا تتلألأ، تارةً تتأجَّج وتارَةً تخبو فتُصبِح مجرَّد شرارةٍ بعيدة.

فكَّر چون مقدِّرًا المسافة: على بُعد نصف ميلٍ أمامنا وارتفاع ألفيٍّ قدم، وفي مكانٍ مثالي لرؤية أيِّ شيءٍ يتحرَّك في الممرِّ في الأسفل.

تساءلَ أكبرهم سِنًّا متعجِّبًا: «نواطير على «الممر الصَّادح»؟». في ريعان شبابه كان مُرافِقًا لملك، فظَلَّ الإخوة السُّود يدعونه بالمُرافِق دالبريدچ. «ما الذي يخشاه مانس رايدر يا تُرى؟».

قال إبن، الرَّجل الأصلع المكتنز مفتول العضلات كجوالٍ مليء بالصُّخور: «سيَسلُخ مانس هؤلاء الأوغاد المساكين إذا عرفَ أنهم أشعَلوا نارًا».

رَدَّ كورين ذو النِّصف يد: «النَّار تعني الحياة هنا، لكن يُمكنها أن تعني الموت أيضًا». بأمرٍ منه لم يُخاطِروا بإشعال لهبٍ مكشوف إطلاقًا منذ دخَلوا الجبال، فأكلوا اللَّحم المملَّح البارد والخُبز الجامد والجبن الأكثر جمودًا، وناموا بثيابهم متجاورين تحت كومةٍ من المعاطف والأغطية الفرو، ممتنِّين للدِّفء الذي يبثُّه كلٌّ منهم في الآخَر. تذكَّر چون اللَّيالي الباردة في وينترفل منذ زمنٍ بعيد، حين كان يتقاسَم الفِراش مع إخوته. هؤلاء الرِّجال إخوته أيضًا، مع فارق أن الفِراش الذي يتقاسَمونه حجرٌ وثرَى.

قال ثعبان الحجر: «لا بُدَّ أن معهم بوقًا».

أضافَ ذو النِّصف يد: «بوقًا لا يجب أن يَنفُخوا فيه أبدًا».



قال إبن رامقًا الشَّرارة البعيدة من خلال صدع في الصُّخور التي تقبهم: «صعود طويل وقاسٍ ليلًا». كانت السَّماء خاليَةً من السُّحب، والجبال المضرَّسة ترتفع أسودَ على أسود حتى أعلى الذُّرى الباردة، حيث يلتمع الثَّلج والجليد اللذان يُتَوِّجانها بشحوب في نور القمر.

قال كورين ذو النِّصف يد: «وسقطة أطول. نحتاج رجلين على ما أظنُّ، فغالبًا هناك رجلان يتبادَلان المُراقبة».

- «أنا». لقد أثبتَ الجوَّال الملقَّب بثعبان الحجر أنه أبرعهم في التسلُّق، فلا مناص من أن يكون من هذين الرَّجلين.

قال چون سنو: «وأنا».

التفتَ كورين إليه. كان چون يسمع الرِّيح تصفر بصوتٍ راجفٍ في الممرِّ العالي فوقهم، وصهلَ أحد الخيول وأخذَ ينبش التُّربة الحجريَّة الرَّقيقة للتَّجويف الذي يحتمون به. قال كورين: «سيبقى الذِّئب معنا، فمن السَّهل رؤية الفرو الأبيض في نور القمر»، ثم خاطبَ ثعبان الحجر قائلًا: «عندما ينتهي الأمر، ألقِ شُعلةً وسنأتي حين نراها».

قال ثعبان الحجر: «لا وقت أفضل من الآن للبدء».

أخذَ كلٌّ منهما لفَّةً طويلةً من الحبال، وأخذَ ثعبان الحجر كيسًا مليئًا بالأوتاد الحديديَّة، بالإضافة إلى مطرقةٍ صغيرة رأسها مغلَّف بطبقةٍ سميكةٍ من اللِّباد، بينما تركا حصانيهما وخوذتيهما وقميصيهما المعدنيَّين... وجوست. ركعَ چون إلى جوار الذِّئب الرَّهيب وتركَه يُمَرِّغ خَطمه في وجهه قبل أن يتحرَّك قائلًا له بنبرةٍ آمرة: «ابقَ هنا. سأعودُ لك».

تولَّى ثعبان الحجر القيادة. كان رجلًا ناحلًا قصير القامة، يدنو من الخمسين وأشيب اللِّحية، لكن أقوى مما يبدو، وبصره أحدُّ في الرُّؤية اللَّيلية من أيِّ رجلٍ عرفَه چون في حياته. إنه يحتاج هاتين العينين اللَّيلة، فنهارًا تلوح الجبال خضراء مائلةً إلى الأزرق وينتشر عليها الصَّقيع، لكن بمجرَّد أن تغيب الشَّمس وراء القمم المضرَّسة تصير الجبال سوداء تمامًا، والآن يُخَطِّط القمر الطَّالع حدودها بالأبيض والفضِّي.

تحرَّك الأخوان الأسودان عبر الظِّلال السَّوداء وسط الصُّخور السُّود،



يصعدان دربًا منحدِرًا متعرِّجًا وتتجمَّد أنفاسهما في الهواء الأسود، بينما يَشعُر چون بأنه شِبه عارٍ دون قميصه المعدني، مع أنه لم يفتقد وزنه الثَّقيل. إنها رحلة صعبة وبطيئة، والعجلة معناها المخاطرة بأن يُكسَر له كاحل أو أسوأ. بدا أن ثعبان الحجر يعرف أين يضع قدميه بالضَّبط بشكلٍ غريزي، أمَّا چون فتقدَّم متوخِّيًا الحذر على الأرض غير المستوية.

«الممر الصَّادح» في حقيقة الأمر سلسلة من الممرَّات، مجاز طويل ملتفٌّ يصعد دائرًا حول متتاليةٍ من القمم الجليديَّة التي شكَّلتها الرِّيح، وينزل مخترقًا وديانًا خفيَّةً نادرًا ما ترى الشَّمس. باستثناء رفاقه، لم يلمح چون إنسانًا حيًّا منذ تركوا الغابة وبدأوا طريقهم الصَّاعد بين الجبال، فـ«أنياب الصَّقيع» هذه من أقسى البقاع التي خلقَتها الآلهة على الإطلاق وأكثرها وحشةً، وبطبيعتها معادية للبَشر. هنا تقطع الرِّيح كسكِّينٍ ماضٍ، ويرتفع صراخها ليلًا كأمٍّ تندب أطفالها المذبوحين، والأشجار القليلة التي رأوها ناقصة النموِّ وتبدو كمخلوقاتٍ مشوَّهة غريبة تنمو بانحرافٍ من الصُّدوع والشُّقوق، وفي مناطق عدَّة تحتجب سماء الدَّرب وراء جلاميد الصَّخر السَّاقطة، التي تتدلَّى منها كُتل الجليد المدبَّبة باديةً من بعيدٍ كالأسنان الطَّويلة الحادَّة.

وعلى الرغم من كلِّ هذا لم يَشعُر چون سنو بالنَّدم لمجيئه، فثمَّة عجائب ها هنا أيضًا، وقد رأى نور الشَّمس يتألَّق على شلَّالاتٍ جليديَّةٍ تنهمر على جروفٍ حجريَّةٍ عموديَّة، ومرجًا جبليًّا مليئًا بالزُّهور البرِّيَّة، من القرون الباردة الزَّرقاء، إلى ورد الصَّقيع النَّاري القرمزي، إلى حشيشة الزمَّار بلونيها الخمري والذَّهبي[1]، وتطلَّع إلى أسفل عبر وُهدانٍ بالغة العُمق والسَّواد لدرجة جعلَته موقنًا من أن قرارها جحيم ما، وقطعَ بحصانه جسرًا من الحجر الطَّبيعي المتآكل بفعل الرِّيح، حيث لا شيء على هذا الجانب أو ذاك غير السَّماء. هناك تَسكُن النُّسور أوكارها في الأعالي وتهبط لتصطاد في الوديان، تدور بكلِّ بساطةٍ بأجنحتها الرَّماديَّة المزرَّقة فتبدو جزءًا من السَّماء، وفي مرَّةٍ رأى

(1) كلها نباتات من خيال المؤلِّف.



قِطَّ ظِلٍّ يتتبَّع كبشًا، يتحرَّك برشاقةٍ على جانب الجبل كأنه مخلوق من دُخانٍ سائل إلى أن استعدَّ للانقضاض.

والآن حانَ الوقت لأن ننقضَّ نحن. تمنَّى لو أنه يستطيع أن يتحرَّك بثقة وصمت قِطِّ الظِّلِّ هذا، وأن يَقتُل بسُرعته. سيفه «المخلب الطَّويل» مدسوس في غِمده على ظَهره، لكنه قد لا يجد مساحةً تسمح باستخدامه، ولهذا حملَ خنجرًا وسكِّينًا من أجل المواجَهات في الأماكن الضيِّقة. سيكونان مسلَّحين أيضًا، وأنا لا أرتدي المعدن. تساءلَ مَن سيَثبُت أنه قِطُّ الظِّلِّ في آخِر اللَّيل ومَن الكبش.

التزَما بالدَّرب مسافةً طويلةً واتَّبعا منحنياته ومنعطفاته الثُّعبانيَّة الصَّاعدة -الصَّاعدة دائمًا- على جانب الجبل، وأحيانًا كان الجبل ينطوي على نفسه فتغيب النَّار عن أعيُنهما، لكنها تُعاوِد الظُّهور عاجلًا أو آجلًا. لم يكن الطَّريق الذي اختارَه ثعبان الحجر ليَصلُح للخيول على الإطلاق، ففي بضعة أماكن اضطرَّ چونِ لأن يضغط ظَهره على الحجر البارد ويمضي بوصةً بوصةً بحركةٍ جانبيَّة كسرطان البحر، وحتى حين يتَّسع الدَّرب فإنه يظلُّ خدَّاعًا، هنا وهناك صدوع واسعة بما يكفي لابتلاع ساق رجل، وكُسارة صخور يُمكن التعثُّر فيها، وبقاع مجوَّفة يتجمَّع فيها الماء نهارًا ويتجمَّد تمامًا ليلًا. خطوة ثم الأخرى، خطوة ثم الأخرى ولن أسقط.

لم يكن قد حلقَ منذ غادرَ «قبضة البَشر الأوائل»، وسرعان ما تيبَّس الشَّعر فوق شفته بفعل الصَّقيع، وبَعد ساعتين من التسلُّق كانت الرِّياح تضرب بعُنف شديد تطلَّب منه قوَّته كلها كي ينحني ويتشبَّث بالصُّخور، بينما يُصَلِّي ألَّا تُطَيِّره هبَّة عنيفة من فوق الجبل، ثم إنه تابعَ طريقه بَعدما خفَّت الرِّيح بعض الشَّيء وذكَّر نفسه: خطوة ثم الأخرى، خطوة ثم الأخرى ولن أسقط.

كانا قد بلغا ارتفاعًا شاهقًا يجعل النَّظر إلى أسفل فكرةً غير مستحبَّة إطلاقًا، فلا شيء في الأسفل غير سوادٍ يَفغُر فاه، ولا شيء في الأعلى غير القمر والنُّجوم. قبل أيام أثناء تسلُّقٍ أسهل قال له ثعبان الحجر: «الجبل أمُّك، تمسَّك به واضغط وجهك في ثديَيه ولن يُسقطك»، فرَدَّ چون مازحًا بأنه تساءلَ طيلة عُمره عمَّن تكون أمُّه، لكنه لم يتوقَّع قَطُّ أن يجدها في «أنياب



الصَّقيع»، أمَّا الآن فلا تبدو له الفكرة بتلك الطَّرافة، وتشبَّث أكثر فأكثر مردِّدًا: خطوة ثم الأخرى.

بلغَ الدَّرب الضيِّق نهايته فجأةً عند جلمودٍ هائل الحجم من الجرانيت الأسود ينبثق من جانب الجبل، وبدا ظِلُّه بَعد نور القمر شديد السَّواد كأنك تخطو داخل كهف. قال الجوَّال بصوتٍ خفيض: «إلى أعلى مباشرةً من هنا. نريد أن نرتفع فوقهم»، وخلعَ قُفَّازيه ودسَّهما في حزامه، ثم ربطَ طرف الحبل حول خصره والطَّرف الآخَر حول چون قائلًا: «اتبعني حين يصير الحبل مشدودًا»، ولم ينتظر الجوَّال جوابًا، بل بدأ يتسلَّق في الحال، يتحرَّك صاعدًا بيديه وقدميه بسرعةٍ لم يُصَدِّقها چون، وبدأ الحبل الطَّويل ينحلُّ ببُطء، بينما راقبَ چون الجوَّال بإمعانٍ مدوِّنًا في عقله طريقة تحرُّكه والمناطق الثَّابتة التي تعلَّق بها في صعوده، وحين انحلَّت آخِر لفَّةٍ من الحبل، خلعَ قُفَّازيه بدوره وبدأ يصعد بسرعةٍ أبطأ كثيرًا.

كان ثعبان الحجر قد ربطَ الحبلَ حول بروزٍ أملس في الصَّخرة التي ينتظر عليها، وبمجرَّد أن لحقَ به چون عادَ يُحَرِّر الحبل ويستأنف الصُّعود. هذه المرَّة لم يكن هناك شِقٌّ مناسب عند نهاية طول الحبل، فأخرجَ مطرقته المغلَّف رأسها باللِّباد، وفي عُمق شِقٍّ صغيرٍ في الحجر أغمدَ وتدًا بعدَّة طَرقاتٍ خفيفة، لكن على الرغم من خفوت صوت الدقَّات، فقد تردَّد صداها على الأحجار المحيطة بدويٍّ شديد، حتى إن چون جفلَ مع كلِّ طَرقةٍ موقنًا من أن الهمجيَّين سمعاها أيضًا. حين ثبتَ الوتد، ثبَّت ثعبان الحجر الحبل عليه وتحرَّك إلى أعلى، فبدأ چون يتبعه. ارضع من ثدي الجبل، لا تَنظُر إلى أسفل، ارفع ثِقلك عن قدميك، لا تَنظُر إلى أسفل، انظُر إلى الصَّخرة التي أمامك، ثمَّة دعامة مناسبة، نعم، فلا تَنظُر إلى أسفل، يُمكنني أن ألتقط أنفاسي على هذا الإفريز هناك، عليَّ فقط أن أبلغه، لكن لا تَنظُر إلى أسفل أبدًا.

انزلقَت قدمه مرَّةً حين وضعَ ثِقله عليها فتوقَّف قلبه في صدره، لكن الآلهة كانت رحيمةً ولم يَسقُط، وإن شعرَ بالبرد ينضح من الصَّخر ويتخلَّل أصابعه، لكنه لم يجرؤ على ارتداء قُفَّازيه، فالقُفَّازات تنزلق مهما بدَت محكمةً على اليد، والقُماش والفرو يتحرَّكان بين الجِلد والحجر، الشَّيء الكفيل بقتله



في مكانٍ كهذا. أحسَّ بيده المحروقة تتيبَّس، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن توجِعه، ثم إنه جرحَ إبهامه بشكلٍ ما، وأينما وضعَ يده ترَكَ بُقعًا من الدَّم. تمنَّى أن يظلَّ محتفظًا بأصابعه كلها حين ينتهي من التسلُّق.

صعدا وصعدا وصعدا كظِلَّين أسودين يزحفان على الحائط الصَّخري في نور القمر. يستطيع أيُّ أحدٍ في قاع الممرِّ أن يراهما بسهولة، لكن الجبل أخفاهما عن أنظار الهمجيَّين السَّاهريْن عند نارهما، وراودَ چون إحساس قوي بأنهما اقتربا، وعلى الرغم من ذلك لم ينشغل باله بالعدوَّين الغافليْن اللذين ينتظرانه، بل ذهبَ تفكيره إلى أخيه في وينترفل. لكم أحبَّ بران التسلُّق. ليتني أملكُ عُشر شَجاعته.

بَعد الثُّلث الثَّاني من الطَّريق إلى أعلى، يشقُّ الحائط الصَّخري نتوء من الحجر المكسوِّ بالجليد، فمَدَّ ثعبان الحجر يده ليُساعِده على الصُّعود، وكان قد عادَ يرتدي قُفَّازيه فحذا چون حذوه، ثم أشارَ الجوَّال برأسه يسارًا، وزحفَ الاثنان فوق النُّتوء نحو ثلاثمئة ياردة أو أكثر، إلى أن رأيا الوهج البرتقاليَّ الباهت وراء شفير الجُرف.

كان الهمجيَّين قد أشعلا نارهما في منخفَضٍ غير عميق فوق أضيق بقاع الممر، حيث هوَّة عميقة أسفلهما وصخرة وراءهما تقيهما من الرِّيح لدرجةٍ كبيرة، لكن حاجر الرِّيح هذا بالتَّحديد هو ما سمحَ للأخوين الأسودين بالزَّحف على بطنيهما حتى أصبحا على بُعد أقدام معدودة منهما، والآن يتطلَّعان من أعلى إلى الرَّجلين اللذين عليهما قتلهماً.

الأول كان نائمًا، متكوِّرًا على نفسه ومدفونًا تحت كومةٍ من الجلود، فلم يرَ چون منه شيئًا غير شَعره الأحمر اللَّامع في نور النَّار، بينما جلسَ الثَّاني بالقُرب من اللَّهب، يُطعِمه غُصيناتٍ وفروعًا ويُعرِب عن تذمُّره من الرِّيح بنبرةٍ نَكِدة... أمَّا الثَّالث فكان يُراقِب الممر، على الرغم من أن لا شيء يُرى هنالك غير فراغ مظلم هائل تُحيط به مناكب الجبال المغمورة بالثَّلج.

كان الثَّالث يحمل البوق.

شعرَ چون بالحيرة لحظةً. ثلاثة. المفترَض أن يكون هناك اثنان فقط. على أن أحدهم نائم، وسواء أكان هناك اثنان أم ثلاثة أو عشرون، فما زال عليه



أن يفعل ما أتى ليفعله. مَسَّ ثعبان الحجر ذراعه وأشارَ إلى الهمجي حامل البوق، وأومأَ چون نحو الجالس عند النَّار، شاعرًا بغرابة أن يختار رجلًا يَقتُله. لقد أمضى نِصف حياته حاملًا السَّيف والتُّرس، يتمرَّن من أجل هذه اللَّحظة. تساءلَ: أهذا ما شعرَ به روب قبل معركته الأولى؟ لكن لم يكن هناك وقت للتأمُّل في السُّؤال. تحرَّك ثعبان الحجر بالسُّرعة اللَّائقة باسمه، ووثبَ على الهَمج وسط شلَّالٍ من الحصى، فاستلَّ چون مخلبه الطَّويل من غِمده وتبعَه.

بدا كأن كلَّ شيءٍ حدثَ في لحظةٍ واحدة، وفيما بَعد شعرَ چون بالإعجاب بشَجاعة الهمجي الذي مَدَّ يده إلى بوقه لا سلاحه ورفعَه إلى فمه، لكن قبل أن يستطيع النَّفخ فيه أطاحَ به ثعبان الحجر من يده بضربةٍ من سيفه القصير، بينما انتفضَ هدف چون ناهضًا يدفع شُعلةً في وجهه، فشعرَ بحرارة اللَّهب وهو يتفاداها. برُكن عينه لمحَ النَّائم يتحرَّك، فأدركَ أن عليه الإجهاز على هدفه سريعًا، ولمَّا دفعَ الرَّجل الشُّعلة ثانيةً، انقضَّ چون ملوِّحًا بسيفه النَّغل بكلتا يديه، وشَقَّ الفولاذ الڤاليري الجِلد والفرو والصُّوف واللَّحم، لكن الهمجي سقطَ بعُنفٍ انتزعَ السَّيف المغروس في لحمه من قبضة چون، وعلى الأرض اعتدلَ النَّائم تحت الأغطية، فاستلَّ چون خنجره وأطبقَ على شَعر الرَّجل ووضعَ رأس الخنجر تحت ذقنه إذ مَدَّ يده... لا، إذ مدَّت يدها...

تجمَّدت يده وتمتمَ: «إنها فتاة».

قال ثعبان الحجر: «إنها ناطورة همجيَّة، اقضِ عليها».

رأى چون الخوف والنَّار في عينيها، وقد سالَ الدَّم على عُنقها الأبيض حيث وخزَها رأس خنجره، وقال لنفسه: ضربة واحدة وينتهي الأمر. كان قريبًا منها للغايةِ حتى إنه شَمَّ رائحة البصل في أنفاسها. إنها في سِنِّي. شيء ما فيها جعلَه يُفكِّر في آريا، مع أن لا تشابُه بين الاثنتين على الإطلاق. قال لها مدوِّرًا الخنجر نِصف دورة: «هل تستسلمين؟». وإذا لم تفعل؟

ردَّت والبُخار يَخرُج مع أنفاسها في الهواء البارد: «أستسلمُ».

قال: «أنتِ أسيرتنا إذن»، وأبعدَ الخنجر عن جِلد عُنقها النَّاعم.

بادرَه ثعبان الحجر: «لم يَقُل كورين شيئًا عن أخذ أسرى».



قال چون: «ولم يَقُل ألَّا نأخذ أسرى»، وتخلَّى عن شَعر الفتاة، فتراجعَت مبتعدةً عنهما.

أشارَ ثعبان الحجر إلى الفأس طويلة المقبض المستقرَّة إلى جوار الأغطية: «إنها من الزَّوجات الحِراب[1]»، وكانت تمدُّ يدها إلى هذه الفأس حين أمسكتها. امنحها نِصف فُرصة وستدفنها بين عينيك».

قال چون: «لن أمنحها نِصف فُرصة»، وركلَ الفأس بعيدًا عن متناوَل الفتاة، وسألَها: «ما اسمكِ؟».

أجابَت: «إيجريت»، وفركَت حَلقها بيدها فلوَّثها الدَّم، وحدَّقت الفتاة في البلل الأحمر.

دَسَّ خنجره في غِمده وانتزعَ «المخلب الطَّويل» من جثَّة الرَّجل الذي قتلَه، وقال: «أنتِ أسيرتي يا إيجريت».

- «لقد أخبرتك باسمي».

- «أنا چون سنو».

جفلَت قائلةً: «اسم شرِّير».

- «اسم نغل. كان أبي اللورد إدارد ستارك سيِّد وينترفل».

تابعَته الفتاة بعينيها بحذر، بينما ضحكَ ثعبان الحجر بتهكُّم قائلًا: «المفترَض أن يُدلي الأسير لا الآسِر بما لديه»، وألقى فرع شجرةٍ طَويلًا في النَّار متابعًا: «مع أنها لن تفعل. عرفتُ همجًا يُفَضِّلون أن يقضموا ألسنتهم بأسنانهم على أن يُجيبوا سؤالًا واحدًا». حين تأجَّج طرف الفرع، تراجعَ الجوَّال خطوتين وألقاه في الممر، فسقطَ دائرًا في هواء اللَّيل حتى غابَ عن الأنظار.

قالت إيجريت: «عليكما أن تُحرقا مَن قتلتما».

قال ثعبان الحجر: «نحتاج نارًا أكبر كي نفعل ذلك، والنَّار الكبيرة تتوهَّج بشدَّة»، والتفتَ مجيلًا النَّظر بعيدًا بحثًا عن أيِّ بصيص ضوء، وسألَها: «هناك همج آخَرون قريبون، أليس كذلك؟».

---

(1) ما يُطلَق على النِّساء المحاربات من الهَمج.



ردَّدت الفتاة بإصرار: «أحرِقاهما خشية أن تضطرَّا لاستخدام السِّلاح ثانيةً».

تذكَّر چون أوثور الميت ويديه الباردتين السَّوداوين، فقال: «ربما علينا أن نفعل كما تقول».

قال ثعبان الحجر: «ثمَّة طرائق أخرى»، وركعَ إلى جوار الرَّجل الذي قتلَه، وجرَّده من معطفه وحذائه وحزامه وسُترته، ثم رفعَ الجثَّة على كتفه وحملَها إلى الحافة، وأطلقَ أنينًا بينما ألقاها من علٍ، وبَعد لحظاتٍ سمعوا ارتطامًا ثقيلًا على مسافةٍ بعيدة أسفلهم، وعندئذٍ كان الجوَّال قد جرَّد الجثَّة الثَّانية من ثيابها كلها ويَجُرَّها من ذراعيها، فرفعَ چون القدمين، ومعًا ألقيا بالرَّجل الميت إلى سواد اللَّيل.

راقبَتهما إيجريت ولم تُعَلِّق، وأدركَ چون أنها أكبر مما حسبَ في البداية، في العشرين ربما، ولكن قصيرة القامة بالنِّسبة لسِنِّها، مقوَّسة السَّاقين وذات وجهٍ مستدير ويدين صغيرتين وأنف أفطس، بينما ينسدل شَعرها الأحمر الأشعث في كلِّ اتِّجاهٍ بلا انتظام. بدَت ممتلئة القوام وهي قابعة في مكانها، لكن معظم هذا فرو وصوف وجِلد، وقد تكون بنحول آريا تحت كلِّ هذه الطَّبقات.

سألَها چون: «هل أُرسِلتم لترصُّد ظهورنا؟».

- «أنتم وغيركم».

قال ثعبان الحجر وهو يُدفئ يديه فوق النَّار: «ما الذي ينتظر وراء الممر؟».

- «شعب الأحرار».

- «كم؟».

- «مئات وآلاف، أكثر مما رأيت في حياتك كلها أيها الغُراب»، وابتسمَت إيجريت كاشفةً أسنانًا معوجَّةً وإنما ناصعة البياض.

إنها تجهل العدد. «لماذا أتيتم إلى هنا؟».

ولاذَت إيجريت بالصَّمت.

- «عمَّ يبحث ملككم في «أنياب الصَّقيع»؟ لا يُمكنكم البقاء هنا، فلا يوجد طعام».

وأشاحَت بوجهها عنه.



- «هل تعتزمون الزَّحف إلى «الجِدار»؟ متى؟».

وحدَّقت في اللَّهب كأنها لا تسمعه.

- «هل تعرفين أيَّ شيءٍ عن عمِّي بنچن ستارك؟».

تجاهلَته إيجريت، وضحكَ ثعبان الحجر قائلًا: «إذا بصقَت لسانها، فلا تَقُل إني لم أحذِّرك».

تردَّد صدى زمجرةٍ خفيضة على الصَّخر، فقال چون لنفسه مدركًا مصدرها في الحال: قِطُّ ظِل، وسمعَ زمجرةً أخرى أقرب إذ نهضَ، فسحبَ سيفه ودارَ مرهفًا السَّمع.

قالت إيجريت: «لن تُزعِجنا قِطط الظِّل. إنها تَنشُد الموتى. هذه القِطط تستطيع أن تشمَّ الدَّم من بُعد ستَّة أميال، وستظلُّ بالقُرب من الجثَّتين حتى تلتهم آخِر نُتفة لحم وتكسر العظام لتشرب النُّخاع».

سمعَ چون أصوات الافتراس تتردَّد بين الصُّخور لتُشعِره بالتوتُّر، وجعلَه دفء النَّار يُدرِك كم هو منهَك، لكنه لم يجرؤ على النَّوم. إن لديه أسيرةً، وواجبه أن يَحرُسها. سألَها: «أكانا يَقرُبان لكِ؟ أعني الرَّجلين اللذين قتلناهما».

- «لم يكونا أقرب منك».

قال عاقدًا حاجبيه: «أنا؟ ماذا تعنين؟».

- «قلت إنك نغل وينترفل».

- «أجل».

- «مَن كانت أمُّك؟».

- «امرأة ما. معظمهن كذلك». أحدهم قال له هذه الكلمات ذات مرَّة، لكنه لا يَذكُر مَن.

عادَت تبتسم لتومض أسنانها البيضاء، وقالت: «ولم تُغَنِّ لك أغنيَّة وردة الشِّتاء قَطُّ؟».

- «لم أعرف أمِّي، ولا تلك الأغنيَّة».

قالت إيجريت: «بايل الشَّاعر ألَّفها. كان ملك ما وراء الجِدار قبل زمنٍ بعيد، وشعب الأحرار كله يعرف أغانيه، لكن لعلَّكم لا تُغَنُّونها في الجَنوب».



قال معترضًا: «وينترفل ليست في الجَنوب».

- «بل هي كذلك. كلُّ شيءٍ وراء هذا الجانب من «الجِدار» يقع في الجَنوب».

لم يكن قد فكَّر في المسألة بهذه الطَّريقة من قبل، فقال: «أعتقدُ أن كلَّ شيءٍ يعتمد على موقعِ المرء منه».

أيَّدته إيجريت قائلةً: «نعم، هكذا الأمر دائمًا».

استحثَّها قائلًا: «أخبِريني، أريدُ أن أسمع تلك الحكاية». ما زالت ساعات تفصله عن وصول كورين، وسيُساعِده الحكي على أن يبقى مستيقظًا.

- «ربما لا تروقك كثيرًا».

- «سأسمعها على كلِّ حال».

قالت ساخرةً: «غُراب أسود شُجاع. طيِّب، قبل أن يكون ملكًا على شعب الأحرار بزمن، كان بايل مُغيرًا عظيمًا».

أطلقَ ثعبان الحجر نخيرًا، وقال: «تقصدين أنه كان قاتلًا ولِصًّا ومغتصبًا».

قالت إيجريت: «هذا أيضًا يعتمد على موقعك. تقول الحكاية إن ابن ستارك في وينترفل أرادَ رأس بايل، لكنه لم يستطِع الإيقاع به قَطُّ، فملأَه مذاق الفشل مرارةً، وفي يوم من فرط الحقد نعتَ بايل بالجبان الذي يفتري على الضُّعفاء فحسب، وحينَ بلغَ الكلام بايل، أقسمَ أنه سيُلَقِّن اللورد درسًا، وهكذا تسلَّق «الجِدار» ونزلَ على طريق الملوك، وذات ليلة شتاءٍ دخلَ وينترفل حاملًا قيثارةً ومسمِّيًا نفسه سيجريك السكاجوسي. «سيجريك» تعني «المخادع» في اللُّغة القديمة التي تكلَّمها البَشر الأوائل وما زال العمالقة يتكلَّمونها. في الشَّمال أو الجَنوب يُقابَل المغنُّون بالتَّرحاب، فأكلَ بايل على مائدة اللورد ستارك، وعزفَ له وهو جالس على مقعده العالي حتى انقضى نِصف اللَّيل، عزفَ الأغاني القديمة وتلك الجديدة التي ألَّفها بنفسه، وقد كانت ألحانه ونبرته شديدة العذوبة، حتى إن اللورد عرضَ عليه حين انتهى أن يُقَرِّر المكافأة التي يُريدها بنفسه، فأجابَ بايل: «كلُّ ما أريده زهرة، أجمل زهرة متفتِّحة في حدائق وينترفل». في ذلك الحين كانت ورود الشِّتاء قد تفتَّحت بالفعل، ولا زهرة في العالم أندر أو أثمن منها، فأرسلَ ستارك إلى



الصُّوبة الزُّجاجيَّة آمرًا بأن تُقطَف أجمل ورود الشِّتاء وتُدفَع أجرًا للمغنِّي، وقد كان، لكن عندما طلعَ النَّهار، كان المغنِّي قد اختفى... وكذلك ابنة اللورد براندون العذراء. وجدوا فِراشها خاليًا إلَّا من الوردة الزَّرقاء الشَّاحبة التي تركَها بايل على الوسادة حيث كانت الفتاة تضع رأسها».

لم يكن چون قد سمعَ تلك الحكاية من قبل، فتساءلَ: «أيُّ براندون هذا؟ براندون البنَّاء عاشَ في عصر الأبطال قبل آلاف السِّنين من بايل، وكان هناك براندون الحارق وأبوه براندون السفَّان، لكن...».

قاطعَته إيجريت بحدَّة: «إنه براندون سليب الابنة. هل تُريد أن تسمع الحكاية أم لا؟».

قال مقطِّبًا وجهه: «أكمِلي».

- «لم يكن للورد براندون أولاد غيرها، ونيابةً عنه حلَّق الغِربان السُّود من قلاعهم بالمئات، لكنهم لم يجدوا أثرًا لبايل والفتاة في أيِّ مكان، وظلُّوا يبحثون زهاء عامٍ، إلى أن فقدَ اللورد الأمل وأوى إلى فِراشه مستسلمًا، وبدا أن سُلالة ستارك قد انتهَت، لكن ذات ليلةٍ وقد تمدَّد منتظرًا أن يجيئه الموت، سمعَ اللورد براندون بكاء طفل، فتتبَّع الصوت ووجدَ ابنته في غُرفة نومها نائمةً وعلى صدرها رضيع».

- «بايل أعادَها؟».

- «لا، كان الاثنان في وينترفل طيلة الوقت، مختبئيْن مع الموتى تحت القلعة. تقول الأغنيَة إن الفتاة عشقَت بايل عشقًا جَمًّا وأرادَت أن تُنجِب له ابنًا... لكن كلَّ الفتيات مغرمات ببايل في تلك الأغاني التي ألَّفها، والحَقُّ يُقال. بغَضِّ النَّظر عن هذا، المؤكَّد أن بايل تركَ الطِّفل ثَمنًا للوردة التي قطفَها بلا إذن، وأن الطِّفل كبرَ وأصبَح اللورد ستارك التَّالي. هكذا إذن تجري دماء بايل في عروقك كما تجري في عُروقي».

قال چون: «لم يَحدُث هذا قَطُّ».

هَزَّت كتفيها قائلةً: «ربما حدثَ وربما لم يَحدُث، لكنها أغنيَّة جيِّدة. اعتادَت أمِّي أن تُغَنِّيها لي. كانت امرأةً أيضًا كأمِّك يا چون سنو»، وفركَت حَلقها حيث أدماها خنجره، وأردفَت: «الأغنيَة تنتهي بعثورهم على الرَّضيع،



لكن ثمَّة نهاية أكثر كآبة للقصَّة. بَعد ثلاثين عامًا، حين أصبحَ بايل ملك ما وراء الجِدار وقادَ شعب الأحرار جَنوبًا، كان اللورد ستارك الشَّاب هو من واجهَه عند «المخاضة المتجمِّدة»... وقتلَه، فقد رفضَ بايل أن يمسَّ ابنه بأذى حين التقى سيفاهما».

قال چون: «وبدلًا من هذا قتلَ الابن أباه».

- «أجل، لكن الآلهة تكره قاتِلي أهلهم، حتى إذا قتَلوا عن جهل. حين عادَ اللورد ستارك إلى القلعة ورأت أمُّه رأس بايل على رُمحه، ألقَت نفسها من فوق بُرج من جرَّاء حُزنها الهائل، ولم يعش ابنها بَعدها طويلًا، فأحد لورداته سلخَ جِلْده وارتداه معطفًا».

قال لها وقد تأكَّد: «ملككم بايل هذا كان كذَّابًا».

ردَّت: «لا، لكن الحقيقة عنالشَّاعر غيرها عندك وعندي. على كلِّ حال، لقد طلبتَ القصَّة فحكيتها»، والتفتَت عنه وأغلقَت عينيها وبدا أنها غابَت في النَّوم.

جاءَ الفَجر وكورين ذو النِّصف يد معًا. كانت الأحجار السَّوداء قد استحالَت إلى الرَّمادي واصطبغَت سماء الشَّرق بزُرقة النِّلج، عندما لمحَ ثعبان الحجر الجوَّالة الصَّاعدين، فأيقظَ چون أسيرته وأمسكَها من ذراعيها بينما نزلوا ليلتقوا بهم. لحُسن الحَظِّ أن هناك طريقًا آخَر لنزول الجبل ناحية الشَّمال والغَرب، ومجازات أقلَّ وعورةً بكثير من تلك التي قطعَها الأخوان الأسودان في صعودهما. كانا ينتظران بالأسيرة في ممرٍّ ضيِّق حين ظهرَ إخوتهما يقودون خيولهم، وأسرعَ جوست يسبقهم فور أن اشتمَّ رائحتهما، وقرفصَ چون تاركًا الذِّئب الرَّهيب يُطبِق بأسنانه على معصمه ويجذبه، اللُّعبة التي يلعباها كثيرًا، لكن عندما رفعَ چون عينيه رأى إيجريت تُراقِب بعينين متَّسعتين بيضاوين كبيضتي دجاجة.

لم يُعَلِّق كورين ذو النِّصف يد حين رأى الأسيرة، واكتفى ثعبان الحجر بأن قال له: «كانوا ثلاثةً».

قال إبِن: «مررنا باثنين، بما تركَته القِطط منهما بالأحرى»، وحدجَ الفتاة بنظرةٍ مكفهرَّة مفعمة بالشَّك.



وجدَ چون نفسه مرغَمًا على الشَّرح، فقال: «لقد استسلمَت».
ظلَّت ملامح كورين جامدةً وهو يسألها: «أتعرفين مَن أكونُ؟».
كانت الفتاة تبدو كالطِّفلة الصَّغيرة أمامه، لكنها واجهَته بجرأةٍ مجيبةً: «كورين ذو النِّصف يد».
- «اصدُقيني القول، إذا وقعتُ في أيدي قومكِ واستسلمتُ، فماذا سأجني؟».
- «ميتةً أبطأ من غيرها».
رمقَ الجوَّال الكبير چون قائلًا: «ليس لدينا طعام لها، ولا نستطيع الاستغناء عن رجلٍ يَحرُسها».
قال المُرافِق دالَبريدچ: «الطَّريق أمامنا محفوف بما يكفي من المخاطر يا فتى. صيحة واحدة منها بينما نُريد الصَّمت، وسيهلك كلُّ رجلٍ منا».
سحبَ إبن خنجره، وقال: «قُبلة الفولاذ ستُخرِسها».
كان حَلق چون جافًّا تمامًا إذ تطلَّع إليهم بلا حيلةٍ قائلًا: «لقد استسلمَت لي».
قال كورين ذو النِّصف يد: «عليك إذن أن تفعل ما ينبغي فِعله. أنت من دم وينترفل ومن رجال حَرس اللَّيل»، ورمقَ الآخَرين قائلًا: «هلمُّوا يا إخوان، لندعه وحده، فأسهل له ألَّا نُشاهِد»، وقادَهم صاعدًا الدَّرب المتعرِّج المنحدِر صوب وهج الشَّمس الوردي الباهت الذي جاءَ من صدعٍ في الجبل، وسرعان ما أصبح چون وجوست وحدهما مع الفتاة الهمجيَّة.
خطرَ له أن إيجريت قد تُحاوِل الهرب، لكنها ظلَّت في مكانها تتطلَّع إليه، وسألَته: «لم تَقتُل امرأةً من قبل، أليس كذلك؟»، ولمَّا هَزَّ رأسه نفيًا قالت: «إننا نموت كالرِّجال تمامًا، لكنك لست مضطرًّا لأن تفعل هذا. سيأخذك مانس، أنا واثقة. هناك طُرق سرِّيَّة، ولن يستطيع هؤلاء الغِربان اللَّحاق بنا أبدًا».
قال چون: «إنني غُراب مِثلهم تمامًا».
أومأَت برأسها باستسلام وسألَت: «هل ستُحرِقني بَعدها؟».
- «لا أستطيعُ. قد يرى أحدكم الدُّخان».



- «هذا صحيح»، وهزَّت كتفيها وقالت: «طيِّب، ثمَّة ميتات أسوأ من أن يلتهمني قِطُّ ظِل».

استلَّ سيفه قائلًا: «ألستِ خائفةً؟».

- «كنتُ خائفةً ليلة أمس، لكن الشَّمس أشرقَت»، وأزاحَت شَعرها كاشفةً عُنقها، وركعَت أمامه قائلةً: «اضرب بقوَّةٍ وثقةٍ أيها الغُراب، وإلَّا عدتُ لمطارَدتك».

ليس «المخلب الطَّويل» طويلًا أو ثقيلًا كسيف أبيه «جَليد»، لكنه من الفولاذ الڤاليري. مَسَّ عُنقها بحافة النَّصل ليُحَدِّد أين ستَسقُط ضربته، فارتجفَت إيجريت وقالت: «يا لبرودته... هيا، أسرِع».

رفعَ «المخلب الطَّويل» فوق رأسه وقد أطبقَ بكلتا يديه على المقبض. ضربة واحدة أضعُ فيها ثِقلي كله. يستطيع أن يُعطيها ميتةً سريعةً نظيفةً على الأقل، فهو ابن أبيه، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟

قالت بَعد لحظةٍ طالَت: «هلمَّ، هلمَّ أيها النَّغل، فلن أستطيع الاحتفاظ بشَجاعتي إلى الأبد»، لكن حين لم تَسقُط الضَّربة أدارَت رأسها ونظرَت إليه.

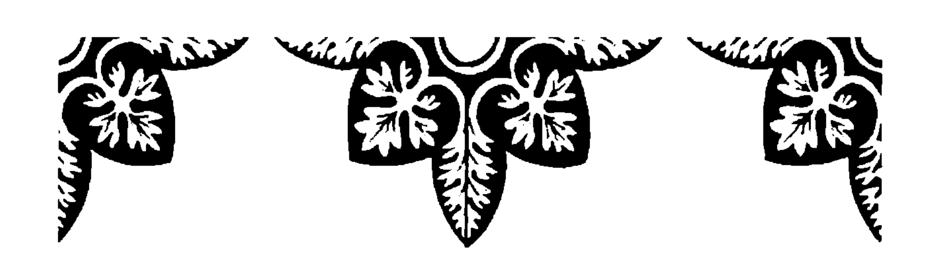
وخفضَ چون سيفه وغمغمَ: «اذهبي».

وحدَّقت فيه إيجريت.

- «الآن، قبل أن يعود إليَّ عقلي. اذهبي».

وذهبَت.





سانزا

احتجبَت سماء الجَنوب وراء ستار الدُّخان الأسود الذي ارتفعَ دائرًا في الهواء من مئة حريقٍ بعيد لتُلَطِّخ أصابعه القاتمة النُّجوم. على الضفَّة المقابلة من النَّهر الأسود تشتعل بؤر اللَّهب في صَفٍّ يمتدُّ من الأُفق إلى الأُفق كلَّ ليلة، أمَّا هذه الضفَّة فقد أضرمَ العَفريت النَّار فيها كلها، الأرصفة والمخازن والمنازل والمواخير، جميع ما يقع خارج أسوار المدينة.

حتى في القلعة الحمراء كان مذاق الهواء كالرَّماد. حين وجدَت سانزا السير دونتوس في أيكة الآلهة، سألَها إن كانت تبكي، فأجابَت كاذبةً: «إنه الدُّخان لا أكثر. يبدو كأن نِصف غابة الملوك يحترق».

ترنَّح دونتوس وهو يتكلَّم، وقد أسندَ يده إلى جذع شجرة كستناء، بينما لوَّثت بُقعة نبيذٍ سُترة المهرِّجين ذات المربَّعات الحمراء والصَّفراء، وقال لها: «اللورد ستانيس يستخدم الدُّخان لإرغام همجيِّي العِفريت على الخروج من مكامنهم. إنهم يَقتُلون كشَّافته ويُغيرون على خطوط إمداده، كما أنهم يُشعِلون النَّار بدورهم. العِفريت قال للملكة إنه يَجدُر بستانيس أن يُدَرِّب خيوله على أكل الرَّماد، لأنها لن تجد ورقة عُشبٍ واحدةً تأكلها. سمعته يقول هذا، فالآن وقد صرتُ مهرِّجًا أسمعُ أشياء لم أسمعها قَطُّ وأنا فارس. إنهم يتكلَّمون كأني لستُ موجودًا و...»، ومالَ عليها لتلفح أنفاسه المعبَّقة برائحة النَّبيذ وجهها، وأكملَ: «... والعنكبوت يدفع ثَمن أيِّ معلومةٍ تافهة ذهبًا. أعتقدُ أن فتى القمر يتجسَّس لحسابه منذ أعوام».

إنه سكران ثانيةً. يُسَمِّي نفسه فارسي فلوريان المسكين، وهو كذلك،



لكن ليس لديَّ غيره. «هل أحرقَ اللورد ستانيس أيكة الآلهة في ستورمز إند حقًّا؟».

أومأ دونتوس برأسه إيجابًا، وقال: «صنعَ مِحرقةً عظيمةً من الأشجار كقُربان لإلهه الجديد. الرَّاهبة الحمراء جعلَته يفعلها. يقولون إنها تَحكُمه الآن، روحًا وجسدًا، وقد أقسمَ أن يُحرِق سِپت بيلور الكبير أيضًا إذا أخذَ المدينة».

- «فليُحرِقه. أريده أن يحترق». حين وقعَت عينا سانزا على السِّپت الكبير أول مرَّة، وتطلَّعتا إلى جُدرانه الرُّخام وبروجه البلَّوريَّة السَّبعة، قالت لنفسها إنه أجمل بناءٍ في العالم، لكن كان هذا قبل أن يقطع چوفري رأس أبيها على عتبته.

- «صهِ يا فتاة، الآلهة ستسمعكِ».

- «ولِمَ؟ إنها لا تسمع صلواتي أبدًا».

- «بل تسمعها. لقد أرسلَتني إليكِ، أليس كذلك؟».

قشَّرت سانزا لحاء شجرةٍ شاعرةً بالدُّوار وبوادر الحُمَّى، وقالت: «أرسلَتك، لكن ما جدواك؟ لقد وعدت بأن تُعيدني إلى الدِّيار، وما زلتُ هنا».

ربَّت دونتوس على ذراعها قائلًا: «تكلَّمتُ مع رجلٍ معيَّن أعرفه، صديق مقرَّب مني... ومنكِ أيضًا يا سيِّدتي. في الوقت المناسب سيستأجر سفينةً سريعةً تحملنا إلى بَرِّ الأمان».

قالت سانزا بإصرار: «الوقت مناسب الآن، قبل بدء القتال. لقد نسوا أمري، وأعلمُ أننا نستطيع الإفلات منهم إذا حاوَلنا».

هَزَّ دونتوس رأسه قائلًا: «يا صغيرتي، يا صغيرتي، نعم، يُمكننا الخروج من القلعة، لكن بوَّابات المدينة عليها حراسة مشدَّدة للغاية، كما أن العِفريت أغلقَ النَّهر».

هذا صحيح، فالملاحة في النَّهر الأسود متوقِّفة تمامًا على نحوٍ لم ترَه سانزا من قبل. كلُّ العبَّارات سُحِبَت إلى الضفَّة الشَّماليَّة، والسُّفن التِّجاريَّة إمَّا فرَّت أو صادرَها العِفريت للاستخدام في المعركة، والسُّفن الوحيدة في النَّهر هي قوادس الملك الحربيَّة، تتحرَّك جيئةً وذهابًا بلا نهايةٍ في المياه العميقة



في منتصَف المجرى، وترشق رُماة ستانيس بالسِّهام على الشَّاطئ الجَنوبي ويرشقونها.

ما زال اللورد ستانيس نفسه في الطَّريق، لكن طليعة جيشه ظهرَت قبل ليلتين والقمر مُحاق، واستيقظَت كينجز لاندنج على منظر خيامهم وراياتهم. سمعَت سانزا أن عددهم خمسة آلاف، ما يَقرُب من عدد كلِّ ذوي المعاطف الذَّهبيَّة في المدينة، وقد رفعوا تُفَّاحة عائلة فوسواي الحمراء والأخرى الخضراء، وسلحفاة إسترمونت، وثعلب وإكليل زهور فلورنت، يقودهم السير جايارد موريجن، الفارس الجَنوبي الشَّهير الملقَّب بجايارد الأخضر، وعلى رايته غُراب يُحَلِّق باسطًا جناحيه في سماءٍ خضراء عاصفة. غير أن ما أقلقَ المدينة هو الرَّايات الصَّفراء الباهتة المرفرفة فوق رؤوس الجميع كألسنة لهبٍ تتذبذَب، تحمل بدلًا من رمز اللورد المعتاد شعار إله، قلب إله الضِّياء النَّاري.

- «حين يصل ستانيس، سيكون معه عشرة أضعاف رجال چوفري، الجميع يقولون هذا».

اعتصرَ دونتوس كتفها، وقال: «حجم جيشه لا يهمُّ يا حُلوتي ما دامَ على الجانب الآخَر من النَّهر. ستانيس لا يستطيع العبور بلا سُفن».

- «لديه سُفن أكثر من چوفري».

- «المسافة طويلة من ستورمز إند إلى هنا، وعلى الأسطول أن يدور حول شِبه جزيرة «خُطَّاف ماسي»، ثم يدخل من مضيق «الحُلقوم» ويَعبُر الخليج الأسود. قد تُرسِل الآلهة الكريمة عاصفةً تكتسحهم في البحر»، وأردفَ دونتوس بابتسامة أمل: «أعرفُ أن الأمر ليس سهلًا عليكِ، لكن تحلَّي بالصَّبر يا صغيرتي. ستكون سفينتنا جاهزةً حين يعود صديقي إلى المدينة. ثِقي بفارسكِ فلوريان وحاوِلي ألَّا تخافي».

غرسَت سانزا أظفارها في يدها شاعرةً بالخوف يتلوَّى ويلدغ في جوفها، أسوأ وأسوأ كلَّ يوم. ما زالت كوابيس يوم إبحار الأميرة مارسلا تقضُّ عليها مضجعها، أحلام سوداء خانقة تُوقِظها في جوف اللَّيل تُكافِح لالتقاط أنفاسها. تسمع النَّاس يَصرُخون فيها، يَصرُخون بلا كلامٍ كالحيوانات، وقد حاصَروها



وراحوا يقذفونها بالقاذورات ويُحاوِلون إسقاطها من فوق حصانها، وكانوا ليفعلوا ما هو أسوأ لولا أن كلب الصَّيد شَقَّ طريقه قتلًا إليها. لقد مزَّقوا السِّپتون الأعلى تمزيقًا وهشَّموا رأس السير أرون بصخرة. حاوِلي ألَّا تخافي!

المدينة كلها خائفة، وسانزا ترى هذا بوضوح من فوق أسوار القلعة. العامَّة يُخَبِّئون أنفسهم وراء السَّتائر المغلقة والأبواب الموصدة، كأن هذا سيحميهم. حين سقطَت كينجز لاندنج من قبل، سرقَ جنود لانستر واغتصَبوا كما شاءوا وقتَّلوا المئات، على الرغم من أن المدينة فتحَت أبوابها. هذه المرَّة ينوي العِفريت أن يُقاوِم، وعلى المدينة التي تُقاوِم ألَّا تنتظر أدنى قدرٍ من الرَّحمة.

استطردَ دونتوس: «لو كنتُ لا أزالُ فارسًا لكان عليَّ ارتداء دِرع وحراسة الأسوار مع البقيَّة. يَجدُر بي أن أقبِّل قدم الملك چوفري وأشكره بحرارة».

قالت سانزا بحدَّة: «إذا شكرته على جعلك مهرِّجًا، سيجعلك فارسًا ثانيةً».

قهقه دونتوس قائلًا: «فتاتي چونكويل ذكيَّة حقًّا، أليس كذلك؟».

- «چوفري وأمُّه يقولان إنني غبيَّة».

- «دعيهما. إنكِ أكثر أمنًا هكذا يا حُلوتي. الملكة سرسي والعِفريت واللورد ڤارس ومَن على شاكلتهم يُراقِبون بعضهم بعضًا كالصُّقور، ويدفعون لهذا وذاك ليتجسَّسوا على ما يفعله الآخَرون، لكن لا أحد يشغل نفسه أبدًا بابنة الليدي تاندا، أليس كذلك؟»، وغطَّى دونتوس فمه ليكتم تجشُّؤه، ثم قال والدُّموع تترقرَق في عينيه كما يَحدُث حين يشرب: «فلتحفظكِ الآلهة يا صغيرتي چونكويل. أعطِي فارسكِ فلوريان قُبلةً، قُبلةً للحَظ»، ومالَ نحوها، فتفادَت سانزا الشَّفتين المبتلَّتين التوَّاقتين وطبعَت قُبلةً خفيفةً على خدِّه غير الحليق، وتمنَّت له ليلةً طيِّبةً، وغادرَت مستجمعةً طاقتها كلها لكبت دموعها. إنها تبكي كثيرًا في الآونة الأخيرة، وتعرف أن هذا غير لائق، لكنها لا تستطيع السَّيطرة على نفسها، فدائمًا تنهمر الدُّموع، أحيانًا لأتفه سبب، وليس في جَعبتها شيء يوقِفها.

لا حراسة على الجسر المتحرِّك الذي يقود إلى حصن ميجور، فقد نقلَ العِفريت معظم ذوي المعاطف الذَّهبيَّة إلى أسوار المدينة، وفُرسان الحَرس



الملكي البِيض عليهم واجبات أهمُّ من تعقُّبها، وتستطيع سانزا الذَّهاب أينما شاءَت، شريطة ألَّا تُحاوِل الخروج من القلعة، لكن ليس هناك مكان تُريد الذَّهاب إليه.

عبرَت فوق الخندق الجاف وخوازيقه الحادَّة، وصعدَت السَّلالم الضيِّقة الملتفَّة، لكن حينما بلغَت باب غُرفتها وجدَت أنها لا تطيق الدُّخول، فجُدران الغُرفة تنطبق عليها وتُشعِرها بأنها محاصَرة، وحتى والنَّافذة مفتوحة على مصراعيها تحسُّ سانزا كأن لا هواء هنالك تتنفَّسه.

عادَت إلى السَّلالم وصعدَت. كان الدُّخان يطمس النُّجوم والقمر الصَّغير، جاعلًا السَّطح مظلمًا يعجُّ بالظِّلال، غير أنها تستطيع أن ترى كلَّ شيءٍ من مكانها هذا: أبراج القلعة الحمراء الشَّاهقة وحصونها الرُّكنيَّة العظيمة، ومتاهة شوارع المدينة وراء الأسوار، وإلى الجَنوب والغَرب يجري النَّهر الأسود، وإلى الشَّرق الخليج، وأعمدة الدُّخان والجمار المتَّقدة والحرائق، حرائق في كلِّ مكان، فيما يزحف الجنود على أسوار المدينة كنملٍ يحمل المشاعل، ويزدحمون عند الأسوجة الخشبيَّة الممتدَّة من الشُّرفات. عند بوَّابة الطَّمي ميَّزت الأشكال الضَّبابيَّة لثلاثة مجانيق عملاقة وسط الدُّخان، أكبر مجانيق رآها أحد في حياته، تفوق الأسوار ارتفاعًا بعشرين قدمًا كاملةً، لكن شيئًا من هذا لم يُفلِح في تهدئة مخاوفها ولو قليلًا، وأحسَّت في أعماقها بطعنةٍ بالغة الحدَّة جعلَتها تنشج وتقبض على بطنها. كانت على شفا السُّقوط، لكن ظِلًّا تحرَّك فجأةً وأطبقَت أصابع قويَّة على ذراعها وثبَّتتها.

أسندَت يدها إلى أحد الأعمدة وقد خمشَت أظفارها الحجر الخشن، وصاحَت: «اترُكني! اترُكني!».

- «هل تحسب الطَّائر الصَّغير أن لديها جناحين، أم أنكِ تُريدين أن تُصبِحي كأخيكِ القعيد؟».

حاولَت سانزا التملُّص قائلةً: «لم أكن سأسقط... لقد أفزعتني لا أكثر».

- «تعنين أني أخفتكِ، وما زلتُ أخيفكِ».

أخذَت شهيقًا عميقًا لتُهَدِّئ نفسها، وقالت: «حسبتُني وحدي، وكنتُ...»، وأشاحَت بنظرها بعيدًا.



أطلقَ كلب الصَّيد سراحها، وقال: «ما زالت الطَّائر الصَّغير لا تطيق النَّظر إلى وجهي، أليس كذلك؟ لكنكِ كنتِ سعيدةً لرؤيته حين حاصرَكِ الغوغاء، أتَذكُرين؟».

تَذكُر سانزا جيِّدًا، تَذكُر كيف كانوا يعوون، وإحساسها بالدِّماء السَّائلة على وجنتها من رأسها حيث أصابَها الحجر، ورائحة الثَّوم المقيتة في أنفاس الرَّجل الذي حاولَ إسقاطها من على الحصان، ولا تزال تَشعُر بالأصابع القاسية تقبض على معصمها إذ فقدَت توازُنها وبدأت تَسقُط.

لحظتها حسبَت أنها ميتة لا محالة، لكن الأصابع الخمسة كلها اختلجَت في آنٍ واحد، وأطلقَ الرَّجل صرخةً كصهيل الخيل، ولمَّا سقطَت يده المبتورة، امتدَّت يد أخرى أقوى ودفعَتها فوق سَرجها ثانيةً. الرَّجل ذو أنفاس الثَّوم كان على الأرض، ينبجس الدَّم من جَدَعة ذراعه، لكن كان هناك آخَرون كُثر حولهما، بعضهم يحمل الهرَّاوات، فوثبَ كلب الصَّيد عليهم وسيفه ضباب فولاذي يتطايَر منه الرَّذاذ الأحمر بينما يهوي هنا وهناك، وحين تفرَّقوا وفرُّوا منه، ضحكَ وقد تغيَّر وجهه المحروق البشع لحظةً.

الآن جعلَت نفسها تَنظُر إلى هذا الوجه، تَنظُر إليه بإمعان، فهذا هو التصرُّف المهذَّب الوحيد، وعلى الليدي أن تلتزم بآدابها. ليست النُّدوب أسوأ ما في الأمر، ولا حتى ارتعاشة فمه، بل عيناه. في حياتها كلها لم ترَ عينين ملآتين بالغضب كهاتين العينين. قالت بتردُّد: «كان... كان يجب أن أزورك بَعدها، لأشكرك على... على إنقاذي... كنت شُجاعًا للغاية».

قال بضحكةٍ أقرب إلى الزَّمجرة: «شُجاعًا؟ الكلب لا يحتاج شَجاعةً لمطارَدة الجرذان. كانوا ثلاثين مقابل واحد، ولا رجل منهم جرؤَ على مواجَهتي».

كم تكره الطَّريقة الخشنة الغاضبة التي يتكلَّم بها دائمًا. «هل تبتهج بترويع النَّاس؟».

أجابَ بفم يرتعش: «كلا، أبتهجُ بقتل النَّاس. ارسمي التقزُّز على وجهكِ كما تشائين، لكنني في غنى عن تقواكِ الزَّائفة هذه. لقد كنتِ ابنة لوردٍ كبير، فلا تقولي لي إن إدارد ستارك سيِّد وينترفل لم يَقتُل أحدًا قَطُّ».



- «كان هذا واجبه، لكنه لم يجد فيه بهجةً».

عادَ كليجاين يضحك، وقال: «أهذا ما أخبرَكِ به؟ إذن فقد كذبَ أبوكِ. القتل أحلى شيء في الكون»، وسحبَ سيفه الطَّويل متابعًا: «ها هي الحقيقة، وقد أدركَها أبوكِ الغالي على عتبة السِّپت. سيِّد وينترفل، يد الملك، حاكِم الشَّمال، إدارد ستارك العظيم المنحدر من سلالةٍ عُمرها آلاف الأعوام... لكن نصل إلين پاين جَزَّ عُنقه على الرغم من ذلك. أتَذكُرين رقصة جسده حين سقطَ رأسه من فوق كتفيه؟».

عانقَت سانزا نفسها شاعرةً ببردٍ مفاجئ، وغمغمَت: «لماذا تكون كريهًا هكذا دائمًا؟ لقد كنتُ أشكرك...».

- «كأني واحد من أولئك الفُرسان الحقيقيِّين الذين تُحِبِّينهم، نعم. ماذا تحسبين عمل الفارس يا فتاة؟ أتظنِّين أنهم لا يفعلون شيئًا غير أخذ العطايا من الحسناوات والتألُّق في دروعهم الذَّهبيَّة؟ الفُرسان مهنتهم القتل!»، ووضعَ حافة السَّيف الطَّويل على عُنقها، تحت أُذنها مباشرةً، وشعرَت سانزا بحدَّة الفولاذ بينما أردفَ: «كنتُ في الثَّانية عشرة حين قتلتُ أول رجل، ولم أعد أدري كم قتلتُ منذ ذلك الحين. قتلتُ لوردات كبارًا بأسماءٍ عريقة، ورجالًا سمانًا أثرياء يرتدون المخمل، وفُرسانًا منتفخين كالمثانات من فرط الخيلاء، نعم، ونساءً وأطفالًا أيضًا... كلُّه لحم، وأنا الجزَّار. فليحتفظوا بأراضيهم وآلهتهم وذهبهم، فليحتفظوا بألقابهم»، وبصقَ ساندور كليجابن عند قدميها ليُريها رأيه في الفُرسان، ورفعَ سيفه عن عُنقها مكملًا: «ما دمتُ أملكُ هذا، فلا رجل على وجه الأرض أخافه».

باستثناء أخيك، قالت سانزا في قرارة نفسها، وإن كانت أعقل من أن تبوح بأفكارها. إنه كلب حقًّا كما يقول، كلب شِبه مسعور أسود المزاج يعضُّ أيَّ يدٍ تُحاوِل التَّربيت عليه، ومع ذلك يفترس كلَّ من يَجسُر على مساس سادته بأذى. «ولا حتى الرِّجال على ضفَّة النَّهر الأخرى؟».

التفتَ كليجاين ببصره نحو الحرائق البعيدة، وقال: «كلُّ هذا الحرق»، ودَسَّ سيفه في غِمده مردفًا: «فقط الجُبناء يُقاتِلون بالنَّار».

- «اللورد ستانيس ليس جبانًا».



- «لكنه ليس الرَّجل الذي كانه أخاه، فلم يكن روبرت ليَترُك شيئًا تافهًا كنهرٍ يعوقه».
- «ماذا ستفعل حين يَعبُر؟».
- «سأقاتلُ وأقتلُ، وربما أموتُ».
- «ألست خائفًا؟ قد ترميك الآلهة في جحيمٍ مستعرٍّ بَعد كلِّ الشُّرور التي اقترفتها».

قال ضاحكًا: «أيُّ شرور؟ وأيُّ آلهة؟».
- «الآلهة التي خلقَتنا جميعًا».
- «جميعًا؟ أخبِريني أيتها الطَّائر الصَّغير، أيُّ إلهٍ هذا الذي يخلق وحشًا كالعِفريت أو بلهاء كابنة الليدي تاندا؟ لو أن هناك آلهة، فقد خلقَت الخراف كي تأكل الذِّئاب الضَّأن، وخلقَت الضَّعيف ليعبث به القويُّ».
- «الفُرسان الحقيقيُّون يحمون الضُّعفاء».

قال ساخرًا: «لا يوجد فُرسان حقيقيُّون ولا توجد آلهة. إذا كنتِ لا تستطيعين حماية نفسكِ، فموتي وأفسِحي الطَّريق لمن يستطيعون. الفولاذ الحاد والأذرُع القويَّة الحاكم الوحيد في هذا العالم، فلا تُصَدِّقي غير ذلك».

تراجعَت سانزا قائلةً: «أنت شنيع».
- «إنني صادق، لكن الشَّنيع هو العالم. حلِّقي بعيدًا أيتها الطَّائر الصَّغير، لقد سئمتُ نظراتكِ».

ولَّت الأدبار بلا كلمةٍ واحدة. إنها تخاف ساندور كليجاين حقًّا... لكن جزءًا منها يتمنَّى لو أن السير دونتوس يملك ولو قليلًا من شراسة كلب الصَّيد. هناك آلهة، وهناك فُرسان حقيقيُّون أيضًا. لا يُمكن أن تكون الحكايات كلها مكذوبةً.

ليلتها حلمَت سانزا بيوم الشَّغب مجدَّدًا.

أحاطَ بها الدَّهماء الصَّارخون من كلِّ جانب، وحش هائج ذو ألف وجه. أينما التفتَت كانت ترى الوجه تتشوَّه وتصير أقنعة مسوخ وحشيَّة. بكَت وقالت لهم إنها لم تُؤذِهم قَطُّ، ومع ذلك جرُّوها من فوق حصانها وقد أخذَت تَصرُخ: «لا، أرجوكم لا، دعوني، دعوني!»، لكن أحدًا منهم لم يُعِرها



أدنى انتباه. صرخَت مستنجدةً بالسير دونتوس، بإخوتها، بأبيها الميت وذئبتها الميتة، بالسير لوراس الشُّجاع الذي أعطاها وردةً حمراء ذات مرَّة، وما من مجيب. استنجدَت بأبطال الأغاني، بفلوريان والسير ريام ردواين والأمير إيمون الفارس التنِّين، ولم يسمع أحد. احتشدَت النِّساء حولها كبنات عرس، وقرصن ساقيها وركلنها في بطنها، وضربَها أحدهم في وجهها وشعرَت بأسنانها تتهشَّم، ثم رأت لمعة الفولاذ وانغرسَ السكِّين في بطنها ومزَّق ومزَّق ومزَّق، حتى لم يتبقَّ شيء غير شرائط مهترئة مبتلَّة بالأحمر.

كان ضوء الصَّباح الشَّاحب يتسرَّب من خصاص نافذتها حين استيقظَت، لكنها شعرَت بأنها سقيمة منهَكة كأنها لم تنم إطلاقًا. ثم إنها أحسَّت بشيءٍ لزج على فخذيها، ولمَّا أزاحَت الغطاء ورأت الدَّم، فكلُّ ما جالَ بخاطرها أن حُلمها تحقَّق بوسيلةٍ ما. تذكَّرت السَّكاكين تتلوَّى في أحشائها وتُمَزِّقها، ونكصَت مرتعبةً وهي تَركُل الأغطية، حتى سقطَت على ظَهرها لاهثةً عاريةً داميةً وخائفةً لأقصى حد.

لكن هناك على الأرض، وقد اعتدلَت جاثمةً على يديها ورُكبتيها، أدركَت ما حدثَ، وانتحبَت متمتمةً: «لا، لا». لم تكن تُريد أن يَحدُث هذا لها، ليس الآن، ليس هنا، ليس الآن، ليس الآن، ليس الآن، ليس الآن.

تملَّكها الجنون.

قبضَت على قائم الفِراش ناهضةً، وهرعَت إلى الحوض لتغسل بين ساقيها وتتخلَّص من كلِّ ما عليهما من لزوجة، وحين انتهَت كان الدَّم قد صبغَ الماء بلونٍ وردي. ستعرف خادماتها عندما يرينه. ثم إنها تذكَّرت الملاءة، فأسرعَت إلى الفِراش وحدَّقت برُعبٍ في البُقعة الحمراء القانية وما تشي به. كلُّ ما فكَّرت فيه أنها يجب أن تتخلَّص منها قبل أن تراها الخادمات. لا يُمكن أن يراها أحد، وإلَّا زوَّجوها چوفري وجعلوها تنام معه.

اختطفَت سانزا سكِّينًا وأخذَت تشقُّ الملاءة قاطعةً البُقعة. ماذا أقولُ لهم إذا سألوني عن الثُّقب؟ جرَت الدُّموع على وجهها، وسحبَت الملاءة الملوَّثة والغطاء كذلك. يجب أن أحرقهما. كوَّمت الدَّليل ودَسَّته في المدفأة وأغرقَته بزيت المصباح المجاور للفِراش، وأشعلَت فيه النَّار. ثم إنها أبصرَت أن الدَّم



تخلَّل الملاءة إلى حشيَّة الفِراش فكوَّمتها بدورها، لكنها كانت كبيرةً ثقيلةً ويَصعُب تحريكها، ولم تستطِع سانزا أن تدسَّ أكثر من نِصفها في النَّار. كانت على رُكبتيها، تُناضِل لإدخال الحشيَّة كلها في اللَّهب بينما تصاعدَ الدُّخان الرَّمادي الكثيف حولها وملأ الغُرفة، حين انفتحَ الباب بعُنفٍ وسمعَت خادمةً تشهق.

في النِّهاية تطلَّب الأمر ثلاثًا منهن ليسحبنها بعيدًا عن المدفأة، وكلُّ ما فعلَته كان بلا طائل. احترقَت الملاءة والغطاء، لكن عندما حملنها كان الدَّم يسيل من جديدٍ على فخذيها، كأن جسدها نفسه خانَها وسلَّمها لچوفري، ورفعَ راية لانستر القرمزيَّة ليراها العالم كله.

بَعدما خمدَت النَّار، حملنَ حشيَّة الفِراش المحترقة وطردنَ أغلب الدُّخان وأحضرنَ حوضًا للاستحمام. دخلَت النِّساء وخرجنَ يُتَمتِمن ويحدجنها بنظراتٍ غريبة، وملأنَ الحوض بمياهٍ شديدة السُّخونة وحمَّمنها وغسلنَ شَعرها وأعطينها قُماشةً تضعها بين ساقيها. عندئذٍ كان الهدوء قد عادَ إلى سانزا، وخامَرها شعور بالخجل من حماقتها. كان الدُّخان قد أتلفَ معظم ثيابها، فذهبَت امرأة وعادَت بفُستانٍ من الصُّوف الأخضر يُناسِب مقاسها إلى حَدٍّ ما، وقالت وهي تُلبس سانزا إياه: «ليس جميلًا كثيابكِ لكنه سيَصلُح. لم تحترق أحذيتك، فلن تذهبي حافيةً إلى الملكة على الأقل».

كانت سرسي لانستر تتناوَل فطورها حين دلفَت سانزا إلى غُرفتها الشَّمسيَّة، وقالت الملكة بحفاوةٍ: «تفضَّلي بالجلوس. أأنتِ جائعة؟»، وأشارَت إلى المائدة حيث الثَّريد والعسل والحليب والبيض المسلوق والسَّمك المحمَّر.

أصابَ منظر الطَّعام سانزا بالغثيان، وقالت شاعرةً بمعدتها تتلبَّك: «لا، شكرًا يا جلالة الملكة».

- «لا ألومكِ. بين ما يفعله تيريون واللورد ستانيس، أصبحَ مذاق الطَّعام كله رمادًا، وها أنتِ تُشعِلين نارًا بدوركِ. ماذا كنتِ تأملين تحقيقه؟».

خفضَت سانزا رأسها مجيبةً: «أخافَني منظر الدَّم».

- «الدَّم خَتم أنوثتكِ. كان حريًّا بالليدي كاتلين أن تُعِدَّكِ لهذا. لقد أزهرتِ للمرَّة الأولى لا أكثر».



قالت سانزا شاعرةً بذبولٍ لم تعرف له مثيلًا من قبل: «السيِّدة والدتي أخبرَتني، لكن... لكني حسبتُ أن الأمر سيكون مختلفًا عن هذا».

- «مختلفًا كيف؟».

- «لا أدري. حسبته سيكون أقلَّ... أقلَّ فوضى، وسِحريًّا بشكلٍ ما».

ضحكَت الملكة سرسي، وقالت: «انتظري حتى تلدي أول أطفالكِ يا سانزا. حياة المرأة تسعة أعشارها فوضى وعُشر واحد سِحر. ستتعلَّمين هذا قريبًا... والأجزاء التي يُفترَض أنها سِحريَّة هي الأكثر فوضى على الإطلاق»، وأخذَت رشفةً من الحليب، وتابعَت: «إذن فأنتِ امرأة الآن. أتملكين أدنى فكرة عمَّا يعنيه هذا؟».

قالت سانزا: «يعني أني صرتُ صالحةً للزَّواج والمعاشَرة، ولحمل أطفال الملك».

ردَّت الملكة بابتسامةٍ خبيثة: «أرى أن الفكرة لم تَعُد تُثيركِ كما في الماضي، ولن ألومكِ على هذا، فلطالما كان چوفري صعبًا، حتى في ميلاده... ظللتُ أتمخَّضُ طيلةَ يومٍ ونِصفٍ كي آتي به إلى الدُّنيا. لا يُمكنكِ أن تتخيَّلي الألم يا سانزا. لقد دوَّتْ صرخاتي حتى إنني تخيَّلتُ أن روبرت سيسمعها في غابة الملوك».

- «ألم يكن جلالته معكِ؟».

- «روبرت؟ روبرت كان يصطاد. كانت هذه عادته. كلما اقتربَ موعد الوضع، كان زوجي الملوكي يفرُّ إلى الأشجار بصيَّاديه وكلابه، وحين يعود يُهديني فروة أو رأس وعلٍ وأُهديه طفلًا. لم أكن أريده أن يبقى على كلِّ حال، فكان لديَّ المِايستر الأكبر پايسل وجيش من القابلات، وكان لديَّ أخي. لمَّا قالوا لچايمي إن الدُّخول إلى غُرفة الولادة ممنوع، ابتسمَ وسألَ عن الرَّجل الذي ينتوي اعتراض طريقه. أخشى أن چوفري لن يُبدي لكِ إخلاصًا مشابهًا، ولكِ أن تَشكُري أختكِ على هذا لو أنها لا تزال حيَّة. إنه لم ينسَ قَطُّ ذلك اليوم على ضفَّة الثَّالوث عندما رأيتِها تُهينه، ولذا يُهينكِ أنتِ. لكنكِ أقوى مما تبدين، وأتوقَّعُ أنكِ ستحتملين القليل من الإهانة مِثلي. قد لا تُحِبِّين الملك أبدًا، لكنكِ ستُحِبِّين أطفالكِ».



قالت سانزا: «أحبُّ جلالته من صميم قلبي».

تنهَّدت الملكة قائلةً: «خيرٌ لكِ أن تتعلَّمي بضع أكاذيب جديدة وبسرعة، فأؤكِّدُ لكِ أن هذه الكذبة لن تروق اللورد ستانيس».

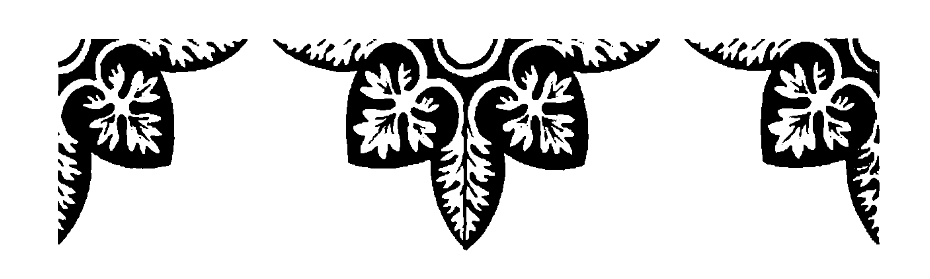
- «السِّپتون الأعلى الجديد يقول إن الآلهة لن تسمح للورد ستانيس بالفوز أبدًا، بما أن چوفري الملك الشَّرعي».

تلاعبَ نِصف ابتسامة على وجه الملكة، وقالت: «ابن روبرت ووريثه الشَّرعي، مع أن چوف كان يبكي كلما حملَه روبرت، ولم يَرُق هذا جلالته، فنغوله كانوا يضحكون دومًا بسعادةٍ في وجهه ويمصُّون أصابعه حين يضعها في أفواههم الصَّغيرة النَّغلة. روبرت أرادَ ضحكًا وابتسامًا دائميْن، فكان يذهب إلى حيث يجدهما، عند أصدقائه وعند عاهراته. روبرت أرادَ أن يُحَبَّ. أخي تيريون مصاب بالدَّاء نفسه. أتُريدين أن تُحَبِّي يا سانزا؟».

- «الكلُّ يُريد أن يُحَبَّ».

قالت سرسي: «يبدو أن إزهاركِ لم يجعلكِ أذكى. سانزا، اسمحي لي بأن أُطلِعكِ على حكمةٍ أنثويَّة في هذا اليوم المميَّز. الحُب سُم، سُمٌّ حُلوٌ نعم، لكنه سيَقتُلك لا محالة».





چون

تتوارى الشَّمس معظم النَّهار وراء مناكب الجبال الضَّخمة، فاكتنفَت العتمة «الممر الصَّادح»، وركبوا وسط الظِّلال وقد خرجَت أنفاس الرِّجال وخيولهم بُخارًا، بينما قطرَ الماء كأصابع جليديَّة طويلة تمتدُّ من الثَّلج المتكتِّل أعلاهم، ليتجمَّع في بِركٍ صغيرة متجمِّدة تتشقَّق وتتكسَّر تحت حوافر الخيول. أحيانًا يلمحونَ حشائش قليلة تُكافح للنموِّ من شِقٍّ في الحجر، أو بُقعةً من الأُشنة الشَّاحبة، لكن لا أعشاب في أيِّ مكان، كما أنهم يرتفعون فوق مستوى الأشجار كثيرًا الآن.

كان الممرُّ منحدِرًا وضيِّقًا في آنٍ واحد، يصعد إلى أعلى دائمًا، وأينما يضيق جدًّا مجبِرًا الجوَّالة على التحرُّك في طابور، يتقدَّمهم المُرافِق دالبريدج ماسحًا المرتفعات بعينيه وفي متناوَل يده قوسه الطَّويل. يُقال إنه صاحِب أحدِّ بصرٍ في حَرس اللَّيل.

مضى جوست إلى جوار چون، يتوقَّف بين الحين والآخَر ويُدير رأسه مرهفًا السَّمع كأنه سمعَ شيئًا من ورائهم. لم يعتقد چون أن قِطط الظِّلِّ ستُهاجِم مجموعةً من البَشر الأحياء ما لم تكن تتضوَّر جوعًا، لكنه أرخى «المخلب الطَّويل» في غِمده رغم ذلك.

تُعيِّن قنطرة من الحجرِ الرَّمادي نحتَتها الرِّياح أعلى نقاط الممر، حيث يتَّسع قبل أن يبدأ نزوله الطَّويل نحو وادي النَّهر اللَّبني، فأعلنَ كورين أنهم سيستريحون حتى تستطيل الظِّلال من جديد، وقال: «الظِّلال صديقة من يرتدون الأسود».



رأى چون الحكمة في هذا، فمع أن من الجميلِ أن يركبوا في النُّور بعض الوقت، وأن يَترُكوا شمس الجبال السَّاطعة تتخلَّل ثيابهم وتَطرُد البرد من عظامهم، لكنهم ما زالوا لا يجرؤون، فمن الوارد أن يكون هناك نواطير آخَرون غير الثَّلاثة الأوَّلين، ينتظرون لإطلاق الإنذار.

تكوَّر ثعبان الحجر حول نفسه تحت معطفه الفرو المهترئ وسرعان ما غابَ في النَّوم، وتقاسمَ چون نصيبه من اللَّحم المملَّح مع جوست، بينما أطعمَ إبن والمُرافِق دالبريدچ الخيول، وجلسَ كورين ذو النِّصف يد مسندًا ظَهره إلى صخرة، يشحذ سيفه الطَّويل بحركاتٍ طوليَّة بطيئة. راقبَ چون الجوَّال بعض الوقت، ثم استجمعَ شَجاعته وذهبَ إليه، وخاطَبه قائلًا: «سيِّدي، إنك لم تسأل عمَّا حدثَ مع الفتاة».

قال كورين: «لستُ سيِّدًا يا چون سنو»، ومرَّر حجر الشَّحذ بنعومةٍ على حافة الفولاذ بيده ذات الإصبعين.

- «قالت إن مانس سيأخذني إذا هربتُ معها».

- «قالت الحقيقة».

- «وزعمَت أننا قريبان، وحكَت لي قصَّةً عن...».

- «... بايل الشَّاعر ووردة وينترفل. ثعبان الحجر أخبرَني. أعرفُ هذه الأغنيَّة. كان مانس يُغنِّيها قديمًا بَعدما يعود من جولاته. كان شغوفًا بموسيقى الهَمج، نعم، وبنسائهم كذلك».

- «أكنت تعرفه؟».

أجابَ بنبرةٍ حزينة: «كلنا كنا نعرفه».

كانا صديقين علاوةً على أخوَّتهما، والآن عدوَّان لدودان. «لماذا انشقَّ؟».

- «يقول البعض من أجل فتاةٍ، ويقول غيرهم من أجل تاج»، واختبرَ كورين حدَّة النَّصل بطرف إبهامه متابعًا: «نعم، أحبَّ مانس النِّساء، ولم يكن رجلًا يركع بسهولة، هذا صحيح، لكن الأمر كان أكبر من هذا. مانس أحبَّ البراري أكثر من «الجِدار». كانت في دمه. لقد وُلِدَ وسط الهَمج، وأخذَه حَرس اللَّيل في طفولته حين قتلوا مجموعةً من المُغيرين. عندما تركَ «بُرج الظِّلال» كان عائدًا إلى دياره لا أكثر».



- «أكان جوَّالًا بارعًا؟».

قال ذو النِّصف يد: «كان أفضلنا على الإطلاق، وأسوأنا في آنٍ واحد. فقط الحمقى من أمثال ثورين سمولوود يحتقرون الهَمج. إنهم لا يقلُّون شَجاعةً عنا يا چون، ويُضاهوننا قوَّةً وسرعةً وذكاءً، لكنهم يفتقرون إلى الانضباط. يُسَمُّون أنفسهم شعب الأحرار، وكلٌّ منهم يحسب أنه أعلى مقامًا من ملكٍ وأكثر حكمةً من مِايستر، ومانس كان هكذا، لم يتعلَّم الطَّاعة قَطُّ».

قال چون بهدوء: «مِثلما لم أتعلَّمها».

بدا كأن عينيَّ كورين الرَّماديَّتين الفَطِنتين تسبران أغواره، ولم تَلُح في نبرته أدنى دهشة وهو يقول: «إذن فقد أطلقت سراحها».

- «أكنت تعرف؟».

- «عرفتُ الآن. أخبِرني لماذا عفوت عنها».

كان التَّعبير بالكلام صعبًا، لكنه قال: «أبي لم يستعِن بجلَّادين قَطُّ، وكان يقول إنك مدِين لمَن تَقتُله بأن تَنظُر في عينيه وتسمع كلماته الأخيرة، وحين نظرتُ في عيني إيجريت...»، ورمقَ چون يديه بعجزٍ وأردفَ: «أعرفُ أنها عدوَّتنا، لكني لم أشعر بشَرٍّ فيها».

- «على عكس الاثنين الآخَرين؟».

- «كان إمَّا حياتنا أو حياتهما. لو أنهما رأيانا أو نفخا في البوق...».

- «لطاردَنا الهَمج وقتَلونا جميعًا، هذا صحيح».

- «لكن البوق مع ثعبان الحجر الآن، كما أننا أخذنا سكِّين إيجريت وفأسها. إنها وراءنا، على قدميها وعزلاء...».

وافقَه كورين: «ولا تُشَكِّل تهديدًا. لو أردتها ميتةً لتركتها مع إبِن، أو قتلتها بنفسي».

- «لماذا أمرتني بأن أفعلها إذن؟».

- «لم آمرك. قلتُ لك أن تفعل ما ينبغي فِعله، وتركتُ القرار لك»، ونهضَ كورين ودَسَّ سيفه الطَّويل في غِمده، وقال: «عندما أريدُ مَن يتسلَّق جبلًا، أطلبُ ثعبان الحجر، وإذا احتجتُ أن أغرس سهمًا في عين عدوٍّ ما على الجانب الآخَر من ميدان معركةٍ عاصف، أستدعي المُرافِق دالبريدچ، بينما



يستطيع إبن أن يجعل أيَّ رجلٍ يبوح بأسراره. كي تقود رجالك، عليك أن تعرفهم أولًا يا جون سنو، والآنَ أعرفُ عنك أكثر مما كنتُ أعرفُ صباحًا».

سألَه جون: «ولو كنتُ قد قتلتها؟».

- «لماتَت إذن وعرفتُك أكثر قليلًا من ذي قبل. لكن كفى كلامًا. عليك أن تنام، فما زالت أمامنا فراسخ نقطعها وأخطار نُجابهها، وستحتاج قوَّتك».

لم يتوقَّع جون أن يأتيه النَّوم بسهولة، وإن أدركَ أَن ذا النِّصف يد مصيب. وجدَ بُقعةً بعيدةً عن الرِّيح تحت صخرةٍ ناتئة، وخلعَ معطفه ليتغطَّى به، ونادى: «جوست، هنا، إليَّ». النَّوم أفضل دائمًا والذِّئب الأبيض الضَّخم إلى جواره، ففي رائحته راحة، ودفء مرحَّب به في فروه الشَّاحب الأشعث. لكن هذه المرَّة اكتفى جوست بالنَّظر إليه، ثم ابتعدَ ودارَ حول الخيول، قبل أن يغيب عن عينيه. يُريد أن يصطاد. لعلَّ هناك ماعزًا في هذه الجبال، فمن المؤكَّد أن قِطط الظِّلِّ تقتات بشيء. تمتمَ: «حاوِل فقط ألَّا تجتذب قِطًّا». حتى بالنِّسبة لذئبٍ رهيب، تظلُّ قِطط الظِّلِّ مصدر خطورة. جذبَ جون معطفه على جسده بإحكَام وتمدَّد تحت البروز الصَّخري.

وحين أغلقَ عينيه، حلمَ بالذِّئاب الرَّهيبة.

كانوا خمسةً بينما من المفترَض أن يكونوا ستَّةً، ومشتَّتين، كلٌّ منهم مفترق عن الآخَر، وأحسَّ بوجع الخواء العميق، كأن شيئًا يَنقُص كيانه. الغابة باردة مترامية الأطراف، وهُم صغار للغاية، ضائعون للغاية. إخوته موجودون في مكانٍ ما، وأخته، لكنه فقدَ رائحتهم. جلسَ على قائمتيه الخلفيَّتين ورفعَ رأسه إلى السَّماء التي بدأ نورها يخبو، وردَّدت الغابة أصداء صيحته الطَّويلة الموحِشة الحزينة، وإذ خفتَت الصَّيحة أصاخَ السَّمع منتظرًا إجابةً، لكن الصَّوت الوحيد الذي تناهى إلى أُذنيه كان تنهُّد نُدف الثَّلج المتطايرة في الهواء.

- جون؟

جاءَ النِّداء من ورائه أخفَّ من همسةٍ لكن قويًا. أمن الممكن أن تكون الصَّيحة صامتةً؟ أدارَ رأسه يبحث عن أخيه، عن لمحةٍ من جسدٍ رماديٍّ رشيق يتحرَّك تحت الأشجار، لكن لا شيء هنالك غير...



... شجرة ويروود.

بدا كأنها تنبثق من الصَّخرِ الصُّلب، تتلوَّى جذورها الشَّاحبة وتَخرُج من عددٍ لا نهائي من الصُّدوع والشُّقوق متناهية الصِّغر. إنها رفيعة مقارنةً بأشجار الويروود الأخرى التي رآها، لا تتعدَّى شُجيرةً شابَّةً، لكنها أخذَت تنمو وهو يتطلَّع إليها، وغَلُظَت فروعها بينما ارتفعَت إلى السَّماء. بحذرٍ دارَ حول الجذع الأبيض الأملس حتى وصلَ إلى الوجه، ورمقَته العينان الحمراوان، عينان شرستان وإنما مسرورتان لرؤيته. على الويروود كان وجه أخيه. أكانت له ثلاث أعيُنٍ من قبل؟

جاءَته الصَّيحة الصَّامتة: ليس دائمًا، ليس قبل الغُراب.

تشمَّم اللِّحاء واشتمَّ رائحة الذِّئب والشَّجرة والصَّبي، لكن الرَّوائح لم تقتصِر على هذا، والتقطَ أنفه رائحة التُّربة الدَّافئة البنِّيَّة الغنيَّة، ورائحة الحجارة الرَّماديَّة الصُّلبة، ورائحة شيءٍ آخَر، شيءٍ رهيب. الموت، إنه يشمُّ الموت. تراجعَ مجفلًا وقد انتصبَ شَعره وكشَّر عن أنيابه.

- لا تخف. إنني أحبُّ الظَّلام. لا أحد يراك وترى الجميع، لكن عليك أولًا أن تفتح أعيُنك. هل ترى؟ هكذا.

ومدَّت الشَّجرة غُصنًا ومسَّته.

وفجأةً وجدَ نفسه في الجبال من جديد، وقد انغرسَت أرجُله بعُمقٍ في الثَّلج الذي ذرَته الرِّيح بينما وقفَ على شفيرِ هاويةٍ عظيمة، ومن أمامه ينفتح «الممر الصَّادح» على الفراغ، ومن تحته يمتدُّ وادٍ طويل مثلَّث الشَّكل كبساطٍ غارقٍ في كلِّ ألوان ظهيرة يومٍ خريفي.

سَدَّ حائط هائل الحجم ذو لونٍ أبيض يميل إلى الزُّرقة أحد أطراف الوادي، يشهق مدسوسًا بين جبلين كأنه دفعَ نفسه بينهما دفعًا، ومرَّت لحظة حسبَ خلالها أنه يَحلُم بأنه عادَ إلى القلعة السَّوداء، ثم أدركَ أنه يتطلَّع إلى نهرٍ يرتفع عدَّة آلافٍ من الأقدام، وتحت الجُرف البارد المتلألئ كانت بحيرة عظيمة تعكس مياهها الزَّرقاء العميقة القمم المكلَّلة بالثَّلج المحيطة بها في حلقة. الآن رأى أن هناك أناسًا يتحرَّكون في الوادي في الأسفل، عددهم ضخم، آلاف، جيش عرمرم. بعضهم كان يَحفُر حُفرًا شديدة الاتِّساع في



الأرض نِصف المتجمِّدة، فيما أخذَ آخَرون يتدرَّبون على الحرب. شاهدَ فرقةً ضخمةً من الخيَّالة تنقضُّ على حائطٍ من التُّروس على متن خيولٍ لا تتجاوَز النَّمل حجمًا، وبلغَه صوت معركتهم الزَّائفة كحفيف أوراق شجرٍ من الفولاذ، تحمله الرِّيح خافتًا إلى أُذنيه. لم يكن المعسكر منظَّمًا على الإطلاق، ولم يرَ خنادق أو خوازيق حادَّةً ولا صفوف خيولٍ منتظمة، وفي كلِّ مكانٍ ارتفعَت مآوٍ بدائيَّة من الفخَّار وخيام من جلود الحيوانات، ولمحَ أكوامًا غير مرتَّبةٍ من التِّبن، وشَمَّ ماعزًا وخرافًا وخيولًا وخنازير، بالإضافة إلى فيضٍ من الكلاب، ومن ألف بؤرة نارٍ تصاعدَت خيوط من الدُّخان الأسود.

هذا ليس جيشًا، ولا بلدةً كذلك. إنه شعب كامل احتشدَ في مكانٍ واحد.

عبر البحيرة الطَّويلة تحرَّكت كومة من الثَّرى، فأمعنَ النَّظر إليها ورأى أنه ليس ثرى على الإطلاق، بل كائن حي، وحش أشعث ثقيل، أنفه كثعبان ونابا أكبر مما لدى أيِّ خنزيرٍ برِّي شهدَه العالم، والشَّيء الذي يمتطيه ضخم أيضًا، لكن في تكوينه شيئًا غير سليم، وَركيه وساقيه أغلظ كثيرًا من أن يكون إنسانًا.

ثم جعلَت هبَّة مباغتة من الرِّيح فروه ينتصب، وارتعشَ الهواء مع صوت الجناحين، وإذ رفعَ عينيه إلى أعالي الجبال البيضاء فوقه، حجبَ ظِلٌّ السَّماء، وشَقَّت صرخة رفيعة حادَّة مسامعه، ثم لمحَ الجناحين الرَّماديَّين المائلين إلى الزُّرقة منبسطين أمامه مباشرةً، يُخفِيان وجه الشَّمس...

وصرخَ چون وهو ينتفض معتدلًا: «جوست!». ما زال يَشعُر بالمخالب، وبالألم. «جوست، إليَّ!».

ظهرَ إِبن وأمسكَه وهزَّه قائلًا: «صمتًا! أتُريد أن ينتبه الهَمج إلينا؟ ماذا بك يا فتى؟».

أجابَ چون بوهن: «حُلم. كنتُ جوست، كنتُ على حافة الجبل أنظرُ إلى نهرٍ متجمِّد أسفلي، وشيء ما هاجمَني، طائر... نسر على ما أظنُّ...».

ابتسمَ المُرافِق دالبريدچ، وقال: «لا أرى في أحلامي غير النِّسوة الجميلات. ليتني أحلمُ أكثر».

جاءَ كورين ووقفَ إلى جواره متسائلًا: «تقول إنه نهر متجمِّد؟».



قال ثعبان الحجر: «النَّهر اللَّبني يتدفَّق من بحيرةٍ عظيمة تحت نهرٍ جليدي».

- «كانت هناك شجرة لها وجه أخي. الهَمج... كانوا آلافًا، أعدادهم أكبر مما حسبته ممكنًا، وثمَّة عمالقة يقودون الماموثات». خمَّن بناءً على تغيُّر الضَّوء أنه نامَ أربع أو خمس ساعات، وقد هوَت مطارق الصُّداع داخل رأسه، وأحسَّ بالألم الحارق في مؤخِّرة عُنقه حيث انغرسَت المخالب. لكنه كان حُلمًا.

قال كورين ذو النِّصف يد: «أخبِرني بكلٍّ ما تَذكُره من البداية للنِّهاية».

رَدَّ بارتباك: «كان مجرَّد حُلم».

قال ذو النِّصف يد: «حُلم ذئبي. كراستر قال لحضرة القائد إن الهَمج يحتشدون عند منبع النَّهر اللَّبني، ولعلَّك حلمت به لهذا السَّبب، أو ربما رأيت ما ينتظرنا على بُعد ساعاتٍ قليلة. أخبِرني».

أشعرَه الكلام عن تلك الأشياء أمام كورين والجوَّالة الآخَرين بالحماقة، لكنه أطاعَ الأمر، على أن أحدًا من الإخوة السُّود ضحكَ منه، وحين انتهى كان المُرافِق دالبريدچ نفسه قد كَفَّ عن الابتسام.

رمقَ إبن ذا النِّصف يد وسألَه بتجهُّم: «مبدِّل جِلدة؟»، فتساءلَ چون: أيقصد النَّسر أم يقصدني؟ مبدِّلو الجِلدة والأوْراج مكانهم حكايات العجوز نان القديمة، وليس العالم الذي عاشَ فيه طيلة حياته، لكن هنا، في عُمق براري الصَّخر والجليد الموحشة، لم يكن صعبًا أن يُصَدِّق.

- «الرِّيح الباردة تشتدُّ كما كان مورمونت يخشى وبنچن ستارك يَشعُر. الموتى يسيرون والأشجار لها أعيُن من جديد، فلِمَ نُنكِر وجود الأوْراج والعمالقة؟».

سألَ دالبريدچ: «أيعني هذا أن أحلامي حقيقيَّة أيضًا؟ فليحتفظ اللورد سنو بماموثاته، أمَّا أنا فأريدُ نسائي».

قال إبِن: «خدمتُ في حَرس اللَّيل رجلًا وصبيًّا، وخرجتُ في أبعد الجولات، ورأيتُ عظام عمالقةٍ وسمعتُ حكاياتٍ عجيبة عدَّة، لكن ليس أكثر من هذا. أريدُ أن أراهم بأُمِّ عينيَّ».



قال ثعبان الحجر: «حذارِ من أن يروك هُم يا إِبن».

لم يكن جوست قد عادَ حين بدأوا يتحرَّكون من جديد، وكانت الظِّلال قد كسَت أرض الممرِّ بينما تغوص الشَّمس سريعًا وراء القمة المزدوجة للجبل العظيم الذي يُسَمِّيه الجوَّالة «رأس الشَّوكة». إذا كان الحُلم حقيقيًّا... ملأته الفكرة خوفًا. هل آذى النَّسر جوست أو أسقطَه في الهاوية؟ وماذا عن شجرة الويروود ذات وجه أخيه التي فاحَت منها رائحة الهلاك والظُّلمات؟

اختفى آخِر شعاعٍ من الشَّمس وراء قمتيِّ «رأس الشَّوكة»، وسادَ الغَسق في «الممر الصَّادح»، وبدا كأن البرد بدأ يشتدُّ في الحال. لم يعودوا يصعدون، والحقيقة أن الأرض بدأت تنحدر، لكن ليس بحدَّة، وقد شاعَت فيها الشُّقوق وتناثرَت عليها الجلاميد المحطَّمة وأكوام الصُّخور السَّاقطة. سيحلُّ الظَّلام قريبًا، ولا أثر لجوست بعدُ. كان الخوف يُمَزِّق نياط قلبه، لكن چون لم يجرؤ على مناداة الذِّئب الرَّهيب، فلربما هناك أشياء أخرى تُصغي.

قال المُرافِق دالبريدچ بصوتٍ خافت: «كورين، هناك، انظُر».

كان النَّسر جاثمًا فوق نتوءٍ صخري على مسافةٍ بعيدةٍ أعلاهم، وقد حدَّدته السَّماء التي بدأت تُظلِم، وفكَّر چون: لقد رأينا نسورًا أخرى، وليس من الضَّروري أن يكون الذي رأيته في حُلمي.

على الرغم من ذلك أرادَ إِبن أن يرميه بسهم، لكن المُرافِق منعَه قائلًا: «الطَّائر بعيد جدًّا عن مرمى القوس».

- «لا تروقني مراقَبته لنا».

هَزَّ المُرافِق كتفيه، وقال: «ولا تروقني أيضًا، لكنك لن تُسقِطه، وستُبَدِّد سهمًا ثمينًا لا أكثر».

جلسَ كورين فوق سَرجه رامقًا النَّسر فترةً طويلةً، قبل أن يقول: «سنُواصِل الطَّريق»، واستأنفَ الجوَّالة هبوطهم، بينما أرادَ چون أن يَصرُخ: جوست، أين أنت؟!

كان على وشك أن يتبع كورين والآخَرين، حين أبصر لمحةً من الأبيض بين جلمودين، فخمَّن أنها رُقعة من الثَّلج القديم إلى أن رآها تتحرَّك، فوثب من فوق حصانه على الفور، وعندما ركعَ إلى جوار جوست، رفعَ الذِّئب رأسه



قد التمعَ الدَّم على عُنقه، لكنه لم يُصدِر صوتًا لمَّا خلعَ چون قُفَّازًا ومسَّه. كانت مخالب النَّسر قد صنعَت شِقًّا داميًا في الفرو واللَّحم، وإن لم يستطِع الطَّائر أن يكسر عُنقه.

وجدَ كورين ذو النِّصف يد واقفًا إلى جواره ويسأله: «أحالته سيِّئة؟».

وكأنه يُجيب السُّؤال، نهضَ جوست بصعوبة.

قال الجوَّال: «الذِّئب قوي. إبن، ماء. ثعبان الحجر، قِربة نبيذك. ثبِّته يا چون».

معًا غسلوا الدِّماء المتجلِّطة على فرو الذِّئب الأبيض، وقاومَ جوست وكشَّر عن أنيابه حين صَبَّ كورين النَّبيذ على الجروح الحمراء المهترئة التي خلَّفتها هجمة النَّسر، لكن چون طوَّقه بذراعيه وتمتمَ بكلماتٍ مهدِّئة في أُذنه، وسرعان ما هدأ الذِّئب الرَّهيب.

كان الظَّلام قد حَلَّ بالكامل حين مزَّقوا رُقعةً من معطف چون ليُضَمِّدوا بها الجروح، ولم يُفرِّق السَّماء السَّوداء عن الأحجار السَّوداء غير نُثارةٍ من النُّجوم.

سألَ ثعبان الحجر: «هل نمضي قُدمًا؟».

ذهبَ كورين إلى حصانه مجيبًا: «سنعود».

ردَّد چون مبهوتًا: «نعود؟».

- «النُّسور أحدُّ بصرًا من البَشر. لقد شوهِدنا، والآن نفرُّ»، وربطَ ذو النِّصف يد وشاحًا أسود طويلًا حول وجهه، وامتطى حصانه.

تبادلَ الجوَّالة الآخَرون نظرةً، لكن أحدًا منهم لم يُجادِل، وامتطوا خيولهم واحدًا تلو الآخَر ووجَّهوها صوب الدِّيار.

نادى چون: «جوست، هلمَّ»، وتبعَه الذِّئب الرَّهيب كظِلٍّ شاحب يسري في سواد اللَّيل.

ركبوا طول اللَّيل متلمِّسين طريقهم الصَّاعد عبر الممرِّ الملتوي وعلى الأرض المحطَّمة الممتدَّة، واشتدَّت الرِّيح أكثر. في بقاعٍ كان الظَّلام حالكًا لدرجةٍ أجبرَتهم على الترجُّل والمضيِّ على الأقدام وكلٌّ منهم يقود حصانه، واقترحَ إبن أن المشاعل قد تنفعهم الآن، لكن كورين قال: «لا نار»، فلم يُثِر



أحدهم الأمر ثانيةً. بلغوا الجسر الحجري عند القمَّة وعادوا يهبطون، وفي مكانٍ ما وسط العتمة صرخَ قِطُّ ظِلٍّ بثورة، يتردَّد صوته على الصُّخور حتى بدا كأن عشر قِططٍ أخرى تُجيبه، وفي مرَّةٍ حسبَ چون أنه رأى عينين متوهِّجتين فوق إفريزٍ أعلاهم، اتِّساعهما كقمر الحصاد.

في السَّاعة السَّوداء السَّابقة للفَجر توقَّفوا ليرووا الخيول، وأطعَموا كلًّا منها حفنةً من الشُّوفان وحزمةً أو اثنتين من التِّبن، وقال كورين: «لا نَبعُد كثيرًا عن المكان الذي ماتَ فيه الهمجيَّان. من هناك يستطيع رجل واحد أن يَصُدَّ مئةً، الرَّجل المناسب»، ورمقَ المُرافِق دالبريدچ.

خفضَ المُرافِق رأسه قائلًا: «اترُكوا لي كلَّ ما تستطيعون الاستغناء عنه من سهام يا إخوان»، وربَّت على قوسه الطَّويل مضيفًا: «واحرِصوا على أن ينال حصاني تُفَّاحةً حين يعود إلى الدِّيار، فالمسكين يستحقُّها».

أدركَ چون ما يَحدُث. سيبقى هنا ويموت.

قبضَ كورين على ساعِد المُرافِق بيده المغطَّاة بالقُفَّاز، وقال: «إذا هبطَ النَّسر ليُلقي عليك نظرةً...».

- «... سأزيِّنُ ريشه بريشة سهمي».

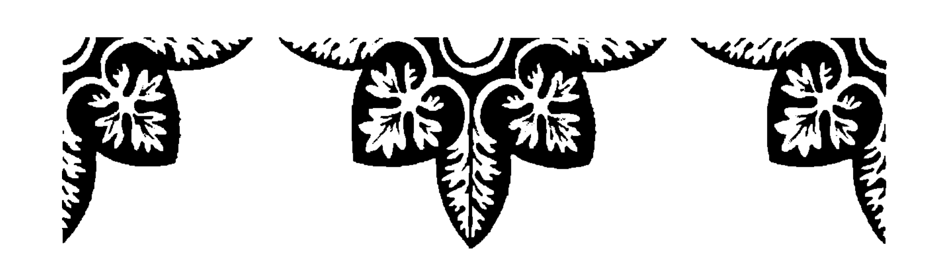
آخِر ما رآه چون من المُرافِق دالبريدچ كان ظَهره وقد بدأ يتسلَّق الممرَّ الضيِّق إلى الأعالي.

حين طلعَ الفَجر، رفعَ چون عينيه إلى السَّماء الخالية من السَّحاب ورأى بُقعةً تتحرَّك عبر الأزرق، ولمحَ إبن النَّسر أيضًا وأطلقَ سبابًا، لكن كورين أمرَه بالصَّمت وقال: «اصغوا».

وكتمَ چون أنفاسه وسمعَ صدى بوق الصَّيد يتردَّد من بعيدٍ وراءهم بين الجبال.

وقال كورين: «إنهم قادمون».





تيريون

ألبسَه پود سُترةً من المخمل الفاخر بلون لانستر القرمزي استعدادًا للتَّجربة القاسية المقبلة، وأحضرَ له سلسلة منصبه الذَّهبيَّة، لكنه تركَها على المنضدة المجاورة لفِراشه، فأخته تكره كلَّ ما يُذَكِّرها بأنه يد الملك، وهو لا يرغب في أن تتوتَّر العلاقات بينهما أكثر.

لحقَ به ڤارس وهو يقطع السَّاحة، وقال لاهثًا بعض الشَّيء: «سيِّدي، ضروري أن تقرأ هذه الرِّسالة في الحال»، ومَدَّ يده البيضاء النَّاعمة برَقٍّ مضيفًا: «إنه تقرير من الشَّمال».

سألَه تيريون: «أخبار طيِّبة أم سيِّئة؟».

- «ليس لي أن أحكم».

بسطَ تيريون الورقة، وضيَّق عينيه ليقرأ المكتوب في ضوء مشاعل السَّاحة، قبل أن يُتَمتِم: «لترحمنا الآلهة. كلاهما؟».

- «أخشى هذا يا سيِّدي. خبرٌ أليم ومفجِع للغاية. كانا صغيرَيْن بريئيْن».

تذكَّر تيريون كيف عوَت الذِّئاب حين سقطَ ابن ستارك. تُرى هل تعوي الآن؟ «هل أخبرت أحدًا غيري؟».

- «ليس بعدُ، لكن عليَّ أن أفعل بالطَّبع».

طوى الرِّسالة قائلًا: «سأخبرُ أختي بنفسي». يُريد أن يرى كيف ستتلقَّى الخبر، يُريد هذا لأقصى حَد.

بدَت الملكة رائعة الجمال اللَّيلة، وقد ارتدَت فُستانًا مقوَّر الصَّدر من المخمل الأخضر الدَّاكن أبرزَ لون عينيها، وانسدلَ شَعرها الذَّهبي على كتفيها



العاريتين، وحول خصرها حزام مجدول مرصَّع بالزمرُّد. انتظرَ تيريون حتى جلسَ ووُضِعَت أمامه كأس من النَّبيذ قبلِ أن يُلَوِّح بالرِّسالة في وجهها دون أن يقول شيئًا، فرمقَته سرسي ببراءةٍ والتقطَت الرَّقّ من يده.

قال بينما قرأت: «لا بُدَّ أنكِ مسرورة. لقد أردتِ أن يموت صبيُّ ستارك».

ردَّت سرسي بملامح مكفهرَّة: «چايمي هو مَن ألقاه من تلك النَّافذة وليس أنا، من أجل الحُبِّ كما قال، كأن من المفترَض أن يُسعِدني هذا. كانت فعلةً حمقاء، وخطِرة كذلك، لكن منذ متى وأخونا العزيز يتوقَّف ليُفَكِّر؟».

قال تيريون: «لقد رآكما الصَّبي».

- «كان طفلًا، وكان يُمكن أن أخيفه حتى يلزم الصَّمت»، وتأمَّلت سرسي الرِّسالة مردفةً: «لماذا تطالني الاتِّهامات كلما خبطَ أحد مِن أبناء ستارك إصبعه؟ جرايچوي هو من فعلَ هذا، ولا دور لي فيه».

- «لنأمل أن تُصَدِّق الليدي كاتلين هذا».

اتَّسعت عيناها، وقالت: «إنها لن...».

- «... تَقتُل چايمي؟ ولِمَ لا؟ ماذا كنتِ لتفعلين لو قُتِلَ چوفري وتومن؟».

صاحَت الملكة: «ما زالت سانزا لديَّ!».

قال مصحِّحًا: «ما زالت سانزا لدينا، وخيرٌ لنا أن نعتني بها جيِّدًا. والآن أين العَشاء الذي وعدتِني به يا شقيقتي الجميلة؟».

لا سبيل لإنكار أن مائدة سرسي عامرة بكلِّ ما لَذَّ وطابَ. بدأ بحَساء الكستناء والخُبز المحمَّر السَّاخن والخضراوات المقلَّبة مع التُّفَّاح والصَّنوبر، ثم قُدِّمَت فطيرة سمك الشِّلق، ولحم الخنزير المشوي بالعسل، وطبق من الفاصوليا البيضاء واللَّحم المقدَّد، وإوزَّة محشوَّة بالفِطر والمحار. تعاملَ تيريون بتهذيب لا مثيل له، عارضًا على أخته أفضل القِطع من كلِّ صنف، وحرصَ ألَّا يأكل شيئًا قبل أن تأكله هي أولًا. ليس أنه يحسب حقًّا أنها ستُسَمِّمه، لكن الحذر لا يضرُّ أبدًا.

رأى أن خبر ابنيِّ ستارك عكَّر مزاجها، وسألَته بتوتُّر وهي تغرس طرف سكِّينها في قطعة تُفَّاحٍ وتأكلها بقضماتٍ صغيرة رقيقة: «أما من أخبارٍ من «جسر العلقم»؟».



- «البتَّة».

- «لم أثق بالإصبع الصَّغير قَطُّ. سيذهب إلى ستانيس في غمضة عينٍ لقاء ما يكفي من مال».

- «نزاهة ستانيس باراثيون التي يُعليها فوق كلِّ شيءٍ لا تسمح له بشراء الرِّجال أبدًا، كما أنه ليس بسيِّدٍ يستريح پيتر في خدمته. أعلمُ تمامًا أن هذه الحرب تمخَّضت عن تحالُفاتٍ غريبة حقًّا، لكن هذين الاثنين؟ لا».

قالت بينما قطَّع شرائح من اللَّحم: «علينا أن نَشكُر الليدي تاندا على هذا الخنزير».

- «أكان أمارةً على حُبِّها؟».

- «رشوة. إنها تَطلُب الإذن بالعودة إلى قلعتها، مني ومنك معًا. أعتقدُ أنها تخشى أن تقبض عليها على الطَّريق كاللورد جايلز».

قدَّم تيريون لأخته شريحةً من اللَّحم ووضعَ أخرى أمامه، وقال: «أتنوي أن تهرب مع وليِّ العهد؟ أفضِّلُ أن تبقى. إذا كانت تُريد أن تَشعُر بالأمان، فلتجلب حاميتها من ستوكوورث، رجالها كلهم».

تسلَّل شيء من الغِلظة إلى نبرة سرسي إذ سألَته: «ما دامَت حاجتنا إلى الرِّجال ماسَّة، فلِمَ صرفت همجيِّيك؟».

أجابَها صادقًا: «كان أفضل استخدام لهم. إنهم محاربون ضارون، وإنما ليسوا جنودًا. في المعارك التَّقليديَّة يلعبُ الانضباط دورًا أكبر من الشَّجاعة، وقد حقَّقوا في غابة الملوك أكثر مما كانوا ليُحَقِّقوا على أسوار المدينة بكثير».

سألَته الملكة عن مؤامرة رجال القرون فيما قُدِّمَت الإوزَّة، وقد بدَت مستاءةً أكثر من خائفة وهي تقول: «لماذا نُبتَلى بكلِّ هذه الخيانات؟ أيُّ أذى ألحقَته عائلة لانستر بهؤلاء المأفونين؟».

قال تيريون: «صِفر، لكنهم يحسبون أنهم على الجانب الرَّابح... ما يجعلهم حمقى علاوةً على خيانتهم».

- «أأنت واثق بأنك نلت منهم جميعًا؟».

أجابَ مقرِّرًا أن دسامة الإوزَّة لا تُناسِب ذائقته: «هذا ما يقوله ڤارس».



لاحَ خَطٌّ في جبين سرسي الأبيض الشَّاحب بين هاتين العينين الجميلتين، وقالت: «أنت تُفرِط في الثِّقة بذلك الخصيِّ».

- «إنه يخدمني جيِّدًا».

- «أو أن هذا ما يُريدك أن تُصَدِّقه. أتحسب أنك الوحيد الذي يهمس له بالأسرار؟ إنه لا يمنحنا أكثر مما يكفي لإقناعنا بأننا سنكون مكتوفي الأيدي دونه. لقد لعبَ اللُّعبة نفسها معي في بداية زواجي روبرت، ومرَّت سنوات وأنا مقتنعة أنه أخلص أصدقائي في البلاط، لكن الآن...»، وتمعَّنت في وجهه لحظةً قبل أن تُردِف: «يقول إنك تنوي أن تأخذ كلب الصَّيد من چوفري».

فارس الملعون! «أحتاجُ كليجاين في واجباتٍ أهم».

- «لا شيء أهم من حياة الملك».

- «حياة الملك ليست في خطر. چوف سيكون في حماية السير أوزموند الشُّجاع، ومرين ترانت كذلك». إنها جدواهما الوحيدة. «أحتاجُ بالون سوان وكلب الصَّيد لقيادة الهجمات الدِّفاعيَّة، للتأكُّد من أن ستانيس لن يضع إصبع قدمٍ واحدًا على جانبنا من النَّهر».

- «كان چايمي ليقود هجمةً بنفسه».

- «من ريڤرِرَن؟ يا لها من هجمة!».

- «چوف مجرَّد صبي».

- «صبيٌّ يُريد أن يكون جزءًا من المعركة، وأخيرًا تفتَّق عقله عن قرارٍ حكيم. لا أنوي أن أضعه في قلب القتال، لكن لا بُدَّ أن يُرى. الرِّجال يُقاتِلون بشراسةٍ أكبر من أجل الملك الذي يقتسِم معهم الخطر، أكثر من الملك الذي يختبئ وراء فُستان أمِّه».

- «إنه في الثَّالثة عشر يا تيريون!».

- «أتَذكُرين چايمي في هذه السِّن؟ إذا أردتِ أن يكون الصبيُّ ابن أبيه، فدعيه يلعب دوره. چوف يرتدي أفضل دِرعٍ يستطيع الذَّهب شراءها، وسيكون محاطًا بدستةٍ من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة طول الوقت، وإذا لاحَ أضعف تهديدٍ بأن المدينة ستَسقُط، سأجعلهم يُعيدونه إلى القلعة في الحال».



حسبَ أن هذا سيُطَمئِنها، لكنه لم يرَ أيَّ سرورٍ في هاتين العينين الخضراوين إذ قالت سرسي: «وهل ستَسقُط المدينة؟».

- «لا». لكن إذا سقطَت، فصلّي أن تَصمُد القلعة الحمراء حتى يصل السيِّد والدنا لإنقاذنا.

- «لقد كذبت عليَّ من قبل يا تيريون».

- «لسببٍ وجيهٍ كلَّ مرَّة يا أختي العزيزة. إنني أرغبُ مِثلكِ تمامًا في أن نتوصَّل إلى تفاهُم، وقد قرَّرتُ إطلاق سراح اللورد جايلز». كان قد حافظَ على سلامة جايلز من أجل هذه اللَّفتة. «ويُمكنكِ استعادة السير بوروس بلاونت كذلك».

زمَّت الملكة فمها، وقالت: «فليتعفَّن السير بوروس في روزبي، أمَّا تومن...».

- «... فسيبقى حيث هو. إنه أكثر أمنًا تحت حماية اللورد چاسلين مما كان مع اللورد جايلز».

رفعَ الخدم الإوزَّة التي مُسَّت بالكاد، وأشارَت سرسي لهم بإحضار الحُلو قائلةً لتيريون: «آملُ أنك تُحِبُّ كعكات التُّوت الأسود».

- «أحبُّ كلَّ أنواع الكعك».

- «أوه، أعرفُ هذا منذ زمنٍ طويل. هل تعرف ما يجعل فارس شديد الخطورة؟».

- «هل نلعب الأحاجي الآن؟ لا».

- «أنه بلا قضيب».

- «وأنتِ كذلك». أوَلا تكرهين هذا يا سرسي؟

- «ربما أكونُ خطِرةً أيضًا، أمَّا أنت فأحمق كبير ككلِّ رجلٍ آخَر، وتلك الدُّودة بين ساقيك تقوم عنك بنِصف تفكيرك».

لعقَ تيريون الفُتات من على أصابعه متابعًا ابتسامة أخته التي لم تَرُقه، وقال: «نعم، والآن تُفَكِّر دودتي أن الوقت حانَ لأن أستأذن بالانصراف».

- «أأنت متوعِّك يا أخي؟»، ومالَت إلى الأمام ليلوح له أعلى نهديها، وتابعَت: «يبدو عليك الاضطراب فجأةً».



- «الاضطراب؟». رمقَ تيريون الباب وقد حسبَ أنه سمعَ شيئًا في الخارج، وبدأ يُراوِده النَّدم على أنه جاءَ وحده. «إنكِ لم تُبدِ هذا الاهتمام بقضيبي من قبل».

- «ليس قضيبك ما يهمُّني، بل أين تُولِجه. إنني لا أعتمدُ على الخصيِّ في كلِّ شيءٍ مِثلك، ولديَّ أساليبي الخاصَّة لمعرفة الأشياء... تحديدًا الأشياء التي لا يرغب النَّاس في أن أعرفها».

- «ماذا تُحاوِلين أن تقولي؟».

- «لا شيء سوى أن عاهرتك الصَّغيرة عندي».

مَدَّ تيريون يده إلى كأس النَّبيذ يشتري لحظةً يستجمع فيها أفكاره، ثم قال: «حسبتكِ تُفَضِّلين الرِّجال».

- «أنت رجل صغير طريف حقًّا. قُل لي، هل تزوَّجت هذه أيضًا؟»، وحين لم يُجِبها ضحكَت وقالت: «سيسعد أبونا كثيرًا».

شعرَ كأن بطنه ملأى بثعابين الماء. كيف وجدَت شاي؟ هل خانَه ڤارس؟ أم أن نفاد صبره هو ما دمَّر كلَّ احتياطاته ليلة ذهبَ إلى الإيوان مباشرةً؟ «لماذا تُبالين بمن أختارُ لتدفئة فِراشي؟».

- «اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا. إنك تتآمَر ضدي منذ يوم وصولك إلى كينجز لاندنج. لقد بِعت مارسلا، وسرقت تومن، والآن تُخَطِّط لمقتل چوفري. تُريده ميتًا كي تَحكُم من خلال تومن».

لن أقول إن الفكرة ليست مغريةً. «هذا جنون يا سرسي. ستانيس سيصل في غضون أيام. إنكِ تحتاجينني».

- «لماذا؟ لبسالتك العظيمة في المعركة؟».

قال كاذبًا: «مرتزقة برون لن يُقاتِلوا دوني أبدًا».

- «أوه، أعتقدُ أنهم سيفعلون. إنهم يُحِبُّون ذهبك وليس طرافتك الشَّيطانيَّة إياها. لكن لا تخف، فلن تغيب عنهم. لن أقول إنني لم أفكِّر في شَقِّ حَلقك بين الحين والآخَر، لكن چايمي لن يُسامِحني أبدًا إذا فعلتُ».

- «والعاهرة؟». لن يَذكُرها بالاسم. إذا استطعتُ إقناعها بأن شاي لا تعني لي شيئًا، فربما...



- «ستُعامَل برفقٍ ما دامَ أذًى لم يَطُل ابنيَّ. لكن إذا قُتِلَ چوف أو وقعَ تومن في أيدي أعدائنا، فستموت مومسك الصَّغيرة ميتةً لا يُمكنك أن تتصوَّر عذابها».

إنها تُصَدِّق حقًّا أنني أنوي أن أقتل ابن أختي. قال بتعب: «الصَّبيَّان آمنان. بحَقِّ الآلهة يا سرسي، إنهما من دمي! أيُّ رجلٍ تحسبينني؟».

- «رجل صغير منحرف».

حدَّق تيريون في ثُمالة النَّبيذ في قعر الكأس. ماذا كان چايمي ليفعل لو أنه مكاني؟ كان ليَقتُل الحقيرة غالبًا ويقلق من التَّبعات فيما بَعد، لكن تيريون لا يملك سيفًا من ذهب، ولا براعة القتال بواحد. إنه يُحِبُّ غضبة أخيه المتهوِّرة، لكن عليه الآن أن يقتدي بالسيِّد والدهم. حجرًا، يجب أن أكون حجرًا، أكون كاسترلي روك ذاتها، صُلبًا لا أتزحزحُ. إذا رسبتُ في هذا الاختبار، فخيرٌ لي أن أبحث عن أقرب معرض للوحوش. قال: «ربما قتلتِها بالفعل ولا أدري».

- «أتودُّ أن تراها؟ خطَرَ لي أنك ستفعل»، وقطعَت سرسي الغُرفة وفتحَت الباب البلُّوطي الثَّقيل، وقالت: «أدخِلا عاهرة أخي».

أوزني وأوزفريد أخوا السير أوزموند متشابهان كحبتيٍّ بازلاء في قرنٍ واحد، كلاهما طويل القامة ومعقوف الأنف وداكن الشَّعر وقاسي الابتسامة، وكانت هي معلَّقةً بينهما بعينين متَّسعتين بيضاوين في وجهها الأسمر، وقد سالَ الدَّم من شفتها المشقوقة، وتحت ثيابها الممزَّقة لمحَ عدَّة كدمات، بينما قُيِّدَت يداها بحبل، وكمَّموها ليمنعوها من الكلام.

- «قلتِ إن أذًى لن يمسَّها».

على عكس أخويه، كان أوزني كِتلبلاك حليق الوجه، فلاحَت الخدوش بوضوح على وجنتيه وهو يقول: «لقد قاومَت. لديها مخالب كقِطط الظِّلِّ هذه الفتاة».

قالت سرسي بنبرةٍ ضجِرة: «الكدمات تُشفى، وستظلُّ العاهرة حيَّةً ما دامَ چوف حيًّا».

أرادَ تيريون أن يضحك منها، ولكم كان ليتلذَّذ بذلك الشُّعور لحظتها، الشُّعور الحُلو لأقصى حَدٍّ ممكن، لكن لُعبته كانت لتنكشِف لو فعلَ. خسرتِ



يا سرسي، والإخوة كِتلبلاك هؤلاء أكثر حماقةً مما قال برون. ليس عليه أكثر من أن يُلقي الحقيقة في وجهها الآن، لكنه نظرَ بدلًا من هذا إلى وجه الفتاة، وقال: «أتُقسِمين أن تُطلِقي سراحها بَعد المعركة؟».

- «إذا أطلقتَ سراح تومن، نعم».

نهضَ قائلًا: «احتفظي بها إذن، لكن حافِظي على سلامتها. إذا كان هذان الحيوانان يُفَكِّران في استخدامها... دعيني أقول لكِ فقط إن كفَّة الميزان تميل في الجهتين يا شقيقتي العزيزة». كانت نبرته هادئةً محايدةً لا مباليةً تمامًا وقد بحثَ عن صوت أبيه ووجدَه. «ما يَحدُث لها يَحدُث لتومن أيضًا، ويتضمَّن هذا الضَّرب والاغتصاب». ما دامَت تحسبني وحشًا، فلألعب الدَّور أمامها إلى نهايته.

لم تتوقَّع سرسي هذا، وقالت: «لن تجرؤ».

جعلَ تيريون نفسه يبتسم ببُطءٍ وبرود، وبالأخضر والأسود ضحكَت عيناه منها وهو يقول: «أجرؤ؟ سأفعلها بنفسي!».

شقَّت يد أخته الهواء نحو وجهه، لكنه قبضَ على معصمها ولواه حتى صرخَت ألمًا، ولمَّا تحرَّك أوزفريد لنجدتها، قال القزم محذِّرًا: «خطوة واحدة وسأكسرُ ذراعها»، فتوقَّف الرَّجل، وخاطبَ تيريون أخته قائلًا: «أتَذكُرين حين قلتُ إنكِ لن تصفعيني ثانيةً أبدًا يا سرسي؟»، ودفعَها لتَسقُط أرضًا والتفتَ إلى الأخوين كِتلبلاك وقال: «حرِّرا معصميها وارفعا الكمامة».

كان الحبل موثَقًا بشدَّةٍ قطعَت سريان الدَّم إلى يديها، فأطلقَت الفتاة صرخة ألم حين عادَ الدَّم يتدفَّق إليهما، ودلَّك تيريون أصابعها برفقٍ إلى أن عادَ إليهماَ الحِسُّ، وقال لها: «لا بُدَّ أن تكوني شُجاعةً يا حُلوتي. آسفٌ لأنهم آذوكِ».

- «أعرفُ أنك ستُحَرِّرني يا سيِّدي».

وعدَها قائلًا: «سأفعلُ»، وانحنَت ألايايا وقبَّلت جبهته فتركَت شفتها المشقوقة لطخةً من الدَّم عليها. القُبلة الدَّامية أكثر مما أستحقُّ. لم يكن ليَحدُث لها هذا لولاي. وظَلَّ دمها على وجهه إذ نظرَ إلى الملكة على الأرض، وقال: «إنني لم أحبَّكِ قَطُّ يا سرسي، لكنكِ كنتِ أختي فلم أمسَّك بسوء، أمَّا الآن



فقد وضعتِ نهايةً لهذا. سوف أجرحكِ لما فعلتِ. لا أدري كيف بعدُ، لكن امنحيني وقتًا. سيأتي يوم تتوهَّمين نفسكِ فيه آمنةً سعيدةً، وفجأةً ستستحيل فرحتكِ رمادًا في فمكِ، وستعلمين يومئذٍ أن الدَّين قد سُدِّدَ».

في الحرب -كما قال له أبوه ذات مرَّة- تنتهي المعركة لحظة أن يَنكُص أحد الجيشين ويفرَّ، ولا يهمُّ إن كان عدد الرِّجال غفيرًا كما كان قبل لحظة، لا يهمُّ إن كانوا ما زالوا مسلَّحين مدرَّعين، فبمجرَّد أن يهربوا منك فإنهم لن يعودوا إلى القتال ثانيةً. هكذا كان الأمر مع سرسي لحظتها. «اخرُج!» هو الرَّدُّ الوحيد الذي استطاعَت تدبيره. «اغرُب عن وجهي!».

حنى تيريون رأسه قائلًا: «طابَت ليلتكِ إذن، وأحلامًا سعيدةً».

عادَ إلى مسكنه في بُرج اليد شاعرًا بألف قدم مدرَّعة تدقُّ جمجمته من الدَّاخل. كان يجب أن أرى هذا الاحتمال منذ تسلَّلتُ من ظَهر صُوان شاتايا أول مرَّة. لعلَّه لم يُرِد أن يرى. كانت ساقاه تُوجِعانه بشدَّةٍ حين بلغَ نهاية السَّلالم أخيرًا، وأرسلَ پود يُحضِر نبيذًا ودفعَ باب غُرفة النَّوم.

وكانت شِاي جالسةً متقاطعة السَّاقين في الفِراش المظلَّل، عاريةً تمامًا إلَّا من السِّلسلة الذَّهبيَّة الثَّقيلة المتدلِّية فوق ثدييها، سلسلة الأيدي التي تُطبِق كلٌّ منها على الأخرى.

لم يتوقَّع تيريون أن يجدها في غُرفته، وسألَها: «ماذا تفعلين هنا؟».

ملَّست على السِّلسلة ضاحكةً، وأجابَت: «أردتُ يدًا أو اثنتين على ثدييَّ، لكن هذه الأيدي الذَّهبيَّة الصَّغيرة باردة».

لم يدرِ ماذا يقول. كيف يُخبِرها بأن امرأةً أخرى تلقَّت الضَّرب الذي كان يُفترَض أن ينالها هي، وقد تموت بدلًا منها إذا أصابَ حَظٌّ عاثر ما چوفري بمكروهٍ ما في المعركة؟ مسحَ دم ألايايا عن جبهته بظَهر كَفِّه، وقال: «الليدي لوليس...».

- «نائمة. البقرة الكبيرة لا تُريد إلَّا أن تنام، تنام وتأكل، وأحيانًا تغيب في النَّوم وهي تأكل، ويَسقُط الطَّعام تحت الأغطية وتتمرَّغ فيه، ويكون عليَّ تنظيفها»، وأردفَت بامتعاض: «لقد ناكوها لا أكثر!».

- «تقول أمُّها إنها مريضة».



- «في بطنها طفل، هذا كلُّ شيء».

تطلَّع تيريون حول الغُرفة ليجد كلَّ شيءٍ كما تركَه، فقال لها: «كيف دخلتِ؟ أريني الباب الخفي».

هزَّت كتفيها قائلةً: «اللورد ڤارس جعلَني أرتدي قلنسوةً، فلم أرَ، لكن... في بقعةٍ اختلستُ النَّظر إلى الأرض من تحت القلنسوة، وكانت كلها من البلاط... أتعرف هذا النَّوع الذي يصنعون منه الصُّور؟».

- «الفُسيفساء؟».

أومأَت شِاي برأسها إيجابًا، وقالت: «كان لونها أحمر وأسود، وأظنُّها كانت صورة تنِّين، فيما عدا هذا كان كلُّ شيءٍ مظلمًا. نزلنا سُلَّمًا ومشينا مسافةً طويلةً حتى لم أعد أدري أين أنا. توقَّفنا مرَّةً ليفتح قفلًا على بوَّابةٍ حديد. مسستها حين مررنا منها، والتنِّين كان بَعد البوَّابة، ثم صعدنا سُلَّمًا آخَر يقود إلى نفق، فمشيتُ منحنيةً، وأظنُّ أن اللورد ڤارس كان يزحف».

دارَ تيريون في جنبات الغُرفة. أحد حاملات الشُّموع بدا محلولًا، فشَبَّ على أصابع قدميه وحاولَ تحريكه، فدارَ ببُطءٍ محتكًا بالحائط الحجري، وحين انقلبَ سقطَت منه بقايا شمعة، أمَّا البُسط الموزَّعة على الأرض الباردة فلم يبدُ عليها تبدُّل ملحوظ.

سألَته شِاي: «ألا يُريد سِيدي أن يعتليني؟».

- «بَعد قليل». فتحَ تيريون صُوانه وأزاحَ ملابسه جانبًا ودفعَ الظَّهر، فما يَصلُح في ماخورٍ قد يَصلُح في قلعةٍ كذلك... لكن لا، الخشب صُلب تمامًا، لا يتزحزح. جذَبَ حجر مجاور لمقعد النَّافذة نظره، لكن لم تُثمِر كلُّ محاولات الجذب والتَّحريك شيئًا، وعادَ تيريون إلى الفِراش محبطًا مستاءً.

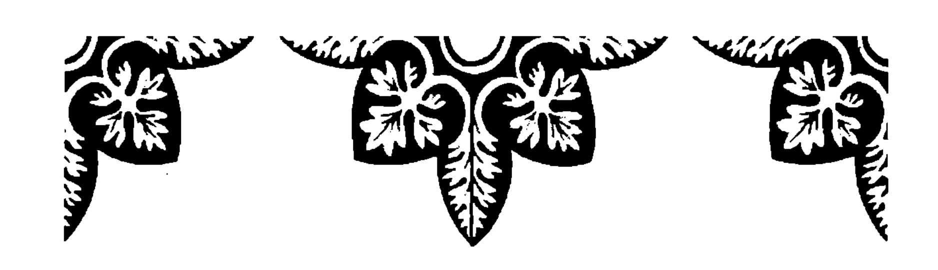
حلَّت شِاي أربطة سراويله وأحاطَت عُنقه بذراعيها مغمغمةً: «كتفاك متيبِّستان كصخرتين. أسرِع، أريدُ أن أشعر بك في داخلي»، غير أن ذكورته تخلَّت عنه حين طوَّقت خصره بساقيها، ولمَّا شعرَت شِاي بارتخائه، نزلَت تحت الأغطية وأخذَته في فمها، لكن حتى هذا لم ينجح في استثارته. أوقفَها بَعد لحظاتٍ قليلة، فسألَته: «ما الخطب؟». كلُّ ما في العالم من براءةٍ عذبة كان مرسومًا على قسماتها.



براءة؟ إنها عاهرة أيها الأحمق. سرسي على حَق، إنك تُفَكِّر بقضيبك أيها الأحمق الأحمق!

قال مملِّسًا على شَعرها: «اخلُدي إلى النَّوم يا حُلوتي»، لكنِ بَعد أن استجابَت شِاي لنصيحته بفترةٍ طويلة، ظَلَّ تيريون نفسه مستيقظًا، تضمُّ أصابعه أحد ثدييها الصَّغيرين ويُصغي لأنفاسها.





كاتلين

القاعة الكُبرى في ريڤرِرَن مكان موحِش حينما يجلس فيها فردان فقط يتناوَلان العَشاء. امتدَّت الظِّلال القاتمة على الجُدران، وقد انطفأ واحد من المشاعل الأربعة قبل فترة، وجلسَت كاتلين تُحَدِّق في كأس النَّبيذ الذي شعرَت بمذاقه رديئًا فاسدًا على لسانها، وعلى الجانب الآخَر من المائدة جلسَت بِريان، وبينهما مقعد اللورد هوستر العالي الخالي كبقيَّة القاعة. حتى الخدم ليسوا موجودين، فقد منحَتهم الإذن بالذَّهاب إلى الاحتفال.

على الرغم من سُمك جُدران الحصن، بلغَتهما الأصوات المكتومة للَّهو الصَّاخب قادمةً من السَّاحة. كان السير دزموند قد أخرجَ عشرين برميل شرابٍ من الأقبية، والعامَّة يحتفلون بعودة إدميور المرتقَبة وغزوة روب في «الجُرف» بإفراغ قرون المِزر البنِّي كالجوز في أجوافهم.

لا ألومهم، فإنهم لا يعلمون، وإذا علموا، فلِمَ يكترثون؟ إنهم لم يعرفوا ابنيَّ قَطُّ، لم يُشاهِدوا بران يتسلَّق وقلوبهم في حلوقهم، بينما يمتزج الفخر والخوف في داخلهم حتى يبدوان واحدًا، لم يسمعوه يضحك، لم يبتسموا لرؤية ريكون يبذل كلَّ جهده ليكون مِثل أخيه الكبير. رمقَت العَشاء الموضوع أمامها، سمك الترويت الملفوف باللَّحم المقدَّد، وسلطة أوراق اللِّفت الخضراء والشَّمار الأحمر والعُشب السُّكَّري، والبازلاء والبصل والخُبز السَّاخن. كانت بِريان تأكل بطريقةٍ آليَّةٍ ثابتة، كأن العَشاء محض واجبٍ آخَر عليها إنجازه. صرتُ امرأةً نِكدةً، لا أجدُ مسرَّةً في الطَّعام والشَّراب،



والضَّحكات والأغاني أضحَت تُثير التوتُّر كالأغراب. إنني مخلوقة من الغَمِّ والتُّراب ولوعة الاشتياق المريرة، وفي داخلي مكان فارغ كان يحتلُّه قلبي.

أصبحَت أصوات المضغ والازدراد التي تُصدِرها المرأة الأخرى لا تُطاق، فقالت كاتلين: «بِريان، لستُ بالصُّحبة الملائمة الآن. اذهبي وانضمِّي إلى الاحتفال إذا أردتِ. اشربي قرنًا من المِزر وارقُصي على أنغام قيثارة رايموند».

قالت بِريان: «لستُ مخلوقةً للاحتفالات يا سيِّدتي»، ومزَّقت يداها الكبيرتان رغيفًا من الخُبز الأسمر، ثم حدَّقت فيه كأنها نسيَت ماذا يكون، وأردفَت: «إذا أمرتِ، فـ...».

أحسَّت كاتلين بضيقها، فقالت: «خطرَ لي فقط أن تستمتعي بصُحبةٍ تسرُّ أكثر مني».

قالت الفتاة: «أنا راضية تمامًا»، واستخدمَت الخُبز لامتصاص القليل من دُهن اللَّحم المقدَّد الذي حُمِّرَ فيه السَّمك.

لم تدرِ كاتلين لماذا قالتها، لكنها قالت: «جاءَ طائر آخَر هذا الصَّباح، وأيقظَني المِايستر في الحال. كان يؤدِّي واجبه، لكن تصرُّفه لم يكن رحيمًا، لم يكن رحيمًا على الإطلاق». لم تكن تنوي أن تُخبِر بِريان، فلا أحد يعرف غيرها والمِايستر ڤايمان، وكانت تعتزم أن يظلَّ الأمر هكذا حتى... حتى...

حتى ماذا؟ أيتها الحمقاء، هل كتمانكِ لما حدثَ في قلبكِ سيجعله أقلَّ حقيقةً؟ إذا لم تُخبري أحدًا أبدًا، إذا لم تبوحي بشيء، فهل سيُصبِح مجرَّد حُلم، أو أقلَّ من حُلم؟ هل سيُصبِح كابوسًا بعيدًا اشِبه منسي؟ أوه، ليت الآلهة بهذه الرَّحمة.

سألَتها بِريان: «أهي أنباء من كينجز لاندنج؟».

- «ليتها كانت كذلك. الطَّائر أتى من قلعة سروين، من السير رودريك أمين قلعتي». أجنحة سوداء، أخبار سوداء. «لقد حشد القوَّة التي يقدر عليها ويزحف إلى وينترفل لاستعادة القلعة». كم يبدو كلُّ هذا تافهًا الآن. «لكنه قال... كتبَ... أخبرَني أن...».

- «ما الأمر يا سيِّدتي؟ أهناك أخبار عن ابنيكِ؟».



سؤال في غاية البساطة، فليت الإجابة كانت بسيطةً مِثله. احتبسَت الكلمات في حَلق كاتلين حين حاولَت أن تتكلَّم، قبل أن تقول أخيرًا: «ليس لي أبناء غير روب». استطاعَت أن تلفظ الكلمات الرَّهيبة دون أن تنتحِب، وشعرَت بالامتنان لهذا القَدر على الأقل.

رمقَتها بِريان بهلع وقالت: «سيِّدتي؟».

- «برانُ وريكونُ حاوَلا الفرار، لكن قُبِضَ عليهما في طاحونةٍ عند نهر البلُّوط. ثيون جرايچوي علَّق رأسيهما على أسوار وينترفل، ثيون جرايچوي الذي أكلَ على مائدتي منذ كان في العاشرة». لتُسامِحني الآلهة، لقد قُلتها، قُلتها وجعلتُ ما حدثَ حقيقةً.

حوَّلت دموعها وجه بريان إلى غمامةٍ ضبابيَّة، ومدَّت الفتاة يدها عبر المائدة، ثم توقَّفت قبل أنَ تَبلُغ أصابع كاتلين كأنها قد لا تُرَحِّب باللَّمسة، وقالت: «إنني... لا أجدُ ما أقوله يا سيِّدتي. سيِّدتي الكريمة، ابناكِ، إنهما... إنهما عند الآلهة الآن».

قالت كاتلين بحدَّة: «حقًّا؟ أيُّ آلهةٍ تلك التي تسمح بحدوث هذا؟ ريكون كان طفلًا صغيرًا، فكيف استحقَّ ميتةً كهذه؟ وبران... حين تركتُ الشَّمال كان لا يزال طريح الفِراش ولم يفتح عينيه منذ سقوطه، والآن لا يُمكنني أن أعود إليه أبدًا أو أسمعه يضحك ثانيةً»، وأرَت بِريان راحتيَّ يديها وأصابعها مواصلةً: «هذه النُّدوب... لقد أرسَلوا رجلًا يذبح بران في نومه، وكان ليموت عندئذٍ وأموت معه، لولا أن ذئب بران مزَّق حَلق الرَّجل»، وجعلَتها العبارة الأخيرة تَصمُت برهةً قبل أن تقول: «أعتقدُ أن ثيون قتلَ الذِّئبين كذلك، لا بُدَّ أنه فعلها، وإلَّا... كنتُ موقنةً من أن الصَّبيَّين سيكونا آمنيْن ما دامَ الذِّئبان الرَّهيبان معهما، مِثل روب وذئبه جراي ويند، لكن ابنتيَّ دون ذئبتيهما الآن».

أصابَ تغيير مجري الكلام المفاجئ بِريان بالحيرة، فردَّدت: «ابنتاكِ...».

- «سانزا ليدي حقيقيَّة منذ كانت في الثَّالثة، شديدة الكياسة دائمًا وتوَّاقة لإسعاد مَن حولها، ولم تُغرَم بشيءٍ قَطُّ كغرامها بحكايات الفُرسان ومآثرهم الشُّجاعة. يقول النَّاس إنها تُشبِهني، لكنها ستَكبُر لتُصبِح امرأةً أجمل مني بكثير، وهذا واضح في ملامحها. كثيرًا صرفتُ خادمتها كي أصفِّف شَعرها



بنفسي. شَعرها بُنِّي ضارب إلى الحُمرة، أفتح لونًا من شَعري، وشديد الكثافة والنُّعومة... ما فيه من أحمر يعكس ضوء المشاعل فيتألَّق كالنُّحاس. أمَّا آريا... كثيرًا ما حسبَها زُوَّار ند صبيًّ اسطبلٍ إذا أتوا فجأةً ودخَلوا السَّاحة بخيولهم. آريا كانت بلوى، لا بُدَّ من الاعتراف بهذا، نِصف ولدٍ ونِصف جرو ذئب، تُحَرِّمين شيئًا ما عليها فيُصبِح غاية قلبها الوحيدة. كان لديها وجه ند الطَّويل، وشَعر بنِّي يبدو دومًا كأن طائرًا اتَّخذه عُشًّا، حتى قنطتُ من أن أجعل منها ليدي في يوم من الأيام. كانت تجمع الجروح كما تجمع الفتيات الأخريات الدُّمى، وتتفوَّه بكلِّ ما يَخطُر ببالها. أعتقدُ أنها ميتة أيضًا». حين قالت هذا أحسَّت كأن يدًا عملاقةً اعتصرَت صدرها، لكنها أردفَت: «أريدهم أن يموتوا جميعًا يا برِيان، ثيون جرايجوي أولًا، ثم چايمي لانستر وسرسي والعِفريت، كلهم بلا استثناء، كلهم بلا استثناء. لكن ابنتيَّ... ابنتيَّ سـ...».

قالت برِيان بارتباك: «الملكة... إن لديها ابنة صغيرة، وابنان أيضًا في عُمر ابنيكِ. عندما تعرف، فلربما... قد تُراوِدها الشَّفقة و...».

ابتسمَت كاتلين بحُزنٍ قائلةً: «تُعيد ابنتيَّ سالمتين؟ ثمَّة براءة حُلوة فيكِ يا صغيرتي. يُمكنني أن أتمنَّى هذا... لكن لا. روب سينتقم لأخويه. الجليد يَقتُل كما النَّار، و«جَليد» كان اسم سيف ند العظيم. كان مصنوعًا من الفولاذ الڤاليري، تُعَلِّمه تموُّجات انطواء المعدن على نفسه آلاف المرَّات، بالغ الحدَّة لدرجة أني كنتُ أخشى أن ألمسه. سيف روب ثلمٌ كالهرَّاوة مقارنةً بـ«جَليد»، وأخشى أن قطْع رأس ثيون به لن يكون سهلًا. كان ند يقول دائمًا إن على مَن يُصدِر الحُكم أن يُنَفِّذه بيديه، وإن لم يجد بهجةً في ذلك الواجب قَطُّ، لكني سأجدها، أوه، حقًّا سأجدها»، وحدَّقت في يديها النَّديبتيْن وفتحَتهما وأغلقَتهما، ثم رفعَت عينيها بتؤدةٍ قائلةً: «أرسلتُ إليه نبيذًا».

قالت برِيان حائرةً: «نبيذًا؟ إلى روب... أم ثيون جرايجوي؟».

- «إلى قاتِل الملك». لقد أفلحَت هذه الحيلة من قبل مع كليوس فراي. آملُ أن تكون ظمآن يا چايمي، آملُ أن يكون حَلقك جافًّا مسدودًا. «أريدكِ أن تأتي معي».



- «أنا رهن إشارتكِ يا سيِّدتي».

نهضَت كاتلين قائلةً: «عظيم. انتهي من وجبتكِ في سلام، وسأرسلُ إليك لاحقًا، عند منتصَف اللَّيل».

- «في تلك السَّاعة المتأخِّرة يا سيِّدتي؟».

قالت كاتلين: «الزَّنازين بلا نوافذ، فلا فارق بين ساعةٍ وأخرى هناك في الأسفل، وبالنِّسبة لي كلُّ السَّاعات منتصَف اللَّيل»، ورنَّت خطوات أقدامها بصوتٍ أجوف وهي تقطع القاعة مغادرةً، وبينما صعدَت الدَّرجات إلى غُرفة اللورد هوستر الشَّمسيَّة، سمعَتهم في الخارج يهتفون: «تَلي!» و«نخب اللورد الشَّاب الشُّجاع!»، فأرادَت أن تزعق فيهم: أبي لم يمُت. ابناي ماتا لكن أبي لا يزال حيًّا عليكم اللَّعنة جميعًا، ولا يزال اللورد هنا.

كان اللورد هوستر غارقًا في النَّوم، وقال لها المايستر ڤايمان: «احتسى قدحًا من نبيذ النَّوم قبل مدَّةٍ قصيرة يا سيِّدتي. كان يتألَّم. لن يعرف أنكِ هنا».

ردَّت كاتلين: «لا يهمُّ». إنه ميت أكثر من حي، لكن فيه حياة أكثر من ابنيَّ المسكينين.

- «سيِّدتي، أيُمكنني أن أساعدكِ بأيِّ شيء؟ هل ترغبين في عقَّارٍ للنَّوم ربما؟».

- «أشكرك أيها المِايستر، لكن لا، فلن أتخلَّص من حُزني بالنَّوم. بران وريكون يستحقَّان أفضل من هذا مني. اذهب وانضمَّ إلى الاحتفال، سأجلسُ مع أبي هنا بعض الوقت».

قال ڤايمان: «كما تأمرين يا سيِّدتي»، وحنى رأسه وتركَها.

تمدَّد اللورد هوستر على ظَهره، فمه مفتوح وأنفاسه تنهُّدات مصحوبة بالصَّفير، وقد تدلَّت يده على حافة الفِراش كشيءٍ شاحبٍ واهنٍ بلا لحم، وإن وجدَتها دافئةً حين لمسَتها. شبَّكت أصابعها في أصابعه وأغلَقَتها عليها مفكِّرةً بأسى: مهما تشبَّثتُ به فلا أستطيعُ إبقاءه هنا. دَعيه يرحل. وعلى الرغم من ذلك رفضَت أصابعها أن تتخلَّى عنه.

قالت له: «ليس لديَّ من أكلِّمه يا أبي. إنني أصلِّي، لكن الآلهة لا تُجيب»، ولثمَت يده بخفَّة. كانت بشرته دافئةً، والعروق الزَّرقاء تتفرَّع كروافد الأنهار



تحت جِلده الممتقع شِبه الشفَّاف. في الخارج كان كلا النَّهرين العظيمين يتدفَّق، فرع الثَّالوث الأحمر والجُلمود، وسيظلَّا يتدفَّقان إلى الأبد، أمَّا الأنهار في يد أبيها فلا، وقريبًا سيَسكُن هذا التيَّار تمامًا. «حلمتُ ليلة أمس بالمرَّة التي تُهتُ ولايسا فيها ونحن عائدون من سيجارد. هل تَذكُر؟ يومها حَلَّ هذا الضَّباب الغريب وأخفى بقيَّة الرَّكب، وصارَ كلُّ شيءٍ رماديًّا فلم أستطِع أن أرى أبعد من خَطم حصاني. ضللنا الطَّريق، وكانت فروع الأشجار كأذرُع طويلة ناحلة تمتدُّ للقبض علينا ونحن نمرُّ بينها. بدأت لايسا تبكي، وحين صِحتُ بدا كأن الضَّباب يبتلع صوتي، لكن پيتر أدركَ مكاننا وعادَ إلينا ووجدَنا... لكن ليس هناك من يجدني الآن، أليس كذلك؟ هذه المرَّة عليَّ أن أجد طريقي بنفسي، وطريقي صعب، صعب جدًّا. لا أنفكُّ أتذكَّر كلمات عائلة ستارك. لقد أتى الشِّتاء يا أبتاه، أتاني أنا، أتاني أنا. على روب أن يُحارِب عائلة جرايچوي الآن ناهيك بعائلة لانستر، ومن أجل ماذا؟ من أجل قُبَّعةٍ ذهبيَّة وكرسيٍّ حديد؟ لقد نزفَت البلاد بما فيه الكفاية. أريدُ أن أستردَّ ابنتيَّ، أريدُ أن يُغمِد روب سيفه وينتقي واحدةً من بنات والدر فراي الدَّميمات لتُسعِده وتمنحه أبناءً، أريدُ استعادة بران وريكون، أريدُ...»، وخفضَت كاتلين رأسها وردَّدت ثانيةً: «أريدُ»، ثم ماتَ الكلام.

بَعد فترةٍ تذبذبَ لهب الشَّمعة وانطفأ، وتسلَّل نور القمر إلى المكان من خصاص النَّافذة، راسمًا خطوطًا فضِّيَّةً شاحبةً على وجه أبيها، وتناهَى إلى مسامعها صوت أنفاسه الخافتة التي يلتقطها بصعوبة، وجريان المياه اللا نهائي، وأنغام واطئة لأغنيَّةٍ غراميَّة تتسرَّب من السَّاحة، كلها شجن وعذوبة إذ أنشدَها رايموند: «عشقتُ بنتًا حمراء كالخريف، في شَعرها نور الشَّمس».

لم تلحظ كاتلين متى انتهى الغناء. كانت ساعات كاملة قد مرَّت، لكنها بدَت لها كمدَّة نبضة قلبٍ واحدةٍ قبل أن تجد برِيان على الباب تقول: «سيِّدتي، إنه منتصَف اللَّيل».

فكَّرت: إنه منتصَف اللَّيل يا أبي، وعليَّ القيام بواجبي، وتخلَّت عن يده.

السجَّان رجلٌ فضولي صغير الحجم، تلوح العروق المكسورة في أنفه، وقد وجدتاه مائلًا فوق دورقٍ من المِزر وبقايا فطيرة حمام، وسكرانًا إلى حَدٍّ



كبير. ضيَّق عينيه ورمقهما بشَكٍّ قائلًا: «معذرة يا سيِّدتي، لكن اللورد إدميور قال ألَّا يرى أحد قاتِل الملك دون أمرٍ كتابي يحمل ختمه».

- «اللورد إدميور؟ هل ماتَ أبي ولَم يُخبِرني أحد؟».

لعقَ السجَّان شفتيه، وقال: «لا يا سيِّدتي، ليس على حَدِّ علمي».

- «إمَّا أن تفتح هذه الزِّنزانة أو تأتي معي إلى اللورد هوستر وتُخبِره لماذا تحدَّيت أوامري».

خفضَ ناظريه قائلًا: «كما تقول سيِّدتي». كانت المفاتيح معلَّقة في سلسلةٍ من الحزام الجِلدي المطعَّم بالحديد الذي يُحيط بخصره، وراحَ يُدَمدِم بصوتٍ خفيض وهو يفرزها حتى وجدَ مفتاح باب زنزانة قاتِل الملك.

قالت آمرةً: «عُد إلى شرابك واترُكنا»، ثم أنزلَت مصباح الزَّيت المعلَّق من خُطَّافٍ في السَّقف الواطئ، ورفعَت الإضاءة قائلةً: «بِريان، احرِصي على ألَّا يُقاطِعني أحد».

أومأَت بِريان واتَّخذت موضعًا خارج الزِّنزانة مباشرةً، وقد استراحَت يدها على قبيعة سيفها، وقالت: «ستُناديني سيِّدتي إذا احتاجَتني».

دفعَت كاتلين الباب الثَّقيل المصنوع من الخشب والحديد، وخطَت في الظَّلام مقيت الرَّائحة، فهي الآن في أحشاء ريڤرَن التي تليق رائحتها بهذه التَّسمية حقًّا. طقطقَ القَشُّ القديم تحت قدميها، وقد لوَّثت الجُدران رُقع من النَّطرون، وتسلَّل إلى أذنيها خرير مياه الجُلمود الخافت عبر الحائط الحجري. كشفَ ضوء المصباح دلوًا مليئًا بالبراز في أحد الأركان وجسدًا مطأطأ الرَّأس في رُكنٍ آخَر، بينما استقرَّ إبريق النَّبيذ إلى جوار الباب دون أن تَنقُص منه قطرة. لَا جدوى من هذه الحيلة. ربما حريٌّ بي أن أمتنَّ لأنَّ السجَّان لم يشربه بنفسه.

رفعَ چايمي يديه يُغَطِّي وجهه فصلصلَت السَّلاسل المحيطة بمعصميه، وقال بصوتٍ بُحَّ من قِلَّة الاستعمال: «ليدي ستارك، أخشى أني لستُ في حالةٍ تسمح باستقبالكِ».

- «انظُر إليَّ يا هذا».

- «الضَّوء يُؤلِم عينيَّ. أمهِليني لحظةً». لم يُسمَح لچايمي لانستر بموسى



منذ ليلة أُسِرَ في الغابة الهامسة، فغطَّت لحية مشعثة وجهه الذي كان يُشبه وجه الملكة من قبل، وومضَت شُعيراتها الذَّهبيَّة في ضوء المصباح جاعلَةً إياه يبدو كوحشٍ أصفر عظيم، مهيب باهر حتى وهو مكبَّل بالأغلال، أمَّا شَعر رأسه المتَّسِخ فسقطَ على كتفيه كالحبال المتشابكة، بينما تعفَّنت ثيابه على جسده ولاحَ وجهه شاحبًا ضاويًا... وعلى الرغم من كلِّ هذا ظلَّت قوَّة الرَّجل ووسامته بيِّنتيْن.

- «أرى أنك لم تتذوَّق النَّبيذ الذي أرسلته لك».

- «الكرم المفاجئ أثارَ في نفسي الشُّكوك نوعًا».

- «يُمكنني أن أقطع رأسك متى أردتُ، فلماذا أحاولُ تسميمك؟».

- «من الممكن أن يبدو الموت بالسُّمِّ طبيعيًّا، أسهل من أن تَزعُموا أن رأسي سقطَ من فوق كتفيَّ من تلقاء نفسه»، وضيَّق چايمي عينيه القِطِّيتين الخضراوين ورفعَهما عن الأرض وقد بدأتا تعتادان الضَّوء ببُطء، وقال: «كنتُ لأدعوكِ إلى الجلوس، لكن أخاكِ لم يُزَوِّدني بمقعد».

- «أستطيعُ الوقوف».

- «حقًّا؟ إنكِ تبدين في حالةٍ مزرية، لكن لعلَّ الإضاءة هنا هي السَّبب لا أكثر». كانت الأصفاد تُحيط بيديه وقدميه، وكلٌّ منها مربوط بالآخَر بسلسلة، ما يجعله عاجزًا عن الوقوف والاضطجاع براحة، كما أن السِّلسلتين في قدميه مثبَّتتان في الحائط. «هل تبدو أساوري ثقيلةً بما يكفي أم أنكِ أتيتِ لتُضيفي إليها المزيد؟ سأجعلها تُصَلصِل بصوتٍ جميل إذا أردتِ».

قالت له: «أنت مَن فعلت هذا بنفسك. لقد منحناك وسائل الرَّاحة في زنزانة بُرجٍ تُناسِب ميلادك ومكانتك، وردَدت الجميل بمحاوَلة الهرب».

- «الزِّنزانة زنزانة. بعض الزَّنازين تحت كاسترلي روك يجعل هذه تبدو كبستانٍ تُنيره الشَّمس. ربما أريكِ إياها ذات يوم».

إذا كان يحسُّ بالاضطراب، فإنه يُجيد إخفاءه. «يَجدُر برجل تُقَيِّد السَّلاسل يديه وقدميه أن يتكلَّم بتهذيبٍ أكثر يا هذا، فلم آتِ إلى هنا لأتلقَّى التَّهديدات».

- «حقًّا؟ إذن فلا بُدَّ أنكِ جئتِ لتنالي قليلًا من اللذَّة مني. يُقال إن السَّأم



يُصيب الأرامل في أسرَّتهن، ومع أننا نُقسِم على عدم الزَّواج أبدًا في الحَرس الملكي، فأعتقدُ أني ما زلتُ قادرًا على أن أمتِّعكِ إذا كان هذا ما تحتاجين. صُبِّي لنا النَّبيذ واخلعي هذا الفُستان وسنرى إن كنتُ أستطيعُ».

رمقَته كاتلين بازدراءٍ مفكِّرةً: هل عرفَ العالم رجلًا بوسامة هذا أو حقارته يومًا؟ «لو قلت هذا الكلام في وجود ابني لقتلَك».

هَزَّ چايمي لانستر سلاسله فصلصلَت في وجهها وهو يقول: «فقط ما دمتُ مقيَّدًا بهذه. كلانا يعلم أن الصَّبي خائف من مواجَهتي في نزالٍ فردي».

- «قد يكون ابني صغيرًا، لكن إذا كنت تحسبه أحمق، فأنت مخطئ للأسف... ثم إنك لم تُبادِر بتحدٍّ مشابه حين كان جيشك وراءك».

- «هل كان ملوك الشِّتاء القُدامى يختبئون وراء أمَّهاتهم أيضًا؟».

- «سئمتُ هذا الكلام الفارغ يا هذا. ثمَّة أشياء يجب أن أعرفها».

- «ولِمَ أُخبركِ بأيِّ شيء؟».

- «لتُنقِذ حياتك».

قال كأنه وجد الفكرة طريفةً: «أتعتقدين أني أخشى الموت؟».

- «يَجدُر بك أن تخاف، فلا بُدَّ أن آثامك ضمنَت لك مكانًا في قرار أعمق الجحائم السَّبع إذا كانت الآلهة عادلةً».

- «أيُّ آلهةٍ تلك يا ليدي كاتلين؟ الآلهة التي كان زوجكِ يُصَلِّي لها؟ بِمَ نفعَته حين قطعَت أختي رأسه؟»، وأطلقَ چايمي ضحكةً قصيرةً، وتابعَ: «إذا كان للآلهة وجود، فلماذا يعجُّ العالم بالألم والظُّلم؟».

- «بسبب أمثالك من الرِّجال».

- «ليس هناك رجال مِثلي، هناك أنا فقط».

لا شيء هنا غير الغرور والغطرسة وشَجاعة رجلٍ مجنونٍ فارغة. إنني أبدِّدُ أنفاسي في الكلام معه. لو كان يملك شرارة شَرفٍ واحدة فقد همدَت منذ زمن. «ليكن إذن، ما دُمت لن تتكلَّم معي، فاشرب النَّبيذ أو بُل فيه يا هذا، لا أبالي».

كانت يدها على مقبض الباب بالفعل حين قال: «ليدي ستارك»، فالتفتَت



منتظرةً، وتابعَ چايمي: «كلُّ شيءٍ يُصيبه الصَّدأ في هذه الرُّطوبة، حتى التَّهذيب. ابقي وستَحصُلين على إجاباتكِ... لكن مقابل ثَمن».

إنه بلا حياء على الإطلاق. «الأسرى لا يُحَدِّدون الأثمان».

- «أوه، ستجدين ثَمني متواضعًا كفايةً. سجَّانكم لا يُخبِرني إلَّا بالأكاذيب البغيضة، ولا يستطيع حتى تذكُّرها بوضوح. في يوم يقول إن سرسي سُلِخَت، وفي اليوم التَّالي يقول إنه أبي. أجيبي أسئلتي وسأُجيبُ أسئلتكِ».

- «بصِدق؟».

- «أوه، أتَنشُدين الصِّدق؟ حذارِ يا سيِّدتي. تيريون يقول إن النَّاس يتعطَّشون للحقيقة كثيرًا، لكنها نادرًا ما تروقهم حين يتذوَّقوها».

- «أنا قويَّة بما فيه الكفاية لأن أسمع أيَّ شيءٍ تقوله».

- «كما تُريدين إذن، لكن أولًا، إذا سمحتِ... النَّبيذ، فحَلقي جافٌّ تمامًا».

علَّقت كاتلين المصباح على الباب وقرَّبت الكوب والإبريق منه، ودوَّر چايمي النَّبيذ في فمه قبل أن يبتلعه، ثم قال: «مُرٌّ ورديء، لكن سيكفي»، وأسندَ ظَهره إلى الحائط وضَمَّ رُكبتيه إلى صدره، ورمقَها قائلًا: «سؤالك الأول يا ليدي كاتلين».

لم تدرِ كاتلين كم ستطول هذه اللُّعبة، فلم تُضَيِّع وقتًا، وسألَت: «أأنت أبو چوفري؟».

- «لم تكوني لتسألي لو أنكِ تجهلين الإجابة».

- «أريدُ أن أسمعها من فمك».

هَزَّ كتفيه قائلًا: «چوفري ابني، كبقيَّة أولاد سرسي على ما أعتقدُ».

- «تعترف بأنك عشيق أختك؟».

- «لطالما عشقتُ أختي، والآن تدينين لي بإجابتين. أما زالَ جميع أهلي أحياء؟».

- «قيلَ لي إن السير ستافورد لانستر قُتِلَ في أوكسكروس».

لم يبدُ تأثُّر على چايمي، وقال: «كانت أختي تُلَقِّبه بعمِّنا المغفَّل. لا أبالي بغير سرسي وتيريون، والسيِّد والدي كذلك».

- «ثلاثتهم أحياء». لكن ليس طويلًا بمشيئة الآلهة.



رشفَ چايمي قليلًا من النَّبيذ، وقال: «سؤالك التَّالي».

تساءلَت كاتلين إن كان سيجرؤ على إجابة هذا السُّؤال بشيءٍ سوى الكذب، لكنها سألَته: «كيف سقطَ ابني بران؟».

- «دفعته من نافذة».

سلبَتها البساطة التي قالها بها أنفاسها لحظةً، وقالت لنفسها: لو كان معي سكِّين لقتلته الآن، لكنها تذكَّرت الفتاتين، وبصوتٍ مبحوحٍ قالت: «لقد كنتَ فارسًا، أقسمتَ على حماية الضُّعفاء والأبرياء».

- «ربما كان ضعيفًا، لكن ليس بريئًا لهذه الدَّرجة. كان يتجسَّس علينا».

- «لم يكن بران ليتجسَّس أبدًا».

- «لومي آلهتكِ الغالية إذن لأنها ذهبَت بابنكِ إلى نافذتنا وجعلَته يرى شيئًا لم يكن يجب أن يراه إطلاقًا».

قالت مبهوتةً: «ألومُ الآلهة؟ أنت مَن دفعته بيدك هذه. كنت تريده أن يموت».

صلصلَت سلاسلة بخفوتٍ وهو يقول: «نادرًا ما أُلقي الأطفال من علٍ بغرض تحسين صحَّتهم. نعم، أردته أن يموت».

- «ولمَّا لم يَمُت، أدركت أن الخطر أصبحَ أسوأ، فأعطيت لقاتلك المأجور صُرَّةً من الفضَّة لتتأكَّد أن بران لن يُفيق أبدًا».

قال چايمي: «فعلًا؟»، ورفعَ الكوب وأخذَ رشفةً طويلةً قبل أن يُتابِع: «لن أنكر أننا ناقَشنا هذا، لكنكِ كنتِ مع الصَّبي طيلة اللَّيل والنَّهار، واللورد إدارد ومِايستركم كانا يزورانه باستمرار، وكان هناك حُرَّاس، وحتى تلك الذِّئاب الرَّهيبة الملعونة... كان وصولي إليه ليتطلَّب أن أقتل نِصف وينترفل، فلِمَ أجشِّمُ نفسي هذا العناء وقد بدا أن الصَّبي سيموت من تلقاء نفسه؟».

- «كذبك عليَّ يعني نهاية هذه الجلسة»، ورفعَت كاتلين يديها تُريه راحتيها وأصابعها قائلةً: «الرَّجل الذي جاءَ ليذبح بران أصابَني بهذه الجروح. أتُقسِم أن لا دور لك في إرساله؟».

- «بشَرفي كلانستر».



قالت: «شَرفك كلانستر يُساوي أقلَّ من هذا»، وركلَت دلو الفضلات، فسالَت القذارة البنِّيَّة لعينة الرَّائحة على أرض الزِّنزانة تتخلَّل القَش.

تراجعَ چايمي لانستر بعيدًا عن المسكوب بقدر ما تُتيح أغلاله، وقال: «قد يكون شَرفي خراءً حقًّا، لن أنكر هذا، لكني لم أستأجر أحدًا يَقتُل لحسابي في حياتي كلها. صدِّقي ما تُصَدِّقين يا ليدي ستارك، لكني لو أردتُ موت ابنكِ بران لقتلته بنفسي».

لترحمني الآلهة، إنه يقول الحقيقة. «إذا لم تُرسِل القاتل، فأختك هي من أرسلَته».

- «كنتُ لأعرف لو أنها فعلَت. سرسي لا تُخفي أسرارًا عني».

- «إنه العِفريت إذن».

- «تيريون بريء كابنكِ بران، كما أنه لم يكن يتسلَّق ليتجسَّس من نافذة أحد».

- «لماذا كان القاتل يحمل خنجره إذن؟».

- «أيُّ خنجر؟».

باعدَت بين يديها قائلةً: «كان بهذا الطُّول، لا زخارف عليه وإنما مصنوع بعناية، نصله من الفولاذ الڤاليري ومقبضه من عظم التنِّين، وربحَه أخوك من اللورد بايلش في دورة المباريات يوم ميلاد الأمير چوفري».

صَبَّ لانستر وشربَ، وعاد يصبُّ وتطلَّع إلى الكوب قائلًا: «يبدو أن هذا النَّبيذ يتحسَّن كلما شربته، تصوَّري؟ أعتقدُ أني أذكرُ هذا الخنجر الآن وقد وصفتِه. تقولين إنه ربحَه؟ كيف؟».

- «بالرَّهان عليك حين نازلت فارس الزُّهور»، لكن بمجرَّد أن سمعَت كاتلين الكلمات تَخرُج من فمها، أدركَت أنها أخطأَت، فقالت: «لا... أكان العكس؟».

قال چايمي: «تيريون كان يُراهِن عليَّ دائمًا في أيِّ نزال، لكن يومها أسقطَني السير لوراس عن حصاني. كان سوء تقدير مني لأني استخففتُ بالصَّبي، لكن لا يهمُّ. أيًّا كان ما راهنَ به أخي فقد خسرَه... لكن صاحِب هذا الخنجر تغيَّر فعلًا، الآن أذكرُ. روبرت أراني إياه ليلتها أثناء المأدبة، فجلالته



كان يُحِبُّ صَبَّ الملح على جروحي، خصوصًا وهو سكران، ومتى لم يكن سكرانًا؟».

تذكَّرت كاتلين أن تيريون لانستر قال الكلام نفسه تقريبًا في جبال القمر، ورفضَت أن تُصَدِّقه، أمَّا پيتر فأقسمَ علي العكس، پيتر الذي كان بمثابة أخيها، پيتر الذي أحبَّها لدرجة أنه خاضَ نزالًا من أجل أن يخطبها... لكن إذا كان چايمي وتيريون يقولان الكلام نفسه، فما الذي يعنيه هذا؟ الأخوان لم يلتقيا منذ غادَرا وينترفل منذ أكثر من عام. ثمَّة شَرك ما هنا. سألَته: «هل تُحاوِل خداعي؟».

- «لقد أقررتُ بإلقاء طفلكِ الغالي من نافذة، فماذا سأجني من الكذب بخصوص ذلك الخنجر؟»، وأفرغَ كوب نبيذٍ آخَر في جوفه، وأردفَ: «صدِّقي ما تُريدين، فلم أعُد أعبأ بما يقوله النَّاس عني. والآن دوري. هل دخلَ أخوا روبرت المعركة؟».

- «نعم».

- «جواب شديد الاختصار. أخبِريني بالمزيد وإلَّا كانت إجابتي التَّالية مختصرةً أيضًا».

قالت مغتاظةً: «ستانيس يزحف إلى كينجز لاندنج، ورنلي ماتَ، اغتالَه أخوه في «جسر العلقم» بسِحرٍ أسود ما لا أفهمه».

قال چايمي: «خسارة. كنتُ أحبُّ رنلي، أمَّا ستانيس فمسألة أخرى تمامًا. إلى أيِّ جانب انضمَّ آل تايرل؟».

- «رنلي أولًا، أمَّا الآن فلا أدري».

- «لا بُدَّ أن ابنكِ يَشعُر بالوحدة».

- «روب أتمَّ السَّادسة عشرة قبل أيام قليلة... إنه رجل بالِغ، وملك، وفازَ بكلِّ معركةٍ خاضَها. آخِر أخبارٍ أتتنا منه تقول إنه استولى على «الجُرف» من آل وسترلينج».

- «إنه لم يُواجِه أبي بعدُ، أليس كذلك؟».

- «عندما يفعل، سيهزمه كما هزمَك».

- «لقد أخذَني على حين غرَّة، خدعة شخصٍ جبان».



- «هل تجرؤ على الكلام عن الخداع؟ أخوك تيريون أرسلَ لنا قتلةً مأجورين في هيئة مبعوثين تحت راية السَّلام».

- «لو كان أحد أبنائكِ في هذه الزِّنزانة، أفلم يكن أخواه ليفعلا المِثل من أجله؟».

قالت لنفسها: ابني بلا إخوة، لكنها لن تبوح بآلامها أمام مخلوقٍ كهذا.

أخذَ چايمي رشفةً أخرى، وقال: «ما قيمة الشَّرف حين تكون حياة أخٍ على المحك، هه؟». رشفة أخرى. «تيريون ذكيٌّ بما يكفي لإدراك أن ابنكِ لن يُوافِق أبدًا على إطلاق سراحي لقاء فدية».

لم تستطِع كاتلين الإنكار، وقالت: «حمَلة راية روب يُؤثِرون موتك، ريكارد كارستارك تحديدًا. لقد قتلت اثنين من أبنائه في الغابة الهامسة».

تساءلَ چايمي: «كانا يضعان رمز الشَّمس المتفجِّرة البيضاء، أليس كذلك؟»، وهَزَّ كتفيه قائلًا: «الحقيقة أني كنتُ أستهدفُ ابنكِ، والاثنين الآخَرين اعترَضا طريقي. لقد أجهزتُ عليهما في قتالٍ عادلٍ في حومة المعركة. أيُّ فارسٍ آخَر كان ليفعل المِثل».

- «كيف تظلُّ تَعدُّ نفسك فارسًا وقد حنثت بكلِّ يمينٍ حلفتها؟».

مَدَّ چايمي يده إلى الإبريق وملأَ كوبه قائلًا: «أيمان كثيرة جدًّا... يجعلون المرء يحلف ويحلف. دافِع عن الملك، أطِع الملك، حافِظ على أسراره، نفِّذ أوامره، ابذُل حياتك دفاعًا عن حياته، لكن أطِع أباك، أحِبَّ أختك، احمِ الأبرياء، دافِع عن الضُّعفاء، احترم الآلهة، أطِع القوانين. كثير جدًّا، ومهما فعلتِ فإنكِ تحنثين بيمينٍ ما لتصوني أخرى»، وأخذَ جرعةً كبيرةً من النَّبيذ، وأغلقَ عينيه لحظةً وقد أسندَ رأسه على رُقعة النَّطرون على الحائط، وغمغمَ: «كنتُ أصغر رجلٍ يرتدي معطفًا أبيض على الإطلاق».

- «وأصغر من يخون كلَّ ما يُمَثِّله هذا المعطف يا قاتِل الملك».

ردَّد الكلمة ببُطءٍ شديد: «قاتِل الملك... وياله من ملك!»، ورفعَ الكوب قائلًا: «نخب إيرس تارجاريَن الثَّاني، سيِّد الممالك السَّبع وحامي البلاد! ونخب السَّيف الذي شَقَّ حَلقه، سيف ذهبيٌّ لا أقل، حتى سالَت دماؤه على النَّصل. إنهما لونا لانستر، الأحمر على الذَّهبي».



لمَّا ارتفعَت ضحكته، أدركَت أن النَّبيذ أحدثَ أثره وقد أفرغَ چايمي معظم الإبريق واكتنفَ السُّكر عقله، وقالت: «فقط رجل مِثلك يفخر بفعلةٍ كهذه».

- «قلتُ لكِ إن لا رجال مِثلي. أجيبي هذا السُّؤال يا ليدي ستارك: هل أخبركِ زوجكِ ند كيف ماتَ أبوه؟ أو أخوه؟».

- «خنَقوا براندون على مرأى من أبيه، ثم قتَلوا اللورد ريكارد أيضًا». حكاية قبيحة هذه، وعُمرها ستَّة عشر عامًا، فلِمَ يسأل عنها الآن؟

- «قتَلوه، نعم، لكن كيف؟».

- «بحبلٍ أو فأسٍ على ما أظنُّ».

رشفَ چايمي من النَّبيذ ومسحَ فمه، وقال: «لا ريب أن ند أرادَ إعفاءكِ من التَّفاصيل. كنتِ عروسه الشَّابَّة الجميلة، لكن ليس العذراء. حسنٌ، لقد أردتِ الحقيقة، فسَليني. إن بيننا اتِّفاق، فلن أحجب عنكِ شيئًا. سَلي».

- «لا فارق بين موتٍ وآخَر». لا أريدُ أن أعرف هذا!

- «كان براندون مختلفًا عن أخيه، أليس كذلك؟ في عروقه كانت دماء لا مياه باردة، أقربُ إليَّ نوعًا».

- «براندون لم يكن يُشبِهك في شيء».

- «كما تقولين. كان من المفترَض أن تتزوَّجيه».

- «كان في طريقه إلى ريڤررَن حين...». غريب أن الحكي عن هذا لا يزال يُشعِرها بغصَّةٍ في حَلقها بَعد كلِّ هذه السِّنين. «... حين سمعَ بما حدثَ لليانا، فذهبَ إلى كينجز لاندنج بدلًا من هذا. كان تصرُّفًا متهوِّرًا». تذكَّرت غضبة أبيها عندما بلغَت الأخبار ريڤررَن، وكيف نعتَ براندون بالأحمق الشُّجاع.

صَبَّ چايمي آخِر ما تبقَّى من النَّبيذ قائلًا: «دخلَ القلعة الحمراء على حصانه مع عددٍ من رفاقه، ونادى ريجار داعيًا إياه أن يَخرُج ويموت، لكن ريجار لم يكن هناك، وأرسلَ إيرس حَرسه لاعتقالهم جميعًا بتُهمة التَّآمُر على قتل ابنه».

قالت كاتلين: «إيثان جلوڤر كان مُرافِق براندون، النَّاجي الوحيد منهم. الآخَرون كانوا چيفوري ماليستر وكايل رويس وإلبرت آرن، ابن أخي چون آرن ووريثه». غريب أيضًا أنها لا تزال تتذكَّر الأسماء كلها حتى الآن. «اتَّهمهم



إيرس بالخيانة وأخذَهم رهائن واستدعى آباءهم إلى البلاط ليُجيبوا عن الاتِّهامات، وحين أتوا قتلَهم دون محاكَمة، الآباء والأبناء».

- «ثمَّة محاكَماتٍ عُقِدَت، لكن من نوعٍ مختلف. اللورد ريكارد طالبَ بمحاكَمةٍ بالنِّزال، واستجابَ الملك، فدرَّع ستارك نفسه للمعركة متصوِّرًا أنه سيُبارِز واحدًا من فُرسان الحَرس الملكي، ربما أنا، وبدلًا من هذا أخَذوه إلى قاعة العرش وعلَّقوه من عوارض السَّقف بينما أشعلَ اثنان من پايرومانسرات إيرس لهبًا من تحته، وقال له الملك إن النَّار هي نصير عائلة تارجاريَن، وكلُّ ما على اللورد ريكارد أن يفعله لإثبات براءته من الخيانة... ألَّا يحترِق. جلَبوا براندون حين تأجَّجت النَّار. كانت يداه مسلسلَتين وراء ظَهره، وحول عُنقه كان وتر جِلدي مبتل متَّصل بآلةٍ أتى بها الملك من تايروش، لكن ساقاه كانتا حُرَّتين، وسيفه الطَّويل بعيد عنٍ متناوَله بعض الشَّيء. شوى الپايرومانسران اللورد ريكارد على مهل، متحكمَيْن في النَّار بعنايةٍ شديدة لتوزيع الحرارة، فاشتعلَ معطفه أولًا، ثم سُترته، وبَعد قليلٍ لم يَعُد يرتدي شيئًا غير المعدن والرَّماد. أكَّد إيرس أن الخطوة التَّالية أن يُطهى لحمه... ما لم يستطِع ابنه تحريره، وحاولَ براندون حقًّا، لكن كلما كافحَ أكثر لبلوغ سيفه ضاقَ الوتر حول عُنقه، وفي النِّهاية خنقَ نفسه. أمَّا اللورد ريكارد فقد استحالَ واقي صدره إلى لونٍ أحمر كالكرز قُرب النِّهاية، وذابَ الذَّهب عن مهمازي حصانه وسالَ في النَّار. كنتُ واقفًا عند قاعدة العرش الحديدي في دِرعي البيضاء ومعطفي الأبيض، أشغلُ عقلي بالتَّفكير في سرسي، وبَعدها انتحى بي چيرولد هايتاور نفسه جانبًا وقال: «لقد أقسمت على حمايةِ الملك لا الحُكم عليه». هكذا كان الثَّور الأبيض، مخلصًا إلى النِّهاية ورجلًا أفضل مني كما يتَّفق الجميع».

- «إيرس...». أحسَّت كاتلين بمذاق الصَّفراء في مؤخِّرة حَلقها. القصَّة بالِغة البشاعة لدرجة أنها تكاد تقتنع بصِدقها. «إيرس كان مجنونًا، والبلاد كلها تعلم هذا، لكن إذا كنت تُريدني أن أصدِّق أنك قتلته ثأرًا لبراندون ستارك...».

- «لم أدَّعِ شيئًا كهذا. آل ستارك لم يكونوا يعنون لي شيئًا. دعيني أقول إنني أجدُ من الغريب نوعًا أن يُحِبُّني شخص واحد لمعروفٍ لم أصنعه قَطُّ،



بينما يكرهني كثيرون آخَرون بسبب أفضل ما اقترفتُ من أفعال. يوم تتويج روبرت أُمِرتُ بالرُّكوع عند قدميه الملكيَّتين إلى جوار المِايستر الأكبر پايسل وڤارس الخصيِّ، كي يغفر لنا جرائمنا قبل أن يُلحِقنا بخدمته، أمَّا ند فكان عليه أن يُقَبِّل اليد التي قتلَت إيرس، لكنه فضَّل أن يُؤَنِّبني لأنه وجدَني جالسًا على عرش روبرت. أعتقدُ أن ند ستارك أحبَّ روبرت أكثر مما أحبَّ أخاه أو أباه... أو أنتِ نفسكِ يا سيِّدتي. إنه لم يَخُن روبرت قَطُّ، أليس كذلك؟»، وأطلقَ چايمي ضحكةً ثَمِلةً وأردفَ: «هلمِّي يا ليدي ستارك، ألا تجدين كلَّ هذا طريفًا؟».

- «لا أجدُ فيك شيئًا طريفًا البتَّة يا قاتِل الملك».

- «هذا الاسم ثانيةً. لا أعتقدُ أني سأضاجعكِ. الإصبع الصَّغير نالَكِ أولًا، أليس كذلك؟ إنني لا آكلُ من طبق رجلٍ آخَر أبدًا، ثم إنك لا تُدانين أختي جمالًا ولو من بعيد»، وأضافَ بابتسامةٍ قاطعة كالسكِّين: «إنني لم أنم مع امرأةٍ أخرى غير سرسي قَطُّ، أي أني على طريقتي الخاصَّة أكثر إخلاصًا مما كان حبيبكِ ند في حياته كلها، ند الميت المسكين. مَن شَرفه خراء الآن إذن؟ ما اسم النَّغل الذي أنجبَه؟».

تراجعَت كاتلين خطوةً قائلةً: «بِريان».

قلبَ چايمي لانستر الإبريق، وعلى وجهه سالَت قطرة نبيذٍ حمراء كالدَّم وهو يقول: «لا، لم يكن هذا اسمه... سنو، نعم، يا له من اسم أبيض! أبيض كالمعاطف الثَّمينة التي يُعطوننا إياها في الحَرس الملكي حينَ نحلف أيماننا الثَّمينة».

دفعَت بِريان الباب ودخلَت الزِّنزانة قائلةً: «هلناديتِ يا سيِّدتي؟».

مدَّت كاتلين يدها إليها، وقالت: «ناوِليني سيفكِ».





ثيون

كانت السَّماء ملبَّدةً بالسَّحاب القاتم والغابة ماتَت وتجمَّدت، وحاولَت الجذور الالتفاف حول قدميِّ ثيون وهو يجري، وجلدَته الأغصان العارية على وجهه مخلِّفةً خطوطًا داميةً رفيعةً على وجنتيه، بينما اندفعَ مخترقًا إياها متقطِّع الأنفاس لا يلوي على شيء، تتناثَر كُتل الجليد أمامه وتتحطَّم. تمتمَ منتحبًا: الرَّحمة، ومن ورائه جاءَ عُواء مزلزِل جمَّد الدِّماء في عُروقه. الرَّحمة، الرَّحمة. حين ألقى نظرةً من فوق كتفه رأى أنهما قادمان، ذئبان عملاقان كحصانين ولكلٍّ منهما رأس صبيٍّ صغير. أوه، الرَّحمة، الرَّحمة. تقاطرَ الدَّم من فميهما الأسودين كالقار، يُحرِق الثَّلج ويثقُبه أينما سقطَ، وكلُّ وثبةٍ تُقَصِّر المسافة بينهما وبينه أكثر فأكثر. حاولَ ثيون أن يَجري أسرع، لكن ساقيه رفضتا طاعته، والأشجار كلها كانت لها وجوه تضحك منه، تضحك وتضحك، وتردَّد العُواء من جديد. كان يشمُّ أنفاس الوحشين الحارَّة من خلفه، رائحة هي مزيج من الكبريت والعفن. أرادَ أن يَصرُخ: إنهما ميتان، ميتان. شهدتُ مقتلهما بنفسي، ورأيتُ رأسيهما يُغمَسان في القطران، لكن عندما حاولَ أن يفتح فاه لم يَخرُج منه أكثر من أنين، ثم مسَّه شيء فدارَ صائحًا...

... تمتدُّ يده إلى الخنجر الموضوع إلى جوار فِراشه، فتُسقِطه أرضًا لا أكثر. وثبَ وِكس مبتعدًا، بينما وقفَ ريك وراء الصَّبي الأخرس، وقد أضاءَت الشَّمعة التي يحملها وجهه من أسفل، فصاحَ ثيون: «ماذا؟!». الرَّحمة. «ماذا تُريدان؟ لماذا أنتما في غُرفتي؟ لماذا؟!».



قال ريك: «سيِّدي الأمير، لقد وصلَت أختك إلى وينترفل. كنتَ طلبتَ إبلاغك في الحال إذا جاءَت».

غمغمَ تيريون ممرِّرًا أصابعه في شَعره: «أخيرًا». كان قد بدأ يتوجَّس خيفةً من أن تَترُكه آشا لمصيره. الرَّحمة. نظرَ خارج النَّافذة، حيث كانت أولى خيوط ضوء الفَجر تمسُّ أبراج وينترفل، وسألَ: «أين هي؟».

- «لورن أخذَها ورجالها إلى القاعة الكُبرى ليتناوَلوا إفطارهم. هل ستراها الآن؟».

كانت جمار قليلة قد تبقَّت من النَّار في المستوقَد. دفعَ ثيون الأغطية قائلًا: «نعم. وِكس، أريدُ ماءً ساخنًا». لن يجعل آشا تراه ملبَّد الشَّعر غارقًا في العَرق. ذئبان بوجهيٍّ طفلين... سرَت رعدة في جسده، فقال: «أغلِق السَّتائر». كانت غُرفة النَّوم باردةً كما الغابة في حُلمه.

كلُّ أحلامه في الآونة الأخيرة باردة، وكلٌّ منها أبشع من سابقه. ليلة أمس حلمَ بأنه في الطَّاحونة من جديد، على رُكبتيه يكسو الميتيْن بالثِّياب. كانت أطرافهما قد بدأت تتيبَّس بالفعل، فبدا كأنهما يُقاوِماه بوجوم صامتٍ ويداه تتحرَّكان على جسديهما بأصابع شِبه متجمِّدة، يسحب هذه السَّراويل إلى أعلى ويعقد أربطة تلك، ويُثبِّت الأحذية المبطَّنة بالفرو على أقدام صُلبة لا تلين، ويربط حزامًا جِلديًّا مطعَّمًا بالحديد حول خصرٍ لا يزيد حجمه على عرض كفَّيه. قال لهما وهو يعمل: «لم أرغب في هذا قَطُّ، لكنهما لم يُعطِياني الخيار». لم تُجِب الجثَّتان، فقط اشتدَّت برودتهما وزاد ثِقلهما.

وقبلها بليلةٍ كانت زوجة الطحَّان. نسيَ ثيون اسمها، أمَّا جسدها فيَذكُره، نهدان كوسادتين ليِّنتين، وتجعُّدات صغيرة على بطنها، والطَّريقة التي غرسَت بها أظفارها في ظَهره حين ضاجعَها. ليلتها في حُلمه كان معها ثانيةً في الفِراش، لكن هذه المرَّة، بالإضافة إلى الأسنان في فمها، كانت لديها أسنان أخرى وراء شُفريها في الأسفل، وفي آنٍ واحدٍ مزَّقت حَلقه وقضمَت ذَكره. كان جنونًا. هي أيضًا رآها تموت وقد فتكَ بها جلمار بضربةٍ واحدةٍ من فأسه بينما صرخَت متوسِّلةً الرَّحمة من ثيون. اترُكيني يا امرأة. هو من قتلَكِ وليس أنا، وهو أيضًا ميت. على الأقل لا يُلاحِقه جلمار في منامه.



كان الحُلم قد انحسرَ إلى مؤخِّرة عقله حين عادَ وِكس بالماء، فغسلَ ثيون جسده منِ العَرق وآثار النَّوم واستغرقَ وقته في ارتداء ثيابه. لقد تركَته آشا ينتظر طويلًا، والآن دورها. اختارَ قميصًا من الحرير المخطَّط بالأسود والذَّهبي وصُدرةً من الجِلد الفاخر المطعَّم بالفضَّة... وعندها فقط تذكَّر أن أخته الملعونة تعبأ بالسِّلاح أكثر من التجمُّل، فأطلقَ سبابًا ساخطًا وخلعَ ثيابه وارتدى أخرى من الصُّوف الأسود الملبَّد والحلقات المعدنيَّة، وحول وسطه ثبَّت حزام السَّيف والخنجر، متذكِّرًا ليلة جعلَت منه آشا أضحوكةً وهو جالس إلى مائدة أبيه. طفلها الرَّضيع الجميل، نعم. طيِّب، أنا أيضًا أملكُ سكِّينًا، وأعرفُ كيف أستخدمه.

أخيرًا ارتدى تاجه، الحلقة الحديد الباردة الرَّفيعة كالإصبع، المرصَّعة بكُتلٍ ثقيلة من الماس الأسود والتِّبر. كان قبيحًا غير متناسق، لكن لا بديل، فميكَن مدفون في باحة القبور، والحدَّاد الجديد لا يُجيد أكثر من صُنع المسامير وحدوات الخيول. واسى ثيون نفسه بتذكيرها بأنه مجرَّد تاج أمير، وسيرتدي شيئًا أفخم كثيرًا حين يُتَوَّج ملكًا.

انتظرَ ريك خارج بابه مع أورزن وكروم، وساروا في أعقابه. هذه الأيام يأخذ حَرسًا معه أينما ذهبَ، حتى المرحاض.

وينترفل تُريده ميتًا.

ليلة عادوا من عند نهر البلُّوط، سقطَ جلمار العابس من على السَّلالم وكسرَ ظَهره، وفي اليوم التَّالي وجدوا آجار بحَلقٍ مشقوق من الأُذن إلى الأُذن، أمَّا جاينير ردنوز فقد أصابَه الشَّكُّ في كلِّ شيءٍ حتى إنه امتنعَ تمامًا عن النَّبيذ، وأصبحَ لا ينام إلَّا وهو يرتدي قميصًا معدنيًّا وقُبَّعةً واقيةً وخوذةً، وتبنَّى أعلى الكلاب نباحًا في الوجار ليُنذِره إذا حاولَ أيُّ أحدٍ التسلُّل إلى مكان نومه، وعلى الرغم من هذا استيقظَت القلعة في صباحٍ على صوت كلب صغير ينبح بجنون، ووجدوا الجرو يجري حول البئر التي طفَت فيها جثَّة ردنوز الغارقة.

لم يستطِع أن يَترُك القتل يمرُّ بلا عقاب. كان فارلن مشتبهًا به محتملًا كغيره، فجلسَ ثيون قاضيًا وأعلنَ أنه مذنب وحكمَ عليه بالموت. حتى



هذا كان تجربةً مريرةً، فإذ ركعَ قيِّم وجار الكلاب عند قالب الخشب، قال: «سيِّدي اللورد إدارد كان يَقتُل بيده دائمًا»، فكان على ثيون أن يضرب بالفأس بنفسه وإلَّا بدا ضعيفًا. كانت يداه تتصبَّبان عَرقًا، فانزلقَ المقبض في قبضته وهو يضرب، لتنغرِس الفأس بين كتفيِّ فارلن، وتطلَّب الأمر ثلاث ضرباتٍ أخرى لشَقِّ كلِّ هذه العظام والعضلات وفصْل الرَّأس عن الجسد، وبَعدها أصابَه الغثيان وقد تذكَّر كلَّ المرَّات التي جلسا فيها يحتسيان البِتع ويُثرثِران عن الكلاب والصَّيد. أرادَ أن يَصرُخ في الجثَّة: لم أكن أملكُ خيارًا. حديديُّو الميلاد لا يستطيعون كتمان الأسرار. كان يجب أن يموتوا ويُلام أحد على موتهم. تمنَّى فقط لو أنه منحَه ميتةً أنظف. ند ستارك لم يكن يحتاج أكثر من ضربةٍ واحدةٍ لقطع رأس رجل.

توقَّف القتل بَعد موت فارلن، وعلى الرغم من ذلك ظَلَّ رجاله يبدون متجهِّمين قلقين، وقال له لورن الأسود: «إنهم لا يخافون أحدًا في المعركة، لكن الإقامة وسط الأعداء شيء آخَر. لا تدري إن كانت الغسَّالة تُريد أن تُقبِّلك أم تَقتُلك، أو إن كان الخادم يُقدِّم لك مِزرًا أم سُمًّا. خيرٌ لنا أن نُغادِر هذا المكان».

عندئذٍ زعقَ ثيون: «أنا أمير وينترفل! هذا مقعدي، ولا رجل سيُزيحني عنه، ولا امرأة كذلك!».

آشا. كان هذا من صُنعها. أختي العزيزة، عسى أن ينكحَها «الآخَرون» بسيف! إنها تُريده أن يموت لكي تسرق مكانه كوريث أبيهما، ولذا تركَته لتخور قُواه هنا، وتجاهلَت الأوامر الملحَّة التي أرسلَها لها.

وجدَها جالسةً في مقعد آل ستارك العالي، تُمَزِّق ديكًا بأصابعها، بينما ترنُّ في القاعة أصوات رجالها الذين يتجاذَبون أطراف الحديث مع رجال ثيون وهُم يشربون معًا. كانوا صاخبين لدرجة أن أحدًا لم يُلاحِظ دخوله. سألَ ريك: «أين الباقون؟». لم يكن هناك أكثر من خمسين رجلًا جالسين إلى الموائد، معظمهم من رجاله، بينما تتَّسع قاعة وينترفل الكُبرى لعشرة أضعاف هذا العدد.

- «مجموعتهم كلها هنا يا سيِّدي الأمير».



- «مجموعتهم كلـ... كم رجلًا أحضرتَ؟».

- «أحصيتُ عشرين».

اتَّجه ثيون جرايچوي إلى حيث تجلس أخته رافعةً ساقيها على المسند. كانت آشا تضحك من شيءٍ قاله أحد رجالها، لكنها بترَت ضحكتها حين اقتربَ، وقالت: «ها هو أمير وينترفل»، وألقَت عظمةً لواحدٍ من الكلاب التي تتحرَّك في القاعة متشمِّمةً الهواء، والتوى فمها بابتسامةٍ ساخرةٍ واسعة تحت أنفها المعقوف، وأكملَت: «أم أمير الحمقى؟».

- «الحسد لا يليق بالفتيات».

كان رجالها يصيحون طالبين الخُبز واللَّحم المقدَّد، مصدرين ضوضاء مزعجةً للغاية على الرغم من عددهم القليل. لعقَت آشا الدُّهن عن أصابعها، وقد سقطَت خصلة من شَعرها على عينيها، وقالت: «الحسد يا ثيون؟».

- «ماذا تُسَمِّينه إذن؟ لقد استوليتُ على وينترفل بثلاثين رجلًا في غضون ليلة، وأنتِ احتجتَ ألفًا ودورة قمرٍ كاملة للاستيلاء على «ربوة الغابة»».

قالت: «لستُ محاربةً عظيمةً مثلك يا أخي»، وجرعَت نِصف قرنٍ من المِزر ومسحَت فمها بظَهر يدها، قبلِ أن تُردِف: «اصدُقني القول، مَن منهما قاومَك بشراسةٍ أكبر؟ الكسيح أم الطِّفل؟».

شعرَ ثيون بالدَّم يصعد إلى رأسه. إنه لا يجد مسرَّةً في النَّظر إلى هذين الرَّأسين، ولا وجدَها في عرض جثَّتي الصَّبيَّين اللتين فُصِلا عنهما أمام القلعة. العجوز نان وقفَت وفمها الرَّخو الخاوي من الأسنان ينفتح وينغلِق بلا صوت، وفارلن ألقى بنفسه على ثيون مزمجرًا كواحدٍ من كلابه، واضطرَّ أورزن وكادويل لضربه بكعبيٍّ رُمحيهما حتى فقدَ الوعي. يتذكَّر أنه تساءلَ في أعماقه وقد وقفَ أمام الجثَّتين والذُّباب حولهما: كيف وصلتُ إلى هذا؟

المِايستر لوين وحده جرؤَ على الدُّنو، وبوجهٍ جامد الملامح طلبَ الرَّجل الأشيب الصَّغير الإذن بخياطة الرَّأسين بالجسدين، كي يُسَجَّى الصَّبيَّان في السَّراديب تحت القلعة مع أموات عائلة ستارك.

رَدَّ ثيون: «لا، ليس السَّراديب».



- «لكن لماذا يا سيِّدي؟ إنهما لا يستطيعان إيذاءك الآن. السَّراديب مكانهما، فرُفات أولاد ستارك كلهم...».

- «قلتُ لا». كان يحتاج الرَّأسين ليضعهما على الأسوار، لكنه أحرقَ الجسدين في اليوم نفسه بثيابهما الثَّمينة، وبَعدها ركعَ بين العظام والرَّماد لاستعادة قطعة الفضَّة الذَّائبة والكهرمان الأسود المشقَّق، ما تبقَّى من المشبك ذي شكل رأس الذِّئب الذي كان ملكًا لبران، ولا يزال في حوزته.

قال لأخته: «لقد عاملتُ بران وريكون بكرم، وهما من قادا نفسيهما إلى مصيرهما».

- «كما نفعل جميعًا يا أخي الصَّغير».

بصبرٍ نافدٍ قال: «كيف تتوقَّعين مني أن أحافظ على وينترفل بينما تجلبين لي عشرين رجلًا فقط؟».

قالت آشا مصحِّحةً: «عشرة. الآخَرون سيعودون معي. إنك لا ترغب في أن تُواجِه أختك الصَّغيرة مخاطر الغابة بمفردها، أليس كذلك؟ ثمَّة ذئاب رهيبة تجول في الظَّلام»، ثم اعتدلَت على المقعد الحجري الكبير ونهضَت مردفةً: «تعالَ، لنذهب إلى مكانٍ آخَر نتكلَّم فيه على انفراد».

يعلم أنها على حَق، وإن أغاظَه أن اتَّخذت هي القرار، لكنه أدركَ خطأه متأخِّرًا. لم يكن يجب أن آتي إلى القاعة، كان عليَّ أن أستدعيها إليَّ. فاتَ أوان ذلك على كلِّ حال، ولم يملك ثيون خيارًا غير أن يقود آشا إلى غُرفة ند ستارك الشَّمسيَّة، وهناك، أمام رماد النَّار الخامدة، اندفعَ يقول: «داجمر خسرَ القتال عند «مربَّع تورين»...».

قاطعَته آشا بهدوء: «أمين القلعة العجوز حطَّم حائط التُّروس الذي أقامَه. ماذا كنت تتوقَّع؟ هذا السير رودريك يعرف الأرض عن ظَهر قلب، وذو الفَكِّ المفلوق لا يعرفها، وعدد كبير من الشَّماليِّين كان يركب الخيول. حديديُّو الميلاد يفتقرون إلى النِّظام الذي يُتيح لهم التصدِّي لهجمةٍ من الخيول المدرَّعة. ما زال داجمر حيًّا، فأشعُر بالامتنان لهذا الجزء على الأقل. إنه يقود النَّاجين الآن عائدًا إلى السَّاحل الحجري».

إنها تعرف أكثر مني. أثارَت الفكرة غضبته أكثر، وقال: «الانتصار شجَّع



ليوبولد تولهارت على الخروج من وراء أسواره والانضمام إلى السير رودريك، وبلغَتني تقارير تقول إن اللورد ماندرلي أرسل عبر النَّهر دستةً من الزَّوارق المحمَّلة بالفُرسان والخيول الحربيَّة وآلات الحصار، ورجال أومبر يحتشدون على هذه الجهة من النَّهر الأخير. سيكون هناك جيش على أبوابي قبل أن يدور القمر، وتجلبي لي عشرة رجالٍ فقط؟!».

- «لم أكن مضطرَّةً لأن أجلب لك أحدًا إطلاقًا».

- «لقد أمرتكِ...».

قاطعَته بحدَّةٍ هذه المرَّة: «أبي أمرَني بالاستيلاء على «ربوة الغابة»، ولم يَذكُر شيئًا عن إنقاذ أخي الصَّغير».

- «فلتذهب «ربوة الغابة» إلى الجحيم. إنها مرحاض خشبي فوق هضبة. وينترفل قلب الشَّمال، فكيف أدافعُ عنها بلا حامية؟».

- «كان حريًّا بك أن تُفكِّر في هذا. أوه، أعترفُ بأن التَّنفيذ كان بارعًا، لكن ليتك تمتَّعت بالعقل وهدمت القلعة عن بكرة أبيها وأخذت الأميرين الصَّغيرين رهينتين إلى پايك، فكنت لتربح الحرب بضربةٍ واحدة».

- «تُحِبِّين أن يَحدُث هذا، أليس كذلك؟ أن تري غنيمتي أنقاضًا ورمادًا؟».

- «غنيمتك هذه فيها هلاكك. الكراكن يَخرُج من البحر يا ثيون، أم أن سنين المعيشة وسط الذِّئاب أنسَتك هذا؟ قوَّتنا تَكمُن في سُفننا الطَّويلة، ومرحاضي الخشبي هذا يستقرُّ على مقربةٍ من البحر، حيث يَسهُل أن تَبلُغني المؤن والرِّجال الجُدد متى احتجتهم، بينما تَبعُد وينترفل مئات الفراسخ على اليابسة، وتُحيط بها الغابات والتِّلال والمعاقل والقلاع المعادية. كلُّ رجلٍ على بُعد ألف فرسخ من هنا عدوُّك الآن، ثِق بهذا، فقد ضمنت حدوثه حين علَّقت هذين الرَّأسين فوق مبنى البوَّابة»، وهزَّت آشا رأسها مضيفةً: «كيف أمكنك التصرُّف بهذه الحماقة؟ كانا طفلين...».

صاحَ في وجهها: «لقد تحدَّياني! ثم إنها كانت عينًا بعين، اثنان من أبناء إدارد ستارك عوضًا عن رودريك ومارون». خرجَت منه الكلمات بلا تفكير، لكن ثيون أدركَ من فوره أن أباه سيستحسِن هذا، فتابعَ: «يُمكن لشبحي أخويَّ أن يستريحا الآن».



- «أخوينا»، ذكَّرته آشا بابتسامةٍ صغيرة تشي بأن كلامه عن القصاص لم يُقنِعها. «هل أتيت بشبحيهما معك من پايك يا أخي؟ كنتُ أحسبُ أنهما يُلازِمان أبانا فقط».

- «منذ متى والفتيات يفهمن حاجة الرِّجال إلى الانتقام؟». حتى إذا لم يَنظُر أبوه بعين التَّقدير لهديَّة وينترفل، فلا بُدَّ أن يُؤَيِّد انتقام ثيون لأخويه!

خرجَ من آشا نخير إذ كتمَت ضحكتها، وقالت: «هل فكَّرت أن هذا السير رودريك سيَشعُر بالحاجة الرُّجوليَّة نفسها؟ أنت دم دمي يا ثيون، أيًّا كنت بخلاف ذلك، فلأجل خاطِر الأمِّ التي حملَت كلينا، عُد معي إلى «ربوة الغابة». أضرِم النَّار في وينترفل وانسحِب بينما ما زلت تستطيع».

عدَّل ثيون تاجه على رأسه قائلًا: «لا. لقد أخذتُ هذه القلعة وأنوي الحفاظ عليها».

رمقَته أخته صامتةً طويلًا، ثم قالت: «ستُحافِظ عليها إذن... ما تبقَّى من حياتك»، وزفرَت متابعةً: «رأيي أن المسألة كلها حماقة، لكن ماذا تعرف فتاة خجول عن تلك الأشياء؟»، وعند الباب أعطَته ابتسامةً هازئةً أخيرةً، وقالت: «عليك أن تعرف أن هذا أقبح تاج رأيته في حياتي. هل صنعته بنفسك؟».

تركَته يتميَّز من الغيظ، ولم تبقَ في القلعة أطول من الفترة التي استغرقَها إطعام وسقاء الخيول، وعادَ معها نِصف الرِّجال الذين جلبَتهم كما هدَّدت، فخرجوا من بوَّابة الصيَّادين نفسها التي هربَ منها بران وريكون.

راقبَهم ثيون من فوق السُّور، وإذ غابَت أخته في ضباب غابة الذِّئاب وجدَ نفسه يتساءَل لِمَ لم يُصغِ ويذهب معها.

كان ريك واقفًا عند مِرفقه، وسألَه: «رحلَت؟».

لم يكن ثيون قد سمعَه يقترب، أو شَمَّ رائحته، وفكَّر أنه آخِر شخص يُريد أن يراه الآن، فرؤية الرَّجل يمشي ويتنفَّس وهو يعلم ما يعلمه تُصيبه بالقلق. قال لنفسه: كان عليَّ أن أقتله بعدما قتلَ الرِّجال الآخَرين، لكن الفكرة وتَّرته أكثر. على الرغم مما يشي به مظهره، فريك يُجيد القراءة والكتابة، ويتمتَّع بقَدرٍ كافٍ من الدَّهاء واللُّؤم لأن يُخفي تقريرًا مكتوبًا بما فعلاه.



- «سيِّدي الأمير، إذا سمحت لي بالقول، فليس تصرُّفًا لائقًا منها أن تتخلَّى عنك. عشرة رجال لن يكفوا إطلاقًا».

- «أدركُ هذا». وآشا تُدركه أيضًا.

قال ريك: «طيِّب، قد أكونُ قادرًا على مساعَدتك. أعطِني حصانًا وصُرَّةً من النُّقود وسأجدُ لك بعض الرِّجال الصَّالحين».

ضيَّق ثيون عينيه متسائلًا: «كم؟».

- «مئة ربما، مئتان، ربما أكثر»، وابتسمَ فلمعَت عيناه الشَّاحبتان وهو يُضيف: «لقد وُلِدتُ هنا في الشَّمال، وأعرفُ رجالًا كثيرين، ورجال كثيرون يعرفون ريك».

مئتا رجلٍ ليسوا جيشًا، لكنك لا تحتاج آلافًا للدِّفاع عن قلعةٍ حصينة كوينترفل. ما داموا يعرفون أيَّ طرفيِّ الرُّمح يَقتُل، فقد يصنعوا الفارق المطلوب. هكذا قال: «نفِّذ ما تقوله ولن تجدني ناكرًا للجميل. يُمكنك تحديد مكافأتك بنفسك».

- «إذن يا سيِّدي، إنني لم أحظَ بامرأةٍ منذ كنت مع اللورد رامزي. وضعتُ عينيَّ على تلك الفتاة پالا، وسمعتُ أن هناك من امتطاها بالفعل، فـ...».

كان قد تمادى جدًّا مع ريك ولا يستطيع التَّراجُع الآن، فقال: «مئتا رجلٍ وستكون لك. رجل واحد أقلّ ويُمكنك العودة إلى مضاجَعة الخنازير».

رحلَ ريك قبل غياب الشَّمس، حاملًا صُرَّةً من فضَّة ستارك وآخِر آمال ثيون، الذي فكَّر بمرارة: غالبًا لن أرى المأفون ثانيةً، لكن ما زال عليه أن ينتهز الفُرصة.

ليلتها حلمَ بالمأدبة التي أقامَها ند ستارك عندما زارَ الملك روبرت وينترفل. تردَّدت الموسيقى والضَّحكات في القاعة، مع أن الرِّيح الباردة كانت مشتدَّةً في الخارج. في البداية كان الأمر كله نبيذ ولحوم مشويَّة، وثيون يمزح ويُسَدِّد نظراته إلى الخادمات ويقضي وقتًا طيِّبًا... إلى أن لاحظَ أن الظَّلام يزحف على القاعة، ولم تَعُد الموسيقى مرحةً كما من قبل، وسمعَ الألحان النَّشاز والسُّكوت الغريب والأنغام التي ظَلَّت معلَّقة في الهواء تنزف، وفجأةً صارَ مذاق النَّبيذ مُرًّا في فمه، ولمَّا رفعَ عينيه عن كأسه رأى أنه يُولِم مع الموتى.



جلسَ الملك روبرت وأحشاؤه تَخرُج من الجُرح الهائل في بطنه، وإلى جواره اللورد إدارد بلا رأس، فيما اصطفَّت الجُثث على الدِّكك، يتفسَّخ اللَّحم البنِّي الضَّارب إلى الرَّمادي عن عظامها إذ رفعَت الكؤوس تشرب نخبًا، والدُّود يزحف من وإلى المحاجر التي كانت العيون تحتلُّها. كان يعرفهم جميعًا؛ چوري كاسل وتوم السَّمين، وپورثر وكاين وهالن قيِّم الخيول، وكلَّ الآخَرين الذين ذهبوا جَنوبًا إلى كينجز لاندنج ولم يرجعوا قَطُّ. جلسَ ميكن وكايل معًا، أحدهما يَقطُر دمًا والآخَر ماءً، بينما احتلَّ بنفريد تولهارت وأرانبه البرِّيَّة أغلب واحدةٍ من الموائد، وكانت زوجة الطحَّان هناك أيضًا، وفارلن، وحتى الهمجي الذي قتلَه في غابة الذِّئاب يوم أنقذَ حياة بران.

لكن كان هناك آخَرون وجوههم لم يعرفها في حياته قَطُّ، وجوه رآها في الحجر فقط. الفتاة النَّاحلة الحزينة التي ترتدي تاجًا من الورد الأزرق الشَّاحب وفُستانًا أبيض ملطَّخًا بالدِّماء لا يُمكن أن تكون غير ليانا، وقد وقفَ أخوها براندون إلى جوارها، وأبوهما اللورد ريكارد خلفهما مباشرةً، وعند الجُدران تحرَّكت أشباح غير مرئيَّة بين الظِّلال، أطياف شاحبة ذات وجوهٍ طويلة عابسة، وغرسَ مرآها في ثيون سكِّينًا باردًا من القشعريرة، ثم انفتحَ مصراعا الباب الطَّويلان بعُنف، فهبَّت ريح الزَّمهرير داخل القاعة، ومن سواد اللَّيل جاءَ روب وإلى جواره جراي ويند بعينين متَّقدتين، لكن الرَّجل والذِّئب كانا ينزفان من عشرات الجروح البالغة.

استيقظَ ثيون صارخًا، فأجفلَ وِكس لدرجة أنه خرجَ يجري عاريًا من الغُرفة، وحين اقتحمَ حَرسه المكان وسيوفهم في أيديهم، أمرَهم بأن يأتوه بالمِايستر، ولمَّا وصلَ لوين أشعث الشَّعر ناعسًا، كانت كأس من النَّبيذ قد ثبَّتت يد ثيون المرتعشة، وشعرَ بالخجل من ذُعره. تمتمَ: «حُلم، هذا كلُّ ما في الأمر. لم يعنِ شيئًا».

ردَّد لوين برزانة: «لم يعنِ شيئًا»، وتركَ عقَّارًا للنَّوم قبل أن يذهب، لكن ثيون سكبه في المرحاض لَحظة أن خرجَ المِايستر. لوين رجل كما هو مِايستر، والرَّجل لا يُكِنُّ له حُبًّا. يُريدني أن أنام، نعم... أنام ولا أستيقظ أبدًا. يُريد هذا كما تُريده آشا.



أرسلَ يستدعي كايرا، وحين جاءَت ركلَ الباب مغلقًا إياه وضاجعَها بهياج لم يعرفه في نفسه قَطُّ، حتى إنها كانت تنتحب لمَّا فرغَ، وقد غطَّت عُنقهَا وثدييها الكدمات وآثار العَض، ثم دفعَها ثيون من الفِراش وألقى لها غطاءً قائلًا: «اخرُجي».

وعلى الرغم من ذلك لم يُراوِده النَّوم.

مع مجيء الفَجر ارتدى ثيابه وخرجَ يتمشَّى على الأسوار الخارجيَّة، حيث تهبُّ رياح الخريف السَّريعة وتدور دوَّاماتها في الشُّرفات، لتُكسِب وجنتيه حُمرةً وتلذع عينيه. راقبَ ألوان الغابة تستحيل من الرَّمادي إلى الأخضر أسفله إذ بدأ الضَّوء ينفذ بين الأشجار الصَّامتة، وإلى يساره رأى قمم الأبراج فوق الأسوار الدَّاخليَّة وقد صبغَتها الشَّمس بالذَّهبي، بينما كانت أوراق الويرwood الحمراء كالأجيج الملتهب وسط الخُضرة. شجرة ند ستارك، وأيكة ستارك، وقاعة ستارك، وسيف ستارك، وآلهة ستارك. هذا مكانهم لا مكاني. إنني من آل جرايچوي أبناء پايك، وُلدتُ لأرسم الكراكن على تُرسي وأمخر عباب البحر المالح العظيم. كان عليَّ أن أذهب مع آشا.

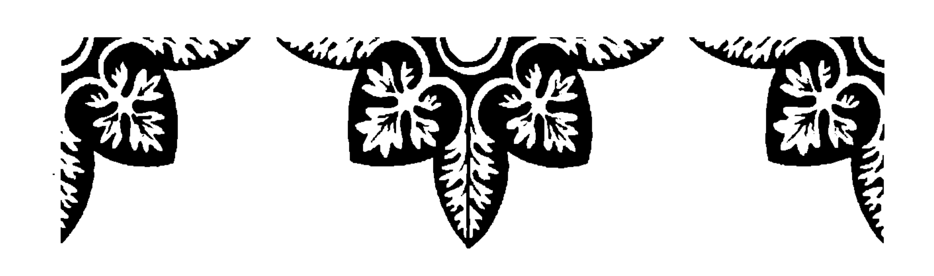
وعلى الخازوقين الحديد فوق مبنى البوَّابة انتظرَ الرَّأسان.

رمقَهما ثيون بصمتٍ والرِّيح تشدُّ معطفه بأيدٍ شبحيَّةٍ صغيرة.

كان ولدا الطحَّان في سِنِّ بران وريكون، ومِثلهما في الحجم واللون، وبمجرَّد أن سلخَ ريك جِلد وجهيهما وغمسَ رأسيهما في القطران، كان من السَّهل أن يرى الجميع ملامح مألوفةً في كُتل اللَّحم المشوَّه.

النَّاس حمقى حقًّا. لو قُلنا إنهما رأسا كبشين، لكانوا قد رأوا قرونًا.





سانزا

يُنشِدون في السِّپت منذ الصَّباح، حين علمَت القلعة أن أشرعة العدوِّ شوهِدَت في الأُفق، واختلطَ إنشادهم بصهيل الخيول وصليل الفولاذ وصرير مفصلات البوَّابات البرونز الكبيرة، فصنعَت الأصوات معًا موسيقى غريبةً وَجِلة. في السِّپت يُغَنُّون طالبين رحمة «الأُم»، أمَّا مَن على الأسوار فيُصَلُّون لـ«المُحارِب» بصمت. تذكَّرت أن السِّپتة موردن اعتادَت أن تُرَدِّد أن «المُحارب» و«الأُم» وجهان فقط للإله المعظَّم نفسه. لكن إذا كان هناك واحد فقط، فمَن ستُسمَع صلواته؟

أمسكَ السير مرين ترانت الحصان الكستنائي بينما امتطاه چوفري، وقد ارتدى الصَّبي وحصانه كلاهما الحلقات المعدنيَّة المذهَّبة ودِرعًا قرمزيَّةً مطليَّةً بالمينا، واستقرَّ على رأس كلٍّ منهما أسد ذهبي، فومضَ نور الشَّمس الشَّاحب على الأحمر والذَّهبي كلما تحرَّك چوف، لكن سانزا قالت لنفسها: زاهٍ وبرّاق وفارغ.

ركبَ العِفريت فَحلًا أحمر، وكانت دِرعه أقلَّ بهرجةً من دِرع الملك وعتاده يجعله يبدو كطفلٍ يرتدي ثياب أبيه، مع أن لا شيء طفوليًّا على الإطلاق في الفأس الحربيَّة المعلَّقة تحت تُرسه، بينما ركبَ السير ماندون مور إلى جواره مدرَّعًا بالفولاذ الأبيض الوضَّاء كالجليد. أدارَ تيريون حصانه نحوها حين رآها، وناداها قائلًا: «ليدي سانزا، لا بُدَّ أن أختي دعتكِ للانضمام إلى بقيَّة السيِّدات النَّبيلات في حصن ميجور، أليس كذلك؟».



- «بلى يا سيِّدي، لكن الملك چوفري طلبَ أن أودِّعه، وأنوي زيارة السِّبت كذلك لأصلِّي».

قال: «لن أسأل لمَن»، والتوى فمه على نحوٍ غريب. لو أن هذه ابتسامة، فهي أعجب ابتسامة رأتها في حياتها. «قد يُغَيِّر اليوم كلَّ شيء، بالنِّسبة لكِ ولعائلة لانستر على حَدٍّ السَّواء. أفكِّرُ الآن أنه كان عليَّ أن أُخرِجكِ من المدينة مع تومن، لكنكِ ستكونين آمنةً بما فيه الكفاية في حصن ميجور، ما دُمتِ...».

- «سانزا!». رنَّت الصَّيحة الصِّبيانيَّة في السَّاحة، فعرفَت أن چوفري رآها. «سانزا، تعالي!».

يُناديني كأنه يُنادي كلبًا.

قال تيريون لانستر: «جلالته يُريدكِ. سنتكلَّم ثانيةً بَعد المعركة إذا شاءَت الآلهة».

شقَّت سانزا طريقها وسط ذوي المعاطف الذَّهبيَّة حاملي الرِّماح، فيما أشارَ إليها چوفري بالاقتراب قائلًا: «الكلُّ يقول إن المعركة ستبدأ قريبًا».

- «لترحمنا الآلهة جميعًا».

- «عمِّي هو مَن يحتاج الرَّحمة، لكنه لن ينالها مني»، واستلَّ چوفري سيفه، فرأت أن القبيعة مصنوعة من ياقوتةٍ منحوتة على شكل قلبٍ مثبَّت بين فكَّي أسد، وقد صُنِعَت ثلاثة شقوق طوليَّة في أعماق النَّصل لتخفيف حركته. «سيفي الجديد، اسمه «آكِل القلوب»».

تذكَّرت سانزا أنه كان يملك سيفًا يُسَمَّى «ناب الأسد» من قبل، السَّيف الذي أخذَته آريا منه وطوَّحته في النَّهر. آملُ أن يفعل ستانيس المِثل بهذا. «إنه رائع الجمال يا جلالة الملك».

مَدَّ السَّيف نحوها قائلًا: «بارِكي فولاذي بقُبلة. هلمِّي، قبِّليه».

لم يبدُ كصبيٍّ صغيرٍ أحمق من قبل كما بدا الآن، ومسَّت سانزا المعدن بشفتيها مفكِّرةً أنها تُؤثِر تقبيل أيِّ عددٍ من السُّيوف على تقبيل چوفري نفسه، وإن لاحَ عليه أن اللَّفتة سرَّته، وأغمدَ السَّيف وقد انتفخَت أوداجه، وقال: «ستُقَبِّلينه ثانيةً حين أعودُ وتتذوَّقي دماء عمِّي».



فقط إذا قتلَه أحد حَرسك الملكيِّين من أجلك. ثلاثة من السُّيوف البيضاء سيذهبوا مع جوفري وخاله، السير مرين والسير ماندون والسير أوزموند كِتلبلاك. سألَته سانزا وفي نفسها أمل: «هل ستقود فُرسانك إلى قلب المعركة؟».

- «كنتُ لأفعل ذلك، لولا أن خالي العِفريت يقول إن عمِّي ستانيس لن يَعبُر النَّهر أبدًا، لكنني سأقودُ العاهرات الثَّلاث. سأعاقبُ الخونة بنفسي».

جعلَت الفكرة جوف يبتسم. كان منظر شفتيه الممتلئتين البارزتين يروق سانزا من قبل، أمَّا الآن فيُصيبها بالاشمئزاز.

قالت بلا تفكير: «يقولون إن أخي روب يذهب دائمًا حيثما احتدمَ القتال أكثر، لكنه أكبر منك سِنًّا يا جلالة الملك، رجل بالغ».

دفعَه قولها إلى العبوس، وقال: «سأتعاملُ مع أخيكِ حين أفرغُ من عمِّي الخائن. سأبقرُ بطنه بـ«آكِل القلوب»، سترين»، ودارَ بحصانه وهمزَه في اتِّجاه البوَّابة، فتحرَّك السير أوزموند والسير مرين على يمينه ويساره، يتبعهم ذوو المعاطف الذَّهبيَّة في صفوفٍ من أربعة، وفي المؤخِّرة تحرَّك العِفريت والسير ماندون. ودَّعهم الحَرس بالهتاف والتَّشجيع، وعندما اختفى آخِرهم، خيَّم صمت غريب على السَّاحة، كالسُّكون السَّابق للعاصفة، وتسلَّلت أصوات الإنشاد إلى مسامعها متخلِّلة الصَّمت ومجتذبةً إياها، فاتَّجهت سانزا إلى السِّپت، وتبعَها اثنان من صبيان الاسطبلات وجُندي انتهَت مناوَبته، وسارَ آخَرون في أعقابهم.

لم ترَ سانزا السِّپت مزدحمًا أو ساطع الإضاءة هكذا من قبل، وقد دخلَت أشعَّة الشَّمس من النَّوافذ البلَّورية العالية في صورة أعمدةٍ طويلةٍ من الضَّوء الملوَّن بألوان قوس قزح، بينما اتَّقدت الشُّموع في كلِّ جانب، يتلألأ لهبها كنجماتٍ صغيرة. أغرقَت الإنارة مذبحيَّ «الأم» و«المُحارِب»، لكن «الحدَّاد» و«العجوز» و«العذراء» و«الأب» لهم عبَّادهم أيضًا، بل وكان لهب بضع شمعاتٍ يتراقَص أيضًا تحت وجه «الغريب» شِبه البَشري... فما ستانيس باراثيون غير «الغريب» نفسه الذي جاءَ يَحكُم عليهم؟ زارَت سانزا كلًّا من «السَّبعة» بدوره، وأشعلَت شمعةً عند كلِّ مذبح، ثم وجدَت لنفسها



مكانًا على الدِّكك بين غسَّالةٍ عجوز ذابلة وصبيٍّ ليس أكبر من ريكون، يرتدي سُترةً أنيقةً من الكتَّان تليق بابن فارس. كانت يد العجوز عظميَّةً مكسوَّةً بطبقةٍ سميكة من الجِلد، ويد الصَّبي صغيرةً طريَّةً، لكنها سُرَّت لأن هناك من يُمسِك يديها إذ جلسَت شاعرةً بحرارة الهواء وسكونه، وقد أفعمَته رائحة البُخور والعَرق، هواء قبَّله البلَّور وأنارَته الشُّموع، أصابَ تنفُّسه سانزا بالدُّوار.

إنها تعرف هذه التَّرنيمة، علَّمتها أمُّها إياها ذات مرَّةٍ منذ زمنٍ طويل في وينترفل، فضمَّت أصواتها إلى أصواتهم.

لكِ نصلي،
أيتها الأمُّ العَطوف، يا ينبوعَ الحِلم
أنقذي أبناءنا من هذي الحرب
ثبِّتي السيوفَ واحفظي الأسهُم
ودعيهم يشهدون يومًا أفضل
أيتها الأمُّ الرَّءوف، يا أقدر النِّساء
انجدي بناتنا من هذا النِّزاع
سكِّني الغضبَ وروِّضي السُّخطَ
وأرشدينا جميعًا لطريقٍ أقوم

على الجانِب الآخَر من المدينة ازدحمَ الآلاف في سِپت بيلور الكبير فوق تَلِّ ڤيزينيا، ولا بُدَّ أنهم يُنشِدون أيضًا، فتعلو أصواتهم وتطفو فوق المدينة وعبر النَّهر وترتفع إلى السَّماء. المفترَض أن تسمعنا الآلهة إذن.

معظم التَّرانيم تعرفها سانزا، وتلك التي لا تحفظها ردَّدت منها ما استطاعَت، فغنَّت مع الخدم الشِّيب، والزَّوجات الشَّابَّات المتوتِّرات، والخادمات، والجنود، والطُّهاة، وصيَّادي الصُّقور، والفُرسان، والمحتالين، والأتباع، وعُمَّال المطابخ، والأمَّهات المُرضِعات، غنَّت مع مَن هُم داخل القلعة وخارجها، غنَّت مع المدينة كلها، غنَّت داعيةً بالرَّحمة للأحياء والأموات في آنٍ واحد، لبران وريكون وروب، لأختها آريا وأخيها النَّغل چون سنو الغائب



بعيدًا على «الجِدار»، وغنَّت لأمِّها وأبيها وجدِّها اللورد هوستر وخالها السير إدميور تَلي، ولصديقتها چين پوول والملك روبرت السكِّير والسِّپتة موردن والسير دونتوس وچوري كاسل والمِايستر لوين، ولكلِّ الفُرسان والجنود الشُّجعان الذين سيموتون اليوم، وأخيرًا، قُرب النِّهاية، غنَّت لتيريون العِفريت وكلب الصَّيد أيضًا، وقالت لـ«الأم»: إنه ليس فارسًا حقيقيًّا، لكنه أنقذَني رغم ذلك، فأنقِذيه إذا استطعتِ، وهدِّئي ثورة الغضب في أعماقه.

لكن حين وقفَ السِّپتون فوقهم كلهم ودعا الآلهة أن تُدافِع عن الملك الشَّرعي النَّبيل وتحميه، نهضَت سانزا. كانت المماشي مزدحمةً بالنَّاس، واضطرَّت لأن تزجَّ نفسها بينهم بينما رفعَ السِّپتون صوته إلى «الحدَّاد» سائلًا إياه أن يبثَّ قوَّته في سيف چوفري وتُرسه، و«المُحارِب» أن يمدَّه بالشَّجاعة، و«الأب» أن يقيه في ساعة حاجته، فدعَت سانزا ببرودٍ وهي تدفع نفسها بين النَّاس خارجةً من الباب: لينكسر سيفه ويتحطَّم تُرسه، لتَهجُره شجاعته ويتخلَّى الجميع عنه.

كان حُرَّاس قليلون يذرعون شُرفات مبنى البوَّابة، وفيما عدا هذا بدَت القلعة خاليةً. توقَّفت سانزا وأصغَت، ومن بعيدٍ بلغَت أُذنيها أصوات المعركة، رغم أن الغناء يكاد يطغى عليها، لكن إذا أرهفت السَّمع سيَبلُغك أنين الأبواق الحربيَّة العميق، وصرير المجانيق وارتطام الأحجار التي تقذفها بأهدافها، وتناثُر المياه وتهشُّم الأخشاب، وطقطقة القار المشتعل، وطنين السِّهام الطَّويلة ذات الرُّؤوس الحديد إذ تنطلق من العرَّادات... وتحت كلِّ هذه الأصوات صُراخ المحتضِرين.

إنها أغنيَّة من نوعٍ آخَر، أغنيَّة الرُّعب. رفعَت سانزا قلنسوة معطفها على أُذنيها وأسرعَت إلى حصن ميجور، القلعة داخل القلعة التي وعدَت الملكة بأن يكونوا آمنين جميعًا داخلها. عند الجسر المتحرِّك التقَت الليدي تاندا وابنتيها. كانت فاليس قد وصلَت بالأمس من قلعة ستوكوورث مع فرقةٍ صغيرة من الجنود، وتُحاوِل الآن أن تُقنِع أختها بلُطفٍ بعبور الجسر، لكن لوليس تمسَّكت بوصيفتها وقالت منتحبةً: «لا أريدُ، لا أريدُ، لا أريدُ».

قالت الليدي تاندا بصوتٍ مشروخ: «المعركة بدأت!».



- «لا أريدُ، لا أريدُ».

لم يكن هناك سبيل لأن تتحاشاهن سانزا، فحيَّتهن بدماثةٍ قائلةً: «أيُمكنني أن أساعد؟».

احتقنَ وجه الليدي تاندا حرجًا، وأجابَت: «لا يا سيِّدتي، لكن خالص شُكرنا لكِ. سامِحي ابنتي، فإنها متوعِّكة منذ فترة».

- «لا أريدُ، لا أريدُ»، ردَّدت لوليس، وتشبَّثت بوصيفتها، الفتاة الحسناء النَّاحلة ذات الشَّعر الفاحم القصير، التي تبدو كأنها لا ترغب في شيءٍ الآن أكثر من أن تدفع سيِّدتها في الخندق الجاف لتَسقُط على الخوازيق الحديد. «أرجوكن، أرجوكن، لا أريدُ».

خاطبَتها سانزا قائلةً برفق: «سنكون أكثر أمنًا ثلاث مرَّاتٍ في الدَّاخل، وهناك طعام وشراب وغناء أيضًا».

رمقَتها لوليس مفغورة الفيه، وقد اتَّسعت عيناها البنِّيَّتان البليدتان اللتان تبدوان مبلَّلتين بالدُّموع دائمًا، وعادَت تُرَدِّد: «لا أريدُ».

قالت أختها فاليس بحدَّة: «يجب أن تَدخُلي، وهذه نهاية النِّقاش. شِاي، ساعِديني»، وقبضَت كلٌّ منهما على أحد مِرفقيها، وقادَتا لوليس على الجسر، تارةً تجرُّانها وتارةً تحملانها، وتحرَّكت سانزا وراءهن مع الليدي تاندا، التي قالت: «إنها مريضة منذ فترة»، ففكَّرت سانزا: إذا كان من الجائز أن يُسَمَّى الطِّفل في بطنها مرضًا. تقول النَّميمة في كلِّ مكانٍ في القلعة إن في بطن لوليس طفلًا.

ارتدى الحارسان على الباب الخوذة ذات ريشة الأسد ومعطف لانستر القرمزي، لكن سانزا تعلم أنهما مجرَّد مرتزِقيْن متأنِّقيْن، وقد جلسَ ثالث عند قاعدة السَّلالم، بينما كان الحارس الحقيقي ليقف انتباهًا، ولا يجلس على درجةٍ واضعًا مِطرَده[1] على رُكبتيه، لكنه نهضَ حين رآهن وفتحَ الباب ليَدخُلن.

لا تَبلُغ قاعة حفلات الملكة عُشر مساحة قاعة القلعة الكُبرى، ولا نِصف

---

(1) المِطرَد سلاح قديم يتألَّف من رأس حربةٍ ورأس فأس مثبَّتين في العمود نفسه.



مساحة القاعة الصُّغرى في بُرج اليد، لكنها تظلُّ تتَّسع لمئة فرد، وما تفتقر إليه في الحجم عوَّضته في الأناقة، فوُضِعَت وراء كلِّ حامل مشعلٍ على الحائط مرآة من الفضَّة المطرَّقة، لتتوهَّج المشاعل بإضاءةٍ مضاعَفة، فيما زُيِّنَت الجُدران بألواح الخشب المنقوش بالرُّسوم المنمَّقة، ومن الشُّرفة في الأعلى جاءَت أنغام المزامير والكمنجات المرحة. يحتلُّ صَفٌّ من النَّوافذ المقنطرة الجدار الجَنوبي، لكنهم أسدَلوا عليها ستائر مخمليَّة ثقيلةً لا تسمح بدخول الضَّوء وتَكتُم أصوات الصَّلاة والحرب في آنٍ واحد. لا فارق، فالحرب معنا.

كلُّ امرأةٍ من علية القوم في المدينة تقريبًا كانت جالسةً إلى الموائد الطَّويلة، مع حفنةٍ من الرِّجال المسنِّين والأطفال الصِّغار. النِّساء زوجات وبنات وأمَّهات وأخوات، وقد ذهبَ رجالهن لقتال اللورد ستانيس. كثيرون منهم لن يرجعوا، وهذه المعرفة تُثقِل الهواء. باعتبارها خطيبة چوفري، فقد مُنِحَت سانزا موضع شَرفٍ على المائدة إلى يمين الملكة، وبينما صعدَت إلى المنصَّة لمحَت الرَّجل الواقف وسط الظِّلال عند الحائط الخلفي، يرتدي قميصًا طويلًا من الحلقات المعدنيَّة السَّوداء، ويحمل سيفه أمامه، سيف أبيها العظيم «جَليد» الذي يكاد يُناهِزه طولًا، وقد استقرَّ رأس السَّيف على الأرض، وقبضَت أصابع الرَّجل على الواقي العرضي على جانبي المقبض. احتبسَت أنفاس سانزا في حَلقها، وكأن السير إلين پاين أحسَّ بنظرتها، فقد أدارَ وجهه الضَّاوي المجدور نحوها.

سألَت أوزفريد كِتلبلاك، القائد الجديد لذوي المعاطف الحمراء: «ماذا يفعل هنا؟».

أجابَ بابتسامةٍ واسعة: «جلالتها تتوقَّع أنها ستحتاج خدماته قبل نهاية اللَّيلة».

السير إلين عدالة الملك وجلَّاده، وثمَّة نوع واحد من الخدمات يُقَدِّمه. رأس مَن تُريد يا تُرى؟

صاحَ الوكيل الملكي: «لينهض الجميع تحيَّةً لجلالتها سرسي سليلة عائلة لانستر، الملكة الوصيَّة على العرش وحامية البلاد».

كان فُستان سرسي من الكتَّان الثَّلجي النَّاصع كمعاطف رجال الحَرس



الملكي، وأظهرَ كُمَّاه الفضفاضان الطَّويلان بطانةً من الحرير الذَّهبي، وعلى كتفيها المكشوفتين انسدلَ الشَّعر الأصفر الكثيف في خصلاتٍ مجعَّدة، بينما أحاطَت بعُنقها الرَّفيع الطَّويل قلادة من الماس والزمرُّد. جعلَها الأبيض تبدو بريئةً على نحوٍ عجيب، تكاد تكون كالعذراوات، وإن اصطبغَت وجنتاها بلونٍ خفيف.

قالتْ الملكة حين اتَّخذت مكانها على المنصَّة: «تفضَّلوا بالجلوس، ومرحبًا بكم»، ثم جذبَ أوزفريد كِتلبلاك مقعدها، وفعلَت خادمة المِثل بمقعد سانزا، ولمَّا جلستا قالت سرسي: «تبدين شاحبةً يا سانزا. ألا تزال زهرتكِ الحمراء متفتِّحةً؟».

- «بلى».

قالت الملكة: «يا للتَّوافُق، سينزف الرِّجال في الخارج وتنزفين أنتِ هنا»، وأشارَت آمرةً بتقديم الصَّنف الأول من الطَّعام.

اندفعَت سانزا تسأل: «ماذا يفعل السير إلين هنا؟».

رمقَت الملكة الجلَّاد الأخرس مجيبةً: «يتعامَل مع الخونة ويُدافِع عنا إذا دعَت الحاجة. كان فارسًا قبل أن يُصبِح جلَّادًا»، وأشارَت بملعقتها صوب الباب الخشبي الطَّويل المغلق الموصد، وأردفَت: «حين تُحطِّم الفؤوس هذا الباب، ستُسَرِّين لوجوده هنا».

كنتُ لأشعر بسرورٍ أكبر لو كان كلب الصَّيد. على الرغم من قسوته، فإنها لا تعتقد أن ساندور كليجاين سيدع أذًى يُصيبها. «ألن يحمينا حَرسكِ؟».

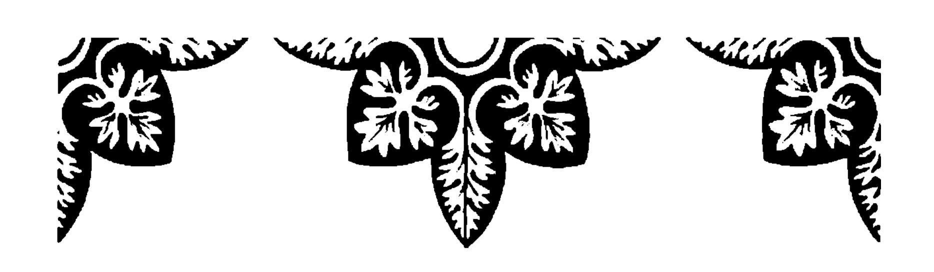
رمقَت الملكة أوزفريد بنظرةٍ جانبيَّةٍ قائلةً: «ومَن سيحمينا من حَرسي؟ المرتزقة الأوفياء نادرون كالعاهرات العذراوات. إذا خسرنا المعركة، سيتعثَّر رجالي في هذه المعاطف القرمزيَّة من فرط لهفتهم على التخلُّص منها، وسيسرقون ما يستطيعون ويفرُّون، ومعهم الخدم والغسَّالات وصبيان الاسطبلات، كلهم يرغبون في النَّفاذ بجلودهم عديمة القيمة. ألديكِ أدنى فكرة عمَّا يَحدُث حين تُنهَب مدينة يا سانزا؟ كلا، لا فكرة لديكِ طبعًا، أليس كذلك؟ كلُّ ما تعرفينه عن الحياة تعلَّمتِه من المغنِّين، والأغاني التي تحكي عن نهب المُدن شحيحة حقًّا».



- «الفُرسان الحقيقيُّون لن يُؤذوا النِّساء والأطفال أبدًا». كان للكلمات وقع خاوٍ أجوف وهي تَخرُج من فمها.

بدا أَن الملكة وجدَت قولها طريفًا لأقصى حَد، وقالت: «الفُرسان الحقيقيُّون. فلتشربي حَساءكِ كالفتيات المهذَّبات إذن وتنتظري أن يأتي سيميون ذو العينين النَّجمتين والأمير إيمون الفارس التنِّين لإنقاذكِ يا حُلوتي. إنني واثقة بأنهما لن يتأخَّرا».





داڤوس

كان الخليجِ الأسود مضطربًا متلاطمًا، والمويجات المزبِدة ذات القمم البيضاء في كلِ مكان.

ركبَت «بِثا السَّوداء» المَدَّ المرتفع، يصرُّ شراعها ويُطَقطِق مع كلِّ تبدُّلٍ في حركة الرِّيح، وإلى جوارها أبحرَت «الطَّيف» و«الليدي ماريا»، لا يفصل بين بدن سفينةٍ وأخرى أكثر من عشرين ياردة. يستطيع أبناؤه التحكُّم في حركة سُفنهم ببراعة، الشَّيء الذي يفخر به داڤوس.

عبر البحر دوَّت أبواق الحرب بأنينٍ عميقٍ مبحوح كنداء أفاعٍ وحشيَّة عملاقة، وتردَّدت أصواتها من سفينةٍ إلى سفينة، فرفعَ داڤوس صوته بالأوامر: «أنزِلوا الشِّراع. اخفِضوا الصَّاري. المجذفون إلى المجاذيف»، ونقلَها ابنه ماثوس إلى الرِّجال. ارتجَّ سطح «بِثا السَّوداء» بينما هرعَ أفراد الطَّاقم لتنفيذ مهامِّهم، يدفعون أنفسهم بين الجنود الذين يعترضون الطَّريق دائمًا أينما وقفوا. كان السير إمري قد قضى أن يَدخُلوا النَّهر تجذيفًا فقط، بغية ألَّا يُعَرِّضون أشرعتهم للعرَّادات ونافثات اللَّهب على أسوار كينجز لاندنج.

لمحَ داڤوس «الثَّورة» بعيدةً إلى الجَنوب الشَّرقي، أشرعتها متوهِّجة بلونٍ ذهبي وبحَّارتها يُنزِلونها، وقد زيَّنها وعل باراثيون المتوَّج. من فوق أسطُحها قادَ ستانيس باراثيون الهجوم على دراجونستون قبل ستَّة عشر عامًا، أمَّا هذه المرَّة فاختارَ أن يركب مع جيشه، عاهدًا بـ«الثَّورة» وقيادة أسطوله لأخي زوجته السير إمري، الذي انضمَّ إليه في ستورمز إند مع اللورد آلستر وبقيَّة آل فلورنت.



يعرف داڤوس «الثَّورة» كما يعرف سُفنه تمامًا. فوق مجاذيفها الثَّلاثئمة هناك سطح مخصَّص بالكامل للعرَّادات، ويستقرُّ على قمَّتها منجنيق عند المقدِّمة وآخَر عند المؤخِّرة، كلاهما كبير بما يكفي لقذف براميل القار المحترق. سفينة مهيبة حقًّا، وشديدة السُّرعة، وإن كان السير إمري قد أتخمَها بالكامل بالفُرسان المدرَّعين والجنود، ما كلَّفها جزءًا من سُرعتها.

دوَّت الأبواق ثانيةً حاملةً الأوامر من «الثَّورة»، واستشعرَ داڤوس وخزًا شبحيًّا في أطراف أصابعه المفقودة وهو يصيح: «أنزِلوا المجاذيف. انتظِموا في التَّشكيل»، فانغمسَ مئة مجذافٍ في الماء بينما علَت دقَّات طبلة رئيس المجذفين كقلبٍ ضخم يخفق ببُطء، وتحرَّكت المجاذيف مع كلِّ خفقةٍ والرِّجال المئة يُنزِلونها ويرفعونها كرجلٍ واحد.

نبتَت أجنحة خشبيَّة لكلٍّ من «الطَّيف» و«الليدي ماريا» كذلك، فتحرَّكت القوادس الثَّلاثة متحاذيةً ومجاذيفها تَمخُض الماء، وصاحَ داڤوس: «ملاحة بطيئة». كانت سفينة اللورد ڤيلاريون «فخر دريفتمارك» ذات البدن الفضِّي قد احتلَّت موقعها إلى ميسرة «الطَّيف»، و«الضَّحوك» تتقدَّم بسرعة، لكن «الشَّمطاء» شرعَت لتوِّها في غمس مجاذيفها في الماء، و«حصان البحر» لا تزال تُكافِح لإنزال شراعها. نظرَ داڤوس نحو المؤخِّرة. نعم، هناك بعيدًا إلى الجَنوب، لا يُمكن أن تكون هذه غير «سيَّاف البحار» المتلكِّئة كعادتها، إذ يدفعها مئة مجذافٍ فقط وتحمل أضخم مِدَكٍّ في الأسطول كله، مع أن داڤوس يرتاب كثيرًا في براعة رُبَّانها.

سمعَ الجنود يهتفون مشجِّعين بعضهم بعضًا عبر الماء. إنهم يُثقِلون السُّفن التي احتشَدوا عليها منذ ستورمز إند، وتوَّاقون إلى بلوغ العدوِّ وكلهم ثقة في النَّصر، وفي هذا يتَّفقون مع أميرال الأسطول، حضرة القائد الأعلى السير إمري فلورنت.

قبل ثلاثة أيام استدعى جميع ربابنته إلى مجلس حرب على متن «الثَّورة» بينما رسى الأسطول عند مصبِّ النَّهر الدَّافق، بغرض إحاطتهم علمًا بتعليماته. عُهِدَ إلى داڤوس وأبنائه بمكانٍ في صَفِّ المعركة الثَّاني، مع الميمنة المحفوفة بالمخاطر، فقال آلارد مسرورًا بنيل فُرصة إثبات شَجاعته: «موضع شَرف»،



لكن أباه رَدَّ: «موضع خطر». عندئذٍ رشقَه أبناؤه بنظرات الشَّفقة، بما فيهم ماريك الصَّغير، حتى كادَ داڤوس يسمعهم يقولون: فارس البصل أصبحَ امرأةً عجوزًا، في قلبه لا يزال مهرِّبًا.

يعلم أن الجزء الأخير صحيح كفايةً، ولا أعذار لديه. لاسم سيوورث رنين مهيب، لكنه في أعماقه لا يزال داڤوس ابن «جُحر البراغيث» العائد إلى مدينته بتلالها الثَّلاثة العالية. إن معرفته بالسُّفن والأشرعة والسَّواحل تفوق كثيرين في الممالك السَّبع، ولقد نالَ نصيبه من القتالات اليائسة بسيفٍ ضد سيفٍ على مختلف الأسطُح المبتلَّة، أمَّا معركة من هذا النَّوع فلا خبرة له في مثيلاتها على الإطلاق، يَدخُلها متوتِّرًا خائفًا. المهرِّبون لا يَنفُخون في أبواق الحرب ويرفعون الرَّايات، وحين يشتمُّون رائحة الخطر يرفعون الأشرعة ويُسابِقون الرِّيح فرارًا.

لو كان أميرالًا لخطَّط للمعركة بشكلٍ مختلف، فبدايةً، كان ليُرسِل مجموعةً من أسرع سُفنه في اتِّجاه منبع النَّهر لتقصِّي ما ينتظرهم، بدلًا من الهجوم بالأسطول كله مباشرةً. حين أفصحَ عن رأيه هذا لحضرة القائد الأعلى، شكرَه السير إمري بكياسةٍ خلَت منها نظرات عينيه اللتين سألَتا بوضوح: مَن هذا الجبان الوضيع؟ أهو مَن اشترى فُروسيَّته ببصلة؟

لم يرَ السير إمري حاجةً لتوخِّي الحذر أو اللُّجوء إلى الخُطط الخداعيَّة، بما أن عدد سُفنهم يفوق ما لدى الملك الصَّبي أربع مرَّات، وقد نظَّم الأسطول في عشرة صفوف، كلٌّ منها يتألَّف من عشرين سفينةً، بحيث يَدخُل أول صفَّين النَّهر للاشتباك مع أسطول چوفري الصَّغير، أو «لُعب الصَّبي» كما أطلقَ السير إمري على سُفن لانستر، ما أثارَ جذل ربابنته الكبار. أمَّا السُّفن التَّالية للصفَّين الأولين فستُنزِل فِرقًا من الرُّماة وحاملي الرِّماح تحت أسوار المدينة، وعندها فقط يُمكنها الانضمام إلى القتال في النَّهر. وبالنِّسبة للسُّفن الأصغر والأبطأ في المؤخِّرة، فستنقل هذه الجزء الأساسي من جيش ستانيس من الضفَّة الجَنوبيَّة، يحميها سالادور سان وسُفنه اللايسينيَّة، التي ستبقى في الخليج في حالة كانت لآل لانستر سُفن أخرى متوارية في مكانٍ ما على السَّاحل، فتُهاجَمها من المؤخِّرة.

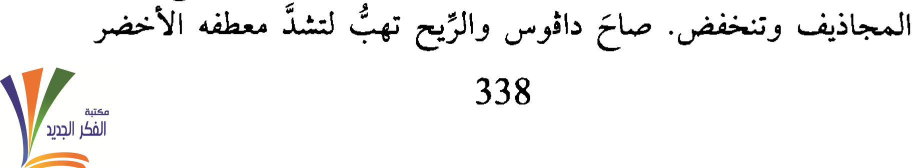


الحَق أن لعجلة السير إمري سببًا، إذ لم تأتِ الرِّياح بما يشتهون في خلال رحلتهم من ستورمز إند، فقد أفقدَتهم صخور خليج السُّفن الغارقة كوجيْن في أول أيام الإبحار، فكانت البداية غير مبشِّرة، بينما غرقَ أحد القوادس المايريَّة وهُم يَعبُرون مضايق تارث، ثم هاجمَتهم عاصفة مباغتة بينما يَدخُلون «الحُلقوم»، مبعثرةً الأسطول في أرجاء البحر الضيِّق، وفي النِّهاية عادَ الأسطول كله -باستثناء اثنتي عشرة سفينةً- يتجمَّع وراء مرتفعات «خُطَّاف ماسي» الواقية، في مياه الخليج الأسود الأهدأ، وإنما بَعد أن ضاعَ منهم وقت ثمين.

لا بُدَّ أن ستانيس بلغَ النَّهر الأسود منذ أيام، فطريق الملوك يمتدُّ من ستورمز إند إلى كينجز لاندنج مباشرةً، كما أنه مختصَر كثيرًا عن طريق البحر، وغالبيَّة الجيش تتكوَّن من الفُرسان والخيَّالة والمُحارِبين غير النِّظاميِّين، تركة رنلي التي لم يوصِ بها لأخيه. صحيحٌ أنهم لن يكونوا قد قضوا فترةً طويلةً على الطَّريق، لكنَ الخيول المدرَّعة والرِّماح التي يَبلُغ طول الواحد منها اثني عشر قدمًا لن تنفعهم كثيرًا ضد مياه النَّهر الأسود العميقة وأسوار المدينة الحجريَّة العالية، فلا شَكَّ إذن أن ستانيس معسكِر مع لورداته على ضفَّة النَّهر الغربيَّة بصبرٍ نافدٍ يثير حنقه ويجعله يتساءَل عمَّا فعله السير إمري بأسطوله.

قبلِ يومين عند «صخرة مرلينج»، لمحوا نِصف دستةٍ من مراكب الصَّيد، وحاولَ الصيَّادون الفرار منهم، لكن القوارب سقطَت في أيديهم واحدًا تلو الآخَر، فأعلنَ السير إمري مغتبطًا: «مذاق صغير من النَّصر أفضل شيءٍ يُهَدِّئ المعدة قبل المعركة، ويجعل الرِّجال جائعين لنصيبٍ أكبر»، أمَّا داڤوس فاهتمَّ أكثر بما يعرفه الأسرى عن دفاعات كينجز لاندنج، وأدركَ أن القزم كان مشغولًا ببناء حاجزٍ ما عند مدخل النَّهر، وإن اختلفَ الصيَّادون على اكتمال العمل من عدمه، فوجدَ نفسه يتمنَّى أنه اكتملَ حقًّا. إذا كان النَّهر مغلقًا في وجوههم، فلن يجد السير إمري خيارًا غير التوقُّف وإعادة دراسة الموقف.

امتلأَ البحر بالأصوات، من الصِّياح والنِّداء، إلى دويِّ الأبواق والطُّبول ونغمات المزامير المرتعشة، إلى ارتطام الخشب بالماء إذ ترتفع آلاف المجاذيف وتنخفض. صاحَ داڤوس والرِّيح تهبُّ لتشدَّ معطفه الأخضر



القديم: «حافِظوا على التَّشكيل». عند قدميه كانت خوذة تقليديَّة وصُدرة من الجِلد المقوَّى، الوقاية الوحيدة التي قرَّر أن يرتديها، فهو يُؤمِن أن الفولاذ في البحر قمين بتكلفتك حياتك كما يقدر على إنقاذها، بينما لم يُشارِكه السير إمري وبقيَّة القادة النُّبلاء رأيه، فتألَّقوا وهُم يتحرَّكون على أسطُح سُفنهم.

كانت «الشَّمطاء» و«حصان البحر» قد اتَّخذتا موضعيهما، ومن ورائهما سفينة اللورد سلتيجار «المخلب الأحمر»، وإلى ميمنة سفينة آلارد «الليدي مايرا» القوادس الثَّلاثة التي استحوذَ عليها ستانيس من اللورد صنجلاس البائس، «الخشوع» و«الصَّلاة» و«البِر»، تعجُّ أسطُحها بالرُّماة. حتى «سيَّاف البحار» كانت تقترب بتثاقُلٍ متمايلةً في البحر المائج رغم أنها تُبحِر بالشِّراع والمجاذيف معًا، ففكَّر داڤوس باستياء: المفترَض أن تكون سفينة بكلٍّ هذه المجاذيف أسرع بكثير، لكن هذا المِدَكَّ الذي تحمله كبير للغاية ويُفقِدها توازُنها.

ظلَّت الرِّيح تهبُّ من الجَنوب، لكنها لا تُشَكِّل فارقًا مع استخدام المجاذيف، فَالمَدُّ العالي سيحملهم، بينما سيكون تيَّار النَّهر في صالح آل لانستر، والنَّهر الأسود يتدفَّق بقوَّةٍ وسرعةٍ حيث يلتقي بالبحر، أي أن من المحتوم أن تكون صدمة الهجوم الأولى في مصلحة العدوِّ. إننا حمقى لمواجَهتهم في النَّهر الأسود. في أيِّ مواجَهةٍ في البحر المفتوح تستطيع صفوفهم تطويق أسطول الأعداء من الجهتين، دافعةً سُفنه للاقتراب من بعضها بعضًا حتى تتصادَم، لكن في النَّهر لن يُجدي عدد سُفن السير إمري ووزنها هذا النَّفع، لأن لا مجال لتحرُّك أكثر من عشرين سفينةً جنبًا إلى جنب، خشية أن تتشابَك مجاذيفها وتصدم كلُّ سفينةٍ الأخرى.

وراء صَفِّ السُّفن الحربيَّة رأى داڤوس القلعة الحمراء على قمَّة تَلِّ إجون العالي داكنةً تحت السَّماء الصَّفراء كاللَّيمون، ومن تحتها ينفتح مدخل النَّهر الأسود، وعلى الجانب الآخَر من النَّهر بدَا الشَّاطئ الجَنوبي أسود من فرط الرِّجال والخيول الذين بدأوا يتحرَّكون كالنَّمل الغاضب حين لمحوا السُّفن الدَّانية. لا بُدَّ أن ستانيس شغلَهم ببناء الأطواف وتركيب ريشات السِّهام، لكن مؤكَّد كذلك أن الانتظار لا يُحتمَل. أتَت أصوات الأبواق النُّحاسيَّة من بينهم



خفيضةً، وسرعان ما ابتلعَها هدير ألف صيحة، وأحاطَ داڤوس الجراب الذي يحوي أطراف أصابعه بجَدَعة يده، وردَّد صلاةً صامتةً ناشدًا الحَظ.

تحتلُّ «الثَّورة» نفسها قلب صَفِّ المعركة الأول، تُحيط بها من الجانبين «اللورد ستفون» و«وعل البحر»، كلٌّ منهما مزوَّدة بمئتي مجذاف، وعلى جناحيِّ الميمنة والميسرة كانت السُّفن بالمئات: «الليدي هارا» و«السَّمكة المنيرة» و«اللورد الضَّاحك» و«شيطان البحر» و«الشَّرف الأقرن» و«چنا الشَّعثاء» و«الرُّمح الثُّلاثي» و«السَّيف السَّريع» و«الأميرة ريينس» و«أنف الكلب» و«الصَّولجان» و«المخلص» و«الغُداف الأحمر» و«الملكة أليسين» و«القطَّة» و«الشُّجاع» و«سُم التَّنانين». من كلِّ مؤخِّرةٍ ترتفع راية إله الضِّياء حمراء وصفراء وبرتقاليَّةً، ومن وراء داڤوس وأبنائه جاءَ صَفٌّ آخَر من مئات السُّفن التي يقودها الفُرسان واللوردات الرَّبابنة، ثم الفرقة المايريَّة الأصغر والأبطأ من غيرها، لا تتجاوَز مجاذيف أيٍّ من سُفنها الثَّمانين، ووراء كلِّ هذا كانت السُّفن التي تظلُّ ترفع أشرعتها، القراقير والأكواج الضَّخمة الثَّقيلة، وأخيرًا سالادور سان وسفينته المهيبة الضَّخمة «ڤاليريان» التي تضمُّ ثلاثمئة مجذاف، تصحبها قوادسه الأخرى المميَّزة بأبدانها المخطَّطة. لم يكن القُرصان اللايسيني المختال الذي يُسَمِّي نفسه أميرًا مسرورًا بتكليفه حماية المؤخِّرة، لكن كان من الواضح أن السير إمري لا يثق به أكثر مما يفعل ستانيس. شكاواه كثيرة جدًّا ولا ينفكُّ يتكلَّم عن أجره الذَّهبي. ومع ذلك شعرَ داڤوس بالأسف، فسالادور سان قُرصان قديم واسع الحيلة، وأطقُم سُفنه بحَّارة بالفطرة، لا يخافون شيئًا في القتال، ووضْعهم في المؤخِّرة تبديد لهم.

آهووووووووووووووووووووووووو!

تردَّد النِّداء من فوق «الثَّورة» عابرًا الموجات المزبِدة والمجاذيف، فعلمَ داڤوس أن السير إمري أمرَ بالهجوم.

آ هو –

آهوووووووووووووووووووووووو!

انتظمَت «سيَّاف البحار» في الصَّفِّ أخيرًا، وإن ظَلَّ شراعها مرفوعًا. زعقَ



داڤوس: «ملاحة سريعة»، وبدأت دقَّات الطُّبول تتسارَع، ومعها تسارَعت الحركة إذ انغمسَت المجاذيف في الماء لتشُقَّه، سپلاش-ووش، سپلاش-ووش، سپلاش-ووش، وعلى الأسطُح دَقَّ الجنود تروسهم بالسُّيوف، بينما ثبَّت الرُّماة أوتار أقواسهم وسحبَ كلٌّ منهم السَّهم الأول من الكنانة المثبَّتة إلى حزامه. حجبَت قوادس الصَّفِّ الأول الرُّؤية، فذرعَ داڤوس سطح سفينته بحثًا عن بُقعةٍ يرى منها، فأبصرَ مدخل النَّهر مفتوحًا بلا دليلٍ على وجود حاجز، وكأنه يستعدُّ لابتلاعهم جميعًا، غير أن...

في أيام التَّهريب كان داڤوس يقول مازحًا إنه يعرف واجهة كينجز لاندنج المائيَّة أكثر من ظَهر يده، بما أنه لم يقضِ جزءًا كبيرًا من حياته في التسلُّل من ظَهر يده وإليها، والآن يقف هذان البُرجان القصيران المشيَّدان بالحجارة الخام متواجهيْن على جانبيِّ مدخل النَّهر، لا يعنيان شيئًا ربما للسير إمري، لكن بالنِّسبة لداڤوس فكأن إصبعين إضافيَّين نبتا من مفاصله.

رفعَ يده يقي عينيه من الشَّمس الغاربة، وتطلَّع إلى البُرجين بمزيدٍ من الإمعان. إنهما أصغر من أن يَضُمَّا حاميةً كبيرةً، الأول مبنيٌّ على الضفَّة الشَّماليَّة فوق الجُرف، بينما ترتفع القلعة الحمراء عابسةً من ورائه، والثَّاني قاعدته في الماء على الشَّاطئ الجَنوبي، فأدركَ داڤوس في الحال أنهم شقُّوا قناةً في الضفَّة، الشَّيء الذي يجعل الهجوم على البُرج عسيرًا للغاية، إذ على المهاجِمين أن يخوضوا في الماء أو يَنصُبوا جسرًا فوق القناة. كان ستانيس قد وضعَ رُماةً هناك لإطلاق النَّار على المدافِعين إذا تهوَّر أحدهم ورفعَ رأسه فوق السُّور، لكنه اكتفى بهذا.

ومضَ شيء ما في الأسفل حيث تتموَّج المياه القاتمة حول قاعدة البُرج. كان انعكاس نور الشَّمس على الفولاذ، وقد أخبرَ داڤوس سيوورث بكلِّ ما احتاجَ أن يعرفه. سلسلة... لكنهم لم يُغلِقوا النَّهر أمامنا، فلِمَ؟

يُمكنه أن يُخمِّن، لكن لا وقت للتَّفكير في السُّؤال، فقد ارتفعَت صيحة من السُّفن التي أمامه، وعادَ نفير الحرب يتردَّد.

كان العدوُّ أمامهم.

بين مجاذيف «الصَّولجان» و«المخلص» اللَّامعة، رأى داڤوس صَفًّا



صغيرًا من القوادس المتقهقرة إلى الدَّاخل عبر النَّهر، والشَّمس تتألَّق على الطِّلاء الذَّهبي الذي يُمَيِّز أبدانها. إنه يعرف تلك السُّفن كما يعرف سُفنه، وأيام عملَ مهرِّبًا كان يَشعُر بأمانٍ أكثر وهو يُدرِك إن كان الشِّراع اللَّائح في الأُفق يعني أن السَّفينة سريعة أم بطيئة، وإن كان رُبَّانها شابًّا متعطِّشًا للمجد أم عجوزًا يقضي بقيَّة حياته على وتيرةٍ واحدة.

ودوَّى نفير الحرب: آهووووووووووووووووووووووووووو! صاحَ داڤوس: «سُرعة القتال»، وإلى الميمنة والميسرة سمعَ آلارد ودايل يرفعان عقيرتيهما بالأمر نفسه، وبدأت الطُّبول تدقُّ بعُنفٍ وانخفضَت المجاذيف وارتفعَت، واندفعَت «بثا السَّوداء» إلى الأمام. ألقى داڤوس نظرةً نحو «الطَّيف» فرفعَ دايل يده بالتحيَّة، ثم إنه رأى «سيَّاف البحار» تتلكَّأ ثانيةً، تتخبَّط من جرَّاء حركة السُّفن الأصغر على جانبيها، لكن ما خلا ذلك كان التَّشكيل مستقيمًا كحائطٍ من التُّروس.

النَّهر الذي بدا ضيِّقًا للغاية من بعيدٍ أصبحَ الآن واسعًا كالبحر، لكن حجم المدينة تعاظمَ كذلك، وفوق تَلِّ إجون العالي استقرَّت القلعة الحمراء مشرفةً على طريق النَّهر، تُعطيها شُرفاتها المتوَّجة بالحديد وأبراجها الشَّاهقة وأسوارها السَّميكة سيماء وحشٍ ضارٍ يجثِم فوق النَّهر والشَّوارع، أمَّا الجُروف تحتها فمنحدِرة ووعرة، تنتشر فيها الأُشنة والأشجار الشَّائكة كثيرة العُقد. على الأسطول أن يمرَّ تحت القلعة كي يَبلُغ الميناء والمدينة من ورائه.

كان الصَّفُّ الأول قد دخلَ النَّهر بالفعل، لكن سُفن العدوِّ تتراجَع أكثر. يرغبون في سحبنا إلى الدَّاخل، يُريدوننا مضغوطين مقيَّدين، بلا سبيلٍ للدَّوران حول جناحيهم... وتلك السِّلسلة وراءنا. ذرعَ داڤوس سَطح سفينته مشرئبَّ العُنق ليُلقي نظرةً أفضل على أسطول چوفري. ضمَّت لُعب الصَّبي السَّفينة الثَّقيلة «بَركة الآلهة»، والقديمة البطيئة «الأمير إيمون»، بالإضافة إلى كلٍّ من الأختين «سيِّدة الحرير» و«سيِّدة الحياء»، و«الرِّيح العاصفة» و«مركبة الملك» و«الأيل الأبيض» و«الرُّمح» و«زهرة البحر». لكن أين «أسد النُّجوم»؟ وأين الجميلة «الليدي ليانا» التي أطلقَ عليها الملك روبرت اسم الفتاة التي أحبَّها وضاعَت منه؟ وأين «مطرقة الملك روبرت»؟ إنها أكبر قادسٍ حربي



في الأسطول الملكي، السَّفينة الوحيدة في أسطول الملك الصَّبي القادرة على التغلُّب على «الثَّورة»، والمفترَض أن تكون على رأس الدِّفاعات.

شعرَ داڤوس بأن في الأمر فَخ، لكنه لم يرَ أثرًا لأعداءٍ يلتفُّون من ورائهم، ولا شيء غير صفوف أسطول ستانيس باراثيون المنتظمة التي تمتدُّ إلى الأُفق المائي. هل سيرفعون السِّلسلة ويشطروننا نصفين؟ لا يدري الجدوى من ذلك، فالسُّفن التي تبقى في الخليج ستظلُّ تُنزِل الرِّجال شَمال المدينة. سيكون عبورهم أبطأ لكن أكثر أمنًا.

حلَّق سَرب من الطُّيور البرتقاليَّة الوامضة من القلعة، زهاء عشرين أو ثلاثين، جِرار من القار المشتعل تهوي على النَّهر جارَّةً أذيال اللَّهب، فابتلعَ الماء أغلبها، لكن البقيَّة سقطَت على أسطُح عددٍ من قوادس الصَّفِّ الأول، لتنتشر النَّار بمجرَّد تحطُّمها. كان الجنود يتحرَّكون متعثِّرين على سطح «الملكة أليسين»، ورأى داڤوس الدُّخان يتصاعَد من ثلاث بقاع مختلفة على سطح «سُم التنِّين» الأقرب إلى الضفَّة، ثم هوَت الموجة التَّالية من الجِرار مسابِقةً السِّهام التي شَقَّ هسيسها الهواء من أوكار الرُّماة التي تُرَصِّع الأبراج في الأعلى، وتشقلبَ جُندي من فوق حاجز «القطَّة» وسقطَ فوق المجاذيف قبل أن يغرق. أول رجلٍ يموت اليوم، ولن يكون الأخير.

فوق أسوار القلعة الحمراء خفقَت رايتا الملك الصَّبي، وعل باراثيون المتوَّج على خلفيَّته الذَّهبيَّة، وأسد لانستر على الخلفيَّة الحمراء.

سقطَ المزيد من القار المشتعل، وسمعَ داڤوس رجالًا يَصرُخون والنَّار تنتشر على سطح «الشُّجاع». ظَلَّ مجذفوها آمنين في الأسفل، يحميهم السَّطح النِّصفي من القذائف، بينما لم يُحالِف الحَظُّ نفسه الجنود المحتشدين في الأعلى. الميمنة تتلقَّى الهجمات كلها كما كان يخشى، لكنه ذكَّر نفسه بتوتُّر: سيحين دورنا قريبًا. كانت «بثا السَّوداء» في مرمى الجِرار المحترقة، بما أنها السَّفينة السَّادسة في الصَّفِّ الذي يمرُّ بالضفَّة الشَّماليَّة، وإلى يمينها لا يوجد غير سفينة آلارد «الليدي ماريا» و«سيَّاف البحار» البطيئة -التي تراجعَت كثيرًا فأمسَت أقرب إلى الصَّفِّ الثَّالث من الثَّاني- بالإضافة إلى



«الخشوع» و«الصَّلاة» و«البِر»، اللاتي يحتجن كلَّ التدخُّل الإلهي الممكن في مواقعهن الحرجة هذه.

ألقى داڤوس نظرةً أقرب مع مرور الصَّفِّ الثَّاني بالبُرجين التَّوأمين، ورأى ثلاث حلقاتٍ من سلسلةٍ هائلة الطُّول تَخرُج من فتحةٍ لا يتجاوَز حجمها رأس رجلٍ وتختفي تحت الماء. لكلٍّ من البُرجين باب واحد يرتفع عشرين قدمًا عن الأرض، وكان الرُّماة على سطح البُرج الشَّمالي يُمطِرون «الصَّلاة» و«البِر» بالسِّهام، والرُّماة على متن الثَّانية يُطلِقون عليهم سهامهم بدورهم، وسمعَ داڤوس رجلًا يَصرُخ وقد أصابَه منها ما أصابَه.

وجدَ ابنه ماثوس يقف عند مِرفقه قائلًا: «سيِّدي الرُّبَّان، خوذتك»، فأخذَها منه داڤوس بيديه وثبَّتَها على رأسه. كانت بلا مقدِّمة، فهو يكره أن يَحجُب شيء بصره. حينئذٍ كانت جِرار القار تنهمر عليهم كالمطر، ورأى واحدةً تتحطَّم على سطح «الليدي ماريا»، وإن أخمدَها طاقم آلارد سريعًا، ومن الميسرة دوَّى النَّفير من «فخر دريفتمارك»، ونشَرَت المجاذيف الماء في كلِّ مكانٍ مع نزولها وصعودها. سقطَ سهم عرَّادةٍ يَبلُغ ياردةً طولًا على بُعد أقلِّ من قدمين من ماثوس، وانغرسَ في خشب السَّطح مصدرًا صوتًا كالطَّنين، وأمامهم كان الصَّفُّ الأول كاملًا قد دخل مرمى السِّهام التي حلَّقت بين السُّفن بأصواتٍ كأنها فحيح الأفاعي.

إلى جَنوب النَّهر الأسود رأى داڤوس رجالًا يسحبون أطوافًا بدائيَّة الصُّنع نحو الماء، بينما انتظمَت تشكيلات الجنود تحت ألفٍ من الرَّايات الخفَّاقة، فكان القلب النَّاري في كلِّ مكان، أمَّا الوعل الأسود المسجون في اللَّهب فيتعذَّر تمييزه لضآلة حجمه. كان ينبغي لنا أن نرفع الوعل المتوَّج، رمز الملك روبرت. كانت المدينة لتبتهج لرؤيته، بينما لا يُفلِح هذا العلم الغريب إلَّا في انقلاب النَّاس علينا.

لا يستطيع النَّظر إلى القلب النَّاري دون أن يتذكَّر الظِّلَّ الذي ولدَته مليساندرا في العتمة أسفل ستورمز إند. على الأقل نخوض هذا القتال في الضَّوء وبأسلحة الشُّرفاء. لن تلعب المرأة الحمراء وظلالها دورًا في هذه المعركة، فقد أعادَها ستانيس إلى دراجونستون مع ابن أخيه النَّغل إدريك



ستورم، منذ أصرَّ ربابنته ولورداته على أن ميدان المعركة ليس مكانًا لامرأة، فلم يُبدِ غير رجال الملكة اعتراضًا، وحتى اعتراضهم لم يُجاهِروا به. كان الملك على وشك أن يضحد آراءهم حين قال اللورد برايس كارون: «يا جلالة الملك، إذا جاءَت المشعوذة معنا، فسيقول النَّاس بَعد المعركة إنه كان نصرها هي لا نصرك، سيقولون إنك مدين بتاجك لتعاويذها»، فكان هذا كفيلًا بتغيير رأي الملك. لزمَ داڤوس نفسه الصَّمت خلال النِّقاش، لكنه والحَق يُقال ليس آسفًا على الإطلاق لرؤيتها ترحل، فهو لا يُريد أن تكون له أيُّ علاقةٍ بمليساندرا أو إلهها.

إلى الميمنة اتَّجهت «البر» نحو الشَّاطئ وأنزلَت لوح العبور، ليهبط الرُّماة في المياه الضَّحلة رافعين أقواسهم فوق الرُّؤوس ليحولوا دون ابتلال الأوتار، واحتشَدوا على الشَّريط الصَّخري الضيِّق تحت الجُروف، فانهمرَت الصُّخور من القلعة في الأعلى لترتطم بالأرض وسطهم، مصحوبةً بالسِّهام والحراب أيضًا، لكن الزَّاوية كانت مستقيمةً أكثر من اللَّازم، فلم تُحدِث القذائف ضررًا يُذكَر.

رسَت «الصَّلاة» على بُعد عشرين ياردة أو أكثر في اتِّجاه المنبع، وكانت «الخشوع» تميل نحو الضفَّة حين ظهرَ المدافِعون فجأةً، تدقُّ حوافر خيولهم الأرض وتَنثُر المياه، وانقضَّ الفُرسان على الرُّماة كالذِّئاب على الدَّجاج، دافعين إياهم إلى التَّقهقُر صوب السُّفن وإلى النَّهر قبل أن يستطيع أغلبهم أن يُثبِّت سهمًا واحدًا في قوسه، فهرعَ رفاقهم المسلَّحون بالفؤوس والرِّماح لمآزرتهم، وخلال لحظاتٍ ثلاث لا أكثر تحوَّل المشهد إلى فوضى دامية. تعرَّف داڤوس خوذة ساندور كليجاين ذات شكل رأس الكلب، وقد انسدلَ معطفه الأبيض على ظَهره إذ قادَ حصانه على لوح العبور صاعدًا إلى سطح «الصَّلاة»، ضاربًا بسيفه كلَّ من يطاله.

وراء القلعة وأسوارها ارتفعَت كينجز لاندنج على تلِّيها الآخَرين، ورأى داڤوس ضفَّة النَّهر خرابًا أسود، فأدركَ أن آل لانستر أحرَقوا كلَّ شيءٍ وانسحَبوا وراء بوَّابة الطَّمي، وقد برزَت الصَّواري المتفحِّمة للسُّفنِ الثَّقيلة الغارقة من المياه الضَّحلة مانعةً الوصول إلى الأرصفة الحجريَّة الطَّويلة. لا يُمكننا أن



نرسو هنا. لمحَ رؤوس ثلاثة مجانيق عملاقة وراء بوَّابة الطَّمي، وعلى قمَّة تَلِّ ڤيزينيا توهَّج نور الشَّمس على بروج سِپت بيلور الكبير البلَّوريَّة السَّبعة.

لم يرَ داڤوس المعركة تندلِع، لكنه سمعَها حين ارتطمَ قادسان عظيمان ببعضهما بعضًا بضجَّةٍ تصمُّ الآذان، وإن لم يدرِ أيُّ اثنين، وبَعد لحظةٍ ردَّد الماء دويَّ ارتطامٍ ثانٍ، ثم ثالث، ومع صرير الخشب المتشظِّي سمعَ صوت قذف منجنيق «الثَّورة» الأمامي للحجارة. فلقَت «وعل البحر» واحدًا من قوادس چوفري نِصفين، لكن «أنف الكلب» كانت تحترق، و«الملكة أليسين» محاصَرة بين «سيِّدة الحرير» و«سيِّدة الحياء»، يُقاوِم طاقمها من يُحاوِلون اعتلاءها على الجانبين.

أمامه مباشرةً رأى داڤوس «مركبة الملك» المعادية تخترقُ طريقًا لها بين «المخلص» و«الصَّولجان»، فرفعَت الثَّانية مجاذيف ميمنتها قبل الاصطدام، لكن مجاذيف ميسرة «الصَّولجان» تحطَّمت كالهشيم و«مركبة الملك» تحتكُّ بجانبها. صاحَ داڤوس: «أطلِقوا»، فألقى رُماته وابلًا من السِّهام عبر الماء، ورأى رُبَّان «مركبة الملك» يَسقُط وحاولَ أن يتذكَّر اسم الرَّجل.

على اليابسة ارتفعَت أذرُع المجانيق الضَّخمة واحدةً، اثنتين، ثلاثًا، وحلَّقت الأحجار بالعشرات في السَّماء الصَّفراء، كلٌّ منها أكبر من رأس رجل، وحين سقطَت نثرَ بعضها أعمدةً طويلةً من الماء، والبعض الآخَر اخترقَ ألواح البلُّوط وأحالَ الرِّجال الأحياء إلى عجين دام. كان الصَّفُّ الأول كله مشتبكًا عبر النَّهر؛ الخطاطيف تُلقى، والمِدَكَّات الحَديد ترتطم بالأبدان الخشبيَّة، والمُقاتِلون يحتشدون لاعتلاء سُفن العدوِّ هنا وهناك، وأمطار السِّهام تتبادَل الهمسات وسط الدُّخان المتصاعد، والرِّجال يموتون... لكن لا أحد من رجاله حتى الآن.

اندفعَت «بِثا السَّوداء» في اتِّجاه مصبِّ النَّهر ورعد طبلة رئيس المجذفين يُدَوِّي في رأس رُبَّانها وهو يبحث عن ضحيَّةٍ مناسبةٍ لمِدَكِّها. كانت «الملكة أليسين» محاصَرةً بين اثنتين من سُفن لانستر، والثَّلاث سُفن مثبَّتة ببعضها بعضًا بالخطاطيف والحبال، فصاحَ داڤوس: «سُرعة الارتطام!».

امتزجَت دقَّات الطَّبلة فصارَت دقَّةً واحدةً طويلةً محمومةً، وطارَت «بِثا



السَّوداء» على صفحة الماء التي أصبحَت بيضاء كالحليب إذ مخرَتها مقدِّمة السَّفينة، ورأى آلارد الفُرصة نفسها وانتهزَها، فانطلقَت «الليدي ماريا» إلى جوارها. تحوَّل الصَّفُّ الأول إلى بلبلةٍ من القتالات المنفصلة، بينما لاحَت السُّفن الثَّلاث المتشابكة أمامهم وهي تدور معًا، أسطُحها حمَّام دم والرِّجال يُسَدِّدون ضربات السُّيوف والفؤوس. في أعماقه تضرَّع داڤوس سيوورث إلى «المُحارِب» قائلًا: أكثر قليلًا، دَعها تدور أكثر قليلًا، أرِني جانبها العريض.

ولا بُدَّ أن «المُحارِب» أصغى، فقد ارتطمَت «بِثا السَّوداء» و«الليدي ماريا» بجانب «سيِّدة الحياء» بفارق لحظةٍ واحدة، ضاربتين مقدِّمتها ومؤخِّرتها في آنٍ واحدٍ بعُنفٍ أسقطَ عددًا من الرِّجال عن سطح «سيِّدة الحرير» على بُعد ثلاث سُفنٍ دُفعةً واحدةً، وكادَ داڤوس يقضم لسانه حين انكبسَت أسنانه، وبصقَ دمًا. أغلِق فمك المرَّة القادمة أيها الأحمق. أربعون عامًا في البحر، وهذه هي المرَّة الأولى التي يدكُّ فيها سفينةً أخرى. كان رُماته يُطلِقون سهامهم بلا حسابٍ الآن.

قال آمرًا: «تراجَعوا»، وحين عكسَت «بِثا السَّوداء» حركة مجاذيفها، تدفَّقت مياه النَّهر إلى الثَّغرة التي صنعَتها، وتفسَّخت «سيِّدة الحياء» أمام ناظريه ملقيةً عشرات الرِّجال في الماء، فعامَ بعض النَّاجين وطفا بعض الموتى، بينما غاصَ من يرتدون الدُّروع الثَّقيلة في الأعماق، السَّريع منهم والقتيل على حَدٍّ سواء، وتردَّدت توسُّلات المحتضرين في أُذنيه.

أمامه وإلى الميسرة جذبَت لمحة من الأخضر نظره، قبل أن ترتفع الأفاعي الزمرُّديَّة تتلوَّى وتُطلِق الفحيح من مؤخِّرة «الملكة أليسين»، وبَعدها بلحظةٍ دوَّت صرخة الرُّعب: «نار شعواء!».

واربدَّ وجه داڤوس. القار المشتعل شيء، أمَّا النَّار الشَّعواء فشيء مختلف تمامًا، شيء شرِّير، ويكاد يكون إطفاؤها مستحيلًا. حاوِل أن تُخمِدها بمعطفٍ وسيحترق، المس النَّزر اليسير منها براحتك وستشتعل يدك كلها، وكما يقول البحَّارة القُدامى: «تبوَّل على النَّار الشَّعواء وستُشعِل قضيبك». وعلى الرغم من ذلك كان السير إمري قد قال لهم أن يتوقَّعوا تذوُّق مادَّة الخيميائيِّين



الكريهة. لحُسن الحَظِّ أن پايرومنسرات حقيقيِّين معدودين موجودون الآن، وقد أكَّد السير إمري أن مخزونهم من النَّار الشَّعواء سرعان ما سينفد.

رفعَ داڤوس عقيرته بالأوامر، ودفعَهم جانب من المجاذيف بعيدًا عن ضحيَّتِهم بينما تراجعَ الجانب الآخَر حتى تحرَّر القادس بالكامل، ومن الجيِّد أن «الليدي ماريا» فعلَت المِثل، فالنَّار كانت تنتشر في «الملكة أليسين» وخصمتيها بسرعة لا تُصَدَّق، وتلوَّى الرِّجال المشتعلون لهبًا أخضر ووثبوا في الماء مطلقين صرخاتٍ لا تَخرُج من حنجرة إنسان. على أسوار كينجز لاندنج كانت نافثات اللَّهب تتجشَّأ الموت، والمجانيق الضَّخمة وراء بوَّابة الطَّمي تقذف الجلاميد، فسقطَ حجر بحجم ثورٍ بين «بِثا السَّوداء» و«الطَّيف» لترتجَّ السَّفينتان ويُغرِق الماء كلًّا من على سطحَيهما، ونالَ حجر آخَر لا يقلُّ حجمًا كثيرًا عن الأوَل من «الضَّحوك»، فانفجرَ قادس اللورد ڤيلاريون كلُعبة طفلٍ ألقاها أحدهم من فوق بُرج، ناثرًا شظاياه الطَّويلة كذراع رجلٍ في كلِّ مكانٍ حوله.

في خضمِّ الدُّخان الأسود واللَّهب الأخضر الرَّاقص أبصرَ داڤوس زحامًا من القوارب الصَّغيرة في اتِّجاه مصبِّ النَّهر، فوضى من العبَّارات والزَّوارق الخفيفة والصَّنادل والمراكب ذات الأشرعة وتلك ذات المجاذيف والسُّفن الثَّقيلة التي بدَت في حالةٍ يُرثى لها، ومن كلِّ هذا فاحَت رائحة اليأس، فهذه الأخشاب الطَّافية لا تستطيع قلب ميزان القتال، ولا فائدة منها غير اعتراض الطَّريق. رأى صفوف المعركة عالقةً عند الحاجز الخشبي، لكن إلى الميسرة نجحَت «اللورد ستفون» و«جِنا الشَّعثاء» و«السَّيف السَّريع» في اختراقه وواصَلن الطَّريق نحو المنبع، بينما انخرطَت الميمنة في القتال، وتحطَّم القلب تحت جلاميد المجانيق الثَّقيلة، فدارَ بعض الرَّبابنة بسُفنهم في اتِّجاه المصبِّ وانحرفَ بعضهم نحو الميسرة، كلٌّ منهم يُجَرِّب أيَّ شيءٍ لتفادي المطر السَّاحق. كانت «الثَّورة» قد أدارَت منجنيقها الخلفي ليقذف المدينة ببراميل القار، لكن مداها لم يكن كافيًا، فتحطَّمت البراميل تحت الأسوار، أمَّا «الصَّولجان» ففقدَت معظم مجاذيفها، ودُكَّت «المخلص» وبدأت تميل على جانبها في الماء بالفعل، فقادَ داڤوس «بِثا السَّوداء» بينهما وسدَّد ضربةً قاصمةً



إلى «الملكة سرسي»، قارب النُّزهات الأنيق ذي البدن المذهَّب المنقوش، الذي يعجُّ الآن بالجنود بدلًا من الحلوى، فأسقطَ الارتطام دستةً منهم في الماء، واصطادَ رُماة «بِثا السَّوداء» مَن حاوَلوا البقاء طافين واحدًا واحدًا.

نبَّهته صيحة من ماثوس إلى الخطر القادم من الميسرة، حيث يتقدَّم واحد من قوادس لانستر للارتطام بهم، فصاحَ داڤوس: «إلى الميمنة بسُرعة»، واستخدمَ رجاله مجاذيفهم لتخليص السَّفينة من قارب النُّزهات، بينما أدارَها آخَرون لتُواجِه مقدِّمتها «الأيل الأبيض» المندفعة صوبهم بقوَّة، ومرَّت لحظة شعرَ خلالها داڤوس بالخشية من أنه تأخَّر في إصدار الأمر، وأنهم على وشك أن يغرقوا، لكن حين حدثَ الارتطام كانت الصَّدمة سريعةً وعابرةً، واحتكَّ البدنان ببعضهما بعضًا فحسب لتتحطَّم مجاذيف السَّفينتين، وطارَت قطعة خشبٍ محزَّزة حادَّة كالحراب مارَّة برأسه، فجفلَ داڤوس قبل أن يصيح: «اعتلوها!»، فألقَت «بِثا السَّوداء» السَّوداء خطاطيفها واستلَّ رُبَّانها سيفه ليقود رجاله فوق الحاجز بنفسه.

واجهَهم طاقم «الأيل الأبيض» عند حاجز سفينتهم، لكن فيضان جنود «بِثا السَّوداء» الفولاذي الصَّارخ اكتسحَهم اكتساحًا، وشَقَّ داڤوس طريقه قتالًا وهو يبحث عن الرُّبَّان الآخَر، لكن الرَّجل ماتَ قبل أن يَبلُغه، وإذ وقفَ فوق الجثَّة سدَّد أحدهم إليه ضربةً من الخلف بفأس، لكن خوذته صدَّتها، فسقطَ على وجهه وجمجمته ترتجُّ فقط بدلًا من أن تنفلق. شاعرًا بالدُّوار، بذلَ كلَّ جهده كي ينقلب على ظَهره مجابهًا مهاجِمه الذي عادَ ينقضُّ صارخًا، فأطبقَ داڤوس بكلتا يديه على مقبض سيفه وأغمدَه في بطن الرَّجل.

ساعدَه أحد رجال طاقمه على النُّهوض قائلًا: «سيِّدي الرُّبَّان، «الأيل الأبيض» لنا»، ورأى داڤوس أن هذا صحيح، فمعظم رجالها كانوا موتى أو يموتون أو استسلَموا. خلعَ خوذته ومسحَ الدَّم عن وجهه، وعادَ إلى سفينته خاطيًا بحذرٍ على ألواح الخشب الزَّلقة من فرط ما سالَ عليها من دماءٍ وأحشاء، ومَدَّ ماثوس يده يُساعِده على اجتياز الحاجز.

طول تلك اللَّحظات المعدودة كانت «بِثا السَّوداء» و«الأيل الأبيض» العين الهادئة في قلب الإعصار، وفيما عداهما كانت «الملكة أليسين» و«سيِّدة



الحرير» ما زالتا متشابكتين معًا وقد استحالتا إلى جحيم أخضر، وتطفوان معًا في اتِّجاه المصبِّ جارَّتين معهما قطعًا من «سيِّدة الحياء»، كما ارتطمَ بهما أحد القوادس المايريَّة فاشتعلَ بدوره، بينما حمَّلت «القطَّة» رجالًا من «الشُّجاع» التي تغرق بسرعة. كان رُبَّان «سُم التنِّين» قد دفعَها بين رصيفين فتحطَّم قاعها تمامًا، وانصبَّ طاقمها على الشَّاطئ مع الرُّماة والجنود للاشتراك في الهجوم على الأسوار، و«الغُداف الأحمر» دُكَّت وتميل على جانبها ببُطء، و«وعل البحر» تُكافِح النَّار ومن يُحاوِلون اعتلاءها في آنٍ واحد، لكن القلب النَّاري ارتفعَ فوق سفينة چوفري «الرَّجل الوفي»، واشتبكَت «الثَّورة» -التي سحقَ جلمود مقدِّمتها الفخور- مع «بَركة الآلهة»، ورأى داڤوس «فخر دريفتمارك» سفينة اللورد ڤيلاريون ترتطم باثنين من مراكب لانستر النَّهريَّة، قالبةً أحدهما وممطرةً الثَّاني بالسِّهام.

على الضفَّة الجَنوبيَّة كان الفُرسان يقودون خيولهم صاعدين بها إلى الأكواج، فيما شرعَت قوادس أصغر حجمًا في العبور بالفعل وقد أثقلَها الجنود، وتتحرَّك بحذرٍ وسط السُّفن الغارقة وبؤر النَّار الشَّعواء الطَّافية على سطح النَّهر. كامل أسطول الملك ستانيس في النَّهر الآن، باستثناء قوادس سالادور سان اللايسينيَّة، وسرعان ما سيُصبِح النَّهر الأسود تحت سيطرتهم. سيُحَقِّق السير إمري انتصاره، ويَعبُر ستانيس بجيشه، لكن بحَقِّ الآلهة، الثَّمن الذي دفعناه...

مَسَّ ماثوس كتفه قائلًا: «سيِّدي الرُّبَّان».

كانت مجاذيف «سيَّاف البحار» ترتفع وتنخفض على جانبيها. لم تكن قد أنزلَت أشرعتها، وطالَ القار المشتعل صواريها، وشاهدَ داڤوس النَّار تنتشر وتزحف على الحبال والأشرعة إلى أن صارَت السَّفينة تجرُّ ذيلًا من اللَّهب الأصفر، بينما شَقَّ مِدَكُّها الحديدي الثَّقيل -الذي اتَّخذ شكل السَّمكة التي استمدَّت السَّفينة منها اسمها- مياه النَّهر.

أمامها مباشرةً كانت إحدى سُفن لانستر الثَّقيلة تدور طافيةً، جاعلةً من نفسها هدفًا مغريًا، ومن بين ألواحها تسيل دماء خضراء.

وتوقَّف قلب داڤوس عن الخفقان.



صرخَ: «لا، لا، لاااااا!»، لكن أحدًا لم يسمعه وسط المعمعة غير ماثوس، وبالتَّأكيد لم يسمعه رُبَّان «سيَّاف البحار» وقد عزمَ أخيرًا على أن يُغمِد سيفه الحديدي الثَّقيل في شيءٍ أخيرًا، وتحرَّكت «سيَّاف البحار» بسرعة الارتطام، ورفعَ داڤوس جَذَعة يده يقبض بها على الجراب الجِلدي الذي يحوي عظام أطراف أصابعه.

بصوت يصمُّ آذان الرُّضَّع في بطون أمَّهاتهم حوَّلت «سيَّاف البحار» السَّفينة الثَّقيلة متعفِّنة الأخشاب إلى شظايا، فجَّرتها كثمرة فاكهةٍ أنضج من اللَّازم، لكن لا فاكهة في الدُّنيا أطلقَت تلك الصَّرخة الخشبيَّة من قبل، وفي بطن سفينة لانستر رأى داڤوس الأخضر ينبثق من ألف جرَّةٍ محطَّمة، رأى السُّمَّ يسيل من أحشاء وحشٍ محتضر، يلمع، يَبرُق، ينتشر على صفحة النَّهر...

جأرَ داڤوس: «إلى الوراء! ابتعدوا، ابتعدوا عنها! إلى الوراء، إلى الوراء!»، فقُطِعَت حبال الخطاطيف وأحسَّ داڤوس بالسَّطح يتحرَّك تحت قدميه إذ خلَّصت «بِثا السَّوداء» نفسها من «الأيل الأبيض» ونزلَت مجاذيفها إلى الماء.

ثم إنه سمعَ صوتًا قصيرًا حادًّا كأن أحدهم نفخَ في أُذنه، وبَعد لحيظةٍ دوَّى الهدير، واختفى سطح السَّفينة من تحت قدميه ولطمَته المياه السَّوداء على وجهه وملأَت أنفه وفمه. إنه يختنق، يغرق. صارعَ داڤوس النَّهر بهلعٍ أعمى دون أن يدري أين الطَّريق إلى أعلى، حتى خرجَ رأسه فوق السَّطح أخيرًا، فبصقَ الماء وعَبَّ الهواء وأمسكَ أقرب قطعةٍ طافيةٍ من الخشب وتعلَّق بها.

كانت «سيَّاف البحار» وسفينة لانستر الثَّقيلة قد اختفيتا، وطفَت الجُثث المتفحِّمة إلى جواره في اتِّجاه المصب، وتعلَّق الرِّجال المختنقون بقطع الخشب الدَّاخنة، بينما على ارتفاع خمسين قدمًا كان شيطان اللَّهب الأخضر يَرقُص ويدور فوق النَّهر، يضرب بدستةٍ من الأيدي التي يحمل كلٌّ منها سوطًا يُضرِم النَّار في أيِّ شيءٍ يمسُّه. رأى «بِثا السَّوداء» تحترق، وكذا «الأيل الأبيض» و«الرَّجل الوفي» على جانبيها، و«الخشوع» و«القطَّة» و«الشُّجاع» و«الصَّولجان» و«الغُداف الأحمر» و«الشَّمطاء» و«المخلص» و«الثَّورة». حتى «مركبة الملك» و«بَركة الآلهة» كانتا مشتعلتين كذلك، الشَّيطان يلتهم بني جِلدته. كانت «فخر دريفتمارك» سفينة اللورد ڤيلاريون البرَّاقة تُحاوِل



الدَّوران، لكن الشَّيطان مَدَّ إصبعًا أخضر بكسلٍ ومَسَّ مجاذيفها الفضِّيَّة فاشتعلَت كعشراتٍ من فتائل الشُّموع، وفي لحظةٍ بدَت كأنها تخوض النَّهر بصَفَّين من المشاعل الطَّويلة الوهَّاجة على جانبيها.

كان تحت رحمة التيَّار بالكامل الآن، يدور معه ويدور ويدور. ركلَ ليتفادى رُقعةً طافيةً من النَّار الشَّعواء مفكِّرًا: أبنائي، لكن لا سبيل للبحث عنهم في الفوضى الهادرة. اشتعلَت سفينة ثقيلة أخرى بالنَّار الشَّعواء من ورائه، وبدا النَّهر الأسود نفسه كأنه يغلي في مجراه، وأفعمَت الصَّوارى المحترقة والرِّجال المحترقون وشظايا السُّفن الهواء.

إنني أُسحَبُ إلى الخليج. لن يكون وضعه بهذا السُّوء هناك، ومن شأنه أن يستطيع بلوغ الشَّاطئ، فهو سبَّاح قوي، كما أن قوادس سالادور سان ستكون في الخليج كذلك، بما أن السير إمري أمرَها بعدم الاشتراك في الهجوم...

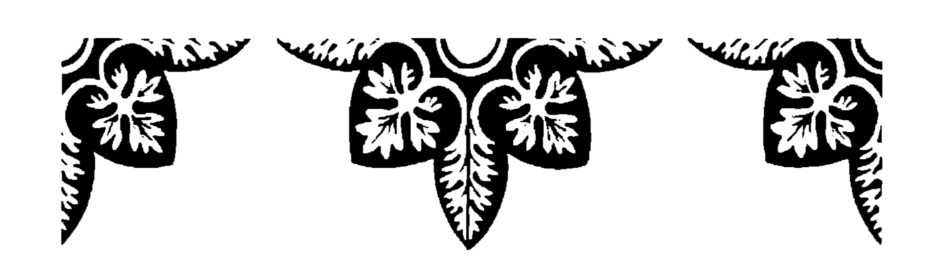
ثم دوَّره التيَّار ثانيةً، ورأى داڤوس ما ينتظره في اتِّجاه الخليج.

السِّلسلة. لترحمنا الآلهة، لقد رفعوا السِّلسلة.

حيث يتَّسع النَّهر ليصبَّ مياهه في الخليج الأسود، امتدَّت السِّلسلة مشدودةً عن آخِرها، لا ترتفع عن سطح الماء أكثر من قدمين أو ثلاثة. دستة من القوادس كانت قد ارتطمَت بها بالفعل، والتيَّار يدفع المزيد صوبَها، أغلبها مشتعلٌ، وسرعان ما ستلحق بها البقيَّة. ميَّز داڤوس أبدان سُفن سالادور سان المخطَّطة وراء كلِّ هذا، لكنه أدركَ أنه لن يَبلُغها أبدًا بينما يرتفع حائط الفولاذ الملتهب والخشب المشتعل واللَّهب الأخضر الرَّاقص أمامه.

مدخل النَّهر الأسود استحالَ بابًا من أبواب الجحيم.





تيريون

بجمود الكراجل جثا تيريون لانستر على رُكبةٍ واحدةٍ فوق أحد قوائم الشُّرفة.

وراء بوَّابة الطَّمي والخراب الذي كان سوق الأسماك وأرصفة الميناء، بدا كأن النِّيران شبَّت في النَّهر نفسه إذ استعرَ نِصف أسطول ستانيس ومعه معظم أسطول چوفري. قُبلة النَّار الشَّعواء حوَّلت السُّفن الفخور إلى محارق جنائزيَّة والرِّجال إلى مشاعل حيَّة، وتشبَّع الهواء بالدُّخان والسِّهام والصُّراخ.

في اتِّجاه مصبِّ النَّهر كان الملَّاحون العوام والرَّبابنة النُّبلاء على حَدٍّ السَّواء يرون الموت الأخضر المحموم يدور صوب أطوافهم وقراقيرهم وعبَّاراتهم، يحمله تيَّار النَّهر الأسود، ولمعَت مجاذيف قوادس عرسان البحر المايريَّة البيضاء كأرجُل حشرات أمِّ أربعٍ وأربعين أصابَها الجنون وهي تُكافح لتغيير اتِّجاهها عبثًا، فما من مكانٍ تهرب إليه. دستة من الحرائق الجسيمة اشتعلَت تحت أسوار المدينة حيث انفجرَت براميل القار، لكن النَّار الشَّعواء جعلَتها تبدو بالمقارَنة كبضع شموع مضاءة في منزلٍ يحترق، يرتجف لهبها البرتقالي والقرمزي ضئيلًا تافهًا أمامَ السَّعير اليَشبي، وقد اصطبغَت السُّحب الواطئة بلون النَّهر المضطرم، وكسَت السَّماء بدرجات الأخضر المائج، راسمةً صورةً جَمالها متناهي الغرابة. جَمال رهيب هذا، كنار التَّنانين. تساءلَ تيريون إن كان الشُّعور نفسه انتابَ إجون الفاتح حين حلَّق فوق حقل النِّيران.

رفعَت الرِّياح الملتهبة معطفه وضربَت وجهه المكشوف، لكنه لم يقوَ على الالتفات عن المنظر، وإن تنامَت إلى مسامعه هتافات ذوي المعاطف الذَّهبيَّة



بشكلٍ مبهمٍ من عند المتاريس، إلَّا أنه لم يجد صوتًا يضمُّه إلى أصواتهم، فلا يزال اَلنَّصرَ منقوصًا. لن يكفي هذا.

رأى واحدةً أخرى من السُّفن الثَّقيلة التي أتخمَها بفاكهة الملك إيرس اللَّعوب واللَّهب يلتهمها، وتفجَّرت نافورة من اليَشب المتَّقد من النَّهر بوهجٍ معمٍ حتى إنه رفعَ يده يقي عينيه، وتراقصَت أعمدة النَّار على ارتفاع ثلاثين أو أربعين قدمًا فوق صفحة الماء، تطغى طقطقتها وهسيسها لحظاتٍ على صراخ المئات الذين سقطوا في النَّهر يحترقون أو يغرقون، أو يحترقون بينما يغرقون.

هل تسمع عويلهم يا ستانيس؟ هل تراهم يتفحَّمون؟ هذا من صُنعك كما هو من صُنعي. يعلم تيريون أن ستانيس يُشاهِد أيضًا من مكانٍ ما وسط كُتل رجاله جَنوب النَّهر الأسود. إنه لم يتمتَّع قَطُّ بتعطُّش أخيه روبرت إلى القتال، فيقود دائمًا من المؤخِّرة عند قوَّات الاحتياط، على غرار اللورد تايوين. غالبًا يركب جوادًا حربيًّا الآن ويرتدي دِرعًا برَّاقةً وتاجه على رأسه. تاج من الذَّهب الأحمر حسبما يقول ڤارس، رؤوسه مشكَّلة كألسنة اللَّهب.

- «سُفني!»، صاحَ چوفري بصوتٍ مبحوحٍ من الممرِّ الذي توارى فيه مع حَرسه وراء المتاريس، وقد زيَّنت الحلقة الملَكيَّة خوذته. «"مركبة الملك" تحترق، و"الملكة سرسي" و"الرَّجل المخلص". انظُروا، و"زهرة البحر" هناك أيضًا»، وأشارَ بسيفه الجديد إلى حيث تشبَّث اللَّهيب الأخضر ببدن "زهرة البحر" الذَّهبي وزحفَ على مجاذيفها. كان رُبَّانها قد دوَّرها في اتِّجاه المنبع، لكن ليس بالسُّرعة الكافية لتحاشي النَّار الشَّعواء.

يعرف تيريون أنها كانت هالكةً لا محالة. لم يكن هناك سبيل آخَر. كان ستانيس ليُدرِك الشَّرك المنصوب إذا لم نتقدَّم لمواجَهتهم. من الممكن تصويب السِّهام والحراب، وحتى الحجارة من المجانيق، لكن النَّار الشَّعواء لها إرادتها الخاصَّة، وبمجرَّد إطلاقها فما من وسيلةٍ لسيطرة إنسانٍ عاديٍّ عليها. قال لابن أخته: «لم نكن نستطيع أن نمنع هذا. أسطولنا كان محكومًا عليه بالدَّمار في كلِّ الأحوال».

حتى من فوق القائم (فقامته أقصر من أن يستطيع أن يرى من وراء المتاريس، لذا قال لهم أن يرفعوه)، جعلَ اللَّهب والدُّخان وفوضى المعركة



رؤية ما يَحدُث تحت أسوار القلعة مستحيلةً، وإن رآه بعين عقله ألف مرَّة. لا بُدَّ أن سياط برون دفعَت الثِّيران إلى الحركة لحظة أن مرَّت سفينة القيادة في أسطول ستانيس تحت القلعة الحمراء. السِّلسلة كانت ثقيلةً للغاية، ودارَت الأوناش الكبيرة بصريرٍ وقعقعةٍ عاليَيْن وإنما ببُطء، فكان أسطول ستانيس بأكمله قد مَرَّ قبل أن يرى أحد لمعة المعدن تحت الماء، وارتفعَت حلقات السِّلسلة مبتلَّةً وبعضها ملوَّث بالطَّمي، ارتفعَت حلقةً حلقةً حتى امتدَّت السِّلسلة العظيمة مشدودةً عن آخِرها.

لقد أدخلَ الملك ستانيس أسطوله النَّهر الأسود، لكنه لن يَخرُج ثانيةً أبدًا.

وعلى الرغم من هذا استطاعَ عدد من السُّفن النَّجاة من المحرقة. تيَّار النَّهر شيء خدَّاع، والنَّار الشَّعواء لا تنتشر بالتَّساوي الذي كان يأمله. هكذا كانت القناة الأساسيَّة كلها مشتعلةً، لكن مجموعةً كبيرةً من السُّفن المايريَّة استطاعَت بلوغ الضفَّة الجَنوبيَّة وقد بدَت أن خدشًا لم يمسَّها، ورسَت ثمان سُفنٍ على الأقل عند أسوار القلعة. رسَت أو تحطَّمت، لا فارق، فقد أنزَلوا رجالًا على الشَّاطئ. الأسوأ من هذا أن جزءًا لا بأس به من الجناح الأيمن لصَفِّي العدوِّ الأولين كان قد توغَّل في اتِّجاه منبع النَّهر بالفعل حين اشتعلَت السُّفن الثَّقيلة، فخمَّن تيريون أن نحو ثلاثين أو أربعين قادسًا ستبقى لدى ستانيس، أي أكثر مما يكفي للعبور بجيشه كله بمجرَّد أن يستردَّ رجاله شَجاعتهم.

قد يستغرق هذا بعض الوقت، فحتى أشجع الرِّجال يرتاع لمرأى النَّار الشَّعواء تلتهم ألفًا أو يزيد من رفاقه. قال هالاين إن حرارة المادَّة ترتفع أحيانًا لدرجةٍ تُذيب اللَّحم نفسه كأنه دُهن، وعلى الرغم من ذلك...

ليست لدي تيريون أيُّ أوهامٍ فيما يتعلَّق برجاله. إذا بدا أن المعركة ستدور عليهم، فسيَنكُصون، ويَنكُصونَ بعُنف. هكذا حذَّره چاسلين بايووتر، ولذا فالسَّبيل الوحيد للفوز هو أن تبقى المعركة في صالحهم.

لمحَ أجسادًا داكنةً تتحرَّك بين أنقاض أرصفة السُّفن المتفحِّمة، ففكَّر: أوان غارةٍ أخرى. حين ينزل الرِّجال متعثِّرين إلى الشَّاطئ يكونون في أضعف حالاتهم، ولا يجب أن يُعطي العدوَّ فُرصة الاحتشاد على الضفَّة الشَّماليَّة أبدًا.



نزلَ تيريون من فوق القائم وخاطبَ أحد السُّعاة الذين خصَّصهم له بايووتر قائلًا: «أخبِر اللورد چاسلين أن العدوَّ على ضفَّة النَّهر»، والتفتَ إلى آخَر وقال: «احمل تحيَّاتي إلى السير آرنلد واطلُب منه أن يُدَوِّر العاهرات ثلاثين درجةً غَربًا». ستُتيح هذه الزَّاوية أن يتَّسع مدى المجانيق، دون أن تَسقُط قذائفها بعيدًا في الماء.

قال چوفري: «أمِّي وعدتني بقيادة العاهرات».

استاءَ تيريون عندما رأى أن الملك رفعَ مقدِّمة خوذته ثانيةً. لا شَكَّ أن الحرارة تطهو الصَّبي طهيًا تحت كلِّ هذا الفولاذ... لكن آخِر شيءٍ يحتاجه الآن أن ينغرس سهم طائش في عين ابن أخته، فأغلقَ مقدِّمة الخوذة قائلًا: «لا تفتح هذه يا جلالة الملك، فشخصك الكريم غالٍ علينا جميعًا». ولست ترغب في إتلاف هذا الوجه الجميل كذلك. «العاهرات تحت تصرُّفك». الوقت مناسب، بما أن لا جدوى تُرجى الآن من قذف الجرار المشتعلة على سُفنٍ تحترق بالفعل، وكان چوف قد جمعَ رجال القرون عُراةً مقيَّدين في الميدان في الأسفل، وقد ثُبِّتَت قرون برؤوسهم بالمسامير. حين مثلوا أمام العرش الحديدي ليُحكَم عليهم بالعدل، وعدَهم الملك بأن يُرسِلهم إلى ستانيس، ولمَّا كانوا أخفَّ وزنًا بكثيرٍ من الجلاميد وبراميل القار، فمن الممكن قذفهم مسافةً أبعد عدَّة مرَّات. كأن عدد من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة يتراهَن على احتمالات أن يُرمى الخونة حتى الضفَّة الأخرى من النَّهر الأسود. قال لچوفري: «أسرِع يا جلالة الملك، فنُريد أن تعود المجانيق إلى قذف الحجارة قريبًا. حتى النَّار الشَّعواء لا تظلُّ مضطرمةً إلى الأبد».

غادرَ چوفري سعيدًا في صُحبة السير مرين، لكن تيريون قبضَ على معصم السير أوزموند قبل أن يتبعهما، وقال ضاغطًا على كلماته: «مهما حدثَ، أريدكما أن تُحافِظا على سلامته وتُبقياه هناك، مفهوم؟».

ابتسمَ السير أوزموند بلُطفٍ قائلًا: «كما تأمر».

كان تيريون قد حذَّر ترانت وكِتلبلاك مما سيَحدُث لهما إذا أصابَ الملك سوء، كما أن هناك دستةً من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة المخضرمين ينتظرونه عند قاعدة السَّلالم. فكَّر بمرارة: إنني أحمي نغلكِ التَّعس قَدر المستطاع يا سرسي. احرِصي على أن تفعلي المِثل مع ألايايا.



لم يكد چوف يغيب حتى ظهرَ ساعٍ يصعد السَّلالم لاهثًا، وصاحَ: «بسرعة يا سيِّدي!»، وركعَ على رُكبته مواصِلًا: «لقد أنزَلوا رجالًا في مضمار المباريات، مئات! ويحملون مِدَكًّا إلى بوَّابة الملك».

أطلقَ سبابًا ساخطًا، وهرعَ ينزل السَّلالم بخطواته المتمايلة. في الأسفل كان پودريك پاين ينتظر بحصانيهما، وانطلقَ حصان تيريون يعدو قاطعًا شارع المجذفين وفي أعقابه مباشرةً پود والسير ماندون مور. كانت المنازل المغلقة غارقةً في الظِّلال الخضراء، لكن لا حركة في الشَّارع تعترض طريقهم، منذ أمرَ تيريون بإخلائه بغية أن تنتقل الدِّفاعات بسرعةٍ من بوَّابةٍ إلى أخرى. حين بلغوا بوَّابة الملك تناهى إلى مسامعه ارتطام الخشب بالخشب الذي أخبرَه بأن المِدَكَّ دخلَ اللُّعبة بالفعل، وأصدرَت مفصلات البوَّابة العملاقة صريرًا أشبه بآهاتِ عملاقٍ يحتضر. انتشرَ الجرحى في الميدان عند مبنى البوَّابة، لكنه رأى صفوفًا من الخيول كذلك، وليس جميعها جريحًا، بالإضافة إلى عددٍ من المرتزِقة وذوي المعاطف الذَّهبيَّة يكفي لتكوين فرقةٍ قويَّة. ارتجَّت البوَّابة مع صدمةٍ أخرى، وصاحَ تيريون وهو يثب إلى الأرض: «اتَّخذوا تشكيلكم. مَن القائد هنا؟ يجب أن تَخرُجوا».

- «لا»، قال الصَّوت، وفصلَ ظِلٌّ نفسه عن الظِّلِّ الملقى على السُّور، ليتحوَّل إلى رجلٍ طويل القامة يرتدي دِرعًا رماديَّةً داكنةً، وانتزعَ ساندور كليجاين خوذته بكلتا يديه من فوق رأسه وتركَها تَسقُط أرضًا. كان فولاذها مسفوعًا ومنبعجًا، وقد كُسِرَت أُذن رأس الكلب المزمجر اليُسرى، ومن جرحٍ عميق فوق عين كليجاين سالَ الدَّم على ندوبه القديمة واضعًا قناعًا أحمرَ على نِصف وجهه.

واجهَه تيريون قائلًا: «نعم».

خرجَت أنفاس كليجاين متقطِّعةً وهو يقول: «فليذهب كلُّ هذا إلى حيث ألقت، ولتذهب معه».

تقدَّم مرتزِق ووقفَ إلى جواره، وقال: «لقد خرجنا ثلاث مرَّات، وقُتِلَ نِصف رجالنا أو جُرِحوا، والنَّار الشَّعواء تفجَّرت في كلِّ مكانٍ حولنا، والخيول كانت تَصرُخ كالرِّجال والرِّجال كالخيول...».



- «هل تحسبون أننا استأجرناكم للقتال في دورة مباريات؟ هل أحضرُ لكم القليلِ من الحليب المثلَّج والتُّوت الأحمر كذلك؟ لا؟ اذن اركب حصانك اللَّعين، وأنت أيضًا أيها الكلب».

التمعَ الدَّم على وجه كليجاين بالأحمر، لكن عينيه كانتا بياضًا، واستلَّ سيفه الطَّويل.

أدركَ تيريون ما حدثَ مصدومًا، وقال لنفسه: إنه خائف، كلب الصَّيد خائف، ثم إنه حاولَ أن يشرح حاجتهم قائلًا: «إنهم يضربون البوَّابة بالمِدَكِّ كما تسمع، وعلينا تشتيتهم...».

- «افتح البوَّابات، وحين يندفعون إلى الدَّاخل، حاصِرهم واقتُلهم»، وغرسَ كلب الصَّيد رأس سيفه في الأرض، واستندَ إلى القبيعة مترنِّحًا، وتابعَ: «لقد خسرتُ نِصف رجالي، وحصاني أيضًا. لن أقود المزيد إلى هذا الحريق».

تحرَّكَ السير ماندون مور إلى جانب تيريون وقد بدا بهيًّا في دِرعه البيضاء، وقال: «يد الملك أعطاك أمرًا».

كان وجه كلب الصَّيد ممتقعًا كالحليب حيثما لا تُلَوِّثه الدِّماء اللَّزجة وهو يقول: «فليذهب يد الملك إلى الجحيم. أحضِروا لي شرابًا»، فناولَه واحد من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة كوبًا، وأخذَ كليجاينِ رشفةً ثم بصقَها وطوَّح بالكوب قائلًا بحدَّة: «ماء؟ اغرق في مائك. أريدُ نبيذًا».

الآن يرى تيريون أن قُواه خائرةٌ تمامًا. الجرح، النَّار... لقد انتهى. يجب أن أجد واحدًا آخَر، لكن مَن؟ السير ماندون؟ رمقَ الرِّجال وأدركَ من فوره أن الفارس لن يَصلُح. لقد هزَّهم خوف كليجاين، ودون قائدٍ فمن الممكن أن يَرفُضوا تنفيذ الأمر بدورهم، والسير ماندون... نعم، إنه رجل خطِر كما يقول چايمي، وإنما ليس رجلًا يتبعه الآخَرون.

سمعَ تيريونِ ارتطامًا آخَر من عند البوَّابة، وفوق الأسوار كانت السَّماء التي يزحف عليها الظَّلام مغمورةً بالأضواء الخضراء والبرتقاليَّة. كم ستَصمُد البوَّابة؟

هذا جنون، لكني أوثِرُ الجنون على الهزيمة. الهزيمة تعني الموت والعار.

«ليكن إذن. سأقودُ الغارة بنفسي».



لو أنه حسبَ أن قوله سيُخجِل كلب الصَّيد ويردُّ إليه شَجاعته، فهو مخطئ، لأن كليجاين اكتفى بضحكةٍ ساخرة، وقال: «أنت؟».

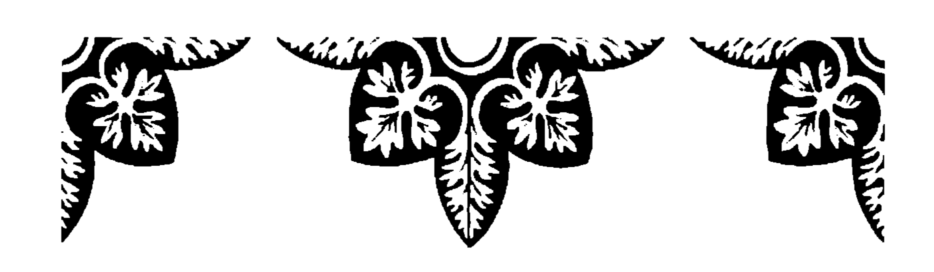
رأى تيريون عدم التَّصديق جليًّا على وجوههم وهو يقول: «أنا. سير ماندون، ستحمل راية الملك. پود، خوذتي»، فهرعَ الصَّبي يُلَبِّي، بينما اتَّكأ كلب الصَّيد على السَّيف الثَّلم الملطَّخ بالدَّم، ورمقَه بهاتين العينين البيضاوين الواسعتين. ساعدَه السير ماندون على امتطاء حصانه ثانيةً، ثم صاحَ تيريون: «اتَّخذوا تشكيلكم!».

كان فَحله الأحمر يرتدي واقيًا للوجه وآخَر للعُنق، وانسدلَ الحرير القرمزي على كفله فوق كسوةٍ من الحلقات المعدنيَّة، أمَّا سَرجه العالي فمذهَّب. رفعَ پودريك پاين الخوذة إلى تيريون، والتُّرس البلُّوطي الثَّقيل المرصَّع بيدٍ ذهبيَّة تُحيط بها أسود صغيرة من الذَّهب على خلفيَّةٍ حمراء. حرَّك حصانه في دائرةٍ وهو يتطلَّع إلى قوَّة الرِّجال الصَّغيرة، التي استجابَت منها لأمره مجموعة محدودة لا تتجاوَز العشرين، وجلسوا فوق خيولهم بعيونٍ بيضاء كعينيِّ كلب الصَّيد. بازدراءٍ رمقَ الآخَرين، الفُرسان والمرتزِقة الذين ركبوا مع كليجاين، وخاطبَهم قائلًا: «النَّاس يقولون إنني نِصف رجل، فماذا تكونون أنتم إذن؟».

أصابَتهم كلماته بقَدرٍ كافٍ من الخجل، وتقدَّم فارس لا يرتدي خوذةً بحصانه منضمًّا إلى الآخَرين، وتبعَه اثنان من المرتزِقة، ثم المزيد من الرِّجال. ارتجَّت بوَّابة الملك مجدَّدًا، وخلال لحظاتٍ قليلَة تضاعفَ رِجال تيريون. لقد سقطوا في كمينه. إذا قاتلتُ فعليهم أن يحذوا حذوي، وإلَّا فإنهم أضأل من الأقزام.

قال لهم: «لن تسمعوني أهتفُ باسم چوفري، ولن تسمعوني أهتفُ باسم كاسترلي روك كذلك. هذي مدينتكم التي يُريد ستانيس أن ينهبها، وهذي بوَّابتكم التي يرغب في تحطيمها، فتعالوا معي لنَقتُل ابن الزَّانية!»، واستلَّ تيريون فأسه ودارَ بالفَحل الأحمر وانطلقَ نحو المخرَج وقد خُيِّلَ إليه أنهم يتبعونه، لكنه لم يجرؤ على الالتفات والنَّظر.





سانزا

عكسَت المرايا المعدنيَّة المثبَّتة وراء حوامل المشاعل على الحوائط الوهج السَّاطع وملأَت قاعة حفلات الملكة بضوءٍ لُجيني، وعلى الرغم من هذا ظلَّت في المكان ظُلمة رأتها سانزا في شحوب عيني السير إلين پاين الذي وقفَ عند الباب الخلفي ثابتًا كحجر، لا يمدُّ يده إلى طعام أو شراب، ظُلمة سمعَتها في سُعال اللورد جايلز العنيف وهمسات أوزني كِتَلبلاك حين يقترب بهدوءٍ جالبًا لسرسي الأنباء.

كانت سانزا تُنهي حَساءها حين جاءَ أول مرَّةٍ ودخلَ من مؤخِّرة القاعة. لمحَته يتكلَّم مع أخيه أوزفريد قبل أن يصعد إلى المنصَّة ويركع إلى جوار المقعد العالي، وقد فاحَت منه رائحة الخيول وغطَّت القشور أربعة خدوش طوليَّة رفيعة على وجنته، وانسدلَ شَعره الطَّويل على وجهه متجاوزًا ياقته ومغطيًا عينيه. بلغَ صوته أُذني سانزا على الرغم من همسه، فسمعَته يقول: «الأسطولان مشتبكان. بعض الرُّماة نزلوا على الشَّاطئ، لكن كلب الصَّيد مزَّقهم إربًا يا جلالة الملكة. وأخوكِ يرفع سلسلته، فقد سمعتُ الإشارة. وبعض السَّكارى في «جُحر البراغيث» يقتحمون الأبواب ويُحَطِّمون النَّوافذ، فأرسلَ اللورد بايووتر ذوي المعاطف الذَّهبيَّة للتَّعامُل معهم. وسِپت بيلور مكتظ عن آخِره، الجميع يُصَلُّون».

- «وابني؟».

- «الملك ذهبَ إلى السِّپت لينال البَركة من السِّپتون الأعلى، والآن يذرع الأسوار مع كلب الصَّيد، يحثُّ الرِّجال على التشجُّع ويرفع معنويَّاتهم».



أشارَت سرسي إلى خادمتها طالبةً كأسًا أخرى من نبيذ «الكرمة» الذَّهبي المعتَّق ذي المذاق الفاكهي الحُلو. كانت الملكة قد أسرفَت في الشَّراب، وإن بدا أن أثره الوحيد عليها أنه زادَها جمالًا على جمال، فتورَّدت وجنتاها، وفي عينيها كانت نظرة لامعة محمومة وهي تدور بهما في القاعة، النَّظرة التي جعلَت سانزا تقول لنفسها: عينان من النَّار الشَّعواء.

فيما عزفَ الموسيقيُّون ومارسَ الحُواة حيلهم، تواثبَ فتى القمر في أرجاء المكان على ركيزتين خشبيَّتين طويلتين ساخرًا من الجميع، بينما طاردَ السير دونتوس الخادمات راكبًا عصا مقشَّةٍ ذات رأس حصان، فضحكَ الضُّيوف، لكنه ضحك خاوٍ من الابتهاج، ضحك من الممكن أن يستحيل نحيبًا في لحظةٍ واحدة. أجسادهم هنا، لكن عقولهم هناك عند أسوار المدينة، وقلوبهم أيضًا.

بَعد الحَساء قُدِّمَت سلطة من التُّفَّاح والجوز والزَّبيب، كانت لتَعُدَّها صنفًا لذيذًا في أيِّ حينٍ آخَر، لكن الأطعمة كلها منكَّهة بالخوف اللَّيلة. لم تكن سانزا الوحيدة التي بلا شهيَّةٍ في المكان، فاللورد جايلز يَسعُل أكثر مما يأكل، ولوليس ستوكوورث جلسَت ترتجف مطأطأةً رأسها، كما انفجرَت العروس الشَّابَّة لواحدٍ من فُرسان السير لانسل في البكاء، فأمرَت الملكة المِايستر فرنكن بأن يسقيها نبيذ النَّوم، ثم قالت لسانزا باستخفافٍ بينما أخرَجوا المرأة من القاعة: «الدُّموع، كانت أمِّي تُسَمِّيها سلاح الأنثى، والسَّيف سلاح الرَّجل. يُخبرِكِ هذا بكلِّ ما تُريدين معرفته، أليس كذلك؟».

قالت سانزا: «لكن يجب أن يكون الرِّجال شُجعانًا. الخروج إلى المعركة لمواجَهة السُّيوف والفؤوس، بينما يُريد الجميع قتلك...».

- «ذات مرَّةٍ قال لي چايمي إنه لا يَشعُر بأنه حيٌّ حقًّا إلَّا في ميدان المعركة والفِراش»، ورفعَت الملكة كأسها ورشفَت منها طويلًا بينما ظلَّت سلطتها دون أن تمسَّها، ثم تابعَت: «أفضِّلُ مواجَهة أيِّ عددٍ من السُّيوف على الجلوس عاجزةً هكذا، متظاهرةً بالاستمتاع بصُحبة سَربٍ من الدَّجاجات الخائفة».

- «لقد دعوتِهم إلى المجيء يا جلالة الملكة».

ردَّت سرسي: «ثمَّة أشياء معيَّنة متوقَّعة من الملكة، وستكون متوقَّعةً



منكِ أيضًا إذا تزوَّجتِ چوفري، فخيرٌ لكِ أن تتعلَّمي»، وجاسَت بعينيها في الزَّوجات والبنات والأمَّهات اللائي ملأن الدِّكك مواصلةً: «الدَّجاجات أنفسها بلا قيمة، لكن ديوكها مهمَّة لسببٍ أو آخَر، وقد ينجو بعضهم من المعركة، لذا يتوجَّب عليَّ أن أشمل نساءهم بحمايتي. إذا استطاعَ أخي المأفون تحقيق النَّصر بشكلٍ ما، فسيَعُدن إلى أزواجهن وآبائهن بحكاياتٍ عن شَجاعتي وكيف ألهمَتهن ورفعَت معنويَّاتهن، وكيف أني لم أشكَّ في انتصارنا لحظةً».

- «وإذا سقطَت القلعة؟».

- «تتمنِّين هذا، أليس كذلك؟»، ولم تنتظر سرسي إجابةً، بل أردفَت في الحال: «قد أستطيعُ الصُّمود هنا فترةً إذا لم يَخُنِّي حُرَّاسي، ثم أذهبُ إلى الأسوار وأعرضُ الاستسلام على اللورد ستانيس بنفسي، وسيُغنينا هذا عن التعرُّض للأسوأ، لكن إذا سقطَ حصن ميجور قبل وصول ستانيس، فلا يوجد ما أقوله غير أن الاغتصاب ينتظر معظم ضيفاتي، وإياكِ أن تستبعِدي التَّشويه والتَّعذيب والقتل أيضًا في أوقاتٍ كهذه».

قالت سانزا مذعورةً: «هؤلاء نساء عُزل وعاليات المقام!».

- «نعم، أسماء عائلاتهن تحميهن، لكن ليس للدَّرجة التي تحسبينها. كلُّ واحدةٍ منهن تستحقُّ فديةً لا بأس بها، لكن بَعد جنون المعركة تنتاب الجنود الرَّغبة في اللَّحم أكثر من المال، وعلى الرغم من هذا فالذَّهب الذي يقيهن أفضل من لا شيء على الإطلاق، لأن النِّساء في الشَّوارع لن يُعامَلن بأدنى درجةٍ من الرَّأفة، ولا خادماتنا كذلك. فتاة جميلة كوصيفة الليدي تاندا مثلًا تنتظرها ليلة ليلاء، لكن لا تتصوَّري أن المسنَّات والعاجزات والقبيحات في أمان، فبَعد تجرُّع ما يكفي من النَّبيذ تبدو الغسَّالات الضَّريرات وعاملات زرائب الخنازير جميلاتٍ مثلكِ يا حُلوتي».

- «أنا؟!».

- «حاوِلي ألَّا يبدو صوتكِ كأن فأرًا يتكلَّم يا سانزا. إنكِ امرأة الآن، أتَذكُرين؟ ومخطوبة لابني البكر»، ورشفَت الملكة من النَّبيذ، وتابعَت: «لو كان أيُّ أحدٍ آخَر على الأبواب، لأملت أن أستطيع إغواءه، لكن هذا ستانيس



باراثيون بجلالة قَدره، وفُرصتي في إغواء حصانه أكبر»، ولمَّا لاحظَت التَّعبير على وجه سانزا، ضحكَت وقالت: «هل صدمتكِ يا سيِّدتي؟»، ثم مالَت عليها مواصلةً: «أيتها البلهاء الصَّغيرة، الدُّموع ليست سلاحكِ الأوحد، فلديكِ سلاح آخَر بين ساقيكِ، والأفضل أن تتعلَّمي كيف تستخدمينه. ستجدين أن الرِّجال يستخدمون سيوفهم بحُريَّةٍ تامَّة، كلا النَّوعين».

أنقذَ دخول اثنين من الإخوة كِتلبلاك سانزا من الاضطرار للإجابة. لقد أصبحَ السير أوزموند وأخواه من أكثر المفضَّلين بين أهل القلعة، فكلهم حاضرو الابتسامة والدُّعابة، ومنسجمون مع السَّائسين والصيَّادين كما هُم مع الفُرسان ومُرافِقيهم، وتقول النَّميمة إنهم ينسجمون أكثر وأكثر مع الخادمات. في الآونة الأخيرة أخذَ السير أوزموند مكان ساندور كليجاين إلى جوار چوفري، وسمعَت سانزا الغسَّالات عند البئر يقلن إنه قويٌّ ككلب الصَّيد، والفارق بينهما أن أوزموند أصغر وأسرع. إذا كان ذلك حقيقيًّا، فإنها تُسائِل نفسها عن سبب عدم سماعها بالإخوة كِتلبلاك هؤلاء بتاتًا قبل أن يلتحق السير أوزموند بالحَرس الملكي.

ارتسمَت ابتسامة واسعة على وجه أوزني إذ جثا إلى جوار الملكة قائلًا: «السُّفن الثَّقيلة اشتعلَت يا جلالة الملكة. النَّهر الأسود كله متَّقد بالنَّار الشَّعواء. مئة سفينةٍ تحترق، وربما أكثر».

- «وماذا عن ابني؟».

- «عند بوَّابة الطَّمي مع اليد والحَرس الملكي يا جلالة الملكة. كان قد تحدَّث إلى الرُّماة وراء المتاريس قبلها، وأسداهم نصائح عن إطلاق النُّشَّابيَّة. الكلُّ متَّفقون على أنه صبيٌّ قويم شُجاع».

قالت سرسي: «أريده أن يبقى صبيًّا قويمًا حيًّا»، ثم التفتَت إلى أوزفريد وسألَته: «ماذا؟».

أوزفريد أطول قامةً وأكثر حزمًا من أخيه، وقد ارتدى خوذةً قصيرةً من الفولاذ فوق شَعره الأسود الطَّويل، ولاحَت على وجهه نظرة عابسة وهو يُجيب بهدوء: «جلالة الملكة، الصِّبية قبضوا على سائسٍ وخادمتين يُحاوِلون التسلُّل من بوَّابةٍ خلفيَّة بثلاثةٍ من خيول الملك».



قالت الملكة: «باكورة خونة اللَّيلة، لكنِ أخشى أنهم لن يكونوا الآخِرين. اجعل السير إلين يتولَّى أمرهم، وعلِّق رؤوسهم على الخوازيق فوق الاسطبلات كتحذير»، ثم التفتَت إلى سانزا قائلةً عندما غادَرا: «درس آخَر عليكِ أن تتعلَّميه إذا كنت تأملين في الجلوس إلى جوار ابني. تصرَّفي برأفةٍ في ليلةٍ كهذه وستجدين الخيانات تنبت من كلِّ مكانٍ حولكِ كالفِطر بَعد المطر الشَّديد. السَّبيل الوحيد للحفاظ على إخلاص شعبكِ أن تحرصي على أن يخافكِ أكثر مما يخاف الأعداء».

- «سأتذكَّرُ هذا يا جلالة الملكة»، قالت سانزا على الرغم من أنها سمعَت دائمًا أن الحُبَّ طريقه أقصر وأضمن كثيرًا لولاء النَّاس من طريق الخوف. إذا أصبحتُ ملكةً، سأجعلهم يُحِبُّونني.

قُدِّمَت فطائر السَّرطان البحري بعد السَّلطة، ثم الضَّأن المشوي مع الكرفس والجزر في أطباقٍ من الخُبز المفرَّغ. ازدردَت لوليس طعامها بسرعةٍ وأصابَها الغثيان، فتقيَّأت على نفسها وأختها، وسعلَ اللورد جايلز وشربَ وسعل وشربَ حتى غابَ عن الوعي، ورمقَته الملكة بامتعاض وقد سقطَ وجهه في طبقه ويده في بِركةٍ من النَّبيذ، وقالت: «لا بُدَّ أن الآلهة كانت مجنونةً حين بدَّدت الرُّجولة على أمثاله، ولا بُدَّ أني كنتُ مجنونةً بدوري حين طالبتُ بإطلاق سراحه».

عادَ أوزفريد كِتلبلاك ومعطفه القرمزي يخفق في الهواء من ورائه، وقال: «هناك أناس محتشدون في الميدان يا جلالة الملكة، يَطلُبون الاحتماء داخل القلعة، ليسوا غوغاء، بل تُجَّار أثرياء وما إلى ذلك».

- «مُرهم بالعودة إلى منازلهم، وإذا رفضوا الذَّهاب، اجعل رُماة النُّشَّابيَّة يَقتُلون بعضهم. لا غارات، فلا أريدُ فتح البوَّابات لأيِّ سبب».

قال: «كما تأمرين»، وحنى رأسه وغادرَ.

كانت ملامح الملكة قاسيةً ساخطةً وهي تقول بصوتٍ بدأ يتثاقَل: «ليتني أستطيعُ أن أضرب أعناقهم بالسَّيف بنفسي. في صِغرنا كان التَّشابه بيني وبين چايمي شديدًا لدرجة أن السيِّد والدنا نفسه لم يكن يستطيع التَّمييز بيننا. أحيانًا على سبيل اللَّهو كنا نتبادَل ارتداء ثياب بعضنا بعضًا ويقضي



كلٌّ منا اليوم بطوله منتحلًا شخصيَّة الثَّاني، وعلى الرغم من ذلك، عندما أعطوا چايمي سيفه الأول، لم يُعطوني واحدًا مِثله. أذكرُ أني سألتُ يومها: «علامَ سأحصلُ؟». كنا متشابهيْن لأقصى حَد، فلم أفهم لماذا يُعامِلوننا بهذا الاختلاف الشَّاسع. تعلَّم چايمي القتال بالسَّيف والرُّمح والكرة الشَّائكة، بينما علَّموني أن أبتسم وأغنِّي وأُرضي من حولي. كان وريث كاسترلي روك، وأنا باعوني لرجلٍ غريبٍ كأني فَرس، يمتطيني مالكي الجديد متى شاءَ، ويضربني متى شاءَ، وينبذني حين تظهر مُهرة جديدة أصغر. كان نصيب چايمي المجد والسَّطوة، ونصيبي الولادة والدَّم مع كلِّ دورة قمر».

قالت سانزا: «لكنكِ كنتِ ملكةً على الممالك السَّبع كلها».

- «عندما يتعلَّق الأمر بالقتال، فالملكة مجرَّد امرأة في النِّهاية». نفدَ النَّبيذ من كأس سرسي ثانيةً، فتقدَّمت الخادمة تملأها، لكنها قلبَتها وهزَّت رأسها نفيًا قائلةً: «كفى. أريدُ عقلي صافيًا».

الصَّنف الأخير كان جبن الماعز المقدَّم مع التُّفَّاح المخبوز، وأفعمَت رائحة القرفة القاعة بينما عادَ أوزني كِتلبلاك ليركع بينهما مجدَّدًا ويُغمغِم: «جلالة الملكة، ستانيس أنزلَ رجاله في مضمار المباريات، والمزيد منهم يَعبُرون. بوَّابة الطَّمي تتعرَّض للهجوم، كما يضربون بوَّابة الملك بالمِدَك. العِفريت خرجَ للتصدِّي لهم».

قالت بجفاف: «سيملأهم هذا خوفًا. أتمنَّى أنه لم يأخذ چوف».

- «نعم يا جلالة الملكة. جلالته مع أخي عند العاهرات، يقذف رجال القرون في النَّهر».

- «وبوَّابة الطَّمي تتعرَّض للهجوم؟ حماقة. قُل للسير أوزموند إنني أريده أن يرحل من هناك على الفور. إنه في خطرٍ شديد. أعيدوه إلى القلعة».

- «العِفريت قال...».

قالت سرسي: «لا يهمُّك شيء غير ما أقوله أنا»، وضيَّقت عينيها مضيفةً: «سيفعل أخوك كما يُؤمَر، وإلَّا سأحرصُ على أن يقود الغارة التَّالية بنفسه، وستذهب معه كذلك».

بَعد رفع الأطباق، طلبَ عدد كبير من الضُّيوف إذن الملكة بالذَّهاب إلى



السِّبت، **فلبَّت سرسي** طلبهم بكلِّ دماثة، وكانت الليدي تاندا وابنتاها بين **هؤلاء الذين فرُّوا**. جيءَ لمن ظلُّوا في القاعة بمغنٍّ ملأَ الهواء بموسيقى القيثارة **السَّامية العذبة**، وغنَّى عن چونكويل وفلوريان، والأمير إيمون الفارس التِّنِّين **وحُبِّه لملكة** أخيه، وسُفن نايميريا العشرة آلاف. إنها أغانٍ جميلة، لكن حزينة **للغاية**، فبكَت نساء كثيرات، وحتى سانزا شعرَت بالدُّموع تترقرَق في عينيها.

مالَت الملكة عليها قائلةً: «ممتاز يا عزيزتي. عليكِ أن تتمرَّني على ذرف هذه الدُّموع، لأنكِ ستحتاجينها أمام الملك ستانيس».

اعتدلَت سانزا بعصبيَّة، وقالت: «جلالة الملكة؟».

- «أوه، كُفِّي عن هذا التَّهذيب الفارغ! لا بُدَّ أن الأمور بلغَت حَدًّا يائسًا في الخارج ما داموا يحتاجون قزمًا ليقودهم، فاخلعي قناعكِ. إنني أعرفُ كلَّ شيءٍ عن خيانتكِ في أيكة الآلهة».

- «أيكة الآلهة؟». لا تَنظُري إلى السير دونتوس، لا تَنظُري، لا تَنظُري. إنها لا تعرف، لا أحد يعرف. دونتوس وعدَني، فارسي فلوريان لن يخذلني أبدًا. «لم أرتكب أيَّ خيانة. إنني أذهبُ إلى أيكة الآلهة لأصلِّي».

- «لستانيسٍ، أو لأخيكِ، لا فارق. هل من سببٍ آخَر لذهابكِ إلى آلهة أبيكِ؟ إنكِ تُصَلِّين لهزيمتنا، فماذا تُسَمِّين هذا إن لم يكن خيانةً؟».

قالت بإصرارٍ عصبي: «بل أصلِّي لچوفري».

ردَّت الملكة: «لماذا؟ لأنه يُعامِلكِ بمنتهى الحنان؟»، وأخذَت إبريقًا من نبيذ البرقوق الحُلو من خادمةٍ مارَّة، وملأَت كأس سانزا قائلةً ببرودٍ آمِر: «اشربي، فلربما يمنحكِ الشَّراب الشَّجاعة لمواجَهة الحقيقة على سبيل التَّغيير».

رفعَت سانزا الكأس إلى شفتيها ورشفَت من النَّبيذ، فوجدَته شديد الحلاوة لكن قوي جدًّا.

قالت سرسي: «يُمكنك أن تبلي بلاءً أحسن. أفرِغي الكأس يا سانزا، ملكتكِ تأمركِ».

كادَ الشَّراب الثَّخين المحلَّى يُغثيها، لكن سانزا أفرغَته في جوفها حتى شعرَت برأسها يدور.

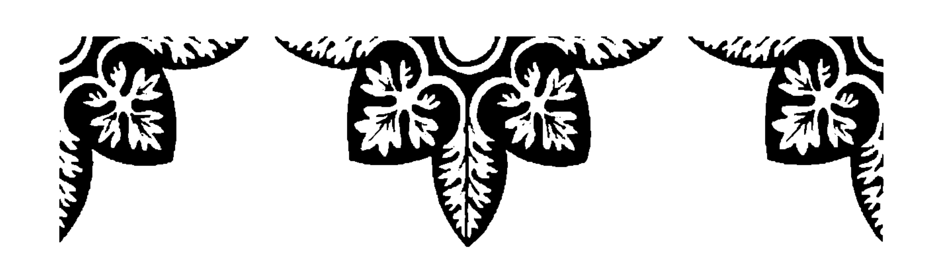


- «المزيد؟».
- «لا، أرجوكِ».

لاحَ الاستياء على الملكة، وقالت: «كذبتُ عليكِ عندما سألتِ عن السير إلين قبل قليل. هل تُريدين سماع الحقيقة يا سانزا؟ هل تُريدين أن تعرفي سبب وجوده هنا؟». لم تجرؤ سانزا على الرَّد، فرفعَت سرسي يدها وأشارَت دون أن تنتظر إجابةً. لم تكن سانزا قد رأت السير إلين يعود إلى القاعة، لكن ها هو ذا هنا فجأةً، يَخرُج بخطواتٍ واسعةٍ من وسط الظِّلال وراء المنصَّة بسكون هرَّةٍ وقد استلَّ «جَليد». كان أبوها يُنَظِّف النَّصل في أيكة الآلهة دومًا عقب أن يقطع رأس رجل، لكن السير إلين ليس نيِّقًا كما كان أبوها، فتلوَّث فولاذ السَّيف بدماءٍ لم تجفَّ بعدُ، وقد بدأ الأحمر يستحيل إلى البنِّي بالفعل. قالت سرسي: «أخبِر الليدي سانزا بسبب احتفاظي بك معنا هنا»، وفتحَ السير إلين فمه وأصدرَ صوتًا خشنًا مبحوحًا دون أن يلوح تعبير على وجهه المجدور، ففسَّرت الملكة: «يقول إنه هنا من أجلنا. قد يأخذ ستانيس المدينة، وقد يأخذ العرش، لكني لن أسمح له بالحُكم عليَّ، ولا أنوي أن يأخذنا أحياء».
- «يأخذنا؟».

قالت سرسي: «كما سمعتِ. ربما عليكِ أن تُصَلِّي ثانيةً إذن يا سانزا من أجل نتيجةٍ مختلفة، لأني أعدُكِ بأن آل ستارك لن يجدوا أيَّ بهجةٍ في سقوط عائلة لانستر»، ومدَّت يدها تمسُّ شَعر سانزا وتُزيحه عن عُنقها.





تيريون

حدَّت الفُرجة في خوذته من رؤيته ما يقع أمامه، لكن حين أدارَ رأسه رأى ثلاثة قوادس راسيةً عند مضمار المباريات، ورابعًا أكبر حجمًا منها بعيدًا في النَّهر، يرمي براميل القار المشتعل من منجنيق.

قال آمرًا ورجاله يتدفَّقون من مخرَج السُّور: «تشكيل الوتد»، فكوَّنوا رأس حربةٍ وتصدَّرهم تيريون، وقد اتَّخذ السير ماندون مور موقعه إلى يمينه واللَّهب يتوهَّج على دِرعه البيضاء المطليَّة بالمينا، بينما التمعَت عيناه الميتتان الخاليتان من أيِّ إحساس تحت خوذته. كان يرتدي حصانًا أسود كالفحم مكسوًّا بالأبيض، ويُثبِّت تُرس الحَرس الملكي ناصع البياض على ذراعه. أمَّا إلى اليسار فقد اندهشَ تيريون لمرأى پودريك پاين حاملًا سيفًا، وقال له من فوره: «أنت صغير للغاية. عُد».

- «إنني مُرافِقك يا سيِّدي».

قال تيريون وقد قرَّر أن لا وقت للجدل: «معي إذن، وابقَ قريبًا مني»، وركلَ حصانه وانطلقَ به.

ركبوا متحاذين بطول الأسوار المرتفعة من فوقهم، وخفقَت راية چوفري التي يحملها السير ماندون على رُمحه بالقرمزي والذَّهبي، يتراقَص عليها الوعل والأسد معًا، ثم بدأوا يُهَروِلون، وداروا دورةً واسعةً حول قاعدة البُرج، فيما تساقطَت السِّهام من أعلى، ودارَت الأحجار في الهواء مارَّةً فوق رؤوسهم لتهوي بعشوائيَّةٍ على اليابسة أو في الماء وتسحق الفولاذ واللَّحم. من أمامهم لاحَت بوَّابة الملك وفيض من الجنود يقرعونها بمِدَكٍّ عبارة عن



عمود ضخم من البلُّوط الأسود له رأس من الحديد، وقد أحاط بهم الرُّماة الذين أنزلَتهم السُّفن، مطلقين سهامهم على أيٍّ مدافِعين يظهرون على أسوار مبنى البوَّابة. صاحَ تيريون: «الرِّماح»، وهمزَ حصانه فبدأ يخبُّ.

كانت الأرض زلقةً للغاية من فرط تشبُّعها بالماء، وتعثَّر حصانه في جثَّةٍ وانزلقَت حوافره، فخشيَ تيريون لحظةً أن هجومه سينتهي به وقد سقطَ من فوق سَرجه قبل أن يَبلُغ العدوَّ حتى، لكن بشكلٍ ما استطاعَ وحصانه الحفاظ على توازُنهما. عند البوَّابة كان الرِّجال يلتفتون إليهم بسرعةٍ محاولين اتِّخاذ وضع استعدادٍ للصَّدمة القادمة، ورفعَ تيريون فأسه وهتفَ: «كينجز لاندنج!»، فسرى الهتاف منه إلى آخَرين، وحلَّق رأس الحربة كصرخةٍ طويلةٍ عمادها الحديد والحرير والحوافر التي ترجُّ الأرض رجًّا والنِّصال الماضية التي قبَّلتها النَّار.

وجَّه السير ماندون رأس رُمحه في اللَّحظة الأخيرة، وأغمدَ راية چوفري في صدر رجلٍ يرتدي صُدرةً مطعَّمةً بالحديد، رافعًا إياه عن الأرض بالكامل قبل أن ينقصمَ عمود الرُّمح، وأمام تيريون كان رجل على سُترته رمز ثعلب يطلُّ من حلقةٍ من الأزهار، فكان أول ما خطرَ بباله هو: فلورنت، لكن سرعانَ ما جاءَ الخاطر التَّالي: لا يرتدي خوذةً، فهوى تيريون على وجه الرَّجل بكلِّ ثقل فأسه وذراعه وفَحله المنقض، وفصلَ نِصفَ رأسه شاعرًا بالخدر يسري في كتفه من عُنف الصَّدمة، فقال لنفسه وهو يُواصِل الانطلاق: كان شاجا ليضحك مني.

اصطدمَت حربةٌ بتُرسه، وإلى جواره ركضَ پودريك پاين بحصانه ضاربًا كلَّ عدوٍّ يمرُّ به بسيفه، وتناهَت إلى مسامع تيريون هتافات الرِّجال من فوق الأسوار بصوتٍ خافتٍ إذ سقطَ المِدَكُّ في الوحل وقد نُسِيَ في لحظةٍ حين فَرَّ حاملوه أو استداروا ليُقاتِلوا. دعسَ تيريون واحدًا من رُماة العدوِّ، وشَقَّ لحم حامل حربةٍ من الكتف إلى الإبط، وسدَّد ضربةً إلى خوذةٍ ذات ريشةٍ بشكل سمكة سيَّاف البحر. عند المِدَكِّ تراجعَ حصانه الأحمر الكبير ورفعَ قائمتيه الأماميَّتين، لكن الفَحل الأسود وثبَ فوق العائق برشاقةٍ ومرقَ السير ماندون إلى جواره كالوميض، الموت يرتدي الحرير الأبيض النَّاصع، وبترَ



سيفه الأطراف وهشَّم الرُّؤوس وحطَّم التُّروس إلى شظايا... وإن كان قلائل من جنود العدوِّ قد استطاعوا عبور النَّهر بتُروسهم سليمةً على كلِّ حال.

كان خصومهم يلوذون بالفرار، فدفعَ تيريون حصانه للمرور من فوق المِدَكِّ، وأجالَ النَّظر يمينًا وشِمالًا مرَّةً تلو المرَّة، لكنه لم يرَ أثرًا لپودريك پاين، قبل أن يرتطم سهم بجانب خوذته وقد أخطأَ فُرجة الرُّؤية ببوصةٍ واحدة، وكادَت رجَّة الخوف تُسقِطه من فوق الحصان. إذا ظللتُ ثابتًا هنا كجذع شجرة، فحريٌّ بي أن أرسم هدفًا على صدري أيضًا.

عادَ يحثُّ حصانه على الحركة، وركضَ فوق الجُثث المتناثرة ومن حولها. في اتِّجاه المصبِّ كان النَّهر الأسود مكتظًّا بأبدان القوادس المحترقة، وقد ظلَّت بؤر من النَّار الشَّعواء طافيةً على سطح الماء، ترتفع منها ألسنة اللَّهب الأخضر عشرين قدمًا في الهواء وتدور. لقد نجحوا في تشتيت فرقة المِدَكِّ، لكنه رأى القتال محتدمًا بطول ضفَّة النَّهر كلها، فخمَّن أنهم رجال السير بالون سوان غالبًا، أو رجال لانسل، يُحاولون إلقاء العدوِّ في الماء بمجرَّد أن تنزل جماعاته من السُّفن المشتعلة. قال آمرًا: «سنذهب إلى بوَّابة الطَّمي».

صاحَ السير ماندون: «إلى بوَّابة الطَّمي!»، وهتفَ رجاله بأصواتٍ مبحوحة: «كينجز لاندنج!» و«النِّصف رجل! النِّصف رجل!»، فتساءلَ عمَّن علَّمهم هذا اللَّقب. من تحت فولاذ وبطانة خوذته سمعَ صرخات الألم وطقطقة اللَّهب الجائع ونغمات الأبواق الرَّاجفة، ورأى النِّيران في كلِّ مكان. بحَقِّ الآلهة، لا عجب أن كلب الصَّيد خائف. إنه يخشى النَّار...

دوَّى صوت ارتطام مروِّع عبر النَّهر الأسود إذ أصابَ حجر بحجم حصانٍ أحد القوادس في المنتَصَف مباشرةً، فسألَ تيريون نفسه: قادسنا أم قادسهم؟ وإن لم يستطِع التَّمييز عبر حُجب الدُّخان الكثيف. كان تشكيل رأس الحربة قد تفرَّق تمامًا، وكلُّ رجلٍ يخوض معركته الخاصَّة الآن، ففكَّر وهو يتقدَّم: كان عليَّ أن أتراجَع...

أحسَّ بالفأس ثقيلةً في يده. في أعقابه كانت حفنة من الرِّجال ما زالت تتبعه، وقد قُتِلَ البقيَّة أو هربوا، واضطرَّ لإجبار فَحله على الاتِّجاه شَرقًا، فالجواد الضَّخم لا يحبُّ النَّار أكثر من ساندور كليجاين، وإن كان أسهل انقيادًا.



زحفَ الرِّجال من النَّهر، رجال محترقون ينزفون، يَسعُلون ماءً، يترنَّحون، ومعظمهم يحتضر. قادَ تيريون فرقته بينهم، وأهدى الأقوياء القادرين على الوقوف من جُند العدوِّ ميتةً أسرع وأنظف، وسرعان ما تقلَّصت الحرب حتى لم يَعُد مداها يتجاوَز فُرجة الرُّؤية في خوذته. فُرسان بضِعف حجمه فرُّوا منه، أو واجَهوه ولاقوا حتفهم، فبدوا له مجرَّد أشياء صغيرة خائفة، وهتفَ وهو يُعمِل فأسه في هذا وذاك: «لانستر!»، وقد اصطبغَت ذراعه حتى المِرفق بالأحمر اللَّامع في أضواء النَّهر. حين تراجعَ حصانه ثانيةً، رفعَ فأسه ولوَّح بها في وجه النُّجوم، سامعًا إياها تهتف: «النِّصف رجل! النِّصف رجل!».

وأحسَّ تيريون كأنه سكران.

حُمَّى المعركة. لم يتخيَّل قَطُّ أنه سيختبرها بنفسه، مع أن چايمي كان يحكي عنها كثيرًا، ويصفُ كيف يتشوَّش الزَّمن ويتباطَأ، بل ويتوقَّف، وكيف يختفي الماضي والمستقبَل في غياهب النِّسيان حتى لا يبقى شيء غير اللَّحظة الحاليَّة، وكيف يهرب الخوف، ويفرُّ التَّفكير، ويغيب الإحساس بجسدك ذاته. «عندئذٍ لا تَشعُر بجروحك، أو بالألم في ظَهرك من ثِقل الدِّرع، أو بالعَرق الذي يسيل في عينيك. إنك تكِفُّ عن الشُّعور، عن التَّفكير، تكفُّ عن أن تكون أنت، فلا شيء هنالك سوى القتال والعدوِّ، هذا الرَّجل ثم التَّالي ثم التَّالي ثم التَّالي، وتعلم أنهم خائفون متعَبون لكنك لست كذلك، أنت حي، والموت يُحيط بك من كل جانبٍ لكن سيوفهم تتحرَّك بنتهى البُطء، ويُمكنك أن تشقَّ طريقك بينها راقصًا ضاحكًا». حُمَّى المعركة. إنني نِصف رجلٍ أسكرَته المذبحة. فليَقتُلوني إذا استطاعوا!

ولقد حاوَلوا. انقضَّ عليه حامل حربةٍ آخَر، لكن تيريون دارَ حوله بسرعةٍ وقطعَ رأس الحربة، ثم يد الرَّجل، ثم ذراعه، قبل أن ينقضَّ عليه قوَّاس بلا قوسٍ مسدِّدًا إليه سهمه كأنه سكِّين، فركلَ الفَحل فخذ الرَّجل ليطرحه أرضًا، وانفجرَ تيريون ضاحكًا. مَرَّ برايةٍ مغروسةٍ في الأرض، واحدة من رايات ستانيس ذات القلب النَّاري، وشطرَ السَّارية نِصفين بضربةٍ من فأسه، ثم ظهرَ فارس من اللا مكان وهوى على تُرسه بسيفٍ عظيمٍ يحمله بكلتا يديه، وراحَ



يضرب ويضرب حتى غرسَ أحدهم خنجرًا في باطن ذراعه، أحد رجال تيريون ربما، فهو لم يلمحه.

صاحَ فارس آخَر على مسافةٍ أبعد عند الضفَّة: «أستسلمُ! أستسلمُ يا سيِّدي الفارس! ها هي الأمارة، ها هي!». كان الرَّجل ساقطًا في بِركةٍ من الماء الأسود ويرفع قُفَّازًا واقيًا من الصَّفائح المعدنيَّة كأمارةٍ على الاستسلام، فاضطرَّ تيريون لأن يميل ليأخذه منه، وفي هذه اللَّحظة انفجرَت جرَّة من النَّار الشَّعواء في مكانٍ ما فوقهما ناثرةً اللَّهب الأخضر، وفي الضَّوء المباغت رأى تيريون أن البركة ليست سوداء بل حمراء. كانت يد الفارس المبتورة لا تزال داخل القُفَّاز، فألقاها إليه ثانيةً، وانتحبَ الرَّجل بعجزٍ ويأسٍ مردِّدًا: «أستسلمُ»، وابتعدَ تيريون عنه.

أطبقَ جُنديٌ على لجام حصانه وحاولَ أن يطعن تيريون في وجهه بخنجر، فصَدَّ الضَّربة وأطارَ السِّلاح من يد الرَّجل، قبل أن يغرس الفأس في مؤخِّرة عُنقه، وبينما انتزعَها ثانيةً لاحَ طيف أبيض وهَّاج عند حافة بصره، فالتفتَ تيريون مفكِّرًا أنه سيجد السير ماندون مور إلى جواره، لكنه كان فارسًا أبيض مختلفًا. يرتدي السير بالون سوان الدِّرع نفسها، لكن كسوة حصانه عليها رمز عائلته، البجعة البيضاء تُصارِع الثَّانية السَّوداء. إنه فارس مرقَّط أكثر من أبيض. كلُّ شبرٍ من السير بالون كان ملوَّثًا بالدَّم وملطَّخًا بالسِّناج، وقد رفعَ كرته الشَّائكة مشيرًا في اتِّجاه المصبِّ ليلوح فُتات العظام والأمخاخ العالق بيده وهو يقول: «سيِّدي، انظُر».

دارَ تيريون بحصانه يُلقي نظرةً عبر النَّهر الأسود الذي يتدفَّق بقوَّةٍ في مجراه، وإن كان سطحه فوضى من الدَّم والنَّار، بينما تلوَّنت السَّماء بالأحمر والبرتقالي والأخضر الصَّارخ. سألَ: «ماذا؟»، ثم إنه رأى.

كان الجنود المدرَّعون بالفولاذ ينزلون متعثِّرين من قادسٍ محطَّم اصطدمَ بأحد الأرصفة. كثيرون للغاية. من أين يأتون؟ ضيَّق تيريون عينيه في محاولةٍ للرُّؤية من خلال الدُّخان والوهج، وتابعَتهم نظراته حتى النَّهر، حيث رأى عشرين من القوادس المتلاصقة، وربما أكثر من عشرين، فمن العسير أن يُحصي العدد من هنا. كانت المجاذيف متشابكةً، والخطاطيف تلصق



الأبدان ببعضها بعضًا، بينما اخترقَ مِدَكُّ كلِّ قادسٍ قادسًا آخَر، وصنعَت حبال الأشرعة معًا شبكةً هائلة الحجم. طفَت سفينةٌ ثقيلة مقلوبة بين اثنتين أصغر حجمًا، ثلاثتها محطَّم لكن متلاحم لدرجةٍ تُتيح الوثوب من سطحٍ إلى آخَر، ومن ثَمَّ عبور النَّهر الأسود.

ومئات من أجرأ رجال ستانيس كانوا يفعلون هذا بالتَّحديد.

شاهدَ تيريون فارسًا أحمق كبيرًا يُحاوِل أن يَعبُر ركوبًا، يحثُّ حصانه المرعوب على المرور فوق حواف المراكب ومجاذيفها والأسطُح الغارقة في الدِّماء وتشتعل فيها النَّار الخضراء. فكَّر بهلع: لقد مددنا لهم جسرًا! أجزاء من هذا الجسر كانت تغرق وأجزاء أخرى يزحف عليها اللَّهب، والشَّيء كله يصرُّ ويتمايَل ويبدو على وشك التهشُّم في أيِّ لحظة، لكن شيئًا من هذا لم يوقِفهم، فقال للسير بالون سوان بإعجاب: «إنهم رجال شُجعان. هيا نذهب ونَقتُلهم».

قادَهم تيريون عبر بؤر النَّار المرتعشة والسِّناج والرَّماد على ضفَّة النَّهر، تدقُّ حوافر حصانه رصيفًا حجريًّا طويلًا، ومن ورائه رجال السير بالون ورجاله، وانضمَّ إليهم السير ماندون وقد تصدَّع تُرسه تمامًا. دارَت دوَّامات الدُّخان والجمار في الهواء، ونكصَ جنود العدوِّ أمام هجومهم، ملقين نفسهم في الماء ومُسقِطين رجالًا آخَرين من رفاقهم وهُم يُحاوِلون الصُّعود إلى متون السُّفن من جديد. عند أول الجسر كان واحد من قوادس العدوِّ نِصف الغارقة، تحمل مقدِّمته اسم «سُم التنِّين»، وقد مزَّقت إحدى السُّفن الثَّقيلة التي وضعَها تيريون بين الأرصفة قاعه تمزيقًا. غرسَ حامل حربة على صدره السَّرطان الأحمر رمز عائلة سلتيجار رأس سلاحه في صدر حصان السير بالون قبل أن يترجَّل، وأسقطَ الفارس من فوق سَرجه، فضربَ تيريون رأس الرَّجل بفأسه وهو يمرُّ به بأقصى سرعة، وعندئذٍ كان التوقُّف فجأةً صعبًا، فوثبَ حصانه من نهاية الرَّصيف فوق حافة سفينةٍ محطَّمة وحَطَّ صارخًا في المياه الضَّحلة، وطارَت فأس تيريون من يده، يتبعها تيريون نفسه، الذي سقطَ بعُنفٍ على السَّطح المبتل.

وبَعد هذا سادَ الجنون.



كان حصانه قد كسرَ إحدى قوائمه ويُطلِق صرخاتٍ شنيعة، وبشكلٍ ما استطاعَ تيريون أن يسحب خنجره ويشقَّ عُنق الحيوان المسكين، فتفجَّرت منه نافورة قرمزيَّة أغرقَت ذراعي القزم وصدره، قبل أن يتمكَّن من النُّهوض ويتَّجه نحو حاجز السَّفينة، ليجد نفسه يُقاتِل ويترنَّح ويَنثُر المزيد من الماء على الأسطُح التي أغرقَها الماء بالفعل. هاجمَه رجال، فقتلَ بعضهم وجرحَ غيرهم ودفعَ آخَرين إلى الهرب، لكن آخَرين حلُّوا محلَّهم دائمًا، وفقدَ تيريون خنجره وحصلَ على حربةٍ مكسورةٍ لا يدري كيف، لكنه أطبقَ عليها وأخذَ يطعن وقد رفعَ عقيرته بالسِّباب واللَّعنات. فَرَّ منه الرِّجال وكرُّوا عليه بينما وثبَ من سفينةٍ إلى أخرى وأخرى، طيلة الوقت يُلازِمه ظِلَّاه الأبيضان، بالون سوان وماندون مور المتألِّقان في دِرعيهما الثَّلجيَّتين. قاتلَ الاثنان ظَهرًا إلى ظَهرٍ حين طوَّقتهما مجموعة من حاملي رماح ڤيلاورين، فكان قتالهما رقصةً بديعةً.

أمَّا تيريون فكان يُسَدِّد ضربات الموت على نحوٍ أخرق، فطعنَ رجلًا في كليته من الخلف، وأمسكَ آخَر من ساقه وشقلبَه في النَّهر، وهسهسَت السِّهام مارَّةً برأسه وارتطمَت بدِرعه، وانغرسَ أحدها بين كتفه وواقي الصَّدر، لكنه لم يَشعُر به البتَّة. سقطَ رجل عارٍ من السَّماء وحَطَّ على سطح السَّفينة، فتفجَّر جسده كثمرة بطِّيخ ألقاها أحدهم من علٍ، وتناثرَت دماؤه في عيني تيريون، وبدأت الحجارة تهوي من أعلى، تُحَطِّم الأسطُح وتصنع من الرِّجال عجينًا، حتى ارتجفَ الجسر كله بقوَّةٍ وتمايلَ بعُنفٍ تحت الأقدام، وأطاحَ به جانبًا.

فجأةً كانت مياه النَّهر تتدفَّق داخل خوذته، فخلعَها بعُنفٍ وزحفَ على السَّطح المائل حتى أصبحَ الماء يَبلُغ عُنقه فقط، فيما ملأَت قعقعة الهواء كصريخ وحشٍ عملاقٍ يحتضر. وجدَ تيريون ما يكفي من وقتٍ لأن يُفَكِّر: السَّفينة، إنها على وشك الانفصال. كان حُطام القوادس ينفصل ويتمزَّق، الجسر كله ينهار، وبمجرَّد أن أدركَ هذا سمعَ صوتًا كهزيم الرَّعد، ومالَ السَّطح تحت قدميه فوجدَ نفسه في الماء مجدَّدًا.

كان القادس مائلًا بزاويةٍ شديدة الانحدار، حتى إنه عادَ يصعد تسلُّقًا، يدفع نفسه بوصةً بوصةً على الخشب المتشظِّي الملطَّخ بالدَّم، ومن رُكن عينه



رأى السَّفينة الثَّقيلة التي التحمَ بها القادس تطفو مع التيَّار في اتِّجاه المصب، تدور بتؤدةٍ بينما يثب الرِّجال من على جانبها، بعضهم يحمل على صدره قلب ستانيس النَّاري وبعضهم يحمل وعل وأسد چوفري وغيرهما من الرُّموز، لكن لا فارق، فالنَّار مشتعلة في اتِّجاه المنبع واتِّجاه المصب.

على أحد جانبيه معركة ضَروس وفوضى عارمة من الرَّايات الخافقة فوق بحرٍ من المتقاتلين، وحوائط تروسٍ تتشكَّل وتتحطَّم، وفُرسان على خيولهم يخترِقون الصُّفوف، وغُبار ووحل ودماء ودُخان، وعلى الجانب الآخَر ترتفع القلعة الحمراء على تَلِّها وتنفث النَّار.

لكن القلعة على الجانب الخطأ. مرَّت لحظة وقد حسبَ تيريون أنه فقدَ عقله، أن ستانيس والقلعة تبادَلا الأماكن. كيف عبرَ ستانيس إلى الضفَّة الشَّماليَّة؟ متأخِّرًا تبيَّن أن السَّطح يدور، وأنه دارَ معه بشكلٍ ما لم يلحظه، فأخذَت كلٌّ من القلعة والمعركة موقع الأخرى. المعركة؟ أيُّ معركة؟ إذا كان ستانيس لم يَعبُر، فمَن يُقاتِل الآن؟ منعَه إرهاقه الشَّديد من التَّفكير، وأحسَّ بألمٍ رهيبٍ في كتفه، وحين مَدَّ يده يَفرُكها رأى السَّهم وتذكَّر. يجب أن أنزل من على هذه السَّفينة. في اتِّجاه المصبِّ ما من شيءٍ غير حائطٍ من النَّار، وإذا انفصلَ السَّطح فسيحمله التيَّار إليه مباشرةً.

بلغَه صوت يُنادي باسمه خفيضًا وسط جعجعة المعركة، وحاولَ تيريون أن يردَّ صائحًا: «هنا، هنا! أنا هنا! ساعِدني!»، فبدا صوته رفيعًا مبحوحًا للغاية لدرجة أنه سمعَ نفسه بالكاد. كان يسحب نفسه إلى أعلى على السَّطح المائل حتى تمسَّك بالحاجز، عندما ارتطمَ بدن القادس بالقادس المجاور بمنتهى العُنف وارتدَّ بعُنفٍ أكبر كادَ يُسقِط تيريون في الماء، فبذلَ كلَّ ما تبقَّى له من طاقةٍ للتشبُّث. أين ذهبَت قوَّتي؟

- **«سيِّدي! خُذ يدي! لورد تيريون!»**.

هناك، على سطح السَّفينة التَّالية، وعبر فجوةٍ تتَّسع من المياه السَّوداء، وقفَ ماندون مور مادًّا يده، ينعكس وهج النَّارين الصَّفراء والخضراء على بياض دِرعه بينما لوَّثت الدِّماء اللَّزجة قُفَّازه الواقي، لكن تيريون مَدَّ يده متمنيًا لو أنهما كانتا أطول.



فقط في اللَّحظة الأخيرة، حين تماسَّت أصابعهما بالفعل عبر الثَّغرة، وثبَ السُّؤال إلى عقله... السِّير ماندون يمدُّ يده اليُسرى، فلِمَ...

ألهذا السَّبب تراجعَ تيريون أم أنه رأى السَّيف بالفعل؟ لن يدري أبدًا.

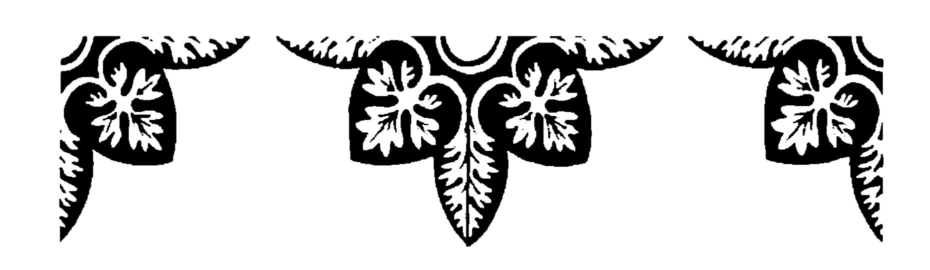
هوَت الضَّربة تحت عينيه مباشرةً، وشعرَ بلمسةٍ باردةٍ صُلبةٍ على وجهه تبعَها لهيب الألم، ودارَ رأسه كأن هناك من صفعَه، فكانت صدمة المياه الباردة بمثابة صفعةٍ ثانيةٍ أعنف من الأولى. مَدَّ يده محاولًا التشبُّث بأيِّ شيءٍ، عالمًا علم اليقين أنه إذا غاصَ فلن يطفو ثانيةً أبدًا، وبوسيلةٍ ما وجدَت يده طرف مجذافٍ مهشَّم، فتمسَّك بها كحبيبٍ يائسٍ وبدأ يصعد قدمًا قدمًا، عيناه كلتاهما ماء، وفمه كله دماء، وآلاف المطارقِ تدقُّ في جمجمته. امنحيني القوَّة لبلوغ السَّطح أيتها الآلهة... لا شيء هنالك غير المجذاف والمياه والسَّطح.

أخيرًا تدحرجَ على السَّطح وتمدَّد على ظَهره متقطِّع الأنفاس خائر القوى، وطقطقَت كرات اللَّهب الأخضر والبرتقالي في الهواء فوق رأسه تاركةً خيوطًا ناريَّةً بين النُّجوم، وطيلة لحظةٍ واحدةٍ جالَ بخلده أن منظرها يبدو جميلًا حقًّا، قبل أن يحجبها السير ماندون فجأةً. كان الفارس ظِلًّا فولاذيًّا أبيض تلمع عيناه الدَّاكنتان تحت خوذته، وتيريون بلا حيلةٍ كدُميةٍ من القُماش، وسدَّد السير ماندون رأس سيفه إلى حَلقه وكوَّر بيديه معًا على المقبض.

ثم إنه ترنَّح إلى اليسار فجأةً وارتطمَ بالحاجز، وانقسمَ الخشب ليَسقُط السير ماندون صارخًا ويَنثُر الماء، وفي اللَّحظة التَّالية تصادمَ بدنا القادسين مرَّةً أخرى بعُنفٍ جعلَ السَّطح يبدو كأنه وثبَ في الهواء. كان أحدهم راكعًا إلى جواره، فتمتمَ بصوتٍ مبحوح والدَّم الذي أفعمَ فمه يكاد يَخنُقه: «چايمي؟». مَن منقذه إذن إن لم يكن أخاه؟

قال الصَّوت: «اثبت يا سيِّدي. إنك مصاب بشدَّة»، ففكَّر تيريون: لا أفهمُ، إنه صوت صبي... صوت أقرب إلى صوت پود.





سانزا

حين قال السير لانسل لانستر للملكة إنهم خسروا المعركة، قلبَت كأس النَّبيذ الفارغة في يدها، وقالت: «قُل هذا لأخي أيها الفارس». كان صوتها شاردًا كأن الخبر لا يعنيها كثيرًا.

- «أخوكِ ماتَ على الأرجح». كانت سُترة السير لانسل غارقةً بالدَّم السَّائل من باطن ذراعه، ولمَّا دخلَ القاعة دفعَ منظره عددًا من الضُّيوف إلى الصُّراخ. «نعتقدُ أنه كان فوق جسر المراكب حين تحطَّم، وغالبًا ماتَ السير ماندون أيضًا، ولا أحد يُمكنه العثور على كلب الصَّيد. بحَقِّ الآلهة الملعونة يا سرسي، لماذا جعلتِهم يُعيدون چوفري إلى القلعة؟ ذوو المعاطف الذَّهبية يُلقون حرابهم ويفرُّون بالمئات، فقدوا شَجاعتِهم كلها حين رأوا الملك يُغادِر. النَّهر الأسود كله حطام وحرائق وجُثث، لكن كنا لنستطيع الصُّمود لو...».

دفعَه أوزني كِتلبلاك متقدِّمًا وخاطبَ سرسي قائلًا: «القتال يدور على ضفَّتي النَّهر الآن يا جلالة الملكة. التَّخمين أن عددًا من لوردات ستانيس يُقاتِلون بعضهم بعضًا، لكن لا أحد يستطيع الجزم، فالوضع مرتبك تمامًا هناك. كلب الصَّيد رحلَ ولا أحد يدري إلى أين، والسير بالون انسحبَ إلى المدينة، والعدوُّ استولى على هذه الضفَّة من النَّهر، ويضرب بوَّابة الملك بالمِدَكِّ من جديد، والسير لانسل على حَق، فرجالكِ يهربون من مواقعهم على الأسوار ويَقتُلون ضبَّاطهم، والغوغاء على بوَّابة الحديد وبوَّابة الآلهة يُكافِحون للخروج، كما أن السَّكارى أشعَلوا «جُحر البراغيث» كله شغبًا».



قالت سانزا في قرارة نفسها: لترحمنا الآلهة، إنها النِّهاية، چوفري فقدَ رأسه وفقدتُ رأسي معه، وبحثَت بعينيها عن جلَّاد الملك، لكن السير إلين لم يكن موجودًا، ففكَّرت: لكنني أشعرُ به. إنه قريب. لن أهرب منه وسيقطع رأسي.

بهدوءٍ عجيب التفتَت الملكة إلى أوزفريد قائلةً: «ارفعوا الجسر المتحرِّك وأوصِدوا الأبواب. لا أحد يَدخُل أو يُغادِر حصن ميجور دون إذني».

- «وماذا عن النِّساء اللاتي ذهبن للصَّلاة؟».

- «لقد اخترن أن يَخرُجن من تحت حمايتي، فدعهن لصلاتهن، ولربما تُدافِع عنهن الآلهة. أين ابني؟».

- «عند مبنى بوَّابة القلعة. أرادَ أن يقود رُماة النُّشَّابيَّة. ثمَّة دهماء يعوون في الخارِج، نِصفهم من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة الذين ذهبوا معه حين تركَ بوَّابة الطَّمي».

- «اجعلوه يَدخُل حصن ميجور في الحال».

- «لا!». كان لانسل غاضبًا لدرجة أنه نسيَ أن يخفض صوته، فالتفتَت إليهم الرُّؤوس وهو يصيح: «سيتكرَّر ما حدثَ عند بوَّابة الطَّمي. دعيه يبقى حيث هو. إنه الملك...».

قاطعَته سرسي لانستر: «إنه ابني»، ونهضَت متابعةً: «تدَّعي أنك من آل لانستر أيضًا يا ابن العم، فأثبِت هذا. أوزفريد، لماذا تقف هنا؟ في الحال يعني اليوم!».

أسرعَ أوزفريد كِتلبلاك يُغادِر القاعة ومعه أخوه، فيما بدأ ضيوف كُثر يهرعون إلى الخارج أيضًا، وارتفعَ بكاء بضع نساءٍ ودعاء غيرهن، أمَّا الأخريات فقد ظللن جالساتٍ إلى الموائد ببساطةٍ وطلبن المزيد من النَّبيذ. قال السير لانسل متوسِّلًا: «سرسي، إذا خسرنا هذه القلعة، فسيُقتَل چوفري في جميع الأحوال، تعلمين هذا. دعيه يبقى في مكانه وسألازِمه بنفسي، أقسمُ لكِ...».

- «ابتعد عن طريقي»، قالت سرسي ضاربةً جرحه بكَفِّها المفتوحة، فصرخَ السير لانسل ألمًا وكادَ يفقد الوعي، أمَّا الملكة فخرجَت من القاعة



دون أن تُلقي على سانزا نظرةً واحدةً. لقد نسيَتني. سيقتُلني السير إلين ولن تُفَكِّر فيَّ حتى.

ولولَت واحدة من النِّسوة: «يا للآلهة، لقد ضِعنا، خسرنا المعركة، إنها تفرُّ!»، وارتفعَ بكاء أطفال كثيرين. لا بُدَّ يُحِسُّون بالخوف السَّائد في المكان. وجدَت سانزا نفسها بمفردها على المنصَّة. أعليها أن تبقى هنا أم تهرع وراء الملكة وتتوسَّل العفو عن حياتها؟

لا تدري لماذا نهضَت، لكنها فعلَت ورفعَت صوتها قائلةً: «لا تخافوا، فالملكة رفعَت الجسر المتحرِّك. هذا أأمن مكان في المدينة، وهناك جُدران سميكة وخندق وخوازيق...».

قالت امرأة تعرفها معرفةً عابرةً، زوجة أحد اللوردات صغار الشَّأن: «ماذا حدثَ؟ ماذا قال لها أوزني؟ هل جُرِحَ الملك أم سقطَت المدينة؟»، وصاحَت امرأة ثانية: «أخبِرينا!»، وسألَت ثالثة عن أبيها، ورابعة عن ابنها.

رفعَت سانزا يديها طالبةً الهدوء قائلةً: «چوفري عادَ إلى القلعة، وليس جريحًا. إنهم ما زالوا يُقاتِلون، هذا كلُّ ما أعرفه، يُقاتِلون بشَجاعة. الملكة ستعود قريبًا». الجزء الأخير من جملتها كذب، لكن كان عليها تهدئتهم. لاحظَت المهرِّجيْن واقفيْن تحت الشُّرفة، فقالت: «أضحِكنا يا فتى القمر».

تشقلبَ فتى القمر كالعجلة ووثبَ فوق مائدة، وتناولَ أربع كؤوس وبدأ يقذفها ويلتقطها تباعًا في الهواء، بين الحين والآخَر يَسقُط أحدها ويتهشَّم على رأسه، فتتردَّد بضع ضحكاتٍ عصبيَّة في القاعة. ذهبَت سانزا إلى السير لانسل وركعَت إلى جواره، فوجدَت جرحه ينزف من جديدٍ حيث لطمَته الملكة، وقال لاهثًا: «جنون. العِفريت كان مصيبًا بحَقِّ الآلهة، كان مصيبًا...».

قالت آمرةً لاثنين من الخدم: «ساعِداه»، فرمقَها أحدهما ثم ولَّى الأدبار حاملًا إبريق نبيذ، وكان خدم آخَرون يُغادِرون القاعة أيضًا، لكنها مكتوفة اليدين أمام ذلك، وهكذا ساعدَت سانزا والخادم الثَّاني الفارس المصاب على النُّهوض، وقالت للرَّجل: «خُذه إلى المِايستر فرنكن». على الرغم من أن لانسل لانستر منهم، فإنها لم تقوَ على أن تتمنَّى موته. إنني لينة وضعيفة وحمقاء بحَقٍّ كما يقول چوفري. حريٌّ بي أن أقتله لا أن أساعده.



كان ضوء المشاعل قد بدأ يخفت، وانطفأ اثنان منها بالفعل، لكن لا أحد كلَّف نفسه مشقَّة استبدالهما، وسرسي لم ترجع.

صعدَ السير دونتوس إلى المنصَّة بينما تابعَت الأعيُن كلها المهرِّج الثَّاني، وهمسَ لها: «عودي إلى غُرفتك يا جميلتي چونكويل. أوصِدي الباب على نفسكِ وستكونين في أمانٍ أكثر هناك. سآتِ إليكِ عندما تنتهي المعركة».

أحدهم سيأتي إليَّ، لكن هل سيكون أنت أم السير إلين؟ انتابَتها لوثة لحظةً وفكَّرت أن تتوسَّل إلى دونتوس أن يُدافِع عنها، فقد كان فارسًا وتدرَّب على المبارَزة وأقسمَ على حماية الضُّعفاء. لكنه لا يملك الشَّجاعة أو المهارة. سوف أقتله معي لا أكثر.

تطلَّب الخروج من قاعة حفلات الملكة بمشيةٍ بطيئة كلَّ قوتها فيما اشتدَّت رغبتها في الرَّكض، لكن حين بلغَت الدَّرجات الملتفَّة بدأت تصعدها ركضًا حقًّا حتى تقطَّعت أنفاسها وأصابها الدُّوار. اصطدمَ بها أحد الحُرَّاس على السَّلالم، فسقطَت كأس نبيذٍ مرصَّعة بالجواهر وزوج من الشَّمعدانات الفضِّيَّة من المعطف الأحمر الذي لَفَّه حولها، فأسرعَ وراء غنيمته بمجرَّد أن قرَّر أن سانزا لن تُحاوِل أن تسلبه إياها.

وجدَت الظَّلام في غُرفتها دامسًا، وأوصدَت الباب وتحرَّكت متعثِّرةً نحو النَّافذة، وحين أزاحَت السَّتائر احتبسَت الأنفاس في حَلقها.

كان الأُفق الجَنوبي مشتعلًا بألوانٍ وهَّاجة تتبدَّل كلَّ لحظة، وقد انعكسَت على سمائه الحرائق المضطرمة في الأسفل، فينهمر الطُّوفان الأخضر المهلك على بطون السَّحاب، وتسيل بِرك الضَّوء البرتقالي على السَّماء، يتقاتَل أحمر وأصفر النَّار التَّقليديَّة مع زمرُّد ويَشب النَّار الشَّعواء، ويتأجَّج كلُّ لونٍ ثم يخبو متمخِّضًا عن جيوشٍ من ظلالٍ قصيرة الحياة تموت بَعد لُحيظات، ويُفسِح ألف فَجرٍ أخضر الطَّريق لألف غَسقٍ بُرتقالي في غمضة عين. بدا كأن الهواء ذاته يحترق، تُفعمه تلك الرَّائحة التي تفوح عندما تُنسى قِدر الحَساء على النَّار طويلًا حتى تتبخَّر محتوياتها كلها، وتطايرَت الجمار في سواد اللَّيل كأسرابٍ وأسرابٍ من الحشرات المضيئة.

تراجعَت سانزا بعيدًا عن النَّافذة منسحبةً نحو أمان فِراشها، وقالت لنفسها:



سأخلدُ إلى النَّوم، وحين أستيقظُ سيكون يوم جديد قد أتى، وتعود السَّماء زرقاء ثانيةً. سيكون القتال قد انتهى، ويقول لي أحدهم إن كنتُ سأعيشُ أم أموتُ. تمتمَت منتحبةً: «ليدي»، وتساءلَت إن كانت سترى ذئبتها ثانيةً بَعدما تموت.

ثم تحرَّك شيء ما من ورائها، وامتدَّت يد من الظَّلام وقبضَت على ذراعها. فتحَت سانزا فاها لتَصرُخ، لكن يدًا أخرى أطبقَت على وجهها كالكُلَّاب لتَكتُم الصَّرخة. كانت أصابعه خشنةً ثخينة الجِلد وملوَّثة بالدِّماء اللَّزجة، وقال لها بصوته الأجش السَّكران: «كنتُ أعرفُ أنكِ ستأتين أيتها الطَّائر الصَّغير».

في الخارج انغرسَ رُمح دوَّار من الضوء اليَشبي في النُّجوم وملأَ الغُرفة بالوهج، فرأته سانزا لحظةً، أخضر وأسود، والدَّم على وجهه داكن كالقطران، تلتمع عيناه كعيني كلب في الوميض المباغت، ثم خبا الضَّوء وعادَ كُتلةً من الظَّلام ترتدي معطفًا أبيض متَّسخًا.

- «سأقتلكِ إذا صرختِ، صدِّقي هذا»، ورفعَ كلب الصَّيد يده عن فمها وسمعَته يتنفَّس بخشونة. كان قد وضعَ إبريقًا من النَّبيذ على المنضدة المجاورة لِفراشها، فجرعَ منه طويلًا قبل أن يقول: «ألا ترغبين في معرفة الفائز بالمعركة أيتها الطَّائر الصَّغير؟».

قالت مرتعبةً من تحدِّيه: «مَن؟».

ضحكَ كلب الصَّيد مجيبًا: «لا أعرفُ إلَّا الخاسر، أنا».

إنه سكران أكثر مما رأيته من قبل. كان نائمًا في فِراشي. ماذا يُريد مني؟ «ماذا خسرت؟».

كان النِّصف المحترق من وجهه قناعًا من الدَّم الجاف وهو يقول: «كلَّ شيء. القزم اللَّعين، كان عليَّ أن أقتله منذ سنوات».

- «يقولون إنه ماتَ».

- «ماتَ؟ لا، اللَّعنة على هذا، لا أريده أن يموت»، وطوَّح الإبريق الفارغ بعيدًا، وتابعَ: «أريده أن يحترق! لو أن الآلهة آلهة حقًّا فستُحرِقه، لكنني لن أكون هنا لأشهد هذا. إنني راحل».

ردَّدت محاولةً التملُّص من قبضته الحديديَّة: «راحل؟».



- «الطَّائر الصَّغير تُرَدِّد كلَّ ما تسمعه. راحل، نعم».
- «أين ستذهب؟».
- «بعيدًا عن هنا، بعيدًا عن النَّار. سأخرجُ من بوَّابة الحديد على ما أعتقدُ، وأذهبُ إلى مكانٍ ما شَمالًا، أيِّ مكان».
- «لن تستطيع الخروج. الملكة أغلقَت حصن ميجور، وبوَّابات المدينة مغلقة أيضًا».
- «ليست مغلقةً في وجهي، كما أن لديَّ هذا»، وربَّت على قبيعة سيفه مواصلًا: «مَن يُحاوِل إيقافي رجل ميت، ما لم يكن مشتعلًا بالفعل»، وأطلقَ ضحكةً مريرةً.
- «لماذا أتيت إلى هنا؟».
- «لقد وعدتِني بأغنيَّة أيتها الطَّائر الصَّغير، أم أنكِ نسيتِ؟».

لم تفهم ما قاله، ولا يُمكنها الغناء الآن، هنا، بينما تحترق السَّماء ذاتها ويموت الرِّجال بالمئات والآلاف. هكذا قالت: «لا أستطيعُ. اترُكني، إنك تُخيفني».
- «كلُّ شيءٍ يُخيفكِ. انظُري إليَّ... انظُري إليَّ!».

كانت الدِّماء تكسو أغلب ندوب وجهه، لكن عينيه بديتا بيضاوين وواسعتين ومخيفتين، وارتعشَ جانب فمه المحترق وارتعشَ، وأفعمَت رائحته أنف سانزا، رائحة العَرق والنَّبيذ المُرِّ والقيء، وفوق كلِّ شيءٍ رائحة الدَّم والدَّم والدَّم.

بصوتٍ مبحوح قال: «يُمكنني الحفاظ على سلامتكِ. كلهم خائفون مني، ولا أحد سيُؤذيكِ ثانيةً وإلَّا قتلته»، وجذبَها إليه فحسبَت لحظةً أنه سيُقَبِّلها، ولـمَّا كان أقوى من أن تستطيع مقاوَمته، فقد أغلقَت عينيها راغبةً أن ينتهي الأمر، لكن شيئًا لم يَحدُث، وسمعَته يقول: «ما زلتِ لا تطيقين النَّظر إليَّ، أليس كذلك؟»، ثم عادَ يجذبها بقوَّةٍ ودوَّرها ودفعَها على الفِراش قائلًا: «سأسمعُ منكِ هذه الأغنيَّة. قلتِ إنها عن فلوريان وچونكويل»، واستلَّ خنجره وسدَّده إلى حَلقها متابعًا: «غنِّي أيتها الطَّائر الصَّغير، غنِّي من أجل حياتكِ».



شعرَت بحَلقها مسدودًا جافًّا من فرط خوفها، وفرَّت كلُّ أغنيَّةٍ تعلَّمتها في حياتها من عقلها، فأرادَت أن تَصرُخ: أرجوك لا تَقتُلني، أرجوك. أحسَّت به يُدَوِّر رأس الخنجر ويغرسه في رقبتها، وكادَت تُغلِق عينيها من جديد، لكنها تذكَّرت. إنها ليست أغنيَّةً عن فلوريان وچونكويل، لكنها أغنيَّة، وإذ بدأت تُنشِد، بدا صوتها رفيعًا خفيضًا راجفًا في أُذنيها.

لكِ نصلي،
أيتها الأمُّ العَطوف، يا ينبوعَ الحِلم
أنقذي أبناءنا من هذي الحرب
ثبِّتي السيوفَ واحفظي الأسهُم
ودعيهم يشهدون يومًا أفضل
أيتها الأمُّ الرَّءوف، يا أقدر النِّساء
انجدي بناتنا من هذا النِّزاع
سكِّني الغضبَ وروضي السُّخطَ
وأرشدينا جميعًا لطريقٍ أقوم

أمَّا الأبيات التَّالية فنسيَتها، وحين خفتَ صوتها أخيرًا كانت تخشى أنه سيَقتُلها، لكن بَعد وهلةٍ رفعَ كلب الصَّيد رأس الخنجر عن حَلقها دون أن يقول شيئًا، فحدَت بها غريزة ما مجهولة إلى أن ترفع يدها وتضع أصابعها على وجنته. لم تستطِع أن ترى وجهه في ظلام الغُرفة، لكنها شعرَت بلزوجة الدَّم، وبنوعٍ آخَر من البلل لم يكن دمًا. «أيتها الطَّائر الصَّغير»، قال مجدَّدًا بصوتٍ خشنٍ كاحتكاك الفولاذ بالحجر، ثم إنه نهضَ من الفِراش، وسمعَت سانزا صوت قُماشٍ يتمزَّق، تبعَه وقع أهدأ لخطواتٍ تبتعد.

كانت وحدها عندما زحفَت ناهضةً من الفِراش بَعد فترةٍ طويلة، ووجدَت معطفه مكوَّمًا ملتفًّا على نفسه على الأرض، وقد لوَّثت الدِّماء والنِّيران الصُّوف الأبيض. حينئذٍ كانت السَّماء أكثر قتامةً، ليس فيها غير بضعة أشباح خضراء شاحبة تتراقَص بين النُّجوم، ونفضَت سانزا المعطف الممزَّق وتكوَّرت تحته ترتجف على الأرض.



لا تدري كم ظلَّت هناك، لكن بَعد مدَّةٍ ما سمعَت ناقوسًا يدقُّ من مكانٍ بعيدٍ في المدينة، يدقُّ بصوتٍ برونزي عميق مدوٍّ يتسارَع عقب كلِّ دقَّة. كانت تتساءَل عن معناه حين انضمَّ إليه ناقوس ثانٍ وثالث، فتردَّد الرَّنين عبر التِّلال والشَّوارع والأزقَّة والأبراج وانتشرَ في كلِّ رُكنٍ من كينجز لاندنج، فأزاحَت سانزا المعطف وذهبَت إلى نافذتها.

كانت خيوط الفَجر الشَّاحبة الأولى تلوح في الشَّرق، والآن كانت أجراس القلعة الحمراء تدقُّ أيضًا لتنضمَّ إلى النَّهر الرنَّان المتدفِّق من بروج سِپت بيلور الكبير البلَّوريَّة السَّبعة. تذكَّرت أنهم دقُّوا الأجراس حين ماتَ الملك روبرت، لكن هذه الدقَّات مختلفة، ليست دقَّات الموت المتمهِّلة الكئيبة، بل دقَّات بهجةٍ راعدة، وسمعَت سانزا النَّاس يهتفون في الشَّوارع، ترتفع أصواتهم بشيءٍ ربما يكون تهليلًا.

السير دونتوس هو من جاءَها بالأخبار. دخلَ مترنِّحًا من بابها المفتوح وطوَّقها بذراعين مترهِّلتين وأخذَ يدور بها في الغُرفة ويدور، ينهال من فمه سيل من الكلام غير المفهوم حتى إنها لم تستوعب شيئًا على الإطلاق. كان سكرانًا ككلب الصَّيد، لكن سُكره بدافع السَّعادة، ولمَّا أنزلَها كانت تلهث ورأسها يدور، فتمسَّكت بأحد قوائم السَّرير قائلةً: «ما الأمر؟ ماذا حدثَ؟ أخبِرني!».

- «المعركة انتهَت! انتهَت! انتهَت! أُنقِذَت المدينة! اللورد ستانيس ماتَ، اللورد ستانيس هربَ، لا أحد يدري، لا أحد يُبالي، لكن جيشه تحطَّم وزالَ الخطر، ذُبِحَ رجاله أو تفرَّقوا أو انشقُّوا كما يقولون. أوه، الرَّايات البرَّاقة! الرَّايات يا چونكويل، الرَّايات! ألديكِ نبيذ؟ علينا أن نشرب نخب هذا اليوم، نعم. ألا تفهمين؟ معنى هذا أنكِ آمنة».

هزَّته سانزا قائلةً بصرامة: «أخبِرني بما حدثَ».

ضحكَ السير دونتوس وتواثبَ من قدمٍ إلى أخرى حتى كادَ يَسقُط، وقال بحماسة: «جاءوا من قلب الرَّماد والنَّهر يحترق. النَّهر، كان ستانيس غارقًا في النَّهر حتى العُنق، وباغَتوه من المؤخِّرة. أوه، ليتني كنتُ فارسًا من جديد، ليتني كنتُ جزءًا من هذا المجد! يقولون إن رجاله قاوَموا بالكاد، وبعضهم



فَرَّ، لكن أغلبهم ركعَ وانشقَّ هاتفًا باسم اللورد رنلي! تُرى ما الذي دارَ في خلد ستانيس حين سمعَ الهتاف؟ سمعتُ الأخبار من أوزني كِتلبلاك الذي سمعها من السير أوزموند، لكن السير بالون عادَ أيضًا ورجاله يقولون الكلام نفسه، وذوو المعاطف الذَّهبيَّة كذلك. جاءوا على الطَّريق الوردي وتحرَّكوا بمحاذاة ضفَّة النَّهر، عبروا الحقول التي أحرقَها ستانيس، وأحاطَت بهم سُحب الرَّماد صابغةً دروعهم بالرَّمادي، لكن أوه! لا بُدَّ أن الرَّايات كانت تلمع، الوردة الذَّهبيَّة والأسد الذَّهبي وغيرهما، شجرة ماربراند وشجرة روان وصيَّاد تارلي وعنقود عنب ردواين وورقة شجر أوكهارت. الغَرب بأكمله جاءَ، كلُّ قوَّة هايجاردن وكاسترلي روك! اللورد تايوين قادَ جناحهم الأيمن بنفسه على جانبِ النَّهر الشَّمالي، وقادَ راندل تارلي القلب ومايس تايرل الميسرة، لكن الطَّليعة هي التي فازَت بالقتال. اخترقوا صفوف ستانيس كما يخترق الرُّمح حبَّة اليقطين، وكلُّ رجلٍ منهم يعوي كشيطانٍ يرتدي الفولاذ. وهل تعلمين من قادَ الطَّليعة؟ هل تعلمين؟ هل تعلمين؟ هل تعلمين؟!».

كان ذلك أكثر مما تستطيع أن تأمل، لكن... «روب؟».

- «رنلي! كان اللورد رنلي في دِرعه الخضراء والنَّار تلتمع على قرون خوذته الذَّهبيَّة! اللورد رنلي وفي يده رُمح طويل! يقولون إنه قتلَ السير جايارد موريجن بنفسه في نزالٍ فردي، ودستة من الفُرسان العظام الآخَرين أيضًا. كان رنلي، كان رنلي، كان رنلي! أوه، الرَّايات يا سانزا الحبيبة! أوه، ليتني كنتُ فارسًا!».





دنيرس

كانت تتناوَل إفطارًا من حَساء الرُّوبيان والتِّين الكاكي البارد، عندما أتَتها إيري بالفُستان الكارثيني الأنيق الهفهاف، المصنوع من السَّميت العاجي المطرَّز باللآلئ الدَّقيقة، فقالت داني: «لا أريده. الميناء ليس مكانًا ملائمًا للثِّياب الفاخرة».

ما دامَ شعب الحليب يحسبها همجيَّةً لهذه الدَّرجة، فسترتدي الملابس التي تليق بالدَّور، وهكذا حين ذهبَت إلى الاسطبلات كانت ترتدي سراويل من الحرير الرَّملي الباهت وخُفًّا من العُشب المضفَّر، بينما تحرَّك نهداها الصَّغيران بحُريَّةٍ تحت الصُّدرة الدوثراكي الملوَّنة، وتدلَّى خنجرها المعقوف من حزام الرَّصائع الذي طوَّق خصرها، وقد جدلَت چيكوي شَعرها على طريقة الدوثراكي، وثبَّتت جرسًا فضِّيًّا في طرف الجديلة. عندما حاولَت أن تقول لوصيفتها والجرس يرنُّ بخفوتٍ إنها لم تُحَقِّق أيَّ انتصارات، فلم تُوافِقها چيكوي، وقالت: «لقد أحرقتِ المايجي في بيتهم التُّراب وأرسلتِ أرواحهم إلى الجحيم».

أرادَت داني أن تقول: هذا انتصار دروجون لا انتصاري، لكنها لاذَت بالصَّمت، إذ قرَّرت أن الدوثراكي سيُبَجِّلونها أكثر فأكثر مع وجود بضعة أجراسٍ في شَعرها، ولمَّا امتطَت فَرسها الفضِّيَّة مصدرةً الرَّنين، وظلَّت تُصدِره مع حركة الفَرس، لم يُعَلِّق السير چورا أو خيَّالا دمها على الأمر. كانت قد اختارَت راگارو لحماية قومها وتنانينها في غيابها، فيما سيذهب چوجو وآجو معها إلى السَّاحل.



تركوا القصور الرُّخام والحدائق الغنَّاء وراءهم، وشقُّوا طريقهم عبر الأنحاء الأكثر فقرًا من المدينة، حيث تطلُّ جُدران المنازل المتواضعة المبنيَّة بالقرميد مصمتةً على الطُّرقات، وتقلُّ الخيول والجِمال وتَندُر الهوادج، وإن عجَّت الشَّوارع بالأطفال والشحَّاذين والكلاب النَّاحلة الصَّفراء كالرِّمال، ووقفَ أناسٌ شاحبو البشرة يرتدون تنُّوراتٍ كتَّانيَّة مغبَّرة في المداخل المقنطرة وشاهَدوهم يمرُّون. إنهم يعرفون مَن أكونُ، ولا يُكنُّون لي مودَّةً. رأت داني هذا جليًّا في النَّظرات التي حدَجوها بها.

كان السير چورا يُفَضِّل أن تتوارى في هودجها وراء الأستار الحريريَّة، لكنها رفضَت. لقد اضطجعَت طويلًا على الوسائد الوثيرة، وتركَت الثِّيران تحملها هنا وهناك، لكن حين تركب فَرسها، فإنها تَشعُر كأنها ذاهبة إلى مكانٍ ما على الأقل.

إنها لا تسعى إلى السَّاحل باختيارها، بل لأنها في سبيلها إلى الفرار من جديد. يبدو لها أن حياتها كلها فرار واحد طويل، بدأته في رحِم أمِّها ولم تتوقَّف يومًا منذ ذلك الحين. كم مرَّةً تسلَّلت هاربةً مع ڤسيرس في جوف اللَّيل وقد سبقا قتَلة الغاصِب المأجورين بخطوةٍ واحدة؟ حينها كان إمَّا أن يفرَّا أو يموتا، والآن عرفَ زارو أن پيات پري يجمع مَن نجوا مِن الدجَّالين ليَطبُخوا لها شَرًّا ما.

ضحكَت داني عندما أخبرَها، وقالت: «ألست أنت مَن قُلت لي إن الدجَّالين كالجُنود المسنِّين الذين يظلُّون يتباهون بشراستهم بَعدما فارقَتهم كلُّ طاقةٍ أو مهارة؟».

لاحَ التوتُّر على زارو وهو يقول: «كان هذا صحيحًا وقتئذٍ، أمَّا الآن فلم أعد واثقًا. يُقال إن الشُّموع الزُّجاج مشتعلة في دار أوراثون سيَّار اللَّيل كما لم يَحدُث منذ مئة عام، وإن العُشب الشَّبحي ينمو في حديقة جيهان، وشوهِدَت أطياف سلاحف تحمل رسائل بين البيوت عديمة النَّوافذ في درب الدجَّالين، وجميع جرذان المدينة تلتهم ذيولها، وزوجة ماثوس مالاراوان، التي سخرَت ذات مرَّةٍ من رداء أحد الدجَّالين الكالح الذي أكلَته العثَّة، أصيبَت بالجنون وتَرفُض ارتداء الثِّياب على الإطلاق، وحتى الحرير المغسول لتوِّه يُشعِرها



كأن ألف حشرةٍ تزحف على جِلدها، وساياسيون الأعمى آكِل العيون استردَّ بصره، أو هكذا يُقسِم عبيده. لا مناص إذن من أن تُفعِم التَّساؤلات نفس المرء»، وتنهَّد وأضافَ: «إننا نشهد أوقاتًا غريبةً في كَارث، والأوقات الغريبة تضرُّ التِّجارة. يُحزِنني أن أقولها، لكن لعلَّ الأفضل أن تَترُكي كَارث تمامًا، وعاجلًا خير من آجلًا»، وتحسَّس أصابعها مُطَمْئِنًا، وأردفَ: «لكنكِ لستِ مضطرَّةً للذَّهاب وحدكِ. لقد شاهدتِ رؤًى قاتمةً في قصر الغُبار، لكن زارو رأى أحلامًا مشرقةً. أراكِ في الفِراش سعيدةً، تَضُمِّين طفلنا إلى صدركِ. أبحِري معي في أرجاء بحر اليَشب وسنُحَقِّق هذه الأحلام. ما زالت الفُرصة سانحةً. امنحيني ابنًا يا أغنيَّة البهجة الفاتنة!».

امنحيني تنيِّنًا تقصد. «لن أتزوَّجك يا زارو».

اكتسى وجهه بقناعٍ باردٍ حينها، وقال: «ارحلي إذن».

- «لكن أين؟».

- «إلى مكانٍ بعيدٍ عن هنا».

ربما آنَ الأوان حقًّا. لقد رحَّب أفراد گالاسارها بفُرصة التَّعافي من ويلات القَفر الأحمر، أمَّا الآن وقد استراحوا وعادَت أجسادهم تمتلئ، فقد بدأوا يتصرَّفون بفوضى. الدوثراكي ليسوا معتادين على المكوث مدَّةً طويلةً في مكانٍ واحد، وليسوا مخلوقين للمعيشة في المُدن، فلعلَّها بقيَت في كَارث فترةً أطول من اللَّازم بالفعل إذ أغوَتها محاسنها وما فيها من عديد وسائل الرَّاحة. جالَ بخاطرها أنها مدينة تعدُ دومًا بأكثر مما تُعطي، كما أن وجودها فيها لم يَعُد محلَّ التَّرحاب السَّابق منذ انهارَ بيت الخالدين وسط عاصفةٍ عاتية من الدُّخان واللَّهب، فبين عشيَّةٍ وضُحاها تذكَّر الكَارثين أن التَّنانين مخلوقات خطِرة، ولم يعودوا يُبارون بعضهم بعضًا على منحها الهدايا، وبدلًا من هذا دعَت أخوَّة التورمالين علانيةً إلى طردها، فيما دعَت عُصبة العطَّارين العريقة إلى موتها، وبذلَ زارو قصارى جهده ليمنع رابطة الثَّلاثة عشر من الانضمام إليهم.

لكن أين أذهبُ؟ اقترحَ السير چورا أن يتوغَّلوا شَرقًا أكثر، بعيدًا عن أعدائها في الممالك السَّبع، بينما فضَّل خيَّالة دمها العودة إلى بحر العُشب



العظيم، حتى إذا كان هذا يعني الإقدام على مواجَهة القَفر الأحمر مرَّةً أخرى، بينما داعبَت مخيِّلة داني نفسها فكرة الاستقرار في ڤايس تولورو حتى يتعاظَم حجم تنانينها وتزداد قوَّتهم، لكن الشُّكوك أفعمَت قلبها، فبشكلٍ ما أحسَّت أن كلًّا من تلك الخيارات خاطئ... وحتى إذا قرَّرت وجهتهم، فيظَلُّ التَّساؤل عن وسيلة الوصول إلى هناك يُكَدِّرها.

تعلم الآن أن زارو زون داكسوس لن يكون ذا عونٍ لها، فعلى الرغم من تعبيره المستمرِّ عن حُبِّه وإخلاصه، فإنه يلعب لُعبته الخاصَّة، تمامًا مِثل پيات پري. ليلة طلبَ زارو منها الرَّحيل، توسَّلت داني منه معروفًا أخيرًا، فسألَها: «ماذا؟ أتُريدين جيشًا؟ أم جرَّةً من الذَّهب؟ أم سفينةً ربما؟».

تورَّد وجه داني التي تكره التوسُّل خجلًا، وأجابَت: «سفينة، أجل».

تألَّقت عينا زارو كالجواهر التي على أنفه وهو يقول: «أنا تاجر يا گاليسي، فربما حانَ الوقت إذن لأن نكفَّ عن الكلام عن العطاء ونتكلَّم في التِّجارة. مقابل واحدٍ من تنانينكِ، ستحصلين على أفضل عشر سُفنٍ في أسطولي، وما عليكِ إلَّا أن تقولي تلك الكلمة الواحدة الحُلوة».

- «لا».

قال زارو باكيًا: «للأسف ليست هذه الكلمة التي أعنيها».

- «أيُمكن أن تَطلُب من أمٍّ أن تبيع أحد أطفالها؟».

- «ولِمَ لا؟ إنها تستطيع إنجاب المزيد في أيِّ وقت. الأمَّهات يبعن أطفالهن كلَّ يوم».

- «ليس أمُّ التَّنانين».

- «ولا مقابل عشرين سفينةً حتى؟».

- «ولا مقابل مئة».

مَطَّ شفته السُّفلى قائلًا: «لا أملكُ مئة سفينة، لكن لديكِ ثلاثة تنانين. أعطيني واحدًا لقاء كرمي وإحساني، وسيظلُّ لديكِ اثنان... وثلاثون سفينةً».

ثلاثون سفينةً تكفي لإنزال جيشٍ صغير على ساحل وستروس. لكنني لا أملكُ جيشًا صغيرًا. «كم سفينةً تملكُ يا زارو؟».

- «ثلاث وثمانون سفينةً، دون عَدِّ مركب النُّزهات».



- «ولدى زملائك في رابطة الثَّلاثة عشر؟».
- «نملك معًا نحو ألف سفينة».
- «وماذا عن العطّارين وأخوَّة التورمالين؟».
- «أسطولاهما تافهان بلا قيمة».
- «ولو. أخبِرني».
- «العطّارون لديهم ألف ومئتان أو ألف وثلاثمئة، والأخوَّة لا تملك أكثر من ثمانمئة».
- «والآشايئيُّون والبراڤوسيون والإيبنيزيُّون وأبناء جُزر الصَّيف وكلُّ الشُّعوب التي تَمخُر غباب البحر المالح العظيم؟ كم سفينةً يملكون مجتمعين؟».
أجابَ بضيق: «عدد هائل. ما أهميَّة كلِّ هذا؟».
قالت داني: «أحاولُ فقط أن أحدِّد ثَمن واحدٍ من التَّنانين الثَّلاثة الأحياء في العالم»، ومنحَت زارو ابتسامةً عذبةً مضيفةً: «يبدو لي أن ثُلث سُفن العالم ثَمن عادل».
سالَت دموع زارو على جانبيِّ أنفه المزيَّن بالحُلِيِّ، وقال: «ألم أحذِّركِ من دخول قصر الغُبار؟ هذا ما كنتُ أخشاه بالضَّبط. لقد أصابتكِ وسوسة الدجَّالين بالجنون كما فعلَت بزوجة مالاراوان. ثُلث سُفن العالم؟ أُفٍّ، أُفٌّ، أُفٌّ!».
لم ترَه منذ ذلك الحين، وأتاها كبير خدمه برسائل كلٌّ منها أبرد نبرةً من سابقتها، تقول إن عليها أن تُغادِر منزله، وإنه لن يُطعِمها وقومها ثانيةً، وطالبَ بأن تردَّ هداياه التي قبلَتها منه بسوء نيَّة. عزاؤها الوحيد أنها كانت أعقل وأرشد من أن تتزوَّجه.
الدجَّالون همسوا عن ثلاث خيانات... واحدة من أجل الدَّم، وواحدة من أجل الذَّهب، وواحدة من أجل الحُب. لا شَكَّ أن الخيانة الأولى هي خيانة ميري ماز دور، التي قتلَت گال دروجو وابنهما الذي لم يولَد انتقامًا لشعبها، فهل من الممكن أن يكون زارو زون داكسوس وپيات پري ثاني الخونة وثالثهم؟ لا تظنُّ، فما فعلَه پيات لم يكن في سبيل الذَّهب، وزارو لم يُحِبَّها حقًّا.



خلَت الشَّوارع أكثر وهُم يمرُّون بقطاع من المدينة مخصَّص للمستودعات الحجريَّة كئيبة المنظر، يتحرَّك آجو أمامها وچوجو خلفها، وإلى جوارها السير چورا مورمونت. رَنَّ جرسها بخفوت، ووجدَت داني أفكارها تعود ثانيةً إلى قصر الغُبار كما يظلُّ اللِّسان يعود إلى الفراغ الذي يُخَلِّفه ضِرس مكسور. سمُّوها بنت الثَّلاثة... ابنة الموت، قاتلة الأكاذيب، عروس النَّار... ثلاثات كثيرة جدًّا؛ ثلاث نيران وثلاث دواب وثلاث خيانات. تنهَّدت وقالت: «للتنِّين ثلاثة رؤوس. أتدري ما يعنيه هذا يا چورا؟».

- «ماذا تقصدين يا جلالة الملكة؟ رمز عائلة تارجاريَن تنِّين ذو ثلاثة رؤوس، أحمر على أسود».

- «أعرفُ هذا، لكن ليست هناك تنانين بثلاثة رؤوس».

- «الرُّؤوس الثَّلاثة تَرمُز لإجون وأختيه».

- «ڤيزينيا وريينس. إنني أنحدرُ من نسل إجون وريينس عبر ابنهما إينس وحفيدهما چهيرس».

- «الشِّفاه الزَّرقاء لا تتفوَّه بغير الأكاذيب. أليس هذا ما قاله زارو؟ لماذا تهتمِّين بما قاله الدجَّالون؟ لقد أرادوا أن يمتصُّوا الحياة منكِ لا أكثر، تعلمين هذا الآن».

قالت بتردُّد: «ربما، لكن الأشياء التي رأيتها...».

- «رجل ميت عند مقدِّمة سفينة، وردة زرقاء، مأدبة دامية... ما الذي تعنيه هذه الأشياء يا كاليسي؟ قلتِ إنكِ رأيتِ تنِّين ممثِّلين. ماذا يكون تنِّين الممثِّلين؟».

شرحَت: «تنِّين من القُماش مرفوع على أعمدة. الممثِّلون يستخدمونه في مسرحيَّاتهم ليُقاتِله الأبطال»، فقطَّب السير چورا وجهه، غير أن داني لم تستطِع تنحية الأمر عن بالها، فواصلَت: «قال أخي: «أغنيَّته أغنيَّة الجَليد والنَّار». إنني واثقة بأنه كان أخي، ليس ڤسيرس، بل ريجار. كان يعزف على قيثارةٍ ذات أوتار فضِّيَّة».

ازدادَ انعقاد حاجبي السير چورا حتى كادا يلتحما معًا، وقال: «الأمير ريجار كان يعزف على قيثارةٍ كتلك بالفعل. هل رأيتِه؟».



أومأَت برأسها إيجابًا قائلةً: «كانت هناك امرأة جالسة في فِراشٍ وعلى صدرها رضيع، وقال أخي لها إن الرَّضيع هو الأمير الموعود، وإن اسمه إجون».

- «الأمير إجون كان وريث ريجار من زوجته إليا الدورنيَّة، لكن لو أنه كان الأمير الموعود، فقد تحطَّم ذلك الوعد مع جمجمته حين ضربَ رجال لانستر برأسه عرض الحائط».

قالت بحُزن: «أذكرُ. يومها قتلوا ابنة ريجار كذلك، الأميرة الصَّغيرة. كان اسمها رينس على اسم أخت إجون. لم تكن هناك ڤيزينيا، لكنه قال إن للتنِّين ثلاثة رؤوس. وماذا تكون أغنيَّة الجَليد والنَّار تلك؟».

- «ليست أغنيَّةً سمعتها من قبل».

- «ذهبتُ إلى الدجَّالين آملةً في الحصول على إجابات، وبدلًا من هذا تركوني بمئة سؤالٍ جديد».

كانت الشَّوارع قد عادَت تمتلئ بالنَّاس، وزعقَ آجو فيهم: «أفسِحوا الطَّريق»، بينما تشمَّم چوجو الهواء بريبةٍ وأعلنَ: «أشمُّ رائحتها يا كاليسي، المياه المسمومة». لا يثق الدوثراكي بالبحر وكلِّ ما يُسافِر فيه من مراكب، وبالنِّسبة لهم الماء الذي لا تستطيع الخيول أن تشربه هو ماء لا يُريدونه من قريبٍ أو بعيد. لكنهم سيتعلَّمون. لقد خُضت بحرهم مع كال دروجو، والآن سيخوضون بحري.

تُعَدُّ كارث من أكبر مواني العالم على الإطلاق، تُفعِم مرفأها المحميَّ الألوان والضَّجيج والرَّوائح العجيبة، وتصطفُّ الحانات والمخازن وأوكار القمار على جانبيِّ كلِّ شارعٍ، تُتاخِمها المواخير الرَّخيصة ومعابد آلهةٍ غريبة، بينما يختلط النشَّالون والسفَّاحون وباعة التَّعاويذ وتُجَّار العُملة بالمتزاحمين. واجهة المدينة المائيَّة كلها سوق عظيمة تدور فيها المعاملات التِّجاريَّة نهارًا وليلًا، ويُمكن الحصول على السِّلع من هناك بكَسرٍ من الأثمان التي تُباع بها في سوق المدينة (ما دامَ الشَّاري لا يسأل من أينَ جاءَت)، فيما تبيع نساء مسنَّات ذابلات محنيَّات الظَّهر كالحدباوات الماء المحلَّى وحليب الماعز من دوارق خزفيَّة مصقولة مثبَّتة على أكتافهن، ويجول بحَّارة من مئة أمَّةٍ



مختلفة بين الأكشاك، يشربون الخمور المتبَّلة ويتبادَلون الدُّعابات بلُغاتٍ مجهولة، وقد تشبَّع الهواء بروائح الملح والأسماك المقليَّة والقطران السَّاخن والعسل والبخور والزُّيوت والمنيِّ.

أعطى آجو صبيًّا قطعةً نُحاسيَّةً مقابل سيخٍ من الفئران المشويَّة بالعسل وقضمَ منها وهو يركب، واشترى چوجو حفنةً من الكرز الأبيض الممتلئ، وفي أماكن أخرى رأوا خناجر برونزيَّةً جميلةً معروضةً للبيع، بالإضافة إلى الحبَّار المجفَّف والجَزْع المنقوش وإكسيرٍ سِحري للفحولة مصنوع من لبن عذراءٍ وصبغة المساء، بل وبيضات تنانين تبدو -على نحوٍ يُثير الرَّيبة- أقرب إلى صخورٍ ملوَّنة.

مرُّوا بالأرصفة الحجريَّة الطَّويلة المحجوزة لسُفن رابطة الثَّلاثة عشر، ورأت داني صناديق من الزَّعفران ولُبان الذَّكر والفلفل تُحَمَّل من على متن سفينة زارو المسمَّاة «القُبلة القرمزيَّة»، وإلى جوارها كانت براميل النَّبيذ ورِزَم التَّبغ المُرِّ ولفائف الجلود المخطَّطة تُرفَع على لوح العبور إلى «عروس اللازورد» توطئةً للإبحار مع مَدِّ المساء، وعلى مسافةٍ أبعد تزاحمَ رهط من النَّاس حول قادس عُصبة العطَّارين «لهيب الشَّمس» للمناقَصة على الرَّقيق، فمن المعروف أن أرخص مكانٍ لشرائهم هو السَّفينة التي يصلون عليها، وقد أعلنَت الرَّايات المرتفعة فوق صواري «لهيب الشَّمس» أنها أتَت من مدينة أستاپور الواقعة على خليج النخَّاسين.

لن تنال داني عونًا من رابطة الثَّلاثة عشر أو عُصبة العطَّارين أو أخوَّة التورمالين، وهكذا مرَّت على فَرسها الفضِّيَّة بمراسيهم وأرصفتهم ومخازنهم التي تمتدُّ أميالًا عدَّة، حتى نهاية الميناء الذي يتَّخذ شكل حدوة الحصان، حيث يُسمَح للسُّفن القادمة من جُزر الصَّيف ووستروس والمُدن الحُرَّة التِّسع بالرَّسو. ترجَّلت عند حلبةٍ للألعاب يُمَزِّق فيه بازيليسق كلبًا أحمر كبير الحجم إربًا وسط حلقةٍ من الملَّاحين الزَّاعقين، وقالت: «آجو، چوجو، ستَحرُسان الخيول بينما أتكلَّمُ والسير چورا مع الرَّبابنة».

- «كما تأمرين يا گاليسي. سنضع أعيُننا عليكِ».

فكَّرت داني وهما يقتربان من السَّفينة الأولى أن من الجميل حقًّا أن



تسمع النَّاس يتكلَّمون الڤاليريَّة ثانيةً، بل ولُغة وستروس العاميَّة كذلك، وأفسحَ لها كلٌّ من البحَّارة وأفراد الأطقُم والتُّجَّار الطَّريق، متعجِّبين من منظر هذه الشَّابَّة النَّحيلة ذات الشَّعر الذَّهبي الفضِّي التي ترتدي ثياب الدوثراكي وتمشي وإلى جوارها فارس. على الرغم من حرارة الجَو، ارتدى السير چورا سُترته الصُّوف الخضراء فوق قميص الحلقات المعدنيَّة، وقد خُيِّطَ دُب عائلة مورمونت الأسود على صدره.

لكن لا جمالها ولا حجمه وقوَّته كانا كافييْن مع ربابنة السُّفن التي زاراها.

قال رُبَّان الكوج العظيم «الصَّديق الغيور» قبل أن يبتعد ضاحكًا: «ترغبين في العبور بمئةٍ من الدوثراكي وخيولهم كلها، بالإضافة إليكِ وهذا الفارس وثلاثة تنانين؟»، وحين أخبرَت رُبَّانًا من لِيس على سطح «عازف البوق» بأنها دنيرس وليدة العاصفة ملكة الممالك السَّبع، رمقَها بنظرةٍ خاويةٍ قائلًا: «نعم، وأنا اللورد تايوين لانستر وأتبرَّزُ ذهبًا كلَّ ليلة!»، أمَّا مسؤول الشَّحن على متنِ القادس المايري «روح الحرير» فقد علَّق على طلبها قائلًا إن التَّنانين تُشَكِّل خطرًا كبيرًا في البحر، حيث يُمكن أن يُشعِل أيُّ نَفسٍ ناريٍّ طائش النَّار في الأشرعة، بينما قبلَ رُبَّان «بطن اللورد فارو» وجودَ التَّنانين، وإن رفضَ الدوثراكي بعنادٍ قائلًا: «لن أسمح بوجود هؤلاء المتوحِّشين الكافرين على متن سفينتي، لن أسمح أبدًا»، ثم أبدى الأخوان رُبَّانا السَّفينتين الأختين «الزِّئبق» و«السَّلوقي» التَّعاطُف ودعياهما إلى قمرة القيادة لاحتساء القليل من نبيذ «الكرمة» الأحمر، حيث تكلَّما بمنتهى الدَّماثة فشعرَت داني بالأمل بعضِ الوقت، لكن في النِّهاية كان الثَّمن الذي طلباه أبهظ من قُدراتها كثيرًا، ولعلَّه يتجاوَز قُدرات زارو كذلك، وبَعد ذلك وجدَت أن «پتو الماجن» و«العذراء الحولاء» أصغر من اللَّازم، وأن «براڤو» متَّجهة إلى بحر اليَشب، فيما بدَت «الماچستر مانولو» صالحةً للإبحار بالكاد.

في طريقهما إلى الرَّصيف التَّالي، وضعَ السير چورا يده على أسفل ظَهرها قائلًا: «جلالة الملكة، هناك مَن يتبعكِ. لا، لا تلتفتي»، وقادَها برفقٍ إلى كُشك بائع نُحاس، وأعلنَ بصوتٍ عالٍ رافعًا طبقًا كبيرًا لتطَّلع عليه: «هذا شُغل ممتاز يا مولاتي. أترين كيف يلمع في الشَّمس؟».



كان النُّحاس الأصفر مصقولًا بمنتهى العناية حتى إن داني رأت انعكاس وجهها فيه بوضوح... وحين أمالَ السير چورا الطَّبق إلى اليمين تمكَّنت رؤية ما ورائها، وقالت: «أرى رجلًا أسمر بدينًا وآخَر أكبر سِنًّا يمشي متعكِّزًا. مَن منهما؟».

- «كلاهما. إنهما يتبعانا منذ نزلنا من على «الزِّئبق»».

مطَّت تموُّجات النُّحاس شكل الغريبيْن على نحو عجيب، جاعلةً أحدهما يبدو طويلًا هزيلًا، والثَّاني عريض الصَّدر مكتنزًا للغاية، بينما صاحَ التَّاجر: «أفضل أنواع النُّحاس الأصفر يا سيِّدتي، برَّاق كالشَّمس! ثلاثون أونرًا[1] فقط لأجل خاطر أمِّ التَّنانين».

لم يكن الطَّبق يستحقُّ أكثر من ثلاثة أونَرات، فقالت داني بصوتٍ مرتفع: «أين حَرسِي؟ هذا الرَّجل يُحاوِل أن يسرقني!»، ثم خفضَت صوتها وقالت لچورا باللُّغة العاميَّة: «ربما لا يُضمِران لي شَرًّا. الرِّجال يُجيلون النَّظر في النِّساء منذ الأزل، فلعلَّ الأمر لا يتعدَّى هذا».

تجاهلَ بائع النُّحاس همساتهما قائلًا: «ثلاثين؟ هل قلتُ ثلاثين أونَرًا؟ يا ليَ من أحمق. السِّعر عشرون فقط».

قالت داني رامقةً انعكاس الرِّجلين بإمعان: «كلُّ النُّحاس في هذا الكُشك لا يسوى عشرين أونَرًا». على وجه العجوز لاحَت سيماء أهل وتسروس، أمَّا ذو البشرة السَّمراء فلا بُدَّ أنه يزن نحو ثلاثمئة رطل. الغاصِب عرضَ اللورديَّة على مَن يقتُلني، وهذان الاثنان بعيدان للغاية عن ديارهما. أم أنهما من مخلوقات الدجَّالين وينويان أخذي على حين غرَّة؟

- «عشرة أونَرات فقط يا گاليسي من أجل حُسنكِ البارع. استخدميه كمرآة. فقط هذا النُّحاس الأصفر الممتاز يُمكنه أن يعكس جمالكِ كما ينبغي».

- «قد يَصلُح وعاءً للفضلات لا أكثر. إذا ألقيته أرضًا فلربما ألتقطه، ما دمتُ لن أضطرَّ للانحناء، لكن أدفع فيه مالًا؟»، وزجَّت داني الطَّبق بين يديِّ الرَّجل متابعةً: «لا بُدَّ أن الدُّود زحفَ داخل أنفك والتهمَ عقلك».

---

(1) الأونَر واحدة من العُملات الدَّارجة في المُدن الحُرَّة ومُدن خليج النخَّاسين.



صاحَ: «ثمانية أونَرات! سوف تضربني زوجاتي ويَقُلن إنني أحمق، لكني عاجز بين يديكِ كطفل. هلمِّي، ثمانية سِعر أقلُّ من قيمته».

– «لِمَ أحتاجُ نُحاسك القاتم بينما يُطعِمني زارو زون داكسوس من أطباقٍ من ذهب؟»، وألقَت داني نظرةً سريعةً على الغريبيْن وهي تلتفت مبتعدةً. الرَّجل الأسمر يكاد يبدو ضخم الجثَّة كانعكاسه، رأسه أصلع لامع ووجنتاه ناعمتان، ما منحَه مظهر المخصيِّين، ويتدلَّى أراخ طويل معقوف من حزامه الحريري الأصفر الملوَّث بالعَرق، وفوق الحزام لا يرتدي شيئًا غير صُدرةٍ مطعَّمة بالحديد صغيرة للغاية على نحوٍ مضحك، بينما تتقاطَع على ذراعيه الغليظتين كجذعيِّ شجرتين وصدره الضَّخم وبطنه العملاق النُّدوب القديمة التي لاحَ شحوبها على بشرته البنِّيَّة كالجوز. أمَّا الرَّجل الآخَر فيرتدي معطف سفرٍ من الصُّوف غير المصبوغ ولا تُخفي قلنسوته وجهه، فيظهر شَعره الأبيض الطَّويل المنسدل على كتفيه، ولحيته البيضاء النَّاعمة كالحرير التي تُغَطِّي نِصف وجهه السُّفلي، فيما يتَّكئ بثِقله كله على عُكَّازٍ من خشب الصُّلب يُناهِزه طولًا. قالت في أعماقها: فقط الأحمق لا ينفكُّ يُحَدِّق جهارًا هكذا لو أنه يعتزم إيذائي. لكنها فكَّرت أن من الحكمة أن تعود إلى چوجو وآجو، فقالت لچورا بالعاميَّة وهي تتحرَّك ساحبةً إياه: «العجوز لا يحمل سيفًا».

جاءَ تاجر النُّحاس يتواثَب وراءهما صائحًا: «خمسة أونَرات، خمسة ويكون لكِ، إن قَدره أن يكون ملككِ».

قال السير چورا: «العُكَّاز المصنوع من خشب الصُّلب يُمكنه تهشيم الجمجمة ككرةٍ شائكة».

صاحَ التَّاجر: «أربعة! أعرفُ أنكِ تُريدينه!»، وتراقصَ أمامهما وهو يتحرَّك بظَهره دافعًا الطَّبق في وجهيهما.

– «هل يتبعانا؟».

قال الفارس للتَّاجر: «ارفعه بعض الشَّيء»، ثم أجابَها: «نعم، العجوز يتظاهَر بأنه يتفرَّج على البضائع في كُشك بائع خزف، لكن الأسمر يُسَلِّط نظراته عليكِ فقط».



قال التَّاجر وهو يلهث بشدَّةٍ من مجهود المشي بالعكس: «أونَران! اثنان فقط! اثنان!».

- «ادفع له قبل أن يَقتُل نفسه»، قالت داني لچورا متسائلةً عمَّا ستفعله بطبقٍ كبيرٍ من النُّحاس الأصفر، ثم إنها التفتَت والرَّجل يمدُّ يده ليتناوَل ماله وقد عزمَت على وضع نهايةٍ لهذه المهزلة. لن تسمح دم التنِّين بأن يسوقها رجل عجوز وخصيٌّ بدين في الشَّارع.

توقَّف واحد من الكارثين أمامها قائلًا: «يا أمَّ التَّنانين، هذا من أجلكِ»، وركعَ وألقى عُلبَة حُلِيٍّ صغيرةً في وجهها.

التقطَتها داني بحركةٍ غريزيَّة. كانت العُلبة من الخشب المنقوش، وغطاؤها المصنوع من عِرق اللُّؤلؤ مطعَّم باليَصب والعقيق الأبيض، فقالت: «هذا كرم بالغ منك»، ثم فتحَت العُلبة، وفي الدَّاخل كان جِعران أخضر لامع منحوت من الجَزْع والزمرُّد، ففكَّرت: جميل. سيُساعِد هذا على دفع تكلفة رحلتنا، وإذ مدَّت يدها داخل العُلبة قال الرَّجل: «آسفٌ جدًّا»، لكنها سمعَته بالكاد.

وبسطَ الجِعران جناحيه مصدرًا فحيحًا.

لمحَت داني وجهًا أسود خبيثًا يكاد يكون بَشريًّا، وذيلًا مقوَّسًا يَقطُر منه الزُّعاف... قبل أن تطير العُلبة متحطِّمةً من يدها وتدور في الهواء، فأحسَّت بألم مباغتٍ يسري في أصابعها، وبينما رفعَت صوتها متأوِّهةً وأطبقَت على يدها بالثَّانية، أطلقَ تاجر النُّحاس صرخةً شاركَته فيها امرأة، وفجأةً أخذَ الكارثين يتصايَحون ويتدافَعون. مرقَ السير چورا مارًّا بها، وتعثَّرت داني ساقطةً على رُكبتها، ثم سمعَت الفحيح ثانيةً، وفي اللَّحظة التَّالية هوى العجوز بكعب عُكَّازه على الأرض، وجاءَ آجو مقتحمًا كُشك بائعة بيضٍ ووثبَ من فوق حصانه، فيما طقطقَ سوط چوجو في الهواء، وضرب السير چورا الخصيَّ على رأسه بالطَّبق النُّحاسي بمنتهى العُنف... كلُّ هذا والبحَّارة والعاهرات والتُّجَّار يفرُّون أو يصيحون أو يفرُّون صائحين.

ركعَ العجوز إلى جوارها قائلًا: «أستميحكِ ألف عُذرٍ يا جلالة الملكة. لقد ماتَ. هل كسرتُ يدكِ؟».

ضمَّت أصابعها متألِّمةً، وأجابَت: «لا أظنُّ».



- «كان عليَّ أن ألطمه بعيدًا عن...»، لكن قبل أن يُنهي عبارته، كان خيَّالا دمها يُهاجِمانه، فركلَ آجو عُكَّازه، وأطبقَ چوجو على كتفيه مجبرًا إياه على الرُّكوع على كلتا رُكبتيه، ووضعَ خنجره على حَلقه قائلًا لداني: «گاليسي، لقد رأيناه يضربكِ. هل ترغبين في رؤية لون دمه؟».

ردَّت وهي تنهض: «أطلِق سراحه. انظُر إلى كعب عصاه يا دم دمي»، ثم رأت السير چورا وقد طرحَه الخصيُّ أرضًا، فهرعَت تحول بينهما وقد خرجَ كلٌّ من الأراخ والسَّيف الطَّويل من غِمده لامعًا، وقالت: «أغمِدا سلاحيكما! توقَّفا!».

خفضَ مورمونت سيفه بوصةً واحدةً لا أكثر قائلًا: «لقد تهجَّما عليكِ جلالة الملكة».

قالت داني نافضةً يدها في محاولةٍ للتخلُّص من لسعة الألم في أصابعها: «كانا يُدافِعان عني. الآخَر الكارثيني هو من هاجَمني»، وتطلَّعت حولها ولم تجد له أثرًا، فتابعَت: «إنه من الرِّجال الآسفين. كان هناك مانتيكور في عُلبة الحُلِيِّ التي أعطاني إياها، وهذا الرَّجل طوَّح به من يدي». كان بائع النُّحاس لا يزال يتلوَّى على الأرض، فذهبَت إليه وساعدَته على النُّهوض وسألَته: «هل لدغَك؟».

أجاب مرتجفًا: «لا يا سيِّدتي الكريمة، وإلَّا لكنت مِتُّ... لكنه لمسَني، آييي! عندما سقطَ من العُلبة حَطَّ على ذراعي».

لاحظَت أنه بلَّل سراويله، فلم تندهش، ونقدَته قطعةً فضِّيَّة تعويضًا وصرفَته، قبل أن تلتفت إلى العجوز أبيض اللِّحية، وتقول: «لمَن أدينُ بحياتي؟».

- «لستِ تدينين لي بشيءٍ يا جلالة الملكة. اسمي آرستان، وإن لقَّبني بلواس بذي اللِّحية البيضاء خلال الرِّحلة إلى هنا». ظَلَّ العجوز على رُكبتيه على الرغم من أن چوجو أطلقَ سراحه، بينما التقطَ آجو العُكَّاز من على الأرض وقلبَه، ثم أطلقَ سبابًا خفيضًا بالدوثراكي، وحَكَّ بقايا المانتيكور على حجر وأعادَ العُكَّاز إلى صاحِبه.

سألَت: «ومَن يكون بلواس؟».



تقدَّم الخصيُّ الأسمر الضَّخم بخطواتٍ مختالة، ودَسَّ أراخه في غِمده مجيبًا: «أنا بلواس، بلواس القوي كما يُسَمُّونني في حلبات القتال في ميرين، فلم أخسر قَطُّ»، وربَّت على بطنه المغطَّى بالنُّدوب مواصلًا: «أتركُ كلَّ رجلٍ يجرحني مرَّةً قبل أن أقتله. يُمكنكِ إحصاء الجروح لتعرفي كم رجلًا قتلَه بلواس القوي».

لم تحتج داني أن ترى، فبنظرةٍ واحدةٍ تبيَّنت أنها كثيرة للغاية، وسألَته: «وماذا تفعل هنا يا بلواس القوي؟».

- «في ميرين باعَني مالكي لمالكٍ جديدٍ من كوهور، وهناك باعَني هذا لثالثٍ من پنتوس، الرَّجل السَّمين الذي يفوح العطر الزَّنخ من شَعره، وهو من أرسلَ بلواس القوي عبر البحر، ومعه العجوز ذو اللِّحية البيضاء ليخدمه».

الرَّجل السَّمين الذي يفوح العطر الزَّنخ من شَعره... «إليريو؟ الماچستر إليريو هو من أرسلَكما؟».

تكلَّم ذو اللِّحية البيضاء قبل ذلك بڤاليريَّة المُدن الحُرَّة، أمَّا الآن فبدأ يستخدم اللُّغة العاميَّة وهو يقول: «هذا صحيح يا جلالة الملكة. الماچستر يَطلُب مغفرتكِ لإرسالنا بدلًا منه، لكنه لم يَعُد يستطيع ركوب الخيل كما كان يفعل في شبابه، والسَّفر بحرًا يُصيبه بعُسر الهضم. أعتذرُ إن كنا قد أخفناكِ، لكن الحقيقة أننا لم نكن واثقيْن، فقد توقَّعنا أن تبدي أكثر... أكثر...».

ضاحكةً قالت داني: «أكثر أناقةً؟». لا غرو، فهي لم تأتِ بتنِّين معها، وثيابها لا تبدو لائقةً بملكةٍ البتَّة. «تتحدَّث العاميَّة بطلاقة يا ذا اللِّحية البيضاء. هل أنت وستروسي؟».

- «نعم، وُلِدتُ في تخوم دورن يا جلالة الملكة، وفي صِباي كنتُ مُرافِقًا لفارس من عائلة اللورد سوان»، ورفعَ عُكَّازه الطَّويل إلى جواره كرُمحٍ تعوزه راية مكملًا: «والآن أعملُ مُرافِقًا لبلواس».

- «ألست أكبر سِنًّا من أن تُمارِس عملًا كهذا؟»، قال السير چورا الذي دَسَّ نفسه إلى جوارها حاملًا الطَّبق النُّحاسي بارتباكٍ تحت إبطه، وقد تركَ فيه رأس بلواس الصُّلب انبعاجًا قبيحًا.

- «لستُ أكبر من أن أخدم مليكتي أيها اللورد مورمونت».



- «هل تعرفني أيضًا؟».

- «رأيتك تُقاتِل مرَّةً أو مرَّتين، في لانسپورت حين شارَفت على إسقاط قاتِل الملك من فوق حصانه، وفي پايك أيضًا. ألا تَذكُرني يا لورد مورمونت؟».

عقدَ السير چورا حاجبيه قائلًا: «وجهك يبدو مألوفًا، لكن كان هناك مئات في لانسپورت وآلاف في پايك... ولستُ لوردًا، فقد سُلِبَت جزيرة الدِّببة مني، والآن أنا مجرَّد فارس».

تأبَّطت داني ذراعه قائلةً: «فارس في حَرسي الملكي، وصديقي المخلص ومستشاري الأمين»، ورمقَت وجه آرستان بإمعانٍ فرأت في ملامحه كرامةً عظيمةً وقوَّةً صامتةً راقَتها، ثم قالت: «انهض يا آرستان ذا اللِّحية البيضاء، وأهلًا بك يا بِلواس القوي. إنكما تعرفان السير چورا، وهذان الكُو آجو والكُو چوجو دم دمي. لقد عبرا القَفر الأحمر معي، وشهدا ميلاد تنانيني».

ابتسمَ بِلواس كاشفًا أسنانه البارزة، وقال: «غلاما خيول. بِلواس قتلَ العديد من غلمان الخيول في حلبات القتال. إنهم يُجَلجِلون حين يموتون».

وثبَ أراخ آجو إلى يده وهو يقول: «لم أقتل رجلًا بدينًا أسمر من قبل. بِلواس سيكون الأول».

قالت داني: «أغمِد سلاحك يا دم دمي، هذا الرَّجل أتى ليخدمني. بِلواس، إمَّا أن تُبدي كلَّ الاحترام الواجب لقومي أو ستَخرُج من خدمتي أسرع مما ترغب، وبندوبٍ أكثر مما جئت».

غابَت الابتسامة بارزة الأسنان عن وجه العملاق الأسمر العريض، وحَلَّت محلَّها نظرة عابسة مرتبكة. يبدو أن الرِّجال نادرًا ما يُهَدِّدون بِلواس، ناهيك بفتاةٍ تَبلُغ ثُلث حجمه.

ابتسمَت داني لتُخَفِّف وطأة زجْرها له، وقالت: «والآن أخبِرني، ما الذي يُريده الماچستر إليريو مني ويجعله يُرسِلكما إليَّ من پنتوس؟».

أجابَ بِلواس بجفاف: «يُريد التَّنانين والفتاة التي تبعث فيها الحياة، يُريدكِ أنتِ».

قال آرستان: «هذا صَحيح يا جلالة الملكة. قال لنا أن نَعثُر عليكِ ونُعيدكِ



إلى پنتوس. الممالك السَّبع تحتاج إليكِ. روبرت الغاصِب ماتَ والبلاد تنزف، وحين أبحَرنا من پنتوس كان هناك أربعة ملوك ولا عدالة على الإطلاق».

أحسَّت بقلبها يَرقُص فرحًا، لكنها حافظَت على ثبات ملامحها وهي تقول: «لديَّ ثلاثة تنانين، وأكثر من مئة فردٍ في گالاساري بجميع ممتلكاتهم وخيولهم».

أعلنَ بِلواس: «لا فارق، سنأخذ الجميع. الرَّجل السَّمين استأجرَ ثلاث سُفنٍ لملكته الصَّغيرة ذات الشَّعر الفضِّي».

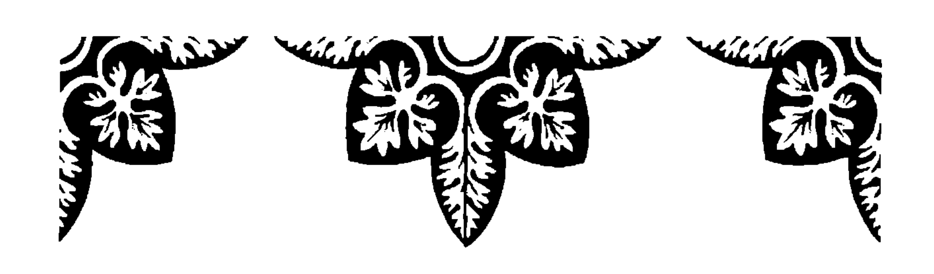
قال آرستان: «كما قال يا جلالة الملكة. الكوج العظيم «سادوليون» راسٍ عند نهاية الرَّصيف، والقادسان «شمس الصَّيف» و«مزحة چوسو» راسيانِ عند حاجز الأمواج».

ردَّت في عقلها الذي شغلَته التَّساؤلات: للتنيِّن ثلاثة رؤوس، قبل أن تقول: «سآمرُ قومي بالاستعداد للرَّحيل على الفور، لكن يجب أن تحمل السُّفن التي ستأخذني إلى الدِّيار أسماء أخرى».

سألَها آرستان: «كما تشائين. أيُّ الأسماء تُفَضِّلين؟».

أجابَته دنيرس: «ڤاجهار وميراكسس وبالريون. اكتُبوا الأسماء على أبدان السُّفن بحروفٍ من ذهب ترتفع ثلاثة أقدامٍ يا آرستان. أريدُ أن يعلم كلٌّ من يراها أن التَّنانين عادَت».





آريا

كانوا قد غمسوا الرُّؤوس في القطران كي لا تتعفَّن سريعًا، فتمرُّ آريا أسفلها مرغمةً كلَّ صباحٍ عندما تذهب إلى البئر لتسحب مياهًا نقيَّةً لحوض رووس بولتون، وقد علَّقوها على الخوازيق بحيث تطلُّ الوجوه على الخارج فلم ترَها، وإن أحبَّت أن تتظاهَر بأن أحدها وجه چوفري، وحاولَت أن تتخيَّل كيف ستبدو ملامحه الوسيمة وهي مغطَّاة بالقطران. لو كنتُ غُرابًا، لنزلتُ من السَّماء ومزَّقتُ شفتيه الممتلئتين السَّخيفتين بمنقاريَّ.

لم تحظَ الرُّؤوس بلحظة سلامٍ واحدة، فطيلة الوقت تدور الغِربان آكلة الجيف حول مبنى البوَّابة بشراسةٍ صاخبة، تتصارَع فوق الأسوار على التهام أعيُن الموتى، وتَصرُخ وتنعق في بعضها بعضًا، وتُحلِّق فرارًا كلما مَرَّ حارس بالشُّرفات. في بعض الأحايين تنزل غِدفان المِايستر من المِغدفة ضاربةً الهواء بأجنحتها السَّوداء لتُشارِك في الوليمة، فتتفرَّق الغِربان، فقط لتُعاوِد الاحتشاد حول الرُّؤوس ثانيةً بمجرَّد أن تبتعد الطُّيور الأخرى الأكبر منها.

تُرى هل تتذكَّر الغِدفان المِايستر توثمير؟ أهي حزينة عليه؟ وعندما تنعب في وجهه، فهل تتساءَل لماذا لا يُجيب؟ لعلَّ الأموات يستطيعون مخاطَبتها بلُغةٍ سرِّيَّةٍ ما لا يعيها الأحياء.

كانوا قد أعدَموا توثمير بالفأس لأنه أرسلَ طيوره إلى كاسترلي روك وكينجز لاندنج ليلة سقوط هارنهال، ولوكان الحدَّاد لأنه صنعَ الأسلحة لجيش لانستر، والعقيلة هارا لأنها أمرَت أتباع الليدي ونت بخدمة الأعداء، والوكيل لأنه أعطى اللورد تايوين مفاتيح خزانة القلعة، أمَّا الطَّاهي فقد عفوا



عنه (لأنه طبخَ حَساء بنت عرس كما يقول البعض)، لكنهم نصبوا هياكل تشهير[1] لبيا وغيرها من النِّسوة اللاتي منحن أنفسهن لجنود لانستر، وقد جرَّدوهن من الملابس وحلقوا شَعرهن وتركوهن في السَّاحة الوُسطى إلى جوار حُفرة الدُّب، مُتاحات لأيِّ رجلٍ يرغب في استخدامهن.

ثلاثة من رجال فراي المسلَّحين كانوا يستخدمونهن هذا الصَّباح حين ذهبَت آريا إلى البئر، فحاولَت ألَّا تَنظُر، لكنها سمعَت الرِّجال يضحكون. يكون الدَّلو ثقيلًا حقًّا بَعدما يمتلئ، وكانت تلتفت لتعود به إلى بُرج محرقة الملك، عندما أطبقَت العقيلة آمابل على ذراعها، فانسكبَ الماء من فوق الحافة وبلَّل ساقيَّ المرأة، التي صرخَت بصوتٍ كالصَّرير: «فعلتِ هذا عمدًا!».

حاولَت آريا التملُّص منها صائحةً: «ماذا تُريدين؟». كانت آمابل قد أصيبَت بنوع من الخبال منذ قطَعوا رأس هارا.

أشارَت آمابِل عبر السَّاحة نحو بيا قائلةً: «هل ترين؟ ستحلِّين محلَّها فور أن يَسقُط رجل الشَّمال».

- «دعيني!». حاولَت آريا انتزاع ذراعها من قبضة المرأة، لكنها أحكمَتها أكثر.

- «سوف يَسقُط أيضًا. هارنهال تُسقِطهم جميعًا في النِّهاية. لقد فازَ اللورد تايوين بالمعركة، وسيرجع بقوَّته كلها، وعندئذٍ سيُعاقِب الخائنين، فلا تحسبي أنه لن يعرف ما فعلتِ!»، وضحكَت العجوز مضيفةً: «ربما آتِ لأشارك في عقابكِ بنفسي. هارا كانت لديها مقشَّة قديمة سأدَّخرها لكِ، طرفها مكسور ومشظَّى و...».

طوَّحت آريا الدَّلو، فجعله ثِقل الماء يدور بين يديها ولم يضرب آمابل على رأسها كما أرادَت، لكن المرأة تخلَّت عنها رغم ذلك حين أغرقَها الماء تمامًا، وصاحَت آريا فيها: «إياكِ أن تلمسيني أبدًا وإلَّا قتلتكِ! ابتعدي!».

---

(1) هيكل التَّشهير أداة كانت تُستخدَم منذ العصور الوُسطى وخلال عصر النَّهضة للعقاب البدني، عبارة عن ألواح خشبيَّة كبيرة مثبَّتة معًا بحيث يعجز المقيَّد إليها عن تحريك قدميه، وأحيانًا كانت توضع قيود لليدين والرَّأس أيضًا.



منتحبةً، سدَّدت العقيلة آمابل إصبعها النَّاحل إلى الرَّجل المسلوخ على سُترة آريا، وقالت: «تحسبين نفسكِ آمنةً في وجود الرَّجلِ الدَّامي الصَّغير على ثديكِ، لكنكِ لستِ كذلك! آل لانستر في الطَّريق، فانظري ما سيَحدُث حين يصلون!».

كانت ثلاثة أرباع الماء قد انسكبَت على الأرض، فعادَت آريا إلى البئر، وفكَّرت وهي تسحب الدَّلو ثانيةً: إذا أخبرتُ اللورد بولتون بما قالَته، فسيحتلُّ رأسها مكانًا إلى جوار رأس هارا قبل حلول الظَّلام، لكنها لم تكن تنوي أن تُخبِره.

قبل فترة، حين لم يكن نِصف هذه الرُّؤوس قد عُلِّقَ بَعد، رآها جندري تتطلَّع إليها، فسألَها: «هل يُعجبكِ عملكِ؟».

كانت تعلم أنه غاضب لأنه أحبَّ لوكان، وإن لم يكن اتِّهامه عادلًا، فقالت بنبرةٍ دفاعيَّة: «هذا عمل والتون ذي السَّاقين الفولاذ، والممثِّلين، واللورد بولتون».

- «ومَن سلَّمنا جميعًا لهم؟ أنتِ وحَساء بنت عرس».

لكمَته في ذراعه قائلةً: «كان مجرَّد حَساءٍ ساخن. أنت أيضًا كنت تكره السير آموري».

- «هؤلاء أكرههم أكثر. السير آموري كان يُقاتِل من أجل سيِّده، أمَّا الممثِّلون فمرتزقة مارقون، نِصفهم لا يتكلَّم اللُّغة العاميَّة حتى. السِّپتون أوت يُحِبُّ الأولاد الصِّغار، وكايبرن يُمارِس السِّحر الأسود، وصديقكِ العضَّاض يأكل لحم البَشر!».

أسوأ ما في الأمر أنها لا تستطيع أن تقول إنه مخطئ. لقد كُلِّفَت رِفقة الشُّجعان بأغلب عمليَّات البحث عن طعام وسلاحٍ لهارنهال، كما أمرَهم رووس بولتون باقتلاع آل لانستر من الأنحاء المجاورة، فقسَّمهم ڤارجو هوت إلى أربع مجموعاتٍ للذَّهاب إلى أكبر عددٍ ممكن من القُرى، وقادَ المجموعة الأكبر بنفسه ووضعَ الأخريات تحت قيادة أكثر رجاله الموثوقين. سمعَت آريا رورج يضحك وهو يحكي عن أسلوب اللورد للعثور على الخونة، فكلُّ ما يفعله أنه يرجع إلى الأماكن التي زارَها من قبل تحت راية



اللورد تايوين ويقبض على مَن ساعَدوه. كثيرون منهم كان قد باعوا أنفسهم بفضَّة لانستر بالفعل، ولذا كان الممثِّلون يعودون غالبًا ومعهم صُرر من النُّقود بالإضافة إلى سلال الرُّؤوس.

أحيانًا كان شاجويل يصيح بمرح: «أحجية! إذا كان كبش اللورد بولتون يأكل الذين أطعَموا كبش اللورد لانستر، فكم كبشًا هناك؟».

أجابَت آريا حين سألَها: «واحد».

أطلقَ المهرِّج ضحكةً مكتومةً، وقال: «لدينا بنت عرس ذكيَّة كالكباش!».

لم يقلَّ رورج والعضَّاض عن الآخَرين سوءًا، وكلما تناولَ اللورد بولتون وجبةً مع الحامية، رأتهما آريا جالسيْن مع البقيَّة. تفوح من العضَّاض رائحة كريهة كالجبن التَّالف، فجعلَه رجال رِفقة الشُّجعان يجلس بالقُرب من طرف المائدة، حيث ينخِر ويهسُّ لنفسه ويُمَزِّق اللَّحم بأصابعه وأسنانه، ويتشمَّم الهواء حول آريا عندما تمرُّ به، لكن رورج كان يُخيفها أكثر، وعلى الرغم من أنه يجلس بعيدًا عنها إلى جوار أورزويك الوفي، فإنها تظلُّ تَشعُر بنظراته تزحف عليها زحفًا بينما تُمارِس واجباتها.

أحيانًا تتمنَّى لو أنها ذهبَت عبر البحر الضيِّق مع چاكن هاجار. إنها ما زالت محتفظةً بالعُملة السَّخيفة التي أعطاها إياها، قطعة من الحديد صدئة الحافة ولا يزيد حجمها على حجم عُملةٍ تقليديَّة، وعلى أحد وجهيها كتابة بكلماتٍ غريبة لم تستطِع أن تقرأها، والوجه الثَّاني عليه رأس رجلٍ بالٍ تمامًا فلم تَعُد له ملامح. قال إن قيمتها عظيمة، لكنها كذبة على الأرجح، تمامًا مثل اسمه ووجهه ذاته. أغضبَها الخاطر لدرجة أنها طوَّحت قطعة العُملة بعيدًا، وإن أنَّبتها نفسها بَعد ساعةٍ فعادَت ووجدَتها ثانيةً، مع أن لا قيمة لها على الإطلاق.

كانت العُملة تشغل بالها وهي تَعبُر ساحة الحجر المصهور مكافحةً لحمل الدَّلو الذي أثقلَه الماء، حين ناداها صوت: «نان، ضعي الدَّلو وتعالي ساعِديني».

لا يَكبُرها إلمار فراي عُمرًا، كما أنه قصير القامة بالنِّسبة لسِنِّه، وكان يُدَحرِج برميلًا مليئًا بالرَّمل على الأرض الحجريَّة غير المستوية وقد احتقنَ



وجهه من المجهود المفرط، فذهبَت آريا تُساعِده، ومعًا دفعا البرميل حتى السُّور وعادا به قبل أن يعدلاه، وسمعَت الرِّمال تتحرَّك في الدَّاخل بينما خلعَ إلمار الغطاء وأخرجَ قميص حلقاتٍ معدنيَّة، فباعتباره مُرافِق رووس بولتون، فمن واجبه أن يحرص على أن يكون قميص اللورد الواقي نظيفًا برَّاقًا، وهكذا سألَها: «أتحسبين أنه نظيف كفايةً؟».

قالت: «عليك أن تنفض الرِّمال منه، ولا تزال هناك بُقع من الصَّدأ، هل ترى؟»، وأشارَت مضيفةً: «الأفضل أن تُكرِّر العمليَّة».

- «كرِّريها أنتِ». يتصرَّف إلمار بوُدٍّ لمَّا يحتاج المساعَدة، لكنه يتذكَّر دائمًا بَعدها أنه مُرافِق اللورد وهي مجرَّد خادمة، ويُحِبُّ التَّباهي بأنه ابن سيِّد «المعبر»، وليس مجرَّد ابن أخٍ أو نغل أو حفيد، بل ابنه الشَّرعي، ما يعني أنه سيتزوَّج أميرةً.

لا تُبالي آريا بأميرته الغالية، ولا يروقها أن يُعطيها الأوامر، فقالت: «عليَّ أن أحمل الماء إلى حوض سيِّدي. إنهم يُعَلِّقون له العَلَق في غُرفته الآن، ليس العَلَقات السَّوداء العاديَّة، بل الكبيرة الشَّاحبة».

اتَّسعت عينا إلمار حتى صارتا كبيضتين مسلوقتين، فالعَلَقات تُرعِبه حقًّا، خصوصًا تلك الشَّاحبة الكبيرة التي تبدو كالهُلام حين تمتلئ بالدَّم. هكذا قال لها: «نسيتُ أنكِ أكثر نحولًا من أن تستطيعي دفع هذا البرميل الثَّقيل».

قالت آريا: «نسيتُ أنك غبي»، ورفعَت الدَّلو مضيفةً: «ربما تحتاج علاجًا بالعَلَق بدورك. في «العُنق» عَلَقات كبيرة كالخنازير»، وتركَته مع برميله.

وجدَت غُرفة نوم اللورد مزدحمةً حين دخلَت، وكان كايبرن حاضرًا، بالإضافة إلى والتون الكالح الذي يرتدي قميصه المعدني وواقييَّ السَّاقين الفولاذيَّين، ودستة من أولاد فراي (كلهم إخوة أشقَّاء وغير أشقَّاء وأبناء عم). أمَّا رووس بولتون فتمدَّد في فِراشه عاريًا، وقد تشبَّثَت العَلَقات ببواطن ذراعيه وساقيه ورقَّطت صدره الشَّاحب، أشياء طويلة شِبه شفَّافة يستحيل لونها ورديًّا لامعًا إذ تمتصُّ الدِّماء، غير أن بولتون لم يُعِرها اهتمامًا أكثر مما أعارَ آريا.

كان السير إينس فراي يقول بينما ملأَت حوض الاغتسال: «يجب ألَّا نسمح للورد تايوين بأن يحبسنا هنا في هارنهال». كان رجلًا عملاق القامة ذا



ظَهرِ محني وعينين حمراوين دامعتين ويدين ضخمتين متغضّنتين، ولد جلبٌ ألفًا وخمسمئة من جنود فراي معه جَنوبًا إلى هارنهال، وعلى الرغم من هذا يبدو أنه عاجز عن قيادة إخوته أنفسهم. تابعَ السير إينس: «القلعة هائلة الحجم وتتطلَّب جيشًا كاملًا للدِّفاع عنها، وبمجرَّد أن يُحاصِرونا فلن نستطيع إطعام جيشٍ بأكمله، ولا أمل لدينا في تخزين ما يكفي من مؤن، فالرِّيف كله تحوَّل إلى رماد، والقُرى استولَت عليها الذِّئاب، والحصاد إمَّا أُحرِقَ أو سُرِقَ. لقد بدأ الخريف، ومع ذلك لا طعام جديدًا يُزرَع أو يُحفَظ في المخازن، ونتعيَّش فقط على ما نتحصَّل عليه من هنا أو هناك، وإذا منعَنا آل لانستر عن ذلك، فلن نجد ما نأكله خلال دورة قمرٍ واحدةٍ غير الجرذان وجِلد الأحذية».

- «لا أنوي أن أُحاصرَ هنا». يتكلَّم رووس بولتون دائمًا بصوتٍ شديد النُّعومة، حتى إن عليك أن تُرهِف سمعك عن آخِره لكي تسمعه، ولذا فالهدوء يُخَيِّم على مسكنه دائمًا بشكلٍ غريب.

قال السير چارد فراي، الرَّجل النَّحيل ذو الوجه المجدور والرَّأس الذي بدأ الصَّلع يزحف عليه: «ماذا إذن؟ هل أسكرَ الانتصار إدميور تَلي لدرجة أنه يُفَكِّر في مواجَهة اللورد تايوين في الميدان؟».

فكَّرت آريا: سيهزمهم، تمامًا كما هزمَهم عند الفرع الأحمر، سترون، وتحرَّكت لتقف إلى جوار كايبرن دون أن يُلاحِظها أحد.

رَدَّ بولتون بهدوء: «اللورد تايوين يَبعُد فراسخ كثيرةً عن هنا، ولا تزال أمامه أمور عدَّة يُسَوِّيها في كينجز لاندنج، فلن يزحف إلى هارنهال قريبًا».

هَزَّ السير إينس رأسه بعنادٍ قائلًا: «إنك لا تعرف آل لانستر كما نعرفهم يا سيِّدي. الملك ستانيس أيضًا حسبَ أن اللورد تايوين يَبعُد آلاف الفراسخ، وكان في هذا دماره».

ابتسمَ الرَّجل الرَّاقد في الفِراش ابتسامةً شاحبةً مِثله بينما تغذَّت العَلَقات على دمه، وقال: «لستُ بالرَّجل الذي يُدَمَّر أيها الفارس».

- «حتى إذا حشدَت ريفرِرَن قوَّتها كلها وعادَ الذِّئب الصَّغير من الغَرب، فكيف نأمل في مضاهاة الأعداد التي سيُطلِقها اللورد تايوين علينا؟ حين



يأتي، سيأتي بقوَّةٍ أعظم بكثيرٍ مما كانت معه في معركة الفرع الأخضر. دعني أذكِّرك بأن هايجاردن انضمَّت إلى چوفري!».

- «لم أنسَ».

قال السير هوستين، الرَّجل متين القامة مربَّع الوجه الذي يُقال إنه أقوى آل فراي: «كنتُ أسيرًا لدى اللورد تايوين من قبل، ولا أرغبُ في الاستمتاع بكرم ضيافة آل لانستر مرَّةً أخرى».

أومأ السير هاريس هاي -الذي يُعَدُّ من آل فراي من ناحية الأم- برأسه بقوَّةٍ قائلًا: «إذا استطاعَ اللورد تايوين أن يهزم رجلًا مخضرمًا كستانيس باراثيون، فما فُرصة الملك الصَّبي أمامه؟»، وتطلَّع حوله ناشدًا تأييد إخوته وأبناء عمه، فهمهمَ كثيرون منهم موافقين.

قال السير هوستين: «على أحدنا أن يتحلَّى بالشَّجاعة ويقولها، لقد خسرنا هذه الحرب، وعلى الملك روب أن يرى هذا».

رمقَه رووس بولتون بإمعانٍ بعينيه الباهتتين، وقال: «جلالته هزمَ آل لانستر كلَّ مرَّةٍ واجهَهم فيها في المعركة».

بإصرارٍ قال هوستين فراي: «لقد فقدَ الشَّمال، فقدَ وينترفل! أخواه ماتا...».

نسيَت آريا أن تتنفَّس لحظةً. ماتا؟ بران وريكون ماتا؟ ماذا يعني؟ ماذا يعني بكلامه عن وينترفل؟ لا يُمكن أن يستولي چوفري على وينترفل أبدًا، ما كان روب ليسمح له. ثم إنها تذكَّرت أن روب ليس في وينترفل، بل غائب في الغَرب، وبران قعيد، وريكون طفل في الرَّابعة. استجمعَت قواها كلها كي تبقى ثابتةً صامتةً كما علَّمها سيريو فورل، كي تقف في مكانها كقطعةٍ من الأثاث، وأحسَّت بالدُّموع تتجمَّع في مُقلتيها فكتمَتها. ليس هذا صحيحًا، مستحيل أن يكون صحيحًا، إنها كذبة أشاعَها آل لانستر.

بأسى قال رونِل ريڤرز، أحد أبناء اللورد والدر غير الشَّرعيِّين: «لو فازَ ستانيس لاختلفَ كلُّ شيء».

رَدَّ السير هوستين بفظاظة: «ستانيس خسرَ، وتمنِّي العكس لن يجعله

واقعًا. يجب أن يعقد الملك روب الصُّلح مع آل لانستر، يجب أن يخلع تاجه ويركع لهم مهما كرهَ هذا».

قال رووس بولتون باسمًا: «ومن سيقول له أن يفعل ذلك؟ من الجميل أن يكون للمرء كلُّ هؤلاء الإخوة الشُّجعان في هذه الأوقات العصيبة. سوف أفكِّرُ في كلامكم». كانت ابتسامته إشارةً لهم بالانصراف، فألقى أولاد فراي التحيَّة وخرجوا، بينما ظَلَّ كايبرن ووالتون ذو السَّاقين الفولاذ وآريا، التي أشارَ لها اللورد قائلًا: «نزفتُ كفايةً، أزيلي العَلَقات يا نان».

- «في الحال يا سيِّدي». أفضل شيءٍ ألَّا تجعل رووس بولتون يُكَرِّر طلبه، لكنها أرادَت أن تسأله عمَّا قصدَه السير هوستين بخصوص وينترفل، وإن لم تجرؤ. سأسألُ إلمار، هو سيُخبِرني. تلوَّت العَلَقات ببُطءٍ بين أصابعها وهي تُزيلها بحذرٍ عن جسد اللورد، شاعرةً بملمس أجسامها الشَّاحبة الرَّطب وقد انتفخَت بالدِّماء، لكنها ذكَّرت نفسها: إنها مجرَّد عَلَقات، يُمكنني أن أضمَّ يدي عليها وأسحقها.

- «ثمَّة رسالة من السيِّدة زوجتك»، قال كايبرن وهو يسحب رَقًّا مطويًّا من كُمِّه. لا تُحيط بعُنقه سلسلة على الرغم من أنه يرتدي ثوب المِايسترات، وتقول همسات النَّميمة إنه فقدَها نتيجةً لممارَسته النِّكرومانسي[1].

قال بولتون: «اقرأها».

تكتُب الليدي والدا من «التَّوأمتين» بصفةٍ شِبه يوميَّة، لكن لا فارق بين رسالةٍ وأخرى، وهذه المرَّة كتبَت: «أصلِّي لك صباحًا وظُهرًا وليلًا يا سيِّدي الحبيب، وأعدُّ الأيام حتى تُشارِكني فِراشي ثانيةً. عُد إليَّ قريبًا وسأنجبُ لك أبناءً شرعيِّين كُثرًا يُعَوِّضوك عن دومريك العزيز ويَحكموا «معقل الخوف» من بعدك»، فتخيَّلت آريا رضيعًا ممتلئ الجسد في مهده تُغَطِّيه العَلَقات الورديَّة الممتلئة.

---

(1) النِّكرومانسي كلمة تصف ضربًا من السِّحر الأسود يُفترَض أنه يُمارَس بغرض التَّواصُل مع الموتى، سواء باستحضار أرواحهم أو بعث الحركة في أجسادهم، في سبيل اكتشاف الأسرار الخفيَّة أو الاطِّلاع على المستقبَل أو بعث الحياة في جسدٍ ميت، والكلمة تعني «بواسطة الكهانة» باللاتينيَّة المتأخِّرة.



أحضرَت للورد بولتون منشفةً مبلَّلةً يمسح بها جسده النَّاعم الخالي من الشَّعر، بينما قال للمايستر السَّابق: «سأرسلُ رسالةً أيضًا».

- «إلى الليدي والدا؟».

- «إلى السير هلمان تولهارت». كان خيَّال بعثَه السير هلمان قد وصلَ قبل يومين، معلنًا أن رجال تولهارت استولوا على قلعة عائلة داري، وقبلوا استسلام حامية لانستر بَعد حصارٍ قصير. «قُل له أن يَقتُل الأسرى ويُضرِم النَّار في القلعة بأمر الملك، ثم يضمَّ قوَّاته إلى قوَّات روبت جلوڤر ويتَّجها معًا شَرقًا إلى داسكندال. إنها أراضٍ خصبة ولم يمسَسها القتال إلَّا قليلًا، فحانَ الوقت لأن يتذوَّق أهلها نصيبهم منه. لقد خسرَ جلوڤر قلعةً وتولهارت ابنًا. فليُنزِلا بداسكندال انتقامهما إذن».

- «سأجهِّزُ الرِّسالة لتختمها يا سيِّدي».

سُرَّت آريا لمعرفة أن قلعة داري ستحترق. إنها القلعة التي أخَذوها إليها حين قبضوا عليها بَعد شجارها مع چوفري، حيث جعلَت الملكة أباها يَقتُل ذئبة سانزا. تستحقُّ أن تحترق. تمنَّت أن يعود روبت جلوڤر وهلمان تولهارت إلى هارنهال، فقد غادَرا سريعًا قبل أن تُقَرِّر إن كانت تستطيع ائتمانهما على سِرِّها.

قال رووس بولتون بينما ساعدَه كايبرن على ارتداء صُدرته الجِلديَّة المبطَّنة: «سأخرجُ للصَّيد اليوم».

قال كايبرن: «أمِن الأمان أن تفعل هذا يا سيِّدي؟ قبل ثلاثة أيام فقط هاجمَت الذِّئاب رجال السِّپتون أوت، دخلَت مخيَّمه مباشرةً حتى أصبَحت على بُعد أقلِّ من خمسة ياردات من النَّار، وقتلَت حصانين».

قال بولتون: «الذِّئاب هي الغرض من الصَّيد، فلا أكادُ أستطيعُ النَّوم ليلًا بسبب عُوائها»، وربطَ حزامه معدِّلًا وضع السَّيف والخنجر، وتابعَ: «يُقال إن الذِّئاب الرَّهيبة في الماضي اعتادَت أن تجوب الشَّمال في قطعان عظيمة من مئةٍ أو أكثر، دون أن تخشى الإنسان أو حتى الماموث، لكن ذلك كان منذ زمنٍ طويل وفي أرضٍ أخرى. من الغريب أن تتصرَّف ذئاب الجَنوب العاديَّة بهذه الجرأة».



- «الأزمنة الشَّنيعة تتمخَّض عن أشياء شنيعة يا سيِّدي».

لاحَت أسنان بولتون مع تعبيرٍ ارتسمَ على وجهه ربما كان ابتسامةً، وقال: «وهل الزَّمن الحالي شنيع لهذه الدَّرجة أيها المايستر؟».

- «الصَّيف انتهى، وثمَّة أربعة ملوكٍ في البلاد».

- «قد يكون ملك واحد شنيعًا، لكن أربعة؟»، وهَزَّ بولتون كتفيه مخاطبًا آريا: «معطفي الفرو يا نان»، ولمَّا أحضرَته قال لها وهي تُثَبِّته على كتفيه: «سيكون مسكني نظيفًا مرتَّبًا حين أعودُ، واعتني برسالة الليدي والدا».

- «كما تأمر يا سيِّدي».

خرجَ اللورد والمايستر من الغُرفة دون أن يلتفت أحدهما ويَنظُر إليها مرَّةً، وحين ذهبا أخذَت آريا الرِّسالة إلى المستوقَد، ونخسَت الحطب لتذكية اللَّهب، ثم راقبَت الرَّقَّ يتجعَّد ويسودَّ قبل أن تشتعل فيه النَّار. إذا مَسَّ آل لانستر بران وريكون بسوء، سيقتلهم روب جميعًا. أبدًا لن يركع لهم، أبدًا أبدًا أبدًا. إنه لا يخشى أحدًا منهم. قبعَت آريا إلى جوار النَّار تُشاهِد ذرَّات الرَّماد ترتفع إلى المدخنة من وراء حجابٍ من العبرات الحارَّة متسائلةً: إذا ضاعَت وينترفل حقًّا، فهل هذه داري الآنَ؟ أما زلتُ آريا أم أني سأبقى نان الخادمة إلى الأبد وإلى الأبد وإلى الأبد؟

أمضَت السَّاعات القليلة التَّالية في العناية بمسكن اللورد، فأزاحَت البُسط القديمة ووضعَت أخرى جديدةً طيِّبة الرَّائحة مكانها، وزكَّت النَّار في المستوقَد، وبدَّلت الملاءات ونفشَت حشيَّة الفِراش الرِّيش، وأفرغَت أوعية الفضلات في المرحاض ونظَّفتها، وأخذَت دُفعةً من الثِّياب المتَّسخة إلى الغسَّالات، وأحضرَت وعاءً من الكمِّثرى الخريفيَّة النَّضرة من المطابخ، وحين فرغَت من غُرفة النَّوم، نزلَت حتى منتصَف السَّلالم، حيث كرَّرت العمل في الغُرفة الشَّمسيَّة الفسيحة الموحشة المعرَّضة لتيَّارات الهواء، التي يُناهِز حجمها القاعات الكُبرى في قلاعٍ أصغر. لم يتبقَّ من الشُّموع غير أعقاب، فغيَّرتها آريا، ثم اتَّجهت إلى المنضدة البلُّوط الضَّخمة الموضوعة تحت النَّوافذ ويَكتُب عليها اللورد رسائله، فرتَّبت الكُتب وبدَّلت الشُّموع ونظَّمت كلًّا من ريشات الكتابة والأحبار وشمع الختم في مكانه.



كانت جِلدة خروفٍ كبيرة مهترئة ملقاةً فوق الأوراق، وبدأت آريا تطويها قبل أن تلفت الألوان انتباهها؛ أزرق البُحيرات والأنهار، والنِّقاط الحمراء التي تدلُّ على القلاع والمُدن، وخُضرةِ الغابات، فعادَت تبسطها لترى عبارة «**أراضي نهر الثَّالوث**» مكتوبةً بخَطٍّ منمَّق تحت الخارطة، التي تُظهِر كلَّ التَّضاريس بدايةً من «العُنق» وحتى النَّهر الأسود. ها هي هارنهال فوق البحيرة الكبيرة، لكن أين ريڤررَن؟ ثم إنها رأتها ففكَّرت: ليست بعيدةً جدًّا...

حين انتهَت آريا أخيرًا كانت فترة بَعد الظُّهر لا تزال في بدايتها، فأخذَت نفسها إلى أيكة الآلهة. واجباتها الآن كساقية اللورد بولتون أخفُّ مما كانت حين كانت تعمل تحت إمرة ويز أو حتى ذي العين الورديَّة، وإن تطلَّبت منها أن ترتدي ثياب الخادمات وتغسل أشياء أكثر مما ترغب. لن تعود فرقة الصَّيد قبل ساعات، ما يمنحها وقتًا لا بأس به للمران على أشغال الإبرة.

راحَت تضرب أوراق شجر البَتولة حتى أصبحَ طرف عصا المكنسة المكسور أخضر لزجًا، بينما قالت لاهثةً: «السير جريجور، دانسن، پوليڤر، راف المعسول»، ودارَت ووثبَت ووازنَت نفسها على مُشطي قدميها، وأخذَت تندفع يمينًا وشِمالًا كالسَّهم، تضرب أكواز الصَّنوبر وتُسقِطها، في مرَّةٍ تصيح: «المُدغدغ»، وفي التَّالية: «كلب الصَّيد»، وفي التي تليها: «السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي»، ثم لاحَ جذع شجرة سنديان أمامها، فانقضَّت لتغرس طرف سيفها فيه مردِّدةً بصوتٍ كالقُباع: «چوفري، چوفري، چوفري».

كانت طبقة لامعة من العَرق تكسو بشرتها عندما توقَّفت، وقد برقشَ نور الشَّمس وظلال ورق الشَّجر ذراعيها وقدميها، ووجدَت كعب قدمها اليُمنى داميًا حيث انكشطَ جِلده، فوقفَت على قدم واحدةٍ أمام شجرة القلوب ورفعَت سيفها تحيَّةً، وقالت لآلهة الشَّمال القديمَة: «ڤالار مورجولِس». كم يروقها وقع هاتين الكلمتين حين تلفظهما.

قطعَت آريا السَّاحة في طريقها إلى الحمَّام، ولمحَت غُدافًا يدور نازلًا من السَّماء إلى المِغدفة، فتساءلَت عمَّن بعثَه وماهية الرِّسالة التي يحملها، ومضغَت شفتها آملةً. لعلَّها من روب، تقول إن ما حدثَ لبران وريكون ليس حقيقيًّا. لو كان لديَّ جناحان لطرت إلى وينترفل ورأيت بنفسي، وإذا كان



حقيقيًّا لواصلتُ الطَّيران لا أكثر، كنتُ لأطير مارَّةً بالقمر والنُّجوم المتلألئة وأرى كلَّ الأشياء التي في قصص العجوز نان، التَّنانين ووحوش البحر ومارد براڤوس، وربما لا أعودُ إلَّا إذا أردتُ.

عادَت فرقة الصَّيد قُرب حلول المساء بتسعة ذئاب ميتة، سبعة منها كبار، وحوش قويَّة ضارية كبيرة الحجم فروها رمادي وبنِّي، وقد انفغرَت أفواهها إذ أطلقَت زمجرات الموت الأخيرة لتكشف أسنانها الصَّفراء الطَّويلة، لكن الاثنين الآخَرين كانا مجرَّد جروين. أمرَ اللورد بولتون بأن تُخَيَّط فروات الذِّئاب معًا لعمل دثارٍ لفِراشه، فقال أحد رجاله: «ما زال فرو الجروين ناعمًا يا سيِّدي، يَصلُح لصُنع زوج دافئ من القُفَّازات لك».

رفعَ بولتون عينيه إلى الرَّايات التي تخفق فوق أبراج مبنى البوَّابة، وقال: «كما يُحِبُّ آل ستارك تذكِرتنا، فالشِّتاء قادم. اصنعوا القُفَّازين»، ولمَّا رأى آريا تَنظُر قال لها: «نان، أريدُ إبريقًا من النَّبيذ المتبَّل السَّاخن، فقد أصابَني البرد في الغابة، فاحرِصي على أن يظلَّ ساخنًا. وسأتناوَل العَشاء وحدي، خُبز الشَّعير والزُّبد ولحم الخنزير البرِّي».

- «في الحال يا سيِّدي». دائمًا يكون هذا أفضل الرُّدود على الإطلاق.

كان هوت پاي يصنع كعكات الشُّوفان حين دخلَت المطبخ، بينما يُخلي ثلاثة طُهاةٍ آخَرون الأسماك من العظم، ويُدَوِّر عامل شواءٍ خنزيرًا بريًّا فوق اللَّهب. قالت لهم آريا: «سيِّدي يُريد عَشاءه، ونبيذًا متبَّلًا ساخنًا معه، لا يُريده باردًا»، فغسلَ أحد الطُّهاة يديه وأحضرَ مرجلًا ملأه بالنَّبيذ الأحمر الثَّقيل المحلَّى، وقال لهوت پاي أن يُفَتِّت التَّوابل في المرجل بينما يسخن النَّبيذ، فذهبَت آريا تُساعِده.

قال لها عابسًا: «أستطيعُ أن أفعلها بنفسي، ولا أحتاجُ أن تُريني كيف أتبِّلُ النَّبيذ».

هو أيضًا يكرهني، أو أنه يخشاني. تراجعَت شاعرةً بالحُزن أكثر من الغضب. عندما نضجَ الطَّعام، وضعَ الطُّهاة غطاءً فضِّيًّا عليه ولفُّوا إبريق النَّبيذ بمنشفةٍ سميكة للحفاظ على دِفئه.



في الخارج كان الغَسق يبسط أجنحته، وعلى الأسوار نعبَت الغِربان المتحلِّقة حول الرُّؤوس كحاشيةٍ حول ملك.

قال لها الحارس الواقف على مدخل بُرج محرقة الملك مازحًا: «آملُ أن هذا ليس حَساء بنت عرس».

كان رووس بولتون جالسًا عند المستوقَد حين دخلَت، يقرأ كتابًا سميكًا مغلَّفًا بالجِلد، وقال لها آمرًا وهو يقلب صفحةً: «أشعِلي بعض الشُّموع. المكان معتم هنا».

وضعَت الطَّعام عند مِرفقه، ونفَّذت أمره ليملأ الضَّوء المتذبذب ورائحة القرنفل الغُرفة، وقلبَ بولتون بضع صفحاتٍ أخرى بأصابعه، قبل أن يُغلِق الكتاب ويضعه بحذرٍ في النَّار، وراقبَ اللَّهب يلتهم الورق بعينيه التي انعكسَ فيهما الضَّوء المتوهِّج. اتَّقد الجِلد الجاف القديم بصوتٍ كنفْث الهواء، وارتجفَت الأوراق الصَّفراء إذ احترقَت، كأن شبحًا ما يقرأها، وقال بولتون دون أن يَنظُر إليها: «لن أحتاجكِ ثانيةً اللَّيلة».

كان ينبغي لها أن تذهب صامتةً كالفئران، لكن شيئًا ما ثبَّتها في مكانها، وقالت: «سيِّدي، هل ستأخذني معك حين تُغادِر هارنهال؟».

التفتَ يَرمُقها، وجعلَته نظرة عينيه يبدو كأن عَشاءه نفسه كلَّمه، ثم إنه قال: «هل أذنتُ لكِ بتوجيه الأسئلة إليَّ يا نان؟».

خفضَت عينيها مجيبةً: «لا يا سيِّدي».

- «لم يكن عليكِ أن تتكلَّمي إذن، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيِّدي».

بدا عليه الاستمتاع لحظةً قبل أن يقول: «سأجيبكِ هذه المرَّة فقط. أنوي أن أترك هارنهال للورد ڤارجو حين أعودُ إلى الشَّمال، وستبقين هنا معه».

- «لكني...».

قاطعَها بصرامة: «ليس من عادتي أن أجيب عن أسئلة الخدم يا نان، أم أن عليَّ أن أقطع لسانكِ؟».

تعلم أنه يستطيع أن يفعلها بالبساطة المتناهية التي يُقَيِّد به رجل كلبه بالأغلال، ولذا قالت: «لا يا سيِّدي».



- «لن أسمع المزيد منكِ إذن؟».
- «نعم يا سيِّدي».
- «اذهبي إذن، وسأنسى هذا التَّجاوُز».

وذهبَت آريا، لكن ليس إلى فِراشها. عندما خرجَت إلى ظلام السَّاحة، أومأَ أحد الحُرَّاس لها برأسه قائلًا: «ثمَّة عاصفة تقترب. هل تشمِّين الهواء؟». كانت الرِّيح تهبُّ ولهب المشاعل المثبَّتة إلى جوار صفوف الرُّؤوس على الأسوار يتراقَص. في طريقها إلى أيكة الآلهة مرَّت آريا ببُرج العواء الذي عاشَت فيه من قبل في خوفٍ من ويز، أمَّا الآن فيُقيم فيه أولاد فراي منذ سقوط هارنهال، وسمعَت أصواتًا غاضبةً قادمةً من إحدى النَّوافذ، وقد أخذَ عدد من الرِّجال يتكلَّمون ويزعقون في آنٍ واحد، بينما جلسَ إلمار على العتبة في الخارج بمفرده، فسألَته لمَّا رأت الدُّموع المنسابة على وجنتيه: «ما الخطب؟».

قال منتحبًا: «أميرتي. إينس يقول إننا أُهِنَّا وكُلِّلنا بالخزي. جاءَ طائر من "التَّوأمتين"، وقال أبي إن عليَّ أن أتزوَّج فتاةً أخرى أو أصبح سِپتونًا».

فكَّرت: لا تستحقُّ تلك الأميرة الحمقاء البكاء عليها، ثم إنها قالت: «ثمَّة احتمال أن أخويَّ ماتا».

حدجَها إلمار بنظرةٍ هازئة، وقال: «لا أحد يُبالي بأخوي خادمة».

منعَت نفسها بصعوبةٍ من أن تضربه حين قال هذا، لكنها قالت: «آملُ أن تموت أميرتك»، ثم هرعَت مبتعدةً قبل أن يُمسِكها.

وجدَت عصا المقشَّة التي تتظاهَر بأنها سيفها في أيكة الآلهة حيث تركَتها وحملَتها إلى أيكة الآلهة، وهناك ركعَت بينما تحفُّ الأوراق الحمراء وتسبر العينان الحمراوان أغوارها. عينان من أعيُن الآلهة. «أخبِريني ماذا أفعلُ أيتها الآلهة».

مرَّت فترة طويلة خيَّم فيها صمت تام لا يتخلَّله سوى صفير الرِّيح وخرير الماء وحفيف الأوراق وصرير الأغصان... ثم، من مكانٍ ما بعيد للغاية، وراء أيكة الآلهة والأبراج المسكونة وأسوار هارنهال الهائلة، من بُقعةٍ قصيَّةٍ ما في العالم، سمعَت عُواء ذئبٍ طويلًا شجيًّا، فزحفَت القشعريرة على جِلد آريا وأحسَّت بالدُّوار لحظةً، ثم بمنتهى الخفوت خُيِّلَ لها أنها تسمع صوت أبيها



يقول: «عندما تَسقُط الثُّلوج وتهبُّ الرِّيح البيضاء، يَنفُق الذِّئب الوحيد بينما ينجو القطيع».

همسَت لشجرة الويروود: «لكن لم يَعُد هناك قطيع». بران وريكون ماتا، وسانزا أسيرة آل لانستر، وچون رحلَ إلى «الجِدار». «حتى أنا لم أعد أنا، بل أصبحتُ نان».

- «أنتِ آريا ابنة وينترفل، طفلة الشَّمال. قلتِ لي إنكِ تستطيعين التحلِّي بالقوَّة. في عروقكِ تسري دماء الذِّئاب».

الآن تذكَّرت آريا، وردَّدت: «دماء الذِّئاب. سأكونُ قويَّةً كروب، قلتُ إنني سأفعلُ»، وأخذَت شهيقًا عميقًا ورفعَت عصا المقشَّة بيديها، ثم كسرَتها على رُكبتها بصوتٍ عالٍ وألقَت النِّصفين بعيدًا. أنا ذئبة رهيبة، فكفاني الأسنان الخشب.

ليلتها تمدَّدت في فِراشها الضيِّق على كومةٍ من القَشِّ الخشن، تُصغي لأصوات الأحياء والموتى تهمس وتتجادَل بينما انتظرَت أن يتوسَّط القمر السَّماء. إنها لم تَعُد تثق بغير أصوات الموتى. سمعَت أنفاسها وعُواء الذِّئاب الذي يشي بأن هناك قطيعًا كبيرًا منها الآن، فقالت لنفسها: إنها أقرب من ذلك الذي سمعته في أيكة الآلهة، إنها تُناديني.

أخيرًا نهضَت من تحت الغطاء وارتدَت سُترةً طويلةً ونزلَت السَّلالم حافية القدمين.

لأن رووس بولتون رجل حذِر، فهناك حراسة دائمة على مدخل بُرج محرقة الملك، وهكذا تسلَّلت خارجةً من نافذةٍ ضيِّقةٍ في القبو، ووجدَت السَّاحة ساكنةً والقلعة غائبة في الأحلام المسكونة.

وفي الأعلى راحَت الرِّيح تندب في بُرج العويل.

حين بلغَت الورشة كانت النار مطفأةً والأبواب مغلقةً وموصدةً، فزحفَت داخلةً من نافذةٍ كما فعلَت من قبل. هناك يتقاسَم جندري فِراشًا مع اثنين من صِبيان الحدَّادين، وجثمَت آريا في العُلِّيَّة حتى اعتادَت عيناها الظَّلام وتأكَّدت من أن جندري هو النَّائم على طرف الفِراش، ثم إنها وضعَت يدًا على فمه وقرصَته بالأخرى، ولمَّا فتحَ عينيه في الحال أدركَت أنه لم يكن نائمًا بعُمق، فهمسَت: «أرجوك»، ورفعَت يدها عن فمه وأشارَت.



لم تحسب أنه فهمَها في البداية، لكنه خرجَ من تحت الأغطية عاريًا، وقطعَ الغُرفة وارتدى سُترةً طويلةً خشنةً، قبل أن ينزل من العُلِّيَّة وراءها، بينما لم يتحرَّك النَّائمون الآخَرون. سألَها جندري بصوتٍ غاضبٍ خفيض: «ماذا تُريدين الآن؟».

- «سيفًا».

- «قلتُ لكِ مئة مرَّة إن ذا الإبهام الأسود يُغلِق على الأسلحة كلها بالمفتاح. أهو من أجل اللورد عَلَقة؟».

- «من أجلي. اكسر القفل بمطرقتك».

دمدمَ: «سيكسرون يدي أو أسوأ».

- «ما لم تهرب معي».

- «اهرُبي وسيقبضون عليكِ ويَقتُلوكِ».

- «سيفعلون بك ما هو أسوأ. اللورد بولتون قال لي إنه سيتركُ هارنهال للممثِّلين السفَّاحين».

أزاحَ جندريَ شَعره الأسود عن عينيه متسائلًا: «إذن؟».

تطلَّعت إليه مباشرةً بلا خوفٍ، وقالت: «إذن عندما يُصبِح ڤارجو هوت سيِّد القلعة، فسيقطع أقدام الخدم كلهم ليمنعهم من الهرب، والحدَّادين أيضًا».

قال ساخرًا: «مجرَّد كلام».

قالت كاذبةً: «لا، لقد سمعتُ اللورد ڤارجو يقول هذا بنفسه، سيقطع واحدةً من قدمي كلِّ فرد، القدم اليُسرى»، ثم أردفَت: «اذهب إلى المطابخ وأيقِظ هوت پاي. سيفعل ما تقوله. سنحتاج خُبزًا أو كعكات شوفان أو ما شابه. عليك أن تُحضر السُّيوف بينما آتي بالخيول، وسنلتقي قُرب البوَّابة الجانبيَّة في السُّور الشَّرقي وراء بُرج الأشباح، فلا أحد يذهب إلى هناك أبدًا».

- «أعرفُ تلك البوَّابة. إن عليها حراسةً كالبوَّابات الأخرى كلها».

- «وماذا في هذا؟ إنك لن تنسى السُّيوف، أليس كذلك؟».

- «لم أقل إنني ذاهبٌ معكِ».

- «نعم، لكن إذا أتيت، فهل ستنسى السُّيوف؟».

قطَّب وجهه فترةً، ثم قال أخيرًا: «كلا، لا أظنُّ أني سأنساها».



رجعَت آريا إلى بُرج محرقة الملك كما خرجَت منه، وتسلَّلت صاعدةً السَّلالم وقد أرهفَت أذنيها لتسمع وقع أيِّ أقدام، ثم حين دخلَت حُجيرتها، تجرَّدت من ملابسها كلها وبدَّلتها بأخرى بحرص، فلبسَت طبقتين من الثِّياب الدَّاخليَّة وزوجًا من الجوارب الطَّويلة الثَّقيلة وأنظف سُترة لديها. كانت واحدةً من سُترات أتباع اللورد بولتون الرَّسميَّة، على صدرها خُيِّطَ رمز رجل «معقل الخوف» المسلوخ. بَعد ذلك عقدَت أربطة حذائها ووضعَت معطفًا على كتفيها النَّاحلتين وربطَته تحت ذقنها، قبل أن تُعاوِد نزول السَّلالم بهدوء الظِّلال. توقَّفت عند باب غُرفة اللورد الشَّمسيَّة تُصغي، ثم فتحَته بهدوءٍ شديد حين لم يترامَ إلى مسامعها شيء غير الصَّمت.

كانت الخارطة المصنوعة من جِلد الخروف على المنضدة إلى جوار بقايا عَشاء اللورد بولتون، فطوَتها بإحكام ودسَّتها في حزامها، وكان قد ترك خنجره على المنضدة أيضًا، فأخذَته بدورهِ تحسُّبًا لأن يفقد جندري شَجاعته.

أطلقَ حصان صهيلًا خافتًا عندما دلفَت إلى الاسطبلات المظلمة حيث تمدَّد السَّائسون نائمين، ولكزَت أحدهم بطرف حذائها، فاعتدلَ كالسَّكارى مهمهمًا: «إيه؟! ماذا؟!».

- «اللورد بولتون يُريد تجهيز ثلاثة خيولٍ بالسُّروج والألجمة».

نهضَ الصَّبي نافضًا القَشَّ من شَعره، وقال: «ماذا؟ في هذه السَّاعة؟ خيولًا تقولين؟»، ورمقَ الرَّمز على صدر سُترتها متسائلًا: «ماذا يُريد أن يفعل بالخيول في هذا الظَّلام؟».

عقدَت ذراعيها على صدرها قائلةً: «ليس من عادة اللورد بولتون أن يُجيب على أسئلة الخدم».

كان صبيُّ الاسطبل لا يزال يتطلَّع إلى الرَّجل المسلوخ الذي يعي معناه جيِّدًا وهو يقول: «ثلاثة خيولٍ تقولين؟».

قالت آريا: «واحد، اثنان، ثلاثة. خيول صيد قويَّة وواثقة الخُطى»، وساعدَته على تثبيت الألجمة والسُّروج كي لا يُوقِظ أحدًا من الصِّبيان الآخَرين، آملةً ألَّا يُؤذوه فيما بَعد، وإن علمَت أنهم سيفعلون غالبًا.

قيادة الخيول عبر القلعة كانت الجزء الأصعب، فالتزمَت آريا بالسَّير وسط ظلال السُّور أينما استطاعَت، وهكذا كان على الحَرس الذين يذرعون



الشُّرفات في الأعلى أن يَنظُروا إلى أسفلِ بزاويةٍ شِبه قائمة كي يروها. وماذا لو رأوني؟ إنني ساقية اللورد. كانت ليلةً خريفيَّة باردةً شديدة الرُّطوبة، وفي السَّماء جرفَت الرِّيح السَّحاب من الغَربِ ليحجب النُّجوم، بينما ردَّد بُرج العويل صرخاته المحزونة النَّائحة مع كلِّ هبَّة هواءٍ قويَّة. رائحة الجَوِّ تشي باقتراب هطول المطر. لم تدرِ آريا إن كان ذلك سينفعهم في فرارهم أم يضرُّهم.

لم يرَها أحد ولم ترَ أحدًا باستثناء قطَّةٍ بيضاء مرقَّطة بالرَّمادي تنسلُّ فوق سور أيكة الآلهة، وتوقَّفت القطَّة وهسَّت في وجهها موقظةً ذكرياتها عن القلعة الحمراء وأبيها وسيريو فورل، فقالت لها بصوتٍ خفيض: «يُمكنني أن أمسككِ إذا أردتُ، لكن يجب أن أذهب أيتها القطَّة».

بُرج الأشباح هو الأكثر تهدُّمًا بين أبراج هارنهال الضَّخمة الخمسة، يرتفع مظلمًا مهجورًا أمام أطلال سِپتٍ لا يأتي للصَّلاة فيه غير الجرذان منذ نحو ثلاثمئة عام، وهناك انتظرَت لترى إن كان جندري وهوت پاي قادميْن. بدا لها أنها انتظرَت طويلًا بينما قضمَت الخيول من الحشائش النَّامية بين الأحجار المكسَّرة وابتلعَت السُّحب آخِر النُّجوم الظَّاهرة، فأخرجَت آريا الخنجر وشحذَته لتُبقي يديها مشغولتين، ومرَّرت المشحذ عليه بحركاتٍ طوليَّة ناعمة كما علَّمها سيريو، فهدَّأها الصَّوت.

سمعَتهما قبل أن تراهما بمدَّةٍ طويلة. كان هوت پاي يتنفَّس بخشونة، وتعثَّر مرَّةً في الظَّلام وانخدشَ جِلد قصبة ساقه، فأطلقَ سبابًا عاليًا يكفي لإيقاظ نِصف هارنهال، أمَّا جندري فكان أكثر هدوءًا، لكن السُّيوف التي يحملها رنَّت معًا وهو يتحرَّك.

نهضَت قائلةً: «أنا هنا. الزما الصَّمت وإلَّا سمعوكما».

شَقَّ الصَّبيَّان طريقهما إليها فوق الأحجار السَّاقطة أرضًا، ورأت أن جندري يرتدي قميص حلقاتٍ معدنيَّة منظَّفًا بالزَّيت تحت معطفه، وعلى ظَهره مطرقة الحدادة، أمَّا وجه هوت پاي الأحمر الكبير فقد لاحَ من تحت قلنسوة، وقد تدلَّى كيس من الخُبز من يده اليُمنى، وتحت إبطه الأيسر حملَ قالبًا كبيرًا من الجبن.

قال جندري بهدوء: «ثمَّة حارس على تلك البوَّابة الجانبيَّة كما حذَّرتكِ».



قالت آريا: «انتظرا هنا مع الخيول ريثما أتخلَّص منه. تعاليا بسرعةٍ حين أناديي».

أومأَ جندري برأسه، وقال هوت پاي: «انعبي كالبومة عندما تُريدين أن نتحرَّك».

- «لستُ بومةً، بل ذئبة. سوف أعوي».

تحرَّكت وحدها في ظِلِّ بُرج الأشباح، وسارَت بسرعةٍ كي تسبق خوفها، فشعرَت كأن سيريو فورل يمشي إلى جوارها، ويورن، وچاكن هاجار، وچون سنو. لم تأخذ السَّيف الذي أحضرَه جندري، فالآن يَصلُح الخنجر الماضي لهدفها أكثر. هذه البوَّابة الجانبيَّة أصغر بوَّابات هارنهال، عبارة عن باب ضيِّق من البلُّوط القوي المطعَّم بالمسامير الحديد، يقف بزاويةٍ في السُّور تحت بُرج حراسة، ولا يوجد أكثر من رجلٍ واحدٍ عنده، وإن علمَت آريا أن هناك حُرَّاسًا في البُرجِ كذلك، وآخَرين علَى مقربةٍ يذرعون الأسوار. عليها أن تتحرَّك بهدوء الظِّلال مهما حدثَ. لا يجب أن يَطلُب النَّجدة. بدأت قطرات المطر تَسقُط، وشعرَت بواحدةٍ تحطُّ على جبهتها وتسيل على أنفها.

لم تُحاوِل أن تختبئ، بل تقدَّمت من الحارس مباشرةً كأن اللورد بولتون نفسه أرسلَها، وراقَبها الرَّجل إذ اقتربَت وقد أصابَه الفضول إزاء ما تفعله خادمة هنا في هذه السَّاعة السَّوداء. حين دنَت منه أكثر رأت أنه شَمالي، بالغ الطُّول والنُّحول، ويدسُّ جسده تحت معطفٍ من الفرو المهترئ. هذا سيِّئ، فلربما كانت تقدر على خداع أحد رجال فراي أو رِفقة الشُّجعان، لكن رجال «معقل الخوف» قضوا حياتهم كلها في خدمة رووس بولتون، ويعرفونه أفضل منها كثيرًا. إذا قلتُ له إنني آريا ستارك وأمرته بإفساح الطَّريق... لا، إنها لا تَجسُر، فصحيحٌ شَمالي، لكنه ليس من رجال وينترفل، بل ينتمي إلى رووس بولتون.

توقَّفت أمامه وأزاحَت معطفها ليرى الرَّجل المسلوخ على صدرها، وقالت: «اللورد بولتون أرسلَني».

- «في هذه السَّاعة؟ لماذا؟».

رأت لمعة الفولاذ تحت الفرو، ولم تكن موقنةً من استطاعتها أن تغرس رأس الخنجر في قميصه المعدني. حَلقه، لا بُدَّ أن أغرسه في حلقه، لكنه



طويل جدًّا ولن أتمكَّن من بلوغه. لم تدرِ ماذا تقول وهلةً، وهلةً شعرَت خلالها كفتاةٍ صغيرة خائفة ثانيةً، وسالَ المطر على وجهها كالدُّموع.

ثم خرجَت الكلمات منها كأنها أتَت من العدم: «قال لي أن أعطي كلًّا من حُرَّاسه قطعةً فضِّيَّةً لإخلاصهم في الخدمة».

- «تقولين قطعةً فضِّيَّةً؟». إنه لا يُصَدِّقها، لكنه يُريد أن يُصَدِّق، فالفضَّة هي الفضَّة في النِّهاية. «هاتيها إذن».

نقَّبت أصابعها تحت سُترتها، ثم خرجَت قابضةً على العُملة التي أعطاها جاكن إياها، ففي الظَّلام من الممكن اعتبار الحديد فضَّةً متَّسخةً. مدَّت يدها بالعُملة... وتركَتها تنزلق من بين أصابعها.

سبَّها الحارس بخفوتٍ وجثا على رُكبته يبحث عن العُملة في التُّراب، فوجدَت عُنقه أمامها مباشرةً.

وسحبَت آريا خنجرها ومرَّرته على حَلق الرَّجل بنعومة حرير الصَّيف، فانبثقَت دماؤه الحارَّة تُغَطِّي يديها، وحاولَ أن يَصرُخ، لكن الدَّم أفعمَ فمه أيضًا.

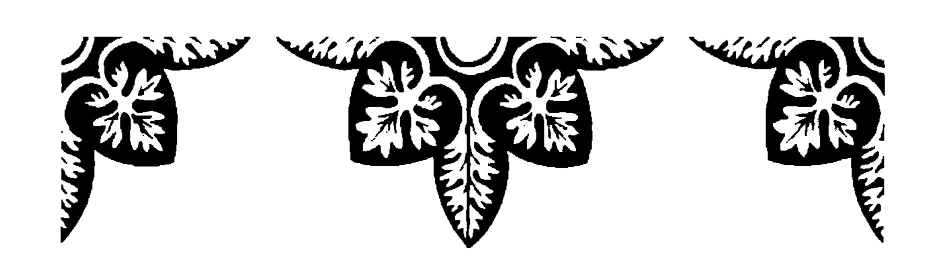
وهمسَت آريا وحياة الرَّجل تسيل مع دمائه: «ڤالار مورجولِس».

التقطَت العُملة حين همدَت حركتهِ، وخارج أسوار هارنهال أطلقَ ذئبٌ عُواءً طويلًا مدوِّيًا. رفعَت آريا القضيب العرضي وفتحَت الباب البلُّوطي الثَّقيل، ولمَّا وصلَ هوت پاي وجندري مع الخيول كان المطر ينهمر بقوَّةٍ بالفعل.

شهقَ هوت پاي قائلًا: «لقد قتلتِه!».

قالت: «ماذا حسبتني سأفعلُ؟». كان الدَّم اللَّزج يُلَوِّث أصابعها، وأجفلَت رائحته فَرسها، لكنها فكَّرت وهي تثب جالسةً فوق السَّرج: لا يهمُّ، ستغسلها الأمطار وتُنَظِّفها من جديد.





سانزا

اليوم قاعة العرش بحر من الجواهر والفراء والأقمشة الثَّمينة، تكتظُّ مؤخِّرتها باللوردات والليديهات الذين وقفوا أسفل النَّوافذ العالية متزاحمين كبائعات السَّمك في ميناء.

ثابرَ أفراد حاشية چوفري على أن يَبُزَّ كلٌّ منهم الآخَر في التأنُّق، فارتدى چالابار شو ثيابًا مزيَّنةً بعددٍ هائلٍ من الرِّيش جعلَه يبدو كطاووسٍ مبهرج مختال على وشك التَّحليق في أيِّ لحظة، ونثرَ تاج السِّپتون الأعلى البلَّوري أقواس القزح في الهواء كلما حرَّك رأسه، بينما تألَّقت الملكة سرسي الجالسة إلى طاولة المجلس الصَّغير في فُستانٍ من قُماش الذَّهب المشرَّط بالمخمل الخمري، وإلى جوارها ڤارس يرتدي الأرجواني الفاتح المقصَّب ويرسم على وجهه ابتسامةً متكلِّفةً، فيما ارتدى فتى القمر والسير دونتوس ثياب مهرِّجين جديدةً ونظيفةً كصباحٍ ربيعي، وحتى الليدي وابنتيها بدونَ جميلاتٍ في ثلاثة فساتين متماثلة من الحرير الفيروزي والفرو، أمَّا اللورد جايلز فكان يَسعُل في منديلٍ من الحرير القرمزي الموشَّى بالشَّرائط الذَّهبيَّة... وفوق الجميع جلسَ الملك چوفري وسط نصال وأشواك العرش الحديدي، مرتديًا السَّميت القرمزي تحت معطفٍ أسود مرصَّع بالياقوت الأحمر، وعلى رأسه تاجه الذَّهبي الثَّقيل.

دَسَّت سانزا نفسها وسط زحام الفُرسان والمُرافِقين وأهل المدينة الأثرياء، وحين بلغَت مقدِّمة الشُّرفة كانت الأبواق تُدَوِّي معلنةً عن دخول



اللورد تايوين لانستر، الذي قطعَ طول القاعة على صهوة جواده الحربي وترجَّل أمام العرش الحديدي.

لم ترَ سانزا دِرعًا كالتي يرتديها من قبل قَطُّ، كلها من الفولاذ الأحمر المصقول المزيَّن بالزَّخارف الذَّهبيَّة الملولَبة والحُلِيِّ، وتتَّخذ الأقراص الواقية المثبَّتة بها شكل الشُّموس المتفجِّرة، وللأسد الزَّائر الذي يُتَوِّج خوذته عينان من الياقوت، وعلى كتفيه تستقرُّ لبؤتان مثبَّتتيْن معطفًا من قُماش الذَّهب بالِغ الطول لدرجة أنه انسدلَ على مؤخِّرة الجواد، الذي ألبَسوه بدوره دِرعًا مذهَّبةً وكسوةً من الحرير القرمزي يتألَّق عليها أسد لانستر.

كان مظهر سيِّد كاسترلي روك بديعًا بحَق، ما جعلَ الصَّدمة شديدةً حين أسقطَ جواده كُتلًا من الغائط عند قاعدة العرش، واضطرَّ چوفري للدَّوران من حولها بحذرٍ وقد نزلَ ليُعانِق جدَّه ويُعلِنه منقذًا للمدينة، فغطَّت سانزا فمها تُواري ابتسامةً متوتِّرةً.

بكثيرٍ من الاصطناع والتكلُّف دعا چوف جدَّه إلى استئناف حُكمه البلاد، وقبلَ اللورد تايوين بوقارٍ مضيفًا: «حتى تَبلُغ جلالتك»، ثم خلعَ المُرافِقون دِرعه وطوَّق چوف عُنقه بسلسلة يد الملك، وبَعد ذلك جلسَ اللورد تايوين إلى طاولة المجلس مجاورًا سرسي، التي انتظرَت حتى أخرَجوا الجواد من القاعة وأزالوا هديَّته الملكيَّة، قبل أن تُشير برأسها آذنةً باستكمال المراسم.

حيَّت أنغام الأبواق النُّحاسيَّة كلًّا من أبطال المعركة إذ دخلَوا من الباب البلُّوطي الضَّخم، ورفعَ الحُجَّاب عقائرهم بأسماء الأبطال ومآثرهم، فحيَّاهم الفُرسان النُّبلاء والليديهات كريمات المحتد بشبق سفَّاحين يتفرَّجون على مصارَعة الدُّيوك. كان موقع الصَّدارة لمايس تايرل سيِّد هايجاردن، الرَّجل الذي كان قويًّا في الماضي قبل أن يستسلم جسده للسُّمنة، وإن ظَلَّ وسيم القسمات، وفي أعقابه دخلَ ابناه، السير لوراس وأخوه الأكبر السير جارلان الهُمام، وقد ارتدى ثلاثتهم المخمل الأخضر الموشَّى بفرو السمُّور.

نزلَ الملك من على العرش مرَّةً أخرى يُحَيِّيهم، ما يُعَدُّ شَرفًا عظيمًا، وثبَّت حول عُنق كلٍّ منهم سلسلة ورودٍ من الذَّهب الأصفر الأملس، يتدلَّى منها قُرص ذهبي يُرَصِّعه أسد لانستر بالياقوت، ثم أعلنَ چوفري: «الورود تُؤازِر



الأسد كما تُؤازِر قوَّة هايجاردن البلاد. إذا كانت هناك أيُّ هبةٍ ترغبون في طلبها مني، فاطلُبوها وهي لكم».

فكَّرت سانزا: ها نحن أولاء.

قال السير لوراس: «يا جلالة الملك، أتوسَّلُ منك شَرف الخدمة في حَرسك الملكي، لأدافع عنك ضد أعدائك».

ساعدَ چوفري فارس الزُّهور على النُّهوض، وقبَّله على وجنته قائلًا: «لك هذا يا أخي».

خفضَ اللورد تايرل رأسه، وقال: «ما مِن بهجةٍ أعظم من خدمة صاحِب الجلالة، فإذا احتسبتَني أهلًا للالتحاق بمجلسك الصَّغير، فلن تجد مَن هو أخلص وأوفى مني».

وضعَ چوفري يده على كتف اللورد تايرل، وقبَّله حين نهضَ قائلًا: «طلبك مُجاب».

يَكبُر السير جارلان تايرل السير لوراس بخمسة أعوام، ويبدو كنُسخةٍ ملتحية وأطول قامةً من أخيه الصَّغير المشهور، كما أن صدره أكثر اكتنازًا ومنكبيه أعرض، لكن على الرغم من وسامته، فإنه يفتقر إلى جَمال السير لوارس الأخَّاذ. قال السير جارلان عندما اقتربَ منه چوفري: «يا جلالة الملك، إن لديَّ أختًا عذراء، مارچري، قُرَّة عين عائلتنا. كانت زوجة رنلي باراثيون كما تعلم، لكن اللورد رنلي ذهبَ إلى الحرب قبل أن تتمَّ الزِّيجة، أي أنها تظلُّ بَتولًا. لقد سمعَت مارچري مختلف الحكايات عن حكمتك وشَجاعتك وفُروسيَّتك، ووقعَت في غرامك من بُعد، فأناشدك أن تستدعيها وتَطلُب يدها للزَّواج، كي يجمع الرِّباط المقدَّس عائلتك بعائلتي حتى آخِر الزَّمن».

تظاهرَ الملك چوفري بالدَّهشة وهو يقول: «سير جارلان، إن جَمال أختك ذائع الصِّيت في الممالك السَّبع كلها، لكني موعودٌ لأخرى، وعلى الملك أن يصون كلمته».

حَفَّت طيَّات فُستان الملكة سرسي إذ نهضَت قائلةً: «جلالة الملك، في رأي مجلسك الصَّغير، فليس من اللِّياقة أو الحكمة أن تتزوَّج ابنة رجلٍ أُعدِمَ



بقطع رأسه بتُهمة الخيانة، فتاةً أخوها في تمرُّدٍ علني على العرش **في هذه** اللَّحظة. يا مولاي، مستشاروك يتوسَّلون إليك أن تُنَحِّي سانزا ستارك جانبًا من أجل صالِح البلاد، فالليدي مارچري ستكون ملكةً أنسب كثيرًا لك».

كقطيعٍ من الكلاب المدرَّبة، بدأ اللوردات والليديهات يُفعِمون هواء القاعة بهتافات السُّرور مردِّدين: «مارچري! أعطِنا مارچري!»، و«لا للملكة الخائنة! تايرل! تايرل!».

رفعَ چوفري يده، وقال: «أودُّ أن أنصاع لرغبات شعبي يا أمَّاه، لكنني أخذتُ على نفسي عهدًا مقدَّسًا».

تقدَّم السِّپتون الأعلى قائلًا: «يا جلالة الملك، الآلهة تعدُّ عهد الخطبة يمينًا مغلَّظةً، لكن أباك الملك روبرت ذا الذِّكرى المبارَكة تعاهدَ مع آل ستارك أبناء وينترفل قبل أن يُفصِحوا عن إفكهم، وقد حلَّتك جرائمهم في حَقِّ البلاد من أيِّ وعدٍ قطعته على نفسك. في رأي «العقيدة»، فليس هناك عقد زواجٍ شرعي يربطك بسانزا ستارك».

ماجَت قاعة العرش بالتَّهليل، ومن كلِّ مكانٍ حول سانزا تفجَّرت هتافات «مارچري! مارچري!»، فمالَت إلى الأمام قابضةً بقوَّةٍ على حاجز الشُّرفة الخشبي. كانت تعلم ما سيَحدُث الآن، وإن ظَلَّ خوف عارم يعتريها مما قد يقوله چوفري، وتملَّكتها الخشية من أن يَرفُض إطلاق سراحها، حتى في هذه اللَّحظة التي تعتمد مملكته كلها فيها على هذا الفعل، لدرجة أنها شعرَت كأنها عادَت تقف ثانيةً على الدَّرجات المرمريَّة على عتبة سِپت بيلور الكبير، تنتظر أن يمنَّ أميرها على أبيها بالرَّحمة، ثم تسمعه بدلًا من ذلك يأمر السير إلين پاين بأن يضرب عُنقه. بحرارةٍ صلَّت: أرجوكِ يا آلهتي، اجعليه يقولها، اجعليه يقولها.

كان اللورد تايوين يتطلَّع إلى حفيده، فحدجَه چوف بنظرةٍ رزينة وبدَّل وضع قدميه، ثم ساعدَ السير جارلان تايرل على النُّهوض، وقال: «الشُّكر للآلهة، إنني حُرٌّ في الإصغاء لنداء قلبي. يُسعِدني أن أتزوَّج أختك الجميلة أيها الفارس»، ولثمَ السير جارلان على وجنته المشعرة فيما دوَّت الهتافات في كلِّ أنحاء القاعة.



أحسَّت سانزا بدوارٍ غريب يكتنف دماغها وهي تُفَكِّر: أنا حُرَّة، لكنها شعرَت بالأعيُن التي تَرمُقها فذكَّرت نفسها: يجب ألَّا أبتسم. كانت الملكة قد حذَّرتها، مهما جالَ في أعماقها من مشاعر، فلا بُدَّ أن يكون الوجه الذي تُبديه للعالم ذاهلًا مصدومًا، وأضافَت سرسي: «لن أسمح بإهانة ابني، هل تفهمين؟».

- «نعم، لكن ما دمتُ لن أصبح الملكة، فماذا سيَحدُث لي؟».

- «سيتمُّ تقرير هذا لاحقًا، أمَّا في الوقت الحالي فستبقين في البلاط باعتباركِ ربيبتنا».

- «أريدُ العودة إلى الدِّيار».

لاحَ الاستياء على الملكة، وقالت: «من المفترَض أن تكوني تعلَّمتِ الآن أن لا أحد منا ينال شيئًا يُريده».

لكنِّي نلتُ ما أريده، تحرَّرتُ من چوفري، ولم أعد مرغمةً على أن أقبِّله أو أسلِّمه بكارتي أو أحمل أطفاله. لتحظَ مارچري تايرل بكلِّ هذا، فيا لها من مسكينة.

حين سكنَت الهتافات الجيَّاشة، كان سيِّد هايجاردن قد اتَّخذ مكانه على طاولة المجلس، وانضمَّ ابناه إلى الفُرسان وصغار اللوردات الآخَرين تحت النَّوافذ العالية. حاولَت سانزا أن تبدو مهمومةً مهجورةً بينما استُدعِيَ بقيَّة أبطال معركة النَّهر الأسود لتلقِّي مكافآتهم.

قطعَ اللورد پاكستر ردواين سيِّد «الكرمة» القاعة وعلى جانبيه ابناه التَّوأمان هورور وسلوبر، والأول يَعرُج من جرَّاء جرح أصابَه في المعركة، وبَعدهم جاءَ اللورد ماثيس روان مرتديًا سُترةً ثلجيَّةً عليًّ صدرها شجرة عظيمة مطرَّزة بخيوط الذَّهب، ثم اللورد راندل تارلي النَّاحل ذو الرَّأس الذي يزحف عليه الصَّلع، وعلى ظَهره سيف عظيم في غِمدٍ مطعَّم بالجواهر، وتلاه السير كيڤان لانستر ذو الجسد المكتنز والرَّأس شِبه الأصلع واللِّحية المشذَّبة بعناية، ثم السير أدام ماربراند الذي يسترسل شَعره النُّحاسي على كتفيه، واللوردات الغَربيُّون العظام ليدن وكراكهول وبراكس.

بَعدهم دخلَ أربعة رجالٍ أقلُّ حسبًا ونسبًا، وإن كانوا قد ميَّزوا أنفسهم في



المعركة؛ الفارس الأعور السير فيليپ فوت **الذي قتلَ اللورد** برايس كارون في نزالٍ فردي، والمُحارِب غير النِّظامي لوثور **برون الذي شَقَّ** طريقه تقتيلًا وسط العشرات من رجال فوسواي للإيقاع بالسير **چون ابن فرع** التُّفَّاحة الخضراء من العائلة، والإجهاز على السير برايان والسير **إدويد ابني فرع** التُّفَّاحة الحمراء، ومن ثَمَّ فازَ بلقب لوثور آكِل التُّفَّاح، **بالإضافة إلى جُندي** أشيب في خدمة السير هاريس سويفت يُدعى ويليت، كان قد سحبَ **سيِّده من** تحت حصانه المحتضر ودافعَ عنه ضد دستةٍ من المهاجِمين، والآن **أدخَلوه** القاعة محمولًا على نقَّالةٍ لفداحة إصاباته، وأخيرًا مُرافِق فارسٍ **يُغَطِّي الزَّغب** وجنتيه اسمه چوزمين پكلدون، قتلَ فارسين وجرحَ ثالثًا وأسَرَ اثنين آخَرين، على الرَّغم من أنه لا يتعدَّى الرَّابعة عشرة من العُمر.

كان السير كيڤان قد جلسَ إلى جوار أخيه اللورد تايوين، وحين فرغَ الحُجَّاب من سرد مآثر كلِّ بطل، نهضَ وأعلنَ: «إنها إرادة جلالة الملك أن يُكافَأ هؤلاء الرِّجال الصَّالحون على بسالتهم. بموجب المرسوم الملكي، يُصبِح السير فيليپ من الآن فصاعدًا اللورد فيليپ سليل عائلة فوت، وإليه تذهب كلُّ أراضي وحقوق ودخول عائلة كارون. يُنَصَّب لوثور برون فارسًا، ويُمنَح أرضًا ومعقلًا في أراضي النَّهر بَعد انتهاء الحرب. يُمنَح چوزمين پكلدون سيفًا ودِرعًا وأيَّ جوادٍ حربي يختاره من الاسطبلات الملكيَّة، ويُنَصَّب فارسًا فور أن يَبلُغ. وأخيرًا، يُمنَح المحترم ويليت حربةً ذات عمودٍ من الفضَّة وقميصًا جديدًا من الحلقات المعدنيَّة وخوذةً كاملةً مزوَّدة بمقدِّمة. علاوةً على ذلك، يُلحَق ابنا المحترم بخدمة عائلة لانستر في كاسترلي روك، الكبير كمُرافِق فارس والصَّغير كخادم، مع فُرصة الترقِّي إلى الفُروسيَّة إذا أخلَصا الخدمة. على كلِّ هذا صدَّق يد الملك والمجلس الصَّغير».

بَعد ذلك كوفِئَ ربابنة سُفن الملك الحربيَّة «الرِّيح العاصفة» و«الأمير إيمون» و«السَّهم النَّهري»، ومعهم عدد من الضبَّاط المرؤوسين من السُّفن «بَركة الآلهة» و«الرُّمح» و«سيِّدة الحرير» و«رأس الكبش»، وحسبما خمَّنت سانزا، فإن أكبر إنجازاتهم أنهم نجوا من المعركة في النَّهر، البطولة التي يستطيع قلائل التَّباهي بها. تلقَّى هالاين الپايرومانسر وعُمداء رابطة



الخيميائيِّين شُكر الملك بدورهم، ورُقِّيَ هالاين إلى رُتبة لورد، وإن لاحظَت سانزا أن لا أرض أو قلعة صاحبَت اللَّقب، الشَّيء الذي لا يجعل هالاين لوردًا حقيقيًّا أكثر من فارس، بينما أُسبِغَت لورديَّة أعظم بكثير على السير لانسل لانستر، فقد أهداه چوفري أراضي وقلعة وحقوق عائلة داري، التي ماتَ سيِّدها الطِّفل وآخِر أبنائها في القتال في أراضي النَّهر، «دون أن يَترُك أبناءً شرعيِّين من دم آل داري، بل ابن عَمٍّ نغلًا فحسب».

لم يظهر السير لانسل ليقبل التَّكريم، إذ تقول النَّميمة إن جرحه قد يُكَلِّفه ذراعه وربما حياته، ويُقال أيضًا إن العِفريت يحتضر من جرَّاء إصابةٍ شنعاء في رأسه.

حين نادى الحاجب: «اللورد پيتر بايلش»، تقدَّم الإصبع الصَّغير مرتديًا ثيابًا بدرجاتٍ مختلفة من الوردي والبرقوقي، وقد زيَّنت طيور المُحاكي معطفه، ورأته سانزا يبتسم إذ ركعَ أمام العرش الحديدي. الغريب أنها لم تسمع أنه ارتكبَ أيَّ أعمالٍ بطوليَّة في المعركة، لكن يبدو أنه سينال مكافأةً بدوره رغم ذلك.

عادَ السير كيڤان ينهض، وقال: «إنها إرادة صاحِب الجلالة أن يُكافأَ مستشاره المخلص پيتر بايلش على خدمته الأمينة للتَّاج والبلاد. فليعلم الجميع أن اللورد بايلش قد مُنِحَ قلعة هارنهال بكلِّ أراضيها ودخولها، ليجعلها مقرَّه ويَحكُم منها من الآن فصاعدًا باعتباره سيِّد أراضي الثَّالوث الأعلى. يحتفظ پيتر بايلش وأبناؤه وأحفاده بهذه الامتيازات ويستمتعوا بها حتى نهاية الزَّمن، وعلى جميع لوردات الثَّالوث إن يُبايِعوه بصفته ولي أمرهم الشَّرعي. على هذا صدَّق يد الملك والمجلس الصَّغير».

جاثيًا على رُكبتيه، رفعَ الإصبع الصَّغير عينيه إلى چوفري قائلًا: «أشكرك جزيل الشُّكر يا جلالة الملك. أعتقدُ أن هذا يعني أن أشرع في إنجاب بعض الأبناء والأحفاد».

ضحكَ چوفري ومعه البلاط، بينما فكَّرت سانزا: سيِّد أراضي الثَّالوث الأعلى وسيِّد هارنهال. لا تفهم ما يُسعِده في هذا بالضَّبط، فتلك الامتيازات فارغة تمامًا كاللَّقب الذي حظيَ به هالاين الپايرومانسر. الكلُّ يعرف أن



هارنهال ملعونة، وآل لانستر لا يُسَيطِرون عليها حاليًّا حتى، كما أن لوردات الثَّالوث مقسمون على الولاء لريڤرَن وعائلة تَلي والملك في الشَّمال، ولن يقبلوا الإصبع الصَّغير وليًّا لأمرهم أبدًا. ما لم يُجبَروا على ذلك، ما لم يُخلَع كلٌّ من أخي وخالي وجدِّي ويُقتَلوا. أصابَ الخاطر سانزا بالتوتُّر، لكنها قالت لنفسها إنها تُفَكِّر بسخافة. لقد هزمَهم روب في كلِّ قتال، وسيهزم اللورد بايلش أيضًا إذا اضطرَّ لمواجَهته.

في هذا اليوم نُصِّبَ أكثر من ستِّمئةٍ من الفُرسان الجُدد، بَعدما سهروا اللَّيل بطوله واقفين في سِپت بيلور الكبير، ثم عبروا المدينة حُفاة الأقدام في الصَّباح كأمارةٍ على تواضُع قلوبهم، والآن تقدَّموا مرتدين ثيابًا من الصُّوف غير المصبوغ لتلقِّي فُروسيَّاتهم من رجال الحَرس الملكي، فاستغرقَ هذا وقتًا طويلًا، لأن ثلاثةً فقط من إخوان السَّيف الأبيض كانوا متاحين لتسميتهم، فماندون مور لقيَ مصرعه في المعركة، وكلب الصَّيد اختفى، وآريس أوكهارت مع الأميرة مارسلا في دورن، وچايمي لانستر أسير روب، وهكذا تقلَّص الحَرس الملكي إلى بالون سوان ومرين ترانت وأوزموند كِتلبلاك. بمجرَّد تنصيبه، كان كلُّ رجلٍ ينهض ويربط حزام سيفه حول خصره ويقف تحت النَّوافذ، بعضهم دامي القَدمين نتيجةً للمسير عبر المدينة، وإن بدا لسانزا أن جميعهم وقفوا ممشوقي القامة معتدِّين بأنفسهم.

حين انتهى تنصيب الفُرسان الجُدد كافَّة ومُنِحَ كلٌّ منهم لقب السير، كانت القاعة كلها قد أصيبَت بالضَّجر، لا سيَّما چوفري نفسه الذي بدا أكثر ضجرًا من سِواه، وقد بدأ عدد من الواقفين في الشُّرفة في الانسحاب خلسةً، أمَّا البارزون على أرض القاعة فكانوا مكتوفي الأيدي، لا يستطيعون المغادَرة دون إذن الملك، الذي وشَت طريقة تململُه وهو جالس على العرش الحديدي بأنه كان ليمنحهم الإذن بمنتهى الأريحية، لولا أن لائحة أعمال اليوم لا تزال طويلةً.

الآن تنقلب العُملة على وجهها الآخَر ويُساق الأسرى إلى القاعة.

ضمَّت هذه المجموعة أيضًا عددًا من اللوردات الكبار والفُرسان النُّبلاء، منهم اللورد سلتيجار الفَظ الهَرِم، والسير بونيفر الصَّالح، واللورد إسترمونت



الأكثر شيخوخةً من سلتيجار نفسه، واللورد ڤارنر الذي قطعَ القاعة يَعرُج على رُكبته المهشَّمة ورفضَ أن يُساعِده أحد، والسير مارك مالندور ذو الوجه المربد والذِّراع المبتورة حتى المِرفق، ورونيت الأحمر فارس «وكر الجريفين»، والسير درمونت من الغابة المطيرة، واللورد ويلوم وابناه چوسوا وإلاياس، والسير چون فوسواي، والسير تيمون ذو السَّيف المفلول، وآوران نغل دريفتمارك، واللورد ستايدمون الملقَّب بالبخيل، ومئات غيرهم.

لم يكن على مَن بدَّلوا ولاءهم في إبَّان المعركة غير أن يُقسِموا على الطَّاعة لچوفري، بينما أُكرِهَ من قاتَلوا مع ستانيس حتى النِّهاية المريرة على أن يتكلَّموا ليُقَرِّر كلامهم مصايرهم، فإذا توسَّلوا العفو عن خيانتهم ووعدوا بأن يخدموا بإخلاص من الآن فصاعدًا، رحَّب چوفري بعودتهم إلى سلام الملك وأعادَ لهم أراضيهم وحقوقهم. على أن آخَرين تمسَّكوا بتحدِّيهم، وقال أحدهم، ابن غير شرعيٍّ لهذا أو ذاك من عائلة فلورنت: «لا تتصوَّر أنها النِّهاية يا ولد. إله الضِّياء يحمي الملك ستانيس الآن ودومًا، وكلُّ سيوفك ومكائدك لن تُنقِذك لمَّا تحين ساعته».

قال چوفري: «ساعتك أنت حانَت الآن»، وأشارَ إلى السير إلين پاين ليأخذ الرَّجل ويضرب عُنقه، لكن بمجرَّد أن جُرَّ الرَّجل إلى الخارج، صاحَ فارس رصين السَّحنة على صدر سُترته قلب ناري: «ستانيس الملك الشَّرعي! مَن يجلس على العرش الحديدي وحش، مسخ تمخَّض عنه زنى المحارم!».

هدرَ السير كيڤان لانستر: «صمتًا!».

لكن الفارس رفع صوته بدلًا من ذلك، وواصلَ صياحه الغاضب: «چوفري هو الدُّودة السَّوداء التي تَنخُر قلب البلاد! الظَّلام أبوه والموت أمُّه! دمِّروه قبل أن يُفسِدكم جميعًا! دمِّروهم جميعًا، الملكة العاهرة والملك الدُّودة والقزم الخسيس والعنكبوت الهامس والزُّهور الزَّائفة! أنقِذوا أنفسكم!». طرحَه أحد ذوي المعاطف الذَّهبيَّة أرضًا، لكنه ظَلَّ يصيح: «النَّار المطهِّرة آتية! الملك ستانيس عائد!».

انتفضَ چوفري ناهضًا، وزعقَ: «أنا الملك! اقتُلوه! اقتُلوه الآن! هذا أمر!»، ولوَّح بيده بغضبٍ عنيف... وصرخَ ألمًا حين احتكَّت ذراعه بأحد



الأنياب المعدنيَّة الحادَّة المحيطة به، فاستحالَ لون كُمِّه السَّميتي القرمزي إلى درجةٍ أغمق من الأحمر إذ تشبَّع بالدَّم، وولولَ چوفري: «أمِّي!».

كانت الأعيُن كلها على الملك، وبوسيلةٍ ما انتزعَ الرَّجل المنطرح أرضًا حربةً من أحد ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، واتَّكأ عليها ناهضًا من جديدٍ صارخًا: «العرش نفسه يُنكِره! إنه ليس ملكًا!».

هرعَت سرسي إلى العرش، لكن اللورد تايوين ظَلَّ ثابتًا في مكانه كالحجر، فما كان عليه إلَّا أن يرفع إصبعًا واحدًا، فتحرَّك السير مرين ترانت بسيفٍ مسلول، وكانت النِّهاية سريعةً قاسيةً، إذ أمسكَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة الفارس من ذراعيه، فصرخَ ثانيةً: «ليس ملكًا!»، قبل أن يُغمِد السير مرين رأس سيفه الطَّويل في صدره.

ألقى چوفري نفسه بين ذراعي أمِّه، وجاءَ ثلاثة مِايسترات مسرعين وقادوه إلى الخارج عبر باب الملك، ثم بدأ الجميع يتكلَّمون في آنٍ واحد، وجَرَّ ذوو المعاطف الذَّهبيَّةِ الرَّجل الميت إلى الخارج فخلَّف أثرًا من الدَّم على الأرض الحجريَّة، فيما مَلَّس اللورد بايلش على لحيته ومالَ ڤارس يهمس بشيءٍ في أُذنه. تساءلَت سانزا: هل سيصرفوننا الآن؟ ما زال زهاء عشرين من الأسرى ينتظرون، لكن للقَسم على الولاء أم لصَبِّ اللَّعنات، فمَن يدري؟

نهضَ اللورد تايوين قائلًا بصوتٍ قويٍّ واضحٍ أسكتَ الهمهمات: «سنُواصِل. على مَن يرغبون في طلب العفو عن جرائمهم أن يفعلوا هذا، ولن نسمح بالمزيد من الحماقات»، ثم تحرَّك نحو العرش الحديدي، حيث جلسَ فوق إحدى درجاته على ارتفاع ثلاثة أقدام لا أكثر من الأرض.

كان الضَّوء يخبو خارج النَّوافذ حين اختُتِمَت الجلسة أخيرًا، وأحسَّت سانزا بالإنهاك الشَّديد وهي تهبط من الشُّرفة متساءلةً عن مدى سوء جرح چوفري. يُقال إن العرش الحديدي خطِر وقاسٍ مع مَن لا يُفترَض أن يجلسوا عليه.

في أمان غُرفتها دسَّت وجهها في وسادةٍ لتَكتُم صرخة الفرح. لقد فعلَها والشُّكر للآلهة، نحَّاني جانبًا أمام الجميع. وعندما أحضرَت لها خادمة عَشاءها، كادَت سانزا تُقبِّلها، قبل أن تلتهم وجبة الخُبز السَّاخن والزُّبد الطَّازج



وحَساء اللَّحم البقري الثَّخين والدِّيك المشوي بالجزر والخوخ المغموس في العسل. حتى الأكل مذاقه أفضل.

مع حلول المساء وضعَت معطفًا على كتفيها وذهبَت إلى أيكة الآلهة. كان السير أوزموند كِتلبلاك يَحرُس الجسر المتحرِّك مرتديًا دِرعه البيضاء، فحاولَت سانزا أن تبدو بائسةً أيما بؤس حين ألقَت عليه تحيَّة المساء، وإن وشَت النَّظرة الشَّزراء التي رمقَها بها بأنها لم تكن مقنِعةً تمامًا.

كان دونتوس ينتظر وسط أوراق الأشجار في نور القمر، وسألَته سانزا بمرح: «لماذا الوجه الحزين؟ كنت موجودًا وسمعت بنفسك. چوف نحَّاني جانبًا، فرِغَ مني، و...».

التقطَ يدها قائلًا: «آهٍ يا چونكويل، جميلتي المسكينة چونكويل، إنكِ لا تفهمين. فرغَ منكِ؟ لقد بدأوا بالكاد».

غاصَ قلبها بين قدميها، وسألَته: «ماذا تعني؟».

- «الملكة لن تتخلَّى عنكِ أبدًا، لأنكِ رهينة عالية القيمة، وچوفري... عزيزتي، إنه لا يزال الملك، وإذا أرادَكِ في فِراشه فسينالكِ رغمًا عنكِ. الفارق الآن أنه سيزرع نغولًا في رحمكِ بدلًا من الأبناء الشَّرعيِّين».

قالت مصدومةً: «كلا، لقد تخلَّى عني، لقد...».

طبعَ السير دونتوس قُبلةً لزجةً على خدِّها، وقال: «تمسَّكي بالشَّجاعة. لقد أقسمتُ على إعادتكِ إلى وطنكِ، والآن أستطيعُ، وتحدَّد اليوم بالفعل».

- «متى؟ متى سنذهب؟».

- «ليلة زفاف چوفري، بَعد المأدبة. تَمَّ إجراء كلِّ التَّرتيبات اللَّازمة. ستكون القلعة الحمراء ملأى بالغُرباء يومها، نِصف البلاط سكران والنِّصف الآخَر يُساعِد چوفري على افتراش عروسه. سينساكِ الجميع بعض الوقت، وسيكون الارتباك حليفنا».

- «لن يُعقَد الزِّفاف قبل دورة قمرٍ أخرى. مارچري تايرل لا تزال في هايجاردن، والآن فقط بعثوا لاستدعائها».

- «لقد انتظرتِ طويلًا، فاصبري فترةً أطول قليلًا. هاكِ، معي شيء لكِ»،



ونقَّب السير دونتوس في جرابه، ثم خرجَت أصابعه الغليظة بشبكة عنكبوتٍ فضِّيَّة تتدلَّى منها.

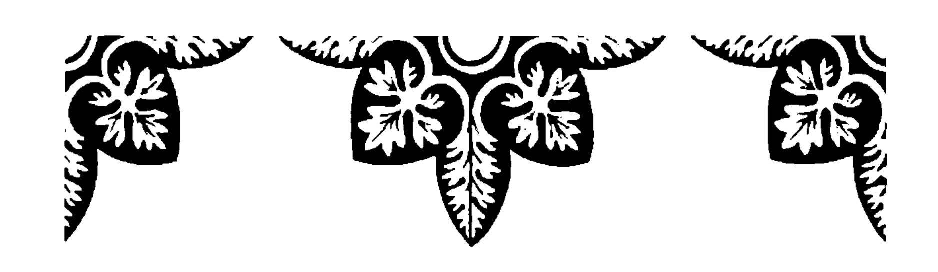
كانت شبكة شَعر من الفضَّة المغزولة النَّاعمة، خيوطها رفيعة رقيقة للغاية حتى إنها بدَت كأنها لا تزن أكثر من نسمة هواء عندما التقطَتها سانزا بأصابعها، فوجدَت جواهر صغيرةً مثبَّتةً عند كلِّ تقاطُعٍ بين خيطين، وتساءلَت: «أيُّ نوعٍ من الأحجار الكريمة هذا؟».

- «جَمَشْت أسود من آشاي، أندر الأنواع على الإطلاق، في نور النَّهار يكون لونه أرجوانيًّا عميقًا».

- «جميلة للغاية»، قالت سانزا بينما يقول لسان حالها: أحتاجُ سفينةً لا شبكةً لشَعري.

قال دونتوس: «أجمل مما تتخيَّلين يا صغيرتي الحُلوة. إنها سِحريَّة. ما تحملينه الآن هو العدالة، هو القصاص لأبيكِ»، ومالَ عليها وقبَّلها ثانيةً مضيفًا: «هو الوطن».





ثيون

جاءَه المِايستر لوين حين شوهِدَ أول الكشَّافة خارج الأسوار، وقال: «لا بُدَّ أن تستسلم يا سيِّدي الأمير».

حدَّق ثيون في طبق كعكات الشُّوفان والعسل والسُّجق الدَّموي الذي جلَبوه لإفطاره. كانت ليلة أخرى من الأَرق قد أتلفَت أعصابَه تمامًا، حتى أصابَه مجرَّد النَّظر إلى الطَّعام بالغثيان. سأَلَ: «ألم يأتِ رَدٌّ من عمِّي؟».

قال المِايستر: «لا رَدَّ البتَّة، ولا من أبيك في پايك».

- «أرسِل مزيدًا من الطُّيور».

- «لن يُجدي هذا، فحين تصل الطُّيور إلى...».

جأرَ ثيون: «أرسِلها!»، وطوَّح طبق الطَّعام بعيدًا بذراعه، وأزاحَ الأغطية ونهضَ من فِراش ند ستارك عاريًا مغضَبًا، وتابعَ: «أم أنك تَنشُد موتي؟ أهكذا الأمر يا لوين؟ أريدُ الحقيقة الآن».

لم يبدُ خوف على الرَّجل الأشيب الصَّغير وهو يقول: «جماعتي تخدم».

- «نعم، لكن مَن؟».

أجابَ المِايستر لوين: «البلاد، ووينترفل. ثيون، لقد علَّمتك الأرقام والحروف والتَّاريخ وفنون الحرب، وكان بإمكاني أن أعلِّمك أكثر لو رغبت في التعلُّم. لن أزعم أني أكنُّ لك حُبًّا عظيمًا، لا، لكنني لا أستطيعُ أن أكرهك أيضًا. وحتى لو كنتُ أكرهك، فما دمتَ مسيطرًا على وينترفل، فإن قَسَمي يُلزِمني بأن أعطيك المشورة، ولذا أشيرُ عليك بأن تستسلم».

انحنى ثيون يلتقط معطفًا مكوَّمًا على الأرض، ونفضَ ما علقَ به من قَشٍّ



الحصير، ثم وضعَه على كتفيه مفكِّرًا: نارًا، أريدُ نارًا وثيابًا نظيفةً. وأين وِكس؟ لن أذهب إلى قبري بملابس متَّسخة.

تابعَ المِايستر: «لا أمل لك في الصُّمود هنا. كان المَدد ليصلك بالفعل لو أن السيِّد والدك انتوى أن يُرسِله، لكن اهتمامه منصبٌّ على «العُنق». المعركة من أجل الشَّمال ستدور وسط أطلال خندق كايلن».

قال ثيون: «قد يكون هذا صحيحًا، وما دمتُ مسيطرًا على وينترفل، فلن يستطيع السير رودريك واللوردات حمَلة راية ستارك الزَّحف جَنوبًا لمهاجَمة عمِّي من المؤخِّرة». لستُ جاهلًا بفنون الحرب كما تحسبني أيها العجوز. «لديَّ ما يكفي من طعام للصُّمود ضد الحصار سنةً إذا دعَت الحاجة».

- «لن يكون هناك حصار. قد يقضون يومًا أو يومين في تصنيع السَّلالم وربط الخطاطيف بأطراف الحبال، لكن سرعان ما سيجتازون أسوارك من مئة بُقعةٍ مختلفة في آنٍ واحد. قد تستطيع الدِّفاع عن الحصن بعض الوقت، لكن القلعة ستَسقُط في غضون ساعة. خيرٌ لك أن تفتح بوَّاباتك وتَطلُب...».

- «... الرَّحمة؟ أعرفُ أيُّ نوعٍ من الرَّحمة يدَّخرون لي».

- «ثمَّة سبيل».

قال ثيون: «إنني حديديُّ الميلاد، ولديَّ سبيلي الخاص. أيَّ خيارٍ تركوا لي؟ لا، لا تُجِب، لقد سمعتُ ما يكفيني من مشورتك هذه. اذهب وأرسِل الطُّيور كما أمرتك، وقُل للورن إنني أريدُ أن أراه، ووِكس أيضًا. أريدُ قميصي المعدني نظيفًا تمامًا، وحاميتي مجتمعةً في السَّاحة».

حسبَ لحظةً أن المِايستر سيتحدَّاه، لكن لوين انحنى بجمودٍ في النِّهاية، وقال: «كما تأمر».

كان منظر اجتماع الحامية مثيرًا للشَّفقة، رجال حديديُّون قلائل في ساحةٍ فسيحة. قال لهم ثيون: «الشَّماليُّون سيَبلُغوننا قبل حلول المساء، السير رودريك وكلُّ اللوردات الذين لبَّوا نداءه، لكني لن أهرب منهم. لقد استوليتُ على هذه القلعة وأزمعُ أن أحافظ عليها، أن أعيش أو أموت كأمير وينترفل، لكني لن آمر أيَّ رجلٍ بالموت معي. إذا غادَرتم الآن، قبل أن تصل قوَّة السير رودريك الأساسيَّة، فما زالت لديكم فُرصة للابتعاد أحرارًا»، واستلَّ سيفه



الطَّويل ورسمَ برأسه خَطًّا في التُّراب مواصلًا: «فليتقدَّم كلُّ من يرغب في البقاء والقتال».

لم يتكلَّم أحد، ووقفَ الرِّجال بقمصانهم المعدنيَّة وفروهم وجِلدهم المقوَّى بثباتٍ تام كأنهم مقدودون من حجر، يتبادَل بعضهم النَّظرات، ويُبَدِّل أورزن وضع قدميه، ويتنخَّع دايك هارلو ويَبصُق، فيما نفشَت هبَّة ريحٍ خفيفة شَعر إندهار الطَّويل النَّاعم.

أحسَّ ثيون كأنه يغرق، وفكَّر بكآبة: لماذا أشعرُ بالدَّهشة؟ لقد تخلَّى عنه أبوه، وعمُّه، وأخته، وحتى ذلك المخلوق الملعون ريك، فلماذا يكون رجاله أكثر إخلاصًا بأيِّ قَدر؟ لا يوجد ما يقوله، لا يوجد ما يفعله، وما باليد حيلة غير أن يقف هناك تحت الأسوار الرَّماديَّة العظيمة والسَّماء البيضاء القاسية وسيفه في يده، ينتظر، ينتظر...

كان وِكس أول من يَعبُر الخَط، وبثلاث خطواتٍ سريعة وقفَ إلى جوار ثيون متراخيًا، ثم تبعَه لورن الأسود بملامح متجهِّمة وقد أصابَته شَجاعة الصَّبي بالخجل، وسأَلَ: «مَن أيضًا؟»، فتقدَّم رولف الأحمر، وكروم، وورلاج، وتايمور وأخواه، وأولف المريض، وهاراج سارق الخراف، وأربعة من أبناء هارلو، واثنان من أبناء بوتلي، وآخِرهم كيند الحوت. سبعة عشر رجلًا إجمالًا.

ظَلَّ أورزن مع من لم يتحرَّكوا، بالإضافة إلى ستيج وكلِّ رجلٍ من العشرة الذين أتَت بهم آشا من «ربوة الغابة»، فقال لهم ثيون: «اذهبوا إذن، اهربوا إلى أختي، فلا شَكَّ لديَّ في أنها ستُرَحِّب بكم بحرارة». على الأقل بدا الخجل على ستيج، أمَّا البقيَّة فغادَروا دون كلمةٍ واحدة، فالتفتَ ثيون إلى السَّبعة عشر الباقين قائلًا: «عودوا إلى الأسوار. إذا أنقذَتنا الآلهة، فسأتذكَّرُ كلَّ رجلٍ منكم».

تخلَّف لورن الأسود عن الآخَرين، وقال: «أهل القلعة سينقلبون علينا فور أن يبدأ القتال».

- «أعرفُ هذا. ماذا تُريدني أن أفعل؟».

- «اقتُلهم جميعًا بلا استثناء».



هَزَّ ثيون رأسه نفيًا، وسألَه: «هل الأُنشوطة جاهزة؟».

- «أجل. هل تنوي استخدامها؟».
- «أتعرف وسيلةً أفضل؟».
- «نعم، سآخذُ فأسي وأقفُ على الجسر المتحرِّك وأتركهم يأتون ويُجَرِّبوني. فليأتوا واحدًا في المرَّة، أو اثنين أو ثلاثة، لا فارق. لن يَعبُر أحد الخندق وفي صدري أنفاس تتردَّد».

لقد عزمَ على الموت. إنه لا يبتغي النَّصر، بل نهايةٌ تليق بالأغاني. «سنستخدم الأُنشوطة».

رَدَّ لورن والاحتقار في عينيه: «كما تقول».

ساعدَه وِكس على ارتداء ثياب المعركة. تحت سُترته السَّوداء ومعطفه الذَّهبي كان قميص من الحلقات المعدنيَّة المعالَجة بالزَّيت، وتحت هذا طبقة من الجِلد المقوَّى المتيبِّس، وبمجرَّد أن تدرَّع ثيون وتسلَّح، صعدَ إلى بُرج الحراسة المرتفعِ عند زاوية التقاء السُّورين الشَّرقي والجَنوبي، ليُلقي نظرةً على هلاكه. كان الشَّماليُّون ينتشرون لمحاصَرة القلعة، ومع أن تقدير عددهم صعب، إلَّا أنهم يَبلُغون ألفًا على الأقل، وربما الضِّعف. لم يرَ أبراج حصارٍ تتقدَّم هادرةً على طريق الملوك، لكن في غابة الذِّئاب ما يكفي لبناء كلِّ العدد المطلوب.

تفحَّص ثيون راياتهم عبر أنبوب عدسات المِايستر لوين المايري، فرأى بلطة سروين الحربيَّة تخفق أينما نظرَ، بالإضافة إلى أشجار تولهارت وعِرسان بحر الميناء الأبيض، مع عددٍ أقل من رايات فلينت وكارستارك، كما أبصرَ هنا وهناك موظ عائلة هورنوود. لكن لا أحد من آل جلوڤر، فقد تولَّت آشا أمرهم، ولا أحد من آل بولتون من «معقل الخوف»، ولا أحد من آل أومبر جاءَ من تحت ظِلِّ «الجِدار». ليس كأن هناك حاجة إليهم على كلِّ حال. سرعان ما ظهرَ الصَّبي كلاي سروين أمام البوَّابة حاملًا راية سلام على ساريةٍ طويلة، ليُعلِن أن السير رودريك يرغب في التَّفاوُض مع ثيون المَارق.

المارق. اللَّقب مرير كالصَّفراء. لقد ذهبَ إلى پايك لقيادة سُفن أبيه الطَّويلة ضد لانسپورت. صاحَ: «سأنزلُ بَعد قليل، وحدي».



قال لورن الأسود معترضًا: «لا يغسل الدَّم غير الدَّم. قد يُحافِظ الفُرسان على هدنتهم مع غيرهم من الفُرسان، لكنهم لا يُولون الشَّرف اهتمامًا كبيرًا حين يتعامَلون مع من يعدُّونهم خارجين على القانون».

رَدَّ ثيون محتدًّا: «أنا أمير وينترفل ووريث جُزر الحديد. والآن اذهب واعثُر على الفتاة ونفِّذ ما قُلته لك».

حدجَه لورن الأسود بنظرةٍ فتَّاكة قائلًا: «أمرك أيها الأمير».

هو أيضًا انقلبَ عليَّ. يبدو له في الآونة الأخيرة أن كلَّ حجرٍ في وينترفل انقلبَ عليه. إذا مِتُّ، سأموتُ منبوذًا بلا أصدقاء. هل مِن خيارٍ يَترُكه له هذا الموقف إذن غير أن يعيش؟

امتطى حصانه إلى مبنى البوَّابة وتاجه على رأسه. كانت امرأة تسحب ماءً من البئر، بينما يقف جايچ الطَّاهي في مدخل المطبخ، فأخفى الاثنان مقتهما وراء نظراتٍ جافَّة ووجهين خاليَيْن من التَّعبير، لكنه أحسَّ به على الرغم من ذلك.

تنهَّدت ريح باردة عبر الخندق حين انخفضَ الجسر المتحرِّك وجعلَته لمستها يرتجف، فقال ثيون لنفسه: إنه البرد لا أكثر، قشعريرة لا رعدة. حتى الشُّجعان تنتابهم القشعريرة. تقدَّم داخلًا وسط أنياب هذه الرِّيح، وتحت الشَّبكة الحديديَّة، ثم فوق الجسر، وانفتحَت البوَّابة الخارجيَّة كي يمرَّ، وإذ خرجَ تحت الأسوار شعرَ بالصَّبيَّين يُراقِبانه بالمحاجر الخاوية التي كانت عيونهما تحتلُّها من قبل.

كان السير رودريك ينتظر في ميدان السُّوق على متن حصانه الأرقط، وإلى جواره خفقَ ذئب ستارك الرَّهيب على ساريةٍ يحملها كلاي سروين الصَّغير. كانا وحدهما، وإن رأى ثيون رُماةً على سطوح المنازل المحيطة، وحاملي حرابٍ إلى يساره، وصَفًّا إلى يمينه من ألف فارسٍ تحت راية عريس البحر والرُّمح الثُّلاثي رمز عائلة ماندرلي. كلُّ واحدٍ منهم يُريدني ميتًا. بعضهم صبية نادَموه على الشَّراب ولعبوا معه البلاطات، بل وشارَكوه مغامراته مع الفتيات، لكن شيئًا من هذا لن يُنقِذه إذا سقطَ في أيديهم.



جذبَ ثيون عِنان الحصان، وتوقَّف قائلًا: «سير رودريك، يُحزِنني أن نلتقي كخصمين».

- «حُزني الوحيد مصدره أن عليَّ الانتظار بعض الوقت قبل أن أشنقك...»، وبصقَ الفارس العجوز على الأرض، وأكملَ: «... أيها المارق ثيون».

قال ثيون مذكِّرًا: «إنني من آل جرايچوي أولاد پايك، والمعطف الذي قمَّطني به أبي في المهد كان يحمل رمز الكراكن لا الذِّئب الرَّهيب».

- «كنت ربيب آل ستارك طيلة عشر سنوات».

- «كنتُ رهينةً وسجينًا».

- «ربما كان حريًّا باللورد إدارد إذن أن يُكَبِّلك بالأغلال إلى جِدار زنزانة، لكنه ربَّاك بدلًا من ذلك وسط أبنائه، ومنهم الصَّبيَّين الجميلين اللذين ذبحتهما، ولعاري الذي لن ينمحي أبدًا كنتُ أنا من علَّمك فنون القتال. ليتني أغمدتُ سيفًا في بطنك بدلًا من وضعه في يدك».

- «لقد خرجتُ للتَّفاوُض معك، لا لتلقِّي إهاناتك. قُل ما لديك أيها العجوز. ماذا تُريد مني؟».

أجابَ العجوز: «شيئين، وينترفلِ وحياتك. مُر رجالك بفتح البوَّابات وإلقاء أسلحتهم. مَن لم يَقتُل أطفالًا مسموح له بالذَّهاب حُرًّا، أما أنت فستُحتجَز انتظارًا لعدالة الملك روب. فلتشملك الآلهة بشفقتها حين يعود».

قال ثيون بلهجة من يَعِد: «روب لن يرى وينترفل ثانيةً أبدًا. سوف يُحَطِّم جيشه في خندق كايلن كما حدثَ مع كلِّ جيشٍ جَنوبي طيلة ألف عام. إننا سادة الشَّمال الآن أيها الفارس».

رَدَّ السير رودريك: «أنتم سادة ثلاث قلاع، وهذه القلعة أنوي أن أستردَّها أيها المارق».

تجاهلَ ثيون رَدَّه، وقال: «إليك شروطي. لديكم حتى المساء لتتفرَّقوا، ومَن يُقسِمون على الولاء لبالون جرايچوي باعتباره ملكهم، ولي باعتباري أمير وينترفل، سيحتفظون بحقوقهم وأملاكهم ولن يمسَّهم أذى، أمَّا مَن يتحدَّوننا فسيلحق بهم الدَّمار».

قال كلاي سروين غير مصدِّق: «أأنت مجنون يا جرايچوي؟».



هَزَّ السير رودريك رأسه قائلًا: «بل مغرور لا أكثر يا فتى. أخشى أن ثيون طالما غالى في تقدير نفسه»، ورفعَ العجوز إصبعه في وجه ثيون متابعًا: «إياك أن تحسب أن عليَّ انتظار روب حتى يُقاتِل عابرًا «العُنق» كي أتعامَل مع أمثالك. إن معي نحو ألفي رجل... وإذا كان الكلام صحيحًا، فليس معك أكثر من خمسين».

سبعة عشر في الحقيقة. جعلَ ثيون نفسه يبتسم، وقال: «لديَّ شيء أفضل من الرِّجال»، ورفعَ قبضته فوق رأسه بالإشارة التي أمرَ لورن الأسود بأن ينتظرها. كانت أسوار وينترفل وراءه، بينما يُواجِهها السير رودريك مباشرةً ولا مجال لألَّا يرى. راقبَ ثيون وجهه، ولمَّا ارتجفَت ذقنه تحت شواربه البيضاء اليابسة، أدركَ ما يراه العجوز الآن تحديدًا، ففكَّر بحُزن: ليس مندهشًا، لكن هذا لا يمنع أنه خائف...

قال السير رودريك: «هذا جبن. أن تستخدم طفلةً كي... هذه خِسَّة».

قال ثيون: «أوه، أعلمُ هذا. إنه صنف تذوَّقته بنفسي من قبل، أم أنك نسيت؟ كنتُ في العاشرة حين أُخِذتُ من دار أبي، ليتيقَّنوا من أنه لن يثور ثانيةً».

- «هذا غير ذلك!».

اكتسى وجه ثيون بالجمود وهو يقول: «لم تكن الأُنشوطة التي أحاطَت بعُنقي مصنوعةً من الحبال، هذا صحيح، لكني شعرتُ بها رغم ذلك، ولقد سحجَتني يا سير رودريك، سحجَتني حتى النُّخاع». لم يكن قد أدركَ هذا تمامًا حتى هذه اللَّحظة، لكن حين انسكبَت الكلمات من فمه تبيَّن حقيقتها من فوره.

- «لم يمسَّك سوء إطلاقًا».

- «ولن يمسس ابنتك بث أيضًا ما دُمت...».

لم يُعطِه السير رودريك فُرصة إكمال الجُملة، بل صاحَ الفارس العجوز بوجهٍ احتقنَ ثورةً تحت تلك الشَّوارب البيضاء: «أيها الأفعوان! لقد أعطيتك فُرصة أن تُنقِذ رجالك وتموت وفيك ذرَّة أخيرة من الشَّرف أيها المارق، لكن كان يَجدُر بي أن أعرف أن هذا كثير على قاتِل الأطفال»، ووثبَت يده إلى



مقبض سيفه وهو يُردِف: «حريٌّ بي أن أُرديك هنا والآن وأضع نهايةً لكذبك وخداعك، بحقِّ الآلهة حريٌّ بي أن أفعلها».

لا يخشى ثيون عجوزًا خَرِفًا، لكن هؤلاء الرُّماة المراقبين وهذا الصَّفَّ من الفُرسان مسألة أخرى، وإذا استُلَّت السُّيوف ففُرصة عودته إلى القلعة حيًّا تتراوَح بين المحدودة والمعدومة. هكذا قال: «انكُث قَسمك واقتُلني، وسترى صغيرتك بث مشنوقةً من طرف الحبل».

كانت مفاصل أصابع السير رودريك قد ابيضَّت تمامًا، لكنه رفعَ يده عن سيفه بَعد لحظة، وقال: «لقد عشتُ أطول من اللَّازم بحَق».

- «لا أختلفُ معك أيها الفارس. هل ستقبل شروطي؟».

- «لديَّ واجب تجاه الليدي كاتلين وعائلة ستارك».

- «وماذا عن عائلتك أنت؟ بث آخِر نسلك».

شَدَّ الفارس العجوز قامته قائلًا: «أعرضُ نفسي بدلًا من ابنتي. أطلِق سراحها وخُذني أنا رهينةً. لا ريب أن أمين قلعة وينترفل أعلى قيمةً من مجرَّد فتاة».

- «ليس بالنِّسبة لي». لفتة باسلة أيها العجوز، لكني لست بتلك الحماقة. «ولا بالنِّسبة للورد ماندرلي أو ليوبولد تولهارت كذلك، وأراهنُ على هذا». جِلدك العجوز البائس لا قيمة له عندهما أكثر من أيِّ رجلٍ آخَر. «لا، سأحتفظُ بالفتاة... وسأحافظُ على سلامتها ما دُمت ستُنَفِّذ ما أمَرتك به. حياتها بين يديك».

- «بحَقِّ الآلهة يا ثيون، كيف أمكنَك أن تفعل هذا؟ أنت تعلم أن عليَّ أن أهاجم. لقد أقسمتُ...».

قاطعَه ثيون: «إذا ظَلَّ هذا الجيش محتشدًا أمام بوَّاباتي حينما تَغرُب الشَّمس، سأشنقُ بِث، وستتبعها رهينة أخرى إلى القبر مع أول أضواء النَّهار، وأخرى عند الغروب. كلُّ فَجرٍ وكلُّ غَسقٍ يعني موتًا آخَر إلى أن ترحلوا، ولستُ أفتقرُ إلى الرَّهائن»، ولم ينتظر جوابًا، بل دارَ بسمايلر عائدًا إلى القلعة. تحرَّك بتأنٍّ في البداية، لكن سرعان ما حدا به التَّفكير في الرُّماة وراء ظَهره إلى الخَبِّ، وراقبَه الرَّأسان الصَّغيران من فوق الخازوقين إذ اقتربَ، يتعاظَم



وجهاهما المسلوخان المكسوَّان بالقطران مع كلٍّ ياردةٍ يقطعها، وبينهما وقفَت بِث كاسل تبكي وحبل المشنقة حول عُنقها. همزَ ثيون سمايلر بقوَّةٍ وانطلقَ يعدو به، فسمعَ وقع حوافر الحصان على الجسر المتحرِّك كدقَّات الطَّبل.

ترجَّل في السَّاحة وناولَ وِكس العِنان بينما قال للورن الأسود: «قد يُوقِفهم هذا. سنعرف عندما تغيب الشَّمس. أدخِل الفتاة حتى ذلك الحين، وضعها في مكانٍ آمن». كان يتصبَّب عرقًا تحت طبقات الجِلد والفرو والفولاذ، فقال: «أريدُ قدحًا من النَّبيذ. في الحقيقة، سيكون دَنٌّ كامل أفضل كثيرًا».

كان الخدم قد أشعَلوا نارًا في غُرفة نوم ند ستارك، فجلسَ ثيون إلى جوارها وملأَ كوبًا بنبيذٍ أحمر ثخين من أقبية القلعة، مذاقه مُرٌّ كمزاجه المتعكِّر. فكَّر بجهامةٍ رامقًا اللَّهب: سيُهاجِمون. السير رودريك يُحبُّ ابنته، لكنه ما زال أمين القلعة، والأهمُّ أنه فارس. لو كانت الأُنشوطة تُحيط بعُنق ثيون، ولو كان اللورد بالون يقود الجيش الذي في الخارج، فلا شَكَّ أن الأبواق كانت لتُدَوِّي معلنةً الهجوم بالفعل. عليه أن يَشكُر الآلهة على أن السير رودريك ليس حديديَّ الميلاد، فأهل الأراضي الخضراء مخلوقون من طينةٍ أكثر لينًا، وإن لم يَعُد موقنًا من مدى لينها.

إذا أثبَتوا العكس، إذا أصدرَ العجوز الأمر بالهجوم على القلعة على الرغم من كلِّ شيء، ستَسقُط وينترفل لا محالة، فثيون لا تُخالِجه أيُّ أوهام في هذا الصَّدد. قد يَقتُل رجاله السَّبعة عشر ثلاثة أو أربعة أو حتى خمسة أضعاف عددهم، لكن الشَّماليِّين سيكتسحونهم في النِّهاية.

حدَّق ثيون في اللَّهب من فوق حافة كوبه مفكِّرًا في الجَور الذي يُعانيه، وتمتمَ: «لقد ركبتُ إلى جوار روب ستارك في الغابة الهامسة». ليلتها كان مذعورًا، لكن ليس بهذه الصُّورة، فأن تَدخُل المعركة محاطًا بالأصدقاء شيء، وشيء آخَر أن تموت وحيدًا مبغوضًا. في أعماقه قال بتعاسة: الرَّحمة.

حين لم يجلب له النَّبيذ أيَّ سلوى، أرسلَ ثيون وِكس لإحضار قوسه، ثم أخذَ نفسه إلى الفِناء الدَّاخلي، وهناك وقفَ مطلقًا سهمًا تلو السَّهم على أهداف الرِّماية حتى أوجعَته كتفاه وخضَّبت الدِّماء أصابعه، يتوقَّف فقط لانتزاع السِّهام من الأهداف من أجل جولةٍ أخرى. بهذا القوس أنقذتُ حياة



بران، فليتني أستطيعُ إنقاذ حياتي كذلك. أتَت نساء إلى البئر، لكنهن لم يبقين طويلًا، فأيًّا كان ما رأينه على وجه ثيون، فقد جعلهن يَلُذن بالفرار.

من ورائه ارتفعَ البُرج المكسور، قمَّته محزَّزة كتاج حيث تهدَّمت الطَّوابق العُلويَّة بفعل النَّار قديمًا. تحرَّك ظِلُّ البُرج مع حركة الشَّمس، يستطيل بالتَّدريج كما لو أنه ذراع سوداء تمتدُّ نحو ثيون جرايچوي، ولمَّا بلغَت الشَّمس السُّور كانت اليد قد أطبقَت عليه. فكَّر مطلقًا سهمًا: إذا شنقتُ الفتاة سيهُاجِم الشَّماليُّون من فورهم، وإذا لم أشنقها فسيعرفون أن تهديداتي فارغة، وثبَّت سهمًا آخَر في القوس مواصلًا مناجاة نفسه: لا مهرب، لا مهرب على الإطلاق.

قال صوت بنبرةٍ هادئة: «لو أن لديك مئة رامٍ ببراعتك، لكانت لديك فُرصة للحفاظ على القلعة».

التفتَ ثيون ورأى المِايستر لوين واقفًا خلفه، فقال: «اذهب. لقد اكتفيتُ من نصائحك».

- «والحياة؟ هل اكتفيت منها أيضًا يا سيِّدي الأمير؟».

رفعَ قوسه قائلًا: «كلمة إضافيَّة وسأغرسُ هذا السَّهم في قلبك».

- «لا، لن تفعل».

حنى ثيون القوس، وسحبَ السَّهم حتى أصبحَت ريشات الإوز الرَّماديَّة المثبَّتة به عند وجنته، وقال: «هل تُراهِن؟».

- «أنا أملك الأخير يا ثيون».

قال لنفسه: لا أمل لي، لكنه خفضَ قوسه نِصف بوصةٍ قائلًا للوين: «لن أفرَّ».

- «لا أتكلَّمُ عن الفرار. ارتدِ الأسود».

تركَ ثيون القوس يستقيم وسدَّد السَّهم إلى الأرض متسائلًا: «حَرس اللَّيل؟».

- «لقد خدمَ السير رودريك عائلة ستارك طيلة حياته، وعائلة ستارك صديقة لحَرس اللَّيل طيلة حياتها. لن يَرفُض. افتح بوَّاباتك وارمِ أسلحتك واقبل شروطه، وسيتوجَّب عليه أن يسمح لك بارتداء الأسود».



أخ في حَرس اللَّيل. معنى هذا أن لا تاج له ولا أبناء ولا زوجة... لكنه يعني الحياة، وحياةً شريفةً. لقد اختارَ أخو ند ستارك ذاته حَرس اللَّيل، وچون سنو أيضًا. لديَّ الكثير من الثِّياب السَّوداء، وما عليَّ إلَّا تمزيق الكراكن من عليها، بل وحصاني أسود أيضًا. يُمكنني أن أترقَّى عاليًا في حَرس اللَّيل، أصبحُ رئيس الجوَّالة، أو حضرة القائد حتى. فلتحتفظ آشا بجُزرها اللَّعينة. إنها كئيبة مِثلها. إذا خدمتُ في القلعة الشَّرقيَّة، فيُمكنني قيادة سفينتي الخاصَّة، والصَّيد وفير وراء «الجِدار». وبالنِّسبة للنِّساء، فمَن الهمجيَّة التي لا ترغب في أمير في فِراشها؟ زَحفَت الابتسامة على وجهه ببُطء. لن أُعَدَّ مارقًا في المعطف الأسود، وسأكونُ مِثل أيِّ رجل...

- «**أيها الأمير ثيون!**». حوَّلت الصَّيحة المباغتة حُلم اليقظة إلى شظايا. كان كروم يتواثَب قاطعًا الفِناء قائلًا: «الشَّماليُّون...».

أحسَّ بالرُّعب يغمره فجأةً ويقلب معدته وهو يتساءَل: «أهو الهجوم؟».

قبضَ المِايستر لوين على ذراعه، وقال: «ما زال لديك وقت. ارفع راية السَّلام و...».

قاطعَه كروم بإلحاح: «إنهم يتقاتَلون. المزيد من الرِّجال ظهروا، مئات منهم، وفي البداية تظاهَروا بالانضمام للآخَرين، ثم انقضُّوا عليهم!».

- «أهي آشا؟». هل جاءَت تُنقِذه أخيرًا؟

لكن كروم هَزَّ رأسه نفيًا، وأجابَ: «كلا، أقول لك إنهم شَماليُّون، على راياتهم رجل دام».

رجل «معقلِ الخوف» المسلوخ. تذكَّر ثيون أن ريك كان ينتمي إلى نغل بولتون قبل القبض عليه، لكن من الصَّعب أن يتخيَّل أن مخلوقًا مقيتًا مِثله استطاعَ استمالة آل بولتون حتى يُبدِّلوا موضع ولائهم، مع أن لا تفسير منطقيًّا آخَر هنالك. قال: «سأرى بنفسي».

سارَ المِايستر لوين في أعقابه، وعندما بلغا الشُّرفات كان الرِّجال الموتى والخيل المحتضرة في كلِّ مكانٍ على أرض ميدان السُّوق خارج البوَّابات. لم يرَ صفوف قتال، بل فوضى من الرَّايات والأسلحة ضاربة أطنابها في البلدة الشِّتويَّة، بينما يرنُّ الصِّياح والصُّراخ في هواء الخريف البارد. بدا أن السير



رودريك يملك الأعداد الأكبر، لكن رجال «معقل الخوف» كانوا أفضل قيادةً، وأخَذوا الآخَرين على حين غرَّة، فشاهدَهم ثيون يكرُّون ويتقهقَرون ثم يكرُّون ثانيةً، ممزِّقين القوَّات الأكبر منهم إلى أشلاء دامية كلما حاولَت اتِّخاذ تشكيلٍ بين المنازل، وسمعَ ارتطام الفؤوس الحديد بالتُّروس البلُّوط يطغى على الصَّرخات المرعوبة التي يُطلِقها حصان مشوَّه، ورأى الخان يحترق.

ظهرَ لورن الأسود ووقفَ إلى جواره صامتًا بعض الوقت. كانت الشَّمس قد انخفضَت في الغَرب طاليةً الحقول والمنازل بالأحمر الوهَّاج، وارتفعَت صرخة وجعٍ رفيعة راجفة إلى الأسوار، ودوَّى نفير من مكانٍ ما وراء المنازل المشتعلة، وشاهدَ ثيون رجلًا جريحًا يجرُّ نفسه بألم على الأرض ملطِّخًا التُّراب بدماء الحياة وهو يُكافِح لبلوغ البئر التي تتوسَّط ميدان السُّوق، لكنه ماتَ قبل أن يَبلُغها. كان يرتدي صُدرةً من الجِلد وخوذةً مخروطيَّةً قصيرةً، لكن لا شارة تُعلِن عن الجانب الذي قاتلَ معه.

جاءَت الغِربَان في الغَسق الأزرق ومعها نجوم المساء، فقال ثيون: «الدوثراكي يُؤمِنون بأن النُّجوم هي أرواح الموتى الشُّجعان». كان المِايستر لوين قد أخبرَه بهذا منذ زمنٍ طويل.

- «الدوثراكي؟».

- «سادة الخيول على الجانب الآخَر من البحر الضيِّق».

عقدَ لورن الأسود حاجبيه الكثيفين كلحيته، وقال: «أوه، هؤلاء. الهمجيُّون يُؤمِنون بجميع أصناف الهراء».

مع ازدياد حَلكة اللَّيل وانتشار الدُّخان، صارَ تمييز ما يَحدُث في الأسفل صعبًا، لكن ضجيج الفولاذ راحَ ينخفض تدريجيًّا حتى سكنَ تمامًا، وأفسحَت الأبواق والصَّرخات المجال للأنين والعويل المثير للشَّفقة. أخيرًا خرجَ طابور من الخيَّالة من قلب الدُّخان السَّابح في الهواء، على رأسهم فارس يرتدي دِرعًا داكنةً، وتتألَّق خوذته بلونٍ أحمر قانٍ، بينما يتدلَّى معطف وردي باهت من على كتفيه. توقَّف الفارس أمام البوَّابة الرَّئيسة، وصاحَ أحد رجاله داعيًا القلعة لأن تفتح.

صاحَ لورن الأسود بصوتٍ جهوري: «أأنت صديق أم عدو؟».



قال ذو الخوذة الحمراء: «أكان عدوٌّ ليأتيكم بهذه الهدايا الثَّمينة؟»، ولوَّح بيده، فأُلقِيَت ثلاث جُثثٍ أمام البوَّابة، ورفعَ أحدهم مشعلًا فوقها كي يرى المدافِعون على الأسوار وجوه الموتى.

قال لورن الأسود: «أمين القلعة العجوز».

- «مع ليوبولد تولهارت وكلاي سروين».

كان سهم قد انغرسَ في عين اللورد الصَّبي، وفقدَ السير رودريك ذراعه اليُسرى من عند المِرفق، فأطلقَ المِايستر لوين صرخة هلعٍ بلا كلمات، والتفتَ عن الشُّرفات وسقطَ على رُكبتيه مصابًا بالغثيان.

صاحَ ذو الخوذة الحمراء: «الخنزير الكبير ماندرلي كان أجبن من أن يَترُك الميناء الأبيض، وإلَّا لكنا جئنا به أيضًا».

نجوتُ. فلماذا إذن يَشعُر بهذا الخواء؟ إنه النَّصر، النَّصر الجميل، الخلاص الذي صلَّى متوسِّلًا إياه. رمقَ المِايستر لوين قائلًا لنفسه: فكِّر كم دنوتَ من الاستسلام وارتداء الأسود... «افتحوا البوَّابات لأصدقائنا». ربما ينام ثيون اللَّيلة بلا خوفٍ مما قد تأتي به الأحلام.

قطعَ رجال «معقل الخوف» طريقهم عبر الخندق ومن خلال البوَّابات الدَّاخليَّة، وهبطَ ثيون مع لورن الأسود والمِايستر لوين ليلتقيهم في السَّاحة. على عددٍ من الرِّماح ارتفعَت الأعلام المثلَّثة الحمراء الشَّاحبة، لكن أغلبهم كان يحمل الفؤوس الحربيَّة والسُّيوف العظيمة والتُّروس نِصف المهشَّمة.

سألَ ثيون ذا الخوذة الحمراء بينما ترجَّل: «كم رجلًا فقدتم؟».

- «عشرين أو ثلاثين». انعكسَ وهج المشعل على المقدِّمة المخدوشة لخوذته المطليَّة بالمينا، والخوذة نفسها وواقي العُنق كانا مطرَّقيْن على شكل وجه وكتفي رجل دام مسلوخ الجِلد، فوه مفغور بصرخة عذابٍ صامتة.

- «كان رجال السِّير رودريك يفوقونكم عددًا خمس مرَّات».

- «أجل، لكنه حسبَنا أصدقاء. إنه خطأ شائع. عندما مَدَّ العجوز الأحمق يده لي، أخذتُ نِصف ذراعه بدلًا منها، ثم تركته يرى وجهي»، ووضعَ الرَّجل كلتا يديه على خوذته ورفعَها عن رأسه، وثبَّتها بباطن ذراعه.

غمغمَ ثيون منزعجًا: «ريك». كيف يَحصُل خادم على دِرعٍ ممتازةٍ كهذه؟



ضحكَ الرَّجل وقال: «لقد ماتَ ذلك البائس»، ودنا من ثيون متابعًا: «كانت غلطة الفتاة. لو لم تهرب بعيدًا لما كَسِحَ حصانه، ولربما استطعنا الفرار. أعطيته حصاني حين رأيتُ الخيَّالة مِن على قمَّة الأخدود. كنتُ قد فرغتُ منها، بينما كان يُحِبُّ هو أن يأخذ دوره وجثامينهن لا تزال دافئةً، فاضطررتُ لأن أسحبه من فوقها وأدسَّ ثيابي بين يديه، حذاء طويل العُنق من جِلد العجل، وسُترة من المخمل، وحزام سيف مطعَّم بالفضَّة، وحتى معطفي المصنوع من فرو السمُّور، وأمرته بأن ينطلق إلى معقلنا، وقلتُ له: «خُذ حصاني، إنه أسرع، وهاك، ارتدِ الخاتم الذي أعطاني أبي إياه كي يعرفوا أني أرسلتك». كان قد تعلَّم ألَّا يُناقِشني أبدًا، وحين أصابوه بالسَّهم في ظَهره كنتُ قد لوَّثتُ نفسي بقذارة الفتاة وارتديتُ أسماله. كان من المحتمَل أن يَشنُقوني على كلٍّ حال، لكنها الفُرصة الوحيدة التي رأيتها متاحةً»، ومسحَ فمه بظَهر يده متابعًا: «والآن يا أميري العزيز، لقد وُعِدتُ امرأةً إذا جلبتُ مئتي رجل. حسنٌ، ها قد جلبتُ ثلاثة أضعاف هذا العدد، وليسوا صبيةً خُضرًا أو عُمَّال حقولٍ كذلك، بل إنهم رجال من حامية أبي».

لقد أعطاه ثيون كلمته، فليس هذا وقت التَّراجُع. ادفع له نصيبه من اللَّحم وتعامَل معه لاحقًا. «هاراج، اذهب إلى وجار الكلاب وأحضِر پالا من أجل...؟».

أجابَ الرَّجل بابتسامةٍ على شفتيه الممتلئتين لا أثر لها في عينيه الشَّاحبتين: «رامزي... سنو كما كانت زوجتي تُسَمِّينني قبل أن تقضم أصابعها، لكني أقولُ بولتون»، وتخثَّرت ابتسامته كالحليب الفاسد وهو يُردِف: «هل تنوي أن تعرض عليَّ فتاةً من وجار الكلاب تقديرًا لخدماتي حقًّا؟».

في صوته كانت نبرة لم تَرُق ثيون، تمامًا كما لم تَرُقه النَّظرات الصَّفيقة التي حدجَه بها رجال «معقل الخوف»، لكنه قال: «إنها ما وعدتك به».

- «رائحة خراء الكلاب تفوح منها، ولقد اكتفيتُ من الرَّوائح الكريهة في الحقيقة. أظنُّ أني سآخذُ الفتاة التي تُدَفِّئ فِراشك بدلًا منها. ما اسمها؟ كايرا؟».

غاضبًا قال ثيون: «هل جُنِنت؟ سآمرُ بـ...».



هوى النَّغل بظاهر يده على وجهه مباشرةً، وهشَّم الفولاذ المزوَّد بالأقراص الواقية عظمة وجنته بدويٍّ مغثٍ، ليختفي العالم من أمامه بهديرٍ من الألم الأحمر.

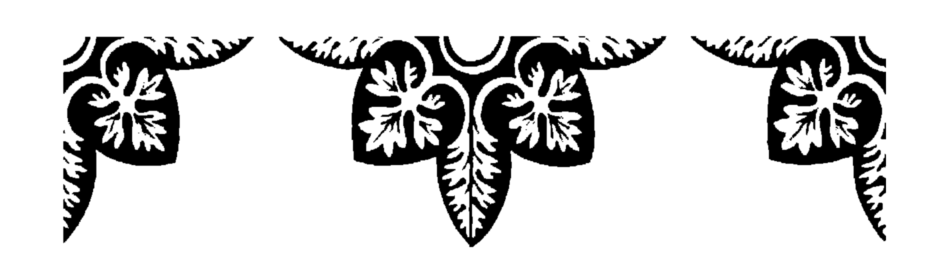
بَعد فترةٍ من الوقت وجدَ ثيون نفسه على الأرض، فتدحرجَ منقلبًا على بطنه وابتلعَ الدَّم الذي أفعمَ فمه، وحاولَ أن يَصرُخ: أغلِقوا البوَّابات!

لكن فات الأوان.

كان رجال «معقل الخوف» قد فتَكوا برولف الأحمر وكيند، والمزيد منهم يتدفَّقون من البوَّابات كنهرٍ من الفولاذ والسُّيوف البتَّارة. في أُذنه كان رنين، وفي كلِّ مكانٍ حوله رُعبٌ. استلَّ لورن الأسود سيفه، لكن أربعةً منهم كانوا قد حرَّجوا عليه بالفعل، ورأى ثيون أولف يَسقُط بسهم نُشَّابيَّة اخترقَ بطنه إذ هرعَ إلى القاعة الكُبرى، وكان المِايستر لوين يُحاوِل الوصول إليه حين غرسَ فارس على صهوة جوادٍ حربي رُمحه بين لوحيِّ كتفه، ثم دارَ ليدهسه، ولوَّح رجل آخَر بمشعلٍ مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً حول رأسه، قبل أن يُلقيه على سقف الاسطبلات المغطَّى بالقَش، وصاح نغل بولتون واللَّهب يتأجَّج: «اترُكوا لي ولديَّ فراي، وأحرِقوا البقيَّة، أحرِقوا كلَّ شيء».

آخِر شيءٍ رآه ثيون جرايچوي كان سمايلر يَرفُس محرِّرًا نفسه من الاسطبلات المحترقة والنِّيران مشتعلة في عُرفه، يشبُّ رافعًا قائمتيه الأماميَّتين، ويَصرُخ...





تيريون

حلمَ بسقفٍ حجريٍّ متصدِّع وروائح الدِّماء والغائط واللَّحم المحروق، والأدخنة تُفعِم الجَوَّ وتلذع عينيه، والرِّجال يئنُّون وينشجون في كلِّ مكانٍ حوله، وبين الحين والآخَر تخترق صرخة الهواء محمَّلة بالآلام. عندما حاولَ أن يتحرَّك، وجدَ أنه لوَّث فِراشه، وأدمعَ الدُّخان عينيه، فسألَ نفسه: هل أبكي؟ يجب ألَّا يدع أباه يراه. إنه من آل لانستر أبناء كاسترلي روك. أسدًا، يجب أن أكون أسدًا، أعيش أسدًا وأموت أسدًا. لكن الألم كان ممضًّا للغاية، وشعرَ بأنه أوهى من أن يتأوَّه حتى، فتمدَّد في قذارته وأغلقَ عينيه. بالقُرب منه كان أحدهم يلعن الآلهة بصوتٍ وحشيٍّ غليظ، فأصغى إلى كلمات التَّجديف متسائلًا إن كان يموت، وبَعد فترةٍ تلاشَت الغُرفة من أمام ناظريه.

وجدَ نفسه خارج المدينة، يمشي في دُنيا بلا ألوان. في سماءٍ رماديَّةٍ حلَّقت الغِدفان بأجنحةٍ سوداء منبسطة، وطارَت سُحب غاضبة من الغِربان آكلة الجيف بعيدًا عن وليمتها أينما خطا، وحفرَت يرقات بيضاء أخاديد في خرابٍ أسود، أمَّا الذِّئاب فكانت رماديَّةً، وكذا الأخوات الصَّامتات، ومعًا جرَّدت هذه وتلك القتلى من لحمهم. الجُثث كانت متناثرةً في كلِّ مكانٍ على أرض المباريات، والشَّمس قطعة عُملةٍ بيضاء ساخنة تُضيء النَّهر الرَّمادي المتدفِّق حول عظام السُّفن الغارقة المتفحِّمة، ومن محارق الموتى ارتفعَت أعمدة سوداء من الدُّخان والرَّماد الملتهب، فقال تيريون لانستر في أعماقه: هذا عملي. بأمري ماتَ هؤلاء.

في البدء لم يكن ثمَّة صوت في العالم، لكن بَعد قليلٍ بدأ يسمع أصوات



الموتى النَّاعمة المريعة التي ارتفعَت بالنُّواح والآهات، يتوسَّلون نهايةً للألم، يصيحون طالبين النَّجدة ومنادين أمَّهاتهم. تيريون لم يعرف أمَّه قَطُّ. أرادَ شِاي، لكنها ليست هناك، فسارَ في غمار الظِّلال الرَّماديَّة محاولًا أن يتذكَّر...

كانت الأخوات الصَّامتات يُجَرِّدن الأموات من دروعهم وثيابهم التي غابَت ألوان أصباغها الزَّاهية تمامًا، فارتدى القتلى درجاتٍ من الأبيض والرَّمادي تخثَّرت عليها دماؤهم السَّوداء. شاهدَ جُثثهم العارية تُرفَع من الأقدام والأذرُع، ثم تُحمَل متمايلةً لتنضمَّ إلى جُثث أقرانهم في المحارق، بينما أُلقيَت المعادن والأقمشة في مؤخِّرة عربةٍ خشبيَّةٍ بيضاء يجرُّها حصانان أسودان طويلان.

موتى كثيرون، كثيرون جدًّا. جُثثهم مرتمية في كلِّ مكان، ووجوههم رخوة أو متيبِّسة أو منتفخة بالغازات، لا سبيل للتعرُّف على ملامحها، تكاد تكون لا بَشريَّة. الثِّياب التي خلعَتها الأخوات الصَّامتات من على أجسادهم كانت مزيَّنةً بقلوبٍ سوداء وأسودٍ رماديَّة وزهورٍ ميتة ووعولٍ شبحيَّة شاحبة، ودروعهم كلها معوجَّة ومشقَّقة، والحلقات المعدنيَّة ممزَّقة ومكسَّرة ومشرَّطة. لماذا قتلتهم جميعًا؟ كان يعرف الإجابة ذات يوم، لكنه نسيَها.

كان ليسأل إحدى الأخوات الصَّامتات، لكن حين حاولَ أن يتكلَّم وجدَ أن لا فم له، أن جِلدًا مصمتًا أملس يُغَطِّي أسنانه. ألقى الاكتشاف في قلبه الرُّعب. كيف يعيش دون فم؟ لم تكن المدينة بعيدةً، فبدأ يجري. في المدينة سيكون آمنًا بمنأى عن كلِّ هؤلاء الموتى. لا فم له، لكنه لا يزال رجلًا حيًّا. كلا، بل أسد، أسد، وحَي. غير أنه حين بلغَ أسوار المدينة، انغلقَت البوَّابات في وجهه.

حينما أفاقَ ثانيةً كان الظَّلام سائدًا. في البداية لم يرَ شيئًا على الإطلاق، لكن بَعد مدَّةٍ بدأت حدود فِراشٍ مبهمة تلوح حوله. كانت السَّتائر مسدلةً، لكنه رأى شكل أعمدة السَّرير المنحوتة والمظلَّة المخمليَّة التي تتدلَّى فوق رأسه، ومن تحته أحسَّ بلين الحشيَّة، وبالوسادة المحشوَّة بريش الإوز التي استراحَ عليها رأسه. هذا فِراشي، إنني في فِراشي، في غُرفة نومي.

بين السَّتائر وتحت الكومة الضَّخمة من الأغطية الفرو والملاءات التي



غطَّته كان الجَوُّ حارًّا وعَرقه يتصبَّب، ففكَّر ورأسه يدور: حُمَّى. شعرَ بوهنٍ شديد، وطعنَه الألم حين كافحَ لكي يرفع يده، فاستسلمَ. كأن حجم رأسه تضاعفَ مرارًا فأصبح ضخمًا كالفِراش ذاته، فكان أثقل من أن يستطيع رفعه عن الوسادة، أمَّا جسده فيكاد لا يَشعُر به على الإطلاق. كيف جئتُ إلى هنا؟ حاولَ أن يتذكَّر، وعادَت المعركة إلى ذاكرته كالوميض المتقطِّع، القتال على ضفَّة النَّهر، والفارس الذي عرضَ عليه قُفَّازه الواقي، وجسر السُّفن...

السير ماندون. رأى العينين الميتتين خاويتي النَّظرات، واليد الممدودة إليه، والنَّار الخضراء المتوهِّجة على مينا الدِّرع البيضاء، فسرى الخوف في جسده عاصفًا باردًا، وتحت الأغطية أحسَّ بمثانته تُفرِغ ما فيها. كان ليصيح لو أن لديه فمًا. ثم إنه قال لنفسه ورأسه يدقُّ: لا، كان هذا في الحُلم. ساعِدوني، ليُساعِدني أيُّ أحد، چايمي، شاي، أمِّي، أيُّ أحد... تايشا...

لم يسمعه أحد. لم يأتِ أحد.

في وحدته المظلمة عادَ يغيب في نوم معبَّق برائحة البول، وحلمَ بأخته تقف عند فِراشه، وإلى جوارها السيِّد والدهما متجهِّم الوجه. لا بُدَّ أنه حُلم، فاللورد تايوين على بُعد آلاف الفراسخ، يُحارِب روب ستارك في الغَرب. آخَرون غيرهما جاءوا وغادَروا، وتطلَّع فارس إليه وتنهَّد، لكن الإصبع الصَّغير ألقى دعابةً، ففكَّر تيريون ببغضاء ملأَت نفسه: أيها الوغد الخائن الحقير، أرسلناك إلى «جسر العلقم» ولم تَعُد. في بعض الأحيان كان يسمعهم يُحَدِّثون بعضهم بعضًا، لكنه لم يستوعب كلمةً، وأزَّت أصواتهم في أُذنيه كدبابير يَكتُمها غلاف من اللِّباد السَّميك.

أرادَ أن يسأل إن كانوا قد ربحوا المعركة. لا بُدَّ أننا ربحنا، وإلَّا لكنتُ مجرَّد رأس على خازوق. ما دمتُ حيًّا فقد انتصَرنا. لم يدرِ أيهما سرَّه أكثر، النَّصر ذاتهُ أم حقيقة أنه استطاعَ أن يعقِل أنهم انتصَروا. معنى هذا أن بديهته تعود إليه بالفعل، حتى ولو ببُطء. هذا جيِّد، فما من شيءٍ في جَعبته غير البديهة.

عندما استيقظَ المرَّة التَّالية، كانت السَّتائر مزاحةً وپودريك پاين يقف إلى جوار الفِراش حاملًا شمعةً، ولمَّا رأى تيريون يفتح عينيه هرعَ إلى الخارج، فحاولَ أن يُنادي: لا، لا تذهب، ساعِدني، ساعِدني، لكن أقصى ما قدرَ



عليه كان أنينًا مكتومًا. إنني بلا فم. رفعَ يده إلى وجهه، تُؤلِمه كلُّ حركةٍ خرقاء مرتبكة، ووجدَت أصابعه قُماشًا متيبِّسًا حيث يُفترَض أن تجد لحمًا وشفتينٍ وأسنانًا. كتَّان. نِصف وجهه السُّفلي مضمَّد بإحكام، قناع من الجِصِّ المتصلِّب فيه فتحات للتنفُّس والإطعام.

ظهرَ پود مجدَّدًا بَعد فترةٍ قصيرة، وهذه المرة كان معه غريب، رجل يرتدي ثوب وسلسلة المِايسترات ويُغَمغِم: «يجب أن تستلقي ساكنًا يا سيِّدي، فإصاباتك بالغة، وستُؤذي نفسك بشدَّة. هل تَشعُر بالعطش؟».

استطاعَ أن يهزَّ رأسه بضَعف، فأدخلَ المِايستر قِمعًا نُحاسيًّا معقوفًا من فتحة الإطعام فوق فمه، وصَبَّ السَّائل في حَلقه بتأنٍّ، فابتلعَه تيريون وهو يكاد لا يتذوَّق شيئًا، ومتأخِّرًا أدركَ أن السَّائل هو حليب الخَشخاش، وحين أخرجَ المِايستر القِمع من فمه، كان تيريون يغوص في أغوار المنام ثانيةً.

هذه المرَّة حلمَ بأنه في مأدبة، مأدبة نصرٍ في قاعةٍ كُبرى ما، وكان يجلس على مقعدٍ عالٍ فوق منصَّة، والرِّجال يرفعون كؤوسهم ويُهَلِّلون له باعتباره بطلًا. كان ماريليون هناك، ذلك المغنِّي الذي ارتحلَ معهم وسط جبال القمر، وقد عزفَ على قيثارته الخشبيَّة وغنَّى عن مآثر العِفريت العظيمة، وحتى أبوه نفسه كان يبتسم استحسانًا. عندما انتهَت الأغنيَّة، نهضَ چايمي من مكانه وأمرَ تيريون بالرُّكوع، ثم بسيفه الذَّهبي مَسَّ كتفه ثم كتفه الثَّانية، ونهضَ تيريون فارسًا. شِاي أيضًا كانت هناك، تنتظر أن تُعانِقه، وأمسكَته من يده وهي تضحك وتُمازِحه وتُناديه بعملاقها ابن لانستر.

استيقظَ في ظلمة غُرفةٍ فارغةٍ باردة، وقد أُسدِلَت السَّتائر على الفِراش ثانيةً. شيء ما خطأ، مقلوب، ولكنه لا يدري ماذا. إنه وحده من جديد. أزاحَ الأغطية وحاولَ أن يجلس، لكن الألم كان عارمًا وسرعان ما كَفَّ عن المحاوَلة وراح يلهث. وجهه كان أقلَّ ما يُوجِعه، أمَّا جانبه الأيمن بأكمله فألم واحد شنيع، وكلما حاولَ أن يرفع ذراعه طعنَ الوجع صدره. ماذا حدثَ لي؟ حتى المعركة نفسها بدَت كحُلم ضبابي لمَّا حاولَ استعادتها في مخيِّلته. جراحي أبلغ كثيرًا مما حسبتُ. السيرُ ماندون... روَّعته الذِّكري، لكن تيريون أرغمَ نفسه على التمسُّك بها وتدويرها في رأسه والتَّحديق فيها بإمعان. لقد



حاولَ قتلي لا ريب، ذلك الجزء لم يكن حُلمًا. كان ليَشطُرني نِصفين لو لا أن پود... پود. أين پود؟

أطبقَ على السَّتائر وشَدَّها وهو يصرُّ بأسنانه، فانفصلَت عن المظلَّة التي تعلوه وسقطَت، نِصفها فوق البساط ونِصفها فوقه. حتى هذا المجهود الصَّغير أصابَه بالدُّوار، ودامَت الغُرفة من حوله، جُدرانها كلها عارية وظلالها قاتمة، وثمَّة نافذة وحيدة ضيِّقة. رأى صندوقًا يملكه، وكومةً غير منظَّمة من ثيابه، ودِرعه. لستُ في غُرفة نومي، ولا في بُرج اليد أصلًا. أحدهم نقلَه. خرجَت صيحته الغاضبة آهةً مكبوتةً، وفكَّر إذ استسلمَ وعادَ يُغلِق عينيه: نقَلوني إلى هنا لأموت. كانت الغُرفة رطبةً باردةً، وهو يحترق.

حلمَ بمكانٍ أفضل، بكوخٍ صغيرٍ مريحٍ يطلُّ على بحر الغروب. كانت الجُدران مائلةً متصدِّعةً، والأرضيَّة من التُّربة الممهَّدة، لكن لطالما أحسَّ بالدِّفء هناك، حتى بَعدما يَترُكا النَّار تنطفئ. اعتادَت أن تُمازحني بخصوص هذا. لم أفكِّر قَطُّ في تزكية النَّار، فهذا عمل خادمة. كانت تُذَكِّره قائلةً: «ليست لدينا خادمات»، فيقول لها: «أنا لديكِ، أنا خادمكِ»، فتقول له: «خادم كسول. ماذا يفعلون بالخادمات الكسولات في كاسترلي روك يا سيِّدي؟»، فيقول لها: «يُقَبِّلونهن»، فتُقَهقِه كما تفعل دائمًا كلما قال ذلك، وتردُّ: «لا أصدِّقُ. أراهنُ أنهم يضربونهن»، لكنه يقول بإصرار: «لا، بل يُقَبِّلونهن، هكذا»، ويميل عليها ليُريها كيف قائلًا: «يُقَبِّلون أصابعهن أولًا، إصبعًا بَعد إصبع، ثم يُقَبِّلون المعصمين، نعم، ثم باطني المِرفقين، ثم يُقَبِّلون آذانهن المضحكة. كلُّ خدمنا لديهم آذان مضحكة. كُفِّي عن الضَّحك! ويُقَبِّلون الوجنتين، ويُقَبِّلون الأنف وتكويرته الصَّغيرة، نعم، هكذا، بالضَّبط، ويُقَبِّلون الجبين الجميل والشَّعر والشَّفتين و... ممممم... الفم... هكذا...».

تمضي ساعات وساعات وهما يتبادَلان القُبلات، وتمضي أيام كاملة دون أن يفعلا شيئًا غير الاضطجاع في الفِراش والإصغاء للأمواج بينما يتحسَّس كلٌّ منهما الثَّاني. كان جسدها أعجوبةً في نظره، وبدَت هي متلذِّذةً بجسده. أحيانًا كانت تُغَنِّي له. عشقتُ بنتًا بهيةً كالصَّيف، في شَعرها نور الشَّمس.



تهمس قبل أن يَخلُدا إلى النَّوم ليلًا: «أحبُّك يا تيريون، أحبُّ شفتيك، وأحبُّ صوتك والكلام الذي تقوله لي، وأحبُّ أنك تُعامِلني برقَّة، وأحبُّ وجهك».

- «وجهي أنا؟».

- «نعم، نعم، وأحبُّ يديك وكيف تلمسني بهما، وقضيبك، أحبُّ قضيبك، أحبُّ الإحساس به في داخلي».

- «هو أيضًا يُحِبُّك يا سيِّدتي».

- «أحبُّ أن أردِّد اسمك، تيريون لانستر. إنه يتماشى مع اسمي، ليس لانستر، بل الاسم الأول. تيريون وتايشا، تايشا وتيريون. تيريون. لورد تيريون...».

أكاذيب. كلُّ ذلك كان زيفًا، كله من أجل الذَّهب. كانت عاهرةً، عاهرة چايمي، هديَّة چايمي، سيِّدتي سيِّدة الأكذوبة. بدأ وجهها يخبو، يذوب وراء حجابٍ من الدُّموع، لكن حتى بَعدما اختفَت ظَلَّ يسمع صوتها الخافت البعيد يُناديه. «... سيِّدي، هل تسمعني؟ سيِّدي؟ تيريون؟ سيِّدي؟ سيِّدي؟».

في غيامة النَّوم المتبَّل بالخَشخاش رأى وجهًا ورديًّا ناعمًا يميل عليه. من جديدٍ كان في الغُرفة الرَّطبة ذات ستائر الفِراش الممزَّقة، والوجه مختلف، ليس وجهها، مستدير أكثر من وجهها، وحول الفم لحية. «أتَشعُر بالظَّمأ يا سيِّدي؟ إن معي حليبك، الحليب المفيد. يجب ألَّا تُقاوِم، لا، لا تُحاوِل أن تتحرَّك، إنك في حاجةٍ إلى الرَّاحة». كان يحمل القمع النُّحاسي بيدٍ ورديَّة مبلَّلة وقنينةً بالثَّانية.

لمَّا انحنى الرَّجل دانيًا منه، دَسَّ تيريون يده تحت سلسلته ذات المعادن العدَّة وأطبقَ عليها وشَدَّها، فأسقطَ المِايستر القنينة لينسكب حليب الخَشخاش على الغطاء، ولوى تيريون السِّلسلة حتى أحسَّ بالحلقات تنغرس في لحم عُنق الرَّجل، وبصوتٍ كالنَّعيب قال: «كفى»، فسمعَ صوته مبحوحًا لدرجةٍ جعلَته يشكُّ في أنه تكلَّم أصلًا، لكن لا بُدَّ أنه فعلَ، لأن المِايستر رَدَّ بصوتٍ مخنوق: «أرجوك دعني يا سيِّدي... تحتاج حليبك... الألم... السِّلسلة، لا، أبعِد يدك، لا...».

كان الوجه الوردي قد بدأ يستحيل بنفسجيًّا حين تخلَّى تيريون عن



السِّلسلة، وتراجعَ المِايستر مسرعًا وهو يعبُّ الهواء، بينما لاحَت على عُنقه المحمرِّ أخاديد بيضاء عميقةً حيث انضغطَت الحلقات، وقد اتَّسعت عيناه فبانَ بياضهما أيضًا. رفعَ تيريون يده إلى وجهه مشيرًا إلى القناع الصُّلب بحركةٍ كالتَّمزيق، مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً.

أخيرًا قال المِايستر: «تُريد... تُريد خلع الضمَّادات؟ أهذا ما تُريد؟ لكني لا أستطيعُ أن... سيكون هذا... سيكون تصرُّفًا يُنافي الحكمة تمامًا يا سيِّدي. إنك لم تُشفَ، والملكة سوف...».

جعلَه الإتيان على ذِكر أخته يُزمجر. أأنت أحد رجالها إذن؟ أشارَ بإصبعه إلى المِايستر، ثم ضَمَّ قبضةً تسحَق، تَخنُق، وعيدٌ واضح، ما لم يُنفِّذ الأحمق الأمر.

لحُسن الحَظِّ أنه فهِمَ، فقال: «ســ... سأفعلُ ما يأمر به سيِّدي بالتَّأكيد، لكن... ليس هذا تصرُّفًا حكيمًا. إن جراحك...».

بصوتٍ أعلى قال هذه المرَّة: «نفِّذ».

انحنى الرَّجل وغادرَ الغُرفة، قبل أن يعود بَعد لحظاتٍ قليلة حاملًا سكِّينًا رفيعًا ذا نصلٍ محزَّز كالمنشار، وطَستًا مليئًا بالماء، وكومةً من الأقمشة النَّاعمة، وعددًا كبيرًا من القوارير. عندئذٍ كان تيريون قد استطاعَ التلوِّي زاحفًا إلى الوراء بعضَ الشَّيء، فأصبحَ شِبه جالسٍ وظَهره مستند إلى الوسادة. طلبَ منه المِايستر ألَّا يتحرَّك إطلاقًا بينما دَسَّ طرف السكِّين تحت القناع أسفل ذقنه. يكفي أن تنزلق يده مرَّةً فتتخلَّص سرسي مني. أحسَّ بالنَّصل ينشر الكتَّان المتيبِّس فوق حَلقه ببوصاتٍ معدودة.

مِن حُسن الطَّالع أن هذا الرَّجل الوردي النَّاعم ليس من مخلوقات أخته الشُّجعان. بَعد لحظاتٍ أحسَّ تيريون بالهواء البارد على وجنتيه، وإن صاحبَه ألم بذلَ قصارى جهده كي يتجاهَله. تخلَّص المِايستر من الضمَّادات التي لا تزال عليها قشرة جامدة من العقاقير الجافَّة، ثم قال: «اثبت تمامًا. يجب أن أنظِّف الجرح». كانت لمسته رقيقةً والماء دافئًا مريحًا. الجرح، فكَّر تيريون وهو يتذكَّر ومضةً من الفولاذ الأبيض الذي بدا أنه مَرَّ تحت عينيه مباشرةً. قال المِايستر بينما بلَّل قطعةً من القُماش بنبيذٍ تفوح منه رائحة الأعشاب: «ستَشعُر



بلسعة»، لكن ما شعرَ به لم يكن مجرَّد لسعة، بل خَطًّا من النَّار امتدَّ عبر وجهه ودَسَّ عمودًا حارقًا في أنفه، فأطبقَت أصابعه على ملاءات السَّرير واحتبسَت أنفاسه، لكنه استطاعَ بشكلٍ ما ألَّا يَصرُخ. كان المِايستر يتكلَّم كدجاجةٍ عجوز تنقُّ، فيقول: «كان أكثر حكمةً أن يُترَكَ القناع في مكانه حتى يلتئم اللَّحم يا سيِّدي، لكن الجرح يبدو نظيفًا رغم ذلك. عظيم، عظيم. حين وجدناك في ذلك القبو بين الموتى والمحتضرين كانت جروحك ملوَّثةً، وأحد ضلوعك مكسورًا. لا شَكَّ أنك تَشعُر به. ضربة كرةٍ شائكة ربما، أو سقطة، من الصَّعب أن نعرف. كما أنك أصبت بسهم في ذراعك حيث تلتقي بالكتف. أبدى هذا الجرح علامات الإصابة بالأُكال، وحسبتُ فترةً أننا قد نضطرُّ للبتر، لكننا عالَجناه بالنَّبيذ المغلي واليرقات، ويبدو الآن أنه يندمِل بنظافة...».

قاطَعه تيريون لاهثًا: «الاسم، الاسم».

حدَّق فيه المِايستر بدهشةٍ قائلًا: «أنت تيريون لانستر يا سيِّدي، أخو الملكة. هل تَذكُر المعركة؟ أحيانًا تتسبَّب إصابات الرَّأس في...».

- «اسمك». كان حَلقه جافًّا تمامًا، ونسيَ لسانه كيف يُشَكِّل الكلمات.

- «أنا المِايستر بالابار».

قال تيريون: «بالابار. أحضِر لي. مرآةً».

- «سيِّدي، لا أنصحُ بهذا... ربما يكون هذا، آه، غير حكيم... إن جرحك...».

اضطرَّ لأن يُكَرِّر: «أحضِرها». كان فمه متصلِّبًا موجوعًا كأن لكمةً شقَّت شفته. «شراب. نبيذ. لا خَشخاش».

نهضَ المِايستر محتقن الوجه وخرجَ من الغُرفة، ثم عادَ ومعه إبريق من النَّبيذ الكهرماني الباهت ومرآة مفضَّضة صغيرة في إطارٍ منمَّق من الذَّهب، وجلسَ على حافة الفِراش وصَبَّ نِصف قدح من النَّبيذ ورفعَه إلى شفتي تيريون المتورِّمتين، فنزلَ السَّائل إلى معدته باردًا، وإن تذوَّقه بالكاد. «المزيد»، قال عندما فرغَ القدح، فعادَ المِايستر بالابار يصبُّ، ومع نهاية القدح الثَّاني شعرَ تيريون بما يكفي من قوَّةٍ لمواجَهة وجهه.

قلبَ المرآة ونظرَ فيها، ولم يدرِ هل يضحك أم يبكي. كانت الشجَّة طويلةً



معوجَّةً، تبدأ تحت عينه اليُسرى مباشرةً وتنتهي على جانب فَكِّه الأيمن، وقد راحَ ثلاثة أرباع أنفه وقطعة من شفته. أحدهم خيَّط اللَّحم الممزَّق بأمعاء القِطط، ولا تزال الغُرز الخرقاء في مكانها على شِقِّ اللَّحم الأحمر المسحوج نِصف الملتئم. ألقى المرآة بعيدًا، وقال بصوتٍ مبحوح: «وسيم».

الآن يتذكَّر. جسر السُّفن، السير ماندون مور، اليد، السَّيف يهوي على وجهه. لو لم أتراجَع، لأطارَت تلك الضَّربة قمَّة رأسي. لطالما قال چايمي إن السير ماندون أخطر رجال الحَرس الملكي على الإطلاق، لأن عينيه الميتتين الخاويتين من كلِّ تعبيرٍ لا تُفصِحان عن نيَّاته أبدًا. لم يكن حريًّا بي أن أثق بأيِّهم على الإطلاق. كان يعرف أن السير مرين والسير بوروس ينتميان لأخته، والسير أوزموند لاحقًا، لكنه خيَّل لنفسه أن الآخَرين لم يتنازَلوا عن شَرفهم بالكامل. لا بُدَّ أن سرسي دفعَت له ليتأكَّد من عدم عودتي من المعركة حيًّا أبدًا. هل من سببٍ آخَر؟ إنني لم أسئ إلى السير ماندون قَطُّ على حَدِّ علمي. مَسَّ تيريون وجهه جاذبًا اللَّحم العزيز بأصابع غليظة متبلِّدة. هديَّةَ أخرى من أختي الجميلة.

وقفَ المِايستر إلى جوار السَّرير باديًا كإوزَّةٍ على وشك الطَّيران، وقال: «سيِّدي، غالبًا ستكون هناك نُدبة...».

- «غالبًا؟». استحالَ نخيره الضَّاحك إلى جفلة ألم. نعم، ستكون هناك نُدبة بالتَّأكيد، كما أنه لا ينتظر أن ينبت له أنف جديد قريبًا، لكن ليس كأن وجهه كان يَصلُح لأن يتطلَّع النَّاس إليه على كلِّ حال. أحسَّ بابتسامته تشدُّ جِلد وجهه وهو يقول: «علِّمني. ألَّا. ألعب. بالفؤوس»، ثم تساءلَ: «أين. نحن؟ ما. ما. المكان؟». الكلام مؤلم بحَق، لكن تيريون ظَلَّ صامتًا طويلًا.

- «آه، إنك في حصن ميجور يا سيِّدي، في غُرفةٍ فوق قاعة حفلات الملكة. جلالتها أرادَتك قريبًا منها كي تطمئنَّ عليك بنفسها».

أراهنُ أنها أرادَتني قريبًا بالفعل. قال آمرًا: «أعِدني. فِراشي. غُرفتي». حيث يُحيط بي رجالي، ويكون لديَّ مِايستري الخاص كذلك، إذا وجدتُ واحدًا أثِقُ به.



- «غُرفتـ... سيِّدي، لن يكون ذلك ممكنًا. لقد اتَّخذ يد الملك مقرَّه في مسكنك السَّابق».

- «أنا. يد. الملك». كان مجهود الكلام يُنهِكه وقد أصابَه الارتباك مما يسمعه.

بدا المِايستر بالابار منزعجًا وهو يقول: «لا يا سيِّدي. إنني... لقد كنتَ جريحًا وعلى شفا الموت، والآن يتولَّى السيِّد والدك هذا الواجب. اللورد تايوين، إنه...».

- «هنا؟!».

- «منذ ليلة المعركة. اللورد تايوين أنقذَنا جميعًا. يقول العوام إنه كان شبح الملك رنلي، لكن الحُكماء يعرفون أن هذا هراء. لقد كان أبوك واللورد تايرل، ومعهما فارس الزُّهور واللورد الإصبع الصَّغير. قطَعوا الأراضي المحترقة وباغَتوا الغاصِب ستانيس من المؤخِّرة. كان نصرًا عظيمًا، والآن يستقرُّ اللورد تايوين في بُرج اليد لمساعَدة جلالة الملك على تقويم أوضاع البلاد والشُّكر للآلهة».

ردَّد تيريون بلهجةٍ خاوية: «الشُّكر للآلهة». أبوه اللَّعين والإصبع الصَّغير اللَّعين وشبح رنلي؟ «أريدُ...». مَن أريدُ؟ لا يستطيع أن يقول لبالابار ذي البشرة الورديَّة أن يأتيه بشاي. مَن يَطلُب؟ بمَن يثق؟ فارس؟ برون؟ السير چاسلين؟ «... مُرافِقي. پود. پاين». إنه پود الذي كان على جسر السُّفن، الصَّبي أنقذَ حياتي.

- «الصَّبي؟ الصَّبي غريب الأطوار؟».

- «غريب الأطوار. پودريك. پاين. اذهب. أرسِله».

قال المِايستر بالابار: «كما ترغب يا سيِّدي»، وحنى رأسه وأسرعَ يُغادِر، وأحسَّ تيريون بالقوَّة تتسرَّب منه ريثما انتظرَ متسائلًا كم ظَلَّ هنا نائمًا. تُريدني سرسي أن أنام إلى الأبد، لكني لن أتكرَّم عليها بذلك.

دخلَ پودريك پاين الغُرفة خائفًا كفأر، ودنا من الفِراش ببُطءٍ قائلًا: «سيِّدي»، فتساءلَ تيريون: كيف يُمكن أن يكون صبيٌّ بتلك الشَّجاعة في



المعركة بهذا الخوف في حُجرة مريض؟ وتابعَ پود: «أردتُ أن أبقى معك، لكن المِايستر صرفَني».

- «اصرِفه. اسمعني. الكلام صعب. أريدُ نبيذ النَّوم. نبيذ النَّوم، لا حليب الخَشخاش. اذهب إلى فرنكن. فرنكن لا بالابار. راقِبه وهو يعدُّه. أحضِره إليَّ». اختلسَ پود نظرةً سريعةً إلى وجه تيريون، وبالسُّرعة نفسها أشاحَ ببصره، فقال تيريون في داخله: لا أستطيعُ أن ألومه، ثم واصلَ مكلِّمًا الصَّبي: «أريدُ. حُرَّاسي. برون. أين برون؟».

- «نصَّبوه فارسًا».

- «اعثُر عليه. أحضِره». حتى تقطيب وجهه يُؤلِمه.

- «كما تقول يا سيِّدي، برون».

قبضَ تيريون على معصم الصَّبي قائلًا: «السير ماندون؟».

جفلَ پود وقال متلعثمًا: «إنني لـلم أقصد أن أقـقـقـ...».

- «ماتَ؟ متأكِّد؟ ماتَ؟».

بدَّل الصَّبي وضع قدميه بجبنٍ مهمهمًا: «غرقَ».

- «عظيم. لا تَقُل شيئًا. عنه. عني. عن ما حدثَ. لا شيء».

كانت قوى تيريون قد خارَت تمامًا حين غادرَ الصَّبي، فتمدَّد وأغلقَ عينيه، علَّه يَحلُم بتايشا ثانيةً، وتساءلَ بمرارة: تُرى هل يروقها وجهي الآن؟





چون

عندما قال له كورين ذو النِّصف يد أن يجد القليل من الحطب لإشعال نار، علمَ چون أن نهايتهما دانية.

لا بأس بأن نَشعُر بالدِّفء ثانيةً ولو فترةً قصيرةً، قال لنفسه وهو يَبتُر الأغصان العارية من جذع شجرةٍ ميتة، وقد جلسَ جوست على قائمتيه الخلفيَّتين يُراقِبه بصمتٍ كديدنه. ترُى هل سيعوي من أجلي كما فعلَ ذئب بران حين سقطَ؟ هل سيعوي شاجيدوج بعيدًا في وينترفل؟ وجراي ويند ونايميريا أينما كانا؟

كان القمر يرتفع من وراء جبلٍ والشَّمس تغوص وراء آخَر بينما استولدَ چون الشَّرر من حجر الصوَّان والخنجر، حتى تصاعدَ خيط من الدُّخان أخيرًا، فجاءَ كورين ووقفَ إلى جانبه إذ اشتعلَ اللَّهب الخافت متذبذبًا في قُشارة لِحاء الأشجار وإبر الصَّنوبر الجافَّة الميتة، وقال الجوَّال الكبير بصوتٍ هادئ: «خجول كعذراء ليلة زفافها، وتكاد تُباريها في الحُسن. أحيانًا ينسى المرء كم يُمكن أن تكون النَّار جميلةً».

لم يكن بالرَّجل الذي تتوقَّع منه أن يتكلَّم عن العذارى وليالي الزِّفاف، فعلى حَدِّ علم چون، أمضى كورين حياته كلها في حَرس اللَّيل. هل أحبَّ عذراء من قبل وزُفَّت إليه؟ لم يستطِع أن يسأله، وبدلًا من هذا أخذَ يُهَوِّي النَّار، ولمَّا تأجَّجت وطقطقَت، خلعَ قُفَّازيه المتيبِّسين ليُدفئ يده، وتنهَّد متسائلًا إن كانت قُبلات الدُّنيا كلها قادرةً على بَثِّ إحساسٍ بهذا الجَمال في المرء، وقد بدأ الدِّفء يسري في أصابعه كالزُّبد الذَّائب.



بتؤدةٍ جلسَ ذو النِّصف يد إلى جوار النَّار وتربَّع، واللَّهب الرَّاقص يتلاعَب على تضاريس وجهه القاسية. لم يبقَ غيرهما من الجوَّالة الخمسة الذين فرُّوا من «الممر الصَّادح» عودةً إلى براري «أنياب الصَّقيع» المصطبغة بدرجات بالأزرق والرَّمادي.

في البداية احتضنَ چون الأمل في أن يستطيع المُرافِق دالبريدچ صَدَّ الهَمج في الممر، لكن حين سمعوا نداء بوقٍ بعيد، أدرَكوا جميعًا أن المُرافِق قد سقطَ، ولاحقًا لمحوا النَّسر يطير في سماء الغَسق بجناحين من الرَّمادي والأزرق، فخلعَ ثعبان الحجر قوسه من على ظَهره، إلَّا أن الطَّائر حلَّق بعيدًا عن مرماه قبل أن يُثبِّت الوتر حتى، فبصقَ إِبن وأخذَ يُهَمهِم حانقًا بأشياء عن الأوْراج ومبدِّلي الجِلدة.

شاهَدوا النَّسر مرَّتين أخريين في اليوم التَّالي، وسمعوا أصداء أنغام بوق الصَّيد تتردَّد من ورائهم بين الجبال، أعلى كلَّ مرَّةٍ وأقرب. عندما حَلَّ اَللَّيل، قال ذو النِّصف يد لإِبن أن يأخذ حصان المُرافِق بالإضافة إلى حصانه، ويقطع الطَّريق الذي سلَكوه من الشَّرق عودةً إلى مورمونت بأقصى سُرعة، أمَّا البقيَّة فسيجتذبون الهَمج إلى مطارَدتهم، فقال إِبن: «أرسِل چون. إنه يستطيع الرُّكوب بسرعةٍ مِثلي».

- «چون لديه دور آخَر يلعبه».

- «ما زال صبيًّا صغيرًا».

قال كورين: «كلا، إنه رجل من حَرس اللَّيل».

افترقَ إِبن عنهم حينما ارتفعَ القمر في السَّماء، وقطعَ ثعبان الحجر جزءًا قصيرًا من الطَّريق معه شَرقًا، ثم عادَ مخفيًا آثارهما، وتحرَّك الثَّلاثة المتبقُّون نحو الجَنوب الشَّرقي.

بَعدها امتزجَ ليلهم بنهارهم، فكانوا ينامون فوق سُروجهم ولا يتوقَّفون إلَّا لإطعام وسقاء خيولهم، ثم يتحرَّكون من جديد. ركبوا بين الصُّخور العارية، ووسط غابات الصَّنوبر الكئيبة وأكوام الثَّلج القديم المتراكمة، وفوق الأخاديد الجليديَّة، وعبر أنهارٍ بلا أسماء. أحيانًا كان كورين أو ثعبان الحجر يعود دائرًا في حلقةٍ من ورائهم لطمْس آثارهم، وإن كان مجهودًا بلا طائل.



كانوا مراقَبين طيلة الوقت، وكلَّ فَجرٍ وغَسقٍ رأوا النَّسر يُحَلِّق في الأعالي بين القمم، لا يبدو أكبر من ذَرَّةٍ في السَّماء الشَّاسعة.

كانوا يصعدون من أخدودٍ واطئ بين قِمَّتين مكلَّلتين بالثُّلوج، حين خرجَ قِطُّ ظِلٍّ مزمجرًا من عرينه على بُعد أقلَّ من عشر ياردات. كان ضاوي الجسد ويكاد يَنفُق جوعًا، لكن مجرَّد مرآه أصابَ فَرس ثعبان الحجر بالهلع، فتراجعَت رافعةً قائمتيها الأماميَّتين وانطلقَت تفرُّ، وقبل أن يستطيع الجوَّال السَّيطرة عليها، تعثَّرت على المنحدَر الحاد وكسرَت ساقًا.

أكلَ جوست وجبةً هنيئةً يومها، وأصرَّ كورين على أن يخلطوا القليل من دم الفَرس بالشُّوفان ليُكسِبهم القوَّة. كادَ چون يختنق من مذاق ذلك الثَّريد الكريه، لكنه أجبرَ نفسه على ازدراده، ثم قطعَ كلٌّ منهم دستةً من شرائح اللَّحم النَّيئ من الجثَّة، ليمضغوه بينما يركبون، وتركوا البقيَّة لِقطط الظِّل.

لم يكن هناك سبيل لامتطاء اثنين منهم حصانًا واحدًا في الآن نفسه، فعرضَ ثعبان الحجر أن يجثم هنا في انتظار المطارِدين ويُباغِتهم حين يظهرون، فعلَّه يتمكَّن من أن يأخذ بعضًا منهم معه إلى الجحيم، لكن كورين رفضَ قائلًا: «إذا كان هناك رجل يستطيع النَّجاة في «أنياب الصَّقيع» بمفرده وسيرًا على الأقدام، فهذا الرَّجل أنت يا أخي. إنك تستطيع صعود جبالٍ لا يقدر الحصان إلَّا على الدَّوران من حولها. اذهب إلى «القبضة»، وأبلِغ مورمونت بما رآه چون، وكيف رآه. قُل له إن القُوى القديمة تستيقظ، إنه يُواجِه عمالقةً وأوْراجًا وما هو أسوأ، قُل له إن أعيُن الأشجار تتفتَّح من جديد».

لا فُرصة له، فكَّر چون إذ شاهدَ ثعبان الحجر يختفي فوق قمَّة أخدودٍ مغطَّاة بالثَّلج، حشرة سوداء دقيقة تزحف في البياض السَّرمدي المائج.

بَعد ذلك بدَت كلُّ ليلةٍ أكثر برودةً من سابقتها، وأكثر وحشةً. لم يكن جوست معهما طول الوقت، لكنه لم يبتعد كثيرًا كذلك، وحتى لمَّا افترقَ عن چون، كان يظلُّ يحسُّ بقُربه، الشَّيء الذي سرَّه. أمَّا ذو النِّصف يد فليس من ألطف النَّاس معشرًا، فقط تتأرجَح ضفيرته الشَّائبة الطَّويلة ببُطءٍ مع حركة حصانه، وتمضي ساعات طويلة دون أن يتفوَّه أحدهما بكلمةٍ واحدة، ولا صوت غير احتكاك حدوات الحصانين بالحجارة وصفير الرِّيح التي تهبُّ بلا



نهايةٍ وسط المرتفعات. في نومه لم يَحلُم چون، لا بالذِّئاب ولا بإخوته أو أيِّ شيء، فكان يقول لنفسه: حتى الأحلام نفسها لا تستطيع الحياة ها هنا.

والآن سألَه كورين ذو النِّصف يد من على الجانب الآخَر من النَّار المرتعشة: «هل سيفك حادٌّ يا چون سنو؟».

- «سيفي من الفولاذ الڤاليري. الدُّب العجوز أعطاني إيَّاه».

- «هل تَذكُر كلمات يمينك؟».

- «نعم». إنها ليست بالكلمات التي يُمكن أن ينساها الرَّجل، بمجرَّد أن تُرَدَّد فلا سبيل للتَّراجُع عنها. إنها تُغيِّر حياتك إلى الأبد.

- «ردِّدها معي ثانيةً يا چون سنو».

قال: «ليكن»، وتمازجَ صوتاهما معًا حتى صارا واحدًا تحت القمر المرتفع، بينما أصغى جوست وشهدَت عليهما الجبال ذاتها. «اللَّيل يزداد حَلكةً، والآن تبدأ حراستي، ولن تنتهي حتى مماتي. لن أتَّخذ لنفسي زوجةً، أو أملك أرضًا، أو أنجب أبناءً، ولن أرتدي تاجًا أو أظفر بمجد، وسأعيشُ في موقعي وأموتُ فيه. أنا السَّيف في الظُّلمات، أنا الحارس على الأسوار، أنا النَّار التي تحترق لتَطرُد البَرد، الضَّوء الذي يأتي بالفَجر، النَّفير الذي يوقظ النِّيام، الدِّرع التي تقي بلدان البَشر. لحَرس اللَّيل أتعهَّدُ بحياتي وشَرفي، بدايةً من اللَّيلة وطوال جميع اللَّيالي القادمة».

حين انتهيا، لم يكن هناك صوت غير طقطقة اللَّهب وتنهُّد الرِّيح البعيد. فتحَ چون أصابعه المحروقة وأغلقَها، في عقله يتشبَّث بالكلمات ويُصَلِّي لأن تمنحه آلهة أبيه القوَّة فيموت بشَجاعةٍ لمَّا تحين ساعته. لن يطول الوقت، فقوَّة الحصانين تكاد تخور تمامًا، ويرتاب چون في قُدرة فَرس كورين على الصُّمود يومًا آخَر.

عندئذٍ كان اللَّهب في طريقه إلى الخُبُوِّ، والدِّفء ينسحب من جسديهما، فقال كورين: «ستهمد النَّار قريبًا، لكن إذا انهارَ «الجِدار»، فستخبو النِّيران كلها».

لم يُحِر چون جوابًا، فاكتفى بإيماءةٍ من رأسه.

قال الجوَّال: «ربما نستطيع الفرار منهم، أو لا نستطيع».



- «لستُ خائفًا من الموت». كان قوله نِصف صادقٍ نِصف كاذب.
- «قد لا تكون المسألة بتلك البساطة يا چون».
لم يفهم، فسألَه: «ماذا تعني؟».
- «إذا أوقَعوا بنا، فيجب أن تستسلم».
حدَّق فيه غير مصدِّقٍ، وردَّد: «أستسلمُ؟». الهَمج لا يأسرون الرِّجال الذين يُلَقِّبونهم بالغِربان، بل يَقتُلونهم، ما خلا... «إنهم لا يعفون إلَّا عن الحانثين باليمين الذين ينضمُّون إليهم، مِثل مانس رايدر».
- «ومِثلك».
هَزَّ رأسه قائلًا: «كلا، أبدًا، لن أفعل».
- «بل ستفعل. إنني آمُرك».
- «تأمُرني؟ لكن...».
- «شَرفنا لا يسوى أكثر من حياتنا ما دامَت البلاد آمنةً. أأنت رجل من حَرس اللَّيل؟».
- «نعم، لكن...».
- «ليس هناك لكن يا چون سنو، إمَّا أن تكون كذلك أو لا تكون».
شَدَّ چون قامته، وقال: «نعم».
- «اسمعني إذن. إذا أوقَعوا بنا، ستنشقُّ إليهم كما دعَتك الفتاة التي أسرتها من قبل. قد يَطالِبوك بأن تُمَزِّق معطفك، أن تُقسِم لهم بقبر أبيك، أن تلعن إخوانك وقائدك، فلا تَرفُض مهما طلبوا منك. افعل كما يقولون... لكن تذكَّر في قلبك مَن وماذا تكون. اركب معهم، كُل معهم، قاتِل معهم طيلة ما يلزم من وقتٍ، وراقِب».
سألَه چون: «أراقبُ ماذا؟».
قال كورين: «ليتني أعلمُ. لقد رآهم ذئبك يَحفُرون في وادي النَّهر اللَّبني، فعمَّ كانوا يبحثون في مكانٍ مقفرٍ ناءٍ كهذا؟ وهل عثروا عليه؟ هذا ما يجب أن تعرفه قبل أن تعود إلى اللورد مورمونت وإخوانك، هذا هو الواجب الذي أكلِّفك به يا چون سنو».
قال چون على مضض: «سأفعلُ كما تقول، لكن... لكنك ستُخبِرهم،



أليس كذلك؟ ستُخبِر الدُّب العجوز على الأقل؟ ستُخبِره بأني لم أحنث بقَسمي؟».

رمقَه كورين ذو النِّصف يد عبر اللَّهب وقد غابَت عيناه في بركة ظلال، وقال: «أقسمُ أن أفعل حين أراه المرَّة القادمة»، وأشارَ إلى النَّار مردفًا: «أحضِر المزيد من الخشب. أريدُها أن تتلظَّى».

ذهبَ چون لتقطيع المزيد من الأغصان، وكسرَ كلًّا منها إلى نِصفين قبل أن يُلقيها في النَّار. كانت الشَّجرة ميتةً منذ زمنٍ طويل، لكن بدا كأنها عادَت إلى الحياة ثانيةً في ضوء النَّار، إذ دبَّت الحركةُ في راقصاتٍ من لهبٍ داخل كل قطعةٍ من الخشب، أخذن يَدُرن ويتواثَبن في فساتين وهَّاجة من الأصفر والأحمر والبرتقالي.

ثم أعلنَ كورين فجأةً: «كفى. سنتحرَّك الآن».

كان الظَّلام سائدًا وراء النَّار، واللَّيلة قارسةً. «نتحرَّك؟ إلى أين؟».

قال كورين: «سنعود أدراجنا»، وامتطى حصانه مرَّةً أخرى متابعًا: «ستجتذبهم النَّار ويجتازونها في الاتِّجاه الآخَر كما آملُ. هلمَّ يا أخي».

عادَ چون يرتدي قُفَّازيه، ورفعَ قلنسوته، وبدا أن الحصانين نفسيهما كارهان للابتعاد عن النَّار. كانت الشَّمس قد رحلَت منذ فترةٍ طويلة، ولم يبقَ غير لمعة الهلال الفضِّيَّة الباردة لإضاءة طريقهما على الأرض الخدَّاعة التي تمتدُّ أمامهما. لا يدري ما يدور بذهن كورين، لكن لعلَّها فُرصة. يأمل هذا. لا أريدُ أن ألعب دور الحانث باليمين، حتى ولو لسببٍ وجيه.

تحرَّكا بحذرٍ وبقدر ما يستطيعه البَشر والخيول من صمت، واقتفيا آثارهما عودةً حتى بلغا مدخل مضيقٍ جبلي يَنبُع فيه جدول جليدي صغير من بين جبلين. تذكَّر چون المكان، فهنا سقيا الحصانين قبل مغيب الشَّمس.

قال كورين وهو ينعطِف: «الماء بدأ يتجمَّد. لولا هذا لخُضنا في المجرى، لكنهم قد يرون إذا كسرنا الجليد. ابقَ على مقربةٍ من الجُروف. ثمَّة انحناءة في الطَّريق بَعد نِصف ميل، ستُخفينا عن الأعيُن»، ثم دخلَ إلى المضيق، وألقى چون نظرةً بائسةً أخيرةً على نارهما البعيدة، ثم تبعَه.

كلما توغَّلا أكثر تدانَت الجروف من بعضها بعضًا على الجانبين، وقد تتبَّعا



شريط الجدول المُضاء بنور القمر إلى منبعه، بينما اكتسَت ضفَّتاه الحجريَّتان بكُتل الجليد، وإن ظَلَّ چون يسمع المياه تتدفَّق تحت الطَّبقة الصُّلبة الرَّقيقة.

سَدَّت أكوام ضخمة من الصُّخور السَّاقطة طريقهما بَعد مسافة، حيث انهار جزء من وجه الجُرف، لكن الحصانين الصَّغيرين واثقيَّ الخُطى تمكَّنا من شَقِّ طريقهما بنجاح، ووراء الصُّخور تلاصقَ جانبا الجبلين، وقادَهما الجدول إلى سفح شلَّال متحدِّر مرتفع، حيث يمتلئ الهواء بسديم من الرَّذاذ كأنفاس وحشٍ باردٍ عملاق، وتتوهَّج المياه السَّاقطة من أعلى بلونٍ فضِّي في نور القمر. تطَلَّع چون حوله بارتياع. ليس هناك سبيل للخروج. قد يتمكَّن وكورين من تسلُّق الجُرف، وإنما ليس بالحصانين، لكنه لا يحسب أنهما سيَنجُوان طويلًا سيرًا على الأقدام.

قال ذو النِّصف يد: «أسرِع»، وانطلقَ الرَّجل الكبير راكبًا الحصان الصَّغير فوق الأحجار الزَّلقة كالجليد، واخترقَ السِّتار المائي مباشرةً وغابَ وراءه، وحين لم يُعاوِد الظُّهور، همزَ چون حصانه واندفعَ يتبعه. بذلَ حصانه قصارى جهده كي يَنكُص، لكن المياه السَّاقطة لطمتهما كقبضتين متجمِّدتين، وحبسَت صدمة البرد أنفاس چون في صدره.

ثم إنه عبرَ، غارقًا تمامًا ويرتعد حتى النُّخاع، لكنه عبرَ.

كان الصَّدع الذي في الصَّخرة يتَّسع بالكاد لمرور رجلٍ وحصان، لكن بَعده تتباعَد حوائط الصَّخر وتستحيل الأرض إلى رمالٍ ناعمة. أحسَّ چون بالرَّذاذ يتجمَّد وسط شَعر لحيته، وانبثقَ جوست من قلب الماء كالانفجار، ونفضَ القطرات عن فروه، وتشمَّم الظَّلام بشَك، ثم رفعَ ساقًا عند أحد الحوائط ووضعَ عليه علامته. كان كورين قد ترجَّل بالفعل، فحذا چون حذوه قائلًا: «كنت تعرف أن هذا المكان موجود».

- «حين كنتُ في سِنِّك، سمعتُ أخًا يحكي أنه اقتفى أثر قِطِّ ظِلٍّ عبر هذا الشلَّال»، وخلعَ سَرج فَرسه ولجامها، ومرَّر أصابعه في شَعر عُنقها الأشعث متابعًا: «ثمَّة طريق في قلب الجبل. إذا جاءَ الفَجر ولم يَعثُروا علينا، فسنُواصِل التقدُّم. المناوَبة الأولى لي يا أخي»، وجلسَ كورين على الرَّمل وأسندَ ظَهره إلى الحائط وقد بدا كمجرَّد ظِلٍّ أسود مبهم في عتمة الكهف، وبصوتٍ أعلى



من صوت المياه المتدفِّقة سمعَ چون فولاذًا يحتكُّ بالجِلد، ما يعني أن ذا النِّصف يد استلَّ سيفه.

خلعَ چون معطفه المبتلَّ، لكن البرد والرُّطوبة هنا أشدُّ من أن يخلع شيئًا آخَر من ثيابه، وتمدَّد جوست إلى جواره ولعقَ قُفَّازه قبل أن يتكوَّر على نفسه وينام، فشعرَ چون بالامتنان للدِّفء المنبعث من جسده. تساءلَ إن كانت النَّار لا تزال مشتعلةً في الخارج أم خمدَت. إذا انهارَ «الجدار»، فستخبو النِّيران كلها. تخلَّلت أشعة القمر ستار الماء السَّاقط راسمةً خَطًّا يلمع بشحوبٍ على الرَّمل، لكن بَعد فترةٍ بهتَ هذا الضَّوء أيضًا ثم خبا.

جاءَ النَّوم أخيرًا، ومعه الكوابيس. حلمَ بقلاعٍ تحترق وأناسٍ موتى ينهضون مضطربين من قبورهم، وكان الظَّلام لم يزل سائدًا حين أيقظَه كورين. وبينما نامَ ذو النِّصف يد، جلسَ چون مسندًا ظَهره إلى جِدار الكهف، يُصغي لخرير الماء وينتظر الفَجر.

عندما طلعَ النَّهار، مضغَ كلٌّ منهما نِصف دستةٍ من شرائح لحم الخيل، ثم عادا يُزَوِّدان حصانيهما بالسَّرج واللِّجام، وثبَّتا معطفيهما الأسودين على أكتافهما. خلال مناوَبته صنعَ ذو النِّصف يد ستَّة مشاعل، وقد غمسَ حُزمًا من الطَّحالب المجفَّفة في الزَّيت الذي يحمله في جراب سَرجه، والآن أشعلَ الأول وقادَ الطَّريق المظلم رافعًا اللَّهب أمامه، وتبعَه چون مع الحصانين.

يلتفُّ الدَّرب الحجري ويعوجُّ، يهبط أولًا، ثم يصعد، ثم يهبط ثانيةً بانحدارٍ أكثر، وفي بقاعٍ بعينها كان ضيِّقًا للغاية لدرجة أن إقناع الحصانين بدَسِّ جسديهما عبره كان عصيًّا. قال لنفسه إذ تقدَّما: حين نَخرُج سنكون قد ضلَّلناهم، فالنُّسور نفسها لا تستطيع اختراق الحجارة المصمتة ببصرها. سيكونون قد فقدوا أثرنا، وسننطلق بأقصى سُرعةٍ إلى «القبضة» ونُخبِر الدُّب العجوز بكلِّ ما نعرفه.

لكن عندما خرجا إلى النُّور من جديدٍ بَعد ساعاتٍ طويلة، كان النَّسر جاثمًا في انتظارهما فوق شجرةٍ ميتة على منحدَرٍ يرتفع مئة قدم، فاندفعَ جوست صاعدًا على الصُّخور صوبه، لكن الطَّائر ضربَ الهواء بجناحيه وحلَّق مبتعدًا.

زَمَّ كورين شفتيه وهو يُتابِع النَّسر بعينيه، ثم أعلنَ: «هنا مكان مناسب كسواه



للتصدِّي لهم. مدخل الكهف يحمينا من أعلى، ولا يستطيعون المجيء من خلفنا إلَّا بالمرور من قلب الجبل. هل سيفك حادٌّ يا چون سنو؟».

- «أجل».

- «سنُطعِم الحصانين. لقد خدمَنا المسكينان بشَجاعة».

أعطى حصانه آخِر ما معه من شوفان بينما ملَّس على عُرفه الأشعث، وراحَ جوست يتحرَّك متوتِّرًا بين الصُّخور. أحكمَ چون تثبيت قُفَّازيه على يديه وأخذَ يضمُّ أصابعه ويبسطها مفكِّرًا: أنا الدِّرع التي تقي بلدان البَشر.

تردَّد صوت بوق صيدٍ بين الجبال، وبَعد لحظةٍ سمعَ چون نباح كلاب الصَّيد، فقال كورين: «سيَبلُغوننا قريبًا. أبقِ ذئبك على مقربة».

نادى چون: «إليَّ يا جوست»، فعادَ الذِّئب الرَّهيب إلى جانبه على مضضٍ وقد انتصبَ ذيله في الهواء.

تدفَّق الهَمج من فوق مرتفَع يَبعُد أقلَّ من نِصف ميلٍ عنهما، وانطلقَت كلابهم تسبقهم، تلك الوحوش الرَّماديَّة والبنِّيَّة التي لا شَكَّ في جريان نسبةٍ لا بأس بها من دماء الذِّئاب في عروقها. كشَّر جوست عن أنيابه وقد نفشَ فروه، فغمغمَ چون: «اهدأ. اثبت».

سمعَ هفيف أجنحةٍ في الأعلى، ثم رأى النَّسر يحطُّ على بروزٍ صخريٍّ ويفتح منقاريه مطلقًا صرخةً ظافرةً.

اقتربَ الصيَّادون بحذر، خشية أن تنهال عليهم الأسهُم ربما، وأحصى چون أربعة عشرًا منهم وثمانية كلاب. كانت تُروسهم الدَّائريَّة الكبيرة مصنوعةً من الجِلد المشدود على الأماليد المجدولة، وعليها رسوم جماجم، وقد أخفى نِصفهم تقريبًا وجوههم وراء خوذاتٍ بدائيَّة من الخشب والجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، وعلى الجانبين ثبَّت رُماتهم السِّهام بأقواسٍ صغيرة مصنوعة من الأخشاب وقرون الحيوانات، وإن لم يُطلِقوها، بينما بَدا البقيَّة مسلَّحين بالحراب والمطارق الثَّقيلة، وأحدهم يحمل فأسًا حجريَّةً ثلمةً. لم يكونوا يرتدون من الدُّروع غير ما استطاعوا سرقته من الجوَّالة الميتين أو نهبه في غاراتهم، فلا يُنَقِّب الهَمج عن المعادن أو يصهرونها، وشَمال «الجِدار» هناك حدَّادون قلائل وورِش حدادةٍ أقلُّ.



استلَّ كورين سيفه الطَّويل. جزء من أسطورته تلك الحكاية التي تُروى عن تعليمه نفسه القتال بيده اليُسرى بَعدما فقدَ نِصف يُمناه، ويُقال إنه يُجيد المبارَزة الآن أفضل من السَّابق بمراحل. وقفَ چون كتفًا إلى كتفٍ مع الجوَّال الكبير وقد سحبَ مخلبه الطَّويل من غِمده، وعلى الرغم من ما في الهواء من برد، فقد لسعَ العَرق عينيه.

توقَّف الصيَّادون أسفل مدخل الكهف بعشر ياردات، وتقدَّم قائدهم بمفرده راكبًا حيوانًا يبدو جَديًا أكثر من حصان لفرط ثقة حركته على المنحدَر الوعر، وإذ اقتربَ الرَّجل ومطيَّته سمعَ چون كليهما يُخَشخِش. كان الاثنان مدرَّعيْن بالعظام؛ عظام غِربان وعظام خراف وعظام ماعز وثيران برِّيَّة وإلكة، وعظام الماموثات الضَّخمة... وعظام بَشريَّة كذلك.

رفعَ كورين عقيرته قائلًا بتهذيبٍ ببرودة الجليد: «ذو القميص المُخشخِش».

- «عند الغِربان اسمي سيِّد العظام». كانت خوذة الرَّجل مصنوعةً من جمجمة عملاقٍ مكسورة، وقد غطَّت مخالب الدِّببة المخيَّطة بالجِلد المقوَّى ذراعيه.

قال كورين ساخرًا: «لا أرى سيِّدًا، بل كلبًا يرتدي عظام الدَّجاج ويُخَشخِش حين يركب».

أطلقَ الهمجي هسيسًا غاضبًا، وتراجعَت مطيَّته رافعةً قائمتيها الأماميَّتين، فسمعَ چون الخشخشة الصَّادرة منه بوضوح. كانت العظام مركَّبةً على الخيوط بحيث تفصل بينها مسافات، فتخبَّط ببعضها بعضًا حين يتحرَّك وتُصدِر صوت الخشخشة. «قريبًا ستُخَشخِش عظامك أنت يا ذا النِّصف يد. سأسلقك حتى يتفسَّخ لحمك وأصنع سُترةً من ضلوعك. سأحفرُ أسنانك وأصنعُ منها قوالب لحروف اسمي، وآكلُ الثَّريد من جمجمتك».

- «إذا كنت تُريد عظامي، فتعالَ وخُذها».

أمَّا هذا فقد بدا ذو القميص المُخشخِش متردِّدًا في فِعله، فعدد مَن معه لا يعني الكثير في هذه المساحة الصَّخريَّة الضيِّقة التي اختارَها الأخوان الأسودان للتصدِّي لهم، ولاستدراجهما إلى خارج الكهف، فعلى الهَمج



أن يُهاجِموهما اثنين في المرَّة. على أن واحدةً من النِّساء المحاربات اللائي يُسَمِّيهن الهَمج الزَّوجات الحِراب تقدَّمت بحصانها إلى جواره، وصاحَت: «إننا أربعة وعشرة مقابل اثنين أيها الغُرابان، وهناك ثمانية كلابٍ مقابل الذِّئب. قاتِلا أو اهربا، سيان، إنكما لنا».

قال ذو القميص المُخشخِش آمرًا: «أريهم».

دَسَّت المرأة يدها في جوالٍ ملطَّخ بالدِّماء وأخرجَت تذكارًا. كان إبِن أصلع كبيضة، فدَلَّت رأسه من الأذن، وقالت: «ماتَ بشَجاعة».

عقَّب ذو القميص المُخشخِش: «لكنه ماتَ، مِثلما ستموتان»، واستلَّ فأسه الحربيَّة ولوَّح بها مهدِّدًا فوق رأسه. كانت من الفولاذ الممتاز، ولنصليها لمعة خبيثة، فلم يكن إبِن بالرَّجل الذي يتناسى العناية بأسلحته. تقدَّم الهَمج الآخَرون إلى جوار رفيقيهم رافعين أصواتهم بعبارات الاستفزاز، واختارَ بعضهم أن يهزأوا بچون، وقال شابٌّ ناحل رافعًا مِدرَسًا[1] حجريًّا على خشبته: «أهذا ذئبك يا ولد؟ سيُصبِح معطفي قبل غروب الشَّمس»، وعلى الجانب الآخَر من الصَّفِّ فتحَت زوجةُ حربةٌ أخرى ثوبها الفرو المهترئ تُري چون ثديًا أبيض عامرًا، وقالت: «هل يُريد الرَّضيع أمَّه؟ تعالَ ومُصَّ هذا يا ولد». حتى الكلاب كانت تنبح.

قال كورين: «يُريدون أن نُصاب بالخجل فنتصرَّف بحماقةٍ»، ثم رمقَ چون بنظرةٍ طويلةٍ وأردفَ: «تذكَّر أوامرك».

هدرَ ذو القميص المُخشخِش رافعًا صوته فوق الضجَّة: «يبدو أن علينا أن ندفع الغُرابين إلى الخروج. أمطِروا ريشهما بريش السِّهام!».

- «لا!». تفجَّرت الكلمة من فم چون قبل أن يُطلِق الرُّماة سهامهم، وتقدَّم خطوتين مضيفًا: «إننا نستسلم!».

سمعَ كورين ذا النِّصف يد يقول من ورائه: «حذَّروني من أن الجبن يسري في عروق النُّغول بدلًا من الدَّم، والآن أرى هذا. اجرِ إلى سادتك الجُدد أيها الرَّعديد».

(1) المِدرَس سلاح قديم يتكوَّن من عمودٍ طويلٍ من الخشب، يتدلَّى منه رأس أسطواني شائك حُر الحركة.



بوجهٍ محتقن نزلَ چون المنحدَر إلى حيث يجلس ذو القميص المُخشخِش فوق حصانه، وحدَّق فيه الهمجي عبر محجريِّ العينين في خوذته الجمجمة، وقال: «لا حاجة لدى شعب الأحرار إلى الجُبناء».

- «ليس جبانًا»، قالت واحدة من الرُّماة، وخلعَت خوذتها المصنوعة من جِلد الخروف المخيَّط، وهزَّت رأسها لينسدل شَعرها الأحمر الأشعث، وأضافَت: «هذا نغل وينترفل الذي أبقى على حياتي. دَعه يعيش».

والتقَت عينا چون بعيني إيجريت دون أن يجد ما يقوله.

قال سيِّد العظام بإصرار: «اترُكيه يموت. الغُراب الأسود طائر ختَّار، ولا أثقُ به».

على صخرةٍ فوقهم خفقَ النَّسر بجناحيه وشَقَّ الهواء بصرخةٍ غاضبة، فقالت إيجريت: «الطَّائر يبغضك يا چون سنو، ولديه كلُّ الحَق. كان رجلًا قبل أن تَقتُله».

بصدقٍ قال چون محاولًا تذكُّر ملامح الرَّجل الذي قتلَه في الممر: «لم أكن أعلم... قلتِ لي إن مانس سيأخذني».

قالت إيجريت: «وسيفعل».

قال ذو القميص المُخشخِش: «مانس ليس هنا. راجوايل، ابقُري بطنه».

ضيَّقت الزَّوجة الحربة عينيها قائلةً: «إذا أرادَ الغُراب الانضمام إلى شعب الأحرار، فليُرنا بأسه ويُثبت صِدقه».

خرجَت منه الكلمات بصعوبة، لكنه قالها: «سأفعلُ أيَّ شيءٍ تَطلُبون».

تصادمَت عظام دِرع ذي القميص المُخشخِش ببعضها بعضًا بصوتٍ عالٍ إذ ضحكَ وقال: «اقتُل ذا النِّصف يد إذن أيها النَّغل».

قال كورين: «كأنه يستطيع. استدِر يا سنو ومُت».

ثم وجدَ سيف كورين يهوي عليه، وبوسيلةٍ ما وثبَ «المخلب الطَّويل» إلى أعلى يصدُّ الضَّربة، فكادَت الصَّدمة تُطَوِّح السَّيف النغل من يد چون وأجبرَته على التَّراجُع مترنِّحًا. لا تَرفُض مهما طلبوا منك. أطبقَ على مقبض سيفه بكلتا يديه بسرعةٍ تكفي لتسديد ضربته، لكن الجوَّال الكبير أزاحَ نصله جانبًا بمنتهى السُّهولة. كَرَّ الاثنان وفَرَّا، يدور معطفاهما الأسودان في الهواء،



سُرعة ورشاقة الشَّاب ضد قوَّة ضربات يد كورين اليُسرى الضَّارية، حتى بدا كأن سيف ذي النِّصف يد في كلٍّ مكانٍ في آنٍ واحد، يُمطِره بالضَّربات من هذا الجانب وذاك، يدفعه إلى التَّقهقُر إلى حيث يُريد، لا يسمح له لحظةً بالحفاظ على توازُنه، وسرعان ما شعرَ چون بالخدر يسري في ذراعيه.

حتى عندما أطبقَ جوست فكَّيه على رَبلة ساق الجوَّال بشراسة، ظَلَّ كورين قادرًا بشكلٍ ما على الوقوف، لكن في تلك اللَّحظة، وبينما التوى، لاحَت الثَّغرة، وزرعَ چون قدميه في الأرض ودارَ مسدِّدًا ضربته، فمالَ الجوَّال بعيدًا، وطيلة لحظةٍ واحدة بدا كأن سيف چون لم يمسَّه، قبل أن يلوح شِقٌّ في حَلق الرَّجل الكبير، تسيل منه الدُّموع الحمراء لامعةً كقلادةٍ من الياقوت، وانبجسَت الدِّماء، وسقطَ كورين ذو النِّصف يد.

كان الأحمر يَقطُر من خَطم جوست، لكن رأس السَّيف النَّغل وحده تلوَّث بالدَّم، آخِر نِصف بوصةٍ منه بالتَّحديد. سحبَ چون الذِّئب الرَّهيب بعيدًا وركعَ مطوِّقًا إياه بذراعه. كان النُّور يخبو في عينيِّ كورين بالفعل وهو يُتَمتِم رافعًا يده منقوصة الأصابع: «... حاد»، ثم سقطَت يده، وفارقَته الحياة.

قال چون لنفسه كالمخدَّر: كان يعرف، كان يعرف ما سيَطلُبوه مني. ثم إنه وجدَ نفسه يُفَكِّر في ساموِيل تارلي، وجرِن، وإد الكئيب، وفي پيپ وتودر في القلعة السَّوداء. هل فقدَهم جميعًا كما فَقدَ بران وريكون وروب؟ مَن يكون الآن؟ ماذا يكون؟

سمعَ أحدهم يقول: «أنهِضوه»، فجَرَّته يدان خشنتان إلى أعلى حتى وقفَ دون أن يُقاوِم. «ألك اسم؟».

أجابَت إيجريت نيابةً عنه: «اسمه چون سنو. إنه من دم إدارد ستارك سيِّد وينترفل».

ضحكَت راجوايل قائلةً: «من كان يتخيَّل أن يُقتَل كورين ذو النِّصف يد بيد نغل لوردِ تافهٍ ما».

قال ذو القميص المُخشخِش من فوق حصانه: «اقتُلوه»، وطارَ النَّسر إليه وجثَمَ فوق خوذته العظميَّة، وصاحَ بصوتٍ رفيعٍ حاد.

ردَّت إيجريت مذكِّرةً إياهم: «لقد استسلمَ».



قال رجلٌ قصيرٌ دميمٌ يرتدي خوذةً حديديَّة قصيرةً زحفَ عليها الصَّدأ: «نعم، وقتلَ أخاه».

تقدَّم ذو القميص المُخشخِش ليرتفع صوت عظامه، وقال: «الذِّئب قامَ بعمله بدلًا منه. كان تصرُّفًا غادرًا، وموت ذي النِّصف يد كان من نصيبي».

قالت راجوايل ساخرةً: «كلنا رأينا كم كنت متلهِّفًا على قتله».

قال سيِّد العظام: «إنه وارْج، وغُراب، ولا يروقني».

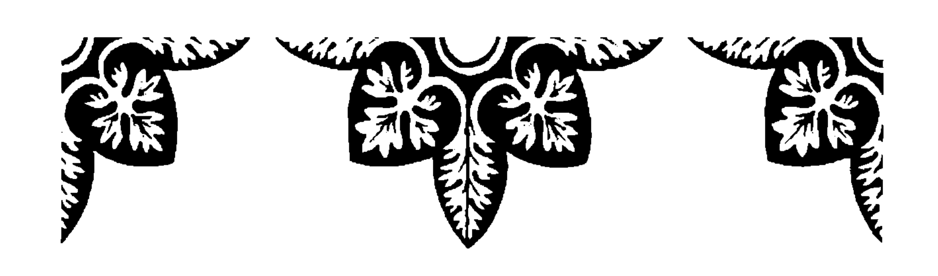
ردَّت إيجريت: «قد يكون وارْجًا، لكن منذ متى يُخيفنا هذا؟»، فصاحَ آخَرون مؤيِّدين، ووراء فتحتي العينين في الجمجمة المصفرَّة كانت نظرة ذي القميص المُخشخِش ملأى بالحقد، لكنه أذعنَ رغمًا عنه، ففكَّر چون: إنهم شعب من الأحرار حقًّا.

أشعَلوا النَّار في جثَّة كورين ذي النِّصف يد حيث سقطَ، وقد صنعوا له محرقةً مصنوعةً من إبر الصَّنوبر والأغصان والفروع المكسورة. كان القليل من الخشب لا يزال أخضر، لكنه احترقَ ببُطءٍ وتصاعدَ منه عمود أسود من الدُّخان الكثيف إلى زُرقة السَّماء القاسية، وبَعد ذلك أخذَ ذو القميص المُخشخِش بعض العظام المتفحِّمة، بينما ألقى الآخَرون النَّرد ليروا مَن سينال ماذا من عتاد الجوَّال، وفازَت إيجريت بمعطفه.

سألَها چون: «هل سنعود إلى «الممر الصَّادح»؟». لا يدري إن كان يقوى على مواجَهة تلك المرتفعات ثانيةً، أو إن كان حصانه سيتحمَّل عبورها مرَّةً أخرى.

قالت: «كلا، فلا شيء وراءنا»، وحدجَته بنظرةٍ حزينةٍ متابعةً: «في هذه الغضون سيكون مانس قد قطعَ شوطًا طويلًا على طريق النَّهر اللَّبني. إنه في الطَّريق إلى جِداركم».





بران

تساقطَ الرَّماد كنُدفٍ من الثَّلج القاتمِ النَّاعم.

مشى فوق الإبر الجافَّة والأوراق البنِّيَّة إلى حافة الغابة، حيث تقلُّ أشجار الصَّنوبر وتتباعَد عن بعضها بعضًا، ووراء الحقول المفتوحة رأى أكوام صخور الإنسان العظيمة تتصدَّى لألسنة اللَّهب المتراقصة حولها بصلابة، وقد هبَّت الرِّيح ساخنةً غنيَّةً برائحة الدِّماء واللَّحم المحروق، قويَّة للغاية حتى إنها أسالَت لُعابه.

لكن إذ شَدَّتهما رائحة واحدة إلى التقدُّم، دفعَتهما روائح أخرى عدَّة إلى المكوث، فراحَ يتشمَّم الهواء. بَشر، بَشر كثيرون، وخيل كثيرة، ونار ونار ونار. لا رائحة أخطر من رائحة النَّار، ولا حتى الرَّائحة الباردة التي تفوح من الحديد، رائحة مخالب الإنسان والجِلد الصُّلب. غشى الدُّخان والرَّماد عينيه، وفي السَّماء رأى ثعبانًا مجنَّحًا هائل الحجم، زئيره نهر من لهب، فكشفَ أسنانه، لكن الثُّعبان اختفى، ووراء الجُروف كانت الحرائق الأجَّاجة تلتهم النُّجوم.

طقطقَت النِّيران طيلة اللَّيل، وفي مرَّةٍ دوَّى صوت ارتطام عنيف جعلَ الأرض تثب إلى أعلى تحت أقدامه، ونبحَت الكلَّاب وأنَّت، وصرخَت الخيول رُعبًا، واخترقَ العُواء هواء اللَّيل، عُواء قطيع الإنسان، ولولة الخوف والصِّياح الضَّاري. أرهفَ أذنيه وأصغى، وأخذَ أخوه يُزَمجِر مع كلِّ صوت، وطافا تحت الأشجار بينما ذرَت الرِّياح الصَّنوبريَّة الرَّماد والجمار إلى السَّماء، وحين أتى الصَّباح أشرقَت الشَّمس رماديَّةً داخنةً.

عندئذٍ فقط تقدَّم من تحت الأشجار، وتحرَّك على مهلٍ عبر الحقول،



ومعه أخوه الذي انجذبَ إلى رائحة الدَّم والموت، فخطيا بصمتٍ وسط الأوكار التي بناها الإنسان بالخشب والكلأ والطِّين، كثير منها محترق وكثير منها متهدِّم، بينما ظَلَّ بعضها قائمًا كما كان، لكنهما لم يرَيا أو يشمَّا رائحة إنسانٍ حَيٍّ في أيِّ مكان، فيما اكتسَت الجُثث بالغِربان، وحلَّقت ناعقةً حين اقتربَ مع أخيه، وانسحبَت الكلاب البرِّيَّة من أمامهما.

أسفلِ الجُروف الرَّماديَّة الضَّخمة كان حصان يحتضر بصوتٍ مزعج، يُكافِح للنُّهوض على ساقٍ مكسورة، ويَسقُط صارخًا. دارَ أخوه حول الحصان، ثم مزَّق حَلق فريسته بينما ركلَت بوهنٍ ودارَت عيناها في محجريهما. عندما اقتربَ من الجثَّة، نهشَ أخوه الهواء في وجهه وأرجعَ أُذنيه إلى الوراء، فضربَه بقائمته الأماميَّة وعَضَّ ساقه، وتشاجَرا إلى جوار جثَّة الحصان وسط العُشب والتُّراب والرَّماد المتساقط، حتى تدحرجَ أخوه على ظَهره مستسلمًا وقد دَسَّ ذيله تحت مؤخِّرته، فعضَّه مرَّةً أخرى في عُنقه المكشوف، ثم أكلَ وتركَ أخاه يأكل، ولعقَ الدَّم عن فروه الأسود.

كان المكان المظلم يجتذبه الآن، بيت الهمسات حيث البَشر كلهم عميان. أحسَّ بأصابع المكان الباردة تزحف على جسده، ورائحته الحجريَّة كانت همسةً تسلَّلت إلى داخل أنفه، فراحَ يُقاوِم الجاذبيَّة. إنه لا يُحِبُّ الظَّلام، إنه ذئب، صيَّاد ومتربِّص وقاتل، ومكانه مع إخوته وأخواته في أعماق الغابات، يَركُض حُرًّا طليقًا تحت نجوم السَّماء. جلسَ على قائمتيه الخلفيَّتين ورفعَ رأسه وعوى صارخًا: لن أذهب. إنني ذئب. لن أذهب، وعلى الرغم من ذلك ازدادَت حَلكة الظَّلام حتى كسَت عينيه وأفعمَت أنفه وسدَّت أُذنيه، فلم يَعُد يقدر على الرُّؤية أو الشَّمِّ أو السَّمع أو الرَّكض، وتلاشَت الجُروف الرَّماديَّة، وتلاشى الحصان الميت، وتلاشى أخوه، والآن كلُّ شيءٍ أسود وساكن وأسود وبارد وأسود وميت وأسود...

كان الصَّوت يهمس بخفوت: «بران. بران، عُد، عُد الآن. بران، بران...».

أغلقَ عينه الثَّالثة وفتحَ العينين الأخريين، العينين القديمتين الكفيفتين. في المكان المظلم كلُّ البَشر عميان، لكن أحدهم كان يُعانِقه، وأحسَّ بذراعين حوله ودفء جسدٍ ملتصق به، وسمعَ هودور يُدَندِن لنفسه بصوتٍ خفيض: «هودور، هودور، هودور».



كان صوت ميرا الذي قال: «بران... كنت تتلوَّى وتُصدِر أصواتًا رهيبةً. ماذا رأيت؟».

- «وينترفل». شعرَ بلسانه ثقيلًا غريبًا في فمه، ففكَّر: ذات يوم حينما أعودُ، لن أدري كيف أتكلَّم ثانيةً. «رأيتُ وينترفل. كانت تحترق. شممتُ رائحة خيولٍ وفولاذٍ ودماء. لقد قتَلوا الجميع يا ميرا».

شعرَ بيدها على وجهه تُزيح شَعره إلى الوراء وهي تقول: «إنك غارق في العَرق. هل تُريد أن تشرب؟».

وافقَها: «أشربُ»، فرفعَت قِربةً إلى شفتيه، وابتلعَ بران الماء بسُرعةٍ شديدة حتى إنه سالَ من رُكن فمه. دائمًا يَشعُر بالضَّعف والظَّمأ حين يعود، وبالجوع أيضًا. تذكَّر الحصان المحتضر ومذاق الدَّم في فمه ورائحة اللَّحم المحروق في هواء الصَّباح، وتساءلَ: «كم غبتُ؟».

أجابَه چوچن: «ثلاثة أيام». كان الصَّبي قد اقتربَ بخطواتٍ غير مسموعة، أو أنه كان هناك من البداية، ففي هذا العالم الأسود الأعمى لا يعرف بران الفرق. «كنا خائفين عليك».

قال بران: «كنتُ مع سَمر».

- «فترةً طويلةً للغاية. ستُميت نفسك جوعًا هكذا. ميرا قطَّرت القليل من الماء في حَلقك، ودهنَّا شفتيك بالعسل، لكن هذا لا يكفي».

رَدَّ بران: «لقد أكلتُ. اصطَدنا إلكةً، واضطررنا لطرد قطِّ أشجارٍ حاولَ أن يسرقها». كان القِطُّ ذا لونٍ أسمر ضارب إلى الصُّفرة ومرقَّطًا بالبنِّي، لا يتعدَّى حجمه نِصف حجم ذئبٍ رهيب، وإن لم تعوزه الشَّراسة، وتذكَّر بران رائحته العطريَّة، والطَّريقة التي زَامَ بها في وجهيهما من فوق غُصن شجرة البلُّوط.

قال چوچن: «الذئب أكلَ، وليس أنت. توخَّ الحذر يا بران. تذكَّر مَن تكون».

يتذكَّر مَن يكون جيِّدًا جدًّا. إنه بران الصَّبي، بران المكسور. بران الحيواني بالأحرى. أمِن العجيب بأيِّ شكل إذن أن يُؤثر الغياب في أحلامه بسَمر، في أحلام الذِّئاب؟ هنا، في دياجير المقبرة الباردة الرَّطبة، تفتَّحت عينه الثَّالثة أخيرًا، ويستطيع الآن أن يَبلُغ سَمر متى شاءَ، بل وفي مرَّةٍ استطاعَ أن يَبلُغ جوست كذلك ويُكلِّم چون، وإن كان هذا مجرَّد حُلم عادي ربما. إنه لا يفهم لماذا يُحاوِل چوچن دائمًا أن يُوقِظه من أحلامه الآن. اعتمدَ بران على قوَّة



ذراعيه ليزحف إلى الوراء فيجلس، وقال: «يجب أن أُخبر أوشا بما رأيته. أهي هنا؟ أين ذهبَت؟».

أجابَته الهمجيَّة بنفسها: «أنا هنا يا سيِّدي. لقد اكتفيتُ من التخبُّط في الظَّلام»، وسمعَ بران احتكاك كعبي حذاءٍ بالحجر، فأدارَ رأسه صوب الصَّوت، ولم يرَ شيئًا. حسبَ أنه يشمُّ رائحتها، لكنه ليس واثقًا، فجميعهم رائحتهم كريهة، وهو لا يملك أنف سَمر ليُمَيِّز بين رائحة شخصٍ وأخرى. واصلَت أوشا: «ليلة أمس تبوَّلتُ على قدم ملك، أو هذا الصَّباحَ ربما، مَن يدري؟ كنتُ نائمةً، لكني استيقظتُ». كلهم ينام كثيرًا، وليس بران فقط، فلا شيء آخَر يفعلونه، لا شيء غير النَّوم والأكل والنَّوم ثانيةً، وأحيانًا القليل من الكلام... لكن ليس كثيرًا، وهمسًا فقط على سبيل الاحتياط. كانت أوشا تُفَضِّل ألَّا يتكلَّموا على الإطلاق، وإن لم يكن هناك سبيل لإسكات ريكون أو منع هودور من أن يُتَمتِم: «هودور، هودور، هودور» لنفسه بلا انقطاع.

قال بران وهو يسمع وقع أنفاس ريكون الهادئ قادمًا من مكانٍ ما إلى يساره: «أوشا، لقد رأيتُ وينترفل تحترق».

قالت أوشا: «حُلم».

- «حُلم ذئبي. شممتُ الرَّائحة أيضًا. لا شيء رائحته قويَّة كالحرائق والدَّم».

- «دم مَن؟».

- «النَّاس والخيول والكلاب، الجميع. يجب أن نذهب ونرى».

ردَّت أوشا: «لا أملكُ غير هذا الجِلد الهزيل على جسمي، وإذا أوقعَ بي أمير السَّمك إياه، فسيُجَرِّدني منه بسوطه».

عثرَت يد ميرا على يد بران في الظَّلام، واعتصرَت أصابعه وهي تقول: «سأذهبُ إذا كنتِ خائفةً».

سمعَ بران صوت أصابع تُنَقِّب في شيءٍ ما مصنوع من الجِلد، ثم تبعَه صوت احتكاك الفولاذ بالصوَّان، مرَّةً وثانيةً، ثم طارَت شرارة في الهواء وتأجَّجت، فنفخَت أوشا بهدوء، وسرعان ما استيقظَت النَّار كعمودٍ شاحب طويل، فبدَت كفتاةٍ تشبُّ على أصابع قدميها، وفوق اللَّهب سبحَ وجه أوشا، ثم إنها مسَّته برأس المشعل، فضيَّق بران عينيه وقد بدأ القار يحترق مالئًا العالم بالوهج البرتقالي، وأيقظَ الضَّوء ريكون، فاعتدلَ متثائبًا.



حين تحرَّكت الظِّلال، بدا لحظةً كأن الموتى يستيقظون بدورهم.

ليانا وبراندون، وأبوهما اللورد ريكارد، وأبوه اللورد إدوايل، واللورد ويلام وأخوه اللورد آرتوس العنيد، واللورد دونور واللورد بيرون واللورد رودويل، واللورد چونل الأعور، واللورد بارث واللورد براندون، واللورد كريجان الذي حاربَ الفارس التنِّين—جلسوا جميعًا على مقاعدهم الحجريَّة وعند أقدامهم ذئاب من حجر. إلى هنا يأتون عندما يتسرَّب دفء الحياة من أجسادهم، إلى قاعة الموتى المظلمة التي يخشى الأحياء وطأها.

وفي ثغر المقبرة الفارغة التي تنتظر اللورد إدارد ستارك، وتحت تمثاله الجرانيتي المهيب، تلملمَ الهاربون الستَّة حول مخزونهم الضَّئيل من الخُبز والماء واللَّحم المجفَّف.

غمغمَت أوشا وهي تتطلَّع إلى المؤن: «لم يتبقَّ الكثير. كان عليَّ أن أصعد لأسرق طعامًا على كل حال، وإلَّا كنا سنضطرُّ لأن نأكل هودور».

قال هودور مانحًا إياها ابتسامةً واسعةً: «هودور».

تساءلَت أوشا: «أهو اللَّيل أم النَّهار في الأعلى؟ لم أعد أدري الفارق».

أجابَها بران: «النَّهار، لكن الجَوَّ معتم من فرط الدُّخان».

- «هل سيِّدي واثق؟».

دون أن يُحَرِّك جسده المكسور، مَدَّ وعيه إلى الخارج، فازدوجَت بصيرته وهلةً. ها هي أوشا تقف حاملةً المشعل، وها هي ميرا وچوچن وهودور، وصَفًّا الأعمدة الجرانيت الطَّويلة، ومن ورائها اللوردات الموتى يمتدُّون حتى يبتلعهم الظَّلام... لكن ها هي وينترفل أيضًا، رماديَّة تملأها الأدخنة، والبوَّابات الهائلة المصنوعة من الحديد والسَّنديان متفحِّمة وملتوية، والجسر المتحرِّك منزَل وسط كومةٍ من السَّلاسل المكسورة والألواح المفقودة، بينما تطفو الجُثث في الخندق كجُزرٍ تحطُّ عليها الغِربان.

أعلنَ بران: «واثق».

فكَّرت أوشا لحظات، ثم قالت: «سأجازِفُ بإلقاء نظرةٍ إذن. أريدكم أن تكونوا قريبين مني جميعًا. ميرا، أحضِري سلَّة بران».

سألَ ريكون بحماسة: «هل سنعود إلى البيت؟ أريدُ حصاني، وأريدُ كعكات التُّفَّاح والزُّبد والعسل، وأريدُ شاجي. هل سنذهب إلى شاجيدوج؟».

قال بران: «نعم، لكن عليك أن تلزم السُّكون».



ثبّتت ميرا السلَّة المصنوعة من الأماليد المجدولة على ظَهر هودور، وساعدَت على رفعِ بران إليها مُدخلةً ساقيه عديمتي الفائدة في الفتحتين. كانت معدته متهيِّجة، فمع أنه يعلم ما ينتظرهم في الأعلى، إلَّا أن خوفه لم يقلَّ مقدار ذرَّة. حين تحرَّكوا، التفتَ يُلقي نظرةً أخيرةً على أبيه، وبدا لبران أن في عينيِّ اللورد إدارد حُزن عميق، كأنه لا يُريدهم أن يرحلوا، ففكَّر: يجب أن نذهب. لقد حانَ الوقت.

حملَت أوشا حربتها البلُّوط الطَّويلة بيدٍ والمشعل بالثَّانية، وقد تدلَّى سيف بلا غِمدٍ على ظَهرها، أحد آخِر السُّيوف التي تحمل علامة ميكن، وكان قد صنعَه من أجل قبر اللورد إدارد كي يَرقُد شبحه في سلام... لكن بَعد مقتل ميكن، ولأن الرِّجال الحديديِّين يَحرُسون مستودَع السِّلاح، كان من العسير مقاوَمة الاستحواذ على فولاذٍ جيِّد، حتى إن كان ذلك يعني سرقة القبور. حصلَت ميرا على سيف اللورد ريكارد، وإن اشتكَت من ثِقله الشَّديد، بينما أخذَ براندون سيف سميِّه، ذلك الذي صُنِعَ لعَمِّه الذي لم يعرفه قَطُّ، لكن على الرغم من هذا بَثَّ فيه وجود السِّلاح في يده شعورًا بالاطمئنان.

لكنها مجرَّد لُعبة، وبران يعلم هذا.

تردَّدت أصداء خطواتهم في السَّراديب الغائرة، ومن ورائهم ابتلعَت الظِّلال أباه كما انسحبَت الظِّلال من أمامهم مفصحةً عن تماثيل أخرى، ليست مجرَّد تماثيل لوردات، بل ملوك الشَّمال القُدامى، الذين يضعون التِّيجان الحجريَّة على رؤوسهم: تورين ستارك الملك الذي ركعَ، وإدوين ملك الرَّبيع، وثيون ستارك الذِّئب الجائع، وبراندون الحارق وبراندون السفَّان، وچورا وچونوس وبراندون السيِّئ، ووالتون ملك القمر، وإديريون العريس، وإيريون، وبنچن الحُلو وبنچن المُر، والملك إدريك ذو اللِّحية الثَّلجيَّة. وجوههم جميعًا قويَّة صارمة، وبعضهم اقترفَ فعلاتٍ شنيعة، لكنهم من آل ستارك كلهم، وبران يعرف حكاياتهم كافَّة. إنه لم يخشَ السَّراديب قَطُّ، فهي جزء من بيته وكيانه، ولطالما عرفَ أنه سيُسَجَّى هنا ذات يوم أيضًا.

إلَّا أنه لم يَعُد واثقًا الآن. إذا صعدتُ، فهل سأنزلُ ثانيةً؟ أين سأذهبُ حين أموتُ؟

- «انتظِروا»، قالت أوشا عندما بلغوا السَّلالم الحجريَّة الملتفَّة التي تُفضي إلى السَّطح، وإلى المستويات الأخرى الأعمق حيث لا يزال ملوك أقدم



وأعتق يجلسون على عروشهم القاتمة. ناولَت ميرا المشعل قائلةً: «سأتلمَّسُ طريقي إلى أعلى».

سمعوا وقع خطواتها بعض الوقت، لكنه أخذَ يخبو ويخبو حتى تلاشى تمامًا، وقال هودور بعصبيَّة: «هودور».

كان بران قد ردَّد لنفسه مئة مرَّة كم يكره الاختباء في غياهب الظَّلام في الأسفل، كم يتوق لرؤية الشَّمسِ من جديدٍ، ولأن يركب حصانه في الرِّيح والمطرِ، لكن الآن وقد دنَت اللَّحظة، تمكَّن منه الخوف. لقد شعرَ بالأمان في الظُّلمة، فحين لا تستطيع أن ترى يدك نفسها أمام وجهك، فمن السَّهل أن تعتقد أن لا عدوَّ يُمكنه أن يَعثُر عليك، كما أن اللوردات الحجريِّين منَحوه الشَّجاعة، وحتى عندما لم يستطِع رؤيتهم كان يعلم أنهم موجودون.

بدا أن وقتًا طويلًا مَرَّ دون أن يسمعوا صوتًا آخَر، وبدأ بران يتوجَّس خيفةً من أن شيئًا جرى لأوشا، بينما تململَ أخوه وقال بصوتٍ عالٍ: «أريدُ أن أعود إلى البيت!»، وأخذَ هودور يرفع رأسه ويخفضه مردِّدًا: «هودور». ثم إنهم سمعوا وقع الأقدام يقترب مجدَّدًا، وبَعد دقائق قليلة خطَت أوشا في الضَّوء بملامح مكفهرَّة، وقالت: «شيء ما يسدُّ الباب، ولا أستطيعُ تحريكه».

قال بران: «هودور يستطيع تحريك أيِّ شيء».

رمقَت أوشا عامل الاسطبلات الضَّخم بنظرة تقييم، ثم قالت: «ربما يستطيع. هيا بنا إذن».

كانت السَّلالم ضيِّقةً، فصعدوا في طابورٍ مفرد، تقودهم أوشا، ووراءها هودور وبران على ظهره وقد طأطأ رأسه كي لا يصطدم بالسَّقف، ثم ميرا حاملةً المشعل، وبَعدها چوچن في المؤخِّرة ممسكًا بيد ريكون. داروا وداروا، وإلى أعلى وأعلى صعدوا، وخُيِّلَ لبران أنه يشمُّ رائحة الدُّخان بالفعل، لكن لعلَّه دخان المشعل لا أكثر.

كان باب السَّراديب مصنوعًا من خشب الصُّلب، قديمًا وثقيلًا للغاية، ويرتفع بزاويةٍ مائلة، كما لا يستطيع غير شخصٍ واحدٍ الاقتراب منه في المرَّة. حاولَت أوشا أن تدفعه مجدَّدًا حين بلغَته، لكنَّ بران رأى أنه لم يتزحزَح، فقال: «دَعي هودور يُجَرِّب». أولًا كان عليهم أن يرفعوا بران من السلَّة كي لا ينسحق جسده، فقرفصَت ميرا إلى جواره على الدَّرجات واضعةً ذراعها على كتفيه، بينما تبادلَت أوشا وهودور الأماكن، وقال بران: «افتح الباب يا هودور».



بسطَ عامل الاسطبلات الضَّخم كَفَّيه ووضعَهما على الباب ودفعَه مطلقًا أنينًا. «هودور؟». وهوى بقبضته على الخشب، فلم يتحرَّك قيد أُنملة. «هودور».

قال بران بلهفة: «استخدِم ظَهرك وساقيك».

استدارَ هودور وأسندَ ظَهره إلى الخشب ودفعَ، مرَّةً، ثم ثانيةً، وقال: «هودور!»، ثم إنه وضعَ قدمًا على درجةٍ أعلى، فأصبحَ منحنيًا تحت ميْل الباب وحاولَ أن يصعد أكثر، وهذه المرَّة صَرَّ الخشب وطقطقَ، فصاحَ: «هودور!»، وصعدَت القدم الأخرى خطوةً، وباعدَ هودور بين ساقيه، وثبَّت نفسه وشَدَّ قامته، وقد احتقنَ وجهه بالدِّماء ورأى بران أوتار رقبته تَبرُز وهو يُكافح الثِّقل الهائل من فوقه مردِّدًا: «هودور هودور هودور هودور هودور هودور!». من السَّطح سمعوا هديرًا خافتًا، ثم وثبَ الباب إلى أعلى وسقطَ عمود من نور النَّهار على وجه بران فأعماه لحظةً. دَفعة أخرى نجمَ عنها صوت أحجارٍ تتحرَّك، ثم انفتحَ الطَّريق، فرفعَت أوشا حربتها وخرجَت، ودَسَّ ريكون نفسه بين ساقي ميرا وتبعَ الهمجيَّة، قبل أن يفتح هودور الباب عن آخِره ويَخرُج إلى السَّطح، بينما حملَ الأخوان ريد بران وصعدا به الدَّرجات القليلة المتبقية.

كانت السَّماء رماديَّةً شاحبةً، ودوَّامات الدُّخان تدور في كلِّ مكانٍ حولهم.

وقفوا في ظِلِّ القلعة الأولى، أو ما تبقَّى منها بالأحرى. كان جانب كامل من المبنى قد انفصلَ وسقطَ، وتناثرَت الأحجار والكراجل المحطَّمة على أرض السَّاحة، ففكَّر بران حين رآها: سقطَت حيث سقطتُ. كان بعض الكراجل محطَّمًا إلى قطع عديدة للغاية، حتى إن بران تساءلَ كيف ظَلَّ حيًّا بَعد سقطته. على مقربةٍ كانت الغِربان تَنقُر جثَّةً سحقَها حجر منهار، وإن انقلبَت على وجهها فلم يعرف هويَّة صاحِبها.

منذ مئات السِّنين والقلعة الأولى مهجورة، لكنها بدَت الآن هيكلًا فارغًا أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، وقد احترقَت الأرضيَّات في داخلها وكلُّ العوارض الخشبيَّة، ورأوا الغُرف -وحتى المراحيض- حيث سقطَ الجدار، لكن وراء كلِّ هذا كان البُرج المكسور لا يزال قائمًا، دون أن تبدو عليه آثار الحريق أكثر من السَّابق. كان چوچن ريد يَسعُل من الدُّخان، وصاحَ ريكون: «خُذوني إلى البيت! أريدُ أن أعود إلى البيت!»، وراحَ هودور يدور حول نفسه، يدقُّ الأرض ويُتَمتِم منتحبًا: «هودور».



وقفوا متدانين من بعضهم بعضًا ومن حولهم الخراب والموت في كلِّ حدب وصوب.

قالت أوشا: «لقد أصدرنا ضجَّةً كفيلةً بإيقاظ تنِّين، لكن أحدًا لم يأتِ. القلعة ماتَت واحترقَت، تمامًا كما رأى بران في حُلمه، لكن من الأفضل أن...»، وبترَت عبارتها فجأةً عندما ارتفعَ صوت من ورائهم، فدارَت على عقبيها رافعةً حربتها.

وخرجَ جسدان رشيقان داكنان من وراء البُرج المكسور، يتحرَّكان بتؤدةٍ بين الأطلال، فهتفَ ريكون بسعادة: «شاجي!»، واندفعَ الذِّئب الرَّهيب الأسود نحوه، بينما تقدَّم سَمر ببُطءٍ أكثر، وحَكَّ رأسه في ذراع بران ولعقَ وجهه.

قال چوچن: «يَحسُن أن نرحل. كلُّ هذا الموت سيجتذب ذئابًا غير سَمر وشاجيدوج، ولن يكون جميعها بأربع أقدام».

أيَّدته أوشا بقولها: «نعم، قريبًا، لكننا نحتاج طعامًا، وقد يكون هناك من نجوا من كلِّ هذا. ابقوا معًا. ميرا، ارفعي تُرسكِ واحرُسي ظَهرنا».

استغرقَ الدَّوران البطيء في أنحاء القلعة الصَّباح كله. ظلَّت الأسوار الجرانيت العظيمة قائمةً وقد سوَّدتها النَّار هنا وهناك، لكن فيما عدا ذلك لم تُمَسَّ، أمَّا في الدَّاخل فلم يكن ثمَّة شيء غير الموت والدَّمار. تفحَّمت أبواب القاعة الكبرى وظَلَّ الدُّخان يتصاعَد منها بلا نار، وفي داخلها تداعَت عوارض السَّقف فانهارَ كله على الأرض، بينما استحالَت ألواح الصُّوبة الزُّجاجيَّة الصَّفراء والخضراء إلى شظايا، وتمزَّقت الأشجار والزُّهور والفواكه أو تُركَت مكشوفةً لتَذبُل، ومن الاسطبلات المبنيَّة من الخشب والقَشِّ لم يبقَ غير الرَّماد والجمار والخيول الميتة، وفكَّر بران في فَرسه دانسر وأرادَ أن يبكي. تحت بُرج المكتبة كانت بُحيرة ضحلة يتصاعَد منها البُخار، وقد سالَت المياه السَّاخنة من شِقٍّ في جانب المبنى، أمَّا الجسر بين بُرج الجرس والمِغدفة فقد انهارَ في السَّاحة في الأسفل، وتهدَّم بُرج المِايستر لوين تمامًا، ورأوا وهجًا أحمر باهتًا يلمع من وراء نوافذ القبو الضيِّقة تحت الحصن الكبير، وحريقًا آخَر لا يزال مشتعلًا في أحد المخازن.

نادَت أوشا بصوتٍ خفيض وسط الدُّخان الكثيف إذ تحرَّكوا، لكن لا حياة لمَن نادَت، ورأوا كلبًا يفترس جثَّةً، وإن فَرَّ حين اشتمَّ رائحة الذِّئبين الرَّهيبين،



أمَّا بقيَّة الكلاب فقد ذُبحَت في الوجار، بينما تحلَّقت غِدفان المِايستر حول بعض الجُثث، وتولَّت غِربان البُرج المكسور أمر جُثثٍ أخرى. تعرَّف بران تيم المجدور، على الرغم من أن أحدهم هشَّم وجهه بفأس، وخارج هيكل سِپت الليدي كاتلين المحترق جلسَت جثَّة متفحِّمة بذراعين مرفوعتين وقبضتين سوداوين مضمومتين، كأنها تستعدُّ لأن تَلكُم كلَّ من يدنو منها. قالت أوشا بنبرةٍ واطئةٍ غاضبةٍ: «إذا كانت الآلهة عادلةً، فسيأخذ «الآخَرون» من فعلوا هذا».

قال بران بكآبة: «إنه ثيون».

ردَّت مشيرةً برأس الحربة عبر السَّاحة: «لا، انظُر، هذا أحد رجاله الحديديِّين، وهناك أيضًا، وهذا حصان جرايچوي، هل تراه؟ الحصان الأسود الذي اخترقَ سهم جسده»، وتحرَّكت بين الموتى مقطِّبةً وجهها، وأضافَت: «وهذا لورن الأسود». كانت جثَّته مثخنةً بالجراح لدرجة أن لحيته الفاحمة بدَت بنِّيَّة محمرَّةً الآن. «واضح أنه أخذَ بعضهم معه إلى الجحيم»، ثم قلبَت أوشا جثَّةً أخرى على ظَهرها بقدمها، وقالت: «ثمَّة شارة، رجل صغير أحمر».

قال بران: «رجل «معقل الخوف» المسلوخ».

وفجأةً عوى سَمر وانطلقَ مبتعدًا.

قالت ميرا: «أيكة الآلهة»، واندفعَت وراء الذِّئب الرَّهيب حاملةً تُرسها ورُمح صيد الضَّفادع، فتبعَها الآخَرون وشقُّوا طريقهم وسط الدُّخان والحجارة. كان الهواء أصفى تحت الشَّجر، وقد مسَّت الحرائق بضع أشجار صنوبر على حافة الأيكة، لكن التُّربة الرَّطبة والأوراق الخضراء في الدَّاخل نجحَت في هزيمة اللَّهب، فقال چوچن كأنه يعرف ما يُفكِّر فيه بران: «ثمَّة طاقة في الخشب الحي، طاقة قويَّة كالنَّار».

على حافة البركة السَّوداء، تحت شجرة القلوب، استلقى المِايستر لوين على بطنه في التُّراب، وقد امتدَّ أثر متعرِّج من الدِّماء وسط الأوراق الرَّطبة حيث زحفَ. وقفَ سَمر فوقه، وحسبَه بران ميتًا في البداية، لكن حين مسَّت ميرا حَلقه، أصدرَ المِايستر أنينًا، وقال هودور بحُزن: «هودور؟ هودور؟».

برفقٍ ساعَدوا لوين على الاعتدال. كانت عيناه رماديَّتين وشَعره رماديًّا، وفي السَّابق كان ثوبه رماديًّا كذلك، لكنه صار أغمق لونًا الآن وقد تشبَّع بالدِّماء.



قال الرَّجل بخفوتٍ عندما رآه جالسًا على ظَهرِ هودور: «بران»، وابتسمَ مضيفًا: «وريكون أيضًا. الشُّكر للآلهة. كنتُ أعرفُ...».

سألَه بران بدهشة: «تعرف؟».

- «السَّاقان... لاحظتُ الفارق... الثِّياب كانت مناسبةً، لكن عضلات ساقيه... الصَّبي المسكين...»، وسعلَ المِايستر لتتناثَر الدِّماء من بين شفتيه، وقال: «لقد اختفيتم... في الغابة... لكن كيف؟».

قال بران: «لم نذهب إلى الغابة، بل ذهبنا حتى الحافة فقط ثم دُرنا عائدين. أرسلتُ الذِّئبين ليصنعا أثرًا، لكننا اختبأنا في قبر أبي».

قهقهَ لوين قائلًا وعلى شفتيه رغوة دمويَّة: «السَّراديب»، وحاولَ أن يتحرَّك، فخرجَت منه شهقة ألم.

اغرورقَت عينا بران بالدُّموع. عندما يُجرَح أحد، فإنك تأخذه إلى المِايستر، لكن ماذا تفعل حين يكون المِايستر جريحًا؟

قالت أوشا: «علينا أن نصنع نقَّالةً لنحملك».

قال لوين: «لا داعي. إنني أموتُ يا امرأة».

صاحَ ريكون غاضبًا: «لا يُمكنك أن تموت، لا!»، وإلى جواره كشَّر شاجيدوج عن أنيابه وزمجرَ.

ابتسمَ المِايستر قائلًا: «صَه يا صغيري. إنني أكبُرك بأعوامٍ عديدة، ويُمكنني أن... أن أموت إذا شئتُ».

قال بران: «هودور، انخفِض»، فركعَ عامل الاسطبلات على رُكبتيه إلى جوار المِايستر.

خاطبَ لوين أوشا قائلًا: «اسمعيني جيِّدًا. الأميران... وريثا روب... ليس... ليس معًا... هل تفهمين؟».

استندَت الهمجيَّة إلى حربتها، وقالت: «نعم، أكثر أمنًا أن ينفصلا، لكن أين آخذهما؟ فكَّرتُ أن آل سروين هؤلاء ربما...».

هَزَّ المِايستر لوين رأسه نفيًا، فكان جليًّا ما كلَّفه إياه هذا المجهود، وقال: «لقد ماتَ ابن سروين، والسير رودريك، وليوبولد تولهارت، والليدي هورنوود... كلهم قُتِلوا. «ربوة الغابة» سقطَت، وخندق كايلن، و«مربَّع تورين» عمَّا قريب. الحديديُّون على السَّاحل الحجري، وفي الشَّرق نغل بولتون».

سألَته أوشا: «أين إذن؟».



- «الميناء الأبيض... آل أومبر... لا أدري... الحرب في كلِّ مكان... كلُّ رجلٍ يُقاتِل جاره، والشِّتاء قادم... حماقة، حماقة سوداء مجنونة...»، ومَدَّ المِايستر لوين يده وقبضَ على ساعِد بران وأغلقَ عليه أصابعه بقوَّةٍ يائسة، وقال له: «يجب أن تكون قويًّا الآن، قويًّا».

رَدَّ بران: «سأكون قويًّا»، على الرغم من أنه يُدرِك صعوبة ذلك. قتَلوا السير رودريك والمِايستر لوين، والجميع، الجميع...

قال المِايستر: «عظيم. أنت ولد صالِح، ابن... ابن أبيك يا بران. والآن اذهبوا».

رفعَت أوشا عينيها إلى شجرة الويروود والوجه الأحمر المحفور في الجذع الشَّاحب، وقالت: «ونتركك للآلهة؟».

تمتمَ المِايستر: «ألتمسُ فقط...»، وابتلعَ لُعابه وتابعَ بصعوبة: «شـ... شـ... شربة ماء و... وخدمةً أخرى إذا سمحتِ...».

قالت أوشا: «نعم»، ثم التفتَت إلى ميرا قائلةً: «خُذيهم».

قادَ چوچن وميرا ريكون بينهما، وتبعَهم هودور، فجلدَت الفروع الواطئة وجه بران وهُم يتحرَّكون بين الأشجار، ومسحَت الأوراق دموعه.

انضمَّت إليهم أوشا في السَّاحة بَعد قليل، ولم تَذكُر شيئًا عن المِايستر لوين، بل قالت بلهجةٍ عمليَّة: «يجب أن يبقى هودور مع بران كي يكون بمثابة ساقيه، وسآخذُ ريكون معي».

قال چوچن ريد: «سنذهب مع بران».

ردَّت أوشا: «نعم، هذا ما خطرَ لي. أعتقدُ أني سأخرجُ من البوَّابة الشَّرقيَّة وأقطعُ طريق الملوك بعض الوقت».

قالت ميرا: «سنَخرُج من بوَّابة الصيَّادين».

وقال هودور: «هودور».

توقَّفوا عند المطابخ أولًا، حيث وجدَت أوشا بعض أرغفة الخُبز المحروق لا تزال صالحةً للأكل، بالإضافة إلى ديكٍ مشويٍّ بارد قسمَته إلى نِصفين، وأخرجَت ميرا جرَّةً من العسل وجوالًا كبيرًا من التُّفَّاح، ثم تبادَلوا عبارات الوداع في الخارج، وبكى ريكون وتشبَّث بساق هودور حتى صفعَته أوشا على مؤخِّرته بكعب حربتها، فتبعَها مسرعًا، وتحرَّك شاجيدوج وراءهما، وآخِر ما رآه بران منهم كان ذيل الذِّئب الرَّهيب إذ اختفى وراء البُرج المكسور.



كانت الشَّبكة الحديديَّة التي تسدُّ بوَّابة الصيَّادين معوجَّةً للغاية من فرط حرارة الحريق، حتى إنه لم يكن ممكنًا أن ترتفع أكثر من قدم واحد، فاضطرُّوا للزَّحف معتصرين أجسادهم تحت خوازيقها الحديد المُدبَّبة واحدًا تلو الآخَر.

سألَ بران بينما عبروا الجسر المتحرِّك بين الأسوار: «هل سنذهب إلى السيِّد والدكما؟ إلى قلعة المياه الرَّماديَّة؟».

رمقَت ميرا أخاها منتظرةً الجواب، فأعلنَ چوچن: «طريقنا يأخذنا شَمالًا».

على حافة غابة الذِّئاب التفتَ بران في سلَّته يُلقي نظرةً أخيرةً على القلعة التي كانت حياته. خيوط الدُّخان كانت لا تزال تتصاعَد إلى السَّماء الرَّماديَّة، ولكنه لم يزد على الدُّخان الذي كان يتصاعدَ من قبل من مداخن وينترفل في ظهيرةٍ خريفيَّةٍ باردةٍ، بينما لطَّخ السِّناج بعضًا من حلقات إطلاق السِّهام، وهنا وهناك لاحَت بضع صدوعٍ أو قوائم متهدِّمة في السُّور، لكن من على هذه المسافة بدا عددها قليلًا، ووراء السُّور ارتفعَت قمم الحصون والأبراج كما هي منذ مئات السِّنين، وكان من الصَّعب أن يتبيَّن المرء أن القلعة قد نُهبَت واحترقَت إطلاقًا، فقال بران في قرارة نفسه: الأحجار قويَّة، وجذور الأشجار غائرة، وتحت الأرض يجلس ملوك الشِّتاء على عروشهم. ما دامَ هؤلاء باقين، فستبقى وينترفل. إنها لم تَمُت، بل انكسرَت لا أكثر، مِثلي، فأنا أيضًا لم أمُت.

نهاية الجزء الثَّاني



مُلحق

الملوك وبلاط كلٍّ منهم



خريطة كينجز لاندنج

1. سِپت بيلور الكبير
2. جُب التنانين
3. القلعة الحمراء
4. ماخور شاتايا
5. مقر الخيميائيين
6. ميدان الأساقفة
7. بُرجا الأوناش
8. إيوان شِباي
9. ميدان السمّاكين
10. ورشة توبهو موت

بوابة الآلهة

البوابة القديمة

بوابة التين

تل ريينس

جحر البراغيث

شارع الأخوات

طريق روزبي

بوابة الحديد

بوابة الأسد

تل ڤيزينيا

الدرب الموحل

الخطاف

تل إجون العالي

الخليج الأسود

مضمار المباريات

شارع الحديد

بوابة الملك

طريق المجذفين

طريق المجذفين

بوابة النهر (بوابة الطمي)

النهر الأسود

سوق الأسماك

Map by James Sinclair



الملك على العرش الحديدي

چوفري باراثيون الأول، صبي في الثَّالثة عشرة، الابن الأكبر للملك روبرت باراثيون والملكة سرسي سليلة عائلة لانستر،

– أمُّه، **الملكة سرسي**، الملكة الوصيَّة على العرش وحامية البلاد،

– أخته، **الأميرة مارسلا**، فتاة في التَّاسعة،

– أخوه، **الأمير تومن**، صبي في الثَّامنة، وريث العرش الحديدي،

– عمَّاه:

– **ستانيس باراثيون**، سيِّد دراجونستون، يُلَقِّب نفسه بالملك ستانيس الأول،

– **رنلي باراثيون**، سيِّد ستورمز إند، يُلَقِّب نفسه بالملك رنلي الأول،

– خالاه:

– السير **چايمي لانستر**، لقبه **قاتل الملك**، قائد الحَرس الملكي، أسير في ريڤررَن،

– **تيريون لانستر**، قائم بأعمال يد الملك،

– مُرافِق تيريون، **پودريك پاين**،

– حَرس تيريون والمقسِمون له:

– **برون**، مرتزِق، أسود الشَّعر والقلب،

– **شاجا بن دولف**، من قبيلة الغِربان الحجريَّة،

– **تيميت بن تيميت**، من قبيلة الرِّجال المحروقين،

– **تشلا بنت تشيك**، من قبيلة الآذان السَّوداء،

– **كراون بن كالور**، من قبيلة إخوة القمر،



– محظيَّة تيريون، **شِاي**، تابعة معسكرات، في الثَّامنة عشرة،
– مجلسه الصَّغير:
– **المِايستر الأكبر پايسل**،
– **اللورد پيتر بايلش**، لقبه الإصبع الصَّغير، أمين النَّقد،
– **اللورد چانوس سلينت**، قائد حَرس المدينة في كينجز لاندنج (ذوي المعاطف الذَّهبيَّة)،
– **ڤارس**، خصيٌّ، لقبه العنكبوت، وليُّ الهامسين،
– حَرسه الملكي:
– **السير چايمي لانستر**، لقبه **قاتل الملك**، القائد، أسير في ريڤررَن،
– **ساندور كليجاين، لقبه كلب الصَّيد**،
– **السير بوروس بلاونت**،
– **السير مرين ترانت**،
– **السير آريس أوكهارت**،
– **السير پرستون جرينفيلد**،
– **السير ماندون مور**،
– حاشيته وأتباعه:
– **السير إلين پاين**، عدالة الملك، جلَّاد،
– **ڤايلار**، قائد حَرس عائلة لانستر في كينجز لاندنج (ذوي المعاطف الحمراء)،
– **السير لانسل لانستر**، مُرافِق الملك روبرت السَّابق، نُصِّبَ فارسًا مؤخَّرًا،
– **تايرك لانستر**، مُرافِق الملك روبرت السَّابق،
– **السير أرون سانتاجار**، قيِّم السِّلاح،
– **السير بالون سوان**، الابن الثَّاني للورد بالون سوان سيِّد ستونهلم،
– **الليدي إرميساند هايفورد**، رضيعة،
– **السير دونتوس هولارد**، لقبه الأحمر، سكِّير،
– **چالابار شو**، أمير منفي من جُزر الصَّيف،



- **فتى القمر**، نكَّات ومهرِّج،
- **الليدي تاندا ستوكوورث**،
  - **فاليس**، ابنتها الكُبرى،
  - **لوليس**، ابنتها الصُّغرى، عذراء في الثَّالثة والثَّلاثين،
- **اللورد جايلز روزبي**،
- **السير هوراس ردواين** وأخوه التَّوأم **السير هوبر ردواين**، ابنا سيِّد «الكرمة»،

- أهل كينجز لاندنج:
- حَرس المدينة (ذوو المعاطف الذَّهبيَّة):
  - **چانوس سلينت**، سيِّد هارنهال، القائد،
    - **مورروس**، ابنه الأكبر ووريثه،
  - **آلار ديم**، كبير ضبَّاط سلينت،
  - **السير چاسلين بايووتر**، لقبه **ذو اليد الحديد**، قائد بوَّابة النَّهر،
- **هالاين الپايرومانسر**، صاحِب حكمة في رابطة الخيميائيِّين،
- **شاتايا**، مالكة ماخور مكلِّف،
  - **ألايايا**، **دانسي**، **ماري**، بعض فتياتها،
- **توبهو موت**، أستاذ حدادة،
- **سالوريون**، أستاذ حدادة،
- **ذو البطن الحديد**، حدَّاد،
- **لوثور برون**، مُحارِب غير نظامي،
- **السير أوزموند كِتلبلاك**، فارس متجوِّل سيِّئ السُّمعة،
  - **أوزفريد** و**أوزني كِتلبلاك**، أخواه،
- **سايمون لسان الفضَّة**، مغنٍّ.

راية الملك چوفري عبارة عن وعل باراثيون المتوَّج، أسود على ذهبي، وأسد لانستر، ذهبي على قرمزي، يتصارَعان.





الملك في البحر الضيِّق

ستانيس باراثيون الأول، أكبر أخوي الملك روبرت، سيِّد دراجونستون السَّابق، الابن الثَّاني للورد ستفون باراثيون والليدي كاسانا سليلة عائلة إسترمونت،

– زوجته، **الليدي سيليس**، سليلة عائلة فلورنت،

– **شيرين**، ابنتهما الوحيدة، فتاة في العاشرة،

– خاله وابنه:

– السير **لوماس إسترمونت**، خال،

– **أندرو إسترمونت**، ابن خال،

– حاشيته وأتباعه:

– **المِايستر كرسن**، معالج ومعلِّم، رجل عجوز،

– **المِايستر بايلوس**، خليفته،

– **السِّپتون بار**،

– السير **آكسل فلورنت**، أمين قلعة دراجونستون، عم الملكة سيليس،

– **ذو الوجه المرقَّع**، مهرِّج محدود العقل،

– **الليدي مليساندرا الآشايِيَّة**، لقبها **المرأة الحمراء**، راهبة راهلور إله الضِّياء،

– السير **داڤوس سيوورث**، لقبه **فارس البصل** وأحيانًا **ذو اليد القصيرة**، مهرِّب سابق، رُبَّان «بِثا السَّوداء»،

– زوجته **ماريا**، ابنةَ نجَّار،

– أبناؤهما السَّبعة:



- **دايل**، رُبَّان «الطَّيف»،
- **آلارد**، رُبَّان «الليدي ماريا»،
- **ماثوس**، مساعد الرُّبَّان على متن «بِثا السَّوداء»،
- **ماريك**، رئيس المجذفين على متن «الثَّورة»،
- **دڤان**، مُرافِق الملك ستانيس،
- **ستانيس**، صبي في التَّاسعة،
- **ستفون**، صبي في السَّادسة،
- **برايان فارنج**، مُرافِق الملك ستانيس،
- اللوردات حمَلة رايته والمقسِمون له:
- **أردريان سلتيجار**، سيِّد جزيرة المخالب، رجل عجوز،
- **مانفورد ڤيلاريون**، سيِّد المَدِّ والجَزر وقائد دريفتمارك،
- **دورام بار إمون**، سيِّد «الرَّأس الحاد»، صبي في الرَّابعة عشرة،
- **جانسر صِنجلاس**، سيِّد «المرفأ العذب»،
- **السير هوبارد رامبتون**،
- **سالادور سان**، من مدينة لِيس الحُرَّة، يُلَقِّب نفسه بأمير البحر الضيِّق،
- **موروش عريس البحر**، أميرال.

اتَّخذ الملك ستانيس لرايته رمز قلب إله الضِّياء النَّاري، قلب أحمر محاط باللَّهب البرتقالي على خلفيَّةٍ صفراء لامعة، وفي داخل القلب وعل باراثيون المتوَّج بلونٍ أسود.





الملك في هايجاردن

رنلي باراثيون الأول، أصغر أخوي الملك روبرت، سيِّد ستورمز إند السَّابق، الابن الثَّالث للورد ستفون باراثيون والليدي كاسانا سليلة عائلة إسترمونت،

– عروسه الجديدة، **الليدي مارچري** سليلة عائلة تايرل، فتاة في الخامسة عشرة،

– خاله وأبناؤه:

– السير **إلدون إسترمونت**، خال،

– ابن السير إلدون الأكبر، **السير إيمون إسترمونت**، ابن خال،

– ابن السير إيمون، **السير آلين إسترمونت**،

– اللوردات حمَلة رايته:

– **مايس تايرل**، سيِّد هايجاردن ويد الملك،

– **راندل تارلي**، سيِّد هورن هيل،

– **ماثيس روان**، سيِّد جولدنجروف،

– **برايس كارون**، سيِّد تخوم دورن،

– **شايرا إرول**، سيِّدة قلعة القَش،

– **أروين أوكهارت**، سيِّدة أوك القديمة،

– **آلستر فلورنت**، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة،

– **اللورد سلوين**، سيِّد تارث، لقبه **نجم المساء**،

– **لايتون هايتاور**، صوت البلدة القديمة، سيِّد المرفأ،

– **اللورد ستفون ڤارنر**،



- حَرس قوس قزح:

- **السير لوراس تايرل**، فارس الزُّهور، القائد،
- **اللورد برايس كارون**، البرتقالي،
- **السير جايارد موريجن**، الأخضر،
- **السير فارمن كرين**، الأرجواني،
- **السير روبار رويس**، الأحمر،
- **السير إمون كاي**، الأصفر،
- **بِريان التَّارثيَّة**، الزَّرقاء، لقبها **بِريان المليحة**، ابنة اللورد سلوين نجم المساء،

- فُرسانه والمقسِمون له:

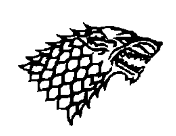
- **السير كورتناي پنروز**، أمين قلعة ستورمز إند،
- ربيب السير كورتناي، **إدريك ستورم**، ابن غير شرعي للملك روبرت من الليدي ديلينا سليلة عائلة فلورنت،
- **السير دونل سوان**، وريث ستونهلم،
- **السير چون فوسواي**، من فرع التُّفَّاحة الخضراء من العائلة،
- **السير برايان فوسواي، السير تانتون فوسواي، السير إدويد فوسواي**، من فرع التُّفَّاحة الحمراء من العائلة،
- **السير كولن** من منطقة «البِرك الخضراء»،
- **السير مارك مالندور**،
- **رونيت الأحمر**، فارس «وكر الجريفين»،

- أهل بيته:

- **المِايستر چورن**، مستشار ومعالِج ومعلِّم.

راية الملك رنلي عبارة عن وعل آل باراثيون سادة ستورمز إند المتوَّج، أسود على خلفيَّةٍ ذهبيَّة، راية أخيه الملك روبرت نفسها.





الملك في الشَّمال

روب ستارك، سيِّد وينترفل والملك في الشَّمال، الابن الأكبر لإدارد ستارك سيِّد وينترفل والليدي كاتلين سليلة عائلة تَلي، صبي في الخامسة عشرة،

– ذئبه الرَّهيب، **جراي ويند**،

– أمُّه، **الليدي كاتلين** سليلة عائلة تَلي،

– إخوته:

– **الأميرة سانزا**، فتاة في الثَّانية عشرة،

– ذئبة سانزا الرَّهيبة، **(ليدي)**، قُتِلَت في قلعة داري،

– **الأميرة آريا**، فتاة في العاشرة،

– ذئبة آريا الرَّهيبة، **نايميريا**، طُرِدَت قبل عام،

– **الأمير براندون**، يُسَمَّى **بران**، وريث وينترفل والشَّمال، صبي في الثَّامنة،

– ذئب بران الرَّهيب، **سَمر**،

– **الأمير ريكون**، صبي في الرَّابعة،

– ذئب ريكون الرَّهيب، **شاجيدوج**،

– أخوه غير الشَّقيق، **چون سنو**، نغل في الخامسة عشرة، رجل في حَرس اللَّيل،

– ذئب چون الرَّهيب، **جوست**،

– أعمامه وعمَّاته وأخواله وخالاته:

– **(براندون ستارك)**، أخو اللورد إدارد الأكبر، قُتِلَ بأمر الملك إيرس تارجاريَن الثَّاني،



- (**ليانا ستارك**)، أخت اللورد إدارد الصُّغرى، ماتَت في جبال دورن،
- **بنچن ستارك**، أخو اللورد إدارد الأصغر، رجل في حَرس اللَّيل، مفقود وراء «الجِدار»،
- **لايسا آرن**، أخت الليدي كاتلين الصَّغيرة، أرملة (اللورد چون آرن)، سيِّدة «العُش»،
- **السير إدميور تَلي**، أخو الليدي كاتلين الأصغر، وريث ريڤررَن،
- **السير برايندن تَلي**، لقبه السَّمكة السَّوداء، عم الليدي كاتلين،
- المقسِمون له:
- **ثيون جرايچوي**، ربيب اللورد إدارد، وريث پايك وجُزر الحديد،
- **هالس مولين**، قائد حَرس وينترفل،
- **چاكس، كوينت، شاد**، حَرس تحت قيادة مولين،
- **السير وندل ماندرلي**، الابن الثَّاني لسيِّد الميناء الأبيض،
- **پاتريك ماليستر**، وريث سيجارد،
- **داسي مورمونت**، الابنة الكُبرى لليدي مِج ووريثة جزيرة الدِّببة،
- **چون أومبر**، لقبه چون الصَّغير،
- **روبن فلينت، السير پروين فراي، لوكاس بلاكوود**،
- **مُرافِقه، أوليڤار فراي**، في الثَّامنة عشرة،
- أهل بيته في ريڤررَن:
- **المِايستر ڤايمان**، مستشار ومعالِج ومعلِّم،
- **السير دزموند جرِل**، قيِّم السِّلاح،
- **السير روبن رايجر**، قائد الحَرس،
- **أوثيرايدس واين**، أمين قلعة ريڤررَن،
- **رايموند النَّاظم**، مغنٍّ،
- أهل بيته في وينترفل:
- **المِايستر لوين**، مستشار ومعالِج ومعلِّم،
- **السير رودريك كاسل**، قيِّم السِّلاح،
- **بِث**، ابنته،



- **والدر فراي**، لقبه **والدر الكبير**، ربيب الليدي كاتلين، في الثَّامنة،
- **والدر فراي**، لقبه **والدر الصَّغير**، ربيب الليدي كاتلين، في الثَّامنة أيضًا،
- **السِّپتون كايل**، أمين سِپت ومكتبة القلعة،
- **چوزث**، قيِّم الخيول،
  - **باندي وشايرا**، ابنتاه التَّوأمتان،
- **فارلن**، قيِّم وجار الكلاب،
  - **پالا**، عاملة في الوجار،
- **العجوز نان**، راوية قصص، مرضِعة سابقة، الآن طاعنة في السِّن،
  - **هودور**، حفيد حفيدها، عامل اسطبلات بسيط العقل،
- **جايچ**، الطَّاهي،
  - **تورنيپ**، عاملة مطابخ ومساعِدة الطَّاهي،
  - **أوشا**، امرأة همجيَّة أسيرة، تعمل خادمة في المطابخ،
- **ميكن**، حدَّاد وصانع سلاح،
- **هايهِد، سكيتريك، تيم المجدور، آلبلي**، حُرَّاس،
- **كالون، توم**، ابنا حارسين،
- القادة واللوردات حمَلة رايته:
- (مع روب في ريڤررَن)
- **چون أومبر**، لقبه چون الكبير،
- **ريكارد كارستارك**، سيِّد كارهولد،
- **جالبارت جلوڤر**، من «ربوة الغابة»،
- **مج مورمونت**، سيِّدة جزيرة الدِّببة،
- **السير ستڤرون فراي**، الابن الأكبر للورد والدر فراي ووريث «التَّوأمتين»،
  - ابن السير ستڤرون الأكبر، **السير رايمان فراي**،
    - ابن السير رايمان، **والدر فراي الأسود**،
- **مارتن ريڤرز**، ابن اللورد والدر غير الشَّرعي،



– (مع جيش رووس بولتون في «التَّوأمتين»)
– **رووس بولتون**، سيِّد «معقل الخوف»، قائد الجزء الأكبر من جيش الشَّمال،
– **روبت جلوڤر**، من «ربوة الغابة»،
– **والدر فراي**، سيِّد «المعبر»،
– **السير هلمان تولهارت**، من «مربَّع تورين»،
– **السير إينس فراي**،
– (أسرى لدى اللورد تايوين لانستر)
– **اللورد مدچر سروين**،
– **هاريون كارستارك**، الابن الوحيد الحي للورد ريكارد،
– **السير وايليس ماندرلي**، وريث الميناء الأبيض،
– **السير چارد فراي**، **السير هوستين فراي**، **السير دانويل فراي**، وأخوهم غير الشَّقيق رونل ريڤرز،
– (في ميادين القتال أو في قلاعهم)
– **لايمان داري**، صبي في الثَّامنة،
– **شِلا وِنت**، سيِّدة هارنهال، استولى اللورد تايوين لانستر على قلعتها،
– **چيسون ماليستر**، سيِّد سيجارد،
– **چونوس براكن**، سيِّد قلعة «السِّياج الحجري»،
– **تايتوس بلاكوود**، سيِّد راڤنتري،
– **اللورد كاريل ڤانس**،
– **السير مارك پايپر**،
– **السير هالمون پايچ**،
– اللوردات حمَلة رايته وأمناء قلاع الشَّمال:
– **اللورد وايمان ماندرلي**، سيِّد الميناء الأبيض،
– **هاولاند ريد**، سيِّد قلعة المياه الرَّماديَّة، من شعب المستنقعات،
– **ابنة هاولاند**، ميرا، فتاة في الخامسة عشرة،
– **ابن هاولاند**، چوچن، صبي في الثَّالثة عشرة،



– **الليدي دونيلا هورنوود**، أرملة وأُم ثكلى،
– **كلاي سروين**، ابن اللورد مدچر، صبي في الرَّابعة عشرة،
– **ليوبولد تولهارت**، الأخ الأصغر للسير هلمان، أمين قلعة «مربَّع تورين»،
– زوجة ليوبولد، **بيرينا** سليلة عائلة هورنوود،
– ابن ليوبولد، **براندون**، صبي في الرَّابعة عشرة،
– ابن ليوبولد، **بيرين**، صبي في العاشرة،
– ابن السير هلمان، **بنفريد**، وريث «مربَّع تورين»،
– ابنة السير هلمان، **إدارا**، فتاة في التَّاسعة،
– **الليدي سيبل**، زوجة روبت جلوڤر، تقود «ربوة الغابة» في غيابه،
– ابن روبت، **جاون**، في الثَّالثة، وريث القلعة،
– ابنة روبت، **إرينا**، رضيعة عُمرها عام،
– **لارنس سنو**، ابن غير شرعي للورد هورنوود، في الثَّانية عشرة، ربيب جالبارت جلوڤر،
– **مورس آكِل الغُراب وهوثر باقِر العاهرة** ابنا عائلة أومبر، عمَّا چون الكبير،
– **الليدي ليسا فلينت**، أُم روبن،
– **أوندرو لوك**، سيِّد القلعة العتيقة، رجل عجوز.

تظلُّ راية الملك في الشَّمال كما كانت منذ آلاف السِّنين، ذئب آل ستارك أبناء وينترفل الرَّمادي الرَّهيب، يجري في حقلٍ أبيض كالثَّلج.





الملكة وراء البحر

دنيرس تارجاريَن الأولى، تُلَقَّب بدنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترق، أُم التَّنانين، گاليسي الدوثراكي، آخِر من تبقَّى من أولاد الملك إيرس تارجاريَن الثَّاني من زوجته وأخته الملكة رييلا، أرملة في الرَّابعة عشرة،

– تنانينها: **دروجون**، ڤسيريون، ريجال،

– أخواها:

– (**ريجار**)، أمير دراجونستون ووريث العرش الحديدي،

– (**رينيس**)، ابنة ريجار من إليا الدورنيَّة، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،

– (**إجون**)، ابن ريجار من إليا الدورنيَّة، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،

– (**ڤسيرس**)، يُسَمِّي نفسه الملك ڤسيرس الثَّالث ويُلَقَّب بالملك الشحَّاذ، قُتِل في ڤايس دوثراك على يد گال دروجو،

– زوجها (**دروجو**)، گال الدوثراكي، ماتَ بجرحٍ تلوَّث،

– (**رييجو**)، ابن دنيرس وگال دروجو الجهيض، قُتِلَ في الرَّحم على يد ميري ماز دور،

– حَرسها الملكي:

– **السير چورا مورمونت**، فارس منفي، سيِّد جزيرة الدِّببة السَّابق،

– **چوجو**، گو وخيَّال دم، السَّوط،

– **آجو**، گو وخيَّال دم، القوس،

– **راگارو**، گو وخيَّال دم، الأراخ،



– وصيفاتها:

– **إيري**، فتاة من الدوثراكي،

– **چيكوي**، فتاة من الدوثراكي،

– **دوريا**، أمة لايسينيَّة، عاهرة سابقة،

– السَّاعون الثَّلاثة:

– **زارو زون داكسوس**، أمير تاجر من كارث،

– **پيات پري**، دجَّال من من كارث،

– **كويث**، آسرة ظلال مقنَّعة من آشاي،

– **إلييرو موپاتيس**، ماچستر من مدينة پنتوس الحُرَّة، رتَّب زواج دنيرس بكال دروجو وخطَّط لوصول ڤسيرس إلى سُدَّة الحُكم والجلوس على العرش الحديدي.

راية عائلة تارجاريَن هي راية إجون الفاتح، الذي غزا ستًّا من الممالك السَّبع، وأسَّس سُلالته، وصنعَ العرش الحديدي من سيوف أعدائه المهزومين، تنِّين أحمر ذو ثلاثة رؤوس على خلفيَّةٍ سوداء.



عِائلات أخرى صغيرة وكبيرة




مكتبة
الفكر الجديد



عائلة آرن

لم تُعلِن عائلة آرن تأييدها لأيٍّ من أصحاب الدَّعاوى المتصارعين، واحتفظَت بقوَّاتها للدِّفاع عن «العُش» ووادي آرن.

راية آل آرن عبارة عن قمر وصقرٍ أبيضين على خلفيَّةٍ ذات لونٍ أزرق سماوي، وكلماتهم: «سامون كالشَّرف».

روبرت آرن، سيِّد «العُش»، حافِظ «الوادي»، حاكِم الشَّرق، صبي سقيم في الثَّامنة،

– أمُّه، **الليدي لايسا** سليلة عائلة تَلي، زوجة (اللورد چون آرن) يد المُلك الرَّاحل الثَّالثة وأرملته، أخت كاتلين ستارك،

– أهل بيته:

– **المِايستر كولمون**، مستشار ومعالِج ومعلِّم،

– **السير ماروين بلمور**، قائد الحَرس،

– **اللورد نستور رويس**، وكيل «الوادي» الأعلى،

– ابن اللورد نستور، **السير ألبار**،

– **ميا ستون**، فتاة نغلة في خدمته، ابنة الملك روبرت،

– **مورد**، سجَّان متوحِّش،

– **ماريليون**، مغنٍّ،

– اللوردات حمَلة رايته وخُطَّاب أمِّه وأتباعه:

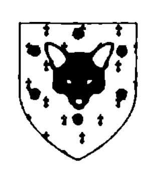
– **اللورد يون رويس**، لقبه يون البرونزي،

– ابن اللورد يون الأكبر، **السير أندار**،



- ابن اللورد يون الأوسط، **السير روبار، في خدمة الملك رنلي،** روبار الأحمر فارس حَرس قوس قزح،
- ابن اللورد نستور الأصغر، (**السير وايمار**)، رجل في حَرس اللَّيل، مفقود وراء «الجِدار»،
- اللورد نستور رويس، **أخو اللورد يون**، وكيل «الوادي» الأعلى،
- ابن اللورد نستور وورِيثه، **السير ألبار،**
- ابنة اللورد نستور، **ميراندا،**
- **السير لين كوربراي،** من خُطَّاب الليدي لايسا،
- **مايكل ردفورت،** مُرافِقه،
- **الليدي آنيا واينوود،**
- ابن الليدي آنيا ووريثها، **السير مورتون،** من خُطَّاب الليدي لايسا،
- ابن الليدي آنيا الثَّاني، **السير دونل،** فارِس البوَّابة،
- **اللورد إيون هنتر،** سيِّد قلعة «القوس الطَّويل»، من خُطَّاب الليدي لايسا، رجل عجوز.





عائلة فلورنت

أقسمَ آل فلورنت أبناء قلعة المياه الوضَّاءة على الولاء لهايجاردن، وتبعوا عائلة تايرل في انضمامها إلى الملك رنلي، وإن أبقوا قدمًا في المعسكر الآخَر، بما أن زوجة الملك ستانيس من عائلة فلورنت، وعمُّها هو أمين قلعة دراجونستون.

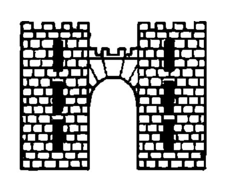
رمز عائلة فلورنت عبارة عن ثعلبٍ يطلُّ برأسه من حلقةٍ من الزُّهور.

- **آلستر فلورنت**، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة،
- زوجته، **الليدي ميلارا**، سليلة عائلة كرين،
- أولادهما:
  - **أليكاين**، وريث قلعة المياه الوضَّاءة،
  - **ميليسا**، زوجة اللورد راندل تارلي،
  - **ريا**، زوجة اللورد لايتون هايتاور،
- أخواه:
  - **السير آكسل**، أمين قلعة دراجونستون،
  - (**السير ريام**)، ماتَ حين سقطَ من فوق حصان،
    - ابنة السير ريام، **الملكة سيليس**، زوجة الملك ستانيس،
    - ابن السير ريام الأكبر ووريثه، **السير إمري**،
    - ابن السير ريام الثَّاني، **السير إرِن**،
  - **السير كولين**،
    - ابنة السير كولين، **ديلينا**، زوجة السير **هوسمان نوركروس**،



- ابن ديلينا، **إدريك ستورم**، ابن غير شرعي للملك روبرت،
- ابن ديلينا، **آلستر نوركروس**،
- ابن ديلينا، **رنلي نوركروس**،
- ابن كولين، **المِايستر أومر**، في خدمة أوك القديمة،
- ابن كولين، **ميريل**، مُرافِق فارس في «الكرمة»،
- أخته، **رايلين**، زوجة ريتشرد كرين.





عائلة فراي

يتمتَّع آل فراي بالقوَّة والثَّراء وعددٍ وفير من الأولاد، وهُم حمَلة راية عائلة تَلي ومقسِمين على الولاء لريفررَن، وإن كانوا لا يلتزمون دائمًا بأداء واجبهم، فحين قاتلَ روبرت باراثيون ريجار تارجاريَن في معركة نهر الثَّالوث، لم يصل رجال فراي إلَّا بَعد انتهاء القِتال، ومنذ ذلك الحين لقَّب هوستر تَلي اللورد والدر باللورد فراي الممتلكئ. لم يُوافِق اللورد فراي على دعم الملك في الشَّمال إلَّا بَعد أن وافقَ روب ستارك على خطبة واحدةٍ من بناته أو حفيداته، ووعدَ بأن يتزوَّجها حين تنتهي الحرب. عاشَ اللورد والدر واحدًا وتسعين عامًا، ومؤخَّرًا فقط تزوَّج للمرَّة الثَّامنة فتاةً تَصغُره بسبعين عامًا، ويُقال عنه إنه اللورد الوحيد في الممالك السَّبع الذي يستطيع أن يحشد جيشًا من نسله.

- **والدر فراي**، سيِّد «المعبر»،
  - من زوجته الأولى، (**الليدي پيرا**) سليلة عائلة رويس:
    - **السير ستڤرون**، وريث «التَّوأمتين»،
      - زوجته (**كورينا سوان**)، ماتَت بمرضٍ مزمن،
      - ابن ستڤرون الأكبر، **السير رايمان**،
        - ابن رايمان، **إدوين**، زوج چانيس هنتر،
          - ابنة إدوين، **والدا**، فتاة في الثَّامنة،
        - ابن رايمان، **والدر**، لقبه **والدر الأسود**،
        - ابن رايمان، **پيتر**، لقبه **پيتر ذو الدَّمامل**، زوج ميليندا كارون،
          - ابنة پيتر، **پيرا**، فتاة في الخامسة،
      - زوجته (**چين ليدن**)، ماتَت حين سقطَت من على حصان،
      - ابن ستڤرون، **إجون**، أبله ملقَّب بذي الجلاجل،



– ابنة ستفرون، (**مايجل**)، ماتَت أثناء الوضع،
– **السير دافين ڤانس**،
– ابنة مايجل، **ماريان**، عذراء،
– ابن مايجل، **والدر ڤانس**، مُرافِق فارس،
– ابن مايجل، **پاتريك ڤانس**،
– زوجته (**مارسلا واينوود**)، ماتَت أثناء الوضع،
– ابن ستفرون، **والتون**، زوج ديانا هاردينج،
– ابن والتون، **ستفون**، لقبه **الحُلو**،
– ابنة والتون، **والدا**، لقبها **والدا الحسناء**،
– ابن والتون، **برايان**، مُرافِق فارس،
– **السير إمون**، زوج چنا سليلة عائلة لانستر،
– ابن إمون، **السير كَليوس**، زوج چين داري،
– ابن كليوس، **تايوين**، مُرافِق فارس في الحادية عشرة،
– ابن كليوس، **ويلم**، خادم في آشمارك،
– ابن إمون، **السير لايونل**، زوج ميليسا كراكهول،
– ابن إمون، **تيون**، مُرافِق فارس أسير في ريڤررَن،
– ابن إمون، **والدر**، لقبه **والدر الأحمر**، خادم في كاسترلي روك،
– السير إينس، **زوج (تيانا وايلد)**، ماتَت أثناء الوضع،
– ابن إينس، **إجون وليد الدَّم**، خارج على القانون،
– ابن إمون، **ريجار**، زوج چين بيزبوري،
– ابن ريجار، **روبرت**، صبي في الثَّالثة عشرة،
– ابنة ريجار، **والدا**، فتاة في العاشرة، لقبها **والدا البيضاء**،
– ابن ريجار، **چونوس**، صبي في الثَّامنة،
– **پريان**، زوجة السير ليزلين هاي،
– ابن پريان، **السير هاريس هاي**،
– ابن هاريس، **والدر هاي**، صبي في الرَّابعة،
– ابن پريان، **السير دونل هاي**،
– ابن پريان، **السير آلين هاي**، مُرافِق فارس،



- من زوجته الثَّانية، (الليدي كايرينا) سليلة عائلة سوان:
- **السير چارد**، ابنهما الأكبر، زوج (آليس فراي)،
- ابن چارد، **السير تايتوس**، زوج زوي بلينتري،
- ابنة تايتوس، **زيا**، فتاة في الرَّابعة عشرة،
- ابن تايتوس، **زاكري**، صبي في الثَّانية عشرة، يتدرَّب في سِپت البلدة القديمة،
- ابنة چارد، **كايرا**، زوجة جارس جودبروك،
- ابن كايرا، **والدر جودبروك**، صبي في التَّاسعة،
- ابنة تايتوس، **چين جودبروك**، فتاة في السَّادسة،
- **السِّپتون لوسيون**، يخدم في سِپت بيلور الكبير في كينجز لاندنج،
- من زوجته الثَّالثة، (الليدي أماري) سليلة عائلة كراكهول:
- **السير هوستين**، ابنهما الأكبر، زوج بيلينا هاويك،
- ابن هوستين، **السير آرووود**، زوج ريِيلا رويس،
- ابنة آرووود، **ريِيلا**، فتاة في الخامسة،
- ابنا آرووود التَّوأم، **أندرو وآلين**، في الثَّالثة،
- **الليدي لايثين**، زوجة اللورد لوشياس ڤايپرن،
- ابنة لايثين، **إليانا**، زوجة السير چون وايلد،
- ابن إليانا، **ريكارد وايلد**، في الرَّابعة،
- ابن لايثين، **السير ديمون ڤايپرن**،
- **سايموند**، زوج بيثاريوس البراڤوسيَّة،
- ابن سايموند، **أليساندر**، مغنٍّ،
- ابنة سايموند، **آلكس**، فتاة في السَّابعة عشرة،
- ابن سايموند، **برادامار**، صبي في العاشرة، نشأ في براڤوس ربيبًا للتَّاجر أورو تندايريس،
- **السير دانويل**، زوج واينافري ونت،
- (وُلِدَ أبناؤهما إمَّا موتى أو ماتوا في المهد)،
- **ميريت**، زوج ماريا داري،
- ابنة ميريت، **آميري**، تُسَمَّى آمي، أرملة في السَّادسة عشرة، كانت زوجة (السير پايت فارس الفرع الأزرق)،



- ابنة ميريت، **والدا**، لقبها **والدا السَّمينة**، فتاة في الخامسة عشرة،
- ابنة ميريت، **ماريسا**، فتاة في الثَّالثة عشرة،
- ابن ميريت، **والدر**، لقبه **والدر الصَّغير**، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفل كربيب الليدي كاتلين ستارك،
- **(السير چريمي)**، مات غرقًا، كان زوج كارولي واينوود،
- ابن چريمي، **ساندور**، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافِق السير دونل واينوود،
- ابنة چريمي، **سينثيا**، فتاة في التَّاسعة، ربيبة الليدي آنيا واينوود،
- **السير رايموند**، زوج بيوني بيزبوري،
- ابن رايموند، **روبرت**، في السَّادسة عشرة، يتدرَّب في قلعة البلدة القديمة،
- ابن رايموند، **مالوين**، في الخامسة عشرة، يتدرَّب لدى خيميائي في لِيس،
- ابنتا رايموند التَّوأم، **سيرا وسارا**، فتاتان في الرَّابعة عشرة،
- ابنة رايموند، **سرسي**، في السَّادسة، لقبها **النَّحلة الصَّغيرة**،
- من زوجته الرَّابعة، **(الليدي أليسا)** سليلة عائلة بلاكوود:
- **لوثار**، ابنهما الأكبر، لقبه **لوثار الكسيح**، زوج ليونلا ليفورد،
- ابنة لوثار، **تايسين**، فتاة في السَّابعة،
- ابنة لوثار، **والدا**، فتاة في الرَّابعة،
- ابنة لوثار، **إمبريلي**، فتاة في الثَّانية،
- **السير چاموس**، زوج سالي پايپ،
- ابن چاموس، لقبه **والدر الكبير**، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفل كربيب الليدي كاتلين ستارك،
- ابنا چاموس التَّوأم، **ديكون وماثوس**، في الخامسة،
- **السير والن**، زوج سيلوا پايپ،
- ابن والن، **هوستر**، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافِق السير ديمون پايپ،
- ابنة والن، **ماريان**، تُسَمَّى مِري، فتاة في الحادية عشرة،
- **الليدي موريا**، زوجة السير فليمنت براكس،
- ابن موريا، **روبرت براكس**، في التَّاسعة، ينشأ كخادم في كاسترلي روك،



- ابن موريا، **والدر براكس**، صبي في السَّادسة،
- ابن موريا، **چون براكس**، صبي في الثَّالثة،
- **تايتا**، لقبها **تايتا العذراء**، في التَّاسعة والعشرين،
- من زوجته الخامسة، (**الليدي ساريا**) سليلة عائلة وِنت:
- لا أولاد،
- من زوجته السَّادسة، (**الليدي بثاني**) سليلة عائلة روزبي:
- **السير پروين**، ابنهما الأكبر،
- **السير بنفري**، زوج چيانا فراي، ابنة عمه،
- ابنة بنفري، **دِلا**، لقبها **دِلا الصمَّاء**، في الثَّالثة،
- ابن بنفري، **أوزموند**، صبي في الثَّانية،
- **المِايستر ويلامن**، يخدم في قلعة «القوس الطَّويل»،
- **أوليڤار**، مُرافِق في خدمة روب ستارك،
- **روزلين**، فتاة في السَّادسة عشرة،
- من زوجته السَّابعة، (**الليدي أنارا**) سليلة عائلة فارنج:
- **أروين**، فتاة في الرَّابعة عشرة،
- **وندل**، ابنهما الأكبر، صبي في الثَّالثة عشرة، ينشأ في سيجارد كخادم،
- **كولمار**، موعود بالخدمة في «العقيدة»، في السَّابعة،
- **والتير**، يُسَمَّى **تير**، صبي في العاشرة،
- **إلمار**، خطيب آريا ستارك، صبي في التَّاسعة،
- **شيري**، فتاة في السَّادسة،
- من زوجته الثَّامنة، (**الليدي چويئيوس**) سليلة عائلة إرينفورد:
- لا أولاد بعدُ،
- أولاد اللورد والدر غير الشَّرعيِّين من أمَّهاتٍ مختلفات:
- **والدر ريڤرز**، لقبه **والدر النَّغل**،
- ابن والدر النَّغل، **السير إيمون ريڤرز**،
- ابنة والدر النَّغل، **والدا ريڤرز**،
- **المِايستر ملويس**، يخدم في روزبي،
- **چين ريڤرز**، **مارتن ريڤرز**، **رايجر ريڤرز**، **رونل ريڤرز**، **ميلارا ريڤرز**، آخَرون.





عائلة جرايچوي

سبقَ أن قادَ بالون جرايچوي سيِّد جُزر الحديد تمرُّدًا على العرش الحديدي، أخمدَه روبرت باراثيون وإدارد ستارك، وعلى الرغم من أن ابنه ثيون -الذي نشأ في وينترفل- واحد من مناصري روب ستارك وأقرب رفاقه، فإن اللورد بالون لم ينضمَّ إلى الشَّماليِّين حين زحفوا جَنوبًا إلى أراضي النَّهر.

راية آل جرايچوي عبارة عن كراكن ذهبي على خلفيَّةٍ سوداء، وكلماتهم: «نحن لا نزرع».

بالون جرايچوي، سيِّد جُزر الحديد، ملك الملح والصَّخر، ابن رياح البحر، سيِّد حصاد پايك، رُبَّان «الكراكن العظيم»،

– زوجته، **الليدي ألانيس** سليلة عائلة هارلو،

– أبناؤهما:

– (**رودريك**)، ابنهما الأكبر، قُتِلَ في سيجارد خلال تمرُّد جرايچوي،

– (**مارون**)، ابنهما الثَّاني، قُتِلَ على أسوار پايك خلال تمرُّد جرايچوي،

– **آشا**، ابنتهما، رُبَّان«الرِّيح السَّوداء»،

– **ثيون**، ربيب إدارد ستارك في وينترفل،

– إخوته:

– **يورون**، لقبه **عين الغُراب**، رُبَّان «الصَّمت»، خارج على القانون، قرصان، مغير،

– **ڤيكتاريون**، قائد الأسطول الحديدي، رُبَّان «النَّصر الحديدي»،

– **آرون**، لقبه **ذو الشَّعر الرَّطب**، من رهبان الإله الغريق،



– أهل بيته في پايك:

– **داجمر**، لقبه ذو **الفَكِّ المفلوق**، قيِّم السِّلاح، رُبَّان «ثُمالة البحر»،

– **المِايستر ويندامير**، معالِج ومستشار،

– **هيليا**، راعية القلعة،

– أهل لوردزپورت:

– **سيجرين**، سفَّان،

– اللوردات حمَلة رايته:

– **اللورد بوتلي**، من لوردزپورت،

– **اللورد وينش**، من غابة الحديد،

– **اللورد هارلو**، من هارلو،

– **ستونهاوس**، من ويك القديمة،

– **دروم**، من ويك القديمة،

– **جودبراذر**، من ويك القديمة،

– **جودبراذر**، من ويك الكُبرى،

– **اللورد مرلين**، من ويك الكُبرى،

– **سپار**، من ويك الكُبرى،

– **اللورد بلاكتايد**، من بلاكتايد،

– **اللورد سولتكليف**، من سولتكليف،

– **اللورد ساندرلي**، من سولتكليف.





عائلة لانستر

يبقى آل لانستر أبناء كاسترلي روك أقوى المؤيِّدين لدعوى الملك چوفري للعرش الحديدي.

راية آل لانستر عبارة عن أسدٍ ذهبي على خلفيَّةٍ قرمزيَّة، وكلماتهم: «اسمعوا زئيري».

تايوين لانستر، سيِّد كاسترلي روك، حاكِم الغَرب، حامي لانسپورت، يقود جيش لانستر في هارنهال،

– زوجته، **(الليدي چوانا)**، ابنة عمِّه، ماتَت أثناء الوضع،

– أبناؤهما:

– **السير چايمي**، لقبه قاتِل المَلك، وريث كاسترلي روك، توأم سرسي،

– **المَلكة سرسي**، زوجة المَلك روبرت الأول، توأم چايمي،

– **تيريون**، لقبه العفريت، قزم،

– إخوته:

– **السير كيڤان**، أخوه الأكبر،

– زوجته، **دورنا** سليلة عائلة سويفت،

– ابنهما الأكبر، **لانسل**، مُرافِق المَلك،

– ابناهما التَّوأم، **ويلم** و**هاروين**،

– ابنتهما الصَّغيرة، **چاني**،

– **چِنا**، أخته، متزوِّجة من السير إمون فراي،

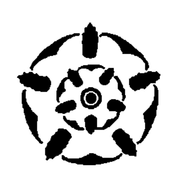
– ابنهما، **السير كليوس فراي**،



- ابنهما، **تيون فراي**، مُرافِق فارس،
- (**السير تايجت**)، أخوه الثَّاني، ماتَ بداء الزُّهري،
- أرملته، **دارليسا**، سليلة عائلة ماربراند،
- ابنهما، **تايرك**، مُرافِق المَلك،
- (**جريون**)، أخوه الأصغر، فُقِدَ في البَحر،
- ابنته غير الشَّرعيَّة، **چوي**، فتاة في العاشرة من العُمر،
- ابن عمِّهم، السير **ستافورد لانستر**، أخو الليدي الرَّاحلة چوانا،
- ابنتاه، **سيرينا ومارييل**،
- ابنه، **السير داڤن لانستر**،

- أهم فُرسانه ولورداته حمَلة رايته:
- **اللورد ليو ليفورد**،
- **السير أدام ماربراند**،
- **السير جِريجور كليجاين**، لقبه الجبل راكب الخيول،
- **پوليڤر، تشيزويك، راف المعسول، دانسن، المُدغدِغ**، جنود في خدمته،
- **السير هاريس سويفت**، أب بحُكم الزَّواج للسير كيڤان،
- **اللورد أندرون براكس**،
- **السير فورلي پرستر**،
- **السير آموري لورك**،
- **ڤارجو هوت**، من مدينة كُوهور الحُرَّة، مُرتَزِق،
- مستشاره: **المِايستر كرايلن**.





عائلة تايرل

أعلنَ اللورد تايرل سيِّد هايجاردن دعمه الملك رنلي بَعد زواج رنلي بابنته مارچري، وضَمَّ معظم حمَلة رايته الأساسيِّين إلى دعوى رنلي.

راية آل تايرل عبارة عن وردةٍ ذهبيَّةٍ على خلفيَّةٍ بلونٍ أخضرَ كالعُشب، وكلماتهم: «ننمو بقوَّة».

مايس تايرل، سيِّد هايجاردن، حاكِم الجَنوب، حافِظ التُّخوم، عاهل المرعى الأعلى،

– زوجته، الليدي أليري، سليلة عائلة هايتاور من البلدة القديمة،

– أبناؤهما:

– **ويلاس**، الابن الأكبر، وريث هايجاردن،

– **السير جارلان**، لقبه الشَّهم، الابن الثَّاني،

– **السير لوراس**، فارس الزُّهور، الابن الأصغر،

– **مارچري**، ابنتهما، فتاة في الرَّابعة عشرة من العُمر،

– أمُّه الأرملة، **الليدي أولينا**، سليلة عائلة ردواين، لقبها مَلكة الأشواك،

– أختاه:

– **مينا**، تزوَّجت من اللورد پاكستر ردواين،

– **چانا**، تزوَّجت من السير چون فوسواي،

– أعمامه:

– **جارث**، لقبه الفَج، وكيل هايجاردن،

– ابناه غير الشَّرعيَّين، **جارس** و**جارت** فلاورز،



- **السير مورين**، قائد حَرس البلدة القديمة،
- **المِايستر جورمون**، دارس في القلعة في البلدة القديمة،
- أهل بيته:
  - **المِايستر لوميس**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
  - **إيجون ڤيرويل**، قائد الحَرس،
  - **السير ڤورتيمر كران**، قيِّم السِّلاح،
- فُرسانه واللوردات حمَلة رايته:
  - **پاكستر ردواين**، سيِّد الكرمة،
    - زوجته، **الليدي مينا**، سليلة عائلة تايرل،
    - أبناؤهما:
      - السير هوراس، لقبه السَّاخر هورور، توأم هوبر،
      - السير هوبر، لقبه السَّاخر سلوبر، توأم هوراس،
      - دسميرا، فتاة في الخامسة عشرة من العُمر،
  - **راندل تارلي**، سيِّد هورن هيل،
    - **ساموِيل**، ابنه الأكبر، من رجال حَرس اللَّيل،
    - **ديكون**، ابنه الأصغر، وريث هورن هيل،
  - **أروين أوكهارت**، سيِّدة السَّنديانة القديمة،
  - **ماثيس روان**، سيِّد البُستان الذَّهبي،
  - **ليتون هايتاور**، من ألقابه صوت البلدة القديمة وسيِّد المرفأ،
  - **السير چون فوسواي**.

أبرز العائلات المقسِمة على الولاء لهايجاردن هي: ڤيرويل، فلورنت، أوكهارت، هايتاور، كران، تارلي، ردواين، فوسواي، روان، مالندور.





عائلة مارتل

كانت دورن آخِر الممالك السَّبع التي أقسمَت على الولاء للعرش الحديدي. يُمَيِّز النَّسب والعادات والتَّاريخ الدورنيِّين عن سائر الممالك الأخرى، وحين اندلعَت حرب الخلافة، لاذ أمير دورن بالصَّمت ولم يأخذ صَفَّ أحدٍ من المتصارعين.

دوران نايميروس مارتل، سيِّد صنسپير، أمير دورن،
- زوجته، **ميلاريو**، من مدينة نورڤوس الحُرَّة،
- أبناؤهما:
  - **الأميرة آريان**، ابنتهما الكُبرى، وريثة صنسپير،
  - **الأمير كوينتن**، ابنهما الأكبر،
  - **الأمير تريستان**، ابنهما الأصغر،
- إخوته:
  - أخته، **(الأميرة إليا)**، تزوَّجت من الأمير ريجار تارجارين، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
    - طفلاهما:
      - **(الأميرة ريينس)**، فتاة صغيرة، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
      - **(الأمير إجون)**، رضيع، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،
  - أخوه، **الأمير أوبرين**، لقبه الأفعوان الأحمر،
- أهل بيته:
  - **آريو هوتا**، مُرتَزِق نورڤوشي، قائد الحَرس،
  - **المِايستر كاليوت**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
- فُرسانه واللوردات حمَلة رايته:
  - **إدريك داين**، سيِّد ستارفول،

أبرز العائلات المقسِمة على الولاء لصنسپير هي: چورداين، سانتاجار، أليريون، تولاند، يرونوود، ويل، فاولر، داين.



رجال حَرس اللَّيل

يحمي حَرس اللَّيل البلاد، وقد أقسَموا على ألَّا يكون لهم دور في الحروب الأهليَّة والصِّراع على العرش، ومن عادتهم في أوقات التمرُّد أن يُكَرِّموا كلَّ الملوك لكن لا يُطيعوا أحدًا منهم.

في القلعة السَّوداء

چيور مورمونت، قائد حَرس اللَّيل، لقبه الدُّب العجوز،

– وكيله ومُرافِقه، **چون سنو**، نغل وينترفل، لقبه اللورد سنو،

– ذئب چون الرَّهيب الأبيض، **جوست**،

– **المِايستر إيمون (تارجاريَن)**، مستشار ومعالِج،

– **ساموِيل تارلي وكلايدس**، وكيلاه،

– **بنچِن ستارك**، جوَّال أول، مفقود وراء «الجِدار»،

– **ثورين سمولوود**، قائد جوَّالة،

– **چارمن بكويل**، قائد جوَّالة،

– **السير أوتين ويذرز، السير ألاديل وينش، جرِن، پايپر، ماثار، إلرون، لارك رجل الأخوات**، جوَّالة،

– **أوثيل ياروِيك**، قيِّم البنَّائين،

– **هالدر**، جماعة البنَّائين،

– **باون مارش**، قيِّم الوكلاء،

– **تشِت**، وكيل وراعي الكلاب،

– **إديسون توليت**، لقبه إد الكئيب، مُرافِق،



- **السِّپتون سالادار**، رجل دين سكِّير،
- **السير إندرو تارث**، قيِّم السِّلاح،
- إخوان القلعة السَّوداء:
  - **دونل نوي**، حدَّاد وصانع سلاح، ذو ذراعٍ واحدة،
  - **هوب ذو الثَّلاثة أصابع**، طاهٍ،
  - **چيرن، راست، كوجن**، جُنود جُدد ما زالوا في مرحلة التَّدريب،
  - **كونواي، جورن**، «غُرابان متجوِّلان»، مجنِّدان يجمعان الأيتام والمجرمين للخدمة على «الجِدار»،
- **يورن**، كبير «الغِربان المتجوِّلين»،
  - **پرايد، كتچاك، ووث، رايزن، كايل**، مجنَّدون في الطَّريق إلى «الجِدار»،
  - **كوس، چيرن، دوبر، كورز، العضَّاض، رورج، چاكن هاجار**، مجرمون في الطَّريق إلى «الجِدار»،
- **لومي أخضر اليد، جندري، تاربر، هوت پاي، آري**، صِبية أيتام في الطَّريق إلى «الجِدار».

في القلعة الشَّرقيَّة على البحر

كوتر پايك، قائد القلعة،

- **السير أليسر ثورن**، قيِّم السِّلاح،
- إخوان القلعة الشَّرقيَّة:
- **داريون**، وكيل ومغنٍّ.

في بُرج الظِّلال

السير دينس ماليستر، قائد القلعة،

- **كورين**، لقبه **ذو النِّصف يد**، قائد جوَّالة،
- **دالبريدچ**، مُرافِق مُسِن وقائد جوَّالة،
- **إبِن، ثُعبان الحجر**، جوَّالان.



شُكر وتقدير

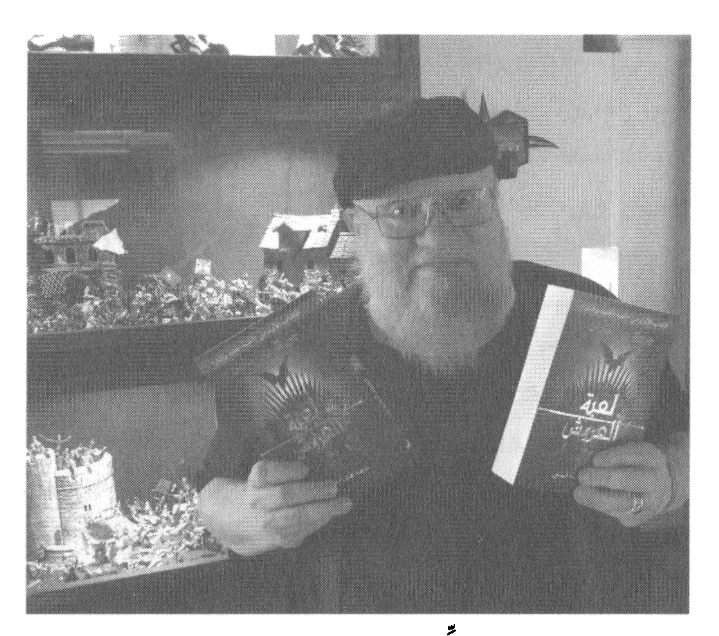
المزيد من التَّفاصيل، والمزيد من الشَّياطين.

هذه المرَّة يتضمَّن الملائكة الذين ساعَدوني على التخلُّص من الشَّياطين كلًّا من والتر چون ويليامز، ساج ووكر، ميليندا سنودجراس، وكارل كايم.

الشُّكر أيضًا لناشريَّ ومحرِّريَّ الصَّبورين، آن جرول، نيتا تاوبليب، چوي تشامبرلين، چاين چونسون، ومالكوم إدواردز.

وأخيرًا، أرفعُ الخوذة تحيَّةً لپاريس على قهوتها السِّحريَّة، الوقود الذي شيَّد الممالك السَّبع.





المؤلِّف جورج ر. ر. مارتن

يحمل صورة النسخة العربية من لعبة العروش
وهي صورة قدمها هدية لقرّائه باللغة العربية

عشر سنوات قضاها جورج ريتشارد رايموند مارتن في العمل في هوليوود، واشترك خلالها في كتابة وإنتاج عدد من المسلسلات التليفزيونية المعروفة في عقد الثمانينات، منها «Beauty and the Beast» و«The Twilight Zone»، لكن مع مجيء العام 1994 كان مارتن قد ضاق ذرعًا برفض القائمين على الاستوديوهات الكبيرة المستمر للمشاريع التي يقدمها لهم للإنتاج في التليفزيون أو السينما -بزعم أن الأفكار التي يطرحها شديدة الضخامة وستتكلف مبالغ كبيرة جدًّا لا قِبل لهم بإنفاقها- وقال إنه اكتفى تمامًا من القيود التي تفرضها التكاليف على الإنتاج، ومن ثم قدرة الشاشة على تقديم ما يرغب فيه حقًّا على المستوى المطلوب، بينما يستطيع على الصفحة المطبوعة أن يحكي كل ما يريده من قصص بكل التفاصيل التي تتفتق عنها مخيلته النشطة. هكذا اتخذ مارتن القرار بأن يترك العمل في هوليوود ويعود إلى تأليف الكتب وتقديم أفكاره كلها فيها، حيث لا توجد



عقبات إنتاجية أو مالية تعوقه عن بناء العوالم الضخمة التي يتخيلها وتقديمها بأدق وأصغر تفاصيلها.

وُلد مارتن في سبتمبر 1948 في ولاية نيو جرسي لأب من أصول إيطالية يعمل في تفريغ وتحميل البضائع على السفن وأم من أصول أيرلندية، وفي عائلة تملك جذورًا إنجليزية وألمانية وفرنسية، وهو ما يفسر شغفه الشديد بالتاريخ الأوروبي، خصوصًا حقبة العصور الوسطى التي استلهم منها الكثير في كتاباته. يقول مارتن إن طفولته كلها كانت تتلخص في الذهاب إلى المدرسة والعودة إلى المنزل، ومشاهدة السفن التي تتوافد على ميناء نيوآرك من جميع أنحاء العالم من نافذة غرفته الصغيرة، واضعًا قائمة بأعلام الدول التي يراها ويحلم بأن يزورها ذات يوم، وكان هذا ما شجعه على القراءة بنهم شديد على سبيل زيارة تلك الدول في خياله، قبل أن يتجه إلى الكتابة في سن صغيرة، حيث بدأ يبيع القصص التي يكتبها لأطفال الحي مقابل بنس للقصة، وأحيانًا ما كان يقرأ عليهم هذه القصص كذلك.

ظل مارتن شغوفًا بالقراءة والكتابة، وخلال دراسته الثانوية أضاف قصص الكومكس إلى هواياته، حتى صارت لديه مجموعة ضخمة منها، وهو ما شجعه على كتابتها كذلك، وفي سنة 1970 اشترت مجلة «Galaxy» منه واحدة من تلك القصص، لتصبح أول عمل احترافي يُنشر له على الإطلاق. ثم التحق مارتن بجامعة نورثوسترن في ولاية إلينوي ليحصل على درجتي البكالوريوس والليسانس في الصحافة، وخلال دراسته الجامعية كان من النشطاء المعارضين لحرب فيتنام.

عمل مارتن أستاذًا للصحافة في الجامعة لفترة واصل فيها نشر قصصه ومقالاته في الصحف والمجلات المختلفة، وأخيرًا في سنة 1976 نشر مجموعته القصصية الأولى «أغنية ليا» التي فازت بجائزة «Locus Poll» كأفضل مجموعة قصصية لهذا العام، ثم في العام التالي نشر روايته الأولى بعنوان «موت الضياء» التي رُشحت لجائزتي «Hugo» و«British Fantasy Award» كأفضل رواية، وتُرجمت إلى تسع لغات.

مع حلول سنة 1979 كان مارتن قد تفرغ للكتابة تمامًا، وواصل نشر



مجموعاته القصصية ورواياته، التي تضمنت «أغاني النجوم والظلال» و«التنين الجليدي» و«في الأراضي المفقودة»، ليحصد المزيد من الجوائز الأدبية المرموقة عن أعماله المختلفة، والتي بلغ عددها حتى الآن 21 جائزة بخلاف الترشيحات، غير أن روايته الرابعة التي نشرها سنة 1983 بعنوان «المعركة الأخيرة» لاقت فشلًا ذريعًا في المبيعات على الرغم من إشادة النقاد بها، حتى أنه قال إنه «دمر مسيرته المهنية كروائي في ذلك الحين». لكن سرعان ما تعافى مارتن من هذه العقبة واتجه إلى العمل في هوليوود، وفي الآن نفسه واصل كتابة القصص والروايات، لتبلغ حصيلته منها حتى الآن 18 رواية ومجموعة قصصية لا تتضمن سلسلته الأشهر «أغنية الجليد والنار» والكتب الأخرى التي تدور أحداثها في عالمها.

يقول مارتن إن تركه لهوليوود كان من أفضل القرارات التي اتخذها في حياته، ويقرُّ بأن هوليوود كانت كفيلة بتدمير سلسلة «أغنية الجليد والنار» تمامًا لو كان قدمها للاستوديوهات الكبيرة لتحولها إلى سلسلة أفلام سينمائية ضخمة، بدلًا من شبكة «HBO» التي حولتها إلى مسلسل «Game of Thrones»، والذي يعمل عليه كمشرف ومنتج تنفيذي وشارك في كتابة عدد من أهم حلقاته، وإن توقف عن الكتابة للمسلسل بعد موسمه الرابع، ويعيش حاليًا في ولاية نيو مكسيكو مع زوجته الثانية باريس متفرغًا لكتابة الجزئين السادس والسابع من سلسلته، واللذين ينتظرهما القراء في جميع أنحاء العالم على أحر من الجمر.





المترجم هشام فهمي

درس الأدب الإنجليزي والترجمة في جامعة الإسكندرية، وعمل مترجمًا وكاتبًا في عدد من الصحف والمجلات، وترجم عددًا من الأعمال لكتاب عالميين، منها «الهوبيت» لتولكين، «فرانكنشتاين» لماري شِلي، «1408» لستيڤن كينج، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك پولانك، «المحيط في نهاية الدَّرب» لنيل جايمان.

شُكر من المترجم

تظلُّ قائمة الأصدقاء الذين وجَّهت لهم الشُّكر في الكتاب الأول كما هي، وأودُّ أن أضيف إليها كلًّا من أحمد ندا ومحمد عبد القهَّار.

وشُكر خاص جدًّا للصَّديقة والزَّميلة **ندى الأبحر** على قيامها بترجمة الأغاني في هذا الكتاب.





سلسلة چورج ر. ر. مارتن الملحميَّة

أغنية الجليد والنار

تبدأ في

لعبة العروش

وتُستكمَل في

صِدام الملوك

عاصفة السيوف

وليمة للغربان

رقصة مع التنانين

رياح الشتاء

حُلم بالربيع



الرواية التي تحولت إلى ظاهرة

«مارتن راوي قصص بالفطرة يتمتَّع بخيال واحد في المليون، والمسلسل المأخوذ عن سلسلته رائع، لكن الكُتب أفضل بكثير». **ستيڤن كينج**

«نجحت سلسلة مارتن الخيالية في إشعال خيال الملايين للسبب نفسه الذي جعل أعمال هوميروس وسوفوكليس وشكسبير تدوم عصورًا». **الجارديان**

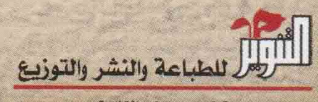
«مارتن هو الأفضل على الإطلاق بين من يكتبون في مجال الفانتازيا الملحميَّة في العصر الحالي، ولا مبالغة في وصفه بأنه تولكين الأمريكي». **تايم**

«موهبة مارتن في الحكي تكاد تكون خارقة للطبيعة». **نيويورك تايمز**

في «صِدام الملوك» يواصل چورچ ر. ر. مارتن أحداث تحفته الفنيَّة الأصيلة، التي تحوي أفضل ما في الأدب الخيالي من إثارة وغموض ومغامرة، على مستوى أكبر من الواقع، بالإضافة إلى مجموعةٍ كبيرة من الشخصيات الأساسيَّة والفرعيَّة المثيرة لاهتمام وتفاعُل القارئ، ما جعل الملايين من عشاق الفانتازيا حول العالم يقعون في غرامها ويتابعون أجزاء ملحمة «أغنية الجليد والنار» بمنتهى الشغف.

من حيث انتهَت أحداث الكتاب الأول مباشرةً تبدأ أحداث الكتاب الثاني هذا. فبينما يشقُّ السماء مذنَّب بلون الدم واللهب، تضرب ويلات الحرب البلاد إذ يتصارع خمسة ملوك على عرش الممالك السبع الحديدي، في صِدام عنيف تظلُّ فيه عجلة الدسائس والمؤامرات والخيانة والسحر الأسود دائرةً بلا انقطاع، لتسلب الآلاف من الأبرياء والمذنبين أرواحهم على حد سواء. فيما يبدأ الخطر القادم من الشمال في الإفصاح عن وجهه، وتواصل الملكة المنفية إلى بلادٍ أخرى سعيها إلى استعادة عرش أبيها. في هذه الحرب تولد التحالفات وتموت في غمضة عين وتسيل الدماء، فحين يتصادم الملوك تنزف البلاد بأكملها.


ISBN 978-977-6483-92-7


التنوير للطباعة والنشر والتوزيع

تونس - بيروت - القاهرة